AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01027 4987

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

02-B5891
26-11-02

السودان

من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية

DT
108
A49
1935

الجزء الأول

« يشتمل على تاريخ السودان القديم فى عهد الفراعنة والبطالسة والرومان والدولة الاتيوبية ومملكة مروى ونبتة ، وممالك السودان وسلطناته وإماراته وقبائله وديانانه وأصول سكانه ، وهجرة القبائل العربية إليه ، وعهد الكشاف والأتراك والمماليك ، وفتحه فى عهد محمد على واسماعيل وحاكمداروه إلى الثورة المهدية ، وجارات السودان ، والحبشة ومراجع الكتاب ووثائقه »

تأليف

عبد الله حسين

المحامى أمام محاكم الاستئناف والمحرر بالاهرام

وصاحب الجريدة القضائية والادارة والبوليس القضائى

الطبعة الأولى

١٣٥٤ - ١٩٣٥

طبع على نفقة المؤلف وحده وحقوق الطبع والنقل محفوظة له

كل نسخة ليس عليها اسم المؤلف تعد مسروقة

يطلب من المؤلف بجريدة الأهرام ومن جميع المكاتب

المطبعة الرحمانية بمصر

شارع الخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

٩٦١,٤
ح ع . سو

48635



حضرة صاحب السمو الأمير العظيم عمر طوسون

صاحب الفضل العظيم فى توثيق العلاقات بين مصر والسودان

مقدمة

لحضرة صاحب العزة فؤاد أباظه بك

المدير العام للجمعية الزراعية الملكية

السودان !

السودان يحيط بنا أينما حللنا ونراه ماثلا أمامنا أينما توجهنا . ونحس بوجوده فى كل مرافقنا ، فقد ملك علينا مشاعرنا ، وارتبطت به اقتصادياتنا واتصلت به مصائرنا .

ومنذ عادت بعثتنا من السودان واسم السودان ومصالحه ورجاله بين ظهرانينا . فنحن يوماً نستقبل ضيوفنا من اخواننا السودانيين الكرام . ويوماً آخر نحضر حفلة فى الجمعية الزراعية أو النادى السودانى أو الغرفة التجارية . أو نحضر اجتماعا فى وزارة التجارة والصناعة . وتتبادل المكاتبات بين القاهرة والخرطوم وما إليها . ونحن ننظر بلهفة واشتياق إلى اشتراك السودان لأول مرة فى المعرض الزراعي الصناعى القادم المقرر افتتاحه بالقاهرة فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦

لقد نجحت البعثة المصرية فى مهمتها نجاحا باهراً وفوق المنتظر من ناحية توثيق العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين مصر والسودان . ولكن لا يزال كل منا ومنهم يشعر بأن عليه الواجب لتحقيق النتائج التى أسفر عنها النجاح الأول المبارك .

وهل أدل على دقة الشعور بهذا الواجب والقيام بعبئه من ذلك السفر الجليل الجامع — (كتاب السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية) الذى ألفه حضرة زميلنا الفاضل فى البعثة وصديقنا الأديب المحبوب العالم الباحث — الأستاذ عبد الله حسين المحامى والمحرر بجريدة (الاهرام الغراء) وصاحب الجريدة القضائية .

إنى أكتب هذا وبين يدى كتاب كبير يقع في ثلاثة أجزاء ويبلغ عدد صفحاته حوالى الثلثمائة والألف وبه صور كثيرة يمر بها القارىء كأنما ينظر إلى

ومؤرخيهم أن يسعفوهم بهذه الطلبة ويقدموا لهم هذا الغذاء وينوعوه لهم ليقبلوا عليه ويأخذ كل منهم ما يستطيبه منه .

وقد انقضت حقبة طويلة لم يخرج فيها أحد من المصريين كتاباً عن السودان يعتد به ويستحق أن يطلق اسم الكتاب عليه وانقضت عدة من السنين على ما ألف فى شأنه وكتب عنه حتى نفدت نسخه أو كادت وأصبحت من الندرة بحيث لا تعثر عليها الأيدى عند الوراقين وباعة الكتب ، وإذا وجدها راغب منهم لم يحصل عليها إلا بالثمن الغالى . وهى مع ذلك قد فاتها بطبيعة وضعها من عشرات السنين ذكر ماحصل بعد وضعها وتدوين الحال التى عليها السودان الآن خصوصاً من الوجهتين السياسية والاقتصادية .

وأننا لانريد أن نفاضل بينها وبين كتابكم إذ يكفيه أن يكون حاوياً لما لم تحوه من مباحث وفصول . وأنه مؤلف حديث وضع على النمط الحديث ودعم بالوثائق والأسانيد وعزى أغلب مافيه إلى مصادره . وهذه المزية الأخيرة لانزاع فى أنها مزية كبيرة فى المؤلفات التاريخية خاصة . لأن هذا العلم ليس ككل العلوم بل هو علم متجدد ماتجددت الحوادث فالشأن فيه أن يتجدد فيه التأليف ويتنوع وقد أصبح ما كتب فيه حديثاً أفضل مما كتب فيه قديماً وإن كان هذا الحديث لاغنى له عن ذلك القديم . وهذا الفضل يرجع للمزايا التى اعتمد عليها المؤلفون المتأخرون فى وضع هذا العلم . فبعد أن كان روايات تروى محتملة للصدق والكذب أصبح بهذه المزايا حقائق لايتطرق اليها الشك

فعلينا أن نرحب بكل جديد من التآليف التاريخية إذا اشتمل على هذه المزايا وأن نشكر مؤلفه ونثنى عليه خصوصاً إذا سد لنا فراغاً كان يخشى أن يبقى ثلمة مفتوحة إلى ما شاء الله ، وقيد لنا أوابد ربما ظلت شاردة عنا .

ومناط الرغبة فى المؤلفات التاريخية وغيرها أن تكون الحاجة ماسة اليها فاذا كان تعلقنا بالسودان متغلغلا فى القلوب كما نزعم فقيسوا ذلك باقبال المصريين على كتابكم وتهافتهم على إحرازه وقراءته .

أما أنتم فقد قمتم بالواجب وحق لكم الشكر من المصريين والسودانيين جميعاً لاخراجكم هذا المؤلف العظيم وتحملكم فى تأليفه ما يعرفه المزاولون لصنعة التأليف من الجهد والمشقة والعنت وبذلكم فى هذا السبيل ثمين وقتكم وما لكم . وأما الأمة فستجزيكم على ذلك بالأقبال على كتابكم واستقباله بما هو أهل له من الحمد والثناء إن شاء الله ؟

عمر طوسون

أحمد بك ومساعديه والآلاف المؤلفة من العمال المصريين من الصعيد الذين يشتغلون فى إقامته ويعاونهم فى ذلك اخوانهم العمال السودانيون

* * *

وعقد المؤلف فصلا ممتعاً عن الجيش المصرى قديماً وحديثاً وحادث خروجه وتأليف قوة الدفاع عن السودان والاعتماد المخصص لها فى ميزانية وزارة الحربية ، ومناقشات البرلمان حول دفع هذا المبلغ

ومما تقر له العين وتستريح له النفس أن يرى قارىء الكتاب ترجمة حياة ذلك الأمير العظيم حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون ثم يقرأ آراءه العالية — جلية واضحة وموضوعة فى مناسباتها — ذلك الأمير الغيور على توثيق العلاقات بين مصر والسودان توثيقاً علمياً وعمليا . ولا ريب أن سموه قد أصبح حجة فى تاريخ السودان وتطوراته كما أصبح يضىء لنا الطريق فى هذه المهمة النبيلة ، وينبوعا يفيض بالخير والبركات على مصر والسودان والشرق جميعا .

ولم يفت المؤلف الأديب أن يبسط لنا شئون السودان الزراعية والاقتصادية والأدبية والاجتماعية بسطا وافيا دل على رسوخ فى العلم ودقة فى البحث وسعة فى الاطلاع .

ولما كانت مشروعات الرى ومسألة الخزانات قد أثارت وما تزال تثير اهتماما فى مصر والسودان فقد عالج المؤلف هذه المشروعات مشروعا مشروعا وخزانا خزانا كل ذلك مدعما بالتواريخ والارقام وآراء الفنيين العالميين

ولم يفت المؤلف أن يسرد على مسامعنا تاريخ الصحافة فى السودان والأدب والشعر والأغانى والعادات وحالة المرأة ونظام الحكم والقضاء والطرق الصوفية وبعثات التبشير

وقد سجل لبعثتنا المصرية تاريخاً ، ألم فيه بما كتبه من وصف لرحلتنا يوما يوما ومقدمات الرحلة ونتائجها . وقد رسم المؤلف المبدع بريشته التحليلية صوراً لأشخاص زملائه أعضاء البعثة كما كتب تاريخاً للهيئات التى اشتركت فيها .

وقد شاء أدبه وكرم نفسه ووفاؤه لأصدقائه أن ينشر لأسرتنا تاريخا ، وأن يخص هذا الضعيف بترجمة حياته وأن يعزو إليه فضلا فى سفر البعثة

شريط سينمائى يستعرض الحياة السودانية قديماً وحديثاً استعراضاً صادقاً مفيداً وجذاباً .

لقد عالج المؤلف النشيط فى أجزاء كتابه الجليل تاريخ السودان منذ أبعد العصور — فذكر الحياة السودانية فى عهد الفراعنة والرومان والبطالسة والعرب والأتراك والمماليك — وشرح الفتح المصرى وما كان من اهتمام محمد على مؤسس الأسرة العلوية المالكة واهتمام الأمراء بعده بالسودان — ولا سيما عصر اسماعيل الذهبى الذى اتسعت فى عهده حدود الدولة المصرية جنوباً فشملت منابع النيل وبلاداً أخرى أصبحت مستعمرات لدول أوروبية .

كما أنه شرح الثورة المهدية ذاكراً مالها وما عليها ومقدماتها ونتائجها — شأن المؤرخ المحقق الصادق واسع التفكير والناقد البصير ضارباً بتحليله البديع الأمثال لمؤرخى الثورة المهدية .

كما بسط لنا المؤلف تاريخ الممالك والسلطنات والأمارات والقبائل التى قامت فى السودان . أما المسائل السياسية فقد عالجها ببحوثه القيمة وربط الحوادث ببعضها البعض ربطاً محكماً وحلل اتفاقية ١٨٩٩ التى هى أساس الحكم الحاضر فى السودان كما هى أساس العلاقات بين مصر والسودان وكما كانت المحور الذى دارت عليه المفاوضات السابقة — وذكر لنا النصوص الخاصة بالسودان الواردة فى مشروعات الاتفاق بين مصر وانجلترا جميعاً ، وما ورد بشأن السودان فى تقارير الممثلين البريطانيين للدولة البريطانية . وما دونته تقارير الحكام العامين المتعاقبين على السودان ومن إليهم ، وما ورد فى محاضر هيئاتنا النيابية القديمة والجديدة من مناقشات خاصة بالسودان وحوادثه وميزانيته ومشروعات الخزانات والسدود والقناطر سواء أكان ذلك على البحيرات التى ينبع منها النيل ام على فروعه وعلاقة تفاتيش الرى المصرى بالسودان ونقطه ، وعلاقتها بتلك الأعمال وما تصرفه مصر عليها .

ومن أبرز تلك الأعمال فى الوقت الحاضر إقامة خزان جبل الأولياء على النيل الأبيض قبلى الخرطوم تحت إشراف المهندس المقيم القدير عبد القوى

اللغة العربية وحدها وإنما فى اللغات الأخرى - يعد شيئا فذا وعملا لا يقوم به عادة إلا الجماعات العلمية والبعثات التى تنصب نفسها للبحث وتمدها الهيئات بالمال . ومن الأسف أن الأوربيين قد سبقونا بوضع مؤلفات كثيرة عن السودان ، مع أن علاقاتنا بالسودان قديمة ومنا الألوف الذين عاشوا فيه قديما وحديثا . وقد أنفقنا فيه بدر المال وأعز الرجال .

ومما يغتبط له كل مصرى أن يقوم الأستاذ عبد الله بسد هذا النقص بمؤلفه الجامع الذى يتبوأ بلا شك مركزاً ممتازا بين المؤلفات العربية والأجنبية عن السودان .

ونغتبط أيضاً بتلك الظاهرة الجديدة فى صحافتنا المصرية باشتراك شباننا الأكفاء المتعلمين المهذبين فى تحريرها . وأن جريدة « الأهرام » الغراء لجديرة بالتهنئة حقا بوجود المؤلف فى الصف الأول من كتابها ومحرريها ، بل أن صحافتنا كلها جديرة بالتهنئة بأن يكون المؤلف من أعضاء أسرتها الكريمة فضلا عن تهنئتنا لأسرة المحاماة وللأسرة القانونية عامة ، بإنجابها شابا ألمعيا نابها يشرف كل هيئة ينتمى إليها .

وقد فاتنى أن أشير إلى الأسلوب البليغ الذى كتب به المؤلف كتابه ، فهو السهل الممتنع والفصيح المبدع . وهكذا كان الأستاذ عبد الله كالمعدن النفيس تزداد قيمته ويجلو بهاؤه كلما أمعن الناظر فيه ، وكالفن الجميل يأخذ سحره بالباب الفنان كلما تمعن فيه

وجدير بوزارة المعارف أن تقرر هذا الكتاب فى مدارسها . فمن الأسف أن الوارد فى كتب الوزارة عن السودان تاريخاً واقتصادا وجغرافية ضئيل لا يشفى الغلة ، ولا يساعد على فهم حقيقة السودان . هذه كلمة أوحى بها اطلاعى على الكتاب ودفعنى الإخلاص لتقديم الكتاب بها والله أرجو أن يثيب المؤلف عن كتابه أحسن الجزاء ، وأن يكثر من أمثاله بين شباننا العاملين . وإنه سميع كريم مجيب الدعاء

* * *

بقى لى كلمة للقراء فى مصر والسودان

كل من يريد أن يلم بالمسألة السودانية أو يتباحث فيها يحسن به أن يستوعب

ونجاحها وتوثيق العلاقات بين القطرين الشقيقين اللذين وحد النيل بينهم، فأخجل تواضعنا، واستأهل الشكر من كل فرد من أفراد أسرتنا

وبعد ـ فهذا قليل مما وسعته العجالة من تنويه بهذا السفر النفيس، وإلا فالحديث عنه طويل لا يمل وكل كثير فى إطنابه قليل فى تصويره، ضئيل فى بيان فضله.

وها هو الكتاب فى أجزائه الثلاثة مبسوط للقراء، وحسبهم مطالعته للوقوف على مزاياه والافادة من بحر علمه الواسع. وهو كتاب يفيد كل طالب وباحث وقارىء وسياسى ومدرس وصحفى وتاجر ـ حقا إنه مفيد لجميع الطبقات. وندر أن يوجد مؤلف جامع يضعه بحاثة قدير يفيد الخاصة والعامة معا كما يفيد هذا الكتاب

* * *

بقى قبل أن أختتم هذه الكلمة ـ أن أذكر شيئاً عن صديقى المحبوب الأستاذ عبد الله حسين وقد أتيحت لى الفرصة بالتعرف به منذ سنوات كثيرة فى حفلات خاصة وعامة، وكنت فى كل مرة ألقاه ازداد حبا له وتقديراً وقد عرفت فيه شاباً مهذبا جميل الشيم، أمامه مستقبل زاهر.

على أن الحق أقول أن اشتراكه معنا فى البعثة قد كشف لنا عن سجاياه نوراً وضاءاً وأدبا رائعا، حتى أحبه واحترمه جميع أعضاء البعثة ـ لا استثنى منهم أحداً ـ وكلهم يذكر له نشاطه العجيب وصبره الجم وأنه كان يدون المعلومات فى لباقة وفى غير إثقال على أحد ففتحت له مغاليق الأبواب وشجعه الجميع. وما منا إلا وقد أكبر المؤلف فى تلك المقالات الفياضة الممتعة، إذ كان يأبى أن يخلد إلى النوم أو إلى الراحة بعد انتهاء زياراتنا والحفلات التى دعينا إليها، فكان يسهر الليل حتى ينتهى من وصف الحفلات التى شاهدها نهاراً ومساءا.

وقد كان حسب المؤلف غبطة وفخاراً، حسن تدوين وصف رحلتنا يوما يوما.

ولكن جهد المؤلف فى اخراج كتاب يعد الأول من نوعه ومنهاجه لا فى

عبد الله حسين

كما عرفته

بقلم العالم الفاضل والأديب الكبير الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى

المفتش بوزارة الأوقاف

فى ليلة من ليالى شهر يونية سنة ١٩٢٤ . كان على أن أكون بحجرة السكرتارية للزعيم الخالد « سعد » ذى الرياستين . وهو ليلتئذ بحجرة الوزراء يتروّح أثناء انعقاد جلسة مجلس النواب . وكان قد طلب إلىّ الزعيم أن أرقب سير المناقشة فى استجواب طرحه على هيئة المجلس أحد ممثلى الحزب الوطنى من النواب ، وموضوعه « مناقشة دارت فى مجلس العموم الانجليزى بشأن نهر الجاش والأعمال التى تقوم بها دولة ايطاليا على ذلك النهر » فكنت أحرص ما أكون على ما أسمع . لأنقله إلى الزعيم حتى إذا ماحقت كلمة الحكومة تحول « سعد » إلى القاعة الكبرى فقالها حكيمة مبينة قاطعة . . .

فى تلك اللحظات عرض لى شاب بدين طلق المحيا واضح البسمات ، وسألنى أن يلقى « سعداً » فاستمهلته حتى تنتهى الجلسة . فلما عاد « سعد » رئيس الحكومة إلى حجرة الوزراء ظافراً — على عادته فى مسألة الاستجواب . وجدت فى نفسى نوازع إلى رؤية « الشاب » ، ووددت أن أسهل له لقاء «سعد» وهو فى ساعة من ساعات رضاه .

دخلت حجرة السكرتارية ، فاذا الشاب لاتفارقه بسماته ، ولا تدعك نظراته متوثب ، معتزم ، يشغلك عن الفكر فى سواه . فوجهت إليه خطابى فى تودد وتلطف : — سأحاول أن تقابل الآن الرئيس وأرجو أن يسعدك الحظ فألقاه واستأذنه وهو لايزال بهجاً كما غادر الجلسة . طرقت الباب ومثلت بين يدى سعد . فقال : ماذا عندك ياجديلى ؟؟ قلت أما (ما) عندى فاعجاب الزائرين الذين شهدوا جلسة الليلة ، حتى لقد تجمعوا فى فناء المجلس لتحية الزعامة

ما فى هذا الكتاب النفيس من بيانات ثم يحسن به جداً أن يتبع ذلك بزيارة للسودان لاستيعاب معلوماته عن قرب وليرى بعينيه الصورة الحقيقية له ليقابلها بسابقة تصوراته وخيالاته . وواجب على المصرى وعلى السودانى مطالعة ماجاء فيه وكذلك طلبة المدارس والمعاهد لمعرفة تاريخ بلادهم .

قد يقف القارىء عند كلمة أو جملة تثير شجونه أو تحرك الذكريات المؤلمة من هذا الجانب أو ذاك . وموضوع الكتاب لا يمكن المؤلف إلا أن يصطدم بتلك الذكريات فى خلال سرده للحوادث الحربية والثورية والسياسية الخ . ولكن لا حيلة له إلا سردها متوخيا الحكمة بقدر ما تمكنه قدرته الكتابية فى بلوغ غرضه . على أنه لا شك فى أن القارىء يخرج من هذا الكتاب الثمين بطائفة كبيرة من المعلومات كانت خافية عليه ويشعر بإحساس عميق من العظة والاعتبار وعفى الله عما سلف

وقد كان من توفيق المولى سبحانه وتعالى أن تمكنت البعثة المصرية من السفر للسودان فى أوائل هذا العام . ومهما حاولت التعبير عن شكرنا لاخواننا السودانيين الذين حظينا بلقياهم من بورسودان شرقا إلى الأبيض غربا إلى الخرطوم ثم العطبرة ووادى حلفا شمالا وما بين تلك المدن الزاهرة من البلاد والأحياء والحلل ومن يقطنها من الجماهير الغفيرة التى لا يحصيها عد ولا حصر فلا يمكنى إيفاءهم حقهم من الثناء فقد خرجنا من زيارة السودان بنتائج ما كنا نحلم بها . لقد توطدت أواصر المحبة بينهم وبيننا نتيجة التعارف والاختلاط وعند ما قابل المصرى أخاه السودانى فى أى مكان حل به وجد الطباع منسجمة والعادات متفقة . وقصارى القول اكتشفنا أن لا تنافر ولا خلاف بل وجدنا أنفسنا أهلا وخلانا على أتم ما يكون من الصفاء .

وفقنا الله لما فيه الخير للجميع .

مصر فى ١٥ اكتوبر سنة ١٩٣٥

فؤاد أباظة

فعرف «عبد الله حسين» الصبي ماللصحافة ولرجالها من مكانة فى المجتمع المصرى . ولعل أحب شيء إلى نفسه لم يكن غير أن يصبح صحفياً . ولم يجد ميداناً يبرز فيه ميله النفسى غير صفحات كراساته المدرسية . فكان مدرس العربية يلقى اليه بموضوع الانشاء . فلا يلبث أن يحوله إلى مقال ضافى الذيول ، محبوك النسيج : حتى عرفت موضوعاته بين أقرانه فى المدارس الابتدائية والثانوية بأنها مقالات ، وكان إعجاب أساتذته بكتاباته مغريا له بأن يلتهم القواميس ويحاول حفظها ولعل محاولاته هذه وهو فى تلك السن ، ثم لعل ارشاد أساتيذه له من ذلك الحين ، قد خرّج منه على طول السنين كاتبا ألمعيا متفوقا غنى بالمعاني ، وأعرض عن المقدمات بل كرهها كرها ، وأننا لنعرف مبلغ اهتمام أساتذة الانشاء بمحو المقدمات فى كراسات تلاميذهم . فلست رائيا فى كتابة عبد الله حسين الشاب المكتمل إلا الموضوعات محوطة بالحجج ، يتمشى فيها المنطق الصحيح ، ثم لايزال بالقارىء يستهويه ويتنقل به إلى حيث يؤمن بصدق نتائجه ، وصحة رأيه وحكمه .

* * *

مارأيت عزما يعمل فى الصعاب ، ولا دأبا يبدد العقبات ، ولا أدركت إلى أى شأو تبلغ الهمة بصاحبها مثلما عرفت ذلك كله فى « عبد الله حسين »

مات الشيخ « على يوسف » وأخذت « المؤيد » الأحداث ، وتقلقلت حياة المرحوم السيد عبد الله حسين ابو صغير عميد آل صغير ببنى عديات ـ منفلوط ـ مديرية أسيوط مدير إدارة « المؤيد » والد « عبد الله » وقد كان أثراً لدى الشيخ على — بل كان صفوة أقربائه ، وأخلصهم ، وأعرفهم بشؤونه — ترك له الشيخ على تدبير خاصته ، وكان يستشيره ، ويصدر عن رأيه ، وكانت الحياة نضيرة الجنبات ترف عليه بخيرها فلما تبدد تراث « المؤيد » كان من آثار ذلك أن شرع « والد المؤلف » يهيىء حياته مستقلة ، ويوجه كل جهوده لإعداد ابنه الوحيد « عبد الله »

عانى الوالد شدائد ؛ ولقى « عبد الله » ما كان حريا بأن يثنيه عن إتمام دراسته — بل أن يقنعه بالدخول فى تلك الوظائف — لكنه ما انثنى ، ولا

فى موقفها الوطنى المشهود تلك الليلة ، وأما (من) عندى . فعبدالله حسين . !! هنا ، أغرق « سعد » فى الضحك . وقال : هكذا تمتاز الطريقة الأزهرية ، وهكذا يحق لنا الفخار بها .

لم يشأ ـ رحمه الله ـ أن يردّ زائرى . فأمر بإدخاله . دخل الشاب يدلف فى نشاط حتى حيا الزعيم ، فأمره بالجلوس . وجرت أحاديث وتشعبت موضوعاتها حتى جاء ذكر الزعيم الصحفى العظيم « الشيخ على يوسف » فعلمنا سعد عنه مالم نكن نعلم من شغفه بصحيفته ، وهيامه بعمله ، وضرب لنا الأمثال فى ذلك ، ثم نظر إلى الشاب يستطلع ما لديه فى ذلك فاذا هو من ذوى القربى لصاحب المؤيد بل هو قد درج ونشأ و يفع فى حضانة المؤيد . استدناه « سعد » وقربه . ثم قال : من عجب ألا يوجد قلم يرد طغيان الجرائد الأجنبية عما تخوض فيه الآن فى أسلوب منطق هادىء مقنع ، وأخذ سعد يعالج الموضوع معالجة صحفية . ثم انتهى المجلس وودع سعد الحاضرين ، والجمهور فى الطريق يضج هتافاً ودعاء حتى بلغ بيت الأمة . . .

فى الأمسية الرابعة لتلك الليلة حضر « الشاب » يحمل حزمة من الصحف الأجنبية . وطلب لقاء « سعد » فسرنى أن أبلغ مقدمه « للزعيم » فأذن له . ودخل . و إذا هو قد دبج مقالا فى بعض الصحف الاجنبية ماخرم حرفاً ، ولا تجاوز فكرة . مما أراده « سعد » قبل ثلاث ليال — عجب سعد لهذا الشاب ، وأطراه ، ورجا له غاية بعيدة ...

☆☆☆

منذ ذلك الحين عرفت « عبد الله حسين » و توثقت بيننا الصلات . فكان من خلصائى ، وذوى ودى . وعرفت فى غضون صداقتنا أنه شخص ممتاز موهوب ، و إن شئت فقل أنه أعجوبة من الأعاجيب

نشأ فى دار المؤيد اذ يتزعم الشيخ على يوسف أسرته فكانت عين المؤلف لا تقع إلا على التحرير والتحبير ، وهو إذ ذاك غلام مراهق ، فعلق بنفسه ماكان يراه و يسمعه . وشهد ماكان يطوق دار المؤيد كل يوم من رتل السيارات تحمل عظماء الأمة ، وكبار رجالاتها ، وكلهم حريص على لقاء شيخ المؤيد .

ليته بقى محامياً بحاثاً وليته جمع أبحاثه القانونية ، ومذكراته القضائية إذن لكان فيها غناء وأى غناء . ومن عجب أنه يترفع عن اخراج الكتب على كثرة ماله من دراسات وإبحاث ومذكرات لأنه يضن بمجهوده أن يخرج فى غير إهابه اللائق . أو على صورة تجارية : لهذا . عند ما أراد اخراج كتابه هذا . . . احتفل له ، ورصد كل جهوده ، ولم يسمع بمصدر من المصادر فرنجياً أو عربياً . إلا . وقد استشفه ، وأوغل فيه . ثم مازال يرتب الأبواب ، ويفصل الفصول ، ويحكم المقدمات ، ولا يستكثر شيئاً من جهوده على هذا الكتاب حتى خرج كما يرى القراء دائرة معارف لم تدع شاردة ولا واردة عن السودان إلا أحصتها فى أسلوب من النسق العالى .

* * *

كلما تخصص للمحاماة جذبته الصحافة اليها ، فخن لها . لكنه ما فتىء يرى فى الأفق الصحافى والسياسى أشياء ينبو عنها طبعه ، وتنفر منها نحيزته «الصريحة» فهو صريح جداً حتى خلقته خرجت صريحة هى أيضاً . فكأنما تقرأ فى قسمات وجهه ، مطوى نفسه فهو لا يحب المواربة ، وأفق السياسة ، وجو الصحافة ملىء بالدسائس ، والأنانية والاستغلال والمصانعة ، فكثيراً ما شاهدت « عبد الله » برما متضجراً ضائق الصدر ينتوى أن يحيا فى أفق وجو يستطيع التنفس فيه بملء رئتيه هواء صالحا نقياً . وقد شاهدته يجمع رأيه على أن يدع الصحافة . وإن كان حنانه اليها يعاوده ـ فيجيئه أصدقاؤه يثنون عزمه ، ويقفون فى سبيله استزادة واستكثاراً من نفثاته الوطنية البريئة .

* * *

وجملة القول . فلقد عرفت « عبد الله حسين » صحفيا أميناً ماهراً ، نشيطا ظريفا واعيا . يستمع لكل مايقال ولا يكتب مذكرة ولا مفكرة ، ثم يصب الحديث ما يخرم منه حرفا وعرفته معتزما مريدا ، ومحاميا قديرا ، واجتماعيا مستبحراً ، وصديقا وفيا يتحرق على الأصدقاء ، ويقدس الوفاء ووطنيا لم تختلط وطنيته بدنس ولا عاب . وهل فى استطاعتى أن أرضى الحق ، قبل أن أقول : — « ان عبد الله حسين أمة وحده » . . . . .

قنع . فما زال يرتقي من دراسة إلى دراسة حتى ضاقت به دور العلم فى مصر ، ورأى مطامحه أفسح من هذا الأفق فارتحل إلى بلاد الفرنجه وهو مسلح بهذا العزم القاطع وذلك الخلق القوى . وعاد وهو يجيد الفرنسية والانجليزية والايطالية والألمانية . هذا إلى لغته العربية التى حذقها حذقا ، وجعل لنفسه فيها أسلوبا فذاً يعرفه كل من قرأه حتى لقد شاهدت الكثيرين يطالعون صدر « الاهرام » ولا يجدون توقيعا لهذا الصدر فيقسمون جهد أيمانهم ان الكاتب « عبد الله حسين » وهم بررة فى أيمانهم

عاد وقد اجتمعت له إجازات دراسات كثيرة ومنها إجازة الحقوق فغامر فى ميدان المحاماة على عادته من حب المغامرات . فما كاد يجرى الشوط الاول حتى كان من أعلامها ـ جاءه مال كثير ، واجتمعت له صفات المحامى الناجح من صدق ونزاهة ودأب لو استراحت الكواكب ما استراح « عبد الله » فهو دائماً ينتقل فى البلاد ، ويغشى دور المحاكم ، ويقدم المذكرات . ومن أبهر ما عرف له أن وقف فى قضايا الاغتيالات السياسية إلى جانب المحامين المقاول مصطفى النحاس ومكرم عبيد ومرقص حنا وأحمد لطفى ، ثم شاء الله ، وشاءت عنايته بموكله (. . . . .) أن صدر الحكم ببراءته فكان لهذا دوى عظيم فى الدوائر المختلفة .

وله فى ميادين الاجتماع والخير آثار : إذ كان أحد واضعى قانون التعاون عند ماكان عضوا باللجنة التعاونية العليا . وقد سمعت من المرحوم فتح الله بركات باشا إذكان وزيرا للزراعة سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ ثناء على المؤلف فى هذا الضرب من العمل ، وهو من مؤسسى جمعية القرى التى حققت تعليم ألوف الأميين القرويين . وهو أمين صندوقها

لو أن هذا المدره القدير قد بقى فى هذا الميدان لأشرف على الغاية القصوى فهو من ناحية القانون ثبت عميق ، ومن ناحية البحث هادىء منطيق ، وله هيام بالمطالعة حتى لينسى أنه إنسان يأكل وينام ، فهو يواصل الليالى ذوات العد حتى ليكاد اخصاؤه يشفقون عليه فيطفئون السراج وهو يغالبهم ، ويقول أن نشاطى لا يتجدد ، وذهنى لا يحتد إلا وأنا على هذا النهج من الحياة . نعم

القوافل بين أسيوط والسودان عن طريق درب الأربعين ، وأن أغنى الأسر الأسيوطية وأشهرها قد أثرت من الاتجار بمحاصيل السودان ومنتجاته وتصدير البضائع المصرية إليه . وقد أتاحت لى بيئة جريدة « المؤيد » الوقوف على السياسة الوطنية المصرية والحالة العالمية منذ الصغر . فوجهت عناية خاصة إلى السودان وشئونه ، حتى أننى فكرت فى أن أجعل إقامتى فى السودان عقب إتمام دراستى العالية . ولكن عند ما انتهيت من هذه الدراسة أصبح السودان غير صالح لتوظف المصريين فيه ، إذ كنت أروم أن أعين قاضياً مدنياً من قضاته ، لاغتنم الفرصة للوقوف على البلاد السودانية ودراستها دراسة وافية

* * *

واصلت مراجعاتى واطلاعى على الكتب المؤلفة عن السودان باللغات المختلفة ولكننى كنت أجد فى تاريخ السودان ثغرات ينقصها البحث والتقصى

واتصلت ، فى أثناء حضورى محاضرات القسم الجنائى فى الجامعة المصرية القديمة ببطل السودان حضرة الدكتور محجوب ثابت ، إذ كان أستاذاً لنا فى الطب الشرعى ، ثم اتصلت بجريدة « الاهرام » فأنمى هذان الاتصالان رغبتى فى دراسة الشئون السودانية ، لأن كلا من جريدة « الاهرام » والدكتور محجوب الذى كان يكتب فيها مقالاته السودانية ، كان يعنى بالسودان عناية ممتازة

لكن مطالعاتى كان ينقصها زيارة السودان . وطالما فكرت فى زيارته ولكن العمل المضنى المتواصل الذى نزاوله بغير انقطاع شغلنى عن الزيارة ، إلى أن كانت رحلة البعثة المصرية ، فأظهرت رغبتى فى الاشتراك فيها ، وقد تفضل صاحب المقام العظيم حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون بالاذن لحضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك ، الذى كان أول مرحب باشتراكى ، بقبولى فى البعثة حتى أننى ندبت من قبل البعثة مندوبا عن الصحافة المصرية كلها ، لولا أن رغبت صحف أخرى فى أن يكون لها مندوبون ، فصرت مندوبا خاصا « للاهرام »

بعد عودتى من البعثة طلب إلى الكثيرون أن أجمع مقالاتى عن الرحلة فى كتاب ، فرأيت أن أضع كتاباً كاملا عن السودان من التاريخ القديم ، وأنتهى به إلى رحلتنا . وها أنا أقدمه للقراء الكرام ، شاكراً لجميع حضرات الذين تفضلوا باعطائى البيانات الوافية وعلى رأسهم سمو الأمير الجليل عمر طوسون : والجزء الأول عن تاريخ السودان منذ الفراعنة إلى الثورة المهدية ، والثانى من قمع الثورة إلى الحكم الحاضر ، والثالث فى رحلة البعثة مع البيانات الشاملة

وأرجو أن يحقق هذا الكتاب الغرض الذى قصدت والنحو الذى أردت وهو

كلمة المؤلف

تفضل حضرة صاحب السمو الأمير العظيم عمر طوسون بتحلية جيد الكتاب بكلمة التصدير التى استهللنا بها الكتاب ، وتفاءلنا بها يمناً وخيراً ، ونعدها فخراً وشرفاً من لدن ذلك الأمير البحاثة العلامة الحجة الثبت فى مسائل السودان والمسائل العامة الأخرى . ولسموه منا كثير الشكر ومن الله تعالى عظيم الأجر

وتكرم حضرة صاحب العزة فؤاد أباظه بك المدير العام للجمعية الزراعية الملكية بوضع المقدمة النفيسة لهذا الكتاب ، وتفضل علينا بثناء نقبله على اعتبار أنه تشجيع وصداقة وتعاون فى توثيق العلاقات بين مصر والسودان . وإلا فنحن لانرى أننا فعلنا إلا واجباً من واجبات كثيرة علينا نحو العلم والتاريخ والسودان ومصر

وشاء أدب صديقنا الحميم وأخينا الوفى العالم الأريب واللوذعى الأديب الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى أن يتفضل على أخيه المؤلف بترجمة حياته ، وفاء منه ، بل كرماً وتقدمة . وإلا فان المؤلف دون ما وصف الصديق ولا يعد تلك الصفات التى خلعت عليه إلا نبراساً له ومثلا أعلى يرجو أن يتحقق على طول الزمان

* * *

وما كان بى ـ بعد هذا ـ حاجة لتقديم الكتاب إلى القراء . غير أن لى كلمة أقولها عن الأسباب التى دعتنى إلى تأليفه . ذلك أنه منذ الطفولة وأنا أسمع أخبار السودان وحوادثه ، لأن سن طفولتى قد اقترنت باستعادة السودان وبالسنين التى تلتها ، ولأن قضية شهيرة اسمها قضية التلغرافات ـ وقصتها فى صفحة ٨٨ من الجزء الثانى من هذا الكتاب كانت حديثاً يذكر ويتناوله المرحوم والدى وأسرتنا . كما أننى طالعت وأنا فى مستهل الدراسة الابتدائية كتاب « السودان بين يدى غوردون وكتشنر » تأليف المرحوم اللواء ابراهيم فوزى باشا . وكما أن الصحف المصرية وفى مقدمتها جريدتنا « المؤيد » كانت تواصل الكتابة عن السودان وأخباره وعلاقاته وتنشر فى كل عام الاحتجاج على اتفاقية سنة ١٨٩٩ وعدها باطلة ، فكنت أتابع الاطلاع على مؤلفات كتبت عن السودان وكتابات الصحف ، وكان عمى وآخرون من بلدتنا « بنى عديات » يذكرون التجارة التى كانت قائمة بطريق

الفصل الأول

سكان السودان

السودان قطر من أقطار أفريقية . وسكانه الأصليون هم سكان أفريقية ، وسكان أفريقية الأصليون هم السود أو الزنوج أو العبيد ، أى أولئك الذين لهم بشرة سوداء ، وقامات فى الغالب مديدة . ولكن هجر إلى السودان من قديم الزمان عرب الحجاز واليمن وآخرون من آسيا ، وأقوام من الأمم المجاورة كالحبشة ومصر وبربر بلاد المغرب ، واختلطوا بأهله بعض الاختلاط ، وامتزجوا بهم إلى حد ما ، وكانوا يحضرون إليه للتجارة ، للصيد ، واقتناء ريش النعام وسن الفيل والصمغ والماشية ، وبعد الفتح الاسلامى هجرت إليه قبائل عربية حجازية ويمنية ومغربية أو بعض أفرادها ، وسادت أهله الأصليين وامتزجت بهم ، بالزواج ، فكسب الوافدون السحنة السوداء قليلا أو كثيرا وشيئا من العادات ، كما طاردوا عدداً كبيراً من السكان وردوهم إلى الجنوب ، ومن ثم احتفظ جنوبى السودان بطابع السكان الأصليين كما كان عهدهم منذ آلاف السنين ، مع شىء يسير من التقدم ، ظهر فى المدن التى أنشأها الغزاة من قديم وإلى اليوم وحوالى هاتيك المدن .

ويعيش سكان الجنوب على نظام القبائل ، وهم أهل فطرة وسذاجة ، وفى بعضهم ذكاء عجيب لا مثيل له أحيانا فى البلاد المتمدينة نفسها ، ومن ثم احتفظوا بخلق أهل الفطرة ، من شجاعة ومحاربات متواصلة وكرم طبيعى ، ومجاهدة مع الطبيعة القاسية ، بحرها وأنوائها وأعاصيرها وهبوبها وأمراضها من الملاريا والحميات ومرض النوم .

وهم سريعو الانضواء تحت الاسلام ، فقد حدثنى بعض الثقاة أنه كان يحدث أن يحضر من شمالى السودان العربى « الجلاب » من المتجرين بالماشية ويغشى مجتمعات الزنوج ويؤدى فريضة الصلاة أمامهم ، فسرعان ما يحاكيه القوم فى صلاته ودعائه ويرددون ألفاظه على غير فهم فى بداية الأمر ثم بتفهم وتفاهم ،

وضع تاريخ شامل للسودان ، وشئونه الجغرافية والاقتصادية والزراعية والاجتماعية والأدبية والعلمية . ولولا ضيق الوقت وكثرة النفقات ، لكان كتابى أضعاف ماصدر من الصفحات . على أن فى باب المراجع الغناء لطلاب المزيد . وإننى لأرجو أن يكثر القادرون من التأليف فى السودان ، لأنه من الاسف أن نرى نصيب المصريين والسودانين والناطقين بالعربية أقل من نصيب غيرهم فى هذا الباب من التأليف

والله أرجو أن يوفقنى لمواصلة الاشتراك فى خدمة مصر والسودان وأهلهما ، ففى هذا كل فخرى وأكبر آمالى ؟

٢٠ اكتوبر سنة ١٩٣٥ المؤلف



والزنوج : — قبائل كثيرة : منها الشلك غربى النيل الأبيض عند بحيرة نو ، يعيشون فى قرى متسلسلة لكل قرية شيخ ولكل مجموع من القرى ناظر . وأفرادها أقوياء وشجعان وطوال

والدنكا شرقى النيل الأبيض سود الوجوه ، وهم أجمل الزنوج شكلا . والنوير بين بحر سبت وبحر الغزال فى منطقة السدود والمستنقعات ويسكنون الجزر ثم قبائل البارى والمادى واللاتوكا والمكارك والجانق والبنقو والقولو والجور والاجار والديور والشيرى والنيام نيام والفراتيت والنوبة ، وأفراد النوبة يسكنون جنوبى كردفان ،وأجسامهم عارية « ص٤٦ من كتاب تاريخ السودان لنعوم شقير بك »

ويشتغل الزنوج بالصيد ، ويربون البقر والماشية . ولكل قبيلة لغة ومذهب وديانتهم الطبيعة . أو هم لا دين لهم . وقد وضع بعض الانجليز والمرسلين كتبا للغات الزنوج ، لكى يتعلمها الموظفون والباحثون



دنكاوى زنجى محارب فى ابهى زينته

ويصير الزنجى مسلما . هذا إلى من أصبحوا مسلمين بالزواج أو الخدمة فى الجندية وفى منازل المسلمين . ولا شك أن العربى السودانى المسلم أقرب إلى التفاهم مع الزنوج من أى شعب آخر . وقد انتشر الاسلام بين زنوج أفريقية بصفة عامة ، من غير أن يفكر المسلمون فى تنظيم البعثات أو إيفاد العلماء أو إقامة مستشفيات أو إعطاء إعانات وإنشاء مدارس لهم . وكتب الكثير من أهل الرحلات الأوربيين طافحة بأنباء انتشار الاسلام فى أفريقية انتشاراً طبيعيا إطراديا .

على أنه لاتزال فى جنوبى السودان وفى أفريقية قبائل زنجية لادين لها ، ولاتلبس ثيابا حتى ولا تضع خرقة لستر العورات . وهناك بعثات تبشيرية مسيحية كثيرة تعيش فى هذه الجهات ، وتقيم المدارس والمستشفيات والكنائس والملاجىء ، وتبذل صنوفا شتى من وسائل الاقناع لحمل الزنوج على الانتماء إلى المسيحية .

* * *

سكان السودان : — قبائل كثيرة جدا : أصولها : الزنوج . والبجة . والعرب والنوبة والمولدون والمهاجرون

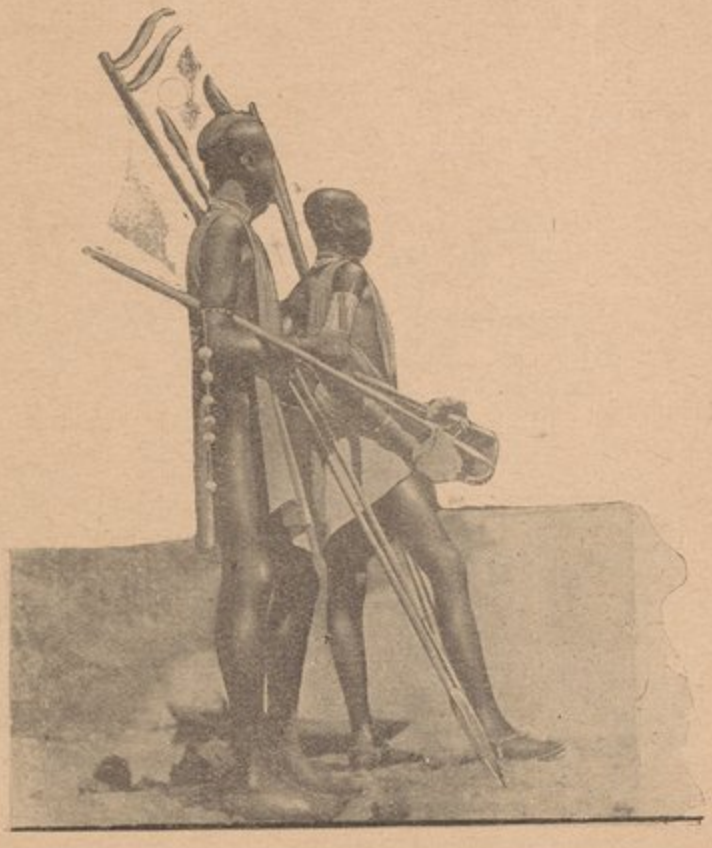

شابان محاربان من قبائل الشلك

الأول والشلال الرابع وهم خليط من النوبيين الأصليين والعرب والترك . والنوبة من بقايا الشعوب التى كانت تتألف منها المملكة الاتيوبية القديمة

العرب : والعرب وهم الذين سكنوا السودان بعد الاسلام وهم أكثر سكان السودان عدداً وأوفرهم حضارة وذكاء وعلما

وقد سكن فريق من الاتراك السودان بعد فتح السلطان سليم سنة ١٥٢٠

ومن النوبة : الدناقلة وهم سكان ما بين الشلال الثالث والرابع ومن قبائلهم الاشراف التى ينتسب اليها السيد محمد أحمد المهدى ، والمحس بين الشلال الثالث وجبل دوشة ، وأهل سكوت وأهل حلفا والدروالكنوز

وهم أهل زراعة وحياكة وتربية ماشية ومراكبية ، وفى خارج بلادهم يحترفون خدمة المنازل والحوانيت وقيادة السيارات

قبائل العرب

اشهر قبائل العرب - وهم الذين سكنوا السودان بعد ظهور الاسلام - هى قبائل الشايقية والمناصير والرباطاب والميرفاب والجعليين والجميعاب والسروراب والعابدلاب والجموعية والحسنات ودغيم وكنانة والرفاعية والمسلمية والكواهلة والحلاوية ، ثم المدنيون والعراكيون والشامباتة والعقليون والقواسمة واللحويون وبنوحسين والزبالعة ثم الفونج وهم الذين أسسوا مملكة سنار القديمة مع العابدلاب ويدعون النسب إلى بنى أمية ، والهمج وزراء الفونج

أما قبائل البادية فهى الشكرية والبطاحين والضبانية والحمران

وأشهر قبائل العرب فى صحراء البيوضة : الحسانية والهواوير والخواوير .

وقبائل العرب فى كردفان هى : الجوامعة والبديرية والتمام والغديات . وهذه القبائل الأربع حضر وبقية سكان كردفان بادية وهم إما أبالة أى يملكون الابل ويربونها وإما بقارة أى يملكون البقر . ومن الأبالة قبائل الكبابيش ودار حامد وبنو جرار وحمر

وأشهر قبائل البقارة : الحوازمة والجمع والهبانية وأولاد حميد .

وأشهر قبائل العرب فى دارفور من الأبالة : الزيادية والماهرية والعطيفات والمعاليه والعريقات . ومن البقارة الرزيقات والهبانية والمسيرية والتعايشة وبنو

البجة : — والبجة أو البجاة أو البيجة هم سكان الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر من بقايا شعوب إيتوبيا القديمة ويقال إنهم من سلالة أولاد كوش بن حام الذين هاجروا إلى السودان بعد الطوفان ويقول المؤرخون أن البجة كانوا وثنيين ثم أصبحوا مسلمين عند هجرة العرب إلى أفريقيا . ومن قبائل البجة العبابدة ، ويتصلون بأسوان ، والبشارين أو البشارية من القصير حتى سواكن والأمرار .



نسوة من النوبر

والهدندوة وهم أقوى البجة وأكثرهم عدداً يسكنون الصحراء بين خور بركة والعطبرة وطريق بربر وسواكن . وفسر بعضهم اسم « هدندوة » بأنه مشتق من هدا بمعنى أسود واندوة بمعنى القبيلة . ثم قبائل بنى عامر . والحباب

النوبة : والنوبة هم الذين يسمون أحيانا البرابرة ويسكنون ما بين الشلال

الثورة المهدية ، وأنه بعد الثورة نزل العدد إلى ثلاثة ملايين أو أقل ، وذلك بسبب الحروب وفتك الأمراض خلال الحركة المهدية ، وأنه صعد إلى عدد يتراوح بين ستة ملايين وثمانية فى الوقت الحاضر

ومما يدل على عدم إمكان التعويل على أى إحصاء يرد فى الكتب المؤلفة عن السودان أنه قديماً كانت الحكومة قد طلبت من أحد المديرين إحصاء سكان مديرية بحر الغزال ، فوضع المدير إحصاء قدره فى ساعة واحدة وهو جالس على مكتبه وجعل فى إحصائه عدد الأطفال ستين ألفا . وبعد عامين كان على المديرية مدير آخر طلب منه إحصاء عن عدد السكان فذكر فى إحصائه أن عدد الأطفال عشرة آلاف . وكان هذا الرقم تخمينيا أيضاً ولم يكن المدير التالى يعلم باحصاء سلفه الذى قدر عدد الأطفال بستين ألفا . فأرسلت الحكومة إليه تسأله كيف حصل هذا الفرق بين الاحصائين فكتب إليها يقول « إن النقص الذى حصل فى عدد الأطفال سببه أنهم قد كبروا ودخلوا فى عداد الرجال » ثم قال « الواقع إن إحصائى خطأ وإحصاء سلفى خطأ أيضا ، لأنه من المستحيل إحصاء سكان مديرية بحر الغزال ، إذ ليس المرور فيها سهلا فضلا عن محاولة إحصاء سكانها » ، وتحاول الحكومة الحاضرة الحصول على إحصاء تقريبى .

وستمضى سنوات كثيرة قبل أن يكون للسودان إحصاء دقيق عن عدد سكانه

اللغة : اللغة الغالبة هى اللغة العربية . وهناك لهجات واصطلاحات وعبارات عامية للعربية والرطانات الزنجية . واللغة العربية أداة التخاطب المشتركة بين لغات القبائل حتى الزنجية منها

الدين : الاسلام هو دين أهل السودان عامة ما عدا القبائل الزنجية التى لادين لها ، وتسكن مدن السودان جاليات مسيحية وحفنة من اليهود

هلبة وعرب البشيرو بنو فضل وبنو حسين والكروبات والحوتيةوالخوابيروالبرياب

وترجع أصول هذه القبائل إلى قبائل عربية فى أسيا : هى بنو أمية وبنو العباس وجهينة والزبير بن العوام وجعفر الطيار

أصول أخرى لسكان السودان

ومن سكان السودان غير ماقدمنا : المصريون الذين دخلوا السودان قبل فتح محمد على وبعده واتخذوه مقاماً ، والمكادة وهم الأحباش النصارى والجبرتة وهم الأحباش المسلمون والتكارنة وهم مهاجرو السودان الغربى من فلاتة وبرنو وباجرمى . ولهم حلل ، جمع « حلة » وهى مجموع من المساكن خارج المدينة

وأكثر مهاجرى التكارنة نزحوا إلى السودان لأنهم فقراء رغبوا فى أداء فريضة الحج عن طريق ثغر سواكن مشياً على الأقدام فى أرض السودان ولما عادوا من الحج استخدمهم الحكام والأعيان والتجار وأصحاب المزارع كفعلة وفلاحين وخدم ومنظفى الصمغ وعمال

والحلبة : وهم المعروفون فى مصر بالغجر وفى الشام بالنور وهم قوم رحل يشتغل رجالهم بالحدادة وترويض القردة ورعى الأغنام ويشتغل نساؤهم بالوشم والدجل وختان البنات ، ومنهم الشحاذون واللصوص الخطافون

والمولدون هم النازحون إلى السودان الذين تزاوجوا مع سكانه وينقسمون إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول العرب الذين امتزجوا بالسكان الأصليين أى العبيد والزنوج وكان ذلك عقب الفتح الاسلامى . والمولدون فى عهد حكم الترك والمماليك لمصر . والمولدون بعد فتح محمد على حتى أوائل القرن الحاضر . أما القسمان الأولان فقد أصبحا من أهل السودان ، وأما القسم الأخير فانه مازال أكثره متصلا بذوى قرباه فى مصر واليمن والحجاز

عدد سكان السودان

ما زال السودان بين البلاد التى ليس لها إحصاء صادق أو قريب منه ، وذلك بسبب اتساعه وحياة سكانه وكثرة انتقالاتهم . ويقال أن عدد السكان كان كثيراً جدا يصل إلى خمسة عشرة مليونا وأنه بلغ عشرة ملايين بعد فتح محمد على حتى

مملكة دارفور: واختلط العرب الفاتحون بالسكان وأسسوا مملكة فى دارفور امتدت من بئر النطرون فى الصحراء الكبرى إلى بحر الغزال شمالا وجنوباً ومن النيل الأبيض إلى ترجة بارقو شرقا وغرباً

الكشاف والدولة التركية: بعد أن فتح السلطان سليم الأول سلطان الدولة التركية العثمانية مصر أرسل قسما من جنوده إلى النوبة السفلى سنة ١٥٢٠ ميلادية فأقامت معسكرات فى أسوان وابريم وجزيرة سای وكان الحكام الأتراك يسمون « الكشاف » وامتد حكمهم إلى الشلال الثالث . وامتد الحكم التركى فى البحر الأحمر فاحتل سواكن ومصوع وزيلع وبربرة وجعلت تابعة لولاية الحجاز التى كانت قسما من الدولة العثمانية التركية



شبان محاربون من الشلك

الفصل الثانى

ممالك السودان

قامت ممالك فى السودان قبل الفتح الاسلامى وبعده . أما فيما يتعلق بالممالك القديمة فان تاريخها غالبه مجهول ويذكر المؤرخون أن أول مملكة قامت فى السودان كانت مملكة إيتيوبيا ، حيث كانت تمتد من الشلال الأول عند أسوان إلى أقاصى الحبشة شمالا وجنوبا ثم انقسمت إلى قسمين : ايتيوبيا العليا المعروفة الآن بالحبشة وايتيوبيا السفلى فى شماليها . وقد اشتهر لايتيوبيا السفلى عاصمتان « نبته » عند جبل البرقل قرب الشلال الرابع و« مروى » عند البجراوية فى رأس جزيرة مروى قرب شندى وكانت اتيوبيا معاصرة للفراعنة والفرس والبطالسة والرومان الذين حكموا مصر على التوالى ودال حكم اتيوبيا سنة ٦٤٠ قبل الميلاد .

النوبة والبجة وبعد زوال مملكة إيتيوبيا قامت مملكتان : ١ — مملكة النوبة على النيل بين الشلال الأول والحبشة . و٢ — مملكة البجة فى الصحراء الشرقية وكانت الوثنية ديانة ممالك إيتيوبيا والنوبة والبجة .

أما النوبة فقد صارت نصرانية فى القرن السادس للمسيح . وأما البجة فقد احتفظت بالوثنية حتى الفتح الاسلامى لمصر سنة ١٨ هجرية و ٦٤٠ ميلادية فتعلم البجة الاسلام

مملكة سنار وفتح العرب النوبة السفلى سنة ٧١٧ هجرية وسنة ١٣١٨ ميلادية واتحدوا مع الفونج فى جنوبى سنار ففتحوا النوبة العليا سنة ٩١٠ هجرية الموافقة ١٥٠٥ ميلادية وأصبح أهلها مسلمين وأسس الفاتحون مملكة سنار التى امتدت من الشلال الثالث إلى جبال فازوغلى شمالا وجنوبا ، ومن سواكن ومصوع على البحر الأحمر إلى النيل الأبيض شرقا وغرباً

الملكى . أما الثيران والعجول ، فبعضها ذبح للطعام والبعض الآخر احتفظ به لتربية نتاجه لجودة نوعه

وفى عهد الملك « بيبى الأول » من الأسرة الثالثة « سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد » ، جندت مصر من السودان جيشا لاخضاع بعض القبائل العاصية فى شرقى السودان .

وكان السودان فى عهد الأسرة الثانية عشرة تحت حكم المصريين ، وكان الجيش المصرى حافظا النظام فيه ، مشيدا القلاع والحصون فى جزر النيل وفى جهات كثيرة من ضفافه ، واستخرج المصريون الذهب من مناجمه ، وكانت تجارته رائجة ، وشقوا طريقا للسفن بين صخور الشلال الأول فى عهد الأسرة السادسة تحت إشراف المهندس المصرى « أونا » « سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد » ، وكانت السفن تجرى فى النيل بين مصر والسودان بغير مشقة فى تلك القناة التى شقها المصريون بين صخور الشلال الأول . وقد أعيد ذلك فى عهد الملك « أوسرتسن » الثالث من الأسرة الثانية عشرة « سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد » ، لتسهيل نقل الجيش والسفن الحربية والمعدات لتأديب البلاد التى تحاول الخروج على الحكم المصرى .

ومن الأسف أن هذه القناة أهملت وقال الأثرى « بترى » : « لم يفكر أحد من المصريين حتى الآن فى عمل طريق مثل ذلك الطريق المائى الذى كان يبلغ عرضه فى عهد الفراعنة أربعة وثلاثين قدماً وعمقه أربعة وعشرين قدماً ، تسير فيه السفن النيلية مهما كانت كبيرة . وقد أصبح المصريون الحاليون مكتفين بخط حديدى لنقل البضائع من أحد طرفى الشلال إلى الطرف الآخر »

كان سكان السودان فى عهد الفراعنة هم سكان إفريقية الأصليين أى العبيد أو الزنوج . وكان المصريون متفوقين عليهم بالعلم والمدنية والنظام والادارة والكتابة ووسائل القتال والتفانى فى إطاعة الملوك والرؤساء . وفى عهد الأسرة الثانية عشرة المصرية بث ملوكها المدنية والعلم فى السودان واستخرجوا الذهب من شرقه ، وأقاموا القلاع والمعسكرات إلى ما بعد الشلال الرابع وكان الضباط المصريون يرسلون السودانيين إلى مصر لخدمة الحكومة ، وكانوا يشرفون على نقل الذهب منه إلى مصر ، وكان المصريون ينشئون المعابد والهياكل وكان رجال الادارة والكهنة من المصريين . وقد جعلت الأسرة الثانية عشرة حدود مصر الجنوبية إلى الشلال الثانى وبنى « الملك أوسرتسن الثالث » أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة قلعة فى جهة « سمنة » على بعد أربعين ميلا من وادى حلفا جنوبا ، ونصب هناك لوحا

الفصل الثالث

مصر الفرعونية فى السودان

بين مصر والسودان علاقات قديمة . وترجع هذه العلاقات إلى أبعد المعروف من التاريخ القديم . ولا غرو فى ذلك فان الأمم القديمة بدأت حياتها وظهرت مدنيتها على ضفاف الأنهار ، وتعاقبت ممالكها على الحكم فى المسافات الخصبة حوالى الأنهار

ونهر النيل يجرى فى أرض السودان ومصر . لذلك كان الانتقال بين سكانهما مستمرا والاتصال بادياً والحكم متراوحاً . وكانت القوافل الحاملة للتجارة تسير فى الطرق الصحراوية . ولقد تضاربت آراء المؤرخين فى أصل المصريين . قال ديودور الصقلى إن الأتيوبيين — وقد عرف القارئ فيما سبق أنه تألفت منهم مملكتان : إيتيوبيا العليا وهى الحبشة وإيتيوبيا السفلى التى كانت تمتد من أسوان حتى حدود الحبشة — « يقولون إن مصر مستعمرة من مستعمراتنا وأن طين بلادها طمى من بلادنا ساقه النيل إليها ، وأن بين عاداتنا وعادات المصريين مشابهة ظاهرة ، ومطابقة بين القوانين ، وتشابها فى زى ملوك البلدين خصوصا أن كلينا يتخذ الصلة زينة فوق التيجان» . وقال «نافيل» «ان رواية ديودور المؤيدة لمجىء المصريين من إيتيوبيا كافية وحدها لاثبات أن أصل المصريون القدماء من بلاد العرب الجنوبية ، لأن فى الرواية إشارة إلى أن أولئك الفاتحين بعد أن هجروا مواطنهم نزلوا على شاطىء البحر الأحمر فى إيتيوبيا وأقاموا فيها زمناً قبل زحفهم على وادى النيل . فلما دخلوه وأظهروا فيه مبادىء الحضارة ، انتحل الاتيوبيون وجها لدعواهم قائلين أن هذه الحضارة مأخوذة عنهم . وهو قول يخالف الواقع »

إن أقدم رواية تاريخية فى حكم المصريين للسودان(١) هى المقروءة فى حجر «بالرمو» ففيه ذكر أن الملك « سنفرو » من الأسرة الثالثة « سنة ٢٩٠٠ قبل الميلاد » قد غزا بلاد النوبة وأسر سبعة آلاف من الرجال والنساء وغنم ألفين من الثيران والعجول . فلما جاء إلى مصر استخدم الرجال فى أعمال الحكومة والنساء فى القصر

(١) تاريخ السودان المتقدم للدكتور حسن كمال والعقد الثمين لأحمد كمال باشا

ذلك بتأديب القبائل السودانية التى كانت تعبث بالأمن وتعطل التجارة وتمتنع عن دفع الجزية

وغزا « أمنمحعت الأول » « سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد » السودان ووصلت جيوشه الى جنوب الخرطوم وكانت تعرف قديما بأرض الأغنام ، كما جاء ذلك فى لوحة حجرية وجدت فى « مروى » .

وقد عين ملك مصر المذكور « امنمحعت الأول » — إبنه « تحتمس الأول » حاكما عاما على السودان ، ثم لقبه بأمير كوش — و « كوش » هو الاقليم المعروف الآن بايتيوبيا ، وكان محل اقامته فى « النوبة » ، وكان يجىء الى مصر أحياناً ، وقسم البلاد التى بين الشلال الأول والنيل الأزرق إلى مديريات أو أقاليم ، يدير شئون كل منها حاكم مصرى تابع لأمير كوش . وأصبحت البلاد السودانية إلى النيل الأزرق جزءاً من مصر تسود فيه النظم الادارية والسياسة المصرية

بعد ذلك صار « تحتمس الاول » ملكا لمصر « سنة ١٥٥٧ قبل الميلاد » وأرسل جيشا كبيرا وأسطولا نهرياً هزم القبائل السودانية المتمردة وأجبرها على العود لدفع الجزية لمصر . وفى صخر باحدى جزائر الشلال الثالث نقوش هيروغلوفية تدل على أن « تحتمس الأول » اجتاز الصحارى والجبال ووصل إلى بلاد لم تطأها أقدام أسلافه

ولما ولى « تحتمس الثانى » بعد وفاة « تحتمس الأول » — كانت القبائل السودانية قد عادت إلى العصيان ، فهزمها الجيش المصرى واضطرها إلى دفع الجزية

وقد ذكر « تحتمس الثانى » على جدران طيبة « ١٤٢ » إسما لأماكن فى كوش والواوات كانت تحت حكم مصر ودلت الآثار على أن بلاد الصومال والواوات كانت تدفع الجزية إلى « تحتمس الثالث » ، وأن بلاد الصومال أرسلت فى السنة الثانية عشرة من حكمه ١٦٨٥ مكيالا من البخور وكمية كبيرة من الذهب وعدداً كثيرا من الرجال والنساء والثيران والعجول والبقر والغنم

واستمر حكم مصر فى السودان فى عهد الملك « أمنحتب الثانى » « سنة ١٤٤٨ قبل الميلاد » بعد وفاة « تحتمس الثالث » وشيد « امنحتب الثانى » معبدا فى « وادى باع النجا » عند النيل الأزرق وفى هذا الوادى تمثالان . وكانت عاصمة السودان عندئذ مدينة « نبته » غربى « جبل برقل » بالقرب من الشلال الرابع

واستمر الحكم المصرى فى السودان سائدا والقبائل السودانية مطيعة هادئة فى

أثريا حذر فيه مرور السودانيين شمالا برا وبحرا ، واستثنى منهم التجار ورسل الحكومة القائمين بأعمال رسمية . وقد نصب هذا الملك حجرين كبيرين أحدهما فى « سمنة » والآخر فى « جزيرة الملك » ، وصف فيها معاملته لأهالى السودان وطرق حربهم ورماهم بالجبن والفرار أمام العدو والغباوة وبتولية ظهورهم وقت صليل السيوف وزعم أنه قتل كثيرا من نسائهم ، وحرق حصدهم وأتلف آبارهم ، واستعمل معهم كل وسائل القوة والجبروت . ويظن الأثرى « ماسبيرو » أن النفوذ المصرى فى عهد الأسرة الثانية عشرة قد وصل إلى جنوب نهر عطبرة

وكانت القوافل تجلب الذهب من سنار إلى جزيرة مروى ، وتستمر فى الصحراء إلى مدينة « نبتة » ، حيث ينقل فى سفن نيلية إلى مصر . وكانت القبائل السودانية تدفع الجزية لملك مصر . وكانت المصنوعات المصرية رائجة فى السودان

أما فى عهد الأسر الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة والسابعة عشر فتاريخ مصر فى السودان غامض ، ويقول المؤرخون : إن نفوذ مصر قد ضعف وأن القبائل السودانية قد امتنعت عن دفع الجزية إلى مصر فى ذلك العهد

أما فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فقد وصلت حدود مصر فى السودان الى النيل الأزرق ، وذلك فى عهد القائد « أحمس » الذى طرد العمالقة من مصر وأعقب



من قبائل العبيد المشهورين بالصيد

ذلك بتأديب القبائل السودانية التى كانت تعبث بالأمن وتعطل التجارة وتمتنع عن دفع الجزية

وغزا « أمنمحعت الأول » « سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد » السودان ووصلت جيوشه الى جنوب الخرطوم وكانت تعرف قديما بأرض الأغنام ، كما جاء ذلك فى لوحة حجرية وجدت فى « مروى » .

وقد عين ملك مصر المذكور « امنمحعت الأول » — إبنه « تحتمس الأول » حاكما عاما على السودان ، ثم لقبه بأمير كوش — و « كوش » هو الاقليم المعروف الآن بايتيوبيا ، وكان محل اقامته فى « النوبة » ، وكان يجىء الى مصر أحياناً ، وقسم البلاد التى بين الشلال الأول والنيل الأزرق إلى مديريات أو أقاليم ، يدير شئون كل منها حاكم مصرى تابع لأمير كوش . وأصبحت البلاد السودانية إلى النيل الأزرق جزءاً من مصر تسود فيه النظم الادارية والسياسة المصرية

بعد ذلك صار « تحتمس الاول » ملكا لمصر « سنة ١٥٥٧ قبل الميلاد » وأرسل جيشا كبيرا وأسطولا نهرياً هزم القبائل السودانية المتمردة وأجبرها على العود لدفع الجزية لمصر . وفى صخر باحدى جزائر الشلال الثالث نقوش هيروغلوفية تدل على أن « تحتمس الأول » اجتاز الصحارى والجبال ووصل إلى بلاد لم تطأها أقدام أسلافه

ولما ولى « تحتمس الثانى » بعد وفاة « تحتمس الأول » — كانت القبائل السودانية قد عادت إلى العصيان ، فهزمها الجيش المصرى واضطرها إلى دفع الجزية

وقد ذكر « تحتمس الثانى » على جدران طيبة « ١٤٢ » إسما لأماكن فى كوش والواوات كانت تحت حكم مصر ودلت الآثار على أن بلاد الصومال والواوات كانت تدفع الجزية إلى « تحتمس الثالث » ، وأن بلاد الصومال أرسلت فى السنة الثانية عشرة من حكمه ١٦٨٥ مكيالا من البخور وكمية كبيرة من الذهب وعدداً كثيرا من الرجال والنساء والثيران والعجول والبقر والغنم

واستمر حكم مصر فى السودان فى عهد الملك « أمنحتب الثانى » « سنة ١٤٤٨ قبل الميلاد » بعد وفاة « تحتمس الثالث » وشيد « امنحتب الثانى » معبدا فى « وادى باع النجا » عند النيل الأزرق وفى هذا الوادى تمثالان . وكانت عاصمة السودان عندئذ مدينة « نبته » غربى « جبل برقل » بالقرب من الشلال الرابع

واستمر الحكم المصرى فى السودان سائدا والقبائل السودانية مطيعة هادئة فى

عهد «تحتمس الرابع» سنة ١٤٢٠ قبل الميلاد ثم فى عهد «أمنحتب الثالث» سنة ١٤١١ قبل الميلاد».

وقد حدثت فتنة صغيرة قمعها بسهولة. وقد أعلن «امنحتب الثالث» أنه إله للسودان وشيد معبدا له فى جهة «صلب» التى تبعد مائة وخمسين ميلا من وادى حلفا جنوبا وكانت زوجته الملكة «دى» تعبد كإلهة فى معبد «سدنجة» الذى بنى باسمها وهو يبعد أميالا قليلة من «صلب» شمالا. وفى دنقلة آثار يرجع تاريخها إلى عهد الملك «امنحتب الثالث»

وقد استتب الأمر للمصريين فى السودان مدة مائة وخمسين سنة وكان السودانيون خلالها يدينون بالدين المصرى القديم ويتكلمون أو يتكلم الظاهرون فيهم باللغة المصرية ودرجوا على الكثير من العادات المصرية

وقد وجدت فى السودان آثار يرجع تاريخها إلى عهد «أخناتون» وكان حكمه لمصر «١٣٧٥ سنة قبل الميلاد». وتدل الآثار على أن السودان كان يدفع الجزية إلى الملك «آى» «١٣٤٩ سنة قبل الميلاد» والملك «حورمحب» «١٣٥٠ ق.م» الذى زار السودان، وله لوح أثرى فى جبل «السلسلة» عليه اسمه جالسا على عرشه محمولا فوق أعناق اثنى عشر سودانيا. وأن الصومال كانت ترسل الخيرات إليه

ولم ينقطع عصيان القبائل السودانية والمناوشات على الحدود من آن إلى آخر ولكن الحكام المصريين المعينين من قبل مصر والمسمين «أمراء كوش» كانوا يؤدبون العصاة.

وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة كان الحكم المصرى فى عهد «رمسيس الأول» «١٣١٥ ق.م.»، مبسوطا إلى الشلال الثانى فقط. ولكن ابنه سيتى الأول» الذى خلفه «١٣١٣ سنة ق.م» أعاد الحكم المصرى على السودان بصحاريه الشرقية والغربية، وأنشأ القلاع وأصلح الطرق إلى مناجم الذهب فى شرقى السودان واحتفر الآبار، وأقام معبدا للآلهة: «أمون رع» و«أزوريس» و«حوريس»

وقد وجدت خريطة لمناجم الذهب بوادى «شوانب» فى ورقة بردية محفوظة بمتحف «تورينو» بايطاليا

وكانت سياسة «رمسيس الثانى» «١٢٩٠ سنه ق.م.» مسالمة السودانيين والاهتمام باستخراج الذهب وتعبيد الطرق، بعد أن أدب العناصر المناوشة

وظل الحال كذلك فى عهد «رمسيس الثالث» «سنة ١١٩٨ ق.م.» الذى

زاد فى تشجيع التجارة مع السودان ، بما أنشأ من سفن نيلية وبحرية كانت تمخر فى عباب البحر الأحمر إلى ميناء « القصير » الذى ازدهر فى ذلك العهد ، والذى نأسف الأسف كله على صيرورته مركزا صغيرا فى مديرية قنا واهمال مينائه ، مع أن فى ازدهارها خيرا كثيرا لتجارة الصعيد الجنوبى والسودان وبلاد العرب

وفى عهد الأسرة العشرين ضعف الحكم المصرى فى السودان وتمردت القبائل عليه ، بسبب ضعف تلك الأسرة فى حكم مصر نفسها ، حيث تألفت عصابات للسرقة ولاسيما سرقة آثار طيبة . وقد هجر كهنة « آمون رع » « طيبة » عاصمة مصر إلى « نبته » عاصمة السودان ، وتدل الآثار ، على أنهم نشروا فيه عبادة « أمون » والخط الهيروغليفى . وعلى أنه قام فى السودان ملوك فى بلاد النوبة . وقد ساء كهنة « أمون » أن يضطرهم المصريون إلى ترك مصر إلى السودان ، فرضوا الملك « كشتا » الملك السودانى النوبى على فتح الوجه القبلى وخلفه الملك النوبى « بيعنخى » فى « نبته » عاصمة السودان من « سنة ٧٥٠ ق . م إلى سنة ٧٤٠ ق . م » ، وأرسل جيشا وأسطولا غزوا مصر بالوجهين القبلى والبحرى .

وتاريخ حكم الملك « بيعنخى » مدون فى نقوش هيروغليفية على حجر جرانيتى طوله اثنتا عشرة قدما وعرضه أربعة أقدام ونصف قدم

وتولى « طهراقة » ابن « بيعنخى » عرش مصر « سنة ٦٨٨ ق . م »

وقد غزا « أشور أخى الدين » « ملك أشور » مصر « سنة ٦٧٠ ق . م » وهزم « طهراقة » الذى زال حكمه عن الوجه البحرى وبقى فى الوجه القبلى .

وفى « سنة ٦٦١ ق . م » غزت جيوش (أشور) الوجه القبلى وهدمت معابد « طيبة » ، وتقهقر الأيتيوبيون إلى « نبته » ، وضعف ملوك السودان فى حكمه حتى اضطرت الحكومة السودانية إلى الانتقال من « نبته » إلى أواسط السودان عقب غزوة « بساماتيك الثانى » فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد . على أن مملكة السودان أخذت تتسع من ناحية الجنوب بدلا من الشمال وأصبح معها إقليم النيل الأزرق وصارت (نبته) بمعزل عن أراضى السودان العامرة تفصلها عنها شلالات كثيرة . وانتقلت الحكومة السودانية « سنة ٥٦٠ ق . م » من « نبته » إلى (مروى) فى منتصف المسافة بين نهر عطبرة « أتبره »

وغزا « قمبيز » السودان « سنة ٥٢٥ ق . م » بعد أن فتح مصر ولكن الشلالات ووعورة الطرق حالت دون وصوله إلى « مروى » التى كان فيها الملك

السودانى (نستاش) ، فاضطر (قمبيز) إلى الارتداد إلى مصر . على أن المملكة السودانية ضعف شأنها ، وأخذ السودان يعود إلى الفوضى والشيع

* * *

لقد خلف امنحوتب الرابع ابن لامنوفيس الثالث يدعى توت عنخ آمن وقد تزوج بأخت أمنحوتب الرابع المسماة « انخ سن نامن » وقد غيرت اسمها بعد موت أبيها « انخ سن آمن » وهذا الملك هو من ملوك الأسرة الثامنة عشرة المصرية

تولى الملك فى وقت كان قد حصل فيه تغيير فى الديانة المصرية أحدثه سلفه أمنحوتب الرابع ونشأ عن هذا التغيير اضطرابات داخلية فى مصر لم تنته إلا بانتهاء هذه الأسرة وكان أساس هذا التغيير عبادة الشمس بدلا من المعبودات الأخرى التى عبدها المصريون من قديم الزمان . ولذا وجد الكهنة فى هذا التغيير مخالفة للقديم ، وفقداناً لسيطرتهم الدينية ، فأثاروا الاضطرابات التى لم تنته بمصر إلا فى أيام الملك « حور محب » آخر ملوك هذه العائلة فرجع لعبادة أجداده . والسبب فى إدخال عبادة الشمس فى ذاك العهد راجع إلى نفوذ ملكة « ابن » زوجة الملك أمنحوتب الثالث فانها كانت من بلاد العرب أو الشام غالباً وكانت ذات دلال وجمال ولها عيون زرقاء وشعر أسبط وخدود وردية ، فلما بنى بها الملك أمنحوتب الثالث أدخلت معها عبادة الشمس ولجمالها لم يعارضها زوجها فى هذا وصرح باقامة شعائر دينها فى عهده وبحضوره إذ كان يطاف بقرص الشمس محمولا على زورق يمخر عباب بحيرة صناعية عملت خصيصاً فى عيد كان يقام فى السادس عشر من شهر هاتور

ولما توفى زوجها « امنحوتب الثالث » خلفه ابنه « امنحوتب الرابع » وهو ابنها فوجدت فى جلوسه على عرش مصر أكبر مساعد لها على توطيد دينها ، ولهذا صرح أمنحوتب الرابع بتغيير دينه وعبد الشمس (آتن) وغير اسمه إلى « خون آتن » أى روح الشمس وترك طيبة ورحل إلى تل العمارنة حيث أنشأ معابد جديدة فخمة لعبادة الشمس بها . وظل بها حتى خلفه توت عنخ آمن . وعلى الرغم من حدوث الاضطرابات الداخلية الناشئة عن هذا التغيير الدينى فان مصر ظلت محافظة على أقاليمها الجنوبية وهى بلاد كوش « السودان » بدليل ان هذا الملك أصلح معبد جبل البرقل الذى شاده أبوه ببلاد النوبة « مديرية دنقلة » وأقام بالمكان نفسه معبداً

(١) راجع مقالا للدكتور محجوب ثابت تحت عنوان « للذكرى والتاريخ » فى « الأهرام » الصادرة بتاريخ ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٢

آخر لآمون الذى كان يعبد فى الهليوبوليس أو مدينة الشمس باسم المعبود « توم » أو « تم » كما دلت على ذلك النقوش الأثرية الموجودة على أحد السبعين المصنوعين من الجرانيت والمحفوظة بدار الآثار البريطانية الآن . وقد نقلا إليها من جبل برقل بمعرفة اللورد پردهو سنة ١٨٣٥ ويرى على أحدهما رسم امنحوتب الثالث ومن رأى الأستاذ « بدج » المؤرخ الانجليزى الشهير أنه هو الذى بدأ عمل الأثر الثانى ثم تممه ابنه « توت عنخ أمن » وكتب اسمه عليه . وعلى السبع الثانى كتابة تدل على أن هذا الأسد قد اغتصبه أحد ملوك النوبة المدعو « أمون اسرو » هذا وقد بقى السودان خاضعا لحكم خليفة الملك المدعو « آى » الذى لم يجد سببا لارسال حملات إلى هذه البلاد بفضل حسن إدارة أمير « كوش » المدعو « باؤور » وقد أقام هذا الملك ضريحا بالقرب من أبى سنبل وقد نقش على جدرانه صورة نفسه مع أحد كبار موظفيه مقدما القرابين للمعبود « فتاح » و « رع » و « حور » و « سبك » ولسلفه الملك « أوزرتسن الثالث »

ووطد تلك العلاقات بين مصر والسودان خلفه الملك « حورمحب » الذى ابتكر اصلاحات إدارية ذات فوائد جزيلة ، وأصلح معابد الآلهة وأقطعها الاراضى والأملاك ، ثم صرف همته لزيادة دخل مصر ولهذا أرسل الحملات إلى بلاد الشام والسودان . وانه وإن تكن نتيجة حملته على بلاد الشام مشكوكا فيها من حيث زيادة الخراج المضروب على قبائلها ، فان الحملة على بلاد السودان أتت بنتيجة باهرة وقد ظلت مصر مالكة لبلاد السودان نحو مائتى سنة حتى أن رجال الشلال والبقارة أدركوا أن الشر كل الشر فى تعرضهم لقوافل الذهب وغيره النازحة من السودان لخزائن الفراعنة أو تدخلهم فى ادارة اقليم « كوش » أى السودان وأدركوا أن فرعون مصر طويل الباع إذا عصى ، شديد العقاب إذا غضب

الفصل الرابع

مصر والسودان

فى عهد البطالسة

تمهيد :

فى سنة ٧١٥ قبل الميلاد توفى « ناستاسنن » ملك النوبة . وقليل مايعرف عن حالة تلك البلاد وما آلت إليه بعد موته . على أن بلاد النوبة فى ذلك الوقت لم تكن لتخشى بأس مصر اذ كان يحكمها «أى مصر» دارا الاكبر ملك الفرس الذى صرف همه إلى إصلاح شؤون البلاد وازدياد ثروتها ورواج تجارتها حتى لقبه الفرس « بالتاجر » فتمكنت مصر بفضل مجهوده هذا من دفع ما فرضه عليها من الجزية دون عناء . ويقول الدكتور بدج المؤرخ الشهير « أنه لا ريب فى أن الذهب الذى كانت تدفعه مصر إلى « دارا » كانت تحصل عليه من « وادى العلاقى » التابع إذ ذاك لبلاد النوبة . وقد كانت القوافل تغدو وتروح فى ذلك الوقت بين مصر والسودان متجرة فى الذهب والعاج والأبنوس وكثيراً ما كانت تحضر معها عدداً عظيما من السودانيين إلى بلاد مصر » هذا ما يقوله الدكتور بدج الانجليزى عن العلاقة بين مصر والسودان فى عصر لا تعرف فيه عن حالة السودان إلا النذر القليل وكانت مصر تحت حكم أجنبى ولكن بالرغم من هذا لم يسع المؤرخ أنكار ما كان بين البلادين من متين الروابط واتصال الأواصر

زد على ذلك ما رواه هيرودوت أشهر مؤرخى الاغريق وأعلاهم كعباً فى التاريخ القديم إذ قال : « إن دارا فرض على بلاد النوبة جزية تدفع له ذهباً وعاجاً وعبيداناً »

فمما تقدم يظهر بأجلى بيان أن العلاقة لم تنقطع قط بين مصر والسودان من زمن الفراعنة إلى البطالسة بالرغم من أنه لا يعرف شىء عن بلاد السودان فى تلك الفترة (١)

---

(١) الدكتور محجوب ثابت — مقال « للذكري والتاريخ » فى « الأهرام » فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢١

ولم تكن العلاقة بين القطرين فى ذلك الوقت علاقة منافع وتجارة فقط بل ارتبط أهلهما برابطة الدين ويؤيد ذلك ما أثبته « هيرودوت » من أن أهل النوبة دانوا فى ذلك العهد بدين أهل مصر إذ يقول « أهالى النوبة الشمالية كانوا يعبدون « أمون رع » و « أوزيرس » وكانت عقيدتهم فى هذين الالهين عظيمة جدا . وكانوا يعتقدون فى الأول أنه مدبر حروبهم ومرشدهم إلى خير طريق لجيوشهم فاذا ماهموا بحرب ولوا وجوههم شطره وتوسلوا إليه ليلهمهم من أمرهم رشدا »

واليك مايدل على ما كان بين أهل مصر والسودان — عدا ما تقدم من رابطة الدين والمعتقد — لحمات المصاهرة (١) والنسب فقد جاء فيما رواه هيرودوت « أنه يوجد على مسافة اثنى عشر شهرا بالنيل جنوبى مدينة مروى قوم يعرفون «بالاتومولى» Automoli أو « الاسماخ » وهم سلالة فرقة مصرية بلغت نحو أربعين ومائتى الف نسمة نزحت من بلاد مصر إلى السودان أبان حكم فرعون مصر « ابسمتيك الأول » لما أبقاهم ثلاث سنين متوالية قائمين بأعمالهم العسكرية دون أن يحل محلهم غيرهم من الأجناد »

ويقول الدكتور بدج تعليقاً على هذه الحادثة : « من رواية هيرودوت هذه يتبين جلياً أن هؤلاء المهاجرين المعروفين « بالاوتومولى » سكنوا منطقة على النيل الأبيض على مسيرة أربعة شهور جنوبى مدينة الفنتين أو على مسافة بضع مئات من الأميال جنوبى موقع مدينة الخرطوم الحالية وأنهم من القبائل غير الزنجية التى سكنت الاقليم المعروف الآن بمملكة سنار »

* * *

تلك هى العلاقات التى ربطت بلاد وادى النيل بعضها ببعض بعد حكم الفراعنة فلما آل ملك مصر إلى البطالسة عملوا على زيادة توثيق العرى بين ساكنى مصر والسودان ، واحكام الرابطة بينهم لما بينهم من متعدد المصالح الحيوية المشتركة

وقد تجلى اهتمام البطالسة بأمر السودان فى عهد بطليموس الثانى الذى بدأ باحكام صلات المودة بينه وبين ملك النوبة « أركمين أو أرجمينيس » وازدادت التجارة بين القطرين فى ذاك الوقت زيادة عظيمة بفضل سياسة بطليموس السلمية

---

(١) يذكر فيكتور شولشر فى كتابه « مصر » سنة ١٨٤٥ ص ٢٨٩ نقلا عن شامبوليون فيجاك « ان الابحاث الهيروغليفية التى قام بها اخوه شامبوليون الصغير تدل على ان والدة الملك امنوفيس الثالث والدة تحتمس الرابع واسمها طما وهموا كانت من اصل ايتوبى وقد رأى شامبوليون صورة هذه الملكة فى مقابر القرنة بطيبه واظهر ان ملكها كان فى سنة ١٦٨٧ قبل الميلاد »

التى آثرها فى ربط القطرين والاستيلاء على ينابيع ثروة السودان على سياسة القتال والفتح

وقد كان جل قصده أن يضع يده على مناجم الذهب بوادى العلاقى ولم يكن ثمت من سبيل إلى ذلك إلا أن يبسط سلطانه على وادى النيل حتى « الدكة » جنوباً ولم يكن الاقليم الواقع بين « عماره » و « الدكة » خاضعاً لملك ما ، فى ذلك العصر « ويبلغ طوله ١٣٠ ميلا » . وقد روى مؤرخو اليونان أن البطالسة بسطوا نفوذهم فى ذلك الاقليم على مدى نحو مائة ميل

ولم تقف مجهودات بطليموس عند هذا الحد بل دفعه اهتمامه بأمر السودان إلى إرسال بعثة برية بالطريق الذى تبعه سلفه من الملوك . ولما لم تأت البعثة بفائدة كبيرة ولى وجهه شطر المرافىء البحرية القريبة من جنوبى السودان ليتخذ منها طريقاً للتجارة مع تلك البلاد « وما تلك المرافىء إلا الملحقات التى يطالب بها الحزب الوطنى »

وقد دلت اللوحة الأثرية التى اكتشفها الاستاذ إدوارد نافيل الجنيفى سنة ١٨٨٤ عند (Pithom باطوم) أو « تل المسخوطة » الواقعة على بعد عشرة أميال جنوبى بحيرة التمساح ، على أن بطليموس أرسل عمارة بحرية إلى جنوب بلاد « خثيث » بالسودان عن طريق خليج السويس وأن قائده حمل إليه كثيراً من نفائس تلك البلاد . ولما علم بطليموس بكثرة خيرات تلك الارجاء وعظيم ثروتها شيد مدينة « Epitheras ايثيراس » التى كان موقعها غير بعيد عن مدينة سواكن الحالية واتخذها قاعدة اتصال وتجارة مع جنوب السودان وشرقه . وقد أخذ ضباطه كثيراً من فيلة تلك البلاد وأرسلوها بالسفن إلى مصر .

* * *

وقد ذكر المؤرخون بحق أن ملك بطليموس فى مصر كان مؤيداً وخضعت له بلاد السودان خضوعاً تاماً ودانت له رقاب بلاد حملة الرماح والقسى ويؤيد هذا الرأى الدكتور بدج أمين القسم المصرى بالمتحف البريطانى .

وفى السنوات الأخيرة من حكم بطليموس الرابع أرسل بعثات كثيرة عن طريق موانىء البحر الاحمر لقنص الفيلة التى كانوا يستعينون بها فى الحروب وقد أصلح بناء معبد الدكة « بالنوبة » الذى بناه « أركمين » ملك النوبة .

وقد نسج حكام البطالسة جميعا على هذا المنوال من الاهتمام بالسودان وتجارته وخيراته لاسيما مناجم الذهب بوادى العلاقى حتى قال الدكتور بدج :

« قد ساد السلام العلاقات بين مصر والسودان طول عهد البطالسة وراجت

التجارة بين البلادين وكانت القوافل لاينقطع لها سيردون عقبة فى سبيلها إلا ما كان من سطو بعض قطاع الطرق والضرائب الباهظة التى كان يطلبها أحياناً حكام المدن التى كانت تعرض فيها تلك السلع للبيع »

* * *

مما سبق ذكره يتبين جلياً أن العلاقات بين مصر والسودان فى العصر البطلمى لم تكن بأوهى منها فى العصر السابق ، زد على ذلك أن العنصرين قد ارتبطا برابطة الدين ، فقد تدين أهل النوبة آلهة مصر حتى أن « أركمين » ملكهم معاصر بطليموس الرابع لقب نفسه « طنانخ آمن تع رع » نسبة إلى اله مصر « آمن رع » وسمى نفسه « ابن رع وحبيب ايزيس »

وقد جاء فيما نقش على معبد « الدكة » أنه سمى نفسه « اوزيريس » و « ايزيس » « وخنمووساتى » الى غير ذلك من الألقاب المنسوبة الى الآلهة المصرية



فتيات سودانيات على النيل وأمام الأكواخ

الفصل الخامس

السودان فى العصر الرومانى

كان أول حكام الرومان بمصر « كورنليوس جاليوس » وقد قام بخدمات جليلة لسيده الأمير الامبراطور اغسطوس فبعد أنه استولى على مدينة « هيروبوليس » تابع تقدمه فى مصر العليا حتى خضع له جميع أهل مصر وقد كانت مدينة « قفط » و « طيبة » مركزى القلاقل والثورة يساعدهما أهل النوبة ممن يقيمون جنوبى الشلال الأول فلما أخضعها « كورنيليوس » سار بجنوده حتى « أسوان » ودعا رؤساء النوبيين الذى كانوا يقيمون قريبا من « الفيلة » جنوبى وادى حلفا فافهمهم ما « لروما » من الحقوق فى تلك المنطقة من وادى النيل وترك لهم أن يحتفظوا باستقلالهم . فظل أهل النوبة فى السنوات الأخيرة من حكم البطالسة على سلام وأمان مع مصر ، ومن المحتمل أنهم ما كانوا ليحجموا عن مقاتلة الرومان لو لم يبح لهم « كورنيليوس » الاحتفاظ بما كان لهم من الحقوق والامتيازات وقد عثر الكبتن « ليونس Lyons » عند « فيلة » على لوحة مكتوبة بالهيروغليفى والاغريقى والرومانى تنطق باخماد ثورة فى سنة ٢٩ ق . م ومن هذا نستنتج أن أول اتفاق عقد بين الرومان واهالى النوبة كان فى تلك السنة أو التالية لها . ولما ولى « اليوس جاليوس » على مصر ، أمره سيده بأن يقوم على رأس جيش إلى بلاد العرب السعيدة « اليمن » لاخضاعها إما سلما أو قتالا فجهز عمارة عظيمة وجيشاً جراراً . وسار على رأسهما إلا أن المرض فتك بجيشه فتكا وفقد كثيرا من سفنه ورجع بأشد الخيبة والفشل

فلما علم أهل النوبة بانتقال حاكم مصر شرقا وان عددا عظيما من جنوده شغله قتال العرب انتهزوا تلك الفرصة وغزوا « طيبة » وهجموا على الحامية التى كانت قريبة من « أسوان » واستولوا عليها وانتزعوا تماثيل قيصر فلما علم الرومان بأمر هذه الثورة الرهيبة أرسلوا حاكم مصر « بترونيوس » الذى كان قد عين حديثاً على رأس جيش يبلغ عدده عشرة آلاف من الجنود الراجلة وثمانمائة من الراكبة

لمقاتلة العدو ، الذى كان يبلغ عدد جيشه نحو ٠٠٠ و ٣٠ جندى فاضطر النوبيون إلى الرجوع اما طرداً أو انسحاباً إلى مدينة « بسلسيس أى الدكة » الحالية وهناك بدأ « بترنيوس » قتالهم فأرسل مندوبيه ليطلبوا من النوبيين ارجاع من غنموه وحملوه فى غزوهم وابداء ماحملهم على الثورة . فاجاب النوبيون بأن ذلك يرجع إلى سوء معاملة « الملوك » لهم فاجابهم بترونيوس : « بأنهم ما كانوا قط سادة بلاد سيدها قيصر » فطلب النوبيون مهلة ثلاثة أيام ولما لم يبدوا شيئاً فى هذه المدة هاجمهم « بترونيوس » واضطرهم للقتال وقد كانت العاقبة وخيمة على النوبيين الذين لم تعضهم دروعهم ورماحهم وقسيهم وسيوفهم عن قلة ضباطهم وسلاحهم فولوا الأدبار فريقا إلى المدينة وفريقاً إلى الصحراء وآخر عبر النهر إلى جزيرة صغيرة فى النيل وكان من بين الغادين قواد « كانداس » ملكة النوبة فتبعهم « بترونيوس » فى السفن وقبض عليهم وأرسلهم إلى الأسكندرية وقد هلك معظم النوبيين قتلا أوأسرا وتابع « بترونيوس » تقدمه جنوبا من مدينة الدكة حتى أريم عابرا فى طريقه التلال الرملية ـ التى هلك بالقرب منها جيش « قمبيز » بعاصفة شديدة ـ فاستولى على « أريم » دون عناء وتابع السير فى النهر نحو خمسمائة ميل حتى « نبته » عاصمة الجزيرة المروية القديمة واستولى فى طريقه على المدن المهمة

ولم تكن(١) الملكة « كانداس » فى « نبته » لما وصل بترونيوس الا أنها أرسلت رسلها فى طلب الصلح عارضة إطلاق سراح من لديها من الأسرى واعادة التماثيل « ولعلها تماثيل قيصر » فكان جواب « بترونيوس » أن هاجم « نبته » واستولى عليها ودمرها وأخذ كثيرا من الأسرى والغنائم ثم قفل راجعاً عند ما رأى أن شدة الحر وكثرة الرمال تحول دون متابعة التقدم جنوبا ولما عاد إلى « ابريم » أقام فيها حملة من أربعمائة مقاتل وزودها بمؤونة سنتين ثم عاد إلى الاسكندرية وباع بعض من كان معه من النوبيين وأرسل آلافا منهم إلى « قيصر » ومات عدد كبير من وطأة المرض وبعد أن رحل « بترونيوس » عن « اريم » هاجمتها الملكة « كانداس » بجيش قوامه عدة آلاف من الجنود

وقبل أن تتمكن من الاستيلاء عليها عاد « بترونيوس » إليها فاضطرت الملكة إلى إرسال رسلها بقصد الصلح فأحالهم على « قيصر » ولما أنبأه بأنهم لايعرفون من هو ولا أين يقيم أرسل معهم بعضاً من رجاله إلى « قيصر » فى

(١) راجع مقال محجوب ثابت بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢١ « بالأهرام »

« ساموس » وهناك حصلوا منه على كل ما طلبوا حتى أن قيصر رفع الجزية التى كان قد ضربها عليهم

وقد أثبتت غزوة « بترونيوس » هذه لأهل النوبة أن حكومة مصر إذ ذاك لا تؤمن عاقبة الثورة عليها « كما تحقق الدراويش ذلك بعد ثورتهم » واعتبروا بما القاه عليهم بترونيوس من الدروس التاديبية فقد أتاهم بخيله ورجاله وحمل عليهم بشدة وقوض أركان حاضرة ملكهم وأرسل عددا عظيما منهم إلى الاسكندرية حيث باعهم ثم حمل ما وصلت إليه يداه من الغنائم . ولقد جاء فيما رواه « بلين » عن تلك البلاد أنها كانت بلاداً ذات بأس وشهرة أيام حكم ملكها « ممنون » ، ولكنها لم تكن فى الواقع الا ولاية مصرية وكانت جديرة بهذا الوصف إذ كثيرا ما تولى زمامها حكام مصريون »

وفى عهد حكم أوغسطوس بدىء ببناء معبد « الكلبشة » وزيد فى معبدى « دندرة والدكة »

وفى حكم « كاديوس » « ٤١ - ٥٤ م » قام الرومان بمشروعات كثيرة كتوطيد ترويج التجارة بين بلاد العرب والهند ومصر وفكر « نيرون » فى غزو اتيوبيا « أى السودان . لا الحبشة » بقصد وضع يده على حاصلات البلاد ومن العجيب أن الروم حتى فى ذاك الوقت لم يعلموا إلا النذر من جغرافية بلاد السودان وإلا لأدركوا أن أثمن ثروة البلاد كائنة فى دارفور وكردفان والأقاليم حول النيلين الأبيض والأزرق وبينهما فقد أرسل « نيرون » قبل أن يقوم « بغزو النوبة » بعض ضباطه مع بعض الجنود ليرودوا البلاد ويرفعوا إليه تقريرا بحالتها إلا أنهم عادوا منبئين بأن ليس على ضفاف النيل الا أرض بلقع . على أن ما عادوا به من المعلومات عن بلاد السودان لا تخلو من أهمية فقد مروا ببلاد عديدة حتى مدينة « مروى » وتابعوا السير حتى وصلوا إلى منطقة قالوا عنها أنهم رأوا الصخور فيها تعترض النهر حيث يندفع بقوة هائلة ويؤخذ مما رووه : « أنهم وصلوا إلى إقليم تغمره مستنقعات عظيمة قد نبتت فيها أعشاب كثيفة جعلت الملاحة مستحيلة فى تلك المنطقة » ولو قارنا بين ما وصفوا به منطقة المستنقعات التى وصلوا إليها وبين ما وصف به « السير وليم جارستن » مستنقعات بحر الجبل لما خامرنا الشك فى أنهم وصلوا الى جزء من وادى النيل يخترقه هذا البحر « بحر الجبل » واننا نأسف مع الدكتور بدج الأثرى الانكليزى الشهير لأن كثيرا من التفاصيل التى ذكرتها

البعثة الرومانية الكشافة لم يصل الينا ولكن لاجدال فى أن ما ذكروه من أوصاف منطقة المستنقعات لم تبن الا على مشاهدتهم الشخصية

ومن سنة ٥٤ حتى سنة ٢٦٠ م لم يلق الرومان متاعب تذكر من جانب النوبيين الذين رضوا بأن يتركوا أسياد المنطقة من ابريم الجنوبية

على أن القبائل المعروفة بقبائل أو برجال التلال كما كان يسميهم قدماء المصريين بدأوا فى أوائل القرن الثالث بمهاجمة حدود مصر الجنوبية ونزلوا فى غرب بلاد طيبة « الأقصر » وقد روى أنهم نزلوا بأرض الواحة الخارجية وكان الاغريق والرومان يسمونهم البلمعين Belimmyes وهؤلاء القوم من أصل حامى نزلوا بالصحراء الشرقية متنقلين فيها شمالا وجنوبا مرتادين الكلأ والمراعى لابلهم وماشيتهم وتعرف تلك القبائل عند الكتاب العرب « بالبجة أو البجاة » Auaks ومنهم « قبائل البشاريين » وقد انضم إليهم عدد عظيم من زنوج منطقة « مروى » ونزل كثيرون منهم بالصحراء الغربية وانتشروا فيها حتى كردفان وقد حالفت تلك القبائل أهل طيبة للقيام فى وجه الرومان بمصر وقد اشتهر أهل تلك القبائل بشدة بأسهم وغلظة طباعهم وبطشهم بالقوافل وسلبهم متاعها وللكونت لينان دى بولفون الذى طاف بلادهم على عهد الخديوى اسماعيل مؤلف قيم عنها

وحوالى سنة ٢٥٠ ق . م اشتد ساعدهم بصعيد مصر فاعتدوا على مدائنه وقراه نهباً وسلباً دون أن يلقوا مايسد سيلهم ويضع حداً لأذاهم فما كانت سنة ٢٦١ م حتى سار اليهم « ماركوس يوليوس Marcus Julius » الذى أقامه أهل الاسكندرية ملكا على مصر ، وهزمهم وردهم على أعقابهم إلى الشلال الأول ثم ما لبثوا أن عادوا إلى اعتدائهم على مدائن مصر فى عهد كلوديوس الثانى Claudius

وما زال يشتد ساعدهم ويعظم سلطانهم بما قدمه إليهم ابن ملكة النوبة وأهل مصر الناقمون على حكم الرومان حتى رسخت أقدامهم وثبت سلطانهم بمصر العليا فى حكم أوريليان « Ourelian » « ٢٧٠ — ٢٧٥ » إلا أن أوريليان حمل عليهم حملة شديدة فى سنة ٢٧٤ فهزمهم وأسر كثيرا منهم وأرسلهم إلى روما ولكنه لم يقبض على سلطانهم حتى أن خلفه « ريبوس » عجز عن إخراجهم من مصر العليا لاسيما وقد اتحدت معهم قبائل الشرق والغرب ولكنه فاز منهم بمدينة « قفط » مركز تجارة الشرق فى ذلك الوقت

وفى أوائل حكم دقلديانوس « ٢٨٤ — ٣٠٥ م » ازداد نشاط « البجة » وتكررت غزواتهم واعتداؤهم على جنوب مصر ورأى دقلديانوس أن لاقبل له على قمعهم ورد عاديتهم على الرغم من تعزيزه لحامية أسوان وإقامة غيرها فى كثير من المدن القريبة منها ولم يكن فى ذلك الوقت قادرا على إرسال جيش إلى بلاد السودان ليكسر من شوكة تلك القبائل وينزل بها شر الهزائم فاستقر به الرأى على سحب تلك الحاميات وأن يعهد بحماية مصر العليا ورد عادية « البجة » إلى قبيلة « نباكا » وهى قبيلة ذات بأس سكنت الصحراء الغربية يرجع أصلها غالبا إلى دارفور وكردوفان وامتدت حتى الواحة الخارجة وقد كان بيدها تجارة جنوب السودان كلها وكان لأهلها من البأس والخشونة وصولة القتال ما جعلهم خير انداد لأهل البجة وهم سلالة قبائل « منيتو » أو « البقارة » الذين ألقوا الرعب فى قلوب فراعنة مصر فاقطعهم دقلديانوس أرضاً واسعة ورتب لهم مالا كثيرا سنويا فى مقابل حراستهم لبلاد مصر ورد عادية البجة عن مدنها وأهلها وفى الوقت نفسه عقد مع البجة اتفاقاً بأن يدفع لهم مبلغ سنوياً نظير كفهم عن الاعتداء على مدن مصر العليا .

ولما تم ذلك شيد حصناً على جزيرة قريبة من « الفيلة » وأقام فيه معبدا ليجتمع فيه الرومان وأهل تلك القبائل ليسووا ما بينهم من الخلاف حبياً ويجددوا عهود الولاء ومواثيق الوفاء على أيدى قساوس من الفريقين

كان أهل البجة وأمثالها يعبدون فى « فيلة » الآلهة ايزيس وأوزيريس وبرباوس وغيرهم وكان من عادات البجة أنهم يقدمون الرجال قرباناً للشمس

وقد كانت سياسة دقلديانوس هذه هى السياسة الطبيعية الحكيمة فى تلك الظروف وهو أول حاكم لمصر أدرك بدهائه ورجاحة عقله أن خير سبيل للاطمئنان على أرض مصر من غزو أهل الجنوب هو بايغار صدور قبائل الغرب على قبائل الشرق ومبالغ يسيرة يدفعها سنويا لتلك القبائل

وقد خيم السلم على مصر العليا ووفت تلك القبائل بعهودها نحو مائة سنة إلا أن البجة حنثوا بعهودهم فى أواخر ثيودوسيوس الثانى « ٤٠٨ — ٤٥٠ م » وقاموا فى وجه نبته وغزوا مصر العليا واستولوا على الواحة الخارجة وهزموا من كان فيها من جنود الرومان

وفى حكم الأمبراطور ماركيانوس « ٤٥٠ — ٤٥٧ م » جمع ماكسيمانوس

القائد العام للرومان بمصر جيشاً جراراً وسار به جنوباً حتى حل بأرض البجة و« نبته » فمزق جموعهم ونكل بهم وأرغمهم على رد من كان لديهم من أسرى وفرض عليهم غرامة جسيمة وزعها على من حل بهم أذاهم وأصابهم اعتداؤهم وحتم عليهم تقديم رهائن لضمان حسن سلوكهم مستقبلا وأن يتعهدوا بالتزام جانب السكينة والسلم مائة سنة ، فرضوا بذلك كله مقابل مطلب واحد عجيب ذى معنى عظيم وهو ، أن يسمح لهم بالحج إلى معبد إيزيس بفيلة وباستعارة تماثيلها من آن لآخر ليتوسلوا إليها أن تمدهم برحمتها وتشملهم بنعيمها » فكان لهم من ماكسيمانوس ما أرادوا وساد السلام بين الرومان وقبائل السودان طول حياته. ولكنهم مالبثوا بعد موت ماكسيمانوس أن اتحدوا وسووا بينهم من الخلف وغزوا بلاد مصر واستردوا رهائنهم ولكن فاوروس حاكم الأسكندرية أسرع إليهم وأخمد ثورتهم وجدد البجة ونبته المواثيق عاملين باتفاقهم السابق

وفى أواخر حكم جستنيانوس الأول « ٥٢٧ — ٥٦٥ م » انتهى أجل اتفاقية ماكسيمانوس . ويظهر أن تلك القبائل فكرت فى مناوأة مصر ولو أنه لا يوجد ما يدل على عزمهم على ذلك ومهما يكن من أمرهم فان جستنيان صاحب التشريع الرومانى صب عليهم جام غضبه فبدأ باغلاق معبد ايزيس وماحوله بفيله لاعتقاده أن وجوده يجعل تلك المنطقة مركزا للدسائس والفتن وأن لا مفر من ذلك مادام لقبائل البجة ونبته حق الدخول إلى بلاد مصر بدعوى الحج إلى ذلك المعبد فأمر باغلاق المعبد وحرم عبادة ايزيس وحمل ماكان بالمعبد من التماثيل إلى القسطنطينية وزج قساوسته فى أعماق السجون

وقد عادت قبائل السودان إلى مناوأة مصر أيام حكم تيبيريوس الثانى « ٥٧٨ - ٥٨٢ م » ولكن قائد جيوش الرومان بمصر أخضع ثائرتهم ولم يرو شيء مدة قرن بعد ذلك التاريخ ، اذ شغل الرومان برد عادية الفرس وتركوا قبائل الغرب والشرق تحكم نفسها بنفسها كما شاءت

الفصل السادس

تاريخ النوبة

تقع بلاد النوبة فيما بين الشلال الأول والرابع . وقد أطلق عليها التاريخ أسماء كثيرة . فهى فى التوراة بلاد الكوش ، وكوش هذا — فيما تقول التوراة — هو جد النوبيين ، وأخوه مصرايم ، جد المصريين ، وكلاهما من حام بن نوح ، وأطلق عليها الاغريق اسم اتيوبيا ، ومعناه الوجه شديد السمرة . ويطلق هذا الاسم الآن على بلاد الحبشة

أما اسم النوبة ، فهو — فيما يقال — نسبة إلى كلمة نب ومعناها فى اللغة النوبية الذهب . أى أن بلاد النوبة هى بلاد الذهب ، لوفرة هذا المعدن فى صحاريها .

وكان يسكن هذه البلاد قوم يجتمعون فى نسبهم بقدماء المصريين . حتى ليذهب المؤرخ ديودور ، الى القول بأن أصل المصريين جالية نوبية نزحت من الجنوب . ويؤيده فى ذلك : أن موتى المصريين — قبل عصور التاريخ — كانت تدفن ورؤوسها متجهة نحو الجنوب وأن البخور كان يستعمل فى العبادة المصرية منذ القدم . وما كان ذلك ممكناً لو لم يكن المصريون قد جاءوا من الجنوب - وأن أشهر آلهة مصر من النوبة . مثل أوزيرس الذى أنقذ مصر من الهمجية ، وعلم أهلها الزراعة ، ووضع لهم الشرائع ، وشيد المبانى فى طيبة ومثل زوجته ايرس التى أخرجتهم من الوحشية ، وصرفتهم عن أكل لحوم البشر ، وعلمتهم قواعد الزواج الشرعى . وكذلك ابنهما حورس رب الوطنية والفروسية ، الذى طهر مصر من آلهة الشر والفساد

ويذهب آخرون إلى أن النوبيين نزحوا قديماً من مصر إلى الجنوب ، وحملوا معهم بذور الحضارة والعقائد المصرية ، ويستدل هؤلاء على ذلك بأن النوبيين كانت لهم حضارة قديمة ، لا تختلف كثيراً عن حضارة المصريين ، كما أن الاله المصرى آمون كان مقدساً عندهم فى نبته ومروى

وسواء أكان المصريون جالية نوبية نزحت الى الشمال ، أم كان النوبيون جالية مصرية هاجرت الى الجنوب — فان مما لا شك فيه أنهما من عنصر واحد ، فقد اثبتت الابحاث العلمية التى أجراها العلامة إليوث سميث Elliot Smith فى مقابر

مصر والنوبة ، أنه لا فرق بين المصرى والنوبى فى التكوين الجثمانى ، حتى ليتعذر من هذه الوجهة تعيين حد فاصل يميز أحدهما عن الآخر !

وقد (١) وقعت فى بدء الأسرات الملكية فى مصر ، غزوات جاءت بكثير من الدماء الزنجية ، فأثرت فى الدم المصرى والنوبى ، وكانت أشد تأثيراً فى المنطقة الواقعة فيما بين جبل السلسلة والشلال الثانى

أما قبائل النوبة التى تقطن بين الزنوج جنوب كردفان ، فانها لاتمت إلى الزنوج بصلة ، وإنما وجدت هنالك منذ القدم ، فراراً من التصادم بالموجات البشرية القوية التى تدفقت إلى تلك البلاد ، ولا تزال هذه القبائل فى مستوى أرقى من الزنوج ، وتمتاز عنهم فى تكوين الجسم والطباع

وهناك عنصر حامى لم يختلط بالزنوج كالنوبة ، وهو المعروف بقبائل البجة ـ بل ظل محافظا على بداوته فى الصحراء ، بينما كان العنصر النوبى يعيش على ضفاف النيل :

ولما جاء الفتح الاسلامى تدفقت سيول القبائل العربية إلى تلك البلاد لانتجاع الرزق واستغلال مناجم الذهب ، فاختلطت دماء النوبيين والبجة بدماء العرب . ونزلت هنالك بعض قبائل البربر ، ثم جاء الفتح التركى بعنصر آخر ، حتى صار النوبيون الآن خليطاً من عدة عناصر أهمها العربى فالتركى فالبربرى فالنوبى

مصر والنوبة

ويرتبط تاريخ النوبة ارتباطاً وثيقا بتاريخ مصر ، حتى ليصح القول بأن كلا منهما متمم للاخر ، فان وحدة الأصل والوطن والدين قد أحكمت بينهما أواصر القربى والجوار ، فاذا هما شعب واحد فى آماله وآلامه على الرغم من اختلاف الأقليم والمناخ

وللتاريخ النوبى أطوار عدة تبدأ منذ فجر التاريخ حيث عهد البداوة والقبيلة فى النوبة ، وبدء الحضارة والملكية فى مصر ، وفى هذا الطور قامت مصر بكثير من الحملات التجارية والحربية فى بلاد النوبة ، وبذل ملوكها جهوداً متوالية فى فتح الطرق البحرية بين الجنادل ، وإخضاع القبائل النوبية المجاورة التى كثيرا ما كانت تغير على الحدود المصرية

---

(١) صحائف مطوية من تاريخ النوبة ـ لمحمد كامل حتة ـ الأثر الجليل لأحمد نجيب بك والعقد الثمين لأحمد كمال باشا

وكان من آثار ذلك نمو العلاقات بين مصر والنوبة ، وتبادل المنافع والدماء ، فقد غزا سنوفرو ، آخر ملوك الأسرة الثالثة بلاد النوبة ، ثم توغل فى الجنوب وعاد ومعه سبعة آلاف أسير من الزنوج والنوبة ، ومائتا ألف رأس من الماشية واستخدم هؤلاء الاسرى فى استثمار مناجم الفيروز بطور سيناء ، او فى تشييد قبره بدهشور ، وبناء هرمه فى ميدوم ،واستطاع بيبى الأول أحد ملوك الأسرة السادسة — بعد أن بسط نفوذه على شمال النوبة — أن يجند منها جيشا هزم به أمراء الوجه البحرى .

ولما سهلت المواصلات بين مصر والنوبة ، هاجر كثير من المصريين إلى تلك البلاد ، للبحث عن مناجم الذهب ، أو فرارا من ظلم الولاة ، فدخلت بلاد النوبة فى طور جديد ، ونمت فيها بذور الحضارة المصرية ، وازدادت عناية الفراعنة باستعمارها ، فأقام ملوك الدولة الوسطى هنا لك الحصون والقلاع ، للسيطرة عليها وتأمين الطريق .

وفى عهد الدولة الجديدة تم الاستيلاء على تلك البلاد وامتزج بها الدم المصرى وانتشرت المدنية المصرية ، ثم استقلت النوبة عن مصر ، وقامت فيها مملكة قوية عاصمتها « نبته » على مقربة من الشلال الرابع بسطت سلطانها على مصر فيما بعد

وقد أسفرت هذه الأطوار عن إيجاد رابطة قوية بين مصر والنوبة فان مملكة « نبته » لم تقم إلا على أساس الحضارة المصرية وبرعاية كهنة أمون الذين هاجروا اليها بعد سقوط طيبة ، كما أن أحمس أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة تزوج بابنة ملك النوبة على عهده فأمده هذا الملك بجيش نوبى استطاع أن يطرد به الرعاة من مصر . وتزوج كاتشا ملك النوبة بابنة كاهن مصرى فأنجبت له بعض ملوك الأسرة الخامسة والعشرين .

ثم اضمحلت مملكة « نباتا » بعد سقوط هذه الأسرة ، واستقلت كل من مصر والنوبة ، وتعاقب على مصر الفرس والبطالسة والرومان ، وقامت فى النوبة مملكة مروى ، فنالت فى التاريخ شهرة واسعة لم تنلها نبته من قبل . وبعد أن دالت مملكة مروى ظهرت فى النوبة ممالك أخرى : أشهرها مملكة النوبة السفلى من الشلال الأول إلى الرابع وعاصمتها دنقلة العجوز ، ومملكة علوة من الشلال الرابع إلى أعالى سنار وعاصمتها سوبة على النيل الأزرق ، ومملكة أكسوم وهى المعروفة الآن بالحبشة وحوالى القرن السادس الميلادى كانت المسيحية قد انتشرت فى تلك البلاد

ولم يبق على الوثنية إلا قبائل البجة . وكان الاسلام إذ ذاك قد دخل مصر وأحاط المسلمون ببلاد النوبة من الشمال والشرق وكان لهم مع نصارى النوبة ووثنى البجة وقائع كثيرة كانت تفرض فيها الجزية وقلما تؤدى حتى انتمى النوبيون إلى الاسلام حوالى القرن الثامن الهجرى

وقامت فى المهاجر العربية فى بلاد النوبة ممالك صغيرة : مثل مملكة الشايقية والدفار ودنقلة والحندق وأرقو وكانت على صغرها ذات بأس وقوة ، حتى أن ملوك الشايقية كثيرا ما كانوا يغزون ممالك النوبة ويفرضون عليها الجزية ثم انقسمت بلاد النوبة بعد ذلك بين الفونج فى الجنوب والكشاف فى الشمال حتى جاء الفتح المصرى الأخير ، فعادت كلها تابعة لمصر

وقد ظهرت الحضارة هنالك منذ أربعة آلاف سنة . ثم أخذت تنمو وتزدهر وتصطبغ بالصبغة الفرعونية ، حتى بلغت شأوا بعيدا فى الدين والسياسة والفنون فقامت هناك الاهرام والمعابد وارتقت الفنون والصناعات ، وانبسط سلطان النوبة على وادى النيل

وقد وفقت هذه البعوث الى كثير مما ترجوه ، واستطاعت أن تجمع صورا قيمة لتلك الحضارة أهمها ما يختص بالعصر المروى وهى بلا شك ثروة جديدة تضاف الى نفائس التاريخ

ولعل أقدم هذه الآثار ما وجد فى مقابر عنيبة ، ويرجع تاريخها إلى ألفى سنة قبل الميلاد : منها مائتا آنية من الخزف والفخار ، محفور عليها نقوش بديعة ملونة ، وفى هذه المقابر أيضا تماثيل صغيرة ، كانت توضع مع الميت لتنوب عنه فى أداء الأعمال الشاقة فى الحياة الاخرى . وهذا لون من العقائد المصرية القديمة

أما حضارة العصر المروى فقد تأثرت بالفن المصرى والروح البيزنطية وفى مقابر فسطل وبلانة آثار ثمينة من الوجهة التاريخية والفنية ، تمثل هذه الحضارة فى أزهى عصورها فهناك تيجان من الفضة المرصعة بالجواهر والتماثيل الصغيرة ، ومجموعة ثمينة من الحلى والاسلحة والأطباق والملاعق ، وتحف بديعة من البرنز على شكل مواقد ومباخر ومصابيح ، ورقعة للشطرنج من العاج والأبنوس ، وأطقم فاخرة من السروج والبراذع ، مصنوعة من الجلد المصبوغ باللون الازرق ، ومطعمة بالفضة والأحجار الكريمة ، ومحلاة بزخارف هى مثل حى على رقى الفنون الجميلة فى ذلك العهد

وهذه المقابر خاصة بطبقة الملوك والأشراف يلبسونهم التاج والحلى والسلاح ، ويزودونهم بالطعام والشراب ويودعون قبر الملك تحفه الخاصة . ثم يشنق العبيد أنفسهم لديه ، وتطهم خيوله حيث تقتل داخل القبر ، ليكون الجميع فى خدمته فى الحياة الاخرى ! : وقد روى هيرودوت أن النوبيين كانوا يحنطون الميت ، ويطلون جسده بالجص ، ويدهنونه بمادة تجعله قريب الشبه بالحياة . ثم يوضع فى اسطوانة من البلور ، بحيث يرى الميت ولا تنبعث منه رائحة الموت وتحفظ هذه الاسطوانة لدى أقارب الميت سنة كاملة ، يقدم له فى خلالها الذبائح وبواكير كل شىء ، حتى ينتهى العام فتنقل هذه الاسطوانه إلى المقابر

وفى المتحف المصرى قسم خاص بالتاريخ النوبى ، تمتلىء غرفه وأروقته بآثار ثمينة ، تمثل الحضارة النوبية فى كثير من العصور . ويوجد تمثال من المرمر للاميرة امنرتيس Amenartais الزوجة المقدسة لأمون وحاكمة طيبة وهو قائم على قاعدة من الجرانيت الاسود ، بقد أهيف وقوام رشيق ووجه صبوح ، يزينه التاج على رأسها ، والاساور العريضة فى معصميها ، والحجول الكبيرة فى رسغيها . وعلى قاعدة التمثال منقوش اسم اخيها الملك شبكا



من مشايخ ابى حمد والشلال وهم كأهل الصعيد

مملكة نبته أو نباطا

وملوك النوبة فى مصر

من المحقق أنه نشأت ممالك بالنوبة ، ولكن تاريخها غامض - وقد ثبت أن الملك احمس أول ملوك الاسرة الثامنة عشرة قد استعان بملك النوبة على الرعاة الذين أرهقوا المصريين أكثر من ستمائة عام « ٢٢١٤ — ١٦٠٠ ق . م » حتى تشتت كثير منهم فى بلاد النوبة وأسسوا فيها مهاجر كثيرة، وأمده هذا الملك بجيش نوبى طرد به هؤلاء الرعاة من مصر

ولما سقطت مملكة « طيبة » بعد عهد الرعامسة (١) ، نفى الملك «سمنتوميامون» أحد ملوك الاسرة الحادية والعشرين - كهنة أمون معبود طيبة من مصر . فلجأ هؤلاء إلى بلاد النوبة ، لانها كانت تعبد هذا الاله ، وشملوا ملوك النوبة برعايتهم ، وقووا فيهم نزعة الحرية والسيادة ، فاذا بمملكة « نباته » « أو نباطا » مملكة قوية ذات حضارة وسلطان ، واذا بها تبسط سيادتها على وادى النيل ، وتعيد لامون نفوذه وسلطانه

ومن ملوك « نبته » قامت الاسرة الخامسة والعشرون « ٧١٥ - ٦٦٤ ق م » ولا يزال باقيا من آثار هذه المملكة بعض المعابد والأهرام ، فهناك عدا المعابد ثلاثة عشر هرما فى جبل البرقل . وخمسة وعشرون تجاهه فى نورى عند الشلال الرابع ، وهى مبنية من الحجر الرملى على هيئة أهرام مصر إلا أنها أصغر منها حجما ، وفى واجهة كل هرم ايوان كأواوين المعابد المصرية

وقد استولى النوبيون على الصعيد وانقسم الوجه البحرى إلى عشرين ولاية بعضها مستقل عن بعض ، وكان على ولاية سايس أميرقوى «تفنخت» ، طمع فى ضم الولايات الأخرى اليه ، فاستعان على ذلك بجنود نوبية حارب بها الأمراء حتى تغلب عليهم ، وتم استيلاؤه على مصر السفلى ، فعد مؤسساً للأسرة الرابعة والعشرين

ولم تقف مطامع «تفنخت» عند هذا الحد ، بل جرد جيشاً يحاول به استرجاع الصعيد من النوبيين . وكان على «نبته» فى ذلك العهد ملك عظيم يدعى بيعنخى Piankhi

(١) صحائف مطوية من تاريخ النوبة

هاله أن ينتقص «تفنخت» من أطراف ملكه ، فعبأ الجيوش لقتاله ، ورده على أعقابه واستولى على بلاده ، ومن ثم صارت مصر إيالة نوبية

وقد أبقى «بيعنخى» لامراء مصر امتيازاتهم ، وأقام عليهم «تفنخت» ملكا من قبله — بعد أن أخضع وتاب — ثم عاد الى عاصمة ملكه ظافرا منصوراً

ولما توفى الملك « بيعنخى » خلفه الملك « كاتشا » ، ولم يكن من أسرة ملكية ، وإنما كان متزوجا من ابنة كاهن مصرى . ولذلك انتقض عليه « تفنخت » وأجلا جنوده عن مصر ، ثم توفى «تفنخت» وخلفه ابنه باكوريس وكان قوى الارادة ، فاتخذ خطة أبيه . وجرد الأمراء من سلطانهم ، وصار ملكا مستقلا على مصر وفى أثناء ذلك مات « كاتشا » ملك النوبة وخلفه ابنه « شبكا » فتوجه إلى مصر لقتال « باكوريس » واستعان عليه بأمرائها الذين يبغضونه . وشاء القدر أن يقع « باكوريس » فى قبضته بمدينة تانيس ، فألقاه حيا فى النار ! وعادت مصر تابعة لملك النوبة

ويعد الملك «شبكا» مؤسسا للاسرة الخامسة والعشرين . وكان ملكا عادلا محبا للاصلاح ، فشاد الجسور ، وحفر الترع ، و أصلح بعض المدن والمعابد المصرية ، وجعل الأشغال الشاقة بدلا من عقوبة الاعدام ونظم الادارة المصرية . فجعل على كل اقليم رئيسا تحت اشراف أمراء من النوبة ، وأقام أخته الاميرة « امنرتيس » حاكما على طيبة

وحدثت بين شبكا وملك أشور معارك كثيرة فى الشام ، انتهت بهزيمته وهزيمة حلفائه . فعاد إلى مصر بعد ضياع ملكه . ومات تاركا حكم الصعيد والنوبة لابنه « سبيخون » . وكان الوجه البحرى تتنازعه فئتان من المصريين وفاز « سبيخون » وقام ضده أمير من النوبيين يدعى طهارقة Taharqa فأغار عليه وقتله وتولى مكانه . ثم طهر مصر من العصاة واستقر فيها أمره إلى أن غزا مصر أشور أخى الدين وعاد طهارقة إلى غزو مصر . فاسترجع مدينة طيبة ، وأبطل منها عبادة العجل أبيس .

ASC - LIBRARY

مملكة مروى فى عهد الرومان

تاريخ المملكة

ظهرت بعد دولة « نبته » أو «نباطا» مملكة «مروى» فى الجنوب ، و «مروى» هذه غير البلدة المعروفة الآن بهذا الاسم ، فان الأولى كانت تقوم قرب شندى ولم يبق منها اليوم إلا أطلال دارسة ، أما الأخرى فتقع قرب آثار مدينة نباطا القديمة ، وبين هذه وتلك طريق فى الصحراء يبلغ طوله ١٨٠ ميلا . وفى بداية الأسرة السادسة والعشرين فى مصر ، أنشأ الملك «أبسمتيك» حاميات قوية لحدود الدولة ، فى جزيرة إلفنتين عند أسوان . وكان لهذا الملك جيش قوى من الاغريق واغتاظ الجند المصريون وفروا إلى النوبة وانضموا إلى ملك «مروى» ، فضم بعض القبائل النوبية إليه

وكانت «مروى» معاصرة للفرس والبطالسة والرومان ولها وقائع مع هؤلاء جميعاً وكان سلطانها يمتد من الشلال الأول إلى الحبشة . وآثارها تلى آثار نباطا فى القدم وتفوقها فى الأهمية : من بينها هيكل للآله أمون ، ومجموعة من الأهرام يبلغ عددها ثمانين هرما . وفى جزيرة مروى بركة يملؤها ماء الأمطار وحولها آثار هياكل فخمة . وبين هذه البركة ومدينة شندى آثار هيكل يبلغ محيطه ألف ياردة . وللملوك مروى آثار فى نباطا نفسها ، وهيكل قائم فى بلدة عمارة جنوبى الشلال الثانى بنحو مائة ميل ، فى دكة ودبود من النوبة السفلى .

وقد نهضت مملكة مروى حتى قيل أنها كانت تجهز للحرب جيشا مؤلفا من مائتين وخمسين ألف مقاتل ، وكان فيها أربعمائة صانع . وأن للمرأة فى عهدها رقيا وسيادة فكان أكثر ملوكها نساء . ولقد عجز قمبيز عن غزو المملكة .

وفى عهد البطالسة ـ استولوا على جزء من النوبة السفلى حتى بلدة المحرقة ، وكان الملك ارجيمنس ملك مروى معاصراً لبطليموس الثانى ـ « ٢٨٥ - ٢٤٧ ق . ب » وقد حور هذا الملك فى الديانة النوبية . وأدخل فى مملكته كثيرا من النظم والقوانين الاغريقية ، ومن آثاره هيكل فى دكة ، أقامه على أطلال من عهد الأسرة الثانية عشرة ، وأتمه البطالسة من بعده

واشتهر فى مروى بعده الملك «أذخر أمون» ، وله فى دبود هيكل صغير لايزال قائما إلى اليوم

وقد أرسل الامبراطور الرومانى أغسطس قيصر حوالى عام ٢٣ قبل الميلاد حملة من مصر لغزو بلاد العرب ، وكان على مروى فى ذلك العهد ملكة تلقب بكندا كة — وهو لقب الملكات اللواتى تولين الحكم فى مروى — ، وفتحت الصعيد ، وقد هزمها النائب الرومانى بترنيوس ، بجيش مؤلف من عشرة آلاف وثمانمائة فارس ، فتقهقرت أمامه حتى أدركها قرب دكة ، وطلب منها رد الأسرى والغنائم فلم تجبه إلى ذلك ، فحمل عليها حملة قاسية شتت جيشها ، ففرت منهزمة أمامه شر هزيمة . وامتنعت فى قلعة قرب الشلال الرابع حتى استولى على حامية أبريم ، ودمر نباطا ، وقد قبلت كندا كة الصلح

وظلت المحرقة حدا فاصلا بين مصر والنوبة إلى عهد الامبراطور الرومانى ديوقليشيان « ٢٨٤ — ٣٢٣ ب م » حيث رأى أن خراج هذه المنطقة فيما بين المحرقة وأسوان ، لا يفى بنفقات الجنود اللازمة لجمعه ، فنزل عنها للنوبيين ، وأعاد الحدود المصرية إلى أسوان ، ثم قوى حامية الفنتين ، وعقد مع النوبة والبجة معاهدة على حفظ الحدود ، ظلت قائمة إلى عهد الامبراطور مارشيان ، حيث نقضها النوبيون وغزوا مصر العليا ، وجلبوا منها كثيرا من الأسرى والغنائم ، فغزاهم القائد مكسيمينوس محافظ طيبه عام ٤٥١ للميلاد ، وتغلب على النوبة والبجه معاً

وكان لها معابد بيلاق « الفيلة » ودبود وكلابشة ودكة والسبوع وعمدة والدر وابو سنبل الصغير وابو سنبل الكبير وفريق

وما زال الرومان يعاملونهم بالحسنى ، حتى قام الامبراطور جوستنيان « ٥١٧ — ٥٦٦ ب م » فأغلظ معاملتهم ، وأمر نرفس قائد حامية بيلاق فعطل الهيا كل وسجن الكهنة وأرسل تماثيل الآلهة إلى القسطنطينية . ولما زار المؤرخ استرابون هذه الجزيرة ، وجد أهلها من مصريين ونوبيين يعبدون صقراً كبيراً يؤتى به من النوبة . ولعل القبلة القائمة فى الخلوة المقدسة كانت محلا لهذا المعبود . وفى الجزيرة من آثار العهد المسيحى أطلال كنيسة لمارية العذراء ، وأخرى للبطريق مارى أناطس . وكان فيها جامع ذو منارة لم يبق من آثاره الآن شىء وقد كانت هذه الجزيرة أولى ضحايا خزان أسوان ، يطغى عليها ماؤه أشهر الشتاء من كل عام ،



معبد ابى سمبل فى حدود مديرية اسوان ويرى لفيف اعضاء البعثة المصرية بالسودان امامه
سنة ١٩٣٥

فتبدو فى ذلك المنظر الرائع ، وهى تصارع الفناء وتصمد له ، حتى ينحسر عنها الماء أشهر الصيف ، وقد ترك على معابدها أثر هذا الصراع الطويل

وقد أنشأ رمسيس الأكبر معبد أبى سنبل الكبير تذكارا لانتصاره على الحيثيين . وهو منحوت فى الجبل إلى عمق ١٨٥ قدما ، ويزين صدره أربعة تماثيل عظيمة تهشم وجه أحدها ويبلغ ارتفاع كل منهما ٦٥ قدما ، وعرضه ٢٥ قدما . وهى تمثل رمسيس الأكبر جالسا على عرشه ، ينظر إلى النيل بتلك العظمة الخالدة منذ نيف وثلاثة آلاف سنة .

ويشتمل المعبد على ردهة واسعة ، فيها ثمانية أعمدة على شكل تماثيل للاله أوزيرس ، ارتفاع كل منها ١٧ قدما . وقد زينت جدران الردهة بكثير من الصور الحربية ، وحولها غرف مشحونة بالنقوش البديعة ، وفى داخل المعبد ردهة أخرى تؤدى الى مذبح فيه أربعة تماثيل ملونة : أحدها للاله هرماخيس ، وآخر لرمسيس ، وثالث للاله أمون رع ، ورابع للاله بتاح . ويكاد يكون هذا المعبد سجلا شاملا لفتوحات رمسيس ومواقفه المشهورة ، فهو يشتمل على نحو الف ومائتى صورة تنطق بمجده وعظمته ، منها صورتان كبيرتان على جانبى الباب من

الداخل ، تمثله فى موقف رمزى ، وهو قابض بيده على شعور فوج من الاسرى الجاثين أمامه من مختلف الشعوب ، وبيده مقمعة وهو متحفز لسحقهم بضربة واحدة ، وأمامه الاله هرماخيس يقدم له حسام النصر ، ويتلو عليه آيات المجد والفخار . وهناك لوحة أخرى تمثل وقائعه المشهورة مع الحيثيين ، وقد جاء فى وصف إحداها القصة الآتية .

« فى العام الخامس من حكم رمسيس الثانى ـ كان جلالته فى أرض الشاة على مقربة من قادش ، وكانت الطليعة تراقب بانتباه شديد ، ولما وصل الجيش إلى شمال مدينة شبتون ، جاء إلى معسكر المصريين اثنان من عيون شاسو ، وادعيا أنهما رسولان من قبل رؤساء القبائل لاخبار الملك رمسيس بأنهم غادروا ملك الحيثيين وهجروه رغبة فى عقد محالفة مع جلالته ، وانهم أصبحوا من ذلك الحين خاضعين لحكمه ، ثم استطردا فى الحديث مع جلالته وأخبراه أن زعيم الحيثيين فى أرض حلب ، وانه يخشى الاقتراب من ملك مصر

« والواقع أن هذين الرجلين كانا جاسوسين أرسلا لكشف موضع رمسيس واستعداده الحربى ، بينما كان زعيمهم على أهبة الهجوم

« وبعد ذلك بقليل جاء كشاف مصرى إلى حضرة الملك وأخبره أن الجيش الحيثى قد ضرب معسكره خلف قادش ، وانه أفلح فى ضم وحدات ومعدات كثيرة من الأقاليم المجاورة الى جيشه

« عند ذلك جمع رمسيس رؤساء جيشه وأطلعهم على الأمر ، وأنب فرقة الاستطلاع على تقصيرها فى كشف مواطن العدو ، ثم صدرت الأوامر للجيش بالزحف على قادش ، وبينما هم يعبرون النهر اذا بالجيش الحيثى وقد أطبق عليهم ، فزأر رمسيس فى جنوده زأرة أبيه مانتو ملك طيبة ، وأسرع فسلح نفسه بالسلاح الكامل ، وركب عجلته وانتقل بها فى صفوف الاعداء ، ولم يلبث أن وجد نفسه محصورا بين الحيثيين ، ومنفصلا عن جيشه ، فدعا أباه أمون أن يعينه على أمره ، واستمات فى الدفاع ، فتكدست فى طريقة جثث القتلى ، ثم اتخذ لنفسه نفقا بين صفوف العدو ، وهو يصليهم بسهامه القاتلة حتى نجا من الهلاك الذى كان محدقا به من كل جانب » ، وقد كانت مقدمة هذا المعبد مطمورة بالرمال المنهالة عليه من الجبال ، فازالت الحكومة هذه الرمال ، وأقامت على سطح الجبل سورا كبيرا لمنع انهيالها عليه مرة أخرى ، وقد عثر هناك على آثار كثيرة نقلت إلى المتحف المصرى ،

منها مجموعة من الحجر الرملى ، تتالف من مسلتين صغيرتين ، ومذبح كانت توضع عليه القرابين ، وأربعة قردة تتعبد إلى الشمس وقت الشروق ووقت الغروب ، وهيكل بداخله تماثيل بعض الحيوانات المقدسة .

تاريخ المسيحية فى النوبة

يبدأ تاريخ المسيحية فى بلاد النوبة حوالى عام ٥٤٥ للميلاد ، حيث وصل اليها رسل من الاسكندرية يدعون أهلها الى الدين المسيحى الجديد ، وقد عطل الامبراطور جوستنيان معابد بيلاق ، وسجن كهنتها ، وأرسل تماثيل آلهتها الى القسطنطينية . وفى عام ٥٧٧ قلب الرومان هيكل الالهة أيزس الى كنيسة ، وأقاموا فيها مطرانا يدعى ثيودوروس ومن ذلك العهد أخذت المسيحية تنتشر بسرعة فى بلاد النوبة حتى عمتها فى أواخر القرن السادس للميلاد

وقد أرسل عمرو بن العاص إلى النوبة جيشا من عشرين ألف مقاتل بقيادة عبد الله بن سعد بن سرح ، حملهم على دفع الجزية ثم عاد إلى مصر .

ثم لما تولى هذا القائد على مصر بعد عمرو بن العاص ، نقض النوبيون فى أول ولايته الصلح الذى بينهم ، فامتنعوا عن دفع الجزية ، وأرسلوا سراياهم إلى صعيد مصر فعاثوا فيه نهبا وفسادا ، فغزاهم ابن أبى السرح عام ٣١ هـ وحاصر مدينة دنقلة ورماها بالمنجنيق ، فطلب ملكهم المدعو قليدورون الصلح ، وخرج اليه فى ذلة وخضوع ، فتلقاه ابن أبى السرح بالعفو والاكرام ، وعقد معه معاهدة هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته ـ عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة ، من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة »

« إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة : إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم أن لانحاربكم ، ولا ننصب لكم حربا ، ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم — على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل ببلدكم أو بطرفه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ،

وإن عليكم رد آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الاسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره الى أن ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا . وعليكم كنسه واسراجه وتكريمه . وعليكم فى كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى أمام المسلمين من أوسط رقيق بلدكم غير المعيب ، يكون فيها ذكران وأناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك الى والى أسوان ، وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم ، من حد أرض علوة إلى أرض أسوان

« فان أنتم آذيتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئا من الثلثمائة والستين رأسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من المسيح وذمة الحواريين ، وذمة من تعظمونه من أهل ملتكم ودينكم — الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك »

« كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة ٣١ هـ »

وقد جرت العادة أن يكون البقط « أى الجزية » ثلثمائة وستين رأسا لوفاء المسلمين ، وأربعين رأسا لوالى مصر وكان الولاة يدفعون للنوبيين نظير ذلك مئات الأرادب من القمح والشعير ، وكثيراً من الهدايا والصدقات .

ولما انتقلت الخلافة من بنى أمية إلى بنى العباس - حوالى عام ١٣٢ هـ طورد الأمير عبيد الله بن مروان أمير مصر فيمن طورد من الأمويين ، ففر بعبيده وأمواله إلى بلاد النوبة ، ونزل فى مدينة خاوية ، فاستعمر بعض دورها وأرسل إلى ملك النوبة يستجير به ويستأمنه على حياته ، فقدم اليه الملك فى عسكر عظيم ، وتقدم إلى الأمير عبيد الله فقبل يده فأشار اليه الأمير أن يجلس على فرش قد نضدت له ، فأبى الملك إلا أن يجلس على الأرض وقال كل ملك لا يكون متواضعا لله فهو جبار متكبر عنيد ! وأطرق الملك طويلا ثم سأل الأمير « كيف سلبتم ملككم وأخذ منكم ، وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم ؟

فاجاب أن الذى سلبنا ملكنا أقرب إلى نبينا منا

فقال له فكيف انكم تمتون الى نبيكم بقرابة وأنتم تشربون ما حرم عليكم من

الخمر ، وتلبسون الديباج وهو محرم عليكم ، ولم يفعل نبيكم شيئا من هذا ؟ وبلغنا أنك لما وليت مصر كنت تخرج الى الصيد ، وتكلف أهل القرى ما لايطيقون ، كل ذلك فى سبيل كركى تصيده »

وصار ملك النوبة يعدد على الأمير جملة مساوىء وهو صامت لايجيب . ثم قال له « فلما استحللتم ما حرمه الله عليكم سلبتم ملككم ، وأوقع الله بكم نقمة لم تبلغ غايتها منكم وأنا أخاف على نفسى ان أنزلتك عندى أن تحل بى تلك النقمة التى حلت بكم ، فان البلاء عام ، والرحمة مخصوصة »

ثم أمره بالرحيل عن بلاده ، فعاد الى مصر حيث قبض عليه عمال الخليفة المنصور وبعثوا به الى بغداد فسجن فيها الى أن مات

وفى عهد الدولة الأموية والدولة العباسية كان فى أسوان كثير من العرب من قبائل قحطان وربيعة ومضر ، وخلق كثير من قريش ، وكانت لهم ضياع فى النوبة فلما دخل المأمون مصر استعداه ملك النوبة على هؤلاء وقال بأن هذه الضياع له ، وأن بعض عبيده من النوبيين باعوها للمسلمين بغير حق . فأحال المأمون هذه الدعوى على والى أسوان - ورأى المسلمون أن يفسدوا على الملك محاولته ، فأوصوا البائعين أن يقرروا أمام الوالى أنهم ليسوا عبيدا للملك وإن علاقتهم به إنما تكون تكون كعلاقة المسلمين بملوكهم ولما جمع الوالى بينهم قرروا ذلك ، فسقطت دعوى الملك ، ومن ذلك العهد صار سكان تلك الضياع المجاورة لأسوان أحرارا لاتسرى عليهم شريعة ملك النوبة من حيث استعباد رعاياه ، ومن ثم نشأت العداوة بين ملوك النوبة والمسلمين ، فصاروا يتحينون الفرص للاغارة على أسوان وبلاد الصعيد

كانت أسوان مقر إمارة بيت كنز الدولة الذين هبطوا من الحجاز فى خلافة المتوكل على الله - حوالى عام ٢٤٢ هـ - وصاروا حكاما على ذلك الأقليم من قبل الحكومة المصرية ، ثم استقلوا بالحكم فترة من الزمن ، وامتد نفوذهم فيها

وفى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى ، كانت أسوان ضحية حروب طويلة بين العرب والحكومة المصرية ، وبين العرب وهوارة ، حتى أقفرت وصارت خرابا بلقعا ، إلى أن استعمرت بعد الفتح العثمانى من جديد

وأشهر الغزوات التى وقعت بين مصر والنوبة فى العهد المسيحى ، غزوة ملك النوبة لأسوان عام — ٣٤٤ هـ ٩٥٦ م — حيث قتل وسبى من أهلها خلقا كثيرا ، فخرج إليه محمد بن عبد الله الخازن من قبل أنوجور الاخشيد ، وزحف على بلاده فى البر والبحر ، حتى أدركه وأوقع به .

وهجم نائب ملك النوبة على أسوان عام ٣٥١ هـ فخربها وأوقع بأهلها . وتوغل فى صعيد مصر حتى مدينة اخميم . وكان ذلك عقب دخول القائد جوهر الصقلى أرض مصر ، فلم يزد جوهر على أن دعا ملك النوبة إلى الاسلام وأداء ما عليه من الجزية ، فلم يجبه إلى شىء من هذا ، وإنما أكرم رسله وزودهم بالهدايا

وبعد سقوط الدولة الفاطمية ، أراد السلطان صلاح الدين عام ٥٦٨ هـ فتح النوبة ، فجهز جيشا بقيادة أخيه شمس الدولة والأمير كنز الدولة حامى أسوان . ففتح هذا الجيش بلاد النوبة إلى ابريم . ولما لم ير صلاح الدين فائدة من الاستيلاء على تلك البلاد المجدبة ، أعاد منها جيشه وترك فيها حامية وأميراً من الاكراد ثم عاد فسحب هذه الحامية بعد غرق أميرها هناك . ونقضت النوبة عهدها مع صلاح الدين فى عهد المماليك ، فجرد عليها جيشا عام ٥٧٤ هـ أخضعها لشروطه

وفى عام ٦٧٤ هـ أغار داود ملك النوبة على أسوان وأحرق سواقى كثيرة ، وأراد التوغل فى الصعيد فتصدى له الأمير نجم الدين عمر أحد أمراء بيت كنز الدولة ـ ورده إلى النوبة . واتفق أن سكندة ابن أخت داود ملك النوبة ، قدم إلى السلطان الظاهر بيبرس ، مستجيرا من بغى خاله . فتذرع السلطان بذلك وأراد الاقتصاص منه ، فجهز جيشا من المماليك والعرب وسيره إلى بلاد النوبة ، ففتحها بعد معارك كبيرة ، وأسر فيمن أسر الملك داود وأسرته . ثم أقيم سكندة ملكا على النوبة ، وتعهد بأداء الجزية المقررة ، وجعل نصف ايراد النوبة لعمارة البلاد وحفظها ونصفه للسلطان ، ونزل له عن منطقة الجنادل لقربها من أسوان وقرر إهداء مجموعة كبيرة من الفيلة والزراف والفهود والابل والبقر ـ تهدى اليه كل عام .

وأرسل السلطان المنصور قلاوون جيشا إلى النوبة عام ٦٨٦ هـ ، بعد أن استنفر العربان أولاد أبى بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان وأولاد كنز الدولة وجماعة من بنى هلال ، فاستولى على البلاد الى جنوب دنقلة ، وضرب عليها الجزية ثم عاد

وفى عهد السلطان الناصر ابن قلاوون ، هاجر الى مصر أمير نوبى يدعى نشلى ، فأسلم وأقام عند السلطان ، وكان على النوبة إذ ذاك ملك اسمه كربيس قد امتنع عن أداء الجزية ، فجهز اليه السلطان جيشا عام ٧١٦ هـ وبعث معه نشلى ملكا على النوبة ، ففر كربيس إلى أرض علوة ، واستقر نشلى فى الملك إلى أن تآمر عليه النوبيون وقتلوه بمالأة جماعة من العرب ، وكان كربيس قد حمل الى السلطان فى

مصر ، فأبقاه عنده وأسلم لحسن اسلامه . فلما قتل نشلى أرسله السلطان ملكا على النوبة ، ولم يلبث أن أسلمت جميع رعيته . فكان هذا آخر عهد المسيحية فى بلاد النوبة

وفى دنقلة العجوز جامع قائم على أطلال كنيسة ، وعلى واجهته حجر من الرخام ، منقوش عليه تاريخ افتتاح هذه العاصمة فى ٢٠ من ربيع الأول سنة ٧١٧ هـ و ٩ من يونية سنة ١٣١٨ م على يد سيف الدين بن عبد الله الناصر ، وأحد امراء بيت كنز الدولة .

وقائع البجة

فى الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر ، يقطن منذ القدم عنصر حامى يعرف بالبجة ، وهو عنصر قوى شديد البأس ، كان له مع قدماء مصر والنوبة وقائع كثيرة ، وأشهر بلادهم مدينة عيذاب على البحر الأحمر تجاه جدة ، وكانت فيما مضى مركزاً هاما لنقل الحجاج والتجارة . وتشمل بلاد البجة منطقة العلاقى ، التى عرفت من أول عهد الفتح الاسلامى بهذا الاسم ، كما عرفت قديما باسم اكيتا ، وفى هذه المنطقة تقع مناجم الذهب والزمرد ، التى استغلها الفراعنة عهودا طويلة ، ولا تزال بها بقية تعمل فيها بعض الشركات الاجنبية . وظل البجة عنصرا مستقلا فى تلك الصحراء إلى عهد الفتح الاسلامى ، حيث وفد عليها كثير من القبائل العربية ، لاستغلال مافيها من المعادن . واختلطت بسراة البجة فى المعاملة والنسب

وكان البجة كثيرا ما يوقعون بالمسلمين الذين فى المعدن ، ويغيرون على قرى النوبة والصعيد الأعلى ، وهم فى أمن ومنعة فى الصحراء ، فبعث اليهم المأمون جيشا بقيادة عبد الله بن الجهم عام ٢١٦ هـ وكانت له معهم وقائع كثيرة ، ثم فرض عليهم جزية قدرها مائة من الابل أو ثلثمائة دينار فى كل عام .

وأقام البجة على ذلك مدة قصيرة ، ثم عادوا إلى غزو الصعيد والايقاع بمسلمى المعدن ، وكان ذلك فى عهد المتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) ، فاستشار الناس فى أمرهم فعلم أنهم ذوو قوة ومنعة فى الصحراء ، وأن الطريق اليهم يستغرق مسيرة شهر بين المهامه والجبال ، ففترت همته عن غزوهم ، ولكنهم أمعنوا فى البغى والعدوان ، واستطار شرهم فى الصعيد ، فولى المتوكل محمدا بن عبد الله القمى على الصعيد الأعلى وأمره بحرب البجة . فسار اليهم عام ٢٤١ هـ بجيش عرمرم مؤلف من عشرين ألف فارس وراجل ، ووجه إلى البحر الأحمر سبع سفن محملة بالمؤن والاقوات ، وأمرها أن توافيه عند ساحل البحر مما يلى بلاد البجة ، ثم زحف

بجيشه حتى جاوز المعدن وانتهى إلى حصونهم ، فخرج اليه ملكهم المدعو على بابا فى أضعاف جيشه ، ودار بينهما القتال فى غير حزم ولا بلاء ، فقد كان ملك البجة يرمى إلى مراوغتهم حتى ينفد ما لديهم من الزاد فيأخذهم بغير قتال ! فلما وصلت السفن واستولى المسلمون على ما فيها من الأزواد ، ناجزهم البجة بصدق وجلاد ،

وكانوا على ابل فارهة نفورة ، فأمر القمى بوضع الأجراس فى أعناق الخيل وحمل بها على البجة فذعرت الابل وفرت هاربة بهم فى الجبال والوديان ، وأوسعهم المسلمون قتلا وأسرا ، حتى طلب ملكهم الصلح والأمان ، فصالحه القمى على أداء ما عليه من الجزية ، وتمكين المسلمين من العمل فى المعدن

واتصل البجة بمهاجرى العرب ، واعتنق الحدارية الاسلام — وهم صفوة القوم — ثم تبعهم الرنافج باسلام ضعيف . ومن ذرية هؤلاء قبائل العبابدة والبشارية

القبائل العربية

وأول ما نزلت القبائل العربية بالنوبة ، إنما نزلت فى صحرائها الشرقية ، وعلى الأخص فى وادى العلاقى ، حيث معادن الذهب والزمرد فان المعاهدة التى بين النوبة والمسلمين ، كانت تحرم أن ينزل أحدهما فى بلد الآخر إلا مجتازا غير مقيم فيه

وبسطت ربيعة نفوذها على البجة ، وكفت عدوانهم عن ديار مصر ، ولذلك كان لها السيادة على المعدن ، والغلبة على باقى القبائل العربية ، وكان رئيسها بشر ابن مروان بن اسحاق — حوالى عام ٣٣٢ هـ يركب فى ثلاثة آلاف من قبائل ربيعة ومضر وأحلافها من العرب وثلاثين ألف حراب على النجب من الحدارية المسلمين !

ولما خرب المعدن ونضب معينه تفرقت القبائل العربية على النيل ، وانتشرت فى النوبة السفلى والعليا ، وتلاشى العنصر النوبى واللغة النوبية فى النوبة العليا لكثرة من هاجر اليها من العرب ، ولأن أغلب أهلها كانوا من الزنوج الذين انسحبوا بأزاء هجرة العرب إلى الجنوب

عرب العليقات

ونزل من القبائل العربية ، فى منطقة مستقلة بين بلدتى المضيق وكرسكو عرب ، يعرفون بعرب العليقات ، نسبة إلى وادى العلاقى الذى نزلوا منه بعد خرابه . وهم يدعونه من النسبة إلى عقيل بن أبى طالب .

واشتهر من ربيعة بيت لقب أمراؤه بكنز الدولة وأول من حمل منهم هذا اللقب الأمير محمد بن عبد الله حامى أسوان — فانه ظفر بأبى ركوة الأموى

— حوالى عام ٣٩٧ هـ — وكان أبو زكوة ثائرا على الحاكم بامر الله الفاطمى فاكرمه الحاكم اكراما عظيما وخلع عليه هذا اللقب الكريم ، فصار من ذلك العهد علما على هذا البيت وأمرائه . وقد ربض هؤلاء الأمراء على حدود مصر الجنوبية يردون عنها غارات النوبة وعدوان البجة . وبسطوا سلطانهم على الصعيد والنوبة بعد إسلامها — فقامت لهم دولة فى سنار حوالى القرق التاسع الهجرى ، وصار نفوذهم فى فترة من الزمن يمتد من جبال فازغلى جنوبا إلى حدود النوبة شمالا . أما فى مصر فكان سلطانهم يمتد من أسوان الى نهاية الأعمال القوصية مدى ستمائة عام .

ويذكر التاريخ لأمراء هذا البيت معارك كثيرة مع السلطان صلاح الدين وبعض الولاة وقبائل هوارة . وذرية هذا البيت منتشرون فى النوبة والصعيد ، ومن الخطأ تسمية النوبيين بالبرابرة



أحد مشايخ العرب فى السودان

الفصل السابع

الحكومات العربية الاسلامية فى السودان

كثرت هجرة القبائل العربية إلى مصر والسودان بعد ظهور الاسلام فى الجزيرة العربية وفتوحاته وقد حكم السودان بقواعد الشريعة الاسلامية ملوك سنار والفور والمهدى والتعايشى .

غزا عمرو بن العاص مصر فى ديسمبر سنة ٦٣٩ م ذى الحجة سنة ١٨ هـ وكان معه أربعة ألاف مقاتل ثم لحقت به أربعة ألاف أخرى وفى يونية سنة ٦٤٠ م رجب سنة ١٩ هـ وصل الزبير بن العوام ومعه ١٢٠٠٠ مقاتل وفتحوا الاسكندرية فى نوفمبر سنة ٦٤١ م ذى الحجة سنة ٢٠ هـ وكان جيش المسلمين خليطا من القبائل العربية جميعا ، وكان بين القبائل العربية الثانى التى اشتركت فى الفتح تفصيلا ، لخم وجزام حتى دعاهم عمر بن الخطاب الخليفة بالقبائل المصرية . وفى سنة ٢٢ هـ ٦٤٢ م ندب عبد الله بن أبى سرح لغزو النوبة وكان معه عشرون الف مقاتل ، وفى عهد الطولونية زاد عدد الوافدين من العرب ، وكانت أكبر الفرص للمهاجرة مجىء الوالى الجديد فقد كان يرافقه عشرون الف مقاتل لم يكن يرغب الكثير منهم فى الرجوع إلى سوريا أو بلاد العرب

وفى عهد الأموية الذى انتهى سنة ١٣٣ هـ ٧٥٠ م كانت القبائل الوافدة على مصر ٢٢ قبيلة منها سبعة من قريش معظمهم من بنى أمية وسبعة من قيس عيلان وواحدة من جهينة واثنان من الأزد وثلاث من حمير وواحدة من لخم وواحدة غير معروفة النسب وفى عهد العباسية من سنه ١٣٣ هـ ٧٥٠ م إلى سنة ٢٤٢ هـ ٨٥٦ م كانت القبائل الوافدة على مصر ٣٣ قبيلة معروف نسبها تقريبا منها خمسة عشر عباسية وثلاث من تميم وخمس من الأزد واثنان من طيء وواحدة من لخم واثنان من مذحج واثنان من بجيلة واثنان من حمير

ولما تغلب العباسيون على الأمويين فر هؤلاء إلى مختلف الأقطار الأسلامية ومنها مصر والسودان ، وأحدث ذلك رد فعل فى قبائل مصر خصوصا قيسا . فنى

سنة ١٦٦ هـ ٧٨٢ م ادعى أحد الأمويين الخلافة فى الصعيد ونجحت دعوته ولكنه قتل . وفى سنة ٢١٦ هـ ٨٣١ م كثرت قلاقل قيس وتمكنوا من إثارة القبط أيضا فثارا معا ثورة هائلة جاء الخليفة العباسى المأمون بنفسه لاخضاعها فى المحرم من سنة ٢١٧ هـ ومنذ ذلك التاريخ فازت العرب بالغلبة ، يضاف إلى ذلك إذلال عبد الله بن الجهم للبجة وأسره ملكها « على بابا » وأرسله إلى بغداد . فكانت معه المعاهدة المشهورة التى تمكن العرب بعدها من التوغل فى بلاد النوبة وامتلاك مناجم الذهب فى عيذاب ، مما فضلت معه ربيعة وجهينة أن تسكن الصحراء الشرقية ثم تصاهرتا مع البجة

عرب السودان

والعرب بدنات كثيرة تفوق الثلاثين ، وهم غير عرب النوبة الذين وصفناهم وأشهر هذه البدنات .

(ا) الفونج وهم الذين أسسوا مملكة سنار القديمة مع العابدلاب — قيل إنهم عرب أمويون نجوا من بنى العباس — وقيل لا بل هم سود

(ب) العابدلاب — مركزهم الحلفاية « خرطوم بحرى » نسبة إلى عبد الله جماع الذى أسس مملكة سنار مع الفونج — ومعنى آب باللغة البيجاوية القبيلة

(ح) الهمج - وزراء الفونج أيام دولتهم ويدعون النسبة إلى الجعليين .

وقد حكموا جبال الفونج بعد فتح محمد على - حكمها الشيخ ادريس الذى سميت الجبال باسمه

(د) والجعليون - ومنهم الملك « نمر » الذى غدر باسماعيل باشا - وهم شجعان أهل ككروطافية ومعناها باللغة السودانية « كرسى وملك » وهم منتشرون فى السودان والحبشة وهم فوق الثلاثين بدنة - ومنهم ود النجومى

(هـ) الجموعية - ومن فروعهم الفتيحاب - سكان أم درمان والخرطوم الأصليون وهم يدعون أن جدهم هو « أبو مرخة » الذى حضر أبوه وعمه إلى السودان هربا من العباسيين فتزوج أبو مرخة بنات عمه السبعة واحدة بعد واحدة - ثم صار جدا لقبائل عربية .

(و) والزبالعة يقال إن أصلها ليس عربيا - يسكنون جزيرة سنار والبلاد التى بين الرهد والدندر وهى شيعة تعرف فى السودان بالملة الخامسة - ومؤسس شيعتهم

رجل اسمه « أبوجريد » وهو عندهم رسول الله ولا يعرفون نبيا آخر سواه وقد أقاموا رمزا إلى قبره فى حلة «بنزفا» شرق النيل الأزرق بين كركوج والرصيرص حيث يجتمعون للأذكار مساء كل أحد وثلثاء ويرددون قولهم « لا إله إلا الله أبوجريد نبى الله ».

وفى شهر صفر من كل سنة يعتزل مشايخهم إلى الخلوات للرياضة فيقيم كل منهم فى خلوة ، ويجعل عليها الحراس لكيلا يدخل عليه أحد مدة سبعة أيام ، فاذا انتهت خرج من الخلوة ودعا رهطه من الرجال والنساء وأقام حلقة للذكر - قيل إنهم ونساؤهم جميلات بياض بحمرة نعيم وترف وهم يتجنبون مصاهرة العرب ، والعرب كذلك يتجنبونهم ، وقيل فيهم سحرة وطب .

٦ — والزيادية — ومركزهم مليط — يجرون فى الملح والقطرون وينسبون لأبى زيد الهلالى أحد عرب نجد

٧ — والتعايشة — ومسكنهم مندرة — كانوا يشتغلون فى خطف الرقيق ، وهم ينسبون إلى جهينة ومنهم الخليفة عبد الله التعايشى

٨ — والحمران — مركزهم قرب فوز رجب وكسلا — وهم قليلو العدد ولكنهم من أفرس العرب وأجرؤهم ، ونساؤهم من أجمل النساء وأشدهم تحصناً وعفافاً ومنهن « تاجوج ومحلق »

وتاجوج هذه بنت الشيخ أوكد شيخ الحمران ظهرت فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى ، أجمل نساء السودان يفد اليها الناس للتفرج - تزوجها ابن عم يسمى محلقاً وأحبها حب عبادة طلب يوما منها أن تمشى متجردة فأبت فألح فتكدرت فألح فقالت إذا أجبتك فماذا تفعل قال « أنفذ كل طلب لك » . قالت « أقسم » فأقسم فتجردت ومشت أمامه ذهاباً وإياباً إلى أن قال كفى . ثم قال فاطلبى الآن ما تريدين قالت : أن تطلقنى فى الحال

فطار صوابه ، ووقع على قدميها يقبلهما ويسألها العفو فأبت إلا البر بقسمه فطلقها ، وهام على وجهه ينشد فى حبها الأشعار كمجنون ليلى

ومن ذلك قوله :

أنا الجنب التعيس سويت بايدى فى كلمة مزاح قليت غميصى
فواطر أم قبيل ملح الرشيدى تاجوج ما أتلقت ياخملة زيدى

والمعنى « الجنب » المشوم « سويت بايدى » جنيت على نفسى « والفواطر » الثنايا « أم قبيل » الجميلة « والخملة » الهم

ثم أن تاجوج تزوجت شابا من وجهاء قبيلتها فتأثره محلق وكان أفرس منه ثم كان يأخذ منه ماله المرة بعدالمرة ويرده إليه إكراماً لها . ولما اشتد عليه الكرب وأضناه الحب الح على أهله أن يمكنوه من رؤيتها وهو طريح الفراش فذهبوا اليها وأخبروها بما آل اليه حاله فرقت له وذهبت فاذا نساء حوله ينددن بها ليصرفن قلبه عنها فلما دخلت لم يسعهن إلا الوقوف احتراما لجمالها وإعجاباً ، وأجلسنها إلى جانب سريره فلما رأته على تلك الحال وقد هزله المرض تنهدت وقالت « أإلى هذه الحال وصلت ياحشاى وأنا لا أدرى ؟ » ثم وضعت رأسه على ركبتيها ، وكان قد أغمى عليه فأفاق ونظر اليها وأنشد ما أنشد فيها

أسباب هجرة العرب : يقول مستر مكيكل السكرتير الادارى السابق فى حكومة السودان ، ان الاسباب هى :

١ — مراعى السودان أخصب من أراضى جزيرة العرب ، وملجأ أمن ، وموضع لنهب العبيد والأهالى ، وليس البحر الأحمر إلا فلق عرضى فى أرض واحدة هى السودان والجزيرة ، والجو والصحارى والتلال فيهما واحدة ولكن حالت دون أمانيهم فى الهجرة مدة الفتح تفضيل ولاتهم البقاء بجانبهم وحيلولة حكام النوبة دونهم وعدم السماح لهم بالدخول إلى السودان عن طريق النيل

٢ — أقاليم المستنقعات يسكنها زنوج يقتاتون بالماشية ويمتازون بطول السوق والتلال يسكنها قوم اصغر وانشط من سابقيهم

٣ — العرب يسكنون أواسط السودان ، وأطراف ذلك الأقليم الجنوبى الملىء بالمستنقعات والصحارى الشمالية الصالحة للسكنى فأقاموا بين الزنوج فى الجنوب ، وبين المراعى فى الشمال - وقد ظلمهم « دواتى » فى وصفه اياهم بالجنون وقطع الطريق و و . . .

٤ — منذ عهد ابن طولون تغيرت الحال بالنسبة للعرب بمصر لأن الولاة كانوا غير عرب بل إن بعضهم استبد مع العرب ، وزادت مصيبتهم منذ فتح سليم . وصاروا فى نظر الحكومة والأهالى قوماً فضوليين لا يخضعون لتدريب حربى منظم ، بل سبق عصره أن الحكومة كادت تخرجهم من حكم القانون ،

وفى إبان الثورات التى كانت تحدث كانوا يتسللون إلى الجنوب

٥ ــ مملكة النوبة المسيحية تقع على نهر النيل وراء الشلال الأول وعاصمتها دنقلة وتمتد الى الجزيرة . وكان يسكن جزؤها الشرقى ، وشمالها الشرقى قبائل البجة الرحل الهمجية التى قامت على انقاض مملكة مروى القديمة فى القرن السادس الميلادى ، ثم دخلت فى النصرانية على يد قس بعثت به الامبراطورة « ثيودورا » زوجة الامبراطور جستنيان ويقال إنهم صنف من الزنوج ، بل قيل هم خليط من قدماء الفراعنة واللوبيين المندمجين فى الزنوج وعاشت نحو ٦٠٠ سنة بعد فتح العرب مصر

٦ ــ فتح عمرو مصر ، وجرد حملة من ٢٠ الف مقاتل عليها عبد الله بن سعيد لغزو بلاد النوبة فتوجهت إليها ، وفرضت عليها جزية من العبيد . ثم أصبح عبدالله واليا على الوجه القبلى فجرد حملة أخرى بعد عشر سنين وصلت إلى دنقلا ، وحطمت كنيستها ، وبنت مسجداً ووضعت شروطا معتدلة وأخذ جزية قدرها ٣٦٠ عبدا سنويا وبقيت المعاهدة ستة قرون تقريبا ، وكان العرب يقدمون هدايا لملوك النوبة فبقيت المودة ، ثم حدث نزاع بين البجة التى فى شرق السودان وبين العرب لأن البجة كانت تريد غزو الوجه القبلى فأرسل إليهم العرب كتيبة أدبتهم وعقدت معاهدة بينهما كالمعاهدة التى بين العرب والنوبة

العرب فى السودان اليوم

ينقسمون بالنسبة لجغرافية البلاد إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ سكان « ا » الصحارى فى الشمال الأقصى ـ سكان « ب » السهول الواسعة ذات المراعى الطيبة المتفرقة فى الوديان ـ الأراضى « ج » الرملية الغنية المترامية الأطراف حيث الغابات والامطار وحيث تنجح زراعة الذرة والسمسم ـ ثم على خط عرض ١٢ حيث الغابات جميلة تصلح للماشية ، ثم منطقة الزنوج الحارة

٢ ــ السكان الذين على النيل من العرب غير متنقلين . وقد تحضروا ـ والذين فى داخلية القطر ماعدا الشمال الاقصى تصبغهم صبغة البداوة ويميون الشمال ومعهم إبلهم من اغسطس الى نوفمبر حيث المرعى خصب ، والذين فى الغرب إلى حدود الصحراء الكبرى الجنوبية ـ والذين فى الشرق إلى سهول البطانة الواقعة بين عطبرة والنيل الأزرق ـ والبقارة الذين يسكنون منطقة الزنوج يرحلون منها مدة شهرى ابريل ومايو ميممين الشمال فى المنطقة الوسطى لأن المطر عندئذ يهطل عندهم بكثرة

٣ ــ المعاهدات والمصاهرات بين العرب والزنوج ـ كم فضت من مشاكل الا

فى بعض الجهات مثل النوبة فلا تزال السهول للعرب والروابى والتلال للنوبة

٤ — اتحد العرب والزنوج منذ أوائل القرن الثالث عشر إلى اليوم كما اتحد النوبيون والعرب فى الشمال

٥ — العرب الذين تحضروا على النيل تزاوجوا بعضهم من بعض ولونهم الاسود نتيجة التسرى وفى أنسابهم ضعف ، أما البادون فيقربون من الصحة

٦ — سكان السودان بعضهم يدعى النسب إلى جهينة والبعض إلى فزارة وهذه هى القبائل الكبرى . وهى تقتنى الماشية والجمال ، والبعض ينتسب إلى العباس وهم شمال الخرطوم والجزء الجنوبى من النيل الأزرق . والقبائل المولدة من الزنوج التى فى داخلية القطر ، والأهالى مهتمون بهذه الأنساب

٧ — التسرى بالزنجيات مدة حكم مصر والدراويش أبقى من العادات الزنجية الشىء الكثير فى العرب

٨ — ترمى سياسة حكومة السودان إلى تحاشى التدخل فى شئون العرب وتلقى العبء على رؤسائهم



من قبيلة الهدندوة من البجة

الفصل الثامن

العباسيون والفواطم والاخشيديون والمماليك

وقد تدفق العرب المسلمون إلى السودان من جهات مختلفة ، أكثرها مصر ، ثم من الحجاز واليمن إلى شرقى السودان ، ومن بلاد المغرب إلى غربى السودان .

فى سنة ٨٣٣ ميلادية — تراخى أهل النوبة فى دفع البقط « الجزية » فغل مسلمو الحدود أيديهم عن إرسال ما اعتادوا إرساله من المؤونة إلى ملك النوبة فصمم زكريا بن بحنس ملك النوبة بايعاز من ابنه « فيرقى » على قبض يده عن دفع الجزية وأن يتأهب إذا دعت الحال لقتال سيده الخليفة المعتصم « ٨٣٣ — ٨٤٢ »

فشد « فيرقى » الرحال شطر بغداد للدفاع عن مطالب أبيه إلى الخليفة وانضم إليه فى طريقه ملك البجه ، فلما وصل إلى بغداد أكرم الخليفة المعتصم وفادته وقبل هداياه وكافأه بأضعافها

وطلب اليه أن يبسط له ما يريد ، فرجا الأمير النوبى أن يفك عقال من لدى الخليفة من أسرى النوبيين فكان له ما أراد فوراً وزاد فى اكرامه فأهداه القصر النازل به بالعراق وابتاع له قصرين آخرين بمصر أحدهما بالجيزة والآخر ببنى وائل بالقاهرة « قسم الوايلى » ولما طرح أمر البقط على الخليفة ظهر له أن ما منح من النوبيين فى الهدايا والعطايا يربو على بقطهم فأنكر عطية الخمر وأجرى الحبوب والثياب التى اعتيد ارسالها وأن يدفع البقط كل ثلاث سنين ثم طلب الأمير النوبى أن تزال مسلحة القصر « حصنها » من بلادهم وتنقل الى الحدود وأن ينظر بعدل فى أمر الأرض التى أدعى الأمير النوبى على قوم من أسوان أنهم اشتروا تلك الأملاك من عبيده فأمر الخليفة أن ينظر بعدل فى أمر تلك الأراضى النوبية التى اشتراها بعض أهالى أسوان (١)

---

(١) انظر المقريزي ص ٢٠١ وبوركارت ص ٥١٤ والمسعودى

وفى سنة ٨٥٤ م حنث البجة (١) بعهودهم وأبوا دفع الجزية وذبحوا الضباط والمعدنين الذين كانوا يشتغلون باستخراج الزمرد من الصحراء الشرقية « صحراء عيذاب » وغزوا مصر ونهبوا مدينتى اسنا وادفو فبعث حاكم مصر إلى الخليفة ببغداد رسالة بذلك ، فعقد هذا العزيمة على الاقتصاص من الثائرين . فسرعان ماجمعت الجيوش فى كور قفط واسنا وأرمنت وأسوان على النيل وفى القصير على البحر الأحمر وزودت بعدد عظيم من الأسلحة والخيل والابل وغير ذلك وأعدت عند القلزم سبع سفن محملة بالمؤن والذخائر وأقلعت إلى سنجا بالقرب من عيذاب على مسافة سبعة عشر يوماً من قوص

فسار اليهم محمد بن القمى فى جيش عدده سبعة آلاف مقاتل وجد فى الصحراء إلى مناجم الزمرد ووصل إلى دنقلة فاستعد « على بابا » ملك البجاة لملاقاته ولكن عرى جنوده وقصر رماحهم أضعف مركزهم أمام العرب فعمدوا إلى المقاومة حتى كادوا يهلكون العرب ولما وصلت السفن من القلزم اشتد ساعد المسلمين وحمل قائدهم برجله وركبه مكبرين على السود وفتك بهم فتكا ذريعاً حتى ولوا الأدبار لاحقين بملكهم الذى طلب الصلح راضياً بدفع الجزية « البقط » ولما أقبل إلى محمد القمى أحسن لقاءه وأكرمه وحمله على زيارة الفسطاط

وفى سنة ٨٥٥ م زار هذا الملك الخليفة فى بغداد وتعهد الملك بأن لا يتعرض للمسلمين فى مناجم الزمرد (٢)

وفى سنة ٨٧٨ م ذهب أبو عبد الرحمن بن عبد الله العمرى الى مناجم الذهب بالصحراء الشرقية ومعه ستة آلاف جمل وعدد عظيم من الرجال واستمر مدة يستخرج الذهب إلا أن عرب تلك المنطقة ، كبدوه متاعب جمة فرحل الى شنكير Shankir جنوبى دنقله وهناك هزم النوبيين بقيادة ملكهم جرجس

وفى سنة ٩٥٦ هاجم (٣) ملك النوبيين مدينة أسوان وقتل كثيرا من المسلمين وفى السنة التالية سار اليه محمد بن عبد الله الخازن من قبل أنورجور الأخشيد وهزمه وأرسل عددا من الأسرى إلى مصر واستولى على أبريم وأخذ منها ١٥٠ أسيرا وكثيرا من الرؤوس

---

(١) انظر المسعودي — وبدج ص ١٩٠ وابن الأثير ج ٧ ص ٢٩

(٢) (راجع كتاب بوركات) (Burckhardt) وابن ماسكويه ٥٠٨ — ٥٠٩ وستانلى ابن بول ص ٤١ — ٤٢

(٣) الدكتور محجوب ثابت مقال « بالأهرام » ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٤ « للذكرى والتاريخ »

قال المتنبي من قصيدة مشهورة سنة ٣٤٦ هـ يمدح بها كافور الاخشيدى « ٩٦٦ — ٩٦٨ م »

يصرف الأمر من مصر إلى عدن إلى الحجاز فأرض الزنج فالنوب

وبعد ذلك ببضع سنين غزا النوبيون مصر للمرة الثانية واستولوا على الصعيد حتى مدينة أخميم شمالا .

وفى سنة ٩٦٩ أرسل جوهر الصقلى حاكم مصر بعثة إلى جرجس ملك النوبة لأخذ الجزية المعتادة ودعوته إلى الاسلام فلما وصل الرسول احمد بن سليم إلى ملك النوبة رحب به وبالغ فى إكرامه ودفع الجزية الا أنه بقى على مسيحيته .

وفى سنة ١٠٠٥ ميلادية اضطرب حبل السلم فى النوبة فقد استولى أحد سلالة بنى أمية الوليد بن هشام الخارجى ، وكان يكنى « أبا ركوة » نسبة إلى القربه التى كان يحملها إلى أسفاره سنة الصوفية ، على برقة وهزم جيوش الخليفة الحاكم بأمر الله وغزا مصر وشتت شمل جيوشه عند الجيزة ولكن وجد أن الضرورة تحتم عليه التقهقر إلى النوبة وهناك انضم إليه عدد عظيم من أهلها فما لبث أن لحقت به جيوش الحاكم وهزمه هزيمة منكرة وجز رأسه ورأس ثلاثين ألفا من أتباعه وأرسلت إلى مصر ثم طافوا بها مدن سوريا محمولة على مائة جمل وبعد ذلك ألقيت فى الفرات .

وقال فى ذلك المؤرخ الكبير الحجة الثبت أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الأثير فى كامله : —

« فى سنة ٣٩٧ هـ ١٠٠٧ م سار « أبو ركوة » إلى بلد النوبة فلما بلغ إلى حصن يعرف بحصن الجبل للنوبة أظهر أنه رسول من « الحاكم » إلى ملكهم فقال له صاحب الحصن « الملك عليل ولا بد من استخراج أمره فى مسيرك لسيدى » ، وبلغ الفضل الخبر فأرسل إلى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته ، فوكل به من يحفظه وأرسل إلى الملك فى الحال وكان ملك النوبة قد توفى وملك ولده فأمر أن يسلم الى نائب الحاكم فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقيه الفضل وأكرمه وأنزله فى مضاربه وحمله الى مصر فأشهر به وطيف به فألبس طرطوراً وجعل خلفه قرداً يصفعه كان معلما بذلك ثم حمل الى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفى قبل وصوله فقطع رأسه وصلب : وبالغ الحاكم فى اكرام الفضل الى حد أنه عاده فى مرضه دفعتين فاستعظم الناس ذلك ثم أنه عمل فى قتل الفضل لما عوفى فقتله . »

وفى سنة ١١٧٣ م توجه القائد شمس الدولة توران شاه وكان يلقب بفخر الدين الأخ الأكبر لصلاح الدين بحملة إلى بلاد النوبة بقصد جباية الجزية ، وأن يرى هل تصلح تلك البلاد لأن تكون ملجأ لصلاح الدين اذا ما اضطر إلى الفرار من وجه سيده نور الدين عند قدومه إلى مصر ، فعبر توران شاه البحر من اليمن إلى بلاد النوبة بقصد جباية الجزية وساق الأهالى أمامه حتى وصل إلى « أبريم » وكانت مزودة بكميات عظيمة من المؤن والذخائر ، وبالرغم مما أبداه النوبيون من الاستبسال فى الدفاع عنها فقد هزموا ودمرت المدينة ووقع فى أسر توران شاه أهل المدينة أجمع وقد بلغوا نحو ٧٠٠,٠٠٠ من رجال ونساء وأطفال ووجدوا بالمدينة ٧٠٠ خنزير ، بادر المسلمون بقتلها ثم أمر بنزع الصليب من الكنيسة ، وسلب أتباعه ما كان بها ثم أذن فى قبتها للصلاة وأسر مطران المدينة واعتقل فى قلعة التل الحصينة وعثر توران شاه فى المدينة على كمية كبيرة من القطن أرسلها إلى قوص حيث بيعت ثم رحل من البلاد بعد أن ترك قوة من الفرسان مزودة بالمؤونة والسلاح والذخيرة فى « أبريم »

وقد روى أبو صالح أن صلاح الدين ذهب مع البطريرك انبا ميخائيل ليطلب المعونة من جرجس ملك النوبة فغضب هذا للمعاملة التى عومل بها البطريق ووصل إلى مصر على رأس جيش يبلغ نحو ١٠٠ ألف مقاتل وما يماثل هذا العدد من الابل واتجه متقدماً فيها مخرباً ومدمراً حتى وصل إلى القاهرة وقد وضح المؤرخ الانكليزى بطلر أن هذا الحادث وقع فى حكم مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية « ٧٥٠ — ٧٥٤ م » فى عهد أمير مصر عبد الملك بن موسى بن نصير لا صلاح الدين

وفى سنة ١١٧٤ م هزمت جيوش صلاح الدين كنز الدولة حاكم أسوان الثائر الذى كان قد تقدم إلى القاهرة بجيش من العرب والعبيد ووقعت معركة شديدة عند قرية طود « مركز الأقصر » مزقت فيها جيوش كنز الدولة شر ممزق وقد ولى الأدبار ثم خيم السلام بعد ذلك نحو عشرين سنة بين أهل النوبة وصلاح الدين الذى توفى فى ٤ مارس سنة ١١٩٣م وآلت بعد ذلك أسوان إلى السقوط والخراب

وفى سنة ١٢٧٥م ضم المسلمون السودان ويرجع ذلك إلى أن داوود ملك النوبة الذى أبى دفع البقط الذى ضرب على بلاده أيام عمرو بن العاص وحنث بالعهود والاتفاقات بين البلادين ، قبض على عدد من العرب وزجهم فى السجون بأسوان

و « عيذاب » أهم موانى البجة على البحر الأحمر (١)

وزيادة على ذلك أحرق ملك النوبة كثيراً من السواقى التى تروى أراضى شاسعة وتلفت زراعتها ، فهم حاكم قوص بمقابلته ولكنه عجز عن غلبته غير أنه أخذ كثيراً منهم أسرى من بينهم ملك الجبل وحاكم جزر ميكائيل ومنطقة « داو » وأرسلهم إلى القاهرة حيث أمر الخليفة السلطان الظاهر بيبرس « ١٢٦٠ — ١٢٧٧ م » من المماليك البحرية بقتلهم . وقد حدث فى ذاك الوقت أن قدم إلى مصر ابن أخت داود ليطلب المعونة على خاله الذى أنزل به الأذى فأجابه « بيبرس » إلى ذلك وبعث معه بجيش جرار تحت قيادة اثنين من الأمراء لينزع الملك من يد « داود » ولما التقى الجيشان بأرض النوبة استبسل الفريقان فى القتال . ولكن هزم النوبيون أخيرا وولوا الأدبار ، فواصل المسلمون تقدمهم بالبر والنهر ، واستولوا على الحصن بعد الحصن وذبحوا وأسروا كثيراً من الأهالى ووصلوا أخيراً إلى جزيرة « ميكائيل » عند رأس الشلال وطردوا السفن النوبية ، واضطر النوبيون إلى الفرار إلى جزر النيل ووقع عدد عظيم من ماشيتهم فى أيدى المسلمين فأقسم قمر الدولة لقائد جيوش داود يمين الطاعة لشكندة ولما أخذ الأمير شمس الدين آق سنقر الفرقانى أحد قائدى جيش بيبرس أرجع أهالى بلاد مريس المجاورة لأسوان وجميع الفارين

ولقد لجأ داود وأخوه إلى طابية صغيرة باحدى جزر النهر لما صدهما الأمير عز الدين أيبك « الأفرم » واستولى عليها ففر داود ووقع أخوه فى يد الأمير الذى ذبح مائتين من رجالهما فاقتفى المسلمون أثر داود ثلاثة أيام ولكنهم لم يدركوه ثم نصب الأمير « شكنده » ملكا على بلاد النوبة وقد تعهد بدفع جزية سنوية من ثلاثة فيلة وثلاثة زرافات وخمسة فهود ومائة جمل أصهب وأربعمائة رأس من البقر وقد وعد بأن يقسم خراج بلاده إلى قسمين أحدهما يعطى بيبرس أو لمن يليه والآخر ينفقه على أصلاح بلادة وادارتها وحمايتها (٢)

أما منطقة بلاد الجنادل البالغة ربع مساحة النوبة فلقربها من أسوان عدت ملكا لبيبرس وكانت حاصلاتها فى ذاك الوقت التمر والقطن . هذا وقد قبل « شكنده » مقابل بقائه وأهل بلاده على مسيحيتهم ، أن يدفع دينارا ذهبا عن كل ذكر بالغ من أهل بلاده وقد أقسم بألا يحيد عما شرط عليه ولا يحنث بعهوده وكذلك فعل رعاياه

---

(١) انظر بدج صحيفة ١٩٣ (٢) انظر المقريزى ص ٢٠٢

ثم دمر الأميران كنائس النوبة كلها وحملا ما كان بها من متاع ونفائس وقبضوا على عشرين من زعماء النوبيين وأفرجا عن الأسرى المسلمين ممن أخذوا من أسوان وعيذاب ولما أقسم شكندة اليمين توج وأجلس على العرش ملكا والتزم بدفع جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر ، علاوة على البقط الذى بلغ إذ ذاك أربعمائة رأس من العبيد والزراف . وقد تعهد المسلمون مقابل ذلك أن يرسلوا إليه ألف أردب من القمح وثلثمائة لرسله (١)

ومن قبائل أسوان : العبابدة وتنقسم إلى العشاباب ، والفقراء « المليكاب » ، والعبودين والشناتير . ثم قبيلة العقيلات والبشارين

البجة

البجة — أو البجا أو البيجة أو البجاة — هم سكان الصحراء الشرقية فى السودان — بادية بنى كوش — أصلهم من الحبشة ، وباديتهم بها معادن الذهب والفضة والزمرد والحديد والرصاص .

وقد غزا الفراعنة والرومان بلادهم من أجل الذهب . وكان أنسابهم من الفقراء ، وهم أصحاب ذمة ، وأهل ضيافة ، ألوانهم مشرقة الصفرة ، وجوههم عريضة

كانوا يعبدون الأصنام ، واختلط العرب بهم بعد فتح مصر . وكانوا يغزون ريف الصعيد ، وولوا ملكا عليهم يدعى « على بابا » خضع ودفع الخراج لجعفر المتوكل على الله بن المعتصم (٢)

وقد انقسم البجة إلى قبائل العبابدة والبشارين والهدندوة والامارار والحلانقة والحباب وبنى عامر . ومن مدنهم عيذاب وسواكن على البحر الاحمر

---

(١) المقريزى ٢٠٢ (٢) تقويم البلدان ابو الفدا — خطط المقريزى — معجم البلدان : ياقوت

الفصل التاسع

مملكة سنار

ملوك الفونج

يرجع التاريخ الأقدم لملوك الفونج إلى دارفور والشلك . ويرجع تاريخهم العربى إلى نفر من بنى أمية ، فروا من الشام إلى المغرب الأقصى والسودان فأسسوا مملكة سنار . وكان ملكهم القديم يبدأ من الشلال الثالث إلى جبال فازوغلى . وسواكن وكان للمملكة : ممالك صغيرة ومشيخات . وبين الشلال الثالث والشلال الأول بلاد حكمها الكشاف الأتراك

غزو الترك

ورأس ملوك الفونج (١) الملك عمارة دنقس « ١٥٠٥ — ١٥٣٤ م » فى سنار وفى عهده ملك السلطان سليم الأول سواكن ومصوع وحاول غزو سنار ، ولكنه ارتد عنها .

وخلف الملك عمارة ابنه عبد القادر سنة ٩٤٠ هـ — ١٥٣٤ م . ثم أخوه نائل سنة ٩٥٠ هـ و ١٥٤٤ م فأخوه عمارة أبو سكاكين ٩٦٢ هـ و ١٥٥٥ م ، ودكين الملقب بالعادل سنة ٩٧٠ هـ و ١٥٦٣ م ، وطبل سنة ٩٨٥ هـ و ١٥٧٨ م ، وأنسه سنة ٩٩٧ هـ و ١٥٨٩ م ، وعبد القادر الثانى ١٠٠٧ هـ و ١٥٩٩ م ، وعدلان بن أبه ١٠١٣ هـ « و ١٦٠٥ م . ودخل الاسلام فى سنار فى عهد هارون الرشيد سنة ٧٨٦ م »

ثم الملك بادى ١٠٢٠ هـ و ١٦١٢ ، ورباط ابنه ١٠٢٣ هـ و ١٦١٥ م وبادى أبو ذقن ١٠٥٢ هـ و ١٦٤٣ م . وكان يمجد علماء مصر وبنى بسنار جامعا وقصراً بقيت أطلالهما

والملك انسه الثانى وبادى الأحمر وانسه الثالث ونول وبادى أبوشلوخ وناصر واسماعيل ، وعدلان الثانى ، وأوكل ، وطبل ، وبادى الخامس ، ونوار ، وبادى السادس ورانفى .

---

(١) تاريخ السودان — نعوم شقير بك

وكان لهؤلاء الملوك جيش ، وبنوا المساجد ، والدواوين ، وعطفوا على العلماء والأدباء ، وأوفدوا البعوث إلى الأزهر ، وكانت سنار مركزاً تجاريا مع البحر الأحمر والحبشة ومصر والحجاز والهند وسائر السودان . وكان لملوكها حروب مع الحبشة ومات أكثرهم قتلا .

مشيخة العابدلاب

العابدلاب ذرية الشيخ عبد الله جماع الذى اقتسم المملكة مع الفونج ، وبدأت المشيخة فى قرى ثم امتدت إلى الحلفاية . ثم امتدت من حجر العسل إلى سوبة . وخلف الشيخ عبدالله ، الشيخ عجيب ، وكان تقيا ، فالعجيل فحمد السميح ، فابنه عثمان ، فدياب ، الأمين ود مسمار ، وعجيب عبدالله ، وعبدالله الثالث ود عجيب ، وعمر أخو عجيب ، ومحمد الأمين ابن مسمار ، وبادى ابن مسمار ، وعبد الله الرابع ود عجيب ، وناصر ود الأمين ، وأمين الثانى ابن ناصر ،

وحظى العابدلاب بالمكانة الأولى عند ملوك الفونج ، وكان الناس يستاذنون العابدلاب للدخول على الملوك .

الممالك التابعة للفونج

وقد تبع ملوك الفونج والعابدلاب دويلات صغيرة — منها : مشيخة خشم البحر ، ومملكة فازوغلى ، ومشيخة الحمدة ، ومملكة بنى عامر ، ومملكة الحلانقة ، ثم مشيخة الشنابلة ، ومملكة الجموعية ، ومملكة الجعليين ، ومملكة الميرفاب ، ومملكة الرباطاب ، ومشيخة المناصير ، ومملكة الشايقية ، ومملكة الدفار ، ومملكة دنقلا العجوز ، ومملكة الخندق ، ومملكة الخناق ، ومملكة أرقو

وكانت مملكة سنار تسمى بالسلطنة الزرقاء . أما السلطنة الحمراء فهى حكومة مصر .

الفصل العاشر

الاتراك والكشاف الاتراك

عند مافتح السلطان سليم الأول مصر ، غزا سواكن ومصوع فالنوبة ، وفشل فى غزو سنار وارتد عنها .

أما الكشاف الأتراك فهم فى الأصل الجنود الأتراك الذين أرسلهم سليم الأول لغزو النوبة ففتحوها حتى الشلال الثالث ، وكان قوسى حسن قومندانا للجنود وحاكما مستقلا على النوبة ، ويرسل الجزية إلى والى مصر ، وتولت ذريته حكم النوبة ، وكانت عاصمتهم الدر ، وارتد جيش الفونج فى محاربته الكشاف الغز ، وعين اسماعيل باشا فاتح السودان حسن كاشف على البلاد من أسوان إلى حلفا . وخلفه ابنه سليمان ثم أخوه محمد وقد زال حكمهم بقيام الثورة المهدية وبقيت ذريتهم

ولهم آثار فى سقوط والمحس ، كالقلاع والأبراج



امرأة من الهدندوة فى قبائل البجة

الفصل الحادى عشر

سلطنة الفور

المتواتر فى السودان أن سلطنة الفور من أصل عربى من سلالة بنى العباس

ومن الروايات المسموعة أنه كان بين العباسيين الذين تفرقوا بعد زوال دولة بنى العباس شقيقان : اكبرهما يدعى عليا والأصغر أحمد سفيان ، وكانت زوجة « على » تحب « أحمد سفيان » ، وعلم « على » بهذا السر ، فاستل سيفه وضرب أخاه فى رجله فعقرها ، وتركه ، وعولج « أحمد » ونقل الى جبل مرة فى دارفور ، حيث كان فيها يومئذ ملك يدعى دورشيت وكان هميجيا وكريما ، فزوج ابنته من « أحمد » ، وولد لاحمد ابن سماه سليمان خلف جده وبدأت سلطنة دارفور بالسلطان سليمان الأول سنة ٨٤٨هـ و ١٤٤٥ م ، وكان يتبع الفور ٢٧ ملكا من المجوس والمسلمين .

وخلف سليمان : السلاطين : عمر وعبد الرحمن ومحمود ومحمد صول ودليل وشرف وأحمد وادريس وصالح ومنصور وشوش وناصر وتوم وكورد وسليمان الثانى وموسى وأحمد ومحمد دورة وعمر الثانى وابو القاسم وتيراب ، وعبد الرحمن أخوه ، الذى كان فى فترة فتح نابليون مصر وقد راسله ، ومحمد الفضل فى عهد محمد على الذى طلب اليه الخضوع ، ومحمد حسين ابنه وقد عاصر سعيد واسماعيل وبادلهما الهدايا واهدى سعيد اليه مركبة ، وابراهيم وهو آخر سلاطين الفور وانتهت مدته ١٢٩١ هـ و ١٨٧٥ م .

وقد قتل الزبير باشا السلطان ابراهيم فى بلدة منواشى فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧٥ وزال سلطان دارفور ، وقد قبضت الحكومة المصرية على بقية أمرائهم وأسكنتهم سوق السلاح . وسقطت دارفور فى يد المهدى . وحاول بقية الأمراء استرداد الحكم فى أثناء المهدية ففشلوا . وقد أصبح الأمير على دينار بن الامير زكريا بن السلطان محمد الفضل سلطانا على دارفور وكان يدفع جزية إلى ان قتل فى بداية الحرب الكبرى ، بعد أن هزمته الحملة المصرية إثر انتقاضه وانضمامه إلى الأتراك وأصبحت دارفور مديرية

* * *

وقد جاء فى « كتاب السودان » تأليف العالم الأزهرى الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر من علماء القرن الحادى عشر عن بعض ملوك السودان فى سنار وغيرها ما يلى عن ملوك سغى

« أما الملك الأول زا الأيمن أصل اللفظ جاء من اليمن قيل أنه خرج من اليمن هو وأخوه سائرين فى أرض الله تعالى حتى انتهى بهما القدر إلى بلد كوكيا وهو قديم جداً فى ساحل البحر فى أرض سغى كان فى زمن فرعون حتى قيل حشر منه السحرة فى مناظرته مع الكليم عليه السلام وقد بلغاه فى بئس الحال حتى كادت صفة البشرية أن تزول عنهما من التقشب والتوسخ والتعرى إلا خرق الجلود على أجسادهما فنزلا عند أهل ذلك البلد فسألوهما عن مخرجهما فقال الكبير جاء من اليمن وبقوا لا يقولون الا زا الأيمن فغيروا اللفظ لتعسر النطق به على لسانهم لأجل ثقله من العجمة فسكن معهم ووجدهم مشركين لا يعبدون الا وثناً فيتمثل لهم الشيطان فى صورة الحوت يظهر لهم فوق الماء فى البحر والحلقة فى أنفه فى أوقات معلومة فيجمعون إليه ويعبدونه فيأمرهم وينهاهم فيتفرقون عن ذلك ويتمثلون بما أمر ويجتنبون ما نهى ، وهو يحضر ذلك معهم فلما علم أنهم على ضلال مبين أضمر فى قلبه وعزم عليه فاعانه الله فى ذلك فرماه بالحديد فى يوم الحضور وقتله فبايعوه وجعلوه ملكا قيل أنه مسلم لأجل هذا الفعل والارتداد طرأ فى عقبه بعده ولا نعلم من ابتدأ به منهم ولا تاريخاً لخروجه من اليمن ولا لوصوله إليهم ولا ماهو اسمه وبقى اللفظ علماً له وصدره لقباً لكل من تولى بعده من الملوك فتناسلوا وتكاثروا حتى لا يعلم عدتهم الا الله سبحانه وكانوا ذوى قوة ونجدة وشجاعة وعظم جثة وطول قامة بحيث لا يخفى ذلك على من كان عنده معرفة بأخبارهم وأحوالهم »

دويلات وممالك

وقد ورد ذكر « الفور » فى كتاب مخطوط اسمه « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » تأليف الشيخ محمد بن السيد عمر التونسى بن سليمان ، ـ وكتابة المؤلف تدل على ظلام التاريخ القديم للسودان وتخبط المؤلفين وخرافات الأقدمين وخيالات المؤرخين ! وقد قام برحلة فى بلاد الفور ـ قال فى « الفصل الأول » :

« أما دارفور فهو الاقليم الثالث من ممالك السودان وذلك أن للقادم من المشرق

إلى بلاد السودان أول مملكة وأقليم يعرض هى مملكة سنار ثم كردفال « كردفان » ثم دار الفور فظهر أنها الاقليم الثالث وبحسب ذلك أقليم وداى هو الرابع والباقرمه الخامس وبرنوا السادس وأدقز السابع ونفه الثامن ودار تنبكتو التاسع ودار ملا أو ملى العاشر وهى قاعدة ملك الفلان وهم الفلاتة وأما الذى يأتى من المغرب فانه يعد ملا الأول وتنبكتو الثانى ونفه الثالث وهكذا واعلم أن القدماء يطلقون على بعض أهل السودان اسم التكرور ويعنون به أهل مملكة برنو لكن الآن قد عم هذا الاسم على ممالك متعددة أولها دارودای أو وداى المعروفة أيضا بدار صليح وآخرها برنو فيدخل فى ذلك باقرمه وكتكو ومندرة فيقال لاهل كل منهم تكرمور حتى أنه صار عرفا بينهم . ثم قال « وفى خلال دارفور مملكة البرقد ومملكة برقو والتنجور وميمه الا أن مملكة البرقد والتنجور فى الوسط ومملكة البرقو والميمة من جهة الشرق ومملكة الداجو والبيقوا من الجهة الجنوبية وكذا مملكة فراوجيه ولكل من هذه الممالك حاكم يسمى سلطانا لكن يوليه عليهم سلطان الفور وكلهم على نسق واحد فى الهيئة والملبوس الا ملك التنجور فانه يلبس عمامة سوداء وسألته عن سبب سواد عمامته فأخبرنى أن أصل مملكة دارفور لأجدادى وتغلب عليها سلطان الفو فلبس العمامة السوداء اشعاراً بحزنه على فقد مملكته . ثم قال المؤلف « ان طول دارفور بملحقاتها لا تبلغ نحو خمسين يوما وهذه الملحقات هى البلاد الجنوبية التى بعد دار الفراوجيه لأن الفراوجية اخره حدود ممالك الفوراوية الحقيقية وما يسمون أهل الفور بالسعيد المساحة الممتدة من ريل لآخر دارفور من جهة الجنوب ودار أباديما هو دار تموركه وأباديما اسم منصب كما سنذكره معناه الجناح الأيمن للسلطان والحاكم المسيحى بهذا الاسم يحكم على دار تموركه فسمى لذلك دار تموركة بدار أباديما ويقابله التكنياوى الذى هو أيضا اسم منصب معناه الجناح الايسر للسلطان ويحكم التكنياوى على اثنى عشر ملك أيضا وهو حاكم الزغاوة وما يليها لجهة الشرق ولذلك أيضا سمى دار الزغاوة بدار التكنياوى

« ثم اعلم ان دارفور منظمة تنظيما على وجه محكم لاننا ذكرنا أن جبل مرة يشقها وأن نصفها من جبل مرة الى جهة الشرق سهل وعرض جبل مرة بقطع النظر عن ارتفاع الجبال نحو يومين ووراءه من جهة الغرب سهل أيضا لكن من جهة الشمال الزغاوة والبرتى وهما قبيلتان عظيمتان فالبرتى من جهة الشرق والزغاوة من جهة الغرب وفى وسطها من جنوب جديد كريو يسكنها التنجور والبرقد وهما

قبيلتان عظيمتان وهكذا الى جديد رأس الفيل وأزيد بل إلى تبلدية وإن كان بينهما بلاد وقبائل صغار ثم من هناك إلى الخلاء من جهة الجنوب والشرق وجهة دارابا ديما يسكنه الداجو والبيقو من جهة المشرق وشرقى جديد كريو يسكنه البرقور والميمة وهما قبيلتان عظيمتان ثم أن جبل مرة لا يسكنه الا أعجام الفور وأعجام الفور ثلاث قبائل أحدها كفجارة وهى تسكن من قرلى الى بعد الجبيل الصغير المسمى مرة بالخصوص وهو مرة حقيقة وبعده بقليل الى حد دار أباديما فيسمونه تموركه وبعد دار اباديما دار روكه ودار فراوجيه ولكن روكه من جهة المغرب وفراوجيه من جهة المشرق ودار فنقرو بعد دار فراوجيه وبعد دار روكه دار سلا لكن تميل الى المغرب أكثر . ولهذ يحكمها أهل الوداى واعلم أن جبل مرة ليس جبلا واحدا كله بل هو عدة جبال كبار وصغار وقبل الدخول فى دارابا ديما ينقطع الجبل وتبقى أرض سهلة يسكنها الفلان حتى أنهم يقربون من المساليط من جهة المغرب ويليهم بنو حلبه والمسيرية الزرق وجميع ما ذكرناه غير البدو الحافين فيها من شمالها وشرقها وجنوبها وغير المولدين من القبائل والفور يسمونهم الداراوية أى المنسوبين للدار فانهم فى الوسط لا يعتبرون بقبيلة » .

ثم قال :

« ثم أعلم أن أعمر البلاد من جهة الشمال بلاد البرتى والزغاوه ولكثرة ما فيها من العالم وانظر حكمة الله فان القبيلتين فى خط واحد لكن البرتى أرق قلوبا وأحسن وجوها وأجمل نساء والزغاوة بالعكس كما أن الداجو والبيقو فى خط واحد وبنات البيجو أجمل من بنات الداجو وأما البرقد والتنجو فيوجد فى كل منهما المليح والقبيح لكن السرقد خائنون سرا وليلا ونهارا لا يخافون الله ولا رسوله والتنجور معهم بعض دين وبعض عقل يمنعهم . وأما أهل الجبل فكلهم على حد فى الوحاشة والوخاشة ، لكن متى جئت فى دارا باديما ، تجد الرجال والنساء حسانا فسبحان من هذا صنعه . وأما المساليط فنساؤهم يسبين العقل ويذهبن باللب وأجمل النساء فى دار الفور على الاطلاق نساء العرب بل رجالهم كذلك »

عادات الفور ولغتهم

وقال المؤلف :

« وليعلم أن الرجال فى دارفور لا يستقلون بأمر البتة إلا الحرب فليس للنساء دخل فيه وما سوى ذلك فهم والنساء سواء بل أكثر الأشغال وأشقها على النساء

وللرجال اختلاط عجيب بهن بالليل والنهار فى جميع الأعمال ومن العجب فى أهل جبل مرة أنهم لا يأكلون من القمح الذى يزرعونه بل يبيعونه ويستبدلون بثمنه دخنا ،

ثم قال عن لغتهم :

« وأما لغتهم فهى لغة فيها حماس ألفاظها تشبه الفاظ اللغة التركية لأنهم إذا دعوا انسانا يقولون له كلا والترك يقولون كال وقولى تشبه اللغة التركية ليس معناه انهما متقاربتا المعنى بل وجه الشبه فى مجرد الالفاظ وان اختلف موضوع معنى كل منهما وذلك أن الفور يقولون للفرس يامورتا وعند الترك هو اسم للبيض والقبيح عند الفور اسمه لجتى وعند الترك فعل ماض بمعنى ذهب ولم اسمع لغة أنقص من لغتهم لأن العدد بلغتهم ينتهى إلى ستة ويكمل بالعربى فيقولون ديك واحد أو اثنان إيس ثلاثة أوكل أربعة أوس خمسة أو صناندیك ستة ثم يقولون بالعربى سبعة ثمانية تسعة ثم يقولون وأيه وهو لفظ يدل على عشر الأعداد »

وقال عن خرافاتهم القديمة :

« من أعجب ماسمعته بجبل مرة أن الجن ترعى مواشيهم التى ترعى فى الكلأ بدون راع معهم ولقد أخبرنى عدة رجال ممن يظن صدقها أن الانسان اذا مر بمواشيهم ورأى أن لا راع لها ربما طمع فأخذ منها شاة أو بقرة أو غير ذلك فان ذبحها تلتصق يده بالسكين على منحرها ويعجز عن فكاكها حتى أرباب الماشية فيقبضون عليه ويغرمونه ثمنها باغلا قيمة بعد اهانتهم له وضربهم اياه الضرب المؤلم ولقد تكرر على سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواتر مع انى لا أصدقه وحين كنت فى جبل مرة توجهت إلى دار رجل منهم فى غلية اسأل عنه فما رأيت فى داره أحدا لكن سمعت داخل الدار صوتا غليظا ، مرعبا إقشعر منه جلدى يقول لى أكبا يعنى أنه ليس هنا وفى ذلك الوقت أردت أن أتقدم وأسأل أين ذهب فمر بى إنسان وجذبنى وقال ارجع فان الذى يخاطبك غير آدمى فقلت وما هو فقال هذا الحارس الجنى لأن لكل إنسان منا حارسا من الجن ويسمى بلغة الفور دمزوقه فخفت ورجعت من حيث أتيت ولما رجعت من هذه السفرة وتوجهت إلى الفاشر واجتمعت مع الشريف احمد بدوى الذى أخذنى من مصر وذهب بى إلى دارفور فأخبرته القصة فقال صدق واسمعنى أعجب من ذلك وقال لى يا ولدى اعلم أنى كنت فى أول أمرى

أسمع أن الدمازيق تباع وتشترى ومن أراد منها دمزوقا يذهب إلى من يعلم أن عنده دمازيق فيشترى منه واحدا بما يرضيه ثم يأتى بقرعة فيها لبن ويدفعها إلى رب المنزل فيأخذها ويدخل إلى المحل الذى هن فيه فيسلم عليهن ويعلق القرعة التى فيها اللبن فى علاقة فى البيت ثم يقول لهن أن صاحبى فلانا عنده مال كثير وخائف عليه من السرقة وأراد منى حارسا فهل إحدى منكن تذهب إلى داره لأن عنده لبنا كثيرا وخيرا غزيرا وقد أتى بهذه القرعة مملوءة لبنا . فيتمنعن أولا ويقلن لا أحد يذهب معه . فيتحنن لهن ويتملق حتى يرضين فيقول من أراد الذهاب منكن فلينزل فى القرعة ويبعد عنهن قليلا وحين يسمع بصوت وقوعه فى اللبن يغطى القرعة بطبق من سعف ويأخذها من علاقتها مغطاة ويدفعها لصاحبه المشترى فيأخذها ويذهب بها إلى داره ويعلقها فى بيته ويوكل بالقرعة جارية أو أمرة تأتى كل يوم على الصباح وتأخذ القرعة وتريق ما فيها من اللبن وتغسلها جيدا ثم تضع فيها لبنا آخر محلوبا فى ساعته وتعلقها وحينئذ يأمن الانسان على ماله من السرقة والضياع وكنت أكذب ذلك حتى كثر مالى وصارت العبيد والخدم يسرقونه فاحتلت على منع السرقة بكل حيلة فلم يمكننى ذلك وشكوت لبعض أصحابى فأمرنى أن أشترى دمزوقة وأنى أكفى شر السرقة فحدانى حب المال أن توجهت الى رجل سمعت أن عنده دمازيق وقلت له أعطنى دمزوقة تحرس لى مالى وأعطيته ما طلبه فقال لى اذهب واملأ قرعة من لبن حليب وهاتها ففعلت وأتيت بالقرعة مملوءة لبنا فأخذها وذهب وبعد ساعة جاءنى والقرعة مغطاة وقال لى علقها حيث مالك مخزون وعرفنى ما ينبغى أن يفعل كل يوم من غسل الآنية وتجديد اللبن ففعلت ذلك ووكلت جارية بذلك وأمنت على مالى حتى أنى كنت أترك بيت مالى مفتوحا ولا يقدر أحد على الوصول اليه وفيه من العين والأمتعة شىء كثير وكل من رام أخذ شىء بغير اذنى تكسر رقبته فقتل لى عدة عبيد وعشت آمنا على مالى مدة حتى كبر لى ولد كان اسمه محمد فلما شب واحتلم تعلقت آماله بالبنات وأراد أن يهاديهن ببعض خرز وحلى فترقب غفلتى يوما وأخذ المفاتيح وفتح خزينة الأمتعة وأراد أن يدخل فكسر الدمزوقة رقبته ومات فى الحال وكنت أحبه حبا شديدا فلما أخبرت بموته جزعت عليه جزعا عظيما وسألت عن سبب ذلك وأخبرت أنه أراد أن يأخذ شيئا من الأمتعة فقتله الدمزوقة فحلفت يمينا أن الدمزوقة لا يجلس فى بيتى وأردت اخراجه فأعجزنى وشكوت لبعض أحبابى فأشار على أن أصنع وليمة وأجمع فيها

اناسا كثيرين يكون مع كل واحد منهم بندقية وبارود ويأتون كلهم دفعة واحدة يطلقون البنادق ويصيحون بصوت واحد بكلام الفور دمزوقة أيئيه ومعناه أين الشيطان ويكررون الطلق ويرفعون أصواتهم بذلك حتى يدخلوا الى المحل الذى فيه المال فربما خاف وهرب منه ففعلت ذلك ففر ولله الحمد وخلصت من معاشرة الدمازيق أى الشياطين ولقد أخبرنى عدة رجال أن النقاقير التى فى بيت السلطان فيها واحدة تسمى منصورة متملكها الشياطين وإنها ربما ضربت بغير ضارب فاذا وقع ذلك يحدث فى دارفور أمر عظيم إما حرب عدو لهم أو حرب بينهم وسيأتى لهذا مزيد توضيح حين نتكلم على عوائد الملوك وأما عوائد القبائل الأخر كالبرتى والداجو والبيقو والزغاوة والبرقو والميمة وغيرهم فان بعضها يقرب من عوائد أهل الجبل وبعضها يخالفها . أما المخالفة فبعض هذه القبائل فيه كرم ونجدة ورقة طبع وذلك لمخالطتهم للعرب أهل البادية وللتجار الذين يذهبون من أرض مصر وغيرها فتراهم إذا رأوا أضيافا أقسموا عليهم وأحسنوا ضيافتهم وان رأوا غريباً أكرموه وذلك بخلاف الفور الأعجام كأهل جبل مرة وتموركه فانهم يكرمون الضيف ولا يألفونه ولا ينزل الضيف عندهم إلا قهرا عنهم »

تقاليد ملوك الفور

وقال المؤلف عن عادات ملوك الفور :

«عادة ملوك الفور مخالفة لعوايد غيرهم من الملوك ولملكهم السلطنة اتامة عليهم . فاذا قتل منهم ألوفا لايسئل لماذا وان عزل ذا منصب لايسئل لماذا، فهو تام التصرف فى كل أمر يريده واذا امر بأمر لايراجع فيه ولو كان منكرا إلا من قبيل الشفاعة ولا ترد له كلمة لكنه اذا فعل مالا يليق من الظلم والعسف يحصل له بغض فى قلوبهم ولا يقدرون له على شىء فأول عوائدهم أن الملك لايكون الا من بيت الملك أى من سلالتهم ولا يمكن تولية أجنبى منهم ولو شريفا وتحقق نسبه عندهم وثانيها أن الملك اذا تولى يجلس فى بيته سبعة أيام لا يأمر ولاينهى ولاتقوم بين يديه دعوة وكلهم على ذلك إلا السلطان عبد الرحمن فانه خرق عادتهم . وثالثها أن لهم عجائز تسمى الحبوبات وهن طائفة عظيمة ولهن رئيسة تسمى ملكة الحبوبات فعند خروج السلطان يوم الثامن يجتمعن ويأتين اليه وكل واحدة منهن بيديها أربع قطع من

الحديد تسمى القطعة منها كرباجا وفى كل يد كرباجان يضربنها على بعضها فيحصل منها صوت وبيد إحداهن قبضة من سعف أبيض ومعها ماء اختلف أهل د . . تركب منه فتبل العجوز السعف من ذلك الماء وترش به على السلطان مع قول كلام لايعقله إلا هن ويأخذن السلطان فى وسطهن ويطفن به البيت ويتوجهن إلى دار النحاس وهو المحل الذى فيه النقاقير وهى طبول السلطان فيدخلن البيت ويأتين الى النقارة المسماة بالمنصورة فيقفن حلقة ويجعلنها فى الوسط والسلطان وحده معهن ويضربن الكرابيج على بعضها ويقلن من كلامهن ثم يرجعن بالسلطان إلى كرسى مملكته وبعد جلوسه ذاك تدخل اليه الدعوى ويتناول الأحكام ومن عادتهم أن السلطان لايسلم على غيره إلا بترجمان صغيرا كان أو كبيرا عظيما أو حقيرا . وكنية ذلك انه اذا دخل عليه أناس يجثون على ركبهم ثم يتقدم الترجمان ويسميهم واحدا بعد واحد الى آخرهم وهو أنه يقول إنولورا فلان دوكه كنبجى دارى ومعناه أن هنا برا فلان سلام يعطى طاعة ،



شابة نوبية فى السنة الثانية من زواجها

الفصل الثانى عشر

فتح محمد على للسودان

كان المماليك متنافرين متنابذين سواء فى عهد عروشهم المصرية أم عندما كانوا بيكوات تحت الحكم العثمانى التركى ، وكانوا كثيرا مايلجأون الى الوجه القبلى ، ومنه الى السودان ولا سيما المديريات الشمالية ومديرية دنقلة ، وكان آخر التجاء البيكوات المماليك ، فى عهد الحكم الفرنسى أولا ثم فى حكم محمد على وخاصة بعد ذبحه أكثرهم فى مذبحة القلعة المشهورة فى أول مارس سنة ١٨١١ ففروا الى النوبة ودنقلة ، بل الى جنوبى السودان

شغل محمد على عندما استقر له الحكم فى مصر، بتوطيد دعائم الحكم واستكمال عناصر السيادة والاستقلال : فقد شغل بحربه مع الحملة الانجليزية على مصر سنة ١٨٠٧ ثم الحرب الوهابية ، التى قامت اثر الدعوة الوهابية فى جزيرة العرب التى قام بها محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٠٣ ميلادية الموافقة سنة ١١١٥ هجرية فى « العيينه » من بلاد نجد ، وكان حنبلى المذهب ، لا يقبل الترخص فى الدين ويمقت البدع ، ويحرم لبس الحرير وشرب الدخان ، وقد انتصر عليه « احمد طوسون باشا » بن محمد على مع الجيش المصرى بعد أن استهدف للهزائم وحلت بحملته الخسائر ، وبعد أن اضطر محمد على للسفر لانجاد ولده ، وبعد أن توفى بالدرعية فى ابريل سنة ١٨١٤ الأمير سعود بن عبد العزيز جد الملك بن السعود الذى ناصر الدعوة الوهابية وكان لها درعا .

جرد محمد على الكبير حملة لفتح السودان ويرجع فتحه السودان إلى الأسباب التالية

١ — حماية حدود مصر الجنوبية ، إذ كانت معرضا للمناوشات بين القبائل

٢ — الخوف من تجمع فلول المماليك فى دنقلة وقيامهم بحركة ، وبتجنيد جيش من السودانيين ، والزحف به على مصر لاسيما وإنه كان عند بعض الدول ميل إلى مساعدتهم وهدم الحكم المصرى الوطيد بزعامة محمد على

٣ — علم محمد على من مستشاريه الفرنسيين بأن السودان أرض واسعة تستأهل الفتح والاستعمار ونشر الحكم المصرى فيه .

٤ — علم محمد على ، كما علم ملوك مصر من الفراعنة وغيرهم ، بأن فى السودان مناجم للذهب ، وأن الذهب ضرورى لمساعدة الحكومة المصرية فى توطيد الحكم وتوسيع الملك وتنظيم شئون الدولة

٥ — كان محمد على فى حاجة إلى الجند ، وقد عرف أن السودانيين يصلحون للجندية ، وأنهم مطيعون للحكام وأنهم أهل شجاعة .



محمد على باشا مؤسس الأسرة العلوية المالكة فى مصر ، ١٧٦٩ — ١٨٤٩ ،

بعد أن اختمرت فكرة فتح السودان فى رأس محمد على ، أخذ يدرس الخطة الحربية والاستعداد للفتح فذهب بنفسه إلى حدود مصر العليا فى سبتمبر سنة ١٨١٩ ومعه حسن باشا قائد الجنود الالبانيين ومحمد لاظ أوغلى ، ووضع خطة الزحف على السودان من جنوبى شلال أصوان ، وعاد إلى الجيزة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨١٩ بعد أن أمضى شهرين فى تلك المنطقة

تألفت الحملة على السودان من ٥٤٠٠ مقاتل معهم ٢٤ مدفعا ، كان أكثرهم من العرب والمغاربة ، وكانت الحملة بقيادة ابنه اسماعيل باشا

وأعد محمد على قوة أخرى بقيادة صهره ، محمد بك الدفتردار عددها ٤٠٠٠ آلاف جندى معهم عشرة مدافع لفتح كردفان وكان مع الحملة ثلاثة من العلماء المصريين لدعوة السودانيين إلى قبول الحكم المصرى ، وكان مع الحملة مسيو فردريك كايو ، ونقلت الجنود من مصر القديمة فى النيل على ثلاثة آلاف مركب ، إلى إسنا حيث سارت برا ومعها ثلاثة آلاف من الابل

وكان بداية سفر الحملة فى ١٨ يولية سنة ١٨٢٠ ، وبعد وصولها إلى أصوان وصلت الى وادى حلفا وبقيت فيها عشرين يوما ثم توجهت من وادى حلفا إلى سكوت ومن سكوت إلى دنقلة ، وقد فر فلول المماليك عند رؤية الجيش المصرى ، وقدم أهل البلاد التى مربها الجيش الطاعة وتم احتلال مديرية دنقلة ، ثم واصل الجيش سيره جنوبى دنقلة فى بلاد « الشايقية » وعلى مقربة من « كورتى » على الشاطىء الغربى للنيل هجم الشايقية على فرسان الجيش الذين تقدموه ، ولكن الفرسان المصريين هزموا المهاجمين ، الذين سلموا وانضووا جنوداً فى الجيش المصرى ، وقد أحرق اسماعيل باشا نجل محمد على باشا الكبير ، بلدة « كورتى » عاصمة الشايقية التى كانت الجزء الجنوبى لمديرية دنقلة ثم واصل الزحف فى ٢١ فبراير سنة ١٨٢١ فى صحراء « بيوضة » حتى وصل على النيل تجاه « بربر » ، التى فتحها الجيش المصرى فى ١٠ مارس سنه ١٨٢١ وأخضع ملكها « نصر الدين » وأقامه اسماعيل عليها ووصل الجيش إلى « شندى » يوم ٨ مايو سنة ١٨٢١ ، حيث أعلن ملكها «الملك نمر» الولاء ، ثم استمر الجيش فى سيره جنوبا فاحتل « حلفاية » القريبة من موقع الخرطوم ، واحتل «أم درمان» ونزل فيها بالمراكب فأقام الجنود فى محلة صغيرة ، كانت الموقع لمدينة الخوطوم التى أنشأها محمد على فيما بعد وجعلها عاصمة للسودان ، وقد جعلت اولا معسكرا للجيش ، وفتح اسماعيل بعد ذلك مملكة سنار واحتل واد مدنى وأخضع ملكها « بادى » ، واحتل سنار العاصمة فى ١٢ يونية سنة ١٨٢١

فتح كردفان

أما الحملة التى بقيادة محمد بك الدفتردار فقد واصلت السير جنوبى دنقلة إلى بلدة «بارة» شمالى الأبيض ، وعند بارة حدثت موقعة فى ابريل سنة ١٨٢١ انتهت بهزيمة جيش السلطان محمد الفضل سلطان دارفور

على أن هذه الحملة قد استهدفت للأمراض والمناوشات ولسوء الجو ولقلة المؤونة والذخيرة ولموت الكثيرين ، حيث مات نحو نصف الجنود



ملك فازوغلى سنة ١٨٢١

ثم وصل ابرهيم باشا ابن محمد على باشا إلى سنار ، حيث نظمت حملتان الحملة الأولى بقيادة اسماعيل باشا لفتح البلاد التى على النيل الأزرق حتى فازوغلى ، والأخرى بأمرة ابرهيم باشا إلى أعالى النيل

ووصلت حملة ابراهيم باشا إلى جبل القربين حيث مرض بالدوسنتاريا واضطر إلى العودة الى مصر ، أما حملة اسماعيل باشا فقد وصلت الى بلاد فازوغلى وفازوغلى مديرية أسميت بهذا الاسم لوجود جبال فازوغلى بها ، وجعل محمد على بلدة «فامكة» عاصمة لها بدلا من عاصمتها الأولى قبل الفتح ، وقد خضع ملك فازوغلى — وكان يدعى الملك حسن — للحكم المصرى . ثم وصلت الحملة الى جبل «بنى شنقول» جنوبى فازوغلى وحاولت كشف مناجم الذهب ، فعثرت على فتات من التبر هينة القيمة .

قتل إسماعيل حرقا فى شندى

وقد مرض اسماعيل ، وفشت الأمراض فى جنوده وانتقضت عليه بعض القبائل ، وجند الأسرى السودانيين ، وغضب سكان حلفاية وشندى على الحكام المصريين ، وكانوا من الأرناؤود ، وهجم العصاة على الجنود المصريين الذين كانوا مرافقين للاسرى السودانيين ، الذين أرسلوا الى أصوان لتجنيدهم

ولما علم اسماعيل بهذا كله ، سافر مباشرة إلى « شندى » حيث علم أن ملكها الملك نمر هو الذى أثار السكان ، وخان العهد ، فدعاه ولما حضر أمامه وبخه وأهانه ولطمه على وجهه « بالشبك » وحجزه ، ثم عفا عنه مقابل غرامة مالية جسيمة يوفيها فى خمسة أيام وألف من الرقيق فتظاهر الملك نمر بالاذعان ، وكان يبطن الانتقام ، ثم دعا الملك نمر اسماعيل باشا ومعيته الى وليمة فى داره بشندى وكانت من القش ، فلبى « اسماعيل » الدعوة وتظاهر الملك وأعوانه بالترحيب بهم وفى أثناء ذلك جمع أنصار الملك الحطب والقش والتبن حول الدار بحجة جمع العلف لخيل الباشا ، ولكن الحقيقة أن ذلك كان للتنكيل باسماعيل باشا ومن معه ، حيث اشعلت النار فى العلف الموهوم وحيث كان أنصار الملك محيطين بالباشا وحاشيته وقد رموهم بالنبل والسهام فمات الباشا ومن معه ، ولم يهرب إلا أفراد قلائل

وعند ما علم محمد على باشا بقتل ابنه وبنكبة شندى حزن ، وقد توجه محمد بك الدفتردار من كردفان إلى شندى ، حيث انتقم من ذلك الحادث الأليم ، فخرب شندى وأنزل العذاب بالثائرين المتآمرين وقتل الوفا من أنصار الملك نمر ، الذى فر إلى حدود الحبشة

نظام الحكم فى عهد محمد على

نظم محمد على باشا الحكم فى السودان على الوجه التالى : عين حاكما له يدعى حاكمدار السودان ، له السلطة العسكرية والمدنية المطلقة وجعله تابعا لديوان الداخلية بمصر ، وأنشأ مدينة الخرطوم وجعلها عاصمة للسودان ومقاما لحكمداره وقسمت البلاد المفتوحة إلى مديريات ، بلغت سبعا وهى دنقلة ، وبربر ، والخرطوم وكردفان ، وكسلا ، وسنار ، وفازوغلى . لكل منها مدير ، وقسمت المديريات إلى أقسام ، لكل قسم ناظر ، وللمدير وكيل ومعاونون وكتبة وقاض ومفتى . ومجلس أهلى وضبطية ، وأبقى حكام البلاد الذين كانوا قبل الفتح فى مناصبهم كمشايخ النوبة ودنقلة وبربر والحلفاية والرصيرص وفازوغلى وملك سنار . وعلى كل حال ، كان الحكم فى السودان كنظام الادارة فى مصر

وبلغ الجيش المصرى فى السودان ١٨٠٠٠ جندى منهم ١٠٠٠ من الفرسان الأتراك و ١٦٠٠٠ من الجنود المصريين النظاميين ، وقد جند معهم جنود سودانيون وأصبحوا جزءا من الجيش المصرى وكان العلم المصرى مرفوعا على دواوين الحكومة ، وكان السودان معدوداً من مصر

وكان للمدير . ووكيل ومعاونون ونائب قاض ومجلس أهلى وضابطة . وفى كل مديرية حامية والجند جهادية وباشبوزق أى جنود نصف نظاميين

وإيرادات الحكومة تجمع من الضرائب والجمارك وملاحات البحر الأحمر وآبار النطرون وويركو التجار وأرباب الصنائع . وتؤخذ الضرائب من عرب البادية على ماشيتهم ، ومن الحضر على سواقيهم ونخيلهم .

وقد نظم البريد الذى كان ينقل بالسفن ثم على الهجن ، وأنشئت له محطات وكان البريد بين مصر والخرطوم مرتين فى الشهر وكانت المسافة تستغرق حوالى خمسة وعشرين يوما

وقد استتب الأمن ، واستعملت الشدة مع المتمردين والمجرمين ، وهى شدة استدعاها نظام الحكم المطلق ، وقرب العهد بالفتح والخضوع والنظام العسكرى ، وهى شدة احتملها المصريون كالسودانيين على السواء فى حكم ناشىء ودولة جديدة ، فى حاجة الى التوطيد ورد الغارات وكبح جماح الكائدين والمنتقضين

وقد أدخل المصريون فى السودان زراعة القمح والخضر ، وانشأوا

البساتين ، وزرعوا أشجار الفاكهة من رمان وعنب وبرتقال وليمون ، وقال الكولونيل استيوارت : « يميل المصرى بطبعه إلى الزراعة ، وكان لا يمضى ستة أشهر على إنشاء معسكر للجنود المصرية فى السودان وإقامتهم بمعسكرهم حتى يكون من المؤكد ظهور الزرع والخضر . . . »

وأسس محمد على المدن ، من ذلك انشاء مدينة الخرطوم التى كان موقعها محلة صغيرة للصيادين وجعلت سنة ١٨٢٢ معسكراً للجيش ، وجعلت سنة ١٨٣٠ مقرا لحاكمدار السودان خورشيد باشا وعاصمة للسودان . وقد أسميت بالخرطوم لأن موقعها ، وهو عند ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض ، يشبه خرطوم الفيل ، وأسست بها سراى الحكومة بالطوب الأحمر من دورين وسراى مديرية الخرطوم ومسجدان ودار لبعثة دينية مسيحية ، وثكنة للجنود شرقى المدينة ومستشفى ، ومصنع للبارود ومخزن للمؤن ، وترسانة بها مسبك للحديد ومصنع للنجارة وانتشرت بها الحدائق والدور وأقام فيها موظفون أولا ، ويقول « مانجان فى كتابه (١) » أن عدد سكان الخرطوم قد بلغ ثلاثين ألفا فى عهد محمد على وزاد العدد إلى أربعين ألفا سنة ١٨٥٤ وخمسين ألفا سنة ١٨٥٦ » وقال الكولونيل استيورات « ان عددهم سنة ١٨٨٣ وقبيل الثورة المهدية قد بلغ عددا يتراوح بين خمسين ألفا وخمسة وخمسين ألفا »

وواصل محمد على تأسيس مدن للسودان ، فأسس مدينة كسلا التى أصبحت عندئذ عاصمة اقليم التاكا وعاصمة السودان الشرقى ، وقد كثرت هجرة المصريين إلى السودان واتخذه كثيرون منهم مقاما ، كان منهم التجار وتزوجوا من نساء السودان ، وأصبح أولادهم مولدين

وأنشأ محمد على مدينة « فامكا » على النيل الأزرق سنة ١٨٤٢ على بعد ٢٥ ميلا من الرصيرص وجعلها عاصمة مديرية فازوغلى ، وأقام على بعد خمسة أميال منها جنوبا ، قصرا ومعملا للتنقيب عن الذهب ، وبقيت آثارهما للآن

حكمدارية السودان الأولى

يعد اسماعيل باشا الذى قتل فى شندى ، ونجل محمد على باشا ، أول حكمدار للسودان ، ولما قتل فى أواخر سنة ١٨٢٢ أصبح محمد بك الدفتردار صهر محمد على

(١) تاريخ مصر فى حكم محمد على جزء ٣ ص ١٠٨

باشا خلفا له فى حكم السودان ، ثم خلفه المير الاى عثمان بك سنة ١٨٢٣ ، وبعد سنتين ، عين محله محو بك الذى احتفر آبارا للشرب والسقاية تعرف الى الآن باسمه ، وفى سنة ١٨٢٦ عين خورشيد باشا الذى أدخل صناعة بناء الدور بالطوب فى السودان والذى فتح القلابات القريبة من الحبشة ، وبقى حتى سنة ١٨٣٧ وعين محله أحمد باشا أبو ودان الذى فتح اقليم التاكا « كسلا » وأسس مدينة كسلا وتوفى ودفن بالخرطوم وفى عهده بين اكتوبر سنة ١٨٣٨ ومارس سنة ١٨٣٩ زار محمد على السودان باحثا عن الذهب ومعه علماء فرنسيون . وعين أحمد المناكلى باشا الذى أخمد ثورة فى بلاد التاكا حاكما دارا ، ثم عاد إلى مصر سنة ١٨٤٥ وخلفه خالد باشا .

قال مسيو ديهيران(١) أن « استتباب الأمن كان من أجل أعمال محمد على » . وقال مستر بورنج أحد السائحين الانجليز ، فى عهد محمد على « إن استتباب الأمن شمل كل بلد حكمه محمد على ، فحيثما بسط نفوذه وحكمه وطد دعائم الأمن ورعاه ، وحيثما ضعف نفوذه ضاع الأمن ، مثال ذلك عند ما انسحبت جنود محمد على من السودان سنة ١٨٤١ لم يعد التجار آمنين على متاجرهم ولما انسحب ابراهيم باشا اختل الأمن وعادت الفتنة بين المصريين والمسيحيين » وقال قنصل فرنسا فى مصر الكونت بندينى « أن الأهالى والأجانب على السواء يستطيعون السير فى أى بلد من البلاد التى يحكمها محمد على فى وادى النيل إلى أقاصى السودان وفى سوريا وجزيرة العوب فقد أقام العدل صارماً فى حزم وفى غير ضعف ، فالسودان قد ساده الامن كما ساد غيره وقد استطاع الرحالة بالم أن يجتاز كردفان مع خادم واحد كذلك الرحالة كوتش والأمير الألمانى وأسرة مسيو ميلى وقد وصلوا جميعا إلى الخرطوم دون أن يقع عليهم أى اعتداء حيث لم يكن التاجر قبل حكم محمد على يأمن أن يسير فى السودان منفردا »

حدود السودان

كانت حدود مصر تنتهى بجزيرة سای جنوبى وادى حلفا ، وقد وصلت حدود السودان فى عهد محمد على إلى حدود الحبشة ودخل فى حدود مصر : إقليم التاكا والقضارف والقلابات وسواكن ومصوع ، اللتان استأجرهما محمد على باشا من سلطان تركيا مقابل ٥٠٠ كيس ووصلت حدود السودان جنوبا فى النيل الأبيض

---

(١) كتاب السودان المصرى على عهد محمد على ص ١٢٠

إلى جزيرة دنكا أمام غندكرو ، ووصلت حدود الحكم المصرى السودان إلى كردفان غربا وإن كانت عدت من أملاك مصر بالفرمان الصادر فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ الذى صدر بموافقة الدول

فلم يفتح محمد على إقليم خط الاستواء ولم يكشف منابع النيل ، وتم ذلك فى عهد اسماعيل



الفصل الثالث عشر

السودان بعد محمد علي

فى عهد ابراهيم

ظلت الحالة فى السودان بعد عهد محمد على باشا كما كانت فى عهده . أى ظل السودان بحدوده وإدارته التى أنشأها محمد على ، سائرة فى عهد ابنه إبراهيم باشا ، الذى كان حكمه قصيراً إذ ولى الحكم فى إبريل سنة ١٨٤٧ وتوفى فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ . وإبراهيم باشا هو أكبر أنجال محمد على ، وقائد جيوشه وساعده الأيمن فى الحروب الوهابية واليونانية والشام والأناضول وفى تنظيم الادارة المصرية. ولد فى قوله سنة ١٧٨٩ وحضر إلى مصر مع أخيه طوسون فى سبتمبر سنة ١٨٠٥

وقد عين وتوفى فى حياة والده محمد على الذى اعتلت صحته وضعف عقله فى آخر حكمه . وتوفى فى ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ فى سراى رأس التين بالاسكندرية ونقل إلى القاهرة ودفن بمسجده فى القلعة



ابراهيم باشا الأول بن محمد على باشا

فى عهد عباس باشا الاول

خلف عباس باشا الأول ابن طوسون بن محمد على باشا ـ عمه ابراهيم باشا ـ فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، وكان أميرا مستبدا ، كثير الوساوس ، وقد عد السودان منفى للذين غضب عليهم . وقد نفى اليه رفاعه بك رافع الطهطاوى الذى



عباس باشا الاول والى مصر من سنة ١٨٤٨ إلى سنة ١٨٥٤

ولد سنة ١٨٠١ وتوفى سنة ١٨٧٣ وتخرج من الأزهر ومن البعثة المصرية بباريس وعين ناظرا لمدرسة الألسن ولقلم الترجمة سنة ١٨٥١ ، حيث أنشأ عباس باشا الأول مدرسة ابتدائية بالخرطوم وجعل رفاعه بك ناظرا لها ومحمد بيومى افندى كبير أساتذة الهندسة والرياضيات بمدرسة المهندسخانة واحمد طائل أفندى استاذ الرياضيات وغيرهم ـ مدرسين بها . وقد ترجم رفاعه بك فى أثناء إقامته فى السودان

كتاب تلماك ونظم مدرسة الخرطوم . وكان معجبا بالسودانيين وتلامذته منهم ، وقال « ان لهم قابلية للتمدين الحقيقى لدقة أذهانهم فان أكثرهم قبائل عربية لا سيما الجعليين والشايقية وغيرهم واشتغالهم بما ألفوه من العلوم الشرعية عن رغبة واجتهاد ولهم مآثر عظيمة فى حسن التعلم والتعليم حتى أن البلدة اذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد المجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغفير ، فيعينه أهل بلدته على ذلك بتوزيع المجاورين « أى الطلبة » على البيوت بحسب الاستطاعة ، فكل انسان من الأهالى يخصه الواحد أو الاثنان فيقومون بشئونهم مدة التعلم التعليم »

وهذا الذى يقوله رفاعة بك منشورا فى صحيفة ٦٢ الطبعة الثانية من كتاب « مناهج الألباب المصرية » — لايزال متبعا الى اليوم ، فان الطلبة الفقراء الغرباء فى المعهد العلمى بأم درمان ، يوزعون على كبار تجار أم درمان ، الذين خصصوا فى منازلهم غرفا خاصة لايواء هؤلاء الطلبة مع اطعامهم وكسوتهم

وقد قال رفاعة بك من قصيدة :

رفاعة خمس المنظوم مرتجلا قريضه وهو « بالخرطوم » قد وجلا
قالت هواتفه بالله كن رجلا فان جدك « طه » بالخطوب جلا

ويقصد رفاعة بك بقوله « طه » انه من بيت شريف يتصل نسبه بمحمد الباقر ابن على زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهرة بنت النبى صلى الله عليه وسلم

وقد عاد الى مصر رفاعة بك من السودان عقب وفاة عباس باشا الأول سنة ١٨٥٤ . حيث مات عباس باشا مقتولا



رفاعة رافع بك

الفصل الرابع عشر

السودان فى عهد سعيد باشا



سعيد باشا والى مصر من سنة ١٨٥٤ إلى سنة ١٨٦٣

تولى سعيد باشا الحكم سنة ١٨٥٤ خلفاً لابن أخيه عباس باشا ، وتوفى سنة ١٨٦٣
وقد حدث فى عهد سعيد باشا حرب جمهورية المكسيك فى أمريكا الشمالية .
كانت هذه الجمهورية ولا تزال معرضا للفتن والثورات الداخلية لانتزاع رياسة

الجمهورية من زعيم أو حزب إلى آخر . وفى سنة ١٨٦١ كان يرأس الجمهورية مسيو جوارز . وكان الامبراطور نابليون الثالث فى فرنسا يعضد الثائرين على رئيس الجمهورية وجرد حملة عليها ، واستعان على حربه بصديقه سعيد باشا ، الذى أرسل له جيشا من الجنود السودانيين بقيادة البكباشى جبر الله محمد السودانى والصاغ محمد الماس وسافرت الحملة السودانية إلى المكسيك سنة ١٨٦٢ ، فانتصر الجيش الفرنسى أولا وألغيت الجمهورية وأعلن اعتلاء الأرشيدوق مكسمليان النمسوى سنة ١٨٦٤ إمبراطوراً فى المكسيك ، ولكن تغلبت الجنود المكسيكية على الجيش الفرنسى ، وقد أبلت الجنود السودانية فى هذه الحرب بلاءاً حسناً وشهد المارشال فورى قائد الجيش الفرنسى لها بالشجاعة وقال إنهم « ليسوا جنوداً فقط وإنما هم أسود » .

أورطة المكسيك السودانية

وكان سبب حرب فرنسا مع المكسيك أن حكومة المكسيك أساءت (١) معاملة كثير من رعايا فرنسا وانجلترا وأسبانيا ونهبت أموالهم على أثر مطالبتهم لها بوفاء ما عليها لهم من الديون . فكان ذلك السبب الظاهر لهذه الحرب

ويقال إن الغرض الذى كان يسره نابليون الثالث فى قرارة نفسه ويرمى اليه من وراء هذه الحرب انما هو تأسيس حكومة ملكية كاثوليكية فى المكسيك ليضمن بذلك وجود التوازن فى هذه البلاد مع نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد عقدت هذه الحكومات الأوربية الثلاث النية على استخدام القوة المسلحة للحصول على مطالب رعاياها ووجهت كل منها حملة الى المكسيك فى سنة ١٨٦١ م ولكن لم يلبث الخلاف أن دب بين هذه الدول فسحبت انجلترا وأسبانيا جنودهما من المكسيك فى ابريل سنة ١٨٦٢ م وقامت فرنسا وحدها بأعباء هذه الحرب

وأرض المكسيك تنقسم إلى جبال ووهاد . ووهادها تسمى الأراضى الحارة وهى واقعة على سواحلها البحرية . ومناخها وبيل تنتشر فيه الحمى الصفراء والدسنتاريا وإذا أقام به الأوربيون فتكت بهم هذه الأمراض فتكا ذريعا . أما الزنوج فيمتازون بحصانة طبيعية ضد هذين المرضين . ولهذا استخدمت فرنسا عساكر منهم جندتهم لهذه الحرب خاصة من مستعمراتها .

---

(١) الأورطة السودانية — لسمو الامير عمر طوسون

وخطر بفكر نابليون الثالث أن يرجو سعيد باشا والى مصر فى ذلك الحين أن يمده بألاى من الجنود السودانيين . فقبل سعيد باشا رجاءه غير أنه لم يرسل سوى أورطة مؤلفة من ٤٥٣ جندياً بين ضباط وصف ضباط وعسكر .

وهذه الأورطة مكونة من أربعة بلوكات وهى من ألاى المشاة التاسع عشر . وقد اشتركت فى حرب المكسيك من عام ١٨٦٣ م إلى عام ١٨٦٧ م . وهانحن نبين ما قامت به فى هذه السنين من الأعمال المجيدة :

عام ١٨٦٣ م

فى ٨ يناير سنة ١٨٦٣ م أقلعت النقالة الفرنسية لاسين La Seine بهذه الاورطة من الاسكندرية مارة بطولون حتى وصلت بها إلى فيرا كروز وهى أكبر فرضة فى المكسيك فى ٢٣ فبراير بعد سفر مدة ٤٧ يوماً . وقد مات منها فى أثناء السفر سبعة جنود . وكانت الأورطة بقيادة البكباشى جبرالله محمد أفندى ووكيله اليوزباشى محمد الماس أفندى

وجاء فى التقارير الفرنسية عنها أنها كانت ذات ملابس حسنة وسلاح جيد وهيئة أنيقة واستعداد عسكرى يثير اعجاب كل من يراها . إلا أن سلاحها كان يختلف عن أسلحة الجنود الفرنسية ، فنجم عن ذلك متاعب وعراقيل من جهة الذخيرة فوزعت القيادة الفرنسية عليهم أسلحة فرنسية وأودعت أسلحتهم المخازن ثم اعادتها اليهم عند رجوعهم إلى مصر . كما أن التفاهم معها فى بادىء الأمر كان متعذرا لجهل أفرادها اللغة الفرنسية . فدعت الحالة إلى استخدام بعض الجنود الجزائريين الذين كانوا معهم فى حرب المكسيك للترجمة بينهم وبين سائر الجنود الفرنسية هناك فأمكن بذلك معرفة احتياجاتهم والاستفادة من أهليتهم وكفاءتهم .

وقام جنود هذه الاورطة بأعظم الخدم وأجلها لشجاعتهم وبراعتهم فى الرماية وضرب النار . وبذلك أمكن التعويل عليهم فى المواقع التى كانت الجنود الفرنسية لاتستطيع المقام فيها ، فصدوا غارات العصابات التى كانت تجوس خلال هذه الديار وتشن الغارات على قوافل المؤونة والذخيرة وعلى المخافر التى بها قليل من الحرس

وقبل مباشرة هذه الأورطة العمل رتبت على النظام الفرنسى .

وفى مايو سنة ١٨٦٣ م فجعت الأورطة المصرية « السودانية » بوفاة البكباشى جبر الله محمد أفندى على أثر إصابته بالحمى الصفراء فخلفه القائد الثانى لها الصاغ محمد الماس أفندى بعد أن منح رتبة البكباشى .

وكان لوفاة هـذا الضابط العظيم رنة أسى عند الجميع . وجاء فى تأبين السلطة الفرنسية له أنه كان على جانب كبير من دماثة الاخلاق والتحلى بصفات عسكرية نادرة ، وأنه كان محترما من الجميع لسلوكه الحسن وقيامه بواجباته على الوجه الاكمل وقدره ما على عاتقه من المسئوليات .

وبلغت قيمة تركته ٥٦٦٧ فرنكا أرسلتها السلطات الفرنسية فيما بعـد إلى الحكومة المصرية لتسلمها إلى ورثته مع مبلغ ٥٠٠٠ فرنك على سبيل المنحة منها لهم

ويدرك المرء مقدار وخامة الأراضى الحارة وفساد مناخها إذا علم أنه مع متانة بنية جنود الاورطة السودانية المصرية ومقاومتها لوخامة ذلك الجو أكثر من المكسيكيين أنفسهم ، كان لايوجد فى كل بلوك منها أقل من ٤٢ مريضا على الدوام - ٣٠ فى المستشفى و١٢ فى الثكنات

ومع أن هذه النسبة كبيرة بالنظر لمجموع عدد الاورطة إلا أنه عند مقارنتها بنسبة عدد مرضى فرق الجيوش الفرنسية الاخرى نجدها أقل منها بكثير .

ولما احتلت الجيوش الفرنسية مدينة مكسيكو عاصمة المكسيك أقيمت احتفالات باهرة فى كافة المدن التى فى قبضة هذه الجيوش .

وفى ٢١ يونيه سنة ١٨٦٣ م أقيم فى فيرا كروز قداس حضره القائد العـام ومثلت فيه جميع السلطات العسكرية والمدنية . فعهد إلى الأورطة السودانية المصرية القيام بمهام التشريفات . وبعد انتهاء الاحتفال استعرضت فى أكبر ميادين المدينة .

ولما وقف القائد العام المارشال « فوريه Forey » على ما قامت به هـذه الأورطة فى عدة وقائع كافأها على ذلك . فأمر فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٣ م أن تؤلف منهم كتيبة الجنود الذين يسمون « برنجى نفر » فألفت منهم هذه الكتيبة وبلغ عددها ربع عدد الأورطة . وأمر فمنح كل فرد من أفرادها ٦٥ سنتيما يوميا « قرشين ونصف القرش تقريبا » وأن يميزوا بشارات صفراء توضع على أذرعتهم . فأحدث هذا العمل أثراً عظيما فى نفوسهم وفى نفوس ضباطهم ودل على عظيم عناية القيادة الفرنسية بهم وقدرها لجدارتهم .

وكتب قائد فيرا كروز فى تقريره الذى أرسله إلى القائد العـام عن واقعة نشبت فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ م ما معربه : -

« لقد كلل هذا القتال رؤوس السودانيين المصريين الذين قاموا باعبائه بأسمى أكاليل الفخر فانهم لم يبالوا بالنار المنصبة عليهم من الأعداء وردوهم وهم يزيدون فى العدد عليهم تسع مرات على أعقابهم مدحورين » .

وقد بلغ عدد الوقائع التى خاضت هذه الأورطة غمارها فى عام ١٨٦٣ م ثمانيا وفى أثناء عام ١٨٦٤ م كانت الأورطة المصرية قد خاضت غمار إحدى عشرة معركة .

عام ١٨٦٥ م

حدث فى ٢١ و ٢٣ و ٢٤ من يناير سنة ١٨٦٥ م ثلاث معارك عظيمة اشتركت فيها الاورطة السودانية المصرية ببسالتها المعتادة . وإليك ما قاله القائد العام للأراضى الحارة فى تقريره عنها :

« من الصعب العثور على كلام يمكن التعبير به عن بأس هذه الاورطة البارعة وبسالتها وصبرها على الحرمان واحتمال المشاق وحميتها فى إطلاق النيران وجلدها فى المشى : فلقد قام كل جندى من جنودها فى هذه الوقائع الثلاث بواجبه خير قيام ويرى قائدها أن كافة جنودها تستأهل المدح والثناء . غير أنه لفت الانظار إلى ثلاثة جنود منها أصيبوا باصابات شديدة ، لكنى أرى من واجبى أن أذكر أيضا الاشخاص الآتية أسماؤهم :

« لقد أبلى الملازم فرج الزينى فى هذه الوقائع بلاء حسنا كعادته وكان يقود المؤخرة فأعاد إلى الذاكرة ما لم تنسه من حماسته وبسالته فى حروبه السابقة

« وأصيب الملازم الاول محمد سليمان بستة جروح من طلقات نارية فبرهن بذلك على إقدامه . وهذا الضابط الذى أنعم عليه بوسام فى ٢٠ ديسمبر ، قد أظهر الآن مقدار جدارته لهذا الانعام فألتمس منحه رتبة اليوزباشية .

« أما الجنود الأربعة الآتية اسماؤهم فقد أنعم على كل منهم بالوسام العسكرى وهم : جادين أحمد ، ومحمد الحاج ، وادريس نعيم ، وعبد الله سودان » .

وفى ذلك الوقت كان أمير الألاى آدم بك المذكور قائد الألاى الأول السودانى فى الخرطوم الذى يبلغ مجموعه ٨١ ضابطا و ٢١٩٠ من صف الضباط والجنود . وترقى بعد ذلك إلى رتبة لواء . وفى سنة ١٨٦٨ م أسندت إليه القيادة العامة للجيوش السودانية

ولما وصل تقرير قومندان الآورطة السودانية أرسل اليه الخديوى إسماعيل باشا فى ١٦ ذى القعدة سنة ١٢٨١ هـ - ١٢ ابريل سنة ١٨٦٥ م الكتاب الآتى :

« أمر عال إلى صاغ أورطة السودان .

« قد ورد انهاؤكم «كتابكم» بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٢٨١ هـ الموافق أول يناير سنة ١٨٦٥ يحتوى أنكم ومن معكم قائمون على أقدام الاهتمام ، ومنقادون لأمر مأمور الجيش على الدوام . فحصل لنا بذلك مزيد السرور والارتياح منكم ومن جميع من معكم من الضباط والعساكر . فعرفوهم أنى أريد منهم أن يداوموا على هذا المسلك الحميد والمنهج السديد حتى يعودوا إلى أوطانهم فينالوا الفخر بين اخوانهم ثم بلغوهم أننا سننظر فى ترتيب عساكر ليرسلوا بدلا منهم إلى تلك الجهة . وإن شاء الله عن قريب نرسل البدل المذكور وتحضرون أنتم ومن معكم حيث طالت إقامتكم هناك . وعلى حسب التماسكم أهدى إلى البكباشى مارشال النيشان المجيدى الرابع . وأرسل مع الفرمان المتعلق به » .

وأتت الأورطة السودانية المصرية فى اثناء انتظارها من سيخلفها من الجنود بضروب الشجاعة والأقدام ، اذ كانت تحتل فى متسع من الأرض مساحته ١٦٠ كيلوا مترا ، سبعة مواقع بعضها ليس به منها أكثر من ٣٠ جنديا . ومع ذلك فقد استطاعت ان تبعث الخوف والذعر فى قلوب عصابات تتراوح كل عصابة منها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ وأن توقفها عند حدها . وإليك معرب العبارة التى مدح بها قومندان الأراضى الحارة هذه الأورطة : —

« يا لها من يقظة ويا لهم من رجال أبطال تملك حب القيام بالواجب أفئدتهم فهم لا ينفكون عن القيام به حتى أنه لم يحدث مطلقاً أن بوغت يوماً جندى منهم فى نوبة حراسته ووجد غائبا عن محله . وهم من أنفسهم يضاعفون الحرس ليلا إلى ثلاثة أمثاله بدون أمر ما ليأمنوا أية مباغتة » .

وفى بداية عام ١٨٦٦ م لم تكن الأورطة السودانية المصرية الجديدة قد استعدت بعد للذهاب إلى المكسيك لتحل محل الأورطة السودانية التى بها ، مع أن الخديوى إسماعيل أصدر فى ١٠ ذى القعدة سنة ١٢٨٢ هـ - ٢٧ مارس سنة ١٨٦٦ م أمراً إلى وكيل الشركة العزيزية « الشركة الخديوية فيما بعد » ليصدر التعليمات اللازمة لنقل جنود الأورطة الجديدة الى مصر

وبالرغم كل هذه الأوامر والتعليمات لم تسافر هذه الأورطة الى المكسيك لمجاوزة مدة تجهيزها الحد المألوف بسبب ما حدث من الطوارىء ، ولما تبين أن الحرب أوشكت أن تضع أوزارها وأن الأورطة التي بها قد دنا رجوعها الى وطنها

وفى يوليو سنة ١٨٦٦ م مرت الأمبراطورة بفيرا كروز لتبحر منها إلى أوروبا ولم يكن بهذه المدينة من الجنود غير عساكر الأورطة السودانية المصرية لتأدية التشريفات اللازمة لها .

وفى ليلة ٢٥ يوليو سنة ١٨٦٦ م ، هاجمت فرقة مؤلفة من ٢٠٠ مكسيكى نقطة يحتلها ٢٦ جنديا من جنود الأورطة السودانية المصرية . وبالرغم من أن الهجوم عليهم كان فجأة مع قلة عددهم فقد استمرت رحى الحرب دائرة إلى الساعة ٥ ونصف صباحا . ثم انسحب العدو تاركا فى حومة الوغى تسعة من القتلى وعددا كبيرا من الجرحى .

واليك ما قاله حضرة قومندان الأراضى الحارة فى تقديره عن هذه المعركة

« لقد استحقت الفرقة السودانية المصرية جزيل المدح والثناء لسلوكها العجيب »

عام ١٨٦٧ م

كان قد تقرر فى سنة ١٨٦٦ م جلاء الجيوش الفرنسية التى فى المكسيك فأخذت تنسحب من ١٣ يناير سنة ١٨٦٧ م وتم جلاؤها فى ١٢ مارس من هذه السنة .

وتعداد جميع الأعمال الحربية التى قامت بها الأورطة السودانية المصرية بالمكسيك فى كل مدة إقامتها امر يطول شرحه . وفضلا عما تقدم ذكره ، اشتركت فى ٤٨ واقعة حربية فى المدة التى قضتها هناك من ٢٣ فبراير سنة ١٨٦٣ م الى ١٢ مارس سنة ١٨٦٧ م أى أربع سنوات وسبعة عشر يوما ، وفازت على أعدائها فى جميع المعارك مع أنها كانت دائماً أبدا أقل منهم عددا . وقد نيطت بها فوق ذلك أعمال أخرى قامت بها خير قيام .

أما المدائح المستطابة التى وجهت اليها من السلطات الفرنسية المختلفة عقب كل معركة فكثيرة جدا وهى تشرف بالطبع الجيش المصرى الذى كانت الأورطة جزءاً منه إلى أقصى حدود التشريف .

ولما أخذت الأورطة فى الرحيل أبحرت من فيرا كروز فى ١٢ مارس سنة ١٨٦٨ م ووصلت إلى « سانتير » ثم إلى باريس فى أواخر شهر ابريل .

وكانت فى مدة إقامتها فى باريس تحت قيادة المارشال قائد الحرس الامبراطورى فقدمها بنفسه الى الامبراطور نابليون الثالث . وعند ما استعرضها جلالته فى ٢ مايو سنة ١٨٦٧ م فى الساعة الثالثة بعد الظهر كان بمعيته صاحب السعادة جاهين باشا ناظر الجهادية المصرية . وكان يزين صدور عدد كبير من ضباطها وجنودها

وسام « لاكروا دى لاليجيون دونور » أو وسام الحرب وكان هندامهم جميلا أنيقا لا عيب فيه . وقبل انصرافهم هنأ جلالته قائد الأورطة البكباشى ألماس افندى بمقدرة عساكره وأهليتهم ووزع بيده على الذين أصيبوا بجروح وكانوا كثيرين المكافآت . أما البكباشى ألماس افندى الذى كان حائزاً لرتبة « شفاليه دى لاليجيون دونور » منذ ٢٠ ابريل سنة ١٨٦٤م فقد منح فى هذا اليوم وسام « لاكروا دفسييه »

ثم غادرت الأورطة فرنسا ووصلت إلى الديار المصرية وأصبح عددها ٣١٣ بعد أن كانت ٤٥٣ . فتكون خسارتها ١٤٠ نفسا .

وفى ٢٨ مايو سنة ١٨٦٧ م استعرضها الخديوى اسماعيل فى فناء قصر رأس التين بالاسكندرية . وفى مساء هذا اليوم أقام لها لطيف باشا ناظر البحرية حفلة حافلة رأسها شريف باشا جمعت ضباط الأورطة والضباط الفرنسيين المقيمين بالاسكندرية والمارين بها . وحضرها قنصل فرنسا العام وموظفو القنصلية وقائد الاسطول الفرنسى وكثير من عظام الضباط المصريين . وكانت قاعة الاحتفالات مزينة بالأعلام الفرنسية والمصرية .

ولما عاد ضباط الاورطة وجنودها عينوا فى وظائف الجيش المصرى ونال الكثير منهم رتبا عالية : فوصل الملازم الأول فرج الزينى افندى إلى رتبة فريق وباشجاويش البلوك الثانى بخيت بتراكى إلى رتبة أمير الاى

رأى مؤرخين فرنسيين

يقول الكاتبان الفرنسيان « آميديه سكريه » و « لويز أوتربون » (١) فى مؤلفهما :

« ولما كانت الجندية هى سبب نجاح محمد على باشا فقد وجه عنايته للعسكرية وأسس جيشا لا يقل عن أحسن جيوش أوربا نظاما وتدريبا بل فى كل شىء إلا فى عدده

« ولقد دون التاريخ الانتصارات الحربية لعسكرية الباشا المهيبة الجانب ولسنا هنا فى مقام تفصيل ذلك فهى وقائع معروفة . ولكن الذى لا يعرفه الكثيرون معرفة كافية هو : أن المصرى جندى متفوق اذا ما أدير بيد ماهرة قوية

« واذا صح ما قيل من أن صفات الامم العالية تمثل فى جيشها وأن حب

---

(١) كتاب « مصر فى عهد إسماعيل » — ص ١٧٠ و ١٧١

النظام وطاعة الأوامر العسكرية هما الدعامة الكبرى للفن العسكرى . فالجندى المصرى يقيم الدليل المحسوس على صحة هذه الحقيقة : فهو قنوع صبور مطيع للأوامر بصير حذر وشجاع ، ويحتمل دون ما ضجر حرمانه من حاجاته لدرجة فوق التصور وعند ما اتيحت له الفرصة استطاع أن يمنع ويصد جموع الفيالق الروسية دون الاستيلاء على « سيلستري » ، وأن يقطع إرباً ارباً بالفرات فى واقعة « نصيبين » ، جيشا كان ضعفيه عددا — وفى عهد قريب فى « أوائل حكم اسماعيل باشا » تجلت تلك الروح العسكرية بأوضع المظاهر فى اللواء المصرى الذى أرسله إلى فرنسا عزيز مصر سعيد باشا ليكون فى حملة المكسيك وأقره على ذلك خلفه اسماعيل باشا

« فان دلائل التفوق وشهادات الفخار العسكرية والنياشين التى اختص بها عدد عظيم من ضباط وعساكر هذا اللواء فى غنى عن كل شرح وبيان — راجع مذكراتنا الايضاحية بآخر الكتاب رقم ٣ ص ٢٩٢ — ٢٩٧ »

وإلى القارىء ماورد فى تلك المذكرة ملخصا عن ست صفحات :

« لا يقرأ بدون اهتمام ذلك التقرير الذى أصدرته القيادة العليا الفرنسية « بفيره كروز » عن واقعة ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ التى اشتبكت فيها فصيلة من أورطة سودانية مصرية ، فلقد كان لثبات هذه الفصيلة الصغيرة وشجاعتها أعظم تأثير فى الانتصار فى هذه الواقعة وقد قدر ذلك القائد الفرنسى حق قدره بعبارات تغنينا عن الشرح فهى وحدها كافية للدلالة على قيمة موقف هذه الفصيلة المشرف للجندى المصرى وإليك بعض ماجاء بهذا التقرير :

« وفى ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ عند الساعة السابعة صباحا تحرك القطار الحديدى من محطة « فيرا كروز » قاصدا « صولداد » وكان هذا القطار فى حراسة أربعة عشر جنديا سبعة من البلوك البحارة الوطنيين من جزائر الهند الغربية « أنيليس » وسبعة من الأورطة السودانية المصرية وهذه اسماؤهم

« بخيت بدرين أومباشى . بيتال حماد . وايتوم سودان . وابراهيم عبدالرحمن . ومحمد عبد الله . وعمر محمد . ومحمد على . وعند اتجاه القطار لجهه « تيجريا » فوجئ الركاب باطلاق الرصاص من الجانبين وتحولت المركبات عن خط السكة الحديدية وفى وقت الفزع الشديد والاضطراب الذى شمل جميع الركاب نزل السبعة السودانيون المصريون بقيادة بخيت بدرين ، وهو اسم يكثر عند الدنكا ، وحملوا أسلحتهم ووقفوا مدة إلى جانب العربات بكل ثبات منتظرين اكتشاف مكامن

الثوار الذين كانوا يكمنون فى المرتفعات المحيطة بهم ولما خفيت مواضعهم على القائد ولم يستطع لهذا السبب أن يأخذهم من ظهورهم بحركة التفات ، بادر باصدار أمره بالتقدم لمهاجمة الثوار فى معاقلهم المرتفعة ولكن حالت كثافة الحشائش والأشواك فى الطريق دون تحقيق ذلك فتحصنوا بعربات القطار وأصلوا الثوار ناراً حامية ودام اطلاق الرصاص من الجانبين مدة كبيرة . ولما وقع القائد « لى جيه » صريعا فى ميدان القتال تقدم « بيتال حماد » — « وهو اسم يكثر بين الشلك » محاولا حمله وادخاله إلى العربة فأصيب فى رأسه اصابة مميتة فتقدم « بخيت بدرين » و « أيتوم سودان » ، وبادرا بحمل القومندان الذى كان لايزال فيه بقية نفس إلى العربة ثم حملا بعده مواطنهما الشهم شهيد الواجب . ثم تولى القيادة الضابط الفرنسى « شيرر » الذى أرسل يستخدم بالقوة المصرية المعسكرة فى « تجريا » وأخبر القيادة العليا « بفيرا كروز » بالحادثة وقد وجل الثوار من شدة فتك نيران الجنود السودانية المصرية من أن تهاجمهم جسما لجسم وتقاتلهم يدا بيد ولكن هؤلاء الجند لم يمكنهم تحقيق غرضهم وردوهم مرات على أعقابهم وقد قتل الجندى « أيتوم سودان » - ويكثر هذا الاسم بين أهالى منجلا - بنفسه اثنين على بضع خطوات منه ودارت رحى القتال بشدة أكثر من ساعة حتى كادت الذخيرة أن تنفد وعند ذلك لوحظ هدوء طلقات الثوار . ثم انتهى بعد قليل بالسكوت المطلق فظن القائد أن ذلك خدعة وانتظر بضع دقائق حتى تقدم جندى هندى « انتيلى » للاستكشاف وما لبث أن عاد مخبرا بتفرق الثوار وجلائهم عن أماكنهم بعد جسامة خسائرهم وعلمهم بتقدم المدد المصرى من « تيجريا » عدوا على الاقدام مخافة أن يقعوا بين نارى المصريين وكانت الخسائر فى هذه المعركة ثلاثة قتلى القومندان « ليجيه » و « بيتال حماد » ومكسيكى من الركاب والجرحى بجروح خطيرة والمسيو ليون مدير السكة الحديدية والراهب سافللى وأحد العساكر ، وجرح بجروح أقل خطورة « شيرر » وتسعة من العساكر الركاب والملازم الثانى « بوتناى » وسيدة مكسيكية

واختتمت القيادة العليا تقريرها بما يأتى : —

« لقد أبلى الجنود السبعة المصريون فى هذه الموقعة أعظم بلاء وثبتوا ثباتاً مدهشاً فوق التصور والكل كان موضع إعجاب الضباط والعساكر الذين حاربوا معهم جنباً لجنب وليس ثمت شك فى أن أكبر فضل فى هذا الفوز راجع إلى مقاومة

أولئك الجنود مقاومة قوية عنيفة أوجبت إعجاب القيادة بعد أن علمت أن عدد الثوار كان يبلغ نحو الثلاثمائة مقاتل بين راكب وراجل

« ولذلك رأينا ترقية وكيل الأومباشي بخيت بدرين الى درجة شاويش وترقية كل من ايتوم سودان . وابراهيم عبد الرحمن ومحمد عبد الله وعمر محمد الى رتبة أومباشي وفوق هذا أطلب لبخيت بدرين وأيتوم سودان « الميدالية العسكرية » من الأمبراطور »

« وهذه المكافآت قد أعطيت لهم فى أول مارس سنة ١٨٦٤ بيد القائم العام للحملة وعقب ذلك بامضاء القومندان العام للحملة الفرنسية بالمكسيك

ه . ماريشال

وذيل بامضاء

قومندان أوريزايا

« دولسيون لواء »

« حرر بفيره كروز ٢٤ مارس سنة ١٨٦٤ »

زيارة سعيد باشا للسودان

وقد اهتم سعيد باشا بأمر السودان ، وعين على شركس باشا حاكماً للسودان وندب سعيد باشا أخاه الأمير عبد الحليم باشا للتفتيش على ادارة السودان . ثم زار سعيد باشا السودان ومعه راغب باشا ، وذو الفقار باشا والدكتور أباته باشا وابراهيم النبراوى بك وأراكيل بك أخو نوبار باشا ومسيو فردينان دلسبس . وقد وصل سعيد باشا إلى الخرطوم فى ١٦ يناير سنة ١٨٥٧ ، وقد خطر بباله إخلاء السودان ، نظراً لمتاعب إدارته وكثرة نفقاتها ، وبرم الأهالى بالضرائب التى تتقاضاها الحكومة منهم . وقد استقبل الأهالى سعيد باشا بالحفاوة ورفعوا اليه ظلاماتهم ، وأصغى اليها ، ولما علموا بتفكيره فى إخلاء السودان ، إلتمسوا منه عدم تحقيق هذه الفكرة ، قائلين إن إخلاء السودان سيترتب عليه عودة الفوضى اليه . و « نحن عبيد أفندينا » فقبل رجاءهم وعدل عن الاخلاء ، وأمر باعفاء الأهالى من المتأخر عليهم من الضرائب ، وخفضها وجعل تقديرها على أساس أن تتبع عدد السواقى فى الأطيان ، لأن السواقى تدل على مبلغ خصوبة التربة ومحصولها ، ففرض ٢٠٠ قرش على الاراضي التي تروى من ساقية واحدة ، وفرض ضريبة تتراوح بين ٢٠

و ٢٥ قرشاً على الفدان فى الاراضى التى تروى بالامطار ، وفصل الموظفين الترك الذين أساءوا معاملة الاهالى ، وعاقب الموظفين المذنبين وأمر المديرين بحسن معاملة الاهالى وإقامة العدل بينهم ، وبتعويد الاهالى حكم أنفسهم بانشاء مجالس عرفية من نظار القبائل ورؤساء العشائر والاسر المحترمة ، وجعل جباية الضرائب منوطة بغير الجنود ، وأنشأ محطات صحراوية لنقل البريد بين مصر والسودان ، ونظم البريد وأقام معسكرا على نهر السوباط لمنع تجارة الرقيق ، وبعد عودته إلى مصر ندب موجيل بك كبير المهندسين لتسهيل المواصلات بين حلفا والخرطوم ، فوضع موجيل بك مشروع إنشاء سكة حديدية بين هاتين المدينتين ، ولكن لم ينفذ المشروع لكثرة نفقاته ، وألغى سعيد باشا منصب حاكمدار السودان وجعل السودان يتألف من خمس مديريات كل منها تتبع نظارة « وزارة » الداخلية بالقاهرة مباشرة ، وعين أراكيل نوبار بك ، مديراً لمديرية الخرطوم وسنار وبعد أن توفى أراكيل بك خلفه حسن سلامه بك ثم محمد راسخ بك

على أن إلغاء منصب « حاكمدار السودان » قد ترتب عليه جنوح المديرين إلى الاستبداد ، فأعاد سعيد باشا هذا المنصب وعين فيه موسى حمدى باشا ، الذى عين من الأهالى نظاراً للأقسام « أى مأمورى مراكز » ومعاونين ومجالس ونظم جباية الضرائب

النظام القضائى فى السودان

بقى النظام القضائى كما كان فى عهد محمد على ، وظل للمحاكم الشرعية اختصاصها فى المسائل الخاصة بالأحوال الشخصية ونقل الملكية ، وأنشئت محاكم جديدة للفصل فى الخصومات المدنية والتجارية ودعيت باسم « مجالس الأقاليم » وكان عددها أولا خمسة ، أربعة فى مصر هى مجلس طنطا ، ومجلس سمنود ، ومجلس الفشن ، ومجلس جرجا ، ومجلس الخرطوم ، ويفصل فى المنازعات التى تقع فى السودان ، وكان كل مجلس يتألف من رئيس وأربعة أعضاء وأربعة كتاب عدا مجلس سمنود فانه كان يتألف من رئيس وعضوين وعين لكل مجلس اثنان من العلماء يحمل كل منهما لقب مفتى أحدهما للمذهب الحنفى والآخر شافعى وكان مجلس الأحكام والمجلس الخصوصى يصدران القوانين واللوائح وتطبقها مجالس الأقاليم وكان مجلس الأحكام معدودا أعلى هيئة قضائية وهيئة تشريعية فى الوقت ذاته

الفصل الخامس عشر

السودان فى عهد اسماعيل



اسماعيل باشا خديو مصر من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٩

الخديوى اسماعيل باشا هو ابن ابراهيم باشا بن محمد على باشا ، ووالد المغفور له محمد توفيق باشا الخديوى الأسبق والمرحوم السلطان حسين كامل الأول وحضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول . ولد اسماعيل باشا فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠ فى قصر المسافرخانة بحى الجمالية بالقاهرة ، وتعلم اللغات العربية والتركية والفارسية ومبادىء العلوم ثم أرسله والده إلى فينا عاصمة النمسا وكانت سنه ١٤ سنة ، وبعد سافر إلى باريس وكان عضوا فى البعثة المصرية المدرسية الخامسة مع أخيه الأمير احمد رفعت ومع الأميرين عبد الحليم وحسين من أنجال محمد على ، وتعلم فى باريس

الهندسة والعلوم الطبيعية والرياضية ، وأتقن اللغة الفرنسية ، وكان كثير الذكاء طموحا ، وقد أحب الحياة الأوربية والحضارة الغربية ، واعتزم أن يجعل من مصر بلدا يشبه أوربا علما وملكا وإدارة وقضاء(١) ، وقد سافر إلى استانبول « الاستانة » وعينه السلطان عبد المجيد عضوا بمجلس أحكام الدولة العثمانية التركية ، وكان ذلك فى عهد عباس الأول ، ثم عاد من الأستانة فى عهد عمه سعيد باشا الذى عينه رئيسا لمجلس الأحكام فى مصر — وكان هذا المجلس أكبر هيئة قضائية فى البلاد ، وقد ندب إلى باريس وقابل البابا فى روما فى بعض المهام السياسية .

وكانت القاعدة فى نظام التوارث فى العرش فى مصر ، طبقا للنظام الذى وضعه محمد على باشا أن يلى الحكم الأرشد فالأرشد سنا من أعضاء بيت محمد على ، وكان لاسماعيل باشا أخ أكبر منه هو « الأمير أحمد رفعت » ، وبذلك كان هو الأحق بولاية العرش ، إلا أنه توفى سنة ١٨٥٨ فى أثناء سفره بالسكة الحديد عند كفر الزيات حيث سقطت العربة فى النيل ومات الأمير أحمد رفعت فى النيل ، وأصبح اسماعيل باشا ولى العهد ، وعين ردفا « قائمقاماً » لسعيد باشا فى أثناء غيابه عن مصر ، وعينه سردار الجيش المصرى ، وكلف باخماد فتنة أثارتها قبائل فى السودان . ولما مات سعيد باشا فى ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، خلفه ولى عهده اسماعيل باشا .

كانت أهم أعمال اسماعيل باشا توسيع استقلال مصر داخليا عن تركيا ، والحصول على لقب خديوى بالفرمان السلطانى الشاهانى فى ٨ يونية سنة ١٨٦٨ والاحتفال بافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ وزاد فى عهده النفوذ الفرنسى والانجليزى فى مصر بالمعاهدات وبعقد القروض التى بلغت ١٢٦٣٥٤٣٦٠ جنيهاً انجليزياً ، ثم توسيع حدود مصر فى السودان ، ولم تشهد مصر فى تاريخها القديم والحديث توسيعا منظما ووطيدا فى السودان كما شهدت فى عهد إسماعيل ، الذى تعد فتوحه وبعثاته الكشفية فى السودان من محاسن حكمه

* * *

وصلت حدود السودان فى عهد محمد على إلى البحر الأحمر شرقا ومعها أقليم التاكا « كسلا شرقى نهر عطبرة » ، وعند حدود الحبشة إلى القضارف والقلابات ، ومعها سواكن ومصوع ، وجنوبا إلى جزيرة جونكر : المواجهة لمدينة غندكرو على النيل الأبيض

(١) قال اسماعيل فى حديثه مع السير ريفرس ويلسون فى ٢٣ اغسطس سنة ١٨٧٨ بعد اطلاع سموه على تقرير لجنة التحقيق « ان بلادي لم تعد فى افريقية ، بل نحن الآن قطعة من اوروبا » — « الكتاب الأصفر الفرنسى سنة ١٨٧٨ »

فتح فاشودة سنة ١٨٦٥

تقدمت الجنود المصرية فى عهد جعفر صادق باشا حكمدار السودان واحتلت فاشودة سنة ١٨٦٥ وأقامت بها معسكرا . وتقع فاشودة عند ملتقى الطرق المختلفة من الخرطوم والحبشة إلى جنوب السودان ، وبالقرب من ملتقى روافد النيل كالسوبات وبحر الغزال وبحر الزارف . وفاشودة نقطة الاتصال بين السودان وأقاليم خط الاستواء ، وبعد إعادة السودان بقيادة كتشنر باشا ، سميت باسم كودك وسميت مديرية فاشودة باسم مديرية النيل الأعلى أو أعالى النيل

وقد حصل اسماعيل باشا بفرمان سلطانى فى ٢٧ مايو سنة ١٨٦٠ على ضم قائمقاميتى سواكن ومصوع إلى حكمه ، وقد كانتا فى عهد محمد على فى حدود السودان



الأسطول النيلى الذى تحرك من الخرطوم يوم ٨ فبراير سنة ١٨٧٠ لفتح إقليم خط الأستواء وكان مؤلفا من ثلاثين سفينة شراعية وباخرتين

وتحت حكمه ، إنما بقيتا من أملاك الدولة التركية العثمانية مقابل استئجارهما منها بدفع مبلغ سنوى قدره ٢٥ ألف جنيه إلى السلطان التركى . وقد جعل اسماعيل باشا كلا من مصوع وسواكن محافظة ، وكانت محافظة سواكن تبدأ من رأس علبه إلى رأس قوصار ، ومحافظة مصوع من رأس قوصار إلى حلة رهيقة عند بوغار باب المندب . وقامت مصوع على جزيرة فى البحر الأحمر ، فأنشأ اسماعيل باشا جسراً

طوله ١٨٠٠ متر وعرضه ١٠ أمتار سنة ١٨٧٢ بينها وبين اليابسة وشيد بها قلعة ومبانى للحكومة وموظفيها ومدت ترعة اليها . وبقيت محافظتا سواكن ومصوع ملكا لمصر حتى قامت الثورة المهدية ووافق الخديو توفيق باشا على اخلاء السودان



نقل اجزاء البواخر النيلية على ظهور الابل من مصر إلى السودان فى صحراء النوبة استعدادا لفتح إقليم خط الاستواء



السير صموئيل بيكر واللادي بيكر

سنة ١٨٨٤ ، فبادرت ايطاليا بانتهاز الفرصة واحتلت محافظة مصوع سنه ١٨٨٥ وأصبحت مع أرض أخرى تدعى مستعمرة الاريتريا . وأصبحت سواكن بعد اتفاقية سنه ١٨٩٩ محافظة تابعة لحكومة السودان ، وهى فى الوقت الحاضر مركز

وفى عهد اسماعيل باشا تم فتح إقليم خط الاستواء ومملكة أونيورة وبسطت مصر حمايتها على مملكة أوغنده ، وفتحت مديرية بحر الغزال وسلطنة دارفور ، وعند حدود الحبشة والبحر الأحمر امتدت الحدود فضمت سنهيت وبلاد البوغوص وإلى بوغاز باب المندب، وضمت محافظتى زيلع وبربرة على خليج عدن وفتحت سلطنة « هرر » فى الجنوب الشرقى للحبشة ودخلت سواحل الصومال الشمالية فى أملاك مصر السودانية إلى رأس « جوردفون » على المحيط الهندى ثم إلى رأس حافون ، وبذا امتدت حدود السودان تحت الحكم المصرى جنوبا إلى بحيرة البرت وبحيرة فكتوريا وشرقا إلى البحر الأحمر وخليج عدن وغربا إلى حدود واداى ، وقد بينا هذه الفتوحات فى البعثات الكشفية والحملات العسكرية بقيادة السير صمويل بيكر وغيره من رجال الجيش المصرى المظفر ابتداء من صفحة ١٢١ من هذا الجزء . وقد نشرنا خريطة «للسودان فى عهد اسماعيل - فى الفصل التاسع عشر باب الحكم المصرى فى السودان »

غوردون باشا

عين الخديو اسماعيل باشا - بترشيح الحكومة الانجليزية بصفة غير رسمية - الكولونيل غوردون مديرا فى مديرية خط الاستواء فى يناير سنة ١٨٧٤ خلفا للسير صمويل بيكر الذى كانت ادارته تابعة لحاكمدار عموم السودان . أما الكولونيل غوردون فقد عين مديرا لخط الاستواء على أن يكون مستقلا فى ادارته عن حكمدار السودان اسماعيل أيوب باشا يومئذ . وكان غوردون فى القاهرة قبل تعيينه بشهرين ووصل الكولونيل غوردون إلى الخرطوم وقد طلب من حكمدار حكومة السودان أن يعد له أربعة بلكات من عساكر الجهادية أبناء العرب مسلحين بسلاح رمنتن معهم ضباطهم وكان الكثيرون من الضباط وصف الضباط غير مرتاحين لمرافقة الكولونيل غوردون فى حملته العسكرية فى خط الاستواء ، لبعد المسافة وخطر الأوباء والخوف من سكان خط الاستواء المعروفين بالبأس والقسوة ، على أن غوردون قد لحظ أن الجنود المختارين لمرافقته كانوا أقل جنود الجيش كفاية

فشكى إلى الخديوى اسماعيل باشا اختيار اسماعيل باشا ايوب للجنود فأرسل الخديوى تلغرافا الى أيوب باشا بتوبيخه وبالزامه بانتخاب أفضل الجنود لمرافقة الكولونيل غوردون فى خط الاستواء .

وممن رافقوا الكولونيل غوردون فى حملته «ابراهيم فوزى» وكان برتبة الاسبيران — وكانت هذه الرتبة من رتب الجيش تقع بين الصف الضابط والملازم الثانى — وقد أصبح ابراهيم فوزى فيما بعد « اللواء ابراهيم فوزى باشا » كما سيجىء الكلام بعد



غوردون باشا

أقام الكولونيل غوردون عند وصوله الى الخرطوم فى سراى الحكومة فى الجانب الشرقى من مدينة الخرطوم فى قصر راسخ بك . وأعدت لحملته أربع بواخر نيلية وهى « بوردين » و « تلحوين » و « الصافية » و « المنصورة » كان عليها البلكات الأربعة وسلاحها . أما غوردون فقد استقل الرفاص المسمى « خديو »

وكان معه ابراهيم فوزى . وبعد سبعة أيام وصل « غوردون (١) » ومن معه إلى « فاشوده » فقابلهم مديرها المرحوم يوسف حسن كوردة بك بالحفاوة وكان أهالى فاشودة من العبيد الشلك والنوير والدنكه ، مطمئنين إلى الحكم المصرى . وبعد يومين سار « غوردون » من فاشوده الى محطة سبت ، أو « سوباط » وهى محطة على مقربة من نهر « سبت » الذى يجىء من الحبشة وتبعد عن فاشوده ١٨ ساعة بالبواخر النيلية . وقد أنشأ خندقا بمحطة سبت وطوابى ومركزا للحكومة ، وعين اليوزباشى محمد أحمد محافظا على محطة سبت وأمره بمنع تجارة الرقيق ، ثم سار إلى جبل الرجاف وغندكرو ومدخل بحر الزراف ، ثم وصل الى مشرع (٢) الرق حتى مديرية شكا حيث كان النهر مغطى بالأعشاب الكثيفة ، وقد وزع غوردون الهدايا والعطايا على رؤساء الأهالى ثم وصل ومن معه إلى مية شامبى بك وعليها مشرع يدعى « غابة شامبى » وكان بها تجار كبار مثل أبو عمورى وكوجك على وغطاس وغيرهم يتجرون بسن الفيل وكان شيخ المشرع يدعى الشيخ الحدادو قد أحسن استقبال غوردون ومن معه ورست البواخر هناك وحفر الجند خندقا وأنشأ مركزاً وعين اليوزباشى مصطفى فتحى مع بلكه مأمورا « لشامبى بك » وأمره بمعاملة الأهالى بالرفق وبمنع تجارة الرقيق ، وأبلغ الأهالى أنهم أصبحوا تابعين للحكومة الخديوية ، ثم سافر إلى الرجاف مارا بمحطة بور ، التى كان بها ٤٠٠ من العساكر المسلحة المأجورة للتجار ، وقد أعلنهم غوردن بأنهم أصبحوا تابعين للحكومة الخديوية ، ثم أنشأ مديرية بور وعين الضابط السودانى آدم عامر افندى الذى كان من رجال السير صمويل بيكر « بيكر باشا » وكيلا للمديرية ثم سار غوردون إلى جبل الرجاف وغندكرو ، واستقبلهم المدير رؤوف بك « باشا » ، وقد شكا رؤوف بك إلى غوردون من كثرة حوادث القبائل وفتنها فقال له غوردون « ان السبب فى ذلك هو سوء إدارتك ، وأنه لاداعى لبقاء كل هذه الجنود كلها معك ويكفى خمسون رجلا » . وفى الحال أمر غوردون أن يحضر مشايخ القرى ونظار القبائل وخاطبهم غوردون بكلام لين ووزع عليهم الكساوى الحمراء والسيوف البيضاء ففرحوا ، وترك بينهم خمسين شخصا وقال لهم إن الخمسين جنديا قد تركتهم لحراسة علم الحكومة الخديوية ولاظهار سلطتها وأنتم المسؤولون عن كل مايحدث فقالوا « اننا عبيد أفندينا والحكومة الخديوية ونحن لانقوم فى وجهها

---

(١) السودان بين يدى غوردون وكتشنر — ابراهيم فوزى باشا

(٢) المشرع أماكن للتجارة على شكل مربع من عروق الأشجار يقيم فيها التاجر او وكيله ومعه حراس مسلحون للدفاع ولجلب الرقيق ، وقد دفع الخديو اسماعيل تعويضات لاصحاب المشارع ليتخلوا عنها

ما دمنا نعامل بالعدل ولا يقع علينا ظلم » . ثم عزل غوردون رءوف بك وعين مكانه القائمقام الطيب عبد الله بك وكان بكباشى أول الآلاى وهو رجل سودانى من قبائل العبيد ثم نقل الطيب عبدالله باك مديرا إلى اللادو وعبدالله أغا الدنسوى وهو من ضباط الجهادية السود مديرا للرجاف

واستمر غوردون ومعه ٦٠٠ جندى من العرب والسودانيين والمصريين إلى شلال « مق » ، وقد تعرضوا إلى هجوم الأهالى الذين دقوا الطبول وصاحت الأبواق وهجموا بالنبال والنشاب السامة ، وبالنيران . ولكن العساكر هزمتهم ووصل غوردون إلى بحيرة نيانزا وأقام شهرين فى اللادو ، وعاد إلى الخرطوم وقد نظم غوردون ديوانا لخط الاستواء فى الخرطوم منفصلا عن حكمدارية السودان ثم عاد من الخرطوم إلى خط الاستواء ونال ابراهيم فوزى رتبة صوغول أغاصى « ملازم أول » ووصل غوردون إلى جبل « اللادو » و « ما فقوا » ووزع غوردون الهدايا وجرد حملة إلى جهة مرولى وفتحها وأعلن أنه حاكم قد جاء باسم الحكومة المصرية لتعميم المدنية وفتح البلاد للتجارة ، وطلب إلى الملك امتيسة الخضوع فأرسل الملك اليه رسولا يبلغه أن الملك « أمتيسة » قوى وقوته اكبر من قوة الحكومة المصرية وقال الرسول لغوردون : « إنا راضون بحالتنا ولم نشك اليكم شيئا ونحن فى غنى عن مدنيتكم التى تحرمنا نعيمنا واستقلالنا الذى نتمتع به »

غير أن غوردون جنح للسلم وطمأن امتيسة ، وخضع امتيسة وقبل إنشاء محطة عسكرية فى مرولى . وكان الملك أمتيسة يلبس القباطى الحريرية من صنع زنجبار وعلى رأسه عمامة كأهل مكة وفى رجليه الجوارب والنعال الحرائر ، وقد أظهر أمتيسة خضوعه للحكومة وقد طلب غوردون من مصر ارسال عربة لركوب الملك أمتيسة وأهدائها له وهى العربة التى استولى عليها عبد الله التعايشى فيما بعد . ويعد « امتيسة » أقوى حكام الجنوب

ثم دعا غوردون الملك أمتيسة للدخول فى الاسلام ، وأرسل اليه اثنين من العلماء واثنين من الحلاقين لعملية الختان وعند وصولهم كان مع الملك امتيسة أربعة من المبعوثين البروتستانت وصلوا من الزنجبار ولما علم أمتيسه أن غوردون دينه مسيحى بروتستانتى ، وظن أن المبعوثين من ناحية غوردون ، أهمل الفقيهين والحلاقين حتى كاد الجوع يقتلهم ، فعادوا وكان الملك أمتيسة منافقا عنده علمان المصرى

والا لميزى فاذا حضر اليه مصرى قال اننى تابع للحكومة المصرية ورفع العلم المصرى على داره . وإن كان الزائر انجليزيا رفع العلم الانجليزى ، وقال إننى خاضع لسلطة الانجليز وأخيرا رفع العلم الانجليزى . وقد ترك غوردون مديرية « مرولى » وعدها آخر الحدود وعين القائمقام محمد ابراهيم بك وهو من مواليد السودان وشهرته « ابن جمعية » مديرا لها

ثم عاد غوردون إلى مركز اللادو ، واستقبله الأهالى فرحين مغتبطين فقد تخلصوا من سلطة التجار أصحاب الكبابين « الشركات » المستبدين ، وقد علم غوردون عند ما وصل إلى اللادو بأنه فى « اللاتوكة » التي تبعد عن غندوكرو مسير ١٢ يوماً زرائب(١) السيد أحمد العقاد والتجار الآخرين يضايقها العبيد وحاصروها ، فارسل غوردن حملة بقيادة الصاغ محمد أغا عبد الكافى وأصله من ضباط الجهادية السود فانقذهم . وقد أسس غوردون نقطا عسكرية منها سوباط والناصر وشمبا ومكركه وبور واللاتوكه واللادو والرجاف والدفلاى وفاتيكو وفويرة ولابورى وبحر الجبل ومرولى وترك فيها ٦٤٠ عسكريا سودانيا و ١٥٠ جنديا مصريا و ٦٥٠ من الباشبوزق الدناقلة والجعليين . وصحب غوردون الكولونيل لونج الأمريكى والدكتور أمين وجيسى الايطالى والكولونيل بروت وابن لينان باشا .

تاريخ حياة غوردون

ولد غوردون فى مدينة ولوتش بانجلترا سنة ١٨٣٣ وانتظم فى الجندية سنة ١٨٥٢ وهو من أسرة اشتهرت بالجندية وكان أبوه فريقاً فى المدفعية الانجليزية . وقد اشترك مع الجيش الانجليزى فى حصار « سيبتسبول » سنة ١٨٥٥ . وفى سنة ١٨٦٠ سافر إلى الصين واشترك فى الجيش الصينى ونال من سلطان الصين لقب صارى عسكر وفى سنة ١٨٦٥ عاد إلى الجيش الانجليزى فرقى فيه إلى رتبة كولونيل وبقى هناك حتى عين مديراً لمديرية خط الاستواء . وهذه صورة الأمر العالى الذى أصدره الخديوى إسماعيل باشا بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١ هجرية الموافق سنة ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤ ميلادية نمرة ٩١ سايرة

« أنه بحسب المشهور فيكم من اللياقة والأهلية قد عيناكم مأموراً على جهات خط

---

(١) الزريبة فضاء مسور به مساكن وتودع به السلع والأمتعة والخيل والماشية وقد ادى فتح محمد على للسودان إلى كثرة ورود التجار السوريين واللبنانيين ومن اسيوط والقاهرة وتوغلهم فى الجنوب الذي لم يكن قد فتح ، وانشائهم زرائب ومشارع وانشائهم قوات وطنية مسلحة لحماية تجارتهم

الأستواء التابعة للحكومة، وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة بنفسها غير تابعة للحكمدارية إنما كافة لوازماتها التى يقتضى الحال لتداركها من طرف الحكمدارية هذه يجرى تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابلة محاسبة المالية بذلك، كما أمرنا الحكمدار المولى اليه بامرنا الصادر له فى تاريخه ومرسول لكم طى هذا لتوصيله اليه عن يدكم. وبما أن أمور التجارة فى ذاك الطرف هى واحدة يقتضى أن الذى يتحصل عليه من تلك الجهات من أنواع التجارة بعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعيينات ترسلوه إلى حكمدار السودان لقبوله من أصل ما يصرفه فى أثمان اللوازمات التى تطلبوها منه. وعند وصولكم الآن لتلك الجهات واختباركم أحوالها، تجروا ترتيبها بحسبما يتراءى لكم وتستحسنوه سواء كان باجعال مدير يتعين أو إجعال أقسام أو نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها مع معاملة أهاليها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عماريتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم فى سلك الانسانية شيئا فشيئا وهكذا مما يلزم أجروه على حسب التعليمات التى أعطيت لكم بالفرنساوى: وهاهو موجود هناك رءوف بك قوموندان العساكر الموجودة بذاك الطرف وتحرر أمر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتكم وأمرناه به أن يكون هو والعساكر تحت أمركم فيما يجب أجراه فى صالح المصلحة ولو أن المومى اليه ومن معه من العساكر صار لهم مدة زائدة فى تلك الجهات وذلك منظور فى ارسال خلافهم من هذا الطرف لتغييرهم. لكنه فى مسافة إرسال البدل يكون المومى اليه والعساكر منقادين لأوامركم حسب أصول قوانين الجهادية، وعلى هذا وما هو منظور لنا فيكم من حسن الغيرة والأهلية مؤملين الاستحصال على ما فيه عمارية جهات خط الاستواء المحكى عنها وراحة أهاليها وحسن توطينهم وتأليفهم على الدخول فى سلك الانسانية شيئا فشيئاً كما هو مطلوبنا »

« حاشية » إنه بعد توجهكم ووصولكم ذلك الطرف تعملوا الترتيب اللازم عن مصاريف تلك الجهة بحسبما يلزم لها من الخدمة والعساكر وكلما يلزم تداركه وإرساله من جهات الحكمدارية على حسب الترتيب المذكور فاطلبوه من الحكمدارية وتعينوا له الأوقات والمواعيد - اللازم تدارك وإرسال اللوازمات المذكورة فيها بحيث إذا كانت الايرادات على فرض لا تكفى المصروفات فالحكمدار يرسل لكم كلما تطلبوه ويحاسب ديوان المالية بذلك يكون معلوم »

استقالة غردون باشا

وبقى غوردون حتى سنة ١٨٧٦ فاستقال من منصبه وعاد إلى مصر ومنها إلى انجلترا تاركا الكولونيل بروت من أركان حربه وكيلا على خط الاستواء ، ثم خلفه أمين بك واسمه الأصلى « إدوارد شنيتزر » الألمانى ببروسيا وحصل على دكتور فى الطب

غوردون حكمدار السودان

بعد أن استقال غوردون وعاد إلى انجلترا ، ما لبث أن عينه اسماعيل باشا بتوصية الحكومة الانجليزية حكمدارا عاما للسودان سنة ١٨٧٧ . وقد بقى فى هذا المنصب حتى سنة ١٨٧٩ وقد أصدر الخديوى اسماعيل باشا أمرا عالياً فى ١٧ فبراير سنة ١٨٧٧ ، « بالولاية لغوردون باشا على جميع بلاد السودان المصرية مع دارفور وخط الاستواء وسواحل البحر الأحمر وهرر ومع منحه السلطة العسكرية والمدنية وأعطائه سلطانا على القتل والعفو ومنع دخول أحد الى السودان إلا باذنه ووجه منع تجارة الرقيق وتحديد التخوم بين السودان والحبشة » وكان غوردون كثير الاهتمام بمنع تجارة الرقيق ، وبجعل العاج احتكارا للحكومة .

على أن مهمة غوردون باشا كانت شاقة خصوصا لأن تجارة الرقيق ومحصول العاج كانتا فى أيدى كبار التجار الأقوياء . قال نعوم شقير بك فى كتابه « تاريخ السودان » أن « غوردون لم يلبث أن رأى خطارة المركز الذى تولاه وتعذر النجاح نظرا لعدم تيسر الأيدى اللازمة للعمل واتساع أطراف السودان ومشقة السفر فى بلاده برا وبحرا مع قلة الجيوش اللازمة لحمايته بعد أن ذهب قسم منها لمساعدة الدولة العلية فى حرب الروس ونهك الباقى حرب الحبشة . فقضى غوردون فى السودان سنتين ونيفا وهو يتنقل من مكان إلى مكان تارة بالبر وتارة بالبحر متمما كل ما أمكنه من الاصلاح حتى أعياه التعب وقاومته السياسة فاضطر إلى الاستعفاء » وقال شاييه لونج بك « إن أمر غوردون باحتكار الحكومة محصول العاج قد أثار تجار السودان على الحكومة وهؤلاء التجار كانوا سادات السودان الحقيقيين فكان هذا العمل النواة الأولى للثورة »

وقد استعان غوردون باشا فى إدارة السودان بفريق من الأجانب ، فعين

مسيد اليا بك الأيطالى مديرا للفاشر « دارفور » ، وجيسى باشا الايطالى مديرا لبحر الغزال وفردريك روسى قنصل المانيا فى الخرطوم مديرا لدارفور ، وشارل ريجوليه الفرنسى مديرا لداره ، وأميليانى مديرا لكبكيه ، والدكتور زوربخين مفتشا للصحة ، والضابط سلاتين « النمساوى » مفتشا للمالية — وقد عرف فيما بعد باسم سلاتين باشا ، وجيكلار باشا النمساوى مديرا عاما لمنع تجارة الرقيق .

وعين ابراهيم فوزى بك « باشا » مديرا لخط الاستواء بدلا من الكولونيل بروت الأمريكى ، ثم أقاله وعين الدكتور « شنتزر الألمانى » وهو الذى عرف بعدئذ باسم أمين باشا .

وقد وقعت فى عهد غوردون باشا ثورات داخلية : من ذلك ثورة السلطان هارون الرشيد ابن الامير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل . بايع أهالى دارفور هارون المذكور سلطانا فى أوائل سنة ١٨٧٧ ، وجردت الحكومة المصرية عليه حملات عسكرية تكنت بعد وقائع كثيرة من قتله

وثار سليمان بن الزبير باشا فى بحر الغزال سنة ١٨٧٧ انتقاما لابعاد أبيه الزبير باشا من السودان إلى مصر . فارسل غوردون حملة عسكرية بقيادة جيسى باشا هزمت سليمان وقتلته فى يولية سنة ١٨٧٩

وثار « صباحى » أحد قواد جيش الزبير فى ٤٠٠ شخص وأغار على الأبضية فى كردفان وقتل مأمورها وفر إلى جبال النوبة ، فعلم به غوردون وهو ذاهب إلى دارفور فى المرة الثانية فى مارس سنة ١٨٧٩ فأرسل من الأبيض نفرا من الجنود طاردته وأسرته وحكم عليه بالاعدام فى مجلس عسكرى .

وقد شغل غوردون باشا بين سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٩ بتحديد التخوم بين السودان والحبشة وذهب إلى مصوع لعقد اتفاق مع ملك الحبشة ولكنه لم يتمكن ، وفى ٢٥ يونية سنة ١٨٧٩ الموافق ٦ رجب سنة ١٢٩٦ أقيل اسماعيل باشا من منصب الخديوى وولى ابنه محمد توفيق باشا ثم أستقال غوردون باشا من منصبه فى أواخر سنة ١٨٧٩ .

فتوح اسماعيل

وقد ضم اسماعيل باشا لمصر نواحى البحيرات الكبرى حتى منابع النيل وبحر الغزال وجهات خط الاستواء وساحل البحر الأحمر الى رأس غردفوى ووضع الاوغندا تحت حماية مصر ونزل له الباب العالى عن سواكن وزيلع وملحقاتهما كما

حصل منه على لقب خديوى مصر والنوبة ودارفور وكردفان وسنار .

وقد عنى فرمان سنة ١٨٤١ بذكر النوبة ودارفور وكردفان وملحقاتها ، أى السودان حتى منطقة البحيرات الكبرى . وأيد فرمان سنة ١٨٧٩ وفرمان سنة ١٨٩٢ الفرمانات السالفة ووافقت الدول عليها جميعا على تباينها (١) .

السكة الحديد : ومد اسماعيل باشا من السكة الحديد فى السودان سنة ١٨٧٧ حوالى ٥٠ ميلا من حلفا نفقتها ٤٠٠ ألف جنيه ومهد الطريق إلى ٤٧ كيلو متر لم يتمكن من إنشائها خطاً حديديا

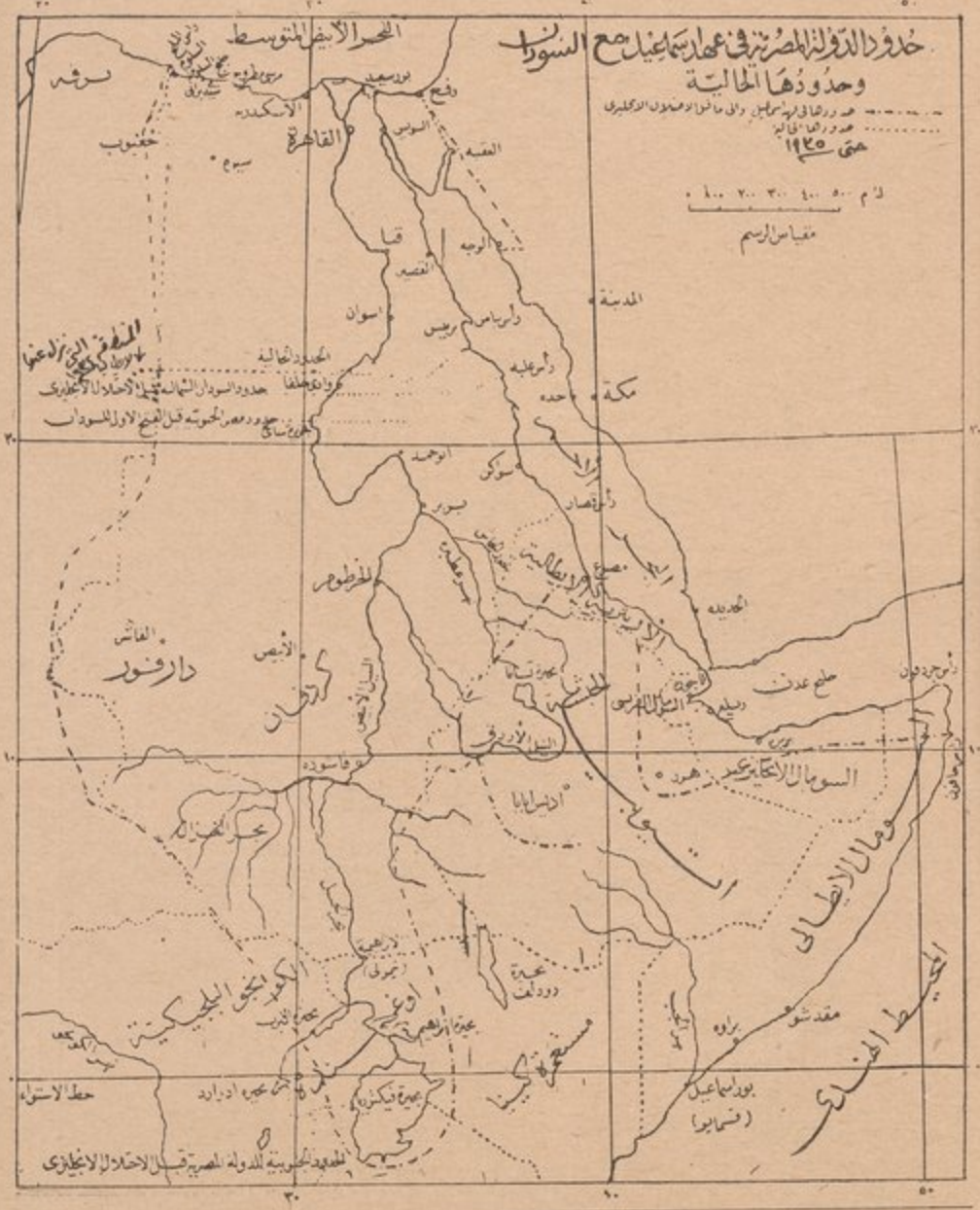

(١) قاموس القضاء والادارة — لجلاد

الفصل السادس عشر

بعثات الكشف عن السودان ومنابع النيل

بالرغم من غزو المصريين والعرب للسودان، وبالرغم مما كان بين مصر والسودان والحبشة من علاقات تبدأ من التاريخ القديم المعروف - ظلت مناطق كثيرة فى السودان، كما كانت هناك مناطق كثيرة أخرى فى أفريقيا، من المجاهل، ولذلك قامت بعثات للكشف عن مجاهل السودان ومنابع النيل، ويرجع الفضل فى إيفاد هذه البعثات إلى محمد على الكبير مؤسس الأسرة العلوية المالكة، والى الخديوى اسماعيل باشا والد جلالة الملك فؤاد، والى بعض الهيئات فى انجلترا وأمريكا. على أننا رأينا من المؤرخين إجماعا على أن الفضل الأكبر يرجع الى امراء الاسرة العلوية، فقد صحب الفتوحات المصرية فى عهدى محمد على واسماعيل، كشف عن أراضى كانت مجهولة، كما أنهم بذلوا المال والمساعدات إلى بعض الأوربيين من محبى الاستطلاع والتنقيب والكشف عن المجاهل.

فى حملة اسماعيل باشا بن محمد على باشا الذى قتل فى شندى

استصحب اسماعيل باشا بن محمد على باشا فى قيادته للحملة المصرية فى عهد

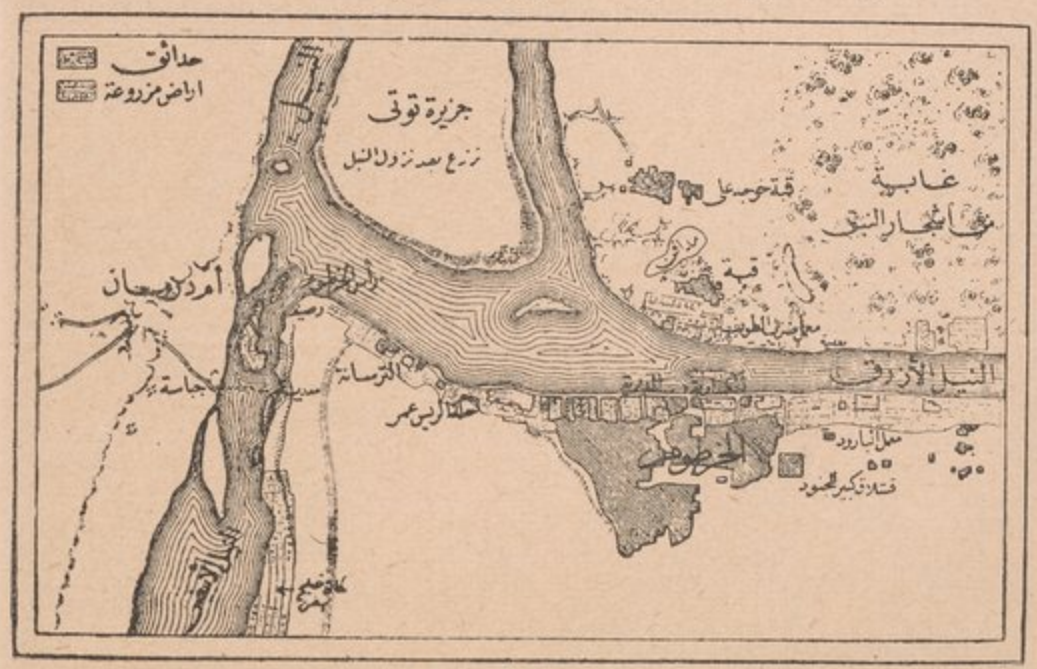

تخطيط مدينة الخرطوم عند انشائها لأول مرة فى عهد محمد على سنة ١٨٢٢

انظر ص ٩١ من هذا الجزء

أبيه لفتح السودان بعض العلماء من الفرنسيين ومنهم مسيو فردريك كايو الذى وضع كتابا عن السودان واسمه « رحلة فى مروى والنيل الأبيض وفازوغلى » فى خمسة أجزاء

رحله هاى وهوشت سنة ١٨٢٤ — وقد وصلا إلى مايلى رأس الخرطوم جنوبا

رحلة لينان باشا - سنة ١٨٢٧ ، رحل مسيو لينان دى بلفون ، الذى عرف فيما بعد باسم لينان باشا ، فى النيل إلى مايلى الخرطوم

رحلة ابراهيم كاشف — نزل فى النيل الأبيض إلى بلاد الشلك والدنكا قريبا من بحر الغزال .

رحلة محمد على باشا الى السودان — سافر محمد على باشا الكبير الى السودان فى ١٦ اكتوبر سنة ١٨٣٨ ، ليتفقد الادارة المصرية به وليبحث عن معادنه ومنتجاته ، فوصل إلى مناجم الذهب فى دنقلة ، واجتاز صحراء بيوضه ، ووصل إلى الخرطوم يوم ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٣٨ وأقام بها ٢٢ يوما ، ثم زار سنار فجبال فازوغلى للبحث عن مناجم الذهب ثم عاد إلى الخرطوم وأقام بها أياما قليلة ، ومنها عاد الى مصر عن طريق صحراء النوبة من أبى حمد الى وادى حلفا فوصل الى القاهرة فى ١٥ مارس سنة ١٨٣٩ وقضى فى رحلته خمسة أشهر ، وكان يصحبه فيها لفيف من المهندسين والعلماء الباحثين مثل مسيو ليففر ومسيو د — أرنود ، ومسيو لمبرت

رحلات البكباشى سليم قبطان — لمناسبة رحلة محمد على باشا الى السودان متقدمة الذكر ، رأى أن يعهد إلى البكباشى سليم قبطان بالقيام برحلات لكشف منابع النيل الأبيض ، ووضع تحت تصرفه قوة من الجنود وسفنا مسلحة . وقد وصل سليم قبطان الى بلدة « العيس » جنوبى الخرطوم ، وكان معه أربعمائة جندى وكان سفره من الخرطوم يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٣٩ ، وعرج فى رحلته على نهر سوباط أحد روافد النيل ، وعاد إلى الخرطوم بعد أن قضى فى رحلته ١٢٥ يوماً ، وقد وضع رسالة بالفرنسية قدمت إلى الجمعية الجغرافية الفرنسية فى باريس ونالت إعجابها ونشرت فى مجلتها

الرحلة الثانية لسليم قبطان — سافر البكباشى سليم قبطان يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٤٠ من الخرطوم ومعه قائد القوة البرية سليمان الكاشف والمهندسان الفرنسيان د — أرنود وسابا تيبه والرحالة الألمان فيرن ومسيو تيبوه الذي كان

يتسمى باسم ابراهيم أفندى والذى صحبه فى الرحلة الأولى ، وسارت البعثة ومعها قوة عسكرية فى النيل الأبيض جنوبى بلدة العيس ، ووصلت يوم ٢٥ يناير سنة ١٨٤١ إلى جزيرة « جونكر » الواقعة على الخط الخامس من خطوط العرض ، وتقع « جونكر » تجاه « غوندكرو » التى تبعد عن « الخرطوم » ١٠٨٠ ميلا جنوبا ، فهى قريبة من البحيرات التى ينبع النيل منها ، وقد صارت وقتا ما عاصمة لمديرية خط الاستواء فى عهد الخديو اسماعيل ، وقد حالت الجنادل والشلالات دون تقدم السفن التى حملت البعثة . فعادت إلى الخرطوم فى ١٨ ابريل سنة ١٨٤١ . وقد نشرت مجلة الجمعية الجغرافيا الفرنسية عدد نوفمبر سنة ١٨٤٢ رسالة عن هذه الرحلة

الرحلة الثالثة بقيادة سليم قبطان — قامت من الخرطوم يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٤١ ومعها قوة عسكرية ، وواصلت السير فى النيل الأبيض محاولة كشف الأراضى الواقعة جنوبى جزيرة « جونكر » إلى البحيرات التى ينبع النيل منها ولكنها لم تستطع التقدم جنوبى « جونكر »

فى عهد سعيد باشا

أوفدت الجمعية الجغرافية الانجليزية — الرحالتين الانجليزيين « اسبيك » و « جرانت » لكشف منابع النيل الابيض ، فسافرا عن طريق زنجبار وكشفا بحيرة « أكروى » ومنبع النيل فيها ، فى ٢٨ يوليه سنة ١٨٦٢ ، وسمياها باسم بحيرة « فيكتوريا » ، و « فيكتوريا » هى الملكة فيكتوريا ملكة الانجليز يومئذ

رحلة السير صمويل بيكر الانجليزى — وقد عرف فى عهد اسماعيل باسم « بيكر باشا » إذ عينه مديرا لمديرية خط الاستواء وكان ذا لحية — سافر من تلقاء نفسه ومعه زوجه لكشف منابع النيل الابيض ، وسلك فى ذلك طريق السفر من الخرطوم ، فوصل فى ٢ فبراير سنة ١٨٦٣ إلى « غوندكرو » ، حيث التقى بالرحالتين « سبيك » و « جرانت » . وأعلماه كشفهما وأبلغاه أن هناك بحيرة علما بوجودها من الأهالى ، فسافر إليها وكشفها فى ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ ، وكان أول كاشف لها - وسماها بحيرة « ألبرت » ، وهو اسم الأمير « ألبرت » زوج الملكة « فيكتوريا » وعاد إلى الخرطوم فى ٣ مايو سنة ١٨٦٥ ومنها إلى بربر فثغر سواكن حيث أبحر منها إلى انجلترا

فى عهد اسماعيل



صمويل بيكر باشا مدير خط الاستواء فى عهد اسماعيل وحوله اركان حربه وهم القائمقام عبد القادر بك حلمى فالمهندس هيجنبوتام Higginbotham ، ثم الملازم بيكر

رحلة السير صمويل بيكر الثانية — بقى « صمويل بيكر » خمس سنوات تقريبا فى انجلترا بعد رحلته الأولى إلى مصر فى معية الأمير أدوارد ولى عهد انجلترا إذ ذاك - ملكها أدوارد السابع - فيما بعد الذى لبى دعوة الخديو اسماعيل لحضور حفلات افتتاح قناة السويس وقد رغب الأمير ادوارد إلى الخديو اسماعيل فى مطاردة تجار الرقيق فى السودان، فوافق الخديو على ذلك . وأنفذ فى سنة ١٨٦٩ سير صمويل بيكر ومعه حملة مؤلفة من ألف وسبعمائة رجل وأنعم عليه برتبة فريق وعينه مديراً لمديرية خط الاستواء براتب قدره عشرة آلاف جنيه فى السنة لمدة أربع سنوات وعاونه اسماعيل بالمال والسلاح والسفن التى نقلت أجزاؤها على الابل فى صحراء النوبة ، أما بيكر باشا فقد أبحر من السويس إلى سواكن ومنها على ظهور الابل إلى بربر ، ومنها على باخرة نيلية إلى الخرطوم ، حيث سافر منها يوم ٨ فبراير سنة ١٨٧٠ فى حملة أقلتها ثلاثون مركبا شراعية كبيرة تقدمتها باخرتان قاصدة خط الاستواء ، بقيادة بيكر باشا

الذى رست سفينته عند محطه أسماها « التوفيقية » باسم الأمير محمد توفيق بن الخديو اسماعيل ، وهى تقع جنوبى فاشودة وقريباً من ملتقى نهر السوباط بالنيل ، وبعد أشهر سار جنوبا حتى بلغ « غوندكرو » ، فى ١٥ ابريل سنه ١٨٧١ ورفع عليها العلم المصرى يوم ٦٢ مايو فى حفلة عسكرية حضرها ألف ومائتا جندى تتقدمهم الموسيقى ، وقد أسمى بيكر باشا « غوندكرو » « الاسماعيلية » باسم الخديو اسماعيل وجعلها عاصمة مديرية خط الاستواء ، وفى ٢٢ يناير سنة ١٨٧٢ سار فى النيل الأبيض ، وأسس نقطا عسكرية وحصونا وبلاداً منها « الابراهيمية » تذكاراً لابراهيم باشا ابن محمد باشا ، وفتح مملكة « أونيورو » المتاخمة لبحيرة « ألبرت » شرقا واحتل عاصمتها « ماسندى » ، وسلم ملكها المدعو « كابريقه » للحكومة المصرية ، ثم انتقض عليها ولكنه هزم ، وخلعه بيكر باشا وعين مكانه منافسه المدعو « ريونجا » ملكا خاضعا للخديو اسماعيل ، ثم وصلت رسل « أمتيسة » ملك أوغندة المجاورة لمملكة « أرنيورو » الواقعة شمالى بحيرة فيكتوريا وغربيها - وأعلنت بيكر باشا بخضوع « أمتيسة » لخديو مصر ، وفتح الطريق بين أعالى النيل وزنجبار على شاطىء المحيط الهندى

وعاد بيكر باشا إلى « غوندكرو » فى ابريل سنة ١٨٧٣ بعد أن انتهت مدة خدمته المحددة بأربع سنوات وبلغت نفقات الحملة ٨٠٠ ألف جنيه دفعتها خزينة مصر التى كان العسر مشتدا بها ، وحل رؤوف بك الذى عرف فيما بعد باسم رؤوف باشا حكمدار السودان محل بيكر باشا ، وأنعم الخديو على القائمقام عبد القادر حلمى بك برتبة الميرالاى الذى عرف فيما بعد برتبة عبد القادر حلمى باشا

حملة غوردون باشا — سافر الكولونيل غوردون الذى منحه الخديو اسماعيل رتبة فريق فى الجيش المصرى الى مديرية خط الاستواء فأبحر إلى سواكن ومنها إلى النيل حتى وصلت الحملة إلى محطة « سوباط » ومنها إلى « غوندكرو » ، ثم سار إلى بحيرة « ألبرت » فى سفن بخارية ، وأنشأ نقطا عسكرية

بعثة الميرالاى بودرى بك الأمريكى - كان أحد ضباط أركان حرب الجيش المصرى سافر ومعه ضباط مصريون وجاب الجهات التى بين النيل والبحر الأحمر من القاهرة والسويس شمالا إلى قنا والقصير جنوبا ، وكشفوا طرق المواصلات ومناجم المعادن والمحاجر فى تلك الجهات

سنة ١٨٧٣ — أبحر الميرالاى « بودرى » بك إلى برنيس « برنيقة » القديمة

على البحر الأحمر «غربى رأس بناس» ولحق به « كولوستن » الأمير الاى الأميركى بالجيش المصرى ، وخططا الجهة بين « برنيس » و « بربر » على النيل

سنة ١٨٧٤ - كشف الميرالاى شاييه لونج بك Chaillé Long Bey بحيرة «ابراهيم» ومعظم النيل المعروف بنيل فيكتوريا ، وحقق أن نيل فيكتوريا يصب فى بحيرة ألبرت

بعثات ضباط الأركان حرب

أوفد الخديو اسماعيل ثلاث بعثات مؤلفة من ضباط أركان الحرب فى الجيش المصرى لكشف « كوردوفان » و « دارفور » وكانت البعثة الأولى برياسة الميرالاى بودرى بك وكان من أعضائها القائمقام ميزون والملازمون : محمود صبرى ، ومحمد سامى ، وسعيد نصر ، وخليل حلمى ، والدكتور محمد أمين - وقد كشفت طرق المواصلات بين النيل وحفرة النحاس وحققت ٢٢ موقعا فلكيا ورسمت خريطة

البعثة الثانية برياسة الميرالاى كولوستون بك — كان من أعضائها الميرالاى الأمريكى بروت. والصاغ احمد حمدى والملازمون : عمر رشدى «باشا» ، ومحمد ماهر «باشا» ، ويوسف حلمى ، وخليل فوزى ، والدكتور بيفوند Pfond ، وقد كشفت البعثة جهات كوردوفان وحققت موقعها ومدنها وطرق المواصلات فيها ووضعت خريطة وأمضت البعثتان الاولى والثانية ثلاث سنوات

البعثة الثالثة برياسة المهندس الأميركى ميشل Michel — وكان يصحبه الضابط عبد الفتاح فتحى - كشفت البعثة مناجم للذهب فى الحمامة شرقى قنا وعرجت على ثغور البحر الاحمر وخليج عدن كالقصير ومصوع وتاجورة وزيلع وتغلغلت فى الداخل وعادت إلى مصوع وكشفت الجهات الشرقية من الحبشة

ورسم أرنست لينان دى بلفون « ابن لينان باشا » الطريق بين غندكرو و دوباجا عاصمة أوغنده ، وقد قتل وهو عائد من مهمته ، وعلى ضوء بياناته وضع العلامة جورج شونفرت خريطة عن تلك الجهات

ورسم البكباشى محمد عزت أحد ضباط حملة منزنجر باشا على الحبشة ، خريطة الجهات الواقعة بين تاجوره وبحيرة « أوسا » بالحبشة

ورسم محمد مختار بك « باشا » وعبد الله بك فوزى « باشا » خريطة بلاد هرر ورسم الأول خريطة المدينة ، ووضع خريطة أخرى لرأس « جردوفون »

« جردفوى » وموقع الفنار الذى أزمع اسماعيل انشاءه فى تلك الجهة

ورسم ضباط أركان حرب نادى باشا الجهات الواقعة بين هرر وزيلع

ووضع القائمقام عبد الرزاق نظمى بك خريطة بربرة وملحقاتها . وكشف حملة الصومال التى أنفذها اسماعيل سنة ١٨٧٥ سواحل البنادر الواقعة على المحيط الهندى وجهاتها قسمايو « بور اسماعيل » ونهر الجوبا ، وهى الجهات التى قصدت إليها الحملة

وفى سنة ١٨٧٧ جاب الميرالاى ميزون بك Mason بحيرة « البرت » وأتم الكشف الذى بدأه فيها السير صمويل بيكر ووضع لها خريطة دقيقة

وأنفذ الخديوى سنة ١٨٧٧ بعثة برآسة المستر برتون للبحث عن المعادن التى بجهات « مدين » فى جزيرة العرب

وحقق ضباط أركان الحرب برآسة البكباشى عبد الله بك فوزى « باشا » حدود الحبشة الشمالية والطرق بين مصوع والخرطوم ورسموا خريطتها

وحقق جيسى باشا مواقع بحر الغزال

وجاب الميرالاى محمد مختار بك « باشا » نواحى السودان الشرقى حين كان رئيسا لأركان حرب السودان سنة ١٨٨٠ يصحبه من ضباط أركان الحرب خليل بك فوزى والملازمان محمد خير الله وعلى خيرى ، وله مبحث مسهب فى تخطيط أبو حراز ، والقضارف « أبوسن » ، والقلابات ، وطومات ، واميديب وغيرها من مدن السودان الشرقى .

وكشف أمين باشا مدير خط الاستواء نهر السمليكى الواصل بين بحيرة « ادوارد » وبحيرة « البرت »

ورسم ضباط أركان حرب الجيش المصرى سنة ١٨٧٧ خريطة مفصلة لافريقية، وهى أدق خريطة عرفت إلى ذلك الحين ، واشترك فى رسمها كل من الميرالاى « لوكت » ، والقائمقام محمد مختار « باشا » بك والصاغ عبد الله فوزى بك ، وعبد الرازق نظمى بك ، والضباط محمود صبرى « باشا » ، وأحمد فائق ، ومصطفى كامل ، واحمد فهمى ، وحسن حارس « باشا » ، وحسن صفوت ، وابراهيم حلمى ، ومحمد جودت ، ومحمد خيرالله ، ويوسف ضيا « باشا » ، وعلى حيدر ، واحمد رشيد . وهذه الخريطة مودعة ضمن محفوظات الجمعية الجغرافية الملكية

وذكر الجنرال استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى فى عهد اسماعيل

« أن الجهات التى جابها ضباط أركان الحرب وحققوقها ، ورسموا مواقعها ، تبلغ فى اتساع مداها بمجموع مساحة فرنسا وألمانيا والنمسا والمجر بحدودها القديمة ، وهذا يدلك على عظم الفتوحات والتحقيقات التى تمت على أيديهم » .

آثار السودان

أهدى المرحوم السلطان حسين كامل سنة ١٨٩٩ إلى المتحف المصرى أثراً وجده عظمته فى مزرعته بايتاى البارود ، وهذا الأثر حجر جرانيتى أزرق ارتفاعه متران تقريبا ومؤرخ فى اليوم الثالث عشر من شهر مسرى للسنة الأولى من حكم الملك « نقطانب الثانى » آخر فراعنة مصر ، وكان شمالى السوداز فى عهده تابعا لمصر وقد توالت البعثات العلمية الأثرية فى السودان فنقبت بعثة الولايات المتحدة من سنة ١٩١٩ إلى ١٩٢٢ عن آثار جبل « برقل » بجوار « نبته » وعن الأهرام فى « مروى » وكشف « كايو » الأثرى الفرنسى بعض أهرام على الشاطىء الشرقى للنيل فى المكان المعروف الآن بجزيرة « مروى » . ونقب الأثرى الانجليزى « هوسكنس » والأثرى الألمانى « ليبسيوس » ثم الأثرى الانجليزى « جارنستانج » والأثرى « جريفس » عن آثار « مروى (١) » .

الخط السودانى

وقد دلت الآثار على أنه كان « لمروى » خط خاص ، فحصه الأثرى الانجليزى « جريفث » وقال عنه إن السودانيين قد اخترعوه ووصلوا اليه بعد معرفتهم الخط اليونانى فى عهد البطالسة فى مصر والخط العربى من بلاد الحبشة واستمر الخط السودانى مستعملا حتى سنة ٥٠٠ بعد الميلاد وقد اخترع منه نوع للمكاتبات الرسمية وقد تبين أن الخط السودانى ملائم للغة السودانية والنطق بها . وبعد سنة ٥٠٠ ميلادية بدأ استعمال الخط اليونانى . وقد وجدت آثار يونانية فى « مروه » منها رأس تمثال لإله العقل وكأس من الزجاج الملون ومسرجة برونزية وأوانى برونزية وتواريخها من سنة ٤٥٠ ق.م . إلى القرن الثانى بعد الميلاد

---

(١) ينطق بها أحيانا « مروة »

الفصل السابع عشر

حكمدارو السودان

ننشر فيما يلى بيانا رسميا عن حكمدارى عموم السودان من ١٣ يونية سنة ١٨٢١ إلى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ ، أخوذا من دار المحفوظات بالقلعة ، كما نقله حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون . ولكن يظهر أن هذا البيان غير دقيق لأنه أدخل مديرين فى عداد الحكمدارين ، كما أنه عبر عن اسمائهم ببعض اصطلاحات تركية . ومضت فترات لم يكن بها حكمدارون . وهاهى أسماؤهم كما وردت فى البيان :

١ — اسماعيل باشا بن محمد على باشا — ١٣ يونية سنة ١٨٢١ إلى ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٣

٢ — محمد بك الدفتردار من ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٣ — ١٤ يونية سنة ١٨٢٤

٣ — جركسى ميرالاى أول عثمان بك ١٣ ديسمبر سنة ١٨٢٤ — ١١ مايو سنة ١٨٢٥

٤ — جركسى على خورشيد أغا : باشا ٣١ أغسطس سنة ١٨٢٦ — ١٣ ديسمبر سنة ١٨٣٨

٥ — جركسى احمد باشا - ١٣ ديسمبر سنة ١٨٣٨ - ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٤٣

٦ — قوله لى منكلى أحمد باشا ٧ مارس سنة ١٨٤٥ - ١٣ ديسمبر سنة ١٨٤٥

٧ — استانة لى خالد باشا ١٣ ديسمبر سنه ١٨٤٥ - ٥ نوفمبر سنة ١٨٤٩

٨ — جركس لطيف باشا ١١ يونية سنة ١٨٤٩ - ١٣ يناير سنة ١٨٥٢

٩ — جركس رستم باشا ١٣ يناير سنة ١٨٥٢ - ٢٧ مايو سنة ١٨٥٢

١٠ — اسماعيل حقى باشا « أبوجبل » ٣ يولية سنة ١٨٥٢ - ١٩ إبريل سنة ١٨٥٣

١١ — جزائرلى سليم باشا ٢٣ إبريل سنة ١٨٥٣ - ٢١ يوليه سنة ١٨٥٤

١٢ — أرنبود على سرى باشا ٢١ يولية سنة ١٨٥٤ - ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٥٤

١٣ — جركس على باشا - ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٥٤ - ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٥٥

١٤ — البرنس عبد الحليم باشا - ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٥٥ - ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٥٦

١٥ — جركس على باشا ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٥٦ - ٢٧ يناير سنة ١٨٥٧

١٦ — جركس موسى حمدى بك « باشا » ٧ مايو سنة ١٨٦٢ - ١٨ يونية سنة ١٨٦٥
١٧ — جركس جعفر صادق باشا ١٨ يونية سنة ١٨٦٥ - ٨ يناير سنة ١٨٦٦
١٨ — جعفر مظهر باشا ٨ يناير سنة ١٨٦٦ - ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٧١
١٩ — اسماعيل أيوب باشا أول ديسمبر سنة ١٨٧٣ - ١٦ فبراير سنة ١٨٧٧
٢٠ — غوردون باشا ١٧ فبراير سنة ١٨٧٧ - يناير ١٨٨٠
٢١ — محمد رؤوف باشا ٢١ يناير سنة ١٨٨٠ - ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢
٢٢ — عبد القادر حلمى باشا - ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ - أول يونية سنة ١٨٨٣
٢٣ — علاء الدين باشا ٢٠ يناير سنة ١٨٨٣ - ٣١ أكتوبر سنة ١٨٨٣
٢٤ — غوردون باشا أول نوفمبر سنة ١٨٨٣ - ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥

* * *

وتدخل مدة علاء الدين باشا فى مدة عبد القادر حلمى باشا ، فان عبد القادر باشا كان فى مدته ناظرا لنظارة جديدة سميت « نظارة عموم السودان » ، وكان حكمدارا عاما له وقائدا لجيوشه فى الوقت ذاته . والغيت النظارة فى ٢٠ يناير سنة ١٨٨٣ ، وأبقى عبد القادر فى السودان لاخماد ثورته لا بصفته حكمدارا له ، مع إعادة منصب الحكمدارية وحده وتعيين علاء الدين باشا فيه فبقى عبد القادر باشا كقائد للحملة على المهدى ، وقد انتصر فى واقعة التبة على المهديين فى ٢٦ مارس سنة ١٨٨٣

بيانات عن حاكمدارى السودان

وننشر فيما يلى البيانات غير الرسمية عن حاكمدارى السودان ، وقد كانوا من أصل تركى أسوة بكبار ضباط الجيش المصرى والوزراء انفسهم وأصبحوا ضباطاً مصريين فى الجيش المصرى

المير الاى عثمان بك :

جعل الخرطوم مركزا للحكومة . وفى عهده فشا الجدرى . وكان حاكما مستبدا

محو بك سنة ١٨٢٥ — ١٨٢٦ : ولم يرد اسمه فى سجل دار المحفوظات وربما كان مديراً للخرطوم ونائبا للحاكمدار . وقد كان عادلا رحيما . بنى ثكنة بالخرطوم : واحتفر فى الصحراء آبارا تعرف للآن باسم آبار محو بك . وفى الخرطوم شجرة عرفت باسمه وفى حديقه محو بك وجدت مصر الشجيرة الاولى للقطن فى مصر

هورشيد باشا : كان حسن السيرة والادارة وعمر البلاد . وادخل البناء

بالطوب والأخشاب والألواح . ونظم الدواوين وأنشأ مسجدا بالخرطوم ومسجدا فى سنار ، واستقدم زراعا مصريين لتعليم الأهالى الزراعة .

ووسع فتح السودان فاحتل القلابات ، وأنشأ بها حامية ، وأخضع جبال فلى وغزا قبائل الشلك وسيدرات

احمد أبو ودان باشا : واصل سياسة سلفه خورشيد باشا ، فى تنظيم الادارة والتعمير . وجلب من مصر الحيوانات الأليفة والنباتات . ونشطت الصناعة فى ترسانة الخرطوم . وفتح فى عهده اقليم التاكا « كسلا » . وعمم المواصلات . وفى عهده زار محمد على السودان

احمد المنكلى باشا سنة ١٨٤٤ - ١٨٤٥ م ، و ١٢٥٩ - ١٢٦١ هـ :

خلف ودان باشا ، وقد عاد أهل « التاكا » فى عهده إلى الثورة ، وفشا ظلم الموظفين وقد أدب العصاة وعاونه الأرباب محمد دفع الله والشيخ أحمد أبوسن كبير الشكرية والشيخ عبد القادر .

خالد باشا : فى عهده انحرفت صحة محمد على باشا وخلفه ابراهيم باشا ، ثم مات فخلفه عباس باشا الأول

عبد اللطيف باشا : أنشأ مدرسة الخرطوم الابتدائية وعين رفاعه بك ناظرا لها ، وادب تكارنة القلابات

رستم باشا : توفى ودفن فى الخرطوم

اسماعيل حقى « أبو جبل » باشا : حكم بين ١٢٦٨ و ١٢٦٩ هـ - ١٨٥٢ و ١٨٥٥ م وعاد لمصر

سليم باشا : عاد إلى مصر بعد سنة وثلاثة أشهر

على سرى باشا الأرنؤوطى : ١٢٧٠ — ١٢٧١ هـ و ١٨٥٤ م فى عهده مات عباس الأول وتولى سعيد باشا

على شركس باشا : ١٢٧١ - ١٢٧٣ هـ و ١٨٥٥ - ١٨٥٧ م

فى عهده زار سعيد باشا السودان وكان قد فكر فى اخلائه ، فالتمس الأهالى

استمرار الحكم المصرى خشية عودة الفوضى الى السودان وقال العمد نحن عبيد أفندينا . فأجاب ملتمسهم ونظم البريد على الهجن عن طريق كورسكا . وأعلن انتهاء تجارة الرقيق وأعفاهم من الضرائب ونظم المديريات . وعزل سعيد شركس باشا لاستبداده

اراكيل بك : يظهر أنه لم يعين حكمداراً لأنه لم يرد اسمه فى سجل المحفوظات وهو « أرمنى كان مديرا للخرطوم » . وقد تذمر أهالى الشكرية من تعيين نصرانى عليهم . فقال للزعماء اذا كان تعيينى لا يرضيكم فأنا أترك البلاد ، فأعجبوا بلهجته وعادوا للسلام

حسن سلامه بك الشركسى : اسم ورد فى كتاب تاريخ السودان لشقير بك ولم يرد فى سجل دار المحفوظات ويقول الكتاب أنه كان تقياً نزيها ولكنه سىء الادارة ثم عزل

محمد راسخ بك: وقد أعاد سعيد باشا فى آخر عهده النظام الذى كان ألغاه ، فعادت المديريات تتبع الخرطوم بدلا من الداخلية بالقاهرة مباشرة

الفريق موسى حمدى باشا : كان حسن الادارة وافر العدل وقمع الثورات ووصل الجند فى عهده إلى ٣٠ ألف . وتوفى بالخرطوم ودفن بها

جعفر الصادق باشا : قمع ثورة كسلا ، وفتحت مصر فى عهده فاشودة وكان آدم بك السودانى هو الذى أخمد الثورة

جعفر مظهر باشا : فى عهده أنعم الخديوى إسماعيل على آدم بك بالبشوية وأصبح قائداً للجيش وتخلت تركيا عن سواكن وموضع لمصر نظير جزية قدرها ١٦٠٠٠ جنيه

وعرف مظهر باشا بالعدل والنزاهة والتقوى وتقريب علماء السودان ، وكان واسع الكرم . وقد أحبه السودانيون حبا لا يزالون يذكرونه . وقد عين فى سبتمبر سنة ١٨٧١ عضوا بمجلس الأحكام فترك منصبه فى السودان

ممتاز باشا : لم يرد اسمه فى سجل المحفوظات كان من فرسان الجيش المصرى

علم الأهالى زراعة القطن . ولكنه كان ظالما ومرتشياً فحقق الخديوى إسماعيل معه وسجن بالخرطوم ومات به

اسماعيل أيوب باشا : ١٢٨٩ — ١٢٩٢ هـ و ١٨٧٣ — ١٨٧٧ م

كان حسن السيرة والأدارة ، وفى عهده فتحت سلطنة دارفور على يد الزبير رحمت باشا وضمت الى مصر ، كما ضمت زيلع وبربر وسلطنة هرر ، ووسع أيوب باشا زراعة القطن وأنشأ محلجين ومعملا للنسيج ، وراجت التجارة واستتب الأمن وانشئت محطات عسكرية من الخرطوم الى دارفور وواداى ، وفى بربر وسواكن وانشأ مكاتب كثيرة للبريد

وقد قسم السودان الى مديريات كل مدير مسؤول عن مديريته مستقلا عن الخرطوم . وكان يوسف بك مديرا على فاشودة وحسين الخليفة « باشا » على بربر

محمد رؤوف باشا : أرسلت الحكومة إليه كتابا تبين فيه مهمته فى تنظيم مالية السودان وحساباته وتنظيم الادارة والجند ومنع تجارة الرقيق . وقد اطفأ ثورة السومال . وفى عهده ظهر محمد احمد المهدى بدعوته

وقد أصدرت الجمعية الوطنية المصرية السودانية بالخرطوم منشوراً عنوانه : « كنا نحسبك رؤوفا ، فرأيناك خروفا » . وقد نسب اليه بعض المؤرخين (١) أنه فى بداية ظهور المهدى فى جزيرة أبا أرسل فصيلتين « بلوكين » من الجنود النظامية تحت إمرة ضابطين إلى جزيرة أبا ، وأسر إلى كل منهما أنه قائد الحملة مع تفهيم أبى السعود العقاد بك معاون الحاكمدارية فى الوقت نفسه أنه القائد الأعلى لكليهما الأمر الذى دعا إلى تنازع الرياسة فالفشل ، وكانت هزيمة هذه الحملة أولى الهزائم التى لحقت بالجيش المصرى فى تاريخ الثورة المهدية .

وقد عقد رؤوف باشا مجلساً استشارياً من خاصة أهل الخرطوم فقال له الشيخ شاكر الرئيس مفتى السودان يومئذ « يحسن بمولاى الحكمدار أن يتولى القيادة بنفسه ليستأصل الشر من جزوره ويقضى على الثورة فى مهدها قبل أن تستفحل » فرد عليه قائلا : « خسئت أيها الشيخ : أتريد أن ترمل زوجى وتيتم أطفالى » . وقد عاد رؤوف باشا إلى مصر ، وبقى فيها حتى رأس المجلس العسكرى العالى الذى انعقد لمحاكمة عرابى باشا وحكم عليه بالاعدام ثم أبدل الحكم بالنفى

---

(١) تاريخ السودان - نعوم شقير

وقد صدر أمر عال بجعل إدارة عموم السودان وفيها شرقى السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر وهرر وزيلع وبربرة ونجرة حكمدارية واحدة . وفى ٢ ابريل سنة ١٨٨٢ قسم السودان إلى اربعة أقسام :

١ — حكمدارية أقليم غرب السودان وعاصمتها الفاشر وتشمل دارفور وكردفان وشكا وبحر الغزال ودنقلة .

٢ — حكمدارية أقليم وسط السودان وعاصمتها الخرطوم وتشمل مديريات الخرطوم وسنار وبربر وفاشودة وخط الاستواء .

٣ — حكمدارية أقليم شرقى السودان وتشمل التاكا وملحقاتها ومحافظتى سواكن ومصوع إلى باب المندب .

٤ — حكمدارية عموم هرر وملحقاتها عاصمتها هرر وبها محافظتا زيلع وبربرة .

وقد أنشئت إدارة خاصة للسودان بالقاهرة تابعة لمجلس النظار ، ثم فى عهد الثورة صارت تابعة لوزارة الحربية

عبد القادر حلمى باشا ١٢٩٩ — ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ و ١٨٨٣ ميلادية

كان عبد القادر حلمى باشا الحكمدار الذى ولى حكمدارية السودان بعد رءوف باشا ، ضابطا كفؤا حازما شجاعا . وقد قبض على ناصية الحال وأمن الخرطوم والجزيرة بعد أن أوشكتا على السقوط حتى كان المهديون يدعون « اللهم ياقوى يا قادر . اكفنا عبد القادر » .

طلب عبد القادر باشا من الحكومة المصرية أن ترسل اليه ١٥ ألف جندى ولكنها لم تلبى طلبه . واتهم بالجنوح للاستقلال ، فأقصى من منصبه وعين علاء الدين باشا بدلا منه ، وأرسلت اليه ١٢٫٩٠٠ من فلول الجيش العرابى ، بقيادة هكس باشا .

علاء الدين باشا ١٣٠٠ هـ — ١٨٨٣ م وقد خلف عبد القادر حلمى باشا وكانت الثورة المهدية فى ازدياد مستمر

غوردون باشا — خلف علاء الدين باشا . ولنا كلام طويل عنه فى باب الثورة المهدية .

الفصل الثامن عشر

فى عهد الحكم المصرى

الموظفون السودانيون

تولى كثير من السودانيين المناصب الكبيرة فى السودان :

كان الزبير باشا وسليمان الزبير بك وادريس ابتر بك ويوسف الشلالى باشا على التوالى مديرين من قبل الحكومة المصرية على بحر الغزال ، وكان يوسف الشلالى باشا وبساطى بك مديرين لسنار ، والياس أم بربر باشا مديرا لكردفان وحسين خليفة باشا مديرا لبربر والطيب عبد الله بك مديرا لفاشودة ومحمد خالد زقل بك مديرا لدارة ، والنور عنقرة بك مديرا لكبكبيه والسعيد حسين بك وآدم عامر بك مديرين بمديريات دارفور ، وأحمد ابوسن باشا ومحمود أحمدانى بك وأحمد جلاب بك مديرين بالتعاقب للخرطوم . وكان محمد الجزولى بك وكيلا لمديرية الخرطوم . وأحمد مكوار بك وكيلا لمديرية سنار وعمر العمرابى بك وكيلا لمديرية بربر وعلى عمارة أبو سن بك رئيس مجلس الاستئناف ومحمد خوجلى بك قاضيا للخرطوم والفكى « الفقيه » الشيخ الأمين الضرير شيخا للاسلام والبيكوات أبو بكر الجركوك والخليفة ود(١) أرباب ومحمد عبد الرحمن ود البشير وإدريس النور وعبد الرحمن بان النقا والفضل ابراهيم وغيرهم أعضاء مجلس الأستئناف وبساطى المحس بك باشكاتبا لمديرية الخرطوم والعوضى المرضى بك باشكاتبا لمديرية كسلا وحسن الشريف أفندى معاونا لمديرية بربر ومحمد النصرى أقدر أفندى معاونا لمديرية بحر الغزال .

ومن القواد العظام : الماظ باشا . وآدم باشا . وفرج الله باشا . وفرج الزينى باشا . ويوسف شلالى باشا . وصالح الملك باشا . والسعيد حسين باشا . وحسن ابراهيم باشا . ومحمد على حسين باشا . وخشم الموسى باشا . والنور محمد بك . وسرور بهجت بك . ونجيب بطراكى بك . ومحمد السيد بك . وسليم مطر بك . والنور عنقرة بك . وفرج الله عزازى بك . وغيرهم .

---

(١) ود — حقيقتها « ولد » . ولكن فى السودان ينطقونها « ود » كأهل الصعيد

أعيان السودان فى عهد الحكم المصرى

وقد منحت الحكومة المصرية أعيان السودان وكبار تجاره الرتب والنياشين. بل لقد قيل إن مامنح اليهم زاد على العدد الذى منح إلى أعيان مصر نفسها : ومن أعيان السودان الذين نالوا رتباً ونياشين : عبد القادر ود الزين باشا شيخ مشايخ الخرطوم وسنار ومحمد إمام باشا الشهير بالخبير وأحمد ابوسن باشا عمدة الشكرية وابنه عوض الكريم باشا ومحمدزيد باشا وبشير ود عقيد عميد الجعليين وإدريس ودعدلان بك زعيم الفونج وأحمد أبو حسن بك عمدة قبيلة الحمدة ، وعلى البخيت بك ناظر بنى عامر ، وعبد القادر ايله بك عمدة الحلانقة ومحمد موسى بك زعيم الهدندوة وأحمد دفع الله بك عين أعيان كردفان وكيكوم بك ملك الشلوك وعلى عوض الكريم ابوسن بك ، وحسن أم كادوك بك عمدة البرنو وبشارى ود بكير بك عمدة بنى هلبة والارباب ود دفع الله بك وعلى الخير بك وابراهيم البردينى بك وقناوى أبوعمورى بك وصالح الخليفة بك

وصف الحكم المصرى

كان السودانيون المثقفون يسمون الحكم المصرى منذ عهد محمد على حتى الثورة المهدية « بالفتح الأول » وكانت عامتهم تسميه « الحكومة التركية القديمة » أو « تركيا القديمة » . وسمى عامتهم الحكم بعد استعادة السودان « الحكومة التركية الثانية » . أو « تركيا الثانية » وكانت العامة فى عهد الرخاء تحت ظل الحكم المصرى يعبرون عنه بقولهم : « الترك لبسونا القميص وعلمونا الحديث » . ويسمون المصريين والأتراك المتمصرين « ود الريف » . وفى عهد المهدى والخليفة التعايشى عد المصريون والانجليز والافرنج والأتراك وسائر المسيحيين واليهود ، أى كل من لم يؤمن بالدعوة المهدية « كفاراً »

التجار المشهورون فى عهد الحكم المصرى

المرحوم حبيب لطف الله « باشا » ـ السيد محمد باشات ـ المرحوم الحاج سعدالله حلابة ـ رضوان القرى ـ محمد الحبابى ـ الحاج محمد الحلو ـ نعوم سكر ـ عبد الغنى التازى ـ محمود السيوفى باشا وأحمد باشا السيوفى ـ السيد أحمد العقاد ـ حسن موسى العقاد ـ وموسى العقاد والده ـ على عمورى ـ وفرج الله الموصلى ـ والخواجة غطاس ـ والخواجة الزق ـ وامبرواز ـ وجيليو وغيرهم

الفصل التاسع عشر

الحكم المصرى فى السودان

المبانى المصرية فى السودان

أنشأت مصر بين فتح محمد على وإلى قيام الثورة المهدية جميع المنشآت من مبان فخمة ومعسكرات ومصالح أميرية ومساجد ومدارس ، وساعدت الأهالى على بناء دورهم بالطوب والأخشاب بدل اتخاذها من اللبن والغاب وجلود الحيوان وأدخلت زراعة القطن وأنشأت المطبعة الأميرية وفتحت السدود النيلية للملاحة صعدا إلى أعالى النيل ومدت أول سكة حديدية عرفها السودان تكلف إنشاء خمسين ميلا منها حوالى ٤٥٠ ألف جنيه ، وأنشأت ترسانة كبرى تصنع البواخر النيلية والمراكب واصلاحها وبنى فيها وابورات بوردين وتل حوين والتوفيقية والمنصورة والفاشر والاسماعيلية وعباس وشبين والمسلمية والحسينية ونيانزا ومحمد على والزبير والسلطان والخديوى وغيرها .

وقد ثبت أن نفقات السودان كانت تربو على ايراداته فى عهد الحكم المصرى ، وكان يتراوح ما تنفقه مصر بين المليون والثلاثة ملايين جنيه فى السنة

شهادة الأجانب للحكم المصرى فى السودان

قال سير صموائيل بيكر « يستطيع السائح الأوروبى أن يزور المناطق البعيدة فى السودان من غير أن يخشى على نفسه أكثر مما يخشاه من يتنزه بعد الغروب فى حدائق هايد بارك بلندن »

وقال أيضا « أن مصر وحدها هى التى تستطيع نشر الحضارة فى افريقيا النيلية وإنشاء حكومة نظامية » وقال رودولف سلاطين باشا فى كتابه النار والسيف « السودان المصرى يحكمه الآن الخليفة عبد الله التعايشى وقد كانت السنوات العشر من حكم المهديين كافية لنشر العبودية فى نواحيه ومن الحق أن نقول أن

السودان قد ظل سبعين سنة ونيفا منذ عهد محمد على مستقلا بالحكم المصرى ، مفتوحا للحضارة والمدنية، والمتاجر المصرية والاوربية تزدهر فى عواصمه ، والدول الأجنبية توفد قناصلها إلى الخرطوم . والسائحون على اختلاف أجناسهم يجوبون البلاد ، دون أن يلقوا ممانعة وانتظمت طرق المواصلات والتلغرافات والبريد ، وتؤدى الشعائر الدينية فى المساجد والكنائس بالحرية ، وتعمل مدارس البعثات بجانب مدارس الحكومة ، وبالرغم من تعدد القبائل وما بينها من العداوة ، فان حزم الحكومة كان كافيا لاستتباب الامن فى كل البلاد »

فى مذكرات القبانى عن الحكم المصرى

نقتطف من مذكرات السيد محمود القبانى ما يلى :

« أن الحكومة كانت تبذل المعونة لساكنى الخرطوم حتى أنها لم تقف عند حد منحهم الأراضى بلا ثمن بل كانت تعاون بمنح أخشاب سقوف العمارات حتى كانت سنة ١٢٧٤هـ وفشت الأوبئة فمن حمى « أم سبعة » إلى الهواء الأصفر « كوليرا » وقد هجر الخرطوم كثير من سكانها وقد عد فى ذلك الزمن أنه مناخ موبوء لما كان يكتنفه من نواحى الجنوب والشرق من مستنقعات وبرك تتعفن فيها المياه

« أما الكوليرا فقد انتقلت اليها مع المتاجر الواردة من الهند على ثغر سواكن الذى كان خلواً من نظم الكورنتينات وهو إذ ذاك تابع لولاية الحجاز العثمانية وكان جل ما يرد إلى السودان من المنسوجات هنديا علاوة على الطيوب من عطور وعطارة وأسرة الساج وأسرة الحق « وهو خشب ملون » بألوان حمراء وصفراء براقة جذابة وكذا يصنع من هذا الصنف أوعية لحفظ العطور اليابسة ولتزيين المنازل وما زالت باقية حتى هذا الحين باسم حق وقد أصبحت هذه الصناعة محلية تعلمها صناع البلاد من أهالى « جدة » وعلى كل فقد تضاءلت إلى حد بعيد الرغبة فى التوسع باقتنائها

« وقد بذلت الحكومة مجهودات لايستهان بها فى ردم المستنقعات وفتح مجارى لتصريف مياه السيول التى كانت تنحط على المدينة وقد أدركنا هذا المجرى وموقعه فى الساحة الواقعة جنوب سراى الحقانية ثم ينحنى إلى جهة الشمال فيصب فى النيل الأزرق وقد نظمت المحاجر الصحية فى سواكن بعد ذلك فلم تنتقل أوبئة البحر

الأحمر إلى داخلية البلاد فتراجع عمران المدينة . ومنذ نشأتنا وجدنا مدينة ذاخرة بالعمران وبنايات بالآجر « الطوب الأحمر » والحجارة المنضدة وكانت تستخرج من حفر فى الشاطىء الغربى بام درمان . كما أن القمائن التى تشوى اللبن كانت فى الضاحية الشرقية البرارى والجريفات . وأكثر المنازل كانت دورين وأقلها الدور الأرضى والحكومة تشدد فى تعميق الاسس وعرض الجدران وأقل ما يسمح به فى عرض الجدار ذراع معمارى ونصف ذراع « نحو متر و ٢٠ سانتيا » وقد ارتفعت أسعار الأراضى التى على شاطىء النيل أولا إذ كانت مرغوبة لغرس البساتين لسد حاجيات سكان المدينة من فاكهة وخضروات ونخيل وأعناب تأتى أكلها فى العام مرتين واحدة فى الشتاء وأخرى فى الصيف . فكان سكان الخرطوم يأكلون العنب شتاء وصيفا من النوع الأحمر أكثر والقليل من الأبيض

« ولما كثر عدد الأجانب من سراة الأوربيين رغبوا فى تشييد دورهم على شاطىء النهر فبذلوا أثمانا عالية لأصحاب البساتين بلغت قيمة المتر الواحد من جنيهين إلى ثلاثة وممن فاز بقطعة كبيرة على شاطىء النهر وعلى بعد خطوات من مبانى الحكومة من الناحية الغربية الخواجة جورجى تنسيادى فشاد عليها قصرا بالآجر وكحلة الجير كان له منظر خلاب وبأسفله حانوت مستطيل مملوء بأصناف المشروبات الأوربية والبقالة وبجانبه « بار وقهوة كبرى »

« ومحل تنسيادى أكبر محل لبيع البقالة والمشروبات الأوربية ويوجد فى المدينة ما هو دونه وكذا يوجد فى الخرطوم محلات لبيع الملابس الأوربية الجاهزة من جميع أصناف الأجواخ والأصواف والأتيال على النحو الذى كان وما يزال بمصر

« وفى الخرطوم منذ نشأتها قناصل للدول كانت لهم امتيازاتهم كما فى مصر (١) وقد أدركنا أقدم قنصل هو الهر هنزل قنصل دولة النمسا والمجر وقد قتل يوم سقوط الخرطوم وعمره فى العقد التاسع وقد قيل أنه جاء الخرطوم وهو مريض فشفى من مرضه ولم يعد إلى بلاده ومع وجود جالية نمسوية أصلية ومتناسلة هنا فان مهمة الهر هنزل كانت لرعاية مصالح الارسالية الافريقية الكاثوليكية التى تفرعت منها فروع وصلت إلى جبال النوبة بكردفان وشادت معابد بها ومراكز للدعاية وقد تعهدت الامبراطورية الهابسبورجية بحماية هذه الارسالية فى مصر والسودان ولم تزل هذه

---

(١) الغيت الامتيازات بعد استعادة السودان سنة ١٨٩٩

الحماية إلا بعد الحرب العظمى وزوال الامبراطورية النمسوية وتحويل هذه المهمة إلى إيطاليا

« وقد فاز البير ماركويت رئيس شركة فرنسية كبرى كانت تتجر فى الصمغ والعاج وريش النعام وتستورد البضائع الفرنسية بابتياع بستان على بك خلوصى وبناء قصور فى شماله مجزأة إلى مساكن « شقق » وقد شيدت بالحجارة المتسقة المنضدة وموقعها فى سراى صاحب السيادة السر السيد على الميرغنى الحالية والشارع الواقع شرقها .وآخرون شادوا مبانى فى الجهة الشرقية ومنهم الدكتور جورجى بك مفتش صحة عموم السودان المتوفى فى حملة هكس باشا

« وبالرغم من ارتفاع ثمن أراضى الشاطىء كما تقدم فان الحكومة مازالت على نهج المعاونة فى سبيل تعمير المدينة فقد كانت حتى آخر أيامها تبيع الاراضى فى الحى الجنوبى العربى المسمى « سلامة الباشا » والحى المقابل له من الشرق « فرق النوبة » بسعر قرش صاغ واحد للمتر »

« وقد قدر سكان الخرطوم إذ ذاك بأكثر من مائتى الف نسمة لايقل عدد الجوارى والغلمان فى هذا التقدير عن ٥٠ الى ٦٠ الفا ويقدر عدد العنصر المصرى خاصة بنحو ٧٠ الفا ونحو ٣ آلاف من عناصر أخرى كالأوروبيين أو المغاربة والسوريين والاتراك »

« وفى تقرير المرحوم عبد القادر حلمى باشا حكمدار السودان فى سنة ١٨٨٣ — أن عدد التجار فى السودان كله من المصريين وغيرهم من الاجانب يبلغ ثلاثين الفا منهم نحو الفين من الاوربيين جلهم من الأغريق الذين كان لهم قنصل فى الخرطوم يدعى « لونديدى » يعد من كبار تجار المدينة وذوى الرأسمال الذى لايقل عن ٥٠ الفا من الجنيهات وكان فى الخرطوم تجار لأعقابهم الآن ثروات عظيمة فى مصر وسوريا ذكروا فى تاريخ السودان للمرحوم نعوم بك شقير ومن أشهرهم أسرة حبيب باشا لطف الله إذ كان أخوه الخواجة خليل لطف الله يدير تجارة كبرى فى الخرطوم حتى توفى بها قبل أن أرى الدنيا وكانت تركته تحت أشراف قنصل روسيا ومن جملتها نحو الف قنطار من العاج كانت موضوعة فى منزل أحيط بخفراء من جنود الضابطة فتوصل لص كبير الى سقف المكان فنقبه ولم يترك فيه ناباواحدا من أنياب الفيلة التى تبلغ الالف قنطار ولما فتحوا المحل ألفوه خاويا على عروشه إذ أعاد اللص السقف المنقوب كأنه هو فقامت قيامة التحقيق وكان مع والدى لانه

المعين لتصفية التركة وكان المحل مختوما بخاتمه وأختام القنصلية ومأمور التركات ومأمور الضابطة ومدير الخرطوم والمحققون متخبطون لايدرون مايفعلون وراجت أشاعات بأن اللصوص هم الجن وارعدت وأبرقت قنصلية روسيا وأمطرت نظارة الداخلية الحكمدارية بوابل البرقيات ونسبة الاهمال وفقدان الامن بعاصمة السودان وبعد بضعة وعشرين ليلة جاء إلى أخى « الفقيه خوجلى الخراط » صاحب ورشة كبيرة لخرط العاج والابنوس بالخرطوم يخبره أن جارية من البغايا جاءته بقطعة من العاج تبلغ ٥٠ رطلا ليشتريها بقيمة لاتربو على عشر ثمنها وانه يظن أنها من العاج المسروق وقد ابقاها بمنزله ليحضر لها المال فاسرع أخى واستيقن أنها من السرقة واعترفت له الجارية بأن فى منزل فلانة دانقة « غرفة » مملوءة إلى السقف وهى لفلان خليل ربة البيت وهو موجود فى المنزل فاشعرت السلطة فى الحال وضبط السارق والسرقة ولم يفقد منها غير القطعة التى عرضت على الخراط وهى أول عرض للبيع وقد حكم على اللص بالسجن والاشغال الشاقة ١٥ سنة فى ليمان فشودة وقد اعترف بتفاصيل جرأته ومهارته حيث توصل إلى سقف الغرفة ونقبه وظل ينقل القطع مدة أربعه شهور رويدا رويدا وقد بيعت هذه الصفقة بعد ذلك بأربعين الف جنيه إلى جماعة من التجار سافروا بها الى بمباى وعادوا بثمنها منسوجات حريرية وقطنية وعطور هندية بيعت فى أسواق الخرطوم والمسلمية والابيض بأرباح طيبة وكونت رأسماليات فى هذه البلد كما نمت وبوركت فى أيدى آل لطف الله بمصر

« ويجدر بى أن أذكر أن فى الخرطوم مطبعة أميرية حجرية لا تزال باقية فى متحف مخلفات العصر الماضى وفى المطبعة معمل لصناعة الورق يقوم بحاجة الحكومة من ورق ودفاتر وأوراق التمغة التى كان لها رواج عظيم إذ لا تسمع الشكاوى ولاتعتبر المعاملات المدنية والتجارية إلا إذا كانت محررة على أوراق التمغة المتفاوتة فى قيمتها وأمثلة مكتوباتها « سند تمغة من مبلغ كذا إلى مبلغ كذا » . وكان فى الخرطوم ورشة لتجهيز ملابس الجيش من الدمور والأحذية من جلود البلاد ولا يستورد من لوازم الجيش من مصر غير الطرابيش . وكان الضباط يلبسون ملابس الجوخ أو الدمور وكان الحكمدار هو الحاكم العام وله وكيل مستديم يليه غالبا فى الرتبة والأهمية والحكمدار على الدوام من السلك العسكرى من رتبة الفريق لأنه القائد العام للجيش وقد خرمت هذه القاعدة فى الزمن الأخير باسناد منصب الحكمدار إلى المرحوم علاء الدين باشا لسد باب الاختلافات التى اتسعت بين الفريق

عبدالقادر حلمى باشا الحكمدار والجنرال هكس باشا . إذ أقيل عبدالقادر حلمى باشا وجىء بالفريق سليمان نيازى باشا باسم قائم مقام الحكمدار فاختلف أيضاً مع هكس باشا فأقيل كسلفه وجىء بعلاء الدين باشا فكان من نتائج ذلك تسيير الحملة ومهلكها المعلوم وكانت الأوضاع كما هى فى مصر فكانت المكاتبات بالعناوين التركية مثال ذلك « سودان حكمدارى سعادتلو افندم حضرتلرى » — والاصطلاحات التركية كانت شائعة ومفهومة

« وقد عين ساكن الجنان محمد على المرحوم الشيخ أحمد السلاوى قاضيا لعموم السودان وألزم الحكمدار خورشيد باشا أن لا يقطع أمراً دون مشاورته ومعه آخرون من أعيان البلاد وكان نظر القضايا والحكم فيها مدنياً وجنائياً من اختصاص المحكمة الشرعية إذا كانت كبرى وأما الصغرى فينظرها مأمور ضبطية الخرطوم ومعه مفتى الضبطية إلى يوم سقوط الخرطوم

« وبعد ذلك أنشئت المجالس تبعا لمصر فكان فى الخرطوم كما فى كل مديرية « مجلس محلى » للحكم فى القضايا المدنية والجنائية الكبرى وآخر رئيس لمجلس الخرطوم المحلى المرحوم محمد بك بدوى والد توفيق محمد بدوى أفندى وأخيه نيازى أفندى وقد توفى قتيلا يوم سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ وفى الخرطوم « مجلس استئناف » تستأنف له جميع الاحكام الصادرة من مجالس السودان المحلية ويجوز الطعن فى أحكام مجلس الاستئناف بتقديم الطعن إلى مجلس الاحكام بمصر واليه ترسل جميع أوراق المجلسين فيصدر حكمه نهائيا بعد فحص الاوراق والاطلاع على وجوه الطعن من الطاعن وكان رئيس مجلس الاستئناف فى العهد المتقدم « الامير الاى اسماعيل أيوب بك » الذى صار فيما بعد الفريق اسماعيل باشا أيوب حكمدار السودان ولكل واحد من هذه المجالس المحلية « مفتى » وللاستئناف « مفتى » عينته نظارة الحقانية المصرية منذ أنشأته وقد استوطن الخرطوم وما زال فى وظيفته حتى مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ وهو الشيخ شاكر حسن الريس من أسرة الريس المعروفة فى عزة هاشم بفلسطين كما أن آخر رئيس لمجلس الاستئناف هو المرحوم حسن عبد المنعم بك والد الوجيه الشيخ أحمد حسن عبد المنعم وأخويه وهناك كثيرون من موظفى هذه الهيئات ما زالوا على قيد الحياة

« ان مصالح الحكومة فى الخرطوم متعددة وأماكنها متدانية مواقعها . وأعظم تلك البنايات هى بنايات الحكمدارية ما عدا « السراى » التى لم تكن ديوانا بل

هى دار سكنى أسرة الحكمدار وفى العهد الأخير تحولت ثلاثه أجزاءها الى دواوين حكومية : فعل ذلك المرحوم غردون باشا سنه ١٨٨٤ إذ اكتفى هو بالجناح الأعلى لمكتبه ومعاونيه وشغل الدور الأرضى كله بمصلحة (مالية السودان)

« ديوان الحكمدارية مبنى بحجارة بيضاء جميلة منحوتة ذات منظر يضارع أعظم مبانى القاهرة ومرتفع سطحه عن سطح الأرض بأكثر من ثلاثه أمتار وله نوافذ شمالية تطل على النهر والشاطىء مرصوف بالحجارة وقد غرست حول النوافذ أشجار باسقة ومدخل إيوان جلوس الحكمدار من الجهة الجنوبية بثلاثة أبواب كبيرة جداً يجلس القواصة الأتراك على دكتين شرقية وغربية بسراويلهم المقصبة وأرديتهم القصيرة « سلطة » وسيوفهم الكبيرة المحنوفة . هذه الأبواب الثلاثة هى التى يدخل العموم منها لمقابلة الحكمدار وفى شرق هذا الايوان رواق مستطيل فيه غرف من الجانبين وله باب شرقى يدخل منه الحكمدار من والى السراى ، والغرف التى بجانب هذا المدخل احداها « مكتبة لحفظ الكتب » « كتبخانة » ومكاتب لموظفى القلمين الأفرنكى والتركى وأوراق هاتين القلمين

« وأذكر أن هذه المكتبة نثرت وبعثرت كتبها النفيسة وأوراقها الكثيرة على شاطىء النهر . وهى عامرة بكل كتاب طبعته المطبعة الأميرية من حين وجودها وقد علمت أن لكل عاصمة من عواصم المديريات مثل هذه المكتبة ترسل من القاهرة رسميا وقد اغتنم كل من رأوا تلك الكتب المبعثرة ممن يعرفون قيمتها بحمل ما عثروا عليه وقد حملت أنا بدورى ما استطعت حمله قبل أن تلقى فى النهر وتضرم فيها النيران ومن أنفس ما ظفرت بين الأوراق كيس فيه أوراق كل سنة قد كتب باللغتين العربية والتركية مبتدىء من اليوم الذى غادرت فيه حملة الأمير إسماعيل باشا القاهرة ، وكيف ودعها ساكن الجنان محمد على الكبير فى سنة ١٢٣٥ ، وترى فى كراسة سنة ١٢٣٦ هـ حديث اجتياز الحملة من الشاطىء الأيسر إلى الخرطوم إلى فتح سنار . وفى كراسة سنة ١٣٠١ هـ حصار الخرطوم وكراسة سنة ١٣٠٢ هـ محتوية على بقية الحصار وبديهى أن يوم سقوط الخرطوم لم يذكر وفى سنى حكم غوردون باشا الأولى قد كتب التاريخ باللغتين العربية والفرنسية وفى المدة الأخيرة اقتصر على اللغة العربية . والظاهر أن لغردون يومية بالانكليزية علاوة على مذكراته كما

اطلعت على كثير من الوثائق الرسمية وأكثر البرقيات مكتوبة بالشفرة « الأرقام » وبعد أن ظلت تلك الأوراق مبعثرة ذهبت طعمة للنار أو لقاع النهر

« ولقد كان من سياسة غوردون باشا الأخيرة فى فبراير سنة ١٨٨٤ أنه أحرق دفاتر الأموال المتأخرة جميعها فى يوم مشهود فى رحبة الحكمدارية »

* * *

« أعود بعد هذا إلى تخطيط دار الحكومة بعد أن تكلمت عن غرفة الحكمدار والمكاتب الشرقية والباب الشرقى المسمى « باب السر » فهناك جناح غربى فيه غرفة « وكيل الحكمدار » والأقلام العربية وقد أدركنا لأول إدراكنا : وكيل الحكمدارية ججلر باشا وهو ألمانى بروسى ورئيس الأقلام هو المغفور له العم محمد افندى الحاج والد الأخ جيلانى محمد الحاج أحد قضاة محكمة الخرطوم الأهلية الآن وابن عم المرحوم الوجيه الحاج المرضى الخضر عمدة الخرطوم الأسبق وعين أعيان القبيلة التى هى أقدم ساكنى الخرطوم منذ قرون — توفى المرحوم الحاج محمد افندى الحاج يوم سقوط الخرطوم قتيلا رحمة الله عليه وعلى من ماتوا معه

« ويقابل بناء الحكمدارية بناء مديرية الخرطوم وهو منزو إلى جهه الغرب وأقل ارتفاعاً من بناء الحكمدارية الذى يسامته من الجنوب دهليز مستطيل وبوابة جنوبية كبيرة مزخرفة يتوصل اليها من فرندة ذات أعمدة شاهقة يجلس فيها ذوو الأشغال من الأهلين ، وكثير ماهم ، والغرف التى بجانبى الدهليز معدة لسكنى البلك النظامى وضابطه المنوط بهم حراسة السراى ودور الحكومة أسبوعيا ثم هنا مصلحة التلغراف وخزانة الحكومة ثم الدفترخانة فى الجناح الشرقى والزاوية الشرقيه الجنوبية ، يجمع هاته المصالح حوش واحد متسع تقام فيه الحفلات الرسمية على نحو ما يقام فى القاهرة الاحتفال بالمعراج الشريف والاحتفال بنصف شعبان وبعده لليلة القدر على النحو الذى تقام به فى القاهرة بشهود الحضرة الخديوية ، وهى احتفالات دينية ، يتحتم المحافظة عليها إنفاذاً لوصايا ولى الأمر ، إذ تختم بالدعاء لذاته الكريمة وينفق عليها من الحكومة . وكان غوردون باشا فى زمن حكمه من أشد الناس محافظة عليها حتى فى أيام الحصار وكذا كان يحتفل ليلا بعيدى ميلاد وجلوس

سمو الخديوى احتفالا دينياً ليلياً علاوة على حفلات النهار من الاستعراضات والتشريفات . وفى شرق الفرندة الغربية مصلاة مرتفعة عن الأرض بنحو ٨٠ س مبلطة أرضها بحجارة كأنها البلاط البلدى فى مصر وفى غربها نحو ٥٠ حنفية تستقى من النيل وبجانب هذا المصلاة منبر عال « هو الموجود فى متحف بيت الخليفة بام درمان » ، فاذا حانت دقيقة زوال الشمس سمع الناس « الله أكبر » من فوق المنبر بصوت جمع بين الجهر والرخامة من فم العم « المرحوم الشيخ حسين المؤذن ، الذى مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم عن عمر يناهز التسعين خريفاً » . وقد وقف دولاب الأشغال وهرع الناس إلى المصلاة وأغلقت أبواب ديوان الحكمدار إلى السراى ومثله وكيله فهما اللذان يتناولان الغذاء فى داريهما . أما مدير الخرطوم وسائر رؤساء المصالح فانهم يتناولون غذاءهم فى ذات المصالح ، وقد شهدت المدير ووكيله والباشكاتب يأكلون معاً ، ولكل واحد منهم مائدته ذات الألوان المتعددة

« ومن المظاهر التى تستحق الذكر موائد الموظفين الأقباط فى أيام الصيامين الصغير السمكى والكبير اللاروحى فان زملاءهم الموظفين المسلمين يستطيبون الألوان الكثيرة المطبوخة بالزيت طبخا فى منتهى الأتقان والجودة لاسيما « الطعمية » المتقنة بالتوابل ، وكانوا يسمونها « القريصة » والخبز الشمسى الذى لم أره مثيلا فى أيام الكهرباء وأخواتها . ومع انخفاض الأسعار وقيمة اردب القمح من ٢٥ قرشا إلى ٣٠ قرشا ، فان نفقات الطعام على أعمامنا الأقباط يومئذ لا يستهان بمقاديرها فأقل مايجتمع حول مائدة أحدهم العشرة من الزملاء سوى ما يتحف به الجيران فى بيوتهم ، كل على حسب سعته . ويلحق بهذا ما كنا نراه فى بيوتنا كل ليلة من مشاركة الأعمام والاخوان الأقباط لآبائنا وأخواننا فى فطور رمضان والتفنن فى أنواع أطعمته لاخوانهم المسلمين ، ولاغرابة فان أهالى الخرطوم مع كثرة عددهم واختلاف أجناسهم بين مصريين وأتراك وجعليين ومحس ودناقلة و . . . بل أجناس أخرى من سوريين ومغاربة حتى الاجناس الاوروبية كانوا على أحسن مايتصور من إخلاص الود لبعضهم ومتانة الروابط بينهم . ولقد كان شعار قوميتنا الخرطومية : « إذا أطعمت فأشبع » ، أى أن المائدة التى يجلس حولها عشرة تشبع العشرين إذا لم أقل الثلاثين

« عود إلى الموظفين - فانهم تناولوا طعامهم وهم جلوس على الارض المفروشة

بالبروش حتى يؤذنهم العم الشيخ حسين بصلاة العصر لأول وقته وبعد أدائها يستأنفون أعمالهم ولا يبارحون دواوينهم إلا قبل غروب الشمس بساعة وربع ساعة . وهذا شأن جميع مصالح الحكومة إلا أنه لا يوجد مؤذن ومنبر إلا فى الحكمدارية وليس هذا الآذان وإقامة الصلاة خاصا بوقتى الظهر والعصر ، اللذين يحضرهما موظفو المصالح سالفة الذكر بل هو مستديم للاوقات الخمسة ما عدا ظهر يوم الجمعة . وذلك احتذاء لمثل ما هو متبع فى سراى عابدين أو رأس التين المقر الرسمى للجناب العالى الخديوى . وقد جرى الرسم بهذا كله من عهد ساكن الجنان محمد على الكبير .

« وقد ذكرت فيما تقدم من الذكريات أن الحكمدار نائب الحضرة الخديوية فى السودان يجرى الرسم فى معاملته وفق ما يجب للذات الخديوية بدون اخلال

« ولقد كان الطيب الذكر غردون باشا من أدق الحكام فى المحافظة على رسوم هذه النيابة . وللذكرى والتاريخ أدون أن الاحتفال بالمولد النبوى كان يجرى فى الخرطوم بالصفة الرسمية التى تجرى فى القاهرة : لكل مصلحة سرادق ، وتقام الزينات وتطلق نيران المدافع وكان آخر حفل به فى ليلة ١٢ ربيع أول سنة ١٣٠٢ أى قبل مقتل غوردون وسقوط الخرطوم ببضع وعشرين ليلة فأقيم الاحتفال فى فناء الحكمدارية وزين بالرايات والفوانيس ودعى العلماء والكبراء وجلس غردون باشا فى صدر الحفل ببذلة التشريفة الكبرى فى وسط الحاضرين واعتلى المنبر المغفور له العلامة السيد حسين المجدى « باشخوجة المدرسة الاميرية » وتلا القصة الشريفة ، وبخور العودة يتصاعد من المجمرة الفضية المذهبة المرصودة لمثل هذه الحفلات . وقد رأيت غردون باشا يرفع رأسه والعقال القصبى اللامع فوق كوفيته الناصعة البياض . وإذا تضاءل دخان البخور ، أسرع إلى المبخرة المرحوم اللواء موسى شوقى باشا مدير الخرطوم لاصلاحه . فلما انتهت التلاوة أطلقت المدافع من بطارية السراى ومن طوابى باب المسلمية والمقرن وتوتى وراسخ بك فى البر الشرقى . وقد جلس إلى المائدة ومعه المرحومان الشيخ الأمين الضرير شيخ علماء السودان والسيد حسين المجدى سالف الذكر وجماعة من العلماء . ولم يطل الجلوس بل قام متفقدا القصاع التى وضعت على الارض للفقراء ، وقد قسم بيده حلوى الملبس على الاولاد الممتازين ومر بنا وبجانبى صديقى الاخ المرحوم بقطر عبد المسيح غطاس أفندى ونفح كل واحد منا شيئا من الملبس بعد أن خاطبنا « قبانى غطاس » وكانت هذه الليلة المباركة خاتمة

ليالى الاحتفالات التاريخية فى الخرطوم فقد سقطت فى صبيحة اليوم التاسع من شهر ربيع الثانى سنه ١٣٠٢ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥

« ومما يستحق الذكر مناظر المتنزهين حول المدينة من الشرق والغرب والجنوب والشمال وفى الزوارق وإن كانت قليلة فانها تمثل منظر التنزه فى زوارق البوسفور فى استامبول كما يقول الاتراك والاوربيون الذين شاهدوها هناك، واحتذوا مثالها هنا . فانك ترى المتنزهين فى أرض الارباض ركباناً على الخيول المختلفة فى آلتها فهذا آلته وسرجه تركى وبجانبه آخر بآلة وسرج سودانى أو أفرنكى والكل فى غاية الفخامة من « رشمات » فضية مطلية بالذهب واختلاف أزياء المتنزهين له منظره البديع فهذا يلبس زيا افرنجيا أنيقاً مع الطربوش وبجانبه آخر يلبس الزى القديم « السراويل والشبكن » أما الطربوش المضلع فهو الزى الرسمى لجند الباشبوزق على اختلاف أجناسهم وكنا نرى قساوسة الارسالية الكاثوليكية بأثوابهم الكهنوتية وغطاء رؤسهم « الطربوش » وكانوا قبل زماننا يتعممون كقساوسة الأقباط والميزة بينهما أن القبطى بقفطان وجبة أو زعبوط وهم بثوبهم الطويل المزرر ، وقد رأيت فى كنيسة الكاثوليك تمثالا نصفياً من الرخام صنع احياء لذكرى المونسنيور الارشمندريث « انياسيو كنوبلخير » الألمانى الذى أسس الكنيسة لابسا قفطاناً وفرجية وعمامة

« وبالجملة أن الأزياء فى الخرطوم كانت معرضا محتويا لأزياء أهل الأرض كلهم تقريبا ، ومن بين المعممين ترى العمائم المتباينة من مصرية وصعيدية إلى سودانية إلى سورية الى هندية الى بخارية الى تركية وكذا القبع واللحى الافرنجية وكثير منهم كانوا يحلقون لحاهم من أسفل الحنك فيسميهم الناس « أبو دقنين »

« ومن مشاهد النزهة التى تجرى فى الخرطوم فى أغلب أيام الاسبوع « لعبة الجريد » التى يقوم بها أجناد الباشبوزق الاتراك والمغاربة والشايقية والاهالى . وهى تمثل مبارزات الحروب والترامى بالسهام . وفى الأغلب يحضرها الحكمدار والكبراء وقناصل الدولة . ولست بناس حلقات « الحاوى » المشعوذ والألعاب المدهشة من فنون السينما . وفى مرة وفد إلى الخرطوم « حاو » شهدنا أنه قطع شابا اربا إلى عشرين قطعة ، والدم قد ملأ الأرض ، فصرخت أنا وأترابى وأغمى على بعضنا ثم تمثل لأعيننا أن الدماء والاجزاء المقطعة تتحرك وتقترب من بعضها حتى استوت شخصا سالما بجلابيته الزرقاء وطربوشه قبل أن يذبح ويقطع اربا . ومن مناظر

الشعوذة التى كنا نراها كل يوم : « رجل من ساكنى الخرطوم قصير القامة ضخم الجثة كبير الوجه ضخم الرأس يبلغ شعره منكبيه يحمل مسماراً غليظا مستطيلا على رأسه حلقات حديدية لايقل وزنها مع المسمار عن عشرين رطلا يغرس هذا المسمار فى عينه حتى تراه لامعا شبرا فى قفاه وقد سالت الدماء» . ثم يستله ولا أثر للدم ولا ضرر بالعين ، هكذا يعيده دواليك وقد يضعه فى صدره وقلبه وبطنه حتى صارت شعوذته هذه مألوفة لدينا وأصبحنا لانلتفت لنظرها ولايدهشنا منظرها وكذلك شأن المشعوذين الذين يدخلون من أفواه الدواب ويخرجون من أدبارها

« ولاستيفاء تخطيط الحكمدارية أذكر بناء حجريا متينا عريض الجدران فى طول شاهق حصن منيع كأنه فى داخله أروقة يسمى « طوبخانة » أى محل المدافع . كان نظام الجيش قبل سنة ١٢٨١ هجرية التى وقعت فى ابانها ثورة الآلاى الرابع السودانى فى كسله ، أن لكل ألاى ، طوبجية وفرسانا تتبعه من ذات فصيلته وقد رأى سمو الخديوى اسماعيل من وقائع تلك الثورة فصل قوة الطوبجية من جميع الالوية وبقرب نظر الحكمدار ، وأن يكون جندها من المصريين وضباطها ان لم يكونوا أتراكا فمن المصريين . وأحسب أن هذا الاجراء متبع حتى الآن فى الجيش المصرى . وبهذا صارت وظيفة قومندان الطوبجية منفصلة عن قيادة الجيش العامة تخضع لأمر القائد الاعلى الحكمدار بالنيابة عن الحضرة الفخمية الخديوية وآخر من ولى هذه هذه الوظيفة العم المرحوم الامير الاى محمد بك العتبانى الذى قتل يوم سقوط الخرطوم فى مركز وظيفته بخط الدفاع الغربى من باب المسلمية وسبحان مقدر الامور وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

« ليست أنظمة الماضى التى أذكرها اليوم قريبه المشابهة بما هو تحت نظر قصار النظر اليوم فقد ذكرت هيئة ديوان الحكمدارية وأبوابه الثلاثة والحكمدار يجلس فى حده الشمالى ووجهه إلى ناحية هذه الابواب . ومن الميسور على كل شاك أن يواجهه ويسلمه عريضته يداً بيد فيأخذ فى تلاوتها ثم يوقع عليها بالقلم الاحمر هكذا « يتحرر إلى كذا باجراء كيت وكيت » ويسلمها لصاحبها قائلا هكذا « وديها إلى فلان أفندى أو فلان بك » يعنى الكاتب المختص بهذا . ويكون قواصان وقوفا بجانب الشاكى بسيوفهما فيخرجان معه فاذا كان عارفا بمحل الكاتب تركاه يذهب وحده ويعودان الى الجلوس مع رفاقهم ، وإن كان جاهلا بمكانه رافقه أحدهم حتى يسلمه إلى فلان أفندى أو فلان بك الذى يكتب على ظاهر العريضة ما أمر به الحكمدار

ثم يعود الشاكى نفسه إلى الحكمدار فيوقع ما كتب بخاتمه ويسلمه إلى المشتكى الذى يحمله بيده إلى الجهة أو الشخص الذى كتب اليه . فهل فى ماذكر مشابهة بماجريات العهد الحالى. أوليس هذا مطابقا لما كان متبعا فى الحكومات الاسلامية من أقدم عصورها . فليتدبر العقلاء وليقيسوا عليه إذا كانوا على علم بالقياس قبل أن ينتقدوا ، فان سكان الخرطوم لرسوخ أقدامهم فى المدنية واتصالهم بالقاهرة يمثلون هيئة رقابة على أعمال الموظفين حتى الحكمدار، وهم الذين شكوا المرحوم ممتاز باشا إلى الاعتاب الخديوية فأوقف عن العمل ، وحبس فى مسكنه ، وأرسل الخديوى قومسيونا برئاسة خالد باشا لتحقيق ما نسب اليه فتوفى إلى رحمة ربه قبل الانتهاء من التحقيق .

« وفى عهد قريب من بداية القلاقل وظهور المهدية عزل أحد الباشوات الكبار وكان برتبة فريق وقائد عام الجنود وقائمقام الحكمدار غردون باشا فى غضون تجوله فى السودان لما نسب اليه من ظواهر معاقرة الخمور وتهيئة مجالس المنادمة والطرب ومخادنة خليلة ، اشتهرت به يومئذ ، وقد أبرق إلى سمو الخديو بالشكوى من ذلك العمان المرحومان محمود بك محيي الدين وحسن بك عبد المنعم وأيد شكواهما قنصلا ايطاليا واليونان .

« وبالجملة أن سكان الخرطوم هيئة قوية معروفة أفرادها لدى الاعتاب الخديوية يرفعون اليها شكاويهم عن كل اعوجاج حين يفزع اليهم أعيان البلاد من كل الاقاليم ليتوسطوا فى إنصاف المظلومين وإجراء العدل ووضع الامور فى نصابها وقد سمعت بوقوع محاكمات لمديرى المديريات . فقد كان على بك الكردى مدير فشودة قد اعتدى بالضرب بالفلقة والكرباج على منقريوس أفندى أبو دوس باشكاتب مديرية فشودة . ولما اتصل الخبر بأعيان الخرطوم ، شكوا للخديو رأسا فجيء به محبوسا رهن التحقيق والمحاكمة وولى بدله المرحوم يوسف بك كرده ومازال على بك الكردى فى الخرطوم حتى أرضى الشاكين بدفع تعويض لصاحبهم المجنى عليه وانتهت القضية صلحا . ولكن الخديو توقف عن المصادقة على الصلح حتى وقعت كارثة مقتل يوسف بك كرده فى واقعة ثورة الشلك فرؤى العفو عن على بك الكردى وإعادته إلى فشودة لتأديب الثوار والاخذ بالثار وقد نجح فى هذا الصدد أكبر نجاح ولم تقم قلاقل وثورات بعدها إذا انتزع الملك « كاتكير » الثائر وقامت

بعده أسرة « كيكون » الذى صار الملك « كيكون بك » وقد قتل فى إحدى الوقائع التى وقعت بين الحكومة والمهدية فى قدير

« ونظير هذه القصة ما هو من أسرار التاريخ المجهولة أن المرحوم راشد بك ايمن مدير فشودة أعتدى أيضا بالضرب على الأخ المرحوم عثمان أفندى فريد باشكاتب مديرية فشودة . وحالما اتصل الخبر بأعيان الخرطوم رفعوا شكوى إلى الخديوى توفيق رحمة الله عليه وأرسلوا الملابس الملوثة بالدماء فأيقن راشد بك ايمن بأنه لا محالة سائر إلى ما صار اليه على بك الكردى من الحبس والتحقيق فى الخرطوم . وقد اتصل به نبأ وصول المهدى إلى قدير فألقى القبض على عثمان أفندى فريد المجنى عليه وأودعه السجن بعد أن خاطبه بأنه سيتقدم بالحملة على المهدى . فاما أن ينتصر وينال عفو الخديو عن جريمته وإما أن يموت فلا يعاقب على جريمته بأيدى أهل الخرطوم من رؤساء وأعضاء المجالس التى تحقق معه وتحاكمه وهكذا تقدم وكان من هلاكه ما لسنا بصدد الكلام عنه . ونظائر هذه الوقائع أكثر من أن أتصدى لتدوينها . وإنما أثبت هذه الوقائع ليتدبر الذين يهرفون بما لا يعرفون وليعلموا أن اليوم غير الامس فلا يحكمون على تلك الأيام بالموازين المنطقية الحالية بعد أن تغيرت البلاد ومن عليها . وهل علموا أن سكان السودان كانوا فى سنة ١٨٨١ — ١٣ مليونا ونصف مليون وسكان مصر لا يبلغ عددهم السبعة ملايين . وقال السر رجنلد ونجت باشا السردار والحاكم العام فى سنة ١٩٠٠ أن سكان السودان أقل من أربعة ملايين أى أنهم نقصوا خمسة وسبعين فى المائة فى مدى ١٩ سنة ولكنهم اليوم على وشك أن يستعيضوا كل ما فقدوه من النفوس التى انتقصت منهم .

الارساليات العلمية من الخرطوم إلى مصر

« كان أكثر الوظائف الفنية فى الخرطوم يتربع على سنامها متخرجون من مدرسة الخرطوم أولا ثم أرسلوا إلى مصر لاتمام دروسهم وهم كثيرون جداً من مهندسين ومساحين وغيرهم . هنا أعرض لذكر واحد منهم هو الأخ المرحوم اسماعيل صديق افندى خاطر وكيل ادارة بوستة السودان انفذ إلى مصر مع أخيه المرحوم مصطفى أفندى خاطر نظير كثيرين على نفقة الحكومة . وكان اسماعيل على جانب كبير من الاضطلاع بهذه المهمة التى لا يخفى ما كانت عليه من خطورة وتعقيد

إذ كان النقل بالجمال والسفن ، وكان مدير البوستة اسرائيلى إيطالى يدعى « جاكمو امبروزو » جاء الخرطوم منذ عهد بعيد رئيسا لشركة إيطالية كبرى ، كانت تتجر فى حاصلات السودان من العاج وريش النعام ، الذى كان إذ ذاك فى الذروة من علو سعره يكاد يكون ذهباً ويقرب منه شأن العاج والصمغ ، فعينته الحكومة مديراً للبوستة ، ولكن المدير فعلا هو أخينا المرحوم اسماعيل صديق خاطر يشغل وظيفته ، باللغة العربية والافرنسية معاً . ورؤساء سائر المصالح من مواليد الخرطوم سواء أكانوا مصريين أم أتراك أم سودانيين على السواء

فى الارساليات المصرية

« مدرسة الارسالية البروسيانية قد تخرج منها عدد قليل من أبناء الخرطوم غير المسلمين إذ لم يتخرج منها من أبناء المسلمين غير أخوى المرحومين محمد درويش القبانى واحمد القبانى . ومن نوابغ الذين تخرجوا من هذه المدرسة المثرى الشهير الذى استوطن مدينة اسوان حيث هاجر اليها فى سنة ١٨٤٤ المرحوم بطرس بك سركيس وكيل قنصلاتو انكلترا فى اسوان وكان على جانب من الذكاء والحصافة ولد بالخرطوم من والد ارمنى الجنس وأم سودانية

« أخبرنى فى اسوان المير الاى محمد ماهر بك وكيل محافظة اسوان « صارفيما بعد محمد ماهر باشا محافظ القاهرة » والد صاحب المعالى على ماهر باشا وأصحاب السعادة أخوته العظماء ، أنه جاء الخرطوم برتبة ملازم أول أركان حرب حملة الفريق السر صموئيل بيكر باشا لاكتشاف منابع النيل ، وإن الخديوى اسماعيل أمر بتشكيل مصلحة خاصة فى الخرطوم باسم « وكالة مأمورية خط الاستواء » ولهذه المصلحة ترسانة خاصة آثارها باقية فى « المقرن » وإنه أى ماهر باشا استصدر أمرا من السر صمويل باكر بتعيين وظائف جميع موظفى هذه المصلحة ومن جملتهم أسند وظيفة « أمين مهمات هذه المصلحة وجميع أدواتها » إلى أخى محمد درويش افندى القبانى وأسند منصب الوكيل إلى موسيو فردريك روسيه البروسى قنصل دولة روسيا فى الخرطوم . وبالايجاز أن هذه المصلحة ظلت قائمة تخضع لمصر مباشرة حتى خلف غردون باشا بيكر باشا ثم سمى غردون باشا حكمدار عموم السودان وسواحل البحر الأحمر فألغى اسم إدارة النيل الأبيض وسميت « ترسانة الخرطوم »

وحولت إلى الموضع الذى بقيت فيه الى سقوط الخرطوم فى محل قسم الأشغال شرق السراى

« وقد أدركت كثيرا من موظفى هذه المصلحة منهم العم المرحوم على افندى حسين باشكاتب تلك المصلحة وابنه المرحوم مصطفى افندى على حسين الموظف بمصلحة الوابورات فى الحكومة الحالية والمرحوم البلوله افندى محمد الحسن من كبار رؤساء الأقلام فى تلك المصلحة ومحاسب المصلحة القضائية فى هذه الحكومة رحمة الله عليهم

« فكاهة : فكاهة تاريخية ـ أخبرنى بها العم الاستاذ المرحوم الشيخ السلاوى من أعلام كتاب عصره وابن قاضى قضاة السودان العلامة المرحوم الشيخ أحمد السلاوى انه كان أحد كتاب الحكمدارية فى سنة ١٢٧٨ هـ الى ١٢٧٩ هـ لعهد المرحوم راسخ بك وكان كبير الكتاب إذ ذاك المرحوم قسم السيد افندى ، ويليه المرحوم محمد افندى الحاج فدخلت عليه عجوز جعلية وقدمت له عريضة تظلم فى مسائل أطيان زراعية وكان منتشيا تشم منه رائحة الشراب فاهتم بشكوى العجوز واستدعى قسم السيد افندى مستفهما عما تم فى شكاويها السالفة فأجابه بما أوهن حجة العجوز ، فالتفت اليه مخاطبا : خف الله ياقسم السيد هو « أى الحاكم » سكران وانت تقترش عليه » فقال راسخ بك « صدقت خالتى . أنا سكران وانت تقترش على ياقسم السيد » اسمعى يا خالتى ان محمد افندى الحاج « مورود » محموم وقسم السيد اذا قلت له اشرح عريضتك يقترش فيها فخذى عريضتك واذهبى الى منزل محمد محمد افندى الحاج وقولى له سلامتك واعرفى يومه الذى يجى فيه للديوان وتعالى أخليه يشرح لك عريضتك « يكتب عليها » يقول : إدوا خالتى أطيانها أوجيبوا قضيتها أنا ذاتى أشوفها وضرب بيمينه على صدره . فودعته العجوز فاتخذها لهجة بينه وبين قسم السيد افندى مرارا وتكرارا كل يوم « خف الله ياقسم السيد انا سكران وانت تقترش على ! » . هكذا كان الاتصال وثيقا بين الحكام والمحكومين يضاف الى ذلك التزاوج فان المواليد أكثر من أن أحصيهم : آباؤهم مصريون وأتراك واكراد ومغاربة وسوريون وأوربيون ، وامهاتهم عربيات وسودانيات . وفى هذا العهد يوجد كثيرون من بنى قبائل السودان لايشك من رآهم أنهم مصريون لما غلب عليهم من لون امهاتهم واذا شاء الباحث اللبيب أن يعترض بالاشارة السطحية والحكم بالنتائج الأخيرة فانه يستطيع دراسة كل ما يتطلبه بحثه الانصافى المنشود وانما بدل

من أن يقول لنا أن ليس من الميسور فى طريق السلامة خوض تلك المواضيع بعد أن اكتنفتها ظلمات مدهشة وداوفع حائلة يقترش علينا كما يقترش العم المرحوم وتغافل عن إمور انه لايفز بالحمد الا من غفل

أ هـ .»

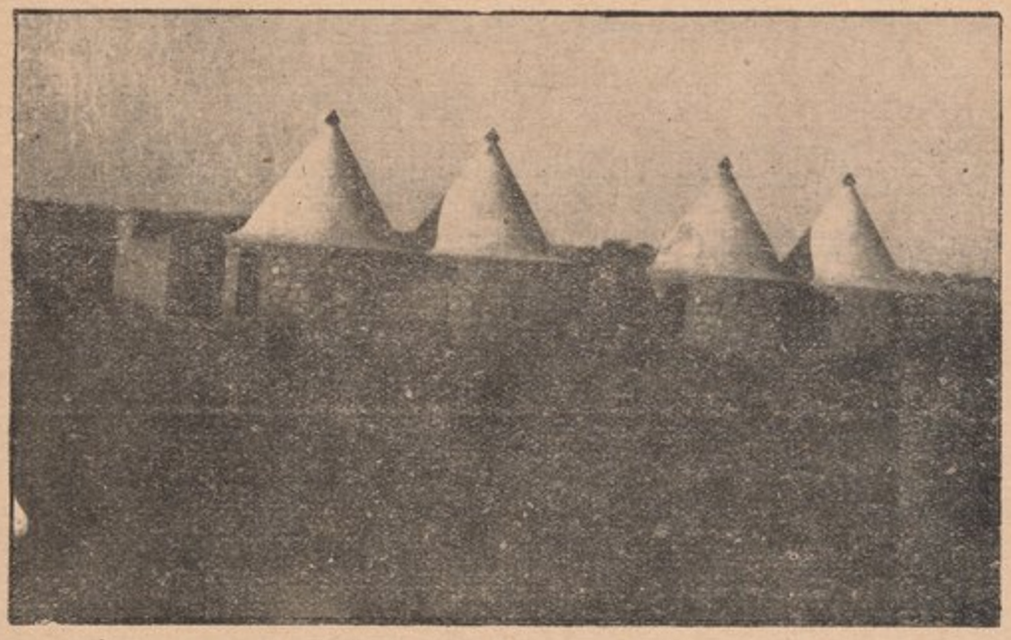

التكلات أو القطاطى التى يسكنها الفقراء والعمال وهى غرف من الطين أو الحجارة سقوفها مخروطية



سوق سودانية قروية لبيع الحاجيات المنزلية

تفاصيل عن الحكم المصرى وادارته

ذكرنا فيما تقدم أن زيلع وبربره وهرر والسومال قد فتحت فى عهد إسماعيل وضمت إلى مصر فى سنة ١٨٧٥

وزيلع وبربره من بلاد السومال الشمالية على خليج عدن (١) . وأهم مدنها ثغور زيلع وهى ميناء سلطنة هرر على خليج عدن ومركز تجارى للبن وسن الفيل والجلود وريش النعام والصمغ العربى والمر . ومن زيلع بلدة « جبرت » التى كانت منشأ آل الجبرتى الذين ظهر منهم المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المصرى المشهور فى آخر عهد المماليك وعصر نابليون وعهد محمد على

سلطنة هرر

فتح الخديوى إسماعيل سلطنة هرر لأهمية موقعها ولأنها مرتبطة بالسودان فأرسل فرقة من الجيش المصرى بقيادة محمد رؤوف باشا فى سبتمبر سنة ١٨٧٥ فتحت « هرر » عاصمة السلطنة وضمت إلى مصر فى اكتوبر سنه ١٨٧٥

هرر تقع شرقى الحبشة وغربى زيلع ويبلغ عدد سكانها نحو مليونى نسمة ، وهى من البلاد الزراعية وأهم حاصلاتها البن والقمح والذرة والفول والعدس والموز والفاكهة والقصب والقطن . وأهم صادراتها البن والصمغ وريش النعام والزعفران والمر والزبد والجلود ، وتستورد من الخارج المنسوجات والنحاس والزجاج الخ ، ومدينة « هرر » واقعة على بعد ٢٣٢ ميلا من زيلع ، ويقطنها ٣٥ ألف نسمة ، وسكانها على جانب من الحضارة .

وقد أنشأت الجنود المصرية فيها داراً للحكومة ، ومسجداً جديدا ، وشيدت أربع ثكنات لاقامة الجند ، ومنازل كثيرة للموظفين ، ولم يسخر أحد من الاهلين فى إقامة هذه المبانى . وجعل رؤوف باشا حاكما عاما لهرر ، وعين أميرها السابق محمد عبد الشكور محافظا لعاصمتها الذى لم يلبث أن قتل

وخلف رضوان باشا محافظ بربرة رؤوف باشا الذى أقاله غردون باشا حين عين حاكما عاما للسودان ، وأعاده إلى مصر ، وخلفه سنة ١٨٨٠ محمد نادى باشا الذى وجه عنايته إلى استتباب الأمن وتحصين المدينة . وفى سنة ١٨٨٢ عين على رضا باشا خلفا لنادى باشا ، وظل الحكم المصرى مستقرا فى تلك البلاد ، إلى أن

(١) معجم البلدان — لياقوت جزء ٢ ص ١٠٦ وجزء ٤ ص ٤٢٥

أكرهت حكومة مصر على إخلاء السودان وملحقاته ، وانسحبت القوات المصرية سنة ١٨٨٥ وكان مجموع المصريين الذين انسحبوا من هرر سنة ٨٥٧١ من الجنود والموظفين ورجال البوليس والعمال ، والنساء والأطفال من عائلات الجند والموظفين

وقد أغار عليها ملك الحبشة وضمها إلى أملاكه وما زالت تابعة لها إلى اليوم

فتح السومال

فتح الخديوى إسماعيل بقية بلاد السومال ، فأرسل حملة سنة ١٨٧٥ بقيادة الأميرال ما كيلوب باشا فتحت رأس « حافون » جنوبى رأس جردفون « جردفوى » وبلدة « براوه » الواقعة شرقى نهر الجوبا « الجب » وبلدة « قسمايو » « بوراسماعيل » الواقعة على مصب « الجب » وانسحبت الحملة من الجوبا فى يناير سنة ١٨٧٦ ، وعادت إلى مصر

وقد عقدت الحكومة الانجليزية مع مصر معاهدة فى ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ وقع عليها شريف باشا وزير خارجية مصر بالنيابة عن الحكومة المصرية ، والمستر « فيفيان » قنصل انجلترا العام بالنيابة عن الحكومة الانجليزية ، أقرت الحكومة الانجليزية فى هذه المعاهدة سلطة الحكومة المصرية فى سواحل السومال الشمالية

واعترفت مصر بأن تبقى « بربرة » و « وبولهار » ثغرين حرين ، وأن لا تعطى فيهما أى امتياز أو احتكار لأحد ما ، ولا تأذن باجراء أى عمل يعطل حركة التجارة فيهما ، وأن لا تأخذ رسوما عن الواردات أكثر من ٥ ٪ ، ولا تزيد الرسوم الجمركية على واحد فى المائة فى ثغور « تاجوره » و « زيلع » وسائر سواحل بلاد السومال التابعة لها ، وأن تعامل مصر رعايا انجلترا وسفنها فى تلك الجهات معاملة دولة ممتازة ، وتعهد الخديوى بأن لا ينزل عن أى جزء من هذه البلاد إلى أية دولة أجنبية

ورخصت مصر للحكومة الانجليزية تعيين مأمورى قنصليات فى جميع الثغور والبلاد الواقعة على سواحل البلاد المذكورة ، على أنه لا يجوز لها تعيين مأمورى قنصليات من أهالى البلاد أو من أهالى البلاد المجاورة لها .

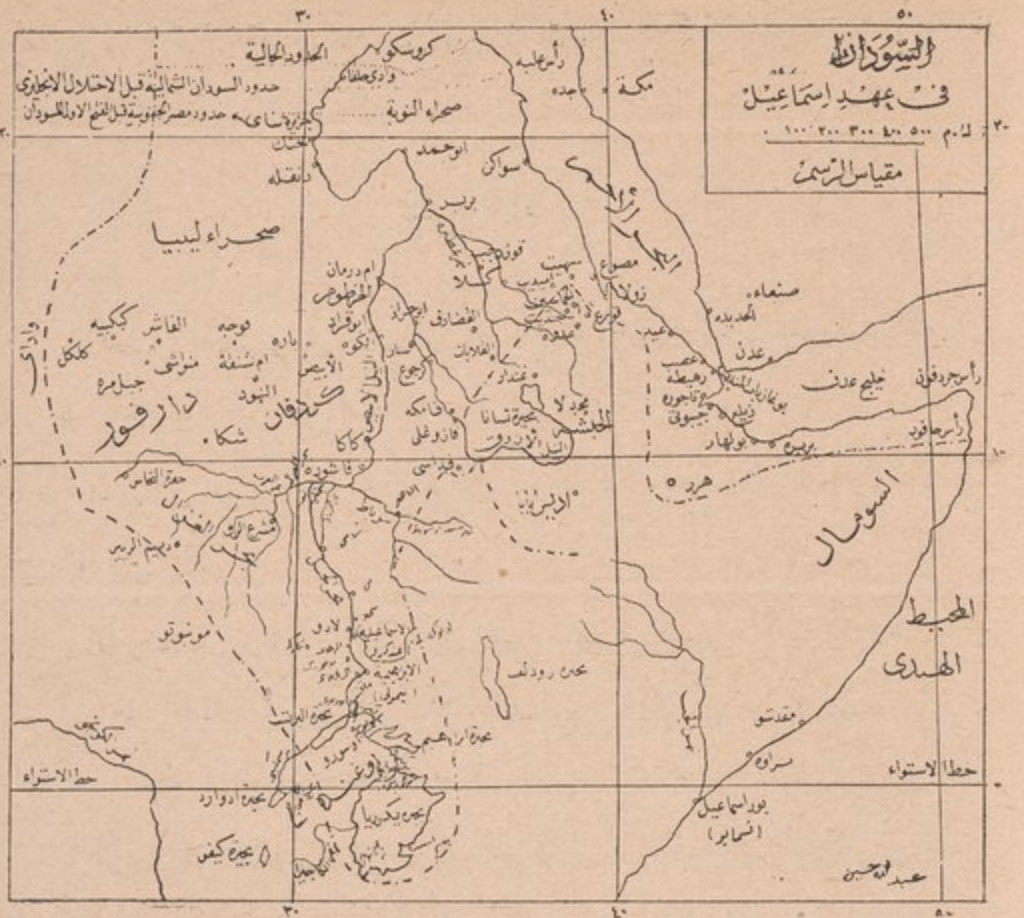

التقسيم الادارى

أدخل على التقسيم الادارى فى عهد اسماعيل تعديلات قضى بها التوسع فى الفتح وضم بلاد جديدة إلى السودان : فصار مؤلفا من المديريات والمحافظات الآتية :

مديرية الخرطوم وعاصمتها الخرطوم ، ومديرية سنار وفازوغلى وعاصمتها سنار ، ومديرية بربر وعاصمتها بربر ، ومديرية دنقلة وعاصمتها دنقلة ، ومديريه كسلا أو التاكة وعاصمتها كسلا ، ومديرية فاشودة وعاصمتها فاشودة ، ومديريه كردفان وعاصمتها الأبيض . وانقسمت « دارفور » إلى ثلاث مديريات : « الفاشر وعاصمتها الفاشر ، وداره وعاصمتها داره ، وكبكبيه وعاصمتها كبكبيه » . ثم مديرية بحر الغزال ، وعاصمتها ديم الزبير ، ومديرية خط الاستواء وعاصمتها الاسماعيلية « غندكرو » ثم نقلت العاصمة إلى اللادو فالى ودلاى . وكانت مقسمة إلى المأموريات التالية : لاتوكا ، وبو ، ومكركة ، ومنبوتو ، وودلاى ، وفويره

المحافظات : محافظة سواكن وعاصمتها سواكن ، ومحافظة مصوع وعاصمتها

مصوع ، وحكمدارية هرر وعاصمتها هرر ، ومحافظة زيلع وعاصمتها زيلع ، ومحافظة بربره وعاصمتها بربره

نظرة اجمالية

الجيش المصرى فى السودان — بلغ عدد جنود الجيش المصرى فى السودان فى عهد اسماعيل ، نحو ٣٠ ألف مقاتل

استتباب الأمن — كان الأمن ، بوجه عام ، مستتبا فى أثناء حكم اسماعيل كما سبق بيان ذلك

الزراعة — وكانت الزراعة فى عهده منتشرة خصوصا القطن فى السودان الشرقى ، فقد أنشئت أسواق فى كسلا والقضارف « أبوسن » والقلابات ، وزرع الدخان ، وأنشأ أمين بك « باشا » حقولا للتجارب الزراعية بجوار « الرجاف »(١)

طرق المواصلات — من أهم الطرق التى كانت تسلكها القوافل أو السفن فى عهد الحكم المصرى (٢) :

١ — من الخرطوم إلى الأبيض عاصمة كردفان - ١٢ مرحلة بسير القوافل

٢ — من الخرطوم إلى الفاشر عاصمة دارفور - ٣٢ مرحلة بسير القوافل

٣ — من الخرطوم إلى غندكرو « الاسماعيلية » بطريق النيل والمسافة بينهما بالبواخر فى ثمانية عشر يوما .

٤ — من الخرطوم إلى قوز رجب على نهر عطبرة - ست مراحل

٥ — من الخرطرم إلى دنقلة - ٨ مراحل

٦ — من الخرطوم إلى أبو حراز فالقضارف والمسافة بينهما فى ثلاثه أيام بالبواخر ثم خمسة أيام أخرى على ظهور الابل

٧ — من الخرطوم إلى قوز رجب فكسلا فى ثمانية أيام بالابل

---

(١) انظر مجلة الجمعية الجغرافية عدد فبراير سنة ١٨٨١ ص ٣٢

(٢) انظر تقرير الكولونيل ستيورت المنشور بالكتاب الأزرق الانجليزى عن مصر سنة ١٨٨٣ « ج ١١ ص ٨ » . واستيوارت كان فى مهمة سرية من قبل دولته لكشف حالة السودان ، وعلى مقتضى تقريره قررت اخلاء السودان على يد غوردون .

٨ — من القضارف إلى القلابات فى أربعة أيام على ظهور الابل
٩ — من القضارف إلى « الجيرة » فى يوم ونصف يوم على الابل
١٠ — من القضارف إلى كسلا فى خمسة أيام بالابل
١١ — من قوز رجب إلى سواكن فى أحد عشر يوما على ظهور الابل
١٢ — من مصوع إلى سنهيت « عاصمة البوغوس » فى خمسة أيام على الابل
١٣ — من سنهيت إلى كسلا فى سبعة أيام على الجمال
١٤ — من غندكرو إلى الدفلاى سيرا على الأقدام فى تسعة أيام
١٥ — من غندكرو إلى منبوتو فى ٣٤ يوما سيرا على الأقدام
١٦ — من غندكرو إلى فويرة فى ١٨ يوما سيرا على الأقدام
١٧ — من غندكرو إلى لاتوكا فى سبعة أيام سيرا على الأقدام
١٨ — من غندكرو إلى مكركا فى سبعة أيام سيرا على الأقدام
١٩ — من الفاشر الى أسيوط فى أربعين يوما على ظهور الابل

المواصلات النيلية — نسفت الصخور وأصلح مجرى النيل فى شلال «عبكة» جنوبى وادى حلفا فأصبح صالحا للملاحة النيلية ومرور السفن الشراعية والبواخر وأصلحت ترسانة الخرطوم التى أنشأها محمد على الكبير

الملاحة البحرية والفنارات — وأنشىء أيضا فى عهد اسماعيل ، فنار فى ميناء « بربره » على خليج عدن ، وبنى بها أيضاً رصيف لايواء السفن بمرفئها (١)

مشروع السكة الحديدية — وأنفق الخديوى اسماعيل نحو ٤٠٠ الف جنيه وقيل ٤٥٠ ألف لمد خط حديدى على طول النيل من وادى حلفا إلى « حنك » ومد من الخط نحو ٥٧ كيلو مترا وقيل ٥٠ كيلو فقط من وادى حلفا

المدارس — أنشئت فى السودان فى عهد الخديو اسماعيل بعض المدارس لتثقيف الأهالى ، وعهد بالتدريس فيها إلى المتخرجين من مدرسة الخرطوم التى أنشأها عباس الاول .

التجارة — أنشىء فى السودان فى عهد الخديوى اسماعيل بيوت تجارية لها أهميتها . وبلغ عدد البيوت التجارية المملوكة للمصريين فى السودان ثلاثة الاف بيت

(١) كتاب عصر اسماعيل الجزء الأول للرافعى بك

والمملوكة للاوروبيين ألف بيت ، وبلغت واردات السودان فى السنة مليونين من الجنيهات وصادراته نحو أحد عشر مليونا ونصف مليون من الجنيهات (٢)

البريد — أنشأ موتشى بك مدير مصلحة البريد المصرية مكاتب كثيرة وإدارة للبريد فى الخرطوم سنة ١٨٧٣ بناء على أمر الخديوى اسماعيل وهذه المكاتب فى بلاد : الخرطوم ، ودنقلة ، وبربر ، وكسلا ، وسنار ، والمسلمية ، والقضارف ، وفازوغلى ، وكرجوع ، وفاشودة ، والأبيض ، والفاشر . وقد أدت هذه المكاتب مهمتها ، إلى أن سقطت الخرطوم سنة ١٨٨٥

التلغرافات — وبلغت الخطوط التلغرافية التى أنشئت حتى سنة ١٨٧٠ ، ٢١١٠ كيلو متر . وبلغ عدد المكاتب التلغرافية فى مدن السودان ٢١ مكتبا حتى سنة ١٨٧٧ وقد ظلت قائمة حتى الثورة المهدية وإليك بيان الخطوط التلغرافية والمدن التى وصلت بينها (٣) .

١ ـ مصر ـ دنقلة ـ بربر ـ الخرطوم
٢ ـ الخرطوم ـ أبو قراد ـ الأبيض ـ فوجه
٣ ـ الخرطوم ـ أبو حراز ـ المسلمية ـ سنار ـ فازوغلى
٤ ـ المسلمية ـ الكو
٥ ـ أبو حراز ـ القضارف ـ كسلة ـ سنهيت ـ مصوع
٦ ـ كسلة ـ قوز رجب « على نهر عطبرة » ـ بربر
٧ ـ سواكن ـ كسلة
٨ ـ القضارف ـ دوكه « جنوبى القضارف » ـ القلابات
٩ ـ القضارف ـ الجيرة « بالقرب من حدود الحبشة »

ميزانية السودان — كانت ميزانية السودان سنة ١٨٧٨ على النحو الآتى (١) :

---

(١) راجع البيان المقدم من التجار الوطنيين والأجانب فى مصر احتجاجا على اخلاء السودان سنة ١٨٨٤ فقد أوضحوا فيه أن اخلاءه يؤدي إلى بوار متاجرهم فيه « كوشري ـ المركز الدولى لمصر والسودان ص ٢٨٦ »

(٢) راجع تقرير الكولونيل ستورات عن السودان المنشور في الكتاب الأزرق الانجليزى عن مصر سنة ١٨٨٣ ج ١١ ص ٨

(٣) راجع رسائل غوردون باشا ص ٢٨١

٣٢٧ر٠٠٠ جنيه دين السودان
٥٧٩ر٠٠٠ « ايرادات الحكومة
٥٦١ر٠٠٠ « مصروفاتها
٠٧٢ر٠٠٠ « العجز

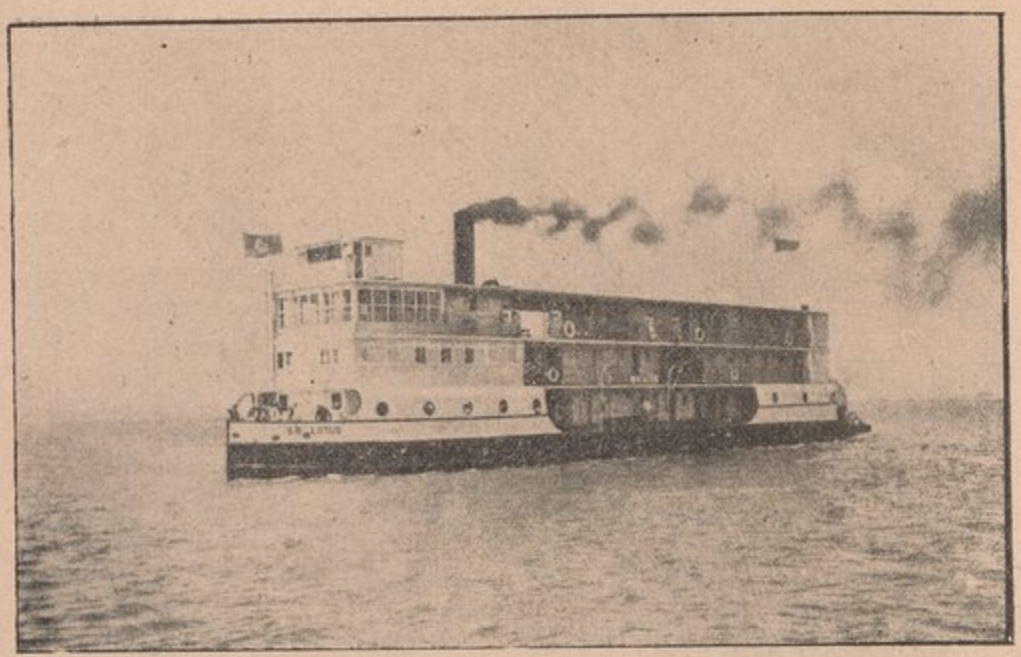

إحدى البواخر التى تنقل الركاب بين وادى حلفا والشلال



حفلة رفع العلم المصرى على غندكرو (الاسماعيلية) اعلانا بضمها إلى املاك مصر (٢٦ مايو سنة ١٨٧١)

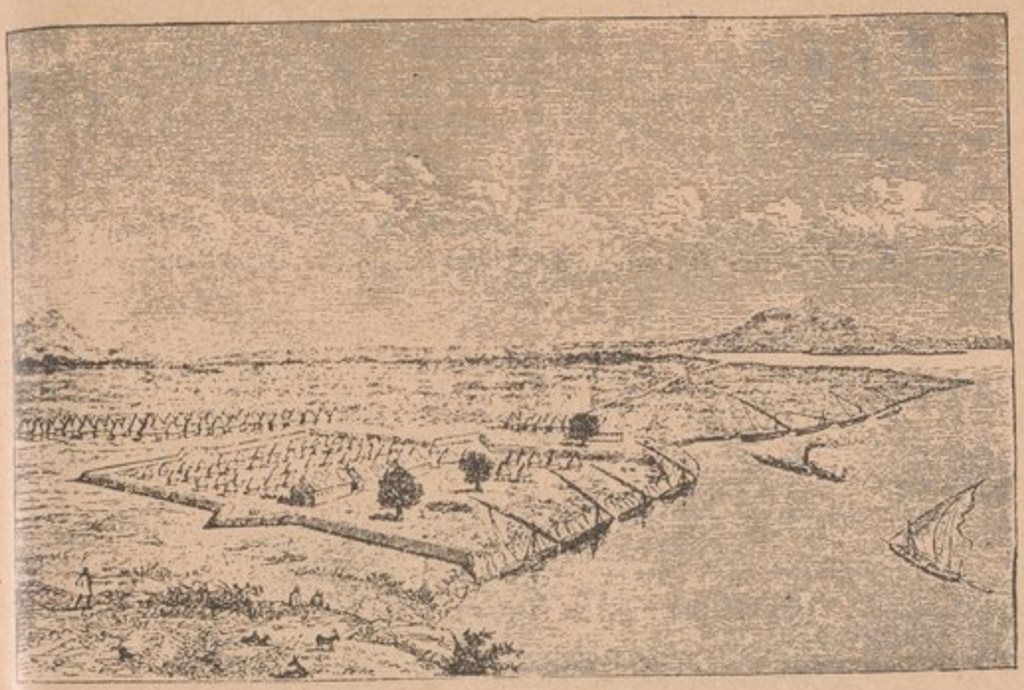

المعسكر المصري فى غندكرو (الاسماعيلية) سنة ١٨٧٢



ريونجا ملك أونيورو يصافح بيكر باشا ، والجنود المصرية مصطفة لاستقباله بقيادة القائمقام عبد القادر بك حلمى سنة ١٨٧٢

الفصل العشرون

النزاع بين مصر والحبشة

بعد أن ضم الخديو اسماعيل محافظتى سواكن ومصوع إلى مصر ،قرر أن يصل بين مصوع وكسله بخط حديدى ، حيث يمر هذا الخط بسنهيت « كرن » بكسر الكاف ليسهل بذلك سبيل المواصلات بين السودان والبحر الأحمر ، وكان يعد البلاد الواقعة بين البلدين خاصة مدينة « سنهيت » أرضا مصرية منذ أن فتحها محمد على الكبير ، ولكن النجاشى « تيودروس » ملك الحبشة عارض الخديوى وأدعى أن « سنهيت » أرض حبشية ومن ثم قام الخلاف بينهما

وفى سنة ١٨٦٧ شجر خلاف بين الحبشة والانجليز ، فقد اعتقل الملك «تيودروس» المستر كامرون قنصل انجلترا وبعض التجار الانجليز ، فغضبت الحكومة الانجليزية وطالبت باطلاق سراح المعتقلين ، ولكن النجاشى رفض إجابة طلبها ولما اشتد الخلاف بين الدولتين أرسل الخديوى إلى النجاشى كتابا بتاريخ جمادى الأخرى سنة ١٢٨٤ الموافق سبتمبر سنة ١٨٦٧ طلب إليه حسم النزاع وإطلاق سراح المعتقلين وارسالهم إلى مصوع وحذره من عاقبة إصراره على اعتقالهم ، وبأنه فى حالة نشوب حرب بين الانجليز وبينه لايمنع الانجليز من اجتياز الأراضى المصرية لمهاجمته

فأصر النجاشى على الرفض فأرسلت انجلترا حملة عسكرية بقيادة اللورد نابييه وأمر الخديوى عبد القادر باشا الطوبجى محافظ مصوع وقتئذ بمعاونة الجيش الانجليزى فى نزوله إلى البر ، وبأن يكون الاسطول المصرى تحت أمره

وقد احتل الانجليز مدينة « مجدلا » شمالى أديس أبابا . وانتهت الحرب بفوزهم ، وقتل النجاشى تيودروس . وعاد الانجليز إلى بلادهم . وآل بعد ذلك عرش الحبشة إلى الملك « يوحنا »

حملات الجيش المصرى على الحبشة

وقد رغب الخديو فى توسيع أملاك مصر من جهة الحبشة . لأن حدود الحبشة مرتبطة بحدود السودان ولأن بها منابع النيل الأزرق وغيره فجرد لذلك ثلاث حملات:

١ — **حملة ارندروب بك**[(١)] . أرسل أرندروب بك رسالة إلى الملك يوحنا يطلب اليه فيها جعل نهر الجاش حدا فاصلا بين الحبشة ومصر ، فلم يعبأ بالرسالة ، وسجن الرسولين اللذين أوفدهما اليه أرندروب بك . فزحفت الحملة إلى مصوع وكانت مؤلفة من ٣٢٠٠ مقاتل (٢) ومعهم بطاريتان من المدافع ، واستولت على « المحاسين » الواقعة جنوبى سنهيت وتقدمت الحملة المصرية لتسبق الأحباش إلى الهجوم على « جونديت » فحشد الملك يوحنا جيشا من ثلاثين ألف مقاتل ، وفى يوم ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ اشتبك الجيشان فى « جونديت » وحمى وطيس القتال وانتهت المعركة بهزيمة الجيش المصرى ، وقتل معظم رجاله وكان من بين القتلى أرندروب بك وأراكيل بك نوبار محافظ مصوع وعادت فلول الجيش إلى مصوع

٢ — **حملة منزنجر باشا**[(٣)] : تولى منزنجر باشا قيادة الحملة الثانية . أقلع على رأس قوة صغيرة من الجنود يصحبه الرأس « بورو » الذى كان على خلاف مع الملك يوحنا ، تاركا معظم الجند فى « تاجوره » ونزل فى رأس « جيلاجيفو » الذى يبعد عن تاجوره غربا بخمسة عشر ميلا ثم قصد بحيرة « أوسا » الواقعة فى الجنوب الشرقى من الحبشة فوصل اليها يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ، وانتهت ليلة ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ بهزيمة الحملة المصرية وقتل منزنجر باشا وزوجته ومعظم رجاله وعادت فلول الحملة إلى زيلع بقيادة البكباشى محمد افندى عزت وكان عدد الباقى منهم ١٥٠ مقاتلا (٤)

---

(١) هو من ضباط أركان الحرب ، أصله دانمركى — راجع عصر اسماعيل للرافعى بك ج ١ — ص ١٥٣

(٢) احصاء المسيو سوتزازا Suzzara قنصل النمسا العام فى مصر على عهد اسماعيل فى تقريره عن حرب الحبشة وقد نشر هذا التقرير في مجلة مصر Revue d' Egypte جلياردو بك عدد مارس وابريل ومايو سنة ١٨٩٦ ص ٦٢٦ و ٦٧٣ و ٧٣٧ — وراجع عصر اسماعيل للرافعي بك ج ١ ص ١٥٣

(٣) هو رجل سويسرى الجنس ، جاء مصر ثم جاب انحاء السودان والحبشة ، واقام فى مصوع منذ سنة ١٨٦٠ ، وتزوج بسيدة حبشية من اهالى البوغوس ، ثم شغل منصب قنصل فرنسا فى ذلك الثغر

انظر مجلة الجمعية الجغرافية ، عدد ١س ١ ، نوفمبر سنة ١٨٧٥ — فبراير سنة ١٨٧٦ ، ص ١٢١ عن ترجمة منزنجر باشا ، بقلم المسيو دوربك

(٤) كتاب عصر اسماعيل للرافعى بك الجزء الاول ص ١٥٤

٣ — **حملة راتب باشا** : لغسل الاهانة التى لحقت مصر ، جرد الخديو اسماعيل جيشاً كبيراً على الحبشة كان مؤلفاً من نحو خمسة عشر ألف مقاتل بقيادة السردار راتب باشا ومعه الجنرال لونج باشا من القواد الأمريكيين فى الجيش المصرى رئيساً لأركان حرب الحملة والأمير حسن باشا أحد أنجال الخديوى وتطوع فى الحملة من الأطباء المصريين الدكتور محمد على باشا البقلى الذى قتل فيها ، والدكتور محمد بك بدر وغيرهم فزحف الجيش المصرى إلى بلدة « قورع » وأخذ فى اقامة الاستحكامات ولم يقو الأحباش على مهاجمة قوة من الجيش المصرى كانت تحتل « قياخور » للاستحكامات المنيعة التى أقامتها القوة المصرية

ونشبت معركة كبيرة فى « قورع » يوم ٧ مارس سنة ١٨٧٦ انتهت بهزيمة الجيش المصرى وأسر من المصريين نحو ٢٥٠ وكان ضمن الأسرى المصريين محمد رفعت بك رئيس القلم التركى بديوان الجهادية الذى سعى فى عقد الصلح مع الملك يوحنا ، على أن تنسحب الجنود المصرية من أرض الحبشة ويرد الملك يوحنا الأسرى إلى مصر ويفتح طريق التجارة بين مصوع والحبشة . وقد نجحت مساعيه وعقد الصلح وبقيت سنهيت من أملاك مصر



« تعبئة القطن فى الأكياس من الحقول »

الفصل الحادى والعشرون

تجارة الرقيق ومنعها

اشتهرت افريقيا والسودان بالاتجار فى الأرقاء ، باختطاف الزنوج والعبيد وبيعهم . وكان من أسباب الثورة المهدية منع تجارة الرقيق . وقد رأينا أن نعقد هذا الفصل للكلام على تجارة الرقيق ومنعها .

لغة : الرق بالكسر العبودية وهو مصدر رق الشخص يرق من باب ضرب فهو رقيق ويتعدى بالحركة وبالهمزة فيقال رققته أرقه من باب قتل وأرققته فهو مرقوق ومرق وأمة مرقوقة ومرقة ، قاله ابن السكيت ويطلق : الرقيق على الذكر والأنثى وجمعه أرقاء مثل شحيح وأشحاء وقد يطلق على الجمع أيضا فيقال عبيد رقيق وليس فى الرقيق صدقة أى فى عبيد الخدمة

شرعا : الرق (١) ذل ركبه الله على بعض عباده جزاء عزوفهم عن طاعته . والرق الشرعى لا يترتب إلا عن أسر شرعى .

والأسر الشرعى هو الذى يحصل فى أثناء حرب وفى دار حرب مع القوم الكافرين ، والحرب لا تكون حرباً شرعية إلا إذا أمر بها الامام جهاداً فى سبيل دين الله يشترط لشرعيته أن تسبقه دعوة الكفار إلى الاسلام أو الجزية . فاذا أبى القوم الكافرون الاسلام أو دفع الجزية قاتلهم المسلمون فاذا قهروهم ضربوا الجزية على جماجمهم والخراج على أراضيهم

ورد فى « كتاب السير » للسرخسى فى الجزء العاشر منه صحيفة ٣٠ « وإذا غزا الجيش أرضاً لم تبلغهم الدعوة لا يحل لهم أن يقاتلوهم حتى يدعوهم إلى الاسلام ليعرفوا أنهم على ماذا يقاتلون » وهو معنى حديث ابن عباس رضى الله عنه « ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً حتى دعاهم إلى الاسلام ، ولو قاتلوهم بغير دعوة كانوا آثمين فى ذلك . . . . » إلى أن قال حكاية عن شرط استباحة رقاب الكفار وأموالهم « ولكن شرط الاباحة تقديم الدعوة فبدونه لا يثبت » وإذا ظهر عسكر المسلمين على بلد القوم الكافرين ودخلوها باذن الامام وغنموا من العدو ماله

(١) أنظر الجريدة القضائية سنة أولى الأعداد ٨ ، ٩ ـ عزيز خانكي بك

ورجاله كان لهم تملكها واقتسامها باذن الامام . وإن دخلوها بغير إذن الامام عد مايغتنمونه من رجال ومال اختلاساً وعد الآخذون متلصصين وعد فعلهم خطفاً .

ورد فى « المبسوط » لشمس الدين السرخسى فى الجزء العاشر صحيفة ٣٢ « لسنا نسلم أن سبب الملك نفس الأخذ بل هو قهر يحصل به إعلاء كلمة الله تعالى . ولهذا كان المصاب غنيمة بخمس . وهذا القهر لا يتم بنفس الأخذ ولا يقهر الملاك بل بقهر جميع أهل دار الحرب . . . »

ويحتم الفقهاء على الامام الافتتاح بالدعوة إلى الاسلام . ولايجوزون القتال قبل الدعوة . لأن القتال مافرض الا بعد الدعوة إلى الاسلام . والدعوة دعوتان دعوة بالبنان وهى القتال . ودعوة بالبيان وهى اللسان . والثانية أهون من الأولى لا ن فى القتال مخاطرة الروح والنفس والمال . وليس فى دعوة التبليغ شىء من ذلك . فاذا احتمل حصول المقصود بأهون الدعوتين لزم الافتتاح بها وفى هذا من الحكمة مافيه . لاحتمال أن يسلم الكفرة قبل القتال . فان أسلموا كف المسلمون عنهم القتال . وان قبلوا عقد الذمة كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » راجع ص ١٠٠ من فصل السير الجزء السابع من كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع تأليف الامام علاء الدين أبى بكر مسعود الكاسانى »

قال الفقهاء أن الكافر إذا أسلم وهاجر الينا ثم ظهر المسلمون على الدار فأولاده الصغار يحكم باسلامهم تبعاً لأبيهم ولا يسترقون لأن الاسلام يمنع انشاء الرق . وورد فى « المبسوط » أيضاً « فى الجزء العاشر ص ٦٦ » « واذا أسلم الحربى فى دار الحرب ثم ظهر المسلمون على تلك الدار ترك له مافى يده من ماله ورقيقه وولده الصغار لأن أولاده الصغار صاروا مسلمين باسلامه فلا يسترقون . . . » وبهذا المعنى أيضاً « الكاسانى فى كتاب بدائع الصنائع » حيث قال فى صفحة ١٠٠ « وأما أولاده الصغار فيحكم باسلامهم تبعاً لأبيهم ولا يسترقون لأن الاسلام يمنع إنشاء الرق »

يضاف الى هذا ان من شرائط ثبوت الولاء أن لا يكون الأب عربياً لأنه اذا كان الأب عربياً فلا ولاء عليه لأحد مطلقاً . حتى أن الفقهاء نصوا على أنه ان كان الأب عجميا فلا ولاء عليه لقوم الأب « راجع صفحة ٤٣٦ من كتاب مجمع الأنهر الجزء الثانى »

على أن الولاء لا يثبت على فرع العتيق الا بشرط أن يكون أبوه حر الأصل

لا ولاء عليه لأحد . فمن كان أبوه كذلك سواء أكانت أمه حرة الأصل أم عتيقة فلا ولاء عليه لأحد باتفاق الأئمة الأربعة .

واشترط الامامان أبو حنيفة واحمد رحمهما الله أن لا تكون الأم حرة الأصل فان كان الأب عتيقاً والأم حرة الأصل فلا ولاء لمعتق الأب عندهما تغليباً لجانب الحرية . ولفظ « حر الأصل » يستعمله الفقهاء فى معنيين « أحدهما » من لم يجر على نفسه رق وأن تولد من معتقة « والثانى » من ليس فى أصله رق أصلا والمراد هنا المعنى الأول . كذا فى مجمع الأنهر الجزء الثانى ص ٤٢٥ .

يضاف إلى هذه الشروط شرط آخر ألا وهو أن يموت العتيق قبل المعتق « فلو مات المعتق قبل عبده لا ينتقل الولاء لعصبته — راجع ص ٩١ من كتاب أحكام إرث الوارث : للعلامة أبى بكر بن عبدالرحمن بن محمد بن الشيخ شهاب الدين »

وعلى مدعى الرق والعتق أن يثبت إذن :

١ — أن العتيق كان كافرا ، وكان فى دار حرب ، وكان بالغا رشيدا ، لاصغيرا غير مكلف وقت أسره

٢ — أن يبين مسقط رأسه ، ويعين القوم الذى كان يمت الأسير إليهم ، والواقعة التى أسر فيها ، وتاريخها وموقعها ، وفى أى تاريخ أسلم ، وهل أسلم وهو فى دار الحرب أو أسلم بعد انتقاله إلى دار الاسلام ؟

٣ — أن إمام المسلمين بدأ دعوته هو وقومه إلى الاسلام أو دفع الجزية فرفضوا فحارب مع قومه عساكر المسلمين فوقع فى أسرهم .

٤ — أن عسكر المسلمين . دخلوا بلد القوم الكافرين باذن الامام .

٥ — أن الأسير ما كان عربيا ، وما كان حر الأصل ، وأن أم المتوفى ما كانت حرة الأصل

٦ — إثبات العتق بتقديم ورقة العتق

٧ — إثبات أن العتيق مات قبل معتقه

٨ — إثبات أن المعتق حفظ لنفسه فى ورقة العتق حق الولاء على رقيقه .

وإليك بيان بعض الأحوال التى فيها استرقاق وليس فيها رق بالمعنى الشرعى . وأحوال فيها رق وليس فيها ولاء . وأحوال فيها رق وولاء وليس فيها إرث

١ — لو أعتق حربى فى دار الحرب عبده فلا ولاء عليه . فهذا عتق حاصل بالفعل ولكنه لا يوجب الولاء .

٢ — أسر مسلما واسترقه ثم أشهد بأنه أعتقه . مثل هذا الاعتاق لا يوجب الولاء لأن الرق باطل فى أصله . إذا الحرية المتأكدة بالاسلام لا يجوز إبطالها بالرق . قال الامام محمد رحمه الله وإذا أسلم أهل مدينة من مدائن أهل الحرب قبل ظهور المسلمين عليهم كانوا أحرارا لاسبيل عليهم ولا على أولادهم ونسائهم ولا على أموالهم ويوضع على أراضيهم العشر دون الخراج . وكذلك إذا صاروا ذمة قبل الظهور عليهم » ص ١٦٠ من الجزء الثانى من كتاب الفتاوى العالمكيرية »

٣ — وادع مسلم دار الحرب على أن يؤدى أهل الحرب كل سنة مائة رأس إلى المسلمين . فان كان هذه المائة من أنفسهم وأهاليهم وذراريهم لايصح ذلك لأنهم وأولادهم بأجمعهم دخلوا تحت الأمان فلا يجوز استرقاقهم وتملكهم » ص ١٩ من الجزء الأول من كتاب الفتاوى الانقروية »

٤ — دخل مسلم دار حرب بغير إذن الامام واختطف صبيا واسترقه ثم أعتقه . فلا ولاء . لأن الاسترقاق هنا ليس فى الحقيقة والواقع إلا استخداماً قهرياً

٥ — استرق رجل عربيا ثم أعتقه فلا ولاء . لأن العربى لايجوز استرقاقه

٦ — استرق رجل مسلما مولودا من أبوين حرين ثم أعتقه . فلا ولاء ، لان الاسلام يمنع انشاء الرق .

٧ — الأصل فى اللقيط أن يكون حرا . فلو استرقه رجل ثم أعتقه فلا ولاء له عليه . لأن الحرية مانعة لصفة المملوكية والرق . الولاء هنا معدوم ومجرد الاشهاد بالاعتاق لا يوجب الولاء

٨ - جليب باعه نخاس - ولو مجلوباً من غير دار الاسلام - ثم أعتقه سيده فلا ولاء . لأن حالة الجليب كانت حالة استخدام قهرى لاحالة رق شرعى - الولاء شرعاً عصوبة . فهل العصوبة تحصل من مثل هذا الاستخدام القهرى ؟ لاقائل بذلك أبداً

٩ - إذا أعتق حربى عبده الحربى فى دار الحرب لم يصر بذلك مولى له حتى لو خرجا مسلمين إلى دار الاسلام لا ولاء له . وهذا قول أبى حنيفة والامام محمد رحمهما الله لأنه لايعتق عندهما بكلام الاعتاق وأنما يعتق بالتخلية . والعتق بالتخلية لايوجب الولاء (١)

---

(١) الفتاوي العالمكيرية ج ٥ ص ٣٤

تاريخ الرق

الرق قديم فى العالم . فمنذ أبعد العصور كان الغزاة يجمعون الأسرى ويوزعونها على القواد والأقوياء كما توزع الغنائم . وكانت تتألف العصابات المسلحة للسطو على البلاد وأخذ الرقيق — حصل هذا فى أوربا وآسيا وأفريقية : ولذا كان هناك الرقيق الأبيض والرقيق الأسود . وكان الرقيق يستخدم فى الخدمة المنزلية والزراعة والأعمال القاسية ، كما يختار النساء الجميلات للزواج أو للمتاع .

والمماليك من الجراكسة والأكراد والقوقازيين نوع من الأرقاء . ويوجد الرق عادة فى البلاد البعيدة عن المدنية ، وحيث يعيش الناس متنابذين وحيث يسود الفقر والجهل وإذا كانت تجارة الرقيق ممنوعة اليوم بالمعاهدات وبتقدم الفكرة الانسانية ،



اجتماع قبائل الزنوج ، الشلك ، ومعهم حرابهم ودروعهم وطبولهم

فانه لا يزال العالم يرزح تحت الرق — فيوجد رق وتجارة رقيق فى الحبشة ، وتوجد عصابات قوية بالمال ، تخضع الفتيات وتتجر بأعراضهن ، وتنفذ أوامرها بالتهديد والوعيد إلى جانب الوعود البراقة .

كان سكان أفريقية الأصليين من الزنوج والعبيد ، فلما هاجر اليها الاسيويون ثم الأوربيون نزلوا عند سواحل البحار وتوغلوا فى الداخل عند شواطىء الأنهار ، فكان الزنوج يفزعون من هذه الغزوات ويعتصمون بالجبال ويفرون من الغزاة فى الغالب . والغزاة أوفر مدنية وذكاء وعلما ومالا ودينا . وكان بين الزنوج من يبيع أولاده بسبب الفقر

أما فى السودان فالغزاة من الفراعنة ثم من العرب ، ملكوا الرقيق ، على اعتبار أنه من أسرى الحرب ، وأن الدين الاسلامى يسمح به .

وفى الرسوم المنقوشة على جدران المعابد المصرية الفرعونية يشاهد المصريون مقيدين أسرى السودانيين .

وقد اشترك فى الاستيلاء على الرقيق بعد العرب . الأتراك الذين كانوا يرسلون الرقيق والخصيان إلى استامبول وإلى الحريم فى قصور السلاطين والأمراء والوزراء والقواد والحاشية السلطانية بل شوهد الرقيق الأسود فى قصور فينا وموسكو فى القرون السابقة .

وكان لتجار الرقيق جيوش من العبيد . لأنه يستحيل البقاء فى المراكز التجارية من غير القوات المسلحة . وكان للرقيق أسواق فى الابيض وفاشوده والقضارف والقلابات والخرطوم والمسلمية وود مدنى وسنار وكلار وشندى وبربر . وكان الرقيق يرسل إلى الحجاز ومصر

الخصيان

ومن الرقيق الخصيان ، وهم الغلمان العبيد تحفر الحفرة ويوضعون فيها جماعات بعد إزالة أعضائهم التناسلية بحديد محمى ، وهى عملية قاسية ووحشية يموت بها أكثر من سبعين فى المائة من الغلمان ويعانون ، من جرائها ، آلاما محزنة . ومن الخصيان

أولئك الاغوات(١) فى قصور الملوك والأمراء والعظماء يؤمنون على خدمة «الحريم» لانتفاء شبهة التعرض للاعراض عنهم

* * *

وقد جاء فى « كتاب تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » تحت عنوان : « فصل فى الخصيان المعروفين فى مصر بالطواشية » ما يلى :

« ولما كانت ملوك السودان أكثر الناس للنساء جمعا وابذلهم فى ذلك وسعا كان يوجد عند الملك من الخصيان عدد كثير وجم غفير فيوجد عند سلطان دار الفور نحو الألف أو أكثر وعليهم ملك منهم وهم له كالعساكر وهو الذى يرتب فى بيت السلطان ما يلزم منهم للحراسة ويبقى عنده ما زاد إلى وقت الحاجة . والخصيان مكرمون عند الأكابر خصوصا فى دار الفور فان لهم فيها سطوة وأى سطوة والكلمة النافذة والقوة ومقام ومقال وحال لا يماثله حال ، حتى أن لهم هناك منصبين جليلين لا يتولاهما غير خصى أحدهما منصب الأبوة والثانى منصب الباب وأقول أن منصب الباب غير مختص بدار الفور بل فى تونس وفى قسطنطينية كذلك وأصل الخصيان الذين فى دارفور من بلد روكا يخصونهم هناك ويأتون بهم إلى دارفور

طريقة الخصى : ثم قال : « يؤتى بمن يراد الفعل به فيضبط ضبطا جيدا وتمسك المذاكير « أعضاء التناسل عند الذكور » وتستأصل بموس حاد ويوضع فى ثقب مجرى البول أنبوبة صغيرة من صفيح لئلا ينسد ويكون قد سخن السمن على النار تسخينا جيداً حتى غلى ثم يكوى به محل القطع وبعد أن يكون محل القطع جرحا حديديا ينقلب جرحا ناريا ثم يداوى بالتغيير عليه بالتفتيك والأربطة حتى يشفى أو يموت ولا يشفى منه إلا القليل فان قيل أن فى هذا تعذيبا للحيوان الناطق وقطعا للتناسل المأمور بكثرته شرعا فهو حرام . قلت نعم . قد صرح غير واحد من العلماء بحرمته خصوصا جلال الدين السيوطى رحمه الله . فانه صرح بالتحريم فى كتابه الذى ألفه فى حرمة خدمة الخصيان لضريح سيد ولد عدنان . لكن الحرمة على الفاعل وإنما يخصى الخصيان قوم من المجوس ويأتون بهم إلى بلاد الاسلام

---

(١) لفظ « أغا » تركية معناها « السيد » اصطلح الاتراك الأقدمون على اطلاقها على الأميين من الخدم ونحوهم ، ويقصد بها لقب احترام ، تقابل عندهم « أفندى » التى تطلق على العارفين بالقراءة والكتابة ، كالموظفين . وقد أطلقت فى مصر على العبيد الخصيان فى القصور . والباش أغا هو رئيس الأغوات « رئيس الخدم »

فيبيعونهم ويهادون بهم ولا يخصى على يد المسلمين منهم إلا القليل النادر وأما استخدامهم بعد الخصى فلا ضرر فيه بل فيه ثواب عظيم لأنهم لو لم يستخدموا لحصل لهم الضرر من وجهين الأول مما وقع عليهم من الخصى الموجب لفقده اللذة العظيمة وقطع التناسل والثانى من ضيق المعيشة »

* * *

وقد تألفت فى لندن جمعية سنة ١٧٨٧ للدعوة لمنع الاتجار بالرقيق ، وانتشرت الجمعيات فى أوروبا لهذا الغرض ، وأقنعت الحكومات بأن تتدخل لمنع تجارة الرقيق ، وعقد مؤتمر بروكسل فى ٢ يوليو سنة ١٨٩٠

وقد كان لمصر جهود موفقة احتملت فى سبيلها تضحيات فى المال والجند وفقد السودان نفسه لمنع تجارة الرقيق فى السودان ، فأعلن محمد على باشا عند زيارته



محمد بك الملك من سلالة ملوك أرقو

للسودان سنة ١٨٣٩م أبطال تجارة الرقيق ، وحذا حذوه محمد سعيد باشا فى زيارته للسودان سنة ١٨٥٨ م . أما اسماعيل باشا فكان اهتمامه بمنع الاتجار بالرقيق يفوق الجهود السابقة ، منذ ولى حكم مصر سنة ١٨٦٣ م ، فصادر ٧٠ مركبا محملة بالرقيق بين كاكا وفاشوده ، ودعا ملك الشلوك الى الخرطوم فسلمه رقيق بلاده وسجن التجار و أفرج عنهم بعد تعهدهم بعدم العودة إلى تجارة الرقيق ولقد كان منع تجارة الرقيق من أسباب الثورة المهدية ونجاحها

ومن أهم الوثائق التى عقدتها حكومة مصر الوفاق الذى أمضته مع بريطانيا العظمى بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وهو الوفاق الذى تلاه الأمران العاليان الصادران فى يوم ٢١ يناير سنة ١٨٩٦ وفى الأول جعلت الحكومة المصرية جلب الارقاء جناية من الجنايات الكبرى التى يعاقب عليها بالاعدام . ثم توسعت فعدت مجرد احراز الرقيق لأجل بيعه جناية يعاقب عليها بالأشغال الشاقة من ثلاث سنوات إلى سبع سنوات . وجعلت مجرد بيع او شراء الرقيق أو المقايضة عليه جناية يعاقب عليها بالأشغال الشاقة من خمس سنوات إلى عشرة . كما أنها عدت رؤساء العائلات الذين يدخلون رقيقاً فى منازلهم مجرمين . وعدت كذلك من منع معتوقا من التمتع بتمام حريته أو من التصرف بشخصه مجرماً يعاقب بالحبس وغير ذلك من الأحكام الصارمة . وفى الأمر العالى الثانى أحالت المجرمين على محكمة الاستئناف الاهلية المشكلة من خمسة قضاة لمحاكمتهم على مايرتكبونه من الجنح والجنايات الخاصة بالرق والاسترقاق

جميع المعاتيق فى مصر كانوا أناساً اختطفتهم النخاسون (١) خطفاً . وباعوهم كالسلع فى الاسواق ثم تداولتهم الأيدى بيعاً وشراء . فانتقلوا من شخص إلى شخص . ومن أسرة إلى أسرة . ومن بلد إلى بلد . إلى أن استقر بهم الحال عند شخص رأف بهم فحرر لهم « ورقة عتق » على اعتبار أن الشخص مملوك له حقاً تنطبق عليه شروط الرق المقررة فى الشرع . وما هو فى الحقيقة إلا حر مقيد الحرية فقط . لامالكية ولا مملوكية . لا فى نظر الشرع ولا فى نظر القانون . فيسرع هذا السجين المسكين إلى قبول العتق رجاء الخلاص من ربقة الذل والهوان فاذا ماتوفاه الله سارع معتقه أو أولاد معتقه إلى أمواله مطاولين أيديهم للاستئثار بها مزاحمين أو حارمين الورثة الشرعيين الذين هم من ذوى قرابة المتوفى وأحق بأمواله منهم

* * *

(١) نخس الدابة ينخسها غرزها بعود فهاجت . والنخاسة بكسر النون بيع الدواب والرقيق

جاء فى كتاب « تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل » للأستاذ الياس الأيوبى .

« فلما آل العرش إلى « اسماعيل » وصمم هذا العاهل كما قلنا على ادخال بلاده بصراحة فى مضمار المدنية الغربية وطن نفسه على ابطال الرق توطينه اياها على الغاء العونة والسخرة »

« وكانت النخاسة اذ ذاك فى أشدها بالرغم من مقاومة محمد على وسعيد لها وبالرغم من عمل الحكومة المصرية على تقليل توريد الارقاء نيلا وابطالها أسواق الرقيق الرسمية بمصر والاسكندرية وطنطا وغيرها من البنادر

« فالبحارة فى جهات النيل الابيض والنخاسة فى جبال النوبة وجبال فازوغلى وفى جهات كردفان الجنوبية كانوا لا يفتأون عاكفين على صيد السود بقوة السلاح كأنهم وحوش برية وسبيهم والسير بهم الى الاسواق فى الابيض وفاشوده والقلابات حيث كان الجلابون يشترونهم منهم . وبعد أن يبيعوا أقلهم قيمة فى أسواق الخرطوم والمسلمية وود مدنى وسنار والقضارف وكسلا وبربر وشندى ينزلون بأقواهم وأجلهم الى مصر ، إما عن طريق النيل فى مراكب يرفعون عليها رايات دول عربية ليحتموا بها ، وأما عن طريق الصحراء الى أسيوط حيث كان يوجد معمل للخصى يديره قسوس من الاقباط حازوا فى أنهم من أمهر الناس فى اجراء ذلك العمل الفظيع شهرة شائنة وينسلون منها سراً الى مصر والاسكندرية وأهم بنادر القطر ويعرضون بضائعهم البشرية على الراغبين فيها اما باطلاع الحكومة وموافقتها الصامتة ، واما خفية وخلسة بمساعدة شركاء لهم معلومين .

« وكان ثمن الولد الأسود أو البنت السوداء التى من عمره ما بين عشرة جنيهات واثنى عشر جنيها . وثمن الصبى الحبشى ما بين ٢٠ و٣٠ الى ٩٠ جنيها و١٠٠ جنيه وثمن البنت الحبشية التى سنها ما بين الثانية عشرة والسابعة أو الثامنة عشرة من ٧٠ جنيها الى ١٠٠ وكان ثمن الرقيقات التى سبق استخدامهن أرخص من غيرهن الا اذا كن صاحبات حرف كأن تكن طاهيات أو ما شاكل ذلك فانهن فى مثل هذه الحال كن يبعن بثمن أعلى . وأما الخصيان فكانوا أعلى ثمنا من الجميع لندرتهم . والسبب فى ندرتهم قلة نجاح عملية الخصى وموت تسعين فى المائة من الذين كانت تعمل لهم .

« وكان يوافى جلابو الرقيق الأبيض الأسود الى تلك الأسواق . والفرق بين الرقيقين جسيم جدا . لان الرقيق الأبيض كان اختياريا وأما الأسود فكان

مجلوبا قسرا . وكان ثمن الجارية البيضاء يختلف بين ٢٠٠ و ٥٠٠ جنيه ويتراوح أحياناً تبعاً لجمال الجارية المبيعة ما بين ٨٠٠ جنيه و ١٠٠٠ جنيه

« وكان الراغبون فى الشراء كثيرون أما لسد فراغ أحدثه الموت فى عدد الارقاء الموجودين فى بيوتهم والموت كان كثير الزيارة للارقاء . وأغلب ما كانت أعمارهم قصيرة . وأما للغالاة فى مظاهر الأبهة والترف فقد كانت توجد بيوت غاصة بالمئات من الجوارى ولا يعرف أربابها منهن الا القليلات . فيقبلون أفراداً أفراداً على محلات الجلابين ويشترون من يطيب لهم من الرقيق المعروض . وهم أبعد من أن يفتكروا حتى ولا فى المنام بالفظائع والآثام والجرائم التى ارتكبت فى سبيل تموين بيوتهم وسد حاجة معيشتهم القومية وأبعد من أن يفتكروا بأن النخاسة كانت تنتزع سنويا أكثر من خمسين ألف أسود من حقولهم ورباعهم ومراعيهم فلا يبقى منهم حياً كل سنة بعد المشقات يقاسونها سوى عشرة فى المائة وأن النخاسين كانوا حتى بعد وصول الرقيق لمصر يحتقرون حياة أولئك البؤساء إلى درجة أن اثنين منهم تخاصما مرة على ملكية بنت سوداء فطعنها أحدهما بخنجر لكيلا يأخذها خصمه »

إلى أن قال : « وكان الجلابون يتحاشون بيع رقيق إلى أوربيين ولا يقدمون على ذلك الا بحيطة كبرى لعلمهم بأن معظم الأفرنج ميالون إلى إظهار نقمتهم على تجارتهم البشرية أو التظاهر بها رغبة منهم فى وقوفهم موقف ذى الشعور الرقيق والاحساس الشفيق

« فما مضت على تبوئ اسماعيل عرش أبيه وجده بضعة أشهر إلا وأصدر أوامره المشددة إلى موسى حمدى باشا المعين من قبله حاكما عاما على السودان بتعقب تجار الرقيق وقطع دابرهم . فألقى موسى باشا فى تلك السنة عينها وهى سنة ١٨٦٣ القبض على سبعين مركبا مشحونة بالارقاء بين كاكا وفاشودة وأتى بالمسبيين إلى الخرطوم ثم أحضر ملك « الشلك » من فاشودة فسلمه الرقيق الذى أخذ من بلاده ورجعه بالهدايا اليها ووزع الباقين على التجار والموظفين لتربيتهم . وأما النخاسون فانه زجهم فى السجن ولم يخرجهم منه حتى تعهدوا بعدم العودة الى مثل تلك التجارة ـ وعود عرقوبية باطلة ـ . »

قرصان البحر : كان قرصان البحر يأسرون البواخر بمن فيها فيختارون البناء والأولاد والسيدات ويأسرونهم ثم يبيعونهم فى أسواق لشبونة عاصمة البرتغال وفى أسواق اشبيلية ببلاد الأندلس . ولما كثرت فظائع القرصنة النخاسية وعلا صراخ الناس من القسوة التى كان القرصان والنخاسون والجلابون يعاملون بها أسراهم ثار برلمان انجلترا وطلب من الحكومة أن تتدخل فى الأمر وتمنع أعمال القرصنة والنخاسة فى العالم بأسره . فاتفقت انجلترا مع جميع الدول دولة دولة على إبطال الرق من عموم العالم . وبدأت هى فأصدرت بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٨٣٣ مرسوماً أقره مجلس النواب ومجلس الشيوخ ووافق عليه الملك أبطل فيه الرق من جميع المستعمرات التابعة لها وكان فيها وقتئذ ٨٠٠ر٠٠٠ رقيق فأعتقتهم كلهم ودفعت من خزينتها مبلغ ٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيها الى الملاك والنخاسين والجلابين بصفة تعويض . ثم اقتدت فرنسا بها فأصدرت مرسومين بتاريخ ١٨ يوليه سنة ١٨٤٥ و٢٧ أبريل سنة ١٨٤٨ بهما أطلقت حرية ٢٥٠ر٠٠٠ رقيق ودفعت لمواليهم ٥ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه بصفة تعويض . وقد ظهر للجان التى نيط بها فحص حالة الأرقاء الذين أطلقت لهم الحرية أن معظمهم باعهم آباؤهم وأمهاتهم بيع السلع مكرهين بسبب ما انتابهم من فقر وجوع فكانوا يتخلصون منهم بهذه الطريقة الهمجية . ومن لشبونة واشبيلية كان هؤلاء الأرقاء ينتقلون مع مشتريهم إلى بلاد الشرق فى تركيا وفى الأناضول وفى مصر وفى غيرها من البلدان (١)

الرقيق فى أمريكا

ولم يخلص العالم المتمدين نفسه حتى اليوم من تجارة الرقيق فى صورة من الصور: ففى ابريل سنة ١٩٣٥ نشرت الصحف الأمريكية حكاية فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها تسكن فى غرفة حقيرة ليس فيها من الاثاث ما يستر أرضها - والفتاة صفراء اللون منحلة القوى من جراء الولادة وبجانبها طبيب يحمل على يديه قطعة لحم هى ثمرة تهورها وانخداعها بالجنس القوى . فلما وقع بصرها على ما يحمله الطبيب قالت له بصوت يدل على الاستنكار « أبعده عنى » . فتعجب الطبيب لانتفاء عاطفة الأمومة

(١) جاء فى تقرير لجنة مكافحة تجارة الرقيق الأبيض في عصبة الأمم . ان التجار لايزالون يمارسونها بأوربا وأمريكا ولهم مندوبون فى المحطات والموانى باغواء الفتيات بجعلهن كواكب ، وقد يتناول الواحدة أكثر من ٢٠ تاجراً

من قلب تلك الوالدة وقال لها إنه طفل جميل ثقله عشرة أرطال

ولكنها لم تعبأ بما قاله ، بل الحت عليه فى إخفاء ذلك البرهان القبيح على عارها . وكان ذلك ما يتوقعه الطبيب ويريده لعلمه بالربح المالى الذى أصبح الآن حلالا له بعد أن أنكرت الوالدة الشقية طفلها فهو يبيعه فى سوق الأطفال بعشرة دولارات الرطل وبأكثر من ذلك أحيانا . وهكذا أخذه وعاد اليها مرارا ليقويها ويعيدها إلى حالة الصحة . فقابلت جميل صنعه فى العناية بها بدون أجرة بجميل الثناء ولم يخطر لها ببال أنه سيبيع طفلها بما يزيد على أجرته أضعافا !

ولا يستغربن القارىء هذا فان سعر كل رطل من الأطفال فى الجانب الغربى من الولايات المتحدة بامريكا يتراوح بين خمسة دولارات وعشرة دولارات . أما فى شرقيها فمختلف إذ يفوز بالطفل من سوق المزاد صاحب الدفعة الكبرى . والراغبون فى الحصول على اللقطاء كثيرو العدد وكلهم من الذين حرموا نعمة الاولاد . وهى تجارة جديدة نتجت عن الضيق الحالى الذى يحمل الفتيات اللواتى عدمن المال والاعمال ، على التهور بدافع الحاجة وباغراء الطائشين من الفتيان .

وفى ملاجىء اللقطاء جداول تحتوى على مئات الاسماء وفى بعض الأحيان الوف الاسماء التى يريد أصحابها تبنى الاطفال . وكثيرا ما يقل الانتاج عن الاستهلاك فيؤدى إلى ارتفاع الاثمان وذلك هو الباعث على ابتداع سوق الاطفال . وفى بعض الاحيان يباع الطفل قبل أن يخرج إلى العالم لان أكثرية أمهات الاطفال غير الشرعيين من الفتيات اللواتى تحت سن العشرين وهن يسارعن إلى إبلاغ الاطباء أمر وقوعهن فى هذه الورطة قبل الاجل المضروب وهو بدوره يدبر المشترى من جداول الطالبين .

وأول ما عرف الناس بسوق الاطفال كان عندما أماطت إحدى الموظفات فى جمعية الرفق بالاطفال اللثام عنها فى هليوود ـ فقالت فى مقالة نشرتها أن الضحايا هن على الغالب فتيات فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر . والفتاة التى يشدد عليها الطبيب بدفع أجرته فى الحال تسلم معه بأخذ الطفل للتبنى إذا كان يسدد ما يطلب له منها وهو يبيعه بثمن يماثل أجرته و يزيد .

وقد جرت العادة التى هى بنت الاختبار ، أن الزوجين اللذين يشتريان الطفل يحتفظان به بضعة أشهر قبل المفاوضة فى أمر تبنيه رسميا ، وذلك للحيلولة دون قيام الحكومة بالتحقيق الواجب . فبعد انقضاء هذه المدة يتعذر على الحكومة ايجاد برهان على عدم شرعية ولادة الطفل وتضيع الحقيقة بين اختفاء الام وشهادة الطبيب وهال الرشوة .

وتوجد مثل هذه السوق فى مدينة نيويورك تباع فيها الأطفال بسعر معلوم أو بالمزاد . وقد أسفر سعى جمعية الرفق بالاطفال لاستئصال هذا الشر عن خيبة ، لأنها تعجز عن تأييد دعاويها على الشخص الذى احتكر هذه التجارة الغريبة . فهو فى كل دعوى أقيمت عليه كان يدعى أنه قد حصل على الأطفال بطرائق مجهولة كتبرعات لمعهده

* * *

وقد نشرت إحدى الصحف الامريكية بهذه المناسبة مقالا هاما عن تجارة الرقيق بقلم رحالة جاب أسواق الرقيق فى أفريقيا وآسيا . وقد جاء فى هذا المقال أن هناك خمس عشرة دولة على الأقل لا تستطيع القضاء على النخاسة فى بلادها . وأكثر هذه الدول تتمتع بعضوية جمعية الأمم : هناك جمهورية ليبريا مثلا . فهى تساهم فى جمعية الأمم منذ إنشائها . ومع ذلك تضمن تقرير لجنة التحقيق الدولية التى تألفت منذ عدة أعوام لدراسة مسألة النخاسة «تجارة الرقيق» اتهاما خطيراً لحكومة ليبريا بأنها ترسل جنودها لاقتناص الرجال والنساء وتسخيرهم فى حقول الكاكاو البرتغالية فى « ساو نوميه » و « فرناندوبو» وأن استبعاد حكومة ليبريا للزنوج بهذه الصفة أصبح موردا عاديا من موارد ايراداتها .

أما الحبشة فيقدر عدد العبيد الارقاء فيها بمليونين . ولكن النجاشى يبذل جهود الجبابرة للقضاء على هذه التجارة المقيتة . وقد أنشأ وزارة خاصة لمكافحة النخاسة ، أسندها إلى « ليكاماكواس مانجشا» وزير الحبشة المفوض سابقا فى روما . كما أنشأ للغرض نفسه لجنة برياسة سمو ولى عهده . وقد أعتق النجاشى المئات من عبيده وأقطعهم الأراضى الزراعية . ولكن المشكلة الكبرى هى فى كيفية تدبير عمل منتج لباقى العبيد اذا حرروا جميعا

وكانت الهند كذلك من أفضل أسواق العبيد : وفى سنة ١٩٢٤ أعتق مهراجا بيبال ٥٧ الفا من العبيد . وأعتقت الحكومة البريطانية ١٨٥ الف عبد فى تنجانيقا

ولكن تجار الرقيق لايزالون يواصلون عملهم بنشاط فهم يغيرون على القرى والقبائل فى الحبشة والصومال وكنيا ويقتلون الشيوخ ويختطفون النساء والاولاد وينقلونهم بالسفن إلى بلاد العرب عن طريق البحر الأحمر . وذلك على الرغم من وجود بواخر انجليزية وإيطالية وفرنسية مهمتها مطاردة النخاسة واستئصال شأفتها

والعبيد الذين يباعون فى بلاد العرب يعاملون من المسلمين أفضل معاملة . فلا يستعبدون ولا يرهقون . وساداتهم يستخدمونهم فى الزراعة أو نقل الماء . ويحسنون اليهم . ويسهرون على سعادتهم . ويزوجونهم

الفصل الثانى والعشرون

الثورة المهدية

تمهيد :

قبل أن ندخل فى تفاصيل الثورة المهدية وأسبابها ، نرى لزاما علينا أن نقول كلمة فى الثورات عامة : فالثورة هى الغضبة على حالة كريهة ، وهو العصيان على الأمر الواقع ، والتمرد على القيود القائمة .

ويثور الانسان كما تثور فئة قليلة . وقد يثور شعب بأسره . ولكن ثورة المرء الفرد قد تجئ وليدة الساعة ، يفزع من شىء ويكرهه ويغضب عليه ، فيحاول أن يزيله من سبيله وأن يتخطاه . فاذا اشتد الغضب ، وغلا المرجل وأصبحت الحالة القائمة لا تطاق ، خرج الانسان عن إرادته وهدوئه ، وهاج وماج ، كما يهيج البحر ، وكما يفور الماء المغلى ويحطم الغطاء .

والعادة أن ثورة الجماعات وغضبة الأمم تكون وليدة السنين والحوادث ، وأن لها أسبابا قديمة وغير مباشرة . فلا يمكن أن تقع ثورة جماعة أو أمة فى حد الزمن الذى تقع فيه ثورة الفرد الأحد ، ومن ثم كان للثورات أسباب بعيدة وكثيرة ومتجمعة . والثورات فى حاجة إلى القادة والزعماء ، وإلا كانت ضعيفة أو امتنع ظهورها . فليس هناك ثورة عامة فى العالم إلا ولها زعماء وقادة . كما لها دعاة منفرون ومبشرون ، منفرون من الحالة القائمة ومبشرون بالحالة المنشودة الحسنة التى تحل محلها . وتتعدد الثورات - فهناك ثورات دينية يطلب فيها دفع الاعتداء على الدين أو مذهب فيه أو للدعاية له ، وثورات سياسية داخلية من المحكومين ضد الحاكمين أو من الحاكمين ضد المحكومين ، وثورات خارجية ، وهى الحروب التى تقع بين الأمم والحكومات .

وتؤثر فى الثورات عوامل كثيرة : التجانس ، واللغة ، والدين ، والوطنية ، والعلم ، والعدل ، والاستعداد الحربى ، وحالة العدو من قوة أو ضعف ، وحالة الجيران ، والحالة الاقتصادية من رخاء أو فقر ، والحالة العالمية : فاذا توافرت لشعب ثائر وحدة وطنية وجنسية ودينية وظفر بقسط واف من التعليم والتهذيب ، وكان استعداده الحربى

المعنوى والمادى كاملا ، وكان عدوه أضعف منه ، وكانت له قيادة محترمة مخلصة ، كان النجاح حليف هذا الشعب الثائر . وإذا حرم هذه العوامل ، كان النصر بعيداً أو محالا ، فنجاح الثورات رهين بتوافر هذه العوامل قليلا أو كثيرا

وقد نظرنا فى تاريخ الثورات العامة فألفينا لها سببا جامعا ـ أوليا فى كل منها ـ وهو الشعور بالظلم والاستعداد لمقاومته . لا يكفى أن يوجد ظلم ، بل يجب أن يوجد مظلومون يشعرون بأنهم مظلومون . ولا يكفى أن يشعروا بأنهم مظلومون ، فقد يكونون متواكلين يقولون « هذا أمر الله » أو « لا حول ولا قوة إلا بالله » أو « نحن ضعفاء وعدونا قوى » ، بل يجب أن يكونوا مستعدين لمكافحة الظلم ومناهضة الظالمين بافتداء النفس وبذل النفيس

وقد استعير لفظ « الثورة » للحركات الانشائية والنهضات الأدبية والعلمية والنسوية ، على أساس أن طلاب الاصلاح والتجديد والانقلاب ينهضون لهدم القائم من اساليب الأدب وقواعد العلم وحياة المرأة ، لأقامة أدب جديد له مناحيه وأساليبه وألوانه وفلسفته ، أو قواعد علمية جديدة ، أو الاعتراف للمرأة بحقوق وإنكار حالتها من العبودية للرجل .

وفى هذه الثورات المستعارة يوجد أيضا شعور بالظلم ـ شعور بأن من الظلم أن يظل كل من الأدب والعلم والمرأة ـ راسفا فى قيود التقليد والأساليب العاجزة .

أسباب الثورة المهدية :

١ ـ الظلم ـ ظلم الكثيرين من الحكام للأهالى بفرض الضرائب التى لم يحتملوها ، والرشوة ، وبألوان التعذيب

٢ ـ الشعور بالظلم والتمرد على الظالمين ـ قيام الأعيان والفقهاء وأحاديث المجتمعات بالانحاء على هذا الظلم ، والتشاور فى كيفية مكافحته

٣ ـ منع تجارة الرقيق ـ كان الاتجار بالرقيق فى يد الأقوياء ، وكان الملوك والحكام والأعيان وأرباب الأمر والعمد ورؤساء العشائر ، يستخدمون الأرقاء فى منازلهم وكجند لهم . فحرمان التجار من مكاسبهم والكبراء من شىء يعدونه من ضروريات حياتهم ، أدى إلى الغضب والانتقاض على الذين منعوا بيع الرقيق ، وعد هذا المنع ظلماً لأنهم شعروا بأنهم فقدوا ركنا أساسيا فى بناء حياتهم

٤ ـ احتكار الحكومة العاج ـ وهو مادة تجارية أساسية فى السودان ـ وقد حصل هذا الاحتكار فى عهد غوردون

٥ ـ تعدد القبائل والعشائر فى السودان ومنازعاتها ـ وهى حالة توجب ثورات مستمره ، وتجعل الحاكم يستعين ببعض القبائل ضد بعض الآخر ، فتثور القبائل المحرومة من تأييد الحكومة على الحكومة التى تؤازر القبائل الخصيمة

٦ ـ حب الاستقلال ـ لقد كانت هناك قبائل وبلاد متمتعة بالاستقلال . فحرمها الحكم المصرى منه كما حدث فى سلطنة دارفور ومملكة شندى على عهد الملك نمر ومملكة امتيسة . واذعان هؤلاء الملوك وممالكهم للحكومة كان رضوخا للقوة العسكرية المنظمة

٧ ـ العقيدة الدينية الفطرية ـ لم يكن يجمع قبائل السودان المتنازعة إلا جامعة الدين الاسلامى . وكان المظلومون يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى عن استمرار الظلم ولا يرضى عن الظالمين ، وأنه لابد مرسل إلى المظلومين رجلا تقيا مهيبا لينقذهم من الظالمين . وقد تواترت الأخبار المنقولة من بعض الكتب الدينية والمتداولة فى أحاديث العامة ـ أن هناك رجلا عظيما يدعى « المهدى المنتظر » يرسله الله سبحانه وتعالى فى آخر الزمان لانقاذ الأمة المحمدية والبشر كافة من الظلم . ولذلك كان زعماء الثورات السودانية قبل « محمد أحمد المهدى » أو بعده فى حاجة إلى ادعاء المهدية ، حتى يتفق ذلك مع المتواتر والمعتقد والمنتظر .

* * *

لقد رأيت الذين عالجوا الثورة المهدية من الأجانب والمصريين قد تحاملوا عليها ، وجسموا فظائعها ، وانكروا على الثورة قيامها .

وفى رأيى أن هؤلاء المؤرخين جميعا قد أخطأوا التوفيق ، وأفسد تفكيرهم ما وقع عليهم من مظالم ، أو لأن الثورة كانت قريبة العهد منهم .

فى جميع الثورات تحدث فظائع ، وتهك حرمات ، ويحصل خراب ، وظلم أو حرمان لبعض الافراد أو الطوائف .

لقد كان قيام الثورة المهدية معاصراً لقيام الثورة العرابية ، وقد قامت الثورة العرابية ضد ظلم فريق من الحكام الاتراك « الجراكسة » للمصريين . وقامت الثورة المهدية لتدفع ظلم هؤلاء الحكام فى السودان . فمن هذه الناحية تشبه الثورة المهدية الثورة العرابية وتشبه الثورة المهدية الثورة الوهابية فى نجد ، لان كلا من الثورتين قد اصطبغ

بالصبغة الدينية ، وهو الرجوع بالاسلام إلى الفطرة وتجريده من البدع . ولو أن الثورة المهدية وجدت رجالا أكفاء بعيدى النظر عملوا على توطيد الحكم بعد نجاحها ، لظل السودان مستقلا ، بل لامكن للثورة المهدية أن تجتاح مصر ، حيث كانت ضعيفة معسرة ومحتلة بالجيش الانجليزى ، وأن تضم مصر إلى السودان ، وأن تنجح غزوة ابن النجوى لمصر ، كما نجح ابن السعود فى ضم الحجاز إلى نجد . وقد أشبهت الثورة المهدية ما حدث فى الجزيرة العربية عقب الرسالة المحمدية والدعوة الاسلامية من توحيد كلمة القبائل المتنافرة تحت شعار واحد ، ففى الثورة المهدية شعار المهدية وفى الدعوة الاسلامية الرسالة النبوية

على هذه الصورة يجب أن تفهم الثورة المهدية . أما التحامل عليها والنيل من زعيمها السيد محمد أحمد المهدى ، والاكتفاء بتضخيم الفظائع وتعداد المظالم ، فليس من الانصاف التاريخى فى شىء . يجب علينا أن نعالج الثورة المهدية - كما نعالج الثورة العرابية والثورات العامة الاخرى

أسباب نجاح الثورة المهدية :

نجحت الثورة المهدية :

١ - لشخصية زعيمها السيد محمد أحمد المهدى - فقد كان فقيها تقيا نزيها وصاحب عقيدة تتحول الجبال ولا يتحول عنها ، وكان لها أنصار كثيرون من ذوى العقيدة والتفانى

٢ - لأن المهدى أعلن أنه « المهدى المنتظر » . وكان السودانيون ينتظرون من قديم ظهور هذا المهدى المنقذ

٣ - ظلم الحكام وضعفهم : ما اقترفه بعض الحكام والموظفين من مظالم - مع ضعفهم

٤ - ضعف الحاميات المصرية بالنسبة لاتساع السودان وبسبب الثورة العرابية وضعف الحكومة المصرية أمام رعاياها وأمام الأجانب

٥ - اضطراب حالة الحكم فى مصر ونظمه . فكلما ضعفت آلة الحكم فى مصر ، ظهر ذلك فى السودان . ونفوذ مصر ضعيف الآن فى السودان لأن النفوذ الوطنى ضعيف فى توجيه الحكم الآن فى مصر نفسها . وليس معقولا أن تكون الحكومة المصرية ضعيفة أمام الاحتلال ثم يكون نفوذها غير ضعيف فى السودان . وهذا الضعف حالة ظهرت منذ الاحتلال

٦ - عسر الحكومة المصرية وتقليلها أخيراً الأموال التى كانت تغدقها فى بناء مدنية السودان ، تلك المدنية التى لاتقوم الا بأموال خارجية تنفق على السودان ، والا عاد إلى بداوته

٧ - تردد الحكومة المصرية فى مكافحة الثورة

٨ - دسائس فريق من الأجانب والنفعيين لتأليب السودانيين على المصريين

٩ - اتجاه الانجليز إلى إخلاء السودان من الجيش المصرى لاسيما بعد احتلالهم مصر وضعف الجيش المصرى .

أسباب فشل الثورة المهدية بعد نجاحها :

١ - وفاة المهدى فى السنة الثانية بعد سقوط الخرطوم

٢ - الخلاف بين الخليفة عبد الله التعايشى والخليفتين شريف وابن الحلو

٣ - سعى التعايشى لاقامة ملك ومملكة وتقريب التعايشيين ومحاباتهم على غيرهم

٤ - وقوف حركة التجارة وانتشار الأوبئة والمجاعات

٥ - اختلاف القبائل مع ضعف القيادة وجهلها

٦ - المظالم والفظائع التى ارتكبت من بعض أنصار المهدية

٧ - موت الملايين بسبب الأوبئة والأمراض

٨ - عدم رضاء العالم الاسلامى وخليفة المسلمين عن الحركة المهدية وتعاليمها وأنكارهم على صاحبها أنه « المهدى المنتظر »

٩ - اعادة تنظيم الجيش المصرى وأسلحته وحسن قيادته ونشاط قلم مخابراته

الفصل الثالث والعشرون

شريف باشا والسودان



محمد شريف باشا

المشهور والمحقق أن المغفور له محمد شريف باشا رئيس مجلس النظار(١) حتى سنة ١٨٨٤ قد طلب اليه إخلاء السودان وجلاء الجيش المصرى عنه ، وقد أبى قبول هذا الطلب ، واستقال محتجا . ولا تزال استقالته وصيغتها مرجع الكتاب الذين

---

(١) منذ انشاء أول وزارة مصرية برياسة نوبار باشا فى أغسطس سنة ١٨٧٨ وفى عهد الخديوى اسماعيل كان يطلق على الوزير اسم «الناظر» وعلى الوزارة اسم « النظارة » فكان يقال نظارة الأشغال ونظارة المالية وهكذا . ويطلق على مجلس الوزراء اسم « مجلس النظار » ولما تبوأ المرحوم السلطان حسين كامل الأول عرش مصر سنة ١٩١٤ سميت النظارة باسم الوزارة والناظر باسم الوزير ، على أنه قد بقيت الألفاظ القديمة فى كثير من اللوائح والقوانين النافذة للآن

يكتبون عن السودان ومفخرة للوطنيين المصريين الذين يرون استمرار ارتباط السودان بمصر ، وأن النيل قد وحد بين مصر والسودان

وليس هذا الموقف الوطنى التاريخى لشريف باشا هو الموقف الوطنى الوحيد المشرف ، بل ان للمترجم له مواقف وطنية رائعة . ولذا نرى لزاما علينا أن نترجم حياة هذا الرجل العظيم

* * *

ولد الفقيد « محمد شريف باشا » بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٨٢٦ أى فى أثناء حكم محمد على وفى إبان نهضته وفتوحه . وشريف باشا هو ابن حضرة صاحب السماحة محمد شريف افندى قاضى قضاة مصر(١) وقتئذ ، وكان تركياً ، وبعد انقضاء مدة قاضى القضاة عاد إلى استانبول « الاستانة » ومعه ابنه المترجم له — الذى كان يومئذ طفلا رضيعا ، وبعد سنوات حضر سماحة قاضى القضاة إلى مصر فى طريقه إلى الحجاز ، وكان معه نجله ، الذى رآه محمد على ونصح لوالده بأن يترك ابنه فى القاهرة ليتلقى العلوم فى مدارسها ، فدخل مدرسة الخانكا ، وهى المدرسة الحربية التى أنشأها محمد على سنة ١٨٢٦ ، وكان من تلاميذها بعض أنجاله وأحفاده ، وفى سنة ١٨٤٤ سلك شريف باشا فى البعثة العلمية الخامسة التى كان فيها الاميران حسين وعبد الحليم من أنجال محمد على ، وحفيداه الأميران الخديو اسماعيل والأمير احمد رفعت ، ثم على مبارك باشا . وانتظم شريف فى سلك مدرسة سان سير Saint Cyr فى فرنسا ومنها إلى مدرسة تطبيق العلوم الحربية والتحق بالجيش الفرنسى ونال رتبه يوزباشى أركان حرب ، وعاد شريف الى مصر سنة ١٧٤٩ فى عهد عباس باشا الأول والتحق بالجيش المصرى برتبة « يوزباشى أركان حرب » . وعين ياوراً للقائد سليمان باشا الفرنساوى « الكولونيل سيف(٢) » ثم ترك الجيش وعين سكرتيرا للامير عبد الحليم فى دائرته سنة ١٨٥٣ . وبقى فيها حتي توفى عباس باشا الأول وخلفه سعيد باشا ، فأعاد شريفاً إلى السلك العسكرى ومنحه رتبة أمير الاى الحرس الخصوصى ، وبعد

---

(١) كان للسلطنة التركية العثمانية « الباب العالى » حتى سنة ١٩١٤ ، حيث أعلنت الحرب الكبرى وضربت الحماية البريطانية على مصر وعدت تركيا أنها قد فقدت سيادتها عليها ، كان للسلطنة حق تعيين قومبسير عال « مندوب سام » وقاضى قضاة مصر الشرعيين وهما تركيان

(٢) كان الكولونيل سيف ضابطا فرنسيا استقدمه محمد على لتدريب الجيش المصرى على الفنون الحربية وقد أسلم وأصبح اسمه سليمان باشا الفرنساوي وهو جد جلالة الملكة نازلى

سنتين رقى الى رتبة لواء فأصبح « باشا » وقائدا لألاى المشاة وألاى الحرس الخصوصى . وقد تزوج من كريمة الجنرال سليمان باشا « الفرنساوى » وقد أسمى العامة شريفا شريف باشا الفرنساوى ،بسبب هذه المصاهرة

ثم عينه سعيد باشا وزيراً للخارجية سنة ١٨٥٧ حتى سنة ١٨٦٣ ، حيث خلف اسماعيل باشا سعيد باشا ، وعين المترجم له وزيرا للداخلية والخارجية ، ولما سافر اسماعيل باشا سنة ١٨٦٥ عين « شريف » قائمقاما . وفى سنة ١٨٦٧ عين رئيسا للمجلس الخصوصى ، الذى كان يشبه فى سلطته « اختصاص مجلس الوزراء » وكان يضم الوزراء وبشوات آخرين .

ولما أنشئت لجنة التحقيق الأوروبية التى ألفتها انجلترا وفرنسا للبحث فى ديون مصر وحالتها المالية على عهد اسماعيل ، كان « شريف » وزيرا للحقانية والخارجية ، وطلبت اللجنة إلى شريف أن يحضر أمامها لتسمع أقواله . فأبى ووقعت أزمة ، أدت الى استقالته .

ولما اشتدت النزعة الدستورية فى مصر ، تطلعت الأنظار الى شريف باشا ليرأس الوزارة الوطنية الدستورية . فكلفه اسماعيل باشا بتأليف الوزارة على أساس اللائحة الوطنية ، فألفها فى ابريل سنة ١٨٧٩ وأقصى منها الوزيرين الأوروبيين للمالية والأشغال « وزير انجليزى للمالية ووزير فرنسى للأشغال » كانا فى عهد وزارتى نوبار وتوفيق باشا ، وأقر شريف مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس شورى النواب . فشريف من مؤسسى النظام الدستورى فى مصر والعاملين على توطيد قواعده إن لم يكن هو المؤسس الأول الحقيق . وفى وزارته الثالثة سنة ١٨٨١ انشء مجلس النواب على المبادىء الدستورية العصرية

ولما خلع اسماعيل وخلفه توفيق باشا على عرش مصر ، استقالت وزارة شريف باشا اتباعا للتقاليد التى تقضى باستقالة الوزارة عقب وفاة ولى الأمر أو باعتزاله الملك ، لأنها تستمد التعيين منه ، ولابد من تكليف جديد من ولى الأمر الجديد ، وقد كلف الخديو توفيق باشا شريف باشا باعادة تأليف الوزارة ، فألفها مع الاحتفاظ بوزارتى الداخلية والخارجية لنفسه وكان أعضاؤها : اسماعيل أيوب باشا للمالية وعلى غالب باشا للحربية ، ومحمود سامى البارودى باشا للمعارف والأوقاف ، ومصطفى فهمى باشا (١) للاشغال ، ومراد حلمى باشا للحقانية .

(١) صار بعدئذ رئيسا للوزارة وهو والد حضرة صاحبة العصمة أم المصريين السيدة صفية هانم زغلول أرمله المغفور له سعد زغلول باشا الرئيس الأول للوفد المصرى

وقد استقالت وزارة شريف باشا فى اغسطس سنة ١٨٧٩ لعدم موافقة الخديو توفيق على تأليف مجلس النواب . ولم يعين الخديو وزارة محلها ، بل عين وزراء فى النظارات « الوزارات » برياسة الخديو مباشرة وبدون رئيس لهم . على أنه فى سبتمبر سنة ١٨٧٩ عهد الخديو توفيق إلى رياض باشا بتأليف وزارة برياسته . واشتد سخط البلاد على حرمانها من تأليف مجلس النواب وعقده وظهرت الحركة



الخديو محمد توفيق باشا ١٨٧٩ — ١٨٩٢

العرابية بزعامة المرحوم أحمد عرابى باشا ورأس الجند فى ميدان عابدين يوم الجمعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وطلب من الخديو عزل رياض باشا وتأليف مجلس النواب . واضطر الخديو للعودة الى تكليف شريف باشا بتأليف الوزارة للمرة الثالثة لتهدئة الحركة ، فكان شريف رئيسا للوزارة ووزيرا للداخلية . وكان محمود سامى البارودى وزيراً للحربية ، وحيدر باشا المالية واسماعيل أيوب باشا للأشغال ،

ومصطفى فهمى باشا للخارجية ، ومحمد زكى باشا للمعارف والأوقاف وعين المشرع المعروف محمد قدرى باشا للحقانية .

وألقى شريف باشا خطابا فى زعماء الجيش المهنئين له فقال « فى علمكم ما قاله الأقدمون : « آفة الرآسة ضعف السياسة ، ولا حكومة إلا بقوة ، ولا قوة إلا بانقياد الجنود انقيادا تاما ، وامتثالهم امتثالا مطلقا

« كل حكومة عليها فرائض وواجبات ، من أهمها صيانة الوطن ، وحفظ الأمن العمومى فيه . وهذا وذاك لا يتأتيان إلا بأطاعة رجالها العسكريين فترددى أولا فى قبول الرآسة ما كان إلا تجافيا عن تأسيس حكومة غير قوية تخيب بها الآمال ، ويزيد معها الأشكال ، فاكون عرضة للملامة بين اخوانى فى الوطن وبين الأجانب . وحيث أغاثتنا الألطاف الالهية وحصل عندى اليقين بانقيادكم ، فقد زال الاضطراب من القلوب ورتبت الهيئة الجديدة من رجال ذوى عفة واستقامة فاوصيكم بملاحظة الدقة فى الضبط والربط لأنهما من أخص شؤون العسكرية وأساس قواها وأعرفوا أنكم مقلدون أشرف وظيفة وطنية فقوموا بأداة واجباتها الشريفة وعلى القيام بأداء كل ما يزيدكم فخرا وسؤدداً . وفقنا الله وإياكم . . . »

وقد بر شريف بعهده فتألف مجلس شورى النواب سنة ١٨٨١ . ثم استقال شريف فى ٣ فبراير سنة ١٨٨٢ إثر خلاف سياسى . وخلفه البارودى باشا ثم استقال وخلفه راغب باشا الذى ضرب الأسطول الانجليزى فى عهده مدينة الأسكندرية بالمدافع يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ . واستقالت وزارة راغب باشا وخلفتها وزارة برياسة شريف باشا فى أغسطس سنة ١٨٨٢ عقب الاحتلال الانجليزى وفشل الثورة العرابية . ثم ما لبثت الحركة المهدية أن استفحلت فى السودان لظهور محمد أحمد المهدى وقد رغبت الحكومة الانجليزية الى الحكومة المصرية إخلاء السودان فقدم الاستقالة الآتية :

استقالة شريف باشا التاريخية

رغبنا فى نشر نص استقالة شريف باشا ، تلك الاستقالة التاريخية المشهورة . ولكننا لم نجد نصا واحدا لهذه الاستقالة

١ — الوقائع المصرية

فقد أشارت الوقائع المصرية فى عددها الصادر بتاريخ ١٢ يناير سنة ١٨٨٤ إلى الاستقالة من غير نشر نصها . فقالت :

« استعفت هيئة النظار التى كان يرأسها دولتلو شريف باشا فقبل استعفاؤها . وكلف الجناب الخديوى المعظم صاحب الدولة نوبار باشا بتأليف نظارة جديدة تحت رئاسته فقبل ذلك وانتخب لها من رجال الحكومة المصرية من يعتمد عليهم فى مهام الأعمال ورفع أسماء حضراتهم للجناب الخديوى المعظم فصدر أمره العالى بتعيين كل منهم فى النظارة التى انتخب لها . أدام الله توفيق الجميع لما فيه خير البلاد وصلاح حال العباد »

٢ — رواية جريدة الأهرام

وقالت جريدة الأهرام فى العدد الصادر فى ١٥ يناير سنة ١٨٨٤ عن أسباب الاستقالة ما يلى :

« أما الأسباب التى حملت حضرات النظار على الاستعفاء فهى أن حكومة مصر ترى أنه من الممكن المحافظة على أملاكها السودانية بواسطة خمسة عشر الف جندى ليس إلا ، وأن الحملة التى أرسلتها أولا مع ما سيتبعها كافية لأدراك الغاية وأن التخلى عن السودان مضر بمصلحة سياسيا وتجارياً . وفى حال تخلى مصر عن السودان تقفل بيوت عديدة تجارية شهيرة فى القطر ولا ترى الحكومة لزوما لترك الخرطوم وسواها من المدن الخاضعة والتى لم يحصل فيها شىء من الهيجان وحاميتها قادرة على حفظها وصونها . وأن حكومة مصر لا يمكنها أن تقبل مطلقا بتلغراف اللورد غرانفيل القائل بوجوب « قبول كل نصيحة انكليزية بدون تردد وأن كل ناظر لا يكون مشربه انكليزيا لا يلزم وجوده فى النظارة » فهذا مناقض لنص الدكرتو الخديوى الصادر فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ القائل بأن الوزارة مسئولة أمام الجناب الخديوى ليس إلا . وبناء عليه فلا تستطيع النظارة الحالية قبول ما تطلبه الوزارة الانكليزية . وهذه هى الأسباب التى حملت الوزارة على الاستقالة ، فقدمت استعفاءها إلى الجناب الخديوى كما قدمنا أولا (١) »

---

(١) الأهرام فى ١٥ يناير سنة ١٨٨٤

٣ — نص الاستقالة فى كتاب سرهنك باشا

ورد بذيل الصفحة ٤٢١ ج ٢ من كتاب حقائق الأخبار لسرهنك باشا

بعد الديباجة — « قد اقترحت علينا دولة ملكة انكلترة المعظمة أن نخلى السودان وليس لنا حق فى فعل ذلك ، لأن هذه الولايات من مستملكات الدولة العلية التى فوضت وقايتها الى عهدتنا . وقد طلبت دولة الملكة (١) أيضا أن نقتدى بنصائحها بدون مذاكرة فيها ، فلا يخفى أن هذه الاقتراحات مخالفة لفحوى النظامات الشورية الصادرة فى ١٨ من شهر أغسطس سنة ١٨٧٨ م التى نص فيها على أن الخديو يجرى أحكام البلاد باشتراكه مع النظار ، فبناء على ذلك نضطر هنا إلى أن نطلب من مقامكم العالى أن تقبلوا استعفاءنا لأنه لا يمكن لنا والحالة هذه أن ندير البلاد على أصول شورية » — التواقيع

تعليق : تاريخ ١٨ أغسطس الوارد فى هذا النص قد صحح فى كتاب « البعثات العلمية » لحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون بـ ٢٨ أغسطس لأنه هو التاريخ الذى صدرت فيه النظامات الشورية المنوه عنها بالنص المذكور .

٤ — استقالة شريف باشا كما وردت بكتاب مذكراتى فى نصف قرن ص ٢٦٦ تأليف أحمد شفيق باشا

« إن الأسباب التى حملت النظار على الاستعفاء هى أن حكومة مصر ترى أنه من الممكن المحافظة على أملاكها السودانية التى بيدها الآن بواسطة ١٠ آلاف جندى وأن التخلى عن السودان مضر بمصلحة مصر سياسيا وتجاريا . وفى حال تخلى مصر عن السودان تقفل بيوت عديدة تجارية شهيرة بالقطر . ولا ترى الحكومة لزوما لترك الخرطوم وسواها الخاضعة والتى لم يحصل فيها هياج وحاميتها قادرة على حفظها وصونها .

« وأن حكومة مصر لا تقبل مطلقاً تلغراف اللورد جرانفيل القائل بوجوب قبول كل نصيحة انجليزية بدون تردد ما دام جيش الاحتلال موجودا فى مصر لأن كل ناظر لا يكون مشربه انجليزيا لا يلزم وجوده فى النظارة — فهذا مناقض لنص

---

(١) الملكة فكتوريا ملكة انجلترا يومئذ

الدكريتو الخديوى الصادر فى ٢٧ اغسطس سنة ١٨٧٨ القائل بأن النظارة مسئولة أمام الخديو ليس إلا . وبناء عليه لاتستطيع النظارة الحالية قبول ماتطلبه انجلترا

تعليق :— ذكر صاحب كتاب « مذكراتى فى نصف قرن » أن هذه الاستقالة رفعها شريف باشا للخديوى توفيق فى ٨ ابريل سنة ١٨٨٤ وهوخطأ بين لأن وزارة نوبار التى خلفتها كانت فى ١٠ يناير سنة ١٨٨٤ فلعل الصواب فى التاريخ المذكور ٨ يناير سنة ١٨٨٤

ويظهر أن تعدد الروايات قد نشأ من أن الاستقالة كتبت بالفرنسية أولا كما جرت العادة يومئذ فى الشئون السياسية الهامة - وأن اختلاف الصيغ وقع فى الترجمة بتصرف أو من غير تصرف ، أو وقع بسبب تدخل فى صيغة الاستقالة

مرض شريف باشا — وقد مرض شريف باشا بعد ذلك ، وذهب للاستشفاء فى الخارج وتوفى فى ابريل سنة ١٨٨٧ فى جراتز بالنمسا

وقدوصفت جريدة الأهرام « فى عددها الصادر سنة ١٨٨٧ » جنازة الفقيدعند وصولها إلى الاسكندرية ونقلها من المنشية إلى باب الترسانة ، وفى القاهرة ، وقد أغلقت المحال التجارية وسارت الألوف وراء النعش ، وكان الجميع آسفين على فقد الأمة هذا الخادم الامين . فلقد كان الفقيد واسع الذكاء والاطلاع ، بعيد النظر ، شديد التوانى لأصدقائه ، نزيها عفيف اليد والقلم واللسان ، محبا للدستور والحرية مبغضا لتدخل الاجانب ، شديد الاعتزاز بكرامته مستقل الرأى وكان جميل الطلعة طويل القامة مشرق الوجه ، وكان عظيما فى غير صلف ، كبيرا فى غير عنف

وقد أعقب شريف باشا ولدا وبنتين أما ابنه فهو محمد شريف باشا الذى كان وكيلا لوزارة الخارجية ولمنع الالتباس بين الأب وابنه اصطلح الناس على تسمية الأب باسم شريف باشا الكبير ، وأما كريمتاه فقد تزوجت إحداهن من محرم شاهين باشا والثانية من المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا والد حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى وصاحبى السعادة حسين صبرى باشا محافظ الاسكندرية وشريف صبرى بك وكيل الخارجية صهر المغفور له عدلى يكن باشا

استقالة شريف باشا المودعة مجلس الوزراء

كانت استقالة دولة المرحوم محمد شريف باشا موضع اهتمامنا ومحل تدقيقنا ، وقد عرف القراء فيما تقدم أنه ليست هناك صيغة واحدة لهذه الاستقالة ، فنقلنا روايات أربع عن الاستقالة ، واخيرا اتجهنا إلى نص الاستقالة التى اودعت مجلس الوزراء . ولكننا علمنا انه ليس بديوان المجلس نص رسمى موقع عليه ، وإنما هناك ورقة باللغة الفرنسية ، غفل من التوقيع ، وليس يدرى اهو نص الاستقالة ام كتاب خاص رفعه شريف باشا إلى الخديو توفيق باشا مع نص الاستقالة الرسمية . ونحن نؤثر ترجمة ما فى الوثيقة المحفوظة بمجلس الوزراء فيما يلى :

٧ يناير سنة ١٨٨٤

« يا صاحب السمو :

تعلمون سموكم الأسباب التى من أجلها كان من رأى زملائى ورأيى أن نبذل جميع جهودنا للمحافظة على النيل الأعلى حتى الخرطوم وشاملة لها ، وقد عددنا هذه المحافظة لاغنى عنها لسلامة مصر وأمنها . وقد فكرنا فى الوصول إلى هذه النتيجة ، وأن ننزل عند الحاجة عن السودان الشرقى مع شواطىء البحر الأحمر إلى الباب العالى ، وأن نخصص جميع القوات الموجودة للنيل

ولكن هذه الأسباب لم تظهر كافية لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية ، التى أصرت على وجوب إخلائنا لوادى النيل كله ، على أن لا نحتفظ إلا لغاية أسوان أو وادى حلفا ، كاخر حد جنوبى . وفضلا عن ذلك ، فانه - كما كان لى الشرف أن أبلغ سموكم فى المجلس - قد تلا على السير بارنج تلغرافا من اللورد جرانفيل بموجبه ، كلفه بابلاغى بانه ما دام احتلال الجنود البريطانية الوقتى لمصر قائما ، فانه يجب تنفيذ النصائح الصادرة من حكومة جلالة الملكة فى كل مسألة هامة ، وأن كل وزير لا يعمل طبقا للنصيحة يجب عليه أن يستقيل

ولما كنا نرى أن مدلول هذه الرسالة يتعارض مع استقلال حكومتكم ، بمعنى أن من شأنه أن يشل المسئولية الوزارية أمام سموكم ويعدل شروط الحكم كما أنشأها المرسوم الصادر بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨

ولما كنا نعتقد أننا لا نستطيع ، والحالة هذه ، أن نحتفظ بمناصبنا التى ندين بها الى ثقة سموكم السامية ، فقد رفعنا استقالتنا جميعا بين يدى سموكم »

نوبار باشا والسودان



نوبار باشا

وقد خلف نوبار باشا (١) شريف باشا فى تأليف الوزارة وقد قبل نوبار مالم يقبله شريف من قبل وهو إخلاء السودان من الجيش المصرى، وكانت وزارة نوبار مذ ذاك أول وزارة مصرية تألفت على أساس الاذعان للمشورة البريطانية . وقد ندب غوردون باشا للسفر إلى السودان للمرة الثالثة - لتنظيم إخلاء السودان ولكنه فشل فى مهمته وقتل فى الخرطوم فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥

كان نوبار باشا رسول الخديو اسماعيل فى أوروبا وتركيا لزيادة نفوذ الخديو ، بالفرمانات التركية الشاهانية المتوالية ، وأخيرا فاوض نوبار الدول فى إنشاء المحاكم المختلطة ، وأسفرت المفاوضات عن إنشائها باتفاق مع مصر سنة ١٨٧٥ ، لا يزال نافذا حتى اليوم ، وإن كان أصبح غير متفق مع نهضة مصر الاستقلالية والدستورية وكثرة كفايات بنيها

---

(١) نوبار باشا أرمنى الأصل كان أول رئيس للوزارة المصرية عند انشائها سنة ١٨٧٨

الفصل الرابع والعشرون

عودة غوردون باشا الى السودان



تمثال غوردون فى مدينة الخرطوم ويرى فؤاد اباظة بك
عند قاعدته فى فبراير سنة ١٩٣٥

بعد استقالة وزارة شريف باشا خلفتها وزارة نوبار باشا وقبلت اخلاء السودان من الجنود المصرية أى أذعنت للمشورة البريطانية التى قضت بهذا الاخلاء. وقضت باعادة تعيين غوردون باشا للمرة الثالثة (١) ، وكان يومئذ فى لندن ، حكمداراً عاما للسودان .

فحضر غوردون إلى القاهرة حيث استقبل بمحطتها استقبالا رسميا حضره رجال

(١) — راجع ص ١١٣ — ١٢٠ من هذا الجزء.

التشريفات الخديوية . وكبار الضباط الانجليز والمصريين . وقبل حضوره تبادل التلغرافات مع السر افلن بارنج « اللورد كرومر » معتمد (١) الدولة البريطانية فى مصر كما قابل رجال الحكومة البريطانية ، وقد أرسل غوردون قبل مبارحته لندن تعليمات إلى وزارة الحربية لاتباعها فى سفر من يرافقه .

وبعد وصوله قابل اللورد كرومر والخديو توفيق ورئيس الوزراء « نوبار باشا » والوزراء « النظار »

كان وصول غوردون يوم ٢٦ ربيع أول سنة ١٣٠١هـ وسافر فى الساعة التاسعة من مساء يوم ٢٨ ربيع أول « فبراير سنة ١٨٨٤ » بقطار خاص استقله من محطة بولاق الدكرور وقد ازدحمت المحطة بالمودعين وعلى رأسهم نوبار باشا رئيس الوزارة والوزراء وقنصل انجلترا الجنرال وقائد الجيش

ويقال إن عبد القادر حلمى باشا حكمدار السودان السابق أبلغ غوردون سوء الحالة فى السودان واستفحال أمر المهدى ووجوب ارسال جيش من ألف جندى. لأن غوردون لم يسافر معه جيش وكانت خطته ترمى إلى ملاينة المهدى بالوعود والهدايا وبالاعتراف به حاكما على كردفان ، كما كانت تلك سياسته عند فتح جنوب السودان « ص ١١٥ و ١١٦ من هذا الجزء »

وقد رافق اللواء ابراهيم فوزى باشا الذى ورد ذكره فى ص ١١٤ — غوردون باشا فى سفره بناء على طلبه قبل وصوله إلى القاهرة ، لأنه رأى فيه جنديا كفؤا ومساعداً ، قديرا ، لسابق خدمته بالسودان والحكم فيه ، وقد ردت الحكومة إلى فوزى باشا رتبه ونياشينه العسكرية بعد أن نزعت منه لانضمامه إلى عرابى باشا

وفى الساعة العاشرة مساء غادر القطار محطة بولاق الدكرور قاصدا إلى أسيوط بين هتاف المودعين . وفى صباح اليوم التالى وصل غوردون إلى أسيوط واستقل منها باخرة نيلية إلى أسوان ، حيث استقبل لفيفا من المبشرين والقسس الكاثوليك الهاربين من السودان ، وقد أبلغوا غوردون ، سوء الحال والخطر .

وسافر من أسوان إلى الشلال حيث استقل باخرة إلى كروسكو فوصل اليها بعد يومين ، وكانت بها المعدات من جمال وغيرها حاضرة ، وعين فوزى باشا قومندانا

---

(١) كان الممثل البريطانى فى مصر قبل الاحتلال لقبه قنصل انجلترا العام وبعد الاحتلال بقى له هذا اللقب مع اسم المعتمد ، وبعد اعلان الحماية سمى نائب جلالة ملك انجلترا وبعد ذلك سمى المندوب السامى البريطانى الى اليوم وفي مشروع المعاهدة سفير : Ambassador



عبد القادر باشا حلمي حكمدار عموم السودان « ص ١٣٥ »

للحملة . وكان مع غوردون الكولونيل ستيورت(١) والجنرال جراهم وقد عين الأول وكيلا لغوردون وعاد جراهم من كروسكو .

وفى كروسكو أرسل غوردون الى المهدى كتابا ومعه هدية من الملابس. وفحوى الكتاب أن غوردون يعترف بالمهدى سلطانا على السودان الغربى كله وملكا مطلقا على كردفان ودارفور ، وأن حكومة جلالة الملكة فكتوريا ، ملكة انجلترا يومئذ ، قد عينت غوردون حكمدارا للسودان ووافقت الحكومة الخديوية على ذلك وأنه

(١) وضع ستيوارت تقريراً عن حالة السودان وحدوده وعلى أساسه قررت الحكومة الانجليزية اخلاءه وقال ستيوارت « أن المصريين الذين لايصلحون لحكم الدلتا ، كيف يصلحون لحكم السودان — الكتاب الأزرق الانجليزي عن السودان »

يرغب فى توثيق العلاقات بين سلطنة المهدى وبينه ، وإعادة المواصلات ووقف اراقة الدماء ، وأرسل غوردون تلغرافا إلى حكمدارية السودان بالخرطوم باستقبال رسل المهدى ، إذا وصلوا ، باطلاق المدافع وإقامة الزينات . وجعل التلغراف تحت تصرفهم لمخاطبة غوردون ، وأرسل تلغرافاً آخر باعفاء الأهالى من الضرائب المتأخرة وبفصل حسين سرى باشا من وكالة حكمدارية السودان وتعيين الكولونيل دى كوتلجف بدلا منه ، وكان انجليزيا فى الخرطوم منذ سنة بمهمة سرية ، وبتعيين عوض الكريم ابى سن زعيم قبائل الشكرية مديرا للخرطوم

وبعد السفر على الأبل أربعة أيام وصل غوردون ومن معه إلى آبار المرات ، وبعد أيام وصلوا إلى أبى حمد وهى أول حدود مديرية بربر وأول حدود دنقلة وسكانها يسمون الرباطاب والمناصير من الجعليين . وألقى غوردون خطابا فى أبى حمد بحضور حسين خليفة باشا مدير بربر والأعيان أبلغهم تجاوز الحكومة عن المتأخر من الضرائب وعن ضرائب ثلاث سنوات فى المستقبل وإحراق الدفاتر القديمة ووعدهم بتخفيض الضرائب بعد مضى الثلاث سنوات . وحذرهم من تصديق دعوة المهدى . فقالوا نحن مؤيدون للحكومة الخديوية الى النهاية . كل ذلك لكفالة ولائهم له وللحكومة

وأرسل غوردون تلغرافا إلى اللورد كرومر يبشره بنجاح مهمته ، وشهد لعبة الدللوكة . ثم سافر إلى بربر واستقبله القناصل والموظفون والأعيان فوصفوا له حرج الموقف وضرورة وجود جيش لصد قوة المهدى الكبيرة . فطلب اليهم الاطمئنان والخلود الى السكينة

وعند السبلوكة تقدم أشخاص على جيادهم وقالوا « نحن مظلومون يا أفندينا » ولحظ فوزى باشا أن وراءهم كمينا من مائة فارس وحذر غوردون من رسو الباخرة عند بلدة « السبلوكة » لأنه ليس بالباخرة إلا ٢٥ شخصا ، فغضب غوردون وقال لفوزى يظهر أنك انغمست فى ترف القاهرة ونسيت شجاعتك . ورست الباخرة فأطلق عليها الكمين النار . فقال غوردون لفوزى الحق معك يافوزى وأنا المخطىء(١)

ووصلت الباخرة بعد أيام الى أم درمان حيث كان بها نقطة من الجنود ، ثم وصلت الباخرة إلى الخرطوم حيث رست فى « المقرن » وهى نقطة اجتماع النيلين الأبيض والأزرق ، فأدت الجنود التحية العسكرية وتفقد غوردون الحصون وكان الجنود صفوفا والأهالى واقفين .

---

(١) ص ٢٧٢ ـ السودان بين يدي غوردون وكتشنر تأليف اللواء ابراهيم فوزى باشا

نزل غوردون بسراى الحكمدارية ووقف عند السلاملك وسلم ورقة إلى الشيخ حسين المجدى رئيس أساتذة المدرسة الأميرية فقرأ فرمان التولية « الأمر العالى الخديوى بتعيين غوردون حكمداراً » وأملى عليه الخطبة التالية :

« يا أهالى السودان عموما أن الجناب الخديوى يسلم عليكم صغيرا وكبيرا أحرارا وعبيدا أناثا وذكورا وكذلك جلالة الملكة فيكتوريا ، ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند ، وأنكم لاتجهلون شفقتى عليكم ومحبتى لكم . وقد ساءنى ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب بينكم وتعطلت تجارتكم وسفكت دماؤكم ومنعتم من تأدية فريضة الحج التى هى من أركان الاسلام وزيارة قبر النبى عليه السلام . وقد أساء هذا الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الخديو المعظم فانتدبت من قبل حكومة جلالة الملكة لأكون واليا على السودان ومرخصا فوق العادة . وقد صار فصل السودان عن مصر فصلا تاما ، وفوض إلى الحكم المطلق وقد خابرت حضرة السيد محمد أحمد المهدى بفحوى مأموريتى واعترفت له بالسلطة المطلقة على السودان الغربى برمته على شرط أن لا يمد يده لغيره . هذا وقد ألغيت جميع الأوامر الصادرة بمنع تجارة الدقيق وتجاوزت عن جميع المتأخرات من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٣ وقد تجاوزت أيضا عن ضرائب ثلاث سنوات منذ أول سنة ١٨٨٤ وأمرت بأحراق دفاتر المتأخرات وأمرت باطلاق سراح جميع المسجونين على اختلاف جرائمهم وتنوع جناياتهم وعزمت منذ الآن أن لا يكون أعضاء حكومتى إلا من الوطنيين ، حيث أننى أود تشكيل حكومة وطنية ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد عينت عوض الكريم أبا سن مديرا للخرطوم ، وأحسنت عليه برتبة الباشوية ولى الأمل بأن العلائق ستفتح بينى وبين سلطان الغرب « المهدى » وثيقة العرى وقد أمرت منذ اليوم بفتح أبواب الحصون واتلافها وسحب الجنود لتلتفتوا إلى عمران بلادكم وحرث أراضيكم وانماء تجارتكم . ومنى عليكم السلام »

وكان أهل الخرطوم يسمعون هذه الخطبة والدموع تنهمر من مآقيهم ، لأنهم أيقنوا الهلاك ، اذ أن المهدى ، بعد أن أصبح قويا ظافراً ، لايمكن أن يقبل ذلك وأنه لابد زاحف على الخرطوم .

ثم استقبل غوردون العلماء فأبلغوه أن إتلاف الحصون نكبة لأن المهدى لن يلتفت إلى كلامك . فعدل غوردون عن تخريب الحصون .

وعلى أثر ذلك هجر المدينة كثير من الناس الى مصر ، واستقال موظفون

كثيرون ومنهم الكولونيل دى كوتلجف . ويقول فوزى باشا فى كتابه السودان بين يدى غوردون وكتشنر « ص ٢٧٦ » — « وقد تعجبت من اصرار غوردون على رأيه الأول بعدأن رأى الخطر الذى أحدق بحياته مرتين فى الطريق وعلم اجماع الآراء على عدم نجاحه »

وقد زار عبد القادر بن أم مريوم ، وهو فقيه من القرى المحيطة بمدينة الخرطوم « غوردون » فرحب به وأعطاه ٣٠٠ ريال . ثم عاد عبد القادر إلى قريته وأرسل كتابا إلى « غوردون » ينصحه بالتسليم هو ومن معه من الموظفين للمهدى

قبيلة الشكرية وزعيمها أبو سن

قبيلة الشكرية أو قبائلها قبائل رحالة تسكن شرقى النيل الأزرق فى صحراء ريرة بين عطبرة والنيل الأزرق وماشيتها من الابل والبقر كثيرة وعددها يومئذ ٥٠٠ ألف نسمة وكان أحمد أبوسن باشا مديراً للخرطوم وزعيما للشكرية وقبل وفاته قدم إلى القاهرة وأهدى إلى الخديو اسماعيل هدايا كثيرة وتوفى بها . وخلفه ابنه عوض الكريم أبو سن فى زعامة الشكرية .

وقد ظلت الشكرية وزعيمها وآله على ولاء صادق وتفان مدهش للحكومة المصرية فى أثناء الثورة المهدية . وقد حرض المهدى عليها قبيلة البطاحين القوية والتى بها قطاع طريق . وقد اضطرت الشكرية عند حصار المهديين لكسلا أن تكتب للمهدى بالخضوع

ولما وصل كتاب غوردون مع رسول خاص إلى عوض الكريم أبى سن باشا بتعيينه مديرا للخرطوم ، سأل الرسول هل حضر مع غوردون جنود ، فقال الرسول لا . ولكنهم سيجيئون . فحثا عوض الكريم التراب على رأسه وقال يا ضيعة الأمل ثم كتب إلى غوردون يحرج موقف أبى سن واعتذاره عن قبول المنصب ، وأن بقاءه فى مكانه أنفع لمنع مغادرة البطاحين إلى بربر

كتاب المهدى الى غوردون ردا على كتابه

وأرسل المهدى إلى غوردون كتابا ردا على كتابه . وهذا نص كتاب المهدى :

« الحمد لله الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد — فمن العبد المفتقر إلى الله المهدى بن عبدالله إلى عزيز بريطانيا والخديوية غردون باشا — قد وصلنا

جوابك وفهمنا ما فيه وإنك تزعم إرادة إصلاح المسلمين ، وفتح الطرق لزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام واتصال المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصارى والمسلمانيين وان تجعلنى سلطانا على كردفان . فأقول ، والأمر لله ، انى قد دعوت العباد إلى صلاحهم وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا الفانية إلى دار البقاء ، ويعملوا ما يصلحهم فى آخرتهم ، وقد كتبت إلى حكمدار الخرطوم وأنا « بآبا » بدعايته إلى الحق وبأن مهديتى من الله ورسوله . ولست فى ذلك بمتحيل ولامريد ملكا ولا جاها ولامالا وإنما أنا عبد أحب المسكنة والمساكين ، وأكره الفخر وتعزيز السلاطين ، ونبوهم عن الحق المبين ، لما جبلوا عليه من من حب الجاه والمال والبنين وهذا هو الذى صدهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم ، فأخذوا الفانى وتركوا الباقى واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسمعوا قول الله ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يغن عنهم ذلك شيئا وندموا على قدر الذى تمتعوا به . فأيدنى الله بالمهدية الكبرى لدلالتهم إلى الله تعالى وليتركوا العز الفانى والنعيم الفانى الى العز الدائم الأبدى فى دار النعيم المقيم ولا عرفهم غرور من يريد العاجلة ، ويظن أنه ساع فى رضى الله ويكون له نصيب فى الآخرة . وقد قال المسيح عليه السلام : يا معشر الحواريين ابنوا على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا ومن ظن أنه يخوض البحر من غير بلل فهو مغرور ، فكذلك من ظن أنه يجمع الدنيا ويريد عزها وجاهها ، ويكون له فى الآخرة شأن ، فأنب الى الله الباقى واخضع لجلاله واطلب عز الآخرة ولا تظن إن هذه الدنيا دار حتى تسعى لملكها وعزها ، وكيف من يكون على خلاف طريق النبى صلى الله عليه وسلم ، يفتح باب زيارة قبره ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسى الله وأعرض عن كلامه وطلب متاع الحياة الفانية ، فان كنت شفيقا على المسلمين فبالأولى أشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أحيا ما اندرس من ملل الأنبياء المرسلين واتى مصدقا لما بين يديه من الكتب فجميع الأنبياء عليهم السلام لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يتمنون أن يكونوا من أمته . ومن حضر بعثته ومن بعدهم لا يقبل منه دين غير دينه ، فطهر نفسك أولا بالدخول فى ملته ، ثم أشفق على أمته بسلوك سنته . فعند هذا تكون

الشفيق ، ومن غير هذا فمالك من المحقين رفيق . كيف وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فانه منهم . ان الله لا يهدى القوم الظالمين » إلى أن قال « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الذكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ، فان حزب الله هم الغالبون » . وإننا قد امتثلنا أمر الله فما نتخذ وليا إلا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالغلبة كما سمعته من قول الله هذا ، حيث أن الله يقول هم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فان رجعت عما أنت عليه من ملة غير الاسلام ، وأنبت إلى الله ورسوله واخترت الآخرة تتخذك وليا وتكون من إخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله ، وتكون ممن امتثل أمر الله بعد هذه الآيات ، فاستحق الوعد والبشارة فى قوله تعالى « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولا دخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم — الآية » فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيها بيننا وبينك وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت ، باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، عيسى وجميع الرسل والنبيين ، وحزت الخير الأبدى ، وإلا حيث علمت أن حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم أن حزب الله واصل اليك ومزيل لك عما شاركت به خالقك فادعيت ملك عباده وأرضه ، مع أن الأرض لله يورثها عباده الصالحين . وأما المسلمانيون(١) والمسيحيون الذين دعوت إلى اطلاقهم اليك فأنا اريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفى دار الأبد كما أريده لك ولكافة عباد الله ، فلا أبعدهم من جنتهم إلى محنتهم فان الله قد أيدنى رحمة للعباد لأنقذهم من الهلاك الذى هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهورى فيهم . واعلم أنى المهدى المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا حاجة لى بالسلطنة ولا بملك كردفان ولا غيرها ولا فى مال الدنيا ولا زخرفها . وإنما أنا عبد الله دال على الله وإلى ما عنده فمن كان سعيدا أجابنى واتبعنى . ومن كان شقيا أعرض عن دلالتى فازاله الله عن موضعه وأذله وعذبه عذاب الأبد ، وقد أيدنى الله تعالى بالأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وجميع الأولياء والصالحين لاحياء دينه . وقد بشرنى النبى صلى الله عليه وسلم

(١) تعبير قصد به الأجانب الذين تظاهروا بالاسلام وبالايمان بالمهدية

أن جميع من يلقانى بعداوة يخذله الله ويهزمه . ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تغتر فتهلك كما هلك إخوانك . فافهم وسلم تسلم . وأما الهدية التى أرسلتها لنا فعلى حسب نية الخير جزاك الله الخير وهداك إلى الصواب ، واعلم أنه كما كتبنا لك أنا لا نرغب متاع الحياة الدنيا وزينتها ، وإنما هى قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فهاهى مرسولة اليك مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولاصحابنا الذين يريدون الآخرة ويرغبون فيما عند الله من الخير الباقى الأبدى ليستحقوا بذلك نعيم الأبد وملك الدوام ، كما درج على ذلك الأنبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد الله الصالحين . وتعلم ذلك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحوارييه وقد قال : « كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدى » . فتعلم بذلك أن من خالفه من الأحبار والرهبان وجميع من يدعى اتباعه ليسوا محقين . وإنما غرتهم الحياة الفانية والامتعة الآيلة إلى أن تكون جيفة وعذرة ثم عدما محضا ، فتكون حسرة وندما عند فراقها لما فوتته من اكتساب خيرات الدوام . ثم أن مثل هديتك عندنا كثير . ولكن أعرضنا عنه طلبا لما عند الله . وأقول فى ذلك كما قال سليمان عليه السلام لبلقيس وقومها « أتمدوننى بمال . فما آتانى الله خيرا مما آتيكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » . واعلم أنك إذا أتيتنا مسلما نريك ونريك من النور ما يطمئن به قلبك ويزول به طمعك فى الدنيا وما فيها . ثم بعد ذلك إن رأينا فيك خيرا وصلاحا للمسلمين ، ولينالك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد المشهور بزقل مدير « دارا » سابقا . فانه لما أتانا ورأى الحق وفرح بلقائنا غاية وندم على ما فات مما صنعه من عمره الفانى واطمأن قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله ، ولياه على دارفور ، وقد كتب لنا قبل ذلك « عبدالقار سلاطين » (١) بالتسليم فأكرمناه وإلى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن فى خير كثير . وكذلك السيد جمعه الذى كان مدير الفاشر الآن أرسلنا إلى محمد خالد المذكور يأتى به الينا لكمال التربية والارشاد . وبلغنا حسن اسلام « الدمترى سجاده » وصدق اتباعه لنا وإنابته للآخرة . وكذلك جميع أمراء النقط بدارفور وقد أذعنوا لله كباقى سلاطين دارفور ، وسلموا جميعا أمرهم الينا فى حب الله ورسوله

---

(١) عبد القادر سلاطين هو رودولف سلاتين باشا نمسوى ومدير دارفور ، أذعن للمهدية وتظاهر بالاسلام فأسمى « عبد القادر » ثم هرب فى عهد التعايشى

فحسن تسليمهم واتباعهم لنا وكذلك « الملك آدم » بك (١) جبال تقلى الآن ، أتى مهاجرا لما رأى الحق وحسن اتباعه وصدقه ، وقد أكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير . وهلم جرا : فكل سعيد لابد أن يتصل بنا من جميع أقطار الأرض ومن أبى لابد أن يخذله الله ويعذبه فى الآخرة كما أشار إلى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم مراراً . وليكن معلوما عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدى قد أنذرتهم أولا إنذارا بليغا . وها هو واصل اليك إنذار ولد الشلال بعد مخاطبته لى وإنذار هكس بأجوبة عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولأكابر جيشه . وقد أرسلنا إلى باشة الأبيض (٢) بجواب فقتل رسلنا . وبعد أن وقع فى يدنا أكرمناه وأعطيناه جبة جميلة . ليتدرج إلى الصدق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقتدى بنا ويصدق مع الله فيكون من الأصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق . ولا زال يقع فيما يهلكه ونحن نصفح عنه حتى أخذته نيته فمات . ومع ذلك لأجل مبايعته ومجالسته معى إياما قدأتانا خبر بعد موته أنه عفى عنه فى الآخرة ، فصار من السعداء والعبد اذا كان يسعد فى الآخرة فهو المقصود ولا خير فى الدنيا ولا فى نعيمها . بل إنما متاعها يكثر الحسرة والحبس فقط يوم القيامة . ونيتى بالعباد سعادتهم فى آخرتهم الأبدية وإزالة الهلاك عنهم من الله . ولذلك لاطفت جميع الأكابر وأهل الدولة بالقول والفعل ليعرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه ويتركوا الخسيس الفانى . وهكذا جميع من وقع فى قبضتنا من الأكابر من أهل الدولة والحكام . ما عملنا معه إلا الخير والاكرام . فمن صدق منهم معنا ، فهم الآن فى خير كثير وازدياد شرف والسلام — جماد أول سنة ١٣٠١

« وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لى واتبعتنى حزت شرف الدنيا والآخرة وفزت بأجرك وبأجر جميع من اتبعك ، وإلا هلكت ، فكان عليك اثمك ومثل آثام جميع من اتبعك ، وان كان لك حسن نور فى العقل تعلم انى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا تتهمنى فيما أسوق به إلى الله والدار الآخرة . ولا تسمع على قول الظالمين الحساد ، الذين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ، ويأبى إلا

---

(١) ملك من ملك . وفى السودان ، خاصة القديم والجنوبى ، يكثرون من تسمية نظار القبائل والعمد بالملك يعنى « ملك » . وبقيت لفظ « ملك » من بنية اسماء الأشخاص وتشير فقط إلى كبير الاسرة عند ما كان يسمى ملك

(٢) هو محمد سعيد باشا مدير كردفان وعاصمتها الأبيض

أن يتم نوره . وقد قال صلى الله عليه وسلم من شك فى نصرة المهدى ، فليقرأ قوله تعالى « هو الذى أرسل رسوله « بالهدى » ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون» ، وقوله تعالى : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » . ولزيادة الشفقة عليكم لزمت التحشية بهذا . والهادى هو الله وكثرة البيان لا تهدى . هدانا الله والعباد إلى الصواب . آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وأرسل المهدى مع الكاتب السابق الكتات التالى :

« الحمد لله الولى الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم « وبعد » فمن عبد ربه الفقير إلى الله محمد المهدى بن عبد الله إلى غردون باشا باطلاعك على ما تدون بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى الذين لايبالون بما فات من المشتهيات طلبا لعالى الدرجات . وهى جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقية وحزام وسبحة . فان أنبت إلى الله وطلبت ماعنده فلا يصعب عليك أن تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وهاهو الرسول الذى أتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام

« صورة ما كتبه المهدى على ظهر المظروف الذى أرسل إلى غردون » : « سألتك بحق الله ونبيه عيسى عليه السلام أن تقف على أجوبتنا هذه بالحرف وقد أبلغنى محمد سعيد المسلمانى الذى يسمى جورجو اسلامبوليه أن رجلا يسمى السيد افندى نعيم الاجزائى له معرفة بلغتكم وبالخط العربى وما دام أنه يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على ما فى هذا الظرف جميعه حرفيا على يد المذكور أو من هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته والسلام — اه »

* * *

وقدم على غوردون رسولان مع رسوله يحملان الكتب والهدية التى هى جبة مرقعة وسراويل وعمامة كلها من نوع قماش اسمه « الدمور » يصنع فى السودان

ولما وصل الرسولان إلى الخرطوم أشهرا سيفيهما فأمرهما ضابط باب الحصن باغمادهما فلم يطيعاه فأمر غوردون بالمحافظة عليهما حتى يصلا إلى السراى وهاج أهل الخرطوم عليهم ، وهم الصبيان والرعاع برجمهما بالحجارة فمنعوا ولما دخلا على غردون قالا له « السلام على من اتبع الهدى » وسلماه الكتب والهدية ولما رأى الهدية غضب وركلها برجليه وقال « غوديم » ثم اطلع على الكتب وأبقى

الرسولين عند حاجب السراى ريثما كتب للمهدى كتابا قال فيه « أننى أدعوك الى السلم وأنت تدعونى الى الحرب وأدعوك الى حقن الدماء وأنت لاتميل الا الى سفكها فأقول لك الآن لابد من قهرك وكبح جماح طغيانك ومهما يكن عندك من الاتباع فلابد أن ترضخ صاغراً أو تهلك حيال قوتى الحكومة الخديوية والدولة الانكليزية » . ومنذ ذلك تغيرت سياسة غوردون ، فأصبح يرى وجوب إخضاع الثوار والمهدى

وعاد الرسولان الى المهدى واشتغل غوردون بمخابرة مصر ولوندره بالتلغرافات.

سياسة المهدى مع كتبه : ويؤخذ من كتب المهدى — فيما تقدم — مايلى

١ — أن الدعوة المهدية دعوة دينية إسلامية عامة للامم كافة من مسلمة ومسيحية وغيرها ، وأنها ليست بدعوة لاقامة حكم واحتلال بلاد فقط .

٢ — أن المهدى قد « حاول » محاكاة كتب النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه فى الدعوة إلى الاسلام

٣ — أن المهدى له نصيب من الذكاء السياسى - فى محاولته اقناع غوردون - بالحجج - ليؤمن بالمهدية ، وأنه يجنح إلى التهديد مرة وإلى الترغيب مرة أخرى

رأى الخديو توفيق فى مهمة غوردون — والظاهر أن الخديو كان مرتابا فى نجاح مهمة غوردن بالطريقة السلمية التى كان متمسكا بها ولذلك صرح الخديو للبارون دى مالورتى بما يأتى وقد نشر البارون التصريح فى الصحف الانجليزية الكبيرة كما يأتى :

« لم يكن فى استطاعتى أن أبدى دليلا على حسن مقاصدى بأحسن من تعيين غردون باشا حكمدارا عاما للسودان ومنحه كل السلطة فى عمل ما يراه ضروريا لاصابة الغرض الذى ترمى اليه حكومتى وحكومة جلالة الملكة . حتى أنى قلدته نفس السلطة المخولة لى وتركت له الحكم على الحالة الراهنة ولاريب فى أن ما يستطيع اتيانه من الأعمال أحسن ما يكون . وقد قبلت سلفا ما يمكن أن يقترحه من الوسائل إلى ذلك اذ مايراه حسنا من التصرفات يكون الزامياً بالنسبة الينا. ثم أنى بعد أن جعلت عظيم ثقتى بهذه الكيفية فى هذا الباشا لم أشترط عليه إلا شرطا واحدا وهو أن يبذل عنايته فيما فيه طمأنينة العناصر المتمدنة من أوروبيين ومصريين . وها قد أصبح الآن الرئيس المفوض يرافقه حسن آمالى فى هذه المأمورية التى هى من الخطارة والأهمية

بمكان فان قلبي يذوب عند ما أفكر فى الألوف المؤلفة من رعاياى المخلصين الذين تكفى غلطة منهم لهلاكهم . وإنى لا أشك فى أنه سيبذل كل ما فى وسعه لحقن دماء أكثرهم على الأقل . فان نجح بعون الله فى إخلاء الخرطوم وأهم موانى السودان الشرقى فله الشكر مدى الدهر على رعيتى التى ترتعد فرائصها من توقع ما يخشى حصوله بعد حين . أما قولى لك أنه ينجح فى مأموريته فهو من قبيل المجازفة منى فى الكلام كثيرا فان أمامه قوات أكثر منه عددا وأهوالا . غير أنا نرجو الخير وأما هو فيمكنه أن يعتمد على أصدق مساعدة وأسرع معونة منى أنا وحكومتى بقدر ما تصل اليه يد الامكان »

على أن غوردون لم يكن جاهلا بكنه تلك النية ولهذا كان يرسل التلغرافات تترى ويدون المذكرات ليقنع قومه بالعدول عن سياسة الأخلاء وليجعل التاريخ حكما بينه وبين قومه لاعتقاده أن تلغرافاته ومذكراته لابد أن تنشر على الجمهور ويطلع عليها العالم أجمع وهم لابد أن يحكموا له لاعليه .

وقد تحققت أمنيته حيث نشرت الحكومة البريطانية تلك المذكرات والتلغرافات فى كتبها الزرقاء وكان لها من الأهمية فوق ما كان يتمناه صاحبها وقد دارت مباحث كثيرة بشأنها فى أندية انجلترا وبرلمانها ومجلس لوردانها وأهم هاته التصريحات ما فاه به مستر غلادستون فى مجلس العموم حيث قال « أن حكومة جلالة الملكة تأخذ على عاتقها مسئولية المأمورية التى ألقيت مقاليدها إلى غردون أدبيا وسياسيا وأنها ستعمل كل ما فى وسعها للوصول إلى نتيجة مرضية »

ثم فاه غلادستون أيضا بتصريح أوضح من هذا حيث قال « أن مهمة غردون هى إخلاء السودان وانقاذ موظفى الحكومة ثم قال ان ثقتنا به عظيمة . ولسنا مبالغين فى شىء من روايتنا واننا عقدنا النية على أن لا نفاجأه بعمل دون استشارته وأخذ رأيه » .

وأرسل غوردون تلغرافا فى أول مارس سنة ١٨٨٤ إلى السير بارنج (١) جاء فيه ما يأتى :

« لم أزل أعتقد كمال الاعتقاد أن إخلاء السودان ممكن لكن أقول لك أنه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الخرطوم إذا لم تساعدنى الحكومة فى الطريق الذى أوضحته لها »

---

(١) السير افلن بارنج هو الذى اصبح اسمه « اللورد كرومر »

فأجابه السير بارنج بتاريخ ٢ مارس بالرسالة الآتية :

« قد وصل إلى الاحدى عشر رسالة التلغرافية المرسلة إلى فى الأربعة أيام الأخيرة بخصوص مسائل السياسة العامة وانى شديد الرغبة فى مساعدتك بكل طريقة . لكنى لم أتمكن من معرفة ما ترغبه للآن وأرى أن أحسن طريقة هى أن تلخص المسألة جيداً وتخبرنى تلغرافيا بما تستصوبه »

فأجابه غردون تلغرافيا بما يلى : (١)

« يجب على الحكومة مساعدتى وأن إجابة مطالبى ضربة لازب » .

واليك تلغراف السير بارنج إلى اللورد غرانفيل بتاريخ ٤ مارس حيث قال ما يأتى

« ان الجنرال غردون والسير ستيوارت يلحان بوجوب فتح الطريق بين سواكن وبربر لنجاح مأموريتهما الحاضرة . أما أنا فلا يمكننى تعضيد ما جاء بتلغراف ستيوارت من ارسال فرقة من الخيالة الانكليزية أو الهندية الى سواكن »

وأرسل السير بارنج الى اللورد غرانفيل الرسالة الآتية أيضاً

« أتشرف بأن أخبر سعادتكم أن الجنرال غردون كتب إلى تلغرافياً بأننا لو أرسلنا مائة جندى إلى أصوان ووادى حلفا يأمن من كل خطر ويكون فى حالة اطمئنان كالسواح المسافرين فى النيل وينتج منها تحويل صغير . أما أنا فلا أريد مطلقا أن أخاطر بحياة فرقة صغيرة مؤلفة من مائة جندى فقط »



الجنرال غرانفيل باشا الذى عين في سنة ١٨٨٥ سردارا للجيش المصرى خلفا للجنرال وود باشا الذى استقال ، وهو غير اللورد غرانفيل الوزير

(١) راجع رسائل غوردون والكتاب الأزرق الانجليزى عن السودان

وكان قصد غوردون من هذه الرسائل مع السير بارنج أن يكون التاريخ حكما بينه وبين حكومته الانجليزية كما قدمنا . ولذا بعث بتلغرافات قبل وصوله إلى الخرطوم فحواها أن الاضطرابات أقل مما كان يظن وأنه يرى أن لا مندوحة له عن تمحيص حكومة جلالة الملكة النصح بتسكين الاضطراب فى السودان الشرقى وتقوية خطوط الاتصال بين بربر وشواطىء البحر الأحمر من جهة وبين حدود مصر من جهة أخرى ، وحاول اقناع السير بارنج بأن السودان مفتقر الافتقار كله إلى إشراف الحكومة الخديوية عليه بما لها من حقوق السيادة وسأله إبدال الفرمان الذى كان يحمله بآخر يحتم على السودان وجوب الخضوع إلى مصر فذهبت مساعيه كلها أدراج الرياح وكان غوردون يرى - بعد فشل سياسة الملاينة - أن وقوع السودان فى قبضة المهدى سيكون خطرا على مصر وأن احتلال انكلترا لوادى النيل يحتم عليها العمل عاجلا لابعاد الأخطار عن البلاد التى احتلوها بحجه توطيد دعائم الأمن والراحة فى إرجائها

وجاء ضمن نصائحه أن حكومة جلالة الملكة ستضطر يوما لمناجزة المهدى وكبح جماح طغيانه وسوف تتكبد من الضحايا ما يبلغ عشرة أضعاف ما تتكبده الآن لو عملت بمشورته وقبلت نصيحته فلم يلتفت السير بارنج إلى شىء من ذلك كله بل أصر على انفاذ ما رسمه ساسة قومه غير مكترث لشىء من الضحايا التى يتكبدها سكان السودان عموما وسكان الخرطوم خصوصا ، وأخيرا لما تعرض له غوردون نفسه من هلاك محقق

اللواء ابراهيم فوزى باشا

كان المرحوم اللواء ابراهيم فوزى باشا مع غوردون فى فتوحاته الجنوبية وعاونه على إصلاحاته حتى استتب الامن فى هذه الجهات الاستوائية المتنائية مما عاد إلى السودان بتأمين مواصلاته بعد أن فتك بالنخاسين وكانوا أصحاب النفوذ والسلطان فاخضعهم لسيطرة الحكومة (١)

ولد ابراهيم فوزى بالقاهرة ودخل المدرسة الحربية فى عهد اسماعيل وبعد تخرجه الحق بالخدمة فى حكمدارية السودان وكان حكمدارها اسماعيل باشا أيوب . ولما وصل غوردون إلى الخرطوم لاول مرة وكان معينا مديرا مستقلا للمقاطعات الاستوائية طلب من الحكمدارية انتخاب بعض الضباط ليعاونوه فى مهمته ، فامتنع أكثرهم عن قبول الخدمة معه لبعد الشقة وعذاب السفر ومكافحة الاقوام المتوحشة التى يقصد غوردون اخضاعها ، ولكن الضابط ابراهيم فوزى أظهر رغبته فى مصاحبة غوردون لخدمة بلاده فشكر له غوردون هذه الرغبة وفوض له أمر فرز الجنود وتدريبها

(١) محمود ذو الفقار الكاشف

وبعد أن تم إعداد البواخر لسفر الحملة ولاه قيادتها فسافرت البواخر عابرة النيل الابيض فبحر الزراف فبحر الجبل إلى أن وصلت إلى البحيرات الكبرى ، وهو فى خلال هذه الرحلة الشاقة يقودهم من نصر إلى نصر ، مقاوما الزنوج ونجار الرقيق إلى أن تم لغوردون بسط النفوذ المصرى على جميع الجهات الاستوائية ، فكافأه على بطولته بان عينه مديرا لبحر الغزال ثم مديرا للمقاطعات الاستوائية الجديدة



المرحوم اللواء ابراهيم فوزي باشا

وبسبب وشاية قبلها غوردون فصل من وظيفته ولما تحقق غوردون من كذب هذه الوشاية التمس من الخديوى اسماعيل إعادته إلى الخدمة .

ولما وقعت الثورة العرابية كان المترجم له قائدا للفرقة التى عسكرت فى أبى قير لمقاومة نزول الانكليز ثم حوكم مع رفقائه الذين والوا العرابيين ، فحكم عليه بالتجريد من رتبه والقابه ونياشينه التى نالها بالمتاعب والمشاق واقتحام الأهوال فى فتوحات خط الاستواء

ولما ندبت وزارة نوبار « غوردون » لاخلاء السودان أرسل برقية عند ابحاره

إلى وود باشا ، سردار الجيش المصرى ، بضرورة مرافقة الضابط ابراهيم فوزى له فى هذه المهمة الخطيرة ، ولما وصل إلى القاهرة التمس من الخديوى توفيق العفو عنه فردت اليه رتبه ونياشينه وصحب غوردون إلى الخرطوم وتولى قيادة حاميتها وانتصر على الدراويش فى وقائع كثيرة أهمها واقعة الحلفاية التى جرح فيها جرحا بليغا وظل مع غوردون إلى أن سقطت المدينة فى ٢٥ يناير سنة ١٨٨٥ فاسره الدراويش وعذبوه تعذيبا وتزوج وهو فى الأسر وبقى يقاسى آلام الاسر والسجن أربعة عشر عاما إلى أن أنقذه اللورد كتشنر فى سبتمبر سنة ١٨٩٨

ولابراهيم فوزى باشا كتاب تاريخى فى جزءين اسمه « السودان بين يدى غوردون وكتشنر »



البارون السير اللواء رودلف فون سلاطين باشا

كان ضابطا نمسويا وعينه غوردون مفتشا للمالية بالسودان ثم رقى مديرا لدارفور حيث أسر وتظاهر بقبول الاسلام والمهدية وسمى عبد القادر ثم هرب . وبعد إعادة السودان أصبح مفتشا عاما حتى سنة ١٩١٤ فلم يعد من النمسا بسبب الحرب ثم مات سنة ١٩٣٢ ، بعد أن زار السودان بعد الحرب وكان محل ثقة ونجت باشا

الفصل الخامس والعشرون

مسألة المهدى المنتظر

من الأخبار المتواترة فى البلاد الاسلامية أنه يظهر فى آخر الزمان رجل عظيم يسمى « المهدى » ينقذ الأمة الاسلامية والعالم من الفوضى التى نشبت أظفارها ومن المجاعات والظلم .

وأورد المعتقدون فى ظهور المهدى أحاديث نبوية . وقال خصومهم أنها أحاديث موضوعة

المهدى المنتظر والأحاديث النبوية الواردة بشأنه

كتب ابن خلدون فى مقدمته ص ٢٦٠ تحت عنوان - « الفصل الثانى والخمسون »

« اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار أنه لابد فى آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدى ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة فى الصحيح على أثره وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدى فى صلاته ويحتجون فى هذا الباب بأحاديث خرجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك ، وربما عارضوها ببعض الأخبار ، وللمتصوفة المتأخرين فى أمر هذا الفاطمى طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون فى ذلك على الكشف الذى هو أصل طرائقهم ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة فى هذا الشأن وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم فى انكارها من المستند ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة ورأيهم ليتبين لك الصحيح من ذلك إن شاء الله تعالى . فنقول إن جماعة من الأئمة خرجوا أحاديث المهدى منهم الترمذى وأبو داود والبزار وابن ماجه والحاكم والطبرانى وأبو يعلى الموصلى وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل على وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وأبى هريرة وأنس وأبى سعيد الخدرى وأم حبيبه وأم سلمة وثوبان وقرة بن أياس وعلى الهلالى وعبد الله بن الحرث بن جزء بأسانيد ربما يعرض لها المنكرون كما

نذكره . إلا إن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل. فاذا وجدنا طعنا فى بعض رجال الاسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأى تطرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق إلى رجال الصحيحين فان الاجماع قد اتصل فى الأمة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما وفى الاجماع أعظم حماية وأحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابتهما فى ذلك فقد تجد مجالا للكلام فى أسانيدها بما نقل عن أئمة الحديث فى ذلك : ولقد توغل أبو بكر ابن أبى خيثمة على ما نقل السهيلى عنه فى جمعه للاحاديث الواردة فى المهدى فقال مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدى فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كفر وقال فى طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب وحسبك هذا غلوا والله أعلم بصحة طريقه الى مالك ابن أنس . على أن أبا بكر الاسكاف عندهم متهم وضاع . أما الترمذى فخرج هو وأبو داود بسنديهما الى ابن عباس من طريق عاصم بن أبى النجود أحد القراء السبعة الى زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى أو من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى . هذا لفظ أبى داود وسكت عليه وقال فى رسالته المشهورة أن ماسكت عليه فى كتابه صالح ولفظ الترمذى لاتذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى وفى لفظ آخر حتى يلى رجل من أهل بيتى . وكلاهما حديث حسن صحيح ورواه أيضاً من طريق موقوفا على أبى هريرة وقال الحاكم رواه الثورى وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما أصلته من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو إمام من أئمة المسلمين انتهى . إلا أن عاصما قال فيه أحمد بن حنبل كان رجلا صالحا قارئا للقرآن خيراً ثقة والاعمش احفظ منه وكان شعبة يختار الأعمش عليه فى تثبيت الحديث وقال العجلى كان يختلف فى زر وأبى وائل يشير بذلك إلى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد كان ثقة إلا أنه كثير الخطا فى حديثه وقال يعقوب بن سفيان فى حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم قلت لأبى أن أبا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سىء الحفظ وقال أبو حاتم محله عندى محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول النسائى وقال ابن حراش فى حديثه

نكرة وقال أبو جعفر العقيلى لم يكن فيه إلا سوء الحفظ وقال الدارقطنى فى حفظه شىء وقال يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم إلا وجدته ردىء الحفظ وقال أيضاً سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم ابن أبى النجود وفى الناس مافيها وقال الذهبى ثبت فى القراءة وهو فى الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو حسن الحديث وان احتج أحد بأن الشيخين أخرجا له فنقول أخرجا له مقرونا بغيره لا أصلا والله أعلم . وخرج أبوداود فى الباب عن على رضى الله عنه من رواية قطن بن خليفة وأن وثقه أحمد ويحيى بن القطان وبن معين والنسائى وغيرهم إلا أن العجلى قال حسن الحديث وفيه تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعى وقال احمد بن عبد الله بن يونس كنا نمر على قطن وهو مطروح لا نكتب عنه وقال مرة كنت أمر به وأدعه مثل الكلب وقال الدارقطنى لايحتج به وقال أبو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه إلالسوء مذهبه وقال الجارجانى زائغ غير ثقة انتهى . وخرج أبو داود أيضاً بسنده إلى على رضى الله عنه عن مروان بن المغيرة عن عمر بن أبى قيس عن شعيب بن أبى خالد عن أبى اسحق النسفى قال قال على ونظر إلى ابنه الحسن أن ابنى هذا سيدكما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق يملأ الأرض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن أبى قيس عن مطرف بن طريف عن أبى الحسن عن هلال بن عمر سمعت علياً يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحرث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته سكت أبو داود عليه وقال فى موضع آخر فى هرون هو من ولد الشيعة وقال السليمانى فيه نظر وقال داود فى عمر بن أبى قيس لا بأس به فى حديثه خطأ وقال الذهبى صدوق له أوهام وأما أبو اسحق الشيعى وان خرج عنه فى الصحيحين فقد ثبت أنه اختلط آخر عمره وروايته عن على منقطعة وكذلك رواية أبى داود عن هرون بن المغيرة : أما السند الثانى فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجهولان ولم يعرف أبو الحسن إلا من رواية مطرف بن طريف عنه انتهى . وخرج أبو داود أيضاً عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدى من ولد فاطمة ولفظ الحاكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدى فقال نعم هو حق ومن بنى فاطمة ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره وقد ضعفه أبو جعفر العقيلى وقال لايتابع على بن

نفيل عليه ولا يعرف إلا به وخرج أبو داود أيضاً عن أم سلمة من رواية صالح أبى الخليل عن صاحب له عن أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام فيبعث إن بعث من الشام فيخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أحواله كلب فيبعث اليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الاسلام بجرانه على الأرض فيلبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه أبو داود من رواية أبى الخليل عن عبد الله بن الحرث عن أم سلمة فتبين بذلك المبهم فى الاسناد الأول ورجاله رجال الصحيحين لامطعن فيهم ولا مغمز وقد يقال أنه من رواية قتادة عن أبى الخليل وقتادة مدلس وقد عنعنه والمدلس لايقبل من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع ، مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى نعم ذكره أبو داود فى أبوابه وخرج أبو داود أيضاً وتابعه الحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين هذا لفظ أبى داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدى منا أهل البيت أشم الأنف أقنى أجلى يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جورا وظلماً يعيش هكذا وبسط يساره وأصبعين من يمينه السبابة والابهام . وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه اه وعمران القطان مختلف فى الاحتجاج به انما أخرج له البخارى استشهادا لا أصلا وكان يحيي القطان لا يحدث عنه وقال يحيي بن معين ليس بالقوى . وقال مرة ليس بشيء وقال أحمد بن حنبل أرجو أن يكون صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حرورياً وكان يرى السيف على أهل القبلة وقال النسائى ضعيف وقال أبو عبيد الآجرى سألت أبا داود عنه فقال من أصحاب الحسن وما سمعت إلا خيرا وسمعته مرة أخرى ذكره فقال ضعيف أفتى فى أيام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بفتوى شديدة فيها سفك الدماء وخرج الترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى سعيد الخدرى من طريق زيد العمى عن أبى الصديق التاجى عن أبى سعيد الخدرى قال خشينا أن يكون بعض شيء حدث فسألنا نبى الله صلى الله عليه وسلم. فقال أن فى أمتى المهدى يخرج ويعيش خمسا أو سبعا أو تسعا

زيد الشاك قال قلنا وما ذاك قال سنين قال فيجيء اليه الرجل فيقول يامهدى أعطنى قال فيحثو له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله هذا لفظ الترمذى . وقال حديث حسن وقد روى من غير وجه عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون فى أمتى المهدى ان قصر فسبع والا فتسع فتنعم أمتى فيه نعمة لم ينعموا بمثلها قط تؤتى الأرض أكلها ولايدخر منه شيء والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يامهدى اعطنى فيقول خذ انتهى . وزيد العمى وإن قال فيه الدارقطنى واحمد بن حنبل ويحيى بن معين أنه صالح وزاد أحمد أنه وفوق يزيد الرقاشى وفضل بن عيسى إلا أنه قال فيه أبو حاتم ضعيف يكتب حديثه وهو ضعيف وقال الجرجانى متماسك وقال أبو زرعة ليس بقوى واهى الحديث ضعيف وقال أبو حاتم ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائى ضعيف وقال بن عدى عامة مايرونه ومن يروى عنهم ضعفاء . على أن شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن أضعف منه وقد يقال أن حديث الترمذى وقع تفسيرا لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر أمتى خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدا ومن حديث أبى سعيد قال من خلفائكم خليفة يحثو الماء حثيا ومن طريق أخرى عنهما قال يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده انتهى . وأحاديث لم يقع فيها ذكر المهدى ولا دليل يقوم على أنه هو المراد منها ورواه الحاكم أيضاً من طريق عوف الاعرابى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض جوراً وظلماً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتى رجل يملؤها قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وعدواناً وقال فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم أيضاً من طريق سليمان بن عبيد عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج فى آخر أمتى المهدى يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطى المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا يعنى حججا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع أن سليمان بن عبيد لم يخرج له أحد من السنة لكن ذكره ابن حبان فى الثقات ولم يرد أن أحدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم أيضاً من طريق أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وأبى هرون العبدى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الأرض

جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتى فيملك سبعاً أو تسعاً فيملأ الأرض عدلا وقسطاً كاملئت جورا وظلماً وقال الحاكم فيه حديث صحيح على شرط مسلم وانما جعله على شرط مسلم لأنه أخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق وأما شيخه الآخر وهو أبو هرون العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جداً متهم بالكذب ولا حاجة إلى بسط أقوال الأئمة فى تضعيفه : وأما الراوى له عن حماد بن سلمة فهو أسد ابن موسى ويلقب أسد السنة وإن قال البخارى مشهور الحديث واستشهد به فى صحيحه واحتج به أبو داود والنسائى إلا أنه قال مرة أخرى ثقة لو لم يصنف كان خيرا له وقال فيه محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبرانى فى معجمه الأوسط من رواية أبى الواصل عبد الحميد بن واصل عن أبى الصديق الناجى عن الحسن بن يزيد السعدى أحد بنى بهدلة عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من أمتى يقول بسنتى ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرج الأرض بركتها وتملأ الأرض منه قسطاً وعدلا كما ملئت جورا وظلماً يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس وقال الطبرانى فيه ، رواه جماعة عن أبى الصديق ولم يدخل أحد منهم بينه وبين أبى سعيد أحداً إلا أبا الواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن أبى سعيد انتهى . وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبى حاتم ولم يعرفه بأكثر مما فى هذا الاسناد من روايته عن أبى سعيد ورواية أبى الصديق عنه وقال الذهبى فى الميزان أنه مجهول لكن ذكره ابن حبان فى الثقات وأما أبو الواصل الذى رواه عن أبى الصديق فلم يخرج له أحد من الستة وذكره ابن حبان فى الثقات فى الطبقة الثانية وقال فيه يروى عن أنس وروى عنه شعبة وعتاب بن بشر وخرج ابن ماجه فى كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن أبى زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتية من بنى هاشم فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى فى وجهك شيئا نكرهه فقال إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتى فيملؤها قسطاً كما ملؤها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج انتهى . وهذا الحديث يعرف عند المحدثين بحديث الرايات ويزيد

ابن أبى زياد راويه قال فيه شعبة كان رفاعا يعنى يرفع الأحاديث التى لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن الفضيل كان من كبار أئمة الشيعة وقال أحمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحى بن معين ضعيف وقال العجلى جائز الحديث وكان باخرة يلقن وقال أبو زرعة لين يكتب حديثه ولا يحتج به وقال أبو حاتم ليس بالقوى وقال الجرجانى سمعتهم يضعفون حديثه وقال أبو داود لا أعلم أحدا ترك حديثه وغيره أحب إلى منه وقال ابن عدى هو من شيعة أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فالأكثرون على ضعفه وقد صرح الأئمة بتضعيف هذا الحديث الذى رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشىء وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال أبو قدامة سمعت أبا أسامة يقول فى حديث يزيد عن ابراهيم فى الرايات لو حلف عندى خمسين يمينا قسامة ما صدقته أهذا مذهب ابراهيم أهذا مذهب علقمة أهذا مذهب عبد الله وأورد العقيلى هذا الحديث فى الضعفاء وقال الذهبى ليس بصحيح وخرج ابن ماجه عن على رضى الله عنه من رواية يس العجلى عن ابراهيم بن محمد ابن الحنفية عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدى منا أهل البيت يصلح الله به فى ليلة . ويس العجلى وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخارى فيه نظر وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية فى التضعيف جدا وأورد له ابن عدى فى الكامل والذهبى فى الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له وقال هو معروف به وخرج الطبرانى فى معجمه الأوسط عن على رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم أمنا المهدى أم من غيرنا يا رسول الله . فقال بل منا بنا يختم الله كما بنا فتح ربنا يستنقذون من الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما بنا ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك قال على أمؤمنون أم كافرون قال مفتون وكافر انتهى . وفيه عبد الله ابن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمى وهو أضعف منه قال أحمد بن حنبل روى عن جابر مناكير وبلغنى أنه كان يكذب وقال النسائى ليس بثقة وقال كان ابن لهيعة شيخا أحمق ضعيف العقل وكان يقول على فى السحاب وكان يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول هذا على قد مر فى السحاب وأخرج الطبرانى عن على رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يكون فى آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب فى المعدن فلا تسبوا أهل الشام ولكن

سبوا أشرارهم فان فيهم الابدال يوشك أن يرسل على أهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتى فى ثلاث رايات المكثر يقول هم خمسة عشر ألفا والمقلل يقول هم اثنا عشر الفا وأمارتهم أمت أمت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله إلى المسلمين الفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ودانيتهم » اهوفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه فى روايته ثم يظهر الهاشمى فيرد الله الناس إلى الفتهم الخ وليس فى طريقة ابن هليعة وهو إسنادصحيح كما ذكروأخرج الحاكم فى المستدرك عن على رضى الله عنه من رواية أبى الطفيل عن محمد ابن الحنفية قال كنا عند على رضى الله عنه فسأله رجل عن المهدى فقال على هيهات ثم عقد بيده سبعا فقال ذلك يخرج فى آخر الزمان إذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله له قوما قزع (١) كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلايستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد دخل فيهم عدتهم على عدة أهل بدر لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال أبو الطفيل قال ابن الحنفية أتريده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الأخشبين قلت لاجرم والله ولا أدعها حتى أموت ومات بها يعنى مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى . وإنما هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارا الذهبى ويونس بن أبى اسحق ولم يخرج لهما البخارى وفيه عمرو بن على العبقرى ولم يخرج له البخارى احتجاجاً بل استشهاداً مع ما ينضم إلى ذلك من تشيع عمار الذهبى وهو وإن وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم النسائى وغيرهم فقد قال على بن المدينى عن سفيان أن بشر بن مروان قطع عرقوبية قلت فى أى شىء قال فى التشيع

وأخرج ابن ماجة عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى رواية سعد بن عبد الحميد ابن جعفر عن على بن زياد اليمامى عن عكرمة بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى انتهى . وعكرمة ابن عمار وإن أخرج له مسلم فانما أخرج له متابعة وقد ضعفه بعض ووثقه آخرون . وقال أبو الحاتم الرازى هو مدلس فلا يقبل إلا أن يصرع بالسماع وعلى بن زياد قال الذهبى فى الميزان لاندرى من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد

(١) بضم أوله وفتح الزاى ممنوع من الصرف كأخر أه

ابن عبد الحميد وإن وثقه يعقوب بن أبى شيبة وقال فيه يحيى بن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثورى قالوا لأنه رآه يفتى فى مسائل ويخطىء فيها وقال ابن حبان كان ممن فحش عطاؤه فلا يحتج به وقال أحمد بن حنبل سعد بن عبد الحميد يدعى أنه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك وهو ههنا ببغداد ولم يحتج فكيف سمعها وجعله الذهبى ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم فى مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لى ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لى ابن عباس لو لم أسمع أنك من أهل البحث ما حدثتك بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه فى سترك أذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس منا أهل البحث أربعة : منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدى . قال فقال مجاهد بين لى هؤلاء الأربعة فقال ابن عباس أما السفاح فربما قتل أنصاره وعفا عن عدوه وأما المنذر أراه قال فانه يعطى المال الكثير ولا يتعاظم فى نفسه ويمسك القليل من حقه وأما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يرهب منه عدوه على مسيرة شهر وأما المهدى فانه الذى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً وتأمن البهائم السباع وتلقى الأرض أفلاذ كبدها قال قلت وما أفلاذ كبدها قال أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة اه وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه واسماعيل ضعيف وابراهيم أبوه وإن خرج له مسلم فالأكثرون على تضعيفه اه : وأخرج ابن ماجة عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق ثم قال لا تقوم نزعة من الدعاء إلى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمى ولا غيره وإنما ينزع منهم فى بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ويعتنى بذلك ويكثر تابعه وأكثر ما يعنون باصلاح السابلة لما أن كثر فساد الاعراب فيها لما قدمناه من طبيعة معاشهم فيأخذون فى تغيير المنكر بما استطاعوا إلا أن الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين إنما يقصدون بها الاقتصار عن الغارة والنهب لا يعقلون فى توبتهم وإقبالهم إلى مناحى الديانة غير ذلك لأنها المعصية التى كانوا عليها قبل المقربة ومنها توبتهم فتجد ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمقين فى فروع

الاقتداء والاتباع إنما الأعراض عن النهب والبغى وإفساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم وشتان بين هذا الآخر فى اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا فاتفاقهم ممتنع لا تستحكم له صبغة فى الدين ولا يكون له نزوع عن الباطل على الجملة ولا يكثرون و يختلف حال صاحب الدعوة معهم فى استحكام دينه وولايته فى نفسه دون تابعه. فاذا هلك انحل أمرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بأفريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم بن مرة بن أحمد فى المئة السابعة ثم من بعده لرجل آخر من بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعاده وكان أشد دينا من الأول وأقوم طريقة فى نفسه ومع ذلك فلم يستتب أمر تابعه كما ذكرناه حسبما يأتى ذكر ذلك فى موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها وينتحلون اسم السفة وليسوا عليها إلا الأقل فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شىء من أمرهم اه

أخبرنى شيخنا محمد بن ابراهيم الابلى قال خرج برباط ماسة لأول المئة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلى التصوف يعرف بالتويزرى نسبة إلى توزر مصغرا وادعى أنه الفاطمى المنتظر واتبعه الكثير من أهل السوس من ضالة وكزولة وأعظم أمره وخافه رؤساء المصامدعلى أمرهم فدس عليه السكسوى من قتله بياتا وانحل أمره . وكذلك ظهر فى غمارة فى آخر المئة السابعة وعشر التسعين منهم رجل يعرف بالعباس وادعى أنه الفاطمى اتبعه الدهماء من غمارة ودخل مدينة عنوة وحرق أسواقها وارتحل إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا النمط وأخبرنى شيخنا المذكور بغريبة فى مثل هذا وهو أنه صحب فى حجه فى رباط العباد وهو مدفن الشيخ أبى مدين فى جبل تلمسان المطل عليها رجلا من أهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعا معظما كثير التلميذ والخادم . قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات فى أكثر البلدان قال وتأكدت الصحبة بيننا فى ذلك الطريق فانكشف لى أمره وأنهم إنما جاءوا من موطنهم بكربلاء لطلب هذا الأمر وانتحال دعوة الفاطمى بالمغرب فلما عاين دولة بنى مرين ويوسف بن يعقوب حينئذ منازل ترمسان قال لأصحابه ارجعوا فقد أزرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا ويدل هذا القول من هذا الرجل على إنه مستبصر فى أن الأمر لا يتم إلا بالعصبية المكافأة لأهل الوقت فلما علم أنه غريب فى ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بنى مرين لذلك العهد لا يقاومها أحد من أهل المغرب استكان ورجع إلى الحق وأقصر

على مطامعه وبقى عليه أن يستيقن أن عصبية الفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لاسيما فى المغرب إلا أن التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، اهـ

مفندو المهدية — وهناك فقهاء قاموا بتفنيد الدعوة المهدية ومنهم الشيخ محمد الزاكى ود الزاكى ومحمد الأمين يوسف الهندى والدالشريف يوسف الهندى وشاكر الغزى وقد وضع رسالة فى الرد على الدعوة المهدية وكان مفتيا لمجلس استئناف السودان ومحمد نور أحمد من عمد بارة والسيد أحمد الأزهرى بن الشيخ اسماعيل الولى الكردوفانى شيخ الاسلام فى عموم غرب السودان ، والشيخ محمد شريف نور الدائم استاذ المهدى(١) فى التصوف . وصدرت فتوى من علماء الازهر ومنشور من السلطان عبد الحميد خان الثانى بتفنيد الدعوة المهدية واستهجانها والتحذير منها

مدعو المهدية — أدعى المهدية كثيرون - ظهروا فى بلاد العرب ومراكش والهند وأمريكا وغيرها : ومثالهم : محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية سنة ١٤٥هـ فى عهد الخليفة المنصور ثانى الخلفاء العباسيين ، الذى قتله بعد أن استفحل أمره . وعبد الله المهدى بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق مؤسس الدولة الفاطمية . ومحمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدى الهرغى ويكنى أبا عبد الله من مراكش ، وقد أسس دولة بنى عبد المؤمن . والعباس الفاطمى فى فاس ، والسيد أحمد ، على حدود بنجاب بالهند ، ومهدى السومال «الملا» الذى ظهر فى بلاد السومال فى آخر القرن الماضى ، ومحمد المهدى السنوسى ، ومهدى تامة الأول - وهو فقيه من قرية الجميزة ادعى أنه المهدى المنتظر ولكنه قتل . وظهر دعى آخر اسمه أحمد بن عبد الله من الجميزة وقد قتل . وادعى محمد الأمين فى سنة ١٩٠٣ أنه المهدى وظهر فى جبال تقلى وقد قبض عليه فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٣ وشنق وقد تبين أنه رحالة من الأفاقين

وجاء فى تقرير الفيكونت كتشنر عن السودان سنة ١٩١٢ مايلى :

جبل قدير — سار الكبتن دار وال بفصيلة من الهجانة من تالودى ليقبض على « فقى »(٢) يسمى عكاشة أحمد ادعى أنه المهدى

فأبى الفقى التسليم ودار القتال بين الفريقين وأسفر عن قتل عكاشة أحمد و ١١ من أتباعه وجرح ضابطين مصريين وصف ضابط

---

(١) الفقى أو الفكي - لهجة فى السوان من لفظ « الفقيه » (٢) نال البشوية

الفصل السادس والعشرون

محمد احمد المهدى

ولد « محمد أحمد المهدى »(١) فى جزيرة ضرار من أعمال دنقلة . ويسمى ابراهيم فوزى باشا هذه الجزيرة باسم جزيرة « الخناق » الواقعة جنوب مدينة العربى ويقول نعوم شقير بك فى كتابه « تاريخ السودان » أن ولادته كانت سنة ١٢٥٨ هجرية المقابلة سنة ١٨٤٣م واسم أبيه عبد الله واسم أمه زينب . وقبيلته من العرب المتنوبة وقد عرفت فى دنقلة بصبرنسى أى قبيلة صبر وهو جد له ، كما عرفت أيضا بالاشراف. وقد قال السيد محمد أحمد المهدى عن نسبه ما يلى :

« محمد المهدى بن عبد الله بن فحل بن عبد الولى بن عبد الله بن محمد بن حاج شريف بن على بن أحمد بن على بن حسب النبى بن بصر بن النصر بن عبد الكريم ابن حسين بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن موسى بن أبى العباس بن يونس ابن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكرى بن علوان بن عبد الباقى ابن صخرة بن يعقوب بن الحسن السبط بن الامام على بن أبى طالب »

وكان له أخان محمد وحامد وكانا يشتغلان مع أبيهما بحارين يصنعان المراكب وكانت لآل المهدى شهرة فى تلك الصناعة وكانت هذه الصناعة من الصناعات المشهورة الضرورية فى السودان مع صناعة الأسلحة .

وقد أجدبت دنقله وأمحلت الجزيرة المذكورة ، فهجرها « عبدالله » والد المهدى ومعه أولاده من دنقلة الى « كررى » الواقعة شمالى أم درمان بنحو ١٥ ميلا. وقد توفى عبد الله بعد قليل وترك ابنا اسمى عبد الله جنينا فى بطن أمه .وعادة أهل السودان أن يسموا الابن الذى يكون جنينا عند وفاة أبيه باسم الأب نفسه

امتاز محمد احمد المهدى عن اخوته الذين كانوا يشتغلون بصناعة المراكب بكونه مال بالفطرة إلى حفظ القرآن والتفقه بالعلوم الدينية من التوحيد والفقه والتصوف وكان معروفا بالتقشف والزهد وكان يقال أنه يمتنع عن أكل زاد شيخه الشيخ محمد

---

(١) خصوم المهدى كانوا يدعونه « المتمهدى » أى مدعى المهدية وليس بالمهدي الحقيقى

الخير لأنه كان يجرى عليه من الحكومة قائلا . إنه مال الظلم . فكان إذا لم يأته الزاد من أهله اصطاد السمك من النيل واكتفى به طعاما . واتقن مبادىء النحو . وكان من أساتذته الشيخ الأمين الصويلح فى مسجد ود عيسى بالجزيرة والشيخ محمد الخير فى الغبش تجاه بربر . وقد تتلمذ فى التصوف إلى الشيخ محمد شريف نور الدائم حفيد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية ، وقد برز فى التقشف والتصوف على انداده من تلاميذ الشيخ . وبلغ أمره من ذلك أنه كان يقوم بالأحتطاب والاستقاء والطحن والطبخ لاستاذه ، وهو غير مكلف بذلك . وكان كلما وقف للصلاة يبكى حتى يبلل الأرض بدموعه واذا جلس أمام شيخه نكس رأسه إلا إذا كلمه فيرفع عند ذلك طرفه فى أدب وحياء ، ولما رآه شيخه على هذه الحال وأنه سالك طريق المريدين وناهج منهج الصالحين مال اليه وأحبه وجعله شيخا وأعطاه راية وأذن له فى الذهاب حيث شاء لأعطاء العهود وتسليك الطريقة فذهب إلى الخرطوم وتزوج بابنة عم له وفى سنة ١٢٨٦ هـ المقابلة سنة ١٨٧١م رحل مع أخوته إلى جزيرة «أبا» لكثرة أشجارها وتوافر غاباتها بالانتفاع بهذه الأخشاب فى صنع المراكب : فاما أخوته فقد باشروا صناعة المراكب . وأما هو فقد بث طريقته وبنى فى جزيرة أبا جامعا للصلاة وخلوة للتدريس فاجتمع عليه سكان تلك الجزيرة وهم ضغيم وكنانة وغيرهم من عرب البادية فأخذوا العهد عنه وتتلمذ الكثيرون له وفى جملتهم على ود الحلو الذى صار بعد قيام المهدية الخليفة الثانى للمهدى وقد ذاع صيت المهدى وكثر أنصاره وكان يزور استاذه الشيخ محمد شريف الذى انتقل إلى القاردية بالقرب من جبل أولى . على أن الشيخ محمد شريف لم يلبث أن حقد على تلميذه محمد أحمد المهدى الذى بزه شهرة وأنصاراً خصوصا بعد أن بدأ المهدى فى الافضاء بالدعوة المهدية إلى تلاميذه ، فظهر الشيخ محمد شريف خصما للدعوة المهدية وكان عونا للحكومة فى مناهضتها وتكذيبها ، وتعزى للشيخ محمد شريف قصيدة طويلة نظمها بايعاز عبد القادر باشا حلمى حكمدار بالسودان يومئذ سنة ١٨٨٢ . قصيدة جاء فيها :

لقد جاءنى فى عام «زع» ، لموضع ... على جبل السلطان فى شاطىء البحر
يروم الصراط المستقيم على يدى ... فبايعته عهداً على النهى والأمر
فقام على نهج الهداية مخلصاً ... وقد لازم الأذكار فى السر والجهر
وأفرغ فى نهج المحامد جهده ... فرقيته جهلا بعاقبة الأمر
فقال أنا المهدى فقلت له استقم ... فهذا مقام فى الطريق لمن يدرى

وفى رواية أخرى : أن الشيخ شريف لم يكن خصيما للدعوة المهدية فى أول الأمر على اعتبار أنها هداية وانقاذ للسودان لا على إعتبار أن المهدى هو المهدى المنتظر الذى ورد ذكره فى الأحاديث ، بل كان يرى الوقت غير ملائم يومئذ لظهور الحركة الثورية الاستقلالية .

وكان الشيخ شريف (١) نفسه يريد فى الوقت المناسب أن يتزعم حركة دينية استقلالية من غير انتحال المهدية .

على أن المهدى قد تتلمذ لشيخ آخر من شيوخ الطريقة وهو الشيخ القرشى الذى كان فى الحلاويين بين المسلمية والكاملين وقد أخذ القرشى طريقة السمانية مباشرة عن مؤسسها الشيخ الطيب . وقال القرشى إلى محمد شريف « أنى رأيت محمد أحمد مستحقا ومنع المستحق ظلم » . وقد استمر محمد احمد المهدى فى ذيوع الاسم وبعد الصيت . وقد حفر بجزيرة أبا غاراً تحت الأرض . وكان الناس يحضرون اليه ، اذ كان يتعبد فى الغار للتبرك به وكانت الهدايا تقدم اليه فكان يتعفف عن أخذها ويعطيها للفقراء . وكان يخرج من مكانه مع بعض أصحابه لدعوة الناس إلى طريقته فسافر إلى دنقله وسنار وعلى النيل الأزرق وكردفان ، وأخذ نوره يتألق وكان الناس يتنافسون فى التقرب منه ويسردون على مسامعه ما كانوا يرونه من المظالم والبدع ، وقد وفد عليه عبد الله التعايشى وعند ما رآه وقع مغشيا عليه ولم يفق من غشيته إلا بعد ساعة . ولما أفاق عاد فنظر إلى المهدى فأغمى عليه مرة ثانية ثم أفاق ثم قبل يده باكيا فقال له المهدى من أنت وما شأنك فقال عبد الله « أنا عبد الله بن محمد تورشين من قبيلة التعايشة البقارة وقد سمعت بصلاحك إلى دار الغرب فجئت لآخذ الطريقة عنك وكان لى أب صالح من أهل الكشف قال لى قبل وفاته انك ستقابل المهدى وتكون وزيره . وقد أخبرنى بعلامات المهدى وصفاته فلما وقع نظرى عليك رأيت فيك العلامات التى أخبرنى بها والدى بعينها ، فابتهج قلبى لرؤية مهدى الله وخليفة رسوله ومن شدة الفرح الذى شملنى أصابنى الذى رأيته »

فوجد المهدى أن ما يقوله عبد الله التعايشى مطابق لاعتقاده ، ذلك الاعتقاد بأنه المهدى المنتظر . ومن ثم خرج باصحابه سائحا إلى دار الغرب وقد لبسوا لباس الدراويش ، وهو الجبة المرقعة والسبحة والعكاز وأبريق فخار ، وكان المهدى يسر دعوته إلى أخصائه وتلاميذه ومشايخ الطرق ، ثم أخذ يرسل الكتب مصرحاً بدعوته وكان

(١) ـ الشيخ محمد شريف « باشا » نور الدائم الذى منحه الخديو رتبة الميرميران هو أستاذ المهدى وهو غير الخليفة محمد شريف

يقول اننى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بعينى رأسى يقظة فأجلسنى على كرسيه وقلدنى سيفه فغسل قلبى بيده وملأه ايمانا وحكما ومعارف منيعة وأخبرنى بأننى الخليفة الأكبر والمهدى المنتظر وأن من شك فى مهديتى فقد كفر ومن حاربنى خذل فى الدارين ومن كتبه (١) :

« بسم الله الرحمن الرحيم الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد . فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدى بن عبد الله إلى أحبابه فى الله المؤمنين بالله وبكتابه . أما بعد فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك ذوو الايمان والفطن بل أحق أن يترك لذلك الأوطار والوطن لاقامة الدين والسنن ولا يتوانى عن ذلك عاقل لأن غيرة الاسلام بالمؤمن تجبره . ثم أحبابى كما أراد الله فى أزله وقضائه تفضل على عبده الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله وأخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأننى المهدى المنتظر وخلفنى عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مرارا بحضرة الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام وأيدنى الله تعالى بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم إلى زماننا هذا . وكذلك المؤمنون من الجن وفى ساعة الحرب يحضر معهم إمام جيشى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام . وأعطانى سيف النصر من حضرته صلى الله عليه وسلم وأعلمت أنه لا ينصر على معه أحد ولو كان الثقلين الانس والجن . ثم أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الله جعل لك على المهدية علامة وهى الخال على الخد الأيمن . وكذلك جعل لى علامة أخرى تخرج راية من نور وتكون معى فى حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها أصحابى وينزل الرعب فى قلوب أعدائى فلا يلقانى أحد بعداوة إلا خذله الله . ثم قال لى صلى الله عليه وسلم إنك مخلوق من نور عنان قلبى ، فمن له سعادة صدق بأنى المهدى المنتظر . ولكن الله جعل فى قلوب الذين يحبون الجاه النفاق فلا يصدقون حرصا على جاههم . قال صلى الله عليه وسلم : حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل . وجاء فى الأثر : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم . وجاء فى بعض كتبه القديمة لا تسأل عنى عالما أسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتى فأولئك قطاع الطريق على عبادى ولما حصل لى يا أحبابى من الله ورسوله أمر الخلافة الكبرى أمرنى سيد الوجود بالهجرة إلى ماسة بجبل قدير ، وأمرنى أن أكاتب بها جميع

(١) راجع كتاب المناشير - حيث دونت به منشورات المهدى وكتبه

المكلفين أمرا عاما . فكاتبنا بذلك الأمراء ومشايخ الدين فأنكر الأشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون فى ما لقوه فى الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتهى بل هم ناظرون إلى وعده سبحانه وتعالى بقوله : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين » وحيث أن الأمر لله ، والمهدية أرادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمـــد المهدى بن عبد الله فيجب بذلك التصديق لارادة الله . وقد اجتمع الخلف والسلف فى تفويض العلم لله فعلمه سبحانه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين بل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . قال تعالى : « ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ولا يسأل عما يفعل ويخلق ما يشاء ويختار يختص برحمته ما يشاء والله ذو الفضل العظيم » . وقد قال الشيخ محيى الدين العربى فى تفسيره على القرآن العظيم : « علم المهدى كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة إلا الله » . وقال الشيخ أحمد بن ادريس كذبت فى المهدى أربعة عشرة نسخة من نسخ أهل الله . ثم قال : « يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه » وهذا لا يخفى عليكم أن التأليفات الواردة فى المهدى منها الآثار وكشف الأولياء وغير ذلك فيختلف كل منها كما علمت من أنه يمحو الله ما يشاء الآية ومنها الأحاديث فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع . بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح والصحيح ينسخ بعضه بعضاً كما أن الآيات تنسخها الآيات . وحقيقة ذلك على ما هى عليه لا يعرفها الا أهل المشاهدة والبصائر . هذا وقد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك فى مهديتك فقد كفر بالله ورسوله . كررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . وجميع ما أخبرتكم به من خلافتى على المهدية الى آخره فقد أخبرنى به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة فى حال الصحة ، وأنا خال من الموانع الشرعية لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون بل متصف بصفات العقل أقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر فيما أمر به والنهى عما نهى عنه . والهجرة المذكورة فى الدين واجبة كتاباً وسنة . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » وقال صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام ، والى غير ذلك من الآيات والأحاديث وإجابة داعى الله واجبة . قال تعالى « واتبع سبيل من أناب الى » فاذا فهمتم ذلك فقد أمرنا جميع المكلفين بالهجرة الينا لأجل الجهاد فى سبيل الله أو إلى أقرب بلاد منكم

بقوله تعالى :« قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ». فمن تخلف عن ذلك دخل فى وعيد قوله تعالى : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم » إلى آخره وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » الى آخر الآيتين . فاذا فهمتم ذلك فهلموا للجهاد فى سبيله ولا تخافوا من أحد غير الله لأن خوف المخلوق من غير الله يعدم الايمان والعياذ بالله من ذلك . قال تعالى « فلا تخشوا الناس واخشونى ». وقال تعالى« والله أحق أن تخشوه ». لاسيما وقد وعد الله فى كتابه العزيز بنصر من ينصر دينه . قال تعالى « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقال تعالى . « إلا تنصروه فقد نصره الله » . وحيث ان لم تجيبوا داعى الله وتبادروا باقامة دين الله تلزمكم العقوبة عند الله تعالى لانكم ادلة الخلق وأزمتها فمن كان مهتما بايمانه شفيقا بدينه حريصا على أمر ربه ، أجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه . وليكن معلومكم أنى من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حسنى من جهة أبيه وأمه وأمى كذلك من جهة أمها وأبوها عباسى . والعلم لله أن لى نسبة الى الحسين وهذا المعانى الحسان تكفى لمن أدركه الله بالايمان ، فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها . هذا والسلام . »



صورة تخيلها بعض الكتاب الانجليز للمهدى ولكنها ليست صورته فليس للمهدى صورة مطلقاً

الفصل السابع والعشرون

وقائع المهدى وانتصاراته

أرسل المهدى الى محمد رؤوف باشا حكمدار السودان سنة ١٨٨١ كتابا يبلغه فيه رسالته المهدية ويدعوه الى اتباعه ، فأوفد رؤوف باشا محمد أبو السعود بك من الخرطوم على باخرة الى أبا وحاول ثنى محمد احمد المهدى عن دعوته فلم يقبل (١) وحينئذ أرسل رؤوف باشا بلوكين من الجنود مع أبى السعود بك للقبض على المهدى ، ولكن المهدى وأنصاره هزموا هذه القوة ثم هجر المهدى الى جبل ماسة المجاور لجبل قدير على المراكب وهذان الجبلان فى الشمال الغربى من فشودة . وقد انتصر فى طريقه على ملك يسمى المختار ووصل الى جبل قدير فى ٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٨ المقابل ٣١ أكتوبر سنة ١٨٨١ وقد رحب به الملك ناصر وبنى المهدى مسجدا ومنازل للسكن وقد هجم راشد بك مدير فاشودة على المهدى وأنصاره فى ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ . فانتصر المهدى وقتل راشد بك ومعظم جنوده وغنم المهدى الأسلحة والمال . وقد أرسل عبد القادر باشا حلمى الذى عين حكمداراً سنة ١٨٨٢ قوة بقيادة جكلر باشا الذى أصبح نائبا للحاكمدار بعد عزل محمد رؤوف باشا وقبل وصول عبد القادر باشا حلمى جعل جكلر باشا القوة برياسة يوسف الشلالى باشا ومعه ١٣ بلكا و ١٥٠٠ باشبوزق . وقد انتصر المهدى على يوسف باشا الشلالى عند جبل الجرادة فى ٣٠ مايو سنة ١٨٨٢ وقتل يوسف باشا الشلالى وعبد الله محمد دفع الله وعبد الهادى صبر وطه الشيق . واستولى المهدى على الذخائر والأسلحة فزاد الأنتصار فى هيبة المهدى وشهرته والاعتقاد بأنه المهدى المنتظر . والواقع أن الحركة المهدية لو جردت من إدعاء المهدية ، لكانت حركة دينية استقلالية فأخذ الناس يبايعون المهدى على الصورة الآتية

بيعة المهدى

« بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . أما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله أن لا نشرك

(١) قيل لو أن رؤوف باشا كان حازما فألقى القبض على المهدى من أول الأمر لما نت الدعوة المهدية فى مهدها

به أحدا ولا نسرق ولا نزنى ولا نأتى ببهتان . ولا نعصيك فى معروف . بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضا بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى ان لانفر من الجهاد » وكانت المبايعة على وجهين : الأول باليد بأن يضع المبايع يده فى يد المهدى ، جاعلا إبهامه على إبهامه ثم يقرأ المهدى صورة المبايعة، فيعيدها المبايع بعده وإن كانوا أكثر من واحد إلى العشرين وضع أحدهم يده فى يد المهدى وألقى الباقون أيديهم فوق يديهما : والوجه الثانى المبايعة باللسان . وذلك متى زاد المبايعون على العشرين فيرقى المهدى إلى منبر أو يعلو جملا ويقف الناس أمامه ويبايعونه وكان المهدى يلبس جبة مرقعة فوق سراويل من الدمور ويتمنطق بمنطقة من خوص وعلى رأسه طقية مكية يلف عليها عمامة كبيرة بيضاء مفلجة كعمامة أهل الحجاز ويسدل لها عذبة على كتفه اليسرى طولها نصف متر وعلى عنقه سبحة وفى رجليه حذاء أو نعلين . وكان المهدى يطلق على رجاله اسم الأنصار والأصحاب والأحباب فى الله . وكانت الحكومة تسميهم الدراويش والأشقياء !

حكومة المهدى : وقد كان المهدى يتشبه بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى حكمه ومعاملة أصحابه . وقد عين أربعة خلفاء على جيشه : الخليفة الأول . عبد الله التعايشى خليفة أبى بكر الصديق والثانى على ود حلو من عرب دغيم خليفة عمر ابن الخطاب ، والخليفة محمد السنوسى الذى لم يقبل أن يكون خليفة عثمان وكذب المهدية » والخليفة محمد شريف خليفة على بن أبى طالب . وقسم جيشه ثلاثة أقسام فكان محمد شريف لأنصار السودان الأوسط . أى دنقلة وبربر والخرطوم وسنار مع الجلابة وأولاد النيل ورايتهم حمراء . وعلى ود حلو على عرب دغيم وكنانة ورايتهم خضراء و « عبد الله » على السودان الغربى من التعايشة والرزيقات والحمر وضم إليهم الجهادية وأولاد الريف ورايتهم سوداء . وقد امتاز الخليفة عبد الله بالأمباية التى يبوق بها لجمع الجيش وجعله رئيساً عاماً على الادارة والجند . وكان لكل خليفة وكيل على رايته ودونه أمراء ومقاديم ولكل أمير راية . ومما كان يكتب على الرايات ، « بسم الله الرحمن الرحيم سطر . لا إله إلا الله سطر . محمد المهدى خليفة رسول الله سطر . ياحى يا قيوم ياذا الجلال والاكرام سطر »

وكان المهدى يعرض جيوشه كل يوم جمعة صفاً واحداً نحو القبلة ويتفقدهم راكباً جوادا أو هجيناً . وأنشأ «بيت المال» وكان فيه أموال الجند والعشور الزكاة

والغنائم والغرامات . وأسند القضاء إلى الشيخ أحمد ود جبارة من علماء الأزهر الذين صحبوه من جزيرة أبا ولقبه بقاضى الاسلام وجعل دونه قضاة ونوابا فالقضاة يفصلون فى المسائل الشرعية . والنواب فى الغنائم والحقوق المتعلقة ببيت المال .

الترحيب بالمهدى

إعجاباً بظهور المهدى ، كان السودانيون يرددون الأقوال التالية ، على أنها أمثال أو أغانى أو أناشيد :

هواى هواى أسير المهدى فى قدير . بشاير الخير جاءت لنا ، واليوم ظهر مهدينا . وحاة قولى صواب — خنق قميركم غاب . ألف فى التربة — ولاقرش خردة فى طلبة ود الريف شين جابه حربه ، وكوكاب فى جعابه

راتب المهدى

كتاب يجمع الدعوات وآيات قرآنية وصلوات على النبى . وشيخ الطريقة يرتب قراءته على تلاميذه صبحا ومساء ، انفراداً واجتماعا .

كبار الثائرين على الحكم المصرى

سليمان الزبير ثم رابح فى بحر الغزال ، هرون الرشيد أمير دارفور فى دارفور والصباحى فى كردفان .

فى كردفان

ظهر للمهدى أنصار فى كردفان . منهم المكى ود ابراهيم وحامد ود السنجق والمكى ابراهيم والسمانى والمنة ود اسماعيل شيخ الجوامعة

كان محمد سعيد باشا مديرا لكردوفان وقد حصن الأبيض وكان أحمد بك دفع الله من أعيان تجار الأبيض نصيرا لسعيد باشا وكان الياس باشا أم برير الجعلى النفيعابى خصما لدفع الله ونصيرا للمهدى

تقدم المهدى فى ١٢ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ يولية سنة ١٨٨٢ م من جبل قدير . ونزل فى منهل كابا على بعد ستة أميال إلى الجنوب الغربى من الأبيض فى ١ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وندب اثنين إلى الأبيض لدعوة سعيد باشا والرؤساء والعلماء والتجار للتسليم . وقد أمر سعيد باشا بقتل مندوبى المهدى فقتلا . ولكن فى الليل أخذ الأهالى يفرون إلى كابا ويبايعون المهدى وكان جملة رجال سعيد باشا ستة آلاف

وقد حفروا خندقا حول الأبيض، وحاصر المهدى الأبيض لمدة أربعة شهور، وغلت الأسعار فبلغ ثمن أردب الذرة ٣٠٠٠ آلاف ريال والحمار ٥٠٠ ريال والفرخة أربعين ريالا والبيضة ريالا والفار ريالين ورطل البن ريالين ورأس السكر خمسين ريالا . ووقعت مجاعة ومرض الجند وهرب أكثرهم وسلمت حامية بارة . وقد سلم سعيد باشا والضباط فى يوم الجمعة ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ وبايعوا المهدى . وسأل المهدى سعيد باشا عن أمواله المخبأة وكانت ٧٠٠٠ آلاف جنيه فأنكرها وقد قتل سعيد باشا وكبار ضباطه ويقول «سلاطين باشا» فى كتابه « السيف والنار فى السودان» أن الذى حمل المهدى على قتل سعيد باشا ومن معه هو ضبط كتاب أرسلوه إلى عبد القادر باشا حلمى ولكن رواية أخرى تقول كان قتله انتقاما أراده المهدى لقتل رسوليه

حملة هكس باشا

وعين علاء الدين باشا حاكما للسودان وكان سليمان نيازى باشا قومندانا عاما وهكس باشا ضابط انجليزى وقد تقدم هكس باشا بحملة كبيرة بقيادة نيازى باشا وصلت إلى الدويم وتوجهت إلى منهل الشيكان ووقعت فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ واقعة شيكان فقتل قائد الحملة سليمان نيازى باشا وأركان حربها هكس باشا ومن معه . وكانت نكبة ارتعدت لها الفرائص

وورد فى التقرير المرفوع من الارل كرومر ، قنصل دولة انكلترا الجنرال ووكيلها السياسى فى مصر إلى السير ادوار جراى وزير خارجيتها وقتئذ عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠٦ .

« مضى نحو أربعة وعشرين عاما على الواقعة التى باد فيها جيش الجنرال هيكس ولا أظن أن أحدا من الأوروبيين زار ميدان الواقعة فى خلال هذه المدة . ولكن السر ريجنلد ونجت عرج على المحل فى أثناء زيارته لكردوفان فى الشتاء الماضى وقد كتب ما يأتى : —

« زرت ميدان الواقعة التى قتل فيها الدراويش المرحوم الجنرال هيكس باشا وأفنوا كل جيشه سنة ١٨٨٣ ومن الغريب أن العساكر كانوا فى حالة شديدة من العطش مع وجود بركة كبيرة من المياه على بعد ميل واحد عنهم ولكنهم لم يعلموا بها . والمحل واقع على بعد ٣٠ ميلا جنوبى الأبيض فى وسط غابة كثيرة ولا أشك فى أنه لو كانت النجدة المرسلة لرفع الحصار عن الأبيض أكثر عددا وأقوى عددا

لكانت لاقت ما لاقته حملة هيكس . وإرسال تلك الحملة فى أحوال كهذه يعد ضربا من الجنون وهو أكبر دليل على أن الحكومة فى ذلك الحين لم تكن عالمة بحقيقة الحال ولم تحسب حسابا للصعوبات التى لابد لكل جيش عظيم من ملاقاتها فى أثناء مروره ببلاد كهذه » . وكان رأى عبد القادر حلمى باشا عدم ارسال الحملة وترك المهدى فى كردفان حتى تفنى قوته بالحصار ، ولو نفذ رأيه لتغير الموقف

وكانت الحكومة الانجليزية قد أرسلت الكولونيل استيوارت فى أواخر سنة ١٨٨٢ وقدم اليها تقريراً فى ٩ فبراير سنة ١٨٨٣ ذكر فيه أن المصريين يعجزون عن حكم السودان وحدهم



هكس باشا كان ضابطا انجليزيا فى الجيش الهندي تقاعد برتبة كولونيل ثم عينته الحكومة المصرية رئيسا لأركان حرب الجيش بالسودان ، ووصل إلى الخرطوم فى ٧ مارس سنة ١٨٨٣ ومعه فلول جيش عرابى المؤلفة من ٤ آلايات وكان عدد الحملة ١٢٩٠٠ مقاتل ومعهم مراسلو التيمس والديلى نيوز والجرافيك والجمال والابل والحمير والخيراء . وقد قطعت رأس هكس وفنى جيشه واستولى المهدي على ذخائره . وكان انتصارا عظيما للمهدى

فى دارفور

أخمد « سلاطين » مدير دارة والنورعنقرة مدير كبكبيه — ثورة الأمير هرون فى دارفور وعين « سلاطين باشا » مديرا لدارفور سنة ١٨٨١ . وقد ثار فى دارفور الشيخ مادبو . وفى أواخر أكتوبر سنة ١٨٨٢ هزم جيش سلاطين وأصيب «سلاطين» نفسه برصاصة فى بنصر يده اليمين وجرح برصاصة فى فخذه وقد عصته حامية بارة وسرى روح الثورة فى جميع بلاد دارفور وتمرد الجند . وكان محمد خالد زقل مدير داره من أقارب المهدى وكان سلاطين يخشاه وقد دخل سلاطين داره وحضر محمد خالد زقل العامل على دارفور بجيش عظيم وسلم سلاطين اليه فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٣ وأعلن إسلامه وبايع المهدى الذى سماه « عبد القادر » وألزمه باب الخليفة عبد الله التعايشى

فى بحر الغزال

نشبت الثورة فى بحر الغزال من أغسطس سنة ١٨٨٢ وامتدت إلى خط الاستواء وتقدم الجانقى ومعه الدراويش إلى الزريبة الخارجية عند بحر بيرى وجرد هلتون بك جيشا ثم أسلم ومن معه وبايعوا الجانقى فى ١٨ أكتوبر سنة ١٨٨٤ وأسلموا إلى أبى سعد وتقع جنوبى أم درمان ثم سجن واحتل كرمه الله بحر الغزال



عثمان دقنه

عثمان دقنة

عين المهدى عثمان دقنة أميرا على السودان الشرقى . وعثمان دقنة أصله من أكراد دياربكر الذين حضروا إلى سواكن مع السلطان سليم الفاتح واختلطوا بالهدندوة وكان منهم قبيلة الدقناى وقد ولد فى سواكن ونشأ بها واشتغل بالتجارة مع السودان والحجاز و بالرقيق ، ولما منعت الحكومة تجارة الرقيق ساءت حالته وسجن مرة فى جدة مع أخيه بسبب اتجارهما بالرقيق . وعندما علم بالدعوة المهدية أعتقد فيها وآمن بها ومات عليها وكان يعرف العربية كتابة وقراءة ولغة الهدندوة والبجة وكان شهما شجاعا مهيبا .

كان للحكومة حامية فى سواكن وحامية فى طوكر . وقد فتح عثمان دقنة سنكات فى ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٣ وحاصر طوكر وحاصر سواكن وسلمت الحاميات

كان عثمان دقنة معسكرا فى تماى وله معسكر فى تل هشيم على بعد ٧ أميال من سواكن ومعسكر فى طوكر

وقد وجهت حملة إنجليزية برياسة الجنرال جراهم إلى سواكن ومعه ١٣ ألف جندى وقد احتل تل هشيم واحتل تماى وقد اخلى عثمان دقنة معسكره متحصنا فى الجبال

وعمل جراهم على مد سكة الحديد من سواكن إلى بربر وقد أمرت الحكومة باخلاء سواكن وعاد إلى القاهرة فى ١٧ مايو سنة ١٨٨٥ . وعاد عثمان دقنة إلى تماى

قتل غوردون وسقوط الخرطوم

وقد أرسل المهدى كتبا إلى غوردون للتسليم وسلمت حامية أم درمان، وحاصر المهدى الخرطوم وقد جاعت العساكر وكان غوردون يأمل أن يحضر جيش انجليزى لانقاذه وكان يقضى أكثر الوقت على سطح السراى والمنظار بيده فيوجهه إلى الشمال ومضت مدة لم يدفع غوردون نقودا إلى الجنود فجمع قرضا من التجار وأصدر منشورا قال فيه « إنى سبقت فأنعمت على جميع العساكر والموظفين الملكيين بمرتب ثلاثة أشهر ثم بمرتب ستة شهور ونصف ثم بمرتب شهرين والآن أعود فأثبت انعامى هذا وأنا فى انتظار الانجليز القادمين لنجدتنا كل يوم بل كل ساعة وكلما تأخروا يوما حسبته لكم شهرا وجلالة ملكة الانجليز ضامنة لقولى هذا »

زاد الجوع واستمر فرار الجنود من الخرطوم إلى المهدى فى أم درمان وقنع الجنود والسكان بأكل الصمغ والحمار والجيف والجلود

وكان للخرطوم خندق يمتد من النيل الأزرق إلى النيل الأبيض ولا يتصل بالنيل الأبيض إلا فى الفيضان وإذا انخفض انحسر عن ثغرة يسهل الدخول منها إلى الخرطوم

وقد عرف المهدى ضعف الخندق وسوء حالة المدينة . وقد زحف الدراويش بقودهم النجومى ودخل رجاله من الثغرة وقتلوا الأورطة المصرية ثم الأورطة الثانية السودانية ثم الأورطة السودانية الثالثة والباشبوزق

وقد قصد محمد نوباوى شيخ بنى جرار ومعه عربان إلى سراى الخرطوم حيث كان غوردون على سطح السراى ولم يكن معه سوى خادمه محمد إدريس وثلاثة قواسين وعلى باب السراى ضابط وخفراء قاوموا المهاجمين بالرصاص وعندئذ كان غوردون واقفا عند رأس السلم بثيابه العسكرية والسيف عن جنبه فقال لهم « أين محمد أحمد » فأجابوه بالطعن بالحراب وكان محمد نوباوى أول طاعن وقبل أن فاضت روحه أمسكوه من رجليه على السلم إلى أسفل السراى وقطعوا رأسه وحملوه إلى المهدى فى أبى سعد . وكان على مائدة غوردون صحن به بيض مقلى وعلبة لحم صغيرة فيها شوكة وبجانبها ملعقة وصحن آخر به قطعة سكر . وقد أخذت رأس غوردون إلى النجومى وأرسلها النجومى إلى الخليفة محمد شريف فارسلها إلى المهدى الذى أرسله إلى سلاطين باشا حينما كان مسجونا ليتحقق أنه رأس غوردون ثم علقه فى المشنقة ثلاثة أيام وقد فتحت أبواب المدينة وأخذت الغنائم والأسرى ودخل الدراويش المدينة وكان ابراهيم باشا فوزى المحافظ بين الأسرى

حملة السير تشارلس ولسون

سار السير تشارلس ولسون فى الباخرتين بردين وتل حوين حتى وصل إلى ود حبشى فى رأس شلال السبلوكة واستمر حتى وصل التمانيات وبات فيها إلى فجر ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ وفى الساعة ١١ صباحا أطل على الخرطوم حيث سمع رجلا ينادى «الخرطوم سقطت والغردون مات» وقد ألقت شارلس جنود المهدى القنابل والرصاص من طابية أم درمان وطابية المقرن وقفل راجعا يحمل نبأ سقوط الخرطوم وغرق وابور تل حوين وانتقل رجاله إلى وابور بردين الذى غرق أيضا فاضطر السير تشارلس ولسون إلى السير على الأقدام على شاطىء النيل حيث قابل اللورد شارلس برسفور وعادا إلى القبة مع رجالهما على الباخرة الصافية

وقد رجعت الحملة الانجليزية النيلية إلى القاهرة سنة ١٨٨٥

اخلاء دنقلة

وقد قررت الحكومة إخلاء دنقلة وأقامت فيها حكومة من الأهالى ولكنها سقطت بيد المهدية

فى سنار

زحف عامر المكاشف على سنار وكان بها حسين بك شكرى « باشا » ومعه ١٥٠ جندياً ومدفع واحد . وانتصر عامر المكاشف وعاد عامر إلى غابة الكبوش وعاد المدير الى مدينة سنار بفلوله وهرب عامر المكاشف ، وقد استعان جكلر باشا بعوض الكريم أبى سن باشا شيخ مشايخ الشكرية وهزم الشريف احمد طه من أنصار المهدى وقتله

وقد أرسل المهدى من أصحابه أحمد المكاشف والشيخ المضوى وود الصليحابى وفضل الله ودكريف وقد هزم المكاشف مرتين فى الدويم وحاول حصار سنار وانتصر عبد القادر باشا حلمى فى واقعة الداعى فى ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٣ وعين صالح بك الملك على الشايقية والأتراك فى سنار

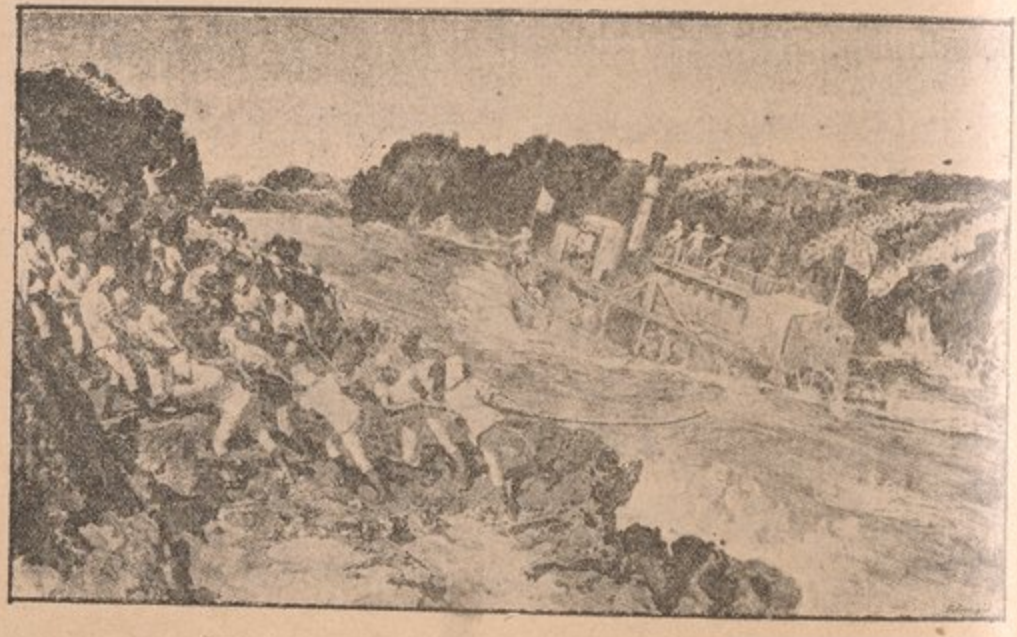

صعود الوابور فوق الشلال الثانى

فى كسلا

تقدم الأمير حسين عبد الواحد واحتل القضارف ودانت له معظم القبائل العربية التى بين العطبرة والنيل وحاصر الجيرة . وقد طلبت الحكومة المصرية بعد فوز المهديين من الملك يوحنا ملك الحبشة أن يساعدها على إنقاذ الحاميات المصرية على حدود الحبشة وسلم الميرالاى سعيد بك رفعت الأسلحة والذخائر إلى الرأس دهنشوم من أمراء الحبشة وخرج بالحامية من المتمة فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥ وتوجه سعيد بك مع دهنشوم إلى ملك يوحنا لشكره وعاد سعيد بك من مصوع إلى مصر . واحتل محمد ود أرباب القلابات فى ٥ مارس سنة ١٨٨٥

وسلمت محافظة مصوع إلى الايطاليين منذ ٦ فبرير سنة ١٨٨٥ وعادت حاميتها إلى مصر . واخليت أميدوب فى ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥ . وسنهيت فى ١٩ ابريل ١٨٨٥ إلى الحبشة . وأخليت هرر وزيلع وبربر سنة ١٨٨٥ . وعين فى هرر عبدالله محمد عبد الشكور واستمر حتى بداية سنة ١٨٨٧ حيث غزاها منليك ملك شوه ثم ملك الحبشة بعد ذلك . وصارت هرر من الحبشة وزيلع وبربر من المستعمرات الانجليزية .

وقامت الثورة فى كسلا فى أغسطس سنة ١٨٨٨ وكان راشد باشا كمال قومندان عسكر شرقى السودان ثم عاد راشد باشا إلى مصر وعاونوا الحكام المصريين

وحدثت وقائع كثيرة كانت الحرب سجالا . وخرج السيد محمد عثمان الميرغنى من الخاتمية بكسلا فى ٣٠ يونية سنة ١٨٨٤ إلى مصوع الى مصر حيث مات فيها فى ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٠٣ ودفن فى باب الوزير ومقامه فيها مشهور وتولى الخاتمية بعده ابن عمه السيد بكرى بن السيد جعفر الميرغنى ولم يبق معه إلا أخلاط من الدناقلة والجعليين والحلانقة والبجة ، وبنو أسواراً .

وزحف مصطفى هدل على الخاتمية وهزم السيد بكرى الميرغنى وقد سقطت الخاتمية فى ٣ مايو سنة ١٨٨٥ و ١٨ رجب سنة ١٣٠٢ ، وقد حاول قتل السيد البكرى الذى ضحى أنصاره أنفسهم وحموه وتوجه إلى مصوع فسواكن فمكة ومات فيها سنة ١٣٠٤ هـ واستولى مصطفى هدل على الخاتمية .

بعد سقوط الخرطوم

جعل المهدى معسكره فى أم درمان فى سنة ١٨٨٥ . وقام بسك النقود مقلداً الجنيه المصرى والريال الفضى ، وشرع فى جمع الزكاة والعشور

وكان يبت فى جميع المسائل الادارية وكان له كتاب ثم جعل له أمناء وعاملين أجاز لهم الحكم بالقتل بدون استئذانه

ولما أقبل رمضان سنة ١٣٠٢ أصدر منشوراً بجعل شهر الصوم فترة راحة وامتناع عن نظر أحوال الدنيا والتخصص بالذكر والتذكار

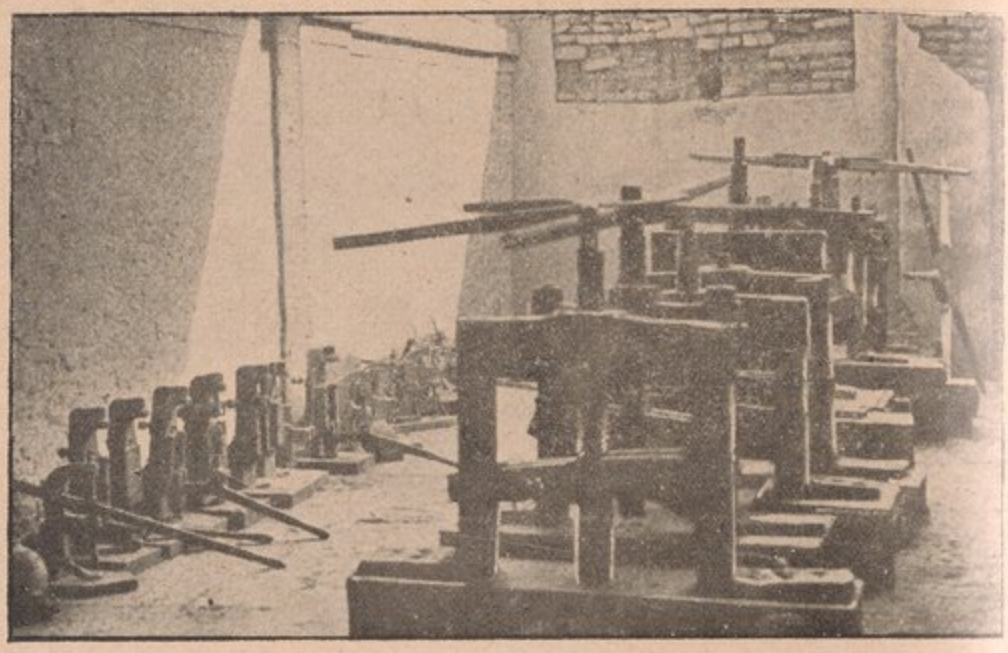

آلات سك النقود التى كانت تستعمل فى اثناء الحكم المهدى

عزم المهدى على غزو مصر وكتبه الى أهلها والى الخديو

أرسل المهدى منشوراً إلى سكان مصر حكاماً وتجارا وعمدا وغيرهم يبلغهم فيه عزمه على غزو مصر . وأرسل كتابا إلى سمو الخديو جاء فيه

« بسم الله الرحمن الرحيم وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدى بن عبد الله إلى والى مصر — لايخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره أن الدين الذى يكون المتمسك به ناجيا عند الله هو دين الاسلام الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم »

وبعد كلام طويل مملوء بآيات من القرآن والأحاديث ، قال :

« وقد حررت اليك هذا الكتاب وأنا بالخرطوم شفقة عليك وحرصاً على هدايتك . فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك فى الدارين . وها أنا قادم على جهتك بجنود الله عن قريب إن شاء الله تعالى . فان أمر السودان قد انتهى فان بادرتنى بالتسليم لأمر المهدية والانابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية وأمنت على نفسك ومالك وأرضك ، أنت وكافة من يجيب دعوتنا معك . وإن أبيت بعدهذا إلا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد ، فانما عليك إثمك واثم من معك . ولا بد من وقوعك فى قبضتنا . ولو كنت فى بروج مشيدة . وهذا انذار منى اليك . وفيه الكفاية لمن أدركته العناية . والسلام على من اتبع الهدى »

المهدى وغزو الشام

أرسل المهدى الحاج عبد الله الكحال من الرهد عاملا على بلاد الشام فحضر إلى مصر واشتغل بالتجارة

المهدى ومراكش

وأرسل المهدى منشورا إلى أهل مراكش وإلى السيد محمد الغالى ليكون عاملا عليها .

وفاة المهدى

فى يوم الأربعاء ٤ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ . نزلت بالمهدى حمى خبيثة تعرف فى السودان « باب دم » ، وعند الأطباء بالالتهاب السحائى الشوكى . وأمر بأن يصلى الخليفة عبد الله التعايشى بالناس يوم الجمعة ٦ رمضان وأن يخطبهم . ودامت الحمى إلى يوم الاثنين ٩ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ و ٢٢ يونية سنة ١٨٨٥ م وأسلم الروح إلى خالقها عند الضحى وكان عنده خلفاؤه وقد حفروا قبره فى محل فراشه فى منزله ثم صلى الخليفة عبد الله عليه إماماً ودفن عند الظهر وبايع الناس الخليفة عبد الله التعايشى بعده وأشيع أن المهدى مات مسموماً فى الطعام . ولكن الاشاعة لم تتحقق وقد رثاه الشعراء . فرثاه ابراهيم شريف الدولابى الكردفانى قال فى قصيدة

كيف التئام فؤادى المفطور ورقوء دمع محاجرى المفجور

وختمها بقوله

صلى الاله على ضريح ضمه أزكى صلاة فى المساء وبكور

وقال محمد بن الطاهر المجذوب من قصيدة

دهتنا دواه يضرس القلب نابها ويوقد فى الأحشاء ناراً منابهـــا

ألا أبلغوا عنا ضريح أبى الهدى تحايا إلى الله الكريم انتسابها

صفات المهدى وعاداته

كان الفقيد طويل القامة كبير الرأس عريض الوجه أسمر اللون أدعج العينين أزج الحاجبين واسع الجبين أقنى الأنف رحب الصدر واسع الفم عريض الشفتين عظيم المنكبين ضخم العظام واسع الكفين والقدمين سائل الأطراف مفلج الأسنان مشزر الوجنتين على كل وجنة ثلاث شرائط أفقية مستدير اللحية واسعها خفيف الشاربين وكان يحلق شعر رأسه ويحسن لحيته وكان كثير الابتسام وكان يجلس على فروة من الضأن ويقعد القرفصاء ويجثو عند الطعام على إحدى ركبتيه وكان الداخل عليه يخلع نعليه ويتقدم اليه حبواً حتى يقرب منه فيلمس يده ويرجع عنه قليلا ثم يكلمه وهو منكس الرأس ويخاطبه بقوله يا سيدى . وبعد الفراغ من حديثه ينصرف راجعا بظهره ، وكان دائم الابتسام فلقب بأبى فلجة ووصفه اسماعيل عبد القادر الكردفانى فقال : « إنه سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا فحاش ولا عياب ، واسع الصدر يواسى أصحابه ويفى لهم ، كثير العفو . . . »

وقد تزوج بأربع عرفن بأمهات المؤمنين : أما أولاده من السيدة فاطمة بنت احمد شرفى فثلاثه : الفاضل ومحمد والبشرى وبنت تسمى زينب وله من السيدة فاطمة بنت حاج أربع بنات أم كلثوم تزوجها الخليفة عبد الله ، ونور الشام تزوجها الخليفة على ود حلو ثم نفيسة وعائشة ومن السيدة فاطمة بنت حسين الحجازى ثلاث بنات وولد يسمى الصديق ومن السيدة مقبولة الدارفورية السيد عبد الرحمن ومن السيدة مأمونة الحبشية التوأمان الطاهر والطيب ومن السيدة قبيل الله النوباوية نصر الدين أى كان له عشر بنات وعشرة ذكور مات منهم ثمانية وعاش على وعبد الرحمن

وكان المهدى يريد أن يعيد الاسلام إلى فطرته وكان ينهى عن البدع والترف ومنع ارخاء الشعور ودهنها بالشحم وحرم الاسراف فى حفلات الزفاف وخفض المهر فجعله عشرة ريالات وثوباً وقرباباً للبكر وخمسة ريالات وبدلين للثيب وأبطل



أولاد الخليفة التعايشى : عبد الصمد ويحيى وعمر وإبراهيم واسماعيل وهم الصفان الثانى والثالث والقاعدون القرفصاء اولاد المهدى الطاهر ، ونصر الدين ، وعلى ، عقب إعادة السودان سنة ١٨٩٩

الرقص والغناء والدلوكة وحرم خصى العبيد ومنع البكاء وراء الميت وأبطل السحر والتعزيم والتمائم وحرم شرب الدخان والحشيش والخمر ومنع الألعاب ووضع راتب المهدى الذى اشتمل على دعوات وآيات وأحاديث تحفظ وتتلى يومياً . ورجم الزانى وجلد الزانية وقطع يد السارق ، وساوى بين الغنى والفقير ، وحرم الألقاب والأوسمة وجعل الصلاة فى جوامع المهدية ، وجعل الدين محصورا فى القرآن وراتب المهدى ومنشوراته ، وكان يرى أن الجهاد فى السودان يوجب التفرغ له وتأجيل الحج

ولم يتمكن المهدى من اتمام كتاب اسمه المجالس قصد منه تضمين الأحكام الشرعية

وكان لأصحاب المهدى مراتب متفاوتة فالمرتبة الأولى لصحبه قبل إعلان الدعوة المهدية وهم يقال لهم أبكار المهدى والمرتبة الثانية أنصار « أبا » والمرتبة الثالثة أنصار

« قدير » أى جبل قدير والرابعة أنصار كابا وهناك مراتب أخرى أدنى من ذلك ، أى أن أنصاره الأوائل مقدمون رتبة على من بعدهم

وقد صدق خاصة السودان وعامته دعوة المهدى وأن من مات فى سبيله كان نصيبه الجنة والحور العين حتى كانوا يتمنون الموت . ولم يبق فى السودان إلا قليل من الناس لم يصدقوا الرسالة المهدية ، ولكن أكثرهم لم يجرأ على الجهر بانكارها

وقد اهتزت البلاد الاسلامية للدعوة المهدية ، وهرع جماعة من مصر والحجاز والهند والمغرب إلى المهدى . وخشى السلطان عبدالحميد خان الثانى التركى عاقبة انتشار الدعوة فنشر منشوراً سلطانيا كذب فيه الدعوة المهدية ، وأصدر علماء الأزهر فتوى أذاعها مجلس النظار وأوعز عبد القادر باشا حلمى إلى لفيف من علماء السودان لتكذيب الدعوة وكان للمهدى خاتم وسيف . وقد تفرد بمذهب إجتهادى وحد فيه المذاهب الأربعة ، أى أن المهدى كان إماماً مجتهدا ، ومنع زيارة الاضرحة



الشيخ محمد شريف نور الدائم باشا أستاذ المهدى
جالسا وحوله ابنه وأبناء أخيه

الفصل الثامن والعشرون

الخليفة عبد الله التعايشى

منذ وفاة المهدى فى يوم الاثنين ٩ رمضان سنة ١٣٠٢ و٢٢ يونية سنة ١٨٨٥ ، بايع أهل السودان الخليفة عبد الله التعايشى وأذاع منشوراً بأن المهدى قد مات

وكانت سياسة التعايشى المحافظة على شعائر المهدية ، وجعل أخاه يعقوب وزيره وقائد جيشه ومدبر أشغاله ، وولى أقاربه التعايشة كبار المناصب

التعايشى وفتح كسلا

فى يوم الأربعاء ١٦ شوال سنة ١٣٠٢ هـ المقابلة ٢٩ يولية سنة ١٨٨٥ م سلمت حامية كسلا بعد ما اشتد عليها الحصار ومات فيها الكثيرون جوعا وكان سقوطها على يد أمناء المهدى الحسين الزهرة وإدريس عبد الرحيم وعبد الله حمزة ومحمد حمزة .

وحضر عثمان دقنه إلى كسلا وكان المهدى قد مات فأعلن عثمان البيعة للخليفة عبد الله على سطح ديوان مديرية كسلا قائلا : إن كنتم تعبدون المهدى فان المهدى قد مات . وإن كنتم تعبدون الله فالله حى لا يموت . والخليفة عبد الله هو خليفة المهدى القائم بالأمر بعده فهل أنتم طائعون له متبعون لأمره ؟ قالوا جميعا نعم ثم بايعوه باسم الخليفة

ثم قتل المدير أحمد بك عفت وبعض الموظفين والتجار

وقد عزل التعايشى بعض القواد . وأخذ يجرد الخليفة شريف والخليفة ود الحلو من سلطتهما .

وقد وجه التعايشى كتبا إلى خارج السودان . من ذلك أنه قد وجه كتاباً إلى السلطان عبد الحميد وإلى سمو الخديو توفيق باشا وإلى الملكة فيكتوريا لدعوتهم إلى المهدية ثم إلى قبائل نجد والحجاز وإلى منليك ملك الحبشة وإلى محمد السنوسى فى غرب السودان الأقصى وإلى سلطان واداى ورابح الزبير .

وقد انتقض بعض الولاة والأمراء على عبد الله التعايشى كما حدث فى الأبيض إذ عزل محمود عبد القادر وولى عثمان آدم مكانه .

فى القلابات

احتل محمد ود أرباب القلابات فى ٥ مارس سنة ١٨٨٥ م

على حدود الحبشة

طلبت الحبشة القبض على الحاج على من قطاع الطريق اللاجئين إلى القلابات وزحف الرأس عدار على القلابات وقتل محمد أرباب وجيشه وأحرق القلابات وعاد بالغنائم إلى الحبشة فى أوائل يناير سنة ١٨٨٧ م

وعين الخليفة عبد الله ، يونس الدكيم عاملا على القلابات . ودعا التعايشى الملك يوحنا ملك الحبشة للاذعان المهدية . وبعث يونس حملات على الحبشة

وقد ظهر فى القلابات فى ديسمبر سنة ١٨٨٧ م رجل تكرورى يدعى آدم محمد البرقاوى إدعى أنه نبى الله عيسى وصدق به عشرة من الأمراء ، وخمسة من جيش يونس . وكان التعايشى قد عين حمدان أبو عنجة ومعه جيش إلى القلابات ومنها حاول غزو الحبشة فى ٩ يناير سنة ١٨٨٨ م ودخل بلاد دمبيا الحبشية وعاد إلى القلابات ومعه الغنائم ثم عاد ثانية لغزو الحبشة فى يونية سنة ١٨٨٨ م

وطلب الملك يوحنا إلى حمدان أبى عنجة الصلح لأن الملك كان مشتغلا بحرب الايطاليين ولكنه رفض الصلح وأغلظ فى القول . فحشد الملك يوحنا جيشا من نحو ٢٥٠ ألف مقاتل . ومات فى تلك الأثناء أبو عنجة وخلفه الزاكى طمل . وفى ٩ مارس سنة ١٨٨٩ م وصل الملك يوحنا القلابات وحدثت موقعة انتصر فيها جنود الحبشة فى أول الأمر ثم جرح الملك يوحنا جرحا مميتا وأوقع موته الفشل وانهزم جيشه .

فى سواكن : وجه كتشنر باشا محافظ سواكن فى ١٧ يناير سنة ١٨٨٨ م حملة إلى هندوب وهزم قوة عثمان دقنة وقد جرح كتشنر وعاد إلى سواكن ومنها إلى مصر وناب عنه الميجر شكسبير

ووقعت واقعة الجميزة فى ٢٠ ديسمبر ١٨٨٨ م وهزمت قوة برياسة السردار جرنفيل باشا ومعها أورطة انجليزية واللواء الثانى بقيادة اللواء هولد سميث باشا ، جيش عثمان دقنة عند طابيتى الشاطة والجميزة اللتين تحميان آبار الماء لحامية سواكن .

عند خط الاستواء

ذكر الدكتور محجوب ثابت الخطاب المرسل إلى أمين باشا مدير خط الاستواء من قائد قوة الجيش المصرى « سليم بك مطر »

واليك صورة هذا الخطاب التاريخى المجيد والصحيفة الخالدة مأخوذة من صورة فوتوغرافية عثرنا عليها فى كتاب بعنوان « عشر سنين » بمديرية خط الاستواء والرجوع منها مع أمين باشا للبكباشى « غيثانو كازاتى » مجلد ٢ صحيفة ٢٠٢ و ٢٠٣ نسخت مع المحافظة على حروفها وأسلوب رسمها : —

« مدير عموم خط الاستواء سعادتلو محمد أمين باشا حضرتلرى

« افندم بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٨ حضروا العساكر من محطتى موهى واللابورية ومائة وعشرون نفر من عساكر برنجى أورطة لمركز الأورطة وفى يوم ٢٤ منه صار تعيين بخيت أغا محمود الملازم ومعه فرق عسكرية إلى اللابورية لكشف أخبار الأشقياء وفى الساعة ٥ حضر بعض عساكر وعرفوا على أن الاشقياء قابلوهم بخور الطين ولغاية الغروب تم وصول الباقى وحضرت مكاتبة من رئيس الاشقياء عمر صالح يرغب التسليم وأوضحوا فيها مثل حامد بك محمد وعبد الوهاب أفندى طلعت وعلى أغا جابور وسالم أفندى خلاف وحسن افندى لطفى وان لم صار التسليم فتصير المحاربة ولم عطى لهم الرد فضلا .

« حرق محررهم . وفى يوم ٢٥ منه احاطاه الأشقياء بالحصار وصاروا يهللوا بمقالة أنهم مهدية وفى الساعة ١٠ من هذا اليوم وردت منهم مكاتبة أخرى استعجالا للاولى وصار رميها بمعرفة العساكر من خارج الحصار وبالاستفهام من الآدمى الذى أحضرها عن الكيفية عرف على أن القصد التسليم وفى يوم ٢٩ منه حضروا المذكورين بجوار المحطة وصاروا يضربوا الأسلحة علينا من الساعة ٣ لغاية الساعة ٩ وفى الحال صار خروج بعض عساكر إليهم وانتشب الحرب بينهم وهزموهم وقتلوا منهم ٦٢ نفرا بخلاف المجروحين ولم يحصل لعساكرنا شىء وفى يوم ٢٧ منه لم يزل حضروا هؤلاء المفسدين وشاغلوا العساكر بضرب النار وفى الساعة ١٠ من ليلة يوم الأربع صار ضرب نوبة كبسة وفى الحال اشتغل ضرب النار من الأشقياء وعساكر الحكومة الخديوية ولغاية الصبح اشتد الحرب بين الفريقين إلى أن صار اصابة احمد أغا على الأسيوطى وبخيت أغا على وسليمان أغا سودان بالرصاص والسيف من أيادى الأشقياء بأوجههم وأيديهم وقليلا من الصف ضباط والعساكر وفى هذا الأثنى دخلوا من تلك المفسدين داخل المحطة بقصد امتلاكها وقتلوا محمد افندى على النجار

القبودان والأسطى احمد المهندس ومرجان مزار ٢ جى ريس الخديوى وخميس سالم الباش عطشجى وفرج الله مرده العطشجى ولما ترآى لجميعنا ذلك صار الاجتهاد فى قتل من دخلوا الحصار والمحاطين به من خارج وفى الساعة ٢ تقريباً انقضت المعركة بين الطرفين بانتصار عساكر الحكومة وهزم عدوهم باقتفاء وما صار قتله منهم وجد مائتان نفر وعشرة بخلاف الذى أمكن تعداده والمجروحين الذين وصلوا لمحل إقامتهم واكتسبنا منهم إحدى عشرة بيرق بما فيهم بيرق أميرهم وبعضاً من الأسلحة الرامنتون والبيادة وجملة سيوف وحراب وأسر واحد منهم وارتجعت العساكر فى محلاتهم بعد عمل التشريفة اللازمة وفى يوم الخميس لم حصل شىء بخلاف المشاغلة فقط وفى ليلة الجمعة الساعة ١ تكامل حضور جماعة فأتوا لهنا والساعة ٢ حضر أحد الأهالى البيادة المأسوره بطرفهم وعرف عن قتل أغلبهم وأن غرضهم الفرار إلى الرجاف وفى صباح اليوم المذكور حضر أدمى تعلق عدالين أغا شلبى وعرف عن فرارهم ليلا وفى الساعة ١ من هذا اليوم حضر واحد عسكرى أصله من ملحوقات ٣ جى بلوك باللابورية وصادق على قول من سبق حضورهم وفى الوقت توجهوا العساكر إلى المحل الذى كانوا مقيمين به الأشقياء فوجدوا جملة نفوس قتلى ومجروحين بخلاف ما سبق تعداده ونقلوا المجروحين وأحضروا بعض صناديق جبخانة فوارغ وفى يوم السبت الموافق غرة الجارى الساعة ٦ حضر واحد عسكرى أصله كان من توابع المرحوم ريحان أغا ابراهيم وبمسؤوليته عن الكيفية أوضح أنه محضر معهم من الخرطوم وأن ما قاله الأشخاص المحضرين منهم المورين عنهم بهذا هو حقيق وأن قوة الأشقياء صارت ضعيفة جدا كذا عينا تراجمه لكشف أخبار وتوجهوا لحد خور عبد العزيز فوجدوا جملة أجربة داخلها ملبوساتهم وواحد سنكه رامنتون فأحضروهم

« وفى يوم تاريخه الساعة ٥ حضر واحد عسكرى يسما فضل المولى من جماعة بوجى من ضمن المأسورين بحركة الرجاف الأخيرة وعرفوا بأن الأشقياء توجهوا إلى الرجاف مكسورين مجدين السير والمجروحين الذين كانوا معهم يبلغوا مائة وخمسين نفر وجارى وفاتهم بالطريق وسيرهم بالعجلة وكلما مروا على محطة مثل الخور واللابورية جارين حرقها هذا ولاحاطة شريف علم سعادتكم بما قد حصل من عساكر الحكومة وجب ترقيمه بالعرض لسعادتكم أفندم »

بنده بكباشى ٢ ط

خاتم (سليم مطر)

فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٨

« سعاتلو افندم حضرتلرى

« أفندم مع ماتوضح أن جميع فرسانهم وريساهم وقاضيهم قتلوا فى يوم الواقعة »

فى تاريخه خاتم (سليم مطر)

وقد نشر سليم مطر بك وهو ضابط بحرى رسالة عن رحلاته فى أعداد يولية وأغسطس وسبتمبر من مجلة الجمعية الجغرافية سنة ١٨٤٢ ، حيث كشف النيل الأبيض

الخليفة عبد الله التعايشى

ربع القامة أسمر اللون أشيب الشعر عربى الملامح خفيف الشاربين واللحية مستديرها وقد هذب لحيته وشاربيه ، على وجهه آثار الجدرى أقنى الأنف وقاد الذكاء ، قصير الشفتين ، تبرز منهما أسنانه ، أميل إلى الابتسام ، جم النشاط . وعلى الاجمال يشبه المهدى إلا أنه أقصر منه قليلا وأقل سمرة وأضيق جبهة وأصغر لحية ، وكان نحيفا ثم صار بدينا

كان لباسه كالمهدى أى الجبة المرقعة فوق سراويل من الدمور المعروف بالقنجة والعمامة المفلجة فوق المكاوية مدلاة منها عذبة على كتفه اليسرى ويلقى على كتفيه رداء بطرف حرير أزرق ويتمنطق بمرفعة حول خصره وكتفه اليسرى ويتلثم برداء من الشاش الرفيع فوق العمامة بحيث لا يظهر من تحته إلا دائرة وجهه ويلبس فى عنقه سبحة كبيرة وفى قدميه الخف الأصفر فى الحذاء الأصفر فاذا جلس خلع الحذاء وأبقى الخف وتربع على عنقريب(١) فوقه فروة من جلد الضأن وهى التى يصلى عليها . وكان نظيفا ويتطيب ، وعن يساره سيفه وفى يمينه حربة قصيرة هدندوية ويعرج عرجا خفيفا لكسر ساقه عند سقوطه من جواده عند فتح الأبيض . وكان يمشى خلفه غلمان من الحبش . وله أربع زوجات منهن أم كلثوم بنت المهدى عدا الجوارى وبلغ أولاده ٢١ ذكرا و ١١ أنثى . وكان عنده خصيان

وكان يصلى الفجر فى مسجده ويسمع راتب المهدى ، ثم يخلع زيه الرسمى ويلبس الشقة ويتناول الطعام وهو زبدة بقرية ولبن بقرى وينام إلى الضحى ثم يستيقظ فيتناول طعاما من عصيدة الدخن مع ملاح التقلية أو أم دقوقة — وهو ملاح مركب من السمن والشرموط البقرى والويكة مع الشطة والملح والبصل ، ثم اللحم المنصص .

ثم ينظر فى المراسلات ، ثم يدخل الحريم حتى الظهر ، فيخرج للصلاة فى

(١) العنقريب يسمونه فى السودان « عنجريب » سرير من الخشب أو جزع النخل

المسجد فى محرابه تحت الرواكيب . ثم يصدر الأحكام ما بين توبيخ وسجن ونفى وقتل ويتناول الغداء فى داره وهى الكسرة والطبيخ . ثم يصلى العصر فى الجامع ويسمع الراتب . ويتفقد الجيش ، ويصلى المغرب ثم يتناول العشاء فى داره ويعود لصلاة العشاء فى المسجد ، ثم يعود إلى داره ويجتمع مع وزيره يعقوب وقاضى الاسلام وشيخ السوق وأمين بيت المال ، ويبقى الملازمون جالسين أمام باب داره حتى يتأكدوا من انصراف مجلسه فينصرفون ثم ينظرمع رئيس خصيانه فى نفقات منزله ، ثم يدخل مخدعه ويجتمع بزوجاته ثم ينام حتى الفجر .

ويستأذن الداخل عليه ويخلع سلاحه وينكس رأسه ويداه إلى صدره ثم يقول السلام عليك يا خليفة المهدى « عم » فيجيب وعليك السلام ويشير عليه بالجلوس فيجلس جاثيا أو يقبل يده . ولا يخرج حتى يأمره بالانصراف

وكان يولم للجيش وليمة . وكان النساء فى عهده يصلين خلف الرجال

حكومة التعايشى

جعل السودان عمالات ثمان: الجزيرة ، وجبال ادريس ، وغرب البحر الابيض ، وشات ، والبادية الغربية ، والبادية الشرقيه ، وشرق النيل الأكبر ، وغرب النيل الكبير ، وعمالة الشلك والدنكا « مديرية فاشودة »

ولم يحتل فاشودة وفازوغلى بل كان يرسل اليها العمال لجلب الحبوب والعبيد على سبيل الجزية

وكان يطلب إلى عماله المحافظة على الصلوات الخمس وتلاوة راتب المهدى والجهاد والطاعة وإقامة العدل والبعد عن الفساد

وبلغ جيشه فى أم درمان أكثر من ٥٠ ألف فى ستة أقسام : قسم الملازمية القديم وقائده بخيت جاموس النوبى ، والملازمية الجديد وقائده شيخ الدين بن الخليفة ، والكارة بقيادة ابراهيم الخليل ، والراية الزرقاء بقيادة يعقوب أخو الخليفة ، والراية الصفراء بقيادة محمد شريف والراية الخضراء بقيادة الخليفة ود الحلو وألحق بالجيش قسم الصحراء الشرقية بقيادة عثمان دقنة . وكان عند التعايشى مدافع وذخائر

وكان يجمع الزكاة والعشور والغنائم ، وأهمل الزراعة أولا ، وراجت صناعة الأسلحة وأبقى الترسانة والمراكب وخط التلغراف بين الترسانة وأم درمان وأنشأ معملا للصابون ، وضرب النقود من الفضة ، وكان التعليم قاصرا على حفظ القرآن وتفسيره

وقد أبطل أمناء ونواب المهدى وحصر القضاء فى قاضى الاسلام وأعوانه وكان رفع الدعوى اليه شفهيا عند دخوله المسجد بالنداء عليه: ياخليفة المهدى إنى مظلوم، فيسمع قضية المتظلم ويفصل فيها

وكان سجنه حوشاً واسعا مسورا فى وسطه أكواخ من الحجر والطين يزدحم فيها المساجين مقيدين فى أرجلهم، وبالجنزير فى أعناقهم. واستعمل المشانق والبربندى «الفلق»

وسياسته الخارجية قامت على دعوة الملوك والأمم الى المهدية، أو محاربة جيرانه وقد منع دخول الأجانب

وكتب إلى منليك امبراطور الحبشة، سنة ١٣٠٨ هجرية:

«وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدى عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى منليك. نعلمك انا قد كنا قبل هذا كاتبناك للدخول فى الملة الاسلامية والانتظام فى سلك اتباع المهدية رحمة بك وشفقة عليك وحبا لهدايتك وخوفا عليك من الموت على ملة الكفار الذين مصيرهم الى النار وغضب الجبار وحذرناك عاقبة الخلاف والأعراض. وقد مضت من عهد ذلك مدة وما أتانا منك رد عن المكاتبة التى حررناها اليك وما علمنا السبب فى ذلك. أفما وصلت اليك مكاتبتنا أم وصلت واخترت عدم مجاوبتنا كما حصل من الهالك النفس يوحنا عظيم الحبش. فأنا قد كاتبناه مرارا ودعوناه الى الاسلام جهارا فاستكبر واستنكف حتى أهلكه الله تعالى على يد أنصار الدين هو ومن معه من الوزراء والمشركين وقطعت رءوسهم وحملت إلينا فكانت عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين. وغاية الأمر أنا قد ضربنا صفحا عن جميع ما مضى منك ومن باب الشفقة عليك حررنا هذا ثانيا اليك بدعوتك إلى الدخول فى ملة الاسلام والانتظام فى سلك اتباع المهدى والاذعان لحكمنا والعمل باشارتنا. فان أجبت داعينا وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وحسن اسلامك والتزمت العمل باشارتنا وصرت من ضمن اتباع المهدية القائمين بأوامرها المرضية. فاعلم إنا سنقبلك ونجعلك أميرا من طرفنا على بلادك وتكون مكرما لدينا وإلا فان أعرضت عن ذلك فذنبك عليك لكن يلزمك أن تكون واقفا على حدودك ولا تتعدى حدود الاسلام. والا فان تعديت الحدود فلا بد من مناجزتك الحرب ويكون عليك من الهلاك والدماء مثل ما كان على الهالك يوحنا لما طغى وبغى وتعدى الحدود. وها قد أنذرناكم بهذا. وفيه الكفاية لك والسلام على من اتبع الهدى فى سنة ١٣٠٨ ه»

وقد رد منيلك على التعايشى بتاريخ ١١ يونية سنة ١٨٩٦ بما يلى . « غلب الأسد من طائفة يهوذا منيلك الثانى المجعول بارادة المولى ملك ملوك الأيثيوبية - إلى جناب الخليفة عبد الله بن محمد - بعد مزيد السلام كيف حالتكم أما أنا فأشكر الله بخير وعافية : وأخبركم أنى بعد حصول المحاربة بيننا وبين التليان بناحية مدينة عدوة غلبتهم باحسان البارى وعدت الى مدينتى المحروسة بخير وسلام : وأما باقى الكلام الذى أريد أن أبلغه إياكم ، فالرسول الواصل صحبة هذا وهو الحاج احمد يخبركم به شفاها ودمتم . كتب بمدينة اديس أبيا فى سنة ١٨٨٨ حبشية ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣١٣ هـ — ١١ يونية سنة ١٨٩٦ م »

وقد أرسل التعايشى اليه خطابا قال فيه « إن ما أردته من انعقاد الصلح بيننا وبينكم فليكن بعلمك أننا لا نريد دخول أحد من الأوربيين فى أى جهة من جهاتنا الاسلامية لا بحرفة البيع والشراء ولا بصفة السياحة . وليس بينا وبينهم إلا الحرب فان كنت أنت كذلك ومنعت جميع الأوربيين من الدخول فى بلدك إلا بالحرب بحيث لا يكن بينك وبينهم الا بالحرب . وعلى هذا الشرط ينعقد الصلح بيننا وبينكم — ٦ ربيع سنة ١٣١٤ هـ - ١٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ م »

وحمل هذا الكتاب سفير التعايشى محمد عثمان. وقد طلب التعايشى من منيلك تأديب ود تور الجورى فى جبال فازوغلى لأنه عصاه فأدبه منيلك وملك بلاده

معاهدة

روى لنا أحد علماء السودان الرواية التالية :

فى سنة ١٨٩٧ أبرمت معاهدة بين منليك وامبراطور الحبشة وبين الخليفة عبد الله التعايشى ، وبمقتضاها نزلت الحبشة عن أراضى حبشية متاخمة للسودان إلى حكومة الخليفة ، وقد حدث أن نسخة المعاهدة سلمت إلى المغفور له الشيخ أبى القاسم هاشم شيخ علماء السودان وكان قبل ذلك كاتم السر للخليفة عبدالله وسرقت ورقة المعاهدة من الشيخ أبى القاسم ، ولما طلبها الخليفة عبدالله أجابه بأنها مفقودة ، وكان ذلك يوم أحد ، فأمهله إلى يوم الخميس التالى ، وتوعده بالقتل إذا لم يحضرها اليه فى اليوم المحدد . فمضى الشيخ أبو القاسم إلى باب أى « ديوان » شيخ الدين وهو الابن الأكبر للخليفة عبد الله حيث اجتمع أبو القاسم بشقيقه الشيخ الطيب أحمد هاشم ، وخرج معه إلى بيته وأخبره بوعيد الخليفة واتفقا على الابتهال الى الله تعالى أن يلهمهما أين توجد الورقة المسروقه ، ومضيا فى ذكر الله حتى كان مساء

يوم الأربعاء ، فاغفى الشيخ الطيب ، ورأى فى غفوته كيف أخذ السارق الورقة ومن هو وأن الورقة مودوعة الآن جوف كتاب فى دار السارق ، فتوجه فى الحال الى ذلك المنزل وأسترد الورقة فى غفلة منه وعاد الى الشيخ أبى القاسم وسلمها له ، وقد تعاهد الشيخ أبو القاسم والشيخ الطيب بعدم البوح باسم السارق خشية أن يصيبه عذاب أليم وهلاك محقق من التعايشى ، وتوجه الشيخ أبو القاسم ومعه الورقة فى صباح الخميس الى الخليفة عبد الله ومعه ورقة المعاهدة ، وقد حاول الخليفة أن ينتزع منه بيانا عن كيفية الحصول على الورقة ، فأصر الشيخ أبو القاسم على أنه وجدها بين أوراقه الخاصة

« أما السارق فقد أدرك بعد خروج الشيخ الطيب أنه أخذ الورقة من الكتاب وسلمها للشيخ أبى القاسم ، فخشى العاقبة وأدناها هلاك محقق من الخليفة ، ولبث حائرا مذعورا ثلاثة أيام حتى ضمر وهزل وتوجه الى الشيخ أبى القاسم وكاشفه بشعوره وقال له أنه يعرف العاقبة ويريد أن ينزل به المكروه المنتظر حالا . فأصر الشيخ أبو القاسم على ان الورقة كانت بين أوراقه ، وأنه لم يأخذها من دار السارق فلم يسع السارق — وكان خصما منافساً كائدا للشيخ أبى القاسم — إلا أن يقر بنبل فضيلته وكرم أرومته ، وادرك أن إخفاء الحقيقة مقصود به انقاذه من الهلاك . وقد أوصى الشيخ أبو القاسم أولاده بكتمان اسم السارق أبد الأبدين

أما الورقة فقد ظلت فى دار الشيخ أبى القاسم حتى قبيل استعادة السودان على يد كتشنر باشا فى واقعة أم درمان فأمر الخليفة باحراقها فأحرقت »

بين التعايشى ومشايخ السودان

عند تولية التعايشى كتب الى مشايخ السودان كافة بالحضور الى ام درمان لتجديد البيعة عليه والتبرك بزيارة قبر المهدى . وقد نكل بالممتنعين مثل صالح الكباشى وأهله الكبابيش ومادبو شيخ الرزيقات وعوض الكريم باشا أبى سن شيخ الشكرية ، الذى امتنع أولا عن إجابة دعوة المهدى ثم أحضر بعد سقوط الخرطوم الى ام درمان وعفا عنه المهدى . ولكن أباسن لم يجب دعوة الخليفة ، فسجنه ومات قهرا ونكل التعايشى بالشكرية ، وقتل محمد البشير على طه بن جن شيخ الحمدة وسجن محمود ود زايد شيخ الضبابنة ، ثم عفا عنه ، وشنق إبراهيم ود عدلان أمين بيت المال

قاضى الاسلام

أحمد ود جبارة أول قاض للاسلام فى المهدية وقتل فى الأبيض ، فخلفه ود حلاب ، ثم احمد على ، الذى سجنه التعايشى سنة ١٨٩٤ ومات مسجونا ، وخلفه سليمان الحجاز من بربر ثم الحسين الزهرة الذى سجن سنة ١٨٩٥

الاسرى

كان رجال المهدية يسمون المسلمين المصريين الأسرى « أولاد الريف » والنصارى الذين « أسلموا المسلمانية » .

وقد انتفع المهدى وخليفته بمعارف المصريين والمسلمانيين الفنية والحربية والكتابية ، مع دوام مراقبتهم والحذر منهم .

مؤامرة

وقع خلاف بين التعايشى والخليفة شريف وأقارب المهدى ، وظن التعايشى أنهم يؤلبون مؤامرة لاغتياله ، فسجن الخليفة محمد شريف مكبلا بالحديد بعد الحكم عليه من الخليفة ود الحلو والقضاة ، ثم توسط آل المهدى فأفرج التعايشى عن محمد شريف

المجاعة

حدثت مجاعة سنة ١٣٠٦ وسنة ١٨٨٨ م لعدم نزول مطر كاف ولغارة الجراد وانتشرت الأمراض على النيل والسودان الشرقى والغربى ، ما عدا فاشودة التى أرسلت الحبوب فخففت المجاعة . وأدرك التعايشى أن الاهتمام بالزراعة واجب

فى عهد المهدية

ألغيت الضرائب وجمعت الزكاة والعشور والغنائم فى بيت المال العام بأم درمان . وأقام التعايشى عاملا على كل عمالة ولكل عمالة بيت مال خاص وللعامل وكيل ومعه قاض ونائب قاض وكتاب .

غزوة عبد الرحمن النجومى لمصر

كان من خطة المهدى وخليفته عبد الله التعايشى فتح مصر . وقد زاد اهتمام الخليفة بهذا الفتح بعد أن أصبح السودان كله خاضعاً لحكمه . فكاتب رؤساء القبائل

والعشائر فى الصعيد واستنفرهم للاشتراك فى فتح مصر .

وقبل أن يتقدم الجيش الكبير الذى سار من دنقلة إلى فتح مصر بقيادة عبد الرحمن النجومى ، وقعت مناوشات فى شمال السودان لتبديد شمل الحاميات المصرية

جلت الجنود الانجليزية التى كانت مشتركة مع الجيش المصرى فى حماية الحدود من مصر والسودان ، واشتغل الجيش المصرى وحده بقيادة سرداره جرانفيل باشا بعبء المحافظة على الحدود .

كان عبد الرحمن النجومى عاملا على دنقلة ، وكان « قيدوم » من أهل التعايشى وكيلا له ، وفى سنة ١٨٨٥ خرب محمد الخير سكة الحديد بين عكاشة وسرس ثم أرسل النجومى مقدمة جيش برياسة النور الكنزى فخرب السكة الحديدية بين سرس وعبكة فى نوفمبر سنة ١٨٨٥ .

وقد انتصر شرمسيد باشا قومندان حلفا فى ٢٨ ابريل سنة ١٨٨٧ على النور الكنزى فى واقعة سرس . ولكن النجومى أرسل عبد الحليم مساعد مع جيش احتل سرس

وقد أنشأ السردار سنة ١٨٨٥ نقطة من العبابدة المليكاب فى آبار المرات برياسة صالح خليفه بك ، لتكون فى صدر بوغاز أبى حمد

وكانت حملة الدراويش فى سرس تواصل الغزو فغزت أرمنة والتوفيقية وطابية خور موسى وديبرة وسرا الغرب

ثم تقدم النجومى بجيش كبير بلغ نحو ١٥ ألفا ومعه النساء و١٤ مدفعا والبنادق والرماح والجياد والابل والغلال والتمر . فوصل معتوقة فى ٢٨ يونية سنه ١٨٨٩ وكشف حلفا حيث قسم جيشه الى ثلاثة أقسام . ووصل قبالة البلينة جنوبى هيكل أبى سمبل

وحشد السردار غرانفيل باشا الجنود ووصل الى البلينة وكتب الى النجومى يدعوه الى التسليم فأبى وحشد السردار الجيش من أسوان الى توشكى وكان رؤساء الجيش ضباط انجليز، بينهم كتشنر باشا وونجت بك « باشا » . وتوشكى بلدة مستطيلة على غربى النيل على بعد ٦٠ ميلا من حلفا وبها نخيل ، ومن ورائها سهل رملى تتخلله الآكام والصخور والجبال ، التى وصل النجومى بجيشه اليها . ولم يبق معه عندئذ إلا ٣٣٠٠ من الرجال و ٣٦٠٠ من النساء والغلمان والاتباع .

ووقعت واقعة توشكى فانتصر الجيش المصرى فى ٦ الحجة سنة ١٣٠٦ هـ . وأسر ابن النجومى وتعلم فى مصر وأصبح بكباشى بالبوليس المصرى بعد انسحاب الجيش سنة ١٩٢٤ وغنم الجيش الأسرى والرايات والحراب ، وقدضمت الاشلاء ووضعت فى قبر ووضع له أثر سجلت فيه الواقعة إلى اليوم

ومدت الحدود حتى سرس فاحتلتها الأورطة الثالثة عشرة

وفى اكتوبر سنة ١٨٨٩ أصدرت الحكومة منشوراً إلى أهل السودان تدعوهم إلى نبذ المهدية ووزعته على يد أسرى توشكى وفيه « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيد المرسلين وبعد فلا يخفى عليكم ما كانت عليه بلادكم السودانية أيام الحكومة الخديوية من رغد العيش وراحة البال وما آلت اليه حالتها من الضنك والاضمحلال بأسباب الفتنة المهدوية . . . . الخ »

بعد حملة النجومى

بعد هزيمة النجومى ، جعل السودانيون « سواردة » أقصى نقطة لهم شمالا ثلاث سنوات وقد وقعت مناوشات منها غزوة سرس وسرا الغرب وقستل وحمابى وأمبقول وبريس والمرات حيث قتل فيها صالح بك محمد خليفة وخلفه أخوه عبد العظيم ، وغزوة الشب وادندان وسرس القديمة . وكانت هذه الغزوات بين سنة ١٨٩٢ و سنة ١٨٩٦

كسلا

وفشل أحمد فضيل فى محاولة دخول كسلا بين مارس وابريل سنة ١٨٩٦ ، ورده الايطاليون إلى القضارف

تقدم الايطاليون باذن الحكومة المصرية ففتحوا كسلة بقيادة الكولونيل بارتيارى وهرب مساعد قيدوم عاملها من قبل الخليفة الذى سبق له عزل أميرها حامد على ثم خلفه أبا قرجة

غزوة دقنة لطوكر

فشل عثمان دقنة فى الاستيلاء على طوكر سنة ١٨٩٦ فى واقعتى سدنى وفنك

فى أم درمان

ترك رجال المهدية الخرطوم حتى خربت واهتموا بعمران أم درمان التى تقع تجاهها على النيل الأبيض . وبنوا ديما ، كما كانت عادتهم من بناء الديوم — وهى مساكن خارج المدن — وبنى المهدى جامع الصفيح . وبنى الخليفة بجانبه جامعا متسعا وهو حوش عظيم مربع يحيط بهسور وله ثمانية أبواب . بغير سقف ووضع الحجر الأساسى فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٧ وبنى بعد ٧٣ يوما

وكان الأهالى يؤدون الصلوات الخمس فيه جماعة .

ثم بنا قبة المهدى وبدأ البناء فى ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨

وقد وصفها اسماعيل عبد القادر الكردفانى فى قصيدة : مطلعها

سمت قبة المهدى مجدا وسؤدداً ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا

وقد نقش تاريخ القبة على حجر رخام فوق عتبة بابها الجنوبى سنة ١٣٠٦ هجرية .

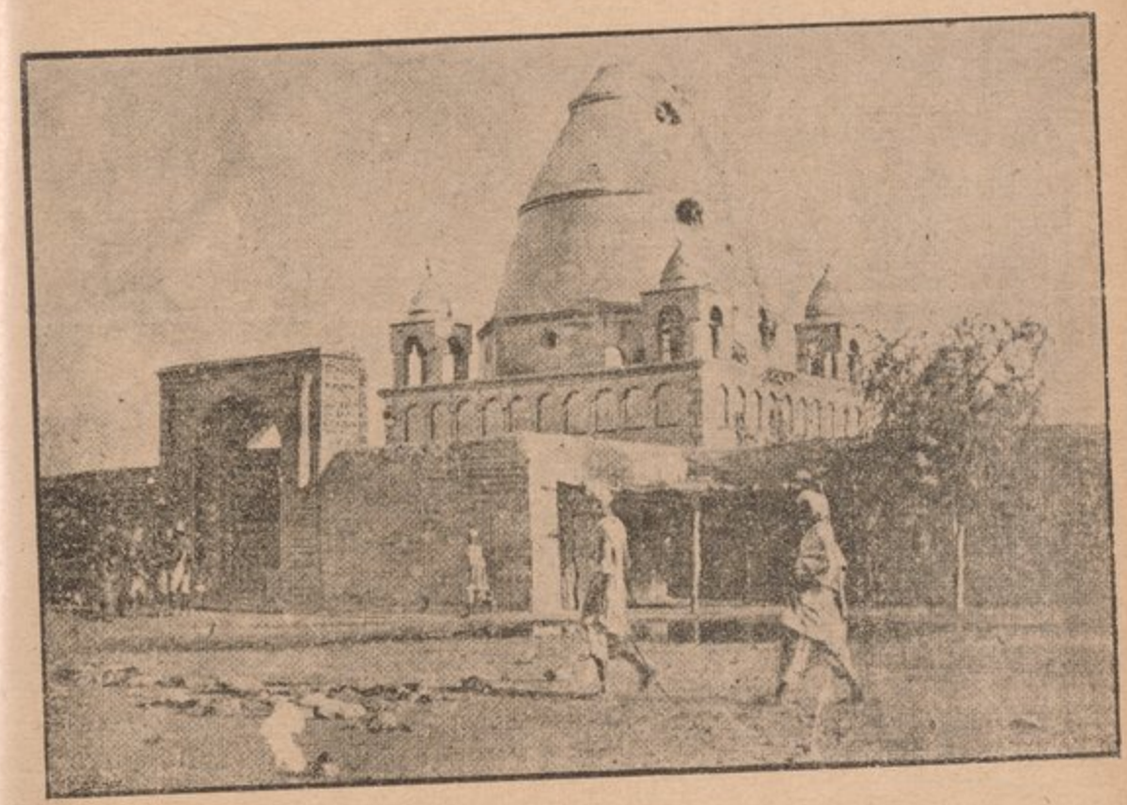

« قبة المهدى بعد واقعة أم درمان »

المصريون فى السودان والثورة المهدية

ذبح أنصار المهدية آلافاً من التجار والمستخدمين المصريين فى مدينة الطيارة أكبر مركز لتجارة الصمغ وريش النعام فى مديرية كردفان . وبقرت بطون الحبالى وقذف الأطفال فى الجو وكان الثوار يتلقونهم على أسنة الرماح . فى عهد الفقير المنه زعيم قبائل الجوامع والجمع . وقد استنكر المهدى هذا العمل . ومات أكثر سكان الأبيض ، التى عاش فيها ألوف من المصريين جوعا فى أثناء الحصار ولغلاء الحاجيات كما تقدم . وقيل إن الناس أكل بعضهم بعضا . وسبيت الفتيات وانتحر الكثير منهن ومن أوليائهن .

ونكل محمد خالد زقل بك وكيل مديرية داره بدارفور ثم مديرها قبل الثورة المهدية ، وابن عم المهدى ، الذى أمره على دارفور ، بالموظفين المصريين ، وانتحر الصاغ حمادة أفندى بعد أن ضرب بالسوط ثلاثة أيام متوالية ، وكانت تملأ جروحه بالملح والفلفل لكى يدل على أمواله المخبوءة ولكنه مات دون أن يفعل مصرا على أن المال ماله وأنه ورثه عن أبيه وأن المهدى ما كان أخاً له حتى ينازعه تراثه

وذبح أكثر التجار المصريين ووكلائهم فى السودان وسلبت بضائعهم وكذلك فى بربر . وقتل من سكان الخرطوم يوم سقوطها ٢٤٠٠٠ الفا عدا الجيش ، الذى

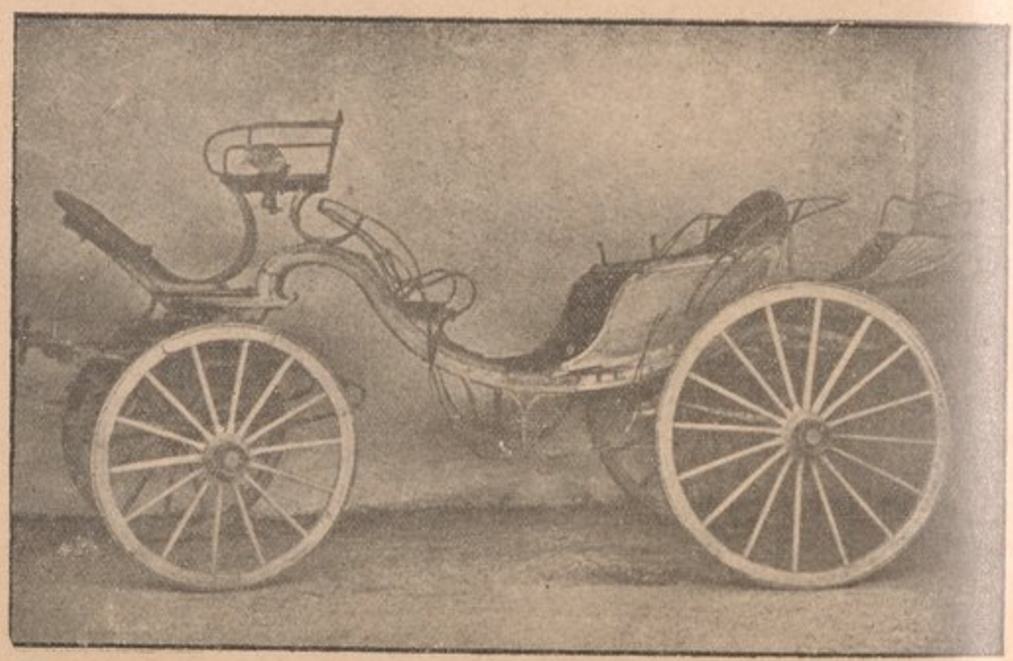

العربة التى كانت عند الخليفة عبد الله التعايشى وهى من غنائم الخرطوم ولا تزال فى متحف ام درمان

كان عدده حوالى ثمانية آلاف وسبيت ٣٥٠٠٠ فتاة وسيدة . ولم يبق من سكان حامية كسلا وأسرهم يوم سقوطها إلا ٤٨٠٠ شخص فى حين أن عددها كان ٥٠ ألفا . ولم يبق من سكان مدينة سنار ، وكان يسكنها كثرة من المصريين غير ثلاثة آلاف شخص يوم سقوطها .

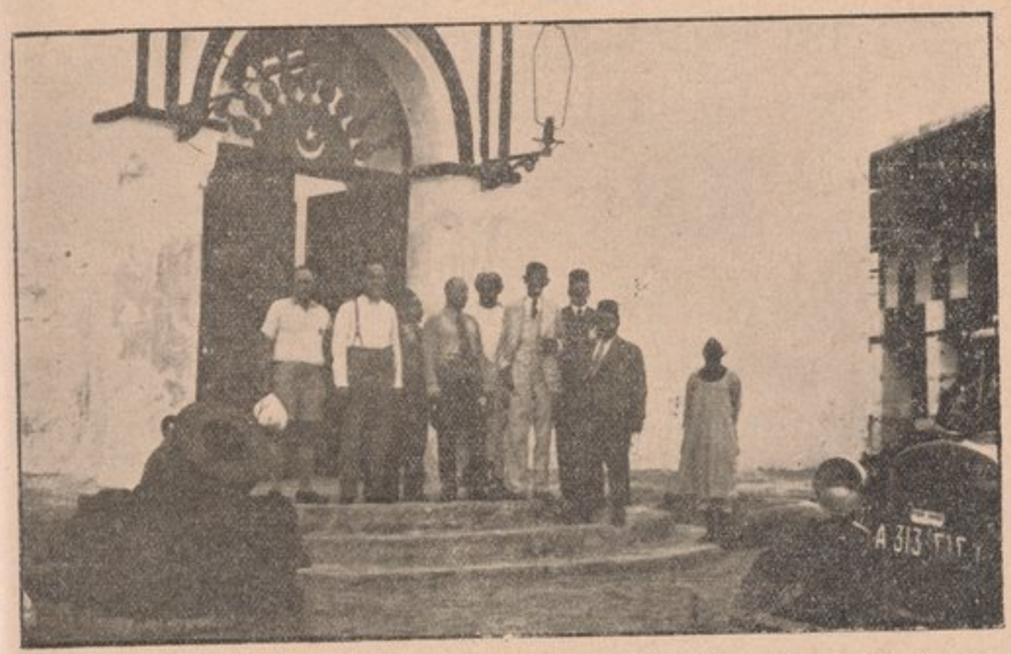

دار محافظة سواكن ، وكان بها كتشنر باشا محافظاً لها فى عهد الثورة المهدية . ويرى أمامها لفيف من أعضاء البعثة المصرية فى السودان سنة ١٩٣٥

ومات فى سقوط كسلا اللواء أحمد عفت باشا والسنجق حسن سليمان بك وأحمد شوقى بك معاون المديرية . وفى سقوط سنار اللواء حسن صادق باشا ، والقائمقام حسن عثمان الكريتلى بك وأحمد مكوار بك وكيل المديرية ، وفى سقوط خط الاستواء الامير الاى سليم مطر بك والقائمقامان حامد محمد بك وفضل المولى بك والبكباشية مرجان وعبد الوهاب طلعت وعلى جبور وبخيت وسالم خلاف . وفى الاسر صالح الملك باشا وفرج الله باشا

وقد رغوردون فى احصائه أن عدد المصريين فى السودان قبل سقوط الخرطوم كان يبلغ ٢٠٠ الف ، وبعد وفاة المهدى أمر الخليفة التعايشى بان يجتمع المصريون فى صعيد واحد فبلغ عددهم عندئذ خمسة آلاف من الرجال ، وكان يسميهم « فضلة سيف المهدى » . وقد وقعت مجاعة فى عهد التعايشى « ١٨٨٨ — ١٨٨٩ » ، وفتكت بمئات الالوف من أهل السودان والمصريين فيه

ومات من الضباط العظام بالجيش المصرى من مصريين وسودانيين راشد أيمن بك فى واقعة راشد بك ويوسف الشلالى باشا والقائمقام محمد عثمان بك والبكباشى حسن رفقى فى واقعه الشلالى ، والقائمقام على لطفى بك فى واقعة على لطفى بك ، واللواء محمد سعيد باشا والميرالاى على شريف بك والبكباشية محمد الفولى وباشا حماد ومحمود حسن ونظيم ومحمد يسن بك ناظر قسم كردفان عند سقوط الأبيض . واللواء علاء الدين باشا واللواء حسين مظهر باشا والاميرالايات البكوات سليم عونى والسيد عبد القادر وحسين فهمى وعباس وهبى ورجب صديق ، والسنجقات البكوات عبدالعزيز يحيى كامل وخير الدين « والسنجق رتبة كانت أعلا من رتبة البكباشى وأقل من رتبة القائمقام وقد الغيت » والدكتور جورجى بك حكيمباشى الحملة المصرية ، وفى وقائع دارفور قتل البكباشية شرف الدين وعلى الطوبجى ومحمد فرج ، وفى وقائع سنكات وطوكروسوا كن قتل الأميرالاى عبدالرزاق نظمى بك والقائمقام محمد توفيق المصرى بك والبكباشية محمود خليل ومحمد فهمى المصرى وكاظم . وفى وقائع حصار الخرطوم وأم درمان وسقوطهما اللواءات محمد على حسين باشا وموسى شوقى باشا وفرج الزينى باشا ، والاميرالیان بخيت



منظر لقرية من قرى الشلك

بطراكى بك ومحمد القبانى بك ، والقائمقامية البكوات سلطان عبد الله ومحمد الملك وعثمان حشمت وفرج صالح والسيد أمين وسرور بهجت ويوسف عفت وحسين القبانى واحمد ابو القاسم وعبد الله العبد وعبد القادر حسن وحسن العقاد ، ومصطفى عصمت ، ومحمد اسلام ، وابراهيم لبيب ، واحمد عبد الوهاب والسناجقة البكوات متولى ، وعلى ، وميتو ، وعبد الهادى ، ومحمد كرسى ، ومحمد قرضية ، ومحمد السنجق ، ونصر وبشير خشم الموس ، ومحمد نعمان ، والبكباشية ابراهيم سودان ومنصور عبد العال ، ومحمد عثمان ، واحمد حماية ، ومحمد دسوقى ، وحسين محمد ، وعلى صقر ، وسليمان النشار ، وحسن فؤاد ، ومن كبار الموظفين محمد حسن باشا مأمور المالية والشيخ محمد حتيك قاضى القضاة والشيخ شاكر الرئيس مفتى السودان وعصمت بك مدير التلغرافات وابراهيم رشدى بك سكرتير غوردون وقرياقص القمص بك باشكاتب الخرطوم ومحمد ابراهيم بك والشيخ محمد موسى مفتى المحاكم الشرعية والشيخ محمد السقا شيخ القراء والشيخ حسين المجدى رئيس أساتذة المدرسة الأميرية بالخرطوم والسيد فايد شيخ السجادة الأحمدية واحمد جلاب بك مدير الخرطوم ومحمد عطيه بك صراف الخزينة .

أمين باشا فى خط الاستواء

حضر إثنان أحدهما اينكر الألمانى والكبتن كازاتى الايطالى لمساعدة أمين بك « باشا » مدير خط الاستواء عند قيام الثورة المهدية وقد تبرع الرحالة الشهير المستر ستانلى بحملة من مصر إلى زنجبار إلى الكونغو إلى بحيرة البرت فوصل اليها فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٧ م . وقد التقى استانلى بأمين بك فى نسابى فى ٢٩ إبريل سنة ١٨٨٨ م وتسلم أمين بك من استانلى أمراً عاليا بتوقيع الخديو توفيق بترقيته إلى رتبة اللواء وترقية ضباطه .

وقد هاجم عمر صالح خط الاستواء سنة ١٨٨٨ م وسجن أمين باشا ثم أفرج عنه .

وقد عاد إلى زنجبار وترك خدمة الحكومة المصرية وقتل .

سقوط الخرطوم ورأى الانجليز فى الموقف

خلص لنا من مطالعاتنا الكثيرة عن موقف الانجليز فى السودان ، أن الحكومة الانجليزية — فى لندن — عند الثورة المهدية لم تتوقع النتائج التى أدت اليها وأنها افترضت أن انسحاب الحكام والجيش المصرى من السودان ، سيترتب عليه أن ينقسم السودان إلى إمارات أو ممالك وسلطنات صغيرة كل منها يدعى استقلالا . ولكن الذى حدث هو أن المهدى انتصر انتصاراً شاملا وأصبح السودان فى قبضة يده وطوع بنانه ورهن إشارته ، وأضحى المهدى يهدد مصر والبلاد المجاورة ، بل يهدد الاستعمار الانجليزى فى أفريقيا .

لم يصل نبأ سقوط الخرطوم إلى مصر والعالم فى حينه ، لانقطاع المواصلات وقيل إن القاهرة لم تعلم بسقوط الخرطوم إلا بعد شهر منه .

تقرير سير شارلس ولسون (١)

نشرت جريدة « الأهرام » بعددها الصادر بتاريخ ٣٠ مايو سنة ١٨٨٥ تقريراً رفعه السير شارلس ولسن إلى اللورد هرتنتون بواسطة اللورد ولسلى ، بحوادث التجريدة التى سيرها تحت إمرته إلى الخرطوم وهذا نص التقرير :

سيدى — أقلعت بعض السفن من الخرطوم فبلغت قوبات فى ٢١ يناير اذ كنا نناوش الثائرين القتال بجوار المطعمة فتربص ربانها فيها ريثما أرفضت المعمعة ثم جاء الى بين الساعة الثالثة والرابعة فناولنى ودائع سلمها له الجنرال غوردون ففضضت أختامها واذا هى كتب من خطه فقرأتها وصممت فى الحال على أن أتوجه الى الخرطوم لو لم أجد بواعث عديدة حملتنى على تأخير ذلك . ولكن لا يخفى محيط علمكم أننى لو سافرت فى صبيحة ٢٢ الشهر المذكور وقطعت المسافة بمعدل ماقطعتها لما تمكنت من الوصول الى الخرطوم قبل ظهيرة ٢٦ منه أى بعد سقوطها فى أيدى الثائرين بيوم . فاذا ما تبين ذلك ابتدأ الآن باثبات تلك الأسباب التى دعت الى تأخيرى عن السفر وهى :

أولا — لضعف قوتنا الناشىء عن كثرة قتلانا وجرحانا ولأن قاسم الموس

---

(١) راجع ص ٢٣٦ من هذا الجزء

ربان السفن المذكورة أنبأنى بأنه رأى وهو مقبل نحونا القائد فتى مصطفى زاحف بقوة عظيمة نحونا فاستنبأته عن موعد وصولها الينا فقال انها ربما تصل فى الغد « أى ٢٢ يناير » فصرفت يوم ٢١ منه فى التهيؤ والاستعداد ثم سرت فى صبيحة اليوم التالى بشرذمة قليلة فتقدمت بها على ضفة النيل حتى بلغت شندى كل ذلك لأرى ما اذا كان نبأ الربان صحيحاً .

ثانياً — لأن الجنرال غوردون (١) الح فى كتابه بأن نتخذ قيادة السفن بأنفسنا وإلا فنعيدها اليه بعد أن ننزل منها جميع الباشاوات والبكاوات وكل رجل كان مصرى النزعة أو تركيها ، فوالحالة هذه اعتمدنا بادىء بدء على تجهيز تلك السفن بالفرقة البحرية ، على أن أعباء اللورد شارلس برسفورد وفقدان عدد عظيم من تلك الفرقة حالا دون تتميم خطتنا فرأينا حالئذ أن ننتخب من السفن الأربعة الضباط والعساكر السودانية وننقلها إلى السفينتين اللتين رأينا أن نسير بهما إلى الخرطوم وهذا ما أعاقنى عن تأخير سفرى إلى ٢٣ من الشهر المرقوم

ثالثاً — لانى رأيت السفن فى حالة رثة فاقتضى أن أصلحتها بقدر الطاقة وأعددتها بحيث تقوى على احتمال ضربات المدافع التى توقعت سقوطها علينا متى وصلنا إلى أم درمان التى وقعت فى أيدى الثائرين قبل سقوط الخرطوم بزمن مديد

تلك هى أهم الأسباب التى دعتنى إلى تأخير سفرى الى الخرطوم فترون بعد التروى والفحص أنى كنت محقاً فى عدم السفر حالا وترون أيضا أننى لو كنت سافرت فى اليوم الذى تناولت فيه كتب الجنرال غوردون لما قدرت على انقاذ المدينة ، اذ هى قد سقطت فى أيدى الثائرين فى ٢٥ يناير

التوقيع : شارلس ولسون

وثائق رسمية

قالت « الاهرام » أيضاً فى عددها الصادر بتاريخ ١٣ يونيو سنه ١٨٨٥ ، أن الحكومة الانكليزية نشرت الأوراق البرلمانية التى تحتوى على مكاتبات تبودلت بشأن بعض موان فى البحر الأحمر وخليج عدن ومقاطعة هرر . وهذه المكاتبات تشتمل على ١٤٨ رسالة الأولى من هذه الرسائل بتاريخ غرة يناير سنة ١٨٨٤ وآخرها بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٨٨٥ وملخص هذه الرسائل . أن الحامية المصرية

---

(١) كان غوردون لايثق بالمصريين ، وكان يفضل الأوربيين عليهم. وقد ذكر استانلى اين بول « أن غوردون مع صفاته العظيمة ، كان سريع الغضب ولم يكن له حكم هادىء ومتزن على الأشياء ، وكان رئيسا بصعب إتباعه »

كانت فى أوائل سنة ١٨٨٤ ، تحتل الموانى والمقاطعة المومى اليها ، وقد اقترحت الحكومة المصرية أن تجلى حاميتها عن مقاطعة هرر لتبينها أن الدارعات الانكليزية كانت تقوى على حماية البحر الأحمر دون هذه المقاطعة لبعدها عن البحر ، وخشية هجوم القبائل المجاورة خصوصاً قبيلة السومال وملك شوا ، فاستشارت الحكومة

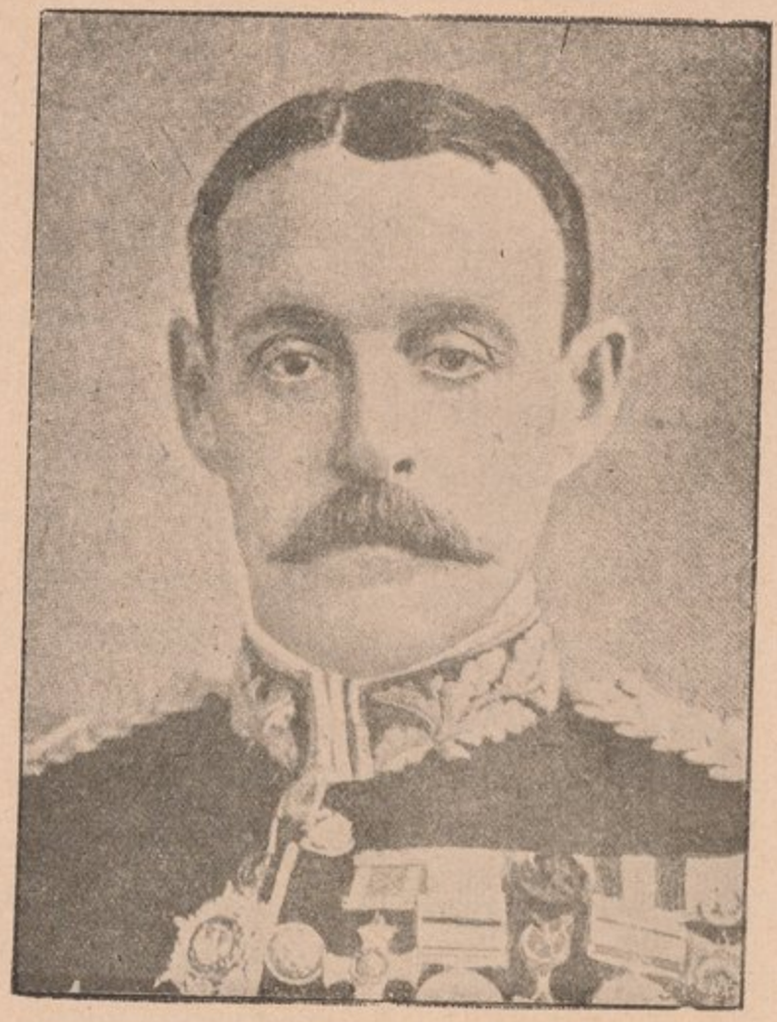

هنتر باشا

الانكليزية فى الأمر فأجابتها بالقبول وقد مارست الحكومة المصرية إجلاء الحملة وأرسل الماجور هنتر « باشا » رسائل كثيرة تتضمن آراءه فى هذا الجلاء الذى كان قائماً بانجازه الماجور هيث والمستر بيتون .

وفى أثناء ذلك أبدت الحكومة المصرية ارتياحها إلى التخلى عن الموانى الأخرى الواقعة على البحر الأحمر وفى خليج عدن وعن زيلع وبربرة وأخذت فى سحب

جنودها منها وقد ساعدتها الحكومة فى عدن على تتمة ذلك ، ثم أرسل إلى الماجور هنتر تعليمات تؤذنه بابرام عهدات مع القبائل المختلفة

وفى جملة هذه الأوراق كتابات أخرى واردة الى الحكومة الانجليزية من حكومات فرنسا وإيطاليا وتركيا تحتوى على مخابرات تبودلت فى أمر احتلال الموانى المذكورة بعد تخلى الحاميات المصرية عنها ، وأثبت اللورد فيتز موريس لدى مجلس العموم فى ٣ مارس سنة ١٨٨٤ أنه قد بلغ حكومته نبأ يشف عن ابتغاء فرنسا لابوخ ، وحينما بلغ المسيو وادنكتون قول اللورد فيتز موريس ، بادر فأرسل كتابا إلى اللورد غرانفيلد يدحض فيه هذا النبأ ويبين فيه أن « لابوخ » لم تكن مبتغاة فرنسا وإنما هى ملك لها من قديم الزمان ، فأرسل إليه اللورد رسالة أبدى فيها عدم رغبته فى إقامة مناقشات وصعوبات فى صدد تملك فرنسا لابوخ المذكورة .

وفى خلال تلك السنة حدث أن فرنسا ضربت أعلامها فوق صروح رأس على وانجر وساغالوا حتى تاجورة التى اضطرت الحاميات المصرية إلى الجلاء عنها بعلة مضايقة قبيلة الدناقيل « الدناقلة » لها ، وفى ١١ يناير من تلك السنة أرسل السير بارنج إلى اللورد غرانفيلد ، كتاباً يذكر له فيه أن قنصل فرنسا فى عدن أبلغ المستر بلار أمير اللواء الانكليزى ، أن فرنسا وضعت حمايتها على السواحل المتوسطة بين رأس على حويت خراب .

ويلوح من الأوراق البرلمانية أيضاً أن الحكومة الانكليزية أرادت بادىء ذى بدء أن تحيل مسألة احتلال سواحل البحر الأحمر إلى الدولة العثمانية ، فتحتلها بعد انجلاء الحمايات المصرية عنها ، فأرسلت إلى الدولة العثمانية بواسطة اللورد دوفرين سفير انجلترا فى الاستانة وقتئذ ، كتابا تقترح عليها فيه ذلك ومضت مدة خمسة عشر يوماً ولم يرد الرد فعاد اللورد غرانفيل فكتب إلى اللورد دوفرين رسالة ذكر فيها أنه قد وقع القرار على ترك مقاطعة هرر وانجلاء الحامية المصرية عنها وأن فى النية إعادة المصريين من سائر السواحل التى احتلوها إلى الآن وهى الممتدة من مضيق باب المندب إلى رأس جافون بما فيه موانى تاجورة وزيلع وبربره . فاذا شاء الباب العالى أن يوطد سيادته السابقة لسيادة مصر على تاجوره وزيلع فالحكومة الانكليزية تعترف له بهذه السيادة على شريطة أن يعمل فيها على منع الاتجار بالرقيق ، ويتعهد بأن لاينزل عن أى قسم منها لأية دولة كانت ولا يضرب

رسوما على تلك الموانى المذكورة فى الوفاق المبرم سنة ١٨٧٧ بين الحكومة المصرية وحكومة الملكة

فابلغ اللورد دوفرين هذه الرسالة الى الباب العالى واستحثه على الرد ولما لم ير فائدة فى حثه ، أرسل الى اللورد غرانفيل رسالة قال فيها « أننى قدمت رسالتكم الى وزير الخارجية فى الاستانة وأطلعته على فحواها فوعدنى بادىء ذى بدء بالاجابة عنها حالا فاعدت عليه السؤال يوماً بعد آخر فكان يماطلنى مقدما لى فى كل حين اعذاراً جديدة » . ومضت على هذه الحال أيام حدث فى أثنائها أن أرسلت عساكر من عدن احتلت هرر وعزمت الحكومة الايطالية على ارسال تجريدة من قوتها الى البحر الاحمر ، فما كان من الباب العالى حينئذ إلا أنه ادعى السيادة المطلقة على سواحل البحر الاحمر طراً ، وبنى ادعاءه على شروط وفاق ابرم فى ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧

وختمت الأوراق البرلمانية المومى اليها برسالة بعثها اللورد غرانفيل إلى السير بارنج فى ٦ فبراير وضمنها ما يأتى :

« يرى اللورد كمبرى أن يعهد تدبير وسياسة الساحل الممتد من رأس حافون إلى زيلع إلى حكومة الهند فتنظر فى جميع مسائلها وتقضى بها حسبما شاءت ورأت ، وأن تمد مراقبتها حتى زيلع نفسها ، اللهم إلا إذا لم يقل الباب العالى إعادة سيادته عليها طبقا للمطالب التى اقترحتها عليه الحكومة الانكليزية

بيد أنه « أى اللورد كمبرلى » يرى عدم وجوب امتداد مسؤلية الحكومة الهندية إلى ما وراء زيلع وأن تكون جميع المسائل المتعلقة بالسواحل الواقعة بين زيلع وباب المندب والمرتبطة بأراضى هرر متعلقة بنظارة الخارجية بلندن

أما أنا فصدقت على هذه الآراء وسأبعث بها إلى الحكومة الهندية بالتعليمات اللازمة بشأنها »

التوقيع : غرانفيل

* * *

ومن بين الأوراق البرلمانية التى نشرتها الحكومة الانكليزية فى ٩ يونيو سنة ١٨٨٥ رسالة هامة بآراء اللورد ولسلى فى الانجلاء عن السودان وتاريخها ١٦ ابريل سنة ١٨٨٥ جاء فيها ما يلى :

« ولا خفاء أن المهدى نال نفوذه بواسطتين اثنتين أولاهما نجاح رجاله فى الحروب واستيلاؤه على مواقع مهمة كالخرطوم وبربر وبهذه الواسطة كان تقدمه بطيئا واتخذ لنفسه عادة هى أن يقف بعد افتتاحه مدينة ما ، هنيهة دون أن يخطو إلى

الأمام خطوة . والأخرى انفاذه الرسل الذين يتنقلون من مكان إلى آخر فيبثون أخبار نجاحه بين الأهلين ويحثونهم على الجهاد ضد الجميع وهكذا يبثون روح البغضاء والكره للاحوال الحاضرة ويستميلون القبائل إلى الانحياز للمهدى . وفيما أرى أن هؤلاء الرسل لا يمكن درء مخاطرهم بالوسائط الدفاعية وليس من وسيلة للاشاة تاثيراتهم إلا باقتلاع الجرثومة التى يتناولون منها نفوذهم أى بتبديد شمل المهدى وشق عصا أعوانه . أجل أن هؤلاء الرسل هم الذين أثاروا أهالى وادى النيل من حد بربر إلى هندوب واستمالوهم إلى طاعة المهدى مع أنه لم يتقدم بنفسه إلى أبعد من أم درمان »

إلى أن قال « وخلاصة ما ذكر أن محاربة المهدى لابد أن تقوم قيامتها إن عاجلا أو آجلا . أما نحن فيمكننا أن نقوم بها الآن ونسحقها . ويمكننا أيضا أن نضحى بكل ما اكتسبناه من الشرف العسكرى بالمشاق والأتعاب وبكل ما أرقناه من الدماء وبذلناه من الأموال فى الحملة الماضية ، وأن يذهب أدراج الرياح وتؤجل الحرب الفاصلة إلى بضع سنين ولكن لا يخفى أن هذه السنين ستكون سنى قلاقل واضطراب لمصر وحملا ثقيلا على عسكريتنا وأن الحرب التى سنقوم بها أخيرا لا تكون أقل ضنكا من الحرب التى هى أمامنا فى الوقت الحاضر . ذلك لعمر الحق كل ما سنكتسبه من سياسة الدفاع عن القطر المصرى »

من وزير الخارجية الانجليزية الى القنصل فيفيان

فى قسم المحفوظات بوزارة الخارجية بانجلترا وثائق تحمل تعليمات وزارة الخارجية بلندن إلى قنصلها بمصر « فيفيان » . ويتبين منها أنه قدمت شكاوى إلى الحكومة الانجليزية من جمعية تبشيرية وجمعيات منع الرقيق ، وأنه فى ٢٩ مارس سنة ١٨٧٧ أرسل وزير الخارجية إلى فيفيان كتابا، أرسل معه الشكاوى المشار اليها وسأل القنصل أن يبلغه هل صحيح ما يقال من أن الخديو «اسماعيل» يريد ضم أقاليم أفريقيا الوسطى حوالى بحيرة فيكتوريا وبحيرت البرت . وقد رد عليه القنصل فى ٩ إبريل سنة ١٨٧٧ بمذكرة مسهبة قال فيها إنه قابل غوردون فأبلغه أن الملك كاباريكا ملك أونيورو قد خضع لمصر وضمت مملكته اليها على يد « بيكر » ، ولكن الملك أمتيسا ضم بعض بلاد أونيورو إلى مملكته ، وأن التعليمات الصادرة من مصر إلى غوردون تقضى بأن يصل إلى بحيرة فكتوريا ، ومن رأيه الاعتراف باستقلال متيسا ومجيدة هذه البحيرة .

وثائق عن حكم محمد على فى السودان [١]

فى دار المحفوظات بالقلعة وفى دور المحفوظات الرسمية للحكومات الانجليزية والفرنسية والتركية وغيرها وثائق رسمية هامة تتعلق بعهد محمد على ، واهتمامه بانشاء امبراطورية أفريقية تشمل السودان والحبشة وأعالى النيل وطرابلس والغرب والجزائر ، هذا فضلا عما عن لمحمد على من توسيع ملكه وزيادة نفوذه فى سوريا والأناضول والاشتراك مع الباب العالى فى حرب اليونان وفى الحرب الوهابية .

وقد نشر الدكتور محمد صبرى فى كتابه «الامبراطورية المصرية فى عهد محمد على» بالفرنسية طبعة ١٩٣٠ - باريس - جانبا من هذه الوثائق ، ويؤخذ مما نشره من وثائق مصرية ومما نشرته الجمعية الجغرافية الملكية من وثائق فرنسية ، وما نشره دريولت فى كتابه « محمد على ونابليون ١٨٠٧ - ١٨١٤ » وكتابه « تأليف امبراطورية محمد على من البلاد العربية إلى السودان ١٨١٤ - ١٨٢٣ » ومسيو كايو فى كتابه «رحلة إلى مروى» ومؤلفين آخرين ، أسماؤهم ومؤلفاتهم مدونة فى باب المراجع ، أن محمد على قد أراد أن يتخلص من عساكره الألبانيين والترك ، الذين لم يقبلوا النظام العسكرى الجديد ، وأراد أن ينتفع بهم فى فتح السودان وأعالى النيل فى إنشاء الامبراطورية الأفريقية ، وفى تجنيد ألوف العبيد ، لما عرفوا به من الطاعة والخضوع والاخلاص . وبذلك يوجد جيشا نظاميا جديدا مطيعا . ولم يكن سكان السودان على حالة يستطيعون معها مقاومة الجيش الغازى . وقد طلب « اسماعيل » بن « محمد على » قائد الحملة عن السودان من « الشايقية » أن يسلموا أسلحتهم وجيادهم . وثار نزاع ، ترتب عليه قطع أذن بعض العصاة . وكان اسماعيل يدفع ٢٥ قرشاً عن كل زوج من الأذن ، وأن محمد على عند ما وصلته الأذن المقطوعة المرسلة من ولده « اسماعيل » بادر بارسال كتاب(٢) اليه يحذره من سلوك هذا المسلك ، بعد أن أبلغه وصول كتابه وتسلم أذن الشايقية . وقال محمد على : « إن الحكومات جميعا تعلم أنه بالعدل وحده تملك قلوب السكان وأنه لكسب مملكة ما ، يجب استعمال الحكمة واللباقة وحسن السياسة ، ولن تستطيع حكومة ما أن تقوم بمهمتها بنجاح بغير العدل ، الذى هو شرط لاغنى عنه لتحقيق كل مطلب عظيم ، ولقد كان الأفضل لك

---

(١) راجع ص ٨٥ وما بعدها من هذا الجزء

(٢) كتاب محمد على إلى إسماعيل بتاريخ ٩ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ و ١٨٢١ م - محفوظات القلعة

أن تستعمل اللين فى حمل الشايقية على تسليم جيادهم وأسلحتهم بدلا من إثارة أحقادهم وحملهم على الثورة .

وقد الف اسماعيل من الشايقية فرقة من السوارى بالجيش المصرى .

وانتفع اسماعيل من المنافسة القائمة بين الوزير عدلان - من وزراء مملكة الفونج - ومنافسه حسن رجب ، الذى قتل عدلان ، فانضم أنصاره إلى الجيش المصرى ، الذى احتل مملكة الفونج ، وحضر ملكها الملك بادى بنفسه طائعاً أمام الجيش المصرى الذى دخل مدينة سنار فى ١٢ يونية سنة ١٨٢١ ، حيث بقى اسماعيل فيها حتى ٥ ديسمبر

وكان جيش ابراهيم باشا يقصد غزو دارفور والوصول إلى بلاد قبائل الدنكا واتجه جيش اسماعيل إلى فازوغلى ، واستعمل الجيشان طريق النيل الأبيض للوصول على غايتهما وبحث « اسماعيل » عن مناجم ذهب الكاميل ، التى كانت تافهة جدا ، فاتجه جيشه إلى الغرب فتلاقى مع جيش « ابراهيم باشا » الابن الأكبر لمحمد على ، وكان طريقهما النيل الأبيض . وكان قد وصل جيش محمد الدفتردار بك صهر محمد على إلى الدبة فى دنقلا ، وتابع سيره حتى وصل إلى بارة فى كردفان وانتصر على جيش الملك مسلم مخدوم

وقد بلغ عدد قرى مديرية حلفاية وسنار ٣٠٠٠ وفازوغلى ١٠٠٠ وكردفان ١٥٠٠ . وترك فتح دارفور يومئذ لعدم كفاية الجيش ، ولاهتمام محمد على بحرب المورة والثورات فى السلطنة العثمانية . فكانت كتب محمد على إلى « ابراهيم » تطالبه وتلح عليه بارسال العبيد ، وكان انهماك اسماعيل فى فازوغلى ثم سفر « ابراهيم » إلى مصر والطرق التى كانت تجمع بها الضرائب (١) — من أسباب فتنة شندى

وقد ترك انتقام الدفتردار من حادث قتل اسماعيل فى شندى ٣٠٠٠٠ من الضحايا

---

(١) المعروف أن السودانيين لم يألفوا نظام جمع الضرائب السائد فى البلاد المتمدينة ، وكانوا يعدونها إرهاقا ماديا وقيدا للحرية

وثائق عن عهد اسماعيل

يقول بعض السياسيين الانجليز(١) إن السياسة الانجليزية قد أخطأت خطأ كبيرا بكونها ظلت حتى سنة ١٨٧٥ لا تحرك ساكنا فى افريقيا ، وأن هذا عدم بعد نظر من رجال الحكومة الانجليزية .

ولكنا نرى هذا النقد فى غير محله ، لأن الحكومة البريطانية نجحت النجاح الأكبر فى افريقيا ، وقد استفادت من سياسة البطىء والتدريج التى سارت عليها فى تقسيم أفريقيا ووراثة السلطنة العثمانية فى بعض أجزائها (٢)

لقد نهج « اسماعيل » منهج جده « محمد على » باحياء فكرة انشاء امبراطورية مصرية مستقلة عن تركيا ، ولكن « اسماعيل » قد اضطر أمام معارضة أوروبا له فى توسيع ملكه واستقلاله ، أن يعتمد على المال فى تحقيق أغراضه البعيدة ، بما دفع للسلطان العثمانى ووزرائه والصحف من أموال . وبينما كان نشاط محمد على ممتدا فى النواحى جميعاً ـ فى أفريقيا ، وآسيا والجزيرة العربية وإلى أوروبا « حرب المورة » ، وجه « اسماعيل » نشاطه أو اضطر إلى توجيهه إلى افريقيا ، إلى شواطىء البحر الأحمر وكشف منابع النيل ، والتوسع جنوبا .

وقد جعل اسماعيل شعاره كلمة « هيرودوت » : « مصر هبة النيل » ، وأدرك أن النيل هو « وحدة مصر الجغرافية والاقتصادية والسياسية » قال « سيلفا هوايت(٣) « إن وحدة حوض النيل الكاملة يجب أن تكون هى القاعدة السياسية الوطنية التى توجبها الطبيعة وتمليها المعلومات التاريخية» . ومما سهل حكم محمد على ثم حكم اسماعيل للسودان أن الاسلام كان منتشرا فى تلك الجهات وحولها . قال بونيفون فى كتابه(٤) الفرنسى « افريقيا السياسية » ليس فى وسع انسان إلا أن يلحظ أن البلاد التى لم تدخلها المحمدية « الاسلام » ، فان الفتشية « الوثنية » تكون هى المنتشرة بعاداتها الوحشية ، فتذبح وتبيد عدوها المهزوم . بينما يقنع المسلم بأسر عدوه وباستخدامه فى حاجاته ولمسراته . أما المسيحى فانه يترك الرجل لأرضه ويرد اليه حريته »

---

(١) راجع كتاب « تقسيم افريقيا » تأليف سكوت كيلتى Scott Keltie

(٢) راجع ص ٣٧٧ من كتاب « الامبراطورية المصرية فى عصر إسماعيل بالفرنسية » تأليف الدكتور محمد صبري

(٣) راجع كتاب « توسيع مصر » بالانجليزية — طبعة لندن سنة ١٨٩٩ تاليف مستر سيلفا هوايت

(٤) Politique Bonne Fon. L' Afrique

وثائق حول سياسة غوردون

ومن رسائل غوردون(١) إلى « بارنج » « أما عن تملك الأسرى فانه حتى ولو أصبحنا سادة للسودان ، فأنه لا يمكننا أن نتدخل فى تجارة الرقيق . فلقد سبق لى ان قلت إن معاهدة ١٨٧٧ مستحيلة » . قال غوردون هذا عند مهمته الأخيرة سنة ١٨٨٤ ،فى اخلاء السودان . ولكن الحكومة الانجليزية لم توافق على رأى غوردون فى هذا الصدد فأبلغت قنصلها فى مصر « بارنج » بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٨٨٨ رفضها العدول من محاربة تجارة الرقيق

ولم يكن مسيو شانى لونج بك راضيا عن سياسة غوردون فقال « إن إدارته كانت على اضطراب يؤسف له ، من وجهة اختيار مرءوسيه ومن وجهة الرجال الذين كان يعهد اليهم بادارة ماليته . فعند ما قدم الى السودان ، وجده فى سلام وفى رفاهية تامة ، ولكنه عند ما تركه سنة ١٨٧٩ تركه مدينا وعلى شفا الثورة. . . »

ويؤخذ من الوثائق المودعة دار المحفوظات بانجلترا فى ٢٩ مارس سنة ١٨٨٧ أن غوردون كان يرى ضمان حيدة بحيرة فكتوريا واستقلال الملك امتيسا ، وأنه لا يعتقد أن مصر ترفض رأى وزارة الخارجية البريطانية فى هذا الصدد .

وثائق حول سياسة الانجليز

وقد كتب الرحالة الانجليزى المشهور جرانت « Grant » من كاشفى مجاهل افريقيا ووسطها ، فى جريدة « التيمس » بعددها الصادر فى ٣٠ يناير سنة ١٨٧٧ كتابا جاء فيه « إن السبب الأصلى فى عودة غوردون هو ضم بحيرة فكتوريانيانزا وانى أحتج بكل قوة على احتلال الخديوى لهذه البحيرة ، فان هذا الاحتلال سيكون وخزة فى المدنية وسيزيد الصعوبات التى تواجه محاربة تجارة الرقيق (٢)

لقد كان جرانت وأنا كاشفى هذه البحيرة ، وقد طاف استانلى حولها »

* * *

فى سنة ١٨٨٧ انشأ مستر فرانسيس فوكس « انجليزى » شركة كشركات الاستعمار الانجليزية فى جنوب افريقيا والنيجر وافريقيا الشرقية ، ورغب فى انشاء

---

(١) راجع وثائق قسم المحفوظات للخارجية الانجليزية عن مصر فى ٣١ مايو سنة ١٨٧٨ و ٩ مارس سنة ١٨٨٤ (٢) هذا قول غريب من جرانت مع ما هو مشهود من تضحيات مصر فى مكافحة تجارة الرقيق

مصانع فى الشمال وفى جنوب سواكن ، وانشاء سكة حديدية بين سواكن وبربر لفتح السودان لتجارة أوروبا .

وقد وصفت جريدة « التيمس » فى مقال رئيسى لها فى ٣ يونية سنة ١٨٨٧ الثروة الطبيعية فى السودان . وألقى الماركيز سالسبورى خطابا فى تأييد انشاء شركة استعمارية أنشأها سير ويليام ماكنسون سنة ١٨٨٥ ، وجعل دائرة عملها من تجاه جزيرة بمبا الى شمال زنزبار إلى بحيرة فكتوريانيانزا محاذية الحدود المصرية . . .

وفى الوثائق المصرية المحفوظة بقصر عابدين مذكرة كتبها إلى الخديوى بتاريخ ٢١ أكتوبر سنة ١٨٧٦ رئيس أركان حرب الجيش ، عن طريق رئيسه الكولونيل ستون باشا ، يقول فيها « إن مركز الجنرال غوردون ، طبقا للكتب الواردة والأخبار التى وصلت من أوروبا ، عن خطط الانجليز وغيرهم فيما يتعلق بافريقيا الوسطى تدل على خطورة وعلى وجوب العمل السريع ، وأن التأخير قد يترتب عليه زوال السيادة المصرية من أقاليم خط الاستواء » ونصح بأن تكون بحيرة فكتوريا بحيرة مصرية كما أصبحت بحيرة البرت ، وبوجوب إخضاع الملك أمتيسا الذى يضم بلاداً إلى مملكته ويجمع الأسلحة . وقال : « إن أعضاء البعثات التبشيرية يسيرون نحو بحيرة فكتوريا على باخرة تؤيدهم الكنيسة ولا ينقصهم المال أو الموظفين اللازمين »

وجاء على لسان كاباريكا(١) ملك أونيورو أن « بين رجال بعثة بيكر رجل يدعى اسماعيل أغا استعمل هو ومن معه من الجنود ضروبا من القسوة لا يسع القلم وصفها »

وثائق عن تطور السياسة البريطانية

عرض الدكتور محمد عوض فى رسالته التى وضعها فى سنة ١٩٢٦ لمناسبة اجتماع لجنة المؤتمر الانجليزى — المصرى الذى عقد فى لندن فى تلك السنة للبحث فى شؤون مصر السياسية ، الى كتاب أرسله كبير وزراء بريطانيا العظمى اللورد « بالمرستون » فى سنة ١٨٥٧ الى اللورد « كلارفون » وزير خارجيتها « وكان الوزير الاول المفوض من قبل بريطانيا العظمى فى مؤتمر باريس المنعقد فى سنة ١٨٥٦ » يقول فيه :

« نحن لا نريد أن تكون مصر لنا . إنما نريد أن نتعامل تجاريا مع مصر وان

(١) راجع كتاب أمين أفندى « باشا » وهو الدكتور شنيتزر الألمانى الذى تسمى باسم محمد أمين — بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٨٨ بمحفوظات قصر عابدين

نسوح بها . ولكننا لا نريد حمل عبء الحكم بمصر . فلنسع لرقى هذه البلاد « أى مصر وتونس ومراكش » بما يكون لتجارتنا من النفوذ . ولكن لنجتنب شن حرب صليبية للفتح . فان ذلك يستنزل علينا حكم الاجرام من الامم المتمدينة »

وكان ذلك ردا على اقتراح لنابليون الثالث بأن تأخذ كل من فرنسا وسردينيا وبريطانيا ومراكش وتونس ومصر على الترتيب وهذا يدل على ان سياسة بريطانيا تتغير ، أو أن الانجليز يكتمون سياستهم حتى ينكشف الموقف الغامض .

وفى سنة ١٨٧٥ لما اشترت الحكومة البريطانية أسهم مصر فى شركة قناة السويس ابتدأت الظنون تحوم حول نيات بريطانيا وتوقع الناس تدخلها فى الشؤون المصرية إن عاجلا وإن آجلا . وفى تلك الاثناء جاءت بعثة المستر « كيف » المالية فأكدت الظنون وقوت الشبهات بالرغم من تصريح اللورد « درنى » « وزير خارجية بريطانيا آنئذ » بأن ارسال البعثة المالية الى مصر يجب أن لايفهم منه ان هناك أية رغبة فى التدخل فى شؤون مصر الداخلية . ولما وضع المستر « كيف » تقريره عن حالة البلاد المالية ثم جاء بعده المستر غوسن ووضع هو الآخر تقريرا مثل تقرير صاحبه كانت نتيجتهما صدور الامر العالى بتأليف لجنة المراجعة « التحقيق » فكانت مبدأ المنافسة بين انجلترا وفرنسا .

ويقال انه حينما اشترى « دزرائيلى » من اسماعيل باشا أسهم مصر فى شركة القناة بمبلغ أربعة ملايين جنيه استرلينى لم تكن هذه الاسهم تساوى تلك القيمة فى ذاك الوقت

وقد علقت جريدة « التيمس » على ذلك بقولها : « ان الجمهور فى هذه البلاد « أى انجلترا » وفى غيرها سينظر فيما يختص بهذا العمل الهام الذى قامت به الحكومة البريطانية الى مظهره السياسى أكثر مما ينظر إلى مظهره التجارى . تظاهرا ، بل أكثر من تظاهر ، أى تصريحا بنيات وفاتحة لأعمال تجرى وفق النيات . فمن المستحيل حينما نفكر فى هذا الأمر أن نفرق بين مشترى اسهم قناة السويس وبين مسألة علاقات انجلترا بمصر فى المستقبل أو المصير المقدور لمصر من الغيوم التى تلقى ظلا قاتما على الامبراطورية التركية . . . فاذا حصل أن وقعت فتنة أو اعتداء من الخارج أو فساد داخلى يؤدى الى انهيار الامبراطورية التركية سياسياً ومالياً قد يصبح من الضرورى اتخاذ التدابير التى تضمن سلامة ذلك الجزء من ممتلكات السلطان الذى نتصل به أقرب اتصال »

الفصل التاسع والعشرون

المسألة الحبشية وجارات السودان

يجاور السودان بلاد كثيرة . ومن تمام الكلام عن السودان التحدث عن جاراته فيحده شمالا مصر — وقد تكلمنا عن علاقاتها فى السودان فى أجزاء كتاب « السودان » الثلاثة — ثم طرابلس الغرب . ومن الغرب وادای التى أصبحت الآن وبعد توزيع المستعمرات الألمانية ، جزءاً من « أفريقيا الاستوائية الفرنسية » ، وفى الجنوب الكونغو البلجيكية ، ومستعمرتى أوغندا الانجليزية وكنيا الانجليزية ، وفى الشرق ارتيريا والحبشة .

ولما كانت المسألة الحبشية هى أهم حوادث العالم الحالية ، والحرب بينها وبين إيطاليا وشيك الوقوع ، فقد أسهبنا الكلام عليها .

طرابلس الغرب

مستعمرة إيطالية وكانت حتى سنة ١٩١٢ ولاية تحت حكم الأتراك وتقع فى أقصى الشمال بين الأمم العربية الشمالية وتحد من الغرب بتونس وفى الجنوب بصحراء ليبيا وفى الشرق بالقطر المصرى وفى الشمال بالبحر الأبيض المتوسط وقد وافقت بريطانيا على أن تضم جغبوب وواحة الكفرة إلى طرابلس ، وقد قبلت الحكومة المصرية ذلك فى مقابل تعديل حدودها عند السلوم وتبلغ المساحة على وجه التقريب حوالى ٥٠٠ ألف ميل مربع ، ويختلف السكان اختلافاً نوعياً فى الأصل ، والتعداد فى سنة ١٩٢١ بلغ نحو ٥٥٠٠٠٠ (منهم ٢٠ ألف أوروبى) فى القسم المسمى طرابلس أما فى القسم الآخر برقه فبلغ العدد ٢٣٥٠٠٠ (منهم ١٠ آلاف أوروبى) . وكل جزء له حاكم ومجلس والقسم الأول عاصمته طرابلس والقسم الثانى عاصمته بنغازى

واداى من أفريقيا الاستوائية الفرنسية

واداى Waday منطقة تقع فى أفريقيا الاستوائية الفرنسية بين بحيرة شاد ودارفور وكانت سلطنة وطنية قوية ولكنها لا تزال نصف مستقلة وهى بين البداوة والحضارة وبها واحات خصبة حيث تنمو المحاصيل فيها وفى الجنوب الغابات . وعاصمتها أبو شير . وتبلغ مساحة المنطقة حوالى ١٧٠ ألف ميل مربع وعدد السكان ١٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس

الكنغو البلجيكى

وصفتها الدول الأوربية كدولة حرة فى مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ وهى مستعمرة بلجيكية كبيرة ومساحتها تبلغ ٩٠٠ ألف ميل مربع وتقع بين الكنغو الفرنسى فى الشمال الغربى وأفريقية الغربية البرتغالية فى الجنوب الغربى وروديسيا فى الجنوب والجنوب الشرقى وتنجانيقا وأوغندا فى الشرق والسودان المصرى الانجليزى فى الشمال الغربى والشاطىء يمتد نحو ٣٥ ميلا شمال مصب نهر الكنغو وتقترب فى الشرق من البحيرات - موبرا - تنجانيقا - ادوارد - والاقليم ليس بجبلى وتتكاثف أشجار المطاط فى الغابات السوداء ويقطنها حيوانات كثيرة غريبة ويوجد بها الماس والذهب والنحاس والقصدير ، والقبائل مختلفة وفى بقاع عديدة يعيش الأقزام فى الغابات وتتبع إدارتها حكومة بروكسل ويحكمها الحاكم العام للمستعمرة كما أن الكنغو البلجيكى أهم منبع تستمد منه مادتى الراديوم والسكريلت - والسكان حوالى ٨ مليون وخمسمائة ألف (منهم ثمانية آلاف من الأجانب)

أوغندا

تحت الحماية الانجليزية وهى فى شرق أفريقيا وتقع على جانبى خط الاستواء وتحد من الشمال بالسودان ، ومن الشرق بمستعمرة كنيا ، وفى الجنوب ببحيرة فيكتوريا ومستعمرة تنجانيقا وفى الغرب بالكنغو ، المساحة ٩٨٧٧٦ ميلا مربعاً بما فى ذلك ١٥٠١٧ ميلا مربعا يشمل بحيرات كيوجا وأجزاء من البحيرات فكتوريا - ادوارد - البرت . وفى الشمال الأرض منبسطة ما عدا فى الوسط والجو حار جاف وسكانها ثلاثة مليون ومائة وخمسون ألفاً منهم سبعمائة ألف تابعون لأوغندا وهم مسيحيون

نبهاء والباقى سودانيون وقبائل أخرى ، بينما بعض الأقزام التابعون للكنغو يعيشون بالقرب من نهر السمليكى

كنيا

كانت حتى سنة ١٩٢٠ تحت حماية شرق أفريقيا والآن هى مستعمرة انجليزية تحت الرعاية الانجليزية يحدها أرض الصومال الايطالى والحبشة بحيرة رودلف وأوغندا وبحيرة فكتوريا ومستعمرة تنجانيقا والمحيط الهندى وتغطى الغابات مساحات شاسعة فهى نحو ٣٦٠٠ ميل مربع وتحتوى على بعض أنواع الأخشاب المتينة ومساحتها ٢٤٥ ألف ميل مربع ويبلغ عدد السكان نحو مليونين وخمسمائة ألف بما فى ذلك نحو عشرة آلاف أجنبى ، و٢٢ ألف هندى وعشرة آلاف عربى

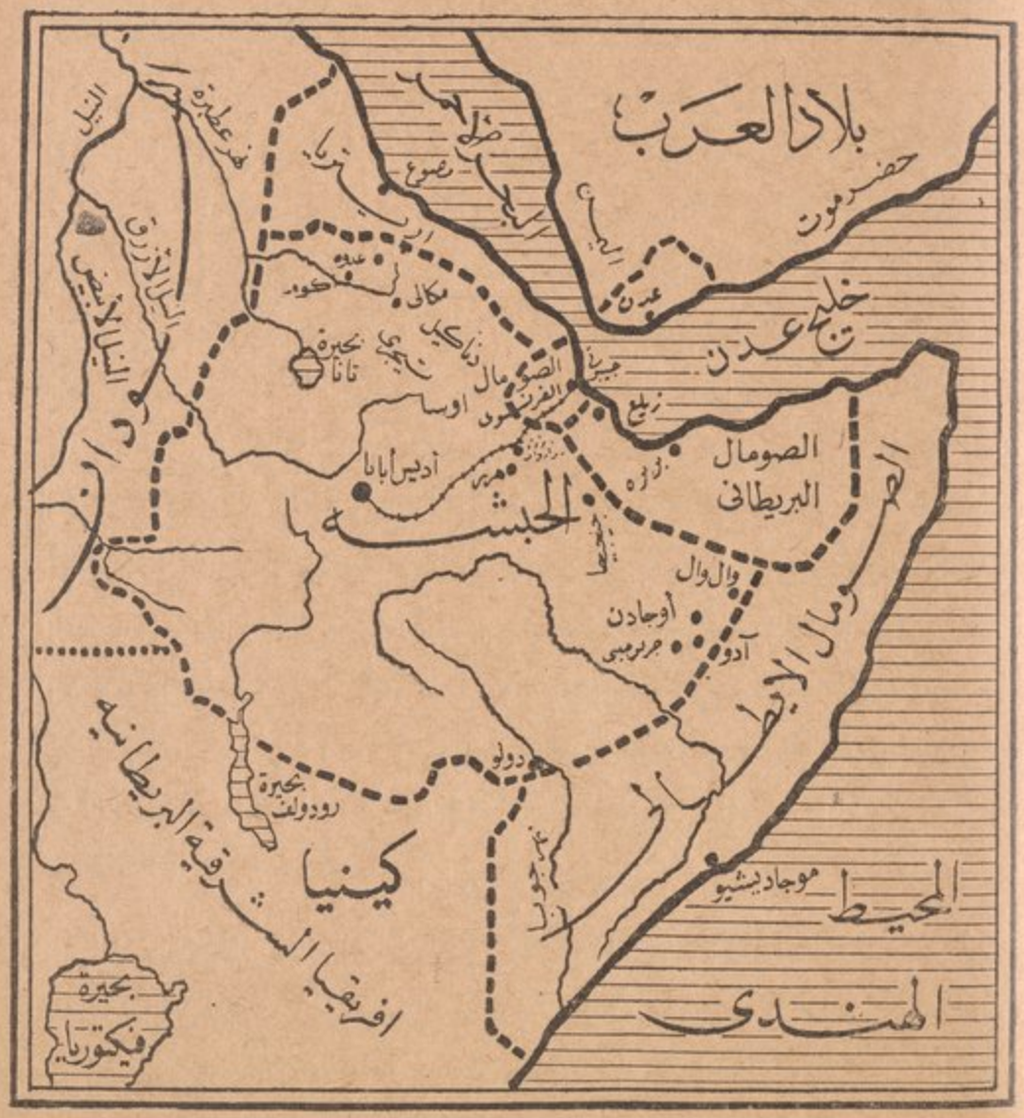

خريطة بلاد الحبشة

الحبشة والمسألة الحبشية

يطلق عليها اسم سويسرة افريقيا وهى من وادى النيل العلوى الى الجزء الجنوبى الغربى من البحر الأحمر ممتدة جهة المحيط الهندى وتقع بوجه أصح بين السودان المصرى والشاطىء الايطالى ارتيرا وقد تكونت مناظرها الجبلية الخلابة نتيجة ثوران بركانى شديد وتنقسم الى الأقسام الأساسية الآتية :- نياجرا فى الشمال وامهارا فى الوسط وشوا فى الجنوب . وتقع أرض منخفضة جرداء بين الاراضى المرتفعة والبحر الأحمر تقطنه قبائل ممزة عن الاحباش تمت للمصريين . ومساحتها تبلغ ٣٥٠ ألف ميل مربع بما فى ذلك أرض الصومال الحبشى وهى عبارة عن هضبة عظيمة يبلغ ارتفاعها سبعة آلاف قدم ويكون الانحدار نحو ساحل البحر الأحمر شديدا ونحو حوض النيل تدريجياً وتنقسم الأرض الى مايشبه الجزائر بواسطة مجارى المياه التى نحتت لنفسها فى الصخر إلى عمق كبير يصل إلى أربعة آلاف قدم وقد تصل قمم الجبال الى علو ١٥ الف قدم وتبلغ درجة حرارة السهول المتوسطة الارتفاع التى تزدحم بالسكان (علو ٥٠٠٠ - ٨٨٠٠ قدماً) من ٧٧° - ٩٥° وتنمو فيها النباتات الاستوائية . وفى اثناء فصل الأمطار الذى يقع من ابريل الى سبتمبر يغطى الثلج قمم الجبال العالية ولا يذوب هذا الثلج على علو ١٣ ألف قدم . وفى وديان الأنهار وفى الأراضى الغدقة تكون الحرارة والرطوبة مميتة وخانقة . وفى الجهات المنخفضة تجاه البحر الاحمر يصبح الجو حاراً جافاً . ويزرع محصولان أو ثلاثة فى بعض الجهات سنويا . ومن المحاصيل المهمة - الموز - النخيل - القصب العنب - البرتقال - الليمون - القطن - النيلة البرية والبن وتزرع الهضاب العليا القرطم والشعير ويبلغ سكانها مابين أربعة وخمسة ملايين بين عناصر مختلفة وبعضهم يقدر عدد السكان بعشرة ملايين وليس هناك احصاء صحيح نظراً لاتساع المساحة وكثرة القبائل ويقال إن مسلمى الحبشة هو ثلث سكانها .

أصول السكان

الاحباش من حيث الدم سلالتان . احداهما زنجية لافرادها كل ملامح الزنوج من الشعر المفلفل الى الانف الافطس . وهؤلاء يسكنون الاقاليم الغربية . وهم متأخرون يمارسون ضروبا من القسوة التى تبلغ التوحش . ويزينون اكواخهم بغنائم القتال

والسلالة الثانية سامية لها شعر سبط وملامح تقرب جداً من الملامح العربية فى الاقاليم الجنوبية من الجزيرة العربية . وهم متمدنون قد ثقفوا شيئا غير قليل من الحضارة . وهم يدينون بالاسلام والمسيحية . اما فى الاقاليم الغربية فالمسيحية منتشرة بعض الشىء ولكن معظم السكان لايزالون فى الوثنية أوهم يؤمنون بالمسيحية مع خلطها بالشعائر الوثنية

والكنائس كثيرة فى الحبشة . وكذلك القسوس . ومع أن الكنيسة الحبشية هى إلى الآن تحت رياسة الكنيسة القبطية فانها تختلف عنها من حيث انها تبنى مستديرة . والقسيس وقت الصلاة لايختلط بجمهور المصلين كما هى الحال فى الكنائس القبطية فى مصر . ولا بد أن هذه التقاليد قد ورثها الاحباش عن اليهود . لأن المسيحية دخلت الحبشة حوالى سنة ٣٣٠ من اليمن فى وقت كانت تلبست فيه بالتقاليد اليهودية التى كانت سائدة فى اليمن قبل المسيحية . ولقد دارت معارك دموية بين اليهود والمسيحيين يذكرها التاريخ قبل ظهور الاسلام :

والمنازل تبنى مستديرة أيضا فى الحبشة ، وهى أشبه بأكواخ الزنوج منها بالمعنى الذى نفهمه من المنازل . والمنزل يبنى من القصب أو البوص ويطين من الخارج ومن الداخل . وتزرع حوله الاشجار ويتسلق على جدرانه الفرع فيكسوه ورقه وترقد ثماره على سطحه . وأحيانا تبنى مصطبة داخل المنزل يقعد عليها السكان الذين يعيشون مع الدواجن والماشية فى مكان واحد . اما الاغنياء فلا تختلف منازلهم الا من حيث الملابس فانهم يشترون الحرير الزاهى ويقتنون السجاد الايرانى ويطرحونه على الارض فى أى مكان للجلوس . ويزينون جدرانهم من الداخل بجلود الاسود والنمورة والسيوف وقرون الوعل

والاحباش لايعرفون القرى كما نفهمها فى مصر . فان الحبشى يعيش وحده فى حقله مع زوجته واولاده لايجاوره آخر . وقد تتكاثر اسرته فتتألف قرية صغيرة بها عشرة منازل مثلا هم اولاده واحفاده وزواجاتهم . والزراعة الفاشية عندهم هى زراعة اسلافنا قبل نحو ٣٠٠٠ سنة . فانهم يزرعون الثوم والبصل ويأكلونهما كثيراً . وقد تفشت بينهم زراعة البطاطا والبطاطس هذه الايام أما الفواكه فكثيرة وأشجارها تبسق وتشتبك حول المنازل (١)

وقد أخذ الاحباش بكثير من تقاليد الفراعنة ولا يزال الامبراطور

(١) راجع البلاغ

هيلاسلاسى يكتب اسمه بالهيروغليفية فى خرطوش على نحو ما كان يفعل رمسيس أو توتنخ آمون

الارض والطقس

وقد نشرت جريدة التيمس بحثاً تحت هذا العنوان بقلم الكولونيل س : ل كراست الذى زار الحبشة لأول مرة وبسط أحوال أراضيها فى حالتى الدفاع والهجوم عند القيام بحملة عسكرية فى بلاد الحبشة . وقد آثرنا نقل هذا البحث فيما يلى :

فى عصر قديم جداً من العصور الجيولوجية اعترى القشرة الأرضية ضعف بين خطى طول ٣٠ و ٤٠ شرقا ولدينا الآن دليل على التشقق الذى حدث اذ ذاك فى بعض المظاهر الطبيعية أهمها الانخفاضات العميقة فى البر والبحر (وهى وادى الأردن) الذى يشمل بحيرة لوط والبحر الميت وخليج العقبة وخليج السويس والبحر الأحمر ووادى النيل الممتد جنوباً الى البحيريات الكبرى من بحيرة البرت فى الشمال الى نياسا فى خط عرض ١٤ درجة جنوباً

ومثل هذا الاضطراب الواسع المدى فى القشرة الخارجية للارض يؤثر على الاجزاء المجاورة فى كثير أو قليل من العنف ويحتمل أن يكون هبوط الأرض مسئولا عن بروز الهضبة الحبشية

والمساحة التى تأثرت أكثر من غيرها مباشرة بهذا التشقق تبلغ حوالى ٧٠٠ ميل من الشمال للجنوب و ٥٠٠ ميل من الشرق للغرب داخل الحدود الحبشية وهى مساحة تزيد على أربعة أمثال مساحة انجلترا . وفى الشرق والجنوب الشرقى توجد وديان شاسعة واسعة مفتوحة تتدرج فى الارتفاع محرومة من الماء مغطاة بالحشائش الغليظة التى يبلغ ارتفاعها حوالى خمسة أقدام . وهى تنخفض بالتدريج إلى الشرق والجنوب الشرقى الى المحيط الهندى من رأس جاردفوى الى قسمايا على مصب نهر بوبا فى الصومال الايطالى وهذه الأراضى يخترقها ثلاثة أنهر (نذكرها من الجنوب إلى الشمال) وهى التوبا والوبى شبيلى وتج فافان . ومتطع وبى معناه المجرى الذى يستمر الماء فيه طول العام أما (تج) فمعناه المجرى الذى ينحط الى نهر أثناء فترة الجفاف . ومن هذه الأنهر الثلاثة يرتفع الأولان فى جوار بحيرة شالا على مستوى تسعة آلاف قدم بينما ينبع الأخير من جبل مقدس (كونديودو) وعلوه عشرة آلاف قدم على ثلاثين ميلا شمالى شرق هرر

تربة هذه السهول التى تعرف محلياً باسم هود صلصالية لونها شديد الحمرة تختلف

كثافتها من مائة قدم بقرب هارجية فى الصومال البريطانى الى قدم واحد أو قدمين على طول ساحل الصومال الايطالى أو بنادير . هذه حقيقة يجب أن تظل فى الذهن وذلك أن الايطاليين ان كانوا يرمون الى الحصول على أراض غنية ليقطنوها فان وديان الحبشة قد تجذبهم لأن هذه الأراضى صالحة لزراعة القطن

بين خط ١٠ شمالا وخط طول ٤٠ شرقاً وساحل البحر الأحمر يوجد منخفض صغير يعرف باسم دناكل أو دناجل الشمالية والجنوبية وعند النهاية الشمالية لهذا الأقليم يقع (وادى الملح) الكبير أو منخفض دناكل الشمالى الذى ارتاده ورسم خريطته فى سنة ١٩٢٨ المستر نسبت مع اثنين من الرفاق الايطاليين . وامتحان مسطحات هذا المنخفض قد أظهر مساحة طولها ١٠٠ ميل من الشمال للجنوب وخمسين ميلا من الشرق للغرب أقصى عمقها (فى النهاية الشمالية) ٤٠٠ قدم تحت سطح البحر الأحمر وهذه هى المساحة الواقعة عند كولولى حيث توجد مناجم البوتاس الايطالية

أما مسألة الطقس فانها جديرة بالنظر فيها باختصار . فمرتفعات الحبشة تقوم إلى علو ١٢ قدما أو أكثر وتبعا لهذا فان الاتيوبى الحقيقى الذى يكره الحر يرفض أن يعيش فى مكان آخر غيرها أى على علو يزيد على ثلاثة آلاف قدم . وطقس الهضبة والمرتفعات يقارن بطقس انجلترا فى سبتمر الا فى الفترة بين ابريل وسبتمبر حين يكون موسم الأمطار على أشده وتهب رياح جنوبية غربية شديدة . وفى زمن الصيف تكون البقاع الحبشية التى على علو ٣٠٠٠ قدم فى بعض الأحيان حارة ورطبة حتى تأتى زوبعة عنيفة تخفف عن الناس الحر . أما الأراضى الواطئة فأنها على العكس من ذلك حارة لاترتاح اليها النفس . وبالرغم من ان الهواء قد يترطب وقتاً مابعد المطر فان هذا يكون على حين أن نتيجة مطر المناطق الحارة تجعل التربة السطحية موحلة والسير فيها متعباً . على أنه مهما يكن من رداءة الطقس فى الأراضى الواطئة فى الشرق والجنوب الشرقى فان الطقس فى منخفض دناكل اردأ بكثير فان الرحالة قد سجلت هناك درجات حرارة فوق ١٥٥ فرنهيت يوما بعد يوم . ولا يسع الانسان الا أن يبدى اعجابه بالاقدام والمثابرة اللذين تحلى بهما هؤلاء الرجال الذين شقوا طريقهم الى الشمال بقدر يسير من الماء فى هواء مملوء بالغبار ودخان الكبريت يحيط بهم من كل الجهات بسكان رحل أهم ما يحترفونه الحرب والقتل

اللغات الحبشية

أشهر اللغات الحبشية ثلاث :

١ - اللغه الأتيوبية القديمة - وهى لا تستعمل الآن إلا فى الكتابة الأدبية

٢ - اللغة التجرانية - وهى لغة الأرتريا وشمال الحبشة - وهى المستعملة الآن

٣ - اللغة الأمهرية - وهى اللغة الرسمية نسبة إلى أمهرا

وحروف الهجاء الحبشية مأخوذة من لهجات العرب القديمة مثل الصابئية والحميرية

العادات فى الحبشة

يجرى ختان الطفل الذكر فى يومه السابع أيام الأربعاء والجمعة . والأنثى يجرى ختانها بعد ذلك . وإذا كانت الأم مريضة ينبغى أن يبقى طفلها دون ختان حتى شفائها وينصر الطفل الذكر فى اليوم الأربعين وتنصر الطفلة فى اليوم الثمانين

ولا تدفن المرأة فى أماكن الرجال . ولا يجوز للرجل أن يشرب البيرة قبل زوجته إذا كانت حاملا لأنها تتألم باشتياقها للشراب

وعند ما يغيب أحد الآباء عن بلده يختار صديقاً له لحراسة بيته والاشراف على أولاده

ويوسط الخطيب أصدقاءه لدى والد الفتاة ليقبل الزواج . ومعظم الآباء يقاسمون بناتهم نصف مهورهم وتقام أعراس بها مزامير وتنحر الذبائح

المرأة الحبشية

المرأة الحبشية مشهورة بالجمال وخاصة جمال العينين وبالجاذبية ولها أنف دقيق وشفتان غليظتان مستديرتان وقامة هيفاء

وطالما كانت بيوت أمراء المصريين والحجازيين والأتراك والأعيان مزدانة بالجوارى الحبشيات وطالما تزوجوا منهن

والمرأة الحبشية مثال الشجاعة والاقدام والتضحية وهى تشترك فى الحرب مع الرجال ، وهى وافرة الذكاء بسيطة الهندام والأثاث

وفى إديس أبابا جمعية إسمها جمعية نساء أتيوبيا الوطنية وقد قامت بمظاهرة

وحملت لوحة جاء فيها باللغة الأمهرية : « أيها الشبان - إنهضوا ولا تخافوا . ودافعوا عن وطنكم . دافعوا إننا سنموت معكم »

لاتتزوج المرأة الحبشية إلا باذن أبيها وإلا كانت ملعونة ، وهى تشجع بجاذبيتها الشبان على خطوبتها وأحياناً تهرب مع عشيقها

والمرأة الحبشية تشرب البيرة وقد يتخذ الرجل الحبشى عشيقة له لمدة سنة - وهى زوجية مؤقتة وعلى المرأة الحبشية أن تطيع زوجها

وينتشر البغاء فى الحبشة بالرغم من موانع الدين المسيحى والطلاق كثير ، وأكثر بغايا السودان من الحبشيات المهاجرات . وتكثر بينهن الأمراض التناسلية بصورة مخيفة محزنة

ممالك الحبشة وأمبراطورها

الحبشة منقسمة إلى ولايات وممالك صغيرة وقبائل متنازعة . وقلما تهدأ الحالة الداخلية فى الحبشة فهناك حروب بين ملوك الحبشة أو بين بعضهم أو بين إمبراطورها

وقد نادى « ساهالاسيلاسى » ملك شواه وإيفات والجالا سنة ١٨١٣ بنفسه ملكا على ملوك الحبشة وجعل الملك بطريق التوارث فى أسرته

و « ساهالا سلاسى » الذى ولد سنة ١٧٩٥ وعين ملكا سنة ١٨١٣ ومات سنة ١٨٤٧ ولد له ستة أولاد ، كان منهم « هيلا ملاكوت » الذى ولد سنة ١٨٢٥ ومات سنة ١٨٨٥ ، وخلفه إبنه منليك الثانى الذى ولد سنة ١٨٤٤ وصار ملكا لشوا سنة ١٨٦٦ وإمبراطوراً سنة ١٨٨٩ ومات سنة ١٩١٣ وتزوج الامبراطورة تاتو سنة ١٨٨٣ ولم يرزق منها ذكوراً . وقد كان من بناته ثواراجا التى تزوجت الرأس ميكاييل ورزقت بولد إسمه ليج ياسو سنة ١٨٩٦ وعين إمبراطوراً سنة ١٩١٣ خلفاً للامبراطو منليك إلى سنة ١٩١٦ . ثم قامت ضده فتنة لأن الأحباش المسيحيين قد اتهموه بأنه يمالىء مسلمى الحبشة ويقربهم ويؤثرهم وبأنه اعترف بخلافة سلطان تركيا وحالفه وحالف الالمان واغضب الحلفاء . وقد أعلن مطران الحبشة حرمانه ، وهرب ياسو ولكنه لم يذعن لقرار المطران وجمع جيشاً وآزره الرأس ميكاييل حاكم ولاية جايا . وقد خلفته الامبراطورة زوديتو إبنة منليك الثانى التى ولدت سنة ١٨٧٦ وتوجت سنة ١٩١٦ وقد قامت بينها وبين أتباع ياسو والرأس ميكاييلى مذبحة عنيفة فى ساجال فى اكتوبر سنة ١٩١٩ وأسرت الرأس ميكاييل وهرب ياسو وتوجت زوديتو رسمياً سنة ١٩١٧ .

الرأس تفرى والامبراطور هيلاسلاسى

ولد الرأس تفرى سنة ١٨٨١ وهو ابن الرأس ماكونن بن وازيروتانا أحد أبناء الملك ساهالاسيلاسى

وعين الرأس تفرى وصياً للعرش مع الامبراطورة زوديتو التى ماتت سنة ١٩٣٠ حيث توج الرأس تفرى إمبراطورا سنة ١٩٣٠ باسم الأمبراطور هيلاسلاسى وقد تزوج سنة ١٩١٢ من الأميرة وازيرو منن وولدت له سنة ١٩١٢ ماميتى التى ماتت طفلة ثم أصفا واصين سنة ١٩١٦ وهو ولى العهد الرسمى ولكن أباه الأمبراطور غاضب عليه ، وزينب ورك ولدت سنة ١٩١٨ ويشى أمابت ولدت سنة ١٩٢٠ ، وماكونن ولد سنة ١٩٢٣ وهو محبوب من أبيه ويقال أنه هو المرشح الحقيقى لولاية العهد . وقد أسماه والده « دوق هرر » . ومن الاشاعات التى لم نقف على صحتها أن « زوديتو » ماتت مسمومة ليخلو الجو للامبراطور هيلاسلاسى

حول اسلام النجاشى

وقد ذكرت روايات عن إسلام نجاشى الحبشة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم الذى أرسل كتابا إلى النجاشى أصحمة وهذا رده على النبى صلى الله عليه وسلم

« بسم الله الرحمن الرحيم » إلى محمد رسول الله من النجاشى أصحمة . سلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته لاإله إلا الله الذى هدانى للاسلام «أما بعد» فقد وصلنى كتابك يارسول الله فما ذكرت فيه من أمر عيسى بن مريم فورب السماء والأرض إن عيسى بن مريم لا يزيد على ما ذكرت ولاعلاقة مابين النواة والقمع وقد عرفنا ما بعثت به الينا وشهدنا بأنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك بواسطة ابن عمك جعفر وأسلمت على يديه لله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ولما قرأ النبى هذا الكتاب قال « اتركوا الحبشة ما تركوكم » فمن أجل هذا الأمر هيمن العرب على آسيا وبعض أوربا وبلغت طلائع جيشهم أقاصى النيجر وبلاد السنغال والهند وغيرها ولم يخطر ببال أمراء الاسلام احتلال الحبشة وبسط نفوذهم عليها بل كانت دول الاسلام وإماراته فى سلام ووئام مع الامبراطورية الحبشية إلى ما بعد القرون الوسطى .

وقد أفتى بعض علماء السومال الايطالى ومفتيه بعدم جواز محاربة المسلم للحبشة

الحبشة والجندية

الأمة الحبشية هى أمة جندية جميع أفرادها على إستعداد للقتال وهو حرفتهم وسجيتهم

وقد أنشأ الأمبراطور هيلا سلاسى جيشا باسم الحرس الامبراطورى قام بتدريبه ضباط سويسريون وبلجيكيون وسويديون . وعدده ستة آلاف وبه وحدات من البيادة والسوارى والطبجية وله بنادق عصرية ومجهز بمدافع كبيرة وصائدات للطائرات

ولكل رأس من رؤوس الحبشة « حكامها » حرس أو جيش لا يقل عدده عن ربع مليون وجيش غير نظامى لا يقل عن نصف مليون ، ولدى إمبراطور الحبشة طائرات وذخائر

ويقول الأديب محمد عبد الرحيم : ليس للامبراطورية الحبشية نظام مخصوص للجندية كنظام القرعة العسكرية المصرية أو كنظام التطوع لدى الدول الغربية بل تطلب الجنود من الولايات كل بحسب سعة الولاية وضيقها والجيش العامل فى حفظ الأمن فى وقت السلم ٢٠٠ الف جندى أما فى وقت الحرب فتصبح الجندية فرض عين على كل رجل يستطيع حمل السلاح . والأحباش أكثر العالم شغفاً بالحروب وأسرعهم قبولا لويلاتها وقد دلت التجارب على أن الشعب الحبشى إن هو إلا بركان ثائر يحركه الامبراطور بسبابته متى شاء هكذا كان فى غارته على مملكة سنار وفى حربه للحملة المصرية التى كان يقودها السردار محمد راتب باشا فى سنة ١٢٩٢ وكذا فى واقعة القلابات سنة ١٣٠٦ وواقعة عدوه فى سنة ١٨٩٥ م أما القيادة العامة فللأمبراطور نفسه . والذى يراجع تاريخ الحبشة قل أن يرى أمبراطورا مات حتف أنفه كما حدث للأمبراطور ياهنس الرابع أى « يوحنا » الذى قتله أنصار المهدية وخلافه من اسلافه اذن فليس بغريب عزم جلالة الامبراطور هيلا سلاسى على تولى زمام القيادة فى الحرب المزمع نشوبها . فما أجود الجندى بروحه عند مايرى مليكه يسير تحت قساطل الجيوش للذود عن الأمة . ولا غرو ان هذه أعظم محرك لحماس الأحباش فى حروبهم المتواصلة التى كانت تكلل بالنجاح

وقد قرر الامبراطور إلباس ٢٠٠,٠٠٠ جندى الملابس العسكرية وتناول ١٥٠٠٠ منهم طعام الغذاء مع الامبراطور فى قصره فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٥. واكثر الجنود حفاة ، واكثر أسلحتهم بنادق قديمة ، ولكنهم يجيدون الرماية

ولايات الحبشة

تتالف بلاد الحبشة من ثلاث عشرة ولاية لكل منها ملك يلقب بالرأس وهو حاكم الولاية القائم بشؤونها الادارية والسياسية تحت إشراف الامبراطور أو النجاشى وهناك القاب أخرى وهى دجاج ودجاز وداز جماح دفيتوارى وقيفا زماج وغير ذلك من الالقاب . وتتألف من تلك الممالك الصغيرة أمبراطورية ذات شأن عظيم ويلقب الامبراطور هناك بالنجاشى وهو لقب كلقب بطليموس عند دولة البطالسة . وقيصر عند الروس . وشاه عند العجم . وباى تونس عند التونسيين . وخديوى عند ولاة مصر سابقاً . وللحبشة لقب ثان وهو منليك الا أنه يقصر على الملوك من سلالة نبى الله سليمان عليه السلام لانه تزوج بلقيسا ملكة سبأ ولما رزق منها بولد قال لها « منى اليك » فمزجت الجملتان فصارت « منليك » وجاء فى رحلة الدكتور محمد نيازى الذى كان طبيبا لاحد الآلايات المصرية فى سنة ١٢٨٢ هـ بالسودان قال سمعت من احد الاطباء الافرنج يقول أنه قرأ فى بعض المؤلفات القديمة ان ذلك المولود الذى هو منليك الأول بن سليمان كانت بلقيس تخاف عليه من قومها فبعثته الى مدينة سوبا ليربى بها وسميت المدينة سبأ ثم حرف الاسم الى سوبا لتقادم الزمان وقد تبوأ عرش الحبشة كثير من الملوك فلا حاجة الى بيان اسمائهم وزمن ولاية كل منهم تجنبا للتطويل

القضاء فى الحبشة

ويقول الأديب محمد عبدالرحيم : « انه بالرغم عن كساد الثقافة الحبشية وبوار سوق العلوم العقلية والنقلية فان القضاء سائر بطريقة كافلة للحقوق المدنية والاجتماعية والقائمون به يؤدونه بأمانة ونزاهة جديرتين بالاعجاب حتى كان كل آمن على حقه وكل بما فعلت يداه رهين وما كان للحبشة نواميس شرعية ولا قوانين وضعية فيما يختص بالمعاملات القضائية بل كان القضاء يسير مع العرف الى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى وهناك قام أحد رجال الدين المسيحى المدعو اسعد عسال القبطى ووضع للحبشة قانوناً نسقه تنسيقاً بديعا قسمه على قسمين الاول منهما يختص بالكنيسة وتعاليمها الدينية وقد لخص ذلك من تعاليم المذهب الارثوذكسى والديانة الاسرائيلية . والثانى فى المعاملات وكان مرجعه فيه كتاب التنبيه لأبى اسحق الشيرازى فى فقه السادة الشافعية وقد اطلق على هذا القانون اسم « فتانفوس » وقد صدق جلالة

الأمبراطور على المعاملة به فى جميع انحاء الاقاليم الحبشية اما المسؤولون عن تنفيذه فى القرى هم أكبر سكانها سناً وأكثرهم حنكة وفى العواصم الرءوس ما عدا « اديس أبابا » التى يباشر القضاء فيها جلالة الأمبراطور بنفسه وهو يجلس فى ساحة مكشوفة ثم ترفع على رأسه مظلة كبرى « شمسية » كملوك الفور وواداى ويجلس عن يمين الأمبراطور ١٢ رجلا وعن شماله ١٢ رجلا من اعيان المملكة الذين يشترط ان يكون فيهم رئيس الكهنة بردائه الكهنوتى ويحمل القانون المسمى «فتانفوس» كاهن آخر ثم يؤتى بالمتقاضين فيقفون صفا أمام الأمبراطور على بعد ٣٠ متراً منه ثم يؤذن لهم فى عرض ظلامتهم على هيئة القضاء فينادى المظلوم بأعلى صوته قائلا «جاتهوه جاتهوه» أى ياحضرة الأمبراطور يكررها سبع مرات وذلك بين دائرة من جنود الحرس المدججين بالسلاح والناس فى سكون شامل لهيبته

ومن المألوف فى الحبشة نظام التحكيم ، وكثيرا ما يلجأ المتخاصمان إلى رجل محترم فى الطريق يحتكمان إليه وينزلان عند حكمه

ايطاليا والحبشة : الجيش الايطالى

منذ بعيد تستعد إيطاليا لغزو الحبشة . وقد بلغ ما أرسلته من الجنود إلى إرتريا حتى آخر سبتمبر سنة ١٩٣٥ ربع مليون جندى إيطالى ، مرت من قناة السويس على سفن حربية إيطالية ومعها ستمائة طائرة ومدافع كثيرة رشاشة وسيارات مدرعة . هذا عدا الجيش الايطالى الذى فى شمال إيطاليا وعدده ٥٠٠ ألف ، وعدا الجنود الوطنيين

بدأت إيطاليا استعمارها الأفريقى بانشاء شركة ايطالية اشترت ثغراً صغيراً يدعى « عصب » سنة ١٨٦٩ من شيخها . وكانت من أملاك الباب العالى التركى فاحتج على هذا البيع وعده باطلا لصدوره من غير مالك . ولكن الشركة الايطالية « شركة روباتينو » نزلت عن « عصب » الى الحكومة الايطالية التى أرسلت بعض التجار الايطاليين للاقامة بها وعلى رأسهم « الكونت أنتونيللى » الذى عقد مع أمبراطور الحبشة منليك الثانى معاهدة صداقة ، واحتلت ايطاليا ثغر مصوع وجزراً غيرها وتألفت مستعمرة ارتيريا . منتهزة فرصة الثورة المهدية فى السودان وضعف مصر وسعى كل من انجلترا وفرنسا لتقسيم افريقية الوسطى والشرقية . وواصلت ايطاليا احتلال بلاد الحبشة . وطلب الامبراطور منليك الى الجنرال (جيته) الايطالى اخلاء البلاد وضم منليك (هرر) الى أملاكه . ووقعت حرب بين الرأس ألولا وهزم الجيش الايطالى فى يناير سنة ١٨٨٧ على مقربة من دوجالى ، فأرسلت

الحكومة الايطالية فى أواخر سنة ١٨٨٧ جيشاً عدده (٢٥) ألفا نصفه من الايطاليين والباقين من الأهلين واحتل الجيش « صاتى »

وقد حدث فى أثناء ذلك أن الملك يوحنا انتقض على أمبراطور (القلابات) منليك الذى حارب جنود المهدى وقتل فى مارس سنة ١٨٨٨ . وانهزمت جنوده بعد انتصارها فى حياته

وقد عقدت إيطاليا مع (منليك) معاهدة أوتشيالى ، وبناء عليها قبل الأمبراطور أن تكون حكومة إيطاليا وسيطا بين الحبشة والدول الأجنبية فى جميع المسائل .

وقد كتبت هذه المعاهدة من نسختين ، نسخة باللغة الحبشية ونسخة باللغة الايطالية والنسخة الحبشية تقول :

« يجوز لجلالة الأمبراطور أن يتخذ وساطة حكومة جلالة ملك إيطاليا سبيلا إلى تسوية جميع المسائل المتعلقة بالدول الأجنبية » فأما النسخة الحبشية فتقول « يجوز » والنسخة الايطالية تقول : « يوافق أمبراطور الحبشة الخ » وقد وقع منليك النسخة الحبشية ولم يوقع على النسخة الايطالية ، وفى ١٢ فبراير سنة ١٨٩٣ أبلغ منليك الثانى الدول بأنه غير مرتبط بالمعاهدة الايطالية التى نشرتها إيطاليا وفسرتها على أنها جعلت الحبشة تحت حمايتها

غضبت إيطاليا من الحبشة وزحفت جنودها بقيادة الجنرال باراتيرى فاحتلت كسلا من بلاد السودان سنة ١٨٩٤ ثم تقدمت إلى الحدود الحبشية فانتصرت الجنود الايطالية على جيش الرأس مانجاشا سنة ١٨٩٥ واحتلت اديجران وميكالى وأمبا ألاجى . ولكن منليك تقدم بجيشه ومعه الرأس ماكونن فهزم الجيش الايطالى شر هزيمة وقتل منه ألوف وغنم ذخائره وانتحر القائد الايطالى الماجور توسلى وانسحب الايطاليون

وطلب منليك أن تدفع إيطاليا له فوراً ٢٥ مليون ريال حبشى حتى يقبل وقف الحرب وعقد الصلح الذى عرضه القائد العام للجيوش الايطالية فى أفريقية وهو الجنرال باراتيرى

ولكن إيطاليا رفضت الصلح على هذه الشروط فاستعد الجيش الايطالى للحرب وقسم نفسه إلى أربعة أقسام أحدقت بها الجيوش الحبشية وهزمتها

وأعاد براتيرى تنظيم الجيش الايطالى وهجم على (عدوة) التى وقعت فيها الموقعة المشهورة وقتل الجنرال أريمندى والجنرال دامبراميدا وأسر الجنرال

البريتونى وأصيب الجنرال أنلينا بجرح خطير وغنمت الحبشة ٧٢ مدفعاً وذخائر وأعلاماً إيطالية و ٧٠٠٠ أسير وقتل وجرح ١٠٠٠٠ إيطالى

وهرب باراتيرى وواصل منليك زحفه ودخل اريتريا واستولى على حصن « أدى أوجرى » وحاصر الجنرال برستنارى وحمله على التسليم فى مايو سنة ١٨٩٦

وعينت الحكومة الايطالية الجنرال بالديسيرا وأراد أن يتقدم بجيش عدده ٣٠٠٠٠ ألف جندى . ولكنه وجد الهزيمة محققة ، وأشار على حكومته بالصلح فذهب وفد إيطاليا فى ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٩٦ إلى أديس أبابا حيث عقدت معاهدة بين إيطاليا والحبشة إعترفت فيها إيطاليا باستقلال الحبشة إستقلالا تاما

على أن الايطاليين لن ينسوا موقعة عدوه وهزيمتهم الهائلة ، ومن أسباب إستعدادهم الحربى الحاضر الرغبة فى غسل الاهانة التى لحقتهم بهزيمتهم فى عدوه

وقد تسلم منليك غرامه قدرها ٧٠٠٠٠٠ جنيه إنجليزى وأطلق سراح الأسرى الايطاليين وكان عقد المعاهده فى إديس أبابا فى ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٩٦ وعقدت بعدها معاهدات وإتفاقات أخرى فى صدد تحديد التخوم بين الحبشة وارتيريا

موسولينى والحرب

وقد صرح السنيور موسولينى علنا أنه يريد الاستيلاء على الحبشة كلها ، وأنه لا بد من محاربتها ، وأنه لن يمسك عن الحرب أمام أى قرار من عصبة الأمم أو سواها ، وأنه لا يمنع الحرب الا شىء واحد — هو أن تسلم الحبشة نفسها لأيطاليا بغير قتال .

الاتحاد بين الحبشان

جمعت الحرب الحبشية القادمة بين القلوب المتنافرة وبين رؤوس الحبشة المتنافسين وقد تحمسوا للدفاع عن الوطن ، وقد عنى الأمبراطور بكسب رضاء المسلمين من رعاياه وقد أصبحوا يداً واحدة مع اخوانهم

الجاليات الأجنبية

بالحبشة جاليات أجنبية من جميع الجنسيات ومنها جاليات عربية ولبنانية وسورية ويونانية وأرمنية ، وأكثر أفرادها تجار ومنهم من جمع ثروة كبيرة وأنشأوا المدارس

البعثات فى الحبشة

فى الحبشة بعثات تبشيرية لمختلف الأديان ولا سيما البروتستانتية الأمريكية . وبعثات تجارية لمختلف الدول . وقد عقدت البعثة الانجليزية الذى كان يرؤسها السير رنل رود معاهدة صداقة مع الحبشة فى ١٥ مايو سنة ١٨٩٧ . وللبعثات مدارس ومستشفيات وملاجىء

ورأس الدجاز « تاساما » بعثة أوروبية فى عضويتها مسيو فايفز ومسيو بوتو السويسرى ومسيو أرتومونوف الروسى واجتازت الحبشة إلى نهر النيل عند مصب نهر السوباط فى يونية سنة ١٨٩٨ ، وبعد أيام وصل اليه الماجور مارشان الذى صار جنرالا فرنسياً وهو صاحب مسألة فاشودة

عينت الدول ممثلين لها فى العاصمة الحبشية فكان السير هارنجتن قنصلا جنرالا لانجلترا فوزيراً مفوضاً

وعقدت بعثة أمريكية سنة ١٩٠٣ معاهدة تجارية بين الولايات المتحدة والحبشية

وعقدت بعثة ألمانية سنة ١٩٠٥ معاهدة تجارية مع الحبشة وعين وزير مفوض ألمانى لدى امبراطور الحبشة

وقد وضعت انجلترا وفرنسا وإيطاليا إتفاقا فى ديسمبر سنة ١٩٠٦ جاء فيه : « إن مصالح هذه الدول الثلاث تقضى بالمحافظة على سلامة أملاك أتيوبيا » ، وقضت المادة الاولى من الاتفاق على التعاون بينهم فى المحافظة على كيان اتيوبيا من الوجهة السياسية وسلامة أراضيها . ونصت على أنه إذا وقعت طوارىء تخل بالكيان السياسى للحبشة فان هذه الدول تتفق على صيانة مصالحها الخاصة وقد تم الاتفاق فى شهر يولية فى سنة ١٩٠٦ ، وأبلغ فى الحال إلى النجاشى ، وقد رد الامبراطور منليك على تبليغ الدول بأنه يشكر لها نياتها الطيبة ويشترط أنه لا يكون من شأن هذه الاتفاقية الحد من حقوق سيادته ثم عين من شهر يونية سنة ١٩٠٨ حفيده ليج ياسو ولياً لعهده

السكة الحديدية ودوليتها

وقد تقرر فى الاتفاقية المذكورة أن تكون السكك الحديدية فى الحبشة دولية وليس فى الحبشة سوى سكة حديدية واحدة بين إديس ابابا وميناء جيبوتى الواقع فى الصومال الفرنسى . ولا تسير القطارات إلا نهاراً ، وتقف عند إحدى المحطات ليلا ، ويستغرق مسيرها بين جيبوتى وأديس أبابا ستة أيام .

مراجع الكتاب ووثائقه

اطلع المؤلف على طائفة كبيرة من الكتب والوثائق مما يعد بالمئات وباللغات العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية عن مصر والسودان والنيل والآثار وأفريقية واستعمارها ومكتشفاتها وتواريخ مصر والقبائل العربية - فى سبيل وضع هذا الكتاب ونذكر فيما يلى أمثلة من هذه المراجع ، وهناك مراجع أخرى ورد ذكرها فى غضون فصول الكتاب - وننشرها لنسهل زيادة البحث والتقصى للراغبين من حضرات القراء :

L'E mpire Egyptien Sous Mohamed Ali , Par M. Sabry

الامبراطورية المصرية فى عهد محمد على بقلم الدكتور محمد صبرى رئيس البعثة المصرية فى سويسرا

تولية الخديو اسماعيل ، تأليف ادوين

لائحة ترتيب المحاكم المختلطة - الدستور المصرى

Letters of General C. G. Gordon to his sister

رسائل غوردون إلى اخته - طبعت فى لندن سنة ١٨٨٨

الكولونيل غوردون فى افريقية الوسطى

Colonel Gordon in Centeral Africa

وثائق رسمية محفوظة بدور المحفوظات فى لندن وباريس وبروكسل وزوما وعابدين والقلعة

Sette Anni nel Sudan Egiziano سبع سنوات فى السودان

Voyage en Abyssinie et chez les Gallas - Raiss par Gabril

رحلة فى الحبشة وفى بلاد الجالا ورؤوسها تأليف جبريل سيمون Simon

Dix Années en Equatoria

عشر سنوات فى خط الاستواء - ترجمة لويس وهيسين سنة ١٨٩٢ - عن امين باشا وبعثة استانلى

L'Empire Egyptien sous Ismaïl et l'Ingerence Anglo - Francaise, par M. Sabry

الامبراطورية المصرية فى عهد اسماعيل والتدخل الانجليزى الفرنسى - تاليف الدكتور محمد صبرى مدير البعثة المصرية فى جنيف

Sir Samuel Baker, Memoir مذكرات سير صمويل بيكر

الخطط التوفيقية
تاريخ ، الجبرتى
تاريخ ، الطبرى
عجائب الآثار ـ الجبرتى
الكافى ـ شاروبيم بك
تاريخ النوبة : ـ حتة
محاضر الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين والجمعية التشريعية
مضابط البرلمان : مجلس الشيوخ ومجلس النواب ـ من سنة ١٩٢٤ ـ سنة ١٩٣٤
أعداد كثيرة ومختلفة فى القرنين الماضى والحاضر من التيمس والطان وغيرها ـ ومن الاهرام والمؤيد والمقطم واللواء وغيرها
السودان المصرى ومطامع السياسة الانجليزية ـ تأليف داود بركات
كتاب الاسماعيلية Sir Samuel Baker, Ismailia
البرت نيانزا albert Nyanza بقلم Sir Samuel Baker
يوميات غوردون Journal of Gordon at Khartoum
مصر والسودان L'Egypte el Le Soudan
السودان وغردون والمهدى Le Soudan, Gordon et Le Mahdi
للكابتن هومان Heumann طبع سنة ١٨٨٦
تركة مصر فى الأقاليم الاستوائية
La Succession de l'Egypte dans les provinces équatoriales
للمسيو ديهران « مجلة العالمين » عدد ١٥ مايو سنة ١٨٩٤
سبع سنوات فى السودان ـ تأليف جسى باشا
Sept ans au Soudan par Gessi Pacha
عشر سنوات فى مديرية خط الاستواء والعودة مع أمين باشا ـ تأليف كازاتى
Dix années dans Afrique equatoriale par Casati
مصر ومديرياتها المفقودة بقلم شايى لونج بك ـ طبع ١٨٩٢
L' Egypte et Les provinces Perdues par Chaillé Long Bey
افريقيا الوسطى بقلم شايى لونج بك Central Africa par Chaillé Long Bey

الأنبياء الثلاثة : غردون والمهدى وعرابى طبع سنة ١٨٨٦
Les trois prophétes par Chaillé Long Bey
منابع النيل تأليف شايى لونج بك Les Sources du Nil
Egypt, Africa, Africans
مصر وافريقية والافريقيون بقلم شايى لونج بك طبع سنة ١٨٧٨
L'Egypte, Soudan, Kasala
مصر والسودان وكسلا - مجلة العالمين الفرنسية عدد أول نوفمبرسنة ١٨٩٤
يوميات عن كشف منابع النيل - تأليف سبيك
Journel of the Discovery of the Sources of the Nile by Speke
النيل والسودان ومصر تأليف شيلو بك
Le Nil, Le Soudan et l' Egypte par Chelu Bey
الكتاب الأزرق الانجليزى سنة ١٨٨٣ Blue Book, 1883
الكولونيل غردون فى افريقية الوسطى - تأليف مستر هيل
Colonel Gordon in Central Africa, by Hill
مصر والسودان تاليف هنرى بنسا
L'Egypte et Le Soudan, par Henri Pensa
نشرات هيئة أركان حرب الجيش المصرى عن السودان طبع سنة ١٨٧٧
Publications of the Egyptian General Staff, by Colonel Purdy
السودان المصرى - تأليف واليس بودج جزئين طبع سنة ١٩٠٧
The Egyptian Sudan, by Wallis Budge
مصر المسلمة والحبشة المسيحية - تأليف وليم داى
Moslem Egypt and Christian Abyssinia, by W. Dye
الحملة المصرية ضدالحبشة - بقلم مسيوسوتزارافى مجلة مصر أعداد مارس وإبريل ومايو سنة ١٨٩٦
Expedition des Egyptiens contre l'Abyssinie, par Suzzera Revue d'Egypte
فاشودة وفرنسا وانجلترا - تأليف روبرت دى كى طبع سنة ١٨٩٩
Fachoda, la France et l'Angleterre , par Robert de Caix
تقسيم افريقية تأليف بانينج طبعة سنة ١٨٨٨
Le partage de l'afrique par Banning
مسألة افريقية تأليف دى فيل
La question d' Afrique, par Deviélle

مسألة افريقيا La question d' Afrique, par Raymond

الرى فى مصر تأليف بروا

L'Ron ze L'Irrigation e Egypte par Barrois

تقارير اللورد كرومر ـ تقارير غورست ـ تقارير كتشنر

جبر الكسر فى الخلاص من الأسر ـ محمد رفعت بك

مجلة الجمعية الجغرافية ـ والوقائع المصرية ـ ومجلة العالمين الفرنسية

تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ـ تأليف نعوم شقير بك طبع سنة ١٩٠٣ فى ثلاث أجزاء

انجلترا فى مصر تأليف ملنر سنة ١٨٩٣

England in Epypt by Alfred Melner

مصر الحديثة تأليف كرومر Modern Egypte - by Cromer

تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل باشا ـ تأليف الياس الايوبى بك طبع ١٩٢٣

Stuation Internationale de L' Egypte et du Soudan

The Litterature of Egypt and the Sudan, by Prince Ibrahim Hilmy

رحلة سعيد باشا فى السودان ـ تأليف الدكتور أباتة باشا طبع سنة ١٨٥٨

Voyage de Mohammed Said Pacha dans ses provinces du Soudan, par Abbate

دائرة المعارف الفرنسية الكبرى La Grande Encyclopedie

Bulletin de la Société Royale de Geographie

Bulletin de l'Institut Egyptien; Revue des deux Mondes

الخطط التوفيقية ـ تأليف على مبارك باشا

حقائق الأخبار عن دول البحار ـ تأليف اسماعيل سرهنك باشا طبع سنة ١٣١٢هـ

L' Egypte et ses Progrès Sous Ismail Pacha par Ronchette طبع سنة ١٨٦٧

الأثر الجليل لقدماء وادى النيل ـ لأحمد كمال بك

الأدب السودانى ـ لعباس سعيد

الدليل فى موارد أعالى النيل ـ للمستر وليم جارستن

تاريخ الأمة القبطية من سنة ١٨٩٣ — ١٩١٢ ليوسف منقريوس

رحلة مصر والسودان ـ لمحمد مهدى
قوانين سودانية ـ العقوبات ، تحقيق الجنايات وغيرهما
شعراء السودان ـ لسعد ميخائيل
التوفيقات الالهامية ـ للواء محمد مختار باشا
تاريخ هيرودوتس ـ للمؤرخ اليونانى فى القرن الخامس قبل الميلاد
تاريخ ديودور الصقلى ـ وهو من سيسيليا زار مصر سنة ٥٧ قبل الميلاد
تاريخ يوسنيوس ـ وهو مؤرخ يونانى فى القرن الأول قبل الميلاد
التاريخ العام ـ بالانجليزية ـ تأليف لجنة من العلماء الانجليز سنة ١٧٤٩
العقد الثمين ـ احمد كمال باشا
فجر العمران سنة ١٨٩٤ ـ مسيبرو
تاريخ الاسلام العام ـ جورج زيدان
انسيكلوبيديا ـ بريتانيكا
هو إذ هو بالانجليزية ـ أسماء مشاهير الرجال وتراجمهم
المسعودى ـ تاريخ أبو الحسن على بن حسين سنة ٣٤٦ ﻫ
تاريخ ، ابن الاثير
تاريخ ، ابن العذراء
تاريخ ، ابن خلدون
مقدمة ابن خلدون
تاريخ مصر لابن أياس
سيرة السر صموئيل بيكر بالانجليزية سنة ١٨١٥
تاريخ الدافع ـ بخط يد ابراهيم عبد الدافع من الفتيحاب الجعليين ـ عن ملوك سنار والفتح المصرى الاول
رحلة بورخارت الألمانى بالالمانية عن سياحته فى النوبة وسنار سنة ١٨١٤
تاريخ دارفور ـ بالفرنسية للدكتور برون سنة ١٨٣٢
تاريخ مصر الحديث ـ جورج زيدان بك منشىء مجلة الهلال وقد رافق الحملة لفتح السودان وشهد واقعة أبى طليح
تاريخ الحملة السودانية ـ جبرائيل حداد بك
كتاب أسر عشر سنين فى معسكر المهدى بالالمانية ـ سيرة الأب أوهرولدر

من المرسلين النمسويين بالسودان

كتاب المستهدى إلى سيرة الامام المهدى بخط يد الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردوفانى

تاريخ السودان ـ تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدى من علماء القرن الحادى عشر

تاريخ السودان المتقدم ـ تأليف الدكتور حسن كمال

تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكرى وقائع التكرور وعظائم الأمور وأنساب العبيد من الأحرار ـ تأليف العلامة الفقيه محمود كعت بن المتوكل كعت الكرنتى

تاريخ سكت احدى مدن السودان ـ عنى بنشرها وطبعها المستشرق هوداس

تاريخ مدينة سنار ـ تأليف أحد أفاضل علماء القرن الثالث عشر الهجرى

تاريخ الحرب السودانية ـ تأليف الأديب جبرائيل حداد الطرابلسى

تاريخ ملوك الفونج بالسودان وأقاليمه إلى حكم محمد باشا سعيد بن محمد على باشا رأس العائلة الملوكية

دليل مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ ـ تأليف ثابت وانطاكى

تشحيذ الأذهان ، بسيرة بلاد العرب والسودان ـ تأليف الشيخ محمد بن السيد عمر التونسى بن سليمان

تاريخ الجامع الأزهر ـ تأليف مصطفى بك بيرم

الأزهر ـ تأليف محب الدين الخطيب

كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ـ تأليف الشيخ سليمان رصد الحنفى الزياتى

ذيل المقريزى ـ تأليف المرحوم عبد الحميد بك نافع

أقوال الترمذى

« أبو داود

« البزار

« ابن ماجة

كتاب الامام القرطبى

« نور الأبصار

تاريخ ـ ابن الوردى

صحيح ـ الامام البخارى

صحيح الامام مسلم
تقويم البلدان - جغرافية أبى الفدا
خطط المقريزى
مختصر الشعرانى
العلقمى
صحيح الحاكم
الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة تأليف العالم المحدث شهاب الدين احمد حجر الهيتمى بمكة
بلغة الخواص — للامام محي الدين بن عربى الصوفى الطائى الاندلسى
معجم البلدان - ياقوت
تاريخ الأمة القبطية جزآن للجنة التاريخ القبطى
تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى لحسن كمال
الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام - للمقريزى
فتح العرب لمصر تعريب محمد فريد أبو حديد
مصر والسودان فى نظر العلم والتاريخ للدكتور احمد فؤاد
شعراء السودان لسعد ميخائيل
دليل السودان لأحمد عزام
الحوادث فى السودان من سنة ١٨٨١ — ١٨٨٩
تاريخ السودان القديم للدكتور كمال
السيف والنار فى السودان لسلاطين باشا - بالالمانية والانجليزية والفرنسية والعربية
رحلة مصر والسودان لمحمد مهدى
المهدية والسودان المصرى سنة ١٨٩١ - ونجت
أسر عشر سنين فى معسكر المهدى سنة ١٨٩٣
كتاب ضبط النيل سنة ١٩٢٠ للسير مردوخ ماكدونالد وزارة الأشغال
غوردون ومكافحة الرقيق الابيض - القاضى كرابيتس
Gordon, the Sudan, and Slavery - by Pierre Crabités

اسماعيل الخديوى المفترى عليه - تأليف القاضى كرابيتس القاضى الامريكى بالمحاكم المختلطة

Ismail, The Maligned Khedive, by Pierre Crabités

استعادة السودان - تأليف القاضى كرابيتس

The Winning of the Sudan - by Crabités

سر تقدم الانجليز السكسونيون - إدمون ديمولان سنة ١٨٩٣

سر تطور الأمم - للدكتور جوستاف لوبون

مصر Egypt - بقلم الكولونيل الجود المراقب العام لمصلحة التموين سابقا

Sudan Gordon Memorial College at Khartoum.
Report and accounts to 31 St December, 1926. 1927.

Sudan, foreign relations

رسائل خاصة بالغزوات الحبشية على مستعمرات بريطانية وعلى السودان المصرى الانجليزى

Sudan Correspondence respecting Abyssinian Raids and incursions into Brithish Territory and the Anglo - Egyptian Sudan 1928.

Apyssinia No. 1 (1928) الحبشة

Sudan Government Annual report of the Education Department 1929 Me - Corqudale, 1930. PP .99. 2 pls. 4°. 31 Cm

السودان الانجليزى المصرى تأليف سير هارولد ماكيكل السكرتير الادارى السابق بحكومة السودان

The Anglo - Egyptian Sudan by Sir Harold Macmichael

تاريخ العرب فى السودان تأليف سير ماكيكل

A History of the Arabian in the |Sudan...,By H.A.Macmichael. 2 vols. 1932.

المركز الدولى لمصر والسودان - تأليف جولز كوشيريس

Situation internationale de L' Egypte et du Sudan. by jules Cocheris. March 1932. T.

ضبط النيل والسودان الحديث

كتاب السودان بين يدى غوردون وكتشنر ، تأليف اللواء ابراهيم فوزى باشا

رحلة كايو

السودان المصرى فى عهد محمد على - مسيو دميران
تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الثالث عصر محمد على - عبد الرحمن الرافعى بك
عصر اسماعيل - الجزء الأول - عبد الرحمن الرافعى
السودان الانجليزى المصرى - بالانجليزية - الليفتنانت كولونيل جلايشن ، مدير المخابرات بحكومة السودان والجيش المصرى سابقاً
مصر منذ كرومر بقلم اللورد جورج لويد المندوب السامى البريطانى الأسبق
Egypt since Cromer
نظرة أحنى إلى السودان
A Foreigners' looke at the Sudan - Odette Keun
Pagan Tribes of the Nilotic Sudan
The Ethnology of Africa, by Direbrgo Schapera
Sudan Sand, by Stella Court Treatt
Gordon and the Sudan by Bernard Allen
Slavery by K. Simon
تجارة الرقيق « النخاسة » تأليف الليدى كاترين سيمون قرينة السير جون سيمون الوزير الانجليزى المشهور
تقارير حكومة السودان - وتقارير اداراتها السنوية وتقارير الغرفة التجارية بالخرطوم
لمحة عامة إلى مصر : تأليف كلوت بك ، عشرة أيام فى السودان تأليف هيكل بك ، النيل : تأليف دكتور عوض ، ذكريات الطفولة فى السودان بقلم القبانى ، دارفور بقلم التنى ، تقارير مصلحة الآثار ، مذكرات سليمان محجوب عن القبائل العربية فى وادى النيل ، تاريخ مصر - أجزاء مسلسلة تأليف المؤرخ الايطالى انجلوسامار كو ، عباس الثانى : تأليف لورد كرومر ، بدائع الزهور : لابن أياس ، مذكرات للأمير عمر طوسون ، بطولة الأورطة السودانية المصرية فى المكسيك لسموه ، الأجوبة السديدة ، فى إنذار وتهديد أهل المكيدة
ثمانية خطابات صادرة من المرحوم الزبير باشا رحمت الجميعابى أمير جيوش المرحوم اسماعيل باشا الخديوى ومدير مديرية بحر الغزال سابقاً ، إلى السلطان ابراهيم بن السلطان حسين أحد أمراء السودان وإلى علماء دارفور سنة ١٢٩٠ ، سنة ١٢٩١ هـ بخصوص ما يجرى فى بعض الأقطار السودانية من الحوادث

فهرس المواضيع

الموضـــوع	الصفحات
تصدير : بقلم حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون	١ ـ ٢
مقدمة : لحضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعية الزراعية الملكية	٣ ـ ٨
عبد الله حسين كما عرفته : بقلم حضرة الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي المفتش بوزارة الأوقاف	٩ ـ ١٣
الفصل الأول : سكان السودان، الزنوج ، البجة ، النوبة ، العرب، قبائل العرب ، أصول أخرى لسكان السودان ، عدد سكان السودان، اللغة ، الدين	١٧ ـ ٢٣
الفصل الثانى : ممالك السودان ، النوبة والبجة ، مملكة سنار ، مملكة دارفور ، الكشاف والدولة التركية	٢٤ ـ ٢٥
الفصل الثالث : مصر الفرعونية والسودان	٢٦ ـ ٣٣
الفصل الرابع : مصر والسودان فى عهد البطالسة	٣٤ ـ ٣٧
الفصل الخامس : السودان فى العصر الرومانى	٣٨ ـ ٤٣
الفصل السادس : تاريخ النوبة ، مصر والنوبة ، مملكة نبته أو نباطا وملوك النوبة فى مصر ، مملكة مروى فى عهد الرومان ، تاريخ المملكة ، تاريخ المسيحة فى النوبة ، وقائع البجة ، القبائل العربية ، عرب العليقات	٤٤ ـ ٦١
الفصل السابع : الحكومات العربية الاسلامية فى السودان ، عرب السودان ، أسباب هجرة العرب ، العرب فى السودان اليوم	٦٢ ـ ٦٧
الفصل الثامن : العباسيون والفواطم والأخشيديون والمماليك، البجة	٦٨ ـ ٧٣
الفصل التاسع : مملكة سنار ، ملوك الفونج ، غزو الترك ، مشيخة العابد لاب ، الممالك التابعة للفونج	٧٤ ـ ٧٥

الموضوع	الصفحات
الفصل العاشر : الاتراك والكشاف الاتراك	٧٦
الفصل الحادى عشر : سلطنة الفور ، دويلات وممالك ، عادات الفور ولغتهم ، تقاليدملوك الفور	٧٧ ـ ٨٤
الفصل الثانى عشر : فتح محمد على للسودان ، فتح كردفان ، قتل اسماعيل حرقا فى شندى ، نظام الحكم فى عهد محمد على ، حكمدارية السودان الأولى ، حدود السودان	٨٥ ـ ٩٣
الفصل الثالث عشر : السودان بعد محمد على ، فى عهد ابراهيم ، فى عهد عباس باشا الاول	٩٤ ـ ٩٦
الفصل الرابع عشر : السودان فى عهد سعيد باشا ، أورطة المكسيك السودانية ، رأى مؤرخين فرنسيين ، زيارة سعيد باشا للسودان ، النظام القضائى فى السودان	٩٧ ـ ١٠٨
الفصل الخامس عشر : السودان فى عهد اسماعيل ، فتح فاشودة سنة ١٨٦٥ ، غردون باشا ، تاريخ حياة غوردون ، استقالة غوردون باشا ، غوردون حكمدار السودان ، فتوح اسماعيل ، السكة الحديد	١٠٩ ـ ١٢١
الفصل السادس عشر : بعثات الكشف عن السودان ومنابع النيل ، فى حملة اسماعيل باشا بن محمد على باشا الذى قتل فى شندى ، رحلة محمد على باشا إلى السودان ، رحلات البكباشى سليم قبطان ، الرحلة الثانية لسليم قبطان ، الرحلة الثالثة بقيادة سليم قبطان ، فى عهد سعيد باشا ، رحلة السير صمويل بيكر الانجليزى ، فى عهد اسماعيل ، رحلة السير صمويل بيكر الثانية ، حملة غوردون باشا ، بعثات ضباط أركان الحرب ، البعثة الثانية برياسة الميرالاى كولوستون بك ، البعثة الثالثة برياسة المهندس الأمريكى ميشل ، آثار السودان ، الخط السودانى	١٢٢ ـ ١٢٩
الفصل السابع عشر : حاكمدارو السودان ، بيانات عن حاكمدارى السودان ، الميرالاى عثمان بك ، محو بك ، خورشيد باشا ، احمد أبو ودان باشا ، احمد المنكلى باشا ، خالد باشا ، عبداللطيف باشا ،	١٣٠ ـ ١٣٥

الموضوع	الصفحات
رستم باشا ، اسماعيل حقى « أبو جبل » باشا ، سليم باشا ، على سرى باشا الأرنؤوطى ، على شركس باشا ، أراكيل بك ، حسن سلام بك الشركسى ، محمد راسخ بك ، الفريق موسى حمدى باشا ، جعفر الصادق باشا ، جعفر مظهر باشا ، ممتاز باشا ، اسماعيل أيوب باشا ، محمد رؤوف باشا ، عبد القادر حلمى باشا ، علاء الدين باشا ، غوردون باشا	
الفصل الثامن عشر : فى عهد الحكم المصرى ، الموظفون السودانيون ، تولى كثير من السودانيين المناصب الكبيرة فى السودان ، أعيان السودان فى عهد الحكم المصرى ، وصف الحكم المصرى ، التجار المشهورون فى عهد الحكم المصرى	١٣٦ ـ ١٣٧
الفصل التاسع عشر : الحكم المصرى فى السودان ، المبانى المصرية فى السودان ، شهادة الأجانب للحكم المصرى فى السودان ، فى مذكرات القبانى عن الحكم المصرى ، الارساليات العلمية من الخرطوم إلى مصر ، فى الارساليات المصرية ، فكاهة ، تفاصيل عن الحكم المصرى وإدارته ، سلطنة هرر ، فتح السومال ، التقسيم الادارى ، المحافظات ، نظرة إجمالية ، الجيش المصرى فى السودان ، استتباب الأمن ، الزراعة ، طرق المواصلات ، المواصلات النيابية ، الملاحة البحرية والفنارات ، مشروع السكة الحديدية ، المدارس ، التجارة ، البريد ، التلغرافات ، ميزانية السودان	١٣٨ ـ ١٦٢
الفصل العشرون : النزاع بين مصر والحبشة : حملات الجيش المصرى على الحبشة ، حملة أرندروب بك ، حملة منزنجر باشا ، حملة راتب باشا	١٦٣ ـ ١٦٥
الفصل الحادى والعشرون : تجارة الرقيق ومنعها ، لغة ، شرعا ، تاريخ الرق ، الخصيان ، طريقة الخصى ، قرصان البحر ، الرقيق فى أمريكا	١٦٦ ـ ١٧٩
الفصل الثانى والعشرون : الثورة المهدية ، تمهيد ، أسباب الثورة المهدية ، أسباب نجاح الثورة المهدية ، أسباب فشل الثورة المهدية بعد نجاحها	١٨٠ ـ ١٨٤

الموضوع	الصفحات
الفصل الثالث والعشرون : شريف باشا والسودان ، استقالة شريف باشا التاريخية ، الوقائع المصرية ، رواية جريدة الأهرام ، نص الاستقالة فى كتاب سرهنك باشا ، استقالة شريف باشا كما وردت بكتاب مذكراتى فى نصف قرن ص ٢٦٦ تأليف احمد شفيق باشا ، مرض شريف باشا ، استقالة شريف باشا المودعة مجلس الوزراء ، نوبار باشا والسودان	١٨٥ ـ ١٩٤
الفصل الرابع والعشرون : عودة غوردون باشا إلى السودان ، قبيلة الشكرية وزعيمها أبوسن ، كتاب المهدى إلى غوردون رداً على كتابه ، سياسة المهدى من كتبه ، رأى الخديو توفيق فى مهمة غوردون ، اللواء إبراهيم فوزى باشا	١٩٥ ـ ٢١١
الفصل الخامس والعشرون : مسألة المهدى المنتظر ، المهدى المنتظر والأحاديث النبوية الواردة بشأنه ، مفندو المهدية ، مدعو المهدية	٢١٢ ـ ٢٢٢
الفصل السادس والعشرون : محمد احمد المهدى	٢٢٣ ـ ٢٢٨
الفصل السابع والعشرون : وقائع المهدى وانتصاراته ، بيعة المهدى ، حكومة المهدى ، الترحيب بالمهدى ، راتب المهدى ، كبار الثائرين على الحكم المصرى ، فى كردفان ، حملة هكس باشا ، فى دارفور ، فى بحر الغزال ، عثمان دقنة ، قتل غوردون وسقوط الخرطوم ، حملة السير تشارلس ولسون ، اخلاء دنقلة ، فى سنار ، فى كسلا ، بعد سقوط الخرطوم ، عزم المهدى على غزو مصر وكتبه إلى أهلها وإلى الخديو ، المهدى وغزو الشام ، المهدى ومراكش ، وفاة المهدى ، صفات المهدى وعاداته	٢٢٩ ـ ٢٤٣
الفصل الثامن والعشرون : الخليفة عبد الله التعايشى ، التعايشى وفتح كسلا ، فى القلابات ، على حدود الحبشة ، فى سواكن ، عند خط الاستواء ، الخليفة عبد الله التعايشى ، حكومة التعايشى ، معاهدة بين التعايشى ومشايخ السودان ، قاضى الاسلام ، الاسرى ، مؤامرة ، المجاعة فى عهد المهدية ، غزوة عبد الرحمن النجومى لمصر ، بعد حملة	٢٤٤ ـ ٢٧٢

الموضوع	الصفحات
النجومى ، كسلا ، غزوة دقنة لطوكر ، فى أم درمان ، المصريون فى السودان والثورة المهدية. أمين باشا فى خط الاستواء ، سقوط الخرطوم ورأى الانجليز فى الموقف ، تقرير شارلس ولسون ، وثائق رسمية ، من وزير الخارجية الانجليزية إلى القنصل فيفيان ، وثائق عن حكم محمد على فى السودان ، وثائق عن عهد اسماعيل ، وثائق حول سياسة غوردون ، وثائق حول سياسة الانجليز ، وثائق عن تطور السياسة البريطانية	
المسألة الحبشية وجارات السودان ، طرابلس الغرب ، واداى من أفريقيا الاستوائية الفرنسية ، الكنغو البلجيكى ، أوغندا ، كينيا . الحبشة والمسألة الحبشية ، أصول السكان ، الأرض والطقس ، اللغات الحبشية ، العادات فى الحبشة. المرأة الحبشية ، ممالك الحبشة وامبراطورها ، الرأس تفرى والامبراطورى هيلاسلاسى ، حول اسلام النجاشى ، الحبشة والجندية ، ولايات الحبشة ، القضاء فى الحبشة ، إيطاليا والحبشة : الجيش الايطالى ، موسولينى والحرب ، الاتحاد بين الحبشان ، الجاليات الأجنبية ، البعثات فى الحبشة ، السكة الحديدية ودوليتها	٢٧٣ - ٢٨٨

الصورة	الصفحة
صورة حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون	
« المؤلف	
« شابان متحاربان من قبائل الشلك	١٦
« دنكاوى زنجى محارب فى أبهى زينته	١٨
« نسوة من النوير	٢٠
« شبان محاربون من الشلك	٢٥
« من قبائل العبيد المشهورين بالصيد	٢٨
« فتيات سودانيات على النيل وأمام الأكواخ	٣٧
« من مشايخ أبى حمد والشلال وهم كأهل أسوان	٤٨
« معبد أبى سمبل	٥٣
« أحد مشايخ العرب فى السودان	٦١
« من قبيلة الهدندوة من قبائل البجة	٦٧
« امرأة من الهدندوة من قبائل البجة	٧٦
« شابة نوبية	٨٤
« محمد على باشا	٨٦
« ملك فازوغلى	٨٨
« خريطة السودان المصرى فى عهد محمد على	٩٣
« إبراهيم باشا	٩٤
« عباس باشا الأول	٩٥
« رفاعه رافع بك	٩٦
« سعيد باشا	٩٧
« اسماعيل باشا	١٠٩
« الأسطول النيلى	١١١
« نقل أجزاء البواخر النيلية	١٩٢
« السير صموئيل بيكر واللادى بيكر	١٩٢
« غوردون باشا	١١٤
« خريطة حدود الدولة المصرية فى عهد اسماعيل	١٢١
« تخطيط مدينة الخرطوم	١٢٢
« صمويل بيكر باشا	١٢٥

الصورة	الصفحة
صورة التكلات أو القطاطى - سوق سودانية	١٥٤
« خريطة السودان فى عهد اسماعيل	١٥٧
« إحدى البواخر النيلية - حفلة رفع العلم المصرى على غندوكرو	١٦١
« المعسكر المصرى فى غند كرو - ريونجا ملك أونيورو	١٦٢
« تعبئة القطن فى الأكياس	١٦٥
« اجتماع قبائل الزنوج	١٧٠
« محمد بك المالك	١٧٣
« شريف باشا	١٨٥
« الخديوى توفيق باشا	١٨٨
« نوبار باشا	١٩٤
« تمثال غوردون	١٩٥
« عبد القادر حلمى باشا	١٩٧
« الجنرال غرانفيل باشا	٢٠٨
« اللواء ابراهيم فوزى باشا	٢١٠
« البارون السير اللواء رودلف فون سلاطين باشا	٢١١
« تخيلها بعض الكتاب الانجليز للمهدى	٢٢٨
« هكس باشا	٢٣٣
« عثمان دقنة	٢٣٤
« صعود الوابور فوق الشلال الثانى	٢٣٧
« آلات سك النقود	٢٣٩
« أولاد الخليفة التعايشى	٢٤٢
« الشيخ محمد شريف نور الدين باشا	٢٤٣
« قبة المهدى بعد واقعة أم درمان	٢٥٦
« العربة التى كانت عند الخليفة التعايشى	٢٥٧
« دار محافظ سواكن	٢٥٨
« منظر لقرية من قرى الشلك	٢٥٩
« هنتر باشا	٢٦٣

الخطأ والصواب

وقعت أخطاء مطبعية نذكر منها ما يلي :

ص	س	الخطأ	الصواب
١٨	١١	السوادن	السودان
٢٦	١٤	المصريون	المصريين
٢٨	١١	والسابعة عشر	والسابعة عشرة
٣٠	١٢	١٣٧٥ سنة	سنة ١٣٧٥
٣٠	١٣	١٣٤٩ سنة	سنة ١٣٤٩
٣٠	١٥	أثنى عشرة	اثنى عشر
٣٠	٢١	١٣١٣ سنة	سنة ١٣١٣
٣٠	٢٦	١٢٩٠ سنة	سنة ١٢٩٠
٣١	١٠	إلى - ك	إلى ترك
٣١	١٥	أثنتا عشرة	اثنا عشر
٣٦	٢٠	ملك	الملك
٣٨	٢	أنه استولى	أن استولى
٤٨	٩	التونى	النونى
٥٠	٦	أجلا	أجلى
٥٤	٢٤	طريقة	طريقه
٦١	٥	القرق	القرن
٦٣	٢	قيسا	قيس
٦٥	١	فتأثره	فتأثر
٦٦	١٧	سكان « ا » الصحارى	« ا » سكان الصحارى
٦٦	١٧	سكان « ب » السهول	« ب » سكان السهول
٦٦	١٨	الاراضى « ح » الرملية	« ح » الاراضى الرملية
٨٤	٢	أهل د	أهل دارفور فيما
٨٧	٤	٤٠٠٠ آلاف	٤٠٠٠ أربعة آلاف
٩٢	١٧	العوب	العرب
٩٦	٧	الاثنان	الاثنان
١٠٢	٢٥	وبالرغم كل	وبالرغم من كل
١٠٦	٢١	والمسيو ليون	المسيو ليون
١١٧	١	الاليرى	الانجليزى

ص	س	الخطأ	الصواب
١١٨	١٦	أجراه	إجراؤه
١٢٠	١٢	مكنت	تمكنت
١٢٩	١	وحقوقها	وحققوها
١٤٢	٢٧	خرمت	حرمت
١٤٤	١	أجزاءها	أجزائها
١٤٥	١٧	كثير ماهم	كثير منهم
١٥٦	٢	سنة	سنة ١٨٨٥
١٦٩	٢٥	رحمها الله	رحمهما الله
١٧٢	٢٠	صرخ	صرح
١٧٦	٣	كثيرون	كثيرين
١٨٢	٤	بعض	البعض
١٨٧	١٩	أنشء	أنشىء
١٨٩	١٣	بأداه	بأداء
١٩٠	١٥	بمصلحة	بمصلحة مصر
٢٠١	١٠	الفانيات	الباقيات
٢٢١	٢٧	المكافأة	المكافئة
٢٢٣	١٢	أخان	أخوان
٢٢٥	١	شريف	شريفا
٢٣٢	٢	٣٠٠٠ آلاف	٣٠٠٠ ثلاثة آلاف
٢٣٤	١٢	وأسلوا	وأرسلوا
٢٣٦	١٨	سيد الرجود	سيد الوجود
٢٣٦	٢٣	القنابل	بالقنابل
٢٤١	٢	المساء	المسا
٣٤٧	٣	المحطاطين	المحتاطين
٢٦٦	٢٣	وبحيرت	وبحيرة
٢٦٩	٦	البطىء	البطء
٢٧٠	٧	من	عن

ORTO DI MEDICINA
TORINO

السودان

من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية

الجزء الثاني

يشمل حوادث السودان منذ التفكير فى إعادته والقضاء على عصر الثورة المهدية واتفاق ١٨٩٩ إلى سنة ١٩٣٥ ، ومباحث عن حكومته وجغرافيته وزراعته وتجارته وماليته وميزانيته وعلاقاته وحركته التعليمية والأدبية وشؤون الرى والخزانات ومستقبله وغير ذلك من بيانات

تأليف

عبد الله حسين

المحامى أمام محاكم الاستئناف والمحرر بالاهرام

وصاحب الجريدة القضائية والأدارة والبوليس القضائى

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس فى هذا الكتاب ملك خاص للمؤلف

وعلى كل نسخة خاتم المؤلف وإشارته وإلا تعد مسروقة

طبع سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

المطبعة الرحمانية بمصر

شارع الخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثانى

وفقنا الله تعالى إلى اتمام الجزء الأول من كتاب « السودان ـ من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية »، وها نحن نبدأ الجزء الثانى، وقد جعلناه شاملا لتاريخ إعادة السودان بقيادة اللورد كتشنر باشا واتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ونظام الحكم وحالة البلاد من وجوهها الادارية والقضائية والزراعية والصناعية والأدبية والتعليمية والهندسية وتطورها فى أثناء ذلك إلى بلوغها الوقت الحاضر، وأضفنا إلى ذلك بعض البيانات التى يحتاج اليها الباحث فى شؤون السودان.

لقد وقف قارىء الجزء الأول على كيف اتجهت الحكومة الانجليزية إلى السودان فاهتمت بفتوح اسماعيل وندبت غوردون ليكون من حكامه، ثم قررت اخلاءه من الجيش المصرى، ولكن أدى هذا الاخلاء إلى تفاقم الخطر على الحدود المصرية وإلى وقوع السودان تحت نير ثورة ومجاعة وفوضى، ورأت انجلترا أن دولا أخرى ولاسيما فرنسا اتجهت إلى استعمار السودان، منافسة انجلترا فى استعمار أفريقيا واحتلال مصر، فقررت إعادة فتح السودان بجيش مصرى قائده انجليزى هو اللورد كتشنر ومعه جنود انجليزية.

وقد اطلعنا على ما كتبه عشرات المؤرخين والسياسيين الوطنيين المصريين فى شأن إخلاء السودان ثم تقرير استعادته، فكانوا يقولون إن انجلترا أخلت السودان مقررة فى الوقت ذاته أن تستعيده على الصورة التى أعيد بها، أى باشتراك الجنود البريطانية مع الجيش المصرى وللحكم طبقاً لنظام اتفاقية ١٨٩٩ أو مثله

والواقع أن انجلترا لم تختط خطة واحدة فى هذا الصدد، وان كانت وقفت موقف المغتنم للفرص: وأحسب أنها حين قررت اخلاء السودان، قد اتجهت إلى أن تصبح مديريات السودان ممالك مستقلة، يسهل بسط الحماية البريطانية عليها، فيكون حكم السودان قليل النفقة. ولكن اخلاء السودان قد ترتب عليه اتحاده تحت لواء

المهدى ثم خليفته ، ثم نشوب الفوضى فيه ، وطمع فرنسا وغيرها فى الاستيلاء عليه . فرأت انجلترا أن السبيل اليسير — ويد احتلالها قوية فى مصر وسلطانها نافذ على الحكومة المصرية — أن تكون اعادة السودان باسم مصر مقروناً باشتراك انجلترا وبقيادة أحد ضباطها ، وأن تدع للحوادث أن تكمل الباقى . . ويرى القارىء فى الفصول الآتية كيف تطورت الحوادث ، وأن عوامل كثيرة اشتركت فى هذا التطور منها ضعف الوزارات المصرية وضعف الروح الوطنية المصرية بعد هزيمة عرابى وأسره والاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا سنه ١٩٠٤ ، حيث أطلق لانجلترا أن تبسط نفوذها على مصر بغير اعتراض ، مقابل بسط فرنسا نفوذها ثم حمايتها على مراكش ، هذا إلى توزيع مناطق النفوذ فى أفريقيا بين الدول الأوروبية الكبيرة .

إن نجاح الحكومة الانجليزية فى سياستها وفى اغتنام الفرص التى أظهرتها الحوادث يجب أن يقدر فيه الكاتب مهارة انجلترا فى الحكم والنجاح فى ادارة آلته ، وفى روح السيادة التى يشعر بها البريطانى ، وخاصة فى بلاد أجنبية ، ويجب أن يقدر فيه ضعف الوزراء والحكام الوطنيين واستخذائهم ، وأن قوماً فى مصر لم يحسنوا اغتنام الفرص ، ولا توجيه الحكم لزيادة نفوذ مصر فى السودان ، بدلا من الاستخذاء . وليس يطلب من انجلترا أو من أى بلد أن تكف عن الاستعمار والاحتلال وإنشاء الامبراطوريات : فهذا شىء لم يعرفه التاريخ والطبائع البشرية ولم يألفه الأنسان الطامح الطامع . فمن الطبيعى أن يكون للانجليز سياستهم واستعمارهم واغتنام الفرص ، وليس يطلب اليهم الكف عن ذلك ، فهو فى عرفهم خيانة وطنية . وانما اذا وجهنا اللوم فألى أنفسنا أو إلى المسئولين فينا عن تطور الحوادث بسرعة ضد مصلحة مصر ، حتى اذا استيقظت ، لقيت الأمة المصرية العقبات المتأصلة .

الفصل الأول

الانجليز فى افريقيا

اهتمت انجلترا منذ زمان بعيد باستعمار أفريقيا . وفى شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ كتب المستر غلادستون فى مجلة القرن التاسع عشر يقول : « إذا توطدت أقدامنا فى مصر تكون هذه المستعمرة الأولى بوجه التحقيق بمثابة ذريعة لتأسيس امبراطورية شاسعة فى أفريقيا الشمالية ، تأخذ فى النمو تدريجيا إلى أن تدخل فى تخومها منابع النيل الأبيض . بل تنتهى بدون شك بأن تجتاز خط الاستواء لتتصل بمستعمرتى الناتال ورأس العشم ، وذلك بغض النظر عن الترنسفال ونهر الأورنج وكذلك يكون الحال فى الحبشة وزنجبار »

وقد احتلت انكلترا مصر عام ١٨٨٣ واستولت على الأوغندا ونواحى خط الاستواء والأونيورو سنة ١٨٩٠ ووادلاى سنة ١٨٩٥ .

وقد عقدت الاتفاقيات الآتية : —

١ — الاتفاقية الانكليزية الألمانية فى أول نوفمبر سنة ١٨٨٦

٢ — « « الايطالية « يولية « ١٨٩٠

٣ — « « مع الكونغو ١٢ مايو « ١٨٩٤

والغرض من هذه الاتفاقيات الثلاث تحديد مناطق نفوذ انجلترا فى نواحى أعالى النيل والسودان الشرقى .

هذا إلى أن فرنسا كانت تزاحم انجلترا فى القارة الأفريقية .

الأوربيون وأفريقية قبل القرن التاسع عشر : لم يكن الأوربيون يعرفون من أفريقية فى قديم الزمان إلا سواحلها الشمالية ، ثم بدأوا فى القرن الخامس عشر يكشفون سواحلها الغربية ، ثم داروا حول الرأس وساروا وسواحلها الشرقية حتى وفق فاسكودى جاما البرتغالى إلى بلوغ الهند وقد ألهى الاروبيين كنوز الهند وبيرو والمكسيك عن ارتياد مجاهل أفريقية « أو القارة المظلمة كما كانوا يسمونها »

الأوربيون وأفريقية أول القرن التاسع عشر[1] : ولما وقفت رحى الحرب بين نابليون وأوربة عام ١٨١٥ كان شمالى أفريقية « مصر وطرابلس وتونس والجزائر » تابعا لتركيا تبعية فعلية أو إسمية ، وكان للبرتغاليين السيادة على إصقاع على الساحل الشرقى تجاه مدغشقر ، وكان للانجليز والفرنسيين وغيرهم على الساحل الغربى محاط أو مستعمرات ، وكان كل ما للانجليز فى أفريقية هو غمبيا وسيراليون وساحل الذهب على الشاطىء الشرقى ومستعمرة الرأس فى الجنوب وجزائر سنت هيلانه واسنشن وموريشس وسيشل

وقد نبه الدول الاوربية إلى استعمار داخل أفريقية طلاب كشف أبطال مغامرون رموا بأنفسهم فى مجاهل القارة ليميطوا اللثام عنها ، ومن أمثال هؤلاء سبيك وجرانت وبيكر ولفنجستون وستانلى ، فضلا عن مصريين أمثال الضابط المصرى البحرى الميرالاى سليم مطر بك قائد معسكر خط الاستواء الذى كشف النيل الأبيض

الانجليز وأفريقية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين : وقد أضاف الانجليز خلال القرن التاسع عشر إلى مستعمراتهم السابقة ناتال والأورنج والترنسفال « وتألف من المستعمرات الثلاث ومستعمرة الرأس اتحاد جنوبى أفريقية » وبتشوانالاند ونيسالاند وبسوتولاند وروديسيا وإفريقية الشرقية البريطانية وأوغندا ونيجيريا والسومال ، ولما هزمت ألمانيا فى الحرب العظمى « ١٩١٤ — ١٩١٨ » انتدبت انجلترا لادارة بلاد تنجانيقا « الالمانية » كما انتدبت حكومة اتحاد جنوبى أفريقية لادارة أفريقية الجنوبية الغربية « الألمانية » .

ولا يتمتع من كل هذه المستعمرات بالحكم الذاتى إلا اتحاد جنوبى إفريقية ، لهذا نتكلم عنه ببعض التفصيل :

كيف استولى الانجليز على مستعمرة الرأس : كان الهولنديون قد أنشأوا لهم مستعمرة عند رأس الرجاء الصالح لتكون محطا تتزود منه سفنهم التى تتجر مع الشرق ، ويعرف المستعمرون الهولنديون بالبوير ، وهى كلمة معناها الفلاحون ، ولعلها أطلقت عليهم لاشتغالهم بالزراعة وإيثارهم لها على أية مهنة أخرى ، ولما تدخلت فرنسا فى شئون هولندة فى عهدى الثورة الفرنسية ونابليون وأخضعتها لحكمها ، قامت انجلترا عدوة نابليون وانتزعت مستعمرة الرأس من

---

(١) تاريخ مصر الحديث — عباس الخرادلى

هولندة « ١٨٠٦ » لانها قدرت قيمة تلك المستعمرة فى حفظ مواصلاتها مع الهند وأقر مؤتمر فينا عام ١٨١٥ ضم الرأس إلى انجلترا كفاء تعويض يعطى لهولنده وقدره ستة ملايين من الجنيهات

النزاع بين الانجليز والبوير : غير الأنجليز النظم الحكومية التى اعتادها البوير كما جعلوا اللغة الانجليزية اللغة الرسمية ، فحنق البوير وأحسوا أنهم فقدوا حريتهم ، واشتد حنقهم لما ألغت انجلترا الرق « ١٨٣٤ » ، وكان البوير يستعينون بالأرقاء على فلح الأرض ، ولم تمنح الحكومة الانجليزية البوير إلا ثلاثة ملايين من الجنيهات تعويضاً ، وهذا المبلغ لا يكاد يساوى ثلث خسارتهم بهذا الالغاء ، لكل هذا فكر غالب البوير فى الارتحال عن مستعمرة الرأس إلى الشمال والشمال الشرقى ، حيث يستطيعون أن يعيشوا أحرارا لا يستلب حريتهم أحد ، فبدأوا « الانسحاب العظيم The Great Trek » عام ١٨٣٦ فخرجوا طوائف تهيم فى مجاهل البلاد ومعهم قطعانهم وثيرانهم وعجلاتهم الساذجة تجر الواحدة منها سبعة أو ثمانية أزواج من الثيران وتحمل أمتعتهم وأثقالهم ، وبلغ عدد المنسحبين نحو ١٠,٠٠٠ من بينهم غلام نجيب يسمى كروجر « كان له شأن فيما بعد » ونزل بعض المنسحبين فى ناتال والبعض الآخر استوطن مابين نهر الأورنج وفرعه المسمى الفال ، وقطن آخرون باقليم شمالى نهر الفال .

وأنشأ البوير لهم فى ناتال جمهورية « ١٨٣٨ » ولكن الانجليز تعقبوهم هناك أيضاً وضايقوهم وأعلنوا ضم جمهوريتهم عام ١٨٤٣ بدعوى أن البوير رعاياهم أنى رحلوا ، وبحجة أن مستعمرة الرأس يهددها نزاع متواصل بين البوير فى الناتال وجيرانهم المتوحشين المعروفين « بالكافير(١) » أو الكفرة

لم تر كثرة بوير الناتال بدآ من أن ينسحبوا مرة أخرى من الناتال وينضموا إلى اخوانهم النازلين بين الأورنج والفال ، فكان ذلك مبدأ تأسيس « ولاية الاورنج الحرة » فأعلنت انجلترا ضمها أيضا ١٨٤٨ ، فخرج كثير من البوير مرة ثالثة لينضموا إلى اخوانهم الذين عبروا الفال فى الهجرة الأولى وكونوا معهم جمهورية الترنسفال أو جمهورية جنوبى إفريقية « ١٨٤٩ » ، فاعترفت انجلترا باستقلالها « ١٨٥٢ » قانعة بضمان حرية التجارة فيها ، والذى حدا بالانجليز إلى

---

(١) كلمة الكافير كلمة مشتقة من كافر العربية

الاعتراف باستقلال الترنسفال أنهم بدأوا يحسون ثقل التبعة الملقاة على عواتقهم لكثرة مستعمراتهم ، وفى عام ١٨٥٤ نزلت انجلترا عن سيادتها على ولاية الاورنج لأنها رأت أنها تحمل عبء الدفاع ونفقاته عن هذه الولاية فى وجه قبائل البسوتو المتوحشة المجاورة ، وظلت ولاية الاورنج حتى سنة ١٨٩٦ صديقة لمستعمرة الرأس الانجليزية .

إذن : صارت للبوير جمهوريتان مستقلتان هما الاورنج والترنسفال ، وللانجليز مستعمرتان هما الرأس والناتال .

النزاع بين بوير الترنسفال والانجليز : فى عام ١٨٧٧ أعلن لورد بيكنز فيلد رئيس الوزارة الانجليزية وزعيم المحافظين ضم الترنسفال إلى الأملاك الانجليزية بحجة أن فتنا متواصلة تقوم بين البوير والوطنيين فى الترنسفال فتهدد أملاك انجلترا

ثم تولى غلادستون زعيم الأحرار الوزارة بعد بيكنز فيلد « ١٨٨٠ » ولم يكن غلادستون قد اعتنق الآراء الاستعمارية بعد ، فأراد أن يرضى البوير ، ولكن هؤلاء ثاروا بزعامة ثلاثة من رجالهم أظهرهم كروجر وهزموا الجيش الانجليزى فى موقعة « تل ماجوبا » فى فبراير سنة ١٨٨١ ، ولم تكن الواقعة من الوقائع الحربية المجيدة ، إلا أن البوير اعتزوا بها واغتروا بأنفسهم غروراً جنى عليهم فيما بعد ، واعترف غلادستون باستقلال الترنسفال « ١٨٨١ » تحت سيادة انجلترا

ولكن البوير أنفوا أن يكون لأحد سيادة عليهم ، فنازعوا الانجليز حتى عقد الانجليز معهم معاهدة لندن « ١٨٨٤ » ونزلوا فيها عن هذه السيادة فى مقابل ترخيص البوير للأوربيين جميعاً فى استيطان جمهوريتهم والاتجار فيها .

عودة النزاع بين الترنسفال والانجليز : فى عام ١٨٥٥ كشف الذهب فى الترنسفال ، فلم يقبل البوير إقبالا كبيراً على استخراجه لأنه لا يروقهم إلا الاشتغال بالزراعة ورعى الماشية ، واجتذب الذهب إلى بلادهم أفواجا عظيمة من الأوربيين لا سيما الانجليز ، حتى أربى عددهم على عدد البوير ، ونشأت مدينة جوها نسبرج فى بضع سنوات ومدت سكك الحديد

كذلك كشف الماس فى ولاية الأورنج فنزح إليها الأوربيون أيضا .

سسل رودس : كان من بين من نزح إلى جنوبى أفريقية سسل رودس

الانجليزى ، فانه بعد أن أتم دراسته فى اكسفورد ذهب يبحث عن الماس ، وكان مصدورا فشفى ، وأثرى إثراء عظيما ، وصار رئيس وزراء مستعمرة الرأس ، وأخذ ينشر فكرة الجامعة البريطانية التى تنطوى على انشاء امبراطورية إفريقية تمتد من الرأس إلى القاهرة والسعى فى « تلوين معظم إفريقية باللون الأحمر الانجليزى » ، وأنشأ عام ١٨٨٩ « شركة إفريقية الجنوبية » على مثال شركة الهند ، وتمكنت الشركة عام ١٨٩٠ بمعاضدة الحكومة الانجليزية من إنشاء مستعمرة فى حوض نهر الزمبيزى سميت روديسيا « نسبة إلى رودس منشئها » .

الانجليز يضايقون بوير الترنسفال : إن استقلال البوير فى جمهوريتهم ليتعارض ومشروع رودس ، لذلك اعتزم رودس أن يقضى على ذلك الاستقلال ، وشاركته الحكومة الانجليزية فى عزمه ، ولذا نرى الانجليز يستولون على الساحل الشرقى من الناتال الى إفريقية الشرقية البرتغالية فيقطعون على الترنسفال الطريق إلى البحر ، كذلك نرى « شركة إفريقية الجنوبية » تنشىء اقليم روديسيا فتقطع على الترنسفال طريق التوغل إلى الزمبيزى شمالا وتهددها كذلك

أحاطت هذه المستعمرات الانجليزية بالترنسفال والأورنج ، وأدرك البوير ما ينتويه الانجليز لهم ، فرأى كروجر رئيس جمهورية الترنسفال ضرورة اتباع سياسة حازمة فعارض فى الهجرة الى جمهوريته ، ولما طلب الأجانب « Outlanders » أن يسمح لهم بحق الانتخاب لينتخبوا من يرعى لهم مصالحهم أبى البوير عليهم ما أرادوا فاستنجد الأجانب بسسل رودس ، وصادف هذا الاستنجاد هوى فى نفسه ، فبعث اليهم بحملة يقودها الدكتور جيمسن ، فأسرها البوير فى يناير سنة ١٨٩٦ ، وسلموها لانجلترا تسامحا وكرماً كى تعاقبهم كما تشاء ، فلم تعاقبهم ، فاستيقن البوير ان انجلترا تشارك رودس آراءه ، ثم انتدبت انجلترا لورد الفرد ملنر حاكم الرأس ليفاوض البوير فى السماح للأجانب بحق الانتخاب ، فاجتمع ملنر بكروجر رئيس جمهورية الترنسفال وحضر الاجتماع رئيس جمهورية الأورنج بصفة غير رسمية ، وأبى كروجر إباء شديدا أن يسمح للأجانب بحق الانتخاب ، مستمسكا بأن « افريقية للأفريقيين » أى للبوير . فنصح ملنر لحكومته بالحرب .

حرب البوير ١٨٩٩ — ١٩٠٢ : نشبت الحرب بين الانجليز والترنسفال

وانضمت جمهورية الأورنج إلى شقيقتها ، وأظهر البوير وهم لا يزيدون على ٣٠٠ر٠٠٠ استبسالا عجيبا فى وجه أقوى دولة أوربية وأغاروا على الناتال والرأس وحاصروا أهم مدنهما . وكان أهم قوادهم بوثا Botha ، وكانت انجلترا تستخف بادىء الأمر بالبوير ، ولكنها لما رأت ظفرهم ، جمعت من بلادها ومستعمراتها جيشا هائلا وأمرت عليه لورد روبرتس أعظم قوادها ، ثم أمدته بلورد كتشنر ، وبدأ الجيش الانجليزى يكتسح بلاد البوير مخربا ، وقام كتشنر يحتجز النساء والأطفال كرهائن فى نقط عسكرية ، ولسوء وسائل الصحة والتغذية ، كان يهلك منهم الألوف ، فأكره البوير على الصلح اشفاقا على نسائهم وأطفالهم ، وقد كانوا يستطيعون أن يداوموا القتال مدة أخرى

وخسر الانجليز فى هذه الحرب نحو ٢٠٠ مليون من الجنيهات ونحو ربع جيشهم ، ومات سسل رودس « أو نابليون الرأس كما يسميه قومه » قبل أن يعقد الصلح بثلاثة أشهر ودفن فى رودسيا ، وتم الصلح بمعاهدة فرينيجنج Vereeniging فى مايو ١٩٠٢ على يد ملنر وزعماء البوير ، وأهم شروطها :

١ — ضم الترنسفال والاورنج الى المستعمرات الانجليزية

٢ — احترام لغة البوير كلما سمحت بذلك الأحوال

٣ — تكفل انجلترا بمنح المال اللازم لاصلاح ماخربته الحرب

وعهد الى ملنر بادارة ولايتى الترنسفال والأورنج ، وفى عام ١٩٠٧ منحت انجلترا كلا من الولايتين الحكم الذاتى ، وكانت الكاب والناتال قد منحتا من قبل هذا النوع من الحكم .

وفى ١٩٠٩ وافق البرلمان الانجليزى على إنشاء « اتحاد جنوبى أفريقية » المكون من الرأس وناتال والترنسفال والأورنج ، ويتولى أمر هذا الاتحاد حاكم عام تعينه انجلترا ، ووزارة مسئولة مقرها بريتوريا وبرلمان ذو مجلسين أحدهما للشيوخ (١) والآخر للنواب ، ومقر البرلمان مدينة الرأس ، وجعلت الهولندية والانجليزية لغتين ، وهذا النظام شبيه بنظام ولايات كندا المتحدة .

وبدىء ذلك النظام عام ١٩١٠ وكان بوثا قائد البوير أول رئيس وزارة للنظام الجديد (٢)

---

(١) مجلس الشيوخ مؤلف من ٤٠ عضوا ، ثمانية عن كل مستعمرة وثمانية يعينهم الحاكم

(٢) كثرة اعضاء السلطة التشريعية اليوم من البوير ، وهم سائدون فى مناصب الحكومة ويحاولون التخلص من كثير من الموظفين الانجليز

الفصل الثانى

الانجليز كحكام ومستعمرين

للانجليز امبراطورية واسعة منتشرة فى جميع القارات ويسكنها شعوب مختلفو الألوان والأديان والمذاهب والعادات . وهـذه الامبراطورية معبود الانجليز . والمحافظة عليها أهم ما يشغلهم وسياستهم فى مصر والسودان تتأثر بالسياسة الأمبراطورية قبل الاعتبارات الأخرى . ولو لم يكن للانجليز من أخلاقهم وطبيعة بلادهم مايدعوهم إلى الاستعمار وحكم بلاد نائية ، ما كان ممكنا أن تقوم هذه الامبراطورية وأن تعيش حتى الآن ، بالرغم من الحوادث الكثيرة .

والانجليز يحتلون مصر والسودان ولهم أمر ونهى فيهما ، وكلمتهم مسموعة أكثر من كلمة الوطنيين أنفسهم . ولذا أصبح لزاما على كل مصرى وسودانى أن يقرأ تاريخ الانجليزى وأن يعرف سر نجاحهم ، سواء بزيارته لانجلترا أم بملاحظته لاساليب الحكم الانجليزى وخلق الانجليز فى مجتمعاتهم ومع أصدقائهم أم بالاطلاع على المؤلفات التى كتبت عنهم وهى مؤلفات تعد بالمئات وبمختلف اللغات . وآخر ما ظهر من المؤلفات فى العربية كتاب « الانجليز فى بلادهم » لسعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا ، جمع فيه معلومات عن الحياة الداخلية الانجليزية ، من وجوهها الاجتماعية والتعليمية والرياضية والسياسية والاقتصادية ، ومن الخير أن تكثر الكتب التى تؤلف فى تعريف الانجليز وسياستهم وأحزابهم ، وأن يدون المصريون ما يعلمونه عنهم بالاستقراء والمشاهدة ، وأن يعنى الكاتبون بعلاقة ذلك كله بمصر والسودان والاستعمار .

أما نجاح الانجليز فى الاستعمار نجاحا لا مثيل له ، فيجب أن نرجعه بالضرورة إلى أسبابه ونأخذه من مظانه على النحو التالى :

١ — عزلة انجلترا عن القارة الأوروبية . قد مكنتها من أن تتخذ لنفسها سياسة خاصة ، بينما استهدفت الممالك الأوروبية إلى المنافسات والحروب ، التى اغتنمت انجلترا فرصتها لمصلحة نفسها

٢ — حاجتها إلى المواد الخام لصناعتها الناهضة ـ أدت بها إلى البحث عن هذه المواد فى البلاد الأخرى ، وحمل المشاق .

٣ — بعد الانجليز عن الفلسفة والنظريات - لا يتعب الانجليز أنفسهم فى المناقشات والنظريات . بل ينظرون إلى المصلحة ويتحرونها ويتخذون مختلف الوسائل المؤدية إلى ذلك . ولذلك لا تعيش انجلترا على الدستور المكتوب والقوانين المدونة . وينهج قضاتها فى أحكامهم منهج وزن الوقائع قبل وزن النظريات القانونية

٤ — ديموقراطية الانجليز فى بلادهم - هيأت لكل منهم أن يبرز كفايته

٥ — ولعهم الطبيعى بالألعاب الرياضية - جعلهم ينظرون إلى السياسة كلعبة من الألعاب

٦ — الاعتماد على الزمن وانتهاز الفرص - لا يحدد الانجليز أمانيهم بوقت بل يعملون لتحقيقها ويعتمدون على الزمن وعلى ظهور الفرص واهتبالها

٧ — روح السيادة التى يشعر الانجليزى بها وإحساسه بأنه متفوق على غيره ، فلكم خلق الشعور بالسيادة والذاتية والاعتزاز بالنفس الزعماء والأبطال

٨ — نظامهم التعليمى ومطابقته للأخلاق الانجليزية وطبيعة البلاد وحاجتها

٩ — جريهم فى حكم المستعمرات ونحوها على الاستتار خلف حكومات وطنية

هذا شىء من أسباب نجاحهم الاستعمارى :

ونورد فيما يلى آراء بعض الكتاب والمؤلفين فى الانجليز

كيف نفهم الرجل الانجليزى

ألقى مستر جيلان بالاسكندرية محاضرة فى هذا الموضوع قال فيها :

« الطريقة المثلى لنفهم مزاج الانكليزى وطبائعه انما هو درس حالته فى وطنه « انكلترا » . ذلك لان ما يبدو من التفاوت بين الانكليزى فى الخارج من صفات الكبرياء والصلف والغرور واحتقار كل ماليس انكليزيا وبين ما يظهر به فى بلاده من الصفات والاحوال ، انما يرجع الى أسباب يحسن الوقوف عليها ، اذ الواقع أنه ليس به كبرياء وإنما هو شعور بالذاتية يرجع إلى مايقدره فى نفسه من اتجاه الأنظار اليه وهذه حالة تبعثه على التحوط والحذر حتى لا يكون عرضة لقلة الترحيب به من الغير مما يؤدى الى الخطأ فى تقدير أن مظهره هذا ناشىء عن الصلف والغرور . يضاف إلى ذلك أن الانكليزى فى الخارج انما يتمثل فى غالب الاحوال فى طبقة السياح الذين هم من أهل الثراء والذين تعودوا فرض مشيئتهم على الغير فى بلادهم والسيادة فى المناطق الاجنبية »

وقد تكلم المحاضر بعد ذلك عن الحياة البيتية وحب الانكليزى للاجتماع العائلى

وضرب لذلك مثلا مما جاء فى كتاب المستر « رينر » فى وصف المنزل الانكليزى وقابل صفات الانكليز بغيرهم من أهل اوربا من حيث سهولة الاتصال الشخصى أو صعوبته ، فان الرجل الاوربى قد تتوثق الصداقة بينه وبين غيره من دون أن يترتب على ذلك تبادل الزيارة المنزلية على عكس الرجل الانكليزى فى بلاده فانه يدعوك الى الغداء فى بيته ولو لم تكن مستعدا لرد هذا الجميل اليه ـ ثم انتقل المحاضر إلى نظام الطعام فى انكلترا وبساطته وقال ان الانكليز يعنون بكيفية اكل الطعام اكثر من اهتمامهم بصنوفه ثم وصف بيان الوجبات التى يأكلها الانكليز فى الصباح والظهر والمساء والليل واستطرد الى أسلوب المحادثة ووصف الانكليز بأنهم قوم يميلون الى الصمت والاقلال من الكلام وإن الحديث يبدأ عادة بحالة الطقس وانهم يستنكرون الايماء بالايدى فى أثناء المحادثة ولا يحبون الوقوف للكلام فى أثناء السير فى الطريق للاشارة بعلامات الى موضوع الحديث أو مس أحد جوانب صديقه بيده فان هذه الافعال جميعها غير لائقة فى انكلترا والتعبير بعبارة غير لائقة هو القاعدة أو المبدأ الذى يراعى عند الانكليز فى كل ماله علاقة بآداب السلوك واستشهد المحاضر بقول رئيس شرطة انكلترا من أن قول الرجل للمرأة بلا موجب فى الطريق العام « مساء الخير » قد يكون سبباً كافيا للقبض عليه . ويقول المحاضر أن الانكليز يستنكرون مخاطبة الرجل للرجل من دون سبق تعارف وانه اذا قدم أحدهم للاخر كان على الأخير أن يبدى ابتسامة قائلا « كيف حالك » وأن يكون الرد على ذلك هو أيضاً « كيف حالك » وعندئذ تنتهى اجراءات التعارف ويسوغ الشروع فى المحادثة .

وانتقل المحاضر بعد ذلك إلى التعليم فى المدارس العامة الانكليزية وانها تعد متخرجيها لوظائف الحكومة لما هو مفروض فيهم من الاستعداد الخلقى والمقدرة على السير فى معترك الحياة بأمانة واعتدال . وانتقل من ذلك إلى طبقة الارستقراطية التى كانت مقصورة على الأسر العريقة فى الحسب والنسب ثم اندمج فيها رجال المال من أصحاب الصحف والشركات والأعمال وذكر المحاضر أن ممثلى انكلترا فى الخارج وكبار رجال موظفى الخارجية والسفارات وحكام المستعمرات يختارون من أفراد الطبقة العليا الحائزين للدرجات العلمية والكفايات الممتازة ويختار من هؤلاء أيضاً رجال القضاء والكنيسة وعظماء الضباط فى الجيش والبحرية وهذه الطبقة هى التى يبنى عليها الأجانب حكمهم عن أخلاق الانكليز وعاداتهم

وقد كان المحاضر يقتبس نبذاً من أقوال الأجانب عن الانجليز قائلا ان كلامهم

أوقع فى إيضاح ما ينبغى فى الموضوع واستشهد بما ينسب الى الانجليز من أنهم قد يضحكون فى الأحوال التى لاتثير الضحك عند غيرهم وأشار المحاضر الى عدم وجود المقاهى فى انجلترا وان أمكنة الشراب ضيقة النطاق

وأما الألعاب التى يعد الانكليز أصحاب القدح المعلى فيها فقد قال المحاضر ان نسبة المشتغلين بها من الانجليز قليلة فان كرة القدم التى يلعبها اثنان وعشرون رجلا فى الحلبة يكون المتفرجون فيها عشرين الفا وان حب الانكليز للألعاب ينحصر فى دور الدراسة حيث يخصص لها جزء من برنامج التعليم فانها تروض الأولاد على النظر الى الحياة نظرة صالحة وأن يتلقوا الصدمات من دون تذمر

والانكليز يتمسكون بمظهر الانسجام : هم ، على حريتهم ، يحافظون على التقاليد ومصطلحات الحياة وهم فى مدارسهم العامة لايتخذون رداء معينا ويعتبرون التقيد بذلك ماسا بحريتهم ويتركون التلاميذ يرتدون ما يشاؤون وهذا يؤدى الى ظهور التلاميذ بشكل واحد وليس عليهم مسيطر الا الرأى العام ولا شك فى أن الاخلال والخروج عن المألوف يعد جريمة ، واللياقة عندهم هى ما يكون خاضعا لما يتطلبه الرأى العام وكل من يخرج على هذا المبدأ يعد خارجا

وانتقل المحاضر بعد ذلك الى المرأة الانكليزية قائلا ان مكانتها عالية فى الهيئة الاجتماعية الانكليزية فانها ذات نصيب وافر من الثقافة وهى تعامل بكل احترام وتنتظر كل تقدير وتبجيل من ناحية الرجل . وان النساء اصبح لهن حق الاشتراك فى الانتخابات وعضوية البرلمان ومزاولة صناعتى المحاماة والطب . وكن السابقات الى الاصلاحات الاجتماعية وهن صاحبات الفضل فى رفع الشكوى لاصلاح مساكن الطبقات الفقيرة والمحال العمومية وان الام الانكليزية تحب أطفالها ولكنها لاتفسد طباعهم ولا تحجم عن ارسالهم الى المدارس الداخلية وتخفى دوما شعورها اذا فارقتهم كما ان الولد من جانبه يرى من اللائق عدم اظهار التألم عند الفراق وان أبناء الانكليز يتاح لهم نصيب وافر من الحرية لتكوين جماعات من الأصدقاء والعناية بما يهوون من الرغبات البريئة

وقد استطرد المحاضر إلى نظام فرق الكشافة قائلا إنها ترجع إلى فكرة انكليزية ثم انتشرت إلى البلدان الأخرى ولكنها تحولت إلى غير معناها ومقصدها الأصلى فانه فى البلدان الأوربية انقلبت نظاما عسكريا وهو ما ينبغى أن يتجنبه منظمو هذه الهيئات إذ أن المقصود من هذا النظام هو تكوين خلق النشء وتشجيع

حب الطبيعة والهوايات وحب المطالعة وطرق الانتفاع بالأشياء وقد وصف المحاضر حى الستى فى مدينة لندن التى يرحل اليها كل مسافر إلى انجلترا بأن منطقة هذا الحى مجمع لكل مظاهر النشاط والحياة والعمران فهو مركز حركة الأعمال العالمية وفيها البورصة الملكية وبنك انجلترا .

وان خصائص الستى أن كل شىء فيها يدل على السرعة فليس فيها مقاهى للجلوس والتدخين ولعب الورق وهناك ترى قاعدة « الوقت من ذهب » ظاهرة أينما سرت فلا يقف الناس فى الطريق لتبادل الحديث ولا يسيرون لمجرد الرياضة فان هذا النوع إنما يقضى فى البساتين وليس الطريق إلا وسيلة للانتقال من مكان لآخر اذ التسكع فى الطريق جريمة ورجال الشرطة لا يسمحون لرجل بالوقوف طويلا إذا لحظوا ذلك .

ورجال البوليس مشهود لهم بحسن المعاملة وإرشاد الجمهور إلى ما يرغبون وهم حجة فى تقدير الوقت ويراقبون مرور الأشخاص والمركبات بحذق ومهارة . والانكليز مشهورون بحبهم للحيوانات ويرجع ذلك إلى تربيتهم وعلمهم بأن للحيوانات احساسا كما للانسان . وليس من عادة الانجليزى اذا التقى بآخر أن يرفع قبعته للتسليم وانما يكتفى بايماءة برأسه واذا وقفا فلا يسلمان باليد ويلاحظ ان الانكليز اذا وجد اثنان أو ثلاثة منهم أمام باب ، فلا يحاول أحدهم دعوة الآخرين للدخول بل المتبع فى ذلك لديهم أن « الوقت من ذهب » وان أقربهم من الباب يدخل الباب أولا ـ وأما المتنزهات فانها مفتوحة لجميع الناس وليس بها إعلانات بمنع السير على العشب .

ويزدحم الناس صباحا أيام الآحاد فى هذه المتنزهات فيجلسون على كراسى موزعة فى أنحاء كل متنزه ويدفع الزائر بنسين عن تذكرة لاستعمال كرسى وهذه التذكرة تخول استعمال كراسى جميع المتنزهات طيلة اليوم وتمتاز هذه المتنزهات بمن يجتمع فيها من خطباء الجمهور فى أماكن مختلفة من دون أن يعترض للخطيب أو السامعين أحد ما داموا محافظين على النظام أما مواعيد المحال العامة فهى محددة حسب الأصناف التى تباع فيها وقد قال المحاضر فى نهاية شرحه بأن الديموقراطية تتمثل فى بلاد الانجليز وان الخدمة العسكرية ليست الزامية .

وقد طلب إلى السامعين أن يحاولوا الوقوف على مزاج وطبيعة الانكليزى بأن يتصلوا به وأن يعلموا أنه شخص يحب الصراحة فى كلامه ويكره المراوغة والدوران

فى المعاملة وأشار إلى وجوب ازالة أسباب سوء التفاهم كلها والعمل على إزالة التنافر ، إذ المعلوم أنه ليس من امة إلا وفيها أخطاء ، وأن أخطاء الانكليز تعود الى انهم أمة تعيش فى جزائر بعيدة عن المؤثرات التى تقع على سكان القارات الاخرى وهم لذلك ليسوا مستعدين لسرعة الارتباط بأسباب الصداقة بالغير .

وقال المحاضر - وهو أستاذ انجليزى - أننا نخلص لمن تتوثق الصداقة بيننا وبينه واستشهد بأبيات لشاعر الانكليز شاكسبير تحض على التعارف واجتناب الغلظة بالأصدقاء والحذر من كل قادم واجتناب المشاكل والاصغاء إلى كل مايقال والاقلال من الكلام والتحفظ فى الحكم على الأشياء . وقال المحاضر ان هذه الأبيات تدل على كثير من نواحى الخلق الانكليزى وقد شكر الحاضرين لحسن اصغائهم لكلامه وطلب منهم اعتبار صراحته فى الكلام دليلا على حسن قدره لهم واعرب عن أمله فى أن يكون اطراد حسن التفاهم مؤديا إلى تقوية عناصر المودة والصداقة .

وطلب منهم ألا يحكموا على الانكليز بما قد يجدونه من كل أنكليزى يصادفونه بل الواجب أن ينتقلوا الى الديار الانكليزية لدرس أحوال الانكليز لأنهم يجدون كل ترحيب ويكتسبون مودة وأخاء . فان الانكليزى فى بيته يخاطب صديقه كما يخاطب الرجل الرجل من دون أن يكون للجنسية أى تأثير كان .

رأى أديب فى أخلاق الانجليز

عقد واشنجتون إرفنج Washington Irving (١) القصصى الشهير وصاحب كتاب حياة محمد مقارنة بين أخلاق الانجليز والفرنسيين فقال :

مثل الامتين الانجليزية والفرنسية كمثل خيطين مختلفين فى اللون قد تداخل كل منهما فى الآخر دون أن يمتزج اللونان . وفى الحقيقة نجد أن كلتا الامتين تعتز بتباينها واختلافها عن الاخرى ، وذلك الاختلاف الذى لا يمنع قدر كل منهما لمحاسن الاخرى .

فالعقل الفرنسى سريع ونشيط وهو قادر على حل المشكلات بسرعة البرق . وبقفزة واحدة يصل إلى النتائج البعيدة التى غالبا ما تصدق بدون أن يجهد نفسه فى التحليل والتفكير المنتظمين . أما العقل الانجليزى فهو سريع ولكنه أكثر ثباتا

---

(١) واشنجتون إرفنج (١٧٨٣ — ١٨٥٩) كاتب قصصى عظيم ملأت شهرته الدنيا القديمة والجديدة ومن بين مؤلفاته العديدة كتابه عن حياة العظماء و « حياة محمد »

ومثابرة وهو أقل فجأة ولكنه آكد وأضمن فى استنباطه . وعلى ذلك فالسرعة والحركة فى الفرنسيين تساعدهم على أن يجدوا السرور فى ضروب إحساساتهم المتنوعة . حتى لتجد أن قولهم وفعلهم يتبعان المؤثرات المباشرة والدوافع المتنوعة أكثر مما يتبعان التعقل والتفكير . فهم لذلك أكثر حبا للاجتماع والمجتمع والأمكنة العامة ومواطن اللهو والسرور . أما الانجليزى فهو أكثر تفكيراً فى طباعه فهو يعيش فى دنيا قد حددها ورسمها لنفسه . معتمدا أكثر ما يكون على نفسه وهو يحب الهدوء فى منزله وعند ما يتركه نجد أنه حريص أيضا على أن يخلق حول شخصه جوا من العزلة والتحفظ ، فنجده يسير خجولا وحيدا محتفظا بسره لنفسه .

أيضا بينما نجد الفرنسيين كثيرا ما يميلون الى التفاؤل منتهزين الفرص الحسنة وقت سنوحها والمسرات وقت مرورها ، نجد الانجليز يتغاضون عن خير عاجل فى سبيل الاستعداد لشر محتمل .

هب أن الشمس قد أشرقت لحظة من الزمن فى يوم غائم قاتم فان الفرنسى ذا الطبع الزئبقى الذى لا يستقر على حال تراه يلبس أحسن ثيابه ليمرح كالفراشة الجميلة كى يمتع نفسه بتلك اللحظة القصيرة من ضوء الشمس غير حاسب أى حساب لما سيعقبها . كذلك هب أن أشعتها قد ظهرت على أبهى ما يكون من الوضوح والجمال ، فان الانكليزى وهو الحذر الفطن يحمل مظلته فى يده غير واثق بتلك الأشعة المغرية لو وجد سحابة صغيرة عند الافق .

وللفرنسى قدرة عجيبة على الاستفادة من الأشياء مهما صغرت فيمكنه أن يعيش سعيدا ولو نقص دخله كثيرا عن نظيره الانجليزى . فالفرنسى مقتصد مدبر يخلق من التراب تبرا . أما الانجليزى فمن طبعه الاسراف والتبذير . وتقدير كل شىء ضروريا كان أو كماليا تبعا لقيمته . . . كذلك ليس له غرام بحب الظهور فمهما حاول أن يتظاهر فمن المؤكد أن غور ظاهره كغور باطنه .

نلحظ كذلك أن الفرنسى يتفوق فى الفهم . أما الانجليزى ففى المزاج والطبع . والفرنسى ذو تصور مرح . أما الانجليزى فخياله أخصب وأثمر . والفرنسى احساسه رقيق دقيق ليس أسهل من اثارته وهو عرضة للتأثر والهياج الشديدين وان كانا غير ثابتين . أما الانجليزى فهو أكثر هدوءا وبرودة ، ليس من اليسير أن تستثيره وإن كان قادرا على أن يصل إلى درجة عظيمة من الحماسة . وعلى هذا فالخطأ فى الطبعين

هو أن خفة الفرنسى عرضة لأن تكون زبدا وبذلك تذهب جفاء. ورزانة الانجليزى عرضة لأن تسكن وتهدأ وبذلك تصبح تبلدا. ولو أمكننا، إذاً، أن نرقى بالطبعين وننهض بهما إلى حد الاعتدال فاننا نحفظ الفرنسى من أن ينتفخ وينفجر كالفقاعة ونحفظ الانجليزى من أن يركض وينتن كماء المستنقع

كذلك مما لاشك فيه أن التباين فى الأخلاق يمتد إلى كل مايستهوى كلا الشعبين ويجذب انتباهه. فالفرنسى الحقيق لايمتزج بدمه أكثر من حبه للشهرة الحربية فهو يقاتل ويعمل على الانتصار حبا فى المجد والعظمة غير مبال بما يدفعه ثمنا لهذا المجد وإنك لتعجب إذ تجد الفقير المعدم قد تهلل وجهه بالبشر وخفق قلبه بالفرح إذا ما قرأ نبأ رسميا حوى نصرا حربيا. وما اللحم والكأس أحب إلى نفسه وأسد إلى رمقه من انتصار عظيم يحرزه جيش وطنه وانخذال كبير يصيب جيش عدوه. وأن رؤيته مليكه الباسل وهويعود إلى أرض الوطن حاملا غنائم الحرب وأسلابها ليهز نفسه هزا حتى ليرمى بقبعته القديمة الرثة فى الهواء ويقفز فوق حذائه الخشبى

أما «جون بول» فهو على العكس شخص يميل إلى التعقل والتفكير فاذا ما أخطأ كان خطؤه معقولا وإذا أقدم على حرب فللمصلحة العامة. وهو لا يتأخر عن قتال جاره فى سبيل المحافظة على السلم والنظام كما أنه، لحبه كسب المال، يدافع عن تجارته وصناعته ويحميها بقوته

لهذا كله نجد أن الامتين شغلتهما الحروب من أزمان طويلة وبينما كان غرض إحداهما المجد كان غرض الأخرى الخير. وفى سبيل المجد نجد أن فرنسا تفقد عاصمتها مرتين (١) وفى سبيل الخير نجد أن انجلترا تغرق فى بحر من الدين

أخلاق الانجليز

ويقول «الأستاذ محمد عطية الابراشى فى كتابه «نظام التعليم فى انجلترا»:

يجب أن يعنى نظام التربية بالنظر فى أخلاق الشعب وتقاليده وفى الصفات السائدة بين الأمة وألا يكون ضد العادات القومية. كل هذه الأمور قد لوحظت فى التعليم بانكلترا فان الصفات والأخلاق التى تعرف بها بين الأجناس البشرية معروفة منذ أجيال متأصلة فيها كل التأصيل. يقول «بيترساند يفرد»: «الرجل

(١) يشير الكاتب إلى دخول الحلفاء باريس يوم ٣١ مارس سنة ١٨١٤ أيام نابليون الأول. كذلك دخول الألمان باريس يوم ٢٨ يناير سنة ١٨٧١ أيام نابليون الثالث.

الانكليزى مولع بالمنافسة يحب من صميم فؤاده الرحلات والسياحات . ولا يستطيع أحد الاستقرار فى انكلترا إلا من كان يميل إلى المنافسة . وإن هذا الميل إلى حب التنافس لا يظهر للناظر العادى لأنه مغطى بطبقة كثيفة من الهدوء العقلى ، والرجل الانكليزى يمقت النظريات والتفكير فى النظريات ويحب أن يقبض على الأمور العملية فى الحياة ويحلها وهو سائر فى عمله » . ويقول « بيترساند يفرد » أيضا « إن الرجل الانكليزى يرى هادئا وهو فى حاجة إلى قوة الخيال ومن صعب أن تؤثر فيه فهو كالفحم الحجرى الصلب يتقد ببطء ولكن حينما يتقد يحترق إلى النهاية »

ولدى الرجل الانكليزى قوة كبيرة على كتمان شعوره ويمكنه أن يمتلك نفسه وهو شديد المحافظة على القديم يحب الحرية الشخصية فوق كل شىء ولقد قاتل فى سبيل تلك الحرية أكثر من ألف سنة . ويقول « ساندیفرد » فى موضع آخر :

« الرجل الانكليزى هادىء من الجهة العقلية ولديه حب عميق للحرية . ولقد كانت هاتان الصفتان سببا فى اتخاذه سياسة البطء لا فى السياسة فحسب بل فى التعليم كذلك » . وهو منعزل بطبيعته يحب الغزلة والوحدة لايحادثك إلا إذا تعارف بك . وقد يكون هذا الانعزال ناشئاً عن الحياء والخجل . وإن حادثك فلا تخرج محادثته فى الغالب عن الجو ، والجو لحسن الحظ كثير التغير والتقلب بانكلترا فمن اعتدال فى الطقس إلى ضباب أو مطر أو برودة . أو عاصفة أو رعد وبرق . وإذا زالت الكلفة وذهب الخجل تحادث معك فى أى موضوع كالخيالة والتمثيل والألعاب الرياضية والموضوعات الأدبية والاجتماعية . يتجنب الأمور الشخصية فلا يسألك عن مقدار ما يمنحك أبوك فى الشهر ولا عن مقدار ما تنفقه أو تدفعه للسكنى أسبوعيا — كما يسأل الفضوليون حيثما يرونك أو يعرفونك أول مرة . ويميل الانكليزى دائما إلى التحفظ فى الجواب فلا يجيب إجابة الجازم المتحقق ، ولكنه يجعل للشك دخلا فى كل ما يقوله ويجيب دائما بكلمة « أظن ، أو ربما » بعكس الرجل الفرنسوى فانه يميل كثيرا إلى الجزم والتخمين .

والانكليز معروفون بحبهم للمحافظة على القديم . وفى انكلترا تندر العجلة فى تنفيذ نظرية من النظريات أو مشروع من المشروعات فى التربية والتعليم فبينما تحاول الولايات المتحدة بأمريكا تجربة طائفة كبيرة من طرق التعليم والنظريات الحديثة - وقد لا توافق على شىء منها بعد التجربة وعدم الاستحسان - تجد انكلترا فى هذه الحال مثلا فى دور المناقشة والمناظرة فى طريقة واحدة من هذه الطرق لأن انكلترا

تخاف الخسارة وضياع الوقت . أما الولايات المتحدة فلا تبالى بما تفقده فى سبيل البحث والتجربة ، ولذا تجدها اليوم تقود العالم فى العلم والاختراع والصناعة وقد ساعدها غناها على هذا التقدم والاقدام . فالمحافظة على القديم فى انكلترا لها فوائد ولكن يجب ألا ننسى أن لها أيضا كثيراً من المضار فانكلترا تميل إلى الوقوف عند حد ما وهى بطيئة فى الاصلاح لأنها لاتستفيد فى الحال بما يقدمه لها المفكرون وما يظهره المصلحون من أبنائها ، ولا تشجع البحاثين والمخترعين تشجيع الولايات المتحدة لهم ، وإن ولع انكلترا بالمحافظة على ما لديها يظهر جليا فى القوانين المختلفة للتربية التى وافق عليها مجلس النواب الانكليزى فلا تجد مطلقا حذف قانون من القوانين برمته واستبداله بقانون آخر بل تجد أن كل قانون هو تعديل للقانون السابق للتوفيق بينه وبين الرأى الجديد الذى يراد إدخاله . ولا يشك أحد فى أن قوانينها فى التربية ثابتة .

ومع ذلك حدث تغيير فى التعليم بانكلترا فمنذ سنة ١٩٠٠ ترى المحافظة على القديم أقل منها فى الزمن السابق وفى الحق أن التغيرات الحديثة بانكلترا كثيرة وظاهرة لمن عرفها من قبل ورآها اليوم . ولا يشعر من الانكليز بالفائدة الكبيرة من هذا التغيير إلا قليل منهم وكل ما تعرفه الأكثرية هو أن هناك شيئا يجرى فى عالم التربية وأن الأمور تتغير بسرعة وهم يشعرون بالحيرة فى الابتداء وهم سكوت لا يتكلمون . ولا ننكر أن النزاع بين المحافظين والمجددين دائم لا ينقطع ولو أنه نزاع صامت .

ويظهر الميل الفطرى لحرية الفكر واستقلال الرأى فى أحوال كثيرة فى التعليم بانكلترا وإن قوانين التربية مفتوحة للتغيير البطىء فحينما تظهر التجارب صواب الفكرة الجديدة ويرى معظم الناس فائدتها يتغلب الانكليز على كراهتهم لها . فالحرية الشخصية تخضع دائما للمجتمع حبا فى المصلحة العامة فمثلا كان الذهاب إلى المدرسة اختياريا يذهب إليها من يشاء من التلاميذ . لكن لما تبين أن من المحال تعميم التعليم إذا ظل اختياريا غير هذا النظام وجعل اجباريا وكان التفتيش الطبى على المدارس والتلاميذ اختياريا ثم غير وجعل الزاميا . وكان اعداد المدرسين اختياريا أيضا ثم ظهر أن المدرس لا يستطيع أن يقوم بمهنته كما ينبغى إلا إذا نال قسطا من التربية وعرف طرق تدريس المواد فجعل إعداد المدرسين إجباريا وعده من الواجبات لرقى

التعليم . وهناك عشرات الأمثلة لأمور كانت اختيارية بانكلترا وأصبحت اجبارية يطالب بها القانون .

وأن انكلترا وإن كانت أمة عملية لا تدين بالنظريات ـ لا تمتنع من أن تعمل بما يمكن تنفيذه منها . ولا ينكر أحد أن النظرية التى لا يمكن تنفيذها لا فائدة منها ولا خير فى العلم إذا لم يصحبه العمل . لذا كانت طريقة التعليم فى انكلترا طريقة عملية تتفق هى والأمور العملية التى تحتاج إليها وتتفق مع حاجات الشعب وحياته . ولا يمكن أن نفهم هذه الطريقة منفردة عن التاريخ القومى والحالة الشعبية . والمهم لدى الانكليز الوصول إلى العمل بأى طريقة كانت من غير عناء كبير وبحث طويل فى النظريات . وتاريخ التعليم الانكليزى مملوء بالأمثلة الدالة على حب العمل وعدم الاكتراث للنظريات . فمدارس انكلترا إذن مدارس عملية ذات قوة كبيرة وتأثير عظيم فى تهذيب الأخلاق وتقويمها وإعداد رجال مخلصين عمليين يثقون بأنفسهم ويشعرون بما وجب عليهم لغيرهم ولا يفرون من تحمل مسؤولية أى عمل يقومون به وهى مدارس تربى فى كل طفل الثقة بالنفس فيقول لك دائما « سأحاول » إذا سألته هل يستطيع أن يقوم بعمل من الأعمال .

زيادة أعمار المعلمين الانجليز بسبب سلوك الطلبة

قالت جريدة انكليزية تحت هذا العنوان « تقول لك كل أم « فى انجلترا » ان الاولاد فى هذا الزمان يفوقون الأولاد فى كل جيل سابق فى أربعة أشياء :

١ ــ أنهم أصح أجساما

٢ ــ أنهم أعظم سرورا بالحياة

٣ ــ أنهم أجمل طلعة

٤ ــ أنهم أشد ذكاء بكثير وأحسن سلوكا

وكانت نتيجة حسن سلوكهم أن متوسط أعمار المعلمين الآن زاد خمس سنوات على ما كان منذ ٢٠ سنة

فقد ظهر من آخر إحصاء أن ٣٠٠ مدرس يبلغون الآن كل سنة سن ٧٥ و ٥٠٠ مدرس سن ٧٠ والف مدرس يبلغون سن ٦٠ وهى السن التى يعين فيها معاش لهم

وقال رجل من وزارة المعارف « الانجليزية » أن الجهد العصبى الذى يستهدف له المعلمون الآن أقل مما كان قبل الحرب

« وأن طرق التعليم أصلح مما كانت والطلبة أكثر قبولا للتعليم مما كانوا
« وقد تحسنت المعرفة العمومية كثيرا على يد الصحف والراديو والسينما وهذه المعرفة العمومية هى من العوامل المهمة فى التربية

وأهم من هذا كله أن المعلمين لا يرهقون الآن بما كان المعلمون يرهقون به منذ ٣٠ سنة باكراههم على حفظ النظام لأن المدارس تعلم الطلبة الآن تنظيم أنفسهم وتشجعهم عليه مع زيادة إطلاق الحرية لهم وهذا ينقذ المعلمين من ضرورة ابقاء أنفسهم على مقياس عال من الاشراف والجهد العصبى للمحافظة على النظام فى المدارس »

الامبراطورية الانجليزية ومميزاتها

ويقول الدكتور محمد عوض فى بحث له عن « الأمبراطورية البريطانية »

إن الأمبراطورية البريطانية تشتمل على نحو ١٢ مليونا من الأميال المربعة حسب تقدير المراجع البريطانية ، التى تدخل فى هذه المساحة السودان . وسكان هذه الأمبراطورية يبلغون اليوم زهاء ٤٥٠ مليونا « أى نحو خمس سكان الأرض فى نحو خمس مساحة اليابس من سطحها »

وهذه الامبراطورية مترامية الأطراف ، ومنها أراض فى جميع القارات والبحار . وعلى كثير من خطوط العرض . فمتى دارت الكرة الأرضية دورتها فلا بد أن يكون جزء من تلك الكرة مغمورا بأشعة الشمس كما أن جزءا منها دائما فى ظلام الليل البهيم . ولهذا قيل عنها أنها لا تغرب عنها الشمس . ويمكن أن يقال هذا أيضا فى ممتلكات روسيا وفرنسا وهولنده والولايات المتحدة . ولكن بدرجة أقل

ويقع أكثر من نصف الأمبراطورية فى نصف الكرة الشمالى ، وأقل من النصف قليلا فى نصفها الجنوبى . والمعنى الجغرافى لهذا أن أحد شقى الأمبراطورية صيف دائما أو شتاء . بحيث تتمثل فيها جميع الفصول فى آن واحد تقريبا .

بقى أن يدرك القارىء حقيقة هامة وهى أن سكان الامبراطورية موزعون على الصورة الآتية :

الهند : ٣٢٠ مليون نسمة
الجزائر البريطانية ٤٥ مليون نسمة
الدمنيون « الأراضى المستقلة » ٢٥ مليون نسمة
باقى الامبراطورية - من ٥٠ الى ٦٠ مليون نسمة

وهكذا يرى القارىء المركز الهائل الذى تحتله الهند فى هذه المجموعة الفريدة فانه ليس بعد الهند والجزر البريطانية نفسها والأراضى المستقلة التى ليس لانكلترة سلطان عليها ، ليس لها بعد ذلك سوى أراض يسكنها خمسون أو ستون مليونا من الأنفس ، أى ما لا يزيد عما تملكه دولة صغيرة مثل هولندة ، التى تحكم شعوبا فى جزر الهند الشرقية وحدها يزيد عددها على الخمسين مليونا . فالهند إذن هى ما تمتاز به بريطانيا . والهند هى الامبراطورية الحقيقية

والباقى إلى جانبها لا يكاد يذكر . وهذه الحقيقة الهامة — أى المركز الفائق الذى للهند فى الامبراطورية البريطانية — من الحقائق التى لم نستطع أن نعثر عليها فى كتاب « الانكليز فى بلادهم » حيث أجمل الكلام عن الهند إجمالا ، وأفاض المؤلف فى حديثه عن الأراضى المستقلة . ولا ندرى لماذا اختصر الحديث عن الهند ، وعلى كل حال ليس حديث الهند بالحديث الذى ترتاح له الآذان .

* * *

وبعد - فحرصا على الوضوح - يجب أن نذكر هنا أن الامبراطورية البريطانية تتألف من أراض مستقلة استقلالا أصبح اليوم تاما ، وهى التى يطلق عليها اسم دومنيون ، وأهمها كندا واستراليا وزيلندة الجديدة وأفريقية الجنوبية ودولة ايرلندة الحرة وهذه قد فصل الحديث عنها صاحب كتاب « الانكليز فى بلادهم » بأسلوب سهل واضح ، وأرانا كيف حصلت هذه الأراضى على استقلالها بالتدريج حتى أصبحت فى يومنا هذا ومركزها فى الامبراطورية معادل تماما لمركز انكلترة نفسها واذا كان هذا الاستقلال مصدر قوة للامبراطورية فى نظر المؤلف فمن الجائز على كل حال أن يرى القارىء فى هذا رأيا آخر . والمؤلف يضرب لنا مثلا بما حدث عام ١٩٢٢ يوم كان هنالك احتمال قيام انكلترة بحرب ضد تركيا فاستغاث لويد جورج بالدومنيون فلبت نداءه استراليا وزيلندة الجديدة ، ولم تلب نداءه كندا أو جنوب أفريقية .

* * *

والجزء الثانى الذى تتألف منه الامبراطورية هى مستعمرات التاج وأراض تحت الحماية كما هى الحال فى أوغندة وفى المستعمرات الافريقية المختلفة . وهى كلها تحت حكم وزارة المستعمرات .

والجزء الثالث هو الهند أهم أجزاء الامبراطورية جميعا . ويحكمه نائب عن

الملك فى الهند نفسها ، تحت إشراف وزارة الهند الموجودة فى لندن . ووزيرها من أهم وزراء الدولة

والجزء الرابع من الامبراطورية هو بالطبع الجزر البريطانية نفسها .

* * *

وأكبر ما تمتاز به الامبراطورية البريطانية هو أنها مترامية الأطراف متباعدة الأجزاء . ولهذا كان لابد من خلق رابطة تربطها ، وتصل بين أجزائها . وهذه الرابطة التى بقوتها تقوى الامبراطورية وبضعفها تضعف ، هى قوة الاسطول ، لأنه اذا استحال الاتصال البرى - كما هو الحال فى امبراطورية الروسيا - فمن الواجب الحرص على الاتصال البحرى ، والتفوق فيه أمر حيوى جداً للامبراطورية البريطانية - وهذا التفوق أمر حساس جدا فى الدفاع البريطانى ، وكانت الدولة البريطانية تحرص أشد الحرص قبل الحرب على أن يكون الاسطول الانجليزى متفوقا فى القوة على أى اسطولين لأية دولتين . وهذه هى السنة التى استنتها انكلترة قبل الحرب وحرصت جهدها على أن تحافظ عليها ، وسلمت لها الدول بها . ولم تحاول أن تجابهها فى ذلك سوى المانيا ، ومن أجل هذا لم يكن مفر لانكلترة من دخول الحرب ضدها لهذا السبب ، لا لأى سبب آخر .

وهذا المبدأ الذى أستنته انكلترة مبدأ تفوق الاسطول الانكليزى سنة معقولة بل هو مبدأ لابد منه لسلامة تلك الدولة المترامية الأطراف . خصوصا اذا ذكرنا أنه ليس للهند ولا لكندا أو أستراليا أو أفريقية الجنوبية أسطول يستحق الذكر . فالمعقول أن يكون لدى انكلترا أسطول فائق لجميع الاساطيل ، خشية أن تتألب عليها أساطيل دولتين أو أكثر فتمزق الامبراطورية شر ممزق .

ولقد كان من أهم حوادث التاريخ الحديث ان تخلت إنكلترة ، أو أكرهت على التخلى عن مبدأ التفوق ، وقبلت - أو أرغمت على قبول - المساواة بالولايات المتحدة . حيث تكون نسبة السفن القوية بين بريطانيا وأمريكا واليابان وايطاليا وفرنسا هى على التوالى بنسبة ٥ - ٥ - ٣ - ٢٫٥ - ٢٫٥ .

سياسة الانجليز فى البلاد الخاضعة لنفوذهم

للاستعمار الانجليزى طابع خاص يجعله مختلفاً عن استعمار الممالك الاخرى : فلا يبدأ الانجليز بتعبئة الجيوش وارسال الاساطيل لاحتلال البلاد التى يريدون استعمارها . بل يبدأون بارسال الرحالة المغامرين والعلماء الكاشفين والمستشرقين

وكتابتهم التقارير عن أحوال البلاد ولغاتها وحكوماتها الوطنية وأخلاق أبنائها وعاداتهم ونقط الضعف عندهم ، ثم تنشأ مراكز تجارية وشركات تجارية وقنصليات، وتعقد معاهدات تجارية ، تتطور إلى معاهدات سياسية ، وتبث انجلترا بعض رجالها كموظفين فنيين ومستشارين فى الحكومات الوطنية .

ويعتمد الانجليز على الفرص وعلى الزمن ، ومن الفرص النزاع بين العصبيات والأديان والمذاهب ، والثورات بين الامراء ، فيستطيع الانجليزى ولو كان تاجرا واحدا - بخلقه المتين وبما يشعر به من روح السيادة - أن ينال ثقة الحكومات الوطنية المتنازعة فى وقت واحد ، وأن يكون الحكم الذى يطاع حكمه من غير إراقة نقطة دم . وقد استطاع الكولونيل لورنس أن يظفر بثقة الشريف « الملك حسين » ملك الحجاز سابقا وأولاده وأن يلقبه الكتاب بملك العرب غير المتوج ، واستطاع مستر « عبد الله » فلبى أن يظفر بثقة الملك ابن السعود إلى اليوم

* * *

ومن أغراض الاستعمار ، ما هو اقتصادى وما هو امبراطورى وما هو أدبى .

أما الاقتصادى فهو السيطرة على ينابيع المواد الخام . وأما الامبراطورى فهو ما كان لحفظ مواصلات الامبراطورية وبانشاء ثغور ونقط عسكرية برية أو بحرية مثل السيطرة على البحر الاحمر وتفوق النفوذ البريطانى فى بلاد العرب ، بالحمايات والاتفاقات ، فليس لانجلترا منافع اقتصادية جوهرية فى تلك المناطق .

أما الاستعمار الذى يكون الغرض منه أدبيا فهو منافسة البلاد الأخرى وتعزيز مقام الامبراطورية وابرازها قوية . وهناك استعمار مصطبغ بصبغة الانسانية ، وهى دعوى انقاذ الأمم الضعيفة من الجهل والظلم والفوضى والرق !

ويماشى الاستعمار الانجليزى التطورات ويحسب حسابها ، أو يحاول أن يحسب حسابها ، فلقد أصبحت استراليا ونيوزيلندة وكندا واتحاد جنوبى افريقية ، متمتعة بالحكم الذاتى وباستقلال داخلى تام ، أو كما يصفها بعض رجال القانون الدولى انها أصبحت ممالك مستقلة متحالفة فى اتحاد بريطانى ، محتفظة بالتاج البريطانى ، حتى دعيت انجلترا بأنها « الام »

لو أن انجلترا أرادت احتلال طرابلس الغرب ، فاننى لااعتقد أنها كانت تفعل مافعلت ايطاليا من حشد الجيوش والأساطيل وإضاعة ملايين الجنيهات وإفناء ألوف الايطاليين واحتمال تبعة الفظائع ، مع أن طرابلس - فى الاغلب - صحراء جرداء .

كانت انجلترا تبدأ بالاعتراف بالحكم الوطنى ومماشاته والتأثير فيه تدريجياً .

ويزن الانجليز التكاليف التى يحتملونها من أجل الاحتلال ، فهم يريدون الاستعمار من أيسر السبل وبأقل التكاليف . وإذا اضطروا للحرب ، ففى الغالب حيث لايكون هناك مناص منها لتعزيز النفوذ ، وحيث لايرون الشعوب تذعن لغير القوة أو مظهرها ، وحيث تكون الحرب مأمونة العاقبة ، أى أن النصر هو المصير الارجح لها ، كما حدث فى جنوب افريقيا وفى احتلال مصر والاشتراك فى استعادة السودان .

وبعد أن تنتهى الحرب ، يعمل الانجليز على إزالة سوء التفاهم وتوطيد الحكم ، بالعفو عن زعماء الثائرين شيئا فشيئا وبحسب الظروف ، وباكرامهم والاستعانة بنفوذهم لتوطيد الحكم . فبعد إعادة السودان ، جنحت الحكومة السودانية إلى تعيين مرتبات لأبناء المهدى وخلفائه وزعماء المهدية ، وتعليم الكثير منهم مجانا وتعيينهم فى الوظائف

أى أنه بعد الانتصار فى الحرب ، يعرف الانجليز أن هناك مهمة أخرى هو توطيد الحكم الانجليزى ، بازالة آثار الحرب من النفوس ومصافاة الثائرين ، إلا إذا أصروا على العداء ، فعندئذ « يؤدبون » بالقوة . حتى يذعنوا أو يموتوا .

ولا يتدخل الانجليز بالقوة فى العقائد الدينية والعادات وفرض لغتهم ، فاذا انتشرت لغتهم فانما ذلك يجىء من طريق المكاتبات الرسمية وبتفضيل العارفين للانجليزية فى الوظائف وبتعيين المعلمين الانجليز فى المدارس ، وهكذا تنتشر الانجليزية تدريجيا

ويستعين الانجليز فى الحكم بالفئات الأهلية الموالية لهم ، وهم يكثرون منها ، ويداولون بينها ، ويثيرون الخلاف بينها ، أو يستغلون مابينها من خلاف ، وتقدم الحكومة البريطانية الهدايا والأوسمة للزعماء وكبار القوم ، وأحيانا تعين مرتبات ، كما هو حاصل فى الهند والسودان والامارات العربية المحمية

وتعيين الطرق وتسهيل المواصلات بأنواعها والاهتمام بالسواحل والمعاقل والسيطرة على الجيش والسلاح ومنع تسليح الأهالى هو أول مايعنى به الانجليز فى المحافظة على المستعمرات والبلاد الخاضعة لنوع من النفوذ البريطانى

الفصل الثالث

استعادة السودان بعد اخلائه

لم يكن ممكنا أن يظل السودان على حالته بعد قيام الثورة المهدية ، ولذا تضافرت العوامل المختلفة على وجوب إعادة السودان ، من ذلك عوامل خارجية وهو منافسة فرنسا وايطاليا لانجلترا فى استعمار افريقيا ، وداخلية تذمر السودانيين أنفسهم بعد نجاح الثورة المهدية والخلاف من أنصارها ، وإعادة تنظيم الجيش المصرى ، وكون قيادته للضباط الانجليز ، وتفوق سلطة اللورد كرومر والمستشارين الانجليز فى الحكومة المصرية وتثبيت أقدام الاحتلال الانجليزى تدريجيا فى مصر .

قال السير ايلياس اشميد بارتات بصدد الاشاعة التى أذيعت عن اعتزام فرنسا ارسال بعثة الى أعالى النيل ما يأتى : « من الضرورى القيام بعمل سريع وبغير ذلك لا نضمن البتة ان لا يستبقنا الفرنسيون ويحتلوا قبلنا جهات أعالى النيل »

وصرح اللورد سالسبورى فى مجلس النواب فى ٨ فبراير سنة ١٨٩٥ بما يأتى - :

« ان مصلحة مصر تقضى بأن لا يدنس تخومها حادث من حوادث التعسف المجردة من كل نزاهة . بل هناك دواع أخرى تستلزم الزحف على الخرطوم . وهذه الدواعى الأخرى لا داعى لذكرها وهى تستدعى إيجاد قوة فى وادى النيل » وهذه الدواعى التى لا داعى لذكرها ان هى الا استباق الفرنسيين فى احتلال أعالى النيل وطردهم منه اذا وضعوا أقدامهم على أراضيه

وكانت نتيجة الاتفاقية الانكليزية الايطالية مواجهة الايطاليين بمنليك ملك الحبشة لأن منليك كان قد أرسل منشوراً للدول مؤرخا فى ابريل سنة ١٨٩١ أخبرهم فيه عن عزمه على فتح السودان .

وفيما يلى وقائع إعادة السودان

استعادة طوكر

رأى هولد سميث باشا محافظ سواكن استعادة طوكر فأذن السردار له وعاونه بقوة وصلت بحرا إلى سواكن وأعادت طوكر فى ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ وهزمت عثمان دقنة

زيارة الخديو الحدود

زار الخديو عباس حلمى باشا الحدود سنة ١٨٩٤ . وقد وقع فى أثناء زيارته حادث نذكره فيما بعد

استرداد السودان

فى ١٢ مارس ١٨٩٦ أى بعد ١٢ يوماً من كارثة الطليان فى عدوه بهزيمتهم المخجلة أمام الحبشة ورد للسير كتشنر سردار الجيش المصرى فى منتصف الليل أمر بتسيير حملة لاعادة فتح السودان . ووصل خبر قرار الوزارة الانكليزية إلى رئيس وزراء مصر بعد ظهر يوم ١٣ وللخديوى مساء ذلك اليوم

ومن ذلك الوقت لم تكف مصر عن أن تقدم للسودان السلفيات التى كانت تلزم لرواج منتوجاته ومحاصيله ولمد شبكة من السكك الحديدة يبلغ طولها ٢٤٠٠ كيلو مترا وإنشاء عدد كبير من الطرق والمواصلات النيلية . ولعمل مجموعة متقنة للرى فى بعض الجهات . ولقد مر على الجيش المصرى خمسة وعشرون عاما طوالا وهو بأسره تقريبا فى السودان يشتغل فى تهدئته وتوطيد دعائم الامن فى ربوعه وإنشاء الأشغال العمومية كافة

استعادة دنقلة

خرج النجومى من دنقله سنة ١٨٨٩ وعليها يونس الدكيم عاملا ومساعد قيدوم وكيلا وقد اختلفا فدعا التعايشى يونس الدكيم إلى أم درمان وعين زقل مكانه فاختلف مساعد قيدوم ووشى به لدى التعايشى الذى سجنه ، وعند صلح التعايشى مع الاشراف أفرج عنه ونفى إلى خط الاستواء

وافقت الحكومة المصرية فى ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ على توجيه حملة بقيادة هنتر باشا (١) قومندان الحدود لاستعادة دنقلة

كانت الحملة المصرية على دنقلة مؤلفة من آلاى من السوارى به ١٢٥٣ جنديا وآلاى من الطوبجية به ٩٥٣ جنديا و ١٨ مدفعا وآلاى من الهجانة المصرية والسودانية عدده ٦١٨ رجلا و ١٣ أورطة بيادة أى ٨ أورط مصرية ، هى التى ألفت بعد

(١) صورته منشورة على ص ٢٦٣

الغاء الجيش المصرى القديم سنة ١٨٨٣ وخمس أورط سودانية ، وكان المجموع ١٦٦٨٠ جنديا نظاميا وغير نظامى بينهم ٧٠٠ ضابط .

وصدر الأمر بانشاء الأورطة السودانية الرابعة عشرة ، وأنشئت أورطتان من الاحتياطى : الخامسة عشرة فى أسوان وكروسكو والسادسة عشرة إلى سواكن ، وكان مع الجيش نفر من العبابدة والكبابيش والعليقات وأضيف إلى ذلك أورطة انجليزية من آلاى نورث ستفورد شير ، بها ٨٧٠ جنديا معهم مهندسون وطوبجية وبحارة . وإلى سواكن آلاى هندى ، وتطوع فى الحملة ضباط من الانجليز ، كاللورد سسل بن اللورد سلسبورى واللورد أثلى والكونت كليخن من الأسرة المالكة ، والماجور ستيورت ورتلى من رجال الحملة النيلية والماجور كتشنر شقيق كتشنر باشا . وكان مع الحملة ٣٠٤٨ رأسا ، من الخيل والبغال والحمير والابل ، و ١٥ باخرة نيلية

اجتمع الجيش فى عكاشة . وتقدم فاستولى على فركة فى ٧ يونية سنة ١٨٩٦ ، وهزم المهديين الذين كانوا بقيادة حسن أزرق وحسن النجومى . وقد انتشرت الكوليرا فى مصر ووصلت إلى الجيش كما نزلت به الحمى التيفودية وتوفى بها أكثر من الف ، واشتد الحر والأعاصير والغبار

وقد مدت السكة الحديد إلى كوشه . ووصلت البواخر إلى تماى والمتمة وأبوطليح والتيب وهى مدرعة ، وثلاثة غير مدرعة وهى : عكاشة ودال وحيبر

وتقدم الجيش إلى أبى فاطمة جنوبى شلال حنك ، وحدثت واقعة الحفير فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٦ ، فأخلى الثوار الحفير ، الى الديم ورحب الأهالى بالجيش والنساء بالزغاريد .

تعيين كتشنر سردارا للجيش

عين كتشنر باشا سردارا للجيش المصرى فى ١٢ ابريل سنة ١٨٩٢ عند استعفاء جرانفيل باشا .

منشور كتشنر إلى أهل السودان

وجه كتشنر باشا المنشور التالى الى أهل السودان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد

المرسلين . أما بعد فغير خاف على الحكومة ان الذى حملكم على شق عصا طاعتها إنما هو تصديقكم دعوى محمد أحمد المتمهدى وقد اتضح لكم الآن أن تلك الدعوى لم تكن من المهدية بشىء بل هى ثورة دموية أفضت الى ملك جائر يتولاه الآن عبد الله التعايشى الذى عزل كل أمير من غير أهله وولى أهله فاستبدوا بكم . ولما رأت الحكومة سوء مصيركم أرسلت الآن جنودها الجرارة لانتشالكم من وهدة الضلال التى أوقعكم فيها ذلك المتمهدى وانقاذكم من الظلم الذى تقاسونه فى عهد



اللورد كتشنر الذى توفى سنة ١٩١٦ فى خلال الحرب

خليفته التعايشى . وقد كان من مبتدعات المتمهدى وخليفته هذا منع الحج الشريف مع أنه فرض واجب على كل من استطاع اليه سبيلا . ثم ان كلا منهما فسر القرآن على رأيه وهواه واستنبط أحكاما شرعية كما أراد ، ومنعكم قراءة كتب الحديث والتفسير فضلا عما يأتيه التعايشى الآن من جمع المال وتفريق كلمة الاسلام وهتك الأعراض وظلم الفقراء وهدم بيوت الكبراء وبعد أن كان رجلا مسكينا لا يملك شروى نقير استأثر بأموال الرعية كلها وسكن القصور المشيدة واتخذ نساء المؤمنين سرارى له واستحل وطأهن بلا عقد ولا ملك يمين وهو مع ذلك يدعى الزهد

والمسكنة ويتنعم سراً بكل ما تطيب له نفسه وتقر عينه . وهو ظالم غشوم ما تكلم أحد بالحق الا قتله أو سجنه أو نفاه . وقد سجن الخليفة شريفا وأهان الخليفة ود حلو وأولاد المهدى وقتل ابراهيم عدلان وأقارب المهدى مثل عبد القادر ود ساتى على ومحمد عبد الكريم وأخوانهم ، وسجن الزاكى طمل والقاضى أحمد والحسين ود الزهرة وأماتهم جوعا وخرب مساجد المسلمين كمساجد الحسن المرغنى وأولاد نور الدايم والشيخ العبيد والشيخ حمد النيل العركى . ونفى امراء الجعليين مثل بدوى ود العريق وغيره . وبذلك اسخط جميع العالم الاسلامى واصبحت مكة المشرفة وكرسى الخلافة العظمى تنظر الى عمله بعين المقت والكراهة . ولما رأى ولى النعم خديوينا المعظم « عباس حلمى الثانى » ان جرائم هذا الطاغية تزداد يوماً فيوما ، اخذته الشفقة على المسلمين المظلومين وصمم على انقاذهم من الظلم فأرسل جيوشه المظفرة لكى تهدم أركان دولة التعايشى وتقيم حكومة شرعية مؤسسة على العدل والاستقامة وتبنى المساجد وتعين على نشر الدين القويم . وقد أصدر سموه عفوه التام عن جميع ذنوبكم وأمر برد املاككم . وهو يدعوكم الى استقبال جيوشه بالترحيب فاذا قبلتم الدعوة وعرفتم قيمة الانعام كنتم أنتم الرابحين الناجحين والا فالويل لمن رفض نعمة ربه وكرم خديوينا المعظم . وباسمه لى الرجاء الوطيد ان أراكم قريباً طائعين ومعضدين للحكومة الخديوية والسلام — يونية سنة ١٨٩٦ :

الامضاء : كتشنر قائد جيش حملة السودان وسردار الجيش المصرى »

عود الى دنقلة

وقد تقدم الجيش فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ واحتل دنقلة وتقهقر المهديون بقيادة ود بشارة وسلم الامير حسن النجومى ، وفى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ تم احتلال الدبة ، وفى ٢٦ سبتمبر احتل مروى

ونظم السردار المديرية وتلقى تهنئة الخديو والنيشان العثمانى العالى من الطبقة الأولى . وانحلت حملة دنقلة فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٦ وعادت الاورطة الانجليزية الى مصر ، وكان فى الحملة ابراهيم فتحى بك « باشا » قومندان الاورطة السابعة والملازم حسن بدر « باشا » ومدت السكة الحديد الى الكرمة

استعادة بربر

تمرد عبد الله ود سعد أمير الجعليين على التعايشى ، فأرسل اليه الأمير محمود فقتل ود سعد ورجاله ، وأسر الجعليون والشايقية وسيقوا إلى أم درمان

أهمية عطبرة ومالها اليوم

تقع مدينة عطبرة الحالية على الشاطىء الأيمن للنيل بعد ملتقاه بنهير عطبرة بقليل وتشبه فى موقعها الخرطوم بحرى « الحلفاية » . وعلى بعد ٧٠ ميلا تقريباً على نهير عطبرة عند قرية النخيلة حصلت موقعة أتبره (١) بين الجيش المصرى بقيادة كتشنر باشا واتباع التعايشى بقيادة الجنرال محمود واشترك فيها عثمان دقنه وقتل فيها ضابطان انجليزيان ولا تزال مقبرتهما إلى الآن . وتوجد شمالى عطبرة بأربعين كيلو متراً مدينة « بربر » وكانت لها عظمة وتاريخ تدل عليهما آثارها الحالية أما « الدامر » فالى الجنوب بثمانية عشر كيلو مترا وهى عاصمة المديرية الشمالية التى أصبحت تتألف من مديريات بربر ودنقلة وحلفا بعد انضمامها معا أخيراً

وعطبرة قسمان رئيسيان منعزلان يفصلهما الخط الحديدى الطوالى أحدهما « السوق » ويشمل منازل البلد والمحال التجارية والضبطية « المركز » وعدد سكانه خمسة عشر الف نسمة تقريباً جلهم من الوطنيين ومعهم قليل من المصريين والسوريين وتبنى المساكن كباقى مدن السودان من الطين وتتألف من طابق واحد وبها مصنعان لصنع « الزراير » من الدوم يملك أحدهما مصرى ، والآخر يونانى وقد رأتهما البعثة فى أثناء وجودها بعطبرة . أما القسم الثانى فهو أرض السكة الحديدية ، وبه عموم إدارات المصلحة ومنها الورش وهى تضم نحو الف صانع منهم ستون مصريا . وهى تشبه « العنابر » بالسبتية وأقسام مختلفة للحدادة والنجارة والبرادة وغيرها وأهمها ورشة العربات التى تبنى بها الصالونات والعربات الجديدة على أحدث طراز من خشب « الستيك »

وعطبرة من أمهات المدن فى السودان لأنها مركز السكك الحديدية بأسرها وهى ملتقى خطى الخرطوم . حلفا . الخرطوم . بورت سودان . وتخترق الطرق الحديدية شوارع المنطقة وتجتازها القطارات لتسهيل النقل بين مختلف أنحائها ومنها قطار يتألف من ثلاث مركبات ينقل الموظفين من المكاتب إلى منازلهم مرتين يوميا أحداهما صباحا لتناول الأفطار والثانية بعد الانصراف . والعمل يبدأ فى المكاتب والورش الساعة السادسة والنصف صباحاً شتاء والساعة السادسة والربع صيفاً . وتوجد بها « ثكنات » الجيش المصرى التى كانت تعسكر بها أورطة السكة

(١) تسمى عطبرة و « أتبرة » والأخيرة اللفظ الرسمى فى السودان

الحديدية وكان عددها يتراوح بين الف وثلاثة آلاف وقد احتلها الآن بلك انجليزى وعدد جنوده ١٤٢ .

المصريون بعطبرة : تلى عطبره الخرطوم مباشرة من حيث عدد المصريين بها وغالبهم موظفون بمصلحة السكك الحديدية ويبلغ عددهم ١٥٠ وكانوا قبل حوادث الاستغناء عنهم سنة ١٩٣١ بسبب الضائقة المالية ، حوالى المائتين ويشتغل بعض المصريين بالتجارة وقد نجح فيها ويقيم غالب الموظفين فى منازل صحية بنتها لهم المصلحة . أما البريطانيون فلهم حى راق قائم بذاته

النادى المصرى : ومما يضم الشمل ويزيل السأم وجود اندية مختلفة . ولكبار الانجليز « درجة ثالثة فما فوق » ناد ولصغارهم ناد آخر ، كما أن للسودانيين نادياً . والنادى المصرى أنيق يقع على ضفة النيل يتمتع بحديقة غناء كانت ميدان الأنس والانشراح . وهو أحد مخلفات ضباط الأورطة المصرية . وأثاثه ورياشه ثمينان . وبه أقيمت حفلة تكريم للبعثة المصرية . وعدد أعضائه المؤسسين ستون والفخريين خمسون . والمؤسسون الآن هم موظفو المصلحة الذين تزيد رواتبهم الشهرية على عشرة جنيهات . ويتصل بالنادى ملعب للتنس وآخر لكرة السلة . وتخرج فرقة التمثيلية من آن لآخر روايات كبيرة مساعدة للمنشئات الخيرية المحلية كالمساجد والكنائس والمدرسة . وتجمع هذه الحفلات بين التسلية والمنفعة . والرئيس الحالى للنادى هو حضرة ينى بطرس أفندى باشكاتب القسم التجارى ورئيس جمعية التمثيل محمد درويش افندى رئيس قلم المستخدمين ومن الأعضاء البارزين عجايبى جرجس أفندى باشكاتب الهندسة ونائب رئيس النادى المصرى ومحمد أبو شادى افندى رئيس الحسابات وغيرهم

مدرسة الأقباط المصرية

عقب حوادث سنة ١٩٢٤ التى تلاها نزول الجيش من السودان كان لا بد للمصريين فى عطبرة لتعليم أبنائهم من أحد أمرين : إما إرسالهم إلى مصر أو إنشاء مدرسة تقيهم شر تشتت فلذات الأكباد ، فآثروا الثانية واستأجروا لذلك دار مدرسة الأمريكان ثم استصدروا إذناً ببناء دار خاصة على نمط صحى ملائم . وتآزر الموظفون جميعاً فى نفقاتها التى بلغت ألف جنيه بنسبة معينة من رواتبهم وافتتحت رسمياً سنة ١٩٢٦ ولا زالت تؤدى خدمتها للآن وقد وفق الله القائمين

بأمرها فكان النجاح حليفها . كأختها بالخرطوم إذ نجح ١٥ من ١٦ تلميذاً فى امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٣ بنسبة ٩٥ فى المائة . وكادت تعصف بها حوادث الاستغناء عن الموظفين سنة ١٩٣١ مما أدى إلى نقصان عدد تلاميذها إلى المائتين مع زيادة نسبة الأعفاء من المصروفات إلى ٢٥ فى المائة . والأمل معقود على وزارة المعارف بمصر للأخذ بناصرها بل السير بها إلى الأمام .

ويتعلم أبناء الوطنيين فى «كتاب» وفى مدرسة ابتدائية أميرية وهى نصف مدرسة فقط . أعنى أن بها الفرقتين الأولى والثالثة أو الثانية والرابعة وتكمل نصفها الثانى فى مدينة بربر بالتبادل

وعدا مدارس البنين توجد مدرستان للبنات احداهما تابعة للأرسالية الكاثوليكية وتديرها راهبات الطالبات وهذه مقصورة على بنات غير السودانيين والأخرى مدرسة الارسالية الانجليزية وهى تقبل جميع الجنسيات عدا البريطانية .

بين قاضى قضاة تونس والتعايشى

حوالى سنة ١٨٩٢ توجه المرحوم الشيخ محمد المنور قاضى قضاة تونس إلى أم درمان ومعه أسرته من جهة الغرب . وقابل الخليفة عبدالله التعايشى إذ كان فى إبان سطوته ونصحه بأن يعدل عن إدعاء أنه خليفة المهدى المنتظر ، وفند الادعاء القائل بأن محمد احمد المهدى هو ذلك المهدى المنتظر الذى جاء ذكره فى الأحاديث النبوية قائلا بأن المهدى المنتظر لم يظهر بعد ، وبأنه من المخالفة للدين انتحال المهدى صفة المهدية وانتحال خليفته أنه خليفة المهدى .

فغضب الخليفة التعايشى من هذه النصيحة الدينية التى حضر الشيخ المنور من تلقاء نفسه وطوعا لضميره ليزجيها إلى الخليفة التعايشى وأمر باعتقاله وحبسه ومن معه . وقد حاول الشيخ المنور (١) التخلص من السجن ، فعرض على الخليفة أن يصنع له ألغاماً لنسف البواخر وأجرى تجربة أمامه ونجحت . ثم أرسله الخليفة إلى سنار للقيام بتجربة أخرى وكان مكبلا بالحديد فى سفره بالمركب . فاستاء ، وغضب من هذا التكبيل وألقى على الباخرة لغما نسفها ومات ومات معه الحراس المهديون عليه

(١) تزوجت كريمة الشيخ المنور من سماحة بك المهندس الكبير بمصلحة المساحة سابقا

استعادة الواحات الخارجة (١)

فى سنة ١٨٩٣ عند ما كان السودان فى نفوذ المهدى هاجمت فصيلة من الدراويش واحة الخارجة ونحن نورد لك فيما يلى ملخص ما ورد عن هذا الحادث فى كتاب مذكرات عن واحات مصر والصحراء الغربية لصاحب السعادة اللواء احمد شفيق باشا ص ٤١ و٤٢ :

« سارت فصيلة من الدراويش من دنقلة قاصدة واحة سليمة ، فلما وصلت اليها وجدت آثار قافلة من البدو المصريين كانت قد ذهبت إلى بئر النطرون كالمعتاد لجلب الملح والنطرون . فقسم الدراويش أنفسهم إلى قسمين تبع أحدهما أثر الحملة ووجدها عند بئر النطرون فأسرها وعاد إلى حيث ابتدأ — وسار القسم الثانى — وكان مكونا من ١٧٠ هجانا ببنادق رمنجتن — بدرب الاربعين فوصلوا الى ناحية « المقس » وهى أقصى القرى جنوبا — وتتصل بقرية باريس وأسروا أحد الأهالى بينما كان يصطاد الغزلان ومنه حصلوا على التفصيلات التى كانوا فى احتياج اليها . وقد اخبرهم لسوء الحظ عن موظفى الحكومة وقال أن مقرهم فى « باريس »

وفى أول اغسطس سنة ١٨٩٣ ظهر الدراويش أمام « باريس » وأرسلوا فى طلب العمدة والمشايخ فأتوا فى الحال ولدى مثولهم بحضرة رئيسهم أمرهم باحضار الموظفين وكانوا خمسة فحضروا والقى القبض عليهم وعلى العمدة والمشايخ « الدراويش » وقد بقى الدراويش يومين بباريس جردوا أهلها فى أثنائها من الاسلحة واستولوا على ١١ جوادا و٤ حمير و٥ رؤوس من الغنم أكلوها فى اثناء اقامتهم ولم يرتكبوا سوى ذلك عنفا . وغادروها مع أسراهم بعد ان اعترف لهم الأهالى بأنهم رعية المهدى وتعهدوا الا يأتوا من الأعمال مايوجب التعنيف وأنهم مستعدون لمعاونته فى حربه الدينية المقدسة . وقد فعلوا كل هذا من تلقاء أنفسهم دون ضغط أو اجبار . وها هى صيغة البيعة التى أخذها الدراويش منهم الى الخليفة التعايشى :

« بايعنا الله ورسوله ومهدينا وبايعناك على توحيد الله ولا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نأتى ولا نعصيك فى معروف . بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضاء بمراد الله ولا نفر من الجهاد »

---

(١) رحلة سمو الأمير عمر طوسون من الاسكندرية الى الواحة الخارجة عن طريق صحراء لوبيا — ص ١ جريدة « الأهرام » فى ٢٦ يونية سنة ١٩٢٥

ولما وصل الأسرى إلى أم درمان أحسن الخليفة معاملتهم واعتبرهم ضيوفه ولم يجبروا على عمل ما سوى تأدية الصلوات الخمس فى أوقاتها . وقد تمكن اثنان منهما من الهرب ووصلا إلى سواكن ولكن المأذون مات فى أسره

وفى يناير سنة ١٨٩٦ أرسل من بقى منهم على قيد الحياة الى التخوم المصرية بأمر الخليفة وسلموا للسلطات المصرية . ا ه

السردار

عاد السردار الى مصر بعد واقعة دنقلة ثم وصل الى مروى فى ٨ يولية سنة ١٨٩٧

وتقدم جيش بقيادة هنتر باشا فاحتل ابو حمد فى ٧ اغسطس سنة ١٨٩٧ وهزم محمد الزين

واحتل الجيش بربر فى ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٧ وكان على بربر الأمير الزاكى عثمان البقارى .

وحدثت واقعة العطبرة « الاخيرة » فى ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ وهزم الأمير محمود ، وأسر ودخل السردار بربر فى ١٤ ابريل سنة ١٨٩٨ باحتفال شائق

المواصلات : مدت السكة الحديد من أبى حمد إلى العطبرة

وقد أضيف إلى الجيش الذى حضر واقعة العطبرة آلاى إنجليزى آخر مؤلف من أربع أورط فأصبح الجيش مؤلفاً من :

أربع اورط سوارى انجليزية وتسعة اورط سوارى مصرية و ٨ بلوكات هجانة وبطاريتين انجليزيتين و٥ بطاريات مصرية وفرقة البيادة الانجليزية وفيها آلايان بثمان أورط وفرقة البيادة المصرية وفيها أربع آلايات بست عشرة اورطة وجملة الجيش ٢٥ الفا ضم اليه الفا رجل من عرب العبابدة والجعليين والجميعاب والمسلمية والشكرية والشايقية والبطاحين وغيرهم ، وكان مع الجنود الانجليزية ثلاث بواخر مدرعة فبلغت البواخر المدرعة عشروهى السلطان والملك والشيخ والفاتح والناصر والظافر وتماى والتيب وأبوطليح والمتمة وفى ٢٩ أغسطس وصلت أبو حمد

احتلال القضارف وهزيمة أحمد فضيل

كان احمد فضيل عاملا على جيش الخليفة فى القضارف وكان معه ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة سعدالله التعايشى والنور عنقرة. وقد استعان التعايشى بفضيل لانقاذه فى ام درمان

وقد سلم النور عنقرة القضارف فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ إلى الحملة المصرية بقيادة بارسونز باشا قائد جيش كسلا

وقد احتل هنتر باشا سنار والرصيرص فى سبتمبر سنة ١٨٩٨

وقد حاول احمد فضيل استعادة القضارف. وفى الطريق حدثت واقعة الرصيرص فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨ عند ماكان متجها إلى شلال الرصيرص

واحتل بارسونز القضارف فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ووضع عليها العلمين المصرى والبريطانى . وكانت الحبشة قد احتلتها قبلا ورفعت عليها العلم وسويت المسألة بجلاء الحبشة عن القلابات

واحتل الميجر تالبوت واد مدنى فى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٩٨

تسليم الخليفة محمد شريف

وسلم الخليفة محمد شريف والفاضل والبشرى من أولاد المهدى للبكباشى بليوت فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨

واحتل الجيش فازوغلى فى ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩

بحر الغزال

واحتل الجيش بحر الغزال ووصل الى مشرع الرق فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٠ وجعل « واو » عاصمة بحر الغزال

البلجيك

غزت بلجيكا خط الاستواء فى فبراير سنة ١٨٩٧ وقد الحق القسم الجنوبى من خط الاستواء بأوغندا مع اللادو لملك البلجيك مدة حياته وللانجليز بعد وفاته

دارفور وعلى بى دينار

كان الأمير على دينار من المشتركين مع التعايشى فى واقعة أم درمان وقد فر إلى الفاشر وكتب إلى السردار بالطاعة وأنه يحكم دارفور على جزية يدفعها لحكومة السودان وقد أسس حكومته على مثال سلطنة أجداده وصنع خاتما نقش عليه : « السلطان على دينار ابن السلطان زكريا بن السلطان محمد الفضل بن السلطان عبد الرحمن الرشيد »

ادارة الجيش

كانت إدارة الجيش كما يأتى :

قومندان عموم القوة	الفريق السر هربرت كتشنر باشا ـ سردار
	وياورانه الكبتن اللور ادوارد سسل والبكباشى وطسن
رئيس أركان حرب	اللواء رندل باشا
مدير قلم المخابرات	الميرالاى ونجت بك
مدير مساعد قلم المخابرات	اللواء سلاطين باشا
« « « «	الميجر الشريف م . ج تلبوت
مساعد ادجوتانت جنرال للجيش الانكليزى	الكبتن السر ه . س . رولنصن والكبتن ى . ى برنارد

حكيمباشى الجيش الانكليزى	الجراح الجنرال و . تيلر
حكيمباشى الجيش المصرى	الميرالاى جلوى بك
حكيمباشى بيطرى الجيش الانكليزى	الكبتن . ج . ل بلنكنسوب
حكيمباشى بيطرى الجيش المصرى	القائمقام جريفث بك
إدارة التعيينات « للجيش الانكليزى »	الكولونل ل . ا . هوب والماجور ه . ج . مورغن
إدارة التعيينات « للجيش المصرى »	الميرالاى روجرس بك والقائمقام دراج بك والبكباشى بلنت
مدير حملة النقل	الكولونل كتشنر
قومندان السوارى الانكليزى	الكولونل ر . ه . مارتن
قومندان السوارى المصرى	القائمقام برودود بك
قومندان الهجانة	القائمقام تدوى بك
قومندان الطوبجية	الكولونل س . س ج . لونج

قومندان فرقة البيادة الانكليزية	الماجور جنرال جاتيكر

قومندان الآلاى الأول	الجنرال ووشب
قومندان الآلاى الثانى	الجنرال لتلتون

قومندان فرقة البيادة المصرية	اللواء هنتر باشا
قومندان الآلاى الأول « وفيه الأورط ٢ و٩ و ١٠ و ١١ »	الميرالاى ما كدونلد بك
قومندان الآلاى الثانى « وفيه الأورط ٨و١٢ و ١٣و١٤ »	الميرالاى مكسول بك
قومندان الآلاى الثالث « وفيه الأورط ٣ و ٤ و ٧ و ١٥ »	الميرالاى لويس بك
قومندان الآلاى الرابع « وفيه الأورط ١ و ٥ و ١٧و١٨ »	الميرالاى كولنسن بك
قومندان العمارة البحرية	القومندان كولن كبل
قومندان العربان المتحابة	الماجور ستيوارت ورتلى

وفى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٩٨ زحف الجيش من ود حامد إلى جبل الرويان جنوبى شلال السبلوقة . وكانت البواخر تتقدم فى النيل والجمال فى البر والعربان الموالية فى حذائه فى الشرق . وقد أرسل السردار إلى التعايشى الكتاب التالى :

« اعلم أن شرورك فى السودان ولا سيما قتلك الجم الغفير من نفوس المسلمين الأبرياء أوجبت تقدمى بجيوشى إلى هذه البلاد لدك سلطتك وإراحة البلاد من شرك وبغيك . ولكن بين جيوشك كثير من الأهلين الكارهين لك ولحكومتك ومن العواجز والنساء والأولاد الذين لا نريد أن يلحقهم سوء . فاعزل هؤلاء من ديمك إلى مكان لاتصله القنابل والرصاص لئلا يقتلوا وتكون أنت المسئول عن دمائهم أمام الله وأثبت أنت وأشياعك فقط فى ساحة القتال لتلاقوا النقمة التى أعدها الله لكم ، وأما إن كنتم تودون التسليم حقناً للدماء ، فاعلموا أننا نستقبل رسلكم استقبالا حسنا ونعاملكم بالعدل والسلام — فى ١١ ربيع الآخر سنة ١٣١٦ ٥٠ »

* * *

علم التعايشى بتقدم الجيش فحشد جيوشه فى أم درمان وحصن ١٧ طابية منها

طابية المقرن والسراى فى الخرطوم وكان عنده ٦٣ مدفعاً فى يد الأسرى من الطبجية المصريين . ووضع الألغام فى النيل

وتجاوز الجيش فى أول سبتمبر سنة ١٨٩٨ جبل كررى عند الظهر ووقف عند العجيجة على بعد ثمانية أميال من أم درمان ، واستولى على بعض الطوابى ورميت أم درمان بالقنابل وفتحت توتى والخرطوم

وحدثت واقعة أم درمان فى يوم الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ، إذ خرج التعايشى ومعه ٥١٧٨٩ مسلحين وتقدم لمقابلة الجيش المصرى وأقام الجيش الانجليزى زريبة من شوك . وقد تقدم الخليفة التعايشى لمهاجمة الزريبة وتوارى بجبل ضرغام وكان معه عثمان دقنه ومساعد قيدوم وهجمت جيوش التعايشى فى هيئة هلال على بعد نحو ٢٥٠٠ ياردة من الجيش المصرى وهجم الثوار على الزريبة وأشعلوا النار بها وكانت المدافع تحصدهم وكانوا لا يهابون الموت . وقد هجم السوارى الانجليز وتوالى الهجوم مرة ثانية وتقدم السردار إلى أم درمان وحصل هجوم ثالث وفر الخليفة عند انهزام جيش الراية الخضراء ، وموت أخيه يعقوب وتوجه الجيش الى احتلال أم درمان الساعة ١١ ونصف فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨

وقد طارد السردار التعايشى . وفى يوم الأحد ٤ سبتمبر أى بعد الموقعة بيومين عبر السردار النيل إلى الخرطوم ورفع الرايتين المصرية والانجليزية على خرائب سراى الحاكم العام



واقعة فركة فى ٧ يونية سنة ١٨٩٦

وقد بلغ قتلى الثوار عشرة آلاف والجرحى والأسرى أكثر وكانت خسارة الجيش ٤٩٠ قتيلا وجريحا فمن الجيش المصرى ضابطان و ٢٧ عسكريا قتلى ومن الجرحى ١٥ ضابطا و ٢٨٦ جنديا ومن الجيش الانجليزى من القتلى ٣ ضباط و ٢٤ جنديا ومن الجرحى ٨ ضباط و٢٥ جنديا . وقد دفن القتلى باحتفال رسمى وامتلأ مكان الواقعة بالجثث .



واقعة أم درمان الهجوم الثانى

وقد عرفت الواقعة بواقعة الخرطوم وأم درمان وكررى وهى أكبر واقعة رآها السودان وقد أفرج عن الأسرى الذين اعتقلهم التعايشى

السردار فى القاهرة

استقل السردار وأركان حربه البواخر النيلية من أم درمان فى ٣ أكتوبر سنة ١٨٩٨ إلى الأتبرة ومنها بالسكة الحديدية إلى حلفا ومن حلفا على باخرة نيلية إلى أصوان ومنها بالسكة الحديدية إلى القاهرة فوصل اليها فى ٦ أكتوبر سنة ١٨٩٨ أى بعد سفر ثلاثة أيام وهى أقصر مدة عرفت إذ ذاك

حادث فاشودة

احتلت قوة من الجنود الفرنسيين بقيادة مارشان فاشودة فى ١٠ يولية سنة ١٨٩٨ وعقد معاهدة مع ملكها عبد الفضيل الذى قبل أن يكون تحت حماية فرنسا وانتصر على الدراويش وكان مع مرشان تسعة ضباط فرنسيين منهم الكابتين جرمان و١٢٠ جنديا من عبيد النيجر .

علم السردار وهو فى أم درمان أن الفرنسيين أو على الأصح « جيشا من البيض » احتل فاشودة . وكان الخبر قد وصل إليه بطريق الاشاعة قبل ذلك .

وسار السردار حتى التقى بزورق عليه العلم الفرنسى ومع جنوده السود كتاب من مرشان بتهنئة السردار على انتصاره وإبلاغه أن الحكومة الفرنسية قد كلفت مرشان فاحتل بحر الغزال إلى مشرع الرق واحتل فاشودة . واصل السردار سيره إلى أن وصل تجاه فاشودة حيث حضر مرشان والكبتن جرمان . وقال السردار إلى الميجر مرشان أنى مكلف بأن أبلغك بأن وجود الفرنسيين فى فاشودة ووادى النيل يعد اعتداءا صريحا على حقوق مصر وأن فاشودة من أملاك الحضرة الفخيمة الخديوية ولا يجوز رفع العلم الفرنسى عليها . فقال مرشان إننى جندى وليس لى إلا الطاعة ولا أستطيع أن أفعل شيئا حتى أتلقى أوامر جديدة من حكومتى . فقال السردار : إننى مكلف من قبل الحكومة المصرية بأن أرفع الراية المصرية فى فاشودة وأرجو أن لا تقاوم وأن تخلى فاشودة وأن تسافر على باخرة من بواخرنا إلى مصر عن طريق الخرطوم . فأبى مرشان وقال للسردار لا أعارضك فى رفع الراية المصرية على فاشودة بشرط بقاء الراية الفرنسية فى مكانها . إن قوتى أضعف من قوتك ولكن إذا أحوجتنى وحاولت إنزال الراية الفرنسية بالقوة فانى أدافع



واقعة أم درمان — هجوم الدراويش على الزريبة

عنها إلى أن أموت أنا ورفاقى تحتها . فرضى السردار بترك الراية الفرنسية فى مكانها ورفع الراية المصرية على بعد ٥٠٠ ياردة منها ثم أطلق عشرين مدفعا تحية لها ووضع عندها أورطة سودانية وأربعة مدافع وباخرة حربية فى الساعة الأولى بعد ظهر يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ .

وقد دارت المفاوضات بين بطرس غالى باشا ناظر الخارجية المصرية والحكومة الانجليزية التى طلبت من الحكومة الفرنسية الجلاء عن فاشودة قائلة أنه ليس لأية دولة أوربية حق فى أى جهة من بلاد النيل . فوافقت الحكومة الفرنسية على الجلاء عن فاشودة (١) . وتم ذلك الجلاء فى ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٨ وعاد مرشان إلى فرنسا عن طريق سبت والحبشة .



الميجر جنرال الفريق السير فرانسيس ريجنلد ونجت باشا

(١) وقد استاء مرشان من نزول حكومته عن فاشودة . وقال لضابط مصرى يظهر أن وزراءنا كوزرائكم ضعفا . . .

قتل الخليفة عبد الله التعايشى

بعد واقعة أم درمان هرب الخليفة عبد الله التعايشى إلى أبى ركبة فوصلت إليها حملة بقيادة الكولونيل كتشنر ، فهرب التعايشى من أبى ركبة جنوبا واستقر فى جبل قدير . فجرد السردار حملة بقيادته فيها ٨٠٠٠ آلاف جندى فهرب التعايشى شمالا .

ووجهت ضده حملة بقيادة السير رجينالد ونجت باشا وكيل السردار فقتل التعايشى فى جديد فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩



جثة الخليفة التعايشى ومن معه فى واقعة جديد

وكان مع التعايشى ألوف من النساء والرجال قتل الكثير منهم معه فى واقعة جديد يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ . وكان مع التعايشى الخليفة على ود حلو واحمد فضيل والسنوسى أحمد وهرون محمد من أخوة التعايشى والصديق بن المهدى .

وقد استقبل التعايشى وصحبه الموت بجنان ثابت وقد نزع وطسون بك جبة التعايشى وسيفه من جثته . ثم دفن فى حفرة فى المكان الذى قتل فيه . وكانت الجبة ملطخة بالدم ومخرقة بالرصاص .

ولما علم بعض أشياع التعايشى بموته سلموا .

وكان السردار قد وعد بجائزة عشرة آلاف جنيه لمن يلقى القبض على التعايشى وقد وزعها السردار على جنود الحملة

وقد عين السير رجينلد ونجت باشا سردار الجيش المصرى وحاكما عاما على السودان فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ خلفا للورد كتشنر الذى ندبته الحكومة الانجليزية فى حرب الترنسفال ، ومنح الخديوى ونجت رتبة فريق ، ومنحته انجلترا رتبة ميجر جنرال ولم يتجاوز عمره يومئذ ٤٣ سنة .



بيت الخليفة عبد الله التعايشى في أم درمان — وهو باق للآن كمنحف . يشبه بيوت صغار الفلاحين ويرى بجانبه أحد الدراويش

قتل الخليفة شريف وولدى المهدى

بعد أن أفرج السردار عن الخليفة شريف والفاضل والبشرى ولدى المهدى وسكنوا شكابة على بعد ٤٠ ميلا من سنار عاد شريف لجمع الانصار للحاق بالتعايشى فقبض عليه وعلى ولدى المهدى وقتلوا بالرصاص تنفيذا لحكم عسكرى

اسر عثمان دقنه (١)

اختبأ عثمان دقنه عند الشيخ محمد على عمر أور شيخ الجميلاب الذى أفشى لحاكم سواكن مخبأه فتمكنت الحكومة من القبض عليه فى ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ وأسر ونقل إلى القاهرة وأرسل إلى سجن رشيد مع أسرى الدراويش الذين نقلوا فيما بعد وأفرج عنه وعنهم بعد سنوات .

ثم نقل إلى السودان والتمس السماح له بالحج فحج ثم مرض بالشيخوخة ومات بعد الحرب الكبرى وكان بطلا مغوارا

احتلال كردفان

احتل الكولونيل ماهون ومعه فرقة من الهجانة كردفان سنة ١٨٩٩

انقاذ سلاطين (٢)

ظل سلاطين مأسوراً وأسلم وسمى عبد القادر وأودع أخوته القنصلية النمسوية ألف جنيه . وكان سلاطين مع المهدى سنة ١٨٨٤ وكتب سلاطين إلى غوردون لانقاذه ووقع الكتاب فى يد المهدى فسجنه ٨ شهور ولما مات المهدى جعله التعايشى ملازما لبابه لايبرحه من الفجر إلى ما بعد العشاء ، إلا اذا ركب معه وأعطاه منزلا ينام فيه بالقرب منه وكان يفخر بأن مدير دارفور أسير عنده وقد توسط ونجت بك « باشا » لدى تاجر جعلى اسمه العجيل ودفعت القنصلية له ٢٠٠ جنيه مقدما وتعهدت بدفع ٨٠٠ بعد انقاذ سلاطين . وقد وصل العجيل الى ام درمان وخرج مع سلاطين من ام درمان فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وأرسله مع مخصوصين على هجين قوية فعبر النيل بين أبى حمد وبربر الى اسوان ووصل إلى القاهرة فى ١٩ مارس سنة ١٨٩٥

وعلم التعايشى بهربه ونفى العجيل ورفيقه الصادق عثمان الى الرجاف حيث قتلا .

وألف سلاطين سنة ١٨٩٦ كتاب السيف والنار فى السودان بالألمانية وترجمه ونجت إلى الانجليزية وترجم إلى جميع اللغات . وقد شرح سلاطين حكم المهدى والتعايشى . وعين سلاطين مساعدا لونجت مدير المخابرات ورافق الجيش المصرى فى استعادة السودان ثم عين مفتشا عاما .

ظل سلاطين باشا بعد فك اسره حتى وفاته حاقدا طول عمره على المهديين

(١) انظر صورته ص ٢٣٤ من الجزء الأول (٢) صورته ص ٢١١ من الجزء الأول

وأبناء المهدى والخليفة . وقد أصدر عند ماكان مفتشا عاما للسودان منشوراً إلى ادارات الحكومة بأن لايذكر فى المكاتبات الرسمية « السيد عبد الرحمن المهدى » إلا تلقيبه « بالشيخ عبد الرحمن محمد أحمد » .

وكان صاحب الرأى فى بقاء أولاد المهدى والخليفة شريف والخليفة بن الحلو كأسرى فى أم درمان . وكان ونجت باشا يثق به ثقة كبيرة

الزبير رحمت باشا

هو الزبيربن رحمة بن منصور بن على بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن بكر بن شاهين بن جميع بن جموع بن غانم العباسى ، من قبيلة الجميعاب . ولد فى ١٧ محرم سنة ١٢٤٦ هـ و ٨ يوليه سنة ١٨٣١ ، تعلم القرآن بمكتب الخرطوم وحفظ القرآن، وتفقه على مذهب مالك ، واشتغل بالتجارة ثم سافر مع ابن عمه إلى بحر الغزال فى خدمة أبى عمورى التاجر الذى كانت له زريبة عند مشرع الرق ، وأصبح وكيلاله. وتزوج ابنة عمه ثم تزوج ابنة سلطان النمانم « تكمة » وعينته الحكومة المصرية مديرا لبحر الغزال ثم وشى به فنقل إلى القاهرة ممنوعا من السفر إلى السودان حتى استعادة السودان فسمح له بالسفر وردت اليه أملاكه ومات



الزبير رحمت باشا وقد أقام فى حلوان فى آخر أيامه

الفصل الرابع

اتفاق ١٨٩٩ والحكم الثنائى

أعيدت مديريات السودان تقريبا وأبرم الاتفاق التالى بين مصر وانجلترا

وفاق

بين حكومة جلالة ملكة الانجليز وحكومة الجناب العالى خديو مصر (١)

بشأن إدارة السودان فى المستقبل

حيث أن بعض أقاليم السودان التى خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التى بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الانكليز والجناب العالى الخديوى . وحيث قد أصبح من الضرورى وضع نظام مخصوص لاجل إدارة الاقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الاقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال إلى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياطات المتنوعة . وحيث أنه من المقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على مالها من حق الفتح وذلك بأن تشترك فى وضع النظام الادارى والقانونى الآنف ذكره وفى أجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه فى المستقبل . وحيث أنه ترامى من جملة وجوه أصوبية الحاق وادى حلفا وسواكن إداريا بالأقاليم المفتتحة المجاورة لهما . فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتى وهو :

(المادة الأولى) تطلق لفظة السودان فى هذا الوفاق على جميع الأراضى الكائنة إلى جنوبى الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهى :

أولا : الأراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢

ثانيا : الأراضى التى كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان

(١) الاتفاق وضع أصلا بالانجليزية وقد ترجمه سقراط سبيرو بك وهو حى للآن

الأخيرة وفقدت منها وقتيا ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد

ثالثا : الأراضى التى قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً

(المادة الثانية) يستعمل العلم البريطانى والعلم المصرى معاً فى البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها إلا العلم المصرى فقط

(المادة الثالثة) تفوض الرياسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان إلى موظف واحد يلقب « حاكم عموم السودان » ويكون تعيينه بأمر عال خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ، ولا يفصل عن وظيفته إلا بأمر عال خديوى يصدر برضاء الحكومة البريطانية

(المادة الرابعة) القوانين وكافة الأوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به والتى من شأنها تحسين إدارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويرها أو نسخها من وقت إلى آخر بمنشور من الحاكم العام . وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسرى مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمناً تحوير أو نسخ أى قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة

وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التى يصدرها من هذا القبيل إلى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة وإلى رئيس مجلس نظار الجناب العالى الخديوى

(المادة الخامسة) لا يسرى على السودان أو على جزء منه شىء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التى تصدر من الآن فصاعداً إلا ما يصدر باجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها

(المادة السادسة) المنشور الذى يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التى بموجبها يصرح للأوروبيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة أو دول

(المادة السابعة) لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضى المصرية حين دخولها إلى السودان . ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة

على البضائع القادمة من غير الأراضى المصرية إلا أنه فى حالة ما إذا كانت تلك البضائع آتية إلى السودان عن طريق سواكن أو أية ميناء أخرى من موانى ساحل البحر الأحمر لا يجوز أن تزيد الرسوم التى تحصل عليها عن القيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة إلى البلاد المصرية من الخارج . ويجوز أن تقرر عوائد على البضائع التى تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت إلى آخر بالمنشورات التى يصدرها بهذا الشأن

(المادة الثامنة) فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه

(المادة التاسعة) يعتبر السودان بأجمعه ماعدا سواكن تحت الأحكام العرفية (١)



اللورد كرومر - أو السير افلن بارنج

(١) لايزال السودان حتى الان تحت الأحكام العرفية

ويبقى كذلك إلى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام

(المادة العاشرة) لايجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأمورى قنصلاتات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية

(المادة الحادية عشرة) ممنوع منعاً مطلقاً إدخال الرقيق إلى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن

(المادة الثانية عشرة) قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الأسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها

تحريراً بالقاهرة فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

الامضاءات : « كرومر » « بطرس »

وفى يوم تاريخ هذا الوفاق عين اللورد كتشنر أوف خرطوم سردار الجيش المصرى حاكما عاماً للسودان مع بقاء وظيفة السردارية فى يده وأعلن فتح السودان للتجارة فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ولم يكن إلا أيام معدودة حتى ندب لحرب الترنسفال



بطرس غالى باشا وزير الخارجية ثم رئيس النظار الذى اغتال حياته الشاب الصيدلي ابراهيم ناصف الوردانى فى ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ بسبب توقيع اتفاق ١٨٩٩ والميل لمد مشروع قناة السويس

الفصل الخامس

الرأى المصرى فى اتفاق سنة ١٨٩٩

عند توقيع اتفاق ١٨٩٩ بين اللورد كرومر وبطرس غالى باشا ناظر الخارجية المصرية ، فحص رجال القانون المصريون هذا الاتفاق ، وقالوا إنه يعد باطلا للأسباب التالية :

١ — لأن الحكومة المصرية أكرهت على إخلاء السودان ، ولأن الخديو بمقتضى الفرمانات الشاهانية لا يملك حق النزول عن أرض مصرية أو تابعة لمصر

٢ — إن الفرمانات التركية تحرم على الخديو إبرام اتفاقات سياسية . وقد اعترفت انجلترا بهذه الفرمانات .

٣ - لم يقترن الاتفاق بملكية السلطان العثمانى للسودان ، وهو ملك له كما أن مصر كانت تابعة للسيادة التركية

تصريحات رجال السياسة الانكليز عن اتفاقية ١٨٩٩

١ — عبر اللورد غرانفيل فى التعليمات التى أصدرها فى ١٨ يناير سنة ١٨٨٤ إلى غوردون عن رأيه بالكيفية الآتية : « ينبغى فحص أحسن الوسائل التى يلزم اتخاذها لاخلاء داخلية السودان وتوطيد دعائم الأمن وإدارة المصالح والموانى القائمة على السواحل . وذلك تحت سيادة الحكومة المصرية وإفادتنا بما ترونه » .

٢ — والبند الثانى من الاتفاقية الانكليزية الايطالية المعقودة فى سنة ١٨٩١ نصه كالآتى : للحكومة الايطالية الحق فى احتلال كسلا وما جاورها من البلاد لغاية العطبرة وذلك فيما لو اضطرها مركزها الحربى لهذا الاحتلال . ومن المتفق عليه بين الدولتين المتعاقدتين أن كل احتلال حربى وقتى للارض الاضافية المبينة فى هذا البند لا ينسخ حقوق الحكومة المصرية فى الارض المذكورة . وهذه الحقوق تظل فقط موقوفة الى أن يصير فى استطاعة الحكومة المصرية احتلال المركز البادى ذكره » .

٢ — وقال اللورد سالسبورى لسفير فرنسا فى ١٢ اكتوبر سنة ١٨٩٦ : « انى متمسك على وجه العموم بهذا الرأى - ذلك أن وادى النيل كان ومازال ولن يزال ملكا لمصر وان كل مانع أو انتقاص ألم بحقوق هذه الملكية من جراء فتح واحتلال المهدى قد زال وتلاشى بحكم انتصار الجيش الانجليزى المصرى » .

وخطب اللورد روسبرى فى مدينة ابسون بتاريخ ١٢ اكتوبر سنة ١٨٩٨ فقال(١) : « لكى تقرر حقوق مصر على فاشوده بطريقة حاسمة قد كفانا أن نذكر الحكومة الفرنسية بأقوالها فى السنين الأخيرة وذلك باستعارة أقوال المسيو دكريه وكوريسل وهانوتو : « نحن على وشك أن نرد لمصر ما هو من أرضها وذلك حسب التصريحات التى فاهت بها كل الحكومات الفرنسية » . وهذا أمر جلى واضح حتى أنه ليشق على أن أصدق أنه فى الامكان العثور على أى شىء ينافيه » .

وأبدى السير غراى مثل هذا الرأى فى خطبة القاها فى مدينة يورك فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٩٨ (٢) بقوله : « ليس على فرنسا إلا أن تلاحظ ان مسألة فاشوده مسألة متعلقة بالمبادىء والحقوق . فاذا كانت تريد أن تخرج من هذا المأزق فما عليها إلا أن ترجع إلى المبادىء التى بينها المسيو هانوتو وتعمل بمقتضاها وبذلك ينحل الاشكال بسهولة » .

وخطب اللورد كمبرلى فى الوليمة التى أقيمت تكريماً لكتشنر فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٨ فقال (٣) : « ان اخلاء فاشوده ليس فيه ما يحط من قدر فرنسا مادامت الحكومة الفرنسية هى نفسها صرحت أن الأرض المتنازع عليها ملك مصر . وينبغى على فرنسا أن تصون سمعتها بان لاتعمل نقيض ما صرحت به هى نفسها . »

وقال اللورد سالسبورى فى كتاب أزرق نشره سنة ١٨٩٨ « أن فاشودة من ممتلكات مصر بلا نزاع » (٤)

وكتب اللورد كرومر فى تقريره عن سنة ١٩٠١(٥) مايأتى : « وليس الغرض من عقد اتفاقية سنة ١٨٩٩ حرمان مصر من حقوقها فى السودان بل تزويده بحكومة صالحة والتخلص من العقبات التى تلقاها فى طريقه مسألة الامتيازات »

(١) - راجع عددى التيمس فى ١٣ اكتوبر ١٨٩٨ و ٢٤ اكتوبر ١٨٩٨

(٢) - راجع عدد التيمس المؤرخ ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٩٨

(٣) - التيمس ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨

(٤) - الكتاب الأزرق المؤرخ ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨

(٥) - تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠١ ص ٤ .

وكتب اللورد كمبرلى فى ٤ ابريل سنة ١٨٩٥ الى اللورد دوفرين :

« اذا كانت مصر تسترد السودان الذى كانت تحتله فى المدة السالفة ، فمن الواجب علينا أن نعترف بحقها فى امتلاكه »

واعترف اللورد كرومر فى تقريره فى سنة ١٩٠١ بمشروعية الملاحظات التى ابداها مجلس الشورى عند الاقتراح على الميزانية الخاصة بالسودان . فقد قرر فيها المجلس أن « السودان جزء متمم لمصر »

(ب) ـ تصريحات الجانب المصرى .

وفى أواخر عام ١٨٨٣ ذكرت وزارة شريف باشا فى كتاب الاستقالة(١) أسبابها فى خطاب اذيع على الجمهورية واليك ما جاء به . « ان الحكومة البريطانية تحتم علينا إخلاء السودان مع أن قبول هذا الاخلاء ليس من حقنا لأن هذا البلد هو من ممتلكات الباب العالى وقد سلمنا حراسته . تقول حكومة الملكة انه من واجبات مصر الاذعان لمشورتها بدون مناقشة . وهذا تعد صارخ على فرمان ٢٣ اغسطس سنه ١٨٧٨ القاضى بأن الخديو يحكم مع وزرائه وبواسطتهم . وقد استقلنا لأنه حجر علينا أن ندير الأحكام بمقتضى هذا الدستور »

وفى سنة ١٨٨٤ أرسل الخديو توفيق باشا نداء إلى أهالى السودان يقول فيه أنه لاهتمامه بشئونهم فوض إليهم أمر اختيار حكومتهم . « وهذا بلا جدال عمل من أعمال السيادة » .

وأرسل رياض باشا إلى السير افلن بارنج بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٨٨٧ مذكرة يقول فيها :

« لا ينازع أى إنسان فى أن النيل هو حياة مصر وهذا أمر واضح جلى لا يختلف فيه اثنان . إذن النيل هو السودان ولا يرتاب أحد فى أن العلائق التى تربطهما لا انفكاك لها ، وهى أشبه شىء بعلاقة الروح بالجسد . فاذا استولت دولة ما على ضفاف النيل فعلى مصر العفاء . ويعلم من ذلك أن حكومة سمو الخديوى لا يمكن أن تقبل بمحض رضاها واختيارها وبدون أن تكره على ذلك تعديا كهذا على وجودها وحياتها » (٢)

---

(١) راجع ص ١٨٩ من الجزء الأول

(٢) ـ راجع الجريدة الرسمية عام ١٨٩٤ ملحق عدد ٦٥٣ ص ٥٥

وأدمج اللورد سالسبورى فى الكتاب الأزرق الذى أذاعه سنة ١٨٩٨(١) بصدد فاشودة خطابا من بطرس باشا غالى إلى اللورد كرومر يقول فيه : « تعلمون فخامتكم أنه لم يغب البتة عن أنظار حكومة الخديوى مسألة استرداد مديريات السودان التى هى عبارة عن ينبوع حياة مصر والتى لم تنجل عنها إلا على أثر طروء ظروف قوة قاهرة . وقد تضيع الفائدة من اعادة فتح الخرطوم إذا لم تسترد وادى النيل الذى ضحت مصر فى سبيله الشىء الكثير من الأموال والأرواح . ولما كانت الحكومة المصرية تعلم أن هنالك مفاوضات دائرة الآن بين بريطانيا العظمى وفرنسا بصدد فاشودة فقد كلفتنى أن أرجو فخامتكم أن تمدونا بحسن معونتكم لدى اللورد سالسبورى ابتغاء الاعتراف بحقوق مصر الثابتة ورد جميع المديريات التى كانت تحتلها لغاية قيام ثورة محمد أحمد » .

وعند ما كان مجلس شورى القوانين فى مرات كثيرة يدعى إلى ابداء رأيه فى القروض التى تقدم للسودان لا يألو أن يكرر : « نحن نصادق على هذه القروض لأن السودان جزء متمم لمصر (٢) » . استناداً إلى أن اتفاقية سنة ١٨٩٨ ترمى إلى الوجهة الادارية كما يتبين مما يلى :

« وحيث أصبح من الضرورى تنظيم طرق الادارة وسن لوايح وقوانين للمديريات التى استردت الخ » . وهذا المفهوم من منطوقها أيدته الفقرة التالية من وهى : « وحيث أنه لأسباب كثيرة يمكن حكم وادى حلفا وسواكن مع المديريات التى استردت بطريقة أنجح نظرا لمجاورتهما لأراضى السودان الخ .

ومن سنة ١٨٨٤ لغاية سنة ١٨٩٦ لم تكف مصر عن أن تدرج فى ميزانيتها حسابا خصوصياً للسودان . ومذكور باحصائيات الحكومة المبالغ السنوية التى دفعتها طول هذه المدة وقيمتها

(١) الكتاب الأزرق المؤرخ فى ٥ أكتوبر سنة ١٨٩٨

(٢) - راجع محاضر هذا المجلس بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩ و ١٩١٠

رأى سمو الأمير عمر طوسون

لحضرة صاحب السمو الأمير العظيم عمر طوسون آراء جلية فى اتفاق ١٨٩٩ قال سموه عن « تأجيل المفاوضة فى شأن السودان » فى مشروع ملنر سنة ١٩٢٠ مايلى:

أرجئت مسألة السودان لسببين : —

الأول — اتفاقية سنة ١٨٩٩ م

الثانى — اعتراف تركيا بتلك الاتفاقية

١ — أما اتفاقية سنة ١٨٩٩ فهى باطلة بالبراهين الآتية : —

أولا — لأنها مبنية على الفتح وهذا أساس غير صحيح لأن الفتح لم يحصل إلا باسم مصر فقط . والدليل على ذلك أن مارشان عند ما احتل فاشودة توجه كتشنر إليها واحتل نقطة أمام النقطة المحتلة من الفرنسيين ولم يرفع إلا العلم المصرى فقط أمام العلم الفرنسى . وفى هذه الحالة كان لكتشنر صفتان : إحداهما أنه قائد مصرى وثانيتهما أنه قائد انكليزى ، لأن الحامية الانكليزية التى فى السودان كانت تحت قيادته وجزء من تلك الحامية كان من فاشودة . وقد أدى التعظيم الواجب عند مارفع العلم المصرى وحده أمام العلم الفرنسى . وحيث أن هذه الحادثة كانت خاتمة الأعمال الحربية فى تلك البلاد وتعتبر تتويجاً لها فرفع العلم المصرى وحده وتأدية الجنود الانكليزية له التحية العسكرية هو اعتراف صريح من انجلترا أمام دولة أجنبية بأن الفتح لم يحصل إلا باسم مصر فقط ، وإلا فلو كان بالاشتراك لرفع العلم الانكليزى بجانب العلم المصرى

وأما مساعدة الحامية الانكليزية فى فتح السودان فلا يعتبر إلا من باب مساعدة الوصى لمحجوره فى رد جزء من أملاكه فقد ، بسوء تصرفاته . إذ لو اتبع رأى عبد القادر باشا ولم يرسل الجيش المصرى فى داخل كردفان كما رأى هكس باشا لما هلك الجيش ولما ضاع السودان

ثانيا — لأنها تشبه العقد الذى يعقد بين الوصى ومحجوره ويجر منفعة لهذا الوصى

٢ — قيمة اعتراف تركيا

وأما هذا الاعتراف فانه لاقيمة له بالمرة بالبراهين الآتية : —

أولا — أن اعلان الحماية على مصر أزال السيادة التركية عنها ابتداء من ديسمبر

سنة ١٩١٤ م وتعتبر غير موجودة فى وقت عمل التنازل

ثانيا ـ أن الحكومة التركية اعترفت باستقلال مصر استقلالا تاما وجعلت لها حرية تقرير مصيرها السياسى . وهذا القرار صدق عليه من مجلس المبعوثين قبل إمضاء معاهدة سيفر

ثالثا ـ أن معاهدة سيفر التى اعترفت فيها تركيا بحماية الانكليز لمصر إنما وقعها ممثلو الحكومة التركية مرغمين ، وفضلا عن هذا فان الشعب العثمانى معارض فيها أشد المعارضة وهى مع هذا لم تحز تصديق مجلس المبعوثين ولم تعترف بها بعض الدول إلى الآن . « وقد حلت محلها معاهدة لوزان مع عصمت باشا سنة ١٩٢٢ »

وحيث أن السيادة لا وجود لها فان الاعتراف من تركيا لاقيمة له بالمرة لأنها بذلك تقر حقا لغيرها فى بلد لا تملكه ولم نفهم معنى السكوت عن المسألة السودانية بمجرد اظهار انكلترا لهذا الاعتراف من الحكومة التركية ، لأن تركيا اعترفت أيضا بالحماية الانكليزية على مصر وهذا لم يمنع المعارضة لها والمفاوضة فى المسألة المصرية

مذكرة عن مركز الانجليز فى السودان

وأرسل سموه الى جريدة التيمس الرسالة التالية ولم تنشرها فنشرت فى جرائد مصر فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٧

لما رأينا صحف انكلترا تتعمد تشويه الحقائق فيما تكتبه عن السودان وعن مركز الانكليز فى ذلك القطر من وادى النيل كتبنا إلى جريدة التيمس رسالة نبسط فيها للرأى العام البريطانى حقائق المسألة السودانية كما يسجلها التاريخ الصحيح ويعرفها ذوو الاطلاع .

ولقد تلقينا من رئيس تحرير تلك الجريدة كتابا يقول فيه : أنه سيحتفظ بمقالنا بقصد الرجوع اليه عند الكتابة فى مسألة السودان . وهذا بالطبع معناه عدم الرغبة فى نشر ذلك المقال

وحيث ان أحوال السودان لاتزال تشغل الأفكار فى هذا القطر فقد رأينا أن نرسل ترجمة المقال المذكور الى الصحف المصرية وهذا معربه بعد الديباجة .

المقال

لمناسبة الأحوال السياسية الحاضرة فى وادى النيل وما تبديه صحف لندن من مختلف الآراء بشأن السودان أود أن ألفت الرأى العام البريطانى بواسطة جريدتكم ـ اذا أذنتم ـ الى الوقائع الآتية : ـ

لما وقعت حادثة مارشان الشهيرة فى السودان ، كان الانكليز يقولون أن السودان لمصر ومن مصر . ثم ادعوا أنهم شركاء فيه بارادة مصر . فلما أعلنت مصر بطلان هذه الشركة قالوا انهم ساعدوا على استرجاعه ولولاهم لما تم هذا الاسترجاع

ولما كانت اعانتهم لمصر فى استرجاع السودان قد حصلت فعلا أردنا هنا أن نبين للقارىء أنهم هم الذين كانوا السبب فى ضياعه، وأنهم وان كانوا أعانوها على استرجاعه ، فقد كانت فى غير حاجة الى هذه الاعانة والى القارىء الأدلة :

١ ــ أن مصر فتحت السودان وحدها سنة ١٨٢٠ م وبقيت سلطتها فيه قائمة لم يعتورها ضعف ولا وهن الى سنة ١٨٨١ م والسودان يومئذ آهل بسكانه زاخر برؤسائه وملوكه . فمن قدر على فتحه فى هذه الحال وعلى حفظ نفوذه وسلطانه عليه اثنتين وستين سنة ، فلا شك أنه يكون قادرا على استرجاعه بدون مساعد

٢ ــ أن الثورة العرابية ابتدأت فى مصر فى ٦ فبراير سنة ١٨٨١ م وابتدأت الثورة المهدية فى السودان فى ١٢ اغسطس سنة ١٨٨١ م أيضاً كأنما الثورتان كانتا على ميعاد . فلما اختل الأصل ، وهو مصر ، اختل الفرع وهو السودان . ومن سوء الحظ أن حكمدار السودان وقتئذ كان رؤوف باشا وهو رجل خلو من الكفاءة والتدبير ، إذ لو كان على شىء منهما لقضى على ثورة المهدى فى السودان فى ابانها . فقد أبلغه رئيس كبير موثوق به وهو السيد محمد الشريف أكبر مشايخ الطرق فى السودان أمر هذا المدعى وحذره عاقبة الاهمال فلم يأبه لقوله ولم يستيقظ من سباته حتى أرسل اليه هذا المفتون كتابا يدعوه فيه الى الدخول فى شيعته والايمان به . وبدلا من أن يرسل اليه عقب ذلك من يقبض عليه فى الحال أرسل ينصح له فرده خائبا . ثم بعد لأى وتردد ، أرسل اليه تجريدة صغيرة أوقع بها المهدى وهزمها شر هزيمة ، فكان هذا أول وهن أصاب هيبة الحكومة فى السودان فقد انتشر خبر هذه الواقعة فى جميع أنحائه وتناقل الرواة حديثها بغلو كبير ، وعدتها العامة من المعجزات التى تدل على صدق محمد احمد فى دعوى المهدية . ثم جرد عليه تجريدات أخرى كان نصيبها نصيب الاولى . فانحطت كرامة الحكومة فى عيون أهل السودان وصدقوا دعوى المهدى .

ولما بلغت هذه الاخبار السيئة الحكومة عينت عبد القادر حلمى باشا بدلا من رؤوف باشا وحسناً فعلت فان هذا الحكمدار الجديد أظهر همة عالية وكفاءة نادرة فى قمع الثورة بعد ما استطار شررها واستفحل أمرها وكان قد طلب من الحكومة

عشرة الآف جندى . ولما لم تجبه الى طلبه لارتباكها بالثورة العرابية جند من أهالى السودان جيشاً صغيرا ، دربه بنفسه وضم اليه ست أورط كانت فى السودان الشرقى وحمل بهذا الجيش الصغير على الثوار فأبادهم وشتت شملهم ورفع الحصار عن حامية سنار ، فهدأت الحال وخمدت جذور الثورة ولم يبق فى يد المهدى سوى مديرية واحدة هى مديرية كردفان ولا من أتباعه العصاة فى النواحى سوى نفر قليل فى الجزيرة بقيادة زعيم لهم يدعى أحمد الكاشف

فأنت ترى أن عبد القادر حلمى باشا بجيشه الصغير استرجع السودان أو كاد ولو أرسل اليه الجيش الذى أرسل الى هكس لتم على يديه استرجاع السودان بدون عناء . ولكن عند ما وصلت هذه الأخبار السارة الى مصر وكان ذلك فى أوائل سنة ١٨٨٣ م وقد احتلتها الانجليز وأصبح فى يدهم تصريف امورها صدرت الأوامر بعزل عبد القادر باشا لهذا السبب المقلوب فى الوقت الذى قال فى حقه المهدى فى احدى خطبه : « ليس بين رجال الحكومة التى أناوئها رجل كعبد القادر كثير الدهاء والحيل مع الشجاعة مما يجعلنى أضرع الى الله أن يكفينى وأصحابى شره . وانى أحتم على كل المؤمنين الذين دخلوا فى دعوتى أن يجتنبوا القيام فى الجزيرة بأى مشاغبة تضطرهم الى الوقوف فى ساحات الحرب مع عبد القادر باشا . وأوصيهم بكتمان دعوتى وعدم الظهور بها فى الجزيرة ما دام عبد القادر باشا متولياً على السودان وليواظب كل أصحابى على رفع أصواتهم بعد كل صلاة بهذه الدعوة . « أللهم ياقوى يا قادر ا كفنا شر عبد القادر » .

وقد كتب عبد القادر باشا بعد عودته من الخرطوم تقريرا وافيا للحكومة بما يجب عليها عمله . وملخصه عدم تسيير حملة على المهدى فى كردفان والاكتفاء باقامة الحصون على حدودها وحصر المهدى فيها حتى تنضب منها موارد اليسار القليلة التى لا يمكن أن تقوم بنفقات الملتفين حوله ، فلا يمضى زمن حتى يشعروا بالضيق فيطلبوا الخلاص من جور المهدية . ولا سبيل لهم الى نيل هذا الغرض إلا بمظاهرة الحكومة وموالاتها فيسهل عليها حينئذ قهر المهدى بقوة يسيرة .

هذا كان رأى عبد القادر باشا ولكن حكومة ذلك الوقت التى عزلته بسبب ما أظهره من الكفاءة وأحرز من الانتصار ، ليس من المعقول أن تعمل برأيه فضربت بتقريره عرض الحائط وعينت بدلا منه علاء الدين باشا . فتولى علاء الدين باشا منصب حكمدار السودان . ولكن حصرت سلطته فى الادارة الملكية وجعل سليمان

نيازى باشا قائدا عاما وهكس باشا رئيسا لأركان حربه وأرسل إلى السودان بقيادته جيش وصل إلى الخرطوم فى مارس سنة ١٨٨٣ م وهو مؤلف مما يأتى :ـــ

ألاى رقم ١	مشاة تحت قيادة الميرالاى سليم عونى بك	عدده ٢٤٠٠
ألاى رقم ٢	« « «	السيد عبد القادر عدده ٢٥٠٠
ألاى رقم ٣	« « «	إبراهيم حيدر بك عدده ٢٦٠٠
ألاى رقم ٤	« « «	رجب صديق بك عدده ٣٠٠٠
الفرسان والمدفعية	« « «	عباس وهبى بك « ٢٤٠٠
		١٢٩٠٠

وفى إبريل سنة ١٨٨٣ م خرج نيازى باشا وأركان حربه هكس باشا ومعهما ٥٦٠٠ جندى للايقاع بمن بقى من العصاه مع أحمد الكاشف بالجزيرة وكان عددهم قد تكاثف بعد عبد القادر باشا فلاقوهم فى المرابيع وكسروهم شر كسرة وقتلوا زعمائهم فانمحى بهذه الواقعة أثر الثورة من الجزيرة كما انمحى من عموم السودان ولم يبق للمهدى شوكة خارج كردفان

وقد ألح عبد القادر باشا ثانيا على الحكومة وهو فى مصر عقب هذه الواقعة بترك المهدى وشأنه فى كردفان الى أن يظهر للناس كذبه أو تضيق به البلاد فيضمحل من نفسه فقوبل إلحاحه بالاعراض أيضاً ، وأذن لهكس باشا بالزحف على المهدى فى كردفان . فرد بأنه لايتحمل مسئولية الحملة حتى تكون له القيادة العامة عليها ولما تباطأت الحكومة المصرية فى إجابته الى طلبه هددها بالاستعفاء فأذعنت وجعلته القائد العام على الحملة ونقلت نيازى باشا محافظا على السودان الشرقى فخلا لهكس باشا الجو وتوغل بهذا الجيش الكبير فى صحارى كردفان حتى ضلوا الطريق ووقعوا فى مخالب المهدى فأفناهم ذبحاً وقتلا فى ساعات معدودة

وبهذا الانتصار الكبير رجع للمهدى شأنه الاول فانتقضت أطراف السودان وعاد شعلة نار . وعلى أثر ذلك قررت الحكومة الانجليزية اخلاءه ولما لم تصادق وزارة شريف باشا على هذا الاخلاء حملتها على الاستعفاء وجاءت وزارة نوبار باشا فصادقت عليه وعين غردون باشا لاخلائه واخراج الجيوش المصرية منه . وكان فيه نحو الثلاثين الفا ، وحوصر غردون باشا فى الخرطوم الى أن قتل وكان ما كان مما هو معروف ومشهور . فمن هو المسئول عن هذه النتائج السيئة ؟

ومن ذا الذى أضاع السودان ؟ أمصر التى أضاعته ، أم السياسة الانجليزية التى كانت مشرفة على مصر فى هذا الحين ؟

٣ — ثم ترك السودان ، تفتك بأهله الفوضى والجهل والظلم والأوباء والحروب فحصدتهم هذه الأوباء حصدا واصطلحت عليهم وتركت البقية الباقية من أهله فى جوع وعرى .

وهذه العاقبة هى التى توقعها عبد القادر باشا حلمى لأهل كردفان لو بقى المهدى محصورا فيه . وعند ذلك جاءت أوامر انجلترا بتجهيز حملة لاسترجاع السودان وصدر القرار الوزارى بذلك فى ١٣ مارس سنة ١٨٩٦ م . فاسترجع السودان بثلاث واقعات كبرى وبجيش يبلغ نيفا وعشرين الفا تقريبا ولم يقتل منه إلا القليل . وكانت الخسارة فى الواقعة الفاصلة — وهى واقعة أم درمان — من القتلى ثلاثة ضباط انجليز واثنين من المصريين وأربعة وعشرين عسكريا انكليزيا وسبعة وعشرين عسكريا مصريا ولم تبلغ النفقات التى صرفت فى هذا الفتح مليونا من الجنيهات فهل كان ذلك يعجز مصر عن أن تقوم به وحدها ؟

هذا هو مقال سمو الأمير

كلمة لسموه عن مديرية خط الاستواء

نشرتها جريدة « الأهرام » فى عدد يوم الاثنين ٢٩ مايو سنة ١٩٣٣

مديرية خط الاستواء هى أهم مديريات السودان المصرى وألزمها وأنفعها لمصر لأن مخرج النيل من بحيرة البرت نيانزا المراد عمل السد فيه لجعل تلك البحيرة خزانا هو جزء من هذه المديرية التى ظلت فى حكم مصر حتى آخر عهد أمين باشا الذى هو آخر مدير لتلك المديرية السودانية المصرية إلى نهاية الحكم المصرى الفعلى للسودان .

وقد شمل الحكم المصرى أيضا ثلثى شواطىء هذه البحيرة وأقام فيه المعاقل العسكرية التى بقيت حتى شاهدها ستانلى فى سياحته المشهورة عند ما توجه إلى هذه الجهة لتخليص أمين باشا ظاهرا ولمحو الآثار الباقية لمصر بتلك المنطقة فى الحقيقة . ثم توجه الكابتن لوجارد إلى هناك واستخدم الجنود المصرية المتروكة فيها باسم الشركة البريطانية الأفريقية الشرقية واستولى على أوغندة وعلى القسم الجنوبى من مديرية خط الاستواء وبسطت الحكومة البريطانية حمايتها على هذه البلاد ثم عقدت بعد ذلك مع مصر معاهدة سنة ١٨٩٩ م .

ولو احترمت هذه المعاهدة كما لا تزال تدعى ذلك لكان أول واجب عليها ارجاع هذه البلاد إلى السودان المصرى وجعلها تحت إدارة حكومته ، حيث أن هذه المعاهدة تشمل عموم الأراضى التى يتكون منها السودان المصرى القديم ، كما كان عليه قبل الثورة المهدية . ولكنها لم تفعل هذا الواجب ولم تراعه فى تطبيق هذه المعاهدة لأنها كانت منذ زمن بعيد تطمح إلى امتلاك مديرية خط الاستواء المصرية الواقعة فى أرجائها ينابيع النهر العظيم الذى يفيض على مصر الحياة .

وهذا لا يجعلنا نعتبر عملها الذى استندت فيه إلى القوة عملا شرعيا . لأن انكلترا التى أخرجت مارشان من فاشودة بحجة أنها جزء من السودان ما كان ينبغى لها بعد ذلك أن تسلخ جزءا منه لنفسها . وهذه الحجة لا تزال قائمة عليها إلى الآن

وكان قد تم بامتلاكنا هذه المديرية وضع يدنا على وادى النيل برمته من منابعه فى منطقة بحيرات خط الاستواء إلى مصابه فى البحر الأبيض المتوسط . فاغتصابها هذه المديرية بعد ذلك لا يفسر إلا برغبتها الشديدة فى القبض على عنق مصر ، لكى تصيرها مطيعة لأوامرها خاضعة لارادتها باستمرار .

وتاريخ مطامع انكلترا هذه يرجع إلى ما قبل احتلالها لمصر بزمن بعيد . ويؤيد ذلك المعلومات التى تلقاها الخديوى اسماعيل باشا والتعليمات التى أمد بها الكولونيل شايلى لونج الذى كان قد تعين رئيس أركان حرب للجنرال غوردون فى ٢٠ فبراير سنة ١٨٧٤ م عند تعيين هذا الجنرال مديرا عاما لمديرية خط الاستواء فى السنة عينها . وإلى القارىء ماورواه هذا الضابط فى كتابه « حياتى فى أربع قارات » ج ١ ص ٦٧٠ » قال :

« لدى دخولى كان الخديوى اسماعيل يمشى بخطوات واسعة فى قاعة الاستقبال وهو متوتر الأعصاب وكان برفقتى تونينو بك التشريفاتى الثانى الذى أدخلنى عنده فوجه إلى السؤال الآتى :

أرأيت الجنرال غوردون ؟

فأجبت : نعم يامولاى ولقد قضيت معه أكثر الليل .

فأجاب الخديوى : حسنا جدا . والآن أعرنى أذنك — لقد وقع الاختيار عليك لتكون رئيس أركان حرب لعدة أسباب أهمها المحافظة على المصالح المصرية . فهناك فى لندرة يوشك أن تنظم حملة بقيادة رجل يقال له استانلى أمريكى الجنسية على ما يزعمون . والغرض من هذه الحملة حسب الظاهر نجدة الدكتور ليفنجستون

أما الغرض الحقيقى منها فهو — رفع العلم البريطانى على ربوع أوغندة . فتوجه أنت إلى غندكورو وأسرع فى الذهاب إلى أوغنده ولا تضيع أوقاتك وأسبق حملة لندرة وابرم معاهدة مع ملك أوغنده ، فتمسى مصر مدينة لك سرمديا بواجب الشكران معترفة بالجميل . اذهب وليكلل مسعاك بالنجاح إن شاء الله »

وسافر الكولونيل شايى لونج عملا بهذه الأوامر إلى أوغندة وأنجز مهمته بالكيفية التى قصها فى كتابه « مصر ومديرياتها المضيعة ص ٢٤ و ٢٥ » وإلى القارىء معرب مقاله :

« لقد توصلت إلى إصابة الهدف السياسى الذى كانت ترمى إليه مأموريتى ونجحت فى ذلك إلى أبعد مما كنت أرجو وقدمت للحكومة المصرية فى ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٤ تقريرا ذكرت فيه ابرام معاهدة مع الملك امتزا (١) اعترف فيها بوضع مملكته تحت حماية مصر . وهذه المعاهدة بلغت لسمو الخديوى واتخذت أساسا للمذكرة الرسمية التى أصدرتها مصر وقررت بموجبها ضم جميع الأراضى الواقعة حول بحيرات « فيكتوريا والبرت الكبرى » « وهذه المذكرة قد اختفت من دار المحفوظات بمصر » .

والمذكرة التى يومىء اليها الكولونيل شايى هى تلك المذكرة التى أرسلها شريف باشا ناظر الخارجية إلى قناصل الدول الجنرالية بمصر ومن جملتهم بحكم الطبع قنصل انكلترا ولقد جاء بعد تعداد المواقع الحربية المختلفة التى خاضت غمارها العساكر المصرية واحتلال تلك الأراضى ما يأتى : —

« وعلى ذلك قد تم الحاق جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت بمصر وفتحت البحيرتان وروافدها وونهر السومرست للملاحة وصارت ممهدة للاستكشافات التى يقوم بها غوردون باشا » .

وان فى ذلك لأوضح دلالة على ما لمصر من حقوق فى تلك الأقطار وأقوى برهان على طموح أنظار الانكليز الى تملكها .

وفى عام ١٨٧٦ قال غوردون باشا أنه لما كان مديرا عاما لمديريات خط الاستواء « راجع كتاب الكولونيل غوردرن باشا فى أفريقية الوسطى ص ١٧٧ » أرسل نور أغا محمد « وهو الذى ترقى فيما بعد الى رتبة أميرالاى وكان قائدا لجيوش المديرية » ومعه ١٦٠ جنديا ليبتنى محطة عسكرية فى « اورندجانى » من أعمال أوغندة . ولكنه اجابة لطلب امتيزا ذهب وابتناها فى عاصمته « روباجا » « كامبالا » الآن

(١) امتزا هو بذاته الملك أمتيسا الذى ورد ذكره فى الجزء الأول

وزاد غوردون باشا على ذلك فقال إنه ما دامت هذه هى رغبة الملك فسيترك الـ ١٦٠ جنديا تعسكر فى عاصمته . وفى استطاعته إذا حدثت الملك نفسه باحداث قلاقل أن يأخذه أسيرا . وكانت كتابة غوردون باشا لهذه الأسطر فى ٢ أغسطس سنة ١٨٧٦ م .

وكان غوردون باشا قد نوى أن يسافر إلى « روباجا » قاعدة مملكة امتيزا ولكنه عدل عن هذا الرأى وقال فى « ص ١٨١ » بتاريخ ١٨ أغسطس أنه غير هذه الفكرة ، وأزمع على أن يرسل ٩٠ جنديا إلى نور أغا لتعزيز الـ ١٦٠ جنديا السابق ارسالهم إلى « روباجا » وأنه بضم هاتين القوتين الى بعضهما يصير فى هذه الجهة قوة كافية .

وهذا يظهر بكيفية لا يتطرق اليها الشك أن غوردون باشا كان يؤيد احتلال جنود مصر لعاصمة أوغندة تأييدا تاما ويقرر أن ذلك الاحتلال أسمى فى حكم الأمر الواقع .

وكان غوردون باشا قد بادر باحاطة الخديوى اسماعيل بأنه احتل « اورندجانى » و « روباجا » عاصمة أوغندة .

وقد عثرنا فى جريدة الوقائع المصرية بالعدد رقم ٦٧٤ ص ١ بتاريخ ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٦ على التلغراف الذى أرسله غوردون باشا إلى الخديوى اسماعيل فى هذا الشأن فقد جاء فى العدد المذكور ما نصه : —

ورد تلغراف الى المعية السنية من سعادتلو غوردون باشا فى ٢ اغسطس سنة ١٨٧٦ يتضمن ان « الملك امتيسا » « ملك اوغنده » طلب منى عساكر لاجل اقامتها فى بندر حكومته فارسلت اليه مائة وخمسين عسكريا ورتبت ثلاثين عسكريا فى بلدة « اورندكانى » ومثلها فى بلدة « بكبتيسه » فكانت تلك الجهات والحالة هذه فى حيزة الحكومة المصرية وقد وصلنا الى « مكانكو » فى ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ « ٢٠ يولية سنة ١٨٧٦ » بعد سفر سبعة أيام من « دوفلى » والبحر هناك جيد صالح لسير السفن فيه بسهولة . وشطوطه معمورة بكثرة الناس فيه وأراضيه صالحة للزراعة . وبعد ثلاثة أيام نتوجه الى بلاد « مرولى » و « ارندكانى » و « امتيسا » ويمكننا الوصول الى سائر تلك الجهات بغاية الراحة التامة والسهولة . اهـ

وبلدة « مكانكو » الآنفة واقعة فى فم بحيرة البرت نيانزا ومحل الخزان المزمع عمله فى المستقبل .

وبعد هذا الفتح لم يبق غردون باشا الحاميات المصرية بتلك الجهات بل أمر فى أواخر نفس هذا العام « ١٨٧٦ م » أى عند تركه خدمة الحكومة المصرية نظرا لانتهاء أجل عقد خدمته بسحب كافة الحاميات المصرية المقيمة فى « أونيورو » و « أوغندة » وعلى ذلك أخليت المحطات الآتية :

فويرة وكيرتو وماسندى ومرولى وفاكوفيا وأورندجانى وروباجا

وكان فى خلال هذه المدة قد تلقى الخديوى اسماعيل رسالة غوردون باشا المنبئة باحتلال قاعدة أوغندة فبادر بالانعام عليه بالوسام المجيدى الأول . ولم يصل خبر هذا الانعام الى غوردون باشا الا عند ازماعه الرحيل وبعد أن صدر أمره باخلاء تلك المحطات وقال « ص ١٩٦ » انه ارتبك فى أمره وصار لايدرى كيف يفعل . وهذا أمر يفهم بالبداهة .

وعند ما تعين أمين باشا مديرا لمديرية خط الاستواء أعاد احتلال قسم من هذه المحطات ولكن لما تعين غوردون باشا حكمدارا عاما للسودان أمر باخلائها ثانية وفعلا نفذ هذا الامر ، ولما زايل مركزه وتعين بدلا منه رؤوف باشا حكمدارا عاماً للسودان رجع أمين باشا مرة أخرى واحتلها ولم يتركها إلا لما شبت نار الثورة المهدية وذلك عندما أراد أن يلم شعثه ويحصر قوته المسلحة فى محطات معينة

ومن العجب أن غوردون باشا بعد أن احتل قاعدة أوغندة وكل هذه المحطات الأخرى يرجع فيخليها بعد برهة قصيرة جدا لاسيما أن هذا الاحتلال تم بمحض موافقته وموافقة ملك هذه البلاد . ولم يكن هناك أى داع حربى يضطره الى الاقدام على الاخلاء لأن قوته العسكرية كانت باعترافه هو نفسه قد زادت عند نهاية خدمته ويقول فى مؤلفه السابق « ص ١٩٦ » أنه اضطر أن يسحب جنوده من بلد امتيزا بدون أن يذكر السبب فى ذلك .

ومن رأيى أن السبب يرجع حتما الى ان انجلترا كانت تعارض فى اتساع أملاك مصر فى الجنوب مع أنه لم يكن لها فى ذلك الوقت بتلك النواحى أية مصلحة ولكنها كانت تنظر الى المستقبل البعيد . وهذا ما يستخلص من شهادة رجل لا يمكن أن يعزى اليه الجنوح الى أية محاباة لمصر .

وهذا الشاهد هو المحترم فلكن وهو من المبشرين الانكليز الذين أقاموا فى أوغندة وكان يكتب فى ذلك العهد تقريبا أى عام ١٨٧٩ م . وهاك ما قاله فى مؤلفه

« أوغندة والسودان المصرى ج ١ ص ٣٢٤ » :

« ومما يؤسف له أنه لم يوضع حد لتعسف كباريقا ملك اونيورو واستبداده على أنه قد كان فى حيز الاستطاعة الحيلولة دون هذه التعسفات وهذا الاستبداد قبل ذلك بزمن اذا لم تكن قد بدت معارضات شديدة فى انكلترا من جانب أولئك الذين يرون بعين الحسد والغيرة توسع مصر فى ممتلكاتها جنوبا ». اه

وأرى أن فى هذا القول ايضاحا وتبيانا لكل ما التبس علينا فى هذا الأمر . ذلك أنه لابد أن يكون قد ورد الى غوردون باشا بعد احتلاله تلك المناطق أمر بالتحذير من عواقب ما أقدم على عمله فبادر الى اخلاء المحطات التى كان قد احتلها

أما فيما يتعلق بادارتنا للسودان فأية سيئة لم يعزوها لها وأى نقد لم يوجهوه اليها وأى لسان لم يسلقوها به . انى أربأ بنفسى عن أن أقول أنها كانت قد بلغت ذروة الكمال . لكنها لم تكن بالتحقيق رديئة أيضاً الى الدرجة التى صورتها بها بعض الدوائر التى لها مصلحة فى أن تظهرها بهذا المظهر .

ومما لا مراء فيه أنه لم تقع فى أرض ممتلكاتنا أعمال قسوة ان لم أقل أعمال وحشية كالتى حدثت فى أراضى افريقية الخاضعة لنفوذ بعض الدول الاوربية .

ولا ينبغى أن يغيب عن أنظارنا أيضا أن أغلبية الموظفين الذين كانوا يرسلون الى السودان هم من المغضوب عليهم ومن الذين وقعت عليهم عقوبات يستوفونها هناك

واذا اضفنا الى ذلك الشقات الشاسعة التى يتحتم قطعها ووسائل النقل التى كانت فى ذلك العهد والتى من شأنها ان تجعل من الصعوبة بمكان ايجاد مراقبة جدية على تلك الأرجاء القاصية البعيدة كان لنا بحق ان ندهش لعدم حدوث مساوىء اكثر مما حدث . على ان هذه الحالة ما زالت تتحسن على مرور الأيام فصارت تقل المفاسد تدريجيا حتى تلاشت فى النهاية أو كادت .

ولكى أبرهن من جهة اخرى على ان إدارتنا لم تبلغ هذه المنزلة من الانحطاط وانها كانت بالحرى أفيد للأقطار التى احتللناها فليس أمامى أكثر من أن اذكر شهادة شخصين لا يمكن أن يعزى اليهما التحيز أو المحاباة بأى وجه من الوجوه وهما الدكتور جونكر الروسى الذى أمضى سنين عديدة فى أواسط افريقية والمحترم فلكن الذى اقام سنين طويلة فى اوغندة والى القارىء ما رواه لنا الأول والثانى :

قال الدكتور جونكر فى مؤلفه « رحلة فى افريقية ج ا ص ٥٠٠ » ما معربه :

« ويرجع الفضل الى المسلمين الذين تعزى اليهم المطاعن والمثالب فى الزام

الزنوج بضرورة المعيشة فى هدوء وسلام مع القبائل المجاورة لهم وبالاقامة على قدر الامكان فى دورهم وبزراعة حقولهم . وهذا العمل ينبغى أن نقدره حق قدره بدون أن نبخسه شيئا . ومما يشرف الحكومة المصرية وضع بلاد الزنوج تحت سيطرتها . وهذا الأمر مكنها من أن تفتح فيها بابا لانتشار المدنية فى مستقبل الأيام ومهما بلغ من ثقل النير الأجنبى فهو فى الواقع ونفس الأمر افضل للزنوج من حكم نفس المستبدين منهم ، اذ أن حكم هؤلاء مصدر حروب لانهاية لها يضيع فى خلالها بعضهم البعض » اه

وقال المحترم فلكن فى مؤلفه « أوغندة وسودان مصر ج ١ ص ٣٢٤ » مامعربه :

« ويمكننى أن أقول وأنا مطمئن الخاطر هادىء البال عن تلك الأقطار الواقعة تحت الأحكام المصرية حيث يتولى السلطة أمين باشا المدير الحالى لمديريات خط الاستواء أن الأهالى يعيشون فيها فى حال أرقى من التى كانوا يعيشون فيها تحت رعاية ملوكهم الهمج المستبدين » اه

وأن شهادة هذين الشاهدين كافية لدحض التهم التى وجهوها إلى إدارتنا

وبعد فقد كانت النتيجة لاحتلالنا تلك الأقطار أن مهدنا الطريق وأعددناها كما قال الدكتور جونكر لانتشار المدنية فى الزمن القادم كأنما قد ألقيت على عاتقنا مهمة تمهيد طريق المدنية فى ربوع أولئك القبائل المتبربرة غلاظ الأكباد وكسر صلابتهم .

فعرضنا أجسامنا لسهامهم المسممة ووقعنا فى مكامنهم المخيفة واحتملنا وقاسينا الأخطار والآلام التى يلاقيها ممهدو سبل المدنية الأول لأجل أن يأتى غيرنا ويحتل محلنا ظلما وبكيفية غير مشروعة

وهنا أكرر ما قاله الماجور ستيجاند الذى حكم تلك النواحى فى العهد الجديد فى مؤلفه « خط الاستواء » ص ٩٩ بصدد حكم الزنوج فيما بين الفترة الأولى والثانية وهاك معربه :

« كانت الأهالى فى عهد الحكومة المصرية القديمة كما يستنتج من التدابير الوقتية التى اتخذت فى ذلك العهد أكثر عدداً وأحسن نظاما وترتيبا وأشد جنوحا للعداوة عن العهد الحاضر . أما الآن فمسألة الدفاع عن نقطة من النقط ضد السكان المقيمين تحت ادارتنا لا تقتضى تعبا ولا نصبا حتى أنه يصعب أن يتصور الانسان حالة كهذه » اه .

فالأمر الوحيد الذى يمتاز علينا به خصمنا الآن ينحصر فى قوته وضعفنا وهذا الموقف يخوله أن يملى علينا ارادته ويعدها بمثابة شريعة يجب العمل بمقتضاها . غير أن هذا لا ينبغى أن يحول دون ثبات المصريين وتمسكهم بحقوقهم ولا يجعلهم يفرطون فى شىء منها حتى ولو أغتصبت منهم اغتصابا . لأنه لو سلك أحد منهم مسلكا مناقضا لذلك وفرط فى تلك الحقوق يكون قد لوث سمعته وارتكب خيانة وطنه واستحق السخط واللعنة من الأجيال الآتية

وليس المطالب بذلك ولاة الأمور ومن بيدهم الحل والعقد فقط بل الأمة جمعاء . نعم أننا لم نجد فى الأمة إلى الآن مفرطا فى حقوق مصر فى السودان . ولكننا وجدنا مع الأسف الشديد أن المفرطين هم أولئك الذين يتولون مناصب الحكم ويظنون أن بقاءهم بها متوقف على ارضاء الانكليز والسكوت عن حقوق مصر والاغضاء عما يعمل فى السودان وغير السودان فيجرون البلاء على الأمة ويضيعون هذه الحقوق المقدسة العظيمة فى مقابل منفعتهم الشخصية وتمتعهم بالحكم أياما معدودة وهذا خسران ليس بعده خسران وبيع بالوكس طالما رجعنا منه بصفقة المغبون .

وقد حدث أخيرا أن أقيمت حفلة فى السودان بمناسبة انقضاء العام الحادى والعشرين على زيارة صاحبى الجلالة ملك وملكة الانكليز له فأرسل الحاكم العام برقية لجلالتيهما رفع بها فروض الاخلاص بالنيابة عن أهالى السودان فجاء الردمن جلالة الملك جورج على هذه البرقية مبدوءا بهذا النص : —

ليس من تحيات أشهى إلى من التحيات التى رفعتموها إلى من شعبى فى السودان الخ . الخ . . . .

وقد نشرت البرقيتين جريدة حضارة السودان بتاريخ ٤ فبراير سنة ١٩٣٣ ومرت بين سمع الحكومة المصرية وبصرها دون أن تحرك ساكنا أو تهتم بالأمر مع أن هذا التصريح الخطير لم يحدث فى سنة من السنين الماضية ولا فى مناسبة من المناسبات الأخرى . وهى نغمة جديدة نخشى أن تجر وراءها أخطاراً عظيمة .

وقد تنبهت الى ذلك سيدة مصرية فوجدت الأمر جد خطير ولفتت اليه أنظار بعض النواب ليسألوا الحكومة رسميا عن رأيها فى هذا التصريح الجديد وانتظرت فلم تجد شيئا من هذا ومرت الأيام تتلوها الأيام دون أن يحتج أحد على ما جاء فى هذه البرقية . وهكذا يسجل الاهمال علينا ما تستعصى معالجته ويزداد به موقفنا فى السودان غموضا ويلقى على حقوقنا فيه حجبا كثيفة مادمنا سائرين فى هذا الاهمال .

فاذا تركنا هـذه الأشياء تمر دون أن نظهر أى معارضة لها أفهمنا الانكليز بسكوتنا عنها أننا راضون بها فيستغلون هذا الصمت على مر الأيام ليطبقوا علينا ما هو أشد وأنكى . هذا هو مقال سموه

معرب مقال آخر لسمو الأمير عمر طوسون

أرسله سموه الى رئيس تحرير جريدة التيمس فى ٣ يوليو سنة ١٩٣٠ ردا على ما كتبه سير رنيل رد واعتذرت هذه الجريدة عن نشره فيها وها هو بعد الديباجة :

استرعت نظرى منذ أيام ترجمة نشرتها الجرائد المحلية لرد سير رنيل رد على رسالتى المنشورة فى عدد التيمس بتاريخ ١٢ يونيو ولقد رغبت فى الرد عليه ولكنى آثرت الاطلاع على الأصل الانكليزى أولا . وهذا ما توافر لى الآن :

اننى أشكر لسير رنيل رد كلماته الرقيقة الموجهة الى شخصى وأرد على بيانه بما يأتى :

انى أعلم تمام العلم أن سياسة اللورد جرانفيل جاءت بعد حملة هيكس باشا ولكن هذا لا يعنى أنها لم توجد فى ذهن الحكومة الانكليزية فى الوقت الذى احتل فيه الجيش البريطانى مصر . فما دامت الحكومة المصرية قد أظهرت لين العريكة والطاعة للنصائح - أو بمعنى أدق - لأوامر الحكومة البريطانية غير الرسمية فلم تكن هناك ضرورة لجعل هذه السياسة رسمية وعلنية لأن مسلكا كهذا لا يكون لزاما الا فى حالة المعارضة كالحالة التى أدت الى استقالة شريف باشا عند ما رفض الموافقة على ترك السودان .

حقيقة ان الكولونيل ستيورات كان يرى - كما يقول سير رنيل رد - عدم الزحف على كردفان وكان هذا هو رأى عبد القادر باشا أيضا . ومن المحزن أن هذا الرأى لم يؤخذ به ولم يتبع إذ لو اتبع لما فقدت مصر السودان على الاطلاق .

وحقيقة - من الوجهة الرسمية - أيضا أن الحكومة البريطانية أعلنت أنه لم يكن لها شأن بالأعمال الحربية فى السودان ولا بتعيين هيكس باشا . ولكن المظهر الرسمى للأشياء مضلل ولا سيما فى مصر لسوء الحظ . فمثلا كان اللقب الرسمى للورد كرومر « معتمد حكومة صاحب الجلالة البريطانية وقنصلها العام فى مصر » . ولكن كان لقبه غير الرسمى . « الحاكم المطلق لمصر » ومن كلمته قانون .

ولقد قرأت فى الصحف فى فرص مختلفة أسئلة تلقى فى مجلس العموم على وزير الخارجية خاصة بمصر كان الجواب عليها « هذه مسألة تخص الحكومة المصرية »

فأى شخص يخدعه هذا الجواب الرسمى فى حين أنه يعلم علم اليقين أن البلاد كانت ـ بصفة غير رسمية ـ تحت الحكم المطلق لقنصل انكلترا .

فلماذا لا يكون هذا شاملا لتصريح الحكومة البريطانية الخاص بالسودان وتعيين هيكس باشا . فهو انكار رسمى لوجود يد لها فيهما بينما هو عمل للعكس بصفة غير رسمية .

ولو كانت الحكومة الانكليزية لا تريد شيئا من السودان فلماذا أرسلت الكولونيل ستيوارت فى بعثة خاصة الى تلك البلاد ليقدم تقريراً عن سير الأمور فيها . لم تكن هناك حاجة الى مثل هذه البعثة لو أن التصريح كان صادقا .

أما فيما يختص بتعيين هيكس باشا فان ما وقع هو كما يأتى : —

بدأت الثورة المهدية قبل احتلال القوات البريطانية مصر وكان عبد القادر باشا معينا حاكما عاما للسودان قبل هذا الاحتلال وبوجود القوات المحلية تحت امره استطاع أن يهدئ البلاد تقريبا ولم يكن فى أيدى المهدى من البلاد الا كردفان . فلو أنه أمد بخمسة عشر الف رجل من جيش هيكس باشا زيادة على القوات المحلية لأمكنه دون أدنى ريب أن ينتهى بحملته على الثورة على أتم نجاح .

بعد ذلك جاء الاحتلال الانكليزى لمصر وعلى أثره اضطرت مصر الى استدعاء قائدها المنتصر الذى هو أحد أبنائها والذى كان على وشك أنقاذها من احدى الأزمات البليغة التى حاقت بها بدون حاجة الى معونة أى عنصر أجنبى .

وحل محل القائد المصرى قائد آخر انكليزى وأركان حرب من الضباط الانكليز . فهل يمكن جديا قبول هذه الحقائق على أنها حدثت من غير تدخل الحكومة الانكليزية .

وبفرض أنه كان من الضرورى وجود قائد انكليزى ومعه اركان حرب من الضباط الانكليز على رأس الجيش السودانى فلماذا لم يفعل هذا قبل الاحتلال الانكليزى لمصر .

والبرقيات التالية التى قرأتها فى كتاب « خراب السودان » لمؤلفه هنرى روسل فى الصفحتين ٣٦ و ٣٧ تؤيد وجهة نظرى

الصحيفة العاشرة فى الملف رقم ١٩٧ — برقية من الجنرال هيكس الى السير : ا . مالييت

الخرطوم فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣

أرسلت اليوم الى ديوان الجهادية استقالتى من مركزى فى الجيش السودانى . ولقد فعلت ذلك وأنا متأسف ولكنى لااستطيع القيام باعباء حملة أخرى تحت هذه الظروف التى تشبه الظروف السابقة . سليمان باشا يقول لى انه لايفهم من برقية رئيس المجلس المؤرخة فى ١٤ يوليو أنه ملزم بتنفيذ آرائى فيما يختص بنظام أو كيفية زحف أو هجوم الجيش الذى يستعد للتقدم نحو كردفان ما لم يوافق هو عليها . وهو يقول أنه لو نفذ آرائى من غير أن يوافق عليها فسيكون بذلك قد عمل فى الواقع عكس التعليمات « التى صدرت اليه » . ولما كانت أفكارى وأفكاره قد تضاربت فى الحملة الأخيرة وستكون أكثر من ذلك فى حملة كردفان فلست بمستطيع تجاه ذلك إلا أن استقيل . وفى الأيام الأخيرة فى مناسبتين هامتين أهملت وجهات نظرى .

أرجو أن يعرض الجنرال بيكر على سمو الخديوى أمر استقالتى وأن يؤكد له أسفى لهذه الضرورة وأبرقوا إلى بالرد .

الصحيفة الحادية عشرة فى الملف رقم ١٩٧

من السير ماليت إلى الجنرال هيكس - برقية

القاهرة فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣

سيستدعى سليمان باشا عند انتخاب حاكم جديد . نرجو عدم ذكر هذا إلى أن يتم رسميا وآمل أن تكون هذه الترضية سببا فى جعل واجبك أكثر سهولة عليك وأشد وضوحا . وسيكون علاء الدين قائدا إسميا .

الصحيفة الثانية عشرة فى الملف رقم ٢٩٧

من السير ا . ماليت الى الجنرال هيكس - برقية

القاهرة فى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٣

تسلمنا اليوم برقيتك المؤرخة ٢٣ الجارى ولكنى أرى عدم التعجل فى استقالتك بما ان سليمان باشا سيستدعى كما ذكرت لك فى برقيتى المؤرخة ٢٣ الجارى .

* * *

فما سبق يتضح كل الاتضاح ان البرقية الثانية ارسلت قبل تسلم الأولى .

ويقول مؤلف هذا الكتاب الذى هو بعيد كل البعد عن الترفق بالحكومة المصرية وعلى ذلك فانه يتضح تماماً مما سبق أن سير ا . ب . ماليت قد القى التبعة على كاهل الحكومة المصرية وهذا كما يظهر يدل على ان حكومة صاحبة الجلالة فى هذا

الوقت كانت مؤيدة للحملة المشئومة وإلا لأشار بقبول استقالة الجنرال هيكس . ويبدو هذا المسلك مورطا لحكومة جلالة الملكة فى سياسة متناقضة . فهم ينكرون على طول الخط أى مسئولية عن الأعمال فى السودان ومع ذلك يشجعون بطريق غير مباشر حملة لاخضاعه وأظن أن فى هذا الكفاية لتوكيد بيانى

وفى الختام أرد على ملاحظة سير رينل رد وهى « اذا كان فى الامكان توجيه أى لوم الى الحكومة الانكليزية فى ذلك الوقت ، فهو من أجل أنها أصرت قبل الأوان على الانسحاب من السودان ، فأقول : انه لو تركت الحكومة المصرية وحدها فى ذلك الوقت لمعالجة هذا الموقف لما فقد السودان قط ولما كانت هناك حاجة الى إعادة فتحه .

وانى لآمل أن تجدوا متسعا لنشر هذه الرسالة فى جريدتكم الغراء واقبلوا شكرى سلفا .

انقاذ السودان

فى كتاب القاضى بيير كرابيتس

ذكر القاضى الأمريكى كرابيتس أيضا شؤون مصر والسودان فى كتابه « غوردون ومكافحة الرقيق الأبيض » . حيث انتهى فيه عند مصرع غوردن فى الخرطوم ، وهو مؤلف كتاب « اسماعيل الخديوى المفترى عليه » وقد رد فيه على بعض ما عزى إلى الخديوى إسماعيل رداً قائما على تحليل الوقائع والموازنة بين أقوال المؤرخين . وألف أخيرا كتابه الثالث (١) ، يتتبع فيه المساعى التى بذلت لاسترداد السودان وسير أحواله من سنة ١٨٩٩ وما بعدها

ويقول المؤلف ان كتشنر الذى كان أبرز شخصية فى استرداد السودان بعد كرومر ، إنما اتصل اتفاقا بالقائمين من الانكليز على شؤون مصر . فقد كان ضابطا فى القسم الهندسى فى الجيش البريطانى وعهد اليه فى الاشراف على مسح جزيرة قبرص فلما نشبت ثورة عرابى ، طلب إجازة مرضية وأتى إلى مصر وكانت إجازته المرضية لا تتعدى أسبوعا ولكن يظهر ان الضابط المهندس عجز اتفاقا ! عن اللحاق بالسفينة التى كان عليه أن يعود بها الى قبرص . ويظهر انه فى خلال

(١) انقاذ السودان The winning of the Sudan

إقامته بالاسكندرية اتصل بأحد ضباط « الاستخبارات العسكرية » فلما تأخر عن عودته الى قبرص أبرق أميرال الأسطول البريطانى الى حاكم قبرص يطلب تمديد إجازة كتشنر فرفض هذا طلب الأميرال مصرا على وجوب احترام النظام . فكتشنر عاد الى قبرص ، ثم جاء الى الحاكم طلب من الجنرال ولزلى من مصر يطلب فيه أن يسمح له بكتشنر وكذلك كان . ومن محاسن الصدف ان كتشنر كان مهندسا . فان الحملة التى جردت لاسترداد السودان كانت تحتاج الى عمل مهندس ينظم لها جميع وسائل التقدم ويكفل لها أسباب الشرب والغذاء والوقاية من الأمراض

وقال فى فصل عنوانه « تمويل الحملة » : لما تقرر إيفاد الحملة لاسترداد السودان نشأت مسألة المال الذى ينتظر انفاقه فى هذا السبيل . فلندن ذهبت الى أن استرداد السودان مسألة مصرية بحت وانه من العدل أن تنهض الخزانة المصرية بالنفقات المطلوبة وان ذلك فى وسعها . ولكن يظهر ان لندن لم تلتفت حينئذ الى أن مفتاح الخزانة المصرية ، كان فى أيدى لجنة دولية هى لجنة صندوق الدين . هنا نشأ صراع بين لورد كرومر وطائفة من أعضاء صندوق الدين على مسألة استعمال جانب من مال الحكومة المصرية فى تمويل حملة السودان . ذلك انه بعد ما قر القرار على « حملة دنقلة » طلب من صندوق الدين أن يمنح ٥٠٠ الف جنيه من الاحتياطى العام لهذا الغرض فأقر الصندوق ذلك باتفاق أربعة أصوات على صوتين وكان المعارضان مندوبى فرنسا وروسيا ، فأقاما قضية فى محكمة مصر المختلطة .

ثم ذكر المؤلف تفصيل الاتفاق على حكم السودان حكماً ثنائياً باسم سمو خديوى مصر ، ثم بعد مصرع السردار سنة ١٩٢٤ والسعى لوضع اتفاق خاص بمياه النيل ومواد ذلك الاتفاق من ناحيتها النظرية والعملية ورأى الخبراء فيها باسطا وجهة نظر مصر فى مسألة السودان بسطاً شافياً وكذلك وجهة النظر البريطانية : وفى آخر الكتاب ثلاثة فصول فى السودان وزراعة القطن فيها ، قال ان هذه الزراعة غير ناجحة ، وان العامل الفاصل فى مستقبل السودان ، من ناحية بريطانيا هو مستقبل مشروع الجزيرة . فهل يستأهل هذا المشروع كل هذا العناء ؟ هل هو جدير بتأخير الاتفاق مع مصر على حسابه ؟ يقول القاضى كرابيتس أخيرا فى كتابه كلمة وردت فى رسالة غوردون إلى أخته ان « السودان لن يكون من الوجهة العملية البريطانية عملا رابحا »

السودان

بقلم صاحب الدولة حسين باشا رشدى (١)

١ — السودان حياة مصر

إنما السودان لهو الحياة بذاتها لمصر لأنه منبع النيل . ومصر هى التى فتحت السودان فى الأصل ولم تضن فى هذا السبيل بأية ضحية بالرجال أو بالمال . وهذا الفتح بدأ على عهد محمد على وتم على عهد اسماعيل الذى ضم مناطق البحيرات الكبرى حتى منابع النيل وبحر الغزال وخط الاستواء ثم سواحل البحر الأحمر حتى رأس غردفوى . وجعل الأوغندا تحت حماية مصر . ونال من الباب العالى إدارة سواكن وزيلع وملحقاتهما واتخذ لنفسه لقب خديوى مصر وصاحب نوبيا ودارفور وكردوفان وسنار . واعترفت الفرمانات السلطانية التركية لمصر بامتلاك هذه الأقاليم السودانية واعترفت الدول بهذه الفرمانات ذاتها

وفى سنة ١٨٨٥، جلت الحكومة المصرية، تحت ضغط الحكومة الانكليزية، عن أكثر هذه الأقاليم السودانية.. ولكنها خرجت منها على نية العودة اليها ومع العزم الأكيد على احتلالها ثانية عند سنوح أول فرصة ملائمة . وهذا العزم واضح كل الوضوح من المستندات الرسمية المصرية فوزارة شريف باشا فضلت الاستعفاء على قبول ترك السودان ولو تركاً موقوتاً

وفى ٩ ديسمبر ١٨٩٤ أرسل رياض باشا الى السير إيفلن بارنج مذكرة قال فيها :

« لا يستطيع أى انسان أن ينازع فى أن النيل هو حياة مصر . وهذه حقيقة واضحة كل الوضوح لاتحتاج الى مناقشة . وحيث ان النيل هو السودان فلا جدال فى أن العلاقات والروابط التى تربط مصر بالسودان لا يمكن أن تقبل أى انفصال . وما مثلها فى هذا التماسك إلا كمثل العلاقة التى تربط الروح بالجسد واذا تمكنت

---

(١) نشر دولته هذين الفصلين فى ١٧ مايو ١٩٢٢ عند ما نصت لجنة الدستور فى المشروع الذى كلف بوضعه بأن ملك مصر هو ملك مصر والسودان

دولة من الاستيلاء على منابع النيل فان هـذا الاستيلاء يكون بمثابة حكم الاعدام على مصر »

« فمن هذا كله يتبادر اذن الى كل ذهن أن حكومة سمو الخديوى لا ترضى قط بحال من الأحوال باختيارها وبدون أن تكون مكرهة اكراهاً بمثـل هذا التهجم على وجودها » (١)

وفى الكتاب الأزرق الذى أصدره اللورد سالسبورى سنة ١٨٩٨ عن مسئلة فاشودة كتاب من بطرس باشا غالى وزير الخديوى قال فيه :

« ان حكومة الخديوى كما تعرف سيادتكم لم يغب عن نظرها فى حين من الأحيان العودة الى استئناف احتلال الأقليم السودانية التى هى مصدر الحياة ذاتها لمصر . ومصر لم تنسحب من تلك الأقاليم إلا عقيب ظروف قوة قاهرة وان استعادة الخرطوم تفقد الغاية منها اذا لم يعـد الى مصر وادى النيل الذى ضحت مصر فى سبيله الضحايا العظيمة

« ولمعرفة الحكومة المصرية ان مسألة فاشودة فى هـذا الأوان هى موضوع المكالمة بين بريطانيا العظمى وفرنسا ، فهى « الحكومة المصرية » تكل الى أن أطلب من سيادتكم أن تتفضلوا بحسن الوساطة لدى اللورد سالسبورى ليتم الاعتراف لمصر بحقوقها التى لا تقبل نزاعاً ولكى تعاد اليها الأقاليم التى كانت تحتلها حتى قيام ثورة محمد احمد (٢)

هذا وفى نظر أوربا ذاتها لم تفتأ تلك الأقاليم السودانية - التى تركت تركاً موقوتاً - معتبرة مصرية

وانا لنورد دليلا على صحة ذلك تصريحات عظماء الانكليز ذاتهم بصدد حادثة فاشودة والمعاهد الانكليزية الطليانية ١٨٩١ — ١٨٩٤

١ — فى ١٢ اكتوبر ١٨٩٨ صرح اللورد سالسبورى لسفير فرنسا « أن وادى النيـل كان ولا يزال ملـكا لمصر . وان جميع العوائق وكل الانتقاص الذى احدثه فتح المهـدى واخلاله فى صفة هـذه الملكية ، قـد زال بفعل

(١) راجع الوقائع المصرية ١٨٩٤ الملحق ٦٥٥ صفحة ٨٥٥

(٢) راجع الكتاب الأزرق ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨

انتصار الجيش الانكليزى المصرى فى أم درمان (١)

٢ — قال اللورد روزبرى فى خطاب ألقاه فى ابسون فى ١٢ أكتوبر ١٨٩٨ «نحن نعمل الان لنرجع الى مصر مايؤلف — حسب تصريحات جميع الوزارات الفرنساوية - ارضاً مصرية (٢)

٣ — وأثبت اللورد كمبرلى فى مأدبة اقيمت اكراما للورد كتشنر مايلى .

«ان الجلاء عن فاشودة لايمكن أن يمس كرامة فرنسا لان الحكومة الفرنساوية ذاتها صرحت بان الاراضى المختلف عليها هى ملك مصر »(٣)

ومن جهة اخرى أن البند الثانى من الاتفاق الانكليزى الطليانى المبرم سنة ١٨٩١ و ١٨٩٤ نص فيه :

«يكون للحكومة الطليانية فى حالة اضطرارها للعمل قياما بحاجة موقفها العسكرى أن تقبل كسلة والاقليم الملاصق لها حتى الاتبرة . الا أنه يكون معروفا لدى الحكومتين أن كل احتلال عسكرى موقت للاراضى الاضافية المعينة بهذا البند لايلغى حقوق الحكومة المصرية على تلك الاراضى فهذه الحقوق تظل موقوفة فقط الى أن تتمكن الحكومة المصرية من استئناف احتلال المنطقة المشار اليها »

وعند ما استعادت مصر الاقاليم السودانية التى كانت قد تركتها وقتيا عاونتها انكلترا فى ذلك ولكن :

أولا — ان استعادة تلك الاقاليم تمت على حساب مصر وباسمها ، وكانت انكلترا تعمل بمعاونتها بوصف انها حليفة بالواقع لمصر . وهذا مايستنتج استنتاجا مقطوعا به من التصريحات المذكورة آنفا ثم أن اللورد كتشنر قائد الجيش المصرى صرح للقومندان مارشان فى فاشوده بقوله « ان التعليمات التى تلقاها تقضى بان يعيد بسط « السلطة المصرية » على مديرية فاشودة وانه يحتج على رفع العلم الفرنساوى على « املاك سمو الخديوى »

ثم كتب اليه بعد ذلك .

«يجب على أن ابلغك أنى وقد رفعت اليوم العلم المصرى على فاشودة بان حكم هذه البلاد قد استعادته مصر ليدها نهائيا « راجع تقرير اللورد كرومر السنة الثالثة ١٨٩٨ »

(١) راجع الكتاب الازرق ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨

(٢) راجع التيمس ١٢ و ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٩٨

(٣) راجع التيمس ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨

الثانى ــ ان القوات العسكرية التى استخدمت للاستعادة قد كانت من جانب المصريين ٢٥ الفاً أما التى كانت من جانب الانكليز فقد كانت من بادئ الامر ٨٠٠ جندى ولم يتجاوز عددها الفى جندى

الثالث ــ أن نفقات الاستعادة ٢٠٠ ر ٤٠٠ ر ٢ جنيه دفعت مصر ثلثيها . واذا كانت انكلترا قد تحملت الثلث فالخطأ ليس خطأ مصر ولكنه ناشئ من معارضة صندوق الدين التحكمية

الرابع ــ أن مصر وحدها دفعت منذ استعادة السودان نفقات الاعمال والمشروعات ماعدا خزان مكوار فبلغ ما انفقته نحو ٠٠٠ ر ٦٠٠ر٥ جنيه ومصر وحدها هى التى دفعت العجز المتوالى فى ميزانية السودان فبلغ مادفعته فى هذا السبيل ٠٠٠ ر ٣٥٠ ر٥ جنيه

الخامس ــ منذ استعادة السودان تنفق مصر على عشرة الاف جندى مصرى فى السودان للدفاع فى الخارج ولمنع كل ثورة فى الداخل فتحملت مصر من وراء ذلك انفاق ١٣ مليون جنيه مع أن القوة الانكليزية فى السودان نحو الف رجل لم تزد النفقة عليهم على مليونى جنيه

أن مصر تحملت فى سبيل السودان نفقة مالية كبيرة جداً كما تدل سجلات الحسابات وقد تحملت هذه الاعباء رغم الديون المتراكمة عليها ورغم شدة حاجتها إلى الأموال لتقوم بالأعمال العمومية لاسيما أعمال الرى التى يحول بها رى الحياض إلى رى دائم وقد كان بالأمكان إصلاح مليونى فدان لا تزرع الآن بنصف الأموال التى انفقتها

* * *

فالاستنتاج الطبيعى المعقول من كل ماتقدم هو أنه يجب اعتبار السودان جزءاً من مصر لا يقبل التجزئة حتى أن اتفاق ١٨٩٩ ذاته لا يعارض ذلك . فان ذلك الاتفاق يشرك انكلترا مع مصر لافى السيادة على السودان ، بل فى الادارة . وإذا كان العلم الانكليزى قد ظل يخفق على السودان إلى جانب العلم المصرى فمرجع ذلك إلى الاهتمام باتقاء العراقيل التى تنجم عن تنفيذ حكم الامتيازات هناك فتحول دون تقدم تلك البلاد

وفى الواقع أن اتفاق ١٨٩٩ قد تضمن ما نصه « من حيث أنه صار لازما اختيار طريقة للادارة وسن قوانين للاقاليم المستعادة المذكورة » وزاد على ماتقدم

قوله « ومن حيث أنه ظاهر ولاسباب عديدة يمكن أن تدار وادى حلفا وسواكن إدارة افعل إذا ضمتا إلى الأقاليم المستعادة » وبالفعل تم ضم حلفا وسواكن إلى الأقاليم المستعادة حتى يكون الجميع خاضعا لنظام الحكم الذى قرره الاتفاق

وهذه وادى حلفا وهـذه سواكن لم تجل عنها الجنود المصرية قط فضمهما إلى الاقاليم المستعادة يثبت أن ذلك الاتفاق ما كان يرمى إلا إلى الوجهة الادارية ولم يكن الغرض منه أن يخرج السودان من السيادة المصرية

وتأييدا لهذا الايضاح لاتفاق ١٨٩٩ نستعين بحكم اللورد كرومر الذى هو بلا شك أصدق مفسر له لانه هو الذى وضعه فاليك ما يراه القارىء فى تقريريه لعام ١٩٠١ و ١٩٠٣

ففى تقرير ١٩٠١ ما نصه :

« ألاحظ فى أعمال مجلس شورى القوانين الخاصة بالاعتمادات قوله « أن المجلس يصادق على المصروفات المقترحة للسودان لانه يعد السودان جزءا لاينفصل عن مصر » وهذا الرأى صحيح فى الحقيقة فان نظام الحكم السياسى فى السودان مقيد على كل حال بالاتفاق المعقود بين بريطانيا العظمى ومصر وموقع عليه فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ . ولما كان من المحتمل أن بعض أعضاء مجلس الشورى غير ملمين تمام الالمام بفحوى ذلك الاتفاق فانى انتهز هذه الفرصة لابين أنه لم تكن هنالك نية أو رغبة عنـد صوغه فى انتقاص حقوق مصر الشرعية . فقد كانت الاغراض الاساسية التى رمى اليها واضعو ذلك الاتفاق هى أولا ضمانة وجود حكومة صالحة للأمة السودانية وثانياً اتقاء الارتباكات الخصوصية التى أوجدها أسلوب الحكم الدولى بمصر فى السودان » .

وفى تقرير ١٩٠٣ قوله :

« لقد سئلت أحياناً : لماذا لا تتحمل الخزانة البريطانية قسما من نفقات الادارة فى السودان ما دامت الراية البريطانية تخفق إلى جانب الراية المصرية على ربوعه ؟ وهو سؤال طبيعى ولكن الاجابة عليه سهلة جدا على جميع الواقفين على تاريخ اتفاق ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ الذى بموجب نصوصه أوجدت للسودان حالة سياسية خاصة . وذلك أن حكومته شكلت لغرض صريح وهو انقاذ السودان — وبناء على ذلك انقاذ مصر — عند حكمها تلك المديريات من جميع تلك الأوضاع الدولية المعرقلة التى لها النصيب الاوفر فى تعقيد الادارة فى مصر ، ولولا هذا الاعتبار لما

كان لرفع الراية البريطانية على الخرطوم — من وجهة النظر البريطانية — من سبب أدعى إلى رفعها على اسوان أو طنطا

وفوق كل ما تقدم كيف كان بالامكان أن يشرك اتفاق ١٨٩٩ انكلترا مع مصر فى السيادة على السودان ؟ فليس ارسال بعض الجنود الذين لم يتجاوز عددهم الألفين ولا انفاق بعض المال القليل مما يسوغ مثل هذه الشركة . فاذا كان العون الاختيارى يخول من ذاته حقا ما ، فان الواجب أن يكون لمصر حق فى سوريا وفلسطين لأنه بفضل رجال مصر وسككها الحديدية وموانيها وامدادها الجيش الانكليزى بالأكل والماء والمعدات من كل نوع سهل فتح تلك البلاد وانفقت مصر أكثر من أربعة ملايين جنيه من المال فوق الفرق فى أثمان ما جمعه الجيش الانكليزى حتى ان هذا الفرق بلغ فى القطن وحده الملايين دون حسبان الحبوب من كل صنف والمواشى التى نقصت الثلث مدة الحرب

وقد اعترف المارشال اللنبى بقيمة المساعدة المصرية ابان حملة فلسطين وسوريا وورد فى تقرير اللورد ملنر قوله « ليس من العدل الا ان نذكر الخدمات التى اداها فيلق المتطوعة المصرية فان قيمتها كانت فوق التقدير ، ولم تكن عنها مندوحة لفتح فلسطين »

انه كان لمصر على انكلترا دين أدبى لتساعدها على استعادة السودان . أو لم يكن اخلاء السودان بفعل ضغطها على مصر ؟ ألم تكن انكلترا بمثابة القيمة على مصر ؟

فقد قال السير ادوارد غراى أمام مجلس النواب الانكليزى فى ٢٨ مارس ١٨٩٥ « ان انكلترا تشغل من وجهة الدفاع عن مصالح مصر المركز الخاص للقيم ، فمطالب مصر لم نسلم بها نحن وحدنا بل سلمت بها أيضاً وأثبتتها كل الثبوت الحكومة الفرنساوية »

* * *

وفضلا عن أن النيل هو رباط الحياة بين القطرين ، فان هناك اعتبارات اقتصادية تربط السودان بمصر

فالسودان بلاد لا تزال بكرا وتجارته معدة للنمو وحاصلاته للزيادة بسرعة نظراً لسعة أراضيه وخصبها . فاذا كان له منفذ الى البحر فى پور سودان فان هذا الميناء لايستطيع وحده تصريف تجارة هذه البلد عند ما تنال بعض التقدم

وفى مصر سيمر دائماً شطر كبير من بضائع السودان ، لاسيما اذا بدت المزاحمة

فى تجارة تلك البلاد فانه حينئذ تفضل الطريق الأخصر . وأكبر شطر من اتجار السودان هو الآن مع مصر . وسيظل دائماً كذلك ومصر هى فى العالم من البلاد التى يزدحم سكانها وهؤلاء السكان يزيدون زيادة سريعة وقد أخذت أرضها تعجز عن أن تكفى هؤلاء السكان وبعد بضع سنين تصبح هذه المسألة من المسائل الاجتماعية المتحرجة التى يقضى على السلالة الآتية حلها ، فليس فى الأرض مكان معد بذاته لقبول زيادة السكان فى مصر غير السودان فهو بلاد متاخمة لمصر وبلاد زراعية بحتة ومتصلة بمصر بروابط من كل نوع

ومن جهة أخرى ان من المبدأ المسلم به من الجميع الآن والذى كان مرشداً وهادياً لسياسة الانسانية بعد الحرب الكبرى مبدأ الجنسية المنحصر فى تأليف وحدات سياسية من الطوائف المتجمعة اذا كانت من عنصر واحد . وهذا المبدأ ينطبق على مصر والسودان لأن غالبية السودان من العنصر العربى يتكلم لغة المصريين وله دين غالبيتهم ومتخلق بأخلاقهم

بحث فى حالة السودان السياسية

بقلم صاحب الدولة حسين رشدى باشا

— ٢ —

أن اتفاق ١٨٩٩ — بين الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية — هو اتفاق فى نظر المصريين باطل وفى نظر الانكليز صحيح ترتبط مصر بأحكامه

وتستند حجة المصريين فى بطلانه إلى أن تركيا لم تقر ذلك الاتفاق . ثم يزيدون على ما تقدم : أن مصر ذاتها لم تقره برضاها ولم تسلم به إلا مكرهة مقسورة بقوة انكلترا .

ويرد الانكليز على هذه الحجة بأن اتفاق ١٨٩٩ يربط مصر لأنها وقعته وان لم تكن تركيا قد سلمت به . اما مسألة عدم تسليم تركيا فكل ما يقال فيه من الوجهة المصرية ان مصر تعاقدت على ملك الغير وفى هذه الحالة لايكون للمغتصب أى مصر حق انكار عقد التعاهد بل ان هذا الحق لصاحب الحق المغتصب وهى

تركيا . ويزيد فى نقصان تمسك مصر ببطلان اتفاق ١٨٩٩ ان عقد الاغتصاب الذى وقعته قد تأيد بعدول تركيا عن ادعاء أى حق لها على مصر

واذا كانت معاهدة سيفر لاتزال قيد التعديل فأن من المأثور أن التعديل المطلوب فيها يرمى الى وجوه اخرى غير ذلك العدول عن حقها فى مصر ، وهو العدول الذى صار نهائياً

اما الزعم بانفلات مصر من روابط اتفاق ١٨٩٩ بحجة أن رضاها به كان مشوباً ومشوهاً بقوة الاكراه من جانب انجلترا إكراهاً لم يكن بالامكان دفعه ، فهو ملابسة بين مبادىء الحق المدنى ومبادىء الحق العام . وهذه معاهدات الصلح التى اكره المغلوبون على توقيعها بقوة الحديد والنار هل يجوز لهؤلاء ألا يحترموا أحكامها ؟

والذى نعتقده نحن ان اتفاق ١٧٩٩ لايربط مصر للاسباب الآتية :

ان السبب الذى دعا إلى ابرام هذه الاتفاق هو الاهتمام بمنع تنفيذ الامتيازات فى السودان ووقاية مصر ولو فى هذا الشطر من الأراضى المصرية من مساس نظام الامتيازات بسيادتها

فهذا الاتفاق اذن قد عقد لمصلحة مصر لا لمصلحة انكلترا ، وفى الواقع ان انكلترا لم يكن لها فى ذاك الحين أية مصلحة خاصة من وراء ذلك الاتفاق لأنها كانت تحكم مصر ذاتها

فأية حاجة كانت بها لأن تبرم مع مصر اتفاقا يخولها ادارة السودان ؟ فهل هى كانت تلقى من الحكومة المصرية مقاومة لا ترد وهى التى استطاعت ان تكره حكومة مصر على اخلاء السودان رغم ارادتها . لو أنها طلبت من الحكومة المصرية بقطع النظر عن كل اتفاق – وأمامنا السابقة فى مسئلة غوردون – ان تسلم حكم السودان الى حاكم عام حتى ولو كان انكليزيا تختاره انكلترا وله السلطة المخولة الآن للحاكم العام ؟ ؟ سؤال لا يجاب عليه بغير « لا »

ان تلغراف غرانفيل المشهور جعل للمشورة الانكليزية صبغة الأمر ، وجعل موقف الحكومة المصرية بين أمرين : أما الخضوع ، واما الاستعفاء

وكما أنه ليس مايمنع أى شخص تعاقد مع آخر على مصلحة له من أن يتنازل عن تلك المصلحة ، فكذلك مصر لا يمنعها مانع قانوناً عن أن تعدل عن اتفاق ١٨٩٩ اذا هى ارتضت أن تتحمل فى السودان نظام الامتيازات أو أى نظام يقوم مقامه

وهذا اللورد كرومر يعترف صريحاً بتقريره عن الاتفاق بأن الغرض الوحيد منه هو انقاذ مصر فى السودان من عراقيل الامتيازات . نعم انه أضاف إلى هذا الغرض غرضاً آخر جعله فى المقام الأول وهو ضمانة الادارة الحسنة لأهالى السودان ولكن هذا لاينقض بوجه من الوجوه مذهبنا

هل النظام الاساسى النافذ فى السودان بمقتضى اتفاق سنة ١٨٩٩ أو بعبارة أخرى هل الحكم الانكليزى المصرى المزدوج هناك يجعل لمصلحة السودان حقا مكتسباً تجاه مصر ؟ ! انهم اذا قالوا ذلك كان جوابنا القاطع : ليس للسودان شخصية ممتازة عن مصر . وإذا كانت له شخصية ممتازة فمصر لم تتعاقد مع السودان ولكن ماالفائدة من الوقوف أمام هذه الافتراضات ؟ فلنجابه الحقيقة وجهاً لوجه . والحقيقة هى كما قلنا أنه ليست للسودان شخصية خارجة أو منفصلة عن شخصية مصر . ومن هنا تنجم الاستحالة القانونية على السودان بأن يكتسب حقوقا تجاه مصر

لقد قلنا ونكرر هنا القول : أن اتفاق ١٨٩٩ لايربط مصر من الوجهة القانونية ولكن اذا وصلنا الى العمل نجد أن مفاوضينا سيصطدمون بمقاومة شديدة من جانب انكلترا العاضة بكل نواجذها على ذلك الاتفاق . وهذه الاموال الانكليزية قد استخدمت أو هى على وشك الاستخدام فى السودان ، ومجال العمل الواسع فى السودان ـ وهو بلاد خصبة لم تستثمر حتى الان ـ ليتجلى أمام اصحاب الاعمال من الانكليز ، وخطأ الرأى العام الانكليزى الذى يعتبر نصف السودان أن لم نقل السودان كله ملكا انكليزياً ، واهتمام الانكليز بانجاز الخط الحديدى الممتد من رأس الرجاء الصالح

هذه كلها عوامل تحمل الحكومة الانكليزية على أن تتفانى بالتمسك بذلك الاتفاق . فاذا فرضنا انا توصلنا غداً الى الاتفاق المرضى مع الانكليز على التحفظات التى وردت فى « التصريح لمصر » ولم يبق من وجه للخلاف الا على السودان ، هل يقطع مفاوضونا المفاوضات من أجل ذلك ؟ ؟

أن الجواب على هذا السؤال الخطير فى مثل هذه الحالة يكون من حق البلاد وبعبارة اخرى انه يكون من شان نواب الامة الذين تستشيرهم الحكومة . ولكن أذا هم عقدوا العزيمة على أن لايقبلوا فى المسألة هوادة فلا يجوز بحال من الاحوال إن يكون مآل الحل جعل مركز مصر ادنى من المركز الذى يكون لها حسب اقتراح خطر لنا وكان فى العزم نشره لولا حب التفادى عن ذلك الآن ولولا

تساؤلنا : اليس الافضل سياسيا الاحتفاظ بتبليغ هذا الاقتراح الى المصريين وحدهم لاسيما ممثلى الامة ونوابها وللحكومة وللمفاوضين فى المستقبل

وبمناسبة ذكر التحفظات الانكليزية غير مسألة السودان نذكر عرضا أن لجنة الدستور الفرعية قد أزالت كل سبب كان يدعو الى وجود واحد من تلك التحفظات وهو تحفظ ، يمس مساساً خطيراً بالاستقلال ، لان اقل مايرمى اليه تثبيت سيادة انجلترا على مصر — ونعنى بذلك : التحفظ الخاص بحماية الاقليات

فان تلك اللجنة — اذا صح مالدينا من المعلومات — قد قررت ان تدمج فى الدستور المصرى المبادىء المسماة « بضمانات الاقليات » واعلنت عدم امكان المساس بتلك المبادىء . فحماية الاقليات تكون مضمونة فى نظام البلاد الاساسى والغرض الذى يرمى اليه التحفظ المحكى عنه قد اصبح محققا . وسيكون المفوضون المصريون والحالة هذه فى أحسن مركز لابعاد هذا التحفظ الممقوت ابعادا تاماً لاسيما وانه يعد مطلبا جديدا من جانب الانجليز لاننا نعرف من مصدر موثوق به أنه لم يصدر مطلقا من المفوضين الانجليز فى خلال مفاوضات الصيف الماضى ما يؤخذ منه طلب اعتراف مصر لانجلترا بحق حماية الاقليات بمصر » أه



معمل أبحاث سير لى ستاك باشا ، الذى أنشىء بالخرطوم تخليداً لذكراه

الفصل السادس

بعد استعادة السودان

منشور الحاكم العام لخاصة السودان وعامتهم

« الحمد لله المحيط علماً بكل شيء وبعد فان سمو الأمير خديوى مصر « عباس باشا حلمى الثانى » حرسه الله قد اختارنى لأن أكون سردار آ لجيشه وحاكماً عاماً للاقطار السودانية بعد اتفاقه مع دولة بريطانيا العظمى على ذلك فعهد إلى فى رئاسة الجيش وإدارة شؤون السودان وساكنيه فلبيت الدعوة الشريفة وحمدت الله على حسن عنايته والأمير على حسن ظنه وجميل ثقته وعاهدت الخالق الذى بيده نفسى ونفوسكم أن أراقبه فيكم وأنصح فى خدمة الأمير ولا أترك باباً يأتيكم منه الخير إلا فتحته ولا منفذاً يأتيكم منه الشر إلا سددته وأن أشيد بيدى أركان العدل بينكم وأنشر لواء الانصاف فوق رؤوسكم وأسأل الله أن يلهمنى الصواب فى أعمالى ويعصمنى من الخطأ والزلل ويرشدنى إلى انتقاء الأمناء من العمال والحكام لتتم رغائبى فى الاصلاح ورغائبكم فى النجاح

ولما كان من الفروض الأولية أن أبلغكم أرادتى وأنشر بينكم رغبتى عمدت إلى إذاعة هذا المنشور فجعلته باكورة أعمالى لتعلموا منه الغرض الذى أرمى إليه والطريق التى أريد أن تسلكوا فيها

اعلموا أن أساس الملك هو العدل ولهذا لم تقم للسودان قائمة لأن ملكه تأسس على الجور والاعتساف واغتصاب الحقوق وظلم الرعية وانحراف الحكام عن جادة العدل وأتباعهم طرق الغواية والضلال وعدم مراقبة الله وترك الرفق بالعمل

فأراد الله أن يسبغ عليكم رحمته بعد ذلك العذاب فأزال أولئك الظلام ومحا أثرهم وقوض ملكهم فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وخلف بعدهم رجالا ملأ قلوبهم رفقا وعدلا وهم حكامكم الآن . فاخلصوا لهم الطاعة ليخلصوا لكم العمل وتيقنوا أنكم كالجسد وهم كالرأس فلا يصلح الجسد إلا بصلاح الرأس ولا يصلح الرأس إلا بصلاح الجسد

ولقد صرفت عنايتى إلى انتخاب الحكام الأكفاء وأمرتهم بالرفق وتنفيذ الأوامر العادلة التى أصدرها لخيركم وخير بلادكم فعليكم بطاعتهم لأن طاعتهم هى طاعتى ، ومن عصاهم فقد عصانى ومن عصانى فقد عصى أولى الأمر ومن فعل ذلك فقد أغضب الله

وإنى أشهد الله أن من رأيت به اعوجاجاً من هؤلاء الحكام قومته بسيف العدل . كما أنى أشهد الله أن من رأيته منكم مخالفاً أو مخاصما من غير حق رميت به إلى أقصى درجات العقاب ليصلح الرأس والجسد معاً

وقد بدأت بتشييد مساجدكم واقامة شعائر دينكم المقدسة وتسهيل طريق الحج إلى بيت الله الحرام . بعد أن حال بينكم وبينه أولئك الطغاة العصاة الذين استأصل الله شأفتهم

فاذا تم ذلك عمدت إلى التجارة فأوسعت لكم ميدانها وأجريت لكم سيول خيراتها وأرضعتكم لبانة ربحها وفعلت كل ماتسمح به حالة الحكومة من تعديل ضرائبها وضرائب الأطيان وأجر النقل فى السكك الحديدية والمراسلات البريدية والتلغرافية هذا مع السعى فى توسيع نطاق ثروتكم ارتعوا فى بحبوحة الراحة والأمن وتذوقوا حلاوة العدل وتنسوا مرارة الظلم السابق

فايا كم ومخالفتى ومخالفة حكامكم واعلموا أنى بقدر ما أكون شفوقا لينا مع ذى الاستقامة منكم أكون صارماً شديداً على من يخالف أوامرى ويعمل على إبطالها

فطهروا قلوبكم وأخلصوا سرائركم وضعوا ثقتكم بى وبالحكام الذين وليتهم عليكم وأنزعوا من نفوسكم الغل والضغائن وأنبذوا كل من كان مفسداً للعقائد عاملا على خراب البلاد مثيراً للفتن مسبباً للقلاقل فلقد بينت لكم طريق الهدى

والله المسؤول أن يكون لى عونا على تنفيذ إرادة سمو الخديوى المعظم وأن يمتعكم بالراحة والأمن والسعادة فى ظل سموه . هذا وقد صفحت الحكومتان المصرية والانكليزية وصفح سموه وصفحت عن سالف أعمالكم . فلا تؤاخذكم بما فات . ولى الأمل أن لايفرط منكم بعد مافرط من قبل والسلام

تحريراً فى أم درمان فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٠ (ونجت)
الموافق ٢٨ شوال سنة ١٣١٧ سردار الجيش المصرى
وحاكم السودان العام

الموظفون بعد استعادة السودان

جعل كبار الموظفين ورؤساء المصالح والقضاة المدنيون والمديرون والمفتشون من الانجليز .

وعين نفر من السوريين والمصريين فى وظائف الترجمة والحسابات والسكرتاريات ووظائف الكتاب والباشكتاب أمثال سعيد شقير بك « باشا » مدير حسابات السودان وطنوس شحادة فى إدارة المخابرات ورفائيل خليل وامين حداد وفرج شحادة ودلين زلال وسليم مشعلانى وسليم شميل وصموئيل عطية « بك » ونجيب كاتبة ونسيب فيليبيدس

ومن الأقباط شاهين جرجس بك سكرتير عربى السردار وروفائيل خليل وواصف جرجس وقديس عبد الملك

ومن المسلمين : الشيخ محمد شاكر قاضى قضاة السودان والشيخ محمد هارون مفتش المحاكم الشرعية واحمد هدايت سكرتير مدير المعارف بالخرطوم

حادث الحدود بين الخديو وكتشنر باشا

اشتهر حادث سياسى خطير باسم حادث الحدود ونذكره فيما يلى :

كان الخديوى عباس حلمى الثانى يثق بالمرحوم محمد ماهر باشا وكيل الحربية وقتئذ وهو والد معالى على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى والدكتور محمود ماهر بك والدكتور أحمد ماهر عضو الوفد المصرى والدكتور أمين ماهر ، ثقة كبرى لحبه للوطن حباً جما . وكان هذا الحب يحمله على التألم من كل حادث يقع فى الحربية يخالف مصلحة النظام العسكرى . وكان كثير الاجتماع يومئذ بالخديوى . ثم أن الخديو كان يجهر بانتقاداته فى كل مايراه مخالفا لمصلحة البلاد سواء فى شئون الحربية أم غيرها . وفى ذات ليلة قال الخديو على مائدة الطعام « سيرى السردار منى درساً قاسياً فى الحدود » . فوشى به أحد الذين حضروا تناول الطعام على المائدة الخديوية عند كتشنر باشا سردار الجيش فى ذاك الوقت .

فدبر الانكليز أمرهم وانتظروا ما يأتى به الغد القريب لاسيما وأن الخديو كان عازما على زيارة الحدود وتفقد فرق الجيش المصرى هناك .

وفى مساء يوم ٩ يناير سنة ١٨٩٤ سافر الخديو عباس وفى معيته المرحوم ماهر باشا الذى كان الانكليز يعدونه عدوا لهم . وهناك استعرض الجنود وأبدى

ملاحظته على مارآه بالأورطة الثانية على مسمع من الضباط الانكليز مما جعل كتشنر باشا يبلغ الخديوى بأن الضباط الانكليز متذمرون من هذه الملاحظات العلنية على بعضهم ويعدونها أهانة لهم جميعا وأنهم عازمون على الاستقالة ولا يسعه إلا عرض الأمر على قائد جيش الاحتلال والمعتمد الانكليزى فى مصر . فأفهمه الخديو أن مالاحظه على الجيش المصرى هو حق له وأن هؤلاء الضباط ليسوا فى خدمته غير ضباط مصريين ، وأنه لم يرد إهانة ضباط انجليز قط . فتظاهر كتشنر باشا امام الخديو بالاقتناع وبعدول الضباط عن الاستقالة وبعدم إبلاغ هذه الحادثة إلى المعتمد الانكليزى وقائد جيش الاحتلال . وعندئذ لم يهتم الخديو بتبليغ حكومته ما جرى بينه وبين السردار . ولكن هذا كان قد أبلغها إلى المعتمد الانكليزى الذى تحادث مع وزارة الخارجية . ولم يشعر المرحوم رياض باشا رئيس الوزارة الذى لم يحط علما بالأمر - إلا والمعتمد الانكليزى قد جاء بمطالب ثلاثة :

١ — ترضية الجناب العالى الخديوى للضباط الانكليز ترضية رسمية بثنائه على نظام الجيش وضباطه قبل وصوله إلى العاصمة.

٢ — عزل ماهر باشا من وكالة الحربية حالا

٣ — اعتبار الضباط الانكليز الذين فى الجيش المصرى تابعين لجيش الاحتلال وأن تناط الملاحظات عليهم بالقائد العام لذلك الجيش .

بوغت رياض باشا بهذه المطالب التى أصر بومئذ السير افلن بارنج على اجابتها بلا تحوير وقبل وصول الخديو إلى العاصمة . فما كان من المرحوم رياض باشا إلا أن أرسل تلغرافا إلى الخديو يستفسره عن الحادثة . فأخبره الخديو بأنه لم يحدث حدث يوجب السؤال والانشغال . ولكنه نظرا لأصرار المعتمد الانكليزى على إجابة مطالبه ، وخشية تعقد المسألة ووصول الخديو إلى العاصمة قبل حلها ، لم يسع رياض باشا إلا أن يبرح القاهرة ومعه حضرات النظار ما عدا تكران باشا ناظر الخارجية لمقابلة الخديو فى عودته فلقوه فى بندر جرجا فركبوا فى معيته عائدين إلى العاصمة . وكانت المخابرات بين رئيس النظار وناظر الخارجية تلغرافيا بين كل محطة وأخرى . وفى ذاك الوقت كان ناظر الخارجية يراجع المعتمد الانكليزى فى تحوير تلك المطالب حتى وصل الركاب إلى مدينة الفيوم وفى هذه المدينة أعلن الخديو أنه راض عن نظام الجيش بأمر عسكرى هذا نصه :

خطاب من الجناب الخديوى الى السردار بخلفا

مدينة الفيوم فى ٢٦ يناير سنة ١٨٩٤

« قبل أن أبارح الوجه القبلى عائدا إلى مصر يهمنى أن أكرر عظيم اهتمامى ووافر انعطافى نحو الجيش المصرى الذى تفقدته فى الحدود . ويهمنى كذلك أن أثبت عظيم الامتنان الذى قد عبرت لك عنه من قبل بشأن حسن نظامه وترتيبه ويروقنى أن أهنىء الضباط سواء المصريين والانكليز الذين يقودونه وأن أشاهد الخدم التى أداها الضباط الانكليز فى جيشى وأرجوك ياسردار أن تبلغ هذا للضباط والجنود . »

« عباس حلمى »

وبهذا قد أجيب الطلب الأول من المطالب الثلاثة . أما الطلب الثانى المتعلق بعزل المرحوم ماهر باشا فقد عدل بنقله من وظيفته إلى محافظ عموم القنال مع حفظ مرتبه الذى كان يتقاضاه فى وكالة الحربية . وقد رفض الطلب الثالث وهو أمرة جيش الاحتلال على الجيش المصرى ، رفضا باتا

قضية التلغرافات

منذ زمان بعيد تشهد مصر قضايا سياسية هامة ، يتتبعها الرأى العام فى شوق واهتمام . من هذه القضايا قضية اشتهرت باسم « قضية التلغرافات » والأصل فيها أنه كانت الحملة المصرية على السودان بقيادة السردار كتشنر باشا ، وكان الاهتمام بأنباء الحملة عظيما . وكانت جريدة « المؤيد » معدودة يومئذ الجريدة الوطنية الحرة الجريئة ، التى تحارب الاحتلال الانجليزى وتقود المعارضة . وكان صاحبها ورئيس تحريرها المغفور له السيد على يوسف — شابا أزهريا عصاميا طامحا يلتهب وطنية وجرأة — يكتب مقالات ، عبروا عنها بأنها « تفعل فى النفوس فعل السحر وتسرى فيها مسرى الكهرباء » ويجب أن نعرف حالة الرأى العام المصرى يومئذ ، فقد كان غير راض عن سفر الحملة واشتراك الجنود الانجليزية فيها لاستعادة السودان على الصورة التى أعيد بها ووضعت خطتها يومئذ . وكان هم « المؤيد » أن ينشر أنباء الحملة على السودان ، بينما كانت تعد أنباؤها من المسائل السرية التى لايكاشف بها الجمهور إلا بمقدار . وكان الجمهور متلهفا على أخبارها ، وكان بين الموظفين من تدفعه وطنيته إلى نقل الأخبار الرسمية إلى « المؤيد » مساعدة له على

مهمته الصحيفة والوطنية ، وكان مخبرو « مندوبو » المؤيد ممنوعين من دخول وزارة الحربية ومن مرافقة الحملة ، بينما سمح لجرائد أخرى بمرافقة مندوبيها للحملة

وقد حدث فى يوم ٢٦ يولية سنة ١٨٩٦ أن ورد من السردار كتشنر باشا تلغراف على مكتب تلغراف الأزبكية إلى ناظر « وزير » الحربية ، وأن موظفا بالمكتب اسمه « توفيق كيرلس افندى » ، أتهم بنقل نسخة من هذا التلغراف ، وكان بالفرنسية ، وكان عدد كلماته ٥٦٦ . وقد وجه هذا الاتهام اليه بعد أن وصلت النسخة



السيد على يوسف « باشا » مؤسس جريدة
المؤيد وسيد السادات الوفائية المتوفى فى ٢٥
أكتوبر سنة ١٩١٣

إلى جريدة المؤيد ، وكان من محرريها يومئذ حضرة الاستاذ محمد مسعود الكاتب المعروف والصحفى القديم وكان يتولى ترجمة التلغرافات . فسلم إليه صاحب المؤيد هذا التلغراف فترجمه ونشره فى جريدة « المؤيد » بعددها الصادر بتاريخ ٢٨ يولية سنة ١٨٩٦ . وفى يوم ٢٩ يولية سنة ١٨٩٦ ، اطلع وزير الحربية على الترجمة المنشورة فى « المؤيد » للتلغراف المذكور . فدهش أيما دهشة وكانت قراءته للجريدة عند تأهبه للخروج من منزله إلى مكتبه بالحربية ، فلما وصل إليه بحث عن التلغراف فى الوزارة فاحضر إليه . فعلم أن التلغراف لم يسرق ، ثم تأكد أنه لم

تصل إليه يد إنسان آخر بعد وصوله إلى الحربية ، ثم عهد إلى ملحم شكور بك من موظفى الحربية باماطة اللثام عن كيفية وصول هذا التلغراف إلى جريدة « المؤيد » فتوجه شكور بك إلى مكتب تلغراف الأزبكية لمعرفة الحقيقة ، ولكنه لم يصل إلى نتيجة . وحفظت القضية .

وكان بين « المؤيد » ، وجريدة « المقطم » حرب قلمية وكان « المؤيد » يتهم « المقطم » بأنه مؤيد للاحتلال الانجليزى وخادم له ،وبعد أن حفظ التحقيق ، كتب « المقطم » مقالات يدعو فيها الحكومة إلى محاكمة صاحب « المؤيد » متهماً إياه بأنه قد اشترك فى افشاء سرية التلغراف بنشره ، ففتح باب التحقيق مرة ثانية .

واتهمت النيابة العمومية كيرلس افندى والشيخ على يوسف صاحب المؤيد . بان المتهم الاول قد أفشا تلغرافيا سرياورد على مكتب تلغراف الأزبكية فى يوم ٢٦ يوليه سنة ١٨٩٦ من سردار الحملة المصرية بالسودان ، إلى ناظر الحربية . وأن المتهم الثانى قد اشترك فى افشاء سرية هذا التلغراف بأن نشره فى العدد الصادر من جريدة المؤيد بتاريخ ٢٩ يوليه سنة ١٨٩٦ فى حين أنه لم يطلع عليه أحد غير عمال التلغراف وناظر الحربية

وطلبت محاكمتهما بالمادة ١٤٥ من قانون العقوبات . وعد صاحب المؤيد مشتركا مع المتهم الأصلى بمقتضى الفقرة الثانية من مادة « ٦٨ » من القانون المذكور وأحالتهم الى جلسة الجنح بمحكمة عابدين الجزئية الاهلية التى انعقدت فى يوم الاربعاء ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٦

ومما يذكر فى صدد هذه القضية المشهورة أن التلغراف كان يحتوى على ٥٦٦ كلمة وأن شهودها بلغ عددهم ٢٧ شاهدا بينهم ناظر الحربية وملحم شكور بك والمسيو ولد ملاحظ مكتب تلغراف الازبكية وغيرهم من كبار الموظفين وصغارهم وكان بينهم الصحفى الجرىء المرحوم نجيب هاشم « مخبراً » بجريدة المؤيد ، والدكتور فارس نمر واسكندر شنودة ، واسكندر تادرس ونجيب راضى

وقد اهتم الجمهور بهذه القضية ايما اهتمام فى أثناء المحاكمة فقد كانت المحكمة غاصة بجماهير غفيرة بينها نفر من عظماء الأمة . ولما كانت الساعة الثامنة صباحا من اليوم المحدد للمحاكمة انعقدت الجلسة برياسة حضرة القاضى محمود بك خيرت وعلى افندى توفيق وكيل النيابة المنتدب . أما الدفاع فكان مؤلفا من الاستاذين ابراهيم الهلباوى بك محاميا عن توفيق افندى كيرلس والسيد احمد بك الحسينى محامياً عن صاحب المؤيد

ثم طلب الدفاع تأجيل القضية للاطلاع ونسخ الاوراق استعداداً للمرافعة لأن

أوراق القضية لم تحول إلى المحكمة إلا قبل الجلسة بثلاثة أيام فقط مما جعل الدفاع لم يتمكن من الاستعداد للمرافعة : فأجلت القضية الى يوم الاربعاء الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٨٩٦ . وفى هذه الجلسة سمعت المحكمة أقوال المتهمين ، وشهادة الشهود ومرافعة النيابة والدفاع . ورد الدفاع على مرافعة النيابة . وفى الساعة السادسة من مساء يوم الخميس ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦ أصدر حضرة القاضى حكمه فى الجلسة بحبس توفيق افندى كيرلس ثلاثة اشهر بناء على افشائه تلغراف السردار وبراءة ذمته من تهمة افشاء تلغراف للمقطم وبتحمله ربع مصاريف الدعوى وبراءة ساحة صاحب المؤيد من التهمتين لعدم وجود أدنى دليل على ثبوت إحداهما ضده .

ولقد علقت معظم جرائد الشرق والغرب على هذه القضية الغريبة وتناولها البرلمان الانجليزى بالمناقشة .

الكشاف والكشوفية فى النوبة

جاء فى ص ٧٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب أنه قد حكم بعض أقاليم السودان دولة من الكشاف . وبعد إعادة السودان ظل فى النوبة أشخاص يعرفون بهذا الاسم . وقد ذكر حضرة الأستاذ محمد رمزى بك أن : لكلمة « الكاشف » جملة معان . فقد كانت تطلق قديما على « حاكم » الأقليم ويقابلها فى وقتنا الحاضر « مدير » فكان يقال للحاكم « كاشف » وللاقليم — كشوفية — كما يقال اليوم للحاكم الادارى فى الأقاليم مدير وللاقليم الذى يديره مديرية

وكانت مصر فى عهد دولة المماليك مقسمة إلى أعمال - مديريات - وكان فيها كشوفيات وهى كشوفية الاسكندرية وكشوفية الوجه البحرى ومقرها مدينة دمنهور وكشوفية الوجه القبلى ومقرها مدينة أسيوط ثم جعلت هذه الكشوفيات فى عهد دولة المماليك البرجية نيابات مفردها نيابة

ولما تولى العثمانيون حكم مصر قسموها إلى كشوفيات وجعلوا على رأس كل كشوفية - مديرية - كاشفا « مديرا »

ولما كانت بلاد النوبة السفلى مركز الدر ما بين الشلال الأول والثانى بعيدة عن البلاد المصرية وقريبة من الحدود السودانية ويتعذر على كاشف قوص — مدير قنا — ان يلاحظ أعمال ذلك الاقليم علاوة على أعمال كشوفيته . فقد جعلت بلاد النوبة السفلى كشوفية قائمة بذاتها يرأسها كاشف وكان مقرها ناحية الدر والديوان وفى سنة ١٥٢٠ م عين حسن قوسى الجركسى كاشفا على بلاد النوبة . وتولى

الكشوفة بعده ولده ثم ولد ولده وذريتهم فصاروا يتوارثون الوظيفة إلى أيام حكم الخديوى اسماعيل حيث أصبحت بلاد النوبة قسما من أقسام مديرية اسنا . فعين لهذا القسم ناظرا أسوة بأقسام المديريات . فالاشخاص الذين يحملون إلى اليوم لقب كاشف هم من ذرية حسن كاشف المذكور .

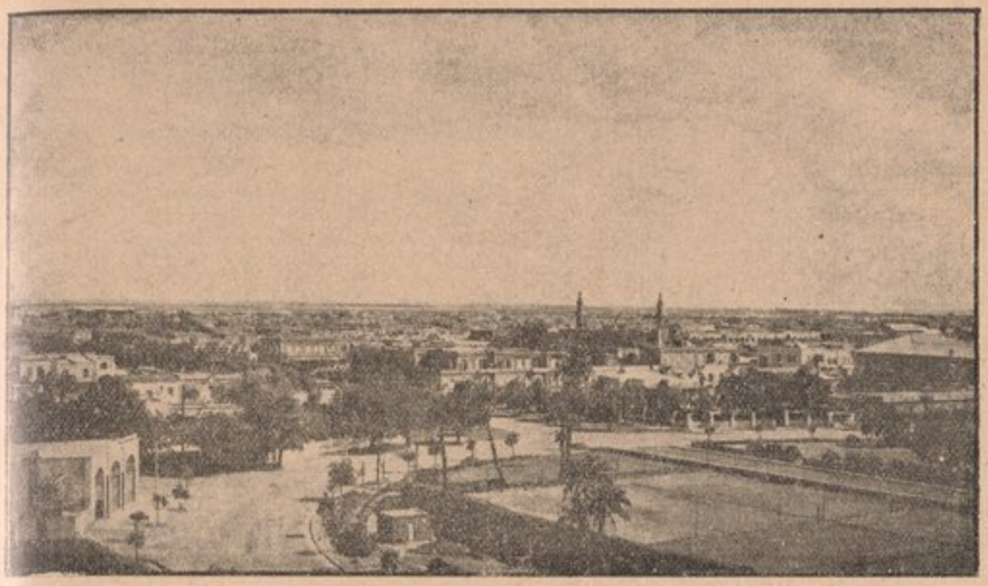

مدينة الخرطوم

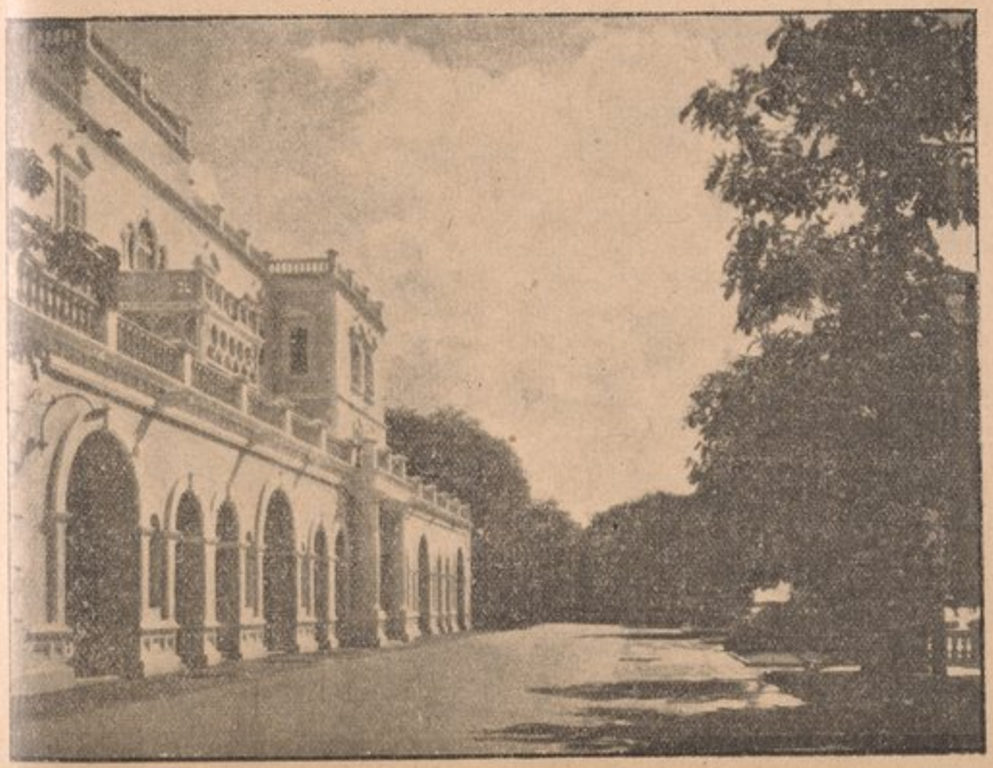

كازينو الخرطوم

الفصل السابع

السودان بعد اتفاق ١٨٩٩

نفذ اتفاق ١٨٩٩ ، فظل تعيين الحاكم العام للسودان وهو فى الوقت نفسه سردار الجيش المصرى بترشيح الحكومة البريطانية وباختيارها وبموافقة الحكومة المصرية واستصدارها أمر عال أو مرسوم ملكى . ولو أن الاتفاق لم يشترط أن يكون الحاكم العام بريطانيا إلا أنه كان بريطانيادائما ، وهذا ظاهر من كيفية إعادة السودان بقيادة انجليزية ومن أن الحكومة البريطانية هى التى ترشح وتختار الحاكم العام . كذلك كان تعيين رؤساء المصالح والمديرين والمحافظين من البريطانيين . وكان الضباط المصريون فى الجيش المصرى يندبون فى وظائف المأمورين وقليل منهم فى وظائف المفتشين ، والوظائف المتوسطة كالقضاة ورؤساء الأقلام والوظائف الكتابية موزعة بين الانجليز والمصريين والسوريين والسودانيين وبعض الأجانب

مجلس الحاكم العام أو الدستور السودانى

بمقتضى اتفاق سنة ١٨٩٩ المبرم بين الحكومتين المصرية والانجليزية لنظام الحكم فى السودان ، للحاكم العام للسودان سلطة مطلقة تشريعية وإدارية

ولكن قيدت هذه السلطة منذ يناير سنة ١٩١٠ بانشاء «مجلس الحاكم العام(١)» وهو يتألف برياسة الحاكم العام وعضوية : القائد العام لقوة الدفاع ، والسكرتير القضائى ، والسكرتير الادارى ، والسكرتير المالى — وهؤلاء أعضاء بمقتضى قانون أى بمقتضى وظائفهم

وهناك أعضاء بمقتضى أوامر تصدر من الحاكم العام لأشخاص معينين ، والأعضاء الذين صدرت أوامر بتعيينهم هم : مدير المعارف ، ومدير الأشغال ، ومدير المصلحة الطبية ، ومدير الأمور الاقتصادية

اختصاص المجلس : هو الميزانية — التصديق على القوانين — المشروعات العمومية — التنقلات الكبيرة والصغيرة — السلطة التشريعية والتنفيذية

وكانت المسائل المتقدمة تصدر بتوقيع « الحاكم العام » . ومنذ أنشىء مجلس

(١) بناء على اقتراح سير غورست المعتمد البريطاني فى مصر فى تقريره سنة ١٩٠٩

« الحاكم العام » ، أصبحت تصدر بتوقيع « الحاكم العام بمجلسه »

وأعضاء هذا المجلس كما هو ظاهر - من الموظفين البريطانيين فى حكومة السودان ولم يجلس فيه من غير البريطانيين رودولف سلاتين باشا ، المفتش العام لحكومة السودان سابقا وكان نمساويا برتبة اللواء فى الجيش المصرى ، وقد أحيل الى المعاش سنة ١٨٩٨ فى عهد اللورد كتشنر باشا وأعيد الى خدمة حكومة السودان فى عهد ونجت باشا . وكان هناك منصب يسمى « نائب الحاكم العام » وقد شغله سلاطين باشا إلى سنة ١٩١٤ . وقد الغى هذا المنصب . وفى غياب الحاكم العام عن منصبه فى السودان فى الاجازة ونحوها يعين أقدم عضو فى مجلس الحاكم العام نائبا له ، بقرار يصدر من الحاكم العام نفسه (١)

الخديوى عباس فى الخرطوم

وصل الخديوى عباس حلمى باشا إلى الخرطوم فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٠١ والقى السردار فى اليوم التالى أمام سراى الخرطوم الخطاب التالى :

مولاى سمو الخديوى المعظم



الخديو السابق عباس حلمى باشا سنة ١٩٠٥

(١) — راجع نص الأمر الصادر بتأليف مجلس الحاكم العام فى آخر هذا الفصل

« نحن سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام وصف ضباط وعساكر جيش سموكم المعظم مع الموظفين الملكيين والعلماء والعمد والمشايخ والاعيان فى السودان وعموم سكان السودان نسر بأن نقدم مع شعائر الولاء والاخلاص هذا الخطاب ترحيبا بتشريف سموكم المرة الاولى للسودان

لقد نلنا أعظم الشرف بأن سموكم تجشمتم السفر الطويل الشاق من مصر لقضاء بضعة أيام فى الخرطوم عاصمة السودان التى خربها الاشقياء الذين شقوا عصا الطاعة لحكومة سموكم بعد أن كانت عامرة زاهرة . وهى الآن تتدرج فى



الخديوي السابق عباس حلمى باشا سنة ١٩٢٩

الحضارة والعمران على مبادىء نؤمل أن ترقى بها رويدا حتى تصير عاصمة فاخرة ومركزاً مهماً لتجارة السودان . قد مضى الآن ثلاث سنين على انتشالها من يد ذلك الطاغية عبدالله التعايشى ببسالة جيش سموكم وجنود المملكة البريطانية العظمى

أما وجود سموكم بيننا فقد ملأ قلوبنا مسرة وابتهاجا ، فبالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن جميع الحاضرين هنا اليوم والغائبين عنا فى جهات السودان البعيدة الذين تمنعهم واجباتهم الهامة عن الحضور لتقديم واجب الترحيب والتعظيم لسموكم

نتمنى لسموكم حياة مديدة مقرونة بالسعادة والفخار ونسأل الله تعالى أن يبث فى أنحاء بلاد سموكم طولا وعرضا روح الفلاح والسلام »

خطاب الخديوى

« يا سعادة السردار وحاكم السودان العام ويا حضرات الضباط والعساكر والموظفين وعلماء ومشايخ وأعيان وأهالى السودان كافة :

انى أشكر لكم الخطاب الذى حييتمونى به وأؤكد لكم بأنى أعد من أعظم مسراتى رؤيتى اياكم فى هذه البلاد الشاسعة التى قربتها منا سكة الحديد العجيبة التى ملأتنى ارتياحا وابتهاجا

الآن وقد رأيت هذه البلاد عرفت الصعوبات والمشقات التى لاقاها من كانت لهم يد فى الحملات التى كانت نتيجتها محو سلطة عبد الله التعايشى واعادة العدل والراحة والسكون فى جميع أنحاء السودان

العلمان الانجليزى والمصرى اللذان يخفقان الواحد بجانب الآخر هما إشارة إلى الحكومة المشتركة التى أخذت على عاتقها حماية الأهالى من الوقوع فى شرك أهل الظلم والفساد وابتداء عصر هدو وسعادة فى هذه الديار

ولقد سرنى أيضا ما أشاهده من تقدم مدينة الخرطوم فى العمران واعتقد أنى سأحفظ لكم أحسن ذكرى لاحتفائكم بى فى هذه الزيارة الأولى وأنه ليشملنى السرور كلما سمعت بتحسين أحوالكم وتقدمكم فى الرفاهية التى أرى شواهدها بدت فى كل الأرجاء .

هذا وأنى انعم الآن بكل ارتياح ببعض النياشين على بعض كبار علماء الدين ، وسأنعم بها فيما بعد على الضباط والموظفين والأهالى الذين يعرض لى عنهم سعادة السردار والحاكم العام بناءا على التقارير السنوية التى ترد له من المديريات

ثم اكرر شكرى لاحتفائكم بى احتفاء صادراً عن حسن نية وخلوص طوية »

وقد عاد سموه إلى مصر فى ديسمبر سنة ١٩٠١

زيارة اللورد كرومر

زار اللورد كرومر السودان لأول مرة سنة ١٨٩٩ وزاره سنة ١٩٠٢ وزاره سنة ١٩٠٣ . وقد أصبحت زيارة السودان تقليدا متوارثاً يجريه كل ممثل للحكومة البريطانية فى مصر

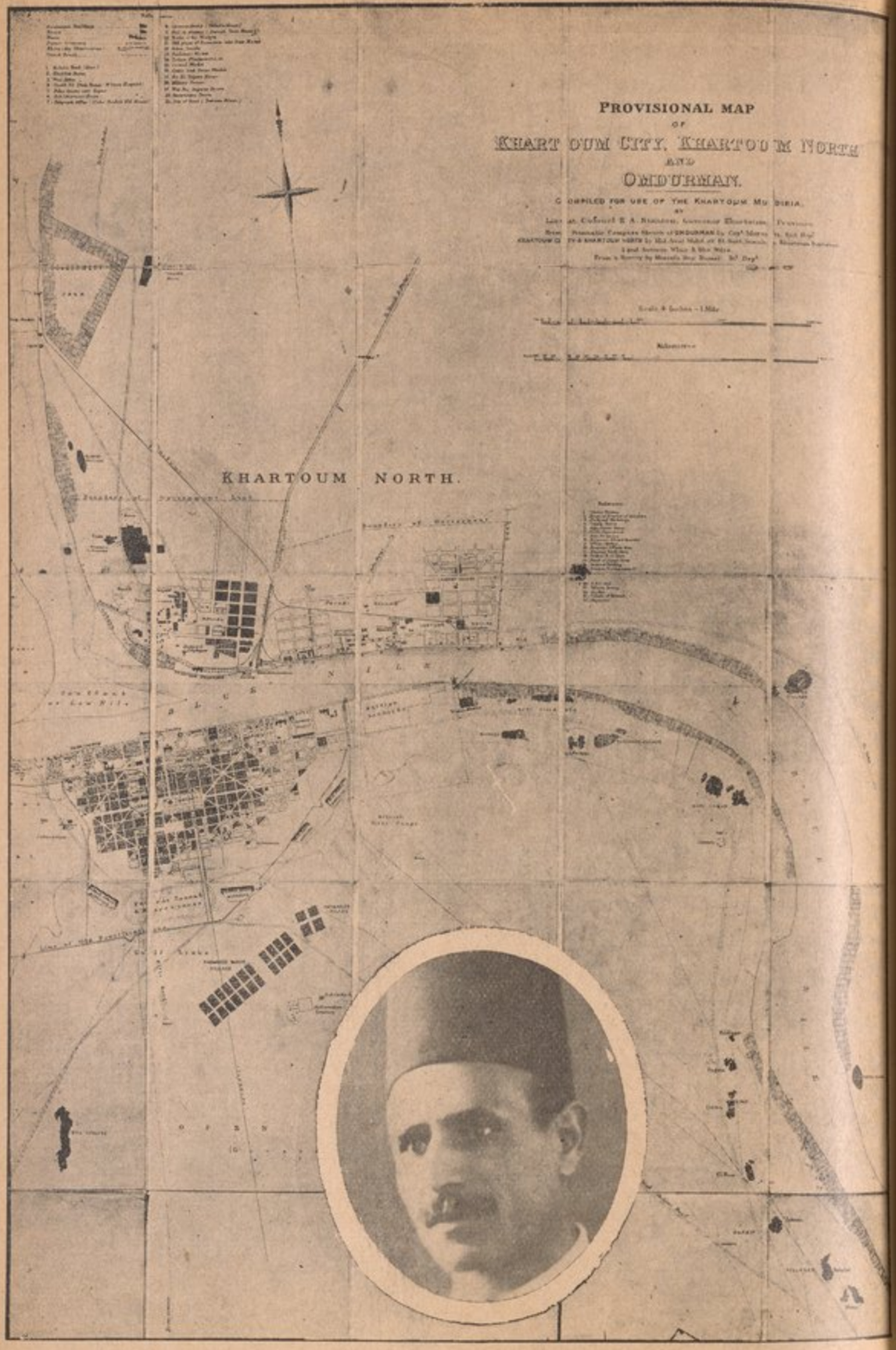

تخطيط مدينة الخرطوم بعد اعادة السودان وقد وضعها المهندس المصرى محمد السعيد سماحة بك الذى كان مأمورا لتنظيم الخرطوم يومئذ ثم مهندساً كبيرا فى مصلحة المساحة أخيرا حيث أحيل الى المعاش وترى صورته هنا

جريدة السودان

صدر العدد الاول من جريدة السودان فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٠٣ ومنحت الحكومة امتيازها إلى الدكتور فارس نمر وشريكيه أصحاب المقطم وعين خليل ثابت أفندى « بك » من خريجى المدرسة الكلية السورية محررا لها .

والاستاذ خليل ثابت هو حضرة صاحب العزة خليل ثابت بك رئيس تحرير جريدة المقطم الان

وكالة حكومة السودان

لحكومة السودان فى مصر وكالة تسمى وكالة حكومة السودان ، مركزها الان شارع توفيق

واختصاصات هذه الوكالة هى : تشجيع السياحة للسودان ـ صرف جوازات السفر اليه ـ مساعدة المهاجرين السودانيين للعودة إلى بلادهم ـ رعاية العلاقات التى بين الحكومة المصرية والحكومة السودانية من مالية وحقوقية ، والحقوقية هى تنفيذ الأحكام ـ القيام بالحسابات الجارية مع الجمارك ـ اعطاء بيانات وارشادات عن السودان

كانت وكالة حكومة السودان فى أول عهدها مندمجة مع إدارة المخابرات فى الجيش المصرى ، وكان السير ونجت باشا مديرا للمخابرات فى أثناء الحملة المصرية بقيادة اللورد كتشنر باشا لاستعادة السودان ـ وكان ونجت باشا وكيلا لحكومة السودان فى أثناء الحملة ، ولما خلف سعادته اللورد كتشنر كسردار للجيش المصرى وحاكم عام للسودان ـ عين الكونت كليخن باشا وكان لواء فى الجيش المصرى وإبن خالة الملك ادوارد السابع والد ملك الانجليز الحالى « الملك جورج الخامس » وكيلا لحكومة السودان مع إدارة المخابرات بالجيش المصرى من سنة ١٩٠١ إلى سنة ١٩٠٣ ، وقد خلفه فى منصبه اللورد إدوارد سيسيل ، وكان لواء بالجيش المصرى من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٦ ، حيث عين مستشارا لوزارة المالية المصرية وعين اللواء أوين باشا فى منصب وكيل حكومة السودان ومدير المخابرات بالجيش المصرى من سنة ١٩٠٥ إلى ١٩٠٨ . وأوين باشا كان رئيسا للجنة المصرية التى تألفت للنظر فى مسألة العقبة وكان معه الفريق ابراهيم فتحى باشا ونعوم شقير بك

وانتهت اعمال اللجنة بعقد معاهدة مع الدولة العلية التركية التى اعترفت لمصر بملكية العقبة ، ثم عين سير لى ستاك باشا بعد أوين باشا من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٢ ، وستاك باشا هو الذى سار فيما بعد سردارا للجيش المصرى وحاكما عاما للسودان وقتل فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، ثم عين الجنرال كلايتون باشا خلفا له من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٢٠ ، حيث عين مستشارا لوزارة الداخلية المصرية ، وكان يتولى منصب وكيل حكومة السودان عسكريون بريطانيون . ولكن منذ سنة ١٩٢٠ وبعد كلايتون باشا فصلت الوكالة عن قلم المخابرات ، الذى نقل إلى الخرطوم وأصبح تعيين العسكريين ليس أمرا لازما ، ثم تعين مستر مور وكيلا لحكومة السودان فى مصر « وحضرته يعمل الآن مع سعادة محمد أحمد عبود باشا فى شركة ثورنيكروفت وجياد السباق » ، وبقى حتى سنة ١٩٣١ . وفى سنة ١٩٣١ عين الكولونيل ريدار وبقى إلى سنة ١٩٣٣ ، وعين مستر « هملتون » من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٥ ، وخلفه الوكيل الحالى حضرة مستر لاش فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٥

واكثر حضراتهم يجيدوا اللغة العربية قراءة وكتابة

وعلى ذكر مسألة العقبة نقول أن إدارة سينا كانت تتبع قلم المخابرات بالجيش المصرى فى أثناء عدم وجود وزارة للخارجية المصرية

لا امتيازات فى السودان

لا توجد لحسن الحظ امتيازات للأجانب فى السودان ، وذلك أن اللورد كرومر المعتمد البريطانى الأول فى مصر عقب الاحتلال كان شديد السخط على الامتيازات الأجنبية فى مصر وظالما طفحت تقاريره بالانحاء عليها وبسرد حوادث مآسيها ووقائع ويلاتها ، وقد نص اتفاق ١٨٩٩ على عدم وجود امتيازات للاجانب

ولذا يعد جميع نزلاء السودان من أية جنسية — متساويين أمام القضاء السودانى خاضعين لقوانينه وأحكامه .

لا قنصليات فى السودان

وقد ترتب على عدم وجود امتيازات للأجانب ، أن البلاد الأجنبية التى لها رعايا فى السودان لم تنشىء قنصلية . ولذا ليس بالسودان قنصليات أجنبية

قوانين السودان

صدرت قوانين كثيرة منذ استعادة السودان حتى اليوم من الحاكم العام بمعونة السكرتير القضائى وعرضت القوانين على اللورد كرومر وعلى مجلس النظار المصرى ونشرت تباعا فى الغازيتة السودانية

الأمر الصادر بانشاء مجلس الحاكم العام [1]

ننشر فيما يلى نص الامر الصادر بانشاء مجلس الحاكم العام :

« حيث ان الوفاق المعقود فى ١٩ يناير ١٨٩٩ بين حكومة جلالة المرحومة ملكة الانكليز وحكومة سمو الجناب العالى الخديوى قد فوض الى الحاكم العام الرياسة العليا العسكرية والملكية فى السودان ومنحه الاختصاصات المبينة فيه . وحيث انه بمصادقة الحكومتين المشار اليهما قد استصوب ايجاد مجلس يشترك مع الحاكم العام فى اجراء ماله من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية

فقد صدر الامر بما هو آت :

١ — يسمى هذا القانون قانون مجلس الحاكم العام سنة ١٩١٠

٢ — ينشأ مجلس يعرف بمجلس الحاكم العام يؤلف من أعضاء قانونيين هم المفتش العام والسكرتير المالى والسكرتير القضائى والسكرتير الملكى ، ومن اعضاء اضافيين لا ينقص عددهم عن اثنين ولا يزيد على اربعة يعينهم الحاكم العام

يكون تعيين الاعضاء الاضافيين لمدة ثلاث سنين وتجوز اعادة تعيينهم واذا غاب احد الاعضاء القانونيين بالاجازة أو تعذر عليه الحضور للمرض ناب عنه فى المجلس ، الموظف الذى يقوم مقامه فى وظيفته بحكم القانون أو من طريق التناوب

واذا غاب احد الاعضاء الاضافيين أو تعذر عليه الحضور كذلك فللحاكم العام ان يعين بدله مؤقتاً

٣ — يرأس الحاكم العام جلسات المجلس وفى حالة غيابه تكون الرياسة لاقدم عضو بين الحاضرين مع مراعاة أحكام المادة ١٣

٤ — للمجلس جميع السلطة المخولة له بمقتضى هذا القانون فى نظر كافة المواد التى يجب اجراؤها بمعرفة الحاكم فى المجلس بناء على نصوص هذا القانون أو أى

(١) راجع ص ٩٢ من هذا الجزء

قانون آخر . أما غير ذلك من المواد الاخرى التى قد تعرض عليه فانه ينظر فيها بصفة مجلس استشارى للحاكم العام

٥ ــ جميع القوانين واللوائح التى للحاكم العام اصدارها بمقتضى المادة الرابعة من وفاق ١٩ يناير ١٨٩٩ يصير اصدارها بمعرفة الحاكم العام فى مجلسه ولا يسرى هذا النص على ما للحاكم العام وحده اصداره من اللوائح بمقتضى السلطة الممنوحة له بنص معمول به

٦ ــ يقرر الحاكم العام فى مجلسه الميزانية السنوية ويمنح جميع الاعتمادات الاضافية سواء كانت من الاحتياطى أو من الايرادات العادية

٧ ــ يجرى الحاكم العام فى مجلسه جميع المواد التى يجب اجراؤها فيه بمقتضى أى قانون معمول به أو على القواعد التى يقررها الحاكم العام فى مجلسه

٨ ــ تتقرر المسائل التى يجريها الحاكم العام فى مجلسه باغلبية اصوات الاعضاء الحاضرين مع مراعاة ما هو مدون فى المادتين ٩ و ١٠ . فاذا تساوت الاصوات كان الترجيح لجانب الرئيس وتدون قرارات المجلس فى سجل محاضره مع بيان رأى كل عضو على انفراده ولكل عضو خالف الاغلبية ان يطلب اثبات اسباب مخالفته فى المحضر

٩ ــ للحاكم العام سواء حضر الجلسة أو لم يحضرها ان يخالف ما أقرته الاغلبية لاسباب تدون فى محاضر المجلس ويعتبر قراره هذا فى هذه الحالة من جميع الوجوه كأنه قرار المجلس

١٠ ــ للحاكم العام سواء حضر الجلسة أو لم يحضرها ان يوقف تنفيذ أى قرار من قرارات المجلس حتى يرفعه الى السلطة المنصوص عنها فى الفقرة الثانية من المادة الرابعة من وفاق ١٩ يناير ١٨٩٩

١١ ــ للحاكم العام فى مجلسه ان يسن قواعد لا تخالف هذا القانون تختص بضبط اعمال المجلس وبيان محل اجتماعاته وتعيين موظفيه وتقرير واجباتهم

١٢ ــ اذا غاب الحاكم العام بالاجازة أو تعذر عليه القيام باداء وظيفته لمرض وكذلك اذا خلت وظيفته تنتقل سلطته كلها الى مجلس الحاكم العام اذا لم يكن هو قد عين نائباً عنه فى وظيفته

١٣ ــ للحاكم العام كلما كان بعيداً عن مجلسه ان يعين موظفا ينوب عنه فى رياسته وفى ماله من السلطة كلها أو بعضها المتعلقة بالمجلس بمقتضى المواد السابقة

١٤ -- للحاكم العام كلما كان بعيداً عن مجلسه ان يباشر وحده ما للحاكم العام فى مجلسه من السلطة كلها أو بعضها اذا أجيز ذلك بقرار من المجلس

١٥ -- لا يجوز تفسير أى نص من نصوص هذا القانون بما يفيد تخويل الحاكم فى مجلسه سلطة لو كانت له وحده لجاءت مخالفة لنصوص اتفاق ١٩ يناير ١٨٩٩ أو لاى اتفاق معقود حتى الآن بين حكومتى مصر والسودان اهـ

ذلك هو نص القانون الصادر بانشاء مجلس يساعد الحاكم العام

* * *

وهذه أسماء الأعضاء الأول فى هذا المجلس عند بداية تأليفه : ونجت باشا رئيسا : وسلاطين باشا المفتش العام ، وإدجار بونهام كارتر السكرتير القضائى ، والكولونيل سير رادجار برنارد السكرتير المالى ، والكولونيل فيبس السكرتير الملكى - أعضاء قانونيين بمقتضى وظائفهم .

والكولونيل آسير الادجوتانت جنرال وميجر ويلكنسون مدير الزراعة والغابات ، وجيمس كيرى مدير المعارف وتوتنهام المفتش العام لرى السودان . أعضاء إضافيين



اللورد كتشنر أوف خرطوم يفتتح كلية غوردون

الفصل الثامن

حوادث السودان بعد استعادته

بعد إتمام اعادة السودان ، ظهرت فى بعض جهاته فتن محلية ، قمعت وترتب ، على قمعها توطيد الحكم الحاضر فى السودان . ونذكر من ذلك الحوادث التالية ، مع العلم بأن الحوادث على الحدود الحبشية تكاد لا تنقطع بسبب غارة بعض العصابات الحبشية على الحدود وخطف الأطفال والنساء وغيرهن والاتجار بهن كرقيق ولسلب الماشية :

فى سنة ١٩٠٠ — نفى على عبد الكريم من أقارب المهدى مع اتباعه لادعائه انتهاء أعمال التكليف منذ واقعة أم درمان فلا صلاة ولا صوم الخ

فى سنة ١٩٠٣ — ظهر فى برنو محمد الأمين وادعى أنه المهدى وظهر بالعصيان فى مركز الجمع فى شرقى الكردفان وقد قبض عليه الكولونيل ماهول وقتله شنقاً بالأبيض

فى سنة ١٩٠٤ — ظهر شخص يدعى محمد ود آدم وادعى فى « سنجه » عاصمة مديرية الفونج أنه النبى عيسى وقتل ضابط البوليس ولكنه قتل فى ابريل سنة ١٩٠٨

ظهر عسر مالى ووقع حادث خطير — ذلك أن عبدالقادر محمد إمام ود حبوبة من قبيلة الحلويين ومن رجال المهدى السابقين قتل مستر اسكوت مونجريف المفتش الانجليزى وقتل أيضا المأمور المصرى فى طوكر وحرض الأهالى على الثورة . وقد أرسلت اليه قوة فرقت رجاله وشنق فى مايو سنة ١٩٠٨

وقامت قبيلة من قبائل الدنكا « فرع جور فى بلدة رومبيك » بمديرية بحر الغزال فقتل افرادها مفتش المنطقة وبعض الجنود فأرسلت اليهم الحكومة حملة بقيادة سير لى ستاك باشا فهزمتهم

سنة ١٩٠٥ — نوبة جبل الداير — هو تل جنوبى الأبيض وقد انضم سكانه إلى الدراويش وقاوموا الحكومة المصرية القديمة . وبعد إعادة السودان رفضوا دفع الضرائب وأطلقوا النار على الجنود التى أرسلت إليهم لتحملهم على الدفع . وقد جرت سنة ١٩٠٥ معارك صغيرة بين العرب والنوبة .

سنة ١٩٠٦ — حدثت ثورة فى تالودى وقتل المأمور وضابط و٣٨ جنديا من الأورطة الثانية عشرة .

وكثر غزو القرى السودانية على الحدود الحبشية وقد دخلها الهيلو مريام

سنة ١٩٠٦ وقتل ١١٣ من الأهالى وخطف النساء والأطفال عند غزوته وقتل هيلو وأعيد الأسرى

سنة ١٩٠٧ — على حدود الكونجو — انسحب حراس الكونجو البلجيكية من مواقعها فى الجنوب الغربى لبحر الغزال .

سنة ١٩٠٨ — لم تكن نياما فى غربى دلنج قد خضعت للحكومة بل أبت أن تعترف بها وأن تسلم الأسرى . فأرسلت اليها كتيبة فى اكتوبر سنة ١٩٠٨ وأخضعت جبل نياما

قام « عبد القادر ود حبوبه » من قبيلة الحلويين ومن أتباع المهدى - فى مركز المسلمية على النيل الأزرق وقتل مستر « سكوت مونجريف » المفتش الانجليزى والمأمور محمد شريف افندى ، فأرسلت الحكومة قوة إلى الثوار وعند وصولها هجموا على معسكرها وحدثت موقعة قتل فيها ضابطان انجليزيان وثلاثة ضباط مصريين و٣٥ جندياً مصريا ، وقتل من الثوار ١٢٠ ، وفر قائدهم وأسر بعد أيام . وكان الفضل فى كسب هذه الموقعة إلى المرحوم اللواء حسن توفيق بدر باشا كبير الياوران وإلى ضابط مصرى اسمه زادة أفندى ، انتحر بعد سنوات

فى سنة ١٩٠٩ — احتلال واداى — احتل الفرنسيون مملكة وطنية كانت تحكم « واداى » وتقع فى غرب دارفور . وقد صححت الحدود بين « دارفور » و« واداى » بعد خلاف طويل ولكنهم اعترفوا بأن دارفور جزء من السودان الانجليزى المصرى

فى سنة ١٩١٠ — استولت الحكومة السودانية بمقتضى اتفاقية سنة ١٩٠٦ مع بلجيكا على ١٧ ألف ميل مربع فى « اللادو »

وظهر فى السنة نفسها النجم المذنب المسمى « هالى » فى السماء . فأثار ظهوره الخرافات فى جوارسنار . وأراد بعض التعايشة ونفر من القبائل الغربية الذين كانوا مقيمين حول رمش وفلاتة الشيخ طلحة ، إثارة القلاقل . ولكن حركتهم قمعت فى مهدها

احتل الفرنسيون دارسولا وأما دار مساليت فقد احتفظت باستقلالها وهاجمت الفرنسيين سنة ١٩١٠ كما احتل على ابن دينار دارتامه

سنة ١٩١١ — قبض على الملك جديل الذى هرب إلى الداير

احتلت الجنود كرنجونجيت وحيبان

سنة ١٩١٢ — ظهر فى مركز تقلى من شرقى كردفان أحد دعاة المهدية السابقين ومن أنصار ودحبوبة فى فتنة سنة ١٩٠٨ - وادعى أنه النبى عيسى . فأرسلت إليه قوة هزمته وقتلته

النوير والدنكا والأنواك — أرسلت فى سنى ١٩٠٢ و ١٩٠٧ و ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣ كتائب لاحتلال بعض البلاد التى تسكنها قبائل الزنوج من النوير والدنكا والأنواك . وقد اخضعت البلاد وطرد المشاغبون ومنهم السلطان يانيو فى أزند جنوبى بحر الغزال

تجريدة البير — جاء فى تقرير اللورد كتشنر سنة ١٩١٢ ، أنه كان الغرض من هذه التجريدة تأديب قبيلة البير لأنها أغارت على قبائل الدنكة ، وتمكين الحكومة من إنشاء إدارة مدنية فعالة فى بلاد البير . فقاست التجريدة مشاق شديدة من قلة الماء والحبوب ومحاربتها للأعداء فى بلاد مجهولة عندها . ولكنها فازت فى قتالهم بقيادة الماجور دريك من الطوبجية الملكية واضطرتهم إلى فتح باب المفاوضة فى الصلح

تجريدة الأنواك — أرسلت هذه التجريدة للغرضين التاليين :

١ — توقيف تجارة السلاح والذخيرة وتأديب الأنواك على غزوهم بلاد النوير أخيراً .

٢ — الاستعلام عن أحوال تلك الجهات القبلية قصد تحديد حدودها فى المستقبل

وكانت القوة التى اشتبكت بالقتال مؤلفة من ١١ ضابطاً انكليزياً و ٢١ ضابط مصرياً و ٤٠٧ من العساكر بقيادة الماجور لفيسون من أورطة الهوسار الثامنة عشرة .

فى ٤ مارس زحفت من أكويو قاصدة أودنجو وفى ١٥ منه التقت بقوة عظيمة شاكية السلاح من العدو وقاتلتها قتالا شديدا فى أجمة كثيفة فهجم الأنواك عليها بجرأة عظيمة ولكنهم انكسروا وولوا الأدبار بعد قتال شديد واستحوذت القوة على أودنجو والقرى المحيطة بها . ومن الأسف أن هذا الانتصار اقترن بخسارة غير قليلة فقد قتل فى المعركة ضابطان بريطانيان و ٣ ضباط مصريون و ٤٣ من صف الضباط والأنفار . وجرح ضابط مصرى و ١١ من صف الضباط والأنفار . ولكن القوة كلها أبدت مالا مزيد عليه من البسالة وحسن النظام مع كثرة ما قاست من العطش الأليم والمشقات العظيمة والقتال الشديد

هذا وانه الخ

الامضاء : كتشنر

احتلال دارفور

بعد واقعة أم درمان توجه على دينار إلى الفاشر وجلس على عرش أسلافه بصفته سلطانا على دارفور ، وكان يدفع جزية صغيرة ويرسل هدايا مع بعثة خاصة يوفدها من قبله إلى الخرطوم سنويا ، وكان يقبل هدايا من آلات الموسيقى والبنادق

وفى السنين الخمس الأولى بعد إعادة السودان كان السلطان على ابن دينار يتبادل الكتب الودية مع سلاطين باشا المفتش العام للسودان يومئذ. على أنه لم يكن يعير ملاحظات الحكومة إلتفاتا. وقد تبين أنه لا يسمح لأى موظف من قبل الحكومة بالدخول فى بلاده وأن أى أوروبى يجرؤ على دخولها فان عودته لا تكون مؤكدة . وتبلغ مساحة دارفور ١٤٠ ألف ميل مربع وقد دانت هذه المساحة لحكمه ما عداد البقارة فى الجنوب الشرقى .

وقد أقام ابن دينار إدارة حكومية وفرض الضرائب وكان له جيش من زنوج الفرتيت المنظمين والمسلمين وكانت أكثر أسلحتهم فرنسية حصلوا عليها من طريق الصحراء الشمالية . وكل بندقية حفر عليها اسم السلطان ولقبه

وكان يستخدم جواسيس كثيرين(١) أكفاء وكان لا يثق بأحد وكان يقمع كل حركة يشتبه فيها فى الحال وبقسوة . وكان كبار موظفى حكومته من المماليك أو من الفور أعضاء البيت الملكى وكانوا مخلصين له وأكفاء وأمناء . ولم يكن السلطان متعصبا دينياً ، وهو مسلم طبعا . ولم يقبل رغبة السنوسى فى إنشاء زوايا فى دارفور وكانت سراريه كثيرات ، وكانت إرادته كل شىء وكان مهيباً مطاعاً وقد قتل فى سنة ١٩١٦ الأمير عرابى دفع الله الذين سلم إليه وخضع له فى سنة ١٩٠٢ ، وكان قتله بسبب الاشتباه فى أنه حاول الاتصال بالحكومة السودانية . وكان حول دارفور فى الحد الغربى دويلات المساليت وسولا وتامه يحكمها سلاطين ولكنها كانت تخضع لدارفور وواداى إذا وجهت اليها قوات منهما .

فى سنة ١٩٠٩ احتل الفرنسيون واداى ولكنهم اعترفوا بأن دارفور جزء من السودان الانجليزى المصرى. على أن الحدود كانت مبهمة بين واداى ودارفور

احتل الفرنسيون دارسولا وأما دار مساليت فقد احتفظت باستقلالها وهاجمت الفرنسيين سنة ١٩١٠

كان على ابن دينار يحقد على الفرنسيين الذين أصبحوا مجاورين له فى واداى .

(١) راجع « السودان الانجليزى المصرى » ـ ماكيكل

ولما أعلنت الحرب الكبرى وانضم الانجليز الى الفرنسيين كحلفاء ، أصبح الانجليز فى نظره خصوما أكبر

وقد اتصل كل من أنور باشا وأخيه نورى باشا فى سنة ١٩١٥ بالسلطان على ابن دينار ، وحرضه نورى باشا الذى كان يقود جيش السنوسى على الثورة على الانجليز والحلفاء والانضمام الى الخليفة فى استانبول . وطمع ابن دينار فى أن يكون ملكا على السودان وأن يبدأ باحتلال كردفان

وقد شعرت الحكومة السودانية باستعداد بن دينار ، ووجهت إليه حملة بقيادة الليفتنانت كولونيل كيلى وعددها يتراوح بين ألفين وثلاثة ألاف مقاتل من الجنود السودانية المشاة والهجانة والعرب والسود والطوبجية المصرية وبعض رجال المدفعية الانجليز ومعهم أربعة مدافع مكسيم . وسارت الحملة الى الفاشر التى تبعد عن الابيض بمقدار ٤٠٠ ميل . وقد ترك السلطان الحملة حتى دخلت حدود دارفور وتمادت حتى بلغت حدود الفاشر . وقد تبين أن السلطان ومعه ألوف من المقاتلين فكروا فى السير الى جبل مرة . وفى ٦ نوفمبر سنة ١٩١٦ إلتقى الميجر هادرستون ببعض رجال على ابن دينار : وقد تبين أن أكثر رجاله قد هجروه فانضم بعضهم إلى الحكومة السودانية والبعض الاخر دخل الكونجو الفرنسية أما فلول جيشه فقد هجمت عليهم كتيبة من الحملة بغتة ليلا وأصابت على بن دينار برصاصة قتلته فى الجنوب الغربى لجبل مرة

واستولت الحكومة على دار فور وأنشات بها إدارة وبوليس

وكانت الحدود بين دارفور وواداى محل مفاوضات فى باريس . وعقد اتفاق فى ٨ سبتمبر سنة ١٩١٩ بمقتضاه تركت دار تامه ودارسولا للفرنسيين ، ودار مساليت ودار قمر للانجليز

* * *

وفى سبتمبر سنة ١٩٢١ — قامت ثورة فى مركز نيالا جنوبى دارفور حيث قام فقيه يدعى عبد الله السحينى ادعى أنه النبى عيسى وأثار حربا دينية وكان معه الالوف المسلحة . وأرسلت اليه حملة من الفاشر وهات المفتش ماك نيل وشاون ومعهما أربعة كتبة

وقد تمكن الضابط السودانى بلال رزق ومن بقى معه من الجنود الخمسين من اعادة احتلال مكاتب الحكومة . وقد شنق الفقى الدعى فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٢١

اعمال البناء

بنى كوبرى على الاتبرة وفتح فى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٩ ومدت السكة الحديدية إلى الخرطوم وتمت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٩ . وكانت الفكرة يومئذ مد السكة الحديدية بين حلفا واصوان

الرتب والنياشين

منحت الحكومة الانجليزية كتشنر باشا لقب لورد ويسمى اللورد كتشنر أوف خرطوم ومنحت الكولونيل ونجت مدير المخابرات العام نيشان القديسين ميخائيل وجورج مع لقب سير . ومنحه الخديوى رتبة اللواء وعين آدجوتانت جنرال فى الجيش المصرى فى ١٨ ديسمبر سنة ١٨٩٨



أسر الأمير محمود بن أحمد وهو يلباس المهدية ـ أنظر ص ٣٦ من هذا الجزء

الفصل التاسع

نظام الحكم فى السودان والادارة الوطنية

نظام الحكم فى السودان يقوم على أساس اتفاق ١٨٩٩ ، وقد تطور بالحوادث التالية له ، واطراد تفوق النفوذ الانجليزى ، وبانشاء مجلس الحاكم العام سنة ١٩١٠ والقوانين والمنشورات الكثيرة التى صدرت منظمة لقضائه وماليته وإدارته وتعليمه وحفظ الامن فيه ، والحكم فى السودان هو نوع من الحكم المطلق ، لأنه لا يوجد برلمان أو مجالس شورية .

وقد قلنا إن سياسة الانجليز فى حكم البلاد الخاضعة لهم ترمى إلى إقامة حكومات وطنية فى صورة من الصور ، على أن تكون خاضعة لهم . وقد رأينا أن أهم ما يتجه اليه ولاة الأمور الانجليز فى السودان تحقيق فكرة الادارة الوطنية ، وهى تجربة حكم بعض بلاد السودان بنظار القبائل والأعيان ، بأن يعطوا سلطة قضائية وبذلك تقل نفقات الحكم ويخف العبء عن الحكومة المركزية فى الخرطوم .

وقد أسهب السير هارولد ماكميل السكرتير الادارى السابق لحكومة السودان فى شرح « هذه الادارة الوطنية » فى كتابه « السودان الانجليزى المصرى » .

ومجلس الحاكم العام يشبه على نوع ما مجلس الوزراء ، والحاكم العام مرءوس للمندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، الذى يحمل لقب « المندوب السامى فى مصر والسودان » . وفى السودان محاكم مدنية وجنائية وشرعية وأهلية .

القضاء فى السودان فى الفتح المصرى الأول

كان اختصاص القاضى الشرعى عند الفتح الأول للحكومة المصرية للسودان يشمل جميع القضايا من المعاملات وأحكام الدماء والديات والأحوال الشخصية وكانت هذه الأحكام تستأنف الى مجلس يسمى مجلس الأحكام بمصر ثم قصر اختصاص القاضى الشرعى على النظر فى الأحوال الشخصية فى مذهب الامام أبى حنيفة وانشىء مجلس يسمى المجلس المحلى للنظر فى الخصومات المتعلقة بالمعاملات وكانت أحكام هذا المجلس تستأنف لدى مجلس يسمى مجلس استئناف السودان ويتألف من رئيس وأعضاء هم قاضى عموم السودان ومفتيان احدهما مالكى والثانى

حنفى واعضاء من الأعيان وقد كان من أعضائه فى عهد غوردون باشا أبو بكر الجركوك وادريس بيك النور . وقرارات هذا المجلس غالبا تنتهى بها الخصومات غير أنه اذا لم يقبل أحد الخصمين حكمه فله أن يرفع تظلمه إلى مجلس الأحكام بمصر وحكمه أو قراره نهائى . وكانت أحكام الدماء لاتقرر إلا بعد تصديق من سعادة حكمدار عموم السودان ومثلها قضايا المنازعات التى يخشى أن تؤدى إلى فتنة تخل بالأمن العام . وانشئت محاكم شرعية عديدة فى المراكز ومقر المديريات : فى كل محكمة قاض.وأكثر هؤلاء القضاة من أهالى السودان وبعضهم كان يختار من مصر وسواء أكان القاضى مصريا أم سودانيا ، فقد كان يختاره قاضى عموم السودان ويعينه سعادة حكمدار عموم السودان كما كان لكل مديرية مفت . أما قاضى عموم السودان ومفتى مجلس استئناف السودان وشيخ العلماء فكانوا يعينون بأمر خديوى مصر . وعند سقوط الخرطوم فى قبضة محمد احمد المهدى فى ٩ ربيع الثانى سنة ١٣٠٢ و٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ كان قاضى عموم السودان هو الشيخ محمد خوجلى حتيك من أهالى برى ضاحية من ضواحى الخرطوم تلقى علومه فى الأزهر الشريف ، وقتله الدراويش فى واقعة فتح الخرطوم . وكان مفتى مجلس استئناف السودان الشيخ شاكر الغزى وقد قتله الدراويش أيضاً فى واقعة فتح الخرطوم . أما شيخ العلماء وقتئذ فكان الفكى الأمين الضرير من أهالى جزيرة توتى وهى جزيرة مقابلة لمدينة الخرطوم وقد مات فى أوائل حكومة المهدية ولقب بالضرير لأنه ولد أكمه

القضاء فى حكومة المهدى أو الدراويش

كان القضاء فى هذه الدولة لبداوتها بعيدا عن النظام والضبط . فالدفتر الذى كانت تسجل فيه القرارات والأحكام فى حكم المصريين للسودان أصبح لا يوجد إلا فى بعض المحاكم وأصبح القضاة فى خارج أم درمان ينظرون القضايا بغير ضبط لأقوال الخصوم ولا دفاتر تسجل فيها الأحكام بل يفصلون فيها شفويا وأحيانا يعطون للمحكوم لهم كتابا يدون به الحكم ليكون مستنده فى الحق الذى حكم به وكانت الأحكام تنفذ فور صدورها شفويا . وقد اتسعت سلطة القاضى فى هذه الدولة فأصبح يفصل فى القضايا التى تعرض عليه أيا كان موضوعها ، إلا أن القضاء نفسه قد انحط بعد وفاة المهدى ولم يراع فى الأحكام الحق والعدل والمطابقة للحكم الشرعى بل أصبحت إشارة أو كلمة تصدر من خليفة المهدى فى أم درمان أو من

الامراء المرافقين للقضاة فى خارجها واجبة الاتباع لايصدر الحكم على خلافها والا فان القاضى لايأمن على نفسه فضلا عن البقاء فى منصبه . وفيما عدا ذلك كانت الاحكام يراعى فيها مذهب الامام مالك أو مانص عليه فى منشور من منشورات المهدى . ولقد غير المهدى لقب أكبر قاضى فى الدولة . فبعد ان كان يسمى بقاضى عموم السودان لقبه بقاضى الاسلام وأسند هذا المنصب إلى الشيخ أحمد ولد جبارة من علماء الأزهر وكان قد صحبه من جزيرة أبا الى قدير وجعل المهدى دونه قضاة ونوابا كثيرين وهو أول من سمى بقاضى الاسلام ولما قتل فى واقعة الأبيض تولى القضاء بعده ولد حلاب أحد فقهاء النيل الابيض ومات فى حصار الأبيض فخلفه القاضى أحمد على من فقهاء بنى هلبه فلم يكن شأنه فى زمن المهدى كبيراً لأن المهدى أقام النواب للفصل فى القضايا الشرعية والأمناء للفصل فى القضايا السياسية . فلما مات المهدى وخلفه فى الحكم عبد الله التعايشى عزل الأمناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة برئاسة القاضى أحمد وكان من أعظم المقربين عنده لاتباعه هواه ثم نكبه فى آخر الأمر فجرده من جميع أمواله وزجه فى السجن حتى مات جوعا سنة ١٨٩٤ وبعده تولى قضاء الاسلام سليمان الحجاز من تجار بربر المتفقهين فلم يمكث فيه إلا مدة قصيرة ثم خلفه الشيخ الحسين ولد الزهراء وهو من قرية تدعى أم عظام فى ضواحى المسلمية ومن متخرجى الأزهر المتفوقين ومن الشعراء النابغين وكان قبل أن يتولى القضاء من عداد العلماء الذين عهد اليهم الخليفة بتدريس علم الميراث فى مسجد أم درمان . ولما تولى القضاء وقف عند حد الشرع وقضى بعدة مسائل على خلاف ما أراد التعايشى فاغتاظ منه وحبسه وكبله بالحديد ومنع عنه الطعام والماء الى أن مات صبرا سنة ١٨٩٥ وخلفه فى منصب قاضى الاسلام أم بدى البقارى ثم الشيخ النذير خالد فبقى الى فتح أم درمان سنة ١٨٩٨ وكان مدرسا فى المعهد العلمى وتوفى سنة ١٩٣٠ . وكانت دار المحكمة الشرعية فى أم درمان فى هذه الدولة قريبا من منزل الخليفة المجاور للمسجد الجامع فى مكان يسمى الككر تجتمع فيها القضاة ورئيسهم قاضى الاسلام وكل منهم ينظر فيما يقدم اليه من القضايا ويستشير اصحابه فيما يحكم به اذا خفى عليه وجه الحكم وكان لايصدر الحكم فى القضايا الكبرى الا بعد أن يعرض على قاضى الاسلام ثم على الخليفة . وكان القضاء يتبع الامارات فكل امير لناحية من النواحى البعيدة عن ام درمان كان يعين معه قاض لهذه الناحية يعتمد على الامير فى أحكامه ولقد كثرت الرشوة فى قضاة هذه الدولة

الا من عصمه الله . واعظم قضاة هذه الدولة هو الشيخ محمد البدوى قاضى امارة الجعليين الذى لم يطق تداخل الامير الزاكى ابو فرار فى احكامه فخاصمه الى الخليفة وكان ذلك سببا فى اعتزاله القضاء وكان الشيخ محمد البدوى المذكور من اكابر العلماء علما ودينا وورعا ، تلقى علومه فى الازهر الشريف وهو أول من تولى مشيخة العلماء فى الدولة الحالية الى أن توفى سنة ١٩١١ . ولنختم هذا الكلام بصورة حكم من احكام ذلك العهد وسببه أن الخليفة محمد شريف حامد خليفة الكرار أى الخليفة الرابع غضب من الخليفة التعايشى وامتنع عن صلاة الجمعة معه لقتله بعض اقاربه. فامر الخليفة القضاة ان يقضوا فيه بما يكون زاجرا له وعبرة لغيره وقد وقع على هذا الحكم ستة واربعون رجلا من اكابر دولة التعايشى واهل شوراه منهم قاضى الاسلام . احمد على . وهذا نص الحكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل الاستقامة طريقا للسلامة ، وشكرا لمن وفق ذوى البصائر الى الوقوف على قدم الصدق فصاروا من أهل الكرامة وخص أهل عنايته بأنوار هدايته فاستسلموا لقضائه واستراحوا من الوقوع فى هاوية الندامة وحض على طاعة اولى الأمر بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم » لانتظام الحال والسلامة فى يوم القيامة وصلاة وسلاما على قطب دائرة الأصل النورانى ومنبع النبض الرحمانى وأشرف النوع الانسانى ومعدن السر الربانى سيدنا محمد الذى قصم بسيف الحق ظهر الخلاف ، ومكن حسام الشرع من رقاب أهل الانحراف. وعلى آله وأصحابه الذين قوى فى الله يقينهم فآمنوا بالغيب فانكشفت غياهب الشك عن بصائرهم فازدادوا ايمانا وتمكن دينهم .

وبعد فان الخليفة محمد شريف حامد قد بارز خليفة المهدى عليه السلام بالعداوة والعصيان والخلاف حتى تظاهر بالحرابة له وشهر السلاح عليه ولم يبال بادخال الخلل فى الدين وشق عصا المسلمين . فبعد هذا كله اجتمع جماعة المسلمين وأحضروه بين أيديهم وحلفوه على كتاب الله تعالى فحلف وعاهد على أن لا يعود إلى مثل ما صدر منه ثم جاء خليفة المهدى عليه السلام نادما على شنيع فعله فقبله مع ما ارتكبه من عظيم الذنب والخطيئة . . . وعفا عنه وقابله بالصفح والاكرام . ثم نقض العهد وعاد الى الخلاف واضمار السوء والاصرار على عدم الامتثال

فضلا عن كونه تاركا الجمعة والجماعة . فعند ذلك اجتمع أصحاب المهدى عليه السلام من قضاة الشرع الشريف وامراء وعمد وأعيان وسألوه عن ذلك فقابلهم باقبح المقال وتفوه بما يؤدى الى سوء الحال حتى قال ان الغوث معه وفى حزبه وان نصرة المهدية تحت قدمه وان الصحابة اعترضوا على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من سوء المقال وما زالوا يراجعونه بالقول اللين الحسن وتلوا عليه منشور المهدى عليه السلام فى خليفته والمنشور الذى وجهه اليه خاصة أوامره فيه باتباع خليفته وعدم خروجه عن أوامره فعند ذلك أظهر التوبة والندم فنظرا لما حصل منه من نقض العهد وعدم استمراره على التوبة السابقة اقتضى نظر اصحاب المهدى عليه السلام طبق الوجه الشرعى وضعه بالسجن تأديبا له ولولا اظهاره التوبة عما حصل منه لكان جزاؤه اعظم من السجن وقد ثبت جميع ذلك لدى اصحاب المهدى عليه السلام الاتى ذكر اسمائهم واختامهم فيه ادناه وجميعهم شهدوا عليه شهادة حق يؤدونها بين يدى احكم الحاكمين والسلام ؟ سنة ١٣٠٩ هـ

القضاء الشرعى فى الحكومة الحاضرة

يختلف القضاء فى هذا العهد عن سابقيه بالنظام التام وبالدقة فى تحرى الصواب فى الأحكام وإزالة الخطأ ، متى علم سواء طعن فى الحكم أم لم يطعن فان طعن فيه من أحد الخصوم وظهر خطؤه ألغى وأعيدت القضية لمحكمتها للفصل فيها بالطريق الشرعى وإن كانت القضية صالحة للحكم حكم فيها بما يقتضيه المنهج الشرعى وإن لم يطعن أحد الخصوم وتبين الخطأ ألغى الحكم إداريا . كما يختلف العنوان الذى يسمى به أكبر قاض فى هذه الدولة عما كان من قبل إذ عهدنا فيما سبق أنه كان يسمى فى المهدية بقاضى الاسلام وفى الحكومة السابقة عليها بقاضى العموم أما فى هذه الحكومة فيسمى بقاضى القضاة وأول قاض للقضاة هو صاحب الفضيلة الشيخ محمد شاكر وقد عين فى ٢٨ مارس سنة ١٩٠٠ فعمل جهده فى وضع أسس القضاء واعتمد على اللوائح المعمول بها فى مصر فى ذلك العهد فوضع فى سنة ١٩٠٣ ثلاث لوائح « الأولى » لائحة ترتيب المحاكم الشرعية مؤلفة من خمسين مادة ، بين بها شروط انتخاب الموظفين لهذه المحاكم والاختصاص بحسب المكان واختصاص المحاكم المركزية ومحاكم المديريات والمحافظات وتكلم عن المحكمة العليا وسلطة

قاضى القضاة والتنازع فى الاختصاص بين محكمة شرعية واخرى مدنية والمراقبة القضائية

« والثانية » اللائحة النظامية للمحاكم وهى مؤلفة من « ١٢٤ » مادة بين بها طريق رفع الدعوى ونظام الجلسات والادلة الخطية ومحاضر الجلسات والمعارضة والاستئناف والتمييز والوراثات والمستندات الرسمية وغيرها . والدفاتر المستعملة فى المحاكم دفترا دفترا والتنفيذ .



فضيلة الشيخ محمد شاكر أول قاض للقضاة فى السودان بعد استعادته
وكان آخر منصب تولاه وكيل مشيخة الازهر

«الثالثة» لائحة الرسوم وهى مؤلفة من عشرين مادة ومن جدول يوضح رسوم ٤٩ إشهادا ذكر فى كل اشهاد المبلغ الذى يؤخذ عليه الرسم ومقدار الرسم النسبى واقل رسم يؤخذ والمطلوب منه دفع الرسم كما وضح به رسوم الصور وغيرها ورسوم القضايا. وقد اصدر كثيرا من المنشورات والمذكرات القضائية لتوضيح سبل الحكم للقضاة . وعلى الجملة فقد حذا حذو القضاء المصرى فى ذلك العهد ولم يخالفه الا فى مسائل بسيطة قضت بها الحاجة أو الضرورة : منها ان قاضى المديرية منفرد تستأنف لديه القضايا التى يفصل فيها قاضى المركز والعمل فى مصر فى ذلك العهد على غير ذلك

فقد كانت أحكام قاضى المركز تستأنف لدى هيئة تتألف من قاضى المديرية والمفتى والنائب . والذى دعا لذلك على ما أظن الاقتصاد الذى قضى بعدم تعيين مفت ونائب فى كل مديرية . ومنها جعل القضاء من ثلاث درجات ابتدائى واستئنافى ودرجة تسمى التمييز . والقضاء فى مصر من درجتين فقط . والسبب فى ذلك على ما يظهر اشراف محكمة التمييز التى تتألف من قاضى القضاة ومفتى السودان وأحد المفتشين ، حتى يمكنها وضع الحق فى موضعه وتعليم القضاة فيما يخطئون فيه لقرب عهدهم



المرحوم الشيخ محمد هارون ثانى قاضى قضاة السودان

بالقضاء ولان الاستئناف ليس فيه الضمانات الكافية لأن ينظره قاض واحد كما قدمنا .

ولما نقل الشيخ شاكر الى مصر فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٠٤ خلفه فى منصبه حضرة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ محمد هارون وبنقله لمصر أيضا سنة ١٩٠٨ م تولى هذا المنصب صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى — وهو شيخ الجامع الأزهر حالا — فى أول أغسطس سنة ١٩٠٨ م وقد جاء فى تقرير الفيكونت كتشنر عن السودان سنة ١٩١٢ تحت عنوان « المحاكم الشرعية » ما يلى :

« لا يزال الشيخ مصطفى المراغى قاضى قضاة السودان يتولى رئاسة المحاكم الشرعية بكمال الأهلية والمقدرة وقد وضع حسب عادته تقريراً سنوياً مفيداً

فالمحاكم الشرعية الآن تنتظم من محكمة عالية ومحكمة العموم و١١ محكمة مديرية و٣٤ محكمة مركز فيها ٤٨ قاضيا و٨٢ كاتبا ونحوه . وأكثر الذين تمس الحاجة إلى استخدامهم يؤتى بهم من مدرسة المعلمين فى كلية غوردون ويقول السكرتير القضائى فى تقريره أن هؤلاء المستخدمين يبرهنون بسلوكهم وعملهم على أن العناية التى بذلتها مصلحة المعارف فى تعليمهم وتهذيبهم لم تذهب ضياعا »

* * *

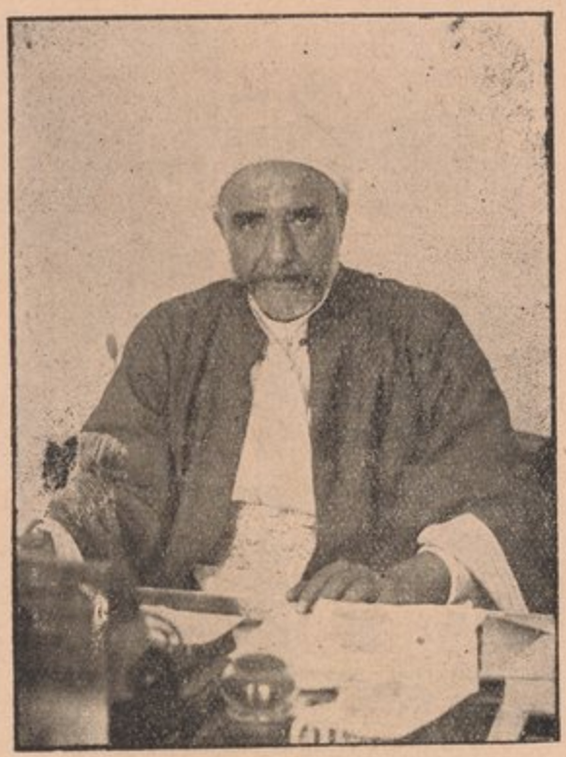

حضرة صاحب الفضيله الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر حالا وثالث قاض لقضاة السودان

كان فضيلة الشيخ المراغى قاضيا لمديرية دنقلا فى سنة ١٩٠٤ . ثم نقل إلى مديرية الخرطوم فى ديسمبر سنة ١٩٠٦ . وفى سبتمبر سنة ١٩٠٧ وقع الاختيار على فضيلته ليكون رئيساً لمفتشى الدروس الدينية بوزارة الأوقاف ثم عين قاضيا للقضاة سنة ١٩٠٨ وظل يشغل منصب قاضى القضاة إلى شهر يوليو سنة ١٩١٩ حيث نقل رئيساً للتفتيش القضائى الشرعى فى وزارة الحقانية ثم عين رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية ثم نائبا فى المحكمة العليا الشرعية ثم رئيساً لهذه المحكمة إلى أن ولى هذا المنصب الخطير مرتين

وهو من عائلة عريقة فى العلم والتقوى وكان المرحوم والده من كبار علماء الصعيد

وفى عهد فضيلة الشيخ المراغى أحدث كثيرا من الاصلاح فوضع فى سنة ١٩١٢ لائحة جديدة للرسوم ولائحة للمأذونين بينت شروط تعيينهم وواجباتهم وتأديبهم على المخالفات التى تصدر منهم كما استبدل فى سنة ١٩١٥ لائحتى الترتيب والنظام السالف ذكرهما بلائحة واحدة أسماها لائحة ترتيب ونظام المحاكم أدخل فيها كثيرا من الأنظمة وما زال بها يصلح ما ظهر له وجه للاصلاح حتى نقل لمصر فى ٩ اكتوبر سنة ١٩١٩ فتولى بعده حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين قراعة وقد



صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين قراعة

كان مفتشا فى السودان من نوفمبر سنة ١٩١٤ وفى عهده صدرت إصلاحات مفيدة ومنشورات وتعليمات اقتضاها الحال . ولما نقل فى ٦ مايو سنة ١٩٣٢ تعين بعده فى هذا المنصب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم ، فأصدر كثيرا من المنشورات القضائية والنظامية وأدخل فى عهده تعديلات على لائحة المأذونين ولائحة ترتيب ونظام المحاكم واستبدلت لائحة الرسوم بلائحة أخرى وما زال به إلى الآن . على أن الاصلاح فى محاكم السودان من حيث اقتباس الأحكام المناسبة للعصر مما لم يكن فى مذهب أبى حنيفة سبقت فيه السودان مصر بزمن بعيد ، إذ أساس القضاء فيه أن يكون الحكم بالارجح من آراء فقهاء الحنفية ، إلا فى المسائل التى يصدر

فيها قاضى القضاة منشورات أو مذكرات قضائية فانه يعمل بما ينص قاضى القضاة على العمل به من آراء فقهاء الحنفية أو غيرهم من أئمة المسلمين فى التشريع. وعلى ذلك جرى العمل : فالطلاق لعسر النفقة أو للعيب وطلاق زوجة المفقود إذا مضت مدة أربع سنين من حين رفع الأمر إلى القاضى ولم يعد الزوج ولم يظهر له خبر والتفريق للشقاق والضرر بين الزوجين مما لم يؤخذ به فى مصر إلا بالقانون نمرة ٢٥ سنة ١٩٢٠



فضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم قاضي قضاة السودان حالا

والقانون ٢٥ سنة ١٩٢٩ قد شرع العمل بها والحكم على مقتضاها بمنشور أصدره قاضى القضاة سنة ١٩٠٢

نعم أن محاكم السودان لم تجر على القول بعدم وقوع طلاق السكران والمكره وعدم وقوع الطلاق غير المنجز اذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لاغير وعلى القول بان الطلاق المقترن بعدد لفظا أو إشارة لايقع الا واحدة وعلى القول بان كنايات الطلاق لا يقع بها الطلاق الا بالنية وان كل طلاق يقع رجعيا الا المكمل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال وغيره مما جرى عليه العمل فى مصر سنة ١٩٢٩ الا فى مارس سنة ١٩٣٥ . وسبب تأخير هذا التشريع الى هذا

العهد الظن بان الافكار فى السودان لم تكن مستعدة لهذا التشريع قبل هذا التاريخ

ويجمل بنا أن نقول أن المحاكم الشرعية السودانية تتغذى الان من خريجى القضاء الشرعى وهو قسم من كلية غردون يتخصص فى العلوم الشرعية مدة خمس سنوات ولا يقبل فى هذه المدرسة الا بقدر حاجة المحاكم ويخضعون فى امتحانهم فى العلوم الشرعية للجنة يعينها قاضى القضاة أو من ينوب منابه . وعند تخرجهم يعينون «عمالا قضائيين» فى المحاكم يتمرنون على الاعمال القضائية مدة ثلاث سنوات ومتى برهنوا فى هذه المدة على كفاءة تامة اصدر قاضى القضاة أمراً لقضاة المحاكم المعينين بها لندبهم للفصل فى القضايا والوراثات التى هى من اختصاص قاضى المركز تمرينا لهم على القضاء حتى اذاما اسند اليهم القضاء فى محكمة قاموا به على الوجه الأكمل وأكبر رجال القضاء الشرعى الموجودين الآن ومن ثلاثة منهم تتكون المحكمة العليا الشرعية التى تستأنف لديها أحكام قضاة المديريات فيما هو من اختصاصهم أو تتألف منهم محكمة التميز التى تنظر فى الأحكام التى تصدر من قضاة محاكم المديريات بعد مدة الاستئناف أو الأحكام التى تصدر منهم وهى من اختصاص قضاة المراكز أو الاحكام التى تصدر من قضاة المراكز فى مدة الاستئناف إذا رغبوا عن الاستئناف لدى قضاة محاكم المديريات أو بعد مضى مدة الاستئناف - هم أصحاب الفضيلة :

الشيخ محمد نعمان الجارم	قاضى قضاة السودان
« أحمد السيد الفيل	مفتى السودان ونائب قاضى القضاة (١)
« أبو شامه عبد المحمود	مفتش المحاكم الشرعية
« عمر عطية	مفتش المحاكم الشرعية

ونبين فيما يلى صيغة المنشورات الشرعية :

منشور شرعى نمرة ٣٤

صادر فى يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ موافق ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٢

الحضانة

مادة ١ - للقاضى أن يأذن بحضانة النساء للصغير بعد سبع سنين إلى البلوغ وللصغيرة بعد تسع سنين إلى الدخول إذا تبين أن مصلحتها تقتضى ذلك . وللأب

(١) كان مرشحا ليكون قاضى القضاة إذا وافقت الحكومة المصرية على عدم تعيين قاض مصرى فيها

وسائر الأولياء تعهد المحضون عند الحاضنة وتأديبه وتعليمه .

مادة ٢ - لا أجرة للحضانة بعد سبع سنين للصغير وبعد تسع للصغيرة

مادة ٣ - لو زوج الأب المحضونة قاصدا بتزويجها اسقاط الحضانة فلا تسقط بالدخول حتى تطيق

مادة ٤ - على القضاة الحكم بما نص عليه فى هذا المنشور من تاريخ صدوره ؟

قاضى قضاة السودان : محمد نعمان الجارم

حاشية — مذهب الأمام مالك فى الحضانة أن حضانة النساء للصغير تكون إلى البلوغ وللصغير تكون إلى الزفاف . وعادات السودان أن البنت تكون مع أمها حتى إذا تزوجت يسكن الزوج معها فى أول الزواج فى بيتها ولا ينقلها منه . وقد روعى فى المنشور مذهب الامام مالك إذا كان ثمت مصلحة للصغير فى بقائه مع الحاضنة كما روعى مذهب أبى حنيفة إذا كانت المصلحة فى بقاء الصغير مع الأب أو غيره ممن لهم حق الحضانة

منشور شرعى نمرة (٤١)

صدر من محكمة عموم السودان الشرعية فى يوم الاثنين ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٥٣ الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٣٥ م

القواعد الآتية بعد موافقة جناب السكرتير القضائى لحكومة السودان للعمل بها فى المحاكم الشرعية :

الطلاق

١ — لا يقع طلاق السكران والمكره

٢ — لا يقع طلاق غير المنجز اذا قصد به العمل على فعل شىء أو تركه لا غير

٣ — الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة لا يقع إلا واحدة رجعية

٤ - كنايات الطلاق فى مذهب الحنفية وهى ما تحتمل الطلاق وغيره لا يقع بها الطلاق إلا بالنية

٥ — كل طلاق يقع رجعياً إلا المكمل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال وما نص على كونه بائنا فى منشور قبل ذلك . أما التفريق بالطلاق بسبب اللعان أو العنة أو إباء الزوج عن الاسلام عند إسلام زوجته، فالحكم فيه على مذهب ابى حنيفة

النفقة والعدة

٦ ــ تقدر نفقة الزوجة على زوجها بحسب حال الزوج يسرا وعسرا مهما كانت حالة الزوجة

٧ ــ لاتسمع عند الانكار دعوى الارث بسبب الزوجية المطلقة توفى زوجها بعد سنة من تاريخ الطلاق

دعوى النسب

٨ ــ لا تسمع عند الانكار دعوى النسب لولد زوجة ثبت عدم التلاقى بينها وبين زوجها من حين العقد . ولا لولد زوجة أتت به بعد سنة من غيبة الزوج عنها ولا لولد المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا أتت به لأكثر من سنة من وقت الطلاق والوفاة

٩ ــ المراد بالسنة فى المادتين ٧و٨ هى السنة التى عدد أيامها « ٣٦٥ » يوما

المهر

١٠ ــ اذا اختلف الزوجان فى مقدار المهر فالبينة على الزوجة . فان عجزت ، كان القول للزوج بيمينه إلا اذا ادعى ما لا يصح أن يكون مهرا لمثلها عرفاً فيحكم بمهر المثل وكذلك الحكم عند الاختلاف بين أحد الزوجين وورثة الآخر أو بين ورثتيهما

الهبـــة

١١ ــ لا يشترط أن يكون قبض الهبة باذن الواهب فللموهوب له أن يحوز الموهوب من واهبه باذنه أو بغير إذنه

١٢ ــ تبطل الهبة اذا تأخر حوزها حتى أحاط الدين بمال الواهب ولو كان الدين حادثا بعد الهبة

١٣ ــ اذا جن الواهب او مرض قبل الحوز ، فالهبة موقوفة فان صح من مرضه أو أفاق من جنونه افاقة بينة فلا تبطل الهبة وله للموهوب الحوز حال الصحة والافاقة . أما اذا اتصل المرض والجنون بالموت بطلت الهبة

١٤ ــ هبة أحد الزوجين للآخر وهبة الام لأبنها الصغير متاعا من متاع البيت أو الحيوان تصح ، اذا أشهد الواهب على الهبة ولو لم يرفع يده عن الموهوب لان هذه الهبة لاتحتاج لحيازة . فمتى اشهد الواهب على الهبة وحصل المانع وهي في حوزه فلا يضر

١٥ — تزيين الأب أو الأم ولده ذكرا أو أنثى صغيراً أو كبيراً بتعلية أو الباس ثياب فاخرة أو باشتراء دابة له يركبها أو اشتراء كتب يحضر فيها أو سلاح يحترس أو يتزين به يكون هبة يختص بها دون الورثة الا اذا اشهد أنه على وجه الامتاع لأن التحلية قرينة على التمليك .

١٦ — يستعمل بهذه الأحكام من تأريخ صدورها وفى الحوادث السابقة عليه الا اذا اتصل بها القضاء.

قاضى قضاة السودان : محمد نعمان الجارم

اوامر عالية ومراسيم بتعيين الحاكم العام

أمر عالى خديوى — نحن خديوى مصر — :

بناء على البند الثالث من الوفاق المعقود بين حكومة جلالة ملكة الانكليز وحكومتنا .

أمرنا بما هو آت

عين الفريق لورد كتشنر أوف خرطوم وأسبال باشا سردار الجيش المصرى حاكما عاما للسودان

صدر بسراى القبة فى ٧ رمضان سنة ١٣١٦-١٩ يناير ١٨٩٩ عباس حلمى

نشر بالغازيتة السودانية الصادرة فى ٧ مارس سنة ١٨٩٩

أمر عال خديوى

نحن خديوى مصر

بناء على البند الثالث من الاتفاق الذى عقد بين حكومة جلالة ملكة بريطانية العظمى وحكومتنا فى تاريخه ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ بالقاهرة

أمرنا بما هو آت

قد تعين سعادتلو أفندم الفريق السير رجينلد ونجت باشا الحائز على نيشانى ميخائيل وجورج والحمام العلى الشأن ونيشان الامتياز وياور جلالة الملكة وسردار الجيش المصرى حاكما عاما للسودان عوضا عن سعادتلو أفندم الفريق اللورد كتشنر أوف خرطوم وأسبال باشا الحائز نيشانى الحمام وميخائيل وجورج العالى الشأن الذى استعفى من هذه الوظيفة

صدر فى سراى عابدين العامرة بتاريخ ٢٠ شعبان سنة ١٣١٧ الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٩٩ الامضاء : عباس حلمى

« نشر بالغازيتة السودانية رقم ٨ فى ٢ يناير سنة ١٩٠٠ »

تعيين

بناء على المادة الثالثة من الاتفاق المعمول به بين حكومة بريطانيا العظمى والحكومة المصرية بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ الخاص بادارة السودان فى المستقبل قد تعين بناء على توصية حكومة صاحب الجلالة البريطانية السر جورج ستيوارت سايمز حاكما عاما للسودان خلفا للسر جون لورد مى وذلك بمقتضى الدكريتو الصادر من جلالة الملك فؤاد الأول بتاريخ ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٣٣

« غازيتة الحكومة السودانية فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣ »

تعيين شرعى (١)

تعطف صاحب المعالى الحاكم العام بتعيين صاحب الفضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم قاضيا لقضاة المحاكم الشرعية بالسودان

الخرطوم فى ٢١ ابريل سنة ١٩٣٢

« غازيتة الحكومة السودانية عدد ٥٦١ فى ١٥ مايو سنة ١٩٣٢ »

الادارة الأهلية

قال ألين ايرلندى فى كتابه « مناطق الشرق الاقصى » طبعة ١٩٠٥ صفحة ٧١ بالانجليزية

« مما يخطىء فيه الأوربيون فى الشرق انهم يعملون على نشر المدنية الغربية وإزالة الأساليب الوطنية ، بدلا من استغلالها : يوجد طريقان تستطيع الحكومة ان تسلكهما ـ الأول هو ان تبدأ بالأشياء التى تجدها ، نابذة ماهو خطر وظالم منها ،

(١) كانت الحكومة السودانية عند رغبة فضيلة الشيخ قراعة فى النقل إلى مصر ، تريد انتهاز الفرصة لتعيين قاض سودانى كبير قاضيا للقضاة ، وأن يمتنع تعيين قاض مصرى قاضياً لقضاة السودان فتنقطع آخر صلة للقضاة المصريين بالسودان . وقد أوشك تمسك الحكومة السودانية أن يؤدى الى أزمة فى عهد الوزارة الصدقية سنة ١٩٣٢ . فحل الأشكال بان تولت الحكومة السودانية نفسها تعيين فضيلة الشيخ الجارم اذ كان نائبا لمحكمة طنطا الكلية الشرعية وأخلت الحكومة المصرية طرفه فصار خلفا للشيخ قراعة . وقيل أن معالى على ماهر باشا وزير الحقانية هدد بالاستقالة اذا نفذت رغبة الحكومة السودانية بحذافيرها

مؤازرة ما هو صالح من عادات أهلها ، تاركة النظام والتشريع للمناسبات . فاذا بدت حاجات جديدة كان لزاما عن الحكومة ان تفحصها وأن تهيء لها من الاجراءات ما يتفق مع حالتها ومكانتها بدلا من استيرادها من الخارج . ومن اجل ان لا تكون هذه الاجراءات مضادة للعادات الوطنية ، يجب العمل على الفوز برضاء الأهالى قبل تنفيذها . حقيقة ان التقدم بهذه الوسيلة يكون بطيئا ، وان النظام المنشود لا يعد مقبولا من وجهة نظرنا . ولكنه يكون فى الواقع هادئا وثابتا ، وتكون الثقة فى ازدياد ولا يكون هناك شعور بنير اجنبى موضوع على أكتافهم . والطريقة الثانية هو اكتساح القديم وادخال نظام يؤثره الأوربيون ، كأن يوضع قانون للعقوبات على آخر طراز أو نظام للضرائب والبوليس مأخوذ عن الغرب بما فيه من مزايا ومبادىء ، ومن غير التفكير فى كيف ينطبق هذا على الظروف المحلية »

ويرى لورد لوجارد فى كتابه « الانتداب » وآخرون من رجال الادارة الأوربيين فى افريقيا الاخذ بالطريقة الأولى . « على أنه إذا كان من الحكمة حكم الوطنيين على مقتضى أساليبهم مع تعديلها بحيث لا يطبق منها ما يعد مناقضا للانسانية - فان طبيعة النظم الوطنية تكون مثار البحث والتشاور — أليست هذه الأساليب مؤسسة على عناصر الوحشية والجهل وانه اذا اخرج منها العناصر المضادة للانسانية فان الباقى منها لن تكون له قيمة ويفقد انسجامه كما أنه يتساءل من ذا الذى يحكم بمقتضى هذه الأساليب الوطنية وما هى مؤهلاته »

* * *

لقد نهجت الحكومة السودانية فى العهد الاخير خاصة منهج الحكم بواسطة مشايخ القبائل (١) باعطائهم سلطة قضائية وشىء من السلطة التنفيذية « البوليسية » وتقوم هذه الفكرة على أساس تخفيض نفقات الادارة ، وتخفيف المسئولية عن الحكومة المركزية ، وانشاء وحدات من القبائل وابعاد الكراهة للحكام الانجليز او المباشرين . ويقول مستر هارولد ماكيكل السكرتير الادارى السابق للحكومة السودانية وحاكم تنجانيقا فى كتابه « السودان الانجليزى المصرى » ص ٢٣٥ « إن السودانى — سواء أكان عربيا أم لادينيا ، فانه يؤثر الادارى الذى يتولى حكمه . فهو يثق به اكثر من سواه . ولكنه لن يمنحه الاحترام والتبجيل الذى يبديه لشيخ قبيلته

(١) هذا ما يسمى عند الانجليز بالادارة الأهلية Native Administration وهو تطبيق لما جاء فى تقرير ملنر فى سنة ١٩٢١ . وكلما نجحت فى جهة ألغى مركزها وبوليسها

فانه بحسب عقيدته يمقت من كل قلبه الاجنبي ويعتقد فيه أنه لا يفهم دينه وأن عاداته لا يقبلها الذوق »

ويقول بنتام « إذا كنت تريد ان تكسب قوما ، فيجب عليك ان تجعلهم يعتقدون أنك تحبهم وأن الطريقة المثلى هو أن تحبهم حبا صادقا » ويقول ماكيكل « إذا كان هـذا القول حقا فانه من جهة اخرى لا يمكن أن تؤسس المحبة على الجهل وسوء التفاهم . وعلى الادارى الذى يريد ان يكون ناجحا فى ادارته ان يتجمل بالصبر وسعة الحيلة وأن يبحث عن العادات الحسنة التى تكون مختبئة فى الأساليب الوطنية وأن يحاول بصبر ان يفهم امانى الوطنيين وآمالهم وأن يبحث عن حاجاتهم وان يعرف لماذا يشعرون بها ويريدونها ، قبل أن يشرع لهم . وقد وصل إلى هذا تمكن الادارى من استغلال الأساليب المحلية والعادات لما هو مفيد وسام »

ويقول الاستاذ بولارد فى الفصل السادس من الجزء الثانى من «تاريخ كامبردج الحديث » : « جميع الحكومات سواء أكانت مدنية أم دينية تقوم على أساس واحد فليست قوتها فى انها توافق العقل والصواب والقانون . ولكنها تستمد قوتها من العادة ولا يكون الحكم ممكنا اذا اغفلت العادات التى تسبق القانون والتى عندما تثبت فى النفوس تصاغ بصيغة القانون . والقتل والاعتداء وجرائم الخيانة والسرقة والغش جرائم محتقره عند الاوربيين . والسودانيين على السواء »

كانت أساليب نظام القبائل هى المتبعة فى السودان قبل فتح محمد على ١٨٢١ . ولم يشأ الحكم المصرى فى السودان أن يتدخل فى نظام القبائل وقد ترك لمشايخها أكثر ماكان لهم من السلطة على أن ينفذوا الاوامر التى تصدر إليهم وان يحصلوا الضرائب وعلى ان لايقوموا باى عمل مضر بمصالح الحكومة

عندما أعيد فتح السودان ، كان ادارته وحفظ الامن فيه عسكريا ، وكان لا يزال ماثلا لاذهان الحكام حوادث المهدية . وكان سلاطين باشا الذى عين مفتشا عاما للسودان محل ثقة الحاكم العام سير رجنالد وينجت باشا (١) ، وكانت آراؤه محترمة ونافذة . ولكونه احتمل ضروبا من الاذى وصنوفا من الارهاق والذل والهوان وهو فى الاسر ، ظل ذهنه مطبوعا باثار ماعانى واحتمل ، وظل يذكر الحوادث السابقة ، وكان قد انتهى الى عقيدة لم يتحول عنها ، وهو أنه يجب أن لايسمح لاحد من السودانيين أن يكون زعيما دينيا أو قبليا وأن لايسمح لاية شخصية فى

(١) لم يكن الانجليز الاخرون مرتاحين لهذه الثقة

السودان أن تظهر وأن تنمو وقد ظلت هذه الفكرة فى اثناء وجود سلاطين باشا سنة من ١٨٩٩ الى ١٩١٤ ، حيث عاد إلى بلاده النمسا وقامت الحرب وترك منصبه

ويقول مسترما كيكل « إنه وان كانت هذه الفكرة صحيحة الا أنه يجب الاعتراف بان هناك حقيقة وهى أنه مادام للانسان وجود على الارض فسيوجد دائما رجال يبرزون وأن بروزهم لايكون غير معقول أو شيئا فى غير محله . وفضلا عن ذلك فان الناس يفضلون أن يكون لهم زعماء ولا ينتظر منهم أن يقنعوا بغير ذلك »

وقد أحدثت الحرب ونتائجها تغييرا فى الحكومات . وقد وجدت حكومة السودان ان من الضرورى احداث تغيير فى طريقة حكمه . وقد جاء فى تقرير سير لى ستاك الحاكم العام للسودان عن ١٩٢١ : « لقد اتخذت خطوات كثيرة منذ ابتداء سنة ١٩٢١ لانتهاج سياسة مقتضاها السماح للوطنيين « أهالى السودان » بنصيب فى ادارة شئونهم ومساعدتهم على احتمال المسئوليات . وقد نفذت هذه السياسة بوسائل مختلفة لتحقيق هذا الغرض : فقد انتخب أهالى السودان وعينوا فى بعض وظائف معينة ونيطت بهم أعمال إدارية مباشرة . ومن جهة أخرى وضع تشريع خول للمشايخ الوطنيين بعض السلطات على أفراد قبائلهم » والتشريع المشار اليه قد وضع سنة ١٩٢١ ووفق عليه سنة ١٩٢٩ ورئى أن تكون سلطة المشايخ بارزة فى الميدان القضائى اكثر من السلطة التنفيذية وثانيا أن الأمر الصادر بهذا وصف بأنه تنظيم لسلطة المشايخ وذكر فيه أنه منذ زمن بعيد كان لمشايخ القبائل البجوية سلطة معاقبة رجال قبائلهم والفصل فى المنازعات التى تقوم بينهم وأنه قد رئى تنظيم استعمال هذه السلطات . وجعل أقصى ما يمكن الحكم به من الغرامة فى الجرائم الكبيرة التى يفصل فيها الشيخ مع أعضاء محكمته غرامة أقصاها ٢٥ جنيها انجليزيا والجرائم الصغرى رخص للشيخ أن يحكم فيها وحده باذن من المدير وأن يكون أقصى الغرامة عشرة جنيهات ولم يرخص لهم باصدار أحكام بالحبس وقد نيط تنفيذ حكم الشيخ بواسطة الحكومة كما لو كان الحكم صادرا من محكمة قضائية عادية

وفى سنة ١٩٢٢ رؤى القيام بتجربة فى دار مساليت التى كان يحكمها سلطان من اهلها والتى ضمت الى السودان بمقتضى الاتفاق الانجليزى الفرنساوى سنة ١٩١٩ . ذلك بان ترك لهذا السلطان أن يدير الشئون الداخلية لمملكته الصغيرة تحت اشراف « مقيم بريطانى » ومن جهة اخرى خول رئيس الشلك « ريت » فى النيل الأعلى شيء من السلطة . وانشئت محاكم من المشايخ فى المديريات الجنوبية للفصل فى القضايا المحلية القليلة الاهمية

وقد واصلت الحكومة السودانية هذه التجارب وقال الحاكم العام فى تقريره أنه قد أصبح لثلثمائة شيخ للقبائل البدوية وشبه البدوية سلطات تؤيدها سلطة الحكومة . وفى سنة ١٩٢٥ وضعت ميزانية خاصة للادارة الأهلية بدار مساليت ومنح لريق الدنكه فى بحر الغزال محكمة مشايخ . وصدر قانون المحاكم القروية عند ما عين سير جوفرى آرشر خلفا للسير لى استاك فى يناير سنة ١٩٢٥ وواصل تحقيق هذه السياسة ولكنه استقال بسبب صحته وعين فى ١٨ أكتوبر ١٩٢٦ سير جون مافى حاكما عاما للسودان ، وقد كان قبلا حاكما للاقليم الشمالى الغربى بالهند . وقد قال سير جون فى تقريره عن سنة ١٩٢٧ أنه مقتنع بتوسيع الادارة الأهلية وبتطبيق توصيات لجنة ملنر ١٩١٩ و ١٩٢٠ قد خول الامر الصادر من مجلس الحاكم العام فى سنة ١٩٢١ بان يكون له تأليف « محاكم أهلية » أى تؤلف من الاهالى فى أى جهة وأن يكون هناك نوعان من المحاكم : المحاكم العليا والمحاكم الصغرى ، فالمحاكم العليا يعين رئيسها ونائب رئيسها واعضاؤها التى تؤلف منها ويحد اختصاصها فى العقاب وتختلف هذه السلطة ، فهى أحيانا الحكم بالحبس لمدة سنتين والغرامة إلى مائة جنيه واحيانا بالحكم بالحبس لمدة شهر وغرامة خمسة جنيهات . أما فى المحاكم الصغرى فتتراوح السلطة بالحكم بغرامة مبلغها جنيهان وعشرون جنيها مصريا . ولهذين النوعين من المحاكم اختصاص مدنى واختصاص جنائى . وخول لمديرى المديريات ، بشرط موافقة الحكومة المركزية بان يضعوا قواعد لسير هذه المحاكم وبان يكون للمديرين والمفتشين حق مراجعة أى حكم تصدره ، محكمة أهلية أو أن ينقلوا اية قضية الى المحاكم العادية اذا رأوا ضرورة لذلك

وفى سنة ١٩٢٨ تقرر فتح اعتماد باعطاء مكافأت أو مرتبات لرؤساء المحاكم ومشايخ القبائل مقابل الأعمال المنوطة بهم والنفقات التى عليهم اداؤها مثل مرتبات السعاة والخدم ونفقاة بناء دور لهذه المحاكم . وقد عدل قانون الاجراءات الجنائية فقد انشئت فى المدن محاكم مثل هذه للفصل فى الجرائم الصغيرة بمقتضى هذه العقوبات وأعطى للمجالس الحكم بالحبس لمدة شهر والغرامة الى خمسة جنيهات

كذلك وسعت الادارة الأهلية عن طريق السماح للمشايخ الأكفاء الموثوق بهم الرقابة على ميزانيات القبائل وألفت جمعية تعاونية مدتها الحكومة بالمال تحت إشراف محكمة أهلية فى طوكر بادارة المال المخصص للسلف الزراعية للزراع فى دلتا

البركة وقد جعلت قبائل البجة مع الهدندوة تحت مديرية كسلا بدلا من محافظة بور سودان

وفى نهاية سنة ١٩٢٩ كان هناك ٧٢ محكمة أهلية فى شمال السودان سمعت أكثر من عشرة آلاف قضية

وفى سنة ١٩٣١ صدر قرار بشأن القبائل اللادينية فى الجنوب . كما صدر قرار آخر فى صدد المحاكم الأهلية فى الشمال حل محل التشريع السابق

النظام القضائى فى السودان

المحاكم الاهلية

انشئت فى السودان محاكم تشبه « محاكم الأخطاط » فى مصر وأسميت المحاكم الأهلية وصدر بشأنها القانون نمرة ٣ سنة ١٩٣٢

قانون المحاكم الأهلية سنة ١٩٣٢ - نشر فى غازيتة الحكومة السودانية عدد ٥٥٨ فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٣

وهو قانون لالغاء سلطات المشايخ سنة ١٩١٨ وقانون المحاكم القروية سنة ١٩٢٥ وقانون « تعديل » المحاكم القروية سنة ١٩٣٠ واعادة سنها معدلة

قد سن حاكم السودان العام فى مجلسه ما يأتى : —

اسم القانون وبدء نفاذه

١ — يسمى هذا القانون قانون المحاكم الأهلية سنة ١٩٣٢ ويعمل به عند نشره فى غازيتة حكومة السودان

الغاء

٢ — ١ - يلغى هذا القانون سلطات المشايخ سنة ١٩٢٨ وقانون المحاكم القروية سنة ١٩٢٥ وقانون « تعديل » المحاكم القروية سنة ١٩٣٠

٢ - جميع السلطات التى منحت والاعمال التى عملت والأحكام التى أصدرت والأوامر أو التعيينات التى حصلت واللوائح التى قررت بمقتضى أى القوانين التى قرر الغاؤها بهذا القانون والتى تكون نافذة المفعول مباشرة قبل اليوم الذى يعمل فيه بمقتضى هذا القانون تعتبر كأنها منحت وعملت وأصدرت وحصلت وقررت بمقتضى هذا القانون .

٣ ـ عند ما ينفذ هذا القانون تعتبر جميع القضايا المعلقة فى أية محكمة مؤسسة بمقتضى أى القوانين التى ألغيت بهذا كأنها شرع فيها بمقتضى هذا القانون ويواصل السير فيها بمقتضاه

٤ ـ فى كل تشريع صادر قبل نفاذ هذا القانون أشير فيه إلى أى قانون ملغى بهذا تعتبر تلك الاشارة بالقدر الممكن موجهة إلى هذا القانون

سريان القانون

٣ ــ يسرى هذا القانون على كل السودان ما عدا مديريات اعالى النيل وبحر الغزال ومنجلا

تعريف الالفاظ

٤ ــ تدل الالفاظ والعبارات الاتية فى هذا القانون على مايلى من المعانى مالم يظهر لها الموضوع أو سياق الكلام معنى آخر

يشتمل لفظ المفتش « مساعد المفتش » . عبارة « موظف حكومة » تشتمل أى شخص مستخدم فى الحكومة ماعدا :

(ا) صف ضباط وانفار قوة دفاع السودان

(ب) رجال البوليس من رتبة بتجاويش وادنى

(ج) الفعلة والمراسلات والحمالين وأية طوائف من الخدامين فى اية مديرية أو مركز أو منطقة يقررها الحاكم العام بامر ينشر فى غازيتة حكومة السودان ولكن تلك العبارة لاتشمل أى شخص فى خدمة شيخ

يشمل لفظ « شيخ » كل زعيم قبيلة أو اقليم منح سلطة على قبيلته أو جزء من أو على مركز او جزء من مركز أو على قرية

ويراد بلفظ « رئيس » كل شخص يرأس أية محكمة من المحاكم المؤسسة بمقتضى هذا القانون

ويراد بعبارة « محكمة قانونية اعتيادية » أية محكمة مؤسسة بمقتضى قانون تحقيق الجنايات أو قانون القضاء المدنى أو قانون محاكم السودان الشرعية سنة ١٩٠٢

أنواع المحاكم الأهلية

٥ - تكون فى السودان أنواع المحاكم الاهلية الآتية : -

(ا) « محكمة شيخ » ويقصد بها محكمة يرأسها شيخ جالس مع أعضاء.

(ب) « محكمة شيخ جالس فى مجلس » ويقصد بها محكمة الشيخ الجالس مع الكبار

(ج) محكمة قروية

(د) محكمة شيخ جالس منفرداً

(ه) محكمة مخصوصة كالمنصوص فى المادة ١٣

انشاء المحاكم الأهلية

٦ - ١ - يجوز للحاكم العام أن ينشىء محاكم أهلية فى الأماكن التى يستنسبها

٢ - تنشأ محكمة مخصوصة بالطريقة المبينة فى المادة ١٣

٣ - تنشأ محكمة قروية بأمر كتابى موقع عليه من المدير بموافقة الحاكم العام

٤ - كل نوع آخر من المحاكم الأهلية ينشأ بأمر موقع عليه من الحاكم العام

الأوامر القضائية بانشاء المحاكم الأهلية

٧ - ١ - يعين فى الامر القاضى بانشاء المحكمة الاهلية سلطاتها وحدود اختصاصها

٢ - يجب أن يبين فى الامر اسم الرئيس وإذا كانت محكمة شيخ فيبين أسماء الاشخاص المؤهلين للجلوس كاعضاء ويجوز أن يبين بالنسبة إلى محكمة الشيخ الجالس فى مجلس الكبار المؤهلون للجلوس مع الشيخ

٣ - فى محكمة الشيخ يجب أن يبين فى الامر الطريقة التى ينتخب بها الاعضاء المستعاضون والاضافيون وعدد الاعضاء الكافى لانعقاد المحكمة

٤ - يجوز ان ينص فى الامر أن الرئيس مأذون له أن يحول سلطاته الى الاشخاص المذكورين فى الامر وما لم ينص على ذلك صراحة فلا يجوز للرئيس أن يحول سلطاته الا باذن كتابى من المدير ولايعطى ذلك الاذن الا فى ظروف استثنائية فقط

٥ - يجب ان يصحب الامر باللوائح الصادرة بمقتضى المادة ١٧ . واذا كانت محكمة قروية يجب أن يبين بتلك اللوئح تشكيل المحكمة وتعيين الرئيس

٦ - يجوز أن يلغى الامر بواسطة الحاكم العام وتسحب السلطات الممنوحة بمقتضاه ، اذا اقتنع ان تلك السلطات قد اسىء استعمالها

اختصاص المحاكم

٨ - ١٠، لكل محكمة أهلية الاختصاص الكامل والسلطة بالقدر المبين فى هذا القانون أو فى الامر القاضى بانشاء المحكمة أو فى اللوائح المصحوب بها ذلك الامر ويشترط أن لاتكون لمحكمة أهلية سلطة :

(ا) ان تسمع اية دعوى مدنية طرفاها غير داخلين تحت اختصاص المحكمة الا برضاء الطرفين أو

(ب) أن تسمع اية دعوى مدنية يكون احدى طرفيها داخلا تحت الاختصاص والطرف الاخر غير داخل الا برضاء الطرف غير الداخل تحت الاختصاص أو

(ج) أن تسمع أية دعوى مختصة بملكية أرض ماعدا دعوى قسمة أرض مسجلة بمقتضى قانون تسوية وتسجيل الاراضى سنة ١٩٢٥ ومملوكة لشركاء فى أرث بحصص شائعة أو

(د) ان تحكم فى اية قضية جنائية يكون المتهم فيها موظفا فى الحكومة أو

(ه) ان تحكم فى اية قضية جنائية يكون المتهم فيها رجل بوليس الا برضاء المدير وأن كان المتهم صف ضابط أو عسكريا فى قوة دفاع السودان فلا تحكم الا برضاء قومندان القسم والمدير أو

(و) ان تحكم فى اية جريمة من الجرائم المبينة فى الجدول الاول الملحق بهذا القانون

ويشترط ايضا الا تكون للمحكمة القروية سلطة :

(ز) ان تحكم فى اية جريمة غير الجرائم المبينة فى الجدول الثانى الملحق بهذا القانون أو

(ح) ان تسمع أية دعوى مدنية تزيد قيمة الشىء المتنازع فيه عن خمسة جنيهات مصرية ما عدا امثال القضايا المذكورة فى البند الشرطى (ج)

٢ — لا يأول البند الشرطى (ج) من الفقرة (ا) بحيث يحرم المحكمة الأهلية من سماع قضية تتعلق بملكية النخيل .

٣ — فى دعوى قسمة عقار مسجل تحت قانون تسوية وتسجيل الاراضى سنة ١٩٢٥ ومملوك لشركاء فى ارث بحصص شائعة للمحكمة الاهلية ذات الاختصاص على المنطقة التى يقع فيها العقار الحق أن تسمع وتفصل فى تلك القضية بصرف

النظر عن ان واحدا أو أكثر من الشركاء فى الملك لا يقيم أو لايقيمون ضمن دائرة اختصاص المحكمة أو غير داخل أو غير داخلين تحت اختصاصها

القانون الذى يطبق

٩ - « ١ » تطبق المحكمة الأهلية ما يأتى : —

(ا) القانون الأهلى والعرف السارى فى المنطقة أو فى القبيلة التى يباشر المحكمة اختصاصها عليها ، بشرط ان لا يخالف ذلك القانون الأهلى والعرف العدالة أو الفضيلة أو النظام .

(ب) نصوص أى قانون لا تكون جزءاً من القانون الأهلى والعرف اذا اذن صراحة للمحكمة بمقتضى أمرها أو لوائحها أن تطبق تلك النصوص .

٢ — يجوز للمحكمة الأهلية مع مراعاة الشروط المدونة فى أمرها ولوائحها أن تحكم فى الجرائم بالغرامة أو بالحبس أو بهما معا . أو بالنسبة إلى الذكور فلها أن تحكم بما لا يزيد عن ٢٥ جلدة بالسوط أو المقرعة على أنه يشترط ما يأتى : —

(ا) أن لا تحكم محكمة الشيخ الجالس فى مجلس بالحبس .

(ب) أن تحكم المحكمة القروية بالغرامة فقط وان لاتتجاوز مقدار تلك الغرامة العشرة جنيهات مصرية .

وجوب حفظ محضر

١٠ — يجب أن يحفظ محضر بالكتابة عن كل القضايا التى يحكم فيها بموجب هذا القانون .

ويجب أن يشتمل المحضر على ما يأتى : —

(ا) اسم الرئيس . واذا كانت محكمة شيخ أو محكمة قروية فيجب تدوين اسماء الأعضاء .

(ب) تاريخ ومكان سماع القضية

(ج) اسماء طرفى القضية

(د) اسماء الشهود الذين استجوبوا

(ه) بيان موجز عن الوقائع .

(و) حكم المحكمة الذى يجب أن يوقع علية الرئيس واذا كانت محكمة شيخ أو محكمة قروية فيجب أن يوقع عليه الأعضاء

وجوب صدور الأحكام بالاجماع أو وجوب الموافقة عليها

١١ — لايعد صحيحاً حكم محكمة الشيخ أو حكم محكمة قروية لم يوافق عليه الأعضاء بالأجماع مالم يصدق عليه المفتش ولا يحصل هذا التصديق على حكم مالم يكن أصدر بأغلبية أصوات المحكمة

الاستئناف

١٢ — (١) يجوز أن تعطى المحكمة الأهلية بموجب الأمر القاضى بانشائها سلطات استئنافية وفى هذه الحالة يجب أن يبين فى الأمر المحاكم الأهلية التى يجوز استئناف أحكامها إلى تلك المحكمة

(٢) إذا نص على ذلك صراحة فى اللوائح المرافقة للأمر القاضى بانشاء المحكمة الأهلية فيكون هناك حق فى استئناف قرار تلك المحكمة إلى المحكمة الأهلية الأخرى المبينة فى لوائح المحكمة الأولى المذكورة

(٣) إذا لم تشتمل اللوائح المرافقة للامر القاضى بانشاء المحكمة الأهلية على نص صريح بخصوص حق الاستئناف إلى محكمة أهلية أخرى فلا يصح الاستئناف لا برضاء المدير أو المفتش

المحاكم المخصوصة

١٣ — (١) فى أى الأحوال الآتية يجوز للمدير بموافقة الحاكم العام أن يعقد محكمة إذا رأى ذلك من صالح العدالة

(ا) إذا كان المتهم أو المدعى عليه تابعاً لاختصاص محكمة أهلية والمشتكى و المدعى تابعاً لاختصاص محكمة أهلية أخرى

(ب) إذا كان المتهم نفسه شيخاً

(ج) إذا كانت الجريمة المزعومة ذات جسامة بحيث يظهر أن سلطات أية محكمة أهلية ذات اختصاص غير كافية للنظر والحكم فيها

٢ - يسمى المدير الرئيس والاعضاء للمحكمة المخصوصة من الاشخاص المعينين بمقتضى البند ٧ للجلوس فى محكمة شيخ

٣ — فى الاحوال المبينة بالبندين (ا) و (ب) من الفقرة (١) يجوز أن تكون موافقة الحاكم العام المطلوبة بالفقرة «١» موافقة عمومية قابلة للالغاء من قبله فى

أى وقت ولكن فى الحالة المبينة بالبند «ج» من الفقرة «١» يجب ان تكون هناك موافقة مخصوصة تتعلق بكل حالة

٤ ـ سلطات المحكمة المخصوصة بالحبس لا يجوز ان تزيد : ـ

١ ـ فى الحالة المبينة بالبند (أ) من الفقرة (١) عن اقصى السلطات المقررة فى الامر لاى عضو من اعضاء المحكمة المخصوصة بصفته رئيساً لمحكمة اهلية

٢ ـ فى الحالة المبينة فى البند (ب) من الفقرة (١) عن سبع سنوات

٣ ـ فى الحالة المبينة فى البند (ج) من الفقرة (١) عن عشر سنوات

٤ ـ لا يعتبر القرار ولا الحكم نهائياً فى اية قضية جنائية حكمت فيها محكمة مخصوصة الا بعد ان يؤيده المدير

سلطة اعادة النظر

١٤ ـ (١) فى اية قضية حكمت فيها محكمة اهلية غير المحكمة المخصوصة يجوز للمدير او للمفتش بناء على طلب اى شخص له علاقة بالقضية او من تلقاء نفسه ان يفعل ما يأتى : ـ

(ا) ان يوقف او يخفض او يعدل بغير ذلك اى حكم او قرار او

(ب) ان يأمر باعادة سماع القضية امام نفس المحكمة او امام اية محكمة اهلية أخرى مختصة بالنظر فيها او

(ج) ان ينقل الى محكمته اية قضية اما قبل المحاكمة أو فى اية درجة من درجات الاجراءات سواء كان قبل او بعد اصدار الحكم او اعطاء القرار

٢ ـ للمدير مثل هذه السلطات فى اية قضية حكمت فيها محكمة مخصوصة

القضايا المعلقة او التى حكم فيها امام محاكم اخرى

١٥ ـ لا حق للمحاكم القانونية الاعتيادية بالنظر فى أية مسألة جنائية كانت او مدنية سبق الحكم فيها بموجب نصوص هذا القانون ما دام ذلك الحكم قائماً ولا يجوز لاية محكمة منشأة بمقتضى هذا القانون ان تحكم فى أية قضية تنظر فيها او قد نظرتها اية محكمة قانونية اعتيادية الا برضاء تلك المحكمة

التنفيذ

الحكم بالغرامة اذا أصدرته محكمة لها سلطة الحكم بالحبس يجوز تنفيذه بمقتضى حكم بالحبس فى حالة عدم دفع الغرامة بشرط أن لا يزيد بمجموع مدة الحكم بالحبس فى حالة عدم دفع الغرامة والحكم الأساسى بالحبس « ان وجد » كلاهما عن أقصى المدة التى للمحكمة الحكم بها .

٢ ـ تنفذ أحكام وقرارات المحاكم الأهلية بالطريقة المنصوص عنها فى اللوائح المرفقة بالأمر القاضى بانشاء المحكمة

٣ ـ يجوز للمفتش أن يجرى تنفيذ حكم أية محكمة أهلية بناء على طلب تلك المحكمة أو طلب الطرف المتظلم بنفس الطريقة التى ينفذ بها لو كان حكم أو قرار محكمة قانونية اعتيادية .

اللوائح

١٧ « ١ » يصدر المدير لوائح ترافق الأمر القاضى بانشاء المحكمة الأهلية لارشاد المحكمة وتنفيذ نصوص هذا القانون

لايجوز أن تكون تلك اللوائح مخالفة لنصوص هذا القانون ويجوز أن تنص على ما يأتى : ـ

(ا) تحديد سلطات المحاكم الأهلية من حيث اختصاصها على الأشخاص والجرائم التى يجوز أن تحاكم فيها والعقوبات وأنواع أو قيمة القضايا التى يجوز أن تسمع واية قيود أخرى يستنسبها المدير .

(ب) الاجراء بخصوص الاستئنافات

(ج) الرسوم التى تدفع فى المحاكم الأهلية

(د) التصرف بالغرامات والرسوم التى تحصلها المحاكم الاهلية واستعمال تلك الغرامات والرسوم

(ه) طرق السير فى المحاكم الاهلية والاجراءات المتبعة فيها

(و) تشكيل المحاكم القروية وتعيين اشخاص للرئاسة

(ز) تعيين الكبار للجلوس مع الشيخ فى المجلس

(ح) الطريقة التى تنفذ بها قرارات المحاكم

(ط) تنفيذ نصوص هذا القانون على العموم

٣ ـ هذه اللوائح تكون خاضعة لموافقة السكرتير الادارى والسكرتير القضائى وبقدر ما لها من العلاقة بالتصرف بالرسوم أو ايراد آخر أو صرف أى مصاريف لم تقرر فى الميزانية تكون خاضعة لموافقة السكرتير المالى

الجدول الاول

القتل . الجرائم ضد الحكومة أو التى تتعلق بالقوات العسكرية ، الجرائم التى تتعلق بالاسترقاق . أى أنواع أخرى من الجرائم يجوز أن تستثنى على الخصوص فى الأمر القاضى بانشاء المحكمة

الجدول الثانى

التهجم . الأذى . الاساءة الناشىء منها خسارة أو تلف بمقدار لا يزيد عن خمسة جنيهات مصرية . التعدى الجنائى . السب . المشاجرة . تلويث ماء مورد عام أو صهريج عمدا . السرقة أو الامتلاك الجنائى او خيانة الأمانة لمال لا تزيد قيمته عن خمسة جنيهات مصرية

الجرائم ضد أى قانون داخل صراحة فى الأمر القاضى بانشاء المحكمة بانه قانون تدخل مخالفته ضمن اختصاص المحكمة .

أصدره حاكم السودان العام فى مجلسه فى اليوم الثانى العشرين من شهر يناير سنة ١٩٣٢

« الامضاء » ر . ح . هلارد
سكرتير المجلس

« الامضاء » ج . ل . مفى
الحاكم العام

تنفيذ الاحكام بين مصر والسودان

بمقتضى قانون تنفيذ الاحكام المصرية الصادر فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠١ ، يجب على صاحب أى حكم مصرى مدنى أن يتوجه إلى السودان أو أن يعين وكيلا له فيه لدى المحكمة المدنية للحصول على حكم سودانى استنادا الى الحكم المصرى

أما الاحكام الشرعية المصرية فانها تنفذ فى السودان مباشرة بغير حاجة إلى استصدار حكم فى السودان ، ذلك لأن القضاء الشرعى فى السودان يسير طبقا للقضاء الشرعى فى مصر ، ولأن قاضى قضاة السودان هو قاض شرعى مصرى كما هو معروف

وتسلم حكومة السودان الى الحكومة المصرية كل متهم أو محكوم عليه من المصريين بمجرد طلب وزارة الحقانية المصرية

وتنفذ الأحكام السودانية الشرعية بطريق إرسالها إلى وزارة الحقانية المصرية لتتولى التنفيذ

والحكومة المصرية تعد كل سودانى فيها كالرعايا المصريين من وجهة التقاضى والمحاكمات الجنائية

المحاكم المدنية والجنائية

قبل المهدية - كان الحكم مباشرا اى أن الذى يتولاه هم المأمورون والمديرون ورؤساء الاخطاط بغير تعيين اشخاص معينين إخصائيين يتولون القضاء

فى عهد المهدية — كان يتولى القضاء قضاة شرعيون وموظفون - يشبهون المديرين سلطة ، قابلين للنقل والعزل . وكانت احكامهم تستأنف أمام مجلس القضاة فى أم درمان ويؤلف من عشرة قضاة يرأسهم قاضى القضاة . على أن المرجع الأخير كان للمهدى ثم لخليفته عبدالله التعايشى

وكان هؤلاء القضاة يفصلون فى جميع المنازعات ماعدا المسائل التجارية فهى من اختصاص المجلس التجارى المؤلف من عشرة تجار . وكان « وهبى » وهو مصرى كان مأموراً فى بربر قبل الثوره المهدية يفصل فى الجرائم الصغيرة

بعد استعادة السودان — كان الحكم مباشرا أى يتولى القضاء المديرون والمأمورون فى المسائل المدنية والتجارية . والقضاة الشرعيون فى مسائل الاحوال الشخصية

وفى سنة ١٩١٩ أنشئت سلطة المشايخ « العمد » فاصبحوا يحكمون فى بعض القضايا وتطور هذا النظام فأنشئت « محاكم أهلية » ويرأس المحكمة الأهلية ناظر القبيلة أو الخط أو من يعينه الحاكم العام ويكون معه أعضاء يختلف عددهم بحسب البلاد . كما هو مبين فى القوانين السابقة فى هذا الفصل

المحاكم المدنية — توجد محاكم نظامية مدنية كالمحاكم الأهلية بمصر . وترفع إليها الدعوى بعريضة تلصق بها ورقة تمغة قيمتها ثلاثة قروش . ويذكر بها ملخص الدعوى والطلبات وتقدم العريضة فى اليوم التالى بالجلسة الساعة التاسعة صباحا . وفى هذه الجلسة يصرح القاضى للمدعى بالسير فى الدعوى فيحصل رسم عليها بنسبة ٥ ٪

من قيمتها ابتدائيا واسمها « رسوم شكوى» و ٥ ٪ أخرى واسمها « رسوم سماع » وتحدد جلسة لسماع الدعوى ويكون تحديدها بعد أسبوع على الأقل من تاريخ دفع الرسوم

وهناك محكمة جنائية تسمى « محكمة بوليس »

ولغة المحاكم النظامية هى : الانجليزية والعربية غير أن الغالب أن تكون الأحكام واعداد المحاضر بالانجليزية

تنفيذ الأحكام النظامية والشرعية - يكون تنفيذها بطريق عريضة من جديد ، ويؤخذ عليها رسم ٥ ٪ فيصدر القاضى أمره بالحجز . وينفذ الأوامر « المحضر » وبعد ذلك ينفذ الحجز فى سبعة أيام . والبيع يكون بناء على طلب الدائن وبعد اعلان تاريخ البيع فى موعد ١٤ يوما فى حالة بيع منقولات وشهر فى حالة العقارات . ولا يجوز بيع العقارات إلا بأمر من المدير

وتنفذ المحاكم المدنية النظامية الأحكام الشرعية بالنفقات وتسليم الاولاد

وتؤلف محكمة الاستئناف من ثلاثة قضاة . وأكثر القضايا الجنائية يفصل فيها رجال الادارة ويقدم الاستئناف فيها للحاكم العام . وفى الجنايات فى المحاكم الكبرى تستأنف الاحكام أمام المدير بواسطة السكرتير القضائى ، الذى سلطته تماثل سلطة وزير الحقانية فى مصر

وتتألف محكمة عليا من جميع القضاة المدنيين الحاليين ومحكمة الاستئناف من ثلاثة من أعضاء المحكمه العليا . أما فى القضايا الصغرى فمحكمه الاستئناف تؤلف على الارجح من قاضيين فقط

وقد تمت مبانى المحاكم فى الخرطوم وفتحها صاحب السمو الملكى دوق كنوت فى فبراير سنه ١٩٠٨

وأعدت الحكومة منازل للقضاة والموظفين فى البلاد البعيدة كالرصيرص .

ومن محاكم السودان :

محكمة النائب القضائى . والمحامى العام . ومحكمة الخرطوم المدنية ومحكمة الافلاس بالخرطوم ومحكمة الاراضى والتسجيل بالخرطوم ومحكمة مركز الخرطوم ومحكمة مركز أم درمان والتسجيل ومحكمة الخرطوم التالية ومحكمة ضابط بوليس الخرطوم ومحكمة مديرية البحر الاحمر ومفتشون قضائيون ، ومكاتب لتسوية الاراضى ومحكمة واد مدنى

وقد زاول مصريون مهنة القضاء المدنى فى السودان نذكر منهم حضرات

صدقى خليل افندى « بك » والسيد العشرى بك والسبع بك ومحمد حسن العشماوى بك ، وكيل المعارف الآن ، وأحمد فؤاد بك

ومن القوانين : العقوبات تحقيق الجنايات ، قانون القضاء المدنى ، قانون محاكم السودان الشرعية ، وتأديب الوطنيين ، والعوائد الجليلة ، والضرائب وأراضى الحكومة والبوليس ، والقطن والبوليس والصحة

وجاء فى تقرير كرومر عن سنة ١٩٠٦ ما يلى :

« عين منذ زمن ليس ببعيد صدقى افندى خليل « بك » أحد متخرجى مدرسة الحقوق مع قاض مصرى آخر للفصل فى القضايا الصغيرة فى الخرطوم . وقال مستر بونهام كارتر « قدم الى صدقى افندى خليل تقريرا يذكر فيه قصر المدة التى تفصل فيها القضايا الصغيرة فى السودان والتأخير العظيم فى القضايا فى القطر المصرى ففى سماع هذه القضايا لا يبالغ بالاهتمام بالاجراءات الاصطلاحية . وأؤمل أن يكون مثل ذلك جاريا فى قضايا السودان عموما . فاننا قد وضعنا قول السر جورج جسل نصب عيوننا « وهو أن فائدة هذه الامور الاصطلاحية التخلص من قبضة القضاة » . وانما أقول هذا القول لاعتقادى أن اجراءات المحاكم المصرية بطيئة جدا على غير جدوى . وأصرح باعتقادى أنه لابد من مجىء يوم يظهر فيه للجمهور فضل النظام القضائى السودانى على المصرى »

وكان القضاة المصريين يحملون شهادة مدرسة الحقوق الخديوية . ولا يوجد منهم أحد اليوم فقد نقلوا شيئا فشيئاً فى العهد الاخير الى القضاء الاهلى

على أن شهادة الدراسة الحقوقية ليست شرطاً فى التعيين فى وظائف القضاة ، فهناك مترجمون بالمحاكم أو موظفون عينوا قضاة مدنيين . وأكثر القضاة من الأنجليز ويوجد نسيب البستانى افندى قاضيا مدنيا لمحكمة واد مدنى وهو لبنانى الأصل .

المحاماة — عدد المحامين فى الخرطوم خمسة : أحدهم انجليزى ، واثنان يونيان واثنان احدهما مصرى والثانى متمصر . ولا يجوز للمحامى الغريب أن يترافع فى السودان إلا بعد تصديق من الحاكم العام وتصدر المحاكم النظامية أحكامها بسرعة والاجراءات سهلة . والعدالة فيها مكفولة أكثر من المحاكم الأهلية والقروية السودانية .

وقد أصدرت الحكومة فى هذا العام تشريعاً خاصا بمزوالة مهنة المحاماة بين خريجى الحقوق السودانيين . وأنشأت مدرسة حقوق الخرطوم لتخريج القضاة والمحامين . وقد نشر التشريع الخاص بها فى الفصل الخاص بالتعليم فى السودان

مسألة قاضى قضاة السودان(١)

منصب قاضى قضاة السودان هو أكبر منصب شغله ويشغله مصرى فى الحكومة السودانية . وقد عرضنا كرغبة الحكومة السودانية فى الاحتفاظ به إلى أحد رجال القضاء الشرعى السودانيين « راجع صفحات ١١٧ و١١٨ و١٢٣ من هذا الجزء » وذلك لمناسبة نقل فضيلة الشيخ محمد امين قراعة من السودان إلى مصر

وقد رأينا أن ننقل هنا ماجاء فى « الوقائع المصرية » فى عددها الصادر بتاريخ ٢١ ابريل سنة ١٩٣٢ المرسوم التالى بعنوان مرسوم بشأن قاضى قضاة السودان وهذا نصه :

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بناء على طلب الحاكم العام للسودان وبعد الاطلاع على قرار مجلس الوزراء فى ٣٠ مارس سنة ١٩٣٢ وموافقة رأى ذلك المجلس ، رسمنا بما هو آت :

المادة الأولى — يخلى الشيخ محمد نعمان الجارم نائب محكمة طنطا الابتدائية الشرعية من وظيفته ليتولى منصب قاضى قضاة السودان

المادة الثانية — على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ مرسومنا هذا

بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك : رئيس مجلس الوزراء

اسماعيل صدقى

« فؤاد »

صدر بسراى عابدين فى ٩ ذى الحجة سنة ١٣٥٠ الموافق ١٥ ابريل سنة ١٩٣٢

* * *

وقد وافق مجلس الوزراء فى جلسة ٣٠ مارس سنة ١٩٣٥ على تعيين فضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم نائب محكمة طنطا الشرعية قاضيا لقضاة السودان على أن يعطى مرتبا سنويا مقداره ٩٠٠ جنيه فى السنة ويزاوله فى كل سنة مائة جنيه بحسبان خدمة السنة الواحدة فى السودان مقابل سنة ونصف فى مصر وأن تكون احالته على المعاش على قاعدة ١٢٠٠ جنيه مصرى

وقد درست وزارة المالية طلبات فضيلة الشيخ الجارم لمعرفة الفرق بين راتبه فى الخرطوم وراتبه فى مصر لو بقى فى المحاكم الشرعية وبين معاشه الذى يتناوله هنا بعد انتهاء مدة خدمته ومعاشه الذى يتناوله بعد انتهاء مدة الخدمة فى السودان وستحمل الحكومة المصرية الراتب مدة الخدمة والمعاش بعد الاحالة على المعاش

(١) أنظر جريدة الاهرام العدد الصادر بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٣٢

الفصل العاشر

ديون مصر على السودان

لقد احتملت مصر تضحيات كثيرة فى فتح السودان وإقامة المدنية ونشر الحضارة فيه ، وضحت بالمال وبدماء أبنائها حتى نقلت السودان من حياة بدوية صحراوية الى حياة مدنية ، فيها مدن وقصور ودواوين وجيش منظم وادارة وبوليس .

وقد بلغت ديون مصر على السودان ملايين الجنيهات . وللأسف أنه لا يوجد إحصاء رسمى جامع لما دفعته مصر منذ فتح السودان فى عهد محمد على

ويمكن أن يقال إجمالا إن مصر كانت تسد نفقات الادارة منذ عهد محمد على ، وكانت تدفع نفقات جيشها ، حتى سحبه سنة ١٩٢٤ ، وأنها أنشأت مبانى كثيرة جداً تبلغ قيمتها ملايين الجنيهات ، ومنذ سحب الجيش المصرى فى سنة ١٩٢٤ ، تدفع مصر مبلغ ٧٥٠ ألف جنيه لقوة دفاع السودان ، فضلا عما تنفقه على مصلحة الرى المصرى فى السودان وفضلا عن مرتبات موظفى وزارة الأشغال والوزارات الأخرى حين كان لمصر موظفون مدنيون كثيرون

وسنحاول فيما يلى أن ندون بياناً لبعض ديون مصر على السودان بعد استعادته . أما قبل هذا التاريخ فقد كان السودان معدوداً جزءاً من مصر ولم يتيسر لنا إحصاء نفقات مصر فى تمدينه وادارته ، وقد نستطيع ذلك فى الطبعة الثانية إن شاء الله .

* * *

جاء فى تقرير اللورد كرومر سنة ١٨٩٩ « السودان هوة تبتلع الملايين كما يذوب الثلج فى حر الشمس . فهو سبب وهن المالية المصرية وضعفها ، وقد انفقت فيه انكلترا مبالغ طائلة ، أملت استعادتها عند تصفية الحساب . ففى ٤ أغسطس سنة ١٨٨٤ قرر مجلس النواب « الانجليزى » فتح اعتماد بمبلغ ٣٠٠ ر ٠٠٠ جنيه لحملة ولسلى ، لينقذ غوردون ، فوصل هذا الاعتماد الضئيل الى ١١ مليون جنيه . وفى سنة ١٨٩٦ وعدت الوزارة مجلس النواب بأنها لن ترتكب مثل هذه الهفوة مرة أخرى . فاذا ضمت السودان إلى أملاكها ، فأنها تضاعف هذه الهفوة »

* * *

وقد ورد فى نص مشروع الاتفاق بين مصر وانكلترا عن السودان سنة ١٩٢١ الفقرة الاتية وهى الفقرة (١٣)

« مع الحرية بعقد اتفاقات جديدة فى المستقبل تعديلا لاتفاق ١٨٩٩ يتفق الفريقان المتعاقدان على أن تكون حالة السودان هى الحالة المترتبة على الاتفاق المذكور وعلى ذلك يواصل الحاكم العام استعمال السلطة المخولة له بموجب الاتفاق المذكور بالنيابة عن الفريقين المتعاقدين »

وجاء بالمذكرات التى شرحت بها المواد الاساسية لنص المذكرة البريطانية مانصه « لما تباحثنا فى الفقرة ١٣ من الاقتراحات اتفقنا على أن تفحص مسألة الديون التى على السودان فى الوقت الحاضر بقصد تسويتها على اساس العدل والانصاف واتفقنا ايضا على أن يبحث ممثل الخزانة البريطانية مع ممثل وزارة المالية المصرية فى هذه المسألة حالما تنفذ المعاهدة التى تعقد على أساس الاقتراحات ».

وقد رأى بعض الصحف أن يتكلم فى ديون مصر على السودان فقال أن هذه الديون تبلغ ١٥ مليون جنيه فعقد حضرة صاحب السعادة محمد أبو الفتوح باشا فصلا فى ذلك أرسله الى « الاهرام » قال :

ذكرت جريدة المقطم فى عددها الصادر يوم الأحد ١١ الجارى تحت عنوان « ديون السودان » أن قيمة هذا الدين ١٥ مليون جنيه . ولما كان هذا الرقم بعيداً كل البعد عن حقيقة ماللحكومة المصرية من الديون على السودان ، رأينا أن نوضح الحقيقة . وفى قبول حكومة انكلترا مراجعة ديون مصر على السودان ربح عظيم لنا وحسنة كبرى من حسنات هذا الاتفاق . والمعلومات التى سأذكرها جزء من ابحاثى التى قمت بها حينما كنت مستشارا فى الوفد الرسمى وقد توصلت إليها من جداول الاحصاء السنوية التى تنشرها مصلحة الاحصاء المصرية

إن ديون مصر على السودان تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

« القسم الأول » يتكون من المبالغ الداخلة فى الميزانية الاعتيادية للحكومة المصرية

ثانياً ــ المبالغ المأخوذة من الاحتياطى

ثالثا ــ المبالغ التى ترتبت على وجود الجيش المصرى فى السودان

وقد أضفنا إلى كل من مبالغ القسم الأول والثانى فائدة ثلاثة فى المائة طبقاً لتصريح وزير المالية المصرية أمام مجلس شورى القوانين إجابة للرغبة التى أبداها المجلس بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩ من وجوب أن يدفع السودان لمصر فوائد على دينها تعادل الفائدة التى تدفعها مصر لدائنيها

وقد وضحنا هذه المبالغ الثلاثة فى الجداول الآتية :

كشف رقم ١

المبالغ التى أخذت من الميزانية المصرية المعتادة

سنة	أصل المبلغ	أرباح ٣ ٪
١٨٩٩	١٤٠ر٦١٣	٤٢١٨
١٩٠٠	١٣٤ر٣١٧	٨٣٧٤
١٩٠١	١٩٤ر٥٤٥	١٤٤٦٢
١٩٠٢	٢٦٧ر١٧٣	٢٢٩١١
١٩٠٣	١٩٦ر٠٦٣	٢٩٤٨٠
١٩٠٤	١٩٣ر٨٥٠	٣٦١٨٠
١٩٠٥	١٩٣ر٠٠٦	٤٣٠٥٦
١٩٠٦	٢٥٣ر٠٠٦	٥١٩٣٨
١٩٠٧	٢٥٣ر٠٠٦	٦١٠٨٦
١٩٠٨	٢٥٣ر٠٠٦	٧٠٥٠٩
١٩٠٩	٢٠٨ر٠٠٠	٧٨٨٦٤
١٩١٠	١٩٨ر٠٠٠	٨٧١٣٠
١٩١١	١٨٨ر٠٠٠	٩٥٤٢٥
١٩١٢	١٦٣ر٠٠٠	١٠٣١٧٨
من ١٩١٢ إلى ١٩٢١	٠٠٠ر٠٠٠	١٠٧٦٥٧٩
	٢ر٨٣٥ر٥٨٥	١ر٧٨٣ر٢٩٠

المجموع ٤ر٦١٨ر٩٧٥

وعلى ذلك يكون بمجموع المبالغ التى أخذت من الميزانية العادية المصرية وفوائدها حتى سنة ١٩٢١ هو مبلغ ٤٦١٨٩٧٥

كشف رقم ٢

المبالغ التى أخذت من الاحتياطى

سنة	اصل المبلغ	ارباح ٣ ٪
١٨٩٦	٣٠٥ ر ٦٤٠	٣٠٩ ر ١٩
١٨٩٧	٨٢٨ ر ٦٥٤	٤٣٠ ر ٣٩
١٨٩٨	٣٧٨ ر ٥٥٠	١٢٤ ر ٥٧
١٨٩٩	٧٤٥ ر ٥٦٤	٩٨٠ ر ٧٣
١٩٠٠ — ١٩٠١	٥٧١ ر ٢٠٨	٥٥٧ ر ٨٣
١٩٠٢	٤١٧ ر ١٥٥	٥٩٣ ر ٨٩
١٩٠٣	٥٤٤ ر ١٤٦	٦٧٧ ر ٩٣
١٩٠٤	٣٩٢ ر ٦٣٠	٣٩٩ ر ١١٥
١٩٠٥	٤٥٥ ر ٧٠٤	٩٩٥ ر ١٣٩
١٩٠٦	٢٤٢ ر ٦٧٢	٣٦٢ ر ١٦٤
١٩٠٧	٥٩٨ ر ٩٩١	٣٤٢ ر ١٩٦
١٩٠٨	٦٠٧ ر ٦٦٥	١٩٩ ر ٢٢٢
١٩٠٩	٢٠٠ ر ٦٤٥	٢٢١ ر ٢٤٨
١٩١٠	٨٦٦ ر ٥١٨	٢٣٤ ر ٢٨٠
١٩١١	٥١٠ ر ١٣٢	٢١٦ ر ٢٩٢
١٩١٢	٧٢٨ ر ٤٥	٧٦٦ ر ٣٠٢
١٩١٣	٨٥٦ ر ٤٣	١٦٥ ر ٣١٤
١٩١٤	٩٨٩ ر ٤	٥٧٨ ر ٣٤٩ ر ٢
١٩١٤ الى ١٩٢١	٠٠٠ ر ٠٠٠	
	٢٣١ ر ٩٨٦ ر ٧	١٤٦ ر ٠٨١ ر ٥

المجموع ٣٧٧ ر ٠٦٧ ر ١٣

كشف رقم ٣ — نفقات الجيش

فى حساب هذا الكشف راعينا المبالغ التى كانت تنفق على الجيش المصرى قبل فتح السودان وقبل الاستعدادات التى عملت لهذا الفتح فلم نحسبها . وأضفنا على السودان فقط الفرق بين مصروفات الجيش حال وجوده بالسودان ومصروفاته قبل الفتح حال وجود أكبر قوة عسكرية منه . وللوصول الى هذه الغاية أخذنا متوسط ميزانية الجيش من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٢ فوجدنا هذا المتوسط ٣٣٠ر٣٨٣ جنيه مصرى . فحذفنا هذا المبلغ من الميزانية السنوية للجيش المصرى من سنة ١٨٩٩ سنة المعاهدة الى سنة ١٩٢١ وأضفنا على السودان الباقى بعد خصم هذا المتوسط .

وتعمدنا عدم ذكر نفقات الجيش من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٩ لأن هذه النفقات عملت لفتح السودان ولا يجوز اضافتها الى هذه المبالغ .

وعلى الرغم من أن الجيش كان بأجمعه فى السودان فان المصروفات التى أضيفت على السودان هى أقل من ثلث مجموع مصروفات الجيش المصرى . ولو جرينا على تقسيم مصروفات الجيش المصرى بين مصر والسودان بقياس عدد العساكر التى فى كل منهما لكان على السودان أن يحتمل ميزانية الجيش كلها تقريبا .

وها هو كشف نفقات الجيش من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٢ الذى جعلناه أساسا لاستخراج المتوسط : —

سنة	جملة
١٨٨٣	٢٤٦ر٩١٤
١٨٨٤	٢٧١ر٢٧٩
١٨٨٥	١٢٩ر٣١٠
١٨٨٦	١٤٠ر٩٣٦
١٨٨٧	٢٠٦ر٠٦٣
١٨٨٨	٣٨٦ر١٣٨
١٨٨٩	٤٩٤ر٥٥١
١٨٩٠	٤٦٠ر٩٧٧
١٨٩١	٤٩٤ر٣٠٠
١٨٩٢	٤٧٣ر٣٥٦
	٣ر٣٠٣ر٨٢٤

كشف رقم ٤

المبالغ التى أخذت من الميزانية المعتادة	٤ر٦٠٨ر٩٧٥
المبالغ التى أخذت من الاحتياطى	١٢ر٩٦٧ر٥٧٧
النفقات العسكرية	١٧ر٦١٩ر٥٢١
المجموع	٣٥ر١٩٦ر٠٧٣

ملحوظة - جميع هذه المبالغ والارقام مأخوذة من احصائيات سنوية للحكومة المصرية

لندن فى ٥ أغسطس سنة ١٩٢١

الامضاء : محمد أبو الفتوح

وبين نفقات الجيش سنويا بعد رجوعه الى السودان ولم نضف بحسابنا أى مبلغ من المبالغ التى انفقت من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٨٩٩ باعتبار أن الجيش كان يعمل فى هذه المدة لاسترداد السودان

ولا يمكن أن يقال أن المبالغ المحويه على السودان فى نفقات الجيش مبالغ فيها لانها لم تصل فى سنة من السنين الى ثلث مجموع نفقات الجيش مع أن الجيش تقريبا كله كان بالسودان ويلاحظ أننا هنا لم نضف فوائد مطلقا الى نفقات الجيش

وقد أوقفنا هذا الحساب لغاية سنة ١٩٢١ فاذا أضفنا إلى ذلك الفائدة من سنة ١٩٢١ إلى الان يكون مجموع الديون التى للحكومة المصرية على السودان ٤٠٠٠٥٣٦٠ ج . م وذلك بخلاف المبالغ التى صرفت من سنة ١٩٢١ للآن

وهذه مبالغ لايستهان بها لانها تقرب من قيمة ثلثى الدين الذى على مصر اذا نظرنا لقيمة الحقيقة لا لقيمة اسهمه الاسمية

النفقات العسكرية

سنة	الجملة	الجملة بعد المتوسط	ارباح ٣ ٪
١٨٩٩	٧٤١ر٤٠٨	٤١١ر٠٢٥	١٢ر٣٣١
١٩٠٠	٧٢٣ر٦٠١	٣٩٢ر٢١٨	٢٤ر٤٦٧
١٩٠١	٦٦٠ر٠٤١	٣٢٩ر٦٥٧	٣٥ر٠٩٠
١٩٠٢	٥٥٧ر٣٧٨	٢٨٦ر٩٩٥	٤٢ر٩٥٤
١٩٠٣	٦١٠ر٨٥٧	٢٨٠ر٤٧٤	٥٢ر٦٥٦
١٩٠٤	٦٢٤ر٩٩٦	٢٩٤ر٦١٣	٦٣ر٠٧٤
١٩٠٥	٦٥٧ر٦١٦	٣٢٧ر٢٣٣	٧١ر٧٨٣
١٩٠٦	٧٢٤ر٤١٢	٣٩٤ر٠٢٩	٨٥ر٧٥٨
١٩٠٧	٧٤٨ر٤٠٩	٤١٨ر٠٠٧	١٠٠ر٨٧١
١٩٠٨	٨٠٥ر٠١٣	٤٧٤ر٦٣٠	١١٨ر١٣٦
١٩٠٩	٨٢٠ر٨٢٣	٤٩٠ر٤٤٠	١٣٦ر٣٩٤
١٩١٠	٨٦٣ر٢٢٣	٥٣٢ر٨٤٠	١٥٦ر٤٧١
١٩١١	٩١٠ر٢٤١	٥٧٩ر٨٥٨	١٧٨ر٥٦٠
١٩١٢	٩٥٠ر٦٩٣	٦٢٠ر٣١٠	٢٠٢ر٥٢٧
١٩١٣	٩٧٩ر٦٤٨	٦٤٩ر٢٦٥	٢٢٨ر٠٨٠
١٩١٤	٢٢١ر٨٨٩	٢٢١ر٨٨٩	٢٦٠ر٣٢٥
١٩١٤—١٩١٥	٩٥٥ر٣٤١	٦٢٤ر٨٥٨	
١٩١٥—١٩١٦	٨٦٦ر٠٩٥	٥٣٥ر٧١٢	٢٨٤ر٢٠٦
١٩١٦—١٩١٧	٩٢٩ر٤١١	٥٩٩ر٠٢٨	٢١٠ر٧٠٣
١٩١٧—١٩١٨	١ر٢٠٨ر٤٤٠	٨٧٨ر٠٥٧	٣٤٦ر٣٦٦
١٩١٨—١٩١٩	١ر٦١٥ر٠٥٥	١ر٤٢٣ر٠٧٢	٣٩٩ر٤٤٩
١٩١٩—١٩٢٠	١ر٧٥٣ر٤٥٥	١ر٢٨٤ر٦٧٢	٤٤٩ر٩٧٣
١٩٢٠—١٩٢١	١ر٨٩٠ر٥٦٠	١ر٥٦٠ر١٧٧	٥١٠ر٢٧٧
		١٣ر٥٤٩ر٠٧٠	٤ر٠٧٠ر٤٥١

المجموع ١٧ر٦١٩ر٥٢١

بيان محمد شفيق باشا فى مجلس النواب

يوم الاربعاء ٢٢ محرم سنة ١٣٥٢ هـ الموافق ١٧ مايو سنة ١٩٣٣ م رد معالى محمد شفيق باشا وزير الاشغال ونائب رئيس مجلس الوزراء بسبب غياب رئيسه اسماعيل صدقى باشا على سؤال من النائب فهيم القيعى ، بالبيان التالى :

« فى سنة ١٩٠٩ وضعت وزارة المالية بيانا بالاموال التى انفقت فى سبيل السودان منذ سنة ١٨٩٩ ونشرته فى الحساب الختامى . واستمر نشر هذا البيان سنويا الى أن أصدر مجلس الوزراء بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٩٢٥ قرارا بوقف هذا النشر الى أن يتم البحث فى أساس طريقة وضع الحساب ومراجعة مشتملاته

وكانت هذه المسألة موضوع اهتمام الوزارات التى تعاقبت من سنة ١٩٢٤ الى الآن توطئة لوضع اتفاق بشأنها مع سائر المسائل التى تتناولها المفاوضة مع الحكومة البريطانية .

أما مقدار الاموال التى يشتمل عليها البيان المشار اليه فقد بلغ فى آخر السنة المالية ١٩٢٢-١٩٢٣-٠٠٠و٢٥٨و١٤ ج.م ، منها ٠٠٠و٥١٥و٥ ج.م، للسلف التى منحت للاعمال المتعلقة بنمو السودان و٥٠٣٢٤،٠٠٠ ج . م للاعانات التى كانت تمنح سنويا لسد عجز ايراداته و٣ ملايين و ٤١٩،٠٠٠ جنيه للمصاريف العسكرية المختصة به .

وأنى أودع سكرتارية المجلس كشفا ببيان هذه المبالغ سنة سنة »

هذا هو البيان الذى قدمه رئيس الوزراء بالنيابة أما الكشف الذى أشار اليه هنا فهذه صورته .

بيان السلف المعطاة للسودان لاجل الاعمال المتعلقة بنموه والاعانات الممنوحة سنويا لسد عجز ايراداته

السنوات	السلف المعطاة لأجل الأعمال المتعلقة بنمو السودان	الاعانات الممنوحة سنويا لسد عجز ايرادات السودان	المصاريف العسكرية الخاصة بالسودان الداخلة فى ميزانية وزارة الحربية
	جنيه	جنيه	جنيه
١٨٩٩	—	٤٤٤٨٨٧	—
١٩٠٠	—	٤٥٧٨٩٢	—
١٩٠١	١٢١٣٥٢	٤١٧١٧٩	—
١٩٠٢	١٤٢٨٣٢	٣٨٩٧٢١	—
١٩٠٣	١٢٩١١٠	٣٨٩٧٢١	—
١٩٠٤	٦٢١٨٦٣	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٥	٧٥٠٢١٣	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٦	٦٩٨٦٤٠	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٧	٩٢١٥٩٨	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٨	٦٣٧٧٦٨	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٩	٦٤٥٢٠٠	٣٣٥٠٠٠	—
١٩١٠	٥١٨٨٦٦	٣٢٥٠٠٠	—
١٩١١	١٣٢٥١٠	٣٦٠٠٠٠	—
١٩١٢	٤٥٧٢٨	٣٣٥٠٠٠	—
١٩١٣	٤٣٨٥٦	—	١٧٩٤٨١
١٩١٤ (الثلاثة أشهر الأولى)	٤٩٨٩	—	٤٤٨٧٠
١٩١٤ — ١٩١٥	—	—	١٧٩٤٨١
١٩١٥ — ١٩١٦	—	—	١٧٩٤٨١
١٩١٦ — ١٩١٧	—	—	١٧٩٤٨١
١٩١٧ — ١٩١٨	—	—	٤٢٢٧٦٤
١٩١٨ — ١٩١٩	—	—	٤٤٥٦٩١
١٩١٩ — ١٩٢٠	١٧٠٠٠٠ (١)	—	٣٢٩٤٨١
١٩٢٠ — ١٩٢١	—	—	٤٦٤٤٠٣
١٩٢١ — ١٩٢٢	—	—	٤٧٧٩٤٧
١٩٢٢ — ١٩٢٣	—	—	٥١٥٧٢٥
المجموع	٥٥٨٤٥٢٥	٥٣٥٣٢١٥ (٢)	٣٤١٨٨٠٥

(١) سددت حكومة السودان من هذا المبلغ ٧٠،٠٠٠ جنيه لغاية سنة ١٩٢٢

(٢) » » » » » ٢٩،٠٠٠ » » » »

بيانه للدكتور محجوب ثابت

جدول - يبين مجموع المصروفات التى أنفقتها مصر من عام ١٨٩٩ - ١٩١٢ على السودان

السنة	الاعانة المالية السنوية			مصروفات خصوصية وسلفيات من مال الاحتياطى
	الملكية	الحربية	المجموع	
١٨٩٩	١٥٦،٠٠٠	٢٦٦،٠٦٨	٤٢٢،٠٦٨	
١٩٠٠	١٣٤،٣١٦	٢٨٢،٨٦٢	٤١٧،١٧٩	
١٩٠١	١٩٤،٥٤٥	٢٢٢،٦٣٤	٤١٧،١٧٩	١٢٣،٣٥٢
١٩٠٢	٢٦٧،١٧٣	١٢٢،٥٤٨	٣٨٩،٧٢١	١٤٢،٨٣٢
١٩٠٣	١٩٦،٠٦٣	١٩٣،٦٥٨	٣٨٩،٧٢١	١٢٩،١١٠
١٩٠٤	١٩٣،٨٥٠	١٨٥،٩١٣	٣٧٩،٧٦٣	٦٢١،٨٦٣
١٩٠٥	١٩٣،٠٠٦	١٨٦،٧٥٧	٣٧٩،٧٦٣	٧٥٠،٢١٣
١٩٠٦	٢٥٣،٠٠٦	١٢٦،٧٥٧	٣٧٩،٧٦٣	٦٨٩،٦٤٠
١٩٠٧	٢٥٣،٠٠٦	١٢٦،٧٥٧	٣٧٩،٧٦٣	٩٢١،٥٩٨
١٩٠٨	٢٥٣،٠٠٦	١٢٦،٧٥٧	٣٧٩،٧٦٣	٦٣٧،٧٦٨
١٩٠٩	٢٠٨،٠٠٠	١٢٧،٠٠٠	٣٣٥،٠٠٠	٦٤٥،٢٠٠
١٩١٠	١٩٨،٠٠٠	١٢٧،٠٠٠	٣٢٥،٠٠٠	٥١٨،٨٦٦
١٩١١	١٨٨،٠٠٠	١٧٢،٠٠٠	٣٦٠،٠٠٠	
١٩١٢	١٦٣،٠٠٠	١٧٢،٠٠٠	٣٣٥،٠٠٠	
	٢٨٥٠،٩٧١	٢٤٣٨،٧١١	٥٢٨٩،٦٨٣	٥،١٨٠،٤٤٢

ملاحظة : وقفت مصر هذه الاعانة المالية سنة ١٩١٣ مقابل استيلاء السودان الرسوم الجمركية على البضائع الواردة باسمه

ولو حسبنا الفوائد المركبة لتلك المبالغ لهالنا الأمر وزد على ذلك المبالغ الآتية :
٠٠٠ و٠٠٠ و٢ جنيه النفقات التى خصصت لاخلاء السودان ذلك الاخلاء الذى حتمته السياسة الانجليزية بالرغم من معارضة وزارة شريف باشا مما تراه مفصلا فى كتاب ملنر « انجلترا فى مصر »

٠٠٠ و٥٠٠ و٢ جنيه نفقات اعادة السودان من سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٩

٠٠٠ و٤٠٠ و٦ سلفة فى سنة ١٩١٧ مقدمة لحكومة السودان لاقامة مضخات رافعة للمياه لرى ٠٠٠ و١٩ فدان بمديريتى دنقلة و بربر

مصلحة الأشغال العسكرية

تحدث سعادة اللواء محمد لبيب الشاهد باشا مع مجلة الدنيا المصورة الصادرة بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٩٣٠ عن المنشآت التى أنشأتها مصلحة الأشغال العسكرية التابعة للجيش المصرى — فاذا هى : سراى الحاكم العام . دواوين المالية . والحربية والحقانية والداخلية . والزراعة والبريد والتلغراف ومساكن لكبار الموظفين الانجليز . ومكاتب تسجيل الاراضى . ومخازن مصلحة الصحة . المطبعة الأميرية . قشلاقات سعيد وإسماعيل وتوفيق وعباس بضواحى الخرطوم ، وثلاث قشلاقات كبرى بالخرطوم بحرى للطوبجية ، خمسة قشلاقات للجيش الانجليزى . مساكن لضباطهم . مخازن الأسلحة والمهمات والجبخانة والبارود . طابية الدفاع الكبرى . مخازن المهمات والورش . قشلاق قسم الاشغال العسكرية . ورش مخازن قسم الاشغال الملكية . السجن العمومى ، وكلية غوردون ، جامع الخرطوم ، مساكن لصف الضباط الانكليز . مخازن تعيينات الجيش المصرى . مخازن وورش مصلحة وابورات النيل والمزاكب . رصيف أمام مدينة الخرطوم . مستشفى الجيش . مديرية الخرطوم مساكن لكبار موظفيها . ادارة المصلحة البيطرية ومستشفاها . قشلاقات البيادة بأم درمان . قشلاق البيادة الراكبة .

هذا فى الخرطوم وحدها ، وهناك منشآت أخرى فى حلفا وبربر وأبى حمد والعطبرة وشندى وخورشمبات وود مدنى وكسلا والقضارف وسواكن وبورسودان والابيض والنهود وبارة والدلنج وتالودى والدويم والتوفيقية والسوباط والبيبور وبلاد دارفور وبحر الغزال ومنجلا

وكان جنود أورطة السكة الحديدية ، وهى أكبر أورط الجيش المصرى ، يسهرون على صيانة السكك الحديدية و يتعهدونها بالاصلاح كلما دمرتها السيول أو جرفتها الرياح أو غمرتها الرمال متحملين فى ذلك حرارة القيظ وزمهرير البرد وعصف الزوابع وقصف الرعود وويلات الهبوب

الفصل الحادي عشر

الطرق الصوفية

انتشرت الطرق الصوفية فى السودان انتشاراً واسعا وأكثرها انتشاراً الطريقة الميرغنية . وانصارها يؤمنون بمشايخهم وخلفائهم و يخلصون لهم ويبذلون أموالهم وحياتهم فى سبيلهم ويجب أن يلاحظ أنه ليس فى السودان زعامة سياسية وطنية بالمعنى المفهوم فى مصر وأن النفوذ الظاهر هو النفوذ الدينى . ولذا قامت الثورة المهدية — كما رأينا — على أساس الدعوة الدينية .

وإنه وان تكن قد انتشرت فى السودان طرق كالطريقة الادريسية والقادرية والشاذلية وسواها ، إلا أن كل هذه الطرق وافدة على السودان وليس فى السودان قاطبة طريقة أسست من عربى سودانى سوى الطريقة الاسماعيلية أعنى طريقة الشيخ اسماعيل بن عبدالله — الولى الكردفانى . وقد نشأت هذه الطريقة فى عهد الحكم المصرى الأول بالأبيض وكان صاحبها متطرفا بالطريقة الختمية فى أول أمره ثم أسس طريقته باذن صحيح بحضرة شيخه الشيخ محمد عثمان المرغنى شيخ الطريقة الختمية ، وقد انتشرت هذه الطريقة بسرعة البرق فى جميع أنحاء السودان وخاصة فى كردفان وام درمان ودنقلا وهى الطريقة الوحيدة التى كانت قائمة أيام المهدية لاحترام المهدى لها وهى امتن طريقة من حيث مؤلفات مؤسسها الذى جمع بين علمى الشريعة والحقيقة فى عصر كان يعد مظلما : فقد نيفت مؤلفات الشيخ اسماعيل على الخمسين كتابا فى علمى الشريعة والحقيقة ولم يطبع منها الا القليل جدا بل مايعد غير مذكور بالنسبة لمؤلفاته . ومؤلفاته تمتاز بأنها محكمة فنية بليغة الأسلوب على خلاف ما يشاهد فى أشعار المتصوفين بالسودان . ومن أشهرها كتاب مشارق الأنوار الذى لم يطبع إلى اليوم فحرم الناس من علمه الغزير وهو يتكلم عن السموات السبع والأرض السبع ثم ان اسرة صاحب هذه الطريقة أشهر الاسر فى السودان علما وصلاحا ولم يصبها من عسف المهدية وظلمها إلا الاحترام وتجد حظوة السيد المكى الشيخ اسماعيل الولى عند الخليفة والمهدى مذكورة فى تاريخ السودان — وقد عد علماء هذه الاسرة وصلحاؤها فزادوا على الستين ومن أشهر علمائها السيد احمد الشيخ اسماعيل الولى — وهو أزهرى وأول من درس بالازهر من السودانيين . وقد وفد

على السودان وكان له أثر ظاهر فى العلم الذى انتشر بعد على يد تلامذته — وقد انكر على المهدى دعوته وحاربه مع جيوش الحكومة المصرية حتى قتل شهيدا مع ابنه — ومنهم السيد الباقر بن الشيخ اسماعيل المدرس بجامع الخرطوم فى صدر هذه الحكومة إلى أن توفاه الله عام ١٩١٨ - ومنهم السيد اسماعيل بن السيد احمد المذكور مفتى السودان سابقا « بهذه الحكومة » ومنهم الشيخ اسماعيل عبد القادر بن بنت الشيخ اسماعيل الولى وهو أزهرى ومنهم السيد محمد السيد الباقر المدرس بجامع ام درمان اليوم ومن هيئة كبار علمائه المبرزين وأقدرهم وكثير غير هؤلاء حتى أنهم عرفوا بالسادة فهناك لا يطلق هذا الاسم على اسرة بأكملها صغيرهم وكبيرهم سواهم

وهنا أذكر أن الشيخ عبد الله أبا المعالى تلميذ الامير وهو أزهرى جليل جاء الى السودان واجتمع برؤساء أهل الطرق فيه فانكر عليهم كلهم حتى وصل الى الشيخ اسماعيل المذكور ففتح له على يده فى خلال أسبوع أو أقل ولذلك امتدحه بجميع ابحر الشعر حتى قال فى بعض قصائده الكثيرة

واذا سطوت فلا معارض ينتمى واذا رحمت فأنت اسماعيل
أبديت مالم يبده من قد مضى يا من يزين بكفه التقبيل

والشيخ عبد الله أبو المعالى المذكور وقائل هذا الشعر هو الذى امتدحه الشيخ البولاقى عند مروره ببولاق فقال فى شطر بيت له مشيراً اليه

شرفت به بولاق والبولاقى

فمن هنا يتضح لك مكانة مؤسس الطريقة الاسماعيلية . أما كتبه التى لم تنشر فانه لم يسبقه على مثلها إلا أمثال الشيخ محيى الدين بن العربى ولعل الناس يفاجأون بها فى يوم من الايام فيعلمون شيئا عن عظم صاحبها - والشيخ اسماعيل المذكور عباسى نسبا ونسبه محفوظ وذريته الآن نحو أربعة الالاف نفس وأما أتباعه فهم فوق الحصر

الطريقة الميرغنية

الطريقة الختمية الميرغنية — أنشأها السيد محمد عثمان الميرغنى العالم الصوفى الحنفى ولد بمكة ونشأ بها واتصل بكثير من علماء مكة وفى مقدمتهم السيد احمد بن ادريس الذى نشأ فى المغرب . وكان اتصاله به عند زيارته لمكة لأداء فريضة الحج . ثم أسس الطريقة الختمية الميرغنية على أصول طرق خمس ورمز إليها بكلمة « نقش جم » فالنون للنقشبندية وهى طريقة شيخه سيدى أحمد بن ادريس والقاف للقادرية التى مؤسسها سيدى عبد القادر الجيلانى والشين للشاذلية ومؤسسها سيدى أبو الحسن الشاذلى والجيم للجنيدية ومؤسسها السيد الجنيدى والميم للميرغنية وهى طريقة جده السيد عبد الله الميرغنى المحجوب المدفون بالطائف



حضرة صاحب السماحة الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى

ودعيت بالطريقة الختمية لأن شيخها وصل فى سلوكه إلى رتبة الختم ، وهى مرتبة عند الصوفية لا يصل إليها إلا عارف « ولى » فى كل قرن

ثم أراد السيد محمد عثمان الكبير السفر إلى مصر فنزل فى ميناء القصير بمديرية قنا ومنها نزل إلى قرية الزينية بمركز منفلوط وبعد أن أقام بها سافر إلى السودان وأقام فى بلاد كثيرة وكان يتردد بين بلاد السودان والحجاز وتزوج من بنات بعض أمراء السودان ومنهن والدة السيد محمد الحسن جد السير السيد على الميرغنى الزعيم السودانى المشهور

وقد ترك السيد محمد عثمان بالسودان ثمانية أولاد وهم السيد محمد سر الختام والد السيد محمد سر الختم الميرغنى الشهير بمصر المدفون بتكيته بباب الوزير والسيد محمد الحسن جد السير السيد على الميرغنى والسيد جعفر الميرغنى الكبير وهو جد السيد جعفر الزعيم الحالى فى الاريتريا والصومال ، والحبشة ، والسيد هاشم الميرغنى والد الشريفة علوية بالاريتريا والشريفة مريم بسنكات ، والسيد ابراهيم تاج الختم والسيد المحجوب الباب والسيد التاج والسيد خالص النور . ودفن أكثرهم بالسودان

انتشارها فى السودان

وكان تاسيس الطريقة الميرغنية فى آخر سلطنة الفونج . واشتهرت فى التاكا « كسلا » بين الحلانقة وبنى عامر والحباب وفى دنقلة بين النوبيين والشايقية والكبابيش والبشارين والعبابدة . وقد ولد مؤسس الطريقة ودفن فى مكة

انتشار الطريقة بمصر

أول من نقل الطريقة الميرغنية من الحجاز إلى مصر سيدى أبو حريبة المدفون بالدرب الأحمر وقد اتصل بشيخ الطريقة عند زيارته بمكة لأداء فريضة الحج ولازمه عامين ثم أجازه بنشر طريقته بمصر واشتهر اتباعه ومريدوه بطريقة أبو حريبة . وشيخ سجادة الطريقة الميرغنية الآن هو السيد محمد أبو بكر الميرغنى . والطريقة منتشرة بسائر مديريات الوجهين البحرى والقبلى والمحافظات ، وللطريقة تكية بالقاهرة بشارع باب الوزير وبها ضريح السيد محمد سر الختم والسيد محمد عثمان الأقرب وكثير من أشراف المراغنة . وتكية بالاسكندرية . وبكل تكية مسجد . وللطريقة خلفاء

والطريقة الميرغنية فى السودان هى أوسع الطرق الصوفية انتشارا وأرفعها مقاما وتمتاز الطريقة الميرغنية فى أذكارها وأورادها وسائر مظاهرها بخلوها من

البدع كالطبل والزمر والتصفير وسائر ماطرأ على طرق الصوفية من التحريف وجميع أذكارها وأورادها ترجع الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بالاسانيد الصحيحة

وللسيد محمد عثمان الكبير مؤلفات كثيرة منها تفسير القرآن المسمى بتاج التفاسير. وقد تكرر طبعه وفى الحديث وعلم المصطلح والتوحيد والتصوف والصلوات والأوراد ومن المدائح النبوية الشيء الكثير . وكان له فى كل علم قدم وله أوراد خاصة وراتب ينظم أذكار أتباعه صباح مساء وله شرح يرجعه الى أصول السنة وهى متداولة

وانتشرت الطريقة فى بعض مقاطعات الهند الاسلامية بسبب زيارة السيد جعفر للهند

وهى منتشرة باليمن بسبب زيارة السيد محمد سر الختام وقد تزوج فيها كما انتشرت فى البلاد الاسلامية .

ورجال الطريقة الميرغنية فى جميع أطوارهم بعيدون عن شهوة الحكم مشهورون بالهدوء والسكينة والبعد عن المشاغبات. وقد ظلوا موالين للحكومة فى أثناء الثورة المهدية .

طرق أخرى فى السودان

القادرية . السمانية . الشاذلية . الاسماعيلية . التيجانية . الأحمدية . الرفاعية . البيومية . البراهمة ، نسبت إلى سيدى ابراهيم الدسوقى

الشريف يوسف الهندى

هو الزعيم الدينى الثالث من زعماء السودان وهو ابن الحسيب النسيب الشريف يوسف الهندى ابن الشريف محمد الأمين بن الشريف يوسف الهندى من سكان رهد النيل الأزرق.



صاحب السيادة الحسيب النسيب الشريف يوسف الهندى

الفصل الثانى عشر

حوادث مصر فى السودان

واصلت حكومة السودان حكم البلاد على النهج الذى أسلفنا الكلام عليه ، وظل النفوذ الانجليزى يتوطد فى البلاد السودانية ، بينما يضعف النفوذ المصرى الرسمى ، ببطء وتدريجيا

على أن حوادث مصر كانت تلقى صدى فى السودان . فلقد كان الجيش المصرى وموظفون مدنيون مصريون كثيرون يعملون فى السودان كموظفين منتدبين من الحكومة المصرية . أو عاملين فى الحكومة السودانية ، وكان مع رجال الجيش والموظفين أسرهم . وكانت حركة النقل بين مصر والسودان لا تنقطع وكان الكثير من المصريين فى السودان والسودانيين مشتركين فى الصحف المصرية

كما أنه كانت هناك علاقات تجارية بين مصر والسودان ، ولذا كانت حوادث مصر تسمع وتقرأ ويعلق عليها فى السودان - هذا من الوجهتين الاجتماعية والتجارية وشى من الوجهة السياسية « الكلامية » . على أن الحكومة السودانية كثيرا ما منعت دخول الصحف العربية إلى السودان

ومن الوجهة السياسية كان المصريون لا يفتأون ينادون فى كل مناسبة ببطلان اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، ولكن توطيد دعائم الاحتلال فى مصر وزيادة النفوذ الانجليزى فيها وطرده لكل نفوذ أجنبى ، وخاصة النفوذ الفرنسى ، قد ألهى المصريين فى الواقع عما كان يجرى فى السودان ، فحوادث مصر الداخلية كانت كثيرة ومزدحمة كسياسة كرومر ، والخلاف بينه وبين الخديو عباس ، ونشوء أحزاب سياسية جديدة ، الحزب الوطنى بزعامة المغفور له مصطفى كامل ولسان حاله جريدة اللواء وزميلتان لها إحداهما فرنسية والأخرى انجليزية ، وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ومؤسسه ورئيسه المغفور له السيد على يوسف « باشا » (١) صاحب جريدة « المؤيد » التى كان لها شأن عظيم فى مستهل الحركة الوطنية الأولى وفى العالم الاسلامى ، وكان لصاحبها حوادث كثيرة تحدث بها الرأى العام . وكان

(١) صورته والكلام عنه ص ٨٩ من هذا الجزء

لها فى وقت من الأوقات مشتركون كثيرون فى السودان . ثم حزب الأمة ورئيسه المغفور له محمود سليمان باشا والد حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين . وكانت « الجريدة » لسان حال حزب الأمة ورئيس تحريرها الاستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

وقد لعب الخديو « عباس حلمى الثانى » دوراً سياسياً كبيرا (١) فكانت له بطانة وأنصار وجواسيس . وقد ولى الحكم فى ٢٦ مارس سنة ١٨٩٢ خلفا لوالده وكانت سنه قد بلغت ١٨ سنة هجرية ولكنها لم تبلغ الثامنة عشر ميلادية .

ومن حوادث مصر حادثة دنشواى ، ومشروع مد أجل امتياز شركة قناة السويس .

وكانت مصر لاتنى تطالب بالدستور ، وكان طلبة الحقوق الخديوية وغيرهم يؤلفون المظاهرات تحت رعاية الحزب الوطنى ونادى المدارس العليا ، الذى كان من أركانه حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ، للمطالبة بالدستور ، وكان فى مصر مجالس شورية : الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين ومجالس المديريات . ثم الغيت الجمعية العمومية ومجلس الشورى وألفت الجمعية التشريعية بديلا منهما . وقد أثار قانون تأليفها كثيرا من التعليقات وانتخب الزعيم الخالد المغفور له سعد زغلول باشا وكيلا منتخبا لها ، وعين المغفور له عدلى يكن باشا وكيلا لها ، اذ كان لها وكيلان أحدهما منتخب والثانى معين

وكانت الصحف الوطنية تسمى «سعدا» كبير الاحرار ، وكانت مواقفه ومواقف أصدقائه فى المجلس تثير تعليقات الصحف العربية والافرنكية

وقد تطير اللورد كتشنر اذ كان معتمداً لانجلترا فى مصر وقتلها العام من « تطرف جماعة سعد »

(١) صورته ص ٦٤ و ٩٥ من هذا الجزء

الفصل الثالث عشر

عهد الحماية والسلطنة فى مصر

فى سنة ١٩١٣ كان سمو الخديوى السابق عباس حلمى باشا كثير النشاط ، وقد أثار هذا النشاط غضب اللورد كتشنر ، الذى عين فى مصر خلفا للسير جورست والذى عد هذا النشاط موجها ضد الامبراطورية البريطانية وتآمراً مع اعدائها ، ونصح بانتهاز الفرصة لخلعه

وكان من عادة الخديوى أن يصطاف فى الاستانة «استانبول» وقبل سفره سنة ١٩١٤ زار كثيرا من البلاد واحتفل به الاعيان وبعد وصوله الى الاستانة بايام ، أطلق جانب مصرى بالاستانة اسمه محمود مظهر النار على الخديوى فى ٢٥ يوليه سنة ١٩١٤ فجرحه فى فكه الايسر وسافرت من مصر وفود لتهنئة سموه بنجاته . وفيما كانت الوفود تؤدى هذه المهمة ، كانت أوروبا مشغولة بحادث اغتيال ولى عهد النمسا من شاب صربى ، فاشتعال الحرب الكبرى ، حيث دخلت انجلترا فيها فى ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ وأعلنت مصر حيادها . وفى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ أعلنت انجلترا الحرب على تركيا وأعلن فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ سير جون ماكسويل قائد جيش الاحتلال الانجليزى أن مصر تحت الاحكام العرفية الانجليزية

الانقلاب السياسى وإعلان الحماية

فى صبيحة يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ نشر الاعلان الآتى فى الجريدة الرسمية والجرائد السيارة وعلق على الجدران فى الأماكن الظاهرة للعيان فى جميع بلدان القطر وعواصم مديرياته وهذا نصه :

اعلان

« يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر إلى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا ، قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته واصبحت من الآن فصاعداً من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية .

« وبذلك قد زالت سيادة تركيا عن مصر وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها » .

« وهكذا بهذا الاعلان ـ اذا قبلته الدول وأقرته ـ أصبح موقف مصر الدولى اليوم غيره بالأمس إذ تكون بحكم القانون الدولى حرة طليقة من كل تبعة لأية دولة أخرى إنما هى تحت حماية جلالة ملك بريطانيا العظمى « حماية اقتضتها حالة الحرب التى سببها عمل تركيا . »

* * *

بهذا الاعلان وقع انقلاب سياسى خطير ، وحار الناس ماذا يفعلون ، وأقدمت السلطة العسكرية على اعتقال الكثيرين من رجال الحزب الوطنى والشبان وعطلت كثيرا من الصحف ووضعتها تحت الرقابة ونفت بعضهم الى ملطة .

ولما أعلنت الحماية قال المصريون أنها باطلة لأن :

« الحماية هى عبارة عن عهد أو ميثاق يبرم بين حكومتين احداهما باعتبارها ذات شخصية ممتازة مستقلة ، يكل للاخرى التصرف ببعض حقوقها الداخلية والخارجية مقابل قيامها بالدفاع عنها من الاعتداء الداخلى والخارجى الذى قد تتعرض له . وعلى الحامى مساعدة المحتمى به ومعاونته فى تدبير شؤونه وإصلاح أحواله وانماء ثروته وحماية مصالحة .

« فالحماية إذن يجب أن تكون مبنية على رضى الحامى والمحتمى ولا يمكن أن تكون مبنية على رغبة أحد الفريقين وارادته فحسب . ومع ذلك فان الحكومة المصرية لم تعلن أنها راضية عن الحماية . لذا لم تتم أركانها قانونا »

وقد تحدث عطوفة حسين رشدى باشا قائمقام الخديو ورئيس مجلس النظار إلى مراسل جريدة « الديلى كرونكل » فقال :

« إن المنافع التى عادت على البلاد من حسن الادارة البريطانية لاتحصى ولاتعد . وكل مصرى تهمه مصلحة بلاده وارتقاؤها يسلم بهذا ويرجو أن تدوم الرابطة بين الأمتين إلى ما شاء الله . وما دام قنال السويس حلقة الاتصال بين أجزاء الامبراطورية البريطانية وطريقا لازما للانكليز فمن الطبيعى أن ترتبط بريطانيا العظمى ومصر بأشد روابط الصداقة والوداد . وزد على ذلك أننا أمة ضعيفة نحتاج إلى صديق قوى يصون أملاكنا من كل اعتداء ويكون على جانب من الارتقاء والحرية حتى يتيسر لنا أن نسير بارشاده فى معارج الحرية . فبذلك المقام الذى يليق بنا فى مصاف الدول وهذه الشروط متوفرة فى انكلترا . فان عندها

من القوة ما تمكنها من الدفاع عن قطرنا ولها من معاملة البلاد التى تماثل شؤونها شؤون القطر المصرى تقاليد عطف وحرية ويهمها أن يرتع الشعب الذى يخترق قنال السويس بلاده فى بحبوحة الهناء والرخاء . »

ثم تكلم عطوفته عن مستقبل مصر فقال :

« إنه يجب ضرورة أن نضع لمصر منذ الآن نظاماً يكون بمثابة أساس متين مأمون يستطيع أن يقوم بالبناء الذى يريد الجميع انشاءه . على أن مصر لا تنتظر الآن أن تقطع مسافات واسعة فى وقت قصير بل تؤمل السير خطوة خطوة وأول ما نتوق اليه أن نرى جمعيتنا التشريعية التى ليس لها الآن إلا رأى استشارى تتمتع بالرأى القطعى فى الشؤون الداخلية فان ذلك يساعد على التقدم تدريجيا وفى ذلك تحقيق لآمالنا وتمكين للروابط التى تربطنا ببريطانيا العظمى »

ثم ختم عطوفته الحديث بالثناء على « ما تركه اللورد كتشنر من آثار الخدمات الجليلة التى أداها للبلاد » .

خلع الخديو عباس — وتولية السلطان حسين

فى صبيحة يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ صدر الاعلان التالى بالجريدة الرسمية ونشر فى الجرائد السيارة وعلق على الجدران فى القاهرة والاسكندرية وفى جميع أنحاء القطر فى الأماكن الظاهرة للعيان : ـ

اعلان

« يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر لاقدام سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء الملك قدرأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية . وقد عرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الامير حسين كامل باشا أكبر الامراء الموجودين من سلالة محمد على ـ فقبله » .

فلما قبل الأمير حسين كامل العرش صدر الاعلان السابق ذكره . وفى اليوم نفسه وجه المستر ملن شيتهام إلى سموه التبليغ الآتى الذى تشرح فيه الحكومة البريطانية الأسباب التى أدت إلى هذا الانقلاب السياسى

« يا صاحب السمو »

« كلفنى جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أن أخبر سموكم

بالظروف التى سببت نشوب الحرب بين جلالته وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير فى مركز مصر .

« كان فى الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح عن باله ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الاصلاح فى تركيا ومقتنع بان الحرب التى دخل فيها جلالته لاتمس مصالح تركيا فى شىء ومرتاح بما صرح به جلالته وحلفاؤه من أن هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لافى مصر ولا فى سواها . وأما الحزب الاخر فشرذمة جنديين أفاقين لاضمير لهم أرادوا اثارة حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالته معللين أنفسهم انهم بذلك يتلافون ماجروه على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية . أما جلالته وحلفاؤه فمع انتهاك حرمة حقوقهم ، قد ظلوا الى اخر لحظة وهم يأملون أن تتغلب النصائح الرشيدة على هذا الحزب لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثله حتى ارغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية ومهاجمة الاسطول التركى بقيادة ضباط المانيين ثغورا روسية غير محصنة .

« ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق قد انضم انضماماً قطعياً إلى أعداء جلالته منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا وبذلك تكون الحقوق التى كانت لسلطان تركيا وللخديو السابق على بلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت إلى جلالته .

« ولما كان قد سبق لحكومة جلالة الملك أنها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالته فى مصر أنها أخذت على عاتقها وحدها مسئولية الدفاع عن القطر المصرى فى الحرب الحاضرة فقد أصبح من الضرورى الآن وضع شكل للحكومة التى ستحكم البلاد بعد تحريرها ، كما ذكر ، من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التى كانت تدعيها الحكومة العثمانية .

« فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصرى جميع الحقوق التى آلت اليها بالصفة المذكورة . وكذلك جميع الحقوق التى استعملت فى البلاد مدة سنى الاصلاح الثلاثين الماضية . وقد رأت حكومة جلالته أن أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسئولية التى عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية إعلانا صريحا وأن تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من امراء العائلة الخديوية طبقا لنظام وراثى يقرر فيما بعد .

« بناء عليه قد كلفتنى حكومة جلالة الملك أن أبلغ سموكم أنه بالنظر لسن

سموكم وخبرتكم قد رؤى فى سموكم أكبر الامراء من سلالة محمد على أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب « سلطان مصر » . وانى مكلف بأن أؤكد لسموكم صراحة عند عرضى على سموكم قبول عبء هذا المنصب أن بريطانيا العظمى أخذت على عاتقها وحدها كل المسئولية فى دفع أى تعد على الأراضى التى تحت حكم سموكم مهما كان مصدره . وقد فوضت لى حكومة جلالته أن أصرح بأنه بعد اعلان الحماية البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين أينما كانوا الحق فى أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك .

« وبزوال السيادة العثمانية تزول أيضا القيود التى كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذى لسموكم فى الانعام بالرتب والنياشين .

« وأما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالته أن المسئولية الحديثة التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعى أن تكون المخابرات من الآن بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالته فى مصر (١) .

« وقد سبق لحكومة جلالته أنها صرحت مراراً بأن المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الاجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد . ولكن من رأى حكومة جلالته أن يؤجل النظر فى تعديل المعاهدات إلى ما بعد انتهاء الحرب

« وفيما يختص بادارة البلاد الداخلية على أن اذكر سموكم بأن حكومة جلالته طبقا لتقاليد السياسة البريطانية قد دأبت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها فى حماية البلاد الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وإنماء مصادر ثروة البلاد الطبيعية والتدرج فى اشتراك المحكومين فى الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الأمة فى الرقى السياسى . وفى عزم حكومة جلالته المحافظة على هذه التقاليد . بل أنها موقنة بأن تحديد مركز بريطانيا العظمى فى هذه البلاد تحديداً صريحاً يؤدى إلى سرعة التقدم فى سبيل الحكم الذاتى وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالته على اختلاف مذاهبهم ولا أرى لزوما لأن أؤكد لسموكم بأن تحرير حكومته لمصر من ربقة أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية فى الاستانة لم يكن ناتجاً عن أى عداء للخلافة ، ولا علاقة له البتة

(١) بمقتضى هذا ألغيت نظارة « الخارجية المصرية » واستمرت ملغاة حتى أعيدت سنة ١٩٢٢ بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ واعلان الاستقلال .

بالروابط السياسية التى بين مصر والاستانة وان تأييد الهيئات النظامية الاسلامية فى مصر والسير بها فى سبيل التقدم هو بالطبع من الامور التى تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة . ولسموكم أن تعتمدوا فى اجراء ما يلزم لذلك من الاصلاحات على كل انعطاف وتأييد من جانب الحكومة الانكليزية . وعلى أن أزيد على ما تقدم أن حكومة جلالة الملك



السلطان حسين كامل « الأول » أول سلطان لمصر بعد الغاء الخديوية

تعول بكل اطمئنان على اخلاص المصريين ورويتهم واعتدالهم فى تسهيل المهمة الموكولة إلى قائد جيوش جلالته المكلف بحفظ الأمن فى داخل البلاد ومنع كل عون للعدو

وإنى انتهز هذه الفرصة فأقدم لسموكم أجل تعظيماتى . »

رأى عباس فى انتخاب عم السلطان حسين

ولما وقع الانقلاب كان سمو الخديو السابق عباس موجودا فى فينا عاصمة بلاد النمسا نازلا فى فندق « امبريال » فلما وصل النبأ الى حاشيته تهيبوا ابلاغه لسموه

لكن سعادة احمد شفيق باشا لما رأى ترددهم وجد أن من الواجب عليه أن يوقفه على الحقيقة فاطلع سموه على نبأ اختيار سمو الامير حسين ، وهو عم سموه ، سلطانا على مصر . فلما علم بهذا النبأ لم يزد على قوله « فى محله »

ومما يروى عن سموه أنه فى الوقت الذى أعلنت فيه الحرب بين تركيا والحلفاء كان يحس بما سيجرى من الانقلاب والتغيير خصوصا وأنه كان يعلم بعداء كتشنر



حسين رشدى باشا رئيس الوزارة المصرية فى سنى الحرب ورئيس لجنة الدستور سنة ١٩٢٢ ورئيس مجلس الشيوخ فى سنتى ١٩٢٦ و١٩٢٧

له ، وآية ذلك انه رفع يده وقبلها ثم قال : « اللهم لك الحمد . لقد حكمت ثلاث وعشرين عاما وهو زمن ليس بالقليل فلك الشكر ! »

تثبيت وزارة رشدى باشا

هذا وعلى أثر التبليغ الذى وجهه القائم بأعمال الوكالة البريطانية بمصر إلى عظمة السلطان صدرت الارادة التالية إلى صاحب الدولة حسين رشدى باشا الذى

كان فى الوقت ذاته قائم مقام الخديو (١) ورئيسا لمجلس نظاره ولم يتخل رسميا عن هاتين الصفتين :

« عزيزى رشدى باشا »

« ان الحوادث السياسية التى وقعت فى هذه الأيام أدت إلى بسط بريطانيا العظمى حمايتها على مصر وإلى خلو الاريكة الخديوية . »

« وبهذه المناسبة أرسلت الحكومة البريطانية إلينا رسالة نبعث بصورتها إليكم لنشرها على الأمة المصرية موجهة فيها نداءها إلى ماانطوى عليه فؤادنا من عواطف الاخلاص نحو بلادنا لكى نرتقى عرش الخديوية المصرية بلقب سلطان . وستكون السلطنة وراثية فى بيت محمد على طبقا لنظام يقرر فيما بعد . »

« ولما كان لنا بعد أن وقفنا حياتنا كلها إلى اليوم على خدمة بلادنا أن يكون الاخلاد إلى الراحة من عناء الأعمال مطمح أنظارنا الا أننا بالنظر إلى المركز الدقيق الذى صارت اليه البلاد بسبب الحوادث الحالية قد رأينا مع ذلك أنه يتحتم علينا القيام بهذا العبء الجسيم وأن نستمر على خطتنا الماضية فنجعل كل ما فينا من حول وقوة وقفا على خدمة الوطن العزيز . »

« هذا هو الواجب المفروض علينا لمصر ولجدنا المجيد محمد على الكبير الذى نعمل على تخليد الملك فى سلالته (٢) . »

« وبما فطرنا عليه من الاهتمام بمصالح القطر سنوجه عنايتنا على الدوام الى تأييد السعادة الحسية والمعنوية لجميع أهاليه مواصلين خطة الاصلاحات التى بدأ العمل فيها . لذلك ستكون همة حكومتنا منصرفة الى تعميم التعليم واتقانه بجميع درجاته والى نشر العدل وتنظيم القضاء بما يلائم أحوال القطر فى هذا العصر . وسيكون من أكبر ما نعنى به توطيد أركان الراحة والامن العام بين جميع السكان وترقية الشؤون الاقتصادية فى البلاد . »

« وأما الهيئات النيابية فى القطر فسيكون من أقصى أمانينا أن يزيد اشتراك المحكومين فى حكومة البلاد زيادة متوالية . »

« ونحن ، على ثقة فى سبيل تحقيق هذا المنهاج ، سنجد لدى حكومة صاحب الجلالة

---

(١) قائم مقام خديو هو الذى ينوب عن الخديو فى أثناء غيابه وبأمر عال منه

(٢) أشيع يومئذ أنه إذا رفض السلطان حسين العرش ، اختير له أغا خان الهندى أو ألغيت الامارة المصرية وعين لمصر حاكم عام

البريطانية خير انعطاف فى تاييدنا . واننا لموقنون بان تحديد مركز الحكومة البريطانية فى مصر تحديدا واضحا مما يترتب عليه ازالة كل سبب لسوء التفاهم يكون من شأنه تسهيل التعاون بين جميع العناصر السياسية بالقطر لتوجيه مساعيها معا الى غاية واحدة . »

« واننا لنعتمد على اخلاص جميع رعايانا لتعضيدنا فى العمل الذى أمامنا . »

« ولوثوقنا بكمال خبرتكم وبما تحليتم به من الصفات العالية واعتماداً على وطنيتكم نطلب منكم مؤازرتنا فى المهمة التى أخذناها على عاتقنا وندعوكم بناء على ذلك الى تولى رآسة مجلس وزارتنا والى تاليف وزارة تختارون أعضاءها لمعاونتكم وتعرضون أسماءهم على تصديقنا العالى . »

« ونسأل الله جلت قدرته أن يبارك لنا جميعا فيما نبتغيه من نفع الوطن وبنيه . »

١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ « حسين كامل »

فرد صاحب الدولة (١) حسين رشدى باشا على عظمته بما يلى :

« مولاى »

« أقدم لسدة عظمتكم السلطانية مزيد الشكر على ما أوليتمونى من الشرف السامى إذ تفضلتم على بأمركم الكريم الذى فوضتم به الى تأليف هيئة الوزارة . »

« نعم إننى كنت وكيلا عن ولى الأمر السابق . ولكننى مصرى قبل كل شىء وبصفتى مصريا قد رأيت من المفروض على أن اجتهد تحت رعايتكم السلطانية فى أن أكون نافعاً لبلادى . فتغلبت مصلحة الوطن السامية التى كانت رائدى فى كل أعمالى على جميع ما عداها من الاعتبارات الشخصية . »

« لهذا فانى أقبل المهمة التى تفضلت عظمتكم السلطانية بتفويضها إلى . ولما كان زملائى بالأمس الموجودين الآن بمصر متشربين بنفس هذه العواطف وهم لذلك مستعدون للاستمرار على معاونتهم لى فانى اتشرف بأن أعرض على تصديقكم العالى رفق هذا ، مشروع المرسوم السلطانى بتشكيل هيئة الوزارة الجديدة . »

واننى بكل احترام واجلال لعظمتكم السلطانية ؟

« حسين رشدى »

---

(١) كان منح رتبة صاحب الرياسة « صاحب الدولة » من حق سلطان تركيا وباعلان السلطنة فالملكية فى مصر أصبح من حق سلطان مصر تم ملكها منحها لرئيس الوزارة الذي كان يلقب « بصاحب العطوفة » فى عهد الخديوى عباس

المرسوم السلطانى بتأليف الوزارة

حسين رشدى باشا : الرياسة والداخلية . احمد حلمى باشا : الزراعة . عدلى يكن باشا : المعارف . اسماعيل صدقى باشا : الأوقاف . اسماعيل سرى باشا : الأشغال والحربية والبحرية : ثروت باشا : الحقانية

وفاة السلطان حسين

وفى أوائل شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ ساءت حالة صحة عظمة السلطان واضطر إلى ملازمة فراشه . وفى يوم ٩ اكتوبر وافاه القدر المحتوم بقصر عابدين

السلطان أحمد فؤاد الأول

واختير حضرة صاحب السمو الأمير أحمد فؤاد سلطانا لمصر خلفا للفقيد . واحتفل بجلوس « عظمته » على العرش فى صباح يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧ ووجه سير ونجت(١) ممثل انجلترا فى مصر يومئذ الكتاب التالى إلى عظمة السلطان .

« **ياصاحب العظمة السلطانية** »

« بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية أتشرف بأن أعرب لعظمتكم عن فائق الأسف الذى شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل إلى علمها نعى المغفور له صاحب العظمة السلطانية حسين كامل الذى أكبرت الأمة المصرية جميعها اخلاصه لكل ما فيه خيرها اخلاصاً لا يعتريه فتور وقدرته حق قدره . فكانت وفاته لديها كارثة وطنية (٢). وإننى أتشرف بابلاغ عظمتكم السلطانية انعطاف حكومة جلالة الملك لما أصاب شخصكم الكريم من دواعى الحداد . هذا وإنى مكلف فى الوقت نفسه بأن أحيط علم عظمتكم بأنه لما كان نظام الوراثة على عرش السلطنة المصرية لم يوضع للان وكنتم عظمتكم بعد طبقة البنين ، الوارث الشرعى المتعين تبعاً لوراثة العرش السامى . على أن يكون لورثتكم من بعدكم ، حسب النظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم .»

« وأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد أن تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة التأكيدات التى أعطتها لسلفكم عند ارتقائه العرش . وهى مقتنعة أن فى استطاعتها أن تعتمد ، فى العمل مع عظمتكم ، على تلك الصداقة التى كانت شعاراً لحكم

(١) صورته ص ٤٣ من هذا الجزء (٢) لما ارتقى السلطان حسين العرش كان مرموقا بالغضب العام وعند مامات كان الأسف عاما .



حضرة صاحب الجلالة الملك أحمد فؤاد الأول ملك مصر – وأول من لقب بهذا اللقب فى تاريخ مصر الحديث ، وهو ابن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على

السلطان المرحوم وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهية والتقدم ، ذلك الأمر الذى له من المكانة فى نفس الحكومة البريطانية مالا تقل منزلته لدى عظمتكم ، وإنى انتهز هذه الفرصة فأقدم لعظمتكم السلطانية أجل احتراماتى ؟

القاهرة فى ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ « رجنالد ونجت »

استمرار وزارة رشدى باشا فى الحكم

وبهذا التغيير انحلت بطبيعة الحال هيئة الوزارة . ولكن عظمة السلطان أحمد فؤاد الأول أثبت تأليفها . وهنا نورد نص الرسالتين الرسميتين المتبادلتين فى نفس اليوم بين عظمته وبين صاحب الدولة حسين رشدى باشا بهذا الشأن :

« عزيزى حسين رشدى باشا ،

« يعلم رعايانا أنه بسبب وفاة سلفنا وأخينا المحبوب المغفور له السلطان حسين الأول الذى اختطفته المنية قبل الأوان وملأت القلوب حزنا عليه قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على أن يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقا للنظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها . »

« منذ ثلاث سنوات كانت حدود بلادنا يظهر انها مهددة وكانت ثروتها الزراعية توشك أن تصاب فى مصادرها ، ولقد لبى سلفنا رحمه الله ، نداء الواجب وتفانى فى اخلاصه لمرافق البلاد فلم يتردد فى حمل اعباء السلطنة مع ما كان يحف بها من المصاعب . واعتمادا على ولاء رعاياه وعلى تأييد الدولة الحامية وقف نفسه مدة هذه السنوات الثلاث على تنفيذ المنهاج الذى اختطه فى المرسوم الصادر منه الى دولتكم عند ارتقائه عرش السلطنة وقد صار وضع أسس تعميم التعليم وبحث موارد ثروة البلاد والشروع فى الوسائل التمهيدية التى من شأنها احلال مصر فى مكانة الكرامة اللائقة بها فى العالم الذى سيتجدد على اثر انعقاد الصلح . »

« ونحن اليوم ننشد ذلك الولاء نفسه من رعايانا فى ظروف هى أكثر يمنا وتوفيقا . فقد زالت الاخطار التى كان يظهر أنها تهدد بلادنا ، وعادت ثروة القطر الى ما كانت عليه . وبقى علينا أن نخصص انفسنا بالاشتراك مع نواب الأمة اشتراكا يزداد على الدوام لاتمام تنفيذ ذلك المنهاج الذى اختطه سلفنا . وأن نحقق فى جميع الفروع الاصلاحات التى من شأنها ضمان التقدم المادى والادبى فى بلادنا »

« ولما كنا على يقين من خبرتكم ومن صفاتكم السامية ، فاننا نوجه الى عهدتكم مهمة تأليف الوزارة »

« ومن الله نلتمس الاعانة على ما نحن قوامون عليه من العمل » « فؤاد »

الفصل الرابع عشر

حوادث مصر والسودان بعد الهدنة

أعلنت الهدنة بين الحلفاء والالمان وحلفائهم فى يوم الاثنين ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ وفى مسائه طلب حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا من الوكالة البريطانية تحديد ميعاد ليقابل هو وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك « باشا » السير ونجت فحدد لهم يوم الاربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ الساعه ١١ افرنكى صباحا »

وقد أصبح ١٣ نوفمبر يسمى عيد الجهاد الوطنى . ولما أعلن تأليف الوفد المصرى بادر أعضاء الجمعية التشريعية بالتوقيع على صيغة التوكيل التالى وتبعهم أعيان البلاد ومحاموها وتجارها الخ

كان اعلان الهدنة مقرونا بشروط مستر ويلسون رئيس الجمهورية الأمريكية ، التى فى مقدمتها . حق كل شعب فى تعيين مصيره

صيغة التوكيل للوفد المصرى

« نحن الموقعين على هذا . الاعضاء بالجمعية التشريعية . قد أنبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا . وعلى شعراوى باشا . وعبد العزيز فهمى بك . ومحمد على بك « علوبة باشا » . وعبد اللطيف المكباتى بك . ومحمد محمود باشا . واحمد لطفى السيد بك ، ولهم أن يضموا اليهم من يختارونهم ، فى أن يسعوا بالطرق السلمية ، فى استقلال مصر استقلالا تاما . تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب »

استقالة وزارة رشدى باشا

استقالت وزارة رشدى باشا الثانية فى ٢١ ابريل سنة ١٨٩٩ وخلفتها وزارة محمد سعيد باشا الادارية

أعضاء الوفد المصرى

وقد انضم إلى الوفد آخرون ووضع قانون للوفد كانت مادته الأولى « تألف وفد باسم الوفد المصرى من حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد على بك وعبد اللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا



الفقيد العظيم الزعيم الخالد المغفور له سعد زغلول باشا رئيس الوزارة المصرية فى سنة ١٩٢٤ — وسميت وزارة الشعب — ورئيس مجلس النواب فى سنة ١٩٢٧ حيث توفى الى رحمة الله فى بيت الأمة فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ ، وكانت لوفاته رنة حزن عميق

وأحمد لطفى السيد بك واسماعيل صدقى باشا وسينوت حنا بك وحمد الباسل باشا وجورج خياط بك ومحمود أبو النصر بك ومصطفى النحاس بك والدكتور حافظ عفيفى بك »

وكان لتطور الحوادث منذ نوفمبر سنة ١٩١٨ حتى الآن أثر فى ضم أعضاء وفى

حدوث انشقاق فى الوفد المصرى فضلا عن وفاة الكثير من أعضائه رحمة الله عليهم ، مما ليس هنا المجال لبيان تفاصيله ، وإنما حسبنا أن نذكر أن الوفد المصرى يتألف اليوم من حضرات :

حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا رئيسا



حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري الذى فاوض وهو رئيس للوزارة المصرية مستر هندرسون وزير الخارجية البريطانية سنة ١٩٣٠ وقطعت المفاوضة إلى اليوم بسبب عدم قبول الحكومة البريطانية النص المقترح لحل مسألة السودان فى المعاهدة

حضرة المجاهد الكبير الأستاذ مكرم عبيد سكرتيرا

حضرات الأعضاء المحترمين : الاستاذ محمود فهمى النقراشى . الدكتور أحمد ماهر . مصطفى بكير بك . الأستاذ محمود بسيونى . على سالم بك . محمود الاتربى باشا .

محمد الشناوى بك . أحمد حمدى سيف النصر بك . كامل صدقى بك . عبد السلام فهمى محمد جمعة بك . ابراهيم سيد أحمد بك . الدكتور حامد محمود

اعتقال سعد وصحبه الى مالطة

وقد واصل الوفد نشاطه فارسل عشرات البرقيات إلى الدول بالاحتجاج على منعه من السفر . وفى ٨ مارس اعتقلت السلطة العسكرية البريطانية فى مصر . المغفور له سعد باشا ومعه حضرات محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا واسماعيل صدقى باشا فى ثكنة قصر النيل ، وأرسلتهم مخفورين الى بورسعيد حيث أقلتهم باخرة الى مالطة

انتشر النبأ فى العاصمة وبدأت الثورة المصرية فى ٩ مارس سنة ١٩١٩ ، وخربت السكك الحديدية والمواصلات التلغرافية ، وقامت مواكب المظاهرات والطلبة وأصبح الجامع الأزهر مركزاً لاجتماع المتظاهرين وخطب المتحمسين .

الافراج عن سعد وصحبه

استدعت الحكومة الانجليزية السير ونجت من مصر ، وعينت اللورد اللنبى



الفيكونت ادموند اللنبي المندوب السامى البريطانى لمصر والسودان
من سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٥

مندوبا ساميا فوق العادة ، فأصدر فى ٧ ابريل البلاغ الآتى حيث وزعته الطائرات ليلا .

« الآن وقد عاد النظام بنجاح عظيم . فبالاتفاق مع حضرة صاحب العظمة السلطان ، أعلن انه لم يبق حجر على السفر وأن جميع المصريين الذين يريدون السفر تكون لهم مطلق الحرية

« وقد قررت علاوة على ذلك ان كلا من : سعد زغلول باشا واسماعيل صدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا ، يطلقون من الاعتقال ، ويكون لهم كذلك حق السفر »

ففرحت الأمة المصرية بذلك وعدت ذلك اليوم يوم عيد وأفراح ، وخرجت السيدات المصريات المبرقعات لأول مرة ينتظمن المظاهرات هتافاً للحرية والاستقلال التام لمصر والسودان وحياة سعد والوفد

سفر الوفد الى باريس

وسافر أعضاء الوفد يوم ١١ ابريل سنة ١٩١٩ من مصر الى باريس ، وانضم سعد وصحبه الى زملائهم فى الطريق وسافروا معا

وتألفت لجنة الوفد المركزية فى مصر ، برياسة المغفور له محمود سليمان باشا وكان المرحوم ابراهيم سعيد باشا وكيلا لها وبعد ابعادهما رأسها المغفور له مرقس حنا بك « باشا » ، نقيب المحامين وقد حدث لأول مرة حادث لا مثيل له وهو اضراب موظفى الحكومة جميعا تقريبا فى ١٠ ابريل سنة ١٩١٩ واستمر الاضراب حتى آخر الشهر

واستقالت فى ٢١ ابريل سنة ١٩١٩ وزارة حسين رشدى باشا . وتألفت فى التاريخ نفسه وزارة المرحوم محمد سعيد باشا برياسته مع الداخلية ومن اسماعيل سرى باشا للأشغال والحربية والبحرية ، ويوسف وهبة باشا للمالية ، وأحمد ذو الفقار باشا للحقانية ، وعبد الرحيم صبرى باشا للزراعة ، وأحمد زيور باشا للمعارف ، والمستشار محمد توفيق نسيم بك « باشا » للأوقاف

الفصل الخامس عشر

لجنة ملنر والوفد المصرى

ظل الوفد المصرى فى باريس يواصل جهوده بالخطب والمقالات والنداءات والاحتجاجات ، وأوفد سعادة « دولة » محمد محمود باشا إلى أمريكا واتصل بعضو الشيوخ الامريكى مستر فولك الذى اتفق مع الوفد على أتعاب فى سبيل الدفاع عن القضية المصرية فى أمريكا .

ثم أذاعت شركة روتر ما يأتى :

« لندن فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ . اعلن رسميا أن لجنة التحقيق المعهود اليها البحث فى الاضطرابات الأخيرة فى مصر وفى شأن الحكومة القادمة فى مصر مؤلفة من اللورد ملنر رئيسا ومن السر رنل رود والجنرال السر جون سيمون مكسويل والجنرال السر ادين توماس . والمستر ج . ا . سبندر رئيس تحرير « وستمنستر غازيت » . والمستر ث . ج . ب . هورست المستشار القضائى فى وزارة الخارجية أعضاء »

قاطعت الأمة المصرية ، تحت اشراف الوفد المصرى ولجنته المركزية ، لجنة ملنر وقامت المظاهرات ضدها ، واستقالت وزارة سعيد باشا احتجاجا على وصول اللجنة وقبلت استقالتها فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، وخلفتها وزارة يوسف وهبة باشا ، وكان فيها محمد توفيق نسيم باشا وكانت مؤلفة من : يوسف وهبة باشا للمالية ، واحمد زيور باشا للمواصلات ، ومحمد توفيق نسيم باشا للداخلية ويحيى ابراهيم باشا للمعارف ، واسماعيل سرى باشا للاشغال والبحرية ، واحمد ذو الفقار باشا للحقانية ، ومحمد شفيق باشا للزراعة ، وحسين درويش باشا للاوقاف

مهمة لجنة ملنر

فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ أقيم أول احتفال بذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، فى ١٥ سنة ١٩١٩ نشرت دار الحماية فى مصر البلاغ الرسمى التالى عن مهمة لجنة ملنر :

« أن سياسة بريطانية العظمى فى القطر المصرى هى المحافظة على حكومته الذاتية تحت الحماية البريطانية وإنشاء نظام حكومة ذاتية تحت رياسة حاكم وطنى . وغرض بريطانيا العظمى الدفاع عن مصر من كل خطر خارجى أو من تدخل أى دولة أجنبية وغرضها فى الوقت نفسه تأسيس نظام دستورى تحت ارشاد بريطانيا العظمى على قدر الحاجة . والنظام الذى يمكن عظمة السلطان ومعالى وزرائه وحضرات مندوبى الأمة فى دوائرهم الخاصة من الاشتراك فى إدارة الأمور المصرية . وذلك على أسلوب يزيد فيه نفوذهم على مرور الأيام . وعليه فقد قررت حكومة جلالة الملك ارسال لجنة الى مصر مهمتها تقرير نظام الحكم للوصول إلى تلك الغاية . وبعد ان تستشير اللجنة عظمة السلطان ومعالى وزرائه وأصحاب الرأى من المصريين تباشر الأعمال الأولية اللازمة قبل وضع قانون الحكومة المستقبلة وليس من اختصاص اللجنة ان تشتغل بوضع شكل الحكومة على مصر . فان مهمتها هى ان تدرس الاحوال درسا دقيقا وتبحث مع أصحاب الشأن فى البلاد فى الاصلاحات اللازمة ، وان تقترح نظام الحكم الذى يمكن تنفيذه فيها فى النتيجة . فالمأمول أن يكون ذلك بالموافقة التامة مع عظمة السلطان ومعالى الوزراء الكرام »

الوفد السودانى فى لندن

عقب عقد الهدنة وبعد سفر الوفد المصرى إلى باريس للمطالبة بالاستقلال التام لمصر والسودان من مؤتمر الصلح ـ سافر وفد سودانى برياسة حضرة الحسيب النسيب السر السيد على الميرغنى وعضوية حضرات الحسيب النسيب السر السيد عبد الرحمن المهدى والشريف يوسف الهندى ـ أكبر الزعماء الدينيين فى السودان واصحاب الفضيلة الشيخ أحمد الطيب هاشم مفتى السودان والشيخ ابو القاسم هاشم شيخ العلماء والشيخ اسماعيل الازهرى مفتش المحاكم الشرعية والشيخ على التوم ناظر قبائل الكبابيش والشيخ ابراهيم موسى ناظر قبائل الهدندوة والشيخ عوض الكريم ابو سن ناظر قبائل الشكرية ، والشيخ ابراهيم محمد ناظر قبائل الجعليين ورافقهم مستر ويليس مدير المخابرات وصمويل عطية بك وكان الغرض الرسمى من سفر الوفد تقديم التهانى لجلالة ملك الانجليز لانتصاره على الالمان وعقد الهدنة

وقد ألقى السيد الميرغنى خطابا باللغة العربية فى حضرة جلالة الملك جورج، وألقى السير ونجت الذى حضر الزيارة ترجمة للخطاب وبجمله أنهم حضروا بالنيابة عن الشعب السودانى لتقديم التهانى بانتصار الحلفاء وقد رد جلالة الملك بالشكر.

ثم قدم السيد عبد الرحمن المهدى سيفا كان للمغفور له والده وأنعم جلالته بنياشين مختلفة على أعضاء الوفد وقد رد جلالته فى المقابلة نفسها بكتاب بخط جلالته وتوقيعه بانه يرد اليه هذا السيف الى السيد عبد الرحمن لكى يستعمله فى خدمة الحكومة السودانية



الوفد السودانى فى لندره سنة ١٩١٩

من اليمين : الجالسان : الشيخ أحمد الطيب هاشم . والسر السيد على الميرغنى
الواقفان : عن اليمين الشريف يوسف الهندي . والسر السيد عبد الرحمن المهدي

وصول لجنة ملنر وسفر ١٥

وصلت اللجنة فى صباح الأحد ٧ يناير سنة ١٩٢٠ الى بورسعيد ومنها الى القاهرة حيث اتخذت فندق سيميراميس مقراً لها . وواصلت ابحاثها

واتصلت ببعض الوزراء والكبراء ، ولكنها لقيت مقاطعة إجماعية لها . وفى ٦ مارس صدر البلاغ الرسمى التالى :

« رسمى — قد انجزت لجنة ملنر ابحاثها فى مصر وأجلت اتمام عملها الذى ستعود اليه فى لندن بعد عيد الفصح لاعداد تقريرها »

واستقالت وزارة يوسف وهبة باشا . وتألفت وزارة محمد توفيق نسيم باشا فى ٢١ مايو سنة ١٩٢٠ محتفظا لنفسه بالرياسة والداخلية ومن زيور باشا للمواصلات وذى الفقار باشا للحقانية ، ومحمد شفيق باشا للاشغال ، وحسين درويش باشا للاوقاف ، وتوفيق رفعت باشا للمعارف ، ومحمود فخرى باشا للمالية ، ويوسف سليمان باشا للزراعة

ودعت لجنة ملنر الوفد المصرى للمفاوضة معه وبدأت المفاوضات فى لندن فى ٩ يونية سنة ١٩٢٠

واعتقلت السلطة العسكرية عبد الرحمن فهمى بك سكرتير لجنة الوفد المركزية وآخرين فى أول يوليو سنة ١٩٢٠



صمويل عطية بك
رئيس العلم العربي بوكالة حكومة السودان بالقاهرة

الفصل السادس عشر

السودان فى مشروعات الاتفاق

١ — فى مشروع ملنر

جاء ذكر السودان فى مشروعات الاتفاق بين مصر وانجلترا . فورد ذكره فى مشروع الاتفاق الذى وضعته لجنة ملنر وورد فى تقرير اللجنة الذى أذيع فى سنة ١٩٢١ مايلى :

السودان

إن المشروع الذى تتضمنه المذكرة يتناول مصر فقط ولا ينطبق على السودان — البلاد التى تختلف كل الاختلاف عن مصر فى أوصافها وتركيبها وكون حالتها السياسية محدودة تحديدا جلياً فى الاتفاق الانكليزى المصرى المبرم فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ (*) وليست كحالة مصر التى لا تزال غير معينة . فلهذه الأسباب اخرجنا السودان عمدا من مناقشاتنا كلها مع الوفد وكان ذلك مفهوما دائما عند أعضائه ولكن منعا للخطأ وسوء الفهم بمصر فى غاية مناقشاتنا ومداها دفع اللورد ملنر الكتاب التالى الى عدلى باشا يكن لما أرسل إليه المذكرة وهو :

١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠

عزيزى الباشا

بخصوص الحديث الذى جرى بيننا أمس أعود فأقول مرة أخرى أنه ليس

(*) أن هذا الاتفاق وقعه وزير الخارجية المصرية واللورد كرومر نص على أنه « يحق » لبريطانيا العظمى « بحق الفتح » « أن تشترك فى تعمير السودان وادارته وترقيته » وقد أسقط قبول هذا المبدأ كله دعوى سيادة تركيا على السودان واخرجت البلاد نهائيا من الدائرة التى يسري عليها نظام الامتيازات ولذلك نص فى هذا الاتفاق على أن اختصاص المحاكم المختلطة « لا يسري على أي جهة من جهات السودان أو يعترف به فيها » وأن لا يقيم قناصل الأجانب في البلاد بلا رضى الحكومة البريطانية . أما السلطة العسكرية والمدنية العليا فيعهد بها إلى شخص « الحاكم العام » الذي يعين بمشورة الحكومة البريطانية بأمر من خديوى مصر والذى يكون لمنشوراته قوة القانون

بين أجزاء المذكرة التى أنا مرسلها إليك الآن جزء بقصد تطبيقه على السودان كما هو ظاهر من المذكرة نفسها ولكنى أرى اجتناباً لكل خطأ وسوء فهم فى المستقبل انه يحسن بنا أن ندون رأى اللجنة وهو أن موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه قط نحن وزغلول باشا وأصحابه خارج بالكلية عن دائرة الاتفاق المقصود لمصر ، فان البلدين يختلفان اختلافا عظيما فى أحوالها ونحن نرى أن البحث فى كل منهما يجب أن يكون على وجه مختلف عن وجه البحث فى الآخر .

أن السودان تقدم تقدما عظيما تحت ادارته الحالية المؤسسة على مواد اتفاق ١٨٩٩ فيجب والحالة هذه أن لايسمح لاى تغيير يحصل فى حالة مصر السياسية أن يوقع الاضطراب فى توسيع نطاق تقدم السودان وترقيته على نظام انتج مثل هذه النتائج الحسنة

على أننا ندرك من الجهة الاخرى أن لمصر مصلحة حيوية فى ايراد الماء الذى يصل اليها مارا فى السودان ونحن عازمون أن نقترح اقتراحات من شأنها أن تزيل هم مصر وقلقها من جهة كفاية ذلك الايراد لحاجاتها الحالية والمستقبلة

الامضاء : (ملنر)

العنوان : « حضرة صاحب المعالى عدلى باشا يكن »

وقالت اللجنة :

ويجمل بنا فى هذا المقام أن نورد بالايجاز الاسباب التى نرى أنها تقضى باستحالة تسوية مسألة السودان على المبادىء التى يراد تسوية المسألة المصرية عليها ونشير فى الوقت عينه الى الخطة العامة التى يلوح لنا أنها أصلح من سواها لسد حاجات السودان الحالية فنقول : —

أن الاكثرية الكبرى من أهل مصر متجانسة بالنسبة الى سواها . أما السودان فمقسوم بين العرب والسود وفى كل من هذين الجنسين الكبيرين أجناس وقبائل يختلف بعضها عن بعض اختلافا عظيما ويضاد بعضها بعضا كثيرا . أما عرب السودان فيتكلمون باللغة التى يتكلم بها أهل مصر وتجمع بينهم لغة الدين ، والاسلام آخذ فى الانتشار فى السودان حتى بين الاجناس غير العربية من أهله . وهذه المؤثرات تلطف ما بين أهالى البلدين من التضاد والتنازع ولكنها تقوى عليه بعد مازادت تذكار سوء الحكم المصرى الماضى قوة وشدة

أما الروابط السياسية التى تربط السودان بمصر فى فترات مختلفة من الزمان

الماضى ، فكانت دائما روابط واهية فان الفاتحين المصريين اجتاحوا أقساما من السودان بل السودان كله ولكن مصر لم تخضع السودان قط اخضاعا حقيقيا ولا ادغمته فيها وجعلته بعضا منها بمعنى من المعانى وكان فتحها له فى القرن الماضى نكبة كبيرة على البلدين معا وانتهى أمره بفتنة المهدى التى قلبت السلطة المصرية رأسا على عقب فى أوائل العقد الثانى من ذلك القرن ولم يبق للسلطة المصرية أثر فى السودان مدة أكثر من عشر سنوات الا فى مقاطعة صغيرة حول سواكن فاضطرت بريطانيا العظمى من جراء ذلك الفشل أن تجرد عدة حملات انفقت عليها أموالا طائلة لنجدة الحاميات المصرية والدفاع عن مصر التى كانت عرضة لسيل عصابات المهدى الجارفة واستلمت الايدى البريطانية زمام حكومة السودان فعلا منذ فتحت القوات البريطانية والمصرية البلاد بقيادة قواد بريطانيين فى سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٨ وبات السودان تحت الحماية البريطانية المصرية فى سنة ١٨٩٩ لان الحاكم العام وان كان يعينه سلطان «وسابقا خديوى» مصر فالحكومة البريطانية هى التى ترشحه وكل مديرى المديريات وكبار الموظفين هم من البريطانيين ، فتقدم السودان تقدما عجيبا ماديا وأدبيا تحت رعاية الحكومة المنظمة هذا النظام ، لاننا اذا حسبنا حساب كل ماتقتضيه بساطة هذه القضية وهى ادخال المبادى. الاولية لحكومة منظمة متمدنة الى بلاد أهلها لايزالون فى أول عهد السذاجة حكمنا أن النجاح العظيم الذى نجحته بلاد السودان فى المدة الطويلة التى كان فيها السر رجينلد ونجت حاكما عاما عليها يعد أمجد صفحة فى تاريخ الحكم البريطانى على الشعوب المتاخرة . أما الحكومة الحالية فمقبولة ومحبوبة عند أهل السودان . والسلام والتقدم مخيمان على تلك البلاد إلا فيما ندر

غير أنه وأن تكن مصر والسودان بلدين ممتازين أحدهما عن الآخر وارتقاؤهما يكون على منهاجين مختلفين فلمصر مع ذلك مصلحة عظيمة جدا فى السودان وهى أن النيل الذى يتوقف عليه وجود مصر وكيانها يجرى مسافة مئات من الأميال فى بلاد السودان فمن أهم الأمور لمصر منع أى تحويل لماء النيل يمكن أن يقلل مساحة أراضيها الزراعية الحالية التى تبلغ مساحتها حوالى مليونى فدان وتصير قابلة للزراعة إذا خزن ماء النيل وزاد مايرد منه للرى عما هو عليه الآن . وقد كانت كمية المياه التى يأخذها السودان رأسا من النيل قليلة حتى الآن ولكن كلما زاد عدد سكان السودان احتاجت بلادهم إلى ماء أكثر لأجل تقدمها وقد يفضى ذلك إلى التضارب

بين مصالحهم ومصالح أهل مصر ولكن الأمل وطيد أنه إذا حفظت مياه النيل جيدا ووزعت كذلك كفت لرى كل الأطيان التى يمكن أن تحتاج إلى الرى سواء كانت فى مصر أو فى السودان ولكن التحكم بمياه النيل وضبطها للرى مسألة أعظم مكان من الأهمية والقضايا التى تنطوى تحت ذلك فنية كانت أو غير فنية صعبة ومعقدة جداً بحيث يقتضى فى رأينا تعيين لجنة دائمة من خبيرين من الطبقة الأولى وأيضا من رجال ينوبون عن كل البلدان التى لها علاقة بهذا الأمر وهى مصر والسودان وأوجندا لتحل كل المسائل التى لها مساس بالتحكم بماء النيل وضبطه ولتضمن توزيع الماء بالقسط

ولتجاور مصر والسودان ولاشتراكهما فى المصلحة فى النيل يحسن أن تكون بينهما رابطة سياسية على الدوام ولكن هذه الرابطة لا يمكن أن تكون صورتها خضوع السودان لمصر . فبلاد السودان قابلة للتقدم والارتقاء حسب مقتضى أوصافها واحتياجاتها مستقلة بنفسها . ويحق لها أن تكون كذلك أيضا . ولم يحن الوقت بعد لتعيين الحالة السياسية التى تكون عليها فى آخر الأمر ويكفيها لقضاء أغراضها فى الوقت الحاضر الحالة التى عينت لها باتفاق سنة ١٨٩٩ بين بريطانيا العظمى ومصر حيث ينص على الصلة السياسية اللازمة بين مصر والسودان من دون تأخير السودان عن الترقى والتقدم مستقلا عن مصر

والضرورة تقضى الآن بأن يكون السودان كله تحت سلطة واحدة عليها ولكن لا يستحسن أن ينحصر الحكم كله فى حكومة مركزية بل الواجب القاء مقاليد ادارته بقدر الامكان إلى حكام من الوطنيين (١) حيثما وجدوا تحت المراقبة البريطانية نظراً لاتساع ارجائه واختلاف طبع أهله واخلاقهم فالحكومة البيرقراطية المركزية لا تلائم السودان على الاطلاق . وانما تلائمه اللامركزية واستخدام العناصر الوطنية حيث يستطاع لقضاء الأعمال الادارية البسيطة التى تحتاج البلاد اليها فى الحالة التى هى عليها من التقدم لأن ذلك يقلل نفقاتها ويزيد فى كفاءة رجالها وحسن ادارتها والموظفون الآن من أهل البلاد لا يزالون قلال العدد فى جنب الذين يؤتى بهم من مصر وهؤلاء لا يحبون الخدمة فى السودان ولكن هذه الصعوبة ستزول كلما تقدم العلم فى السودان وزاد عدد الذين يصيرون كفأ من أهله لتقلد الوظائف الرسمية . والواجب فى الوقت عينه الانتباه الكلى إلى أمر التعليم حتى لا يرتكب فيه الخطأ

(١) هذا هو نظام الادارة الأهلية فى السودان ـ راجع الفصل التاسع ص ١٠٩

الذى ارتكب فى مصر بادخال نظام اليها لا يؤهل التلامذة لعمل يذكر سوى الأعمال الكتابية والوظائف الادارية الصغيرة وتخريج جمهور كبير يفوق الحاجة من الذين تطمح أبصارهم إلى الاستخدام فى الحكومة فليس فى السودان مجال لجيش من صغار المستخدمين ولذلك يجب أن يتوجه التعليم بحيث يربى فى السودانيين القابلية والميل الى الأعمال الأخرى كالزراعة والصناعة والتجارة والهندسة، إذ حاجة تلك البلاد الآن هى إلى الترقى المادى .وفى وسعها الاستغناء عن نظام ادارى على غاية من الاتقان

أن القواعد العسكرية التى لا تزال تستخدم فى السودان كبيرة جداً . نعم أن وجود جيش كبير فى تلك البلاد كان لازما لاتمام فتحها ولاستتباب السكون فيها ولكننا نرى أن الزمان قد حان لاعادة النظر فى مسألة القوات العسكرية (١) فى البلاد وتنظيمها وتخفيف العبء المالى الواقع على عاتق مصر من ابقائها هناك ثم أن وظيفة الحاكم العام على السودان(٢) والقائد العام للجيش المصرى لاتزالان مجتمعتين فى شخص واحد وكانت الأسباب التى تقتضى ذلك وجيهة فى الماضى ولكن لا يمكن الدفاع عنه إذا أريد أن يكون كذلك دائما ولذلك يجب تعيين حاكم عام ملكى عند سنوح أول فرصة .

ويقال بالاجمال أن الغرض الذى ترمى إليه السياسة البريطانية يجب أن يكون اخلاء جانب مصر من كل مسئولية مالية للسودان وتقرير العلاقات بين البلدين فى المستقبل على قاعدة تضمن ارتقاء السودان ارتقاء مستقلا ومصالح مصر الحيوية فى ماء النيل . فلمصر حق لا ينازع فيه فى الحصول على ايراد كاف مضمون من الماء لرى أراضيها الزراعية الحالية وعلى نصيب عادل من كل زيادة فى ايراد الماء يتيسر للبراعة الهندسية أن تأتى بها فاذا صرحت بريطانيا العظمى رسمياً باعترافها بهذا الحق وأنها عاقدة النية على المحافظة عليه فى كل حال من الأحوال سكنت بذلك روع المصريين وخففت عنهم القلق المستحوذ عليهم من هذا القبيل ورأينا أن هذا التصريح يفى بالغرض المقصود إذا تم فى الوقت الحاضر . اهـ

---

(١) هل كان هذا مقدمة لسحب الجيش المصرى وإنشاء قوة الدفاع عن السودان ؟

(٢) وقد نفذ هذا الاقتراح بالانذار البريطانى فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ على أثر حادث السردار

٢ — فى مشروع كرزن

فيما يلى ترجمة مذكرة بنصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر مشروع كرزن تاريخه ١٥ نوفبر سنة ١٩٢١ :

رابعا — السودان

١٧ — حيث أن رقى السودان السلمى هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه تتعهد مصر بان تستمر فى أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التى كانت تقوم بها فى الماضى أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان أعانة مالية (١) تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين

تكون كل القوات المصرية فى السودان تحت أمر الحاكم العام

وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بان تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لاتقام أعمال رى جديدة على النيل أو روافده جنوبى وادى حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثه أعضاء يمثل أحدهم مصر والثانى السودان والثالث أوغندا

رد عدلى باشا

وقد ورد فى رد الوفد الرسمى المصرى برياسة عدلى يكن باشا فى صدد مسألة السودان مايلى .

أما مسألة السودان التى لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى أن النصوص الخاصة بها لايمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لاتكفل لمصر التمتع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذى لانزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل

٣ — فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

ننشر فيما يلى نص التصريح :

بما أن حكومة جلالة الملك عملا بنواياها التى جاهرت بها ترغب فى الحال فى الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة

وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهمية جوهرية للامبراطورية البريطانية ، فبموجب هذا تعلن المبادىء الآتية : —

(١) هل هذه هى الخطة التى نفذت فى سنة ١٩٢٥ بتأليف قوة الدفاع وأعانتها بمبلغ ٧٥٠ ألف جنيه؟

١ ــ انتهت الحماية البريطانية على مصر . وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة

٢ ــ حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات « اقرار الاجراءآت التى اتخذت باسم السلطة العسكرية » نافذ الفعل على جميع سا كنى مصر تلغى الاحكام العرفية التى أعلنت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

٣ ــ إلى أن يحين الوقت الذى يتسنى فيه إبرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور الآتى بيانها وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الامور وهى

أ ــ تأمين مواصلات الأمبراطورية البريطانية فى مصر

ب ــ الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تداخل اجنبى بالذات أو بالواسطة

ج ــ حماية المصالح الاجنبية فى مصر وحماية الاقليات

د ــ السودان

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الامور على ماهى عليه الآن

٤ ــ مفاوضات ماكدونالد وسعد سنة ١٩٢٤

سافر حضرة صاحب الدولة المغفور له سعد زغلول باشا رئيس الوزارة المصرية إلى لندن حيث جرت بينه وبين مستر ماكدونالد رئيس الوزارة الانجليزية ـ وكانت أول وزارة للعمال فى انجلترا ـ ، مباحثات فى اكتوبر سنة ١٩٢٤ ، فى سبيل عقد معاهدة بين مصر وانجلترا . ولكن المباحثات قطعت ، وكان من أسباب قطعها مسألة السودان .

بيان الكتاب الأبيض

وقد أذاعت الحكومة البريطانية فى يوم الثلاثاء ٧ اكتوبر سنة ١٩٢٤ الكتاب الأبيض الانكليزى عن المحادثات المصرية البريطانية مع سعد باشا جاء فيه بخصوص السودان ما يلى : ــ

« أما فى شأن السودان فاننى ألفت النظر إلى بعض البيانات التى فاه بها زغلول باشا بصفته رئيس مجلس الوزراء أمام البرلمان المصرى فى الصيف فى ١٧ مايو . ويؤخذ مما علمته فى هذا الصدد أن زغلول باشا قال أن وجود قيادة

الجيش المصرى العامة فى يد ضابط أجنبى وإبقاء ضباط بريطانيين فى هذا الجيش لايتفق مع كرامة مصر المستقلة ، فابداء مثل هذا الشعور فى بيانات رسمية من رئيس الحكومة المصرية المسؤول لم يقتصر على وضع السردار السرلى مستاك باشا فى مركز صعب بل وضع جميع الضباط البريطانيين الملحقين بالجيش المصرى أيضا فى هذا المركز

« ولم يفتنى أيضا أنه قد نقل لى أن زغلول باشا أدعى لمصر فى شهر يونية الماضى بحقوق ملكية السودان العامة ووصف الحكومة البريطانية بأنها غاصبة

« فقال زغلول باشا ان الأقوال السابقة التى قالها لم يكن مردداً فيها صدى رأى البرلمان المصرى فقط بل رأى الأمة المصرية أيضا . فاستنتجت من ذلك أنه ما زال متمسكا بذلك المركز . على أن الأقوال التى من هذا النوع لا بد أنها أثرت فى عقول المصريين المستخدمين فى السودان وفى عقول السودانيين فى الجيش المصرى فكان من جراء ذلك أنه أصبح يلوح أن الاخلاص للحكومة المصرية أمر يختلف عن الاخلاص لادارة السودان الحالية ولا ينطبق عليه وكانت النتيجة من ذلك أن الأمر لم يقتصر على تبدل تام فى روح التعاون الانجليزى المصرى الذى كان سائداً فى السودان بل وجد الرعايا المصريون المستخدمون فى حكومة السودان مشجعاً جعلهم يقدرون أنفسهم دعاة لنشر أراء الحكومة المصرية وتكون النتيجة أنه إذا استمرت هذه الحال بالرغم من وجود أى اتفاق يصبح وجودهم فى السودان تحت نظام الحكم الحالى مصدراً للخطر على الأمن العام

« وقد وعدت فى أثناء محادثاتنا الأولى أن أكون صريحاً جداً مع زغلول باشا ولم أترك فى نفسه أدنى شك فى أثناء تلك المحادثة وفيما بعدها عن الموقف الذى اضطرت الحكومة البريطانية إلى وقوفه فى شأن مصر والسودان

إلى أن قال : « ويؤخذ من كل ما جرى لى من المحادثات مع زغلول باشا فى مسألة السودان أن هذه الأحاديث لم تظهر سوى اصراره على موقفه الذى صرح به فى أقواله العمومية فلا بد لى من التمسك بالبيانات التى فهت بها فى هذا الموضوع فى مجلس النواب ويجب أن لا يبقى شك فى ذلك لا فى مصر ولا فى السودان وإذا كان هنالك شك فانه لا يفض الا إلى الاضطراب . وفى خلال ذلك يظل الواجب العملى فى حفظ النظام فى السودان ملقى على عاتق الحكومة البريطانية وهى تتخذ جميع التدابير اللازمة لهذا الغرض فانها منذ ذهبت إلى هناك وضعت على عاتقها

تعهدات أدبية بايجاد نظام إدارى جيد فهى لا تسمح بأن يزول هذا النظام وهى تعد مسئولياتها وديعة فى يدها للشعب السودانى ولا يمكن أن تترك السودان إلا عند ما تتم عملها

أن الحكومة البريطانية لا ترغب فى تشويش الاتفاقات الحالية ولكن يجب عليها أن تصرح بأن الحالة الحاضرة التى تسمح للموظفين الملكيين والضباط العسكريين أن يتآمروا ضد النظام المدنى - هى حالة لا تطاق

فاذا لم تقبل الحالة الحاضرة باخلاص وتظل قائمة إلى أن يوضع اتفاق جديد فان حكومة السودان تخل بواجبها إذا سمحت لمثل هذه الحال أن تستمر ولم تغفل الحكومة البريطانية قط عن الاعتراف بأن لمصر بعض المصالح يجب أن تضمن وتصان وأهمها هو ما يتعلق بنصيبها فى مياه النيل وبارضاء ما قد يكون لها من المطالب المالية من حكومة السودان ، فالحكومة البريطانية كانت وما زالت مستعدة لصيانة هذه المصالح بطريقة مرضية لمصر »

وعاد المغفور له سعد زغلول باشا من لندن ووصل الاسكندرية على الباخرة الفرنسية « سفنكس » فى الساعة السادسة من صباح يوم الاثنين ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٤ .

وقد استقالت الوزارة السعدية فى يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤

٥ — مشروع سر أوستين تشمبرلين سنة ١٩٢٧

وسافر المغفور عبد الخالق ثروت باشا سنة ١٩٢٧ إلى لندن ، حيث جرت مباحثات تفصيلية بين الفقيد وبين سير أوستين شمبرلين تمخضت عن مشروع سر أوستين شمبرلين ، وقد جاء فيه عن السودان ما يلى :

المادة الثالثة عشر — تعترف الحكومتان المتعاقدتان بأن أوفى ضمان لصيانة مصالحهما ولا سيما مصالح مصر فى مجارى النيل العليا هو استمرار سيادتهما المشتركة فى السودان

وكلاهما متفقتان على أن تتخذا كقاعدة لتحديد نصيب مصر فى مياه النيل الأبيض والنيل الأزرق النتائج التى وردت فى تقرير لجنة النيل المؤرخ ٢١ مارس سنة ١٩٢٦ وفى الاتفاق الذى عقد فى أول مايو سنة ١٩٢٦ بين ممثلى مصلحتى

الرى فى مصر والسودان . ويمنح ممثلو مصلحة الرى المصرية التسهيلات اللازمة لمراقبة المعاهدات المتعلقة بأعمال قناطر سنار كما أنه تكون لهم حرية الوصول إلى البيانات الخاصة بذلك لتتحقق من أن توزيع المياه جار طبقا للقواعد التى وضعت فى التقرير المذكور . وتمنح حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية الحكومة المصرية كل مساعدة ممكنة لتمكينها من القيام لمصلحتها الخاصة وعلى نفقتها وبوجه يتفق مع مصالح السلطات المحلية ذات الشأن بأعمال الحفظ المنصوص عليها فى ذلك التقرير وتتحمل الحكومة المصرية نفقات كل عمل تكميلى ودفع كل مبلغ نقدى تدعو الحاجة اليهما باعتراف الطرفين تعويضا للمصالح المحلية من كل تلف أو تفكك ينجم عن الأعمال المشار اليها .

ويستمر حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، نظراً لاهتمامه بحفظ السلام فى ربوع السودان وعلى حدود مصر الجنوبية — فى دفع حصته الحالية فى نفقات الادارة فى السودان إلى أن تقرر الحكومتان المتعاقدتان أن الحال يدعو إلى إعادة النظر فى هذه الترتيب .

مشروع ثروت باشا سنة ١٩٢٧

وضع ثروت باشا مشروعا ورد فيه عن السودان مايلى :

« المادة الحادية عشرة — مع الاتفاق على تأجيل تسوية مسألة السودان الى مفاوضات تجرى فيما بعد ويكون لكل من الطرفين المتعاقدين فيها تمام الحرية فى تقرير حقوقه ، توافق الحكومتان منذ الان على الرجوع الى الحالة التى كانت قائمة قبل سنة ١٩٢٤ وعلى أن تتخذ كقاعدة لتحديد نصيب مصر فى مياه النيل الابيض والنيل الازرق النتائج التى وردت فى التقرير الذى وضع مع ماأدخل عليها من التعديل بناء على طلب وزارة الاشغال العمومية المصرية وعلى الاعتراف نحو الحكومة المصرية فى اتخاذ كافة تدابير المراقبة اللازمة لتكفل توزيع المياه طبقا للقواعد التى وضعت فى التقرير المذكور ، وعلى أن تقدم لها كل التسهيلات للقيام على نفقتها بجميع أعمال الرى على مجرى النيل التى أشار اليها ذلك التقرير فى مصلحة مصر »

وقد عرضت نتيجة المحادثات سنة ١٩٢٨ على كل من الوفد المصرى وهيئته الوفدية البرلمانية وحزب الاحرار الدستوريين بصفتهما متآلفين يومئذ ، إذ كانت الوزارة مؤلفة منهما — وقد رفض المشروع رفضا باتا . ثم استقال ثروت باشا وتألفت وزارة برياسة دولة النحاس باشا .

٥ — مشروع هندرسون

سافر حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة يومئذ فى صيف عام ١٩٢٩ الى لندن . وفى اثناء وجوده فيها أبدى مستر هندرسون وزير الخارجية فى وزارة العمال الثانية رغبته فى المفاوضة مع مصر ، ووضع مقترحات تضمنت المبادىء التى ترى الحكومة البريطانية تأسيس معاهدة عليها .

نص المادة الخاصة بالسودان فى هذه المقترحات كما يلى :

مادة ١٣ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل تعديلا لاتفاق سنة ١٨٩٩ يتفق الفريقان المتعاقدان على أن تكون حالة السودان هى الحالة المترتبة على الاتفاق المذكور وعلى ذلك يواصل الحاكم استعمال السلطة المخولة له بموجب الاتفاق المذكور بالنيابة عن الفريقين المتعاقدين

وتبودلت المذكرات التالية فى هذا الشأن :

المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة :

لما تباحثنا فى الفقرة ١٣ من الاقتراحات اتفقنا على أن تفحص مسألة الديون التى على السودان فى الوقت الحاضر بقصد تسويتها على أساس العدل والانصاف . واتفقنا أيضا على أن يبحث ممثل الخزينة البريطانية مع ممثل لوزارة المالية المصرية فى هذه المسألة حالما تنفذ المعاهدة التى تعقد على أساس الاقتراحات

مذكرة مصرية

ياصاحب السعادة :

ردا على مذكرة سعادتكم بتاريخ هذا اليوم أتشرف باثبات اتفاقنا على مسألة الديون التى على السودان سيفحصها ممثلان عن الخزينة البريطانية ووزارة المالية المصرية بقصد تسويتها على أساس العدل والانصاف

مذكرة بريطانية

ياصاحب الدولة :

من الملائم أن نسجل الاتفاق الذى قد انتهينا اليه بشأن الطرق التى بمقتضاها نجعل الاتفاقات الدولية منطبقة على السودان

والاتفاقات التى سيكون من المرغوب تطبيقها على السودان ستكون بالطبع ذات صبغه فنية وانسانية . ففى الحالة التى يتم فيها امضاء أى اتفاق من هذا النوع من مصر وبريطانيا العظمى ويراد تطبيقه على السودان فان المندوبين البريطانى والمصرى يبديان معا فى الوقت الملائم تصريحا كتابيا فحواه أن توقيعهما المشترك بالنيابة عن مصر والمملكة المتحدة يقصد به أن يشمل السودان وأنه « فى الحالة التى يجب فيها التصديق على الاتفاق » متى تم ايداع الوثيقة التى تتضمن هذا التصديق من جانب جلالة ملك مصر ومن جلالته البريطانية يصبح هذا الاتفاق ساريا على السودان طبقا لشروطه

فاذا لم يعمل مثل هذا التصريح فالاتفاق لا يصبح ساريا على السودان الا بطريقة الانضمام التى سيشار إليها فيما بعد

وفى الحالة التى يعمل فيها مثل هذا التصريح لا يذكر السودان ذكرا خاصا فى مستندات التصديق

وفى بعض الحالات التى ينص فيها الاتفاق على الانضمام اللاحق ويكون من الملائم أن يسرى الاتفاق على السودان بهذه الطريقة يتم الانضمام بوثيقة مشتركة يوقعها من مصر وبريطانيا العظمى مندوبان يعينان لهذا الغرض

أما طريقة ايداع وثيقة الانضمام فيتفق عليها فى كل حالة بين الحكومتين وفى هذه الأحوال لا يكون ثمة محل للتصديق

وفى المؤتمرات الدولية التى تجرى فيها المقاضاة بشأن أمثال هذه الاتفاقات يظل المندوبان المصرى والبريطانى على اتصال من أجل أى عمل يتفقان على أنه من المرغوب فيه لمصلحة السودان

مذكرة مصرية

ياصاحب السعادة :

أتشرف بابلاغ فخامتكم أننى تسلمت مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم بشأن طريق تطبيق الاتفاقات الدولية على السودان مما قد يرغب فى تطبيقه على تلك البلاد ، وانى أؤيد ما جاء فيها بشأن التفاهم الذى انتهينا إليه

مذكرة بريطانية

ياصاحب الدولة :

فى اثناء محادثاتنا الأخيرة أعربتم دولتكم عن الأمل بأنه عند تنفيذ المعاهدة تعاد الجنود المصرية إلى السودان . فاذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التى تفاوضنا بها فى الاقتراحات كما ترجو باخلاص حكومة جلالته البريطانية ببريطانيا العظمى وشمالى ارلندا فان الحكومة تكون مستعدة لأن تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة أورطة مصرية إلى السودان فى الوقت الذى تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة

مذكرة مصرية

ياصاحب السعادة :

أتشرف بابلاغ سعادتكم وصول مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة بعودة أورطة مصرية إلى السودان وقد أخذت علما بموقف جلالته البريطانية فى هذا الشأن

« محمد محمود »

مذكرات عبد الحميد بدوى باشا

وفى أثناء بحثنا فى مسألة السودان وقفنا على أن لحضرة صاحب السعادة الدكتور عبد الحميد بدوى باشا رئيس قضايا الحكومة مذكرات قانونية مهمة فى مفاوضات كرزون - عدلى سنة ١٩٢١ وفى مفاوضات ثروت - كرزون سنة ١٩٢٧ وفى أحاديث هندرسون - محمد محمود سنة ١٩٢٩ .

رأى الامير عمر طوسون فى المقترحات

حادث مراسل جريدة «الأهرام» الخاص بالاسكندرية حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون حول مقترحات هندرسون ومسألة السودان . وقد نشرت الجريدة المذكورة الحديث بتاريخ ١٩ اغسطس سنة ١٩٢٩

قال مراسل «الاهرام» السكندرى : —

بعد أن نشر مشروع الاتفاق قصدت غير واحد من أهل المراكز الكبرى وكبار رجال الأحزاب وسألتهم هل فى الاستطاعة محادثتهم فى أمر هذا الاتفاق . فاعتذر الوفديون بقولهم أنهم نزولا على ارادة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا لا يستطيعون التكلم فى الظروف الحاضرة ولا يبيحون لأنفسهم ابداء الرأى الا بعد أن تتغير الأحكام الحاضرة . وقال لى كبير من الأحرار الدستوريين الكلمة لصاحب الدولة رئيس الحكومة والرأى لمجلس ادارة الحزب بعد عودة الرئيس

فوجهت النظر الى الأمير عمر طوسون وهو كما يعلم القراء والشعب المصرى عامة غير مقيد برأى حزب أو جماعة . وقد برهن فى مواقفه العديدة على صراحة تامة فى ابداء مايراه لمصلحة الوطن . وعرضت على سموه التكرم بحديث يجلو الموقف وينير المسألة ازاء امتناع أهل الاحزاب المختلفة عن اعلان رأيهم فتنازل سموه ولبى طلبى واذن لى بنشر الحديث الآتى عن لسانه .

سألت سموه عن رأيه فى اقتراحات وزارة المستر مكدونلد التى رضى رئيس الوزارة المصرية أن تكون أساسا لمعاهدة تعقد بين مصر وانكلترا

فأجاب سموه . اننى أبديت فى حديثى الأخير معكم أن الوقت لم يكن مناسبا للمفاوضة والحياة النيابية معطلة . ولا زلت أقول هذا القول رغم ظهور مشروع الاتفاق الأخير ورغم اعتقادى فيه أنه أفضل مشروع قدمته انكلترا لمصر الى الآن اذ لو حصلت المفاوضة والبلاد محكومة بحكومة نيابية ، لجعلت المفاوض المصرى أقوى منه وهى محكومة بغير هذه الحكومة . ولم أقل هذا القول فى حينه الا لهذه الغاية التى نظرت فيها الى مصلحة مصر دون أى اعتبار آخر . فالمفاوض الذى تزوده الامة بثقتها وتمده بقوتها ، أصلح لهذا الشأن ممن لا يستمد القوة الا من نفسه وهذا من البداهة بحيث لا تصح المجادلة فيه

أما وقد حصل ما حصل وجاءنا دولة رئيس الوزراء بهذا المشروع الذى يفضل جميع ماسبقه من المشاريع وأصبحنا به أمام أمر واقع فالواجب يقضى بشكره والثناء على نتيجة جهوده ولذلك لايسعنى إلا أن أشكره بل وأهنئه على حظه الحسن وهذا هو رأيى فى هذا المشروع اجمالا

فرجوت سموه التفصيل وسألته زيادة البيان

فتفضل سموه وأجابنى بقوله : أن هذا المشروع حسن فى جملته وهو من حيث مصر مقبول بعد أن تفسر بعض نقطه الغامضة وتحدد تحديدا دقيقا حتى تكون بمأمن من التأويل الذى هو عادة فى مصلحة القوى . وهذه وظيفة البرلمان الذى سيعرض هذا المشروع عليه فيضع له من التحفظات مايجعله أقرب الى مصلحة مصر مثل قصر معونتنا لانكلترا على أن تكون داخل حدود بلادنا وتقدير قيمة الثكنات التى تلزمهم للمحافظة على قناة السويس بمبلغ معين من المال الى غير ذلك مما يجعلنا بمنجاة من تحمل مالا طاقة لنا بتحمله ويدنينا مسافة أخرى من الاستقلال الصحيح فى شؤوننا الداخلية والخارجية

وأما من حيث السودان فان هذا المشروع هو المشروع الذى تناول مسألته دون المشاريع السابقة الت أرجأت مسألة السودان الى اتفاق آخر فيما عدا ضمان انكلترا لنصيب مصر فيه من الماء ولكنه مع ذلك لم يخط بنا نحو حقوقنا إلا خطوة قصيرة جدا فأرجعنا فيه الى اتفاقية سنة ١٨٩٩ وهى اتفاقية أبنت بطلانها فيما كتبته عن السودان من قبل لانها كاتفاقية الوصى مع القاصر على مافيه المصلحة له والضرر لمحجوره . ومع اننا لانعترف بهذه الاتفاقية المجحفة بحقنا الشرعى فى السودان ، فان هذا المشروع لم ينلنا ما نرمى اليه وما يستفاد من نصوصها التى قالت انكلترا ولا زالت تقول انها تحترمها . وقالت وزارة العمال أخيرا انها متمسكة بها هى واتفاقية القنال .

وان كل مطلع على المادة (١٣) من مشروع الاتفاق الأخير ليدهش أعظم الدهش مما جاء بعد ذلك فى هذا المشروع تفسيراً لرجوع الحالة فى السودان إلى اتفاقية سنة ١٨٩٩ وجواباً على خطاب رئيس الوزراء بشأن رجوع الجيش المصرى إلى السودان بناء على هذه الاتفاقية ألا وهو قول وزير الخارجية الانكليزية :

« اذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التى تفاوضنا بها فى الاقتراحات كما ترجو ، باخلاص ، حكومة جلالته البريطانية ببريطانيا العظمى وشمالى ارلندا ، فان الحكومة

تكون مستعدة لأن تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة أورطة مصرية الى السودان فى الوقت الذى تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة »

فاذا كان هذا هو تفسير المادة (١٣) المتعلقة بعودة السودان إلى ما كان عليه حسب اتفاقية سنة ١٨٩٩ ونحن بعد لم نبرم الاتفاقية الأخيرة فماذا ، اذاً ، يكون تفسيرها بعد إبرامها .

أن انكلترا إذا كانت صادقة النية فى احترام اتفاقية سنة ١٨٩٩ فعليها :

أولا — أن ترجع السودان المصرى إلى ما كان عليه قبل الثورة المهدية وترجع اليه ما سلخته من مديرية خط الاستواء القديمة أى المنطقة التى سيقام فيها خزان بحيرة البرت نيانزا وهى النصف الجنوبى من تلك المديرية وأعظم مركز لحياة مصر والسودان لما تحتوى عليه من موضع هذا الخزان الخطير الذى يتحكم فى مجرى النيل

فقد سلخت انكلترا هذه المنطقة الحيوية لمصر والسودان معا فى أثناء الثورة المهدية وضمتها إلى أوغندة وعدتها معها من الأملاك التابعة للتاج الانكليزى رأسا. وقد أثبت ذلك تفصيلا فيما كتبته عن السودان ونشر فى جريدة الأهرام الغراء سنة ١٩٢١ . وقد قلت فى آخر ما كتبته هناك .

« وإذا أدرك المصريون القيمة التى لهذه النقطة وارتباطها بحياتهم علموا أنها أهم من الدلتا وفضلوها عليها ولم يسعهم بعد أن يغفلوا عن المطالبة بحقوقهم فيها واعتبارها جزءاً غير قابل للانفصال عن السودان المصرى الذى هو جزء من الديار المصرية لا يتجزأ »

وأثبت أيضا أنها من أملاك مصر فيما أرسلته إلى دولة رئيس الوزراء على أثر خطبته التى أذيعت بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨

ثانيا — أن تجيز تعيين وكيل للحاكم العام وأن يكون تعيين الاثنين لمدة خمس سنوات وأن يكون أحدهما مصريا والآخر انكليزيا يعنى أنه عند ما يكون الحاكم العام انكليزيا يكون الوكيل مصريا وبالعكس

ثالثا — أن تكون وظائف السودان مناصفة بين المصريين والانكليز أيا كانت درجتها أو نوعها ما عدا الوظائف المشغولة بالسودانيين .

رابعا — أن يكون عدد الجنود المصرية والانكليزية متساويا .

هذا هو أقل ما يمكن أن يتحقق به معنى الشركة بين مصر وانكلترا فى السودان وهذا أدنى ما يجب الحصول عليه لمصر فى السودان بمقتضى اتفاقية سنة ١٨٩٩

وأنني لا أرى أننا نخسر كثيرا إذا ضحينا بشيء من حقوق مصر في مقابل حصولنا على حقوقنا في السودان ولكن يظهر لي أن الانكليز يريدون منا أن نضحي بالسودان في سبيل مصر . وهم يعرفون أننا إذا رضينا ذلك وجاز على عقولنا، فقد ضحينا بالاثنين معا من حيث لا ندري لأن السودان من مصر روحها وهي بدونه جثة هامدة .

أما ارتكاننا على روح العطف وعد رجوع الجيش المصري إلى السودان اقتراحا يفحص بهذه الروح ثم مسخ هذا الجيش وتفسيره بأورطة مصرية وتقييد عودتها إلى السودان بالوقت الذي تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة فلك أمور تنذرنا من الآن بأن الانكليز ليسوا خالصي النية حتى في اتفاقية سنة ١٨٩٩ الباطلة في نظرنا والتي لاتزال انكلترا إلى الآن تدعي أنها تحترمها وتقيم الدليل على التمسك بها بايداعها في سجلات جمعية عصبة الامم .

ولما أتم سموه بيانه الجلي شكرته بلسان قراء « الأهرام » وانصرفت

ولست أريد أن أعلق على هذه التصريحات الخطيرة والرأي فيها لنواب الأمة وشيوخها . ولهم مطلق الحرية في درسها وفحصها قبل عقد البرلمان أو بعده . اه

مفاوضات ربيع سنة ١٩٣٠

اشترطت الحكومة البريطانية حين عرض مقترحات هندرسون ، أن تعرض على برلمان مصري منتخب انتخابا حراً (١) . فاستقال دولة محمد محمود باشا بعد عودته إلى مصر في آخر سبتمبر فتألفت وزارة المغفور له عدلي يكن باشا ، التي قامت باجراء

(١) وقد ابتهجت البلاد لهذه النتيجة ، إذ كان هناك رأي آخر يقول بأن تبقى وزارة محمد محمود باشا في الحكم ، وتقوم باجراء الانتخابات . وكان هذا الرأي على وشك النجاح . وكان حضرة الأستاذ الكبير مكرم عبيد سكرتير الوفد المصري ، وزير المالية سابقا ونقيب المحامين اليوم ، في لندن ، وقد ناضل عن نظرية تأليف وزارة محايدة تجرى انتخابات حرة في ظل دستور ١٩٢٣ وقانون الانتخابات المباشر فتمكن من اقناع رجال الحكومة البريطانية وفي مقدمتهم هندرسون والدكتور دالتون الوكيل البرلماني لوزارة الخارجية بهذه النظرية . وبعد سفر الأستاذ مكرم من لندن إلى باريس ، وصل مؤلف هذا الكتاب إلى لندن ، وقابل الكثيرين من رجال السياسة والصحافة والشبان المصريين وتأكد أنه لو لم يسافر الاستاذ مكرم إلى لندن ويبذل جهوداً كبيرة ، لما تحققت النظرية الوطنية . ولذلك بادر المؤلف بتلقيب الاستاذ مكرم « بالمجاهد الكبير » ودعا زملاءه المحامين إلى حفلة شاى أقيمت في ٢٧ ديسمبر ١٩٢٩ تكريما للاستاذ مكرم وتسجيلا لهذا اللقب . وقد أصبح هذا اللقب علما آخر على الاستاذ مكرم ، كما أصبح لقب « الرئيس الجليل » لقبا لدولة « مصطفى النحاس باشا »

الانتخابات ، وفاز الوفد المصرى بأغلبية كادت تنعقد اجماعا ، وتألفت الوزارة النحاسية الثانية فى أول يناير سنة ١٩٣٠، وتلقت دعوة من الحكومة البريطانية على يد مندوبها السامى يومئذ سير برسى لورين ، ولبت الدعوة ، وأعطى البرلمان للوزارة النحاسية تفويضا لاجراء المفاوضات ، وسافر الوفد الرسمى من القاهرة يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٣٠ وقد صحبه المؤلف . وعقد مؤتمر فى صالة لوكارنو بوزارة الخارجية .

وكان افتتاح المؤتمر المصرى الانكليزى فى يوم الاثنين ٣١ مارس سنة ١٩٣٠ وألقى مستر هندرسن وزير خارجية انجلترا خطبة ورد عليه حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد الرسمى المصرى .

استمرت المفاوضات بين التفاؤل والتشاؤم ، حتى قطعت يوم ٨ مايو سنة ١٩٣٠ بسبب الخلاف على مسألة السودان .

ومن الكلمات المأثورة التى قالها دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا بعد رجوعه إلى فندق هايدبارك بلندن واعلان قطع المفاوضات .

« لن أرضى أن أبيع السودان بالمنح التى عرضوها علينا فى مصر »

وقال الأستاذ مكرم عبيد لمندوب « الاهرام » :

« إن الاقتراح البريطانى يمكن تفسيره بايجاز . أنهم يريدون منا أن نتخلى عن السودان وأن نوقع بيدنا التنازل عنه ولن نوافق على هذا . وها نحن نعود إلى بلادنا بضمير مستريح ولا نأسف على ما حدث »

مفاوضات ١٩٣٠ فى الكتاب الأبيض الانجليزى

أذاعت الحكومة البريطانية فى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٣٠ الكتاب الانكليزى الأبيض عن مفاوضات المفاوضين الانكليز والمصريين فى لندن وقد جاء به تحت عنوان « الباب الثانى ـ مشروع هندرسون ـ محمد محمود » ما يأتى :ـ

« ١٣ ـ مع الاحتفاظ بحرية ابرام اتفاقات جديدة فى المستقبل معدلة لاتفاقات سنة ١٨٩٩ يتفق الطرفان المتعاقدان على أن يكون مركز السودان هو المركز الذى ينشأ من الاتفاقات المذكورة وبناء على ذلك يظل الحاكم العام يباشر بالنيابة عن الطرفين المتعاقدين ، السلطات التى خولتها اياه الاتفاقات المشار اليها » .

وجاء أيضا فى الكتاب المذكور تحت عنوان « مشروع المعاهدة الأخير - نصوص المواد المتفق عليها » ما يأتى : -

« المادة الحادية عشر - هى عين المادة الثالثة عشرة من مشروع محمد محمود مع اضافة أن الطرفين المتعاقدين يوافقان على أن مركز السودان هو المركز الذى ينشأ من الاتفاقات المشار اليها » من غير إجحاف بحقوق مصر ومصالحها المادية » اه .

المفاوضات فى الكتاب الأخضر المصرى (١)

وكان فى عزم الوزارة النحاسية إصدار الكتاب الأخضر عن المفاوضات الأخيرة ، ولكنها لم تتمكن من ذلك بسبب الأزمة الدستورية التى واجهتها بعد عودة الوفد الرسمى من لندن ، مما يترتب عليها تقديم استقالتها يوم ١٧ يونية سنة ١٩٣٠ وقبولها يوم ١٩ يونية وتأليف وزارة اسماعيل صدقى باشا

والذى نعرفه - وقد أتيحت لنا الفرصة لمصاحبة الوفد الرسمى فى سفره وفى مفاوضاته - أن الكتاب الأخضر يتضمن تفاصيل هامة وجلية عن مفاوضات ربيع سنة ١٩٣٠ ، ولاسيما فيما يتعلق بشأن السودان وموقف المندوبين البريطانيين والوفد الرسمى منها .

على أن عدم نشر الكتاب الأخضر ، لايحول دون جلاء موقف الوفد الرسمى من مسألة السودان ، فنقول : إن الوفد الرسمى قد عنى بمسألة السودان عناية كبيرة لم ترد فى جميع المفاوضات السابقة ، فأعد ثلاث مذكرات : مذكرة مالية تبين ديون مصر على السودان وتضحياتها فيه و ٢ - مذكرة اقتصادية تبين العلاقات التى بين مصر والسودان والتى هى نتيجة لتوحيد نهر النيل بينهما ، فجعل الشعب السودانى والشعب المصرى شعباً واحداً ، وجعل حدود مصر الطبيعية جنوبا ممتدة إلى السودان نفسه ، وأصبح توفير ماء الرى لمصر فى حاجة إلى انشاء مشروعات لمصر فى السودان ، وعدد سكان مصر فى ازدياد ، ولا مجال للعدد الزائد منهم الا الهجرة إلى السودان ، الذى هو منفذ طبيعى لهم ، والسودان نفسه فى حاجة إلى الأيدى العاملة المصرية

---

(١) الكتاب الابيض هو الشعار الذى اتخذته الحكومة الانجليزية لشرح مسائل سياسية هامة . كالمفاوضات والمعاهدات واعلان الحروب والصلح والهدنة . والكتاب الأخضر هو شعار الحكومة المصرية فى هذا الشأن

و٣ ـ المذكرة القانونية تبحث فى اتفاقية ١٨٩٩ ، المطعون فى صحتها والمنادى ببطلانها ، وأنه على فرض التسليم جدلا بأنها معاهدة نافذة ، فانه مما لاشك فيه أنها غامضة ،وأنه لما كانت المعاهدات تنقسم الى قسمين Traité - loi أو Traité Statut معاهدة غير موقوتة بمدة ، ومعاهدة محددة بوقت تنتهى عنده Traité - contrat فان اتفاقية ١٨٩٩ تعد من الصنف الأول ، لأنه لم يعين لها مدة . وتطبيقا لقواعد القانون الدولى تكون المعاهدات « الأبدية » أو غير المحددة بمدة ـ عرضة للمناقشة فيها ولادخال التعديل عليها بتغير الظروف ، لأن هناك شرطاً ضمنيا فى هذه المعاهدات وهو أنها قابلة للتعديل تبعا للظروف

وحيث أن مصر قد تغير مركزها السياسى ، إذ كانت عند عقد اتفاقية سنة ١٨٩٩ تابعة للسيادة التركية ومحتلة بالجيش الانجليزى وخاضعة لسلطانه ، وأصبحت الآن دولة مستقلة ذات سيادة باعتراف انجلترا ذاتها ، فقد وجدت ظروف جديدة تدعو للتغيير فى معاهدة سنة ١٨٩٩

أما ما حدث فى سنة ١٩٢٤ من طرد الجيش المصرى من السودان وتأليف قوة الدفاع فيه ، فهو يعد من أعمال العنف والاكراه من جانب واحد ، ولايجوز أن تترتب عليها نتيجة قانونية .

وأخيرا تناقش الوفد الرسمى والمندوبون البريطانيون فى وضع نص مقبول لمسألة السودان ، وقد قضى هذا النص بأن يترك البحث فى شأن تعديل اتفاقية ١٨٩٩ لمفاوضات تجرى بين الفريقين بعد سنة . وقد قبل المندوبون البريطانيون عرض هذا النص على مجلس الوزراء البريطانى ، فاجتمع هذا المجلس ، وقرر رفض الاقتراح وأن يبقى النص الوارد فى مشروع هندرسون كما هو .

عند ذلك قطعت المفاوضات أو « وقفت » كما عبر عنها رسميا ! ! .

رأى مستر لويد جورج

وقال المستر لويد جورج فى حديثه المنشور بالعدد ١٦٤٢٤ من « الاهرام » الصادرة فى ٢٨ اغسطس سنة ١٩٣٠ :

« لقد كان للمصريين قبيل احتلال الانجليز السلطة التامة فى السودان ولكنهم أساءوا السياسة والادارة بدرجة دعت السودان إلى طردهم فقد كانوا دخلاء ظالمين ! »

الفصل السابع عشر

السودان فى الدستور المصرى

ألفت وزارة المغفور له عبد الخالق ثروت باشا فى سنة ١٩٢٢ لجنة لوضع الدستور ، وكان الزعيم سعد وبعض صحبه فى المنفى فى سيشيل ، وفرغت اللجنة من مهمتها ، وتلقت فى أثناء اجتماعها مايلى :

كتاب الأمير عمر طوسون

إلى حضرة صاحب الدولة رئيس لجنة الدستور العمومية حضرة صاحب الدولة حسين رشدى باشا

أن لجنة الدستور التى ترأسونها دولتكم يجب أن يكون عملها مطابقا لرغبات الأمة . ومسألة السودان من أمهات المسائل الشاغلة للرأى العام المصرى وكان الواجب على الوزارة الحاضرة أن تحصل على الاعتراف ببطلان اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ وتجعل حل هذه المسألة من الشروط الأساسية التى لا يمكن تشكيل الوزارة قبل البت فيها .

ولكن إذا كان هذا قد فات الوزارة مع مزيد الأسف فلا يصح أن يفوت دولتكم وحضرات اخوانكم أعضاء لجنة الدستور

لذلك جئت بخطابى هذا مذكرا دولتكم بوجوب اعتبار السودان ضمن حدود البلاد كما كان قبل الاحتلال ووجوب تشكيل مجلس نوابنا من المصريين والسودانيين على حد سواء حتى يجلس نواب اخواننا سكان السودان المصرى مع زملائهم سكان الوجهين البحرى والقبلى ويعمل الجميع للمصلحة المشتركة التى لا انفصام لها أبدا

واقبلوا فائق احترامى

٣ مايو سنة ١٩٢٣

السودان فى مشروع لجنة الدستور

جاء فى مشروع الدستور الذى وضعته لجنة الدستور فى صدد السودان ما يلى :

مادة ٢٩ — الملك يلقب بملك مصر والسودان

مادة ١٤٥ — تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية جميعها عدا السودان فمع أنه جزء منها يقرر نظام الحكم فيه بقانون خاص

* * *

ولما علم المندوب السامى اللورد اللنبى بذلك لفت نظر دولة ثروت باشا إلى أن هذين النصين يخالفان اتفاقية ١٨٩٩ ، وقد استقالت وزارة ثروت باشا قبل أن تصدر الدستور ، وتألفت وزارة حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا ، وعندما أرادت إصداره وفيه هذا النصان ، وجهت الحكومة البريطانية بلاغا تهديديا ورفعته إلى جلالة الملك . فاضطرت الوزارة النسيمية إلى تقديم الاستقالة وفيما يلى نص استقالتها :

استقالة نسيم باشا بسبب السودان

مولاى :

مرت على البلاد ظروف عدة أثناء تطورها السياسى وهى تتوقع فى كل يوم حكومة تطأ بها الطريق السوى . فلما شرفنى مولاى أنا وزملائى بخدمة الأمة قبلنا العمل على تحقيق أمالها التى جعلت أمانة بين أيدينا

ولما كانت البلاد تجتاز دوراً من أدق أدوارها لحل جملة من مسائلها العامة المعلقة بمؤتمر لوزان واعلان الدستور والفصل فى قانون التضمينات توطئة لالغاء الأحكام العرفية وما يترتب عليها ، أقدمنا على بحث هذه المسائل وابتغينا الوسائل متلمسين الخطى مبتدئين بمسألة لوزان التى تشعبت فيها أراء الناس بشأن التمثيل والممثلين. ولما لم تكن قد وصلت إلى الحكومة المصرية دعوة رسمية لحضور هذا المؤتمر سعت وزارة الخارجية المصرية على أثر تسلمنا ادارة البلاد للحصول على هذه الدعوة لدى الدول ذات الشأن فى بعث هذه الدعوة . ولكنها لم توفق ولم يقبل البروجرام الذى قبلت هذه الحكومة أن تدخل المؤتمر على مقتضاه

وفى أثناء هذه المفاوضات كانت اللجنة التشريعية تفحص مشروعى قانون

الانتخاب والدستور فلما فرغت منهما رفعتهما إلى الحكومة فبحثتهما وازالت من من قانون الانتخاب بعض عبارات وادخلت على بعض النصوص تعديلا وكان من وراء ذلك عدم حرمان المنفيين والمعتقلين أو المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية البريطانية باحكام وفى جرائم معينة من التمتع بحقوق الانتخاب . ولم ينقص من الدستور ما يمس بحقوق الأمة بل أبقت فيه ما يتعلق باشتراكها فى الحكم اشتراكا فعليا وتركت لها الاشراف ومسئولية الوزارة امام مجلس النواب ولقد كان محل البحث والتعديل إلى آخر لحظة . وهو على وشك الصدور مطابقا لغيره من دساتير الأمم المتمدنة لولا ما صادفته الحكومة من اعتراض الحكومة الانكليزية على النصين الواردين فيه بشأن السودان طالبة تحرير أحدهما وقصر الأخر على تلقيب الملك بملك مصر وليس بملك مصر والسودان وقد كان البحث مقصوراً فى أول الأمر على المادة ١٤٥ وقد اقتضى تبادل الرأى فيما تقدم إلى مناقشة طويلة أبنت فى غضونها بالحجج القانونية والأدلة الفعلية الناهضة على وجوب الاحتفاظ بنص المشروع وكان من أهم ما لاحظته أن المادة ١٤٥ المقصودة بتبادل الرأى لا تنطوى على شىء ما ، يخالف الحالة السائدة الآن فيما يتعلق بالسودان من جهتى الواقع والقانون بل أن كل ما تحتويه انما هو مجرد تقرير ما لمصر من الحقوق الشرعية بدون ادخال تغيير على الحالة الراهنة

وفى نهاية الأمر اقترحت دار المندوب السامى نصا جديداً طرح على بساط البحث والمناقشة فبعد تحويره تحويراً طفيفا حاز الموافقة أبلغ إلى وزارة الخارجية . وخلاصة ماورد فيه أن الدستور يتناول تطبيقه الأقطار المصرية ما خلا السودان بشرط ألا يمس هذا الاستثناء بسيادة مصر على السودان ولا بحقوقها الأخرى فيه ثم جدت مناقشة تلقيب الملك بملك مصر والسودان وعرضت وزارة خارجية بريطانيا العظمى نصين اخرين يقضى أحدهما بحذف لقب ملك مصر والسودان وقصره على ملك مصر ، والآخر بتعديل المادة ١٤٥ تعديلا جوهرياً ولما كان ذلك ماسا بحقوق البلاد، ماوسعنى قبوله ولا تحمل مسئوليته وقدمت مذكرة لفخامة المندوب السامى مبينا وجهة النظر والاسانيد فى هذا الموضوع . ولكن مع الاسف الشديد لم تصادف قبولا لدى الحكومة الانكليزية التى قدمت أخيراً لجلالتكم مذكرات شديدة ما كانت حكومتكم تتوقع صدورها ، خصوصاً وقد كانت المفاوضات دائرة بينها وبين دار المندوب السامى بروح الوفاق والوئام . فلما أطلعنا على هذه المذكرات

لم أقبل تحمل تبعتها وعرضت فى الحال على جلالتكم استقالتى ولما كان المركز خطرا والوقت المضروب للاجابة على هذه المذكرات معدودا بالساعات صار مده ريثما يجتمع بقية الوزراء فى الصباح

ولقد جرت مخابرات بين الحكومة ودار فخامة المندوب السامى كانت نتيجتها وضع نصين ورد فيهما أن هذا اللقب يقرر وقت الفصل النهائى فى نظام السودان بواسطة الممثلين المفوضين وأن تطبيق الدستور لايمس حقوق مصر فى السودان ورفع فخامة المندوب السامى النصين إلى وزارة خارجية انكلترا منتظراً الرد الذى لم يصل بعد

ونظرا لما أكده فخامة المندوب السامى فى هذه المذكرات التى قدمها لجلالتكم بأن الحكومة البريطانية لاترغب قط فى أن تتعرض لحقوق مصر فى السودان ولا لحقوقها فى مياه النيل وصرح بأنه إذا لم تقبل وجهة نظر حكومته فى أربع وعشرين ساعة ، فان الحكومة البريطانية تسترد كامل حريتها فى العمل بازاء الحالة السياسية فى السودان ومصر وأورى بأنها تلجأ عند الضرورة إلى أى تدبير تراه مناسباً

ونظراً للاخطار الجسيمة التى تستهدف لها البلاد فى الحال من جراء هذا الانذار فى حالة الرفض القطعى عند حلول الميعاد وما كانت تدعو اليه الحالة والظروف تلافت الحكومة الأمر ووافقت على أن تكتب لجلالتكم بقبول هذين النصين المراد وضعهما فى الدستور الذى لم يرفع لجلالتكم إلى الآن ريثما يرد رد الحكومة الانكليزية وقد مضى ميعاد الأربع والعشرين ساعة المفروضة لوصوله

بقيت الوزارة غير قابلة إلى آخر لحظة محدودة للرد المطلوب من مصر وهى إذا أجابت نداء الواجب نحو العرش فانها أجابت أيضا من أول الأزمة إلى الآن واجبها نحو البلاد فقدمت استقالتها قبل أن تسجل فى الدستور ما وافقت جلالتكم عليه تحت تأثير الحوادث محافظة على العرش فى أحرج المواقف وعلى حقوق البلاد

أما قانون التضمينات الذى علقت الحكومة الانكليزية عليه رفع الاحكام العرفيه التى تئن منها البلاد منذ تسع سنوات شاكية آلامها وشدة وطأتها كل هذا الزمن ، فقد تباحثنا أيضا فيه وطلبنا لاقراره من الكفالات والضمانات ما يحفظ حقوق البلاد من الوجهتين المدنية والجنائية . وقد خطونا فى هذا السبيل خطوات واسعة ولكننا وقفنا وسط الطريق لاستطلاع رأى الحكومة الانكليزية فيما حددنا من الطلبات الخاصة بحفظ الحقوق المصرية ذلك من جهة ولعدم اتمام البحث من

جهة اخرى . ولقد جعلنا للمنفيين والمسجونين والمعتقلين حظا كبيرا من تفكيرنا وقسطاً من أعمالنا وطلباتنا من أول تولينا الحكم بل وفى كل فرصة كانت تسنح فيحدث ما يحول دون إتمام النجاح تارة ولتعلق بعض الحالات على انهاء تلك المسائل العامة أو بعضها تارة أخرى .

وما رجونا من وراء جهادنا جزاء ولا شكراً وتحملنا ألم السكوت ونقد الناقدين ريثما تنتهى المفاوضات إلى نتيجة حسنة . وما وهنت يوما ارادتنا ولا نفوسنا عن العمل لأننا ما كنا نبغى المحال بل نسعى جهدنا لتحقيق أمال بلادنا وللتوفيق بين مصالح قومنا ومصالح غيرنا مؤملين ادراك النجاح فلما أبطأ علينا نزعت يدى من ولاية الحكم قبل أن يتم شيء بلا تثريب علينا سائلين الرحمن أن يكلأ جلالتكم عنايته وأن يهيء للأمة حكومة قديرة على تحقيق أمانيها فتتبوأ فى مجلس الحكم مقاماً محموداً راجيا قبول استقالتى ولا زلت لجلالتكم العبد الخاضع والخادم الأمين

صباح الاثنين ٥ فبراير سنة ١٩٢٣ - الامضاء : محمد توفيق نسيم

قبول الاستقالة

وقد تلقى حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا الارادة الملكية الصادرة بقبول استعفاء دولته وحضرات زملائه الوزراء من مناصبهم وهذا نص كتاب جلالة الملك بقبول الاستقالة :

عزيزى محمد توفيق نسيم باشا

أطلعنا على كتاب استقالة دولتكم المرفوع إلينا بتاريخ ٥ فبراير الحاضر فكان اسفنا لاستقالتكم عظيما لما نعلمه عنكم من شرف القصد والاخلاص ولحسن مساعيكم فى خدمة البلاد

وأنا لشاكرون لكم ولحضرات زملائكم تلك الخدم الجليلة التى قمتم بها للأمة والوطن فى عهد وزارتكم . وقد أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم بذلك

« فؤاد »

صدر بسراى عابدين فى ١٣ جمادى الثانى سنة ١٣٤١ فى ٩ فبراير سنة ١٩٢٣ رقم ١٦ سنة ١٩٢٣ .

ثم أسندت رياسة الوزارة التى خلفت وزارة حضرة صاحب الدولة نسيم باشا

إلى حضرة صاحب الدولة يحيي ابراهيم باشا وصدر المرسوم الملكى بتأليف الوزارة فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣

وفيما يلى اقتراح وزارة نسيم باشا المشار اليه فى كتاب استقالته :

الأول - أن المادة الأولى التى تنص على أن ملك مصر هو ملك « مصر والسودان » ترفع منها الآن كلمة « السودان » إلى القرار الذى يصدره البرلمان المصرى بعد مفاوضات يقوم بها مندوبون ينتخبهم البرلمان ويفوض اليهم المفاوضة فى تقرير مركز السودان نهائياً

الثانى - المادة الثانية (١٤٥) أن حذف « كلمة السودان جزء من مصر » وتطبيق قواعد الدستور على مصر لايمس ما لمصر من الحقوق بالسودان

وكانت استقالت وزارة نسيم باشا فى ٥ فبراير ١٩٢٣ نشر كتاب قبول الاستقالة فى ٩ فبراير ١٩٢٣ .

وزارة يحيى باشا والدستور

وخلفتها وزارة يحيى ابراهيم باشا التى أعلنت الدستور فى ١٩ ابريل ١٩٢٣ الساعة ١٠ ليلا وجاء فيه ما يلى :

المادة الأولى - مصر دولة ذات سيادة وهى حرة مستقلة ملكها لا يجزأ ولا ينزل عن شىء منه وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى

المادة ١٥٩ - تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية بدون أن يخل ذلك مطلقا بما لمصر من الحقوق فى السودان .

الفصل الثامن عشر

حوادث السودان سنة ١٩٢٤

زاد اهتمام الرأى العام المصرى بأمر السودان فى سنة ١٩٢٤ لمناسبة دعوة الحكومة البريطانية « وزارة ما كدونالد والعمال » لوزارة المغفور له الزعيم الخالد سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٤ للمفاوضة ، وقد كثر تحدث البرلمان والصحف والجمهور عن السودان وتألفت فى البرلمان لجنة للسودان برياسة حضرة صاحب العزة أحمد حمدى سيف النصر بك . وشعرت مصر لأول مرة بأنها تحيا حياة حرة مستقلة وأن أمرها بيدها ، وكان لهذا صداه فى السودان إذ نشطت جمعية اللواء الأبيض ثم جمعية الاتحاد السودانى وتألفت المظاهرات وهتفت بحياة سعد ، وهو ما رآه السودان لأول مرة بعد سكون عميق فيما مضى .

وقلقت الحكومة السودانية لهذه الظواهر ، وخشيت اضطراب الأمن ، وزاد فى عمق الحوادث ، فشل مفاوضات سعد - ما كدونالد ، ثم مقتل السردار سيرلى ستاك ، وترتب على ذلك إلغاء المدرسة الحربية بالسودان وسحب الجيش المصرى وتأليف قوة الدفاع عن السودان وإجراءات أخرى ما زالت قائمة إلى اليوم

وقد أصبح فى عنق المؤرخ الصادق أن يدون هذه الحوادث بقدر ما وصل اليه جهده وفى طوق كتابه ، ولهذا ندون الحوادث فيما يلى :

السودان ومعرض ومبلى

فى سنة ١٩٢٤ أقيم فى ومبلى بانجلترا معرض عظيم . وتقرر اشتراك السودان فيه وكان المغفور له سعد زغلول باشا رئيساً للوزارة فأرسل الى السير لى ستاك الحاكم العام للسودان البرقية التالية :

« وصل الى علمى أن السودان سيمثل رسميا فى معرض الامبراطورية البريطانية الذى سيفتتح قريبا فى ومبلى أرجو إفادتى على أى قاعدة دعى السودان للاشتراك فى هذا المعرض الخاص بالمستعمرات وكيف قبلتم أن تشتركوا فيه من غير اذن الحكومة المصرية »

فتلقى من اللورد اللنبى المندوب السامى بمصر خطابا بأن حاكم السودان العام أخبره بتلغراف دولته بشأن تمثيل السودان فى معرض ومبلى وأنه أرسل تلغرافا بطلب المعلومات من حكومته عن جلية الأمر ومتى ورد اليه الرد أخبر دولته به حال وصوله . فارسل المغفور له سعد باشا التلغراف الآتى الى حاكم السودان : «بعثت اليكم بتاريخ ٣٠ ابريل الماضى برقية لم ترسلوا الرد عليها ولقد أخبرنى اللورد اللنبى أنكم خاطبتموه بخصوصها وحيث أن المسائل التى كلفتكم بها من شأنكم دون سواكم لتعلقها باعمال هى من خصائصكم فانى مازلت فى انتظار الرد منكم وأرجو أن لايتأخر الرد زيادة عما مضى »

وفى اليوم نفسه أرسل دولته تلغرافا الى عبدالعزيز عزت باشا وزير مصر المفوض فى لندن ليحتج بشدة لدى الحكومة البريطانية « اولا : على كون الحكومة البريطانية أقدمت على دعوة السودان رأسا ورسميا للاشتراك فى معرض خاص بالمستعمرات بدون علم الحكومة المصرية وتخطيا لها ، وثانيا : على أن قبول حاكم السودان العام وقع بدون اذن سابق من الحكومة المصرية ، وفى الأمرين اعتداء صارخ على حقوق مصر وعمل غير ودى موجه للحكومة المصرية » . وقد ورد الرد تلغرافيا من الحاكم العام للسودان إلى دولة رئيس مجلس الوزراء بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٩٢٤ وهذا نصه :

« آسف أشد الأسف لتأخر الرد على تلغراف دولتكم الرقيم ٣٠ ابريل وقد أبلغت المعلومات التى طلبتموها دولتكم إلى المندوب السامى الذى هو الطريق المعتاد للمخاطبة بين الحكومة المصرية وحكومة السودان عملا بالاجراءات المتبعة . وكنت أظن أن فخامته أبلغ دولتكم المعلومات المطلوبة إلى أن وصلنى تلغرافكم الرقيم ١٠ مايو . على أنى علمت أنه قام بذلك الآن

« وإنى أقدم اعتذارى على مابدا من عدم اللياقة فى تأخير الرد على برقية دولتكم الأمر الذى يرجع إلى هذا الفهم الخاطىء . وهو ما آسف له كل الأسف »

وبتاريخ ١٢ مايو ١٩٢٤ كذلك تلقى سعد باشا من اللورد اللنبى خطابا يقول فيه :

« يلزمنى أن أبين لدولتكم أن السير لى ستاك جرى فى إحالة طلب دولتكم إلى طبقاً للتقاليد المعمول بها . فقد كانت القاعدة المقررة فى الماضى أن التخاطب بين الحكومة وحكومة السودان إنما يكون عن طريق المندوب السامى . لذلك فانى أظن أنكم توافقون على أن ماصنعه السير لى ستاك لم يكن فيه أى مساس بالحكومة المصرية

وأخبره فى الخطاب نفسه بالمعلومات التى تلقاها من حكومته عن دعوة السودان لمعرض ومبلى وفيها يقول : « ان هذه الدعوة وجهت منذ أكثر من سنتين من سكرتارية تنظيم المعرض لأهميته التجارية . ونظراً لأن كثيرا من الأموال الانجليزية تشتغل فى الأعمال التجارية بالسودان وصلت الدعوة عن طريق المندوب السامى وأجابها حاكم السودان عن الطريق عينها للاجراءات المعمول بها وان الحكومة البريطانية لم يكن ليخطر لها أن تطلب أخذ رأيها اذا وجهت الحكومة المصرية دعوة لحكومة السودان لتشترك فى معرض تجارى شبيه بهذا يعقد فى مصر . وقد سبق أن قبلت حكومة السودان مباشرة ودون رجوع إلى دار المندوب السامى أو الحكومة البريطانية ما عرضته الحكومة المصرية من تخصيص حجرة لمعروضات السودان فى المكتب المصرى للتجارة والصناعة بالقاهرة وذلك فى نيويورك سنة ١٩٢٠ ومن جهة أخرى فان معرض ومبلى ليس وقفا على الامبراطورية البريطانية بل ان فيه أشياء أخرى متنوعة ذات فائدة عامة ، مثل صورة لمسجد فارسى ونماذج لشلالات نياجرا ، ومعرض من التيبت ، وأخيرا فانه موصوف فى الخرائط والكتالوجات المعروضة فى القسم الخاص بافريقيا الشرقية باسم السودان الانجليزى المصرى ، ولذلك لا محل لتساؤل الزائرين للمعرض عن اشتراك السودان فيه »

وقد رد عليه سعد باشا فى ٩ يونيو سنة ١٩٢٤ بكتاب جاء فيه :

« لقد أوضحت للمستر كار قبل سفره بالاجازة وبعده للمستر فرنس أثناء الكلام معهما فى هذا الشأن أنه من الصعب التسليم بأن تكون دار المندوب السامى واسطة التخاطب الطبيعية بين الحكومة المصرية وحاكم السودان العام فان اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ولو أنه ليس هنا مجال مناقشة أصلها ولا تحديد معناها ، الا أنه من الواضح أنها تتعارض فى معناها وفى مبناها مع النظرية المذكورة فى خطاب فخامتكم ، وفى الحقيقة أنه يتضح جلياً من نص المادة الثالثة من الاتفاقية المذكورة أن حاكم السودان العام موظف يعينه ملك مصر ويستمد سلطته من هذا التعيين ذاته وتنص المادة الرابعة صراحة على أن كل إعلان للقوانين والأوامر واللوائح يجب أن يبلغ فى الحال الى المعتمد البريطانى فى القاهرة والى رئيس مجلس النظار سمو الخديو المعظم

« وبناء عليه فان الطريق الطبيعى الوحيد للتخاطب بين الحكومة المصرية

وحاكم السودان العام انما هو الطريق المباشر وهذا ماقصده واضعو اتفاقية سنة ١٨٩٩

« وفعلا كانت الحكومة المصرية وحاكم السودان العام يتخابران مباشرة فى غضون المدة التى تلت توقيع الاتفاق

« ففى سبتمبر سنة ١٨٩٩ وصل إلى الحكومة المصرية من الحاكم العام للسودان رأساً مشروعان بقانونين للعمل بهما فى السودان مصحوبان برجاء من الحاكم العام للسودان إلى رئيس مجلس النظار أن يؤيدهما أمام المجلس ففعل ثم أرسل تلغرافا إلى الحاكم العام يخبره بالمصادقة على المشروعين بعد إدخال تعديلات معينة فى نصوص الأوامر التى تنص على سريان العمل بهما فى السودان

« وقد رد الحاكم العام فى الحال معرباً عن شكره ومؤكداً بأنه سيعمل بالتعديلات التى وضعها مجلس النظار

« وبما أنه لم يحدث بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ امضاء أى اتفاق آخر مغاير لها ، فلا يكون هناك أى مبرر لاتباع طريقة أخرى للمخابرة بيننا وبين حاكم السودان العام

« أما من جهة تمثيل السودان بمعرض ومبلى فقد بينت أنه بالنظر إلى الظروف التى حدث فيها لا يمكن أن يبرره الحكم الثنائى فى إدارة السودان الداخلية ، كما أوضحت أنه ما كان يوجد لدى الحكومة المصرية أى اعتراض على أن يمثل السودان فى معرض صناعى أو تجارى بحت . وليس هذا حال معرض ومبلى ، ولذلك احتججت على تمثيل السودان فى معرض المستعمرات البريطانية

« ولا شك أنه كان يسرنى ألا يكون تمثيل السودان فى هذا المعرض إلا فى نفس الموضع الذى وضعه فيه تمثيل العجم والولايات المتحدة وتيبت فى المعرض المذكور »

« ولست فى حاجة لأن أزيد على ما تقدم . إنى آسف لأن هذا الحادث وقع ونحن على أبواب المفاوضات .

« نعم إن مسألة السودان كلها سيدور البحث عليها بينى وبين المستر ما كدونالد ولكن من واجبى أن أحتج على كل عمل أعتبره ماساً بحقوق مصر »

وزير مصر فى لندن والسودان

كان سعادة عبد العزيز عزت باشا وزير الخارجية الحالى وزيرا مفاوضا لمصر فى لندن سنة ١٩٢٤ وقد أدبت جمعية الشرق الأدنى والأوسط بلندن مأدبة عشاء تكريما لسعادته فى ليلة ٢ مايو سنة ١٩٢٤ بفندق سفواى بلندن

وكان بين الحاضرين أغا خان والفيكونت كودراى ومعتمد بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وايران وسيام والسفير الألمانى ورجال المفوضية المصرية واللادى بويل التى كانت تستقبل المدعوين واللادى هيلانة بروكلهرست والأستاذ الن جاردنر وقرينته واللورد لامنجتون واللورد هدلى واللورد كلفورد أوف شدلاى والسر جون فوستر فريزر والسر ديان ملكولم والسر ملكولم ميليت والسر جورج ما كولى

وقد خصص لهذه الحفلة خطيبان هما اللورد جلايشن رئيسها ومستر أرثر بونسنباى أحد أعضاء مجلس النواب

وقد ألقى سعادة عبد العزيز عزت باشا فى الحفلة الخطاب التالى :

« أقدم شكرى إلى الجميع من صميم الفؤاد على ما أبدوه من الشعور القلبى فى الإجابة على نخب مولاى صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم وأقابل بالحمد والثناء ما نلته من الشرف بدعوتى هذه الليلة وأشكر لحضرة النبيل اللورد جلايشن رئيس المأدبة ولحضرة صاحب المقام الجليل مستر بونسباى ما تلطفا به من القول ولأعضاء جمعية الشرق الأدنى والأوسط مساعيهم التى لا تعرف الملل فى تعزيز التفاهم بين بريطانيا وبلادى . وانى أشعر أن نجاح هذه المساعى يعود الفضل فيه إلى الود الأكيد والعواطف القلبية التى تستقبلون بها ممثلى الشرق الأدنى والأوسط وأعد هذا الاجتماع - وأنا واثق أن مواطنى يوافقوننى - شاهدا على الصداقة الموجودة الآن بين بريطانيا ومصر - هذه الصداقة التى تحتاج إليها البلدان كل الاحتياج

« اننى لم تضعف ثقتى قط بتقاليد بريطانيا القائمة على الحرية والتى شادت عليها بريطانيا عظمتها الحقيقية . وهذا ما حملنى على أن أبقى مطمئنا حتى فى أظلم الساعات فى تاريخنا الحديث وما ذلك إلا لأننى كنت واثقا أن العدالة لن تفارق الروح البريطانية فلم يهزنى كل ما حدث لأننى كنت على يقين أنه لا بد من أن يأتى يوم

يبادر فيه الشعب البريطانى نفسه إلى انجاز العهود التى قطعتها بريطانيا لمصر . وانى الان سعيد إذ أرى أن هذا اليوم قد دنا وأن بريطانيا نفسها قد مدت إلينا يدها باخلاص شأن الرجل الشريف الذى يعرف قيمة الصديق فأؤكد لكم اننا نصافح هذه اليد وقلوبنا تفيض إصلاصا لأننا نعرف أن مصر تحتاج إلى صديق مخلص بين الأمم . ونحن موقنون أنه إذا تأكدت صداقة بريطانية فى وسع وادى النيل بأسره أن يواجه المستقبل بثقة عظمى

مصر والسودان

« كانت مصر ومازالت منذ عهد محمد على الكبير مؤسس الأسرة الحالية المالكة راغبة كل الرغبة فى التوصل إلى تفاهم مع الدول الغربية وقد صافحت بوافر الشكر كل يد مدت إليها باخلاص لمساعدتها على تحولها إلى دولة عصرية . والتاريخ شاهد كيف تمكن محمد على الكبير من تثبيت ملكه واصلاح مصر وادخال الأساليب المدنية إلى وادى النيل بأسره . وليس من المجهول عندكم أنه قد تأسست فى عهده الزاهر إدارة عصرية عادلة وامرعت اراضى السودان وتأسست المعامل حتى أعالى النيل الأزرق وهكذا فتح وادى النيل للحضارة الغربية

« وفى الوسع أن نرى ما توقعه ذلك الرجل العظيم باعماله ووصفه اللورد روزمرى فى ما بعد بقوله « ان النيل هو مصر ومصر هى النيل » مما رواه الدكتور ريشارد لبسيوس حوالى سنة ١٨٤٢ مؤكدا أن محمد على كان شديد الرغبة فى ارسال البعثة أثر البعثة إلى أن يعثر على جميع منابع النيل الأبيض . ولكن تحقيق هذا المشروع الجليل قد ترك لينجزه حفيده اسماعيل الذى أدرك الحقيقة التى فاه بها دلكاسه السياسى الفرنسوى المشهور مشبها البلاد بعضو طبيعى حائز فى داخله على خصائص النمو وطرائقه وحدوده التى يستطيع ضمنها وحدها أن يبلغ التقدم الصحيح فاكراه أى بلد على تسليم قسم حيوى من كيانها العضوى لا يمكن أن ينتهى عاجلا أو آجلا الا بمأساة لا مرد لها

عهد اسماعيل

« وقد كتب مراسل جريدة التيمس فى مصر سنة ١٨٧٦ يقول :

إن فى مصر حركة تقدم عجيبة فقد بلغت من التقدم فى سبعين سنة كما تقدمت بلدان كثيرة أخرى فى خمسمائة سنة » وبعد هذا بسنتين ألقى مستر فرنسيس كوب

خطبة فى جمعية الفنون نقلتها جريدة التيمس فى شهر مارس سنة ١٨٧٨ أشار فيها إلى عهد اسماعيل فقال « من الأعمال المجيدة التى يخلدها التاريخ لهذه الأسرة الخديوية الغاء النخاسة من الأقطار الحاكمة فيها » . وقد أصاب اسماعيل بقوله « ان بلادى لم تعد من أفريقيا فنحن الآن جزء من أوروبا » .

« فأعظم ما نسعى ونطمح اليه هو أن نجدد مجد مصر ونعيد بناءها على أساس حديث ونجعلها جديرة بشهرتها القديمة ، فتنة لجميع ناظريها رحبة الصدر لجميع زائريها ممتنة لجميع الذين ساعدوها على السير فى سبيل التقدم والتجدد وبهذا تبلغ الغاية المنشودة الذى سعى اليها محمد على الكبير

« اننا قد نلاقى بعض العقبات فى سبيلنا ولكن أية دولة فى هذا العالم الذى هو الان فى دور التحول والتبدل تستطيع أن تكون بمعزل عن المصاعب رغم المساعى الخارقة التى يبذلها أعظم رجال الدول الأوربية . فاذا وقع لمصر مثل هذه الامور فهى ترجو أن ينظروا إليها بعين التساهل متذكرين أن البداية صعبة فى كل شىء وأن الأمة التى تشعر بواجبها وتتوق إلى تحمل نصيبها من المسئولية لتكون عاملا من عوامل السلم والوفاق تستحق التشجيع وتكون جديرة بان ينظر إليها باحترام

مبادىء الانصاف

« ليس من الممكن الحصول على السلم والرخاء إلا على أساس الانصاف والاخلاص وهذا المبدأ هو أعز المبادىء لقلب العنصر الانكلسكونى . أو ليس هذا هو نفس المبدأ الذى بشر به كونفشيوس وبوذا وموسى وعيسى ومحمد ؟ أن الطبيعة البشرية واحدة فى كل مكان فى الشرق وفى الغرب . ان المبدأ البريطانى القائم على الانصاف هو أسمى ما تدور عليه أحوال الأمل بذلك - فانى واثق أن منافعه لا تتناول بريطانيا ومصر فقط بل أستطيع أن اؤكد أن العالم كله يستفيد من تفاهم ودى دائم بين الأمتين لأن مصر تصبح وهى مستقلة مسالمة حلقة اتصال معنوية للوفاق والاخاء الصحيح بين الشرق والغرب

تمهيد السبيل للمفاوضات

« وهل لى أن أقول على ذكر الانصاف كم هى الفوائد التى يستفيدها الفريقان اللذان سيجريان المفاوضات بالنيابة عن البلدين لو امتنعت الصحف والجمهور عن

المجازفة فى ايجاد جو يثير الريب والشكوك وينجم عن النظر إلى أى أمر بنظارة ملونة ؟

« وبما أننى أعلق اهتماما عظيما على اجتماعنا هذه الليلة فسأبسط لبنى قومى مقاصدكم الشريفة وأنا واثق بأن مصر كلها تقدر موقف جمعيتكم حق قدره ويكون جلالة مولاى الملك المعظم أول من يقدر حسن نيتكم وصفاء سريرتكم ولن يفوت زغلول باشا رئيس حكومتنا أن يلاحظ بسرور عظيم ماجرى من التقدم نحو تحسين التفاهم بين بلدينا

« فعسى أن نحتفل فى المستقبل القريب بالتاريخ السعيد الذى تعقد به معاهدة بين انكلترا ومصر تسجل بها صداقة وسلم دائمين شريفين بين البلدين مؤسسين على الاحترام وحسن النية المتبادلين

« تعرف أن مصر تحتاج إلى صديق مخلص بين الأمم ونحن موقنون إذا تأكدت صداقة بريطانيا فى وسع وادى النيل بأسره أن يواجه المستقبل بثقة عظمى »

خطبة أخرى لعزيز عزت باشا

وألقى عبد العزيز عزت باشا وزير مصر المفوض خطبة فى مأدبة أدبتها له جمعية القطن فى منشستر ظهر يوم ٤ يونيو سنة ١٩٢٤ فافتتحها بابداء الشكر والامتنان للاكرام الذى لقيه من الجمعية بدعوته لزيارة منشستر وقال « أن جلالة مولاى المعظم المحبوب لا بد أن يقدر الأكرام الذى يقابل به ممثله فى انكلترا حق قدره » ثم تكلم فيها عن مسألة السودان فقال :

« فالمصالح إذن تقرب ما بيننا وهى سياسية واقتصادية معا . فالضرورة تقضى على مصر بأن تزيد انتاجها من القطن . ويجب أن تكون انكلترا فى حالة تخولها أن تشترى محصولنا ولكى تبلغ مصر تلك العناية يجب أن لا يعيقها ولا يعرقل سيرها الذين تدخلوا فى شأنها وكان تدخلهم ولاشك لمساعدتها كما قالوا فى وعودهم وعهودهم الصريحة بل يجب أن يتركوها حرة تتقدم ضمن حدودها الجغرافية الطبيعية التى هى حق لها . وأعنى بالحدود الجغرافية الطبيعية وادى النيل كله الذى تتألف منه من منابعه إلى البحر المتوسط وحدة كاملة لا تقبل التجزئة . فالمصلحة الحيوية والجغرافية والاقتصادية والفنية الحربية التى هى جسم عضوى قائم بنفسه تأبى انفصال أى عضو من الاعضاء التى يتألف منها هذا الجسم . وهذه حقيقة يعرفها ويعترف بها جميع رجال الدولة عندكم

« ان مصر لا تطلب شيئا خارجا عن هذه الحدود ولا تستطيع أن تستغنى عن أى عضو من جسمها السياسى أو الاقتصادى

« وقبلما نظر مؤسس الأسرة المصرية الحالية المالكة محمد على الكبير جد صاحب الجلالة مولاى الملك فؤاد المعظم إلى حالة البلاد وتعهدها بعين عنايته وحول أنظمة الرى من حالتها الطبيعية إلى حالتها الفنية الراقية ، كان المزارعون يحصلون على ما يحتاجون إليه من المياه بوسائل فطرية بسيطة للمزروعات الصيفية أو لمزروعات الفيضان ولم يكن القطن من بين هذه المزروعات . فقضت حكمة المصلح الكبير بادخال زرع القطن إلى مصر بعد إتقان وسائل الرى فكان منبع الثروة لمصر وجعلها على اتصال وثيق بلانكشير . وأصبحت أيضا تحتاج كل الاحتياج إلى المهندس البارع لخزن المياه وتنظيمها وتقديم ما يحتاج إليه محصول القطن منها فانصرف الاهتمام إلى إنشاء مشروعات عظمى من الأحواض والقناطر والسدود وتم إنشاء كثير منها حتى الآن وما زال الباقى تحت الانشاء . ومشروعات الرى هذه منتشرة على طول مجرى النيل : وجميعها متوقف بعضها على البعض الآخر ومتصل بعضها بالآخر مما يقضى بجعلها تحت سيطرة سلطة واحدة وإدارتها . ومن الواضح أن هذه السلطة التى تدير بيدها مصالح حيوية خطيرة تستطيع أن تقوى على فعل كل شىء . فكل خطأ ترتكبه عن عمد أو غير عمد فى تنفيذ سيطرتها التى توزع بها ماء الحياة على النفوس يؤدى إلى عواقب مهلكة تصيب أرواح الشعب الخاضع لتلك السيطرة وأملاكه

أنكم تعرفون ولا شك أهمية السلسلة الفقرية للهيكل الجسدى . وهى تقسم إلى ثلاثة أقسام مهمة . فاذا حرم الجسم من أحد هذه الأقسام بل من جزء يسير منها أصبح مشلولا طول الحياة .

« ويمكن أن تقسم مصر أيضا إلى ثلاثة أقسام : السودان والنوبة ومصر السفلى فاذا تدخلتم قهرا فى أى من هذه الأقسام الثلاثة فانكم تشلوننا . ولكن إذا سعيتم إلى حرماننا من قسم حيوى كالسودان فان حياتنا برمتها تبيد

« إن رجال السياسة يرسمون خطوطا على الخرائط ويلونونها بألوان مختلفة ويلعبون بالألفاظ وفاقا لما تصوره لهم مخيلاتهم ولكن الطبيعة تأبى أن تتقيد بشىء من ذلك ولا تلبث فى كل حين أن تثبت وجودها

« وليس ثمت مجال للاختلاف فى أن تسلم قلب مصر ومنبع دم الحياة الذى يجرى

فى عروقها يفضى إلى شل أعصابها وتعريضها للاعتلال والفناء . ولكن مصر واثقة بأن اتضاح حقوقها المقدسة سيزيل جميع الاختلافات فى شأن سيادتها العملية المطلقة فى السودان . وهذه السيادة العملية على إحدى مقاطعاتها الطبيعية التى تحتوى حاجاتها من المياه تخول مصر أن تكون قوية بمركزها متقدمة بنشوئها ونشاطها ثابتة فى شئونها السياسية وبذلك تكون عاملا عظيما للسلام فى مجتمع الأمم

« إن مصر المتمتعة بالثقة والعطف من جميع الشعوب الأوروبية عامة ومن بريطانيا خاصة تستطيع أن تقيم الدليل على أنها تخدم الانسانية بأسرها خدمة لاشك فيها

« إن مصالحكم فى وادى النيل هى مصالح تجارية واقتصادية . أما نحن فمسألتنا فيه مسألة حياة أو موت . فمصر بلاد لا ترويها الأمطار . ولا بد لنا أيضا من أن نهتم لمسألة سكانها الذين يزداد عددهم على الدوام فهؤلاء السكان لا يحتاجون إلى العمل وتوفير وسائل العيش فقط فى الوقت الحاضر بل إلى منفذ ينفذون إليه فى المستقبل

« إن لكم مستعمرات عديدة يستطيع أن يهاجر اليها الذين يزيدون عما تحتمله بلادكم من السكان ، أما نحن فلنا سودانا الذى هو إحدى مقاطعاتنا وهو يحتوى على أراضى شاسعة تكون منفذا طبيعيا شرعيا يجلو اليها الذين يزيدون من سكان مصر ويستثمرونها . ومن الطبيعى أن يذهب السكان الذين يزيدون فى قسم من مملكة واحدة إلى قسم منها حيث يكونون بين قوم منهم يدينون بدينهم ويتكلمون لغتهم ويعيشون فى مثل مناخهم . وعلينا أن نضع موضع الاهتمام بنوع خاص أن معظم الأراضى المجاورة صحراء قاحلة

« فاذا كنتم توافقوننى على رأيى وتنظرون إلى مصالح مصر الحيوية بما تنظرون به إلى المصالح البريطانية من حسن النية متمسكين بمبادىء حرية التجارة وحرية التبادل التى نشرتها منشستر قبل كل مدينة أخرى فى العالم الذى طالما ظهرت عليه دلائل حب الذات ، ففى وسعنا حينئذ أن نوفق بين مصالح بلدينا على المبادىء المقبولة التى تبنى عليها المصالح التجارية والاستقامة والصداقة

« لقد اعتادت الشعوب فى هذا الزمن وياللأسف أن يتجر بعضها بالبعض الآخر بدلا من بذل تضحيات متقابلة توجد جوا تسود فيه الثقة والعلاقات الودية المنتجة على المصالح . وقد أظهرت الحرب العمومية وما عقبها من قلب التجارة بأسرها رأسا على عقب أن جميع المخاصمات التى سارت إلى أقصى مداها وأهلكت النسل وبددت الثروة الوطنية ، ليست مما تستثمر فيها الأموال استثماراً صالحا لأن القوات

المبيدة التى أطلقتها أحقاد الشعوب المختلفة قد أوقعت المشروعات التجارية فى الفوضى والاضطراب وأصابت الشعوب نفسها بمثل ذلك . فالسياسة العملية الصحيحة هى التى تقضى بأن يوضع رأى الفريق الآخر موضع النظر وأن تحقق المقاصد الأساسية التى تلغيها الشعوب الأخرى . فجميعها تود أن تعيش وتتقدم بانية مستقبلها على قواعدها الوطنية الخاصة

« ولا تزهو التجارة وتتقدم إلا عندما تدرس المصالح المتقابلة درسا وافيا . وهذه الحقيقة الجوهرية كانت وما زالت معدودة من بين المبادىء التى تنادى بها مدينة منشستر الممتازة

« ويجب أن تذكروا أنكم تعاملون فى مصر شعبا قديما فخورا بماضيه غيورا على مستقبله متحدا لبلوغ النجاح وللقيام بالعهود التى تفرضها عليه المعاهدات راغبا فى أن ينشىء معكم صلات تجارية واقتصادية قائمة على الاستقامة مقدما على ذلك جميع الضمانات التى تنطبق على الشرف والكرامة بين الشعوب المتحابة »

السودان فى برلمان سنة ١٩٢٤

صرح المغفور له سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء بمجلس النواب المنعقد يوم الاثنين ٢٢ يونية سنة ١٩٢٤ (١) بالتصريح التالى ، بمناسبة بعض الحوادث التى جرت فى السودان وقتئذ

كلمة المغفور له سعد زغلول باشا

« أيها السادة

تحركت مسألة السودان اليوم ولم تكن الحكومة مستعدة لأن تقول رأيها فيها ولكنى مع ذلك يمكننى أن أصرح لحضراتكم بأن الحكومة تشاركم كل المشاركة فى شعوركم بالنسبة للسودان « استحسان وتصفيق طويل » بل تنظر بعين المقت لكل عمل من شأنه أن يفصل السودان عن مصر « تصفيق »

والاجراءات التى تتم الآن فى السودان كما قال حضرة العضو المحترم عبد الرحمن الرافعى بك على نوعين :

(١) راجع مضبطة مجلس النواب عن الجلسة المذكورة

الأول — وثائق تكتب واجتماعات تعقد لاظهار الولاء للحكومة الانجليزية والرغبة عن الحكومة المصرية

والثانى — هو منع الذين يريدون أن يقدموا ولاءهم للحكومة من الحضور هنا.

فأما القسم الأول وهو عقد الاجتماعات أو اختلاس الثقة لأجل إعلان الامتنان من الحكومة الانجليزية ، فهذا نصرح هنا وفى كل مكان بأنه باطل ولا يعتبر حجة علينا » تصفيق »

إذا قدمت هذه الأوراق أمام أى محكمة أو أى هيئة وحصل التمسك فيها ، فلسان مصر يقول إنها أوراق باطلة لأنها لم تؤخذ بالحرية المطلقة وأنه يجب قبل التمسك بها أن يكون السودان خاليا من كل حكومة أجنبية » تصفيق استحسان »

أنا فى تصريحى هذا منضم اليكم فيما أعلنتم من أن هذه الوثائق وهذه الأوراق وهذه الاجتماعات لا قيمة لها مطلقا وهذا كاف » أصوات بدون شك »

وأما فيما يتعلق بالقسم الثانى الا وهو منع السودانيين المخلصين . وكلهم فيما أظن مخلصون لنا ممتنون من حكمنا راغبون فى بقائنا بالسودان كاخوان لهم وبصفة بلادهم جزءاً لا يتجزأ من مصر . فهذه الاجراءات نعلن بصفتنا حكومة . وبصفتنا مجلس نواب . نعلن لجهات الاختصاص استنكارنا لما يكون صحيحا منها واحتجاجنا عليها » تصفيق »

وأنا ممتن من أن لكم بهذه الوزارة ثقة تامة بان تتخذ جميع ما فى وسعها لحفظ حقوق مصر فى السودان « تصفيق »

والآن أجيب حضرة العضو المحترم احمد رمزى بك على قوله « ماذا تفيد المفاوضات فى هذا الجو المضطرب » نعم أن المفاوضات فى جو مضطرب ربما لا تفيد ولكن يجب علينا أن لا نكتفى بالكلام فيما بيننا بل يجب أن نعلن أمام كل إنسان سواء كان انكليزيا أو غير انكليزى بأن لنا حقوقا فى السودان نريد استخلاصها » تصفيق »

فاذا تمكنت من الذهاب إلى المفاوضة فلا أقول أن السودان غير مملوك لنا بل أقول أنه ملكنا وأنه جزء لا يتجزأ من مصر ويجب أن يرد لنا « تصفيق » وأقيم الدليل على هذا والدليل تعلمونه حضراتكم ويعلمه كل واحد منا ويحفظه كل مصرى . فان نجحنا فبها ونعمت والا والينا الاحتجاج وعملنا كل ما يعمله شعب مهضوم الحقوق لاستخلاصها » تصفيق »

أنا لا أخشى المفاوضة فهى محادثات كسائر المحادثات أباشرها واثقا بنفسى وواثقا بانى لا أقبل نتيجة من نتائجها الا إذا كانت متفقة مع حقوقكم وأمانيكم « تصفيق »

وإذا كنت أرى دخولى فيها لا يضيع علينا حقا ولا يكسب غيرنا حقا ضدنا أدخل فيها وأكون قد خدمت بلادى بهذا الدخول ولكنى لا أخرج منها إلا ظافراً بحقوقنا كلها أو حافظاً حقوقنا كلها « تصفيق »

ولا يمكننى أن أصرح لكم الآن بأن وقت المفاوضات قد دنا أو لم يدن لأنه يوجد أمور تتوقف عليها المفاوضة . فاذا تمت هذه الأمور وتحققت دخلت المفاوضات مزوداً بثقتكم ومعتمداً على الله فى نجاحها اه . »

قرار المجلس

ثم تلى السكرتير النائب نص اقتراحين : الأول مقدم من حضرة النائب المحترم الأستاذ عبد الرحمن بك الرافعى وهذا نصه :

« على أثر التلغراف الذى ورد لمجلس النواب من الوفد السودانى الذى عزم على الحضور إلى مصر للاعراب عن ولاء السودانيين لمصر وتمسكهم بالارتباط بها وعلى أثر الأنباء الواردة من السودان عن المناورات المصطنعة التى يقصد منها الاعتداء على حقوق مصر والسودان - يعلن المجلس عطفه على السودانيين جميعا لتمسكهم الوثيق بارتباطهم بمصر ويعلن استنكاره للمناورات المصطنعة التى يقوم بها دعاة الاستعمار فى السودان ويعلن تمسك الامة المصرية بمبدأها الخالد وهو أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر »

والاقتراح الثانى مقدم من حضرتى راغب اسكندر افندى وحسين هلال بك وهذا نصه :

« بعد سماع التصريحات الحكيمة التى أبداها حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء بخصوص الاجراءات غير الشرعية القائمة فى السودان للسعى فى فصل السودان عن مصر يكرر المجلس ثقته التامة بالوزارة ويطلب الانتقال الى جدول الأعمال »

فوافق الأعضاء على الاقتراحين بالاجماع

وقد ورد تلغراف على رياسة مجلس النواب جلسة ١٩ يونيو سنة ١٩٢٤ وهذا نصه :

« الخرطوم فى ١٧ يونيو

« نحتج باسم الأمة السودانية ونسخط مر السخط على سياسة التطويق التى استعملت لمنع الوفد من السفر لعرض وثائق ولاء السواد الأعظم من الأهلين لمليك البلاد ونطلب بالحاح تدخل الحكومة فى الأمر بكل ما أوتيت من إقدام وعطف لايقاف ضروب التنكيل وأن الأمة المصرية قاطبة مسئولة أمام التاريخ عن كل نازلة تحل بخدام العرش المصرى أينما كانوا . وأن سفينة يدير دفتها سعد يستحيل أن تصطدم بصخر مهما كانت الزوابع والظلام الامضاءات »

وفى تلك الأيام وصل إلى حضرة صاحب العزة أحمد حمدى سيف النصر بك رئيس لجنة السودان البرلمانية وقتئذ هذا التلغراف :

« قبض على الملازم الأول زين العابدين أفندى أمس مساء وهو فى الخرطوم »

مقتل السردار سير لى ستاك

بينما كان الفريق السر لى ستاك باشا سر دار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان خارجا من مكتبه فى وزارة الحربية ، قاصدا إلى منزله فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أطلق عليه « افندية » مجهولون عدة طلقات نارية من مسدسات كانوا مسلحين بها

وقد أصيب السردار برصاصة فى بطنه وبرصاصتين أخريين فى يده ورجله وأصيب الكابتن كامبل ياوره برصاصة فى صدره كما أصيب السائق وهو انكليزى برصاصة فى فخذه وقد توفى السردار متأثرا بجراحه فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين من مساء يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤

الاحتفال بجنازته

وفى الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة من صباح يوم السبت ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أطلق سبعة عشر مدفعا من حديقة الازبكية ايذانا بخروج النعش من الكنيسة الانكليزية بشارع فؤاد الأول ، وتحية له

وبدىء الموكب بثلة من فرسان البوليس الانجليزى ، تليها كوكبة من فرسان الجيش المصرى ، ثم مدفعية جبلية مصرية ثم بلوك من الاورطة السابعة المصرية المشاة تتقدمها موسيقاها عليها شارة الحداد ، ، ثم كوكبة من فرسان الجيش الانجليزى فمدفعية انجليزية فكوكبة أخرى من الفرسان الانجليز فمدفعيتان انجليزيتان فأورطة

من المشاة الانجليزية منكسة البنادق وعلى علمها شارة الحداد وعلى موسيقاها السواد وهى تعزف فى مسيرها نغما محزنا ففرقة من سلاح الطيران الانجليزى فجميع ضباط البوليس المصرى فضباط البحرية المصرية فجميع ضباط الجيش المصرى بأقسامه فضباط البوليس المصرى الانجليز فحكمدار بوليس الاسكندرية وضباطه المصريون والانجليز فضباط الجيش البريطانى فضباط فرقة الطيران

فنعش الفقيد على مركبة مدفع تجرها ستة من الجياد الصافنات ويتقدمها فارسان انجليزيان وقد لف النعش فى علم بريطانى وعليه إكليل من الأزهار وقبعة الفقيد ووراءه ضابطان بريطانيان يحمل أحدهما على يديه وسادة من الحرير منضدة عليها نياشين ، فجواد الفقيد ، فجموع المشيعين وفى مقدمتهم فخامة المارشال اللنبى وإلى يمينه حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء نائباً عن حضرة صاحب الجلالة الملك ، فحضرات أصحاب السمو الأمراء ، فحضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا وإلى يمينه حضرة صاحب المعالى أحمد زيور باشا رئيس مجلس الشيوخ ، وإلى يساره حضرة صاحب المعالى أحمد مظلوم باشا رئيس مجلس النواب فحضرات أصحاب الدولة والمعالى الوزراء بملابسهم الرسمية جميعاً فوزراء الدولة المفوضون فالقناصل فأعيان الجالية البريطانية ومندوبو الجاليات الأجنبية فمندوبو المصارف والشركات ، فأعضاء مجلس الشيوخ والنواب فوكلاء الوزارات ، فمحافظ القاهرة ومدير الجيزة وهيآت المحافل الماسونية فرؤساء مصالح الحكومة فالمستشارون الملكيون فحضرات العلماء فالرؤساء الروحيون ، فرئيس محكمة الاستئناف الأهلية ومستشاروها ، فرؤساء المحاكم وقضاتها ، فالنائب العمومى ورجال النيابة ، فنقابة الصحافة المصرية ، فرجال القضاء الشرعى فموظفوا الوزارات والمصالح فالأعيان والتجار ، وكانت أسراب من الطائرات الانجليزية تحلق فى الجو فى أثناء سير الموكب متابعة إياه فى سيره ومنتشرة فى جو القاهرة

وقد اجتاز الموكب ميدان الأوبرا فشارع قصر النيل فميدان سليمان باشا فميدان الاسماعيلية وكان فى هذا الميدان عدد كثير من السيارات المسلحة فوصل الموكب إلى المقبرة الانجليزية فى الساعة الثانية عشر

وحمل النعش ثمانية من الجنود الانجليز ومن ورائهم فخامة المارشال اللنبى . وبعد أداء صلاة الجنازة أطلقت المدافع تحية وتكريماً للفقيد

وقد بلغ عدد الأكاليل التى أهديت نحو مائة كان أجملها الاكليل الذى أرسله حضرة صاحب الجلالة الملك

هذا وقد عطلت يوم تشييع الجنازة البنوك والمحال التجارية الكبيرة وأغلقت جميع المخازن التى مر بها الموكب وكانت كلها منكسة الأعلام ، كما نكست الأعلام المرفوعة على دور الحكومة ومصالحها

الانذار البريطانى عن مقتل السردار

فى مساء ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ زار اللورد اللنبى بملابسه الرسمية فى جمع عسكرى بريطانى رسمى جنوده سوارى ملأوا شارع مجلس النواب ، دولة سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء فى مكتبه بالمجلس وتلا الانذار التالى بالانجليزية وسلمه إلى سعد باشا

« القاهرة فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤

إلى صاحب الدولة سعد زغلول باشا الخ . .

ياصاحب الدولة

١ — أقدم لدولتكم من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية البلاغ التالى : —

أن الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصرى الذى كان أيضا ضابطا فى الجيش البريطانى قد قتل بكيفية فظيعة فى القاهرة

فحكومة جلالة الملك تعد مقتله هذا الذى يعرض مصر كما هى محكومة الآن لازدراء الشعوب المتمدينة ، نتيجة طبيعية لحملة عدائية ضد حقوق بريطانيا العظمى وضد الرعايا البريطانيين فى مصر والسودان . وهذه الحملة القائمة على انكار الجميل انكاراً مقرونا بعدم الاكتراث للايادى التى أسدتها بريطانيا العظمى لم تثبط من جانب حكومة دولتكم . وقد أثارتها هيئات على اتصال وثيق بهذه الحكومة .

وقد أفهمت حكومة جلالة الملك دولتكم منذ أكثر من شهر إلى العواقب التى لا بد من أن تنشأ عن هذه الحملة إذا لم توقف . ولا سيما فيما يتعلق بالسودان . ولكن هذه الحملة لم توقف . والآن لم تعرف الحكومة المصرية كيف تمنع اغتيال حاكم السودان العام وأظهرت أنها غير قادرة على حماية أرواح الأجانب أو أنها قليلة الاهتمام بهذه الحماية

فبناء على ذلك تطلب حكومة جلالة الملك من الحكومة المصرية : —

١ — أن تقدم اعتذارات كافية وافية عن الجناية

٢ — أن تتابع بأعظم نشاط وبدون مراعاة للأشخاص ، البحث عن الجناة

وأن تنزل بالمجرمين بدون مراعاة لأشخاصهم وأعمارهم ، أشد العقوبات

٣ ــ أن تمنع من الآن فصاعدا وتقمع بشدة كل مظاهر شعبية سياسية

٤ ــ أن تدفع فى الحال إلى حكومة جلالة الملك غرامة قدرها نصف مليون جنيه

٥ ــ أن تصدر فى خلال أربع وعشرين ساعة الأوامر بأرجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصرى البحتة من السودان مع التعديلات التى تنشأ عن ذلك وتعين فيما بعد



الفيكونت أدمون هنرى اللنبى المندوب السامي البريطانى
فى مصر والسودان من ١٩١٩ ــ ١٩٢٥

٦ ــ أن تبلغ المصلحة المختصة أن حكومة السودان ستزيد مساحة الأطيان التى تزرع فى الجزيرة من ٣٠٠٫٠٠٠ فدان إلى عدد غير محدود على نسبة ما تقتضيه الحاجة

٧ ــ أن تعدل عن كل معارضة لرغبات حكومة جلالة الملك فى الشئون المبينة بعد فيما يتعلق بحماية المصالح الأجنبية فى مصر

وفى حالة عدم تلبية هذه المطالب فى الحال تتخذ حكومة جلالة الملك على الفور التدابير المناسبة لصيانة مصالحها فى مصر والسودان

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأؤكد لدولتكم مرة أخرى احترامى الفائق .

« الامضاء » اللنبى فيلد مرشال المندوب السامى

ياصاحب الدولة

إلحاقا ببلاغى السابق أتشرف باعلام دولتكم من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن مطالبها الخاصة المتعلقة بالجيش فى السودان وحماية مصالح الأجانب فى مصر هى كما يأتى : —

١ — بعد ما يسحب الضباط المصريون والوحدات المصرية البحتة للجيش المصرى تحول الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى إلى قوة مسلحة سودانية



سير لى ستاك

تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها وتحت قيادة الحاكم العام العليا وباسمه تصدر العرائض « البراءات للضباط »

٢ — أن القواعدوالشروط الخاصة بخدمة الموظفين الأجانب الذين لايزالون فى خدمة الحكومة المصرية وتأديبهم وخروجهم من الخدمة وكذلك الشروط المالية لتسوية معاشات الموظفين الأجانب الذين اعتزلوا الخدمة يجب أن يعادالنظر فيها طبقا لرغائب حكومة جلالته

٣ — من الآن إلى أن يتم اتفاق بين الحكومتين بشأن حماية المصالح الأجنبية فى مصر تحافظ الحكومة المصرية على مركز المستشار المالى والمستشار القضائى

وتحترم سلطتهما وامتيازاتهما كما نص عليها عند الغاء الحماية وتحترم أيضا النظام والاختصاصات التى للمكتب الأوروبى فى وزارة الداخلية كما حددت بالقرار الوزارى وتنظر بعين الاعتبار الوافى إلى المنشورات التى يمكن أن يقدمها مديره العام فيما يتعلق بالشؤون الداخلة فى اختصاصه

وإنى أغتنم هذه الفرصة لأؤكد لدولتكم مرة أخرى احترامى الفائق

المندوب السامى

الامضاء : اللنبى فيلد مارشال

٢٨ نوفمبر سنة ٩٢٤

بلاغ رسمى

فى ٢٥ الجارى تلقت الحكومة بواسطة فخامة المندوب السامى البريطانى تلغرافا وارداً من الضباط وضباط الصف والجنود بالطوبجية المصرية فى الخرطوم ذكروا فيه أنه صدر لهم أمر نائب حاكم السودان العام بمغادرة السودان فى الحال وأن الجنود البريطانية قد أحاطت بهم من كل جانب . وأضافوا إلى ذلك أن ذخيرتهم وهى عشرون خرطوشة لكل بندقية ومقدار قليل للمدافع كانت غير كافية للدفاع ضد قوات كبيرة مسلحة بمقادير لاحد لها من الذخيرة فضلا عن أن مستودعات الذخيرة المصرية ما زالت من يوم فتح السودان تحت يد السلطات البريطانية ولكنهم أصروا على أن لايغادروا السودان إلا بأمر جلالة الملك أو يموتوا عن آخرهم بعد أن يستنفدوا ذخيرتهم

ولما اطلع مجلس الوزراء على هذا التلغراف تفاوض مليا فى الأمر ، وقرر فى جلسة خاصة ضرورة الاسراع إلى منع سفك الدماء بغير جدوى وتجنب كل عمل من شأنه المساس بحقوق البلاد

وقد عهد مجلس الوزراء بناء على ذلك إلى وزير الحربية فى توجيه الرسالة الآتية إلى الضباط وضباط الصف والجنود بالجيش المصرى فى السودان :

« عهدنا فيكم الشجاعة والولاء ولا يداخلنا أى شك فى أنكم مستعدون جميعا لاراقة آخر نقطة من دمائكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل الوطن . على أننا نأمركم بأن تكفوا عن مقاومة الاجراءات التى اتخذها نائب حاكم السودان العام لاخراجكم بالقوة من الأراضى السودانية فانه ليس من وراء هذه المقاومة سوى

سفك الدماء بغير جدوى ، وبما أن الحكومة المصرية قد احتجت احتجاجاً صريحاً على هذا العمل الذى نفذ بالقوة القاهرة ، فعودتكم لا يترتب عليها أى مساس لا بحقوق الوطن ولا بشرفكم العسكرى »

والغرض من هذه التعليمات الصادرة من وزير الحربية اللواء صادق يحيى باشا لامن جلالة الملك ، كما زعمت وكالة روتر ، إنما هو منع سفك الدماء بغير جدوى ودفع كوارث جديدة عن الوطن .

وقد أرسلت الحكومة المصرية برياسة حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا رداً طويلا مسهبا على الانذار البريطانى مع وزير خارجية مصر فى يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ . ومضمون هذا الرد هو إنكار مسئولية الحكومة فى حادث السردار وإجابة بعض الطلبات ورفض البعض الآخر

فأرسل المندوب السامى الكتاب التالى رداً على رد الحكومة المصرية :

« حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء »

رداً على رسالة دولتكم بتاريخ اليوم أتشرف بأن أبلغكم أنه نظراً الى رفض الحكومة المصرية تلبية مطالب حكومة جلالة الملك الواردة فى الفقرتين الخامسة والسادسة من بلاغى المقدم أمس أرسلت التعليمات إلى حكومة السودان بما يلى :

أولا — أن تخرج من السودان جميع الضباط المصريين والوحدات المصرية المحضة فى الجيش المصرى مع التغييرات المعينة التى تترتب على ذلك

ثانياً — أنها مطلقة الحرية فى زيادة المساحة التى تروى فى الجزيرة من ٣٠٠ الف فدان إلى حد غير محدود وفاقا لما تقضى به الحاجة

وستعلمون دولتكم ، فى الوقت المناسب ، العمل الذى ستتخذه حكومة جلالة الملك ، نظرا إلى رفض دولتكم قبول المطلب السابع الخاص بحماية مصالح الاجانب فى مصر

وانى أسجل أن الحكومة المصرية قد قبلت فيما قبلته من المطالب ، المطلب الرابع . فحكومة جلالة الملك تنتظر أن يدفع لى مبلغ نصف مليون جنيه قبل ظهر الغد

وأنى أنتهز الفرصة لأجدد لدولتكم وافر احترامى الأكيد

اللنبى . فيلد مرشال : المندوب السامى

وفى الساعة العاشرة قبل ظهر يوم الاثنين ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وقع حضرة

صاحب السعادة على الشمسى افندى «باشا» وزير المالية تحويلا ماليا بمبلغ ٥٠٠ ألف جنيه قيمة التعويض الذى طلبته الحكومة البريطانية فى انذارها والذى قررت الحكومة المصرية دفعه ، ورفعه الى حضرة صاحب الدولة سعد باشا فأرسله إلى دار المندوب السامى مع الكتاب الآتى : —

« ياصاحب الفخامة :

رداً على مذكرتكم المؤرخة أمس وإلحاقا بمذكرتنا المؤرخة ٢٢ الجارى أتشرف بان أرسل اليكم طى هذا تحويلا على البنك الاهلى المصرى بمبلغ خمس مئة ألف جنيه(١)

أما فيما يتعلق بالاجراءات المبينة فى الفقرتين الأولى والثانية من مذكرة فخامتكم فان الحكومة المصرية تتمسك بجميع ماأبدته من التصريحات فى المذكرة المؤرخة ٢٢ الجارى وتحتج احتجاجاً صريحاً على ماتخذته حكومة صاحب الجلالة البريطانية من القرارات وهى ترى أن لامسوغ لها وتعتبرها مناقضة لما لمصر من الحقوق المعترف بها — . وتفضلوا فخامتكم بقبول عظيم احترامى

رئيس مجلس الوزراء
سعد زغلول

احتلال جمارك اسكندرية

أرسل المندوب السامى البريطانى قبل ظهر يوم الاثنين ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الكتاب الآتية ترجمته الى رئيس الوزارة المصرية

« حضرة صاحب الدولة الخ . . .

بالاشارة الى الكتاب الذى أرسلته اليكم أمس أتشرف بأن أبلغ دولتكم أنه كتدبير أول أعطيت التعليمات إلى قوات جلالة ملك بريطانيا بأن تحتل جمرك اسكندرية

وانى انتهز هذه الفرصة لأكرر لكم عهود احترامى الفائق

اللنبى فيلد مرشال ، المندوب السامى

وقد احتلت الجنود الانكليزية الجمارك فعلا . وقد رفع حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء كتابين إلى جلالة الملك يطلب فيهما الاستعفاء وهما :

(١) كان الزام الحكومة المصرية بدفع هذا المبلغ موضع انتقاد شديد فى مصر وفى انجلترا ذاتها ، وعزا بعض الانجليز فرض هذه الغرامة الى غضب اللورد اللنبى وتسرعه لان الكرامة البريطانية كانت توجب الاكتفاء بالمطالب الادبية فقط . وأخيراً خطس هذا المبلغ باسم « اعتماد خاص لتذكرى سيرلى ستاك للقيام باعمال خيرية بالسودان الذى نصب الفقيد « نفسه له » وقد انشىء من ذلك معمل أبحاث بالخرطوم تذكاراً لستاك

— ١ —

« مولاى

أتشرف بأن أرفع لجلالتكم أنى لم أقبل مسئولية الوزارة إلا لخدمة البلاد وتنفيذاً لمقاصدها السامية ، ولكن الظروف الحالية تجعلنى عاجزاً عن القيام بهذه المهمة الخطيرة ، ولهذا أرجو من مكارم جلالتكم أن تتفضلوا بقبول استعفائى مع زملائى من الوزراء ، وإنى وإياهم مستعدون على الدوام للعمل على ما يرضيكم أدام الله علينا نعمة رعايتكم العالية وأدامكم مؤيدين بالعز والاقبال ، وموضع كل اكبار وإجلال

٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ شاكر نعمتكم : « سعد زغلول »

— ٢ —

« مولاى

تشرفت من يومين بأن عرضت لجلالتكم شفها عزمى وعزم زملائى على الاستقالة وشرحت الأسباب التى حملتنا عليها . وفى الساعة ٦ من مساء أمس قدمت عريضة الاستعفاء وألححت فى قبولها . وطوعا للأمر الكريم انتظرت إلى اليوم وعقب التشرف بهذه المقابلة فوراً وردنى خطاب من فخامة اللورد اللنبى ينبئنى فيه بأنه أعطى أوامر لحكومة السودان :

أولا — أن تخرج من السودان جميع الضباط المصريين والوحدات المصرية المحضة فى الجيش المصرى مع التغييرات المعينة التى تترتب على ذلك

ثانيا — أنها مطلقة الحرية فى زيادة المساحة التى تروى فى الجزيرة من ٣٠٠ر٠٠٠ فدان إلى مالا نهاية

وزاد بأنه سيبلغ الحكومة فى الوقت المناسب العمل الذى ستتخذه حكومته لحماية مصالح الأجانب فى مصر وبأنه يطلب دفع مبلغ الخمسمائة ألف جنيه قبل ظهر اليوم فأرسلت الحكومة إلى فخامته تحويلا على البنك الأهلى بهذا المبلغ مصحوبا بكتاب يشتمل على الاحتجاج ضد هذه التصرفات

ثم تشرفت بمقابلة جلالتكم وكررت الالتماس بقبول الاستعفاء وعقب خروجى من حضرتكم الشريفة تلقيت خطابا من جنابه بأن أول عمل اتخذته حكومته هو أن أمرت قوة عسكرية بريطانية باحتلال جمارك الأسكندرية

أزاء هذه الاعتداءات المتكررة على استقلال البلاد وحقوقها لا يسعنى إلا الالحاح على جلالتكم لتتفضلوا بالاسراع فى قبول الاستعفاء لأن هذا فيما أرى قد يكون خير وسيلة لوقاية البلاد من الشرور المتوالية

ولا زلت الداعى على الدوام بالتوفيق لجلالتكم والشاكر لنعمتكم

٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ « سعد زغلول »

قبول استقالة الوزارة السعدية

« عزيزى سعد زغلول باشا :

اطلعنا على كتاب دولتكم المرفوع إلينا بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ المتضمن استقالتكم من مهمتكم. وقد أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم إخلاصكم وما أديتموه من الخدمات أثناء قيامكم بأعباء منصبكم

صدر بسراى عابدين فى ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٤٣ ، ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ رقم ٧٦ سنة ١٩٢٤ « فؤاد »

وقد تألفت خلفاً للوزارة السعدية وزارة برياسة حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا وزيرا للداخلية وللخارجية مؤقتا ، وأحمد محمد خشبة بك « باشا » وزيرا للمعارف العمومية وللحقانية مؤقتا ، وعثمان محرم بك « باشا » وزيراً للأشغال العمومية ، ومحمد السيد أبو على باشا وزيراً للزراعة ، ومحمد صدقى باشا وزيراً للاوقاف ، ويوسف قطاوى باشا وزيراً للمالية ، ونخلة جورجى المطيعى بك « باشا » وزيراً للمواصلات ، ومحمد صادق يحيى باشا وزيراً للحربية والبحرية

المكاتبات المتبادلة

بين وزارة دولة زيور باشا ودار المندوب السامى

— ١ —

من المندوب السامى إلى حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا رئيس مجلس الوزراء

ياصاحب الدولة ردا على سؤالكم أتشرف باحاطتكم علماً بأن الطلبات التى يصح لى معها أن أشير على حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية بالجلاء عن جمرك الاسكندرية فيما لو قبلتها الحكومة المصرية هى :

١ — تقبل الحكومة المصرية إحالة الموظفين الأجانب الذين تسرى عليهم أحكام المواد ٤ و٧ و ٨ من القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٣ فى التواريخ التى ستحدد طبقا للاختيار الذى سيخول لهم الحق فى إبدائه قبل ١٥ يناير سنة ١٩٢٥

ولا يجوز أن تكون هذه التواريخ سابقة لأول ابريل سنة ١٩٢٥ ولا لاحقة للتاريخ السابق تقريره لخروج أولى الشأن أو لتاريخ أول أبريل سنة ١٩٢٧

٢ — تتعهد الحكومة المصرية فى استعمال كل نفوذها لدى بلدية الاسكندرية وبذل كل مساعدة ممكنة لها بقصد مساواة موظفى البلدية الأجانب ، بموظفى الحكومة المصرية ومجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية فيما يتعلق بأحكام القانون رقم ٢٨ سنة ١٩٢٣ والبندين الأول والثالث من هذه المذكرة

٣ — فى حالة استعمال هؤلاء الموظفين لحق الاختيار المنصوص عليه فى البند الأول ، يمنح الموظفون منهم الذين لم يكن لهم بعد حق فى المعاش ولكنهم قد يكتسبون هذا الحق إذا ظلوا فى الخدمة لغاية أول إبريل سنة ١٩٢٧ ، معاشا يقوم مقام المكافآت المنصوص عليها فى قانون المعاشات ويحسب هذا المعاش طبقاً للقواعد المقررة فى المادة السادسة عشرة من ذلك القانون كما عدلت فيما بعد ولكن بدون مراعاة لأحكام المادة العشرين التى تشترط خدمة خمس عشرة سنة يحسب عنها المعاش

وفى هذه الحالة يخفض فى الملحق رقم ٢ من القانون رقم ٢٨ سنة ١٩٢٣ عامل مدة الخدمة إلى ٦

٤ — يسرى حكم المادة ٢٠ من القانون رقم ٢٨ سنة ١٩٢٣ على كل موظف أجنبى من موظفى الحكومة يكون فى المعاش أو يحال فى المستقبل إلى المعاش . ويقرر لذلك مدة معقولة للاختيار .

٥ — يوضع قلم الموظفين الأجانب وموظفوه كما هو منظم الآن تحت المراقبة الادارية للجنة تؤلف من المستشار المالى رئيساً ومن عضوين أحدهما أجنبى

٦ — تراعى الحكومة المصرية مراعاة تامة رأى المستشار المالى فيما يطرأ حتى أول إبريل سنة ١٩٢٧ من الخلاف الجوهرى بشأن شروط خدمة الموظفين الأجانب أو شروط إحالتهم على المعاش

٧ — يعترف باستقلال Autonomie المستشارين المالى والقضائى فيما يتعلق بمكتبيهما ضمن حدود القوانين واللوائح

٨ — تقبل الحكومة المصرية نص البند الثالث من المذكرة الثانية التى أرسلت إلى سلف دولتكم بتاريخ ٢٢ نوفمبر الماضى

وإنى أغتنم هذه الفرصة لأجدد لدولتكم فائق احترامى

القاهرة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الامضاء : اللنبى فلد مارشال : المندوب السامى

— ٢ —

إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى البريطانى

« ياصاحب الفخامة :

اتشرف باحاطة فخامتكم علما بأنى تسلمت المذكرة التى تكرمتم بارسالها إلى فى هذا اليوم وذكرتم فيها المطالب الثمانية التى علقت حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية إخلاء جمرك الأسكندرية على قبول الحكومة المصرية لها

واتشرف بأن أخبر فخامتكم بأن مجلس الوزراء قد فوضنى فى إبلاغ فخامتكم أن الحكومة المصرية قبلت هذه الشروط بأكملها بدون قيد مذعنة فى ذلك إلى حكم الضرورة ومدفوعة بالرغبة الأكيدة فى المسالمة وحق التفاهم

وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق احترامى

القاهرة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ رئيس مجلس الوزراء ، الامضاء : أحمد زيور

— ٣ —

إلى حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا رئيس مجلس الوزراء

« عزيزى الرئيس

رغبة فى اجتناب كل تفسير يؤدى إلى تجاوز الغرض الذى ترمى اليه الفقرتان ٦ و ٧ من مذكرة حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى المؤرخة فى هذا اليوم بشأن سلطة المستشارين المالى والقضائى، أتشرف بأن أعطى دولتكم الايضاحات الآتية :

تأمل حكومة حضرة صاحب الجلالة أن تراعى الحكومة المصرية بتمام الاعتبار وبروح المودة ، فى علاقاتها ذات الصفة شبه السياسية مع هذين المستشارين ، كل رأى يبديه أحد هذين الموظفين ضمن حدود اختصاصاته . وعلى أنه من المفهوم أن لا يكون لسلطتهما أى مساس بما على الوزارة من المسئولية الدستورية

ومن البدهى أنه لايجوز أن يترتب على هذه الايضاحات مايضر بالتحفظات ذات الصبغة السياسية والصبغة العامة التى سبق أن أبدتها حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية

وتفضلوا ياعزيزى الرئيس بقبول مزيد التحيات

القاهرة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الامضاء « كلارك كار »

— ٤ —

«الى جناب المستر كلارك كار المستشار بدار المندوب السامى

عزيزى المستر كار :

تسلمت كتابكم المؤرخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الذى تكرتم بأن أعطيتمونى فيه التصريحات الآتية اجتنابا لكل تفسير يؤدى إلى تجاوز الغرض الذى ترمى اليه الفقرتان ٦ و٨ من مذكرة حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى المؤرخة فى ذات اليوم فيما يتعلق بسلطة المستشارين المالى والقضائى

« تأمل حكومة حضرة صاحب الجلالة أن تراعى الحكومة المصرية بتمام الاعتبار وبروح المودة ، فى علاقاتها ذات الصفة شبه السياسية مع هذين المستشارين كل رأى يبديه أحد هذين الموظفين ضمن حدود اختصاصاته . على أنه من المفهوم أن لايكون لسلطتهما أى مساس بما على الوزراء من المسئولية الدستورية .

«ومن البدهى أنه لايجوز أن يترتب على هذه الايضاحات مايضر بالتحفظات ذات الصبغة السياسية والصبغة العامة التى سبق أن أبدتها حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية . وقد أحطت علما بهذه الايضاحات واثبتها

وتفضلوا ياعزيزى المستر كار بقبول مزيد التحيات رئيس مجلس الوزراء

القاهرة فى أول ديسمبر سنة ١٩٢٤ الامضاء : احمد زيور »

القبض على الجناة فى مقتل السردار

وقد ألقى القبض على كل من : عبد الفتاح عنايت الطالب بمدرسة الحقوق وعبد الحميد عنايت الطالب بمدرسة المعلمين العليا وابراهيم موسى الخراط بالعنابر ومحمود راشد افندى المهندس بالتنظيم وعلى ابراهيم محمد البراد بالعنابر وراغب حسن النجار بمصلحة تلغرافات الحكومة وشفيق منصور أفندى المحامى ومحمود احمد اسماعيل الكاتب بوزارة الاوقاف ومحمود صالح سواق سيارة أجرة . متهمين بالتآمر على قتل السردار . وأحيلوا إلى محكمة جنايات مصر برياسة أحمد عرفان باشا

وقد صدر الحكم فى الساعة العاشرة من صباح يوم الاحد ٧ يونيه سنة ١٩٢٥ وهو يقضى باعدام المتهمين الثمانية وبحبس محمود صالح سائق السيارة التى فرفيها الجناة بعد ارتكابه الجريمة سنتين مع احتساب مدة الحبس الاحتياطى وكانت تزيد على ستة أشهر . وكان يمثل النيابة سعادة محمد طاهر نور باشا النائب العام يومئذ ووكيل الحقانية اليوم وقد أبدلت الاشغال الشاقة المؤبدة من حكم الاعدام بمرسوم ملكى بالنسبة لعبد الفتاح عنايت ولا يزال إلى اليوم فى تنفيذ العقوبة ورفضت محكمة النقض الطعن فى الحكم

الفصل التاسع عشر

جمعية اللواء الأبيض

قلنا إن حوادث مصر فى سنة ١٩١٩ وما تلاها وفى ضمن ذلك مفاوضات ملنر والخلاف بين الزعيم سعد والمغفور له عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ ومفاوضات كرزون كان لها صدى فى السودان ، وبينا أسباب ذلك ، وقد وجدت هذه الحوادث فى بيئة الشبان الموظفين السودانيين نفوسا مستعدة لمشايعة الحركة الوطنية المصرية ، والهتاف معها بحياة الملك فؤاد وسعد باشا والوفد والاستقلال التام لمصر والسودان . على أنهم قد رأوا أن هذه المشايعة القلبية غير كافية . ومن ثم اتجهوا إلى تكوين هيئة ذات برنامج . وكان ذلك بتأليف جمعية اللواء الأبيض ، التى ظهر نشاطها ووجودها مع نشاط مصر بتأليف الوزارة السعدية واجتماع البرلمان المصرى سنة ١٩٢٤ ودعوة وزارة العمال الانجليزية الأولى سعداً للمفاوضة

وقد أنشئت الجمعية . وتألفت الهيئة التنفيذية للجمعية برياسة الملازم أول على عبد اللطيف وسكرتيرية المرحوم عبيد الحاج الأمين مترجم سابق بمصلحة السجون السودانية بالخرطوم ، وعضوية صالح عبد القادر وحسن شريف وحسن صالح الموظفين يومئذ بمصلحة البوستة والتلغراف بالخرطوم

ومن أعضاء آخرين منهم المرحوم المهندس السودانى محمد سر الختم بالرى المصرى بالخرطوم ، وعلى ملاسى ووهبة إبراهيم الموظفين بالبوسته والتلغراف ، وعبيد صالح إدريس بالجمارك والشيخ عمر دفع الله التاجر بأم درمان ومحمد المهدى الخليفة نجل التعايشى وعرفات محمد عبد الله وعثمان محمد هاشم . .

وهناك أعضاء سريون خفيت أسماؤهم وكان أكثرهم من موظفى الحكومة السودانية . وقد وضعوا برنامجا لجمعيتهم ، ويتلخص فى المجاهرة بتأييد المصريين فى موقفهم بطلب الاستقلال التام لمصر والسودان

وأنشئت فروع للجمعية فى بور سودان ، والأبيض ، وواد مدنى وعواصم أخرى . وكان القصد من تأليف الجمعية وحركتها معارضة حركة أخرى ظهرت

فى السودان لتوقيع عرائض ضد المصريين وبطلب فصل السودان عن مصر . وقد جمعت الجمعية عرائض ثقة بتأييد المصريين وأرسلت العرائض إلى القاهرة مع الملازم أول زين العابدين عبد التام ومحمد المهدى الخليفة . ولكن الحكومة قبضت عليهما فى حلفا فى أثناء سفرهما إلى القاهرة وأعادتهما إلى الخرطوم ، أما العرائض فقد تمكنا من تسليمها إلى موظف مصرى كان يرافقهما . وكان ذلك تأييدا لسعد باشا لمناسبة اقتراب مفاوضاته وكان من مظاهر نشاط الجمعية احتجاجات فى الجرائد المصرية والانكليزية على الحكومة السودانية . وانشئت فروع للجمعية فى العطبرة وحلفا وبور سودان ومروى وواد مدنى . وقد جهدت الحكومة السودانية عندئذ فى منع هذه الحركة ، فعمدت إلى نقل أعضائها ، وهم من الموظفين بها إلى جهات بعيدا عن الخرطوم

بعد ذلك أخذت الجمعية تجاهر بنشاطها ، فوزعت منشورات ونظمت مظاهرات هتفت بحياة سعد باشا وبنداءات أخرى . فقبضت الحكومة على المتظاهرين وحاكمتهم وأصدرت المحكمة الجنائية بالخرطوم أحكاما مختلفة منها سجن « على عبداللطيف » لمدة ثلاث سنوات بتهمة التحريض على المظاهرات وبسجن الآخرين لمدة ستة أشهر بتهمة التظاهر . وذلك فى شهر يوليو سنة ١٩٢٤

وفى بور سودان حدثت مظاهرات وحكم على قائدى المظاهرة وهم على ملاسى ، بالسجن لمدة ست سنوات لالقائه خطابا باللغة الهدندوية واللغة العربية واتهم بالتحريض على المظاهرات والعصيان وحكم بحبس كل من وهبة ابراهيم « من أقباط السودان » بمصلحة البوستة - ، ومحمد عبد المنعم زايد بالسكة الحديد ، وأحمد صبرى زايد بالجمارك « وهما مصريان ولدا فى السودان » ، وعبيد صالح إدريس بالجمارك وقبض على صالح عبد القادر وكيل جمعية اللواء الابيض ببور سودان

تنبهت الحكومة إلى حركة الجمعية ونشاطها ، وبثت العيون والارصاد لمنع استفحال أمرها . ومن ذلك القبض على أعضاء الجمعية البارزين وسجنهم ومحاكمتهم بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم . وذلك فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٤

عصيان طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم

كان عدد طلبة المدرسة الحربية السودانية بالخرطوم ٦٠ طالبا وكان قومندان المدرسة البكباشى بيز واليوزباشى حسن حسنى الزيدى « مصرى » - الآن قائمقام

وقومندان الأورطة الثامنة - والمدرسون عبد الرحمن فهمى وابراهيم شعبان وهما مصريان والملازم أول ابراهيم محمد حسن وهو ضابط « سودانى » .

فى الساعة السابعة صباحاً يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٢٤ خرج طلبة المدرسة فى مظاهرة عسكرية مسلحة وطافوا بثكنات الجيش المصرى بالخرطوم هاتفين بحياة الملك فؤاد وسعد باشا وعلى عبد اللطيف .

وعند ما علمت الحكومة بأمر المظاهرة ، صدرت الأوامر إلى الأورطة الانجليزية المعسكرة فى الخرطوم ، بمحاصرة المدرسة والاستيلاء على الجبخانة .

فلما عاد الطلبة إلى المدرسة الساعة الحادية عشرة صباحا أمرهم اللواء مكاون باشا قومندان قسم الخرطوم بتسليم أسلحتهم . فأبوا تسليمها . وتوسط آباؤهم فحملوهم على تسليم السلاح . فسلموه وقبضت الحكومة على ستة طلبة اتهموا بقيادة المظاهرة والتحريض عليها وأودعوا سجن ثكنات الجيش المصرى ، حيث كانت الأورطة الرابعة منه معسكرة بالخرطوم

وقبض على سبعة من تلامذة الصفوف وأودعوا سجن قسم الأشغال العسكرية بالخرطوم بحرى . وصدرت الأوامر لبقية الطلبة بالعودة إلى دروسهم . ولكنهم لم يذعنوا . وشرطوا لعودتهم ، الافراج عن زملائهم . ودخلوا بالمدرسة ولكنهم استمروا مضربين عن تلقى دروسهم . وكانوا ينادون بهتافات مختلفة . واستمر الحال على هذا النحو عشرين يوما ، ثم نقلوا إلى باخرتين نيليتين أمام كلية غوردون رستا فى وسط النهر بعيداً من الشاطىء تحت حراسة بولوك من الأورطة الثالثة المصرية حتى أواسط سبتمبر . ثم أودعوا السجن العمومى بالخرطوم بحرى . وأفرج عن بعضهم بغير محاكمة وحكم على الباقين كل بالسجن لمدة ست سنوات فى يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٤

الهياج فى السجن فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤

وفى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ حصل هياج فى السجن ، ذلك أن طلبة الحربية أودعوا سجن « كوبر » بالخرطوم مع المعتقلين السياسيين والعاديين . وقد طبقت عليهم لائحة السجون ، ومنها اعطاؤهم طعام السجن وخبزه فأضرب الطلبة عن ذلك الطعام وطلبوا أن يقدم اليهم طعام مدرستهم كما كان الحال فى اثناء اعتقالهم فى السفن وقبل الحكم عليهم . فرفضت إدارة السجن طلبهم . وكانت الاغلال محكمة

فى أرجلهم وأرجل المعتقلين السياسيين . وقد حاولت ادارة السجن أن تضع الاغلال فى أيدى الطلبة الحربيين علاوة على أرجلهم عقابا لهم على عدم اذعانهم للائحة السجن فهاجوا وتمردوا وكسروا الأبواب وهى من الخشب ، بواسطة الجرادل الموضوعة فى الزنزانات للشرب ولقضاء الحاجة وكان ذلك صباحا عقب اغتيال السير لى ستاك بالقاهرة . فلما تسامع المعتقلون السياسيون الخبر وسمعوا الصياح فعلوا مثلهم وانضموا إليهم . وخرج الجميع هاتفين متظاهرين فى ساحة السجن . فاغلق حراس السجن ابواب السجن الخارجية وانتشروا فى أعلى السور وحضرت قوة من الجيش الانجليزى حاصرت السجن وكسر المسجونون السلاسل والأغلال وورش السجن واستولوا على أقمشة السجن واستعملوه فى اللباس وفى غطاء الرأس وفى الالتحاف . والتجأوا فى اعداد اطعامهم الى مخزن علف البهائم وصنعوا من ذرته بليلة كانت غذاءهم لمدة تسعة أيام . وكان الطلبة المسجونون يتصلون بجنود الجيش المصرى وضباطه الذين كانت ثكناتهم على مقربة من السجن ، بواسطة اشارات الرايات العسكرية وكانوا يعلمون اخبار المدينة بهذه الطريقة كما كان يعلم الجيش المصرى أخبار المسجونين ، وقد صادرت القوة الانجليزية عربة كانت مرسلة من الضباط المصريين الى المسجونين وكانت تحمل اليهم صنوف الغذاء . وقد يئس المسجونون عند ماعلموا بمقتل السردار وأمر الجيش المصرى باخلاء مواقعه والعودة إلى مصر ، وتنفيذ الأمر ، فاذعنوا وصاروا مكبلين بالاصفاد فى أيديهم وأرجلهم ثم نقل من بينهم عشرين مسجونا الى ثكنات الجيش الانكليزى بالخرطوم وهم الذين عدوا زعماء للثائرين ، الذين كان عددهم ٨٠ مسجونا سياسيا مضافا إلى ٥٨ طلبة المدرسة الحربية و ١٣٧ من المسجونين العاديين المحكوم عليهم بعقوبات لارتكابهم جنايات

وكان تمرد الطلبة فى السجن يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤

وحاصر البوليس السجن . وانضم المسجونون السياسيون الآخرون والمسجونون العاديون إلى الطلبة . وعلموا يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٤ فقط بمقتل السردار وبالأمر الذى صدر بسحب الجيش المصرى من السودان ، وذلك عند ماشاهدوا الجنود المصرية تركب القطار إلى مصر وتخلى المواقع . وقد حاصر الجيش الانجليزى السجن .

وفى فبراير حوكم المتهمون على حادثة السجن واتهموا بمحاولة قلب النظام المقرر شرعا . وحكم عليهم بعقوبات مختلفة أقلها السجن لمدة تسعة أشهر مع الاشغال الشاقة كنقل المواد البرازية والأتربة

هدأت الحالة فى السودان عقب ذلك ، وأخذت الحكومة السودانية تفرج عن المسجونين قبل انتهاء المدد فى مناسبات

وحوكموا على تمردهم داخل السجن وصدرت الأحكام عليهم فى ٣٠ فبراير سنة ١٩٢٥ بسجن محمد المهدى خليفة ٧ سنوات وعبيد الحاج الأمين بست سنوات وبسجن ستة آخرين بينهم ثلاث طلبة لمدة خمس سنوات وتراوحت الأحكام الأخرى بين ٣ سنوات و ٩ شهور .

قضية المؤامرة الكبرى

محاكمة أعضاء اللواء الأبيض والمتظاهرين

حوكم أعضاء جمعية اللواء الابيض وآخرون بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم وحكم بسجن على عبد اللطيف لمدة سبع سنوات مضافة الى ثلاث سنوات سبق الحكم بها عليه فى يوليو سنة ١٩٢٤ ، وبقية الأعضاء بين الحبس لمدة ثلاث سنوات وستة شهور ، بينهم خمسة مصريون ، حكم بحبس أحدهم أحمد أمين مترجم الأورطة التاسعة السودانية لمدة سبع سنوات ، وبحبس أحمد المليجى وحامد عوضين سعفان وأحمد المنياوى وأحمد نجيب بمدد أخرى . وقد قضى أحمد أمين خمس سنوات فى سجن الخرطوم بحرى . وأما الباقون فأبعدوا الى مصر عقب الحكم عليهم بنحو شهر . واكثرهم الآن موظفون بالحكومة المصرية .

مظاهرات الاورط السودانية

قامت الاورطة السودانية الثانية عشرة المعسكرية فى ملاكال فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ بمظاهرة سلمية غير مسلحة وهتفت بحياة الملك فؤاد وسعد باشا وبسقوط الظلم فنقلت ونقل من الملاكال أربعة ضباط وهم الملازمون الثانون على البناو محمود الثدى «سودانيان» وعزيز حيدر وعبد العزيز شريف وهما «مصريان»

وفى ١٥ ديسمبر حدث فى الاورطه الثالثة عشرة السودانية فى «واو» أن احتج الضباط السودانيون والمصريون بالأورطة على عدم إقامة العلم المصرى الأخضر الجديد بدلا من العلم الاحمر السابق . فنقل هؤلاء الضباط الى جهات مختلفة فى السودان ومصر وأنزل أحمد فوزى من ملازم أول الى ملازم ثانى ووبخ محمود رأفت

الأورطة العاشرة السودانية فى تالودى (النوبة)

صدرت الأوامر للضباط المصريين فى الأورطة العاشرة السودانية بالسفر إلى مصر فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وبتسليم السلاح . فأبوا تسليمه وعصت الأورطة أوامر الضباط الانجليز . ورافق الضباط السودانيون الضباط المصريين فى سفرهم إلى مصر . ولكن أعيد السودانيون عند اسوان إلى السودان .

وظل الموقف حرجا بين ٢٤ نوفمبر حتى ٢٨ نوفمبر حيث وصلت جنود سودانية من الأبيض فاحتلت المعسكر وسافر الضباط المصريون إلى مصر

الأورطة الحادية عشرة

منذ شهر يوليو سنة ١٩٢٤ ندب كثير من الضباط السودانيون من أورطهم للخدمة فى الخرطوم وأم درمان . وعند صدور الأمر للجيش المصرى بالانسحاب من السودان ، أظهر الضباط السودانيون رغبتهم فى مرافقة المصريين فى سفرهم إلى مصر . واجتمع جنود سودانيون مع ضباطهم السودانيين وهم المرحوم الملازم أول سليمان محمد والمرحوم الملازم الأول عبد الفضيل ألماظ ، والملازم الثانى المرحوم حسن فضل المولى والملازم الثانى على البنا والمرحوم الملازم الثانى ثابت عبد الرحيم والملازم السيد فرح وكانوا بولكا ، أى ١٢٠ جنديا وست ضباط وفى أثناء مسيرهم فى شارع غوردون ومعهم سلاحهم للانضمام إلى الجيش المصرى بالخرطوم بحرى ، تصدى لهم الجيش الانجليزى عند المستشفى العسكرى بشارع غوردون بالقرب من كوبرى النيل الأزرق . وأمر قومندان قسم الخرطوم الجنود بالعودة . فلم يذعنوا . فأطلق الجيش الانجليزى الرصاص على الجنود السودانيين للتهديد . فرد البلوك السودانى . وبقيت الحركة ٢٤ ساعة . ومات الضابط عبد الفضيل ألماظ . وهرب بعض الجنود إلى بلادهم بجبال النوبة . وقبض على الآخرين وأفرج عنهم . أما الباقى فحكم على خمسة منهم وهم سليمان محمد وحسن فضل المولى وثابت عبد الرحيم وعلى البنا بالاعدام ، نفذ الحكم على الثلاثة الأولين ، واستبدل الحكم بالنسبة لعلى البنا بالسجن لمدة ١٥ سنة .

واختفى الضابط السيد فرح وأفرج عن حضرة على البنا افندى ووصل فى هذا العام الى القاهرة ، وقد تقرر تعيينه فى وظيفة كتابية فى مصلحة الأملاك الأميرية

بمصر بعد سجنه لمدة عشر سنوات ، قضى منها خمسة فى سجن الخرطوم ، وخمسة فى سجن واو ، وكان بسجن واو على عبد اللطيف وعبيد الحاج الأمين ، الذى توفى فى ٥ يوليو سنة ١٩٣٢ متأثراً بالحمى السوداء ، ومحمد المهدى خليفة أفرج عنه سنة ١٩٣٥ ، ومحمد عبد النجيت قضى سنة ونصف فى واو ، وأفرج عنه سنة ١٩٣١ ، أما على عبد اللطيف فقد مرض بقواه العقلية وهو الآن فى سجن المجاذيب

جمعية الاتحاد السودانى

أنشئت فى أغسطس سنة ١٩٢٤ جمعية الاتحاد السودانى برياسة أحمد أمين المصرى المترجم وأعضاء من الضباط السودانيين بالمعاشات والخدمة ومحمد أحمد راشد مترجم « مصرى » ، كان يطبع المنشورات . وتألفت هذه الجمعية بعد القبض على أعضاء جمعية اللواء الأبيض . وقد حكم على أحمد أمين بالحبس سبع سنوات وبسجن محمد أحمد راشد لمدة سنتين ، وقد أفرج عنه بعد شهرين

ولقد وجه مستر لالسبورى ، العضو فى البرلمان الانكليزى ، إلى وزير الخارجية البريطانية فى مجلس النواب البريطانى السؤال الآتى يوم ١٨ مارس سنة ١٩٢٥ :

« كم عدد الأشخاص الذى اعتقلتهم السلطة البريطانية فى السودان فى الأشهر الستة الماضية بتهم سياسية ؟ وكم عدد الذين أخرجوا من السودان ، وما هى التهم التى اتهموا بها ؟ وهل من بينهم موظفون فى الحكومة ؟ وهل يريد الوزير أن ينشر أسماء الموظفين الذين أبعدوا والذين اعتقلوا ونوع التهم الموجهة إليهم ؟ »

فأجابه مستر تشمبرلن وزير الخارجية بما يلى :

« قبض على أربعة وتسعين شخصاً بتهم تعاقب عليها قوانين السودان منذ وقعت اضطرابات شهر أغسطس الماضى « أى فى سنة ١٩٢٤ » . وكانت للتهم علاقة بهذه الاضطرابات . وأعيد إلى مصر ، فى المدة ذاتها ، مائة وخمسة وعشرون شخصاً كانوا جميعهم تقريباً موظفين فى حكومة السودان . وسبب إعادتهم هو أن وجودهم فى السودان كان خطراً على الراحة العامة . وقد سويت علاقاتهم وفاقا لشروط خدمتهم فنالوا ما يستحقونه من المعاشات أو المكافآت كما لو كانوا قد انقطعوا عن العمل بسبب المرض . ولكنهم لو حكم عليهم فى محكمة تأديب أو محكمة نظامية لما نالوا شيئاً »

« وليس لدى المعلومات المطلوبة فى القسم الأخير من السؤال »

الفصل العشرون

الجيش المصرى

١ — فى عهد محمد على

لم تعرف مصر فى عهدها الحديث جيشاً نظامياً يحمل اسم مصر إلا منذ عناية محمد على الكبير بتأليف جيش مصرى منظم تنظيما جديداً . وقد أخذ يسعى لذلك منذ سنة ١٨٢٠ وكان جيش محمد على قبل ذلك « باشبوزق » أى جنود غير نظاميين . وقد حاول محمد على قبل سنة ١٨٢٠ تدريب جيش منظم فلم يفلح . لأن الجنود تمردوا .

ولقد كان بالجيش المصرى أرناؤود وأتراك وكان الضباط منهم ومن الجراكسة وكان المنظمون فرنسيين . أنشأ محمد على المدرسة الحربية الأولى فى أسوان سنة ١٨٢٠ ، وجعل الكولونيل سيف (١) مديراً لها ، وأرسل اليه مماليك وبلغ عدد التلاميذ ألف دربهم فصاروا بعد ثلاث سنوات ضباطاً نظاميين . بعد أن حاولوا التمرد فى أثناء تعليمهم . واتجه محمد على إلى تجنيد السودانيين ، ففتح السودان ودرب عشرين منهم فى بنى عدى « المعروفة الآن باسم بنى عديات - مركز منفلوط - وهى بلد المؤلف » - فدربوا هناك ولم تنجح التجربة مع السودانيين فقد أصابهم الموتان لعدم موافقة الجو لهم . فاتجه محمد على إلى تجنيد المصريين . وتألفت سنة ١٨٢٣ الأورط الست الأولى وكان الضباط المماليك المتخرجون من مدرسة أسوان ضباطاً لها . ثم أنشأ معسكراً عاما فى الخانكة كان به حوالى ٢٥ ألفا من الجنود النظاميين، وانشىء المستشفى العسكرى فى أبى زعبل ثم مدرسة الطب ثم المدرسة الحربية للمشاة . وانشئت سنة ١٨٢٥ مدرسة اعدادية للتعليم الحربى بقصر العينى وطلبتها ٥٠٠ يلتحقون بعد تخرجهم بالمدارس الحربية والبحرية : ومدرسة المشاة بالخانكة ثم بدمياط ثم فى

(١) الكولونيل سيف Seves ضابط فرنسى ولد فى ليون ١٧٨٧ ووصل فى جيش نابليون الى رتبة كولونيل . وقد حضر الى مصر وعهد إليه محمد على بتنظيم الجيش واعتنق الاسلام وسمى نفسه سليمان ونال الباشوية سنة ١٨٣٤ وعين رئيساً للجهادية حتى مات سنة ١٨٦٠ . وله تمثال فى ميدان سليمان بالقاهرة

أبى زعبل ومدرسة الفرسان بالجيزة . ومدرسة المدفعية بطرة . ومدرسة أركان الحرب بالخانكة . ومدرسة الموسيقى العسكرية . والمدرسة البحرية بالاسكندرية . ومصانع الأسلحة والمدافع بالقلعة . ومعمل صب المدافع بمصانع الترسانة . ومخازن البارود والقنابل فى سفح المقطم . وأنشأ بالحوض المرصود بالقاهرة معمل البنادق سنة ١٨٣١ لصنع البنادق ومعمل البارود فى المقياس بالروضة . وأصبحت معامل البارود ستة فى القاهرة ، والبدرشين ، والأشمونين ، والفيوم . وأهناس ، والطرانة

وكانت ملابس الجنود بسيطة تتألف من الطربوش الأحمر ، وصدار ، وبنطلون « سروال واسع يشد بتكة عند الوسط ويربط على الركبة برباط الساق « القلشين » ويتمنطق الجنود على خواصرهم بحزام ، وملابس الشتاء من الجوخ ، وفى الصيف من القطن السميك ، ويلبس الفرسان والطوبجية والحرس صدارا أزرق وغيرهم صدارا أحمر . أما ملابس الصيف لأسلحة الجيش كلها فهى بيضاء ، ويلبسون « مراكيب » ولا يختلف لباس الضباط عن لباس الجنود إلا فى نوع الجوخ والتطريز واللون الأحمر ، وكان الجندى يتناول ١٥ قرشا فى الشهر والأنباشى ٢٥ والجاويش ٣٠ والباشجاويش ٤٠ والصول ٦٠ والملازم الثانى ٢٥٠ والملازم الأول ٣٥٠ قرشا واليوزباشى ٥٠٠ والصاغ ١٫٢٠٠ والبكباشى ٢٫٥٠٠ والقائمقام ٣٫٠٠٠ والميرالاى ٧٠٠٠ والمير لواء ١١٫٠٠٠ قرشا والمير ميران ١٢٫٥٠٠

وأنشأ محمد على ديوان الجهادية « وزارة الحربية » وكان نظام الجيش المصرى وفق نظام الجيش الفرنسى وأنشأ الطوابى والحصون الكثيرة . وبلغ الجيش فى أول حكم محمد على عشرين الفا « غير نظاميين » . وفى سنة ١٨٣٣ بلغ ١٩٤٫٠٣٢ منهم ٢٥٫١٤٣ بحريين بحسب ما ورد فى كتاب البارون بوالكونت (١) و ١٥٩٫٣٠٠ بحسب احصاء مسيو مانجان

وبلغ عدد الجيش فى سنة ١٨٣٩ — ٢٣٥٫٨٨٠ من جنود نظامية وغيرها وطلبة وعمال ملحقين بالجيش — وقد وردهذا الاحصاء فى كتاب الدكتور كلوت بك « لمحة عامة إلى مصر » . كان من ذلك فى السودان ١١٫٥٦٠

واهتم محمد على بالأسطول منذ سنة ١٨١٠ . وقد أحصى مانجان قطعه فبلغت ٢٨ سفينة حربية منها ١٠ بوارج كبيرة و٦ فرقاطات وأربع سفن كورفيت وأربع « ابريق »

(١) Baron Boislecomte ندبته حكومته الفرنسية فى مهمة سياسية لدى محمد على وقد ورد فى كتابه « مهمة البارون بوالكونت » أنه تلقى هذا الاحصاء من محمد على

وأربع أخرى وأحصى كلوت بك العدد سنة ١٨٤٠ فبلغ ٣٢ قطعة وذكر اسماعيل سرهنك باشا فى كتابه إحصاء سنة ١٨٤٣ ، فبلغ العدد ٣٦ قطعة

الجيش فى عهد اسماعيل

بلغ عدده ٨٩٫٠٨٨ حسب إحصاء اسماعيل سرهنك باشا فى كتابه يضاف اليه ٣٠ الفا فى السودان

فى عهد توفيق

ثم قيدت الحكومة العثمانية عدد الجيش بعد عهد اسماعيل بمقدار ١٨ ألف جندى وقامت الثورة العرابية احتجاجا على معاملة الضباط الشراكسة والغى الانجليز جيش عرابى ثم انشىء جيش جديد ، وقد أرسلت فلول جيش عرابى مع حملة هكس .

بعد الاحتلال الانجليزى

ودرب الجيش المصرى من جديد فى عهد الاحتلال بقيادة جرانفيل باشا وكتشنر باشا ثم ونجت باشا

الضباط السودانيون

رقى اللورد كتشنر الممتازين من الجنود السودانيين الشبان بالجيش المصرى ضباطا بعد استعادة السودان ، ثم أدخل ابناء الجنود الممتازين المتقدمين فى السن المدرسة الحربية بالعباسية ثم أنشئت المدرسة الحربية بالخرطوم فى مايو سنة ١٩٠٥ وتخرج منها ضباط سودانيون ، واغلقت سنة ١٩٢٤ بسبب حوادث تلك السنة

أما الآن فيرقى الضباط من تحت السلاح فى قوة الدفاع عن السودان . وفى هذا العام رؤى اختيار بعض خريجى كلية غوردون ليتعلموا الفنون العسكرية لمدة سنتين ونصف فى فرق قوة الدفاع ، كجنود ثم يرقون إلى رتبة الملازم الثانى

وقد أنشئت كلية غردون سنة ١٩٠٣ ، وأنشئت بعدها المدرسة الحربية فى السودان سنة ١٩٠٥ ، وكان التعليم فيها مجانيا مع دفع مرتبات للطلبة ، وكان الغرض من انشائها تخريج ضباط سودانيين يعينون فى الاورط السودانية التى تؤلف جزءا من الجيش المصرى ، الذى كانت الحكومة المصرية تدفع مرتباته ونفقاته لكل من كانوا به من ضباط انجليز ومصريين وسودانيين ، وجنود مصرية وسودانية

وقبل انشاء المدرسة الحربية ، ألحق كتشنر باشا بعض الطلبة السودانيين بالمدرسة الحربية بالقاهرة ، وبتخرجهم منها ، وبتخرج زملائهم من بعدهم فى المدرسة الحربية السودانية بالخرطوم أخذ عدد الضباط السودانيين فى الاورط السودانية فى الازدياد حتى أصبح أكثر ضباطها من السودانيين تقريبا وقوادها من الانجليز وباقى الضباط بين مصريين وبريطانيين

ومما هو جدير بالذكر أن جنود الأورط السودانية كانت لا تستطيع الحياة العسكرية بغير وجود نسائهم معهم ولذلك كان بجانب معسكر الجنود السودانيين يقوم معسكر لنسائهم . وتعين فيه قوموندانة هى زوجة لقوموندان معسكر الرجال ويأخذن تعيينا كما يأخذ الجيش نفسه ، وهن يتبعن رجالهن فى المعارك ويحضرن الطعام لهم ويرغدن احتفاء بهم ، ويمتزن بالشجاعة ويتباهين بالأبطال الشجعان من أزواجهن ويحتقرن الأزواج الجبناء

حادث سحب الجيش المصرى

كانت الأورط المصرية فى سنة ١٩٢٤ ترابط بين حلفا والخرطوم وكسلا ، بينما كانت الأورط السودانية تعسكر فى أعالى النيل وعند بحر الغزال وسنار ومنجلا .

وكان للجيش المصرى بالخرطوم أورطتان من البيادة وهما الرابعة وقومندانها القائمقام محمد يحيى بك «باشا» والأورطة الثالثة بالخرطوم بحرى وقومندانها القائمقام عثمان صدقى بك ، والطوبجية وهى مؤلفة من أربع بطاريات وضباطها مصريون وقائدها الميرالاى أحمد رفعت بك ، ومن قسم الأشغال العسكرية وعدد جنوده حوالى ٩٠٠ .

وكان توزيع الجيش المصرى بما فيه من الاورط السودانية كما يلى :

فى الخرطوم - الاورطة الرابعة المصرية ، وقسم الاشغال العسكرية ، والحملة القبلية « مصرية وسودانية » ، وهى مؤلفة من ٤ بلوكات . وموسيقى البيادة السودانية ، والمدرسة الحربية ومدرسة ضرب النار « سودانيه مصرية » بها ضابطان بريطانيان وضابطان مصريان وضابطان سودانيان ، والقسم الطبى والقسم البيطرى ومدرسة الاشارة .

فى الخرطوم بحرى - الاورطة الثالثة المصرية . والحملة الميكانيكية . والطوبجية المصرية مؤلفة من ٤ بطاريات وبلوكين محافظة وقسم الأسلحة والمهمات ، وقسم

الأشغال والأورطة ١٢ سودانية بالملاكال و١٣ سودانية فى واو ، و١١ و ١٤ سودانية فى وادمدنى و ١٠ سودانية فى تالودى . وفرقة العرب الشرقية سودانية ومركزها القضارف . والطوبجية المصرية فى كسلا . والهجانة السودانية فى الابيض وفرقة العرب الغربية ومعها طوبجية سودانية ضباطها مصريون فى الفاشر . وفرقة خط الاستواء فى منجلا والبيادة الراكبة والسوارى السودانية فى شندى

وكان اليمين الذى حلفه الضباط المصريون والسودانيون بالولاء لملك مصر ، بينما كان الضباط البريطانيون يحلفون للملك جورج

وكان فى مصر سبع أورط مصرية ، وفى السودان عدا الأورطتين المصريتين ست أورط سودانية - اثنان فى أم درمان وواحدة بالملاكال - وواحدة بواد مدنى وواحدة فى تالودى « النوبة » وواحدة فى واو كما تقدم

وقد وصلت أوامر المندوب السامى البريطانى « اللورد اللنبى » إلى الخرطوم فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ بوجوب إخلائها من الأورط المصرية وعودتها الى مصر

وقد حدد يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ لجلاء الجيش المصرى عن السودان .

وقد نيط بالحامية البريطانية بالخرطوم والأورط السودانية بأم درمان التى كان عليها ضباط بريطانيون وسودانيون تنفيذ هذا الأمر

ولكن الضباط السودانيين لم يقبلوا تنفيذ المهمة

وقال الضباط المصريون بالخرطوم : « لا ننزل من السودان إلى مصر إلا بأمر من ملك مصر ، الذى هو الرئيس الأعلى للجيش المصرى والذى حلفنا له يمين الطاعة . ولذا نرفض الانسحاب ما لم يصل إلينا أمر بالانسحاب من الحكومة المصرية نفسها »

وكان الموقف دقيقا ، وكان وزير الحربية صادق يحيى باشا ، فندب المرحوم الميرالاى محمد أمين هيمن (١) بك فسافر على طائرة إنجليزية من القاهرة إلى الخرطوم يحمل إلى الجيش أمرا بالعودة .

فوصل ومعه الأمر فى منتصف ليلة ٢٧ نوفمبر واستقل الجيش القطار فى صباح يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٤ وعاد الى مصر

---

(١) كان ياورا لونجت باشا فى السودان ، وهو لاب من أصل الباني

الجنود السودانية تؤازر الجيش

وكان فى الخرطوم فى الوقت نفسه نحو بولك من الأورط السودانية . فتجمع جنوده ورجاله وتظاهروا واقتحموا المخازن وأخذوا البيارق ، وقابلهم محافظ الخرطوم وأعلنوا لديه انضمامهم إلى الأورطة الثالثة المصرية . ولم يلبوا دعوته إلى السكينة وقد التقوا فى مسيرهم بنطاق من الجنود البريطانية

وكان الجنرال هدلستون نائبا للسردار فأنذرهم بأن يعودوا وأن ينفضوا ، فرفضوا ، فأمر باطلاق النار عليهم ، فردوا على القوة عند الاسبتالية العسكرية وقتلوا بعض الجنود الانجليزية وتحصنوا فى الاسبتالية ثم أخذوا يهربون منها ليلا

وقد حاولت جماعات من الاورط السودانية اقتحام الكوردون فلم تفلح

وقد قبلت الأورطة الرابعة المصرية فى ٢٤ و ٢٥ نوفمبر وكانت معسكرة بالخرطوم نفسها السفر إلى مصر عن طريق بور سودان ، وسافرت فعلا من غير مقاومة أو معارضة

أما الاورطة الثالثة والطوبجية بالخرطوم فقد أبت الاذعان لأمر نائب الحاكم العام للسودان . حتى وصل إليها الأمر المشار إليه فسافرت صباح يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٤ من الخرطوم بالسكة الحديد

كان من نتيجة ذلك كله :

١ ــ خروج الجيش المصرى كله من السودان وعدم عودته إلى الآن

٢ ــ اغلاق المدرسة الحربية السودانية بالخرطوم

٣ ــ حل الأورط السودانية التى تقدم الكلام عليها وإحالة الضباط السودانيين إلى المعاش

٤ ــ تأليف قوة الدفاع .

الأورط السودانية

تألفت فى الجيش المصرى بقيادة كتشنر باشا الأورط السودانية هى الأورط ٩و١٠ و ١١ و١٢ و١٣و١٤ وكانت كثرتهم فى بداية الأمر من العبيد « الشلوك والدنكا » جندهم اللورد كتشنر وكانوا مع الدراويش وكان منهم جنود فى مصر وكان واجبا أن يكون الضابط الوطنى فى خط الاستواء زنجيا ، وفى فرقة العرب الشرقية مصريا أو سودانيا عربيا . أما فى فرقة العرب الغربية فلا شرط

وكان مجموع ضباط الجيش ٧٦٣ ضابطا و ١٧٦٠٩ جنديا عند فتح السودان

الخدمة السرية

الخدمة السرية هو فرع من فروع الاستخبارات عند الحكومات جميعا من أجل جيوشها وأساطيلها . ومهمته جمع المعلومات المفيدة للدولة . وقد يستخدم مكتب الخدمة السرية الجواسيس والرجال والنساء والغلمان ، للوقوف على الاختراعات الحربية الجديدة ، أو أسرار العدو ، والوثائق والرسوم والخارطات وبيانات عن الجيوش والذخائر والحصون والمعاقل ، ويحتمل موظفو المكتب عناء ويتعرضون الأخطار ومفاجآت .

ويوجد مكتب آخر مهمته مقاومة التجسس الذى ينظمه العدو فى دواوين الحكومة وفى مراكز الجيش والبوليس والأندية والفنادق والثكنات

ادارة الاستخبارات الحربية

مهمتها الوقوف على نيات العدو وأخباره ومواقعه ونظمه وعدد قواته وأسلحته وموارده وأخلاق قواده وضباطه وجنوده وروح جيش العدو المعنوية

قال فردريك الكبير ملك بروسيا : « اذا تمكنا دائما من الوقوف على خطط العدو قبل شروعه فى تنفيذها فاننا نتفوق عليه ولو كان أقوى منا » وقال المارشال فون درغولتز . « أليس لدى الانسان دليل أقرب الى العقل ، يهتدى به عند اصدار قراراته فى الشؤون الحربية من أعمال العدو المزمعة واجراءاته المحتمل وقوعها »

وتؤخذ المعلومات لادارة الاستخبارات من مطبوعات الحكومة وجرائدها الرسمية متضمنة احصاءات وقرارات وقوانين وكتب الفنيين العسكريين والمؤلفات الاهلية وأخبار الصحف . ومعلومات الجواسيس . والعادة أن الحكومات وخاصة وزارات الحربية — تعد خططا حربية وتضع لها خرطا . ويعمل الجواسيس للحصول على هذه الخرط باى ثمن ولو كانت الحياة نفسها

وتجمع هذه المعلومات فى زمنى السلم والحرب . ومن القواعد المتبعة فى الحرب جمع المعلومات من فرق الاستطلاع والطائرات وأهالى البلاد والفارين والاسرى ، وبالمراصد والتصوير ، وبالوقوف على طبوغرافية الارض وبمعرفة طبيعتها ، وسهولها وحزونها

وكان الامبراطور نابليون يعتمد على ضابط واحد هو الكولونيل ماكليه دالب وكان رجلا مدهشا يستطيع أن يعرف أرقام وحدات العدو وأماكنها وقوادها

وكان قلم مخابرات الجيش المصرى مندمجاً مع وكالة السودان ثم انفصل عنه ، وأنشىء قلم مخابرات خاص للحكومة السودانية فى الخرطوم ثم جعل فى محله إدارة للامن العام

الجيش المصرى بعد انسحابه

أصبح الجيش المصرى بعد سحبه من السودان وبعد إلغاء الأورط السودانية يتألف من ٥٥٠ ضابطاً و ١١٨٠٠ عسكرى تقريبا وتجند العساكر من رعايا الحكومة المنصوص عنهم فى الأمر العالى الصادر فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٠٢ الذين يبلغون من العمر ما بين ١٩ و ٢٧ سنة اللائقين للخدمة العسكرية إلا اذا صار اعفاؤهم منها بسبب من الأسباب الموضحة فى الأمر العالى المذكور ملخصه فيما بعد:

(ا) يعفى من الجندية مستخدمو الحكومة الداخلون فى هيئة العمال وبعض مستخدمين مخصوصين من مستخدمى الحكومة الآخرين وأولاد الضباط وأولاد العمد والمشايخ الموظفين وكذلك المنفصلين عن الخدمة بشرط أن يكونوا خدموا عشر سنوات ولم يرفتوا تأديبياً أو لجريمة ارتكبوها ؛

اخوة الضباط الموجودين بالخدمة بالجيش أو بالاستيداع (مادة ٤٤ من قانون القرعة العسكرية) ؛

(ب) الأبناء الوحيدون ، أكبر أبناء الأب الميت ، أكبر أبناء الأب العاجز عن اكتساب معيشته أو البالغ سن الستين ، أكبر الأبناء للأم الأرملة أو التى طلقت ولم تتزوج بشرط ألا يكون لها أب أو أخ شقيق يستطيع القيام بمعيشتها ؛

وكل شخص يقضى عليه قانون الأحوال الشخصية الخاضع له أن يساعد فى نفقة واحد أو أكثر من أجداده .

الأخ التالى لأخيه المجند بالاقتراع أو التالى لأكبر الأبناء غير القادر على التكسب نيابة عن والده المتوفى أو غير القادر على التكسب لنفسه ؛

الطلبة فى جمع المعاهد الدينية وبعض المدارس الصناعية ،

(ج) بعض الموظفين الدينيين بما فيهم العلماء والمشايخ والأئمة والفقهاء والقسس الخ

ويحق لكل شخص أن يعفى من ملزوميته بالخدمة العسكرية فى نظير دفعه بدلا نقديا بحسب الفئات المبينة بعد :

(ا) عشرين جنيها مصريا فى أى وقت قبل اقتراعه أو اذا كان معافى وزال سبب اعفائه وذلك خلال ثلاثة أشهر من تاريخ زوال الاعفاء ،

(ب) أربعين جنيها مصريا لمن لم يحضر أو يندب أحدا عنه للحضور أمام مجلس الاقتراع وذلك فى أى وقت بعد ادراج اسمه فى كشوف الاقتراع وقبل فرزه طبيا ،

(ج) مائة جنيه لمن يكشف عليه طبيا وذلك فى أى وقت بعد الكشف الطبى وقبل التجنيد .

كشف عن بيان أنواع علامات الوحدات المختلفة بالجيش المصرى

الوحدة أو السلاح	الاسم	العلامات
مركز رياسة الجيش	مركز رياسة الجيش	علامة أركان حرب من جوخ أحمر على طرفى ياقة السترة وعلامة ذراع للضباط
قسم القاهرة	قسم القاهرة	ق . ق على الكتف للعساكر
اللواء البيادة الأول	اللواء البيادة الأول	ل ١ على الكتف «
« « الثانى	« « الثانى	ل ٢ « « «
« « الثالث	« « الثالث	ل ٣ « « «
السوارى	السوارى :	
أورطة سوارى عدد ٢	أورطة سوارى	س على الكتف
الطوبجية	الطوبجية :	
بطارية (بغالى) عدد ٤	بطارية (بغالى)	ط على الكتف
بلوك المحافظة « ١	بلوك المحافظة	
بطارية سيارات مدفع الماكينة عدد ١	بطارية سيارات مدفع الماكينة	
	الأورط البيادة :	
البيادة (١١ أورطة)	الأولى	رقم الأورطة على الكتف
	الثانية	
	الثالثة	
	الرابعة	
	الخامسة	
	السادسة	
	السابعة	
	الثامنة	
	التاسعة	
	العاشرة	
	الحادية عشر	
الطيران الحربى	الطيارون	أجنحة أخضر وذهبى على الصدر الشمال
	العساكر	« « وأصفر « الأكتاف

(تابع) كشف عن بيان أنواع علامات الواحدات المختلفة بالجيش المصرى

الوحدة أو السلاح	الاسم	العلامات
الموسيقات	الموسيقات :	
البيادة المصرية	البيادة المصرية	هارب على الذراع
إدارة السجن	إدارة السجن	س . ح على الكتف
إدارة الاشغال العسكرية	إدارة الأشغال العسكرية	م . ع على الكتف
بلوك المهندسين	بلوك المهندسين	« « «
مصلحة التعيينات	مصلحة التعيينات	ثلاث وردات نحاس أصفر متصلة بساق منحن على الكتف
الحملة الميكانيكية	الحملة الميكانيكية	ح . م على الكتف
القسم البيطرى	القسم البيطرى	حدوة على الذراع
مصلحة الأسلحة والمهمات	مصلحة الأسلحة والمهمات	ا . م على الكتف
القسم الطبى	القسم الطبى	قمرة ونجمة على الذراع
إدارة القرعة العسكرية	إدارة القرعة العسكرية	ق على الكتف
المدرسة الحربية بالقاهرة	المدرسة الحربية بالقاهرة	اسبلايط مجدولة قصب للصف ضباط وحمراء لسائر الطلبة على الكتف

وللجيش مفتش عام هو الفريق سبنكس باشا ومعه مساعد اللواء فوربس باشا والمفتش هو القائد العام الفعلى ، وجلالة الملك هو القائد الأعلى — وكان للجيش سردار ألغى منصبه بعد سحب الجيش من السودان . وكان قواد الاورط المصرية ضباطا بريطانيين يندبون من الجيش الانجليزى أو الهندى حتى سنة ١٩٢٢ إذ أعلن الاستقلال فاصبحوا مصريين وفى كل أورطة سودانية ٤ بريطانيين برتبة البكباشى عدا القائد وكان عدد جنود الاورطة المصرية ٨٠٠ والسودانية ٨٥٠ وبلغ عدد الضباط والجنود السودانيين من جميع الأسلحة ١٤٥٠٠ فى سنة ١٩٢٤ وبلغ المصريون ٩٣٠٠ . ومراكز الجيش المصرى الآن فى مصر كما يلى : أسوان . منقباد «أسيوط» . العباسية والمعادى «القاهرة» . الدخيلة «الاسكندرية» . السلوم . العريش

العلم المصرى

العلم الأهلى المصرى يتألف من هلال وثلاث نجوم بيضاء على أرضية خضراء وطرفا الهلال تتجهان للجهة التى ليس بها العمود .

أما البيارق لجميع أفرع الجيش فتكون من صوف أخضر بهلال وثلاث نجوم بيضاء فى وسط البيرق وسيفين متقاطعين من لون أبيض فى الزاوية العليا اليسرى .

الرتب فى الجيش المصرى

الرتبة المصرية	الرتبة الانجليزية التى تعادلها	علامات الرتب
مشير	فيلد مارشال	تاج ونجمتان وسيف وعصا متقاطعان
سردار	كومندر إن شيف	« ونجمة « « «
فريق	لفتننت جنرال	« وسيف وعصا متقاطعان
لوا	ميجر جنرال (او) بريجادير جنرال	نجمة « « «
ميرالاى	كولونل	تاج وثلاث نجوم
قائمقام	لفتننت كولونل	« ونجمتان
بكباشى	ميجر	« ونجمة
صاغقول أغاسى	أدجوتانت ميجر (١)	«
يوزباشى	كابتن	ثلاث نجوم
ملازم أول	لفتننت	نجمتان
« ثان	سكند لفتننت	نجمة واحدة
صول تعليم	سرجنت ميجر	أربعة شرائط معكوسة فوقها تاج على الذراع الأيمن من أسفل
« تعيين	كوارترماستر سرجنت	أربعة شرائط معكوسة فوقها نجمة على الذراع الأيمن من أسفل
باشجاويش	كومبنى سرجنت ميجر	أربعة شرائط فوقها تاج على القسم العلوى من الذراع اليمنى وبعض الأحيان على الذراعين
بلوك أمين	كومبنى كوارتر ماستر سرجنت	ثلاثة شرائط فوقها نجمة على القسم العلوى من الذراع اليمنى وأحيانا على الذراعين
جاويش	سرجنت	ثلاثة شرائط على القسم العلوى من الذراع اليمنى
وكيل جاويش	لنس سرجنت	« « « «
أونباشى	كوربورال	شريطان « «
وكيل بلوك أمين	لنس كور پورال كلرك	شريط واحد فوقه نجمة على القسم العلوى من الذراع اليمنى وأحيانا على الذراعين
وكيل أونباشى	لنس كور پورال	شريط واحد على القسم العلوى من الذراع اليمنى
نفر	پرايفت	لا شىء
برجى	ترميتر	بورى
ترومبيتجى	درامر	طبلة
بلطة جى	پايونير	بلطتان متقاطعتان

(١) لاتوجد رتبة بالجيش الانجليزى تعادل هذه .

قوة الدفاع عن السودان

منذ فتح السودان وبعد استعادته كان الجيش المصرى منوطا به حفظ النظام فى السودان ، وكانت الحكومة المصرية تجند أفرادا من الزنوج أو العبيدو تضمهم إلى قوات الجيش المصرى

وبعد فتح السودان كان فى الجيش المصرى أورط سودانية هى الأرط التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعةعشرة كما تقدم وكان فى أول الأمر ضباطها من المصريين .

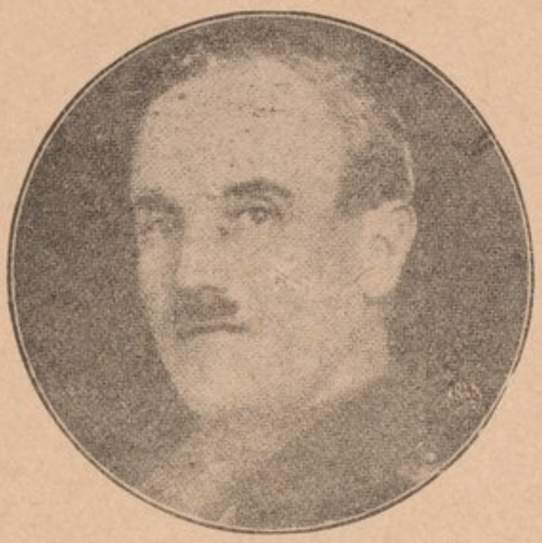

الفريق . ش . س . بتلر باشا ح . ن . م . ج وح . ن . ا
القائد العام لقوة دفاع السودان

وكان السودانيون العرب أنفسهم يجندون كما فعل المهدى والدراويش ، وكان هؤلاء العبيد يأخذون من قبائل الشلك والدنكا والنوبة

وبعد استعادة السودان جند سردار الجيش المصرى اللورد كتشنر باشا العبيد الذين كانوا مع الدراويش

واتجه رأى ولاة الأمور الانجليز إلى انشاء مدارس فى السودان لتخريج ضباط وموظفين سودانيين

يرجع تاريخ انشاء فرق العرب التى تتألف منها الآن قوة الدفاع السودانية إلى تسلم الحكومة السودانية « كسلا » من امرة ايطاليا ، بعد استعادة السودان ، فان

الايطاليين كانوا قد ألفوا من الأهالى فرقة من الباشبوزق وهى فرقة غير نظامية ونصف عسكرية وتلبس ملابس بالسراويل ولها عمائم فاستبقت الحكومة السودانية هذه الفرقة فى كسلا . وفى أثناء الحرب الكبرى من سنة ١٩١٤ بدأت الحكومة السودانية فى تأليف هذه الفرق وقد عززتها بعد حل الأورط السودانية

ومما يذكر هنا أن الجندى السودانى فى الأورط المنحلة كان يجوز له البقاء فى الخدمة العسكرية لمدة عشر سنوات أو ١٥ سنة ، وكانت الحكومة المصرية تدفع له مرتبا أكثر من مرتب الجندى المصرى

وتقدر قوة الدفاع السودانية كلها بنحو ٧ آلاف جندى يضاف إليها ملحقون وعمال وتعليمهم العسكرى أى تعليمهم حمل السلاح يزيد على تعليم الخفراء عندنا قليلا

الجيش الانجليزى

أما الجيش الانجليزى فيتألف الآن من أورطتين . وعند البلاغ الذى وجهه اللنبى فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ إلى وزارة المغفور له سعد زغلول باشا سافرت أورطة انجليزية من مصر إلى بور سودان

هذا ومع الأورطتين الانجليزيتين طوبجية ودبابات وسلاح طيران وتوجد أورطة فى الخرطوم وأورطة فى اركويت . تتبادلان هذين الموقعين كل ستة أشهر

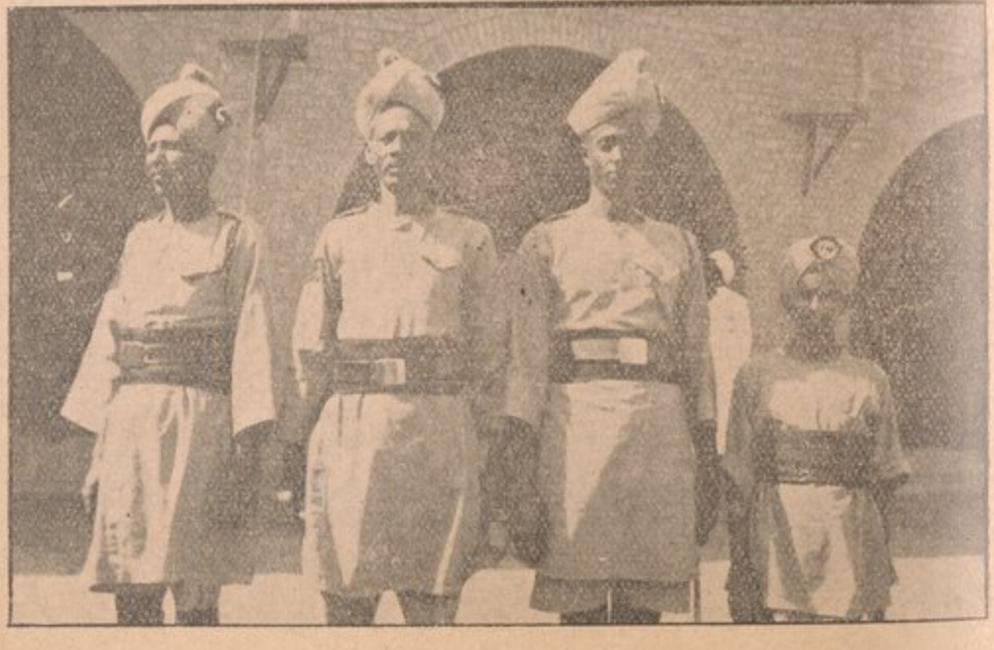

من قوة الدفاع

أمر الحاكم العام

فى ١٧ يناير سنة ١٩٢٥ وفى حفلة رسمية أذاع الحاكم العام للسودان المنشور الآتى بيانه ننقله عن جريدة « حضارة السودان » وهذا نصه :

« عملا بالسلطة العسكرية والملكية السامية والمخولة لى بمقتضى شروط تعيينى ، أنا السر جفر فرنسيس آرتشر حامل نيشان القديسين ميخائيل وجورج من درجة فارس حاكم السودان العام أعلن مايأتى :

بما أنه بسبب انسحاب الجيوش المصرية من السودان قد أصبح من الضرورى إنشاء قوة للسودان . وبما أنه من المرغوب فيه إزالة ماقد يوجد فى أذهان الضباط من أهالى السودان الذين خدموا فى الجيش المصرى والمزمع نقلهم قريبا إلى قوة السودان من الارتياب من أجل مراكزهم فبناء على ماتقدم أعلن الآن مايأتى :

أولا : — تسمى القوه الجديدة المراد انشاؤها كما تقدم « جيش دفاع السودان » وتدين بالولاء لحاكم السودان العام

ثانيا — يعين الحاكم العام ويعزل جميع الضباط وتمنح جميع البراءات باسمه

ثالثا — بما أن الحكومة المصرية غير قادرة ، بعد الآن ، على استخدام ضباط الجيش المصرى الذين هم من أهالى السودان فسيقبل من جميع هؤلاء الضباط من أرى فيهم الجدارة فى خدمة « جيش دفاع السودان » بموجب الشروط المنظمة لاصدار البراءات فى هذا الجيش والتى ستبلغ فى هذا اليوم إلى أولئك الضباط .

رابعا — عند اصدار البراءات الجديدة تتولى حكومة السودان مسئولية الرواتب والمعاشات والمكافآت المستحقة الآن لأولئك الضباط بمقتضى شروط الخدمة فى الجيش المصرى

« امضا حاكم عام »

وننقل هنا مانشرته جريدة التيمس فى ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ لمكاتبها العسكرى فقد جاء فيه مايلى :

« يتقدم تنظيم قوة الدفاع السودانية تقدما حسنا ويستمر ادخال عدد من الضباط فيها . وقد أخذ نحو ألف ضابط من القوات المعسكرة فى مصر والسودان ويبلغ عدد الجند فى الوحدات البريطانية ستة عشر ألفا أى بزيادة ألفين . وجرت هذه الزيادة باضافة أورطتين إلى هذه الوحدات وستنضم أورطة الملاحة التاسعة المعسكرة فى فلسطين إلى لواء الخيالة فى القاهرة وكذلك أورطة الرماحة الثانية عشرة وتحلان محل الألاى الموجود هناك . ولكن هذه التنقلات لاتجرى مباشرة »

مناطق قوه الدفاع

المنطقة الشمالية ــ الخرطوم وملحقاتها ــ وبها السوارى والحملة الميكانيكية وفرق المهندسين والبطاريات المدرعة

السوارى فى شندى . والحملة والبطاريات بالخرطوم بحرى ، وفرقة المهندسين فى أم درمان ، ومركز التعليم الشمالى فى أم درمان



من الأورط السودانية بالجيش المصري بالسودان

المنطقة الجنوبية ــ الرياسة فى توريت وموزعة على مراكز خط الاستواء وبحر الغزال

المنطقة الشرقية ــ بها فرقة العرب الشرقية فى كسلا والقضارف والقلابات

المنطقة الغربية ــ بها فرقة العرب الغربية وموزعة على الفاشر ونيالا والجنينة

المنطقة الوسطى فى الأبيض ــ وموزعة على مراكز مديرية كردفان : الابيض وبارة والدلنج وكادوجلى

ولا يوجد الان فى واو وملاكال أى فى جنوبى السودان سوى بولك خط

الاستواء وعدد ١٥٠ . ونقل إلى تالودى قسم من الهجانة السودانية فى الابيض وفى أم درمان فرقة المهندسين فقط بعد أن كانت بها أورطتان سودانيتان

المقاتلون فى قوة الدفاع

يلبس الجنود غير النظاميين الذين تتألف منهم قوة الدفاع لباسا طويلا من الكاكى وجبة من الكاكى وحزاما أخضر وعمامة من كاكى ونعال. وهم غير نظاميين مرتب الجندى ٢١٠ قرشا ويعطى علاوة إلى ٦٠ قرشا ، ثلاث سنوات ثم تجدد خدمته ثلاث سنوات وهكذا حسب الظروف

الأورطة المصرية بالمكسيك



من اليمين ـ الصف الأول : شارلى جلياردو بك مؤسس متحف بونابارت مصر ، والقائمقام صالح حجازى بك
من اليمين ـ الصف الثانى : اليوزباشي ادريس النعيم والصاغ فرج والى والبكباشى عبد الله سالم انظر ص ٩٨ جزء أول

ويقول سير هارولد ماكيكل فى كتابه «السودان الانجليزى المصرى» ص ١٦١ «ظلت وزارة الحربية المصرية يتقلدها وزير الأشغال العمومية مدة عشرين سنة وكان الوزراء راضين بأن تكون الشؤون العسكرية فى يد السردار . ولكن منذ تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فصلت الحربية عن الأشغال ، وأصبح يتقلد وزارة الحربية وزير مستقل بها. وقد ظل وزراء الحربية بعد التصريح مدة سنتين يعنون باستشارة السردار فى كل مسألة ذات أهمية ، مع عدم التعرض له فى أعماله التنفيذية . وكل ماطرأ من التغيير فى مدة السنتين التاليتين لصدور التصريح ، أن سلطة السردار فيما يتعلق بتعيين من يحل محل الضباط الانجليز فى الجيش عند خلو أماكنهم — لاتنفذ إلا بعد عرض قرارات السردار على مجلس الوزراء

« على أن مجىء وزارة وفدية فى فبراير سنة ١٩٢٤ كان من نتيجته جعل وزارة الحربية فى يد وزير « المرحوم حسن حسيب باشا » جهر صراحة بأنه الرئيس الحقيقى للجيش وأن جميع المسائل حتى لو كانت أهميتها ثانوية ، يجب أن تعرض عليه . وقد أيد الوفد هذه الخطة . وتبع ذلك سياسة ، كان مرماها إضعاف سلطة السردار والهبوط بالنظام . وكانت مسألة تعيين ضباط انجليز فى الوحدات « الأورط » السودانية هى أهم مادار عليه الحديث بين الوزير « الوفدى » والسردار « سير لى ستاك » قبل مقتله مباشرة

«وقد أصبح واضحا الوضوح كله أن الاعتراف بمصر كدولة مستقلة ذات سيادة ومن ثم تحرير سياستها من الرقابة البريطانية قد أدخل فى شروط الاتفاق الثنائى « اتفاقية ١٨٩٩ » عاملا جديداً ، وأصبح لزاما على حكومة السودان أن يكون لها الاشراف التام على الحامية العسكريه فى السودان ، وان يعترف لهذه الحكومة بذلك نظريا . وقد تم ذلك بتأليف قوة الدفاع من السودان »

صفة قوة الدفاع فى نظر مصر

أصدر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ٤ فبراير سنة ١٩٣٥ القرار الآتى :

« بعد الاطلاع على كتاب وزير الحربية إلى وزير المالية بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٢٥ متضمنا الاستفهام عن الكيفية التى تحرر بها ميزانية وزارة الحربية للسنة المالية المقبلة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ فهل تكون حسب وضعها وترتيبها الحاليين أم توضع على قسمين أحدهما للجيش المصرى والآخر للقوة السودانية ؟ وهل فى هذه

الحالة تبين مصروفات القوة الأخيرة كالمتبع إلى الآن أم جملة واحدة . »

« وعلى مذكرة وزارة المالية إلى مجلس الوزراء المؤرخة أول فبراير سنة ١٩٢٥ وهى تتضمن اقتراحات هذه الوزارة فى الموضوع المشار إليه . »

« وعلى كتاب فخامة المندوب السامى البريطانى إلى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩٢٥ الذى يذكر فيه أن نفقات قوة الدفاع السودانية ستتحملها حكومة السودان . »

« ولما كانت الحكومة المصرية تعتبر أن الجيش الموجود فى السودان . انما هو جزء من الجيش المصرى مكلف بالدفاع عن الأقاليم السودانية . تلك الأقاليم التى ما زالت مرتبطة بمصر ارتباطاً لا انفصام له أوضح ذلك رئيس مجلس الوزراء فى كتابه إلى المندوب السامى البريطانى بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٢٥ . »

« قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ٤ فبراير سنة ١٩٢٥ أن تبقى ميزانية وزارة الحربية للسنة المالية المقبلة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ كما كانت فى السنة الحالية ١٩٢٤ — ١٩٢٥ تماما من غير زيادة . على أن يبين فى الميزانية تفصيلا ما يخص الجيش الذى فى مصر وما يبقى من المبلغ المدرج فى الميزانية يخصص جملة واحدة للجيش الذى فى السودان . »

الامضاء عن السودان

أذاعت عصبة الأمم بلاغا فى يوم ١٣ مايو سنة ١٩٢٥ تقول فيه أن « السر أوسى ستيرى » المزود بسلطة تامة من حكومة السودان قد أمضى ، باسم السودان فى يوم ١١ مايو الحالى الاتفاق والبروتوكول اللذين وضعهما مؤتمر الأفيون الثانى فى جنيف مع الاحتفاظ بابرامهما .

اعتماد ٧٥٠ ألف جنيه لقوة الدفاع

كان اعتماد ٧٥٠ ألف جنيه فى ميزانية وزارة الحربية المصرية لقوة الدفاع عن السودان مثار خلاف ومناقشات فى البرلمان والصحف ونعتقد أن هذه المناقشات لم تنته بعد .

ويقول سير ماكيكل فى كتابه ص . .

« وإذا كانت مصر تدفع مبلغ الـ ٧٥٠ ألف جنيه من ميزانيتها « بصفة نفقات حربية

للسودان ، ويوافق البرلمان عليها بهذا الوصف ، فان قبول حكومة السودان لهذا المبلغ ليس على هذا الاساس . لأن حكومة السودان تستعمله كجزء من الايرادات العامة للحكومة . اه

فى برلمان سنة ١٩٢٦

فى أثناء نظر مجلس النواب سنة ١٩٢٦ ميزانية وزارة الحربية ، قامت ضجة فى المجلس حول طلب الموافقة على اعتماد مبلغ ٧٥٠ر٠٠٠ جنيه لمصروفات الجيش بالسودان وطلبت لجنة المالية بالمجلس الموافقة على هذا الاعتماد تمكينا للعلاقة الدائمة بين مصر والسودان

وقد كان رجال الحزب الوطنى أشد الأعضاء معارضة فقد خطب الدكتور عبد الحميد سعيد فى الأعضاء طالبا عدم الموافقة على دفع هذا المبلغ إذا لم يرجع الجيش للسودان كما كان .

ووجه الأستاذ محمد فكرى أباظة ثلاثة أسئلة عن هل لدى وزارة الحربية بيان بتفصيل الأوجه التى يصرف فيها هذا المبلغ . وهل فى وسع وزير الحربية أن يقرر أن له الاشراف التام على حركات الجيش وقيادته وما يوقع على أفراده من جزاءات ، حتى نعرف فى أى سبيل نصرف مبلغا هائلا كهذا ، أم الأمر بعكس ما تقدم فنصرفه على شىء مجهول تمام الجهل ؟

فأجاب وزير الحربية قائلا : « ليس لدينا تفصيل للأوجه التى يصرف فيها مبلغ الـ ٧٥٠٠٠٠ جنيه . كما أنه ليست لنا سلطة على حركات قوة الدفاع السودانية . ولكن إذا أردتم حضراتكم معرفة الكيفية التى تقرر بها دفع هذا المبلغ فانى على استعداد لبيان حقيقة الموضوع :

فى أوائل سنة ١٩٢٥ وصل إلى دولة رئيس الحكومة السابق خطاب من دار المندوب السامى يخبره فيه بأن قوة الجيش المصرى السودانية « لأن جيشنا كان قبل ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين وهما الجيش المصرى الأصلى وجيش آخر يقال له الجيش المصرى السودانى أى أنه مكون من فرق سودانية ولو أنه مصرى ، ستحل وتحل محلها قوة الدفاع السودانية وستقوم حكومة السودان وحدها بالانفاق عليها

وقد رد دولة زيور باشا فى مارس سنة ١٩٢٥ بخطاب أتلوه على حضراتكم وهو :

« حضرة صاحب الفخامة

أخبر تمونى فخامتكم فى كتابكم المؤرخ ٢٦ يناير أن الحكومة السودانية ستحمل نفقات قوة الدفاع السودانية

وقد سبق لفخامتكم فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أن أبلغتم سلفى أن الوحدات السودانية بالجيش المصرى ستحول إلى قوة مسلحة سودانية وأرسلتم الى مع كتابكم المؤرخ ٢٥ يناير نص منشور أصدره حاكم السودان العام بتأليف تلك القوة

ولم يفتنى فى هذه المناسبة أن أقرر فى جوابى المرسل إلى فخامتكم فى ذات اليوم تحفظات مصر القانونية ، وأن أؤكد فى الوقت نفسه بصفة خاصة أن الحكومة المصرية تعتبر أن الظروف العارضية التى قضت بعودة الجنود المصرية البحتة وكذلك الظروف الخاصة بتأليف قوة الدفاع السابق ذكرها ، كل هذه لا يمكن أن تؤثر فى حل مسألة نظام السودان النهائى ، تلك المسألة المحتفظ بها للمفاوضات المقبلة كما أنها لا يمكن أن تضعف ما بين مصر والسودان من الروابط التى لا انفصام لها .

تلك هى وجهة نظر الحكومة المصرية . لذلك أتشرف بأن أحيط فخامتكم علما بأنه لما كانت الحكومة مصممة على صيانة تلك الروابط القوية ولما كانت لا يسعها التخلى عن مسئولية الدفاع عن السودان فهى ترغب فى اثبات مصلحتها الدائمة فى تأدية هذا الواجب باستمرارها على الاشتراك فى الدفاع عن الأراضى السودانية .

ولهذا الغرض كان مجلس الوزراء قد قرر أن يخصص للنفقات العسكرية فى السودان كل ما يبقى من ميزانية وزارة الحربية بعد خصم المصروفات العسكرية فى القطر المصرى . ولما كان مشروع ميزانية الحكومة المصرية للسنة المالية ١٩٢٥ - ١٩٢٦ قد تم اعداده فيما يتعلق بمصروفات وزارة الحربية وظهر أن الباقى يبلغ سبعمائة وخمسين ألف جنيه مصرى قرر مجلس الوزراء أن يضعها جملة بعد موافقة البرلمان تحت تصرف الحكومة السودانية لحساب النفقات العسكرية السابق ذكرها »

وتفضلوا الخ . . . .

وصل هذا الخطاب إلى فخامة المندوب السامى (١) فى ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ فرد عليه فى اليوم نفسه بالخطاب الآتى :

(١) الواقع أن المسألة متفق عليها بين الجانبين من قبل

« حضرة صاحب الدولة

أتشرف بأن أعلم دولتكم أنى تسلمت الكتاب المرسل إلى بتاريخ اليوم والذى تكرمتم فيه باخبارى عن رغبة الحكومة المصرية فى الاشتراك فى نفقات حكومة السودان.

وقد أحطت حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية علما برغبة الحكومة المصرية.

وبالرغم من الاجراءات التى اضطرت الحكومة البريطانية إلى اتخاذها بحكم حوادث السنة الماضية فانها أبقت السيادة المشتركة التى أوجدها الاتفاق المعقود فى سنة ١٨٩٩ بين بطرس باشا واللورد كرومر ولذلك فهى تقرر أن قيام الحكومة المصرية بهذه المشاركة فى النفقات إنما هو حق وعدل وتوافق على أن يحدد قيمة ما تدفعه لهذا الغرض بمبلغ سبعمائة وخمسين الف جنيه »

وتفضلوا الخ . . . .

هذا كل ما جرى فى هذه المسألة وقد ظهر لحضراتكم السبب فى تقدير المبلغ بـ ٧٥٠٠٠٠ جنيه

وبعد مناقشات طويلة قدم أحمد رمزى بك الاقتراح التالى :

« أن المجلس يصدق على مبلغ هذا الاعتماد مؤقتا - من غير أن يعتبر » بضم الباء « هذا التصديق قبولا بما حدث فى نظام السودان من التغيير ولا اعترافا بحق للسودان على مصر . ولا اقراراً ببراءته من الديون التى لها عليه . وبشرط ان يكون لها الحق دائما فى مناقشة أساس هذا المبلغ ومقداره ومدته » (١)

فوافق المجلس على هذا الاقتراح ولم يخالفه سوى الأستاذ مصطفى محمود الشوربجى والأستاذ محمد فكرى أباظة والدكتور عبد الحميد سعيد

فى برلمان سنة ١٩٢٧

وفى أثناء نظر المجلس فى مسألة مصاريف الجيش فى السودان فى سنة ١٩٢٧ قدم الأستاذ محمد فكرى أباظة اقتراحاً هذا نصه :

« أطلب حذف هذا المبلغ وهو ٧٥٠٠٠٠ جنيه (٢) » ، ولكن المجلس قرر بالأغلبية الموافقة على رأى اللجنة المالية أى ابقاء المبلغ

---

(١) راجع مضبطة الجلسة التاسعة والأربعين لمجلس النواب بتاريخ يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٤٥ الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٦ الساعة السادسة مساء برياسة حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا

(٢) راجع مضبطة الجلسة الثامنين المنعقدة فى يوم الثلاثاء ٢١ ذى الحجة ١٣٤٥ الموافق ٢١ يونيو سنة ١٩٢٧ الساعة الخامسة مساء برياسة حضرة صاحب السعادة مصطفى النحاس باشا وكيل المجلس

فى برلمان سنة ١٩٢٨

وعند نظر مجلس النواب ميزانية وزارة الحربية عام ١٩٢٨ خطب الدكتور محجوب ثابت مؤيداً رأى اللجنة المالية قائلا : أن صرف هذا المبلغ يؤيد حقنا فى السودان ويضمن لنا ما أنفقناه من ملايين الجنيهات وما بذلناه من مهج الرجال وكبار القواد من يوم استرجاع السودان إلى الآن .

فعارض هذا الرأى رجال الحزب الوطنى وخطب فريق منهم وهم حضرات محمد حافظ رمضان بك والدكتور عبد الحميد سعيد وعبد العزيز الصوفانى ومحمد فكرى أباظة

وبعدمناقشة حادة قرر رئيس الجلسة اقفال باب المناقشة بموافقة أعضاء المجلس وقد قدم اقتراحان من حضرتى محمد فكرى أباظة وعبد العزيز الصوفانى بطلب حذف مبلغ الـ ٧٥٠٠٠٠ ج . م من مشروع ميزانية وزارة الحربية المقال عنه بأنه مصاريف الجيش فى السودان .

فقرر المجلس بأغلبية أعضائه رفض الاقتراح والموافقة على رأى اللجنة (١)

فى برلمان سنة ١٩٣٤

ألقى وزير الحربية والبحرية المصرية فى مجلس النواب فى أثناء نظر المجلس فى ميزانية وزارة الحربية والبحرية لسنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ بيانا عن مبلغ ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه التى ترسل لحكومة السودان كل عام باسم « قوة الدفاع السودانية » جاء فيه مايأتى :

(٢) « أما عن مسألة مبلغ الـ ٧٥٠٫٠٠٠ الف جنيه فأظنها لم تعرض على حضراتكم بالتفصيل قبل الآن ، وسأفصل هذه المسألة ، وأتناول كل ما شمله بحث هذا الموضوع

وللكلام عن هذا المبلغ يجب أن نتكلم عن العلاقات المالية بين مصر والسودان ثم عن أساس الالتزام بدفع هذا المبلغ :

تنقسم المبالغ التى كانت تدفعها الحكومة المصرية لحكومة السودان إلى ثلاثة أنواع :

(١) السلف المعطاة لحكومة السودان من أجل الأعمال المتعلقة بنمو السودان

(١) انظر مضبطة الجلسة الثانية والستين لمجلس النواب سنة ١٩٢٨

(٢) محضر الجلسة الثامنة والثلاثين لمجلس النواب من دور الرابع الانعقاد الصادر بتاريخ يوم الاثنين ١٤ مايو سنة ١٩٣٤

(٢) الاعانة الممنوحة لحكومة السودان لسد عجز الايرادات أى لموازنة الميزانية
(٣) مصروفات الجيش فى السودان .

وليست كل المصروفات التى تنفق على الجيش تلزم بها حكومة السودان ولكن الجيش عند ما كان جميعه فى السودان — سواء فى ذلك الجيش المصرى البحت أو الأورط السودانية الملحقة به — كانت له نفقات تزيد على نفقاته لو كان فى مصر ، فكانت الحكومة المصرية تحسب على نفسها النفقات التى يتكلفها الجيش فى السودان لو كان فى مصر ، أما الفرق بين نفقاته فى مصر وبينها فى السودان فكانت تتحمله حكومة السودان . وقد بلغ سنة ١٩٢٤ - ٣٧٤ر٤٩٢ جنيها ، أما النفقات العادية فكانت تتكفل بها الحكومة المصرية .

ولما وقعت حوادث السودان سنة ١٩٢٤ كتب المندوب السامى لسعد زغلول باشا يقول له بأن « الوحدات السودانية للجيش المصرى ستحول الى قوة سودانية مسلحة » .

وفى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٥ أبلغ المندوب السامى زيور باشا نص الاعلان الذى أصدره الحاكم العام للسودان عن التكوين الجديد لتلك القوى .

وفى اليوم نفسه قدم زيور باشا للمندوب السامى مذكرة يحتج فيها على هذا التصرف ويحتفظ بحقوق مصر على السودان قال فيها :

« إن الحكومة المصرية تعتبر أن الظروف الطارئة التى أدت إلى عودة الجيوش المصرية البحتة ، وإلى تكوين قوة سودانية ، لا يمكن أن تؤثر على حل مسألة النظام النهائى للسودان - تلك المسألة المحتفظ بها للمفاوضات المستقبلة - كما أنها لا تضعف الروابط التى لا تنفصل والتى تربط السودان بمصر »

وفى ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ كتب زيور باشا للمندوب السامى يشرح له ماتقدم ويضيف اليه مايأتى :

« وعليه أتشرف بأن أحيط علم فخامتكم بأن الحكومة المصرية - التى قر رأيها على المحافظة على تلك الروابط القوية والتى لا يمكنها النزول عما عليها من مسئولية الدفاع عن السودان — تريد تأييد حقها الذى لا يمكن النزول عنه فى هذه المهمة وذلك بأن تستمر فى الاشتراك فى الدفاع عن الاراضى السودانية .

لذلك كان مجلس الوزراء قد قرر أن يخصص للمصروفات العسكرية فى السودان مايبقى من ميزانية وزارة الحربية بعد استنزال المصروفات العسكرية التى تنفق فى مصر .

وحيث أن مشروع ميزانية الحكومة المصرية للسنة المالية ١٩٢٥ — ١٩٢٦

قد وضع عن مصروفات وزارة الحربية وقد ظهر منه أن ذلك الباقى يبلغ ٧٥٠ر٠٠٠ جنيه .

فقد قرر مجلس الوزراء أن يضع - بعد موافقة البرلمان - جميع هذا المبلغ تحت تصرف الحكومة السودانية للمصاريف العسكرية السابق ذكرها »

فأجاب المندوب السامى فى نفس اليوم على هذه المذكرة بالعبارة الاتية :

« أتشرف باحاطة دولتكم علما أنى تسلمت المذكرة المؤرخة بتاريخ اليوم التى تبلغونى فيها رغبة الحكومة المصرية بأن تشترك فى مصاريف حكومة السودان

وقد أخذت حكومة جلالة الملك البريطانية علما بذلك ، ورغما من الاجراءات التى اضطرت حكومة جلالة الملك إلى اتخاذها بسبب حوادث العام الماضى ، فانها أبقت السيادة المشتركة التى أوجدتها اتفاقية بطرس - كرومر .

ولذلك نرى من العدل أن تقوم الحكومة المصرية بهذا الاشتراك ، ونوافق على أن يحدد بمبلغ ٧٥٠ر٠٠٠ جنيه ،

ويتبين من الخطاب الأول ومن المذكرتين أن أساس التزام الحكومة المصرية بدفع مبلغ الـ ٧٥٠ر٠٠٠ جنيه هو أن الحكومة المصرية رأت فى سنة ١٩٢٤ أن حقوقها فى السودان كانت مهددة فسعت الى هذا الالتزام لاقرار حقوقنا فى السودان وهذا أمر لاشك فيه »

* * *

عند ما نظرت ميزانية وزارة الحربية والبحرية بمجلس النواب عام ١٩٣٤ ثارت ثائرة بعض النواب وطلبوا وقف دفع مبلغ الـ ٧٥٠ر٠٠٠ جنيه وقال صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا

« لقد تكلم بعض حضرات الخطباء عن مساع بذلت سنة ١٩٣٢ لاجراء تخفيض فى هذه المنحة التى تمنحها مصر للسودان . فبيانا للأمر أقرر أن هذه المساعى بذلت فعلا ، وكانت المبررات التى تقدمت بها حكومة ذلك العهد إلى دار المندوب السامى هى هذه الاعتبارات التى شرحتها لحضراتكم ، بجملة فى أن الازمة التى أصابت ميزانيتنا ، وخطة الاقتصاد التى ألجأتنا هذه الأزمة إلى اتباعها ، لا بد أن يكون لهما أثرهما فى تخفيض مبلغ الـ ٧٥٠ر٠٠٠ جنيه كما شمل التخفيض جميع اعتمادات الميزانية ، وقد أجاب المندوب السامى بأنه يخشى الا تحتمل حالة السودان ادخال أى نقص فى هذا المبلغ ، ووعدنى بأنه سيتصل بحكومة السودان ، ليعرف منها المقدار الذى

يمكن تخفيضه . فسافر فخامته إلى السودان ثم عاد منه ، وقال لى انه بحث مع جناب الحاكم العام فوجد أن الحالة فى السودان سيئة ، لأن محصول القطن كان قليلا جدا فى تلك السنة فلا يتسنى للحكومة هناك والحالة هذه أن تخفض من ميزانية الايرادات شيئا مطلقا . ومصر ، باعتبارها الشقيق الأكبر للسودان ، مصر تلك الأمة التى عطفت دائما على السودان ومرافقه ، لا تقبل أن تقوم باجراء كالاجراء الذى عرض على دار المندوب السامى ، وقت محنته (١) . »

وقد وافق المجلس على اعتماد مبلغ الـ ٧٥٠,٠٠٠ جنيه

رأى الأمير عمر طوسون

حدث سمو الأمير عمر طوسون وكيل « المقطم » السكندرى حول مبلغ النفقة على قوة الدفاع السودانية حديثا نشرته الجريدة المذكورة فى يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٣٤ وهاهو : —

قال وكيل المقطم السكندرى : —

اهتم الرأى العام بما دار من الجدل والمناقشة فى مجلس النواب وعلى صفحات الصحف وبما كتبه المقطم تعليقا على تلك المناقشات عن المال الذى تدفعه الحكومة المصرية لحكومة السودان باسم قوة الدفاع السودانية . وما برحت هذه المسالة موضوع الأحاديث فى الأندية والدوائر الخاصة مما حملنى على استجلاء رأى صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون فى هذه القضية الخطيرة ولسموه آراء سديدة فى جميع المواقف الوطنية ولا سيما السودانية منها . فلا غرو أن يكون لرأيه فى هذه المسألة شأن كبير عند الرأى العام المصرى . فتشرفت بمقابلته وبعد التحية أدرك سموه بغيتى من هذه الزيارة المبكرة فلم يحملنى كبير مشقة فى التمهيد لمحادثته فى هذا الموضوع وصارحنى برأيه بكل جلاء ووضوح وهذه خلاصة الحديث : —

سألت سموه — هل قرأتم ما نشرته الصحف عن مبلغ النفقة على قوة الدفاع السودانية وما علقت به على ما دار فى مجلس النواب من المناقشة ؟

فأجاب : نعم قرأته وأطلعت على كل ما قيل فيه وأنا لست على رأى القائلين بقطع هذه المعونة عن السودان ولكنى أرى أنها يجب أن تكون بقدر حاجة هذه القوة لا أكثر ولا أقل . فاذا نقصت القوة فى المستقبل أو زادت يجب أن تنقص أو تزيد تبعا لأحد هذين الأمرين .

(١) أنظر مضبطة الجلسة الثامنة والثلاثين لمجلس النواب بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩٣٤

الجيش المصرى من عهد محمد على إلى الآن كما قدره الأمير عمر طوسون

السنة	عدد الجيش البرى بضباطه	مقدار النفقة عليه	ايرادات الحكومة بالجنيه
١٨٣٣	٨٨ر٢٧٢	٦٠٠ر٠٠٠	٢ر٥٢٥ر٢٧٥
١٨٣٩	١٣٠ر٤٠٢	—	—
١٨٧٤	٩٠ر٧٢٠	٧٠٠ر٠٠٠	٩ر٩١١ر٩٦٨
١٨٨٠	١٢ر٠٠٠	٣٦٠ر٠٠٠	٨ر٥٦١ر٦٢٢
١٩٣٣	١٢ر٢٨٨	٨١٥ر٩١٣	٣٢ر٠٧٥ر٠٠٠

سلاح الطيران فى السودان

قال لورد لويد المندوب السامى البريطانى الأسبق فى كتابه :

« والسودان مثلا طريق جوى كثيراً ما اجتازته الطائرات فاذا ما ارتقت وسائل النقل الجوى فمن المحتم أن يصبح السودان طريقاً ثابتا متصل الحلقات للنقل الجوى والى اليوم ظل السودان يناهض فكرة استخدام سلاح الطيران كوسيلة رئيسية من وسائل الدفاع واقرار السلام فى ربوعه وهى الفكرة التى قامت لتأييدها حجج واعتبارات قوية جدية فقد اقترح قبل الآن استخدام هذا السلاح باعتباره وسيلة ميسورة يتسنى بها القيام بكل ما تؤديه القوات البرية بكفاءة أكبر وأكثر صلاحية كما يمكن ربطه بأعمال الادارة المدنية ربطا محكما وثيق الحلقات . ولكن الى الآن ظلت هذه المشروعات والاقتراحات تجد اعتراضا لأنه وإن كان العمل الذى يؤديه سلاح الطيران فى بلاد مثل السودان هو فى الواقع كبير القيمة خطير الشأن فلا ينبغى مع ذلك الغلو فى تقدير قيمته إذ هو مهما قيل فى مدح مزاياه لا يزال اداة مساعدة للقوات البرية .

وقد شرح الحاكم العام للسودان هذه النقطة شرحاً حسنا فى رسالة له كان من واجبى أن أبعث بها إلى وزير الخارجية وفيها وصف الوجه الصحيح من استخدام سلاح الطيران قائلا :

« لو أن لنا سلاح طيران كافياً صالحاً فى الخرطوم ومعدات برية تناسبه فى مواضع متعددة منتشرة لحملنا هذا على أن نعتقد أن المهدوية أولا وهى ذلك الخطر الشديد ، وان ظل هاجعاً كامناً ، لن تستطيع اكتساحنا من جهة الغرب إذ يمكننا فى هذه الحالة أن نحطم مراكز تجمعها ونشتت شملها وهى فى أثناء تعبئتها فى مخافرها

النائية فلا تقع فى المستقبل نكبات كالتى وقعت لحملة هيكس باشا ولبيكر باشا فى سنة ٨٠ ، ولا يكون حصار كحصار الخرطوم اذ يصبح من المستحيل بفضل عيون سلاح الطيران وأرصاده وأسلحته تكرار تلك المجازر والجوائح التى كانت تقترفها تلك القبائل المتهوسة فى الدين ، كما تصبح المسائل المتعلقة بالدفاع الداخلى سهلة بسيطة

وثانياً : أن الطبقات الصغيرة من الشباب المتعلم فى الخرطوم وأم درمان والمدن الأخرى التى أقل منها شأنا أولئك الذين أعاروا آذانهم فيما مضى لمروجى الفتنة من المصريين يدركون غداً بذكائهم مبلغ ما يستطيع سلاح الطيران أن يفعله . فان التأثير الذى يحدثه هذا السلاح فى عقول هذه الطبقة من الأهلين هو الى حد كبير من أفضل مزاياه وأعماله فى سبيل اقرار الحالة السياسية وتوطيدها

وثالثاً — أن الحاميات النائية التى تتألف منها قوة الدفاع عن السودان تصبح مرتبطة الأجزاء متصلة اتصالا وثيقا بمركز الرياسة العامة والعالم الخارجى بهذه الوسيلة السريعة من وسائل المواصلات ويصبح خطر النزعات الثورية وانتقاض الجنود السودانية على النظام قليلا ما أمكن .

ورابعاً — أن يكون سلاح الطيران فى جميع الطوارىء الشديدة والازمات الفجائية الجسيمة هو الوسيلة السريعة للاتصال والتحرى والتحقيق وبذلك يتيسر اتخاذ التدابير العاجلة »

وقد استطرد الحاكم العام بعد هذا فى رسالته مبينا أن مشكلة الادارة الملكية — أى المدنية — فى مناطق السودان النائية التى لا يزال أهلها فى شبه جاهلية أو همجية هى من صعاب المشاكل وأكثرها تعقداً وادعاها إلى الأخذ بمنتهى الحذر والتبصر واللباقة والكياسة فى تناولها إذ كلما كانت تقوم المتاعب فيما مضى ببعض تلك المناطق كان الأمر يقتضى معالجتها برأ بايفاد قوة استكشافية تعمل بحذر ودقة على أمل الاتصال بالثائرين لاقرار صلات حسن التفاهم بين الحكومة وبينهم لكى يمكن بذلك توثيق الروابط الحسنة من البداية ، ولهذا الاعتبار الخطير ينبغى للسلطات أن تتوخى اختبار اهدافها وأغراضها وأن تستخدم سلاح المشاة فى الملاحم البرية .

وقد استطاع الحاكم العام أن يصور حججه ووجوه نظره أحسن التصوير من المشاهدات الأخيرة والتجارب الفعلية ، فقد حدث أن سرب الطيارات الذى أنشىء أخيرا على سبيل التجربة وجعل مركزه الخرطوم لم يلبث عقب وصوله أن

كلف الاشتراك فى عمليتين من العمليات الحربية تختلف إحداهما عن الأخرى وإن كانت كل واحدة منهما من نوع الأعمال الحربية التى كثيرا ما يقتضى الأمر من الحكومة معالجتها ، فقد حدث فى مديرية أعالى النيل أن مشعوذا يحترف الطب بالسحر وهو من قبيلة اللاونوير ويدعى « جويك وندنج » دأب عاماً كاملا على اظهار العداء للحكومة وتحديها والمجاهرة بالاستخفاف بسلطتها فترة طويلة حتى أصبح يخشى أن تسرى عدواه إلى سائر أفراد القبيلة ولم تفلح مساعى المفتش فى الاتصال بذلك الرجل وحمله بالمسالمة على الكف عن موقفه العدائى ، فاضطر الأمر فى هذه الحالة إلى وجوب الالتجاء إلى تدابير عسكرية حياله ففى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٧ جاءت التقارير تفيد بأن أتباع هذا الساحر المتطيب المتمرد على الحكومة يبلغون أربعة آلاف نفس وأن بعض الجماعات المعادية منهم يقيمون بجوار قرية تدعى نيرول وأن القوة العسكرية التابعة للحكومة قد عسكرت بتلك القرية فى ١٥ ديسمبر.وقد قامت الطائرات بعدة غارات تمهيدية على سبيل الارهاب فقط فى مبدأ الأمر ولكنها لم تلبث أن قامت بالقاء القنابل على مراكز تجمع هذه الفصائل المعادية فحطمت مقاومتها المنظمة .

وقد قال الحاكم العام منوها بعمل سرب الطيران فى هذا الحادث أنه أدى مهمته بمنتهى الكفاية والسرعة ولكن الدروس التى تؤخذ من هذا العمل لا تزال هى الدروس نفسها التى سبق وصفها فى رسالته إذ لم يتحقق هل أتى تعاون سلاح الطيران فى ذلك العمل بأية نتائج سريعة مباشرة ، وان تأثيره المعنوى كان هو وحده المحقق الذى لاشك فيه وكان خليقا بان يصبح عاملا له خطره وقيمته فى الموقف بازاء الثوار المتمردين .

أما العمليات الحربية الاخرى التى استعين فيها بسرب الطيران عقب قدومه الى السودان فقد كانت موجهة أيضا الى جزء آخر من قبائل النوير قتلوا بتحريض بعض زعماء الكبتن فرجسون مفتش المركز وأدى قتله الى فتنة عامة وتمرد بين العشائر الأخرى فى القبيلة وأن كان المرجح أن التمرد لم يكن مقصوداً لذاته بل كان لمجرد التخلص من ضابط كان لمعرفته الواسعة بالمركز وسكانه من المحتمل كثيرا أن يحرج زعيم القبيلة ويعمل على مضايقته

وقد ظن الثوار أنهم بالانسحاب الى مستنقعات اقليمهم سيحتمون احتماء تاما من عقاب الحكومة وتأديبها ، ولهذا جاءت غارة سلاح الطيران عليهم وهم فى

عقر ديارهم مفاجأة تامة مؤلمة : فقد حاصرتهم القوات البرية وحاصرت ماشيتهم وأنعامهم وراحت الطائرات فى الوقت نفسه تصب عليهم مدرار قنابلها فلم ينقض يومان على هذه الحال أو ثلاثة حتى تحطم روحهم المعنوى كل التحطم وأدركوا أن مانزل بماشيتهم كان عقابا لهم عما جنته أيديهم وجزاء على طيشهم . وكل هذا بفضل تعاون سلاح الطيران فهو الذى يقبل عقاب العصاة سريعا ومثمرا

ولكن الطائرات كما أشار الحاكم العام وبين فى شرحه اتخذت من الثوار هدفاً عاماً بينما راحت البيادة تتصيدهم فى المستنقعات ولولا ذلك لما كان الى الوصول اليهم من سبيل

وفى ذلك يقول الحاكم العام مانصه : ولم يكن هذا الهدف واضحاً فقط للطائرات لكنه كان هدفا من عناصر قبيلية لا يكون قذفها بالقنابل وهى حاشدة باعثاً على وخز الضمير إذ كانت الضرورة تقضى بأن يكون العقاب سريعاً وصارماً لأولئك الذين اشتركوا فى جريمة قتل ضابط بريطانى أو كانت راضية عن هذا الجرم مشتركة فيه بالشعور » اه .



اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطانى
الأسبق لمصر والسودان من ١٩٢٥ — ١٩٢٩

الفصل الحادى والعشرون

النيل يوحد بين مصر والسودان

لما كان النيل هو العلاقة الطبيعية بين مصر والسودان ، وهو مصدرا لحياة ومرجع السياسة والحكم فيهما فى عصور مختلفة — فقد آثرنا أن نعقد هذا الفصل لبحث هذا النهر :

النيل نهر من أهم أنهر العالم وثانيها طولا اذ يبلغ طوله من أقصى منبعه عند بحيرة تنجانيقا الى البحر الابيض المتوسط ٦٥٠٠ كيلو متر أو مايزيد على الاربعة الآف ميل ولا يضارعه فى الطول غير نهر المسيسيبى مع فرعه الميسورى اذ يبلغ طولهما ٤٢٠٠ ميل تقريبا .

ويفوقه الكثير من الأنهر فى كمية الماء ولكن لايفوقه منها نهر من الوجهة العلمية ، ومن المحتمل أن يكون القليل من الأنهر قد درس بتفصيل مثله الا أن تنائى بعض الاجزاء من حوضه وصعوبة الوصول اليها ترك الكثير من المعلومات عنه غير مجموع

ويشغل حوضه مسطحا يقرب من ٢٫٩٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع أو ثلاثة أعشار القارة الأوربية وكثير من هذه المساحة العظيمة لايمد النهر بالايراد المائى .

ويمتد حوضه من خط عرض ٤° جنوباً إلى خط عرض ٣١° شمالا ويشمل جزءا من أقليم تنجانيقا « أفريقيا الشرقية الألمانية سابقا » وكينيا والكونغو البلجيكى والحبشة وما يقرب من كل مستعمرة أوغندا كلها والسودان ومصر . ويشمل حوضه زيادة على ذلك بحيرة فيكتوريا التى هى أكبر بحيرة عذبة فى نصف الكرة الشرقى ومدينة القاهرة وهى أكبر مدينة فى افريقيا وجبل الرونزورى « ويبلغ ارتفاعه ٥١٢٠ متراً أو ١٦٨٠٠ قدم » وهو ثالث جبال أفريقيا ارتفاعا .

ويشمل حوض النيل لاتساع مداه طولا وارتفاعا الكثير من مختلف المناخ وكذا الكثير من مختلف الأحياء النباتية والحيوانية .

فمن نباتاته ما هو من نوع نباتات جبال الألب وهى تنمو فى أعالى جبال كينيا

وجبل الراونزورى الذى يغطى الجليد قممه على الدوام ومنها أيضا الغابات الأستوائية الكثيفة بصعيد البحيرات وحشائش الفيلة الطويلة المنتشرة فى أكثر أراضى أوغندا وغابات سفانا القليلة الأشجار التى توجد فى الجزء الجنوبى من الحوض والنباتات الكثيفة التى تنمو بالمستنقعات الاستوائية وغابات أواسط السودان ذات الأشجار الشوكية والنباتات الضئيلة التى تنمو فى الصحراء المكونة للجزء الشمالى من الحوض ، وبحوض النيل زيادة على ذلك المحصولات الوافرة التى تزرع فى القطر المصرى .

أما حيوانات الجزء الجنوبى من الحوض فتنتظم الكثير من الأنواع ، وأكثرها شيوعا : الفيل والجاموس والأسد والفهد والغزال العوام والتياتل ذوات الألوان المختلفة والكثير من أنواع الخيول القصيرة وتياتل جنوب أفريقية وعجل البحر وغزال الأحراش والغزال العادى والخنزير البرى والقردة ، وعلاوة على ذلك فالمنطقة غنية بطيورها وأكثرها شيوعا الطيور المائية وجوارح الطير وطيور الصيد التى منها الغرغر والقطا .

ومن حيواناته الزاحفة : التمساح وهو منتشر فى البحيرات والأنهر والكثير من أجناس السحالى والأفاعى وكذا تكثر فيه الأسماك .

ويقطن حوض أعالى النيل الكثير من الحشرات المؤذية والوبائية وعلى الأخص الناموس ، وفى بعض الجهات يوجد ذباب تسى تسى وغيره من أنواع الذباب القارص التى تسبب الأوبئة التى تصيب الانسان والحيوان . ولا يمكن الاحتفاظ بالماشية فى بعض جهات الجزء الجنوبى فلا وسيلة للنقل غير استخدام الحمالين وقد أغنى عنهم النقل الميكانيكى فى الجهات التى بها طرق ممهدة .

وصف حوض النيل

ينقسم حوض النيل إلى الأقسام الآتية :

١ — النيل الأعظم من مصب العطبرة إلى البحر ؛

٢ — العطبرة ؛

٣ — النيل الأزرق وروافده ؛

٤ — النيل الأبيض وينقسم إلى : (ا) السوباط ؛ (ب) بحر الجبل ؛ (ج) بحر الغزال ؛ (د) صعيد البحيرات

والمنطقة من شمال العطبرة بقليل الى قرب مدينة القاهرة تكاد تكون عديمة الأمطار إلا فى تلال البحر الأحمر .

وتنحصر النباتات بجميع أنواعها فى جزء ضيق بالقرب من النهر وما بعد عن ذلك فهو صحراء . والوادى فى هذه المنطقة عادة ضيق وواضح الحدود ومحصور بين تلال الصحراء . ويتسع الوادى شمال القاهرة فيكون دلتا مصر الخصبة . والملاحة ميسورة فى النيل مدة جزء من السنة من البحر حتى وادى حلفا حيث يقع الشلال الثانى جنوبها مباشرة وكثيراً ما تعيق الشلالات الملاحة من وادى حلفا إلى الخرطوم التى تبعد عن البحر ٣٠٧٠ كيلومتراً نهراً . وينبع نهر العطبرة من الجزء الشمالى من الحبشة وبالرغم مما به من كميات الماء الوافرة إبان أغسطس وسبتمبر فانه يأخذ فى النقصان من ديسمبر إلى يونية حتى يصبح بركا متناثرة

ويمتد سهل السودان الواسع جنوبا من شمال نهر العطبرة حيث تحده نجاد الحبشة شرقا وصعيد البحيرات والأراضى المرتفعة الفاصلة بين حوضى نهرى النيل والكونغو جنوبا . أما الحد الغربى فهو أكثر تدرجا وحدوده من الأراضى المرتفعة ليست بمثل هذا الوضوح

وتظهر تلال منعزلة فى السهل لكنها قليلة ومتباعدة .

وينبع النيل الأزرق من بحيرة تانا بصعيد الحبشة على ارتفاع ١٨٥٠ متراً ويجرى النهر بعد تركه البحيرة فى واد يتزايد فى العمق تدريجياً حتى يشبه الهوة فى بعض الأماكن إلى أن يصل إلى سهول السودان جنوب الروصيرص ويتصل به فى هذا الجزء الكثير من النهيرات التى تجرى كالسيول وأهمها الديديسا والدابوس ولا يعرف عنهما إلا القليل . والنيل الأزرق سهل الملاحة من الروصيرص شمالا لمدة من السنة ويتصل به فى جزئه الأسفل الدندر والرهاد من الحبشة ويمدانه بكمية معتدلة من المياه فى الفيضان ولكنهما يجفان بعد ذلك فيصبحان كالعطبرة بركا متوالية وتحمل جميع الأنهر الآتية من صعيد الحبشة كمية من الطمى إبان الفيضان . وتبعد بحيرة تانا عن مدينة الخرطوم ١٦٢٠ كيلومتراً نهرا .

ويتحد النيل الأزرق مع النيل الأبيض عند الخرطوم .

ويستمد النيل الأبيض ماءه من السوباط وبحر الزراف وبحر الجبل وبحر الغزال . ويتكون السوباط من رافد البارو الذى ينبع من صعيد الحبشة ورافد البيبور الذى يستمد ماءه من الحبشة ومن منحدرات صعيد البحيرات ويشمل حوض

السوباط مساحات شاسعة تتحول إلى مستنقعات فى فصل الأمطار . وتتيسر الملاحة فيه زمن الفيضان حتى جمبيلا على رافد البارو بالحبشة وإلى ما بعد اكوبو على رافد البيبور

ويبدأ بحر الزراف من المستنقعات التى فى شرق بحر الجبل وقد وصل بحر الزراف ببحر الجبل بقناتين صناعيتين ويجرى جزؤه بين الأسفل ضفتين منتظمتين أما جزؤه الأعلى فيجرى فى مستنقعات .

ويجرى النيل الأبيض بين ملتقى السوباط وملتقى بحر الغزال من انغرب إلى الشرق ويستمد بحر الغزال مياه من المنحدرات الشمالية لخط تقسيم المياه بين النيل والكونغو الذى ينحدر منه الكثير من المجارى الى سهول السودان حيث تكون مستنقعات يتبخر منها كل ما يصلها من المياه فلا يجرى منها فى بحر الغزال غير النزر اليسير . ويطلق اسم بحر الجبل على المجرى الأساسى للنيل الأبيض من الجنوب وهذه التسمية أطلقها العرب وقد كانوا أول من أبحر فيه . وتجاوره المستنقعات الواسعة على الجانبين فى الجزء الأسفل من مجراه وتعرف بمنطقة السد وتمتد شمالا من بور إلى بحيرة نو وكثيرا ما سدت الأعشاب الطافية بحر الجبل فى سنة ١٩٠٣ حتى كانت الملاحة فيه أحيانا مستحيلة ولذا سميت بمنطقة السد واذ نظرنا الى منطقة السد من فوق سطح مركب بخار لرأينا مستنقعا مترامى الأطراف به عشب البردى وأم الصوف والأمباتش والبوص الطويل . وربما رأينا القليل من الأشجار عن بعد وهى دليل على وجود أراض مرتفعة جافة . ويتوقف مسطح

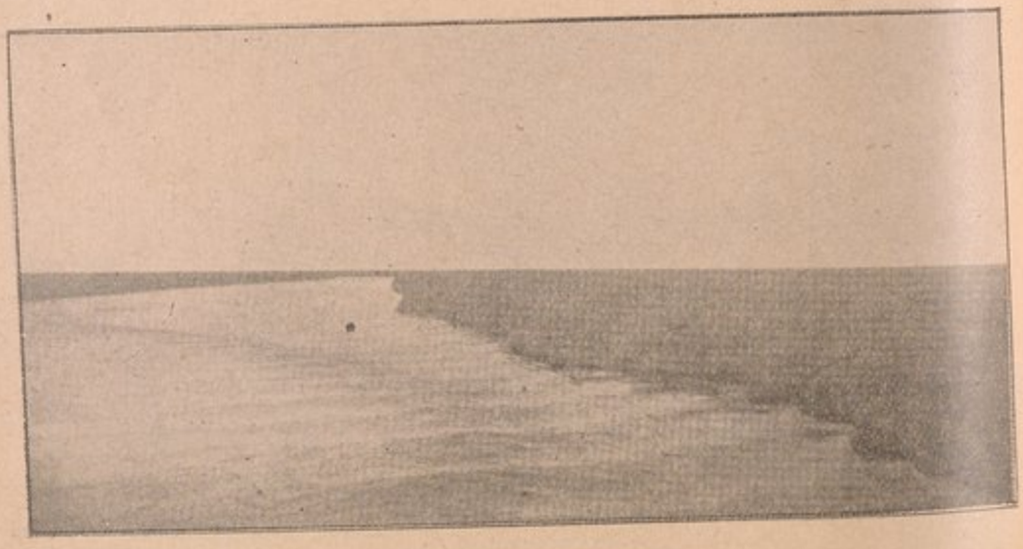

منطقة السدود ، حيث الأعشاب ومساحات ماء قليله العمق فى بحر الجبل والزراف والغزال

المستنقعات على ارتفاع منسوب النهر . وهو يختلف كثيرا من عام لآخر . ومجراه فى شمال منجلا ليس محصورا فى قناة واحدة نظرا لما يخترقه من مجارى المياه والبرك . ومنطقة المستنقعات هذه سبب خسارة فادحة فى الماء .

ويمكن رؤية تلال جنوب منجلا على بعد . وتنقطع الملاحة عند الرجاف التى تبعد عن الخرطوم ١٧٦٠ كيلومترا ويجرى النهر من الرجاف الى نمولى على حدود أوغندا فى واد ضيق تعيق سيره شلالات أشدها تأثيرا شلالات فولا جنوب نمولى مباشرة والاقليم ذو مرتفعات ومنخفضات لكنه يرتفع تدريجيا شطر صعيد البحيرات.

أما فوق نمولى فبحر الجبل أو نيل ألبرت ، كما قد يدعى أحيانا ، سهل الملاحة حتى بحيرة ألبرت وبهذه المنطقة بعض المستنقعات وتصب فى النيل بين بحيرة ألبرت والرجاف نهيرات كثيرة . وبالرغم مما تمد به النهر من كميات الماء الوافرة فى فصل الأمطار فان أغلبها يجف باقى السنة أى من ديسمبر إلى مارس .

وتتكون أعالى النيل الأبيض من مجموعتين من الأنهر احداهما تصب فى بحيرة ألبرت وتشمل بحيرتى جورج وادوارد والاخرى تصب فى نيل فيكتوريا وتشمل بحيرتى فيكتوريا وكيوجا .

ويمكن القول إجمالا أن لهاتين المجموعتين مميزات مختلفة :

فمجموعة بحيرة فيكتوريا تشمل مساحات واسعة من المستنقعات وأكثر نهيراتها مستنقعات .

أما مجموعة ألبرت أو مجموعة وادى الرفت فأغلبها أنهر جبلية تستمد ماءها من سلسلة جبال الرونزورى أو منحدرات وادى الرفت ونسبة مساحة المستنقعات فيها صغيرة .

ووادى الرفت العظيم من أهم مظاهر أواسط أفريقية وهو يمتد مع ما يعترضه من العقبات إلى وادى الأردن . والبحر الأحمر جزء منه . وينقسم جنوب حوض النيل إلى فرعين : الغربى منهما ويشمل بحيرات تنجانيقا وكيفو وادوارد وجورج وألبرت ويمتد شمالا على طول بحر الجبل . أما الفرع الشرقى من وادى الرفت فيمتد شمالا مخترقاً مستعمرة كنيا ولا يدخل فى حوض النيل .

وتفصل جبال موفومبيرو بحيرات كيفو وتنجانيقا عن حوض النيل. وهى سلسلة براكين تمتد عبر وادى الرفت وتحيط به ويبلغ ارتفاع أعلى قممها ٤٥٠٠ متر . ويكون ما يتسرب من ماء الجزء الشمالى لهذه السلسلة منبع ماء مجموعة ألبرت بينما

يتسرب ماء الجانب الآخر إلى الكونغو . وبين فرعى وادى الرفت الهضبة التى تشمل بحيرة فيكتوريا ومتوسط ارتفاعها ١٣٠٠ متر فوق سطح البحر . وهذه الهضبة ليست بمستوية السطح وتكاد تكون ملآى بالتلال فى كل جهة ، وهى على العموم تلال مستديرة ليست وعرة ولا كبيرة الانحدار . وبحيرة فيكتوريا هى منخفض قليل الغور فى هذه الهضبة . ويبلغ أكبر عمق سبر فيها ٧٠ مترا .

وتأخذ الهضبة فى الانخفاض تدريجيا الى الشمال حتى سهول السودان حيث يتصل بها بحر الجبل عند الرجاف .

وفى الشرق ترتفع الأرض تدريجيا شطر المنحدر الشرقى لوادى الرفت وتكاد تكون الحد الشرقى لحوض النيل .

أما شمالا فالحد الشرقى سلاسل جبال تمتد حتى الحد الفاصل بين بلاد الحبشة وأوغندا . والجزء المهم من هذه الجبال هو تلال شيرانجانى « يزيد ارتفاعها على ٣٠٠٠ متر » وجبل إلجون « ٤٣١٠ أمتار » وجبل دباسيان « ٣٠٦٠ مترا » وجبل ماروثو « ٣٠٥٠ مترا » وهضبة مورنجول « يزيد ارتفاعها على ٢٠٠٠ متر »

وعلى ذلك فحوض النيل يحوى جبلين من أكثر جبال افريقية ارتفاعا وهما جبل الرونزورى وتبلغ أعلى قمة فيه ٥١٢٠ مترا وجبل الجون وارتفاعه ٤٣١٠ أمتار وفى حده الجنوبى الغربى جبل كاريسمبى وهو أعلى جبال موفومبيرو ويبلغ ارتفاعه ٤٥٠٠ متر .

أما الحد الغربى لحوض النيل فمكون من المنحدر الغربى للجزء الغربى من وادى الرفت وليس الحد بين مجموعتى ألبرت وفيكتوريا واضحا فان المستنقع نفسه قد يكون منبعا لأنهار بعضها من مجموعة البرت والبعض الاخر من مجموعة فيكتوريا ، فنهر النكوسى مثلا الذى يصب فى بحيرة ألبرت ونهر كافو الذى يصب فى نيل فيكتوريا ينبعان من مستنقع فى هضبة بحيرة فيكتوريا . وهناك مالا يقل عن اتصالين من هذا القبيل بين مجموعتى ألبرت وفيكتوريا .

والبحيرات سبب ضياع قدر عظيم من الماء فى كل من جزأى حوض أعالى النيل بالتبخر من سطحها . ومع ذلك فانها تفى بالغرض فى تسوية ماء النيل الابيض كما أنها أهم مورد يمد مصر بالماء إبان انخفاض النيل . ولولاها لكان ماء النيل ابان انخفاضه قليلا جدا ، وليست هناك طريقة لزيادة التسوية فى ماء النيل الا عمل

موازنة على ماء البحيرات بانتظام حتى تصل الى درجة يمكن معها جعل ماء السنين الطيبة يزيد على ماء السنين الشحيحة . وعلى كل فيجب قبل وضع مشروع نهائى من هذا القبيل دراسة حوض أعالى النيل درسا وافيا كما يجب ابتكار طريقة تقلل من خسارة الماء الفادحة فى منطقة السد .

ويبلغ طول بحيرة ألبرت نحو ١٧٥ كيلو مترا وعرضها ٤٥ كيلوا وتقرب مساحتها من ٥٣٠٠ كيلو متر مربع وهى على ارتفاع ٦٢٠ مترا فوق سطح البحر وأهم الانهار التى تمدها بالماء هو نهر السمليكى الذى ينبع من بحيرة ادوارد ويصب غرب جبل الرونزورى

وتبلغ مساحة بحيرة ادوارد ٢٢٠٠ كيلو متر مربع وهى أعلى من بحيرة ألبرت بما يقرب من الثلاثمائة متر وتصب فيها جملة نهيرات لايعرف عنها الا القليل من وجهة الابحاث المائية . أما بحيرة جورج فصغيرة ولا أهمية لها

وتمتد بحيرة فيكتوريا مسافة $31\frac{1}{2}$° من خطوط العرض ويخترقها خط الاستواء ويبلغ طولها من بورت بل شمالا الى موانزا جنوبا ٣١٥ كيلو مترا ويبلغ اتساعها فى أعظم أجزائها عرضا ٢٧٥ كيلو مترا . ومساحتها ٦٩٠٠٠ كيلو متر مربع ومتوسط عمقها أربعون مترا وأعظمه ٧٠ مترا وساحلها على العموم كثير التعاريج والتلال وبها جزر كثيرة . وأهم نهيراتها نهر كاجيرا وأقصى منابعه عند خط العرض ٤° جنوبا قريبا من بحيرة تنجانيقا بالأراضى البلجيكية على ارتفاع ٢٠٠٠ متر . أما نيل فيكتوريا وهو المنفذ الوحيد للبحيرة فيخرج منها عند جنجا فوق شلالات ريبون ثم يجرى فى واد عميق فوق جملة شلالات وتتعذر فيه الملاحة لمسافة . ثم يخترق الطرف الشرقى لبحيرة كيوجا وهى متسع من الماء قليلة الغور ذات ألسن تسدها نباتات المستنقعات .

أما بعد بحيرة كيوجا فالملاحة ممكنة بنيل فيكتوريا الى نقطة يلتوى عندها نحو الغرب ثم يعترض مجراه بعد ذلك الكثير من الشلالات حتى يبلغ شلالات مورتشيسون حيث يدخل بعد ذلك بقليل الجزء الشمالى من بحيرة ألبرت

الأبحاث المائية

ان أغزر سقوط أمطار حوض النيل يقع على صعيد البحيرات وفى الحبشة ويقل على العموم من الجنوب الى الشمال ثم يتزايد ثانية على ساحل البحر الابيض المتوسط ويقرب متوسط سقوط الأمطار فى صعيد البحيرات من ١٣٠٠ مليمتر فى العام بالرغم

من اختلافه فى مختلف الجهات الى أن يبلغ حده الأعلى وهو ١٨٠٠ مليمتر ويبلغ متوسط مايسقط بصعيد بلاد الحبشة ١٠٨٠ مليمتر أما متوسط سقوط الامطار من شمال العطبرة الى بضع كيلو مترات من مدينة القاهرة فهو أقل من ٢٥ مليمتر سنويا وقد ينعدم تماما فى بعض السنين . ويبلغ متوسط سقوط الامطار على ساحل البحر الابيض المتوسط ١٥٠ مليمترا

ويبلغ سقوط الأمطار نهايته العظمى فى الجزء الجنوبى من صعيد البحيرات فى شهر ابريل ونهايته تتحول الى نهاية عظمى واحدة فى سهول السودان فى شهرى يولية وأغسطس

وقد تسقط الأمطار بصعيد البحيرات فى أى وقت من السنة ، ولكن باتجاهنا شمالا يتميز الفصلان : فصل الرطوبة وفصل الجفاف .

ويمكن القول أن سقوط الأمطار يحدث فى منطقة تتبع سير الشمس شمالا وجنوباً متأخراً شهراً أو شهرين ويعزى أصل الكثير من أمطار حوض نهر النيل إلى الجزء الجنوبى من المحيط الأطلسى .

ويمكننا تقسيم ماء النيل إلى قسمين : قسم تحمله نهيرات تنبع فى الحبشة والآخر يأتى به بحر الجبل من صعيد البحيرات . ولا يتسرب الكثير من الأمطار التى تسقط بالسودان إلى النيل ، لأن أكثرها إما أن يتبخر أو تمتصه النباتات فى موقع سقوطه ويعزى هذا إلى استواء أكثر أراضى السودان .

وأهم أنهر الحبشة هى النيل الأزرق والعطبرة والبارو ولها مميزات أنهر الجبال إذ ترتفع ارتفاعاً سريعاً فى فصل الأمطار مع تغييرات كبيرة وتحمل كميات عظيمة من الماء ، أما بعد فصل الأمطار فيقل جريانها فى سرعته كما يحدث عادة فى العطبرة وفى الرهاد والدندر ، إذ يقف جريان الماء فيها لمدة تزيد على نصف السنة وتجف مجاريها إلا فى برك منعزلة ، وماء هذه الأنهر تكون فى أثناء الفيضان مشبعة بالطمى مما يجعل خزنها فى الخزانات من أصعب الأمور .

ويستمد النيل الأعظم أكثر مائه من النيل الأزرق الذى يبلغ معدل تصرفه عند مدينة الخرطوم ١٦٤٠ متراً مكعباً فى الثانية بين سنة ١٩١٢ و ١٩٣٣ ولكن معدل تصرفه فى شهر أغسطس ٥٦٩٠ مترا ثم يتناقص حتى يبلغ ١٠٠ متر مكعب فى الثانية فى شهر إبريل .

أما فى شهر سبتمبر الذى يبلغ فيه النيل الاعظم أعلاه فان نسبة ما يستمده من الماء على التقريب كالآتى :

٦٩ ٪ من النيل الأزرق و ١٧ ٪ من النيل الأبيض ويأتى المجرى الأصلى للنيل الأزرق من بحرة تانا لكنه لا يستمد ماء كثيراً منها لأن متوسط التصرف من البحيرة يبلغ ١٢٠ مترا مكعباً فى الثانية .

ويبلغ الفرق بين أعلى وأقل منسوب للنيل الأزرق عند الروصيرص التى هى أبعد نقط القياس عليه نحو تسعة أمتار . أما فى رافد العطبرة عند خشم القربة فان متوسط فرق المنسوبين يقرب من خمسة أمتار .

ويبين الجدول الآتى فى الصفحة التالية متوسط التصرف الشهرى فى بعض المحطات المهمة فى حوض النيل وقد بنى على التصرفات المقيسة بالرغم من استعمال مناسيب النيل فى بعض الأحيان بوضع الأوساط العديدة للتصرفات المقيسة :

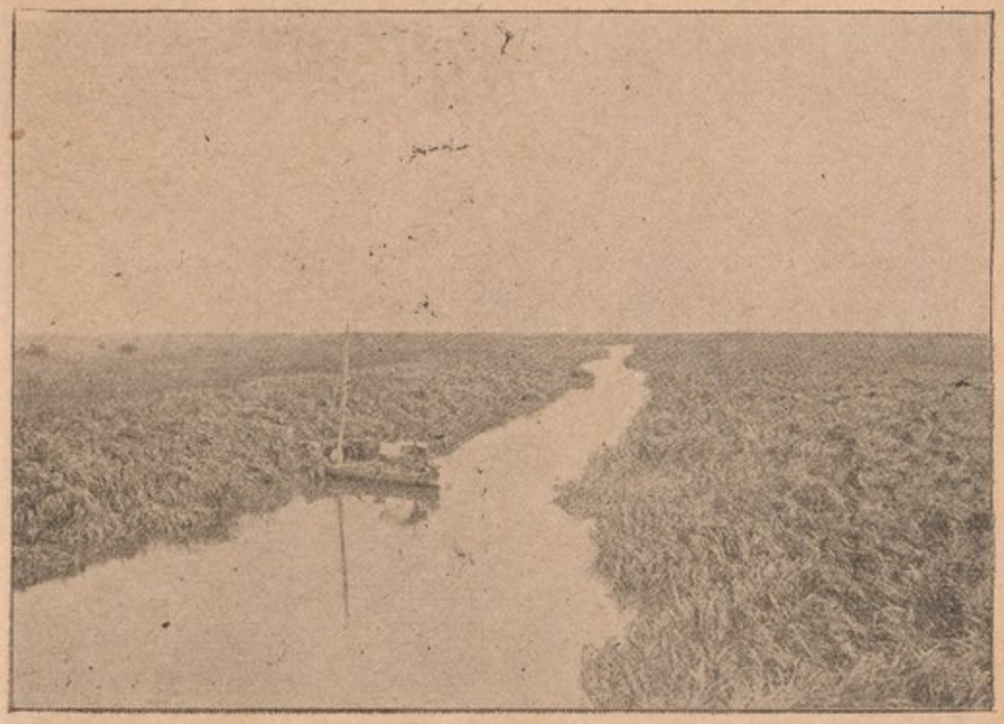

بحر الغزال

معدل المتوسطات الشهرية لتصرف النيل ونهيراته الرئيسية بالمتر المكعب فى الثانية سنة (١٩١٢ — ١٩٣٣)

النيل ونهيراته	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المتوسط السنوى
النيل الرئيسى عند أسوان خلف الخزان	١١١٠	٩٤٠	٧٦٠	٧١٠	٨٠٠	١٠٢٠	١٧١٠	٦٣٠٠	٧٨٢٠	٥٤٦٠	٢٨٠٠	١٤٨٠	٢٥٨٠
« « « وادى حلفا (١)	١٤٠٠	١٠٢٠	٧٤٠	٥٩٠	٥٦٠	٧٣٠	١٨٦٠	٧١٣٠	٨٤٩٠	٥٦٨٠	٣٠٠٠	١٨٨٠	٢٧٦٠
نهر العطبرة عند الفم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٣٠	٦٤٠	٢٠٦٠	١٣٨٠	٢٨٠	٧٠	٢٠	٣٨٠
النيل الرئيسى عند الخرطوم (١)	١٢٤٠	٩٠٠	٧٠٠	٦١٠	٧٠٠	١١٠٠	٢٦٠٠	٦٢٧٠	٦٧٤٠	٤٤٢٠	٢٤١٠	١٦٦٠	٢٤٦٠
« الأزرق عند الخرطوم (١)	٣٤٠	٢١٠	١٤٠	١٠٠	١٧٠	٤٩٠	٢٠٧٠	٥٦٩٠	٥٥٨٠	٣٠٢٠	١١٩٠	٥٨٠	١٦٤٠
« الأبيض عند الخرطوم	٩١٠	٦٩٠	٥٦٠	٥٣٠	٥٥٠	٦٢٠	٥٨٠	٦٢٠	١١٤٠	١٣٩٠	١٢٢٠	١٠٩٠	٨٣٠
« « « الملاكال	٨١٠	٦٥٠	٥٨٠	٥٣٠	٥٨٠	٧٥٠	٩١٠	١٠٥٠	١١٦٠	١٢٤٠	١٢٣٠	١١١٠	٨٩٠
نهر السوباط عند حلة دوليب	٣٢٠	١٨٠	١٢٠	١٠٠	١٦٠	٣٤٠	٤٩٠	٦١٠	٧٠٠	٧٦٠	٧٨٠	٦٣٠	٤٣٠
النيل الأبيض — السوباط — المستنقعات (٢)	٤٩٠	٤٧٠	٤٦٠	٤٣٠	٤٢٠	٤١٠	٤٢٠	٤٤٠	٤٦٠	٤٨٠	٤٥٠	٤٨٠	٤٦٠
بحر الجبل عند منجلا	٧٥٠	٧٠٠	٦٨٠	٧٢٠	٨٧٠	٨٤٠	٩١٠	١٠٣٠	١٠٧٠	١٠٤٠	٩٥٠	٨٣٠	٨٧
جزء بحر الجبل الذى يصل منجلا من بحيرة البرت	٧٥٠	٧٠٠	٦٧٠	٦٦٠	٦٧٠	٦٨٠	٦٩٠	٧١٠	٧٣٠	٧٧٠	٧٩٠	٨٠٠	٧٢٠
النسبة المئوية بين بحيرة البرت	١٠٠	١٠٠	٩٩	٩٢	٧٨	٨١	٧٦	٦٩	٦٩	٧٤	٨٣	٩٦	٨٣
نيل فيكتوريا بعد بحيرة كيوجا (٣)	٦٧٠	٦٢٠	٦٠٠	٦٢٠	٦٩٠	٧٤٠	٧٦٠	٧٨٠	٧٨٠	٧٩٠	٧٨٠	٧٤٠	٧١٠
« « عند شلالات ريبون	٥٩٠	٥٨٠	٥٩٠	٦٤٠	٧٢٠	٧٣٠	٦٨٠	٦٤٠	٦٢٠	٦٠٠	٦٠٠	٦١٠	٦٣٠

(١) فى السنوات من ١٩٢٥ — ١٩٣٣ قد عمل حساب تأثير الموازنة عند قناطر سنار . (٢) ويشمل بحر الغزال الذى يتراوح تصرفه من — ١٢ إلى ٩٥ . مترا مكعباً فى الثانية . (٣) هذا المعدل هو للسنين ١٩١٣ — ١٩٣٣ بعد حذف سنة ١٩١٤

وبمقارنة المتوسطات السنوية نرى من الجدول أن النهر يفقد جزءا من الماء من العطبرة فصاعدا شمالا وكذا يفقد النيل الأبيض جزءا بين الملاكال والخرطوم.

ويتبين من الجدول أن النيل الأبيض هو أهم مورد للماء فى طور انخفاض النيل الذى يصبح فى هذه الفترة عاجزا عن سد حاجات الرى لمصر فتضاف إلى مائه كمية من الماء المخزون فى خزان أسوان. ويحجز هذا الماء على الأخص فى شهرى ديسمبر ويناير ويصرف منه من أبريل إلى يولية وفى كلتا الحالتين تحدد حال النهر هذه المواعيد التى تختلف من سنة إلى أخرى.

ويرى من الجدول الطريقة العامة لموازنة الخزان بمقارنة تصرفات وادى حلفا وأسوان. وأول استعمال لخزان أسوان بعد تعليته كان فى فترة ١٩١٢ — ١٩١٣ ومن هنا يتضح أن الفترة المذكورة فى الجدول هى منذ تعلية الخزان.

ويمد النيل الأبيض مصر فى أشد الشهور انخفاضا بما يقرب من ٨٠٪ من كمية الماء. فيبلغ تصرفه نهايته العظمى عند الخرطوم فى شهر أكتوبر بمعدل ١٣٩٠ مترا مكعبا فى الثانية ويعيق ارتفاع النيل الأزرق السريع تصرف النيل الأبيض فيحفظ ماءه ويملأ جزء منه واديه إلى أن تطلق حين انخفاض النيل الأزرق. ويرى تأثير ذلك بمقارنة تصرفات النيل الأبيض عند الملاكال والخرطوم من يولية إلى أكتوبر. وقد أقيم خزان جبل أولياء على النيل الأبيض قريبا من الخرطوم لحجز هذه الكمية من الماء زمنا أطول لمد مصر بها فى زمن التحاريق

ولتصرف النيل الأبيض مصدران: (١) السوباط الذى يختلف متوسط تصرفه من ٧٨٠ مترا مكعبا فى الثانية فى شهر نوفمبر إلى ١٠٠ متر مكعب فى الثانية فى أبريل، (٢) تصرف بحر الزراف وبحر الجبل وهو ثابت تقريبا طول السنة ولو أنه يختلف قليلا من سنة إلى أخرى.

ويتكون نهر السوباط من التقاء نهرى البارو والبيبور أمام محطة الناصر بقليل والجزء الأعظم من تصرف السوباط يأتى به نهر البارو من بلاد الحبشة وتستمد نهيرات جيلا واكوبو وخور مكواى التى هى أهم فروع البيبور ماءها من الحبشة أيضا ومعظم فروع البيبور الباقية تأتى من منحدرات صعيد البحيرات ولكنها لاتمده إلا بجزء يسير من الماء.

ويبلغ تصرف السوباط حده الأعلى عند المصب فى أكتوبر ونوفمبر. أما فى نهيرات الحبشة فيبلغ هذا الحد فى سبتمبر. وسبب هذا التأخر هو أن المساحات

الكبيرة من الأرض المستوية يغمرها النهر ثم يعود بعض الماء منها إلى النهر فيما بعد وقد غمر الماء مساحات شاسعة بين السوباط ونجد الحبشة وصعيد البحيرات وبحر الجبل فى فيضان سنة ١٩١٧ الغزير . وبلغ التصرف عند مصب السوباط فى هذه الفترة غايته فى شهر فبراير سنة ١٩١٨ بينما كان أعظم تصرف عند جميلا على البارو فى سفح نجد الحبشة قبل منتصف أكتوبر

ويمكن عد بحر الزراف شعبة لبحر الجبل لأنه ينبع من مستنقعات شرق بحر الجبل ويتصل به بقناتين حفرتا بالكراكات فى سنتى ١٩١٠ و ١٩١٣ فماؤه مستمد من بحر الجبل .

أما بحر الغزال فيمد النيل الأبيض بقدر يسير من الماء بالرغم من اتساع مساحة حوضه الغزير الأمطار . وأكبر تصرف قيس فى مصب بحر الغزال هو ٩٠ مترا مكعبا فى الثانية وقد يجرى أحيانا فى الاتجاه المضاد أى من النيل الأبيض إلى بحيرة نو أما نهيرات خط تقسيم مياه نهرى النيل والكونغو فتجرى فى سهول السودان حيث تكون مستنقعات يضيع أغلب مائها بالتبخر وبامتصاص النباتات لها

ويعادل تصرف بحر الجبل والزراف وبحر الغزال الفرق بين تصرف النيل الأبيض عند الملاكال وتصرف مصب السوباط ولذا سمى هذا المجموع فى الجدول تصرف المستنقعات .

وإذا أهملنا مايأتى به بحر الغزال فان جميع الماء الذى يجرى ويصل إلى أطراف المستنقعات يأتى من البحيرات العظمى ومن منحدرات صعيد البحيرات ماراً بمنجلا ولا يصل إلى نهايات المستنقعات من التصرف المار بمنجلا الا نصفه وهى نسبة متغيرة ففى السنين العالية تزيد النسبة المئوية للضائع وتقل حين انخفاض النيل

وللمستنقعات تأثير آخر وهو إعاقة جميع التغيرات عدا الرئيسية منها وإطالة الزمن الذى تستغرقه تغيرات التصرفات بمنجلا ليكون تأثيرها محسوسا فى نهاية المستنقعات . ويبلغ هذا الزمن من ثلاثة إلى أربعة شهور ولكنه يقل حينما تكون المناسيب واطئة جدا عند جفاف جزء كبير من المستنقعات

واذا راعينا الفترة التى يستغرقها سير الماء نجد أن التصرف الشهرى عند نهاية المستنقعات لايزيد بحال من الأحوال على كمية الماء المارة بمنجلا ، وعليه فقد كانت المستنقعات دائما سببا فى ضياع الماء ولم تكن كخزانات فى وقت من الأوقات

وبهذه المناسبة ندون فيما يلى أقل تصرفات السنتين ١٩٢٢ و ١٩٢٣ :

المتوسط الشهرى للتصرف بالمتر المكعب فى الثانية

	منجلا			المستنقعات = الملاكال ـ السوباط	
	١٩٢١ — ٢٢	١٩٢٢ — ٢٣		١٩٢٢	١٩٢٣
ديسمبر	٤٤٠	٤٠٠	فبراير	٣٧٠	٣٦٠
يناير	٤٠٠	٣٧٠	مارس	٣٢٠	٢٩٠
فبراير	٣٧٠	٣٣٠	ابريل	٢٩٠	٢٨٠
مارس	٣٧٠	٣٢٠	مايو	٢٩٠	٣٠٠
ابريل	٤٠٠	٣٥٠	يونية	٣٠٠	٣٣٠

ويتصل الكثير من النهيرات ببحر الجبل بين منجلا وبحيرة ألبرت وتمده هذه النهيرات فى فصل الأمطار بقدر وافر من الماء وكلها سيول جارفة سريعة الارتفاع والهبوط . وما تأتى به من الماء من ديسمبر الى مارس ضئيل لا يستحق الذكر أما مورد بحر الجبل المستمر فهو البحيرات التى تمده على المتوسط بنحو ٨٠ ٪ من كمية مائه السنوية .

أما المعلومات عن نظام بحيرتى فيكتوريا والبرت فقليلة جداً وعليه فكل ما يستنتج منها تجريبى . وقد بحث الدكتور ه . ا . هرست المعلومات الحالية فى تقرير نشر عن حوض صعيد بحيرات النيل وطبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٢٥ ملخصه ما يأتى :

أهم نهيرات بحيرة فيكتوريا هو نهر كاجيرا وتأتى النهيرات الشرقية والجنوبية بكميات وافرة من الماء فى فصل الأمطار لكنها عديمة الأهمية زمن الجفاف . أما نهر كاتونجا الواقع بالجهة الغربية فهو ما تبقى من مجموعة أنهر كبيرة ولكن ما يمد به البحيرة من المياه قليل لأن بواديه مستنقعات البردى التى تعيق سير المياه . ومستنقعات الوديان هذه من مميزات مساحات عظيمة من أوغندا . ويقترب خط تقسيم المياه من البحيرة فى شمالها فتتجه المياه شمالا الى بحيرة كافو وكيوجا . ونظراً لاتساع مساحة بحيرة فكتوريا التى تبلغ ½ مساحة حوضها ونظراً لصغر النسبة المئوية لماء الأمطار المتسربة اليها فان أهم العوامل تأثيرا على نظامها هو ما يسقط على سطحها من الأمطار مباشرة وما يتبخر منه . وهذه العوامل تقدر بأربعة

أضعاف العوامل الأخرى أى ما ينحدر من حوضها وما يصب فى شلال ريبون

ولا يعرف تصرف نيل فيكتوريا إلا بالتقريب ولكن يتضح من المعلومات الموجودة أن التصرف يتساوى على التقريب أمام بحيرة كيوجا وخلفها من الجدول السابق .

وقد يحتمل أن تكون بحيرة كيوجا منبع خسارة فى النصف الأول من السنة ومنبع زيادة فى النصف الثانى. على أن كلا من الزيادة والنقصان عادة قليل الأهمية .

وتأثير ذلك على نيل فيكتوريا هو تأخير موعد النهاية العظمى والنهاية الصغرى والنهاية العظمى أمام بحيرة كيوجا تحصل فى يونية والصغرى فى يناير وفبراير بينما النهاية العظمى خلف بحيرة كيوجا تكون من أغسطس إلى نوفمبر والصغرى فى مارس .

أما فى حالة بحيرة ألبرت فان متوسط ما يدخلها من ماء نيل فيكتوريا يقرب من ضعف ما يتسرب من حوضها وما يخرجه منها نيل ألبرت أو بحر الجبل يزيد بقدر الثلث عما يدخلها من مياه نيل فيكتوريا ويبلغ التبخر $\frac{1}{3}$ هذه المقادير بينما يبلغ مايسقط عليها من الأمطار مباشرة خمسها وتحدث النهايتان العظمى والصغرى متأخرتين شهرا على التقريب عن حصولهما بنيل فيكتوريا .

وما تقدم هو نتائج عامة استخلصت من المعلومات الحالية القليلة عن المباحث المائية لصعيد البحيرات وتحتاج للتأكيد ولزيادتها بأرصاد تفصيلية تؤخذ باستمرار فى سنين كثيرة . وهو ما يقوم به الرى المصرى فى السودان

* * *

أما ما سجل من مناسيب النيل فى مصر فيرجع إلى سنين عديدة ولكن القديم منها عن سنة ١٨٧٢ غير مستوف إذ ليس به إلا مناسيب مبعثرة . وتوجد مجموعة للنهايات العظمى والصغرى للمناسيب عند القاهرة من سنة ٦٤١ إلى سنة ١٤٥٠ ميلادية تكاد تكون كاملة . ومما يلفت النظر فى هذه المعلومات أن الفيضانات كانت أعلى من المتوسط فى مدة طويلة تقرب أحيانا من الخمسين عاما وأقل منه فى فترات أخرى كما يحتمل حدوث فيضانات منخفضة جدا بين مجموعة من الفيضانات العالية وبالعكس . وقد فحصت هذه السجلات للوقوف على هل كانت الفيضانات العظيمة دورية وقد استنتجت منها أطوار قصيرة . وتطمس الاختلافات معالمها لدرجة تصبح معها عملية التنبؤ عديمة الفائدة .

وتوجد علاقة بين الأحوال الجوية لجنوب المحيط الأطلسى وبين فيضان النيل ولكن لم يتيسر حتى الآن عمل تنبؤ عن الفيضان يمكن الاعتماد عليه فى الأغراض العملية . وعلى كل فقد يمكن فى يوم من الأيام بتقدم علم الظواهر الجوية وبالوقوف بالتفصيل على حقيقة العامل الذى ينشأ عنه الفيضان أن يستنتج تنبؤ دقيق عن حال الفيضان قبل حدوثه ببضعة أشهر . وتزداد قيمة هـذا التنبؤ بارديـاد مناطق الرى فى وادى النيل

ويمكن عمل تنبؤات يعتمد عليها فى حال انخفاض النيل قبل حدوثه ببضعة أشهر ففى شهر ديسمبر مثلا يمكن عمل تنبؤات عن حالة النيل على العموم بمصر لغاية شهر مايو . ولكن ابتداء الأمطار فى صعيد الحبشة يجعل هذه التنبؤات بعد هذا الميعاد غير مؤكدة وكذلك يمكن عمل تنبؤات لمـدد قصيرة مبنية على حساب التصرفات والمناسيب الأمامية بدرجة عظيمة من التحقيق .

وتحمل تنبؤات من هذا القبيل باستمرار لتساعد على وضع برنامج الرى ولملء خزان أسوان وتفريغه .

المنـاخ

إن اتساع مدى حوض النيل ارتفاعا وعرضا ينشأ عنه اختلاف عظيم فى المناخ وللحوض على وجه التقريب ثلاثة أقسام رئيسية من المناخ وهى منطقة البحر الأبيض المتوسط والمنطقة الصحراوية والمنطقة الاستوائية وحدود هذه المناطق ليست معينة ولكن يمكن القول على وجه التقريب أن منطقة البحر الأبيض المتوسط تشتمل على الدلتا وتمتد مسافة قصيرة فى صعيد مصر وأن المنطقة الصحراوية تشمل جزءا من صعيد مصر وشمال السودان وتمتد تقريبا حتى العطبرة وأن المنطقة الاستوائية هى ما بقى من الحوض .

وأهم ما بنى عليه هـذا التقسيم هو الدورة الجوية وللقسم الاستوائى أحوال متعددة من حيث سقوط الأمطار والرطوبة ودرجة الحرارة وهى العوامل المباشرة فى التأثير على الحياة فيه . ومميزات النصف الشمالى من هذا الحوض درجة الحرارة وانخفاض درجة الرطوبة وقلة الأمطار ويندر وجود المـاء بعيدا عن الأنهار فى فصل الجفاف حتى فى سهول جنوب السودان .

ولتوزيع الضغط الجوى أربعة فصول يمكن تسميتها بالشتاء من نوفمبر إلى مارس والصيف من يونية إلى سبتمبر مع فترتى انتقال قصيرتين بينهما .

ويتمركز الضغط المرتفع على الصحراء الكبرى مدة فصل الشتاء وتكون رياح وادى النيل جزءا من الرياح التى تدور حوله . وللضغط المرتفع مركز آخر فوق أواسط آسيا ، وتخترق أفريقية منطقة من الضغط المنخفض محورها يقرب من شمال خط الاستواء ، وتهب على العموم رياح شمالية على وادى النيل حتى خط الاستواء ويعيق هذا الدوران العام الانخفاضات الجوية التى تسير على البحر الأبيض المتوسط من المغرب إلى الشرق فتكثر الرياح الجنوبية فى الوجه البحرى شتاء . وفى فبراير حين يكون تأثير الضغط المنخفض على البحر الأبيض المتوسط واضحا تكون الريح السائدة على مصر من الساحل حتى مدينة القاهرة جنوبا متجهة نحو الجنوب الغربى ويكون الريح العام شماليا بين خطى العرض ٣٠° و٢٠° شمالا على مدار السنة .

وفى التوزيع الصيفى تتكون منطقة منخفضة الضغط فوق الشمال الغربى للهند انحدارها على العموم من الغرب إلى الشرق . أما فى الجزء الشمالى من الحوض فتهب باستمرار رياح شمالية . وفى النصف الجنوبى تكون الرياح على العموم جنوبية غربية تحمل معها الندى الذى يسقط أمطاراً فى جنوب السودان والحبشة .

وعلى العموم توجد منطقة قليلة الضغط ذات خطوط ضغط متساوية مغلقة فى أثناء فترتى الانتقال فوق أواسط السودان تدور حولها الرياح بينما تهب رياح شمالية على الجزء الشمالى من الحوض وأكثر مايتوقف عليه اتجاه الريح فى صعيد البحيرات هو شكل المكان الطبوغرافى .

ويمكن القول على وجه التقريب بأن طقس النصف الشمالى من الحوض فى أثناء الصيف أكثر انتظاما من طقس الشتاء والأمر بالعكس فى الجزء الجنوبى .

ويبين الجدول الآتى الظواهر الرئيسية لتوزيع درجة الحرارة :

معدل درجة الحرارة بالسنتيجراد

المرصد	المتوسط السنوى	أعلى متوسط شهرى		أقل متوسط شهرى		أعلى متوسط النهاية العظمى		أقل متوسط النهاية الصغرى		متوسط المدى اليومى	
		الشهر	المقدار	الشهر	المقدار	الشهر	المقدار	الشهر	المقدار	يناير	يولية
الاسكندرية	١٩ر٩	اغسطس	٢٥ر٩	يناير	١٣ر٥	أغسطس	٣٠ر٨	يناير	١٠ر٤	٨ر٢	٧ر٣
الجيزة (القاهرة)	١٩ر٥	يولية	٢٦ر٧	»	١٠ر٨	يولية	٣٥ر٣	»	٥ر٤	١٣ر٦	١٥ر٩
وادى حلفا	٢٤ر٤	»	١٣ر٦	»	١٤ر٤	يونية	٤١ر٣	»	٧ر٧	١٦ر٣	١٧ر٩
الخرطوم	٢٨ر٢	يونية	٣٣ر١	»	٢١ر٤	»	٤١ر٨	»	١٤ر٩	١٥ر١	١٤ر٠
الملاكال	٢٦ر٣	ابريل	٢٩ر٧	أغسطس	١٤ر٦	مارس	٣٩ر٠	ديسمبر	١٧ر٦	١٧ر٧	٩ر٨
منجلا	٢٦ر١	مارس	٢٨ر٤	يولية أغسطس	٢٤ر٣	»	٣٧ر٣	يناير	١٩ر٥	١٧ر٥	١٠ر٩
عين تيبه	٢١ر٥	فبراير	٢٢ر٢	يولية	٢٠ر٤	يناير . فبراير	٣٦ر٧	يولية.أغسطس	١٦ر٤	٩ر٣	٨ر٣

وتحدث أقصى درجات الحرارة فى شمال السودان ولو أن درجات الحرارة المرتفعة تحدث فى كل مكان ما عدا الأراضى المرتفعة . أما فى مصر فقد كانت أعلى درجة حرارة سجلت حديثاً هى ٥١ سنتيجراد فى أسوان وأقل درجة هى - ٤ سنتيجراد فى الجيزة . وقد سجلت درجة ٥٢٫٥° سنتيجراد فى السودان فى وادى حلفا و٥٥٫٥° سنتيجراد فى طوكر . الا أن الأخيرة مشكوك فيها . وأقل درجة حرارة سجلت فى السودان هى - ٢° سنتيجراد فى وادى حلفا .

أما على شاطىء البحر الأبيض المتوسط فان مدى الفروق السنوى واليومى أقل مما هما عليه فى الداخل ويزيد هذان المديان فى مصر العليا وفى شمال السودان ويؤثر عليهما فصل الأمطار جنوبا عن ذلك ولو أن المدى اليومى يظل كبيرا فى فصل الجفاف لغاية نمولى على حدود أوغندا والسودان .

معدل النسبة المئوية للرطوبة النسبية

بالمرصد	المتوسط السنوى	اعلى منسوب شهرى		اقل منسوب شهرى	
		الشهر	المقدار	الشهر	المقدار
الاسكندرية	٧٢	يولية	٧٧	فبراير	٧٠
الجيزة (القاهرة)	٦٩	ديسمبر	٨١	مايو ويونية	٥٥
وادى حلفا	٣٢	»	٤٩	يونية	٢٠
الخرطوم	٣٠	أغسطس	٥٥	ابريل	١٥
الملاكال	٥٨	»	٨٦	فبراير	٢٤
منجلا	٦٩	يولية و أغسطس	٨٤	يناير	٤٨
بوكوبا (بحيرة فيكتوريا)	٨٠	ابريل	٨٩	يولية	٧١

وأهم ما يلفت النظر من الظواهر الجوية من حيث الرطوبة انخفاضها فى الجزء الشمالى من السودان ويقل متوسطها من ساحل البحر الابيض المتوسط الى الداخل حتى قرب مروى عند خط عرض ١٨° شمالا حيث يبلغ المتوسط السنوى ٢٢ ٪ ومروى بلا ريب من أجف بقاع العالم وكثيرا ماسجلت بها نسب للرطوبة تقرب من الصفر ، وكثيرا ماتبلغ نسبة الرطوبة ٥ ٪ فى القطر المصرى والسودان من ساحل البحر الابيض المتوسط الى مسافة جنوب الخرطوم فى الربيع وفى أوائل الصيف ويزيد المتوسط السنوى من مروى فما بعدها لسقوط الأمطار ولكن تقل

الرطوبة جدا فى فصل الجفاف من أواسط السودان جنوبا حتى الملاكال وترتفع درجة الرطوبة قرب بحيرة فيكتوريا على طول السنة .

وقد بحث سقوط الامطار الى حدما . والجدول الآتى يزيد الشرح بيانا :

معدل سقوط الامطار بالمليمتر

المرصد	المجموع السنوى	أعلى متوسط شهرى		أقل متوسط شهرى	
		الشهر	المقدار	الشهر	المقدار
الاسكندرية	١٩٢	ديسمبر	٦٠	يونية يولية أغسطس	صفر
الجيزة « القاهرة »	٣٠	يناير	٧	يوليه أغسطس سبتمبر	»
وادى حلفا	—	—	—	—	»
الخرطوم	١٥٧	أغسطس	٧٠	نوفمبر إلى فبراير وأبريل	»
الملاكال	٨٨٧	»	٢٠٥	ديسمبر الى فبراير	»
منجلا	٩٥٤	يوليه	١٣٨	يناير	٢
عين تيبه	١٤٩٨	ابريل	٢٥٧	»	٦٦

المسافة بين بحيرة فيكتوريا وبين أهم الأماكن الواقعة على النيل ومقدار ارتفاعها عن سطح البحر

الأماكن	الموقع	المسافة من شلالات ريبون	ارتفاع أوطأ سطح تصله المياه عن منسوب سطح البحر
		بالكيلو متر	بالمتر
شلالات ريبون	بحيرة فيكتوريا	٠	١١٣٤*
ماسندى بورت	نيل «	٢٢٥	١٠٣٠
شلالات مارتشزون	« «	٣٨٥	٦٦٤ *
بحيرة البرت	بحيرة البرت	٤١٦	٦١٩
وادلاى	بحيرة الجبل	٤٧٧	٦١٨
نيمولى	« «	٦٢٦	٦١٤
جوندو كورو	« «	٨٠٨	٤٥٢
منجلا	« «	٨٤٥	٤٤٢
بور	« «	٩٧٣	٤٢١
بحيرة نو	النيل الابيض	١٥٩٢	٣٨٨
التوفيقية	« «	١٧٢٤	٣٨٥
الملاكال	« «	١٧٣٨	٣٨٤
الدويم	« «	٢٣٥٤	٣٧٤
الخرطوم	« «	٢٥٥٦	٣٧٢
نهر العطبرة	النيل	٢٨٧٧	٣٤٢
أبو حمد	«	٣١٢٩	٣٠٨
كريمة	«	٣٣٦١	٢٤١
وادى حلفا	«	٤٠٨٩	١١٥
أسوان (المدينة)	«	٤٤٣٨	٨٣
الأقصر	«	٤٦٥٥	٦٨
قنا	«	٤٧١٧	٦٤
جرجا	«	٤٨٣٩	٥٧
أسيوط	«	٤٩٨٢	٤٥
القاهرة	«	٥٣٨٤	١٥
قناطر الدلتا (الامام)	«	٥٤٠٧	١٤
فم رشيد	«	٥٦٤٣	٠

* أمام الشلالات *

المسافة بين بحيرة تانا وبين أهم الأماكن الواقعة على النيل الأزرق ومقدار ارتفاعها عن سطح البحر

الأماكن	المسافة من بحيرة تانا	ارتفاع أوطأ سطح يصله الماء عن منسوب سطح البحر
	بالكيلومتر	بالمتر
بحيرة تانا	٠	١٨٤٤
فازوغلى	٨٧٥	٤٧٧
الروصيرص	٩٧٥	٤٤٠
سنجا	١١٧٥	٤١٥
سنار	١٢٦٥	٤٠٧
واد مدنى	١٤١١	٣٨٩
الكاملين	١٢٤٥	٣٨١
الخرطوم	١٦١٧	٣٧٢

مصر والنيل

قال سعادة الباحث الفاضل أمين سامى باشا :

«ان الديار المصرية بما هو قائم بها من صفة العتاقة البليغة وفضيلة الثبات العجيبة والتؤدة الغريبة التى كانت توصلت بها الى أعلى درجات الحضارة وحصلت على نهاية صلاح الحال والتحسين كانت غنية عن اقتباس النور من الغير وليست محتاجة الى سواها فى اكتساب مناهج الخير (١) ، وهذا يطابق ماوصفها به موسى ، وهيرودوتس ، وديودرس الصقلى ، واسترابون ، وابن مارسين أو كلنوس الاسكندرى .

ورغما عن العواصف والتخريب وتغيير الدول على مصر فانها لاتزال حافظة على مميزاتها الخصوصية . فقد وجهت عناية الفراعنة الذين قاموا بأمر شئونها منذ مبدأ مدنيتها الزاهرة الباهرة الى مايأتى : ـ

(١) ترجمة من كتاب تاريخ قدماء المصريين تاليف جوست ماريت نك ناظر دار الاثار المطبوع فى سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤م) صفحه ٩٧ سطر ٨

أولا ــ حفظ مجرى النيل واتقاء كل الغوائل التى كانت تعترض سيره كالرمال التى أهلكت جيوش الفرس وألوف الجنود التى قادها هكس باشا لمقامة ثورة المهدى وإبجاء غوردون فانه للآن لم يعثر لها على أثر ، إذ غمرتها الرمال فى مكان لا يعلمه إلا الله ، وقد قرر مجلس النظار فى ٢٤ مايو سنة ١٨٨٤ اعتبار الخدمة العسكرية والملكية معدومين واعتبار وفاتهم من ٢٩ فبراير سنة ١٨٨٤ وأن يكون ترتيب المعاش لهؤلاء وهؤلاء ابتداء من أول مارس سنة ١٨٨٤ . تلك الرمال التى كانوا يعانون فى إزالتها أشد العذاب لم ينجهم منها إلا الحيوان ، الذى له أكبر فائدة وهو الاستاذ الأول للانسان فقد تعلم طرق الادخار ونظام الجيوش وترتيبها والحروب ، وهو النمل . كما استفادمنه أحد ولدى آدم الذى لم يقبل منه ماقبل من أخيه من أخيه القربان وكما استفاد أيضا تعلم علم الجسور والقناطر من الحيوان المسمى بالكستور وهو المعروف بالجندباوستز وهذا الحيوان هو الذى وجه نظر المصريين القدماء إلى اقامة الهرم الأكبر فانهم لما رأوا هجرة السمان إلى بلادهم وقت هبوب الرياح الشديدة من الشمال الغربى وأنها ترفع أحد جناحيها كالقلع وتحرك الآخر كالمقذاف وتترك نفسها معها حتى تقطع البحر المتوسط الاسكندرى فتصل منهوكة القوى إلى أماكن استراحتها فكانوا يقيمون أغصانا تتكون تحتها كثبان من الرمال تقف عليها لتستريح ومثل السمان القلق (١) المسمى عند الفرنج سيجوفى فصيفه الجهات الشمالية الباردة من أوروبا وشتاؤه وطنه الأصلى من أفريقية فيسمع صوته جهة الاهرام وغيرها فبمشاهدته تكون كثبان الرمال تحت تلك الاغصان . وكان لزاما عليهم أن يذوقوا من العذاب ألوانا فى تطهير مجرى النيل من هذه الرمال التى كانت تطمر مجراه الذى كان بالقرب من مكان الهرم الحالى . قام بفكرهم أنهم إذا أقاموا هدفا يمنع الرمال من طمر مجرى النهر استراحوا من العذاب المستمر ، فأقاموا الهرم الأكبر ذا السطوح المائلة التى إذا سقطت عليها الرمال كانت زاوية السقوط مساوية زاوية الانعكاس ، وليس فى سطح أى جسم آخر تتوفر تلك المزية وشيدوه وعانوا فى تشييده ماعانوا وأبدعوا هندسته وتفننوا فى تجميله بما وصلت اليه معارفهم الهندسية والفلكية حتى أنهم أحكموا الفتحة البحرية التى فى منتصف أسفل تلك الوجهة على امتداد محور العالم وجعلوا الفتحة القبلية فى أعلى السطح

(١) لعله اللقلق

المقابل تدخل منها أشعة ضوء الشعرى (١) على جثمان من سيدفن فى هذا المكان وضلع الهرم ١٠٠٠ شبر وكل شبرين ذراع ، وهو من الآثار المصرية العجيبة التى تدهش الأبصار فقد هزم الدهر وهو فتى وتعاقبت عليه العصور وتوالت الدهور وهو باق يشهد بناؤه بعلو درجات المتقدمين وينطق ببراعة من كانوا بمصر من المهندسين ، بوضعه يمكن تعيين الجهات ومعرفة الفصول والانتقالات

فهذه هى أهم البواعث على تشييد الهرم وليس كما يقولون أنه أنشىء ليكون مدفنا نعم قد دفن فيه منشئه ولكن هو كما يحصل الآن فيدفن منشىء أحد المساجد أو الجوامع فيها كما حصل فى عهد ساكن الجنان اسماعيل باشا اذ دفن الشيخ العروسى شيخ الجامع الازهر فى مسجده الذى هو فى الشارع الممتد من باب البحر إلى باب الشعرية . وكثيرا ما وجدت مساجد سمح بدفن منشئها فيها ولكنها قبل كل شىء هى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه (٢)

وبانشاء ذلك الهرم استراح الناس من العذاب الأليم الذى كانوا يعانونه كل عام فى إزالة الرمال الكثيرة التى كانت تعوق سير النيل وبذلك آمنوا طريقه واتخذ سيره نحو الجهات البحرية وتولدت من ذلك أرض فسيحة سميت بهدية النيل وعلى منوال هرم الجيزة عملت أهرام أخرى من الحجر واللبن ولكن كلها فى الجهة الغربية من النيل لا فى الجهة الشرقية التى كلها أحجار وجبال . أما الجهة الغربية فهى منافس تنسف منها الرمال

ولو وفق الباحثون من المتأخرين لما قالوا كما قال دوربك مفتش المدارس والمكاتب فى مقدمة كتابه « التعليم فى مصر » « أو لقد قدر ماحل من العذاب الجسدى لهؤلاء الألوف من البشر الذين كانوا كقطيع من الحيوان بذلوا النفس والقوى فى تشييد تلك الآثار العظيمة التى تسمى بالأهرام »

---

(١) وقد حسب المرحوم محمود الفلكى باشا تزحزح أشعة تلك الشعري ، التى كانت من أجل معبودات المصريين لاعتبارها فى نظرهم إله الالهة من تلك الفتحة وعلم ألوف السنين عمر فيها الهرم من يوم انشائه إلى الان والغرض من إنشائه

(٢) وأنه لما انتقل إلى دار البقاء ماريت بك أول ناظر لدار الاثار فى عهد ساكن الجنان إسماعيل باشا أمر سموه بأن توضع جثته فى تابوت يوضع فى حوض من أفخم الرخام عند مدخل دار الاثار ولما نقلت محتوياتها إلى سراى الجيزة نقل معها ولما نقلت ثانية إلى محلها الحالي جعل في الجهة الغربية من الباب وهذا اعتراف بجميله فى ترتيب أعمال تلك الدار ولم يعهد أن دور الاثار قبور وانما هو اعتراف بعمله الجليل

ولو علم المأمون سر إنشاء الهرم لما أقدم على الأمر بهدمه عند حضوره سنة ١٩٠ هـ ولكن لم يتيسر إلا إزالة الجزء العلوى منه

ثانياً — إنشاء خزانات فى مجرى النيل لادخار مياهه وصنع سيالة فى كل خزان تفيض منها إلى ما بعدها مياه بقدر معلوم «ومما يوجب أعمال الفكر أنه يوجد فيما فوق وادى حلفا على القرب من القرية المسماة سحنة - وهذه مسألة فيها نظر - صخور وعرة المرقى رأسية الوضع على حرف النيل توجد عليها كتابات بالقلم المصرى القديم منقوشة على ارتفاع سبعة أمتار فوق ماتبلغه المياه إذا وصلت إلى أعلى درجة من الزيادة الآن .ومن ترجمتها يعلم أن النيل كان فى عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة والثالثة عشرة إذا بلغ أقصى زيادة يصل إلى موضع النقش من تلك الصخور . وإذا صح ذلك فان النيل من قبل هذا العصر بأربعين قرنا من الزمن يبلغ عند الشلال الثانى أكثر مما يبلغه فى عصرنا هذا من الارتفاع بسبعه أمتار ولعل السبب فى اختلاف ارتفاع مياه النيل وما أعتنى بعمله فراعنة الدولة المتوسطة من الأعمال الجسيمة فى ماء النيل بقصد الامتناع من غائلته والانتفاع بزيادته وللتحصن من غارات أعدائهم الذين كانوا يتهجمون عليهم من السودان بجعل هذا الشلال حصنا طبيعيا ومانعا قويا من نزول سفنهم اليهم وشن الغارة عليهم »

ولما سافر سير صمويل باكر بحملته التى أعدها له ساكن الجنان اسماعيل باشا خديو مصر وكانت برياسة الميرالاى رءوف بك أراد أن يجتاز بحملته ومعداتها وسفنها سيالة الشلال فاستلزم الحال وقوف الحملة مدة عام حتى أزيلت بعمال من بلاد اسنا (١) ، وهكذا يجرؤ كل إنسان لا يدرك سر ما هو مجسم أمامه على هدم كل أثر نافع .

ثالثاً — اعداد مصرف للنجاة من طغيان ماء النيل عند الفيضانات العالية ليفيض منها إلى جهة الواحات وما بعدها إلى مربوط ليكسب تلك الأراضى خصوبة فتنبت حب الحصيد والنخيل والأعناب . وقد قال هيردوت :

« إنه بسبب حدوث اختلافات مذهبية بين كهنوت ذلك الوادى وكهنوت مصر وطول عهد تلك الاختلافات اضطر الطرفان إلى تحكيم الاله آمون للفصل فيها ، فاجتمعوا تحت الاله آمون الذى هو من حجر الجرانيت الذى تستقبل

(١) وكان جاريا استعمال سفن صغيرة لاجتياز كل شلال . ولقد ترتب على تصميم الذين أرادوا اجتياز تلك الشلالات اعدام مزيتها

مسامه الندى ليلا . وعند حرارة الشمس نهارا يحصل أزيز تسمع منه أصوات فاعتقد كهنوت وادى النيل بأن ذلك مقبع لكهنوت أقليم الواحات وما جاورها ولكن الآخرين رأو أن هذا مما يوجب انحطاطهم فى أعين سكان واديهم فأصروا على استمرار الخلاف فاضطر الأولون إلى الاستعانة بقوة الحكام على عدم سريان المياه فى المصرف وأغلقوه ولكن بدون إحكام فكانت المياه فى مدة الفيضان تظهر منه كالنافورات تتسرب فى كل عام فتظهر فى امتداد البحر الذى بلاماء

وقد بحث هذا الموضوع المرحوم محمود الفلكى باشا بحثا مستفيضا ودون فيه مايؤكد رواية هيردوت وتوسع فيما يتعلق بما كان فى مربوط من آثار العماوية والخير والكروم وما كان يعمل منها وحياض العصير وغير ذلك . فلو درس هذا الموضوع درسا دقيقا وأعيد مجرى البحر الذى بلا ماء لأفاد فى تصريف مايزيد من مياه الفيضان فى سنة كالتى نحن فيها بدلا من ضياعها فى البحر الأبيض المتوسط .

وزيادة على ماقدمناه فان بلاد القطر كانت منشأة على مرتفعات عالية سواء فى الوجه والقبلى والبحرى وكانت السكان تسر بالفيضانات العالية لتكسب الأرض خصبا يغنيها عن التسميد . وإنما كان يؤلمهم أن يتأخر هبوط النيل الى شهر بؤونة

وفى عهد ساكن الجنان محمد على باشا شرع فى عمل الرى الصيفى وأحكام الحوش فى الوجه القبلى فأدى ذلك إلى تمكن الناس من ازالة البلاد العالية واستعملت الأتربة التى كانت تحت تلك المبانى كسماد بالتدريج عندما توفرت لديهم وسائل الرى الصيفى فى عهده فصرنا لانرى تل اتريب ولا تل بسطة ولا تل حوين ولا تل راك ولا تل مسمار ولا ولا . . الخ من التلول القديمة لافى الوجه القبلى ولا فى الوجه البحرى وتلا ذلك تنظيمات أخرى فى الرى حتى انشىء الخزان وقناطر أسيوط ونجع حمادى مع تعلية الخزان للمرة الاولى والثانية وأدخلت مشروعات من بحرى أسيوط الى الجيزة .

ومع هذا فقد توصلوا الى ما اعترف به الاوربيون من أن مصر هى المنبع الاول للعلوم والفنون ومهد الهندسة وتخطيط البلدان والزراعة والكتابة . وبينما هم يحترمونها ويقدسونها التقديس الواجب لوطن الشرائع والنظامات السياسية والكهنوتية والرموز الدينية وبينما هم يعجبون بآثار عمارتها وبهيا كلها ومدافنها وأهرامها ومسلاتها وتماثيلها التى منها أبو الهول ، وبينما حب العلوم يحملهم على مطالعة كلماتها السرية المرسومة على ذلك الكتاب الحجرى الهائل الذى فتحت

صفحاته منذ ألوف من السنين من مبدأ الشلالات التى عند أفواه النيل نرى أن أهل الشرق كانوا فيما مضى لايرون فى تلك الهياكل وتلك القصور الملوكية القديمة وفى تلك التماثيل الفخمة وفى أبى الهول الا خضراء سحرية على كنوز مدفونة وما تلك الكتابة الرمزية الا اشارات سرية تعلم الناس طرق استخراج الذهب واستكشاف المال المخبأ فيها .

ولقد شاركت أوربا الشرق زمنا فى الاعتقاد بتلك الأوهام وسألت تلك الأحجار عن أسرار الحجر الفلسفى وأنكرت المعنى المخبأ وراء سر الكمياء التى استعارتها القرون الوسطى من مصر على أن تعليم الزراعة التى تحيل ماء النيل ذهبا قد حلت تلك القضية حلا طبيعيا .

ولقد مس مصر قحط فى عهد فرعون يوسف . ويؤخذ من كتاب « جينيزس » أن سنى الرخاء السبع ابتدأت فى سنة ١٧١٥ م ثم تلتها السبع الشداد « انظر سورة يوسف »

وهذا ما كانت عليه حالة مصر فى عهد دولة الرومان :

فى أيام القنصلين سيلانوس Silanus ونوربانوس Norbanus ذهب جير - مانيكوس Germanicus الى مصر بحجة الاشتغال بأعمال هذه الولاية ولكن غرضه فى الواقع كان موجها الى درس ما فيها من المخلفات القديمة والآثار العتيقة فامر بفتح الاهراء الاميرية وأنقص اسعار الحنطة وصنع أمورا كثيرة مما يروق العامة ويرضيها وكان يمشى على قدمه وبغير حرس وكان يتزيا بزى الاغارقة فى ملبسه متشبها فى ذلك بيليوس ثيبون (Publius Seipion) الذى ذكر المؤرخون عنه أنه سلك هذا المسلك فى جزيرة صقلية عند اشتداد نار الوغى فيها أثناء محاربة القرطاجيين

وكان ذلك السلوك وذلك التزيى سببا فى توجيه العتاب بألفاظ رقيقة من طباريوس (Tibere) إلى جيرمانيكوس ولكنه عنفه تعنيفا شديدا على ذهابه إلى الاسكندرية خلافا لما تقتضى به الأوامر التى أصدرها القيصر أغسطس (Auguste) محتما فيها وجوب الاستئذان من صاحب الأمر

ذلك لأن أغسطس فى أثناء توليته زمام الأحكام أصدر جملة أوامر خصوصية منها منع أعضاء مجلس الشيوخ « السناتور » وأكابر الفرسان الرومان من النزول الى ساحل مصر بغير إذنه فقد كان يخشى أن يرى ايطاليا فى قحط وجوع من فعل أى انسان يقبض على تلك الولاية التى هى مفتاح البر والبحر والتى يتأتى الدفاع عنها

بقليل من الأجناد ولو كان المغيرون عليها فى جيوش كثيفة

ولما سافر جيرمانيكوس الى أعلى النيل زار أقرب منابعه وزار الآثار العظيمة لمدينة طيبة القديمة وترجم له أحد القسيسين ماعليها من الكتابات الهيروغليفية التى تنبىء بعظمة هذه الدولة القديمة وانه كان يعسكر بطيبة ٧٠٠٠٠٠ جندى أخضع بهذا الجيش الملك رعمسيس الكبير بلاد ليبية والحبشة ومدية والفرس وما جاورها وكذلك البلاد التى يقطنها السوريون والارمن حتى وصل إلى البحر الاسود ويعلم من هذه الكتابة أيضا مقدار الجزية التى ضربت على الامم المغلوبة على أمرها والنقود الفضية والذهبية والأسلحة والخيل والعاج والبخور والهدايا التى أهديت للمعابد والحبوب الكثيرة ولوازم المعيشة التى كانت ترد إلى مصر من جميع الامم

ولما تسلم عمرو بن العاص من المقوقس عامل الدولة الرومانية فى مصر الذى كان على حربها وخراجها وظهرت جيوشه على جيوش الروم فى عدة مواضع وتضمنت معاهدات الصلح أن ينقاد المصريون للفاتحين كل الانقياد وأن يدفعوا لهم الخراج والجزية وتكفل لهم عمرو بن العاص بحفظ حريتهم الدينية وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وضمن لهم المساواة فى العدل والانصاف هنالك ولاه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الزكاة والحرب وقيس بن أبى العاص قاضيا. هذا والبلد فى ذلك العهد محفور الأنهار معقود الجسور عند ما تسلموه من الرومان وخمير العمارة فيه.

وفى سنة ٢٥ هـ صرف عمرو بن العاص عن مصر بعد أن أسس فيها حكومتها ونظم ادارتها وأقام فيها ميزان العدل وجبى عمرو الجزية من مصر فى هذه السنة فكانت اثنى عشر ألف ألف دينار. و ا أن الجزية كانت دينارين على كل شخص ذكر قادر على العمل بلغ من العمر اثنتى عشرة سنة فأكثر لغاية الستين سنة فيكون المكلفون بالدفع ستة ملايين وهو يعادل ثلث السكان بمصر وقتئذ فيكون عددهم اذ ذاك ثمانية عشر مليونا

ومما يفيد فى هذا الموضوع :

البيان التفصيلى للحوادث التى ارتبطت بأمر النيل حسب السنين الميلادية

« سنون لم يحصل فيها فناء وحصل فيها غلاء » : ٨٩١، ٩٠٣، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٩٧، ١٠٠٧، ١٠٥٢، ١٠٥٥، ١١٨٤، ١٢٩٤، ١٣٧٣، ١٤٠٣، ١٤٢٠، ١٤٥٠، ١٤٦١

سنون لم يحصل فيها وفاء ولم ينوه المؤرخون بحصول أى شيء فيها : ٧٦٩ ، ٩٤٤ ، ٩٦٢ ، ١٠٠٦ ، ١٠٨٢ ، ١٠٩١ ؛ ١٢٩٧

سنون حصل فيها غلاء بسبب تقصير النيل : ١٦٩٤ ، ١٧٢٢ ، ١٧٨٣ ، ١٧٨٤

سنون حصل فيها غلاء وقحط وفناء بسبب الشراقى : ١٠٥٦ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ١٠٦٥ ؛ ١٠٦٨ ؛ ١٠٦٩ ؛ ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ١٠٧٣ ؛ ١٠٧٤ ؛ ١١٨١ ؛ ١١٨٦ ؛ ١١٩١ ؛ ١١٩٢ ؛ ١١٩٣ ؛ ١٢٠٠

سنون حصل فيها شراقى لعدم علو النيل إلا فى آخر أيام الفيضان لمدة قصيرة : ١٨٩١ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠١

سنون حصل فيها انحطاط مياه النيل تسبب عنه تخلف شراقى بكمية كبيرة : ١٨٧٧ ، ١٨٨٧ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٧ ، ١٩١٣

سنون تأخر الوفاء فيها ولكن لم ينوه المؤرخون بحصول شيء فيها : ١٣٣٨ ، ١٤٤٩ ، ١٨٠٨ ، ١٨١٠

سنون كان النيل فيها شحيحا ولم ينوه المؤرخون بحصول شيء فيها ١٥٠٢ ، ١٨٠٧

سنون حصل فيها وفاء عادى : ٨٦٣ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ١٠٨١ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١١٧٦ ، ١١٨٠ ، ١٢٤٠ ، ١٢٧٣ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٥ ، ١٣١٣ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٥ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٧ ، ١٣٩٧ ، ١٤٠٥ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٨ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٨ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٣ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٧٧٧ ، ١٧٧٩ ، ١٧٨٠ ، ١٧٨١ ، ١٧٨٥ ، ١٧٨٦ ، ١٧٨٧ ، ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ ، ١٧٩٠ ، ١٧٩٣ ، ١٧٩٤ ، ١٧٩٨ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠١ ، ١٨٠٢ ، ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ ، ١٨٠٦ ، ١٨١١ ، ١٨١٢ ، ١٨١٣ ، ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦ ، ١٨١٧ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٨ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ١٨٧٩ ،

١٨٨١ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩٢ ،
١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ،
١٩١٢ ، ١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ،
١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ،
١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ .

سنون حصل فيها وفاء وروى بعض الأراضى ولم ينوه المؤرخون بحصول أى شىء فيها ١٠٠٥ ، ١٤٢٠

سنون حصل فيها وفاء وسرعة هبوط تسبب عنه غلاء ١٠٠٨ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١٢٠١ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٦٣ ، ١٢٩٥ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٩ ، ١٣٢٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٦٣ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٨ ، ١٤٦٨ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٩٦ ، ١٧٠٤ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٢ ، ١٨٠٣

سنون حصل فيها وفاء وسرعة هبوط ولم ينوه المؤرخون بحصول أى شىء فيها ١٥٠٥ ، ١٨٧٣ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨٢ .

سنون كان النيل فيها عاليا ولم يحصل من علوه ضرر ١١٤٩ ، ١١٨٣ ، ١٢٣٢ ، ١٣٢٩ ، ١٣٥٩ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٥ ، ١٤٢١ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٩٣٤

سنون كان النيل فيها عاليا وحصل منه ضرر ١٨٧٤ ، ١٨٧٨

السنة التى حصل فيها غرق تسبب عنه قحط وفناء : ١٣٠٣

سنون حصل فيها غرق تسبب عنه إتلاف الزروع والمساكن : ١٠٨٨ ، ١١٦٤ ، ١١٨٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٦٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٨٣ ، ١٤٠٩ ، ١٤٢٢ ، ١٤٧٧ ، ١٦٢٢ ، ١٧٧٨ ، ١٨٠٠ ، ١٨٠٩ ، ١٨١٨ ، ١٨١٩ ، ١٨٢٠ ، ١٨٧٤ .

السنة التى عظمت فيها مياه النيل فى ٤ بؤونة وحصل منه غرق : ١٤٤١

السنة التى بكر النيل فيها فى نصف بؤنة : ١٧١٨

سنون نوه المؤرخون بأنها كانت خصبة : ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ١٠٢٣ ، ١٥١٥ ، ١٣١٧ ، ١٥٧١

تطورات نهائية الفيضان

من أول التاريخ الهجرى الموافق سنة ٦٢٢ م لغاية الآن

فى المدة من سنة م ٦٢٢ إلى سنة ٧٢١ م كان أعلى فيضان ٢٣ قيراطاً و١٩ ذراعا وكان ذلك فى سنة ٦٧١ م فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وكان العامل على مصر مسلمة بن مخلد

وفى المدة من سنة ٧٢٢ م إلى سنة ٧٢١م كان أعلى فيضان ١٣ قيراطاً و١٨ ذراعاً وكان ذلك فى سنة ٧٤٠ . وسنة ٧٤١ . وسنة ٧٤٢ م فى خلافة هشام ابن عبدالملك وكان العامل على مصر حنظلة بن صفوان للمرة الثانية فى السنتين الأوليين ، وفى السنة الثانية جعفر بن الوليد للمرة الثانية

وفى المدة من سنة ٨٢٢ م إلى سنة ٩٢١ م كان أعلى فيضان ١ قيرط و ١٨ ذراعاً فى سنة ٩١٢ ، وسنة ٩١٣ م فى خلافة جعفر المقتدر والحاكم تكين ابن عبد الله .

وفى المدة من سنة ٩٢٢ م إلى سنة ١٠٢١ م كان أعلى فيضان ٨ قراريط و ١٩ ذراعاً فى سنة ١٠١٩ م فى خلافة القادر بالله والحاكم بمصر الحاكم بأمر الله

وفى المدة من سنة ١٠٢٢ م إلى سنة ١١٢١ م كان أعلى فيضان ١ قيراط و١٩ ذراعاً فى سنة ١١٠٦ م فى خلافة المستظهر بالله الحاكم بمصر منصور أبو على الآمر بأحكام الله .

وفى المدة من سنة ١١٢٢ م إلى سنة ١٢٢١ م كان أعلى فيضان ١٨ قيراطاً و ١٨ ذراعاً فى سنة ١١٧٢ م فى خلافة صلاح الدين الأيوبى فى دولة الاكراد

وفى المدة من سنة ١٢٢٢ م الى سنة ١٣٢١ م كان أعلى فيضان ٢٣ قيراطاً و ١٨ ذراعاً فى سنة ١٢٨٠ م فى مدة الملك المنصور سيف الدين قلاوون

وفى المدة من سنة ١٣٢٢ م إلى سنة ١٤٢١ م كان أعلى فيضان ٢٤ ذراعاً فى سنة ١٣٦٠ م فى مدة الملك الناصر أبو المحاسن حسن للمرة الثانية

وفى المدة من سنة ١٤٢٢ م إلى سنة ١٥٢١ م كان أعلى فيضان ٢١ قيراطا و ٢٠ ذراعا فى سنة ١٤٤٠ فى مدة الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جمقمق وكذلك فى سنة ١٤٤٢ م فى مدة هذا الملك

وكذلك فى سنة ١٤٧٧ م فى مدة الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباى المحمودى

فى المدة من سنة ١٥٢٢ إلى سنة ١٦٢١ م كان أعلى فيضان ٩ قراريط و ٢٤ ذراعاً فى سنة ١٥٩٣ م فى سلطنة السلطان مراد خان الثالث وولاية أحمد حافظ باشا

فى المدة من سنة ١٦٢٢ م إلى سنة ١٧٢١ م كان أعلى فيضان ٢٤ ذراعا فى سنة ١٦٢٢ م وسنة ١٦٢٤ فى سلطنة السلطان مراد خان الرابع . الأولى فى ولاية الوزير مصطفى قره باشا ، والثانية فى ولاية الوزير مصطفى باشا قره الحميدى

وكذلك فى سنة ١٦٩٧ م فى مدة سلطنة السلطان مصطفى خان الثانى وولاية حسين البشناقى باشا .

فى المدة من سنة ١٧٢٧ م إلى سنة ١٨٢١ م كان أعلى فيضان ١٢ قيراطاً و ٢٤ ذراعاً فى سنة ١٧٢٨ م فى مدة سلطنة السلطان محمود خان العثمانى وولاية مصطفى باشا .

وكذلك فى سنة ١٧٥٦ م فى مدة سلطنة السلطان عثمان بن أحمد وولاية على حكيم زاده باشا للمرة الثانية

فى المدة من سنة ١٨٢٢ م إلى سنة ١٩٢١ م كان أعلى فيضان ١٢ قيراطا و ٢٢ ذراعاً فى سنة ١٨٧٤ م فى مدة سلطنة السلطان عبد الحميد وولاية ساكن الجنان اسماعيل باشا .

فى المدة من سنة ١٩٢٢ م إلى سنة ١٩٣٤ م كان أعلى فيضان ٤ قراريط و ٢٤ ذراعاً فى سنة ١٩٣٤ فى عهد جلالة الملك فؤاد الأول » اه .

بعض معلومات القبط عن منابع النيل

قال الاستاذ توفيق اسكاروس مايلى :

« المفهوم أن الرحالة الانجليزى جنس بروس أف كنارد Janos Bruce of Kinnaird وصل الى مصر سنة ١٧٦٨ قاصدا الشخوص الى بلاد الحبشة وكان ذلك فى أيام نفوذ على بك بلوط فالقى رجال الجمرك بالاسكندرية القبض على أمتعته فاستصدر المعلم رزق مدير الجمارك آنئذ أمراً من على بك بالافراج عنها بغير دفع رسوم جمركية ثم جهزه بكتاب من البطريرك لملك ملوك الحبشة بالتوصية عليه فى مأموريته العلمية وكان موجودا مدة اقامته فى القاهرة فى بابلون بمصر القديمة

وحدث فى سنة ٤٢٧ هـ سنة ١٠٣٦ م حينما توفى الخليفة الظاهر وتولى ابنه المستنصر بالله مكانه لم يرتفع النيل سنين متوالية فتعطل الزرع وقلت المحصولات

وكثر الغلاء حتى بلغ ثمن الاردب الواحد من القمح مبلغا عظيما واذ علم المستنصر بأن مصدر زيادة النيل من بلاد الحبش دعا اليه البطريرك وهو اذ ذاك الاب ميخائيل الملقب بالجبس وبعثه اليه بهدية سنية برسم النجاشى ولدى وصوله قابله باحتفال عظيم وسأله عن قدومه فاعلمه بما حل بمصر وأهلها من الضنك والجوع بسبب نقص زيادة النيل وأنه أتى ليستعين به على ايجاد طريقة لمنع هذه الغوائل عن البلاد وأهلها وقدم له هدية المستنصر فامر الملك بفتح سد فى احدى الجهات التابعة لبلاد الحبش فجرت المياه منه الى أرض مصر وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت الاراضى فارتفع الغلاء وفى اثناء وجوده بتلك الاصقاع بذل جهده فى تمكين عرى العلاقات بين المستنصر وملك الاحباش فكانت هذه خدمة أخرى قام بتأديتها للخليفة غير الخدمة التى أرسله من أجلها فنال بذلك رضاه وأحسن اليه وبالغ فى اكرامه » اه.

عيد النيروز

قال الأديب سامى تادرس بشاى مايلى :

« تحتفل الطائفة القبطية الكريمة بالنيروز وهو رأس السنة المصرية القديمة وسنة الشهداء التى اتخذها المصريون مبدأ لتاريخهم من سنة ٢٨٤ ميلادية وهى سنة الضحايا الكبرى التى جاهد فيها الأقباط بثبات عجيب أدهش الامبراطور دقلديانوس الذى أعمل السيف والنار واستخدم كل وسائل التعذيب فى الاقباط ليحملهم على ترك المسيحية والعودة إلى الوثنية فأبوا إجابته إلى ماطلب .

وإذا أقبل النيروز اليوم فانه يأتى مملوءا بالذكريات التى تثير الأشجان غير أنها ذكريات تعتز بها الكنيسة القبطية . وإذا كان الشرق بلد الشهداء فتكون الديار المصرية البلاد التى استشهد فيها أكبر عدد من الشهداء حتى لقد قالت السيدة « بوتشر » الانجليزية مؤلفة كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها « إن وجود قبطى ارثوذكسى إلى الآن يعد من عجائب الدنيا السبع »

ولا شك فى أن الأقباط الذين يعرفون لشهدائهم قيمتهم وقدرهم لا يتركون يوم النيروز يمر دون أن يتجاذبوا أطراف الحديث فى سيرتهم الطاهرة فيذكروا أولئك الشهداء الذين تشبثوا بعقيدتهم وصبروا على كل ما أصابهم من أجلها لانهم

كرهوا أن يدينوا بدين الرومان الباطل وأنفوا أن يذعنوا لهم فى عالم الجسد وعالم الروح وصمدوا لهم حتى أصبح دينهم دينا لروما عاصمة الدولة الرومانية وسلطوا أيدى الرومان على معابد الرومان يهدمونها بأيديهم كما هدموا من قبل معابد المصريين المغلوبين ويذكرون أيضا أن دماء أولئك الشهداء التى سفكت حباً بالسيد المسيح هى بذار الكنيسة

انتشرت الديانة المسيحية انتشارا عظيما تبعاً لتعاليمها السامية ليس فقط فى أملاك الدولة الرومانية ومستعمراتها بل فى روما نفسها عاصمة الدولة ومقر الامبراطورية وذلك لأسباب كثيرة أهمها :

أولا — ضعف الدين الرومانى الوثنى الذى كان فيه طقوس وتقاليد منافية للعقل وكان الغرض من تلك الطقوس والتقاليد اتقاء شر الآلهة واستجداء خيرها .

ثانيا — ضعف تأثير التعاليم الفلسفية التى قام بنشرها فلاسفة الرومان ولكنها لم تنفذ إلى قلوب العامة ولم تبلغ منها ما يمكن أن يبلغه دين كالدين المسيحى يعلم الوحدانية وحب الله والناس ويقدر المساواة بين الخلق جميعاً . غير أن انتشار المسيحية لم يرق حكومة الدولة الرومانية ولم ترض عن ذلك معتقدة بأن الدين الجديد ينقض الأسس التى قام عليها المجتمع الرومانى وأن مبادىء هذه الديانة تهدد مبادىء كيان الامبراطورية وتحض على الفوضى فعمدت إلى اضطهاد منتحليها فضلا عن أنها وجدت أن المسيحيين لم يتظاهروا بالاغراق فى الولاء لها ولم يشتركوا فى الحفلات الوثنية ولم يقدموا القرابين للأباطرة اظهارا لخضوعهم ودلالة على ولائهم ورفضوا أن يعبدوا تماثيل الأباطرة المنصوبة فى المعابد إذ كانت هذه العبادة فرضا على الجميع فعدت الحكومة هذا الرفض خيانة وعصيانا وحملها ذلك على اضطهاد المسيحيين وعدهم فئة خارجة على الجماعة .

وكانت المسيحية قد دخلت الديار المصرية فى القرن الأول للميلاد على يد مرقس الرسول مؤسس الكنيسة القبطية أو الكرازة المرقصية الذى استشهد فى الاسكندرية فوجدت فى مصر أرضا خصبة إذ كانت أول أرض قوى شأنها فيها ودخل فيها أناس كثيرون وكان عدد أتباعها يزداد كل يوم كما كان اعتقادهم فيها يقوى شيئا فشيئا إذ فقدت العبادات الوثنية القديمة سلطانها على عقولهم خصوصا أنهم وجدوا فى الدين الجديد عقيدة الحياة الأخرى وهى من أعظم عقائد المصريين منذ عهد الفراعنة . كما أنهم كانوا شعبا مستعبدا له فى تعليم المسيحية سلوى

وفى سنة ٢٨٤ ميلادية تولى الامبراطور دقلديانوس فسادت السكينة فى مصر وغيرها من أملاك الدولة الرومانية غير أنها لم تستمر طويلا بل انقلبت إلى اضطرابات شديدة بسبب اضطهاده للمسيحيين فقد كان وثنيا كارها للمسيحية ورغب أن تضعه الرعية موضع الالوهية ليضمن بذلك حياته وملكه فلم يخضع لارادته المسيحيون خصوصا فى مصر .

وحدث أن والى دقلديانوس فى مصر خرج عن طاعته فسار اليه دقلديانوس وحاصر الاسكندرية ثمانية أشهر ثم فتحها عنوة وأطلق الجنود فيها يقتلون وينهبون واحرقوا منها قسما كبيرا . وحدث أيضا أن قصر دقلديانوس بمدينة نيقوميديا اشتعلت فيه النار سنة ١٣٠٣ فاتهمت الحكومة المسيحيين بحرقه فثار دقلديانوس وأخذ يتوعد المسيحيين وينذرهم بالويلات التى سيلحقها بهم خصوصا لما رأى المستعمرات الرومانية تسعى لتنال استقلالها ولا سيما بعد تدينها بالدين المسيحى وافهمه رجاله أن السبب فى هذه الاضطرابات فى أملاك الامبراطورية وعدم خضوع الشعوب له انما منشؤه الديانة المسيحية التى تدين لاله قدير وتطيعه وتقول أنه أعلى من الامبراطور الرومانى وارفع وتنكر أن هذا الامبراطور نائبه

ومما جعله يزداد حقدا على المسيحية والمسيحيين أن المنجمين والعرافين الذين دعاهم مراراً لينبئوه بما يكون فى مستقبله قالوا انه يعسر عليهم أغراء الأرواح على مجاوبتهم واظهار ما يخبئه القدر مادام قصر الامبراطور مفعما بجماعة المسيحيين الكفرة الذين يمنع وجودهم فى القصر تجلى الأرواح وظهورها .

فعزم حينئذ دقلديانوس على محاربة المسيحية فى جميع أنحاء مملكته وعلى محوها من وجه البسيطة والقضاء عليها قضاء مبرما لا تقوم لها قائمة بعده . ولكنه بدأ بمقاومتها أولا فى مصر لأنه لقى من المصريين مقاومة شديدة فقد أبوا أن يخضعوا للظلم والاستبداد فكثرت الفتن الداخلية والثورات على الرومان فكانت مصر مصدر مشكلات جمة للدولة الرومانية

وبدأ الاضطهاد فى فبراير سنة ٣٠٣ فسار الوالى بموكب حافل إلى كنيسة نيقوميديا الكبرى يصحبه جم غفير من الموظفين وحاملى الفؤوس فكسروا الأبواب وأحرقوا جميع كتب الكنيسة ثم أخذ العمال فى هدم الكنيسة حتى دكوا معالمها . وفى غد ذلك اليوم صدر منشور امبراطورى بمحو الدين المسيحى وهذا نصه : —

١ — يجب هدم جميع الكنائس وازالتها من الوجود .

٢ — يجب احراق كل الكتب المقدسة

٣ — جميع المسيحيين الموظفين فى خدمة الحكومة لا يكتفى بفصلهم بل يحرمون من حقوقهم الوطنية أيضا لكى يتسنى لأعدائهم أن يذيقوهم أنواع العذابات وأشكال القسوة

٤ — كل المسيحيين غير الموظفين يصيرون عبيداً أرقاء .

وحينما علق المنشور فى الأسواق والأماكن العمومية وازدحم الناس لقراءته اقتحم شاب مسيحى جرىء القلب شديد المنكب ، الجمهور المزدحم وتقدم ليقرأ المنشور فلما علم بما فيه غضب من تدخل الرومان فى أمور الديانة ومد يده بسرعة عظيمة وتناول منشور العاهل الرومانى ومزقه تمزيقا ونثره فى الهواء وفعل ذلك بغاية الشجاعة والحزم فألقوا القبض عليه وأذاقوه من العذاب ألوانا شتى ثم جردوه من ثيابه ووضعوه فى نار خفيفة ليطول عذابه إلى أن توفى . فكان أول من وقف فى وجه دقلديانوس واستشهد وضحى بنفسه فى مصر فى عهده . وعرف ذلك الشاب فيما بعد باسم الشهيد العظيم مارى جرجس

ثم أخذ ذلك الطاغية ورجاله القساة يعذبون ويذبحون كل من يعلن أنه مسيحى وراح كثير منهم شهداء حتى قدر بعضهم الذين استشهدوا فى عشر سنوات من اصدار هذا المنشور فى مصر بنحو مائتى ألف شخص

وإنه يعسر على الكاتب البليغ أن يصف مقدار ما تجرعه الشهداء من ضروب العذاب فكانوا يلبسونهم جلود الحيوانات ويسلمونهم إلى الكلاب الكلبة الجائعة والحيوانات المفترسة فى ملاعبهم فيرى الناظر فى أقل من لمح البصر أجساماً وقد قطعت اربا اربا . أو يخدشون أجسامهم ويسلخون جلودهم حتى يموتوا . أو يدهنونهم بالصمغ وما شاكله من المواد الملتهبة ثم يربطونهم بالأشجار أو بأعمدة من الخشب ليكونوا عبرة للشاهدين وعرضة لسخط الناظرين وإهانتهم ثم يجعلون عند دخول الليل من أجسام أولئك الشهداء مشاعل حية يطوفون بها فى الشوارع وكانوا يستعملون نور ذلك الحريق كمشاعل لاضاءة موائد الأمبراطور وحاشيته يأكلون عليها ما طابت له نفوسهم أو يستعملونه كمصابيح بشرية لاضاءة الحدائق والبساتين المخصصة لتنزه العامة أو يعلقونهم بالمسامير على خشبة الصليب أو يذبحونهم ذبح الأنعام فى الطرقات . واستخدموا طريقة فظيعة لتعذيبهم وقتلهم . فقد كانوا يقربون غصنين قويين من شجرتين متجاورتين فيربطون بهما الشهيد ربطا محكما ثم

يفكون الغصنين فيفترقان . وحينئذ تتفرق أضلاع الشهيد واشلاؤه فى قسوة شنيعة أما النساء فكانت تربط إحداهن فى رجليها وترفع فى الهواء بعد أن يخلعوا عنها ملابسها ويكشفوا كل جسمها وتظهر أمام جمهور المتفرجين بمظهر تنفر منه الانسانية وتأباه النفوس الأبية . وحينما كان الجلادون والقائمون بأمر القتل والتعذيب يتعبون كانوا يلقون الشهداء فى أتون من نار حامية

ومما هو جدير بالذكر أن استشهاد أولئك الأبرار البسلاء لم يكن استشهاد المرغم . بل كان بمحض اختيارهم وإرادتهم ومحبتهم لكنيستهم وخالقهم . فلذلك كانوا يلاقون الموت بثغر باسم مستشهدين فى سبيل دينهم ما دام مؤسس دينهم قد مات شهيدا على الصليب فى سبيل تعاليمه . عالمين أنه بضيقات كثيرة ، ينبغى أن يدخلوا ملكوت السموات . ولما كان يصدر عليهم الحكم النهائى بالموت كانوا يقابلون هذا الحكم بفرح وتهليل ويرتلون أغانى الحمد والشكر لله الذى أهلهم لأن يموتوا لأجله

ومما يدعو إلى الدهش حقا أن بعض المسيحيين والوثنيين كانوا يدفعون أنفسهم للاستشهاد فى وسط تلك المجازر التى قام بها دقلديانوس وغيره من أباطرة الرومان فى سبيل الدين المسيحى فكان لا يحكم على شخص منهم بالاعدام حتى يندفع آخرون من كل مكان ويعترفون بأنهم مسيحيون معتقدون بأن كل وسائل التعذيب والموت فى سبيل دينهم أمور هينة بجانب الاكليل الذى سيوضع على هامتهم بجانب ملكوت الله الذى يرثونه بعد مماتهم

وقد استشهد فى أثناء تلك المجاوز فى ذلك العصر عدد كبير من كبار الأقباط وقديسيهم وقديساتهم نذكر منهم « مينا » المعروف باسم مارى مينا والقديسة كاترينة التى تعلقت بالمسيحية فاغضبت أهلها الوثنيين وانتهى الأمر باعدامها . ومن بين الذين الح عليهم الأمبراطور فى الارتداد القديسة دميانة المشهورة فقد كانت هذه القديسة من ضحايا ذلك العصر المشؤوم وكان أبوها مديراً مصريا فى إحدى مديريات القطر المصرى محترما فى قومه ذا مكانة عند الأمبراطور ، وبنى لابنته دميانة ديرا على بعد ساعتين عن بلقاس اعتزلت فيه للعبادة ولما أصدر دقلديانوس منشوره كان فى الدير أربعون راهبة فطلب الأمبراطور من أبيها أن يجاهر بالوثنية فأرسلت دميانة الى أبيها تستعطفه بأن يرفض رفضا باتا ما طلب منه فعمل بمشورة ابنته فاستعمل الأمبراطور معه نفوذه الشخصى ليقنعه بأن يذبح للاوثان لأنه لم

يكن يود هلاك خادم أمين مثله فى بلاد عمها الاضطراب والقلاقل وكثر فيها أعداء الامبراطور . غير أن والد دميانة أصر على رأيه فاستشاط غضبا منه ومن ابنته فألقى القبض على دميانة وراهباتها الأربعين وأمرهن بأن يسجدن للاوثان فامتنعن فأخذ يعذبهن تعذيبا قاسيا. ولكنهن لم يعدلن عن رأيهن فأمر بقطع رؤوسهن وما زال ديرهن قائما حتى اليوم .

وقد كانت مذابح دقلديانوس لمسيحي مصر أعظم المذابح وأفظعها فتركت أثرا كبيرا فى نفوس المصريين حتى أنهم سموا عصره بعصر الشهداء .

ولم تصنع أمة فى الأرض مثل ماصنع المصريون لأولئك الشهداء الذين ذهبوا فى سبيل عقيدتهم . فهى قد جعلت ذكرى شهدائها تاريخا لها تحسب عليه كل يوم من أيامها وكل عام من أعوامها . فقولنا سنة ١٦٥١ قبطية معناه مرور هذه السنين على تلك الأيام المشؤومة وتذكار تمسك الشهداء بالمسيحية

ولا ريب فى أن اضطهاد دقلديانوس للأقباط وغيرهم من المسيحيين كان من أكبر الأسباب لانتشار الديانة المسيحية ونموها لأن قساوة أولئك الظالمين افناها الدهر وأما دماء الشهداء فقد صارت زرعا لمسيحيين آخرين . أى أن الاضطهاد لم يأت بالغرض المقصود منه لأن المسيحيين ازدادوا تمسكا بدينهم وأخذ الناس يعجبون بشجاعتهم وصبرهم وتحملهم للأذى فدخلوا فى دينهم أفواجا حتى زاد عدد المسيحيين على عدد الوثنيين

ولما أتى قسطنطين الأكبر فى سنة ٣١٣ م رأى أن يعترف بالديانة المسيحية جهاراً فجعلها دين الحكومة والأمة لأنها دين الكثرة وانتحلها وعطل الأشغال فى أيام الآحاد وهدم الهياكل الوثنية وبنى الكنائس وكان المسيحيون حتى ذلك العهد يقيمون الصلاة فى الكهوف والديناميس . وفى سنة ٣٧٨ تولى الامبراطورية الرومانية « تيودوسيوس » فعمم الدين المسيحى فى أنحاء الامبراطورية الرومانية ، بأن حتم التمذهب به ونهى عن الوثنية فحرم عبادة الأوثان وأغلق معابدها وأخذت الحكومة تضطهد الوثنيين وعلى ذلك أنشئت كنائس كثيرة أشهرها كنائس روما والاسكندرية وأورشليم وانطاكية والقسطنطينية وكثر بناء الأديرة والصوامع فتوطدت دعائم المسيحية وأصبحت عنصراً من عناصر الحضارة الأوربية الحديثة ، اه

بعض معلومات العرب عن منابع النيل

قال المغفور له أحمد زكى باشا ما يأتى :

« البحيرتان المعروفتان الآن باسم فيكتوريا نيانزا والبرت نيانزا قد كان لجغرافيي العرب فضل السبق بمعرفتهما وبوصفهما . وهذا ابن فضل الله العمرى آخر من كتب عنهما فقد ألمع إليهما فى سنة ٧٤٥ هـ (١٢٣٦ م) فى كتابه الممتع الحافل الموسوم بمسالك الأبصار فى ممالك الأمصار وذكر عنهما ما أيده بعده بخمسة قرون ونصف قرن رواد الافرنج الذين وصلوا اليهما بفضل مصر وبمال مصر ورجال مصر . وهذا كلامه عنهما بالحرف الواحد : « أن النيل ينصب عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم الذكر . كل خمسة أنهار شعبة . ثم تتبحر تلك العشرة الأنهار كل خمسة أنهار تتبحر بحيرة بذاتها . ثم يخرج من البحيرة الشرقية منهما بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقولى ويمتد إلى مدن هناك ثم يصب فى البحر الهندى . ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار من كل بحيرة ثلاثة أنهار . ثم تجتمع تلك

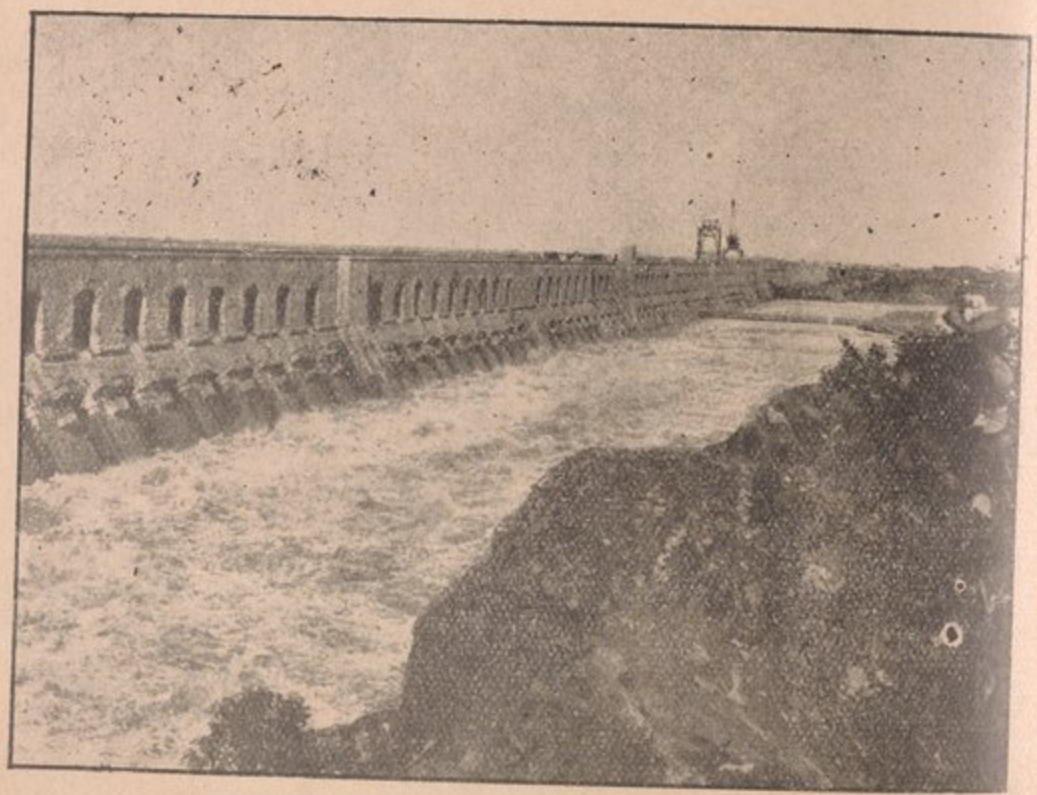

النيل عند خزان سنار

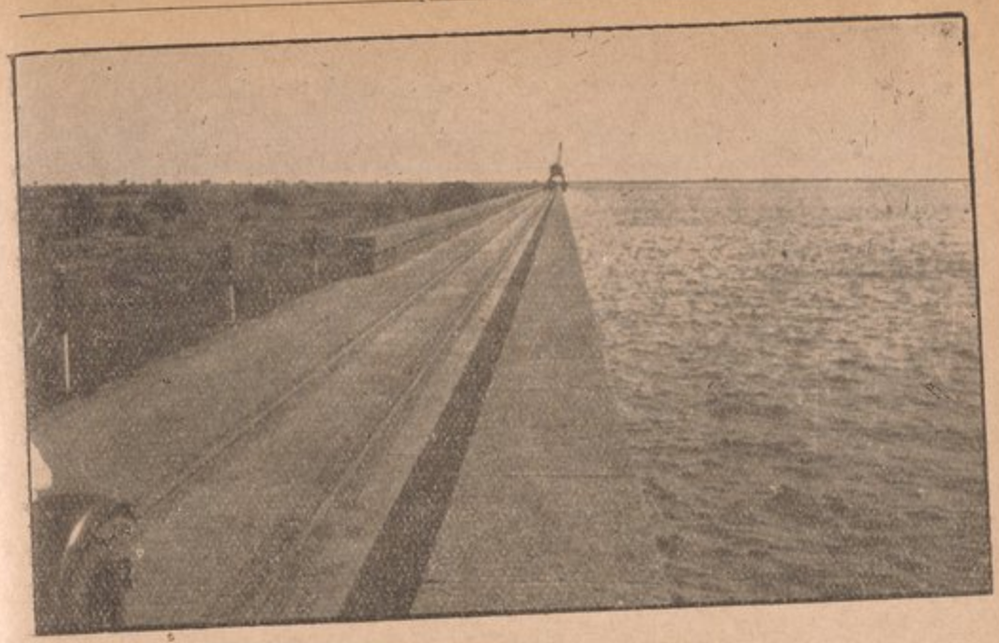

خزان سنار « مكوار »

الستة الأنهار فى بحيرة متشعبة » . ثم أفادنا أن هذه البحيرة تسمى عند بعضهم « البطيحة » وأن فيها تضريسة جبل يفرق بها الماء نصفين

هذا وقد عرفنا نقلا عما حدثه به أقضى القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوى أن الأمير أبا دبوس بن أبى العلى أبى دبوس « ووالده آخر سلاطين بر السعدوة من بنى عبد المؤمن » حدثه أنه وصل إلى هذه البطيحة فى أيام هربه من بنى عبد الحق ملوك بنى مرين القائمين الآن « أى فى عهد المؤلف سنة ٧٤٥ هـ »

وروى لنا أيضا أن الشيخ الثبت سعيد الدكالى (وهو ممن أقام بمالى خمساً وثلاثين سنة مضطربا فى بلادها مجتمعا بأهلها) حدثه بما نصه :

« والمستفيض بلاد السودان أن النيل فى أصله ينحدر من جبال سودتبان على بعد كأن عليها الغمام . ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما فى البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبى « يشير إلى نهر النيجر المعروف عند العرب بنيل السودان » والآخر يصل إلى مصر حتى يصب فى البحر الشامى »

وروى ابن فضل الله العمرى عن ذلك الشيخ قوله أيضا :

« ولقد توغلت فى أسفارى فى الجنوب مع النيل فرأيته متفرقا على سبعة أنهر تدخل فى صحراء منقطعة ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهراً واحداً مجتمعاً . كلا الرؤيتين فى بلاد السودان . ولم أره لما اجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها اذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها »

هذا وقد كان للملك الصالح نجم الدين الأيوبى ولع بمعرفة منابع النيل فلما وصل اليه ما حاوله السلف دون أن يظفروا بفائدة أراد أن يذلل العقبات التى تحول دون تلك الغاية فاشترى عبيداً صغاراً من الزنوج ومن شاكلهم واختارهم من الحلب الذين لم يستعربوا ثم سلمهم لصيادى السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك ورسم بأن يكون قوتهم من السمك لا غير وقرر أنهم متى مهروا فى ذلك تصنع لهم مراكب ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل . ذكر ذلك صاحب مطالع البدور ومنازل السرور المطبوع فى القاهرة « صحيفة ٧٤ و ٧٥ من الجزء الثانى »

والظاهر أن هذا المشروع لم يتم نظراً للاضطرابات التى وقعت فى مصر فى ذلك الوقت أولا بسبب هجوم الصليبيين تحت قيادة لويس التاسع ملك فرنسا المعروف بالقديس لويس والذى يسميه مؤرخوا مصر (ريدافرنس Reade France) وثانيا لسبب انقراض الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك . وهذا المشروع قد تم بفضل اسماعيل خديو مصر الكبير فى هذا العهد الجديد

أردت أن أنشر هذه الصفحة المطوية من مآثر الدول الاسلامية فى مصر ، حتى لا يقول قائل بأن الأجداد لم يعرفوا شيئاً عن النيل أو أنهم لم يعنوا بمصدر الحياة فى مصر . وفوق كل ذى علم عليم » اهـ — أحمد زكى باشا

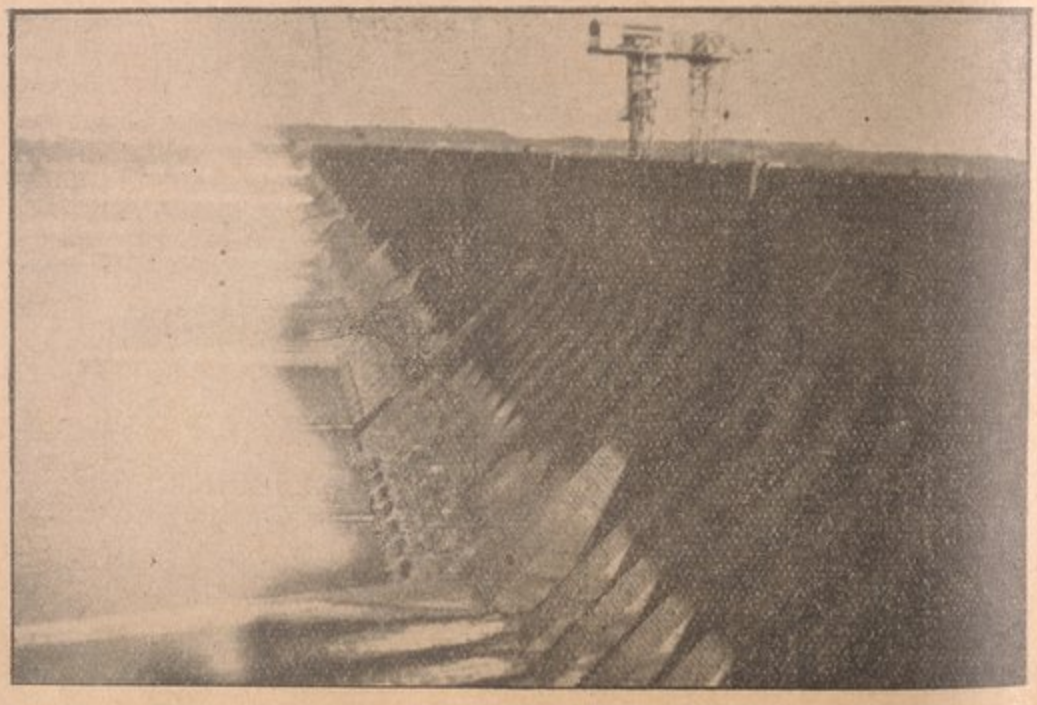

خزان اسوان

الفيضانات العالية والمتوسطة والواطئة

يقول المهندس كامل بخاتى بك : « إذا جارينا الدورة الشمسية لمدة الثلاث والثلاثين سنة من سنة ١٨٦٩ قلنا أن الفيضانات العالية انتهت سنة ١٩٠١ أو ما يقاربها أى سنة ١٨٩٨ وخلفتها الفيضانات الواطئة وهى تنتهى فى سنة ١٩٣٣ وعلى ذلك تكون سنة ١٩٣٤ هى مبدأ الفيضانات العالية المتتالية التى تعلو مناسيبها ٩٣ مترا باسوان

والآن نورد حدود الفيضانات الواطئة والمتوسطة والعالية والخطرة

فأوطأ فيضان عرف فى مصر هو فى سنة ١٩١٣ وكان مقاسه فى اسوان ١١ر٩٠ وتصرفه ٤١٩ مليون متر مكعب فى اليوم

أما أعلى فيضان فكان فى سنة ١٨٧٨ وكان مقاسة ١٥ر٩٤ وتصرفه ١٢٨٠ مليون متر مكعب فى اليوم

فالفيضان المتوسط هو ٤١٩ + ١٢٨٠ = ١٦٩٩ مقسوما على اثنين أى ٨٤٩ مليون وهو يطابق منسوب ٦٦ر٩٢ خلف اسوان ، وهذا ما يعبر عنه بالفيضان المتوسط فان زاد عن ذلك دخل فى دور الفياضانات العالية حتى إذا وصل تصرفه من ١٠٦٤ مليون متر مكعب فى اليوم إلى ٤٨ر٩٣ خلف اسوان يدخل فى حالة الخطر وقد وصل فى سنة ١٩٣٤ إلى ٣٧ر٩٣ فكان قريبا جدا من الخطورة فى أوطأ درجاتها

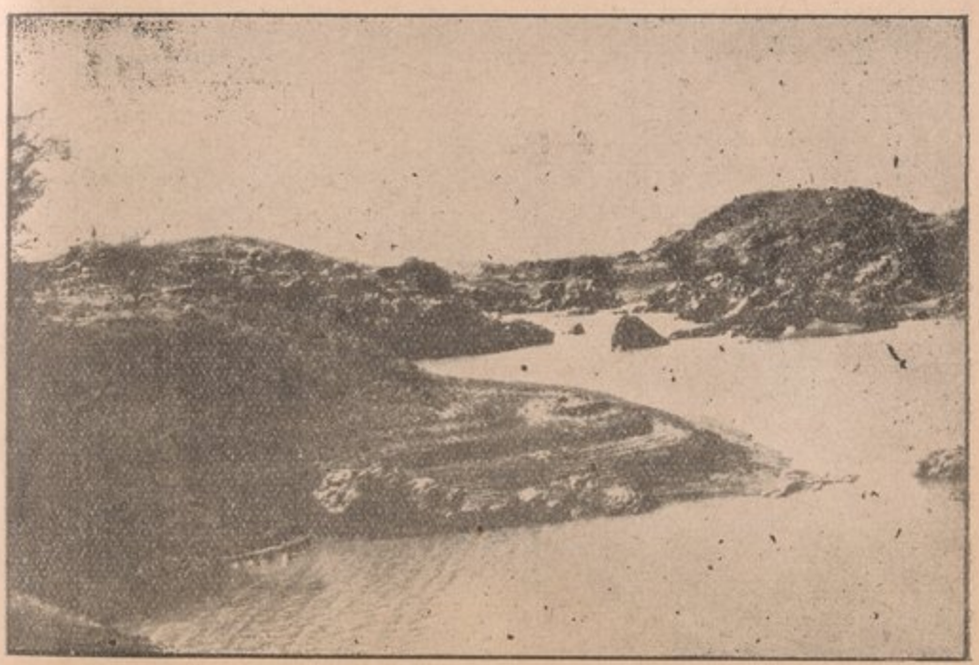

نهر النيل عند الشلال الثانى

وبناء على هذا التعريف الجديد نذكر السنين التى مرت من سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٩٣٣ . وكانت فيضاناتها متوسطة أى للحد المفروض وهو ٩٢٫٦٦ والفياضانات الواطئة المعروفة الدورة الزمانية

السنة	مقياس أسوان	
١٨٧٣	٩٢ ر ٦٦	حد المتوسط
١٨٧٧	٩١ ر ٤٠	
١٨٧٨	٩٢ ر ٠٨	
١٧٩٩	٩١ ر ٦٨	
١٩٠٢	٩١ ر ٧٢	الحد الفاصل بين الفيضانات العالية والواطئة
١٩٠٤	٩١ ر ٩٧	
١٩٠٥	٩١ ر ٩٠	
١٩٠٧	٩١ ر ٤٨	
١٩١١	٩٢ ر ٦٨	حد المتوسط
١٩١٢	٩٢ ر ٠٥	
١٩١٣	٩٠ ر ١١	أوطأ المتوسط
١٩١٥	٩١ ر ١٨	
١٩١٨	٩١ ر ٩٩	
١٩١٩	٩٢ ر ٢٢	
١٩٢٠	٩٢ ر ٢٩	
١٩٢٣	٩٢ ر ٤٦	
١٩٢٤	٩٢ ر ٦٢	حد المتوسط
١٩٢٥	٩١ ر ٧٤	
١٩٢٦	٩٢ ر ٣٨	
١٩٢٨	٩٢ ر ٠٨	
١٩٢٨	٩٢ ر ٢٩	
١٩٣٠	٩٢ ر ٤٨	
١٩٣١	٩٢ ر ٦٢	حد المتوسط
١٩٣٢	٩٢ ر ٧٠	»
١٩٣٣	٩٢ ر ٥٩	»

فيبحث هذا الجدول يرى : —

أولا — أن الفيضانات التى مرت على القطر المصرى من سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٩٠١ كانت كلها عالية ماعدا فيضانا واحدا متوسطا فى سنة ١٨٧٣ وثلاثة فيضانات واطئة

ثانيا — أنه من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩٣٣ مر اثنان وعشرون فيضانا منها ستة فى حد المتوسط وستة عشر واطئة واحد عشر عالية ولكنها كانت فى علوها دون الدورة الأولى

وعلى هذا فالدورة الأولى جاء الفيضان عاليا فيها ٢٩ مرة من ٣٣ وفى الدورة الثانية جاء واطئاً اثنين وعشرين مرة من ٣٣ فحينئذ لا يسعنا الآن إلا تصديق الأمر الواقع وهو أن الدورة الأولى تختلف عن الدورة الثانية التى بدأت من سنة ١٩١٢ واستمرت إلى سنة ١٩٣٣ بفيضاناتها العالية كما أن هذه بفيضاناتها المتوسطة والواطئة

أعنى ولو جاءت الأرصاد الآن من الروصيرص تشير إلى هبوط فى مقياس النيل الأزرق فان هذا لا يغير فى النظرية شيئاً فانه يعد نيلا متوسطاً من السنين العالية فى الدورة الزمنية الخاصة بها » اه .



أوراق البابيرس « البردى » فى بحر الجبل

الفصل الثانى والعشرون

اتفاق بين مصر وانجلترا سنة ١٩٢٩

ننشر فيما يلى نص الاتفاق الذى عقد بين الحكومة المصرية ، ممثلة فى وزارة حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا ، والحكومة الانجليزية ممثلة فى « اللوردجورج لويد » مندوبها السامى البريطانى عن ضبط ماء النيل وتوزيعه بين مصر والسودان

١ — مذكرة رئيس الوزارة إلى المندوب السامى

يا صاحب الفخامة :

١ — تأييداً لمحادثاتنا الأخيرة أتشرف بأن أبلغ فخامتكم آراء الحكومة المصرية فيما يختص بمسائل الرى التى كانت موضع مباحثاتنا .

إن الحكومة المصرية توافق على أن البت فى هذه المسائل لا يمكن تأجيله حتى يتيسر للحكومتين عقد اتفاق بشأن مركز السودان . غير أنها مع إقرار التسويات الحاضرة ، تحتفظ بحريتها التامة فيما يتعلق بالمفاوضات التى تسبق عقد مثل ذلك الاتفاق .

٢ — من البين أن تعمير السودان يحتاج إلى مقدار من مياه النيل أعظم من المقدار الذى يستعمله السودان الآن .

ولقد كانت الحكومة المصرية دائما — كما تعلم فخامتكم — شديدة الاهتمام بعمران السودان وستواصل هذه الخطة ، وهى لذلك مستعدة للاتفاق مع الحكومة البريطانية على زيادة ذلك المقدار بحيث لا تضر تلك الزيادة بحقوق مصر الطبيعية والتاريخية فى مياه النيل ولا بما تحتاج إليه مصر فى توسعها الزراعى وبشرط الاستيثاق بكيفية مرضية من المحافظة على المصالح المصرية على الوجه المفصل بعد فى هذه المذكرة .

٣ — وبناء على ما تقدم تقبل الحكومة المصرية النتائج التى انتهت إليها لجنة مياه النيل فى سنة ١٩٢٥ المرفق تقريرها بهذه المذكرة والذى يعتبر جزءا لا ينفصل من هذا الاتفاق . على أنه نظرا للتأخير فى بناء خزان جبل الأولياء الذى يعتبر بناء على

الفقرة الأربعين من تقرير لجنة مياه النيل مقابلا لمشروعات رى الجزيرة . ترى الحكومة المصرية أن تعدل تواريخ ومقادير المياه التى تؤخذ تدريجيا من النيل للسودان فى أشهر الفيضان كما هو مبين بالبند ٥٧ من تقرير اللجنة بحيث لا يتعدى ما يأخذه السودان ١٢٦ مترا مكعبا فى الثانية قبل سنة ١٩٣٦ . وأن يكون من المفهوم أن الجدول المذكور فى المادة السابق ذكرها يبقى بغير تغيير حتى يبلغ المأخوذ ١٢٦ مترا مكعبا فى الثانية وهذه المقادير مبينة على تقرير لجنة مياه النيل فهى إذن قابلة للتعديل كما نص على ذلك فى التقرير .

٤ — ومن المفهوم أيضا أن الترتيبات الآتية ستراعى فيما يختص بأعمال الرى على النيل :

(١) أن المفتش العام لمصلحة الرى المصرية فى السودان أو معاونيه او أى موظف آخر يعينه وزير الأشغال تكون لهم الحرية الكاملة فى التعاون مع المهندس المقيم بخزان سنار لقياس التصرفات والأرصاد كى تتحقق الحكومة المصرية من أن توزيع المياه وموازنات الخزان جارية طبقا لما تم الاتفاق عليه .

وتسرى الاجراءات التفصيلية الخاصة بالتنفيذ والمتفق عليها بين وزير الأشغال ومستشار حكومة السودان ، من تاريخ الموافقة على هذه المذكرة .

(٢) ألا تقام بغير اتفاق سابق مع الحكومة المصرية أعمال رى أو توليد ولا تتخذ اجراءات على النيل وفروعه أو على البحيرات التى ينبع منها سواء فى السودان أو فى البلاد الواقعة تحت الادارة البريطانية ، يكون من شأنها انقاص مقدار الماء الذى يصل إلى مصر أو تعديل تاريخ وصوله أو تخفيض منسوبه على وجه يلحق أى ضرر بمصالح مصر

(٣) تلقى الحكومة المصرية كل التسهيلات اللازمة للقيام بدراسة ورصد الابحاث المائية (هيدرولوجيا) لنهر النيل فى السودان دراسة ورصدا وافيين

(٤) إذا قررت الحكومة المصرية إقامة أعمال فى السودان على النيل أو فروعه أو اتخاذ أى اجراء لزيادة مياه النيل لمصلحة مصر ، تتفق مقدماً مع السلطات المحلية على ما يجب اتخاذه من الاجراءات للمحافظة على المصالح المحلية . ويكون إنشاء هذه الأعمال وصيانتها وإدارتها من شأن الحكومة المصرية وتحت رقابتها رأسا .

(٥) تستعمل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشمال ايرلندة وساطتها لدى

حكومات المناطق التى تحت نفوذها لكى تسهل للحكومة المصرية عمل المساحات والمقاييس والدراسات والأعمال من قبيل ما هو مبين فى الفقرتين السابقتين

(٦) لا يخلو الحال من أنه فى سياق تنفيذ الأمور المبينة بهذا الاتفاق قد يقوم من وقت لآخر شك فى تفسير مبدأ من المبادىء أو بصدد بعض التفصيلات الفنية أو الادارية فستعالج كل مسألة من هذه المسائل بروح من حسن النية المتبادل . فإذا نشأ خلاف فى الرأى فيما يختص بتفسير أى حكم من الأحكام السابقة أو تنفيذه أو مخالفته ولم يتيسر للحكومتين حله فيما بينهما . رفع الأمر لهيئة تحكيم مستقلة

٥ — لا يعتبر هذا الاتفاق بأى حال ماساً بمراقبة وضبط النهر فان ذلك يحتفظ به لمناقشات حرة بين الحكومتين عند المفاوضة فى مسألة السودان

وإنى انتهز هذه الفرصة لأجدد لفخامتكم فائق احترامى ؟

القاهرة ٧ مايو سنة ١٩٢٩ رئيس مجلس الوزراء : محمد محمود

رد فخامة المندوب السامى

— ٢ —

يا صاحب الدولة

أتشرف بأن أخبر دولتكم بأنى تسلمت المذكرة التى تكرمتم دولتكم بارسالها إلى اليوم

٢ — ومع تأييدى للقواعد التى تم الاتفاق عليها كما هى واردة فى مذكرة دولتكم فانى أعبر لدولتكم عن سرور حكومة جلالة الملك من أن المباحثات أدت إلى حل لابد أنه سيزيد فى تقدم مصر والسودان ورخائهما

٣ — وأن حكومة جلالة الملك بالمملكة المتحدة لتشاطر دولتكم الرأى فى أن مرمى هذا الاتفاق وجوهره هو تنظيم الرى على أساس تقرير لجنة مياه النيل وأنه لاتأثير له على الحالة الراهنة فى السودان

٤ — وفى الختام أذكر دولتكم أن حكومة جلالة الملك سبق لها الاعتراف بحق مصر الطبيعى والتاريخى فى مياه النيل وأقرر أن حكومة جلالة الملك تعتبر المحافظة على هذه الحقوق مبدأ أساسيا من مبادىء السياسة البريطانية كما أؤكد

لدولتكم بطريقة قاطعة أن هذا المبدأ وتفصيلات هذا الاتفاق ستنفذ فى كل وقت أيا كانت الظروف التى قد تطرأ فيما بعد

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأجدد لدولتكم فائق احترامى

القاهرة فى ٧ مايو سنة ١٩٢٩

(لويد المندوب السامى)

تقرير لجنة مياه النيل

أما تقرير لجنة مياه النيل الذى يعتمد عليه فى هذا الاتفاق فسببه أنه كان مقرراً أن تكون مساحة الأطيان التى تزرع فى الجزيرة ٣٠٠ ألف فدان فلما قتل السردار ورد فى الانذار الذى أرسل إلى الحكومة المصرية زيادة المساحة إلى مقدار غير محدود فأجاب سعد باشا على ذلك أن هذه المسألة سابقة لأوانها فرد اللورد اللنبى أنه أرسل تعليمات إلى حكومة السودان يطلق لها فيها الحرية فى زيادة المساحة التى تروى بالجزيرة إلى حد غير محدود تبعاً لما تقضى به الحاجة ولما تولى زيور باشا رياسة الوزارة أرسل إلى اللورد اللنبى مذكرة قال فيها : « أن الاجراءات المنوه عنها بمذكرة ٢٣ نوفمبر أحدثت فى البلاد أشد المخاوف وأن الحكومة المصرية كانت فى جميع المفاوضات فى الماضى متمسكة أشد التمسك بحقوقها بمياه النيل » ولفت نظره إلى اعادة النظر فى مسألة رى الجزيرة

فأجابه اللورد اللنبى أن حكومة جلالة الملك تحت تأثير هذه الاعتبارات ودليلا على حسن مقاصدها تأمر حكومته بعدم تنفيذ التعليمات السابقة وأن تشكل لجنة من الاختصاصيين تكون مأموريتها درس المسألة ووضع القواعد التى يمكن بمقتضاها تنظيم حالة الرى بطريقة تراعى فيها مصالح مصر حق المراعاة وبدون اعتداء على حقوقها الطبيعية والتاريخية

وهكذا تألفت اللجنة من المستر كنتر كريموز والمستر ما كجريجور وعبد الحميد سليمان باشا

تأليف اللجنة

فى ١٧ فبراير بدأت اللجنة أعمالها وزارت قناطر الدلتا وأقلام مصلحة الطبيعيات ثم زارت سد رشيد وانتقلت بعد ذلك الى الصعود فى النيل فكانت لها رحلة بحث تناول فيما تناول سد سنار وترع الجزيرة والمكان الذى سيقام فيه سد جبل الأولياء

وخزان أسوان وقناطر اسنا والمكان الذى اختير لاقامة قناطر نجع حمادى والحياض المجاورة لسوهاج

وفى خلال رحلاتها وأثناء انعقاد جلساتها بالقاهرة كانت تفحص الكثير من أرصاد مصلحة الطبيعيات ومصلحة الرى وتقابل عدة من كبار الموظفين فى مصر وفى السودان فتتبين آراءهم فى الأمور ذات الصلة بمهمتها حتى إذا رجع أعضاؤها إلى القاهرة - وكان ذلك فى آخر مارس - عكفوا على الاحصائيات يفحصون منها ما أعد لهم ويطلبون غيره من المعلومات التى رأوا وهم يبحثون أن لا مناص من الوقوف عليها

فى هذه الفترة الدقيقة أخذت صحة رئيس اللجنة تبعث القلق فى النفوس ووجد جنابه عناء شديدا فى مباشرة عمله ثم اشتدت عليه الوطأة فتوفى فى ٢١ مايو

استدعى مرض الرئيس وموته وقف أعمال اللجنة وهى على وشك الفراغ من مهمتها فعولت الحكومتان على تكليف المندوبين عنهما أن يستأنفا البحث الذى عطلته يد القدر زمنا وأن يقدما التقرير النهائى .

تقرير اللجنة

بدأت اللجنة تقريرها بنظرة تاريخية عن رى السودان فقالت :

لما استقرت أمور السودان بعد فتحه فى سنتى ١٨٩٦ - ١٨٩٨ احتاج إلى طلمبات لرى مساحات يسيرة فيه فرخص له باقامة هذه الطلمبات بعد موافقة الحكومة المصرية ثم زادت على توالى الأيام مساحة الأراضى التى خولت هذا الحق . ومن الطلمبات ما ركب لتجربة زراعة القطن ومنها ماجعل لزراعة الحبوب

وليس من المساحات الواسعة فى السودان ما هو قابل للرى الصناعى سوى الجزيرة وهى منطقة مثلثة بين النيل الأزرق والنيل الأبيض رأسها عند الخرطوم وتمتد جنوبا إلى سكة الحديد من سنار إلى كوستى أما ماعدا هذه المنطقة من أراضى السودان فهو مما يروى بالأمطار ومما لا يقبل الرى الصناعى . فكر فى امكان رى جزء من هذه الجزيرة منذ سنة ١٩٠٥ وفى سنة ١٩١٣ أعد مشروع لرى ١٠٠٫٠٠٠ فدان منها بواسطة ترعة تستمد ماءها من التصرف الطبيعى للنيل الأزرق مع انشاء قنطرة عند مكوار للوصول إلى المناسيب المطلوبة وكان الرأى اذ ذاك أن المشروع يمكن من زراعة القطن دون الاضرار بمصر . لكن تبين من زيادة الخبرة بأمور

الزراعة ومن تقصير النيل على خلاف العادة فى فيضان سنة ١٩١٣ - سنة ١٩١٤ بطلان هذا الرأى وثبت أنه لابد فى المشروع من خزان وأن الاقتصار على قنطرة موازنة لايجدى نفعا . أما إذا نشىء الخزان فيمكن زيادة المساحة إلى ١٠٠٫٠٠٠ فدان دون حاجة إلى أخذ مياه النهر فى دور انخفاضه وهذه الزيادة فى المساحة ضرورية لتغطية الزيادة فى نفقات الخزان وقد أفرغ المشروع فى قالب جديد روعيت فيه هذه الاعتبارات غير أن الحرب حالت دون الاستمرار فيه

وكانت الحكومة المصرية فى الوقت نفسه تفكر فى سد على النيل الأبيض عند جبل الأولياء لغرضين كبح جماح الفيضانات العالية التى يخشى اضرارها بمصر وتخزين المياه لتنتفع بها مصر فى فصل الصيف وهو مشروع أخرته الحرب ايضا وأن نفذ فعلا شىء منه فى سنة ١٩١٧ وما بعدها إلى سنة ١٩٢٠

ولقد قابلت مصر استئناف العمل فى هذين المشروعين بعد الحرب بمناقشات علنية عنيفة وانتقادمر وكانت حملاتها فى هذا السبيل موجهة على الأخص إلى الطعن فى صحة المعلومات التى أسست عليها المشروعات فكانت النتيجة أن ألجأت الحكومة المصرية فى يناير سنة ١٩٢٠ إلى تكوين لجنة للتحقيق عرفت بلجنة مشروعات النيل وكان أعضاؤها ثلاثة اختارتهم حكومة الهند وجامعة كمبردج والولايات المتحدة وجعل اختصاص هذه اللجنة امداد الحكومة المصرية بالرأى فى المشروعات التى وضعتها وزارة الأشغال العمومية تبقى بها زيادة ضبط ماء النيل ضبطا يعود بالفائدة على مصر والسودان وطالبت الحكومة اللجنة بمعالجة المسائل الآتية على الاخص وهى :

(ا) فحص المعلومات الطبيعية التى أسست عليها المشروعات وابداء الرأى فيها

(ب) صلاحية الطريقة التى بها يقسم بين مصر والسودان ما يترتب على هذه المشرعات فى أدوار تنفيذها من زيادة فى كمية المياه الممكن الانتفاع بها

(ج) إبداء الرى فيما تتحمله مصر وما يتحمله السودان من نفقات المشروعات ونفقات اللجنة . والمشروعات التى نحن بصددها مبينة فى كتاب نشرته الحكومة المصرية عنوانه « ضبط النيل » وهى السدان اللذان تقدم ذكرهما وقنطرة فى الوجه القبلى ومشروع الاحتفاظ بمياه النيل فى منطقة السدود وخزانات البحيرات الكبرى

نشر تقدير لجنة مشروعات النيل فى سنة ١٩٢١ فقرر صحة المعلومات التى اتخذت أساسا للمشروعات وأشار بتنفيذها . غير أن الحكومة المصرية قررت فى

مايو سنة ١٩٢١ أن يقف العمل فى سد جبل الأولياء وما يتبعه لمارأت من جسامة النفقات التى قدرت له . أما حكومة السودان فأخذت برأى اللجنة وقررت المضى فى مشروع رى الجزيرة

ولم تستطع الأغلبية فى لجنة مشروعات النيل أن تشير بشىء فى أشكال تقسيم الماء الذى لا يزال مباحاً ولم يكن للجنة رأى فى هذا الاشكال سوى ما أبداه مستر كورى العضو الأمريكى فى اللجنة . على أن آراءه لم يعمل بها

ولما رأت الحكومة البريطانية الحال التى أدت إلى تشكيل لجنة مشروعات النيل تعهدت فى فبراير سنة ١٩٢٠ بألا تزيد مساحة المنزرع فى الجزيرة على الثلثمائة ألف فدان إلا برأى الحكومة المصرية . وبهذا القيد نفذ مشروع رى الجزيرة

الموقف الحاضر

يتكون القسم المعجل من المشروعات المبينة فى كتاب (ضبط النيل) من ثلاثة مشروعات هى :

(ا) سد جبل الأولياء ، والغرض منه زيادة الماء الذى تنتفع به مصر

(ب) سد مكوار أوسد سنار على التسمية الحالية وتتبعه ترع تروى ٣٠٠٠٠٠ ألف فدان فى الجزيرة

(ج) قنطرة عند نجع حمادى

فالمشروعان الأول والثالث لم ينفذ منهما شىء لأسباب هى : الحرب أولا ثم الصعوبات المالية وغير المالية

ثانياً — أما المشروع الثانى فتم واستعمل فى يوليه سنة ١٩٢٥ وزادت نفقاته كثيراً عما كان مقدراً لها . فحكومة السودان وهى المسئولة عن عواقبه المالية راغبة فى زيادة المساحة التى يرويها هذا المشروع كى تقلل من خطر التعرض لفشله ماليا وتوجد لمصادر الثروة فى السودان مجالا أوسع

كان من أهم الاعتبارات فى برنامج هذه المشروعات الثلاثة وجوب انجازها بحيث تستعمل كلها فى آن واحد لكن الأمر الذى لامندوحة لهذه اللجنة أن تواجهه هو أن حكومة السودان قد فرغت من أعمال الرى الصناعى اللازم لثلثمائه ألف فدان فى الجزيرة وتريد أن تخطو بعد ذلك خطوة أخرى . على حين أن مصر لم توفق بعد إلى تنفيذ نصيبها من برنامج المشروعات الأول غير أن الحكومة المصرية

قد قطعت فى الفترة التى انقضت منذ عطلت أعمال اللجنة شوطاً لا بأس به فى سبيل تنفيذ مشروعاتها إذ أقرت سد جبل أولياء وانشاء قناطر نجع حمادى وخطت خطوة فى سبيل تنفيذ مشروع السدود

أما فيما يتعلق بالثلثمائة ألف فدان فقد تغيرت الحالة بالمكاتبات التى دارت بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية فى سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٥ ومن هذه المكاتبات المذكرتان الأخيرتان اللتان أعقبهما تكون هذه اللجنة وتجدهما فى الذيل من هذا التقرير

بهاتين المذكرتين فكت القيود التى وضعت فى سنة ١٩٢٠ لتحديد الثلثمائة ألف فدان على أن يبحث من جديد عن طريقة لتسوية مسألة التوسع فى رى أراضى الجزيرة

اختصاص اللجنة

كانت مهمة لجنة مشروعات النيل فى سنة ١٩٢٠ فحص مشروعات معينة وابداء الرأى فيها ومن هذه المشروعات ماكان العمل جارياً فيه ومنها ماكان موضع النظر فى وزارة الأشغال العمومية أما اللجنة الحالية فلم تبلغ مهمتها هذا المبلغ من التخصص إذ لم يطلب منها سوى أن تقترح أسلوباً للرى تراعى فيه كل المراعاة حقوق مصر ومصلحة مصر . فهى على هذا قد أطلقت من كل قيد فى اختيار ميدان عملها وتحديد وجهة أبحاثها ومدى هذه الابحاث والمنهج الذى تسلكه فى وضع قراراتها

أن المعلومات المجتمعة فى كتاب ضبط النيل والمشروعات التى بحثت فيه قد تناولت مجالا واسعاً جداً هو ما يمكن أن يصل إليه الرى من التقدم إذا نفذت سلسلة من المشروعات فيما بين البحيرات الافريقية الكبرى والبحر الأبيض المتوسط وتصدت للمنتظر فى المستقبل البعيد كما تصدت للميسور فى زمن قريب وقد أيدت لجنة مشروعات النيل ذلك كله . أما اللجنة الحالية فلم تتعرض لمثل هذا التوسع الذى يأباه ضيق الوقت المحدد لها ولم تر أنها مطالبة بالخوض فى القواعد التى تتبع فى قسمة الماء بين الفريقين المنتفعين به بل اقتصرت على بسط الاعتبارات التى كانت رائدها فى استنباط آرائها

ان السوابق نادرة فى هذه المسألة ، مسألة قسمة الماء والعرف فيها غير مطرد وهذه اللجنة لاتعرف نظاماً عاماً متبعاً ولاعرفا مقرراً يمكن أن يجعل قاعدة للفصل

فى مسألة الماء الذى يشترك فى الانتفاع به وحدات عدة . على أن الحالة التى نحن بصددها لاتخلو من عوامل خاصة بين تاريخية وسياسية وفنية من شأنها أن تجعل القواعد المتبعة فى غير النيل غير صالحة فى حالة النيل والتقيد بها غير وجيه . ولما تأملت اللجنة الأحوال التى اكتنفت تشكيلها ونظرت فى ماضى المسألة التى تعالجها وفى دورها الحالى استقر رأيها على أن تجعل غايتها إعمال الحيلة فى استنباط تسوية ممكنة التنفيذ لاتغفل مايلزم لحالة الرى القائمة الآن ولا تتعارض مع برنامج التوسع الذى تسمح به الحالة الراهنة والحالة التى تجد فى المستقبل القريب على ألا يكون فى هذه التسوية مساس ما بالحالة فى المستقبل البعيد

هذه التسوية ترمى إلى تفسير المذكرة التى أشرنا إليها فى الفقرة الأولى من هذا التقرير بعبارات فنية بينة لايتسرب إليها غموض وقد جاء فى تلك المذكرة أن الحكومة البريطانية مع عظيم اهتمامها بتقدم السودان لاتنوى مطلقاً الافتئات على ما لمصر من الحقوق التاريخية والطبيعية فى مياه النيل ، تلك الحقوق التى تعترف بها اليوم كما كانت تعترف بها فى الماضى سواء بسواء

واللجنة كلها أمل أن آرائها التى تتمشى فيها هذه الروح والتى لم تكن إلا بعد استيعاب الموضوع من الوجهات الفنية تكون — إذا صحت العزيمة على الوئام والتعاون — أساساً مقبولا لتقدم الرى فى المستقبل وضمانة إلى الأبد لكل ماهو قائم الآن من الحقوق المكتسبة

مشروع رى الجزيرة

قد بينا من قبل أن أهم ميدان لترقية الرى فى السودان هو أراضى الجزيرة وعلى ذلك فالأحوال المحيطة بمشروعات الرى فى هذه المنطقة لها صلة ذات شأن بالمسألة التى نيطت باللجنة لتسويتها لذا آثرت اللجنة قبل الاستمرار فى أبحاثها أن تقول فى هذا المشروع كلمة تتحرى فيها شيئاً من التفصيل

الغرض من هذا المشروع رى مساحة من الأراضى الصالحة للزراعة قدرها ٣٠٠ر٠٠٠ فدان ثلثها يزرع قطنا فى مدة أولها يولية وأغسطس وآخرها لا يكون بعد ١٥ ابريل وثلث آخر يزرع مواد غذائية من أغسطس وسبتمبر إلى نوفمبر فى حالة زراعة الذرة وإلى يناير فى حالة زراعة اللوبيا أما الثلث الباقى فيبقى بورا ومن ١٦ ابريل إلى ١٥ يولية تكون الأرض خالية من الزراعة ولا يحتاج إلى الماء إلا

للقدر اللازم للأهالى فى معيشتهم وللقطن دون سائر الحاصلات الزراعية الشأن الأكبر سواء من وجهة الماء اللازم له ومن وجهة الثمرات الاقتصادية للمشروع

من ١٦ يولية إلى ٣١ يولية يرفع منسوب ترعة الجزيرة تدريجيا من الحد اللازم للأهالى إلى الحد اللازم للرى وفى هذه الفترة عينها يرفع منسوب الخزان بالضرورة . ومن ٣١ يولية تستمد الترعة ماءها حسبما تقتضى الزراعة ويكون أقصى تصرفها ٨٤ مترا مكعبا فى الثانية وفى شهر نوفمبر يرتفع الماء فى الخزان حتى يصل إلى منسوب التخزين المقرر وفى هذه الحالة يكون استمداد الماء من النهر بمقدار ١٥٠ مترا مكعبا فى الثانية وذلك لمدة ٣٠ يوما وينتهى رى اللوبيا اثناء النصف الأول من يناير ويقتصر الرى على القطن وحده . بنى هذا المشروع على التقديرات المدونة فى كتاب ضبط النيل وهى تدل على أن الماء اللازم لرى زراعة القطن فى تلك المنطقة يمكن أخذه من النيل الأزرق لغاية ١٨ يناير دون اضرار بمصر حتى فى الفيضانات الشاذة فى تقصيرها كفيضان سنة ١٣ — ١٩١٤ أما بعد ١٨ يناير فلا مناص من أخذ الماء اللازم لرى القطن من الخزان . لهذا روعى فى وضع المشروع أن يكون فى الخزان كمية المياه التى يتطلبها (حسب التقدير ومع مراعاة الضائع) رى القطن إلى ١٥ ابريل وحاجة الأهالى من ١٥ ابريل إلى ١٥ يولية

وثم قيد آخر غير ما تقدم من القيود الخاصة بالوقت الذى يستمد فيه الماء من التصرف الطبيعى للنيل الأزرق وبكمية هذا الماء ذلك القيد هو تحديد الأرض التى تزرع فى الجزيرة بثلاثمائة الف فدان بمقتضى التعهد الذى قدمناه فى الفقرة (١٥) من هذا التقرير . فلا تبين بالفعل أن المقنن المائى أقل مما قدر أولا لما كان سبيل إلى الانتفاع بالماء الفائض فى زيادة المساحة المنزرعة

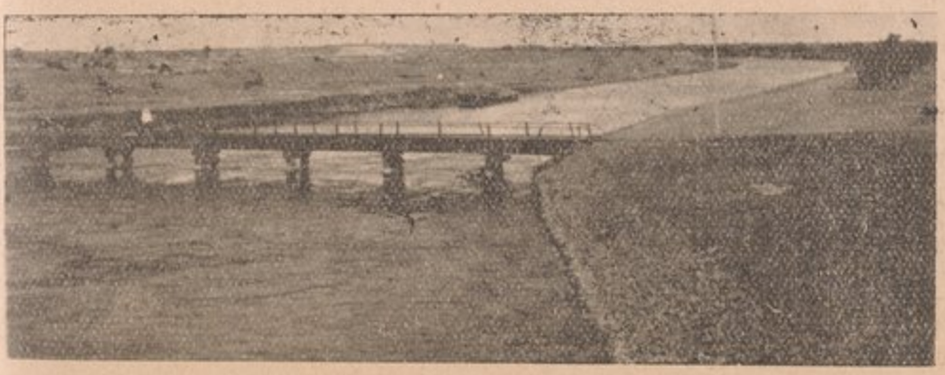

مشروع الجزيرة

اعتبارات عامة للجنة

جرت العادة فى مصر من قديم باعتبار السنة الزراعية فصلين كل منهما نحو ستة أشهر فى أحدهما يستعمل فى الرى كل تصرف النيل الطبيعى مضافا إليه الماء المخزون فى أسوان وفى هذا الفصل يسد كل من فرعى النيل متى سمحت الحالة بذلك . وفى الثانى ينساب ماء النيل فى البحر الأبيض بمقادير كبيرة جامدة بضعة شهور

وقد وضع مشروع رى الجزيرة الذى تم فى يونية سنة ٩٢٥ بحيث لا يستمد الماء من التصرف الطبيعى إلا فى الفصل الثانى من فصلى الزراعة فى مصر وبحيث يستمده من خزان سنار فى زمن انخفاض النيل . هذه القاعدة تقرها اللجنة وقدسلم بها رجال حكومة السودان وهم فى هذا الفصل الثانى لا يتشبثون إلا بالماء اللازم لرى مساحات يسيرة بالطلبات عملا باتفاق قديم أقرته الحكومة المصرية . على هذا رأت اللجنة أن تكون فاتحة أعمالها تقسيم السنة تقسيما دقيقا إلى فصلين مسترشدة فى ذلك بتدبر الأحوال الحاصلة فى أول الفيضان وآخره وهما الوقتان اللذان فيهما تتغير الأحوال .

فاذا قسمت السنة على هذا النحو أصبح من الميسور أن تستأثر مصر فى شهر الانخفاض بكل التصرف للنيل اذا ما كان منه حقا للسودان بحكم نظام الطلبات المتفق عليه كما قدمنا ثم ينظر فى إيراد الماء أثناء الباقى من السنة للاهتداء إلى القدر الذى يصح أن يكون للسودان مع مراعاة ما تحتاج اليه مصر فى توسعها الزراعى ويبقى أمام اللجنة النظر فى موضوعين أقل شأنا هما الرى بالطلبات ورى الحياض فى السودان ووضع القيود لها

تلك هى الخطة العامة التى التزمتها اللجنة فى تكون آرائها ولا غنى فى هذا المقام عن بيان بضع قواعد وأساليب بحث اتبعتها اللجنة وهى تعالج بالفعل المسألة المطروحة أمامها فنقول إن العملية الأساسية هى تقسيم السنة إلى فصلين وعلى الأخص تحديد الوقت الذى يكف فيه السودان عن أخذ الماء من التصرف الطبيعى للنهر عند سنار ولقد ذهب كتاب ضبط النيل إلى أن يكون هذا الوقت متفقا مع البدء فى تفريغ خزان أسوان فوضع خزان سنار ليمد ترعة الجزيرة بالماء اللازم لها بعد يوم ١٨ يناير وهو التاريخ الذى يقابل فى أسوان البدء فى تفريغ الخزان فى سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ وهى سنة الانخفاض الخارق للعادة ولقد أقرت أغلبية اللجنة هذه الطريقة

غير أنها أشارت بجواز تغيير هذا التاريخ تبعا لحالة النيل فى كل سنة على أن يكون ذلك بعد يوم ١٨ يناير عادة رأت اللجنة ذلك أولى من جعل التاريخ المذكور ثابتا لا يتغير تبعا لحالة الفيضان فى سنة ١٩١٣ – ١٩١٤ وقد كانت حالة شاذة .

ليس من رأى هذه اللجنة اعتبار وقت البدء فى تفريغ خزان أسوان مقياساً صحيحاً للدلالة على انتهاء مدة زيادة التصرف على المطالب فقد يجوز مع انتهاء مدة هذه الزيادة الا يبدأ بتفريغ الخزان بل يحتفظ بمائه زمنا ما توقعا لشدة الحاجة إليه فيما يلى من الشهور. لهذا الاعتبار رأت اللجنة ألا تأخذ بهذا المقياس بل تأخذبانتهاء مدة الزيادة فعلا حسبما يعلم من تصرف الترع والموازنة على قناطر الدلتا واقامة سد دمياط وسد رشيد .

فكرت اللجنة فيما اذا كانت تبنى أراءها على الحالة الشاذة التى كانت فى سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ أو على معدل مجموعة من السنين أو تضع مقياسا تدرج بمقتضاه يقدم التاريخ الذى نحن بصدده ويؤخر تبعا لحالة كل سنة ونظرت الى ارصاد الفيضانات فرأتها تتناول أكثرمن ٩٦٠ سنة ليس فيها سوى أربعة فيضانات بلغت من التقصير مبلغ فيضان سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ ومع تسليمها بعدم اغفال مثل هذه الفيضانات لاحتمال حدوثها لا ترى اتخاذها أساساً يبنى عليه مشروع ما وكذلك ترى أن العمل بجدول التدرج لايخلو من تعقيد وأن التغييرات التى تعترى مناسيب النيل ليست من الخطورة بحيث تأبى التقيد بتاريخ وسط يصطلح عليه فقررت الأخذ به وتطبيقه على السنين المنخفضة لترى ما يترتب عليه من نتائج . ولم يفت اللجنة التسليم بالحاجة إلى ترتيب خاص للفيضانات التى تكون من قبيل فيضان سنة ١٩١٣ — ١٩١٤

ولقد فكرت اللجنة فيما اذا كان ينبغى لها وهى تعالج مسألة التوسع فى رى السودان أن تجمع إلى اعتبار المساحات التى تروى اعتبار كمية الماء التى تستعمل فى أوقات معينة فلقد سبق كما قدمنا فى الفقرة ٢٦ تحديد مساحة المنزرع فى الجزيرة بثلاثمائة الف فدان مع القيود التى توجبها بطبيعة الحال سعة الخزان ويقتضيها تحديد الوقت الذى فيه يتسنى أخذ الماء من المنصرف الطبيعى ومقدار هذا الماء.

لكى تتسنى معالجة هذا الموضوع على الوجه الصحيح يجب أن تكون الارصاد المتعلقة به مبنية على المواسم ومقادير الماء فلا بد إذن من تدوين الأرصاد المتعلقة بتشغيل الخزان وكمية المياه التى تستمدها الترعة الرئيسية يومياً لأن هذه الأوقات

ومقادير الماء هى خير ما يستانس به فى فرض القيود التى لا غنى عنها فى ضبط العمل بأية طريقة يهتدى إليها كنتيجة لاقتراحات اللجنة

أما تحديد المساحة فلن يكون وسيلة لضبط الماء المستمد من النهر إلا إذا اشترط معه التقيد بأنواع الزراعة وبدورة زراعية خاصة ثم أن تحديد الزراعة يجر إلى فروض لا بد فيها من التوسع فى التقدير وأخذ بالأحوط . وهذا التوسع وما ينطوى تحته من حيطة يستلزمها الشك فى سعة الخزان وفى الماء الضائع وفى الماء اللازم لكل نوع من أنواع الزراعة يحول دون انتفاع السودان انتفاعا كاملا بمياه كبيرة الفائدة فهو يؤثر فى السودان أثراً غير صالح دون أن يعود على مصر بفائدة ومن ثم كان تحديد المساحة ما لم تقدر عن سعة ، مدعاة للاسراف فى الرى وبديهى أن الاسراف فيه لا يكون فى مصلحة المنتفعين به

أخذت اللجنة بتلك الاعتبارات فاستقر رأيها على أن تجعل الأوقات ومقادير الماء أساسا لمقترحاتها دون أى أساس آخر وهى مقتنعة بأن جهات الاختصاص لا تلقى عناء فى استنباط الوسائل التى بها يضبط سحب الماء من النهر ومن الخزان وبشرط ايجاد هذه الوسائل لا ترى اللجنة من الوجهة الفنية حاجة إلى تقييد مساحة المنزرع علاوة على تقييد مقادير الماء فان المعروف من تقاليد الرى يجعل فى تحديد الأوقات ومقادير الماء الضمانات الكافية . أما أن مست الحاجة إلى التقيد بمساحة المنزرع كما حصل من قبل فان ذلك يكون راجعا إلى أسباب لا تدخل فى اختصاص اللجان الفنية

بقيت مسألة لم يكن للجنة بد من التفكير فيها وهى تضع خطة البحث فى الموضوع الذى من أجله شكلت ذلك أن الجزء الأكبر من أرض الصعيد يروى بطريقة الحياض وأكثر اعتماده على منسوب الفيضان الطبيعى ولا يعتمد على القناطر إلا قليلا . فكل ماء يستنزفه السودان إبان الفيضان يحدث لا محالة فى هذا المنسوب أثرا يتبعه ضرر برى الحياض المصرية فالتسليم بأن لهذه الحياض حقا مطلقاً فى مناسيب الفيضان غير منقوصة يستلزم حتما تحريم ماء الفيضان على السودان

جال بخاطر اللجنة تلقاء هذه الحالة أن من المتعذر أرجاء كل تحسين فى رى السودان إلى أجل غير مسمى أو الاندفاع بلا روية فى هذا التحسين والغلو فى استمداد الماء اللازم له على ما فيه من تعريض حياض الصعيد لضرر بليغ . لهذا رأت ألا يتشبث بمناسيب الفيضان إلى حد اغفال تقدم الرى فى السودان بل يقتصر

فى التمسك بها على القدر اللازم لتحديد مدى هذا التقدم وسرعة السير فيه

ومما ساعد اللجنة على الأخذ بهذا الرأى ما قررته الحكومة المصرية عقب تشكيل اللجنة من بناء قنطرة أخرى فى الوجه القبلى وما قررته بعد ذلك من اقامة سد جبل الأولياء لانتفاع مصر به فان انجاز هذين المشروعين يجعل مناسيب الفيضان أقل أهمية لحياة مصر مما لو اقتصر الأمر على مشروعات السودان

وهناك مسألة أخرى عامة تستدعى أن يفصل فيها توطئة للبحث المستفيض فى الموضوع الذى تعالجه اللجنة — هذه المسألة هى هل سد جبل الأولياء يكون حكمه حكم ترعة الجزيرة سواء بسواء من حيث الأولوية فى الحق وأن لم يكن الأول فى السبق لعدم انجاز شىء منه حتى الآن ولما كان سد جبل الأولياء وترعة الجزيرة من أول الأمر حلقتين من سلسلة مشروعات واحدة فقد رأت اللجنة أن لا يكون لمشروعات الجزيرة ميزة على جبل الأولياء فى الانتفاع بالزيادة فى ايراد الماء بل يسوى بينهما فى حق الأسبقية وينتج عن ذلك الرأى أن السودان ينبغى له أن لا يألو جهداً فى تسهيل مهمة اقامة سد جبل الأولياء وقد افترضت اللجنة أن هذا التسهيل من جانب السودان كائن

وختاما نظرت اللجنة فيما إذا كان حتما لزاما أن يبقى لمشروع الجزيرة الحق الذى قرره له كتاب (ضبط النيل) فى مقدار الماء الذى يأخذه وشروط أخذه فلقد كان محتملا أن بحث اللجنة فى الاحصائيات التى تناولها (ضبط النيل) وفى احصائيات السنين التى انقضت منذ ابتكر المشروع يقضى إلى آراء مغايرة للآراء المثبتة فى ذاك الكتاب لكن هذا المشروع لم يقرر الا بعد بحث مستفيض من جانب رجال الرى فى مصر ومن جانب لجنة مشروعات النيل وارتبطت حكومة السودان بتعهدات قامت على أساس الحصة التى قررها المشروع ومن ثم بدا للجنة أن الاقدام على النقص من كمية الماء اللازم لهذا المشروع يجر إلى عواقب لا تدخل فى اختصاصها وهى هيئة فنية . على أن القواعد التى بنى عليها المشروع قد دل تمحيصها بالأساليب التى جرت عليها اللجنة على أن ليس هناك كبير خلاف بين النتائج التى أفضى إليها بحث هذه اللجنة والنتائج التى توصل إليها من قبل

الفصل الثالث : فى الاحصائيات

من المناسب قبل الخوض فى تمحيص الاحصائيات أن نشرح بالايجاز ماهية مالدينا من الأرصاد ونبين بعض عوامل لها دخل فى التقديرات المبينة على هذه الارصاد .

الارصاد المائية

أن مناسيب النيل عند القاهرة أعلاها فى السنة وأدناها مدونة معروفة من سنة ٦٤١ ميلادية إلى ١٤١٥ ميلادية ، ثم من سنة ١٧٣٧ ميلادية إلى الوقت الحاضر لا فى فترة واحدة ، فهذه المناسيب إذن تتناول أكثر من ٩٦٠ سنة ولها قيمتها فى بيان دورة السنوات الشحيحة ، ولقد بدىء برصد مقاييس النيل عند أسوان والقاهرة فى سنة ١٨٧٠ مع رصد مقدار التصرف أحياناً ومنذ سنة ١٩٠٣ لاتزال المناسيب أمام الخزان وخلفه ومقدار فتح عيونه ترصد كل يوم ، ولقد قدرت تصرفات النهر فى السنين الأولى بواسطة تقنين فتحات هذه العيون ، وهذا التقنين قد بلغ الآن مبلغا عظيما من الضبط وكذلك توزيع الماء عند قناطر الدلتا يعمل بطريقة التقنين منذ سنة ١٩١٩ والمقادير الاحصائية يتحرى فيها على الدوام التوقى من دقة الرصد وتهذيب أساليبه حتى أن هذه الدقة وهذه الأساليب قد بلغت الآن مبلغا عظيما من الاتقان فيمكن الركون إلى تلك الاحصائيات ولا سيما ما كان منها خاصا بالسنين السبع الأخيرة

مدة انتقال الماء

إن طول النيل وقلة انحدار مجراه يجعلان لزمن انتقال الماء شأنا جديرا بالاعتبار فى كل ما يتعلق بتقدير مياهه ولابد من أن يكون زمن انتقال الماء هذا دائما على بال الباحث فى هذا التقدير ، فاذا رصدت للنهر حالة معينة فى سنار مثلا لزم حساب الوقت الذى فيه يبدو أثر هذه الحالة قبل أن ترتب عليها أى نتيجة . فالخلاصة أن لابد من اعتبار الزمان والمكان فى رصد حالات النهر وليلاحظ أن زمن الانتقال غير ثابت بل يعتريه التغيير طبقا لحالة النهر

ولقد قامت مصلحة الطبيعيات بحساب زمن انتقال الماء بين الأماكن المختلفة عند ما طلبت اللجنة ذلك ، وهذا الحساب مبين فى الذيل « ب » ومنه يتضح أن زمن انتقال الماء من سنار إلى قناطر الدلتا فى بدء الفيضان وانتهائه قدر كما يأتى :

فى يناير وفبراير ٣٤٠٠٠٠ يوما . وفى يوليو وأغسطس ٢٦٠٠٠٠ يوما

أما عند البحث فى حالات خاصة كحالات السنين الشحيحة مثلا فان حساب زمن الانتقال اللازم لفحص هذه الحالات يقدر تقديراً خاصا أساسه المعلومات المناسبة له .

الماء الضائع

قدر كتاب « ضبط النيل » (أنظر صحيفة ٢٥٣ من النسخة العربية) أن ١٢٤ وحدة من الماء عند الخرطوم تنقص بالانتقال حتى تصير عند أسوان ١٠٠ وحدة فقط واللجنة لا ترى من الضرورى ولا من الميسور فى فحص الموضوع الذى بين أيديها أن تعتبر ما يضيع بالانتقال حين تنظر فيما يكون لأخذ الماء عند سنار من أثر فى حالة الماء فى مصر بل تؤثر اللجنة الذهاب إلى أن الماء الذى يؤخذ عند سنار يبدو فى مصر أثره كله مع افتراض أنه لا ينقص بالانتقال وقد يتيسر يوما ما فى المستقبل أن يحسب هذا الضائع بالانتقال حسابا يكون أدنى إلى الصواب كما يجوز أن يكون لهذا الضياع شأن أكبر من شأنه الحالى وإذن يكون ثمت وجه للاعتداد به عند اللزوم .

تقسيم السنة

أن الفكرة الجوهرية المنطوية عليها آراء اللجنة هى كما سبق بيانه تقسيم السنة الى فصلين فى احدهما تستمد ترعة الجزيرة الماء من تصرف النهر الطبيعى وفى الآخر تستمده من الماء المخزون وتترك التصرف الطبيعى لمصر خاصة ولهذا لم تعد اللجنة القواعد التى قررها كتاب « ضبط النيل » وأقرتها لجنة مشروعات النيل لكنها فى معالجة الموضوع وفى بيان النتائج سلكت مناهج غير التى سلكاها وجعلت أهم أركان بحثها فحص الأحوال التى تصحب ظهور الفيضان وانقضاؤه أى حين يربو ماء النيل إبان الزيادة على المطلوب منه وحين يقل إبان الانخفاض عن ذلك المطلوب وأكثر هذا الفصل من التقرير قد خص لهذا الفحص وابداء نتائجه وما يبنى عليها من الآراء.

زيادة النيل — يوليو وأغسطس

الحالة الحاصلة عند قناطر الدلتا فى ابان الزيادة مبينة بالرسم رقم ١ الوارد فى الذيل (ح) من التقرير وهى مبنى على التصرف خلف قناطر الدلتا ومنحنيات

النهر هى عن معدل السنين من سنة ١٩١٢ إلى ١٩٢٥ وعن سنة ١٩١٣ الشحيحة على خلاف العادة وعن سنة ١٩١٥ التى فيضانها أردأ الفيضانات فى مدة ١٤ سنة اذا استثنينا سنة ١٩١٣ وقد روعى مقدار الماء الذى استعمل فى الرى خلف القناطر وفى هذا الوقت وبين تأثير خزان سنار حسب برنامج الموازنة المبين بالجدول رقم ٥ الوارد فى صحيفة ٨٧ من كتاب ضبط النيل وروعى فى بيان هذا التأثير زمن انتقال الماء وهو كما قدمنا يتغير تبعا لحالة الفيضان

يتضح من الرسم أنه فى السنين المعتادة وحين يبدو فى قناطر الدلتا أثر سحب الماء عند سنار يكون الماء الذى ينساب فى فرعى النيل ١٥٠ مليون متر مكعب فى اليوم تقريباً ويكون أثر السحب عند سد سنار ضئيلا لا أهمية له ولو كان هذا السحب فى سنة ١٩١٥ لما أضر بمصر وأن استشعرت أثره . ولو كان فى سنة ١٩١٣ لاقتضى أخذ الماء من النهر قبل استقرار الزيادة من الفيضان بنحو ١٠ أيام فالنتيجة التى تستخلص من هذا الرسم هى أن الترتيب الذى يقول عنه كتاب « ضبط النيل » مناسب بشرط أن تأخر زيادة النيل عن وقت مجيئها فى سنة ٩١٥ وذلك الترتيب يقضى أن تبدأ ترعة الجزيرة يوم ١٦ يوليو فى أخذ الماء من النهر عند سنار بالمقادير المقررة . أما فى السنين الأقل فيضاناً من سنة ٩١٥ فيحتاج إلى الماء اللازم للرى فى مصر

تقدم فى الفقرة ٤١ أن اللجنة تشعر أنها إذا تصدت للتقليل من كمية الماء الذى سبق تخصيصه لهذا المشروع والذى من أجله ارتبط أحد الفريقين بتعهد تكون قد تخطت حدود اختصاصها . أما مسألة تأخير فتح ترعة الجزيرة أياما فى سنى تأخير زيادة النيل فللجنة فيها نظر آخر ، ذلك أن الماء فى هذا الوقت يكون مطلوبا فى مصر ولا سيما فى ذراعة الذرة وهذه ينبغى التبكير بها كى يجود المحصول . كذلك فى الجزيرة يستحسن التبكير بزراعة القطن والمعقول أن السودان فى كل سنة تتأخر فيها زيادة النيل يقاسم مصر كل ضرر ينجم عن تأخر وقت الزراعة

هذا الجدول أثبت فى هذا التقرير وجعل الذيل « د »

إن حالة الفيضان فى سنة ١٩١٥ يمكن أن تعتبر أردأ الحالات التى يلائمها العمل بالترتيب المقرر فى كتاب « ضبط النيل » كما يمكن اعتبار فيضان سنة ١٩١٣ اردأ فيضان يمكن وقد يكفى فى تحقيق الغايات التى تتوخاها اللجنة — تدرج يعمل به فى تأخير فتح ترعة الجزيرة بنسبة تقصير الفيضان عما وصل إليه فى سنة ١٩١٥

ومثل هذا الجدول يمكن استنباطه من الأرقام الواردة فى الذيل «هـ» من ذيول هذا التقرير وهذه الأرقام تدل على أنه فى سنة ١٩١٥ و سنة ١٩١٣ وفى التاريخ الذى يمكن فيه للسودان سحب الماء يبلغ مجموع تصرف النيل الأزرق وتصرف النيل الأبيض معا ١٤٢ مليون متر مكعب يومياً ومعدل التصرف ١٦٠ مليونا أخذا بالأحوط أن لاتستمد ترعة الجزيرة ماءها من التصرف الطبيعى إلا بعد أن يبلغ معدل التصرف فى خمسة أيام ١٦٠ مليوناً فى اليوم فى سنار وملكال مع تقديم تاريخ ملكال عشرة أيام

والواقع أن اللجنة وان قدمت هذا الاقتراح من باب توخى العدل والمساواة فى المعاملة لا تعتقد أن مصر يلحقها ضرر يذكر إذا جرى العمل فى مشروعات السودان على النحو المبين فى كتاب «ضبط النيل» بلا نظر إلى حالة الفيضان ثم أن اللجنة كما قدمنا لا تميل إلى التعقيد الذى قد يجر إلى استعمال جدول التدرج غير أنها ترى حالة الفيضان فى هذه المسألة بالذات عاملا ذا أثر مباشر كما ترى العمل بهذا الجدول سهلا وهى لاتتوقع صعوبة مافى العمل به عند الحاجة إليه وهى نادرة . لهذا تشير باتباع هذه الطريقة إذا بدا لجهات الاختصاص أن لا تتقيد بالتاريخ الثابت وسهولة العمل به

الفيضان

اذا استقرت زيادة النيل فى النصف الثانى من يونية كما قدمنا بقى النظر فى مقدار المياه ان وجدت التى يمكن أن يأخذها السودان علاوة على المقادير المقررة لمشروع الجزيرة فى كتاب «ضبط النيل» دون أن يترتب على اختصاص السودان بها الاضرار بمصلحة مصر أو الخروج عن القواعد التى تأخذها اللجنة بها . هذا وفى الرسم رقم ٢ و٣ و٤ بيان كمية المياه التى تنساب فى البحر الأبيض فى السنين المعتادة وفى سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٣ وهما أقل السنين فيضانا ، وفى هذه الرسوم أيضا بيان تأثير ترعة الجزيرة وملء خزان سنار وخزان جبل الأولياء وقد وصل الى علم اللجنة أن وزارة الأشغال العمومية قد وافقت على تفصيلات مشروع هذا الخزان بعد تنقيحه هذا غير أن اللجنة لم تعلم ما هى هذه التفصيلات على وجه التحقيق

وعلى هذا فما فى الرسوم من بيان لملء الخزان هذا إنما هو افتراض من اللجنة الغرض الأكبر منه اظهار مقدار سعته بالنسبة لمقدار الماء الميسور فى هذا الوقت

ولما كان ماء النيل الأبيض خاليا من الطمى فملؤه ممكن فى أى وقت خلافا لخزان اسوان وخزان سنار

ترى اللجنة أن ما يزاد على نصيب السودان من الماء ينبغى أن يكون بقدر معتدل وان كان الماء غير مستعمل كثيرا فى هذا الفصل . وانما رأت ذلك لسببين : أولها أن الضائع من المياه فى سنار وجبل أوليا مشكوك فى مقداره الآن ولا سبيل إلى تقديره بالدقة إلا بعد تشغيل الخزانين سنة أو سنتين ، والثانى تأثير المناسيب فى حياض مصر وقد نظرت اللجنة فى هذا الموضوع بدقة وأعدت الذيل « و » من ذيول هذا التقرير لتبين به هذا الاثر الذى أحدثه عند السودان أخذ ١٠٠ متر مكعب و٥٠ مترا مكعبا و ٢٠٠ متر مكعب اثناء فيضانات السنين ١٩١١ و١٩١٣ و١٩١٥ و١٩١٨ وقد كانت كلها فيضانات شحيحة ولم يحسب الاثر الذى يحدثه ملء خزان جبل أولياء بعد تعديله ولكن من الواضح أن أثر هذا الخزان فى مصر يكون أكبر كثيرا من أثر سحب المياه عند سنار حسب التقدير الحالى

ومن الاعتبارات ذات الشان التى لها دخل فى هذه المسألة ان مياه الرى اللازمة لترعة الجزيرة لا تبلغ حدها الأقصى فى اغسطس وسبتمبر أى فى وقت بلوغ الفيضان اقصاه كما يؤخذ من تجارب الرى بالطلمبات والقطن فى السودان ان يزرع فى اواخر يولية وأوائل أغسطس ، ونظرا لهطول الأمطار فى هذا الوقت لا يحتاج إلى الرية الثانية إلا فى أواخر سبتمبر . أما زراعة المواد الغذائية فتأتى بعد القطن . وعلى هذا فترعة الجزيرة مهما بلغ أقصى التصرف المقرر لها فى زمن الفيضان لا يأخذ فى الواقع الا مقداراً أقل من هذا التصرف فى وقت ملء الحياض فى مصر

من المسلم به أن خزان جبل أوليا ومشروع الجزيرة يترتب عليهما حتما انخفاض المناسيب فى الصعيد وهذا يستتبع صعوبة فى ملء الحياض ، وسيكون لهذين المشروعين مثل هذا التأثير فى حياض السودان واللجنة غير ميالة إلى أن تخوض غمار البحث فى هذه المناسيب لتقرر إلى أى أحد يمكن اعتبار المحافظة عليها حقاً مقرراً .

على أن هذه المسألة قد تناولتها اللجنة على اعتبار أنها هيئة من المهندسين دعيت للاستئناس برأيها فى مسألة عملية وهى على هذا الاعتبار ترى أن ما يكون فى النيل الأعلى من أعمال هندسية لتحسين الرى والاحتفاظ بالماء يجب أن لا يتغير إلى أجل غير مسمى بمسألة مناسيب التصرف الطبيعى فى النيل الأدنى وأن السودان يجب

أن يتقيد فى تحسين ريه لسرعة محدودة حتى يتيح لمصر فرصة اللحاق به وهذا يكون بانجاز الأعمال التى جعلت من نصيبها فى البرنامج الأصلى

ومع مراعاة ماجاء بالفقرة السابقة ترى اللجنة مستطاعاً فى زمن الفيضان أن تؤخذ عند سنار المقادير الاضافية المبينة بالجدول الآتى على أن يكون أخذها من أول أغسطس فان أول اغسطس عند سنار يقابل تقريباً ٢٥ اغسطس عند قناطر الدلتا وفى هذا التاريخ تكون زيادة الفيضان قد توطدت وترع الوجه البحرى قد وصلت إلى منسوبها الكامل وتشير اللجنة بأن يكون أخذ هذه المقادير الاضافية تدريجياً بقدر لايزيد على مافى الجدول الآتى

أقصى التصرف مقدرا بالمتر المكعب فى الثانية

السنة	المقرر فى البرنامج الأول «ضبط النيل»	المقدار الأضافى المقترح	المجموع
٢٥ — ٢٦	٨٤	٠٠	٨٤
٢٦ — ٢٧	٨٤	٠٠	٨٤
٢٧ — ٢٨	٨٤	٠٠	٨٤
٢٨ — ٢٩	٨٤	٠٠	٨٤
٢٩ — ٣٠	٨٤	١٢	٩٦
٣٠ — ٣١	٧٤	٢٤	١٠٧
٣١ — ٣٢	٨٤	٣٦	١٢٠
٣٢ — ٣٣	٨٤	٤٨	١٣٢
٣٣ — ٣٤	٨٤	٦٠	١٤٤
٣٤ — ٣٥	٨٤	٧٢	١٥٦
٣٥ — ٣٦	٨٤	٨٤	١٦٨

ملاحظة — أقصى التصرف ٨٤ مترا مكعبا فى الثانية فى أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر و٨٥ مترا مكعبا فى ديسمبر

ترى اللجنة أن ملء خزان سنار فى مثل سنة ١٩١٣ قد يحتاج فيه الى الخروج عن الخطة المقررة فى كتاب « ضبط النيل » اذاكانت ترعة الجزيرة تأخذ المقادير الاضافية التى تقترحها وأن ينظر بدقة فى برنامج ملء خزان أسوان فى جميع السنين

التى من هذا القبيل ثم يعدل طبقاً للحالة ولا تتوقع اللجنة صعوبة فى تطبيق هذه الطريقة على خزان سنار

ومقادير المياه اللازمة لملئه صغيرة بالنسبة إلى مقادير حزان اسوان ولا ترى ضرورة لأن تقترح طريقة خاصة لهذا. بل تؤثر التخلى عنه إلى جهات الاختصاص تنظر فيه عند الحاجة

انخفاض النيل - يناير وفبراير

خصصت اللجنة وقتا طويلا فى النظر فيما إذا كان ١٨ يناير هو اليوم الذى يصح جعله حدا لانتهاء زيادة النيل وحاولت الاهتداء إلى تاريخ صحيح كما ترى فى الذيل « ز » وبيان التواريخ المرافقة له مسترشدة بمطالب الترع وتناقص مقادير الماء المار فى قناطر الدلتا وسد رشيد ودمياط

يمكن صرف النظر عن السنين الماضية البعيدة إذ لا يصح الركون إليها وتطبيق حالتها على الأحوال الحاضرة ولا يمكن اعتبار سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ لأنها كانت خارقة للعادة إذا استمر الفيضان طول فصل الصيف وإذا جعلنا السنين الباقية مجموعتين تبين لنا أن الزيادة انقطعت فى التواريخ المبينة بعد :

تواريخ قناطر الدلتا	التواريخ المقابلة لها فى سنار
٢١ فبراير	٨ يناير
٢١ فبراير	٨ يناير

فى المجموعة الأولى من السنين وهى التى تدلنا على الأحوال الحاصلة عند تهيئة مشروع الجزيرة تأتى الطريقة التى تتبعها بناريخ عند سنار هو نفس التاريخ الذى ارتآه واضعوا المشروع أى ١٨ يناير . لكن المجموعة الثانية تقضى أن هذا التاريخ ٨ يناير .

ولكيما يزيد الموضوع تمحيصا دعت اللجنة الدكتور هرست مدير مصلحة الطبيعيات ومستر بوتشر مدير قناطر الدلتا إلى البحث فى أصول هذا الوقت من السنة على أن يستقل كل منهما عن الآخر ويتبع أصلح الطرق فى رأيه وطلبت منهما أن يختبرا صحة هذا التاريخ الذى قرره كتاب « ضبط النيل » ١٨ يناير . ثم ينتظرا إلى أى تاريخ يسمح ما يفصل من الماء بعد تشغيل جبل الأولياء بأن تعطى

الجزيرة المقادير الاضافية التى تراها اللجنة ميسورة فى فصل الفيضان والغرض من مراعاة تأثير جبل الأولياء التمشى مع الرأى الذى تضمنته الفقرة ٤ وهو البحث من وجود الماء الكافى لجبل الأولياء وما يتبعه من توسيع نطاق الرأى فى مصر قبل أن تعطى الجريرة نصيبها من الماء

ولقد بنى دكتور هرست بحثه على أرقام سنة ١٩٢٠ وهى من حيث الماء فى شهر فبراير أقل السنين الست من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ وتجد الطريقة التى اتبعها والنتائج التى اهتدى إليها مبينة فى الذيل (ح) والرسم رقم ٥ الموافق له . ورأى مستر هرست هو أن ترعة الجزيرة فى الأحوال الحاضرة أى بغض النظر عن خزان جبل الأولياء يمكن أن تعطى المقادير المقررة لها فى « ضبط النيل » الى ٢٢ فبراير فى قناطر الدلتا وهو يقابل ٢٠ يناير فى سنار فاذا اعتبر خزان جبل الأولياء دون مقدار الضائع كان هذا التاريخ ١٢ يناير فى سنار ويكون ٨ يناير اذا عمل حساب هذا الضائع . أما المقادير الاضافية للجزيرة فقد رأت اللجنة إمكان اعطائها للسودان الى أول يناير فى سنار اذ غض النظر عن الضائع والى ٢٧ ديسمبر اذا عمل حساب هذا الضائع

أما مستر بوتشر فقد اتبع طريقة غير هذه وهى موضحة فى الذيل (ى) أساسها معدل السنوات الست عن سنة ١٩١٨ إلى ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤ والأرصاد فى هذه السنين كما قدمنا غاية فى التفصيل والصحة ومما يجدر التنبه له مقارنة هذه السنين بمعدل عدد من السنين أكبر والذيل (ى) يدل على أن معدل كمية الماء فى ديسمبر ويناير من هذه السنوات الست يعادل ٩١ فى المائة من نظيره فى العشرين سنة الأخيرة كما يدل على أن السنوات الست كلها أقل من معدل العشرين سنة ورأى اللجنة أن هذه السنوات تصلح أساساً للتقدير

لا تعلم اللجنة الطريقة التى تتبع فى الانتفاع بالماء المخزون فى جبل الأولياء ورأى مستر بوتشر أن هذا الماء يزيد فى ماء مصر أثناء الصيف نحو ٢٢ فى المائة فافترض مثل هذه الزيادة فى الماء اللازم لمصر فى غير فصل الصيف أيضا والشك قائم فى وقوع ذلك بالفعل لكن لا نزاع فى أن هذا الافتراض يجعل التقدير فى مصلحة مصر وعند تشغيل كل من خزان سنار وخزان جبل الأولياء يوجد من الماء مايسد المطالب كلها إلى ١٠ فبراير وهو يقابل ٧ يناير فى سنار كما يدل عليه الرسم رقم ٦ المعمول به فى هذا التقدير ويبقى بعد ذلك ٤٠ مليونا وهى الآن تنساب فى البحر

وفى هذا الرسم أيضا بيان الاثر الذى يحدثه سحب مقدار اضافى من الماء قدره ٨٠ مترا مكعبا فى الثانية بعد سحب المقرر لترعة الجزيرة بمقتضى كتاب (ضبط النيل) وبعد زيادة المنزرع من أراضى مصر على أثر انشاء جبل الاولياء ولا يغيبن عن الاذهان أن هذا القدر الاضافى يمكن سحبه إلى ٥ فبراير فى قناطر الدلتا وهو ما يقابل ٢ يناير فى سنار دون التعدى على الماء المستعمل للآن فى الرى ويبقى بعد ذلك تصرف قدره ٧٥ مليون متر مكعب للملاحة فى مصر وقت سد ترعها

لبيان الحالة فى هذا الفصل من السنة وعلاقتها من حيث الوقت بالحالة فى سنار بطريقة أخرى قد أعد الرسم رقم ٧ وفيه التصرف اليومى لفرعى النيل فى يناير وفبراير فى السنوات ١٩١٣ — ١٩١٦ و ١٩٢٠ — ١٩٢٣ وهى أقل السنين فيضانا . كذلك بين فيه مقادير الماء التى يخزن فى اسوان . فالرسم إذن يصور الحالة فى هذا الفصل تصويراً لا بأس بمبلغه من الكمال وقد أثبت فيه أيضا التاريخان ٣١ ديسمبر و٢٨ يناير كلاهما عند سنار وروعى فى اثباتهما مايلائم من زمن انتقال الماء

وليلاحظ أن كلا من التقدير المذكور فى الفقرة « ٦٠ » فيما يتعلق بالسنين الماضية البعيدة والتقدير الأول الذى عمله مستر هرست كلاهما ينزع إلى تأييد الترتيب الذى جعل ترعة الجزيرة يستمد الماء من النهر إلى ١٨ يناير . وفى كل من هذين التقريرين قد غض النظر من تأثير خزان جبل الأوليا على حين أن ما جاء بالفقرة ٤٠ من أن مشروع الجزيرة لا يختص بأولوية فى الحقوق يقتضى أن لا يفل جبل الأوليا وأن يعمل حساب المشروعين معاً . فى هذه الحالة يكون التاريخ على حساب مستر هرست ٨ يناير . واللجنة وأن أخذت بالرأى الذى أبدته فى الأولوية لاتقبل أن تذهب إلى حد القول بتطبيق هذا الرأى على الماضى وجوب تعديل أساس كل مشروع ثم تبعا لما يجد من قاعدة أو معلومات أو طريقة تقدير

ولنرجع إلى تقدير مستر بوتشر ونوجه النظر إلى أهمية إقامة السدين فى هذا الوقت من السنة . هذه العملية تستدعى مقادير عظيمة من الماء بها يبقى فى فتحة السد تيار يكفى لسد ماء البحر عن مجرى النهر والسد الآن يكون فى فبراير فى أغلب السنين لكن تشغيل خزان جبل الأولياء ومشروع الجزيرة ستنجم عنهما زيادة الماء المأخوذ من النهر ولم يقم السدان قبل موعد إقامتهما الآن فلا مندوحة عن أن تؤخذ المقادير اللازمة لصد ماء البحر من الماء المخزون

ومتى بكر باقامة السدين أمكن الانتفاع بالماء المستعمل الآن فى صد ماء البحر فى شئوون الرى فى هـذا الوقت والواقع أن هذا القدر داخل فى الـ ١٤٠ مليونا التى ذكرناها فى الفقرة ٦٤ وقلنا أنها فى متناولنا بعد ٧ يناير (تاريخ سنار)وهو التاريخ الذى فيه أثر تعجيز الماء عن المطلوب . والترتيب المقرر فى (ضبط النيل) يقتضى أن يكون لمشروع الجزيرة من ماء النهر ٦٩ مليونا أو ما يقرب من أن يكون بالضبط نصف الـ ١٤٠ مليونا التى فى يدنا وعلى هذا فيتغيرزمن اقامة السدين وهو على تقدير مستر بوتشر يصحب التوسع فى الرى لا محالة . لا يكون القسط الاول من الماء اللازم للجزيرة مستمدا من الماء المستعمل الآن فى رى مصر وان كان هذا القسط يؤخذ من تصرف النهر حتى ١٨ يناير واللجنة ترى فى هذا التقدير تأييدا للرأى القائل بعدم تغيير التاريخ الذى تقرر وهو ١٨ يناير فيما يتعلق بمشروع الجزيرة

أما التاريخ الذى اليه يمكن سحب المقادير الاضافية فنتائج البحثين متفقة فيه اتفاقا لا بأس به إذ هو فى أحدهما ٢٨ ديسمبر وفى الثانى ٢ يناير (سنار) ورأى اللجنة أن يبقى سحب المقادير الاضافية إلى ٣١ ديسمبر ويهمنا فى هذا المقام أن نبين أن التطهير وغيره من الأعمال تقتضى فى مصر سد الترع كل سنة قبل نهاية ديسمبر وفتحها فى اوائل فبراير أما التواريخ التى فيها فتح الترع فعلا فتتوقف على الفراغ من الاعمال التى لاجلها سدت الترع . وسد الترع هذا ضرورى فى كل سنة ولا بد من حصوله فى هذا الفصل لأن أحوال القطر تأبى حصوله فى غيره فهو إذن من أخص مظاهر الرى فى مصر . وفتح الترع بعد سدها كما قدمنا هو الذى يعلل سرعة اختفاء زيادة الماء فى مصر فى فبراير كما يعلل حصول نقص الماء فى تاريخ يكاد يكون ثابتا . لهذه الاعتبارات ترى اللجنة أن ترعة الجزيرة لا تأخذ من ماء النهر مقدارا ما اضافيا بعد الوقت المقابل لفتح الترع فى مصر .

إن الترتيب الذى بمقتضاه تستمد ترعة الجزيرة المقادير المقررة لها فى (ضبط النيل) من تصرف النهر الطبيعى إلى ١٨ يناير ولا تستمد مقادير إضافية بعد ٣١ ديسمبر . هذا الترتيب قد يزداد وضوحا إذا تبين الحد الذى لا يتعداه السودان فى سحب الماء من النهر فى يناير بكميات الماء من غير اعتبار ليوم ١٨ يناير بالذات ولقد قررت (ضبط النيل) للسودان ١١٧ مليون متر مكعب إلى ١٧ يناير ، والذى تراه اللجنة أن لا يأخذ السودان فى شهر يناير أكثر من هذا المقدار على أن

لا يستأنف أخذ الماء من التصرف الطبيعى للنهر حتى ١ يوليه كما بينا فى الفقرة ٤٩ . وعلى هذا فمن أول يناير إلى ١٥ يوليو يقتصر السودان على أن يأخذ من التصرف الطبيعى وهو للنهر ١١٧ مليون متر مكعب خلاف المقادير القليلة التى ترفع بالطلمبات ، وفى هذا الوقت من السنة تستأثر مصر بما يكاد يكون جميع الباقى من التصرف الطبيعى وهو على حسب الذيل « ك » يصل إلى نحو ١٣٠٠٠ مليون متر مكعب عدا ما هو مخزون بأسوان وجبل الأولياء ، وبتأمل الموضوع بعد هذا البيان تقل بالنسبة لمصر أهمية تحديد يوم من أيام يناير لا يتعداه السودان فى سحب المقدار المقرر له فى (ضبط النيل) وهو ٤٫٥ مليون متر من النهر يوميا لكن تحديد هذا اليوم كبير الأثر بالنسبة للسودان الذى ليس له من مورد فى فصل الانخفاض فى خزان سنار سوى نحو ٥٠٠ مليون متر مكعب والـ ١١٧ مليونا المقررة له من التصرف الطبيعى والمقدار القليل المخصوص للطلمبات .

قد فكرت اللجنة بعناية فيما إذا كانت تقترح ترتيبا خاصا يعمل به فى سنى التقصير الشديد التى تشبه سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ وفطنت إلى أن الجزيرة إذا لبثت فى مثل تلك السنة تستمد ماء ريها من التصرف الطبيعى إلى ١٨ يناير فالسودان على حسب طريقة التقدير المتبعة فى هذا التقدير يكون لحد ما قد استمد حاجته من ماء تحتاج إليه مصر . فلكى يحتاط للسنين التى من هذا القبيل لابد من اتخاذ مقياس أو دليل يهتدى به فى أحوالها الخارقة للعادة ، فيعطى السودان حصته بمقتضى جدول مدرج كما توضع طريقة للتنبؤ بهذه الأحوال قبل وقوعها

فكرت اللجنة فى ترتيبات مختلفة وبحثت فيها مع مصلحة الطبيعيات ثم نظرت إلى ضآلة مقادير المادة التى هى موضوع بحثها وإلى ندرة السنين الشحيحة وإلى أن الحكومة المصرية قد أقدمت نهائيا على خطة معينة لزيادة الانتفاع بمياه النيل فرأت تلقاء ذلك كله أن مثل هذا ان وضع لا يكون محقق الفائدة ، بل هو يجر الى عناء فى التنبؤ بالمستقبل من أحوال الفيضان ويفتح باب خلاف وتشاد ، ثم يحتمل أن لا يرجع اليه قط ، واللجنة اذا أخذت بالحقائق الثابتة والاعتبارات العامة المبينة فى الفقرة ٤١ لاتقترح تغييرا ما فى الخطة الأولى التى تجيز أن تستمد ترعة الجزيرة من التصرف الطبيعى للنهر الى ١٨ يناير مقادير الماء التى تكررت لها من أول الأمر فى كتاب (ضبط النيل)

لكن الاعتبارات المبينة فى الفقرة ٤١ لا تسرى على المقادير الاضافية واللجنة

لم تجد بدا من أن يكون للسنين الشحيحة دخل فى الآراء التى تبديها ولوجر ذلك الى جدول التدرج ومتاعب العمل به وأن هناك فرقا كبيرا بين أخذ الماء عند سنار فى الثمانية عشر يوما الأولى من يناير وبين أخذه فى ديسمبر لأن المأخوذ فى يناير قد يؤثر فى كمية مياه الرى اللازمة لمصر على حين أن المأخوذ فى ديسمبر لا يشعر بأثره فى مصر إلا فى وقت سد الترع وهو وقت انسياب الماء فى البحر الأبيض وليس فيه مصلحة تراعى إلا مصلحة الملاحة . فالمقياس الذى يستأنس به عند التفكير فى تحديد التاريخ الذى فيه ينبغى الكف عن سحب الماء الاضافى من التصرف الطبيعى هو أثر هذا السحب فى الملاحة فى مصر

لا وجود لتقدير حاسم فى بيان كمية الماء التى يمكن اتخاذها حدا أدنى لما تطلبه الملاحة فى وقت ما و(ضبط النيل) يقدر لها فى يناير مقداراً من الماء يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٣٠٠٠ مليون خلف أسوان وتقرير الأغلبية فى لجنة مشروعات النيل يشير بجعل المقدار اللازم للملاحة ١٥٠٠ مليون . وبمقتضى الترتيب المقترح فى تقريرنا هذا يكون هذا المقدار كما جاء فى الفقرة ٥٦ هو ٧٥ مليونا فى اليوم أى ٢٣٠٠ فى الشهر فى الأحوال التى تقل بعض الشىء عن المتوسط ولا سبيل إلى التمسك بهذا الحد الأدنى حتى فى أردأ السنين فلقد نزل التصرف فى يناير سنة ١٩١٤ إلى ٤٠ مليونا فى اليوم عند قناطر الدلتا بل إلى أقل من ذلك

ولقد اهتدت اللجنة إلى ترتيب آخر لطريقة بحث غير الطريقة التى تقدم ذكرها ذلك أن التصرف الطبيعى للنهر كما هو ظاهر من الرسم رقم ٦ بمعدل مليون متر مكعب فى اليوم فى آخر يناير عند القناطر يقابله آخر ديسمبر هو على وجه التقريب ١٤ مليونا فى اليوم وعلى هذا فكل ما وقع فى مصر فى السنين الماضية يقع مبكراً بأربعة عشر يوما وإذن يمكن الاتفاق على جدول تدرج بمقتضاه يقدم تبعا لطبيعة الموسم تاريخ الكشف عن سحب المقادير الاضافية حتى يصير هذا التاريخ فى السنين التى تشابه سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ يوم ١٨ ديسمبر بدل ٣١ ديسمبر وهو اليوم المحدد للسنين المعتادة

يمكن اعتبار مجموع التصرف الطبيعى فى أسوان فى شهر ديسمبر مقياسا يستدل به على حاله النيل ولدينا لتحديد الأحوال التى يسرى عليها تاريخ ٣١ ديسمبر تقديران أحدهما الوارد ذكره فى الفقرة ٦٣ يدل على أن هذا التاريخ كان ينبغى أن يكون ٢٨ ديسمبر فى سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ والثانى التقدير الوارد ذكره

فى الفقرة ٦٢ وهو يدل على أن هذا التاريخ ٢ يناير ، ولقد كانت جملة التصرف فى ديسمبر من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ : ٤٤١٠ مليونات كما هو ظاهر من الذيل (ى) أما فى السنوات الست التى اتخذت أساساً للتقدير الثانى ، فقد بلغ معدل التصرف ٤٨٦٠ مليوناً وأنه يناسب أن تجعل بداية جدول التدرج الذى تقترحه نحو ٤٧٠٠ مليون ، ونهايته ٢٨٠٠ مليون ، وهى جملة التصرف فى سنة ١٩١٣—١٩١٤ فيكون التاريخ الذى يجعل حداً لاستمداد السودان القدر الاضافى أى ٨٠ مترا مكعبا فى الثانية هو ٣١ ديسمبر فى جميع السنين الشحيحة يقدم التاريخ بنسبة ٣ أيام عن كل ٤٠٠ مليون من الفرق ٤٧٠٠ مليون ومقدار التصرف الفعلى للنهر فى ديسمبر .

قد لا تخلو المقادير المترتبة على جدول التدرج هذا من تقريب يسير لكن هذا الجدول قد استنبط من المعلومات التى بين أيدينا وبنى على الاعتبار الوحيد الذى يمكن مراعاته فى هذا الفصل من السنة وهو مطالب الملاحة غير الممكن تحديدها على وجه الدقة وهذا الجدول يتفق مع الارصاد ويحقق غاية ترمى اليها اللجنة وهى وضع نظام لماء السودان يمكن أن يتمشى مع طوارىء هذا الفصل التى لا يصح أن يسلم منها أحد الطرفين . وهذا سيضطر السودان الى الاستمرار فى السحب من النهر الى آخر ديسمبر على أن يرد ما زاد عن حقه فيما بعد حين يتسنى الحكم على حالة السنة

لدينا اعتراضان خطيران على جدول التدرج هذا : الأول أنه قد يفتح باب الخلاف فى الأرقام التى بنى عليها ، وقد يكون التقيد بتاريخ ثابت لا يحتمل الخلاف خيراً من الأخذ بطريقة إذا استحسنت من الوجهة النظرية فهى قابلة من الوجهة العملية لأن تجر إلى تشاد بين الفريقين الآخذين بها والثانى وهو يعزز الأول أن جدول التدرج هذا مبنى على التصرف الطبيعى فى أسوان ، ومتى كان على النيل قبل أسوان خزانان آخران يشتغلان ، فان تقدير التصرف الطبيعى فى أسوان يكون أمراً عسيراً تدخل فيه عدة عوامل غير يقينية . لكن جدول التدرج مع ذلك كله هو خير وسيلة ترى فيها اللجنة ضمانة لتشغيل ترعة الجزيرة فيما يتعلق بالتوسع الزراعى على النحو الذى يلائم السنين الشحيحة .

الفصل الرابع : الرى بالطلمبات ورى الحياض فى السودان

قدمنا فى فقرة من الفقرات الأولى من هذا التقرير أن ما يروى بالطلمبات وما يروى بطريقة الحياض من أراضى السودان قليل المساحة لا يعد فى موضوع بحثنا عاملا من العوامل الكبيرة . لكنه مع هذا ينطوى على اعتبارات لها قيمة ، وقد فكرت اللجنة فيها عاماً ولا سيما فى موضوع الرى بالطلمبات

قبل سنة ١٩٠٤ رخص للسودان ، بعد موافقة الحكومة المصرية ، بادارة طلمبات تكفى لرى ٢٠٠٠ فدان ريا دائمياً . ولما أنشىء خزان أسوان فى تلك السنة زيدت تلك المساحة ١٠٠٠٠ فدان ، ثم زيدت ١٠٠٠٠ أخرى بعد تعلية الخزان فى سنة ١٩١٢ ، وإذن تكون جملة الأرض المسموح بريها بالطلمبات رياً دائماً ٢٢٠٠٠ فدان . غير أن هناك شيئاً من الخلاف فى حقيقة مساحة هذه الأراضى منشؤه أن بعض المستندات قد يؤخذ منها أن الـ ١٠٠٠٠ فدان التى أبيح ريها عند إنشاء الخزان يدخل فيها ما كان مسموحا بريه قبل ذلك على حين أن غيرها من المستندات قد يؤخذ منه أن هذه الـ ١٠٠٠٠ فدان هى المسموح بريه بعد إنشاء الخزان خاصة نعم أن الفرق بين الاعتبارين ليس بذى شأن كبير . ولكن من رأى اللجنة أن تتفاهم جهات الاختصاص فى هذه المسألة تجنبا للخلاف فى المستقبل

ولقد أبدى المندوب البريطانى فى اللجنة رأيا فى هذه المسألة وهو أنه يصح قياسا على ما كان فى الماضى أن لا ترى الحكومتان البريطانية والمصرية ما يمنع من زيادة المساحة التى تروى بالطلمبات ريا دائميا ٢٠٠٠٠ فدان بعد أن يتم سد جبل الأولياء . لكن هذه مسألة غير هندسية لا تكاد تدخل فى موضوعات بحثنا على ما بينا من أمرها فى فقرة سابقة من هذا التقرير ، فالبحث فيها يثير مسألة أخرى هى هل للسودان بسبب موقعه الجغرافى لا غير ، حق السحب من التصرف الطبيعى للنيل فى وقت تعجيزه

ومما ينبغى التنبيه له أن الرى الدائمى يجر لامحالة إلى أخذ الماء فى وقت انخفاض النهر ومع أن مساحة ما يروى فعلا فى فصل الصيف كانت دائما أقل كثيرا من المساحة المرخص بها فان هذا الاقتراح يبيح للسودان سحب مياه تنتفع بها مصر

الآن ولكن اللجنة امتنعت من أن تبدى رأيا قاطعا ورأيها أن تسوية هذه المسألة من غير تدخل هيئة فنية أمر ليس بعزيز على الحكومتين البريطانية والمصرية نظراً لضآلة المقادير التى يقتضى ذاك التوسع المحدود فى الرى الدائمى بالطلمبات أخذها من النيل فى زمن انخفاضه

وفوق هذا الرى الدائمى الذى ذكرنا أبيح للسودان ، بأمر من وزارة الأشغال المصرية أن يرفع الماء بالطلمبات من ١٥ يوليه إلى آخر فبراير (باعتبار تاريخ السودان) من غير تحديد المساحة وحتى وقتنا هذا بلغ المنزرع بمقتضى هذه الاباحة نحو ١٦٠٠٠٠ فدان ولقد دل تمحيص الحالات الراهنة كما هى مبسوطة فى هذا التقدير على أن موسم الفيضان وهو الموسم الملحوظ فى تلك الاباحة لا يمكن اعتباره ممتداً إلى ما بعد نهاية ديسمبر (تاريخ سنار) وعلى هذا فالرفع بالطلمبات فى زمن الفيضان ، ينبغى طبقا للقواعد التى أخذت بها اللجنة أن يقف فى هذا التاريخ ، ولكن الأحوال الزراعية تجعل الرى بالطلمبات قليل الجدوى إذا قيد بهذه القيود ومن ثم لم تجد اللجنة مندوحة عن النظر فى وضع خطة للرى النيلى بالآلات فى السودان يعمل بها فى المستقبل ، وتراعى فيها القواعد المأخوذ بها فى هذا التقرير والأحوال الراهنة لمياه النيل

الحل القريب تعويض الماء الذى يستعمل للرى النيلى بالطلمبات بماء من المخزون فى سنار والتعديل فى طريقة تشغيل الخزان يأتى بكمية إضافية يمكن تخصيصها لهذا الغرض وهى غير داخلة فى المقادير المقررة لمشروع رى الجزيرة ولقد كانت الخطة الأولى لتشغيل ترعة الجزيرة — وقد بينا هذه الخطة من قبل — أن تبقى جارية من ١٥ أبريل إلى ١٥ يولية وتستمد من مياه الخزان الماء اللازم للأهالى فى المنطقة المنزرعة ولا بد فى هذه الحالة اذن من أن يبقى منسوب الخزان بطبيعة الحال عند الحد اللازم لامداد ترعة الجزيرة بهذا القدر من الماء ومنسوب الترعة بالنسبة لمنسوب النهر الطبيعى يقتضى فى هذه الحالة أن يحبس فى الخزان على الدوام نحو ١٥٠ مليون متر مكعب من الماء ولو أن الماء اللازم للأهالى يرفع بالطلمبات لامكن اطلاق هذا القدر المحبوس فى الخزان ليجرى فى النهر ويعوض ما يؤخذ منه بالطلمبات بعد انتهاء موسم الفيضان أى بعد آخر ديسمبر (تاريخ سنار) .

ولا بد من حبس هذا القدر ثانية فى النهر فى شهر يولية حتى يتسنى إعداد ترعة الجزيرة للموسم القادم والرسم رقم (١) يدل على أنه فى الفيضانات العادية أو العالية

لا يوجد أثر ذوبال فى حالة المياه بمصر وفى الزمن القابل . وفى سنى الفيضان المتأخر كثيراً يمكن تأخير البدء بالموازنة فى خزان سنار على حسب الترتيب المقترح فى الفقرة ٥١ كى يعيد المقدار المسحوب قليلا يمكن اغفاله وهذا ليس بعزيز على جهات الاختصاص واللجنة تشعر بأن ما يطرأ أحيانا من الحالات الشاذة يجب أن لا يتخذ ذريعة لنبذ الوسائل التى تلائم الأحوال المعتادة ولا تأباها السنون الرديئة وعلى هذا فالذى تراه اللجنة أن الطلبات التى تعمل فى موسم الفيضان الى آخر فبراير يمكن أن يستمر التوسع التدريجى فى الترخيص بها كما كان الحال فى الماضى ما دام الماء الذى ترفعه بعد آخر ديسمبر يمكن تعويضه بالكيفية المتقدمة .

رى الحياض فى السودان

فى السودان حياض مساحتها نحو ٨٠٠٠٠ فدان . لكن لا يغمر منها إلا جزء يسير .

هذه الحياض فيما هو معلوم غير صالحة لتحسين يذكر وليس لها من الوجهة الزراعية كبير قيمة . ذلك أن أراضيها عالية وطبيعتها تأبى ملأها من الترع الآخذة من النيل على مسافات بعيدة كما هو الحال فى مصر . هذه الحياض سينالها شىء من الضرر بسبب سحب الماء عند سنار وجبل الأولياء . لكن القضايا التى تقدمت عند الكلام فى حياض مصر تصدق هنا واللجنة لا تعد رى حياض السودان ركنا كبيرا من أركان الموضوع الذى تعالجه ولا تجد داعيا لأن تدلى بآراء فيه خاصة

الفصل الخامس : الخلاصة والكلمة الختامية

يمكن تلخيص أهم آراء اللجنة فيما يأتى : —

(ا) يجب أن تختص مصر بالانتفاع بتصرف النيل الطبيعى من ١٩ يناير الى ١٥ يولية (تاريخ سنار) مع مراعاة ما سيذكر بعد عن طلبات السودان

(ب) لترعة الجزيرة أن تبدأ باستمداد مائها من التصرف الطبيعى للنهر فى يوم ١٦ يوليه على أن يرفع منسوبها حتى يصل فى ٣١ يوليه إلى منسوب الرى المقرر طبقاً للجدول الذى وضع لهذا الغرض فى كتاب (ضبط النيل) والمثبت هنا فى الذيل « د » بشرط أن يكون معدل مجموع التصرف عند سنار وملاكال قد وصل

إلى ١٦٠ مليون متر مكعب فى اليوم أثناء الخمسة الأيام السابقة مع تقديم تاريخ ملاكال عشرة أيام

(ج) من أول أغسطس إلى ٣١ ديسمبر يمكن لترعة الجزيرة أخذ المقادير الآتية بعد من النهر مع التزام التدرج المبين بالجدول الوارد فى الفقرة ٥٧ من هذا التقرير وهذه هى المقادير :

من أول أغسطس الى ٣٠ نوفمبر ١٦٨ متراً مكعبا فى الثانية

من أول ديسمبر إلى ٣١ ديسمبر ١٦٠ مترا مكعبا فى الثانية

وبشرط أن جملة التصرف الطبيعى للنهر فى ديسمبر عند أسوان اذا قلت فى أى سنة عن ٤٧٠٠ مليون متر مكعب تؤخذ من التصرف الطبيعى ٨٠ مترا مكعبا فى الثانية أثناء شهر ديسمبر كله والباقى يؤخذ من التصرف الطبيعى إلى تاريخ يتقدم عن آخر هذا الشهر بمقدار ثلاثة أيام لكل ٤٠٠ مليون متر مكعب تنقصها جملة التصرف الطبيعى فى تلك السنة عن الـ ٤٧٠٠ مليون متر مكعب .

(د) لترعة الجزيرة أن تأخذ فى شهر يناير أكثر من القدر الذى قرره لها كتاب (ضبط النيل) أى ٨٠ مترا مكعبا في الثانية من أول الشهر المذكور إلى ١٥ منه و ٥٢ مترا مكعبا فى الثانية من ١٦ الى ١٨ من هذا الشهر فتكون جملة المقرر لها ١١٧ مليون متر مكعب

(ه) تمام ملء خزان سنار ورفعه من المنسوب اللازم لملء الترعة إلى منسوب التخزين المقرر يكون فى نوفمبر طبقا للبرنامج المقرر فى كتاب ضبط النيل .

(و) كل توسيع فى الرى بالطلمبات أثناء الفيضان يقوم به السودان إلى آخر فبراير يجب اعتبار مائه مستمداً من خزان سنار بعد ٣١ ديسمبر وبعبارة أخرى يطلق من الماء المخزون فى هذا الخزان على سبيل التعويض لمصر مقدار من الماء يساوى بالحساب المبنى على المعلومات الأكيدة ما استعمله السودان فى زيادة المساحة المنزرعة ويجب تشغيل خزان سنار بكيفية تضمن تدبير هذا القدر اللازم لتعويض مصر .

(ز) بعد آخر فبراير يقتصر عمل الطلمبات فى السودان على الرى الدائمى المبين بالفقرة ٨١

الكلمة الختامية

تتوقع اللجنة مس الحاجة من وقت لآخر إلى إعادة النظر فى المسائل التى تناولها التقرير وهى ترى احترام كل نظام للرى قائم أمراً لازماً عند كل نظرة مستقبلة فى

هذه المسائل وترى على الأخص وجوب أن لا يعدو السودان فى استمداد الماء من التصرف الطبيعى فى يناير الـ ١١٧ مليون متر مكعب المقررة له فى كتاب (ضبط النيل) عدا ما هو مقرر الآن من حقوقه فى الرى بالطلمبات. أما سوى ذلك من مطالبه إلى يوليه فيكون تدبيره من ماء الخزان أو غيره من أعمال تدبير المياه

ولقد قدرت اللجنة حق القدر احتمال حاجة مصر فى المستقبل بسبب توسيع نطاق ريها إلى أعمال رى تنشأ فى السودان وما جاوره كأوغندا وكينا وتانجانيقا وعند اللجنة أن لمصر من هذه الناحية أن تعول على المساعدة التامة تلقاها من القائمين بالأمر فى السودان فيما يتعلق بالمشروعات فيه ومن الحكومة البريطانية فيما يتعلق بما جاوره من الأقطار

لم تأل جهدا فى التماس قاعدة للرى عملية التطبيق ولا فى توقع ما قد ينشأ فى المستقبل من صعاب ولا فى الاحتياط لهذه الصعاب ما أمكن الاحتياط. وهى لا يفوتها أن المستندات لا تخلو من نصوص قد تكوى عند التطبيق غامضة لا يسهل تأويلها ولا أن المسائل التى هى من قبيل مقادير الماء الذى يجرى فى نهر أو ترعة أو يمر من عيون خزان أو يضيع بالتبخر أو التشرب لا يمكن أن تسلم من خلاف فى حقيقة أمرها. ولكن اللجنة لا ترى من مهمتها اقتراح طريقة خاصة يستأنس بها فى مثل ذاك الغموض والخلاف بل يخيل إليها أن ذلك لا يدخل فى اختصاص هيئة فنية. لكنها تحب أن تثبت هذا المقام رأيا - وتثبته بقوة - ليس للاتفاقات مهما أحكمت واحتيط فى نصوصها للخلاف أن تحجب عن الفريقين الثقة والتعاون وما لهما من شأن خطير فى كل ما له صلة بالنيل ومياهه

وختاما ترجو اللجنة توجيه النظر إلى أهمية المثابرة على دراسة هذا النهر وتدوين الاحصائيات عنه تدوينا منظما. وإننا نرى نظاما مائيا محكما قائما وبقاؤه على الدوام قادراً على أداء الغرض المقصود منه، أمر ضرورى لا غنى عنه فيما يجد من تحسين الرى وفى تنفيذ النظم المقترحة فى هذا التقرير على الوجه الصحيح بل لا غنى عنه فى تنفيذ أى أنظمة أخرى يمكن استنباطها

تحريرا بالقاهرة فى ٢١ مارس ١٩٢٦

امضاء	امضاء
المندوب المصرى	المندوب البريطانى
عبد الحميد سليمان	ر . م . ماكجريجور

رأى الامير عمر طوسون

فى كتاب إلى حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا بالاعتراض على ما جاء فى خطبته التى ألقاها بالمنصورة من أن منطقة السدود يقع بعضها فى السودان وبعضها فى الأملاك البريطانية . نشرته الجرائد المصرية بتاريخ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٨ وها هو : —

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء

أطلعنا على خطبة دولتكم بالمنصورة ، ولفت نظرنا منها قولكم عند ذكر جبل الأولياء « ولقد درست وزارة الأشغال هذا الموضوع من مدة بعيدة واسترشدت فى درسها بكبار الفنيين حتى انتهت إلى وضع برنامج شامل لتحقيق مطالب الرى تضمن إقامة خزان بمنطقة جبل الأولياء فى السودان وشق قناة لتحويل مجرى النيل من منطقة السدود التى يضيع فيها كثير من المياه فى غير جدوى وهذه المنطقة يقع بعضها فى السودان وبعضها فى الأملاك البريطانية ثم خزان بحيرة البرت الواقعة فى الأملاك البريطانية » — إلى أن قلتم — « ولو سلمنا بنظرية القائلين بوجوب وقف أعمالنا على النيل الخارج عن الحدود المصرية لتمشى حكم هذا التعطيل ليس على جبل الأولياء فقط لوقوعه فى السودان الذى لا ننكر سيادتنا عليه . بل تتناول بالأولى مشروعات أعالى النيل بما فيها منطقة السدود الذى تقدمت وزارة الأشغال للقيام بالأعمال فيها بطلب مليون ومائة ألف جنيه فى سنة ١٩٢٥ ، وأقرها مجلس الوزراء على هذا الاعتماد كما أقره البرلمان فى سنة ١٩٢٦ فى حين يعلم الجميع أن من هذه المنطقة مايقع فى السودان المصرى ومنها ما يقع فى الأملاك البريطانية) .

هاتان هما النقطتان اللتان لفتنا نظرنا بنوع خاص فى خطبة دولتكم . ذلك أن منطقة السدود المذكورة جميعها داخل ضمن حدود السودان المصرى القديم حسب ما كان عليه قبل الثورة المهدية وكذلك مخرج النيل من بحيرة البرت نيانزا المراد عمل السد فيها لجعل تلك البحيرة خزانا هو أيضا جزء من مديرية خط الاستواء المصرية ظل محكوما بمصر حتى آخر عهد أمين باشا وهو آخر مدير لتلك المديرية السودانية المصرية إلى نهاية الحكم المصرى الفعلى للسودان . وقد شمل الحكم المصرى جزءا من شواطىء هذه البحيرة وأقام فيه المعاقل العسكرية التى بقيت حتى شاهدها ستانلى فى سياحته المشهورة عند ماتوجه إلى هذه الجهة لتخليص أمين باشا ظاهرا ولمحو الآثار الباقية لمصر بتلك المنطقة فى الحقيقة . ثم توجه الكابتين لوجارد

إلى هناك واستخدم الجنود المصرية المتروكة فيها باسم الشركة البريطانية الافريقية الشرقية واستولى على أوغندة والقسم الجنوبى من مديرية خط الاستواء وبسطت الحكومة البريطانية حمايتها على هذه البلاد . ثم عقدت بعد ذلك مع مصر معاهدة سنة ١٨٩٩ . ولو احترمت هذه المعاهدة كما تدعى لكان أول واجب عليها إرجاع هذه البلاد وجعلها تحت إدارة حكومة السودان حيث إن هذه المعاهدة تشتمل عموم الأراضى التى يتكون منها السودان المصرى القديم كما كان عليه قبل الثورة المهدية . ولكنها لم تفعل هذا الواجب ولم تراعه فى تطبيق هذه المعاهدة وهذا لايجعلنا نعتبر عملها الذى استندت فيه إلى القوة وحدها عملا شرعياً . فان انجلترا التى أخرجت مارشان من فاشودة بحجة إنها جزء من السودان المصرى ما كان ينبغى لها بعد ذلك أن تسلخ جزءا منه لنفسها وهذه الحجة لا تزال إلى الآن باقية .

وإننا كتبنا إلى دولتكم هذا محافظة على حقوق مصر وبياناً للحقيقة . وتفضلوا دولتكم بقبول مزيد سلامنا

الأمضاء : عمر طوسون

١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨

النيل فى عهد قدماء المصريين

يقول الأديب محسن عبد الفتاح حسين :

« كان قدماء المصريين يطلقون على نهر النيل اسم « حابى » Hapi وهم لم يعرفوا مكان منبعه الحقيقى ، وكانوا فى تراتيلهم وتسبيحاتهم إلى إله النيل يصفونه بـ « الاله المختفى » و (غير المرئى) وإن مكانه السرى غير معروف . والنهر الذى يشرف عليه هذا الاله (وهو نهر النيل) كانوا يعدونه جزءا من النهر أو المحيط السماوى الكبير الذى تسير عليه قوارب إله الشمس كل يوم . وكانوا يعتقدون أن هذا النهر السماوى يحيط بجميع بقاع الأرض ولكنه ينفصل عنها بسلسلة من الجبال ، وان على ناحية من هذا النهر يوجد عرش أوزيريس تبعا لنص من نصوصهم الدينية . وبجانبه فتحة فى سلسلة الجبال ينحدر منها فرع من النهر السماوى ويسيل على الأرض ، وكانوا يقولون إن المكان الذى يظهر فيه النيل هو عند الشلال الأول ، ولكن فى العصور الأخيرة من عهدهم كانوا يقولون ان النيل يرتفع وينبع من بين جبلين قريبين من جزيرة أنس الوجود ، وقد أسمى هيرودوتس هذين الجبلين (كروفى) و (موفى) وهذان الاسمان محرفان عن الأصل المصرى وهو

(كور حابى) و (موحابى) ومعناهما على الترتيب (كهف حابى) و (ماءحابى)
وكان قدماء المصريين يطلقون على كل من نهر النيل وإله النيل الاسم (حاب) أو (حابى) الذى كان ينطق فى العصور الأخيرة (حوفى) أو (آوفى) ومعناهما معروف ، أما فى عصور الأسر الأولى فكان إله النيل يسمى (حابور) ومعناه (حابى الكبير)

والأسم (النيل) الذى يعرف به نهر القطر المصرى ليس من أصل مصرى ، ولكنه فى الغالب مأخوذ من الكلمة السامية « نهر ، نهال » التى حرفها الاغريق إلى نهيلوس بالأغريقية وفيلوس باللاتينية ومنها جاءت كلمة النيل

ولمعرفة اعتقاد المصريين فى قوة إله النيل تقرأ هذه التسبيحات ـ المقدمة لنهر النيل ـ وهى مكتوبة على ورقة من البردى محفوظة فى المتحف البريطانى :

« لك الاكرام ياحابى ، إنك تظهر لكى تجعل مصر تعيش ، إنك تروى الحقول التى خلقها رع ، وتمد جميع الحيوانات بالحياة ، وعند ما تنزل من السماء فانك تمد الأرض بالمياه بدون انقطاع انك صديق الخبز وكل ما يشرب ، إنك تمد الحبوب بالقوة وتجعلها تنمو وفيرة ، إنك تملأ كل مكان بالعمل ـ إنك سيد السمك ، إنك خالق الحنطة والشعير ، إنك حامى الفقير والمحتاج ، وأنت إذا قهرت فى السماء فان الآلهة ترتمى على وجوههما ويهلك الرجال وتموت النساء ، وعند ما تظهر على الأرض فان صيحات الفرح تملأ الهواء ويصبح جميع الناس سعداء ، لأن كل شخص سينال طعامه ، وكل سن ستمد باللحم « أى أن الانسان سيكون غنيا حتى إنه سيأكل اللحم » وأنت الذى تملأ مخازن المنازل بالأطعمة ومخازن الغلال بالحبوب ، وتساعد الفقير والمحتاج ، إنك أنت الذى تجعل الحشائش تنمو وتجعل كل إنسان غير محتاج للآخر » .

وفى قطعة أخرى من هذه التسبيحة أيضا قالوا أن الاله غير ممثل فى تمثال وأن صوره ليست مرئية (فليس هناك مكان كبير يسعه ، وأنت لا تقدر أن تعمل له صورة (أى تتخيله) فى قلبك) . وهذه الكلمات ترينا سبب قلة تماثيل هذه الاله، وفى الحقيقة أن تماثيل اله النيل ، كبيرة أو صغيرة ، نادرة جدا .

أما من حيث عبادة النيل فقد كان هناك احتفالان مهمان . أولهما فى شهر يونيو ويسمى « ليلة الدمعة Qorh en Hatiu» لأنهم كانوا يعتقدون أن فى مثل هذا الوقت من السنة تبكى ايزيس ذاكرة نحيبها وندبها الأول على جثة زوجها وأخيها

اوزيريس ، فتسيل دموعها فى النهر فتسبب زيادة مياهه وارتفاعها وهكذا ينشأ الفيضان . وهذه العقيدة كانت لاتزال موجودة حتى بضع سنين مضت ، ولكن فى شكل معدل ، فكان المصريون ، إلى منتصف القرن الماضى ، يقيمون احتفالا فى اليوم الحادى عشر من شهر بؤنه « ١٧ يونيو » يسمى « ليلة النقطة » . ففى هذه الليلة كانوا يعتقدون أن هناك نقطة تسقط فى النيل وتسبب زيادة مياهه وفيضانها . أما الاحتفال الثانى فكان فى منتصف شهر أغسطس ، وهو ما يماثل الآن احتفال « العقبة » أو « قطع الخليج » . فكانوا يبنون فى الخليج سدا من التراب يبلغ ارتفاعه ٢٣ قدما وعند ما يصل منسوب مياه النيل إلى هذا العلو ، يأتى العمال قبيل شروق الشمس فى اليوم التالى لوصول المياه إلى ٢٣ قدما ويزيلون قليلا من التراب من على قمة السد ، ثم يؤتى بقارب يركب فيه البعض ويجرفون تجاه السد الذى يكون قد ضعف لازالة قليل من التراب من على القمة فينكسر وينقطع فتمر مياه النيل بقوة جارفة أمامها السد . وهذا الاحتفال يشبه الاحتفال الذى يقوم به أهالى رأس البر ودمياط تمام الشبه

ولم يكن النيل طبعا يرتفع كل سنة الارتفاع المطلوب فكانت تنشأ من ذلك التحاريق وتتسبب المجاعات عنها . ففى عصر الملك زوسر — من الأسرة الثالثة — حدث أن انخفض النيل سبع سنوات فنشأت من ذلك مجاعة هائلة نتج عنها أن الجار كان يسرق جاره ، وكان الشبان لا يقدرون على السير ، والرجال الأقوياء يسقطون على الأرض من شدة الجوع ، والعجائز يتمددون على الارض على ظهورهم منتظرين الموت وتقول قطعة الصخر المنقوش عليها هذه القصة أن الملك زوسر كتب إلى حاكم أقليم الشلال الاول ، لانهم - كما ذكرت - كانوا يعتقدون أن النيل يرتفع من هناك ، يطلب منه أن يسأل الاله خنوم Khnum ، اله الشلال ، لماذا يسمح بحدوث هذه الأشياء ؟ وتستمر النقوش فتقول أن الملك زوسر عول أخيراً على زيارة جزيرة أنس الوجود حيث قابله الاله خنوم الذى قال له أن سبب انخفاض النيل هو ان الناس اهملوا عبادة آلهة الشلال . فوعده الملك بانه سيعنى بذلك وأنه سيأمر بتقديم القرابين الى المعابد بانتظام . وقد وفى الملك بعهده فارتفع النيل وغطى الارض وسبب ازدياد ثروة البلاد وهذه الرواية ماخوذة من نقوش على قطعة حجر من عصر البطالسة وجدت فى جزيرة عند الشلال الاول . » اه

الفصل الثالث والعشرون

الخزانات

ترتب على مشروعات النيل وتنظيم توزيع ماء الرى بين مصر والسودان ، التفكير فى انشاء خزانات على النيل ، فأنشىء من الخزانات :

١ — خزان أسوان وتعليته مرتين .

٢ — خزان سنار ، مكوار سابقا ، وقدتقررت تعليته قريباً

٣ - خزان جبل الأولياء ويتم بناؤه فى سنة ١٩٣٧ ، ٤ — مشروع خزان بحيرة البرت ، ٥ — مشروع خزان تانا . والأخيران فى دور التفكير والبحث والمفاوضة والتمهيد ، ولم يضع لهما تصميم معين ، ومن باب أولى لم يبدأ فيهما .

وقد اكتنفت السياسة هذه المشروعات ، وكان أشد مظاهر ذلك هو خوف المصريين من أن يتخذ بناء خزانات مصرية أو سودانية للاضرار بالرى المصرى ، أو أداة لاكراه مصر على ماتأباه .

ونتكلم هنا على منطقة السدود ، ومشروع خزان البرت . ومشروع خزان تانا . وفى الجزء الثالث من هذا الكتاب نسهب الكلام على خزان سنار ، وخزان جبل الأولياء ، وخزان أسوان ، لأننا زرنا هذه الخزانات ، فنحن نكتب عن معاينة لا عن علم فقط .

يقول أحد المهندسين : « إن فكرة التخزين قديمة فى مصر وترجع إلى عهد الفراعنة فقد عنوا بتنظيم التخزين واختاروا له المنخفض الذى تشغله الآن مديرية الفيوم وقد أطلق الأغريق على هذا الخزان اسم بحيرة « موريس » (راجع تاريخ مصر للعلامة السر ملندرس سترى ج ١ ص ٢٠ إلى سنة ٢٠٤ »

وقام قدماء المصريين كذلك بانشاء خزانات فى وديان السيول فى الصحراء الشرقية وفى شبه جزيرة سينا لتخزين مياه الأمطار والسيول والانتفاع بها فى سقى بعثات التعدين وعمال المحاجر « راجع كتاب علم الآثار المصرية للعلامة جاستون مسبيرو صفحة ٣٩ - ٤١ » . وكان الرومانيون يخزنون ماء الأمطار فى آبار فى الصحراء الغربية ولما ولى المغفور له محمد على باشا أمر مصر اهتم بتخزين المياه فأنشا خزانا فى

مديرية البحيرة على أرض واسعة لاتزال تسمى أرض الخزان وهى الآن ملك للامير عمر طوسون وكان الغرض من هـذا الخزان تغذية ترعة المحمودية فى الصيف فلما أنشئت طلمبات العطف بطل استعمال هذا الخزان .

واهتم المغفور له محمد على باشا كذلك بانشاء خزانات للنيل لزيادة الايراد الصيفى وكلف لينان باشا كبير مهندسيه البحث عن مكان خزان « موريس » وامكان اعادته فلما وجد لينان باشا التكاليف كثيرة اقترح إنشاء سد على النيل عند جبل السلسلة « راجع مذكرات لينان دى بلفون صفحة ٣٩٧ - ٤٢٠ - ٨٨ »

ولما احتل الانجليز مصر أحضروا إليها نخبة من مهندسيهم الذين كانوا فى الهند لاصلاح الرى وقد وجدوا أمامهم اقتراحين لتخزين المياه ، وهنا يصح أن ندع السير ويلكوكس يتكلم فقد قال فى كتابه « الرى فى مصر صفحة ٤٢٤ الطبعة الثانية مايأتى :

« فى سنة ١٨٨٠ (أى قبل دخول الانجليز مصر) اهتم الكونت دى لامون الفرنسى بمسألة الخزانات فاقترح انشاء سد على النيل عند جبل السلسلة لتخزين المياه إلى جنوبه ، أى فى سهل كوم امبو ، وقدر التكاليف بأربعة ملايين من الجنيهات ، وذلك عدا التعويضات وقدر كمية المياه التى يسعها هذا الخزان بنحو سبعة مليارات من الأمتار المكعبة

« وفى سنة ١٨٨٢ اقترح المستر كوب هويتوس الأمريكى إنشاء خزان فى وادى الريان (الذى يقع فى الصحراء الغربية إلى جنوب الفيوم) أى فى الوادى الذى سبق للينان باشا أن ذكره ورسمه فى خريطته »

ولما نجح الانجليز فى اصلاح قناطر الدلتا وجعلها قادرة على تغذية الرياحات وترع الوجه البحرى فى الصيف بفضل تهيئة المال اللازم لذلك بدأوا يدرسون المشروعين اللذين أسلفنا ذكرهما فى أثناء كلام السير ويلكوكس ولكن الأمر انتهى إلى حفظهما لاختلاف الآراء فيهما ويرجع الفضل فى بيان قيمة هذين المشروعين من الوجهة الفنية إلى بعض كبار المهندسين المصريين فى ذلك الوقت مثل سالم باشا وغيره

وإلى هذا الوقت لم تكن فكرة التخزين فى مجرى النهر قد أخذت حظها من الوجود وقد كان فى الامكان أن تقف فكرة التخزين فى ذاتها أمداً بعيداً لولا أن هيأ الله لمصر مهندسا فرنسيا هو المسيو برومب العضو بمجلس إدارة السكك

الحديدية المصرية فلفت نظر المهندسين الانجليز إلى التخزين فى مجرى النهر ذاته وكان هذا الاقتراح هو مفتاح الفرج ، وفى ذلك يقول السير ويلكوكس فى كتابه الذى أسلفنا ذكره صفحة ٤٢٥ ما يأتى :

« فى سنة ١٨٨٩ اقترح المسيو برومب العضو بمجلس إدارة السكك الحديدية المصرية استخدام مجرى النيل نفسه للتخزين ما دامت لا توجد سهول منخفضة متصلة بالنيل وتصلح للتخزين »

وقد رحب المهندسون الانجليز بهذا الاقتراح وعينوا السير ويلكوكس لدراسة مجرى النيل فى بلاد النوبة لتعيين أفضل موقع للسد الذى ينشأ على النيل للتخزين وقد عين أربعة من المهندسين المصريين مع السير ويلكوكس لهذا الغرض نذكر منهم المرحومين محمد بليغ (بليغ باشا فيما بعد) ومحمد صابر وعبد الرحمن رشدى وعبدالله حسين .

وقد انتهت هذه الدراسة باختيار رأس شلال أسوان باعتباره أحسن موقع للسد

خزان اسوان وانشاؤه وتعليته

وهنا يبدأ دور خزان أسوان من حيث انشائه وتعليته . وضع السير ويلكوكس مشروعا لانشاء السد وفى سنة ١٨٩٤ استدعيت لجنة دولية لفحص هذا المشروع وكانت مؤلفة من ثلاثة أعضاء أحدهم انجليزى وثانيهم فرنسى وثالثهم إيطالى وقد قدمت اللجنة تقريرين لأنها لم تجمع على رأى واحد فقد انضم العضوان الانجليزى والايطالى الواحد إلى الثانى وانفرد العضو الفرنسى برأى قدم به تقريراً مستقلا أخذ بأهم ما فيه بعد ذلك عند التفكير فى حماية مجرى النهر من سقوط مياه الخزان لأنها أحدثت تآكلا فى الصخر .

وقد أدخل تقرير الأكثرية تعديلات مهمة على مشروع السير ويلكوكس

وفى سنة ١٨٩٨ بدىء بانشاء الخزان وأبعد المهندسون المصريون عنه ليستقل المهندسون الانجليز بفخره وشملت هذه الخطة المهندسين الأربعة الذين قاموا بنصيب كبير فى دراسة النيل وعمل ميزانيته مع السير ويلكوكس . وقد انتهى العمل فى الخزان وافتتح سنة ١٩٠٢ وبلغت تكاليف انشائه أربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ولكنه ما كاد يستخدم حتى ظهرت عيوب فى بنائه واقتضى الحال عمل « فرشة » خلفية له انتهى العمل فيها فى سنة ١٩٠٧ وقد بلغت تكاليف هذه « الفرشة » ٢٨٢٧٠٠٠

جنيه وكان انشاء هذه الفرشة تنفيذا للملحوظة التى كان أشار إليها العضو الفرنسى فى لجنة ١٨٩٤

ولم يكد العمل ينتهى من « الفرشة » حتى ظهرت فكرة التعلية الأولى فاضطر المهندسون الانجليز إلى إزالة جزء من « الفرشة » حتى يتمكنوا من عمل التعلية وقد بلغت تكاليف التعلية الأولى مليونا ونصف مليون من الجنيهات

وهنا يصح أن ننقل رأى السير ويلكوكس فى هذه التعلية . فقد قال فى الطبعة الثالثة من كتابه السالف الذكر صفحة ٧٤٢ ما يأتى :

« وقد حدثت شروخ بسيطة وشقوق فى البناء الجديد ففرغت اللحامات لتمرفيها مياه الرشح بعد تغطيتها « بكحلة كاذبة »

واستدعى الأمر ترميمات كثيرة حتى ثبت البناء كما هو مدون فى تقارير وزارة الأشغال من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩١٦

أما التعلية الأخيرة فان تاريخها لا يزال عالقا بالذاكرة ولا يزال ماثلا للاعين أن اللجنة الدولية التى دعيت لدرس التعلية الثانية فى سنة ١٩٢٨ لم تأخذ برأى السير ما كدونالد مستشار الخزان الفنى فى طريقته الفنية للتعلية ولا برأى المستر بكلى الذى كان معهودا اليه بتحضير مشروع التعلية (راجع تقرير اللجنة الدولية ص ٤ الذى نشرته الحكومة المصرية) وكان الرأى السائد فى اللجنة هو رأى المستر كوبر العضو الأمريكى ، ومما هو جدير بالذكر أن وزارة الأشغال أخذت عهدا على السير ما كدونالد أن ينفذ التصميم الذى وضعته اللجنة الدولية حين تعيينه مستشارا فنياً للتعلية .

منطقة السدود

ألقى الدكتور هيرست مدير مصلحة الطبيعيات محاضرة علمية بجمعية الفنون الملكية بلندن عن منطقة السدود ننشرها فيما يلى :

أن المقصود بالسدود هنا تلك النباتات الطفيلية والحشائش وأشجار البردى التى تعوق انحدار الماء فى بعض فروع النيل الأبيض . وهى كثيرة وكثيفة فى المنطقة الواقعة بين خطى عرض ٦ و١٠ حيث يجرى بحر الجبل وبحر الظراف وبحر الغزال ونهر بيبور وبعض فروعه . وهى تنمو كذلك فى طريق النيل فى أوغندا ، بيد أن انتظام الملاحة فى الوقت الحاضر فى بحر الجبل والظراف والغزال تجعل

تماسك هذه الأعشاب نادراً . وقد كانت فى الماضى تلتف حول بعضها وتنمو وتتكاثف فتعيق الملاحة شهوراً كما قال سير صموئيل بيكر .

و (منطقة السدود) تطلق الآن على الأقليم الملىء بالمستنقعات الذى يحف ببحر الجبل وبأعالى بحر الظراف فيما بين بحيرة « نو » و « وبور » على خط عرض ٦ ويجوز أن ندمج فيها كذلك إقليم المستنقعات الذى يحف ببحر الغزال . وإقليم بيبور الذى لبعض نهيراته صفات ومميزات بحر الجبل وبحر الغزال .

لم يكن أعالى النيل الابيض معروفا قبل أن تجوسه البعثات التى ارسلها من مصر المغفور له محمد على باشا فيما بين سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤٢ وقد انشئت بعد ذلك فى تلك المناطق محاط تجارية وأتم السياح الاوروبيون اكشاف ذلك الاقليم بالتدريج الى أن كانت ثورة المهدى فامتنع السودان على المكتشفين فى المدة بين سنتى ١٨٨٢ و١٨٩٨ ولم يكن معروفا فى ذلك الوقت عن نظام فروع النيل وأهمية النيل الازرق والنيل الابيض إلا النزر اليسير

وقد أورد سير هنرى ليونز فى كتابه (جغرافية النيل) كل ما كان معروفا عن حوض النيل حتى سنة ١٩٠٥ . وأنه لمن دواعى سرورى ان يكون رئيس هذا الاجتماع هو سير هنرى ليونز نفسه . الذى كان فى مقدمة الذين ارتادوا هذا الاقليم من العلماء الباحثين

وصف منطقة السدود

يخرج مجرى النيل الابيض من بحيرتى فيكتوريا والبرت فى سهول افريقيا الوسطى ثم ينحدر فى الوديان المسطحة التى يتكون منها السودان الجنوبى . وهناك يلتقى ببحر الغزال ثم بنهر السوباط الذى يستمد أكبر كمية من مائه من مرتفعات الحبشة

وأكثر فروع النيل تفيض بشدة فى موسم الأمطار . ويضعف انحدارها أو يكاد أن يتلاشى فى موسم الجفاف . وبعض الفروع يفيض فى الوديان فيكون المستنقعات ونظراً لانتظام سيل الماء من البحيرات . ترى أن بحر الجبل يختلف اختلافاً كلياً عن سائر فروع النيل حيث لا يطرأ عليه تغيير كبير فى موسمى الفيضان أو الجفاف . وإلى هذا الانتظام ثم إلى إمكان صيانة الماء من الانسياب فى المستنقعات بأقامة السدود على البحيرات يرجع الفضل فى أهمية بحر الغزال إلى كل مشروع يراد به الانتفاع بجميع ماء النيل

وتقع أبعد منابع بحر الجبل فى بقعة جبلية جميلة قريبة إلى بحيرة (ليفو) وأقرب إلى (الكاب) منها إلى (القاهرة) ومن هذه البقعة ينبع أيضاً نهر (كاجيرا) الذى هو أهم نهر يصب فى بحيرة أدوارد التى يربطها نهر (سمليكى) ببحيرة البرت

وفى هذا الاقليم توجد قمم « رونزورى » التى يبلغ ارتفاع أعلاها ٥١٢٠ مترا وتوجد المنطقة الوحيدة فى طول حوض النيل التى تعلوها الثلوج باستمرار

وكمية الماء التى يستمدها النيل من ذوبان الثلوج قليلة الأهمية . على الرغم من أن بعض المؤلفين قد ذكروا أن النيل يستمد ماء الفيضان من ذوبان الثلوج فى الحبشة لأن الحبشة فى الواقع لا توجد بها ثلوج دائمة بكمية تستحق الذكر

هذا وتوجد خمس بحيرات فى منطقة بحر الجبل هى بحيرات جورج وادوارد والبرت فى الوادى الغربى . وبحيرة فكتوريا وكيوجا فى الوادى الشرقى . والحوض الأساسى لهذا النهر يخرج من بحيرة فكتوريا عند شلالات (ريبون) ويمر بنهاية بحيرة كيوجا (حيث يوجد اقليم منخفض كثير المستنقعات) ثم يهبط إلى بحيرة البرت عند شلالات مرشيزون حيث ينحدر مستوى النهر انحدارا عظيما

وثمة فرع آخر يتكون من نهيرات وادى (ريفت) التى تصب فى بحيرات ادوارد وجورج والبرت .

أما البحر الأساسى فانه يستمر فى حوض تحف به المستنقعات حتى يصل الى حدود السودان عند منميول ومن ثم ينحدر سريعا مسافة ١٦٠ كيلو متراحتى يصل إلى (ريجاف) بالسودان

وفى المنطقة بين بحيرة البرت وريجاف يتلقى النهر أمواه فروع كثيرة سريعة تفقد أهميتها فى موسم الجفاف

وفيما بين ريجاف والخرطوم « وهى مسافة ١٧٥٠ كيلو مترا » يظل النيل الأبيض صالحاً للملاحة طول السنة

وانحدار الأرض بعد ريجاف عظيم وبسبب تآكل ضفتى النهر بين ريجاف وبور ، وبسبب هذا التآكل قداختفت وتلاشت مدينة « كبرو » التى كانت مركزا حكوميا هاما أثناء احتلال البلجيكيين لمنطقة « لادو » ويتأثر مجرى النهر بعد « بور » بالأعشاب أكثر مما يتأثر بالتآكل

هذا ومجرى بحر الجبل وبحر الغزال يحف بهما المستنقعات الكثيرة . ومساحة هذه المستنقعات تختلف باختلاف موسم الأمطار

ففى موسم سنة ١٩١٧ مثلا الذى امتاز بغزارة أمطاره . ترامت هذه المستنقعات حتى وصلت إلى بحر العرب . أما مواسم الجفاف الشديد كموسم سنة ١٩٢٢ ، فان المستنقعات لا تشمل غير مناطق ضيقة على ضفتى النهر

وعندما تنهمر الأمطار تنمو فى الوديان حشائش كثيفة ترتفع إلى ٥ أقدام أو ستة أقدام . وتجعل السير والنقل مستحيلا وعندما ينقطع انهمار المطر تجف هذه الحشائش وغالباً ما يشعل فيها الأهالى النيران قبل موسم الأمطار التالى

وقد قامت شركة المساحة الجوية بلندن بتصوير منطقة بحر الجبل ، وهى الآن بسبيل وضع خرائط لهذه المنطقة وسوف تستفيد من جهود هذه الشركة بالحصول على معلومات جديدة صحيحة عن هذه المنطقة لم يكن يتسنى لنا الحصول عليها بأية وسيلة أخرى . فللشركة الشكر على اضطلاعها بهذه المهمة الشاقة الخطرة فى إقليم بلقع موحش .

ويخرج بحر الظراف من المستنقعات الواقعة شرقى « شامبى » ثم يستقيم فى مجراه مسافة مائة كيلو متر فلا تحف به مستنقعات تذكر وقد أوصل ببحر الجبل بواسطة قناتين مهدتا بواسطة الكراكات فى سنتى ١٩١٠ و ١٩١٣ بقصد الحصول من المستنقعات على أكبر كمية من الماء

والنبات الذى ينمو أكثر من غيره شمال شامبى هو نبات البردى ، فترى النهر ينساب هناك كأنما من بين جدارين من شجر ذلك النبات

ويتحد بحر الجبل وبحر الغزال عند بحيرة « نو » وينحدران شرقاً حيث يعرفان بعد ذلك باسم النيل الأبيض ، وتحف المستنقعات بالنيل الأبيض إلى قبيل اتصاله ببحر الغزال ، وهناك يستقيم مجراه فى حوض جاف الضفتين

وبحر الغزال نهر بطىء يستمد ماءه من نهيرات أهمها نهر « جور » ونهر « لول » وهما يحملان إليه كميات وافرة من الماء . أما النهيرات الأخرى فانها تختفى فى المستنقعات .

ونهر « جور » صالح للملاحة فى المدة بين يوليو وأكتوبر وهو يستخدم فى نقل كميات كبيرة من البضائع من مدينة « واو » عاصمة مديرية بحر الغزال غير أن البحارة يعانون كثيراً من جراء ضيق النهر ، ثم من جراء انحرافه المفاجىء فى بعض المواضع

المناخ

ومناخ جنوب السودان خاضع لموسم الأمطار فى المدة بين أبريل وأكتوبر. ثم لموسم الجفاف من نوفمبر إلى مارس من كل عام وكمية الأمطار فى مختلف الوديان تتراوح بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ ملليمتر. وتبلغ درجة الحرارة أقصى ارتفاع فى شهر مارس. وأقصى هبوط فى يولية وأغسطس ولا توجد هناك برودة بالمعنى المفهوم. لأن درجة الحرارة تتراوح بين ٣١ مئوية فى شهر يولية ودرجة ٣٨ فى شهر مارس

وموسم الأمطار فى جنوب السودان هو أبدع المواسم جميعا من حيث المناخ ولكنه للأسف يجعل النقل والتنقل غاية فى الصعوبة حيث يضطر الانسان فى أكثر المناطق أن يجتاز المسافات الشاسعة سيراً على قدميه. والسير يكاد يكون مستحيلا فى بعض الجهات نظراً لطبيعة الأرض وكثرة المستنقعات. وفى الجنوب الأقصى حيث لا يمكن استخدام وسائل النقل الميكانيكية لا يجد الانسان مناصا من استخدام الآدميين للنقل بسبب كثرة ذباب « تسى تسى » الذى يفتك بالدواب فتكاً ذريعاً.

النباتات

ونباتات المستنقعات فى أعالى النيل كثيرة ومحيرة لمن لا يعرف علم النبات. فالبردى مثلا كثيف جداً فى بحر الجبل ولكنه قليل جداً فى بحر الغزال. وتوجد فى بعض المناطق حشائش طويلة كثيفة تعيق الملاحة كما توجد فى مناطق أخرى حشائش عائمة ذات أنواع مختلفة وقد لا يكون مضيعا للوقت أو المال أن يتوفر الانسان على دراسة طبائع النباتات فى تلك المناطق لمعرفة النوع الذى يمكن انماءه على الشواطىء لمنع التآكل

على أن اضرار هذه الحشائش والنباتات ليست كبيرة كما كانت منذ ثلاثين عاما حين كانت تسد بحر الجبل وترغم البعثات العلمية والاستكشافية على قضاء الشهور الطويلة فى محاولة إزالتها. ولعل أهم هذه النباتات هو البردى وتلك الحشائش العائمة التى أتينا على ذكرها. فانها تتماسك فى بعض الأحيان حتى تحجز الماء فيخرج النهر من مجراه الطبيعى. وقد تعددت هذه الظاهرة فى المدة بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٩٠٣

وقد حاول الكثيرون استثمار هذه النباتات ولا تزال توجد بمقربة من بحيرة « نو » بقايا مصنع أريد به ولا شك الانتفاع بتلك الحشائش اذ لا ريب فى أنه

يمكن صنع الورق والبوتاس والوقود والكحول وغير ذلك كله من النباتات غير المحدودة التى تنمو فى منطقة السدود . بيد أن غلاء أجور نقل المواد الأولية والمنسوجات من شأنه أن يقضى على مستقبل كل مشروع صناعى

على أنه لما كان ثمن البترول مرتفعاً جداً فى جنوب السودان وأواسط أفريقيا فانه من الممكن استنباط وقود جديد من تلك النباتات كالكحول مثلا . ومن رأيى أن مشروعا كهذا قد يؤتى أكله ويصبح من المشروعات التجارية الهامة

الحيوانات

توجد فى أعالى النيل مجموعة عجيبة من الحيوانات الضخمة والصغيرة . فأنت تستطيع دائما أن ترى قطعان الفيلة حول بحر الغزال وفى « ريجاف » وتستطيع أن ترى التماسيح والغزلان والوعول وقد يسعدك الحظ فترى أسداً . وقد شهدت فى إحدى سياحاتى جميع هذه الأنواع كما شهدت الحمار البرى . والفهد ووحيد القرن

وأما الأسماك فكثيرة وبينها ما يزن مائتى رطل ، وأكثرها يزن ٢٠ رطلا أو ما يقرب من ذلك ، غير أنه من الصعب اصطيادها بغير الشباك التى يستعملها المصريون .

والطيور كذلك كثيرة ، ولكنها ليست أكثر من الهوام التى تضايق الانسان أشد المضايقة ، وفى منطقة السدود نوع من الذباب يلدغ الانسان ويؤلمه ، ولكنه لا ينقل اليه الجراثيم كما يفعل ذباب « تسى تسى » الذى يحمل جرثومة مرض النوم ويصيب به الانسان والحيوان على حد سواء

وذباب « تسى تسى » غير موجود قطعاً فى وديان السودان ، ولكنه كثير فى بحيرات الكنغو ، وقد عملت الحكومة على إبادته من حوض النيل فلم يعد ذلك الوباء الذى طالما فتك بالأهلين منذ أعوام

السكان

وتقطن وديان تلك المناطق قبائل الدنكا والنوبر والشيلوك ، وهم قوم رحل إلى حد ما ، لأنهم يقيمون حيث تنمو الحشائش ، ويرحلون حين تجف ، وهم فى موسم الجفاف يهاجرون إلى المستنقعات فيعيشون حولها ، وكل ثروة هؤلاء القوم هى قطعان الماشية التى يرعونها ، والقليلون جداً منهم يعيشون فى البقاع الجافة الغربية

من المستنقعات ، ويصطادون السمك أو « جاموس البحر » الذى يقطعونه شرائح ويجففونها فى الشمس

أما فى المناطق المحيطة بالأحراش والأدغال فان القوم يشتغلون بالفلاحة ، فيزرعون الأذرة والبطاطس وأكثر القبائل ميلا إلى الزراعة هى قبيلة الدنكا

ورجال النوير والدنكا والشيلوك نحاف القامة ، طوال السيقان ، يعيشون عراة الأبدان إلا من خيوط من الخرز تستر عوراتهم ، أما النساء المتزوجات فيرتدين مآزر من الجلود يمضغونها حتى تكتسب شيئاً من النعومة والليونة .

المياه

كنت أريد أن ينصب كلامى على منطقة السدود دون سواها ، ولكن أرى لزاماً على عند ذكر خصائص المياه وطبيعتها فى تلك المنطقة أن أتناول المصادر التى يستمد منها النيل ماءه .

نرى من خريطة نهر النيل أن كمية من الماء التى تنصب فى هذا النهر من فروعه تقدر بمليارات الأمتار المكعبة كل عام ، وأن النيل الأزرق يمده بـ ٥٧ فى المائة من هذه الكمية ، ويمده النيل الأبيض بـ ٢٩ فى المائة ، وعطبرة بـ ١٤ فى المائة .

ويستمد النيل الأبيض نصف مائه من الحبشة وبذلك تكون الحبشة مصدر ٨٠ فى المائة من مجموع ماء النيل ، والجزء الأكبر من هذه الكمية يجد سبيله إلى إلى النيل فى المدة بين يولية وأكتوبر ، ويكون محملا بالطمى ، وإلى هذا الطمى الذى يحمله النيل إلى مصر منذ آلاف وربما ملايين السنين يرجع الفضل فى خصوبة وادى النيل .

أما النيل الأبيض فيستمد ماءه من المستنقعات ومن نهر السوباط ومنه يستمد النيل ماءه فى الوقت الذى ينحدر فيه منسوبه ، وماء النيل الأبيض لا يحمل عادة شيئاً من الطمى .

بقيت كمية الأربعة عشر مليارا من أمتار الماء التى يستمدها النيل من بحر الغزال وبحر الجبل وبحر الظراف .

فأما بحر الغزال فيمد النيل بماء لا يقل عن نصف مليار من الأمتار المكعبة ، ويذهب من مائه هباء خمسة عشر مليارا بسبب التبخر ، وبقية الأربعة عشر مليارا يستمدها النيل من بحر الجبل وبحر الظراف ، وهذان النهران يفقدان من مائهما

أربعة عشر مليارا » أى ضعف الكمية التى يسعها خزان أسوان بعد تعليته » تسيل فى الوديان والمستنقعات

المشروعات

أرى من الضرورى أن أتكلم عن نظام الرى فى مصر قبل أن أتناول موضوع المشروع التى يمكن القيام بها فى أعالى النيل .

إن السنة فى مصر تنقسم إلى قسمين : الأول من فبراير إلى يونية ، وخلال هذه المدة يتعين إعداد النهر بالمزيد من الماء لكفاية حاجة الأراضى الزراعية . والثانى من أغسطس إلى ديسمبر . وفى هذه المدة تزيد كمية الماء عن حاجة الزراع أما شهر يناير فتغلق فيه الترع لتطهيرها ولا تكون ثمة حاجة إلى الماء لغير الملاحة

فى موسم الجفاف يرتفع منسوب النيل بفضل ما يخزن فى « خزان أسوان » فى المدة بين نوفمبر ويناير عند ما يكون الماء صافياً وخالياً من الطمى بقدر الامكان ذلك لأنه من المقرر حتى الآن أن الماء المحمل بالطمى لا يمكن تخزينه بغير تعريض الخزانات لخطر الامتلاء بالطمى . وعليه فقد جرت العادة أن يؤجل ملء خزان أسوان إلى أن يصفو الماء

وهناك مشروعان هامان يختصان ببحر الجبل أحدهما إقامة سد عند مخرجه من بحيرة البرت بقصد إنشاء خزان يسع ٢٠ مليارا من الأمتار المكعبة ، والآخر يرمى إلى الاستفادة بقدر الامكان من ماء المستنقعات فى منطقة السدود شبكة من الترع ، وهذان المشروعان يتمم كل منهما الآخر ، ولا يزال كلاهما فى المهد ، والمقصود بخزان بحيرة البرت الاحتفاظ بماء الفيض الشديد لسنوات الجفاف ، ولما كانت جوانب هذه البحيرة مرتفعة فان كمية التبخر لا ينتظر حينذاك أن تتجاوز نسبتها الحالية إلا قليلا

وثمة مشروع آخر يراد به انشاء ترعة فى جنوب نهر « بور » بقصد تخفيض فيض نهر السوباط إلى النسبة التى تكفل عدم ضياع مائه . بيد أن هذا المشروع يتطلب كثيراً من الجهد قبل أن يؤتى ثماره

أما المشروع الأخير فيتلخص فى اقامة سد على بحر الجبل عند الجميزة . وتوصيله إلى نهر فيفينيو « فرع البيبور » وبذلك لا يذهب الماء ضياعاً فى المستنقعات بل ينصب فى النيل الأبيض عن طريق السوباط

وهناك مشروعات أخرى كثيرة وضعها مكتب مصلحة الرى المصرية فى السودان

وسوف تطرح هذه المشروعات على بساط البحث عند ما يظهر ما يدعو إلى الحصول على المزيد من ماء النيل الأبيض

أما خزان أسوان فسيصبح من الضرورى بعد تعليته التبكير فى ملئه ولقد قرر المهندسون المنوطون بأعمال الرى فى مصر أن يتحاشوا خطر الطمى على هذا الخزان وفكروا فى مشروع لتلافى طمى النيل الأبيض . فكان مشروع خزان جبل أولياء خير كفيل وسيقام هذا الخزان على النيل الأبيض على بعد ٢٥ ميلا جنوب الخرطوم . وسيملأ فى مواسم ارتفاع الفيضان

وثمة مشروع آخر كان موضع بحث ودراسة هو مشروع خزان بحيرة « تانا » الذى تستفيد منه مصر والسودان على السواء وسيملأ هذا الخزان كذلك فى موسم الفيضان . بيد أن الشطر الأخير من الوقت اللازم لملئه يصادف الشطر الأول من الوقت اللازم لملء خزان أصوان بعد تعليته ومن هذا يتبين أن ملء هذه الخزانات جميعاً يتطلب نظاماً ودقة ويستلزم تحديد الوقت المبكر لملء خزان أصوان من الماء غير المحمل بالطمى . ولهذا الغرض قد أعدت العدة لإجراء تجربة سوف تكون أهم تجربة من نوعها . فاذا ثبت أنه يمكن ملء خزان أصوان فى بداية الفيضان بغير تعريضه لخطر الطمى فان الرأى فى جميع المشروعات المقترحة قد يتبدل نهائيا ويصبح من الممكن درس مشروع انشاء خزان أكبر فى أسوان » اه

الدكتور هيرست

بيانات أخرى

وقد أرسلت فى سنة ١٩٢٤ وزارة الأشغال العمومية إلى وزارة الخارجية لتبليغها إلى الحكومة البلجيكية بشأن مشروع تحويل بحيرة البرت إلى خزان للنيل والأعمال التى يتطلبها هذا المشروع فى جزء يقع فى بلاد الكونغو البلجيكية وقد وقفنا على بيانات تفصيلية عن هذا المشروع منذ بدء التفكير فيه ويؤخذ من هذه البيانات أن سير وليم جارستن كان أول من أشار باستعمال بحيرة البرت خزاناً للمياه إذ رأى من مقارنة المطالب المائية اللازمة فى المستقبل للقطر المصرى بمقادير الايراد المتيسر فى السنوات الشحيحة أنه يتبين أن الكمية الاضافية اللازمة لا يمكن تخزينها فى أى بقعة من حوض النيل عدا بحيرة البرت حيث يتسنى ادخار الكمية الكافية ادخاراً اقتصادياً .

وتبلغ مساحة هذه البحيرة نحو ٥٥٠٠ كيلو متر فاذا ارتفع منسوب مياهها

متراً واحداً كان ذلك معادلا لتخزين ٥٥٠٠ مليون متر مكعب ولما كانت جروف البحيرة تكاد تكون قائمة فان مساحة سطحها لا تزداد بدرجة عظيمة بارتفاع منسوب مياهها ولذلك لا يترتب على هذا الارتفاع زيادة يعتد بها فى خسائر التبخر حتى لو ارتفع المنسوب سبعة أمتار أو ثمانية كما هو مقترح

وتقدر النفقات اللازمة لانشاء الخزان عند مخرج البحيرة بما لا يتجاوز مليونى جنيه مصرى وأما انجازه فيرى أن يتم قبل سنة ١٩٤٠

وقد قال سير مردوخ مكدونالد مستشار وزارة الأشغال سابقاً : « إنه لا فائدة من تخزين كميات كبيرة من المياه فى بحيرة البرت اذا لم يضمن توريدها إلى مصر فى المكان والزمان المناسبين ولهذا يجب انشاء قناة تخترق الغياض الهائلة بمنطقة السدود لأنه إذا اكتفى باطلاق المياه المخزونة من بحيرة البرت إلى مجرى النيل الحالى لتسرب معظمها الى الغياض وتبدد هناك ويوجد الآن فى أعالى مسايل النهر مجرى صالح للغرض المنشود وكذلك الحال فى أسافل مسايل النيل الأبيض أما فى منطقة السدود فلا يوجد مجرى واف بالغرض وهنا يراد انشاء القناة المقترحة »

وكان السير وليم جارستن أول من أشار باستعمال بحيرة البرت خزاناً للمياه وقد رسم الخطط الأساسية للبحث والاستقصاء فى هذا الشأن وتقدم بعده مسيو ديبوى بأعمال البحث والتجارب مرحلة عظيمة وواصل هذا العمل كذلك مستر توتنهام ويتبين من هذا أن مشروع تحويل بحيرة البرت الى خزان للنيل يتطلب مشروعين آخرين أولهما انشاء القناة التى تخترق الفيافى بمنطقتى السدود وثانيهما انشاء قناطر الموازنة وقد قال سير مردوخ مكدونالد عن هذين المشروعين :

« لا يزال الأمر يقتضى عمل ميزانيات شاقة على الأرض والماء قبل اختيار التخطيط الصحيح من بين تخاطيط مختلفة ولذا كان تقدير النفقات مبنياً على التخمين ولكن المعتقد أن مبلغ ١٥ مليون جنيه مصرى كاف للوفاء بنفقات قناة السدود وما يلزمها من قناطر الموازنة » ثم قال :

« ويستدل من المباحث الحديثة التى قام بها موظفو مصلحة الرى على امكان اختيار طريق آخر للقناة فيه تخفيض عظيم للنفقات المقدرة آنفاً ولكن يحسن الآن اعتماد النفقات على التقدير الأكبر وذلك إلى أن يتم قياس المناسيب اللازمة ووضع الأرقام والبيانات المحددة أما انجاز هذا العمل فيجب أن يكون حوالى سنة ١٩٤٠ فى نفس الوقت الذى يتم فيه سد بحيرة البرت »

ويقولون فى وزارة الأشغال أن نتائج انشاء هذه المشروعات الثلاثة هى :

أولا — منع ضياع فى منطقة السدود منعا كليا فى السنوات المنخفضة وجزئيا فى السنين الأخرى

ثانياً — الاحتفاظ فى بحيرة البرت بما كان يضيع فى منطقة السدود من المياه حتى يتسنى اطلاقها فى قناة السدود فيما بعد أثناء السنة ذاتها أو ادخارها بمثابة احتياطى لحاجة مصر فى سنة ثانية دون أن يفقد منها شىء غير الخسائر المعتادة أثناء الجريان

ثالثاً - تدبير وسيلة للتخلص من المياه الزائدة عن الحاجة أثناء الفيضانات العالية إذ يصبح من المتيسر استبقاء الماء منحدرا فى الوادى بحيث يمكن زيادة كميتها ونقصها حسب مطالب الزراعة فى مختلف المواسم

وعلى هذه النتائج الثلاث هناك نتيجة رابعة ولكنها عرضية وهى حرمان الفياض من جانب عظيم عن المياه التى تتسرب اليها وربما أدى ذلك إلى تصغير مساحتها كثيرا

أما المكان الذى ينشأ فيه سد بحيرة البرت فهو حاجز من الصخر يوجد على بعد خمسين كيلو مترا من مصب البحيرة فى نيل البرت - وهو الاسم الذى يطلق على مسيل النهر فى تلك الجهة - ويقولون فى وزارة الأشغال أنه إذا تم ذلك أصبح من المتيسر التحكم فى منسوب البحيرة على ارتفاع سعة أمتار أو ثمانية وأن كل متر من هذا الارتفاع يعادل نحو ٥٥٠ مليون متر مكعب من الماء المدخر وبذلك يكون الخزان معداً لنحو أربعين مليون متر مكعب من الماء

وقال سير مردوخ مكدونالد : « إن بحيرة البرت يمكن تحويلها بلا كبير صعوبة لاستخدامها فى هذه الغاية » ثم قال عن المشروعات الثلاثة التى نحن بصددها : أن « كل مالدينا من المعلومات يدل على أنها قابلة للتنفيذ وصالحة لاخراجها إلى حيز العمل ولا غرو فانها تمنى بشكل جلى تدبير الكميات العظيمة من المياه اللازمة لمصر كما أنها لا تشتمل على شىء من المشروعات البنائية التى لم تجرب فى كثير من البلاد زد على ذلك أنها كلها مبنية على الاستنتاج من المعلومات الثابتة وليست قط مبنية على شىء من النظريات التى لم تؤيد بالاختبار » .

وختم سير مكدونالد كلامه عن هذه المشروعات الثلاثة بقوله : « إن منطقة السدود ستحرم فى بعض السنين حرماناً باتاً من المياه التى تساعد على انماء ما فيها من مختلف النباتات وأن ما يصلها من الماء فى السنين الأخرى لن يتجاوز القدر الزائد عن الحاجة وهذه المنطقة مترامية الأطراف وأراضيها بالنظر إلى موقعها

ومناخها ومياه أمطارها أثمن من أن تترك مستنقعات على الدوام فالمنتظر فى المستقبل أن تصرف المياه عن جانب عظيم منها بحفظ جزء من المياه الزائدة عن الحاجة فى خزان بحيرة البرت

ومما سيساعد يومئذ على اتمام هذا التصرف مباشرة أعمال الموازنة على بحيرة فيكتوريا حتى يتسنى منع مياه هذه البحيرة العظيمة من الانحدار إلى بحيرة البرت فى الفترة الحرجة من موسم الفيضان ، فان مجرد ارتفاع بسيط فى منسوب بحيرة فيكتوريا يعادل تخزين مليارات كثيرة من الأمتار المكعبة ومتى حكم التوفيق بين عملى البحيرتين معا أصبح من المتيسر استجماع كل المياه التى تضيع الآن سدى بمنطقة السدود فى سنى الفيضانات العالية ومن ثم تزول المستنقعات من تلك البقاع تماماً ولذا كان من المحتمل أن تصبح هذه البقاع أرضاً مثمرة وليس هناك ما يحمل على الارتياب فى أنها سوف تتحول إلى أقليم ذى مراع خضراء أو مزارع نافعة أو غابات فسيحة بدلا من بقائها كما هى الآن غياضاً وبيئة لا ينو فيها إلا البردى والبعوض وعليه فسيشهد السودان القاصى وأوغندا - حيث تقع بحيرت البرت - تعديلا فيما لهما من التأثيرات فى مياه النيل فيستمر الحسن منها وهو تخفيف وطأة الفيضانات العالية

هذه هى البيانات التى رأينا نشرها عن مشروع تحويل بحيرة البرت خزاناً للنيل لتكون مرجعاً لكل من يريد البحث فى هذا الموضوع الخطير

مشروع خزان تسانا

وكلت حكومات السودان والحبشة ومصر إلى شركة هويت الهندسية الأمريكية فى عمل الأبحاث والمساحات لانشاء القناطر على مخرج بحيرة تسانا وإقامة طريق من السودان إلى أديس أبابا عاصمة الحبشة ماراً ببحيرة تسانا .

قد اعتمدت وزارة الأشغال المصرية منح تلك الشركة خمسين ألف جنيه كنفقات لأعمالها التمهيدية ،

مطامع الدول فى الحبشة

بريطانيا العظمى وإيطاليا وفرنسا هى الدول التى تحيط مستعمراتها بالحبشة من جميع الجهات وتنافس على تمزيقها ، وقد أبرمت عدة معاهدات ثلاثية بين

الدول الثلاث وثنائية بين فرنسا وانجلترا تارة وبين انجلترا وإيطاليا تارة أخرى ، لتنظيم استعمار تلك الأمبراطورية الواسعة

١ ــ الانجليز يحيطون الحبشة بمستعمراتهم الآتية : السودان المصرى وكنيا وأوغندا والصومال البريطانى

٢ ــ الايطاليون يتاخمون الحبشة بمستعمرتى الارترية والصومال الايطالى

٣ ــ الفرنسيون يتاخمون الحبشة بمستعمرة جيبوتى المعروفة بالصومال الفرنسى ومنها يمتد خط السكة الحديدية الرئيسى بالحبشة من أديس أبابا إلى ميناء جيبوتى وهو أهم طريق للتجارة

الاتفاقات الدولية : ــ

الاتفاق الانجليزى الفرنسى الايطالى عقد فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٦ وبمقتضاه تحدد سرا بين الدول الثلاث مركز كل دولة فى الحبشة ومناطق نفوذها ومصالحها الاقليمية ، واتقاء لإيغار صدور سائر الدول وذرا للرماد فى أعين الحبشان تضمنت ديباجة هذا الاتفاق توكيد استقلال الحبشة والمحافظة على وحدتها والحيلولة دون وقوع الأضطرابات فيها . فاذا وصلنا إلى المادة الرابعة من هذا الأتفاق انتهينا إلى بيت القصيد وضبطنا السادة الثلاثة فى حالة التلبس ، تضمنت المادة الرابعة تقسيم المصالح الاقتصادية فى الحبشة بين الدول الثلاث وإذا قلنا المصالح الاقتصادية فى قلنا كل شىء ، وهذه المصالح تتلخص فى إطلاق يد كل دولة فى المناطق الحبشية المتاخمة لمستعمراتها

ومن الغريب أن الفقرة الأولى تتضمن أن مصالح بريطانيا العظمى ومصر فى حوض النيل الأزرق تتناول بصفة رئيسية تنظيم مياه هذا النهر وروافده .

لهذا أتمنى أن تعود وزارة الأشغال المصرية فيما عسى تستطيع مصر أن تفيده من هذا الاتفاق الثلاثى الدولى الخطير فى حوض النيل الازرق ومنابعه وتتضمن المادة التاسعة من هذا الأتفاق على أن الدول الثلاث قد اتفقت على أن كل مشروع بانشاء سكة حديدية فى غرب اديس ابابا تنفرد انجلترة به كما أن مشروع إنشاء سكة حديدية لربط مدينة بنادر فى الصومال الايطالى بارترية الايطالية تنفرد بالاشراف عليه والاستئثار به إيطاليا . . . أما فرنسا فقد استأثرت عمليا بخط ــ جيبوتى أديس أبابا .

وتقدم هذا الميثاق الثلاثى اتفاق بين الحبشة وانجلترة تم فى ٢٨ أغسطس

سنة ١٩٠٤ تضمن ترخيص النجاشى منليك للانجليز بانشاء سكة حديدية من الصومال البريطانى إلى حدود السودان المصرى ، بشرط أن توافق على ذلك كل من فرنسا وإيطاليا ، ولهذ السبب نشطت انجلترا إلى عمل ذلك الميثاق الثلاثى فى عام ١٩٠٦ كما تقدم ، لتأمن كل عقبة فى طى المستقبل

والواقع أن الانجليز قد سهروا على رعاية مصالحهم ، وقد حوت المادة الثالثة من هذا الاتفاق أنه لا يجوز إقامة أعمال على النيل الأزرق وبحيرة تسانا ونهر السوباط من شأنها أن تمس جريان المياه بغير موافقة الحكومة البريطانية وحكومة السودان ، ومن المهم أيضاً أن نذكر بأن المادة الخامسة تضمنت الترخيص لبريطانيا العظمى بانشاء خط حديدى عبر بلاد الحبشة ليربط السودان بأوغندا (كذا)

وأوضح أن هذا الاتفاق الخطير قد خول الانجليز حق التدخل فى أقاليم الحبشة وأنشأ لانجلترا حقاً صريحاً فى مسائل الماء والسكك الحديدية ببعض مناطق الحبشة ، وهذا مما أكسب الانجليز نفوذاً عظيماً لتوطيد الاستعمار البريطانى فى شمال أفريقيا

وقد حفز هذا النشاط الانجليزى ساسة فرنسا إلى منافسة جديدة فى الحبشة فقد نشطت حكومة فرنسا إلى إقناع حكومة النجاشى بابرام معاهدة فى سنة ١٩١٢ ترخص لفرنسا بحق إنشاء سكة حديدية تمتد من جيبوتى إلى هرر إلى أنطوطو إلى إقليم كافا إلى النيل الأبيض ، وفيه كسب متبادل للحبشة ولفرنسا ، ولكن هذا المشروع لم ينفذ حتى الآن

غير أن حكومتى انجلترا وإيطاليا تحالفتا على الغنيمة حلفاً جديداً .

ايطاليا وانجلترا

دخلت إيطاليا الحرب العظمى مع الحلفاء ، فوعدتها انجلترا فى وثيقة رسمية مؤرخة فى لندن سنة ١٩١٥ بالمادة ١٣ أنه فى حالة الانتصار واتساع ممتلكات بريطانيا وفرنسا على حساب ألمانيا فانه يرخص لايطاليا بتوسيع مستعمراتها وتمديد حدودها فى ليبيا « يعنى حدود طرابلس على حساب مصر » وفى مستعمرتى الأرترية والصومال الايطالى

وفى سنة ١٩٢٠ حصل اتفاق بين لورد ملنر والسنيور شيالوجا بمنح إيطاليا ٩٠ ألف كيلو متراً مربعاً فى ليبيا شرقاً تستغرق جغبوب ونص على تخويل ايطاليا

حق تمديد حدود مستعمرتيها المجاورتين للحبشة مقداراً بمقدار ١١٦٠٠٠ ك ، م . فى الارترية و ٢٠٠٠ ك ، م ، فى الصومال

واقترحت ايطاليا على انجلترا أن تتعاقد سوياً على تنظيم مصالحهما العليا بالحبشة وتتلخص فى الجانب الانجليزى فى إنشاء قناطر على بحيرة تسانا وعمل طريق من السودان إلى البحيرة ، وللجانب الايطالى إنشاء خط حديدى يخترق غرب الحبشة بين الارترية والصومال ماراً غربى اديس إبابا وتخويل إيطاليا حقوق الامتياز على غرب الحبشة ، ودخلت هذه المفاوضات الجديدة إلى دور تبادل الوثائق فى المدة من ١٤ إلى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ولا تزال إيطاليا ماضية فى مهمتها الاستعمارية بالحبشة ، أما الانجليز فقد اعترضهم منذ عام ١٩٢٧ عامل دولى جديد ذلك هو ظهور الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الحبشة

أمريكا بالحبشة وتسانا

ليس لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية مستعمرات بالحبشة ولكنها مع ذلك تتمتع بنفوذ كبير لدى حكومة النجاشى بفضل ما حبا الله الأمريكيين من حب حرية الغير وتشبعهم بالعدالة فى تبادل المنافع ، وفضلا عن هذا فان الأمريكيين يسيطرون على جانب عظيم جداً من تجارة الحبشة وتكاد جلود الحيوان تستأثر أمريكا باستيرادها من الحبشة وهى من أعظم ثروات الحبشة

وقد عن لبعض الأمريكانيين أن يقدموا للرأس طفرى فى عام ١٩٢٧ مشروعاً جليل الشان مؤداه اتخاذ بحيرة تسانا خزاناً للمياه لتنظيم الرى ببعض أقاليم الحبشة ثم توليد الكهرباء عند مخرج البحيرة لانارة كثير من مدائن الحبشة وإقامة صناعات كبرى ، هذا فضلا عن إمكان بيع الماء من خزان تسانا إلى حكومة السودان لرى الجزيرة الموعودة ، وطربت حكومة الحبشة بهذه المقترحات الدسمة وكان أمامها عقبتان الأولى سياسية لأنها تخشى معارضة انجلترا لتدخل أمريكا ، والثانية مالية .

وقد عقدت انجلترا لحكومة السودان قرضا مقداره خمسة عشر مليون جنيه بفائدة خمسة فى المائة ومن سنة ١٩٢٠ وحكومة السودان ماضية فى استعمار أرض الجزيرة بانشاء خزان سنار وترع ومصارف وآلات وحقول قطن من هذا القرض وقد صرف القرض والشركات الانجليزية مع حكومة السودان يعولان فى استثمار

القرض وتغطيته على التوسع فى زراعة القطن السكلاريدس بالجزيرة ، وقد عجز خزان مكوار عن سد حاجات التوسع الزراعى بالجزيرة باعتراف جميع المهندسين فى السودان ، وأصبح مشروع الجزيرة متوقفاً نجاحه على إنشاء خزان بحيرة تسانا فهو العلاج الاوحد .

لهذا أشفقت انجلترة من استئثار أمريكا بانشاء الخزان لمصلحة الحبشة فأقامت الصحف البريطانية ضجة كبرى حول النفوذ الأمريكى فى سنة ١٩٢٧ وردد البرلمان المصرى صوته داعياً إلى ايقافه على حقائق مجرى الأمور وعلى صون مصالح مصر

ولا حاجة بنا إلى إعادة تفاصيل تلك الضجة وإنما نذكر أن سير أوستين شمبرلين وزير الخارجية البريطانية يومئذ لوح لحكومة الحبشة فى خطاب بمجلس النواب البريطانى فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٧ بتعهدات منليك باعطاء حكومتى انجلترة والسودان حق الأولوية فى إنشاء خزان بحيرة تسانا وذلك فى سنة ١٩١٢، ثم صرح بأن الرأس تفرى قد أنهى اليه الممثل البريطانى فى أديس أبابا بوجوب احترام حقوق انجلترة .

وبهذا أخذ المشروع يسير فى اتجاه جديد يرضى الأسد البريطانى . وأذعنت حكومة الحبشة وفى مقابل ذلك كفلت لها الحكومة الانجليزية بانه عند ما يحين الوقت لانشاء خزان تسانا توفق انجلترة بين مصالح الحبشة وأمريكا وانجلترة والسودان . فأصبحت المشروعات كما يلى :

المشروع : ١ ـ القناطر تقام على مدخل البحيرة لتدبير مياه للرى الصيفى لأراضى الجزيرة بالسودان ، وطبعا مادام السودان فى حاجة إلى هذه المياه فيستأثر بها . (وحسب مصر تعلية خزان أسوان لكفاية جميع حاجاتها المائية عشرات السنين . بل إلى نهاية القرن العشرين) .

فخزان تسانا إذن للسودان وحده ولا شريك له فى الغنيمة .

٢ ـ الطريق من السودان إلى البحيرة هو جزء من المشروعات الانجليزية المرخص بها من إيطاليا وفرنسا وبالمثل الطريق إلى العاصمة اديس أبابا فهو طريق تجارى وسياسى وحربى

٣ ـ الحبشة تستفيد من الطريقين وتستفيد من استخدام العمال الحبشان وتستفيد أدبياً ومادياً من وجود الخزان فى بلادها فذلك من عوامل الرخاء .

٤ ـ أمريكا : يعهد أولا إلى شركة هويت الأمريكية بالأعمال التمهيدية

والمساحات للمشروع كله وبعد ذلك تعهد اليها بالاتفاق مع بعض الشركات الانجليزية على تنفيذ المشروع .

مؤتمر ادبس أبابا

ليس مشروع خزان بحيرة تانا الذى نحن بصدد القيام بالأبحاث الخاصة به إلا حلقة فى سلسلة أعمال مصر المائية على النيل ، وليست دراسته بواسطة وزارة الأشغال العمومية حديثة العهد كما يصورها بعضهم ، بل أنها ترجع إلى سنة ١٩٠٤ حيث ذهبت أول بعثة هندسية برياسة السير ويليام جارستون وكيل وزارة الأشغال العمومية فى ذلك العهد إلى مناطق البحيرات الاستوائية لدراسة منابع النيل الأبيض وروافده . كما ذهبت فى الوقت نفسه بعثة المستر ديبوى إلى أعالى النيل الأزرق وبحيرة تانا وما حولها

كذلك أوفدت فى سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ بعثة برياسة المستر بكلى ومعه بعض موظفى حكومة السودان ، للقيام بأبحاث استكشافية أخرى لطبيعة البحيرة « تانا » وجمع بعض الأرصاد الهيدروليكية ، وقد كلفت هذه البعثة الخزانة المصرية نحو ٦٠٠٠ ج . م

وفى المدة من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٤ ذهبت بعثة أخرى مؤلفة من بعض موظفى الحكومتين المصرية والسودانية ، وعرفت ببعثة « جرابهام » لقياس تصرفات البحيرة وعمل مساحة لمخارجها ، وكلفت هذه البعثة خزانة مصر حوالى ٣٥٠٠٠ ج . م .

إلى جانب هذه البعثات الخاصة ، فان تفتيش رى السودان الذى انشىء سنة ١٩٠٥ ثابر على دراسة ارصادا لنهر النيل وتصرفاته وواصل أبحاثه الفنية طوال هذه السنين ، كما أن وزارة الأشغال العمومية قامت أيضا بايفاد الاختصاصيين فى مختلف السنين لاتمام هذه المباحث ، فمن ذلك ايفاد الدكتور هرست مدير مصلحة الطبيعيات إلى السودان فى السنوات العشر الأخيرة ست مرات ، ذهب أثناءها إلى أعالى النيل الأبيض ومسايله المتعددة وكذلك النيل الأزرق ويوغندا وتانجانيقا وبحر الغزال وغيرها ، وذلك للأغراض العملية الفنية التى تعتمد عليها فى دراسة مشاريعها وتنفيذها .

تلك فذلكة تاريخية فنية ، لم تر اللجنة بدأ من سردها ، ليعرف القاصى والدانى

أن تخزين المياه حياة مصر فى جميع أدوارها ، وانه كان جاريا وفقا لحاجاتها وانها لم تدخر سعيا فى هذا السبيل ، حتى ترامت أبحاثها المائية إلى أقاصى النيلين الأبيض والأزرق ، طمعا فى زيادة مواردها المالية ، وتوصلا إلى أقصى غايات الانتفاع بها ، وهى لا تضن فى ذلك بجهد ولا مال .

خزان بحيرة تانا

بتنا فيما سلف أن الحكومة المصرية تابعت أبحاثها ودراساتها للنيل ومسايله العليا منذ استقرت الأحوال فى السودان حوالى نهاية القرن الماضى ، وإنها تكبدت من النفقات فى هذا السبيل مبالغ باهظة — تقدرها وزارة الأشغال بنحو تسعة ملايين من الجنيهات — وهى تشمل نفقات البعثات المختلفة وميزانية تفتيش رى السودان ، وما ينفق على أسطولها المائى الكبير فى تلك البقاع ، وقياسا على ذلك لا يعد مبلغ الـ ٥٠٠ ر ٥٠ ج . م المقدرة للقيام بالابحاث التى نحن بصددها شيئاً مذكورا اذا ما قورن بهذه التكاليف التى صرفت فى المباحث المختلفة التى قامت بها مصر فى سبيل تنمية مواردها المائية والاحتفاظ بجميع ما تجود به منابع النيل ، كلما ساعدتها الهندسة المائية ومكنتها الأحوال المائية .

وقد تابعت اللجنة دراسة الموضوع للتحقق من وجهتين :

الأولى — هل الخزان المزمع إنشاؤه ببحيرة تانا يكون حلقة فى سلسلة المشاريع المائية اللازمة لمصر ؟

الثانية — هل كمية المياه المنتظر الحصول عليها تبرر فتح الاعتماد المطلوب للمباحث ؟

أما النقطة الأولى — فقد تكفل بالرد عليها دولة صدقى باشا فى المجلس بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٣٣ حيث قال :

« والذى لفت النظر الى بحيرة تانا هو أن المشروع الذى يلى عمليات التخزين القائمة الآن هو مشروع منطقة السدود وهذه المنطقة لم ينته بعد فحص طريقة استخدامها أو تنظيمها . والشواهد كلها تدل على أن مشروع هذه المنطقة سيكلف خزانة الدولة مقداراً كبيرا من المال بينما دلت المباحث التى جرت بشأن خزان تانا على أن هذه البحيرة هى من أليق المناطق لعملية التخزين ومن أكثرها

استعداداً لامداد مصر بما تحتاجه من المياه فى أقصر وقت وبأقل ما يمكن من المياه الفائدة والنفقات » .

النقطة الثانية ـ علم من المباحث التى أجريت أن كمية المياه الممكن الحصول عليها بعد انشاء خزان تانا تبلغ نحو ٢٨٠٠ مليون متر مكعب يصل منها إلى مصر حوالى ٢٢٠٠ مليون متر مكعب ، كما عرف أن نسبة مياه بحيره تانا إلى النيل الأزرق توازى ٨ ٪ من مجموع ايراده وهو يقدر بنحو ٧٠ ٪ من ميا النيل جميعها .

وقد يعترض بعض بان هذا القدر من المياه لا يتفق مع ما قدر له من النفقات ، غير أن هذا القول على وجاهته الظاهرية لا يتفق وحقيقة الواقع ، اذن أن حاجة مصر إلى مياه النيل الأزرق وبحيرة تانا تشتد فى فصل التحاريق وتكاد تلتمس مصر كل قطرة من المياه تجود بها المنابع فى ذلك الوقت . ومن هنا تتضح لنا أهمية هذه الكمية بالنسبة لمصر ، وخاصة إذا لاحظنا أن تعلية خزان اسوان الأخيرة التى قدرت لها ملايين الجنيهات لا ينتظر أن تزيد كمية المياه التى تأتى بها على ٢٥٠٠ مليون متر مكعب فى أحسن سنى الفيضان .

كذلك رأت اللجنة أن تقف على تاريخ فكرة إنشاء خزان على بحيرة تانا والأدوار التى مرت به منذ أثير فى سنة ١٩٢٦ وستتناوله بالتفصيل فيما يلى :

١ ـ فى صيف سنة ١٩٢٦ ذكرت التلغرافات أن هناك اتفاقاً ابرم بين حكومات انجلترا وإيطاليا والحبشة خاصا ببحيرة تانا ، وقدم عن ذلك سؤال فى البرلمان على أثر ما عم الخواطر من القلق ، وقد أجاب المرحوم ثروت باشا بأن الحكومة جادت فى العمل على الوقوف على جلية الأمر وإنها لا تنى فى المحافظة على حقوق البلاد .

وفى سنة ١٩٢٩ عقد فى أديس أبابا مؤتمر من مندوبين ثلاثة ، أحدهم انجليزى يمثل السودان ، والثانى يمثل شركة وايت التى وقع عليها اختيار جلالة امبراطور الحبشة لدراسة المشروع ، والثالث مندوب يمثل حكومة الحبشة

وفى نهاية تلك السنة ، اكتفت الحكومة المصرية بطلب الوقوف على ما دار من المباحثات فى هذا الشأن

٢ ـ ظلت المسألة واقفة عند هذا الحد حتى اذا ما أسندت الأمور إلى الحكومة الحالية وسارت فى مشاريعها العامة ، ومنها المنشآت المائية على النيل لم تتوان فى الاهتمام بالأمر وحسن التأهب له ، وأخذت فى مخابرة حكومة الحبشة حتى حملتها

على دعوتها إلى الحضور فى مؤتمر أديس أبابا الذى عقد فى فبراير من السنة الحالية تلقت الحكومة الدعوة فبادرت إلى وضع التعليمات اللازمة لمندوبها فى المؤتمر المذكور ، وهى تعليمات محددة واضحة وغاية فى الحكمة السياسية وبعد النظر ، فوق ما بها من الاستمساك بحقوق مصر فى النيل الأزرق وبحيرة تانا مع المحافظة على رعاية الجوار وحسن العلائق ، واتفق على أن يكون ممثلا مصر والسودان فى صف واحد ، وأهم هذه التعليمات ما يأتى :

١ ــ أن يوضح مندوبا مصر والسودان أن لاحاجة بهما الآن للمشروع ، ولكنه مع ذلك يهمهما :

٢ ــ أن تعرض الحكومة المصرية رغبتها فى إتمام المباحث الهندسية حتى يمكن الوقوف على تكاليف الأعمال الاجمالية وخاصة النقط الآتية :

(ا) إمكان رفع منسوب المياه بالبحيرة بمقدار ١،٥ متر بدون إلحاق أى ضرر .

(ب) التخطيط النهائى وتكاليف الطريق من البحيرة إلى أديس أبابا

(ج) التخطيط النهائى وتكاليف الطريق من البحيرة إلى حدود السودان

٣ ــ أن يوضح مندوبا مصر والسودان بجلاء أن الحكومتين المصرية والسودانية لا توافقان على أى مشروع إلا إذا تضمن إنشاء طريق من السودان إلى البحيرة

٤ ــ أن تعرب الحكومة المصرية عن استعدادها لدفع تكاليف هذه المباحث

٥ ــ ألا يوجد مانع من الموافقة على أن تقوم شركة هوايت الهندسية بعمل هذه المباحث وأن يكون للحكومتين المصرية والسودانية الحق فى الاتصال المباشر مع الشركة لتقرير النقط الفنية متى رؤيت ضرورة لذلك

٦ ــ أن يوافق المندوبان على أن تتحمل مصر التكاليف بما فيها الطريق من حدود السودان فى حدود القيمة المقدرة وهى ١٣٠،٠٠٠ دولار تقريباً

صدرت هذه التعليمات لمندوبى مصر والسودان معاً ، وبناء على هذا التفاهم سافرا وكانا جبهة واحدة ، لأنهما يمثلان وادى النيل والمنتفعين من النيل الأزرق ومنابعه »

وكان من الطبيعى فى نظر حكومة الحبشة ــ ومشروع الخزان إنما هو لمنفعة

مصر والسودان ــ أن تطلب إليهما القيام بدفع النفقات اللازمة للمباحث ، ولهذا قبلت الحكومتان ذلك ، وقامت حكومة السودان فعلا فى سنة ١٩٢٩ بدفع تكاليف المباحث التى قامت بها شركة هوايت فى تلك السنة وتبلغ حوالى ٨٠٫٠٠٠ دولار وأظهرت مصر استعدادها لتحمل نفقات المباحث التى رأتها لازمة لاستكمال المعلومات الفنية ، وتقدر بنحو ١٥٩٫٠٠٠ دولار أمريكى ، واستجماع هذه البيانات لازم لمصر من وجهتين :

الأولى ــ أجمعت آراء البعثات العلمية والفنية التى زارت بحيرة تانا على أنه من الضرورى توسيع مجرى مخرج المياه للتمكن من تخفيض سطح المياه فى البحيرة قبل هطول الأمطار ، فاذا ما هطلت الأمطار وهى بارتفاع نحو متر ونصف المتر وكان مخرجها متقفلا بالخزان المطلوب انشاؤه ، فان سطح المياه بالبحيرة لا يعلو على أعلى منسوب وصل إليه ، وحينئذ ينتفى الضرر على الكنائس والمعابد فاذا تبين أنه ممكن تعلية مياه البحيرة هذا المتر والنصف فوق أعلى منسوب تصل إليه الآن من غير إلحاق ضرر ما بالمبانى المقدسة ، فيكون من مصلحة مصر عدم تعميق مجرى المخرج ، وبذلك يتوفر نحو نصف مليون جنيه

الثانية ــ يجب لمعرفة قيمة تكاليف هذا الخزان أن يكون تحت يد الحكومة المصرية جميع البيانات والميزانيات والخرط ، وكافة المباحث المتعلقة بالبحيرة والطريقين السابق ذكرهما

مؤتمر أديس أبابا

فى أواخر يناير ١٩٣٣ سافر مندوبا مصر والسودان إلى بلاد الحبشة ووصلا إلى أديس أبابا فى أوائل فبراير ، وفى نيتهما ــ كنص التعليمات ــ استجماع ما ترغب حكومة الحبشة فى الادلاء به من البيانات المتعلقة بالموضوع ، غير أن مندوب الحكومة الحبشية لم يتقدم بشىء من ذلك واقتصرت أعمال المؤتمر على ان تقدمت مصر والسودان معاً بمذكرة أهم ما احتوت عليه ما يأتى :

(ا) أن المندوبين يقران بأهمية المباحث التى سبق لشركة وايت القيام بها .

(ب) أن إنشاء الخزان فى الوقت الحاضر لا يتيسر نظراً لقلة حاجة العالم الآن إلى المحاصيل الزراعية كالقطن وغيره ، فضلا عن ارتفاع سعر الدولار الحالى .

(ج) أن من المرغوب فيه أن تقوم الشركة باعداد مشروع نهائى مستوفى

يشمل جميع التكاليف والتقرير النهائى لها بعد عمل المباحث التكميلية التى تراها الحكومة المصرية ضرورية لاتمام المشروع ، على أن يراعى تخفيضها بقدر الامكان وذلك بطريقتين :

الأولى — رفع منسوب المياه قليلا فى البحيرة بحيث لا تضر الأماكن المقدسة

الثانية — يمكن جلب المواد اللازمة للعمل من السودان اذا ما انشىء الطريق منه إلى البحيرة .

فأجاب سعادة وزير خارجية الحبشة عليها بمذكرة مؤرخة ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٣ وافقت فيها حكومة الحبشة على مطالب مصر ، بشرط أن تتولى « شركة وايت » القيام بهذه الأبحاث ، وتتعهد الحكومة المصرية بدفع التكاليف اللازمة لذلك الى شركة وايت بوساطة حكومة الحبشة ، وأن الشركة ستعمد إلى انجاز الأعمال المطلوبة على وجه السرعة وأن تتسلم مصر والسودان صورة من تقريرها النهائى ، وصورة هذه المذكرة ملحقة بالأوراق .

ومن هذا يتبين أن الحكومة المصرية لم ترتبط فى المؤتمر المذكور بشىء مطلقا لا عن الخزان ولا عن كيفية إنشائه ، ولا عن مصاريف انشائه ، ولا عن موعد لذلك وكل ما عرضته ينحصر فى استكمال المباحث الجديدة التى ارتأتها على نفقتها كما تحملت حكومة السودان بالنفقات السابقة .

هذه هى الخطوات التى سارت عليها حكومة مصر فى هذا الموضوع الذى بالغ بعضهم فى تجسيمه والتهويل من شأنه ، وهى لا تتعدى استكمال المباحث الفنية اللازمة لتقرير المشروع وتقدير النفقات ، وستكون هذه المعلومات ثروة فنية لمصلحة الرى تضاف إلى تراثها العلمى الذى حصلت عليه مصر فى ربع القرن الأخير والتى بلغت تكاليفها الملايين ، فضلا عما ينتظر من تخفيض نفقات إنشاء هذا الخزان فى المستقبل إذا انشىء الطريق من السودان إلى البحيرة لنقل المواد اللازمة للعمل بواسطته والتمكن من إشرافها على الخزان .

وبعد ارفضاض المؤتمر حضر مندوب شركة وايت — التى تم اتفاق الحكومتين على تكليفها القيام بعمل المباحث اللازمة — إلى مصر وبعد مفاوضات استمرت زمناً بينه وبين معالى وزير الأشغال ، قر الرأى فيما بين الطرفين على انجاز هذه المباحث وفقاً لرغبة الحكومة المصرية واتفق الطرفان على قيمة المصاريف اللازمة لذلك .

وبناء على هذا تقدمت شركة هوايت لوزارة الأشغال العمومية بتعهد كتابى

مؤرخ ٢١ مارس سنة ١٩٣٣ وفيه قدرت النفقات بمبلغ ١٥٩٫٠٠٠ دولار أمريكى ، وذكرت أن هذا المبلغ تقريبى قد ينقص أو يزيد بمقدار ١٠ ٪ وقد أوضحت بهذا الكتاب الشروط التى تقبل بمقتضاها انجاز هذا العمل ، وطلبت أن تدفع لها النفقات مقدماً بواسطة حكومة الحبشة كما سبق بيانه .

ومن الاطلاع على هذه الشروط يتضح أن الشركة تعهدت بتحقيق جميع المطالب المصرية الخاصة بالأبحاث وأهمها ما يأتى :

١ ــ مسح وتحديد الطريق المزمع انشاؤه من أديس أبابا إلى بحيرة تانا .

٢ ــ مسح وتحديد الطريق المزمع انشاؤه من حدود السودان إلى بحيرة تانا .

٣ ــ اتمام المباحث التى تحصلت عليها للان خاصة ببحيرة تانا والقيام بعمل دراسة أخرى للمناسيب حول البحيرة وعلى الجزائر وفى الوديان والسهول المجاورة وكذا دراسة حالة المعابد والقرى الواقعة على شواطىء البحيرة والجزر حيث تبين أنها ستتأثر بمناسيب المياه التى وقع الاختيار عليها لأعمال الضبط .

كما اشترط أن تكون أعمال المساحة والتقرير وافية البيانات بدرجة تسمح بتجهيز المقايسات الخاصة بتكاليف انشاء الطرق والكبارى والمنشآت الأخرى اللازمة لتقدير هذه التكاليف وكذلك التصميمات اللازمة لتقدير نفقات السد والانتفاع بمياه البحيرة .

٤ ــ تعهدت الشركة بأن تجرى أعمالها وفقاً لرغبة وزارة الأشغال وستكون الخطط التى سيسير عليها العمل بموافقة مندوب الحكومة المصرية ليتسنى لها الوقوف أولا بأول على جميع الأعمال ومناقشتها ومرافقتها أثناء السير فيها جملة وتفصيلا .

ومرافق للتقرير صورة من هذا الكتاب والشروط التى تعهدت الشركة أن يتم العمل على مقتضاها . وهى غاية فى الدقة وفى الاحتفاظ للحكومة المصرية بالرأى الأعلى فى هذه المباحث أولا وآخراً

وقد أثار بعض حضرات أعضاء اللجنة موضوع عدم حاجة مصر لهذا الخزان الآن فأجابت وزارة الأشغال بأن ذلك صحيح فى الوقت الحاضر وأن مصر لن تحتاج لهذا الخزان قبل ١٥ سنة ، غير أنه يجب ألا يغيب عنها أى عمل أو تدبير يتعلق بالنيل ـ وهو حياتها ـ ولذلك فهى من الآن تشترك فى المؤتمرات وتقوم بالانفاق على دراسة إقليم البحيرة وما جاورها حتى تكون واقفة على جميع الأعمال

والاجراءات الخاصة بالنيل ومنابعه ، ومحيطة بكل ما يتصل بكيانها حتى اذا ما جاء الوقت المناسب قامت بانشاء الخزانات التى تلزم لرخائها ورفاهية أهلها .

وقد احتفظت مصر فى اتفاقية النيل سنة ١٩٢٩ بحقها المطلق فى السيطرة على مياه النيل الأزرق وأن يترك ايراد النهر جميعه فى مدة معلومة من السنة لمصر وحدها ، كما اعترفت حكومة السودان بحقوق مصر فى المياه التى تخزن فى خزان جبل الأولياء ، والا تعمل حكومة السودان فى حوض النيل شيئاً الا اذا وافقت عليه الحكومة المصرية . وفى هذا من الحيطة واتقاء الطوارىء ما يجعل البلاد مطمئنة على حقوقها المائية فى المستقبل .

وقد بدا للجنة أثناء دراستها للمشروع أن تحوطه برغبات تدور كلها حول تحقيق أقصى ما يمكن من الصالح لمصر وهى ان اشتراك مصر فى عمل هذه المباحث وقيامها بمصاريفها لا يترتب عليه بحال من الأحوال تعهد من قبلها للشروع فى العمل إلا فى الوقت الذى تراه ملائما لمصلحتها وأنه عند ما تشرع الحكومة بصفة نهائية فى هذه الأعمال يجب أن يتوافر لديها من الضمانات ما يحفظ حقوق مصر فى السيطرة والرقابة الفعلية على الأعمال التى تقوم بها ، وان جميع الأعمال الانشائية من أولها الى آخرها يجب أن تكون خاضعة لعلم رجالها الفنيين واطلاعهم ومصادقتهم عليها ، مهما كانت جنسية المقاول الذى يعهد اليه العمل ، كما يكون للحكومة المصرية حق الاشتراك فى وضع التصميمات والموافقة عليها قبل تنفيذها . كما أن السودان فى مقابل انتفاعه بجزء من المياه المخزونة يجب عليه أن يتحمل نصيبه النسبى فى النفقات ، سواء ما تعلق منها بالمباحث والانشاء أو ما يستتبع ذلك من الترميم والصيانة

وقد وافقت اللجنة على الاعتماد فى حدود الرغبات السالفة . أما الأقلية فلم توافق على فتح الاعتماد بدعوى عدم الحاجة اليه فى الوقت الحاضر ، وان اقتنعت بالمبدأ والفكرة السائدة فيه . اهـ .

هذا ماورد فى تقرير اللجنة المالية لمجلس النواب سنة ١٩٣٣

وثائق ملحقة بالتقرير

وقد رأت لجنة المالية اتماماً للبحث واستقصاء للدراسة أن تثبت بعض الوثائق الهامة المتصلة بهذا الموضوع وهى :

تعليمات للمندوبين

١ — على المندوبين أن يوضحوا أن لاحاجة لمصر ولا السودان للمياه فى

الوقت الحاضر ولكنه مع ذلك فان المشروع يهمهما .

٢ — ترغب الحكومة المصرية أن تتم أعمال المباحث الهندسية حتى يمكن أن تعرف تكاليف الأعمال الاجمالية ويهمها بنوع خاص الوصول الى دراسة النقط الآتية :

(ا) امكان رفع منسوب المياه بالبحيرة بمقدار ٥ر١ متر بدون الحاق أى ضرر

(ب) التخطيط النهائى وتكاليف الطريق من أديس أبابا الى البحيرة .

(ج) التخطيط وتكاليف طريق يوصل البحيرة بحدود السودان بالقرب من الروصيرص .

٣ - يجب على المندوبين أن يوضحوا جليا أن حكومتيهما لا توافقان على أى مشروع الا اذا تضمن عمل طريق من السودان وليس من المهم أن يكون هذا الطريق صالحاً طول السنة .

٤ - الحكومة المصرية مستعدة لدفع تكاليف هذه المباحث .

٥ - لا مانع أن يوافق المندوبان على أن تقوم شركة وايت الهندسية بعمل المباحث ولهما أن يطلبا أن تكون حكومتاهما على اتصال مباشر مع الشركة لتقرير النقط الفنية فى المباحث إذا تراءى لهما ضرورة ذلك

٦ - تكاليف المباحث المطلوبة تقدر بنحو ١٢٦ر٠٠٠ دولار ولا يدخل ضمن هذا المبلغ تكاليف مباحث الطريق للسودان وتكاليف هذا الطريق لن تكون جسيمة حيث أن المصاعب الهندسية محصورة فى من الطريق

٧ - يجوز أن تبلغ تكاليف المباحث بما فيها الطريق للسودان ١٢٠ر٠٠٠ دولار وللمندوبين أن يوافقوا على أن تتحمل مصر قيمة هذه التكاليف في حدود هذه القيمة

٨ - تكاليف المباحث التى تمت وقيمتها ٨٠ر٠٠٠ دولار سبق أن دفعت مقدماً إلى جلالة الأمبراطور بناء على طلب جلالته الخاص ودفعت من جلالته إلى شركة وايت الهندسية وإذا رغب جلالته فى اتباع هذه الاجراءات فليس للمندوبين أن يعارضوا فى ذلك . وقد طبع نموذج خاص لهذه العملية فى بنك انجلترا

وهذا نص المذكرة من المندوبين المصرى والسودانى :

١ — قام مهندسو شركة وايت بأعمال جمة قيمة سواء من حيث الأعمال المساحية فى أتيوبيا أو الدراسات فى نيويورك وتقريرهم فى ذلك عظيم القيمة

٢ ــ ومن سوء الحظ أن قلت حاجة العالم إلى المحاصيل كالقطن وغيره فى ثلاث السنوات الأخيرة وندر وجود المال وزادت أيضا قيمة الدولار الأمريكى زيادة عظيمة ولذلك ليس من المتيسر إنشاء سد على بحيرة تانا فوراً

٣ ــ ولكن من المرغوب فيه أن تقوم شركة وايت باعداد مشروع نهائى وتقدير التكاليف بعد عمل أبحاث أخرى فى بحيرة تانا وفى مسألة الطريق إذ لم يكن لدى المهندسين عندما كانوا فى أتيوبيا منذ عامين الوقت الكافى لدراسة هذا المشروع دراسة وافية .

٤ ــ ومن المرغوب فيه على وجه خاص معرفة ما إذا أمكن تخفيض تكاليف الأعمال ويمكن الوصول إلى ذلك بالطريقتين الآتيين :

أولا ــ يمكن رفع منسوب الماء فى البحيرة ارتفاعاً قليلا إذا ماوجد المهندسون أنه ليس ثمت ضرر من ذلك

ثانياً ــ يمكن جلب المواد اللازمة للعمل إلى البحيرة من السودان إذا ماوصل الطريق من أديس أبابا إلى الروصيرص الواقعة بالسودان .

٥ ــ لذلك يراد أن يفحص المهندسون ثانياً الطريق من أديس أبابا ومناسيب البحيرة ويبحثون أيضاً عن طريق إلى الروصيرص .

عبد المجيد عمر ر . م . ما كريجور

وهذا نص رد حكومة الحبشة على مذكرة المندوبين :

ايماء إلى اقتراح القيام بدراسة أخرى لمنسوب المياه فى بحيرة تانا والطريق من أديس أبابا إلى بحيرة تانا ومد هـذا الطريق من بحيرة تانا إلى الحدود تميل حكومة أتيوبيا الامبراطورية ـ بدون تحديد أياً كان لحقها فى تقرير ما تبدو لها مناسبته فى المستقبل ـ إلى الموافقة على هـذا الطلب بشرط أن يقوم مهندسو شركة هوايت بالدراسة الأخرى المقترحة على حساب المقترح كما هو الحال حتى الآن ويدفع إلى شركة هوايت بواسطة حكومة أتيوبيا الامبراطورية . وأنه يجب على شركة هوايت أن تسرع فى بدء الدراسة الأخرى المقترحة وتعد مشروعاً نهائياً وتفاصيلا للأعمال وتقديراً للنفقات . وبعد اتمام الدراسة تستلم الحكومة الامبراطورية التقرير وتبعث بصورة منه

ختم وزارة الخارجية الأتيوبية .

(هروى)

ترجمة كتاب شركة وايت الهندسية بنيويورك

القاهرة فى ٢١ مارس سنة ١٩٣٣

حضرة صاحب المعالى وزير الأشغال العمومية

بعد المباحثة بين معاليكم وحضرة صاحب العزة حسين سرى بك وكيل الوزارة وبيننا ، أتشرف بأن أتقدم بالاقتراح الآتى للعمل بصفة مهندسين استشاريين لمعاليكم والقيام بأعمال المساحة الخاصة ببحيرة تانا فى سنة ١٩٣٣ كمندوبين عنكم .

والغرض من المساحة المذكورة وتقديم تقرير عنها هو كما يلى :

مسح وتحديد الطريق المزمع إنشاؤه بين أديس أبابا وبحيرة تانا بالحبشة .

مسح وتحديد الطريق المزمع إنشاؤه بين بحيرة تانا وحدود السودان

إتمام المباحث التى تحصلنا عليها للان الخاصة ببحيرة تانا وعمل دراسة أخرى للمناسيب حول البحيرة وعلى الجزائر وفى السهول المجاورة ودراسة حالة المعابد والقرى الواقعة على الشواطىء والجزر حيث تبين أنها ستتأثر بمناسيب المياه التى وقع الاختيار عليها لأعمال الضبط .

وستكون أعمال المساحة والتقرير وافية البيانات بدرجة تسمح بتجهيز المقايسات الخاصة بتكاليف انشاء الطرق كما أنها ستشمل على تصميمات الكبارى والانشاءات الأخرى اللازمة لتقدير قيمة تكاليف السد والانشاءات اللازمة للانتفاع بمياه بحيرة تانا ، ويتضمن التقرير المقايسات الخاصة بالطرق والسد والانشاءات الأخرى على بحيرة تانا

وسنقوم بانتخاب المستخدمين اللازمين لهذا العمل واعداد المعدات اللازمة لفرق المساحة وارشادهم إلى خطط العمل كما أننا سنتفق مع معاليكم أو مع مندوبكم الذى ترخصون له بذلك على خطط العمل أثناء سيره حتى يتسنى لنا تحقيق رغباتكم فيما يختص بالطرق المراد فحصها وبمدى أعمال المساحة الواجب عملها حتى من وقت لآخر ويمكنكم مناقشتنا ومراقبتنا ويمكنكم الالمام بما يقوم به هؤلاء المستخدمون مدى تفاصيل الأعمال أثناء سيرها .

وسندمج نتائج بحثنا فى تقرير مطبوع يحتوى على خرط ورسومات وسترسل صور منه لحكومة الحبشة لتوزيعها

وجميع ما تبرمه من العقود وتصدره من الأوامر وكذلك جميع الالتزامات ستكون باسم شركة وايت الهندسية بالنيابة عن معاليكم .

وستقوم مصلحة المحاسبة والمكاتبة فى مكتبنا بنيويورك بتجهيز البيانات الخاصة بسير العمل ، أما فيما يختص بسجلاتنا وحساباتنا والمستندات التى لها علاقة بهذا العمل والمبالغ التى ستصرف بموجب هذا الاتفاق فتكون تحت تصرف مندوبكم المرخص له لفحصها ومراجعتها .

وسندفع من الاعتمادات التى ستضعونها تحت تصرفنا مقدما دفعاً لنا وللآخرين نظير خدماتهم ، وكذلك لمشترى الأدوات والجهازات والمصاريف العارضة

وفيما يلى خلاصة المقايسة الخاصة بتكاليف العمل واتعابنا كمهندسين استشاريين للحكومة المصرية وهذا يتضمن الأتعاب الخاصة بقيامنا بالعمل المبين فى هذا الاتفاق

خلاصة المقايسات

	دولار
أعمال فى بلاد الحبشة	٦٩٧٥١ر٠٠
نقل المستخدمين والأمين عليهم من والى أمريكا (رئيس وأربعة مهندسين)	٦٤٠٠ر٠٠
مهندسو مكتب نيويورك القائمون بتجهيز الرسومات واللوحات والبيانات الهندسية	١٦٠٠٠ر٠٠
طبع وتجليد التقرير الخ	٤٠٠٠ر٠٠
تلغرافات ومتنوعات	١٠٠٠ر٠٠
الجملة	٩٧١٥١ر٠٠
مصاريف إضافية لمكتب نيويورك بواقع ٣٥ فى المائة	٣٤٠٠٢ر٨٥
	١٣١١٥٣ر٨٥
اتعاب المهندسين الاستشاريين (بما فيها الخدمات ومصاريف نائب الرئيس فى مؤتمر سنة ١٩٣٣)	٣٨٠٠٠ر٠٠
	١٥٩١٥٣ر٨٥

وقد قام جناب المستر نيوهاوس بفحص هذه البيانات وملحق مع هذا صورة المقايسة التفصيلية التى صار تحضيرها بالاشتراك مع المستر نيوهارس وبذلك انخفضت قيمتها عن المقايسات السابق تقديمها

وعند قبول معاليكم لهذا الاتفاق تقومون بدفع مبلغ ١٥٩ر١٥٠ر٠٠ دولار لدفع قيمة المصاريف والخدمات التى ستقوم بها من حساب قيمة العمل على أن يدفع لنا هذا المبلغ بوساطة حكومة الحبشة

وسنضيف لحسابكم من وقت لآخر الفوائد على الرصيد الشهرى للمبالغ التى تدفع مقدماً حسب ما قد يضيفه مصرفنا بنيويورك على رصيد الودائع الشهرية

وهذه التكاليف قابلة للزيادة والنقص بمعدل ١٠ فى المائة متى أستدعت ذلك ضرورة إتمام العمل على الوجه الأكمل . وتدفع لنا الزيادة حسب ماهو مدون بعاليه عند إتمام التقرير كما أن كل وفر سيصير إعادته لكم كما هو مبين فى هذا الكتاب

وعند إتمام التقرير سندفع لمعاليكم الاعتمادات التى ستبقى من المبالغ التى دفعت لنا مقدماً بعد خصم المبالغ المرخص لنا بدفعها بموجب هذا الاتفاق

ومن المفهوم أنه عندما توافق حكومتكم على هذا الاتفاق ستفيدوننا تلغرافيا حتى يتسنى لنا أن ننتهز أنسب الفصول للقيام بالعمل المطلوب فى بلاد الحبشة .

وهذا الاقتراح يقوم مقام الاقتراح السابق تقديمه منا ـ ونرجو معاليكم إذا لم يكن هناك ثمة حاجة لبيانات أخرى التكرم بافادتنا حتى يتسنى لنا العودة إلى نيويورك وانتظار أوامركم . وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام

٢٣ مارس سنة ١٩٣٣

رخصت لى حكومة السودان بالاتفاق

ما كريجور ه . لاردنر

نائب رئيس شركة وايت الهندسية الأمريكية

وهذه صورة رد الحكومة المصرية على شركة وايت الأمريكية

جناب المستر ه . لاردنر

نائب رئيس شركة وايت الهندسية بنيويورك بالقاهرة

أتشرف بأنى أفيد جنابكم اننى تسلمت خطابكم المؤرخ ٢١ مارس سنة ١٩٣٣ وبه التفصيلات التى تقترحونها بخصوص الأعمال اللازمة لخزان بحيرة تانا والشامل للمقايسة عن تكاليف الأعمال ومقدار أتعابكم .

ويظهر أن المعلومات التى يحتويها كافية لأن أتقدم لمجلس الوزراء والبرلمان للحصول على التصديق اللازم للاعتمادات للسير فى العمل .

ويلوح لى أنه لا يوجد ما يدعو لاطالة إقامتكم بالقاهرة حيث أننى لا أشك أنكم سترسلون تلغرافيا أية معلومات ترى لازمة لزيادة الايضاح

وسنفيدكم تلغرافياً بما يستقر عليه رأى مجلس الوزراء والبرلمان سواء أكان هذا الرأى بالموافقة أو عدمها

وزير الأشغال العمومية

قرر مجلس الوزراء فى ٢٩ مارس سنة ١٩٣٣ إنشاء خزان بحيرة تانا ، وأرصد له فى ميزانية السنوات الخمس المقبلة مبلغ ٣ ملايين و ٥٠ ألف جنيه تنفق على إنشائه

نشر كاتب فى جريدة « البلاغ » المقالات الآتية فى سبتمبر سنة ١٩٣٤ :

بحيرة تانا وجزرها المقدسة

أقام كاتب هذه المقالات عدة سنين فى القنصلية البريطانية بدنجيلا - شمال غربى الحبشة ، فأتيحت له فرص قلما تتاح لغيره لكى يرى بحيرة تانا الجميلة من وجهات مختلفة وعلى جميع اتجاهات البوصلة ، وقد سافر الكاتب فى رحلات رسمية فرأى هذه الأربعين ميلا من الماء فى مناسبات عديدة كما أنه دار حولها تماما مرتين . وهناك سائحون أوروبيون آخرون رأوا هذه البحيرة من اليبس ، فمن الطبيعى أن تكون الجزر المتعددة - التى تقع أحيانا على ثلاثة أميال من الشاطىء - مثيرة لطلعة السائح ، ومن السائحين القليلين الذين زاروا الجزر فعلا سنكر الذى صنع هذا سنة ١٨٨١ وخلف لنا أحسن وصف وان كان يعوزه التمام لأنه لم يستطع الحصول على اذن بالنزول إلى تلك الجزر التى تقوم عليها أهم الديور مثل داجا . ويقول سنكر فى تفسير هذا أنه لم يتمكن من زيارتها لأن أحداً لا يسمح له بذلك إلا أن يكون راهبا متنسكا لكون هذه الجزر تعتبر أرضاً مقدسة

كان مشروعى أن أدور حول البحيرة فى الماء وأزور كل جزيرة وكل كنيسة ودير فيها وكذلك ما كان منها على الشاطىء ومعنى ذلك كله أننى أقطع مايتين وعشرين ميلا ، والظاهر أن هذه كانت الطريقة الوحيدة التى يجب أن أتبعها حتى لا يغيب عنى شىء له أهمية نظراً لعدم وجود خرائط دقيقة أو أى شىء سوى كتابات ضئيلة فى الموضوع

وتاريخ الكنيسة الحبشية يحوى أشياء كثيرة ذات قيمة للباحث فى تاريخ المسيحية الأولى التى دخلت البلاد فى سنة ٣٧٠ أو حوالى تلك السنة على يد فرومنتيوس الذى أصبح أول رئيس لأساقفة اتيوبيا على نفس الصورة التى أدخل بها القديس أوغسطين المسيحية إلى انجلترا السكسونية بعد هذا التاريخ بمائتين وستة

وعشرين عاماً وأصبح أول رئيس لأساقفة كنتربورى .

ولم يقترب الخطر قط من انجلترا ولكن فى حكم الامبراطور الحبشى لبنا دنجل (١٥٠٨ — ١٥٤٠ م) فتحت البلاد واستولى عليها تماماً فاتح مسلم هو محمد جراف جاء إليها من بلاد عدل الصحراء المنخفضة القريبة من البحر الأحمر وهى الأرض التى تقيم فيها الآن قبائل الدناقلة

ورغم أن ابن لبنادنجل وخليفته استطاع أن يجلى المسلمين عن البلاد فان كل الكنائس والديور فى طول البلاد وعرضها نهبت وأحرقت فذهبت بذلك المكاتب التى حوت من المخطوطات والكتب ما لايقوم بثمين مع نسخ يونانية وعبرية بل وربما كانت أصولا من الكتاب المقدس وسفر الرؤيا

ومن ثم يبدو أن المكاتب التى ربما تكون نجت لابد وأن تكون باقية فى ديور الجزر فى بحيرة تانا لأن موقع هذه الجزر بعيدة عن الشاطىء هو الذى حال بين الجيوش الاسلامية الظافرة وبين تناول هذه الآثار. وأحد أغراض رحلتى أن أرى المكاتب وإن لم يكن لدى وقت للخوض على محتوياتها . والأمر الثانى اننى أملت فى أن أحصل على بعض الروايات المتواترة التى تتصل بتابوت العهد فى معبد سليمان بأورشليم الذى يتمثل كل كنيسة بالحبشة .

وعلاوة على هذا فاننى كنت أنظر إلى زيادة المعلومات العامة فى الجغرافيا وعلم الحيوان والطيور والأسماك والحيوانات الثديية التى تسكن الجزر وما يحتمل من معرفة شىء عن قبيلة الوايتو ومنها الرجال الذين يصنعون زوارق الغاب التى يسيرونها فى البحيرة ، وكذلك أملت فى أن أعلم شيئاً عن عمق البحيرة

وبعد أن تمت كل الاستعدادات للرحلة وحصلت على إذن الامبراطور هيلى سيلاسى اصطحبت ترجمانى وسرت فى قافلة من البغال فى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٢ متجها نحو شواطىء البحيرة مسافراً بطريق ضفتى نهر أباى الصغير وهو أكبر مصدر يمد البحيرة بالماء ولا تزال ثلاثون ميلا منه غير مرسومة

وأهم ما كشفته هنا بحيرة مستديرة أصلها بركانى وربما كانت قائمة على فوهة بركات يبلغ قطرها نصف ميل وتسمى تنجيتى بركات وقد استطعت الآن أن أرسمها على الخريطة هى وتفصيل سير النهر . وفى ٢٩ نوفمبر وصلنا الى ليجومى على الشاطىء الجنوبى لبحيرة تانا وهناك قابلنا على موعد بعض رجال الوايتو مع ثلاثة من زوارقهم المصنوعة من الغاب . وأول ماسافرنا فى الماء اتجهنا نحو الغرب لنشاهد تكون مصب

نهر أباى الصغير . ذلك النهر بفعل الرواسب كون رأسين عاليين من الطمى كل منهما على ضفة وقد أصبح طول كل منهما يمتد ميلين فى البحيرة . والواقف فى البر لايمكنه أن يرى نهايتهما لانهما محجوبان بأعشاب البردى الطويلة . وكذلك رغبت فى أن أصل الى مكان مغطى بالغابات يقال له موكال لزيارة زعيم . واقتضانى هذا سفر يوم طويل على خلاف ما أفهمنى رفاقى من الوايتو وقد عدنا من هذه الرحلة والظلام مخيم فى بحر هائج ووصلنا الى خيامنا منتصف الليل مقرورين جائعين وبعض منا به وعكة خفيفة من سفر البحر

عند ما كانت المباحثات دائرة منذ ثلاث سنوات فى مسألة خزان بحيرة تانا حرصت حكومة الحبشة على أن لايمس تصميم الخزان بالديوره والكنائس الموجودة فى تلك البحيرة أو حولها . فلا نعلم هل يغرق الخزان عند انشائه بعضاً منها ؟ لان تفاصيل تصميمه لم تنشر بعد . وقد اطلعنا الآن على مقال فى جريدة التيمس للميجر شيسمان عن تلك الديورة والجزر التى زارها أخيراً . وهذا بعض ماجاء فيه : —

« رأيت مياه بحيرة تانا التى تبلغ مساحتها ٤٠ ميلا مراراً متعددة فى أثناء رحلاتى للقيام ببعض المهام الرسمية وطفت البحيرة كلها مرتين ورآها كثيرون من السياح الأوربيين من الشاطىء فلا شك أن جزائرها العديدة التى يقع بعضها على بعد ثلاثة أميال من الشاطىء تستلفت أنظار السياح . وفى طليعة السياح الذين كتبوا رسائل شائقة عن البحيرة « ستيكر » فقد زارها سنة ١٨٨١ ولكن رسالته ناقصة لأنه لم يستطع أن يزور الجزر التى بنيت فيها الديورة المهمة كجزيرة داجا وقد قال أنه لم يزرها لأنه لا يجوز لاحد أن يطأها سوى النساك إذ هى جزيرة تعتبر مقدسة

وقد وضعت نصب عينى أن أطوف البحيرة كلها وأن أزور كل جزيرة وكل كنيسة وكل دير فيها . وكذلك الكنائس والديورة الموجودة على الشواطىء وهذا الطواف يستغرق ٢٢٠ ميل . ولم يكن لى بد من ذلك لكى أقف على كل شىء لأن البحيرة ليس لها خرائط دقيقة ولم يكتب عنها إلا القليل

ويحتوى تاريخ الكنيسة الحبشية على أمور كثيرة تهم الذين يدرسون تاريخ المسيحية فى عهودها الأولى . وقد أسسها فرومنتيوس نحو سنة ٣٧٠ وكان أول رئيس أساقفه للحبشة كسان أوغسطين الذى جاء بعده بنحو ٢٢٦ ونقل المسيحية إلى انجلترا السكسونية وأصبح أول رئيس أساقفة لكنتربورى

« ولكن محمد جران وهو قائد مسلم عظيم خرج من الأراضى التى تحتلها الآن قبائل الدناقل فتح الحبشة وأخضعها لسلطانه فى عهد الامبراطور لبنادنجل (سنة ١٥٠٨ - ١٥٤٠) ولكن ابن ذلك الامبراطور أخرج المسلمين من بلاده وكانت الحروب المتوالية سبباً للاحراق والتخريب الذى أصاب جميع الكنائس وذهب طعم النار كثير من الكتب والمخطوطات . ونسخ أو أصول من الكتب المقدسة بالعبرية واليونانية . فان كان قد نجا شىء من المكاتب فهى المكاتب الموجودة فى الديورة إذ كان من الصعب على الفاتحين أن يبلغوها وهم لم يكونوا مجهزين بالزوارق ولا يجيدون استخدامها فكان من جملة أغراضى من رحلتى أن أبحث عن تلك المكاتب وأن أدون تقاليد الناس وعاداتهم وما يروونه من تابوت العهد الذى أخذ من هيكل سليمان فى القدس وهو التابوت الذى تمثله فى كل كنيسة من كنائس الحبشة اليوم نسخة مقلدة من الصندوق الذى يحتوى على الألواح الحجرية التى نزل بها موسى من جبل سيناء . ويروى الأهالى أن منليك الأول جاء بالتابوت الأصلى من القدس إلى الحبشة ويقال أنها الآن موجودة فى كاتدرائية أقسوم ولكننى سمعت أنه نقل عند ما وصل إلى جزيرة فى بحيرة تانا على أننا ليس لدينا دليل مادى أو مستند يدل على أن تابوت العهد نقل إلى الحبشة ولكن لابد من أن يكون لدعوى كنيسة الحبشة الخاصة بالتابوت شىء من الصحة ويظهر أن اليهود لم يعودوا يعرفون شيئاً عنه بعد انقضاء مدة على اختفائه وآخر ما ذكر عنه هو فى الفصل الثالث من سفر أرميا فى التوراة فى العدد السادس عشر

ثم أن فى تلك الجزائر أشياء كثيرة تدعو الى الاهتمام وتتعلق بالجغرافيا والحيوان والطيور والأسماك وذوات الثدى وقد يمكن أن يعرف المرء شيئا عن قبيله وايتو التى تصنع الرمث من القصب لاستخدامه كالزورق فى البحيرة . وخطر لى أن أعرف شيئا عن أعماق البحيرة

وقد أكملت عدتى للقيام بهذه الرحلة وحصلت على اذن من الامبراطور هيلا سلاسى وسافرت فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٢ إلى البحيرة يصحبنى ترجمانى وقافلة من البغال وتتبعت فى طريقى ضفاف نهر أباى الصغير الذى يصب فى البحيرة ولم يرسم نحو ثلاثين ميلا من قسمه الأسفل على الخريطة بعد . وأهم ما اكتشفته فى طريقى بحيرة مستديرة ذات أصل بركانى إن لم تكن فى الأصل فوهة بركان وهى تسمى « بركة تنجيتى » ويبلغ قطرها نحو كيلو متر واحد فرسمتها على الخريطة هى والقسم الذى لم يرسم من النهر

وفى ٢٩ نوفمبر وصلنا إلى ليجومى على شاطىء بحيرة تانا الجنوبى والتقينا هناك ببعض رجال قبيلة وايتو الذين جاءوا الينا بثلاثة أرماث فاتجهنا أولا إلى الغرب لنرى مصب نهر أباى الصغير

وفى اليوم التالى ذهبنا شرقاً بالأرماث وبلغنا جزيرة باك التى هى أكبر الجزر فى البحيرة وتكاد تكون مستديرة وقطرها ثلاثة أميال وهى مسطحة ولا تزيد أعلى نقطة فيها على ثلاثين قدما فوق سطح الماء والبعوض كثير فيها وتبدو من البر كأنها أرض مكسوة بالغابات ولكنها ليست كذلك لأن ثلاثة أرباعها ستستخدم للزراعة وفيها كثير من الأشجار الكبيرة ومعظمها من أشجار التين المسماة « ورقة »

وقيل لنا أن فى الجزيرة خمس كنائس فزرنا اثنتين منها وعندذلك مرض الترجمان فلم يكن لى بد من التوقف عن الرحلة والعودة به مسافة خمسة أيام إلى منزله ثم سافرت نحو اسبوعين إلى جلابات على حدود السودان للبحث عن ترجمان جديد فجئت به وعدت لاكمال رحلتى مخترقاً فى طريق أقاليم لم ترسم على الخريطة واجتزت أعالى أنهر رهاد ودندر وبالاس وهى من روافد النيل وتحققت أن المراكز التى أعطيت لها على الخريطة مملوءة بالخطأ وقد رسم نهر بالاس فى موضع يبعد ثلاثين ميلا عن موضعه الحقيقى .

وعدنا إلى جزيرة داك فى ٩ مارس لنكمل رحلتنا فى البحيرة فزرنا الكنائس الثلاث الباقية . ولكل كنيسة قرية تحيط بها ويسمح للنساء بالاقامة فى الجزيرة . والعمل الوحيد الذى يعمله الأهالى هو الزراعة . وتكثر فى الجزيرة الأشجار التى من نوع التين وفيها زهور ونباتات مختلفة ورأينا فيها جرذان الحقول وأمسكنا اثنين من نوعين مختلفين لكى يساعدانا على درس عمر الجزيرة . وتحيط بالجزيرة نباتات من القصب وقد وجد الأهالى فيها أفاعى عظيمة وقتلوا سبعاً منها

* * *

زرنا جزيرة جبران الواقعة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحيرة وفيها كنيسة باسم الملاك جبريل وقبر للأمبراطور تكلا جيمنوت (سنة ١٧٠٦ - سنة ١٧٠٨) : والكنيسة قائمة على ١٢ عموداً من الحجر فى شكل مستدير ولها جرسان أحدهما من الحجر الأصم والآخر من الخشب وهناك أيضا جرس من النحاس عليه كتابة باللغة الجعزية . ويتولى رياسة الدير راهب شيخ يشغل منصبه منذ ٤٥ سنة ، وقد أرانا من الكتب بقدر ما سمح لنا الوقت ، ولا شك أن فى

مكتبة دير اكريت كثيراً من الكتب التى تستحق البحث ، وقد نقلت كتب عديدة من الكنائس المجاورة فى البر إلى هذه الجزيرة فى أزمنة الاضطرابات لجعلنا فى مأمن .

وبعد ذلك عبرنا المنطقة التى يمر بها النيل الأزرق خارجا من البحيرة وفيها أغوار يحجبها البردى . وقد تساقطت عليها حمم بركانية تألف منها سد طبيعى غير مجرى النيل الأزرق القديم فتألفت من هذا السد بحيرة تانا ورأينا الماء يجرى من شلال شارا ـ شارا فوق ذلك السد الذى يضبط مستوى مياه البحيرة

وعلى الشاطىء الشرقى صف طويل من الجزائر التى لم يكن لنا بد من زيارتها وأولاها وأهمها جزيرة ريمه التى فيها كنيسة مضحانى عالم . ومن الكتب التى وجدناها فيها كتاب يحتوى على أسماء الملوك من آدم إلى منليك الأول فملوك زغوه ولعل القائمة تتصل بالملك الحالى . فلم يسمح لنا الوقت إلا بنقل جزء منها فنقلت الجزء الذى يبدأ من منليك وينتهى بملوك زغوه . ووجدت كتابا آخر اسمه تاريخ مريم ولكن لم أجد فيه تاريخاً ووجدت صوراً مثلثة الاضلاع كان التكوين والفن فى بعضها حسناوهى رسوم العذراء مريم وطفلها يوسف .

ونصبنا خيمة على فم نهر غماره لكى نستطيع أن نخصص يوما كاملا لزيارة جزيرة تانا قرقوس وكنت قد سمعت من الناس حكايات عن تلك الجزيرة جعلتنى أتوقع اكتشافات جديدة فلم يخب أملى . وقد اصطدنا هناك أضخم سمكة وقد بلغ وزنها ٢٨ رطلا ، ويروى الناس حكايات عن وجود حيوان بحرى عظيم فى البحيرة فأعلنت أننى أدفع جائزة عظيمة لمن يصطاد حيواناً كهذا ويأتى به إلى فبادر الأهالى إلى الاصطياد . ولكن لم يستطع أحد أن يحصل على الجائزة .

وتتصل جزيرة تانا قرقوس بالبر بطريق صخرية فى زمن هبوط البحيرة فتصبح كأنها شبة جزيرة ويقال أن تابوت العهد بقى فيها مدة طويلة عند ما جىء به من القدس قبل نقله إلى أقسوم . ولكن لم أجد فى المخطوطات ولا فى المراجع الموثوق بها مايؤيده هذه الرواية . ويقال أيضا أن أول كاهن لهيكل الكنيسة هو عزرا بن صدوق رئيس كهنة أورشليم فى عهد سليمان وأنه رافق منليك الأول عند ما جاء بتابوت العهد . ورأيت وعاء من المعدن كتبت عليه كتابة سيئة يبلغ طول الحرف فيها قيراطاً . وعلى مقربة من الكنيسة ثلاثة أعمدة من الحجر فى حجم مستدير على شكل المذابح اليهودية وعليها عصا الكهنوت التى جاء بها فرومنتيوس وفى رأسها صليب

وقد أسس الكنيسة ابراها واسبيها الملكان اللذان حكما معاً ولكن السر واليس بدج يظن أن المقصود هو عزانا ملك اقسوم الذى اكتشفت كتاباته باليونانية والاثيوبية والسبئية وترجمت . وروى فيها أخبار انتصاراته وشكر آلهته عليها ولكنه سلم فى حكاية حملته الأخيرة بان رب السماء الموجود فى السماء وعلى الأرض والذى هو أقوى من أى شىء موجود قد ساعده . ولم يذكر عزانا أسماء آلهة أخرى . فكانت هذه الرواية سببا للحكم بان عهد ملكه كان فى أول عهد دخول المسيحية الى الحبشة

على أن اكتشاف كنيسة أسسها ابراها واسبيها فى جزيرة تانا قرقوس وثلاثة مذابح يهودية يعلوها صليب ووعاء عليه كتابة سبئية لا يمكن أن يكون مصادفة واتفاقا . وفى هذه الجزيرة كتب يجب أن يفحصها رجل اختصاصى . واحدها نسخة من « كتاب الأسرار » وقال ناقلها عن نفسه أن اسمه جبريل ولد بطريق وانه كتب هذه النسخة فى دبره قدوس حيث يوجد دير عربى يدعى دير انطونيوس سنة ٩٨٣ بعد الشهداء . وقد ترجمت من اليونانية الى العربية وبقيت باللغة العربية ٣١٥ سنة ثم ترجمها سليق الى اللغة الجعزية . ويقول الرهبان أن جزيرة تانا قرقوس كانت تسمى دبره ساحل يوم كان اليهود هناك . وبما أن ليس لدينا دليل على أصل اسم ذلك الدير كان من المحتمل أن هيكل بحيرة تانا سمى باسم النجم كانوبوس الذى يسمى بالعربية سهيل .

ورأينا فى الجزيرة التالية التى زرناها وهى شقلا منزو خرائب لقصر الامبراطور أياسوس الذى قتل هناك سنة ١٧٠٦

ثم اننا زرنا جزيرة مطرحه التى تبعد نصف ميل عن البر وأقدم كنيسة فيها أسسها الامبراطور داود الأول ولكن احمد جران أحرقها وهناك كنيسة أخرى بناها يوحنا الأول ونهبها الدراويش فى أيام الخليفة وهى الآن خراب ولم نجد أى تاريخ على الكتب التى رأيناها .

وسرنا عدة أيام حول الجانب الشمالى الشرقى من البحيرة وعلى طول الساحل الشمالى وبلغنا شبه جزيرة جرجره وهى أرض جبلية يلوح أن يدى الغزاة لم تصل الى الديورة التى فيها وعلى مقربة منها . ووجدنا كنيسة فى دير اسمه دير سيناء على طرف الجانب الشرقى وفيها بعض الكتب . ويقع دير مندبه جنوبى جرجره وهو

مبنى على صخر مشرف على الماء ولعله اكبر دير فى البحيرة لأن فيه ١٥٠ راهبا وتحيط المنازل والغرف بالكنيسة التى تسمى كنيسة مضجانى عالم . وقد سمح لى بزيارة الرهبان فوجدتهم يعيشون فى صوامع حقيقية ويطالعون الكتب المقدسة فلم أشأ أن أتعرض لكنيستهم وتأملاتهم

وفى جزيرة جليلة التى تبعد ميلين فى البحر دير من النوع ذاته واستقبلنى الرهبان فى الديرين بكل لطف وبشاشة

وزرت فى البر قصر الامبراطور سوسينيوس الصينى (١٦٠٧ - ١٦٣٢) وقد بناه الراهب البرتغالى بيدرو بايز وهو من رهبان الجزويت الذين أرسلوا الى الحبشة فى القرن السادس عشر . ولا شك أن حكاية تيههم ومتاعبهم وآلامهم وتمسكهم بعقائدهم تحمل كل من يقرأها على الاعجاب بهم والعطف عليهم . أما قصر جرجره فهو الآن خرب ومهجور ولكن ما بقى منه يكفى للحكم بأنه كان رائعاً ويبلغ علو جداره الرئيسى ٧٠ قدماً وهو ما زال قائما . وعلى الجدار الداخلى أنواع من النقوش

وبعد تجول فى البحيرة دام ١٥ يوماً تلفت أرمائنا فلم يكن لنا بد من إصلاحها فانتهزت هذه الفرصة وذهبت شمالا للتثبت من أخبار وصلت إلى عن وجود بركان ثائر فى شلجة ، ولكننى لم أجد سوى نبع معدنى منبثق من صخر يسيل منه ماء كبريتى تملأ رائحته الجو

وبعد ما أصلحت أرمائنا توجهنا إلى الناحية الشمالية الغربية من البحيرة ثم إلى الساحل الغربى الذى هو أقرب نقطة إلى السودان ، وكان الدراويش قد سحقوا تلك الأقطار سحقاً فلم يتركوا فيها حجراً على حجر لكى يعرف المرء أين كانت الكنائس القديمة قائمة ولكن أسماءها باقية

ثم إننا ذهبنا إلى الساحل الجنوبى وبلغنا أن المكان الذى بدأنا رحلتنا منه فتركت الأرماث الثلاثة لرجال القبائل الذين استأجرتهم ونقدتهم أجورهم وعدت بقافلتى إلى دنجيلة

وفى اليوم التالى عدنا إلى البر بالطريق التى قدمنا منها ثم سرنا فى الماء حول الشاطىء وكنا رتبنا أن نلتقى بقافلتنا فى نقطة معينة وهو ترتيب نجح تماماً على طول الطريق حول البحيرة

وكانت ثانى جزيرة زرناها جزيرة كبران فى الزاوية الجنوبية الشرقية لبحيرة

تانا وفيها دير كنيسة بنيت تذكاراً للملاك جبريل وفيها قبر للامبراطور تقلاهيمانوت سنة (١٧٠٥ — ١٧٠٨ م) . وهذه الكنيسة محمولة على دائرة مؤلفة من اثنى عشر من الأعمدة الحجرية الضخمة وفيها ناقوسان وهناك كذلك ناقوس من من النحاس الأصفر منقوش عليه كتابة باللغة الأتيوبية القديمة . ورئيس هذا الدير راهب هرم مضى عليه خمسة وأربعون عاماً وقد أرانا من الكتب مالو صرف وقت كبير فى استيعابه لعرض على الباحث جهده ودقته ، وكثير من هذه الكتب جاءت من الكنائس القريبة لتودع فى كنائس الجزيرة حتى تكون بمنجاة فى زمن الاضطراب .

ثم اجتزنا المنطقة التى يقع فيها مخرج بحيرة تانا محجوباً بين البرك فى مكان مغطى بنبات كثيف من نبات البردى المرتفع . وقد كونت المواد البركانية خزاناً طبيعياً يعترض المجرى القديم للنيل الأزرق مكونا بحيرة تانا ، وعند شلال شاراشارا ينساب الماء فوق الحاجز بما يحفظ مستوى الماء فى البحيرة .

وكان علينا أن نزور شيئاً طويلا من الجزر على الساحل الشرقى ، وأول ما يستحق الالتفات الخاص هى جزيرة ريمه التى بها كنيسة مدهانى علام وبين الكتب وجدنا سجلا مدونا به أسماء الملوك من أدم إلى منليك الأول حتى ملوك زاجوى وفى الغالب إلى الزمن الحاضر ، ولم يكن الوقت متسعا لاستقصائهم جميعا ولكننى نقلت أسماء الملوك من منليك الأول إلى ملوك الزاجوى وعثرنا بين الكتب على كتاب فى « تاريخ مريم » ، ولكننا أخفقنا مرة أخرى فى العثور على تاريخ .

وقد رتبت أن أقضى يوماً كاملا فى جزيرة تانا كركوس . إذ جعلتنى رؤيات الأهالى أتوقع اكتشافات ولم يخب أملى فقد أمسكنا هناك سمكة كانت أكبر ما صدناه فى البحيرة إذ كانت سمكة من نوع الهر زنتها ٢٨ رطلا . وبحيرة تانا كغيرها من البحيرات لها حكاية تتعلق بوحش يسكنها وقد ترامت إلى قصص عنه من كثيرين من شهود العيان حتى أننى عرضت جائزة كبيرة لأى من رجالى أو من الناس الذين يعيشون حول البحيرة إذا أمسك بواحد منه وأحضره لى . وكان الاتفاق العام على أنه سمكة فى مثل حجم الرجل يقال لها سورز ، واستمر الصيد عدة أيام فتوقعت أن أكون أول من يسجل أن سمك « لاتس نيلوتيوس » يسكن

بحيرة تانا . فهذا النوع من السمك يوجد فى النيل الأزرق عند سفارو الخرطوم حيث ينمو إلى أن تبلغ زنة الواحدة أكثر من مائة رطل . ولقد ظللت أنتظر طويلا ولكن الجائزة بقيت ولم يطلبها أحد .

وجزيرة تانا كركوس جزيرة صغيرة تتصل الآن بالبر بمجاز من الصخر بحيث يمكن للانسان فى شهور التحاريق أن يصل إلى الجزيرة بغير أن تبتل قدماه . ولعل أدق وصف لها أنها شبه جزيرة . والحقيقة التى يسلم بها الجميع أنها كانت فى زمن غير بعيد (بل وعلى أى حال فى زمن أحمد جران) محاطة بالماء من جميع الجهات ولم يكن يمكن العبور اليها إلا فى الزوارق وهذا ما حماها من تخريب الغزاة والفاتحين

وأول رئيس لكنيسة تانا كركوس أو على الأصح كاهن المعبد فى تلك الجهة يقال إنه أزارياس بن زادوك رئيس كهنة أورشليم أيام سليمان ، ويقال إنه قدم إلى البلاد صحبة منليك الأول . وبقرب الكنيسة ثلاثة أعمدة حجرية فى قمتها هبوط مستدير على هيئة أكواب هى بلا شك المذابح القديمة للقرابين العبرية .

ومؤسسا هذه الكنيسة أبرهة واسبيها وهما ملكان حكما معاً ولو أن هذا لا يمكن التحقق منه . واكتشاف كنيسة فى تانا كركوس أسسها أبرهة وأسبيها وثلاثة مذابح عبرية يعلوها صليب وأخيراً طاس عليه نقوش بلغة سبأ ، كل ذلك لا يمكن أن يكون تطابقاً . وفى هذه الجزيرة كذلك توجد كتب لابد وأن يستوعبها رجل متوفر على البحث منقطع له . ويقال أن واحداً من هذه الكتب نسخة من كتاب الأسرار : ويقول الكاتب أنه جبريل والد أباتريك وأنه كتبه فى دير أقادوس ، وهو دير عبرى يقال له انطونيوس فى سنة ٩٨٢ من تاريخ الشهداء ، وقد ترجم من اللغة اليونانية إلى العربية وبقى باللغة العربية ٣١٥ سنة وبعد ذلك ترجمه سليك إلى اللغة الأتيوبية . وقال الرهبان إن جزيرة تانا كركوس كانت فى أيام وجود الاسرائيليين هناك تدعى دبرا ساهل . ومن الممكن (مع عدم وجود أى دليل على أصل الاسم) أن المعبد الذى ببحيرة تانا يمكن أن يسمى باسم النجم كانوباس الذى يسمى فى بلاد العرب باسم سهيل .

والجزيرة التالية ـ شكلا مانزو ـ تحوى خرائب قصر الأمبراطور أياسوس الذى قتل طبقاً للسجلات فى سنة ١٧٠٦ م

بحيرة تانا من الوجهة الاقتصادية

تقع بحيرة « تانا فى غرب الحبشة ، ومساحتها ٣٥٠٫٠٠٠ هكتار وترتفع ١٨٠٠ متر عن سطح البحر ، وهى مستودع كبير للماء ، الذى يخرج منها إلى السهول التى حواليها ، من روافد ومجارى صغيرة ، وممكن أن تروى مليون هكتار ، ومناخها معتدل ، ومنطقتها أغنى مناطق الحبشة خصوبة : وعقد منليك ملك الحبشة سنة ١٩٠٢ مع انجلترا اتفاقاً بأن لا يبنى بالنيل الأزرق سدوداً بغير اتفاق مع انجلترا

وعقد بين إيطاليا وفرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٦ على توزيع المنافع الاقتصادية بينهن ، فتقيم انجلترا سداً بالبحيرة . وتقيم إيطاليا سكة حديدية من الحبشة إلى ارتيريا والصومال غرب أديس أبابا وفى سنة ١٩٢٥ عقد بين انجلترا وإيطاليا اتفاق جديد تأييدا لاتفاق سنة ١٩٠٦ . والنزاع الحبشى الايطالى يدور فى الواقع حول هذه البحيرة والانتفاع بها .

وقرر مجلس الوزراء بجلسته فى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٥ الموافقة على برنامج الأعمال الجديدة فى الوزارات المختلفة لمدة خمس سنوات

ومن ذلك الذى أقره مجلس الوزراء مشروع بانشاء خزان على بحيرة تانا والأعمال المرتبطة به . وقدر لمشروع تانا مبلغ ثلاثة ملايين وخمسين ألف جنيه موزعة على خمسة أعوام تبتدىء من العام الحالى بمبلغ مئة الف جنيه وفى العام الثانى بمبلغ خمسين الفا ومئتى الف جنيه وفى الأعوام الثلاثة الباقية بمعدل تسع مئة الف جنيه فى السنة

وعرضت ايطاليا أن تتفاهم مع انجلترا على مسألة الخزان . ولا تزال المباحثات بين مصر وانجلترا مستمرة .

الفصل الرابع والعشرون

الزراعة فى السودان

كان سكان السودان يعتمدون على محاصيل الصمغ السمسم وريش النعام والماشية والذرة وكانت الزراعة متقطعة وتعتمد على هطول الأمطار ، ولكن دراسة منابع النيل ومجاريه وأراضى السودان دراسة علمية أدى إلى الاتجاه فى الاعتماد على تخزين الماء فى خزانات وتوزيعه فى ترع للتوسع الزراعى ، وكان للآمال الكبيرة التى عقدت على إمكان هذا التوسع ما ترتب على ذلك من اهتمام الانجليز بالسودان واتجاههم إلى استعماره واستثماره وتقوية نفوذهم فيه وإضعاف نفوذ مصر شيئاً فشيئاً

أنواع الأراضى الزراعية

الأرض المطرية : التى ترويها الأمطار ، كسنار والقضارف وكردفان ودارفور والبحرية — التى يرويها النيل

فصول الزراعة

١ — الدميرة : فصل الفيضان من ١٥ بؤونة ويدوم ٣ شهور

٢ — الشتوى : من ١٥ توت ويدوم ٦ أشهر

٣ — الصيفى : فصل التحاريق مدته ٣ شهور

ويستعملون وابورات الرى الكبيرة فى الزراعات الكبيرة كمزارع المهدى وكونتوميخلوس وابراهيم عامر وكفورى

والساقية والشادوف والطبوزية والنورج — كما فى مصر ولهم آلات خاصة بهم مثل السلوكة — وهى عصا طويلة كالصولجان ذات رأس عريض به وتد طوله شبر تغرز فى الأرض ويضغط الوتد عليها

والواسوق — عصا طويلة فى رأسها لوح عريض مثقوب من طرفيه

والملودة — عصا معقوفة فى رأسها حديدة

والمنجل — مسنن كالمنشار

والمنتاب - كالفأس
والحشاش - كالفأس

المزروعات

الذرة وهى أنواع : الفتريتة والكرتى فى السودان الشرقى وأم قرظ والصفرا والمقد وعيش الريف وهو الذرة الشامية .

والدخن : ومن الذرة والدخن يصنع شراب الماريسة أو البوزة

والقمح والشعير والسمسم والقطن ، وكان ممتاز باشا أول من أدخله ، وأصبح أكثر القطن المزروع فى السودان من السكلاريدس . وتزرع الخضر : كالباميا وتسمى الويكة والشطة والباذنجان واللوبيا والقرع والطماطم والملوخية والبصل والثوم والكرنب واللفت والبقدونس والفجل والكوسا والبطاطة والفلفل . وتزرع الفواكه المعروفة فى مصر إلا أنها قليلة ولذلك يعتمدون على برتقال يافا

المساحات المزروعة والبور

بلغت هذه المساحات فى سنة ١٩٣٣ و١٩٣٤ : - ٧١٤ر٧٣٢ فدانا ، من ذلك ١٧٥ر٧٣٤ زرعت قطناً ، و ٢٠ر٥٤٥ فدانا لوبيا ، و ٨٧ر٧٤٥ فدانا ذرة ، و ٤٣٠ر٦٠٨ فدادين تركت « بورا »

مشروع الجزيرة

جاء فى تقرير اللورد كتشنر عن الحالة فى السودان سنة ١٩١٣ (١)

« جاء (حقل التجارب الزراعية) فى الجزيرة بنقطة الطيبة فجنى محصولا جيداً جداً من القطن ومحصولا جيداً من القمح والذرة . وهو يعلم الأهالى الطرق الزراعية الحديثة وهم شديدو الرغبة فى تعلمها

جاء وفد من قبل جمعية زراعة القطن البريطانية وكان تقريرهم عن القطن السودانى وخصوصا قطن الطيبة حسناً جداً وسيكون لنصائحهم واقتراحاتهم قيمة عظيمة وقد نشر المستر شمدت والمستر شتز من أعضاء جمعية الغزالين الدولية تقارير أخرى حسنة بهذا الشأن .

وكان محصول القطن الذى جنى من الأطيان التى أرويت أحسن بكثير من محصول السنة الماضية وتحسن نوع القطن تحسناً بيناً وخصوصاً فى طوكر . وزيدت وسائط الحلج بانشاء معملين جديدين له

(١) راجع الفصل السادس من الجزء الثالث من هذا الكتاب

ولعله يفيد أن أذكر هنا خلاصة تاريخ مسألة زرع القطن فى السودان فأقول أنه منذ سنوات رأى موظفو الحكومة وغيرهم من ذوى الاطلاع على أحوال هذه البلاد أن فيها أراضى واسعة الأطراف تصلح لزرع القطن المصرى اذا استوفت حقها من الأرواء والاعتناء

فاستمالت هذه المسألة التفات غزالى لانكشير وهؤلاء وجهوا نظر الحكومة البريطانية لتحقيق المساعدة المالية المطلوبة لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ والاجراء

والفضل الأكبر فى إدراك هذه الغاية للسير وليم ماذر وهو كما لا يخفى ممن زار السودان غير مرة وأحد أعضاء لجنة كلية غوردون وقد طالما أبدى أشد الارتياح إلى تقدم الأقطار السودانية وتوفير أسباب عمرانها وارتقائها . وفى أثناء إقامته فى الخرطوم تحقق بالاختبار شدة صلاحية السودان لانتاج القطن وفى شهر اكتوبر سنة ١٩١٠ ألقى خطبة فى منشستر كان لها أكبر تأثير فى توجيه التفات الجمهور إلى هذا الأمر المهم

ومن ذلك الحين اتجهت أفكار تجار القطن فى لانكشير إلى السودان وأصبحت هذه المسألة موضوع اهتمام جمعية زراعة القطن البريطانية فعقدت النية على إرسال وفد إلى السودان لايفاء هذه المسألة حقها من البحث والتمحيص ولشدة أهميتها عرض المسترج . أرثرهتن رئيس الجمعية أن يرأس الوفد فجاء ووضع تقريراً مطولا عن زيارته أبدى فيه كل ما ذاع عن هذه المسألة . وبعد رجوعه إلى انكلترة قابل وفد كبير حكومة جلالة الملك وطلبوا اليها بالحاح أن تضمن قرضاً ينفق على إعداد السودان لزرع القطن »

* * *

وجاء فى خطاب السر أدوارد كوك محافظ البنك الأهلى المصرى بالقاهرة فى اجتماع الجمعية العمومية السنوية للبنك سنة ١٩٣٥ تحت عنوان « مستقبل الجزيرة »

« أما فيما يختص بالمستقبل القريب لمنطقة الجزيرة الهامة التى تستنفد معظم رؤوس أموال السودان المقترضة ، فان محصول القطن الحالى جيد ، وهناك دلائل قاطعة على أن أبحاث الخبراء المضيئة قد نجحت أخيراً فى تخفيف أضرار الحشرات والأمراض التى كانت فى السودان ، أكثر من أى أقليم آخر مبعث متاعب لاتحصى كما أن التوسع المشاهد فى السنين الحالية فى زراعة القطن على ماء الأمطار فى جبال

النوبة وكردفان بناء على تشجيع الحكومة تحت أشرافها ومراقبتها ، هو تطور اقتصادى يبشر بمستقبل ذى بال » اه

زراعة القطن

أصدر أخيراً مجلس إدارة جمعية زراعة القطن البريطانية تقريره وقد استعرض فيه زراعة القطن فى جميع أنحاء الامبراطورية البريطانية فى أثناء السنة الماضية ١٩٣٤ وسجل زيادة جديدة فى محصول البلدان التى تنتج القطن عدا الهند



حقول القطن فى السودان ـ حركة الحنى

ويقول التقرير أن الكميات التى استهلكها العالم من القطن المزروع فى البلدان التى ليست ضمن الامبراطورية البريطانية تزيد على ما استهلك من القطن الأمريكى فى المدة نفسها بدليل انقاص المساحات المزروعة قطناً فى الولايات المتحدة الأمريكية وتقييد المحصول الذى تم حلجه

وعلى ذلك ينبغى أن لا تكون هناك مشقة فى ايجاد سوق للاقطان التى انتجتها الامبراطورية بالنسبة إلى ما يجده القطن الأمريكى على شرط أن تبذل البلدان التى تنتج الأقطان أقصى جهدها لتكفل وحدة النوع والشحن

وتحسنت واردات القطن الخام من الهند كثيراً نظراً لزيادة العراقيل التى قامت

فى سبيل التجارة الدولية والجهود التى تبذلها لجنة لانكشير لترويج القطن الهندى والتى من شأنها أن تثبت مركز الهند فى أسواق العالم

وتقدر المساحة المزروعة قطناً فى الهند فى موسم ١٩٣٣ بـ ٣٣ مليوناً و ٤٠٨ آلاف فدان والمحصول بـ ٤ ملايين و ٣١٨ ألف بالة فى الموسم السابق

وانتعش محصول السودان فى سنة ٩٣٣ — ٩٣٤ بعض انتعاش بالنسبة إلى ما كان عليه فى الموسم الأسبق ولكن محصول أوغندا هبط عن أقصى حد بلغه فى سنة ٩٣٢ — ٩٣٣

وتبذل الحكومات ذات الشأن فى أجزاء أخرى من أفريقية جهودها لتنمية الانتاج بقصد التخفيض من تأثير الأسعار المنخفضة الذى أدى إلى زيادة المحصول والمحصول الناتج من زراعة القطن فى السودان وأوغندا معاً يزيد دائماً على المحصول الناتج من جميع الخمسة عشر بلدا من بلدان الأمبراطورية مجتمعة ولذلك يكون لمحصول هاتين المنطقتين الأثر الكبير فى تقدير المحصول العام للامبراطورية .

وأشار التقرير إلى محصول القطن فى هذا الموسم فقال إن محصول السودان وأوغندا سيزداد زيادة هامة لأن الحالة تحسنت فى كلا البلدين فأنتجا محصولا جيداً من حيث الغلة والنوع

وستتحسن الحالة أيضاً فى تنجانيقا ونيسالاند وبعض المستعمرات والبلدان الأخرى المشمولة بالحماية وسوف لا يكون محصول أوغندا كبيرا كما يرجى ولكن مما لا ريب فيه أن مجموع محصول الأمبراطورية وقد زرع بالجزيرة ١٧٤٠٠٠ فدان يقدر محصولها بمقدار ٧٠٠٠٠٠ قنطار سكلاريدس

تأخذ الشركة الزراعية بالجزيرة القطن وتبيعه وتحلجه فى محالجها وتعطى من الربح ٤٠ فى المائة للمزارع وتتناول الشركة ٣٥ فى المائة والحكومة ٢٥ فى المائة وتترك الشركة المزروعات الأخرى للأهالى

وجاء فى تقرير مصلحة الزراعة السودانية بالخرطوم عن سير موسم القطن فى شهر فبراير سنة ١٩٣٥ ما يلى :-

السكلاريدس :

الشركة الزراعية بالجزيرة - المساحة المزروعة ١٥٦٫٠٤٠ فدان جنى منها لغاية تاريخه ٤٥٢٫٨١٢ قنطار (وزن ٢١٥ رطل) والمقدر لها ٧٠٠٫٠٠٠ قنطار

شركة قطن كسلا ـ المساحة المزروعة ١٩ر١٤٣ فدان جنى منها لغاية تاريخه ٧٣ر٢٠٧ قنطار

توكر ـ المساحة المزروعة ٣١ر٦٨١ فدان جنى منها لغاية تاريخه ٨ر٥٥٢ قنطار ومقدر لها ٤٨ر٠٠٠ قنطار

كسلا ـ المساحة المزروعة ٢٨ر٢١٠ فدان جنى منها لغاية تاريخه ١٧ر٠٠٠ قنطار ومقدر لها ٤٨ر٠٠٠ قنطار

الدويم ـ المساحة المزروعة ٥٠٠ فدان جنى منها لغاية تاريخه ١ر٨٥٠ قنطار ومقدر لها ٢ر٥٠٠ قنطار

مزارع خصوصية ـ المساحة المزروعة ٦ر٣٥٣ فدان جنى منها لغاية تاريخه ١٣ر٧٤٢ قنطار ومقدر لها ٢٢ر٧٠٠ قنطار

فيكون مجموع مساحات السكلاريدس ٢٤١ر٩١٧ فدان والمجنى منها لغاية تاريخه ٨٥٧ر١٦٣ قنطار والمقدر لها ٧٢٣ر٢٠٠ قنطار

الأمريكانى :ـ

المزروع بالرى ـ المساحة المزروعة ١٢ر٤٢١ فدان المجنى منها لغاية تاريخه ٣٠ر٩٦٧ قنطار والمقدر لها ٣٣ر٢٦٦ قنطار

المزروع بالمطر ـ المساحة المزروعة ٩٦ر٩١٦ فدان المجنى منها لغاية تاريخه ١٣٨ر٥٧١ قنطار والمقدر لها ١٣٨ر٥٧٠ قنطار

فيكون مجموع مساحات الأمريكانى المزروعة ١٠٩ر٣٧٧ فدان المجنى منها لغاية تاريخه ١٦٩ر٥٣٨ قنطار والمقدر لها ٨٧١ر٨٣٦ قنطار

وجملة مساحات السكلاريدس والأمريكانى معا ٣٥١ر٢٥٤ فدان والمجنى منها لغاية تاريخه ٧٣٦ر٧٠١ قنطار والمحصول المقدر لها ٩٩٥ر٠٣٦

تقرير مندوبى النقابة الزراعية

ننشر فيما يلى التقرير الذى وضعه حضرات مندوبى النقابة الزراعية العامة فى البعثة وهم حضرات الدكتور يوسف نحاس بك ، والمهندس مصطفى نصرت ، والسيد أحمد أبو الفضل الجيزاوى :

تلقت النقابة الزراعية المصرية العامة فى ٩ يناير سنة ١٩٣٥ كتابا من حضرة صاحب العزة مدير الجمعية الزراعية الملكية يبلغها به أن الجمعية قد عنت باعداد رحلة إلى السودان تبدأ من ٢٦ يناير الحالى وتكون مدتها ٢٢ يوما ونفقتها بجملتها خمسين

جنيهاً مصرياً لكل فرد ويقوم بها نخبة من رجالات الزراعة والصناعة والتجارة المصريين لتمكين الصلات الاقتصادية مع تلك البلاد الشقيقة ويسأل عما اذا كان للنقابة أو لأحد من حضرات أعضاء مجلس إدارتها رغبة فى الاشتراك فى هذه الرحلة.

فكانت هذه الدعوة مما بحث فيه مجلس ادارة النقابة بجلسته يوم السبت ١٦ يناير سنة ١٩٣٥ وبعد التداول فى أمر تلك الرحلة وتبين وجوه الفائدة العامة للقطرين المصرى والسودانى منها قرر أن يندب اثنين من قبل النقابة وعلى نفقتها ليمثلاها فى تلك الرحله وانتخب لهذه المهمة حضرتى صاحبى العزة أحمد حمدى سيف النصر بك نائب رئيس النقابة والدكتور يوسف نحاس بك سكرتيرها العام ثم سئل حضرات الأعضاء عما إذا كان أحد منهم يرغب على نفقته الخاصة فى الانضمام إلى القائمين بتلك الرحلة فأجاب بالاستعداد لهذه المشاركة كل من حضرات أصحاب العزة عبد العزيز رضوان بك وأحمد أبو الفضل الجيزاوى ومصطفى نصرت واسماعيل عبد الرازق بك

ثم اعتذر حضرتا عبد العزيز رضوان بك وإسماعيل عبد الرزاق بك، فأسف زملاؤهما للضرورة التى قضت بتخلفهما، وقبيل موعد القيام من مصر فوجىء حضرة أحمد حمدى سيف النصر بك بوعكة شديدة حالت دون سفره أيضا فكانت لها رنة ألم لم تقتصر على زملائه المسافرين بل اشترك فيها السودان وأهلوه لما له عندهم من مكانة رفيعة ومودة خالصة شائعة (١).

غير أن البعثة لم تصل إلى بور سودان حتى وردتها برقية من سكرتيرية النقابة تطمئنها بأن الخطر قد زال وأن حمدى بك يتماثل للشفاء، على أن غيابه القهرى قد أحدث فراغاً كبيراً ولو كان معنا لكانت الفائدة أعم وأتم

هذا وقد نبدأ الكلام على ماشاهدناه فى رحلتنا يقتضينا الواجب أن نقول أن النجاح العظيم الذى أتيح لها يرجع الفضل فيه إلى الجمعية الزراعية الملكية التى أخذت على نفسها مهمة التمهيد لتجدد الصلات بين القطرين الشقيقتين بعد أن زار حضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك مديرها العام السودان عام أول، ودرس الممكنات وقدرها وأدرك أن من المصلحة الوطنية الكبرى توثيق الأواصر بين الجارين فوجد من حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون أقوى عضد لاخراج هذه الفكره إلى حيز التنفيذ بايفاد هذه البعثة، ولذلك وجب لسموه ولحضرات مدير الجمعية العام وأعضاء مجلس إدارتها الكرام أجزل الشكر وأطيب الثناء

(١) انظر نبذة بترجمة حياة حمدى سيف النصر بك بالجزء الثالث

الحالة الاقتصادية فى السودان

معلوم أن الأمرين اللذين لأجلهما سافرت البعثة هما غرض تجارى وغرض زراعى والمقصود منهما جميعاً توثيق الصلاة الاقتصادية بين مصر والسودان ، غير أننا نرى بمقتضى طبيعة مهمتنا الخاصة أن نقصر تقريرنا فيما يتعلق بالبحث الاقتصادى على كلمة عامة ثم نتجه بتفصيل أوفى إلى البحث الزراعى وهو أدخل فى نطاق أعمال النقابة .

فأما الحالة الاقتصادية فان ما سمحت لنا إقامتنا القصيرة فى ذلك القطر بالوقوف عليها من نواحيها دلتنا على أن مجهوداً كبيراً قد بذل لرفع المستوى الاقتصادى فيه فشهدنا من المعدات التى هيئت له ما يشهد بأن العمل قد جرى على طريقة محكمة جديدة النمط فى نواحى العمران : مثال ذلك أن بور سودان على صغر حجمه قد جعل من أصلح الموانى وأحدثها نظما ، وأن السكك الحديدية متوافرة فيها أسباب الراحة لا تستثنى منها درجة رابعة خصصت لنقل الطبقة الفقيرة من السودانيين فقط ، وأن تخطيط القرى فضلا عن المدن قد روعى فيه أن تكون الطرق متسعة والمبانى مشيدة على مايلائم الجو السودانى من ارتفاع الأسقف وتصميم المساكن مما لوحظ به خاصة أن تكون لكل منزل واجهة بحرية وأخرى قبلية وذلك لأن الهواء فى الشتاء يأتى من الشمال ، أما الهواء الرطب فيأتى فى الصيف من الجنوب نظراً لتكاثر الأمطار فى الجهة الجنوبية ، وجميع مبانى العمال وكثير من المبانى الأخرى كالاستراحات جعلت جملونية مستديرة لغزارة المياه التى تجود بها السماء.

على أن الذى يسترعى الباحث الاقتصادى هو ما يقوم فى وجه التعمير من عقبات أخصها قلة اليد العاملة وضعف الانتاج المادى والفكرى فى ستة أشهر من السنة يشل فيها القيظ المحرق والهبوب والسموم والتقلبات الجوية العنيفة كل حركة ومن تلك العقبات الحاجة إلى المال فهى بادية بشكل واضح ، وقد كان للازمة العالمية تأثير كبير فى مرافق البلاد الاقتصادية وبالتالى فى موارد الحكومة التى لم تستطيع موازنة دخلها مع خرجها إلا فى عام ١٩٣٣ وفى عام ١٩٣٤ ، وقد اضطرت إلى تقليل عدد الموظفين الانجليز وغيرهم ، وتخفيض مرتبات الآخرين تخفيضاً ذا بال ، وكان من جراء ذلك طبعا ومن جراء إحال الحاصلات الزراعية وأخصها القطن فى معظم أعوام الأزمة أن ثبطت العزائم إلى حد ما وتعطل المضى

فى تنفيذ ما كان مرسوماً من البرامج لانهاض البلاد اقتصادياً وزراعياً ، ولا بدع فيما نذكره فان الزارع الذى كد طول عامه فى تلك السنين العجاف لم يكد يحصل على نتيجة يسد بها رمقه عند بيع حاصلاته فما نجم عن هذه الحالة أنها منعت كثيرين من زرع أراضيهم وخصوصاً من زرع القطن فى جهات متعددة

فاذا أضفنا إلى ما تقدم ما منيت به الحاصلات عامة فى أرجاء المعمورة من انخفاض أسعارها ولمحنا جسامة مصاريف النقل فى السودان خصوصاً بين الخرطوم وحلفا وجسامة تكاليف حلج القطن التى تبلغ أربعة أمثالها فى مصر ، عذرنا أولئك الذين فضلوا ترك معظم أراضيهم بائرة .

ولقد صارحنا بعض المسئولين بأن خطة الحذر هى التى يجب اتباعها . لا سيما وأن الطبيعة نفسها تفاجىء البلاد بين وقت وآخر بنكبات زراعية متأتية من احتباس الأمطار أو فرط تدفقها ومن اشتداد الرياح ودرجة حرارتها وما ينتاب الحاصلات من الآفات الزراعية التى يشتد فتكها حين تكون الأحوال الجوية ملائمة لها وهم يرون من ثم ضرورة الاعتصام بتكوين احتياطى مالى لتلك الطوارىء المتكررة ويؤثرون عدم التوسع فى المشروعات إلا بمقدار

فيستخلص مما بين آنفاً أن ظروف السودان الاقتصادية المالية لا اغراء فيها ولا مطمع لرأس مال الماليين إذ أنهم يجدون من المخاطر مالا يشجعهم على توظيف أموالهم فى السودان إلا إذا توقعوا ربحا يزيد على ما يكتفون به فى بلاد أخرى ذات استقرار اقتصادى يطمئنهم على غدهم . وعلة أخرى يجب الايماء اليها هى مسئلة الضرائب وإنها غير ثابتة بل تفرض السنة بعد السنة حسب حالة المحصول . والجارى الآن أن ما يؤخذ من الفدان المزروع هو عشرة قروش .

أما الأمن فمستتب فى البلاد وأن كانت الوحوش الضوارى لا تحترمه فى أحوال جمة . ثم أن السودانيين محبون للنظام فاذا كان فى ذلك شىء من الفضل لأساليب الحكومة فلا جرم أن جل الفضل فيه لأخلاق السودانيين الأصليين الذين يميلون إلى احترام القوانين ورعاية الحدود وهذا إلى ما توسمنا فيهم من صفات الشيم والآباء وما أعجبنا به من معاملة الموظفين منهم للجمهور . ولا نغالى إذا قلنا أنها معاملة يضرب بها المثل . وربما كان لجرى الموظفين الانجليز على نفس هذه الخطة من المحاسنة سبب يستفاد من هذه القدوة بجانب السبب الآخر الذى يخامر الظن وهو تحببهم إلى الشعب .

وما ينبغى لنا أن ننتهى من هذه النظرة العامة فى الحالة الاقتصادية بالسودان من غير أن نذكر ما تأثرت به تلك الحالة على أثر خروج الجيش المصرى من تلك البلاد فان الأهلين أنفسهم يبدون أسفهم لذلك الجلاء الذى حرم ديارهم المنافع التى كانت تصيبها من نفقات ذلك الجيش وكانت لا تقل عن مليون جنيه سنويا فى بلد ميزانيته أربعة ملايين جنيه .

فاذا تبين المصرى كل ما أوردناه من الاعتبارات بقى عليه قبل أن يقصد الى السودان للتملك أو للاشتراك فى عمل اقتصادى آخر أن يحصل على اطمئنان فى ذهابه وإيابه وفى إقامته وممارسته لأعماله هناك .

ولا يتحقق ذلك إلا بان ترفع جميع العراقيل الموضوعة الآن دون دخوله السودان ومكوثه فيه وبعبارة أصرح يجب اذا أريد ارتباط البلدين بربط وثيقة من الوجهة الاقتصادية أن يعامل المصرى فى ذلك القطر من جميع الوجوه كما يعامل السودانى اذا حل فى مصر

أما اذا تفاوتت هذه المعاملة أو وقع أى شرط وقيد دونها فذلك فى رأينا يكون هادماً من الأساس للدعائم التى يقوم عليها استئناف الصلات الاقتصادية ومفسداً لنموها وازدهارها إذ ليس لناصح أن ينصح بتجدد تلك الصلات إلا اذا استوثق من زوال هذه العقبة

الحالة الزراعية فى السودان

بعد هذه النظرة العامة يتعين علينا تفهم حالة السودان من الناحية الزراعية بتفصيل أوفى كما أشرنا . وهذه الناحية ستتناول تعرف طبيعة التربة ووسائل الرى ومسألة اليد العاملة ومسألة النقل وكل أولئك فى المناطق التى زرناها وسنذكرها واحدة واحدة .

١ — (١) منطقة طوكر : مساحتها القابلة للزراعة نحو ٣٥٠ ألف فدان تستمد ريها من نهر بركة الذى يفيض فى شهر يولية أو أغسطس من كل عام فيغمر من تلك الأراضى نحو ٦٠ ألف فدان . وفى العام التالى ينتقل فيضانه تدريجا الى شقة أخرى منها تاركا جانبا مما غمره فى العام الماضى وآخذاً بجانب مقابل من هذه الشقة وهكذا دواليك عاماً بعد عام الى ان ينتهى بارواء الجزء الأخير من المنطقة المذكورة بعد مضى خمسين عاما فى قولهم ثم يعود سيرته الأولى . فجملة ما يزرع فى كل عام من منطقة طوكر لا يعدو ما يقرب من ستين ألف فدان . والاهلون يتبعون فيضان النهر ويزرعون القطن المغمور على الطريقة البعلية لأن مياه النهر لم تضبط فى أقنية

تسمح بالتصرف فيها كما هو الشأن فى نهر القاش الذى سيأتى الكلام عليه .

ومعدن هذه الأرض رملى خفيف جملة ورملى صرف فى بعض النقط وخصبه متوسط ومحصوله من القطن السكلاريدس وهو الوحيد الذى يزرع فيه. تقل كميته ولكن تجود تيلته فى الاغلب . وقلة انتاج الفدان متأتية من وجود كمية من الرمل وفيرة تمتص رطوبة الارض بسرعة وليس هناك وسيلة لسقى الزرع وهو قائم إلا ما تدره السحب . ويلاحظ انه لا يمكن زرع كل المساحة المروية فى كل عام قطنا لانه يتخلل تلك المساحة بقاع رملية صرفة لا تصلح لانباته ففى هذا العام مثلا لم يزرع من الستين ألف فدان التى غمرت سوى ٤٢ ألف فدان قطنا و٧٥٠٠ فدان ذرة وقد أتلف الهبوب والهبباى عشرة آلاف فدان من جملة هذه المساحة فبقى ٣٢ ألف فدان يقدرون محصولها فى هذا العام بنحو خمسين ألف قنطار وهو محصول يعد قليلا . أما محصول الفدان فى الموسم الماضى فلم يزد على $\frac{2}{3}$ القنطار . والزرع هناك على امتداد متر بين الشجيرة والأخرى ليستبق ماء كاف تستطيع الشجيرة أن تمتص منه ما يكفيها ولذلك يكون ارتفاعها من ٩٠ سنتيمتراً الى مترين ونصف متر . والجمع يبتدىء من نوفمبر لغايه يونيه لأن التلقيح يستمر طوال هذه المدة . والزراع هم قبيلة « الهدندوة » التى يسميها الانجليز « فازى وازى » أى أصحاب الشعور المنقوشة وهم شجعان لهم مواقع مشهورة غير أنهم لا يحسنون خدمة الزراعة

وطريقة الاستغلال هى أن الحكومة تقسم الأرض على الأهلين لزراعتها كل سنة وتعطيهم البذرة وعند حلول المحصول تأخذ هى الربع والأهالى الثلاثة الأرباع بعد خصم ثمن البذرة وفيما يتعلق بهذه البذرة يلاحظ أنهم يعطون أردبا واحداً لزرع ٢٠ فدانا فاذا أتلفت العوامل الجوية بعضها فهذا البعض لا يدفع المزارع ما يخصه من ثمن البذرة . ومحصول طوكر يحلج فى محلج دباس بسواكن وينقل إلى ذلك المحلج من سوق طوكر التى تتوارد اليها المحصولات بديكوفيل ممتد منها إلى ميناء سنكات ثم بحرا إلى سواكن .

(٢) منطقة نهر القاش : هذه المنطقة شهيرة أيضا بدلتا القاش ومحطتها أورما . ينبع نهر القاش فى بلاد الحبشة ثم يمر ببلاد الأرترية من جهة تيسيناى حيث عمل الايطاليون خزاناً لزرع بعض الأراضى سيأتى الكلام عنها ثم يهبط فى دلتا القاش بالسودان وفيها أقيمت جسور وحفرت ترع للتحكم فى مياهه وقت الفيضان وتوجيهها إلى أى جزء من الأراضى الصالحة للزراعة بهذه الدلتا . وعادة تبتدىء مياه هذا النهر

بالفيضان فى شهر أغسطس ويبقى جارياً حوالى شهرين بعدهما يجف تماماً . ونظام الرى هو أنهم حفروا المياه فى ترعة رئيسية تتفرع منها ترعة فرعية فى كل سنة يستخدم منها ما تحتاج اليه الأفدنة المخصصة للزرع فى تلك السنة . وطريقة الزراعة هى البعلية ومساحة هذه الدلتا حوالى ٢٦٠ ألف فدان يزرع كل سنة منها حوالى ٥٠ ألفا بالتناوب وفى هذه السنة بلغ ما زرع ٤١ ألف فدان منها ٧٥٠٠ للذرة والدخن والفاصوليا والباقى للقطن وقد تلف من هذا الباقى حوالى ٥٠٠٠ فدان بالعوامل الجوية فيبقى ٢٨ ألفا وخمسمائة فدان زرع فى أغلبها الساكلاريدس وفى سائرها صنف أمريكانى مؤقلم فى السودان اسمه ويبر .

هذه الأراضى تعد من أخصب أراضى الطمية لا أملاح بها إلى عمق مترين ومحصول الفدان منها بين قنطارين وأربعة قناطير تبعاً للسنوات وهو محصول يقل كثيراً عما كان يجب أن تجود به أرض بذلك الخصب ولكن زرعه على الطريقة البعلية وعدم إمكان مده بالمياه فى أوقات افتقاره إليها ، وطروء العوامل الجوية المعاكسة ، وقلة الأيدى العاملة والفلاحين الممرنين ، كل تلك من علل هذا النقص فى المحصول .

ويلاحظ أنه من غير المستطاع عمل آبار ارتوازية لتساعد على الرى لأن طبقات الأرض فى هذه المنطقة ليس بها عرق مائى يكفى لارواء مساحة كهذه مزروعة قطناً حتى أن المقيمين فى أروما يجلبون مياه الشرب من مسافة ١٩ كيلو متر باستخدام طلمبة ارتوازية صغيرة وهذه المياه تخزن فى فناطيس ويوزع منها على كل مزارع

وقد لاحظنا أيضاً أن شجيرات القطن على مسافات أضيق من المسافات بين شجيراته فى طوكر . والسبب فى ذلك هو أن هذه المنطقة تستطيع أن تحفظ الرطوبة أكثر من تلك فتغذى عدداً أوفر من النباتات

كانت دلتا القاش فى الماضى فى حيازة شركة كسلا الزراعية البريطانية . فلما أنشىء مشروع الجزيرة على النيل الأزرق استبدلت الشركة بأرضها هذه أرضاً فى منطقة الجزيرة وأصبحت الآن دلتا القاش ملكا للحكومة تعطيها للأهالى بحصة قدرها ٤٠ فى المائة لها و ٦٠ فى المائة للأهالى وعليهم فى مقابل هذه الحصة مصاريف الزرع والجنى وثمن التقاوى أما الذرة والحبوب الأخرى التى يزرعونها فكلها تترك لهم .

ومما يجدر بنا ذكره أن القطن الوبير الأمريكى يغل فى السنوات المقبلة وفى بعض النقط الجيدة ٩ قناطير من الفدان

وقبل الانتقال إلى الكلام على منطقة الجزيرة استصوبنا أن نتكلم على جزيرة أبا المملوكة ملكاً حراً للسيد عبد الرحمن المهدى ومساحتها حوالى ٤٠٠٠٠ فدان لسيادته منها ٣٠ ألفاً والباقى لأفراد أسرته

هذه الجزيرة واقعة فى وسط النيل الأبيض وتربتها ذات طمية خفيفة يتخللها الرمل ويزكوفيها الزرع وهى تروى من مياه النيل الأبيض قبلى خزان جبل الأولياء بواسطة أربع مضخات منها اثنتان احتياطيتان قطر كل منهما ١٦ بوصة واثنتان جديدتان قطر كل منهما ٢٢ بوصة تديرهما آلتان قوة كل منهما ٢١٠ أحصنة « ماركة بترس » وتدوران بالغاز الوسخ وهاتان المضختان ومحركاهما حديثة ، رخص لها بالتركيب والادارة فى سبتمبر سنة ١٩٣٣ أى بعد اتفاقية المياه وكلفة الأرواء للفدان الواحد تبلغ ٨٠ قرشاً طول السنة

يزرع فى هذه الجزيرة القطن الساكلاريدس وقد وجدنا منه عند زيارتنا ٣٥٠٠ فدان ستزاد فى العام القابل إلى ٥٠٠٠٠ ثم تتوالى زيادتها عاماً بعد عام ويتوقعون أن يكون محصول الفدان من القطن ٥ قناطير فى هذه السنة ويزرع فى الجزيرة أيضاً من الحبوب ما مساحته ٣٥٠٠ فى هذا العام

والزراع هناك نوعان : المقيمون والمستقدمون ، فالمقيمون وهم من أتباع المهدية يعملون بلا أجر معين مقابل أن يتكلف السيد بنفقاتهم ويربى أولادهم فى مدرسة أنشأها فى الجزيرة لهم وهو يعاملهم معاملة الأب لأبنائه ، وأما المستقدمون فلهم ٤٠ فى المائة من محصول القطن تخصم منها تكاليف الزراعة كافة

أما الطريقة الزراعية فى جزيرة آبا فمماثلة للتى تتبع فى الجزيرة مع فروق بسيطة والرى كل ١٢ يوماً مرة

(٣) منطقة الجزيرة — وتسيطر عليها النقابة الانجليزية المعروفة بنقابة زراعة القطن فى السودان Sudan Cotton Plantaion مساحتها أربعة ملايين فدان تقريباً منها مليون غير صالح للزراعة وقد باشرت النقابة المذكورة زرع القطن منذ ١٧ سنة فزرعت حتى الآن ٧٠٤ آلاف فدان منها فى هذه السنة ١٦٦ ألف فدان كلها سكلاريدس و١٠٠٠٠ فدان زرع فيها قطن جديد اسمه X ١٥٣٠ — وهو

نوع استنبت فى السودان وسط فى الجودة بين السكلاريدس والجيزة ٧٠ ، ولكنه ذو غلة وفيرة وأكثر مقاومة لفتك الآفات

والذى أمكننا معرفته من طبيعة أرض الجزيرة أنها طمى إلى عمق يتراوح بين ٦٠ و ٨٠ سنتيمترا وبعد ذلك طبقة مشبعة بأملاح الجبس Gypson وسلفات الصوديوم وقليل من البيكربونات مما جعلها صلدة لا تستطيع المياه ولا جذور النبات اختراقها . ومما لوحظ عند أناس اتصلنا بهم ممن خبروا عناصر تلك الأرض أن هذه الأملاح تصعد ببطء تدريجى كل سنة إلى سطح التربة وإذا لم تعمل لها مصارف فسيأتى يوم على قولهم تكون فيه الجزيرة غير صالحة للزراعة ونذكر هنا أن الدكتور بولز نفسه يتفق مع هؤلاء رأيا فيما يتعلق بضرورة إنشاء المصارف بالجزيرة إذا ما أريد الاحتفاظ بخصبها . على أن هناك رأياً فنياً لخبراء من المشتغلين فى تلك الجهات مفاده أن عمل المصارف إذا استطيع فعلا لا يكون ذا جدوى نظراً لكثرة الأملاح التى تمنع المياه من اختراق الطبقة السفلى . وهناك رأى مخالف لهذا يجهر به بعض الخبراء الانجليز المشتغلين بالجزيرة ويدافعون عنه بقولهم أنه لا حاجة إلى المصارف فى الجزيرة وأنهم للتثبت منها زرعوا فى حقل تجارب بركات قطعة مساحتها نحو فدان مدة ١٧ عاما متوالية وقد عاينا فيها محصولا يقدر بما يناهز قنطاراً ونصف قنطار فى هذا العام ويفسرون انحطاط محصول الجزيرة فى الأعوام الماضية بقولهم أنه ناشىء من اصابته بالآفات ومن عوامل جوية أخرى مثل تساقط الأمطار الغزيرة بعد الزراعة مباشرة وعلل أخرى

على أن زرع الجزيرة فى هذه السنة مقبل اقبالا ارتاح له أصحابه وقد يخرج الفدان فى المتوسط ثلاثة قناطير أو تنيف قليلا . وكان فى العامين الماضيين ممحلا وفيما قبلهما كان تارة يمحل وتارة يقبل . ولعل سبب ذلك نوع التربة التى يكون قائماً عليها الزرع فى مداولة السنين وليس لنا أن نجزم بصحة هذا الرأى ولكن من المحقق أن هناك عوامل عدة معاكسة : منها التقلبات الجوية . ومنها الآفات التى تنتاب الزرع وتفتك به فتكاً يشتد أو يضعف تبعاً لدرجة الجو لها ونذكر من تلك الآفات (١) مرض الذراع الأسود (black arm) الذى يكون فتكه ذريعاً من كثرة الرطوبة التى تحدثها الأمطار الغزيرة فى أشهر أغسطس وسبتمبر واكتوبر ويقول بعضهم فى السودان - ولم يقم دليل على صحة قولهم - أن هذا المرض نقل إلى السودان من مصر وكان موجوداً فى بذرة الدومين التى أخذت منها التقاوى فى

أحد الأعوام السابقة وهـذا المرض لايفتك بالزراعة فى مصر لجفاف الجو فى يونية ويولية وقلة مياه الرى . ودواؤه عندهم إحراق الحطب أو إتلاف البذرة

(٢) تجدع الورق — Curly leaf وهو مرض يسبب التواء الورق وعجز الشجرة عن النمو . وللتفادى من عوده يحرق الحطب والورق المتساقط

(٣) دود اللوز — ولم يستطيعوا مقاومته إلى الآن كما هى الحال فى مصر . أما رى الجزيرة فمن الترعة الرئيسية المأخوذة من خزان سنار وهى لسقى ٢٠٠٠٠٠ فدان فقط ولا ينتفع بها إلا من الكيلو ٥٧ حيث تتشعب منها فروع لسد حاجة منطقة الجزيرة وجميع الرى بالراحة وبين كل دور وآخر اثنا عشر يوما . ويجرى البحث الآن فى إرواء الأراضى العالية الواقعة قبل الكيلو ٥٧ إما بآلات رافعة أو بعمل حجز على الترعة الرئيسية لتعلية منسوب المياه إن تيسر

وبمقتضى اتفاقية المياه بين مصر والسودان غير مصرح للجزيرة أن تأخذ مياهاً مطلقاً من خزان سنار من ابريل لغاية يولية ما لم تستوف مصر حاجتها من المياه ، وفى الغالب فان الجزيرة لا تحتاج الى المياه فى هذا الوقت والأمطار تنهمر بكثرة فى المنطقة الشمالية . يسقط منها ما يناهز ٣٥ سنتيمتراً فى السنة وفى الجنوب حوالى ٥٠ سنتيمتراً .

ويزرعون فى الجزيرة من الحبوب الذرة . أما البرسيم فلا يجود فيها البتة بسبب الأملاح الآنف ذكرها .

وعدد الزراع قليل وهم سودانيون لا يكفون لفلاحة الجزيرة بأكملها بل يتحتم جلب اليد العاملة له من الخارج .

والأرض توزع على الأهالى كالمتبع فى مصر وعند نضج المحصول تأخذ الحكومة أولا ٤٠ ٪ منه لتسديد قسط قرض مشروعات الجزيرة ثم يأخذ الزراع ٣٨ ٪ يخصم منها مصاريف الزرع وحلج القطن وتصديره لانجلترا والباقى وهو ٢٢ ٪ تأخذه النقابة .

وفى الجزيرة بجوار واد مدنى حقل تجارب يدعى حقل بركات أجريت فيه منذ سبعة عشر عاماً اختبارات متعددة نتيجتها أنه بعد أن كانت الدورة الزراعية كل ثلاث سنوات مرة أصبحت كل أربع سنوات مرة ابتداء من هذا العام

والأرض التى يزرع بها القطن فى عام تزرع بعده إما فاصوليا أو ذرة وتترك بورا سنتين ثم تزرع قطناً مرة ثانية . وقد لوحظ أن الأرض التى تزرع فيها

الفاصوليا تنتج عند زراعتها قطناً فى الدورة التالية أكثر غلة من التى تزرع ذرة .

وجميع الحرث بالآلات تقوم به النقابة على أن تخصم تكاليفه بالضبط وبلا زيادة من حصة الزارع . وبذرة القطن جميعاً يستخرج منها زيتها ثم تجعل كسباً وذلك لتقليل الآفات . ولهذا فبذرة الجزيرة للتقاوى تجلب دواماً إما من مصر أو من منطقتى طوكر والفاش . وجميع قطن الجزيرة يباع فى ليفربول بمعرفة النقابة . وتزرع فى الجزيرة سنوياً مساحة موازية لمساحة القطن من الحبوب مثل الذرة والفاصوليا والمحصول بأكمله يترك للزارع . ويلاحظ أن هذه الحبوب تزرع على مياه الأمطار . ويلاحظ كذلك أن القمح لا يجود فى هذه المنطقة

(٤) منطقة الخرطوم وما حواليها — يوجد بحرى الخرطوم حقل تجارب حكومى يسمى شمباط فيه أخصائيون بعلمى النباتات والكيميا يبحثون فى كل ماهو متعلق بالزراعة من مثل تحسين طرقها واستنبات الأنواع الجديدة منها ومقاومة آفاتها وقد وجدنا ذلك المكتب منظماً تنظيماً يستوقف النظر والقى فيه علينا المستر ماسى العالم الكيمائى محاضرة تناول بها علل القطن واحدة واحدة شارحاً تطوراتها ووسائل علاجها ففهمنا من بيانه أنهم استطاعوا أن يتغلبوا على مرضى الذراع الأسود وتجدع الأوراق : الأول بتحويل البذرة الى كسب بعد استخراج زيتها ، والثانى باحراق الحطب كما ذكرنا آنفاً . وقد ظهر لهم أن القطن المسمى X ١٥٣٠ ذو مناعة طبيعية ضد التواء الورق . والمنتظر أن هذا الصنف من القطن سيكون له المستقبل فى الجزيرة

وشاهدنا هناك بعض الأصناف المصرية الجديدة التى مازالت وزارة زراعتنا تختبرها بعد أن استنبتتها . ومن الأسف أن الـ X ١٥٣٠ لا وجود له فى حقل تجارب وزارتنا وكان يجب أن نجرب أصنافهم كما يجربون أصنافنا . ووجدنا فى الحقل قطعاً شطرنجية زرعت فيها أصناف جديدة يختبرونها ويحافظون على شجيراتها بتغطيتها بملاءات الشاش على الطريقة المعروفة .

ووجدنا أيضا قطعة أرض زرعها نام نمواً عظيماً بحيث لايقدر محصول الفدان بأقل من ٧ قناطير ويا حبذا لو جربت وزارة الزراعة والجمعية الزراعية الملكية هذا النوع فى نطاق واسع وعلى توالى السنين لمعرفة ماتنتهى به التجربة بعد تأقلم هذا هذا الصنف مدة طويلة .

ومما لمحناه أن حقل التجربة هذا متسع بما يزيد كثيراً على مساحة حقل التجارب بالجيزة . وهو يروى بطلمبات تديرها ماكينات ديزل مركبة على صنادل من حديد السهولة نقلها من محطة الى أخرى وهذه الصنادل تعلو وتنخفض مع ارتفاع مياه النهر وانخفاضها . وبهذه الطريقة يقتصد من نفقاتها ما يستطاع لو ثبتت على بناء .

أما الأراضى الأخرى الواقعة بحرى الخرطوم مباشرة والتى يملكها الأهالى فقد زرنا منها مزارع حضرات عزيز كفورى افندى ومستر كونتوميخالوس والدكتور معلوف وابراهيم بك عامر . فوجدنا التربة من الطمى الخفيف ذات خصب فوق المتوسط ووجدنا فى المزرعة الأولى قمحاً يبشر بمحصول جيد جداً ولكنهم لا يزرعون فيها القطن بالنظر لفداحة تكاليف حلجه ونقله ومما تتقاضاه الحكومة من أتاوة عليه مما يجعله غير مربح أسعاره الحالية

وفى الحقول الأخرى قد اقتصروا أيضا على الأصناف الشتوية وتركوا القطن فى هذا العام عدا مستر كونتوميخالوس فقد زرعه . وزرعه دون المتوسط .

وهناك حدائق فاكهة شجرها نام أحسن نمو ولكن قيل لنا أن ثمار البرتقال واليوسفى بالرغم من كبر حجمها ليس لها طيب المذاق الذى للثمار المصرية وذلك أنها تنضج عاجلا بتأثير الحرارة الزائدة .

أما عامة الأصناف الأخرى كالليمون المالح والتين والجوافة والمنجة وخصوصاً الموز فجيدة غير أننا علمنا أن بعض هذه الحدائق تصاب بذبابة الفاكهة ولا يستعملون فيها طريقة العلاج المستعملة فى مصر وهى الرش بالفلوسليكات السوديوم حتى إن بعضهم طلب منا إرسال التعليمات الخاصة باستعمالها وقد اجبناه إلى هذا الطلب .

(٥) العطبرة وبربر — هذه الأراضى من معدن أراضى بحرى الخرطوم تقريباً مع تفاوت قليل وتصلح مثلها لزراعة الحبوب والقطن على ما ظهر لنا وهى ملك لأهالى السودان ولفريق قليل من المصريين .

وتروى هذه المنطقة بالآلات الرافعة وجوها أكثر ملاءمة للزرع نظراً لموقعها الجغرافى .

فى زبداب مثلا مساحة قدرها ٥٠٠٠ فدان يفضل قطنها قطن الجزيرة غلة وتيلة ، وتجود فيها الحبوب وخصوصا القمح فقد يبلغ محصول الفدان منه ٨ أرادب

وعلمنا أن ثمن الفدان الجيد فيها مما يروى من الساقية ١٠ جنيهات . وكثير من أهالى هذه المنطقة يؤثرون أن يستخدموا سفرجية فى مصر والسودان فيحرمون الزراعة من يد عاملة تساعد على ابقائها .

وفى مجموع هذه المنطقة ، المسماة بمديرية الشمال ، يتمتع الأهالى بسعة من العيش بسبب انصرافهم إلى الخدم المذكورة وهم يفحشون فى تعاطى الشاى بحيث أنه أحصى ما يستنفده كل واحد من السكر فوجد أنه (٤٢) رطلا فى العام مع غلاء السكر لاحتكار الحكومة إياه ، فى حين أن البريطانى لا يستهلك من السكر أكثر من (٢٠) رطلا فى السنة . ويحسن أن نذكر هنا أن فى العطبرة عدداً كبيرا من المصريين تستخدمهم مصلحة السكة الحديدية التى جعلت تلك العاصمة مركزها العمومى وفيها ناد كبير للمصريين أكبر من النادى المصرى بالخرطوم .

نضيف إلى ما تقدم أن الدوم مزروع بكثرة فى هذه المنطقة كما أنه يوجد أيضا فى جهات أخرى من السودان ومحصوله يعد من موارد ذلك القطر فان الدوم يستعمل لصنع الازرار فى أوربا وقد أنشىء مصنعان لعمل تلك الأزرار فى العطبرة أحدهما المصرى استوطن السودان والآخر الايطالى . وهذه الأزرار تصدر إلى انكلترا وإيطاليا بنوع خاص حيث تصبغ وتعرض للبيع . ولما كان فى أسوان أشجار من الدوم كثيرة العدد فيحسن أن تتجه الأنظار إلى استغلال ثمارها صناعيا كما هو جار فى السودان .

(٦) تيسينايا فى الأريترية - أما وقد انتهينا من وصف مناطق الزراعة بالسودان فلا يخلو من الفائدة أن نقول كلمة عن منطقة تيسينايا الايطالية فى الاريترية

ذهبنا اليها من كسلا وهى تبعد عنها نحو ٦٢ كيلو متراً : يقوم بزراعة تلك المستعمرة شركة إيطالية يديرها السنيور جاسبارينى الحاكم العام للأريترية سابقاً وهى تروى من نهر القاش حيث أقيم خزان يقال إنه أنفق عليه نصف مليون جنيه وبوساطة هذا الخزان تأخذ تيسينايا المياه بالقدر المتفق عليه بين حكومة السودان والحكومة الايطالية أى أن منسوب المياه إلى حد معين للأريترية وما زاد على ذلك فهو للسودان .

والمساحة التى تسنى لهم زرعها قطناً إلى الآن ٢٥٠٠ فدان يعطى الفدان منها فى هذه السنة (٢ ½) قنطارين ونصف قنطار من الساكلاريدس .

والأشمونى لا يصلح فى هذه المنطقة كما لا يصلح الأمريكى لشدة إصابته بدودة اللوز وقد جرب زرع الأمريكى والسكلاريدى فى قطعة واحدة من الأرض فأصيب الأول بالدودة دون الثانى . ومحصول العام الماضى كان رديئا ومعدن الأرض متوسط الجودة غير أن طريقة الزرع هى البعلية والفرق فى أسلوب الزراعة هو أن

المسافة بين الشجيرة والأخرى ١٣٠ سنتيمتراً تبعاً لتجاربهم . والذى تبيناه أنه أنفق على إعداد هذه المنطقة للزراعة ما لا يؤمل أن تعطيه من الربح ما يتناسب معه مهما جادت .

أما طريقة الزراعة فانهم يوزعون الأرض على الأهالى ويقرضونهم مبالغ على كل عمل من أعمال الزرع حتى إذا ما حل حين المحصول يكون مجموع ما اقترضه كل شخص ٤٠ ليرا عدا ثمن التقاوى وكل ذلك يخصم من حصته التى توازى ٥٠ فى المائة . وهناك محلج للقطن فيه معصرة لزيت البذرة يصنع منه صابون لتوزيعه بالثمن على الأهالى .

أما الكسب فيستعمل غذاء للمواشى أو سماداً للزراعة . والذرة جميعها للفلاح .

ومياه القاش تحصر فى ترع على مثال ما يجرى فى دلتا القاش . ولما كانت المساحة القابلة للزراعة فى هذه المنطقة ٢٦ ألف فدان . فهم يرجون أن يعدوا ٢٥٠٠ فدان أخرى للقطن فى العام القادم

على أن زيادة الأراضى التى تزرع قطناً متوقفة على كمية ما يفيض من نهر القاش سنوياً .

* * *

إلى هنا انتهى بنا وصف ماوقفنا عليه من الحالة الزراعية فى المناطق التى زرناها ونود قبل ختم هذا التقرير لو يسمح لنا بكلمة نزيدها ، هى ، من جهة ، معوان على التقدم الزراعى السريع فى السودان . ومن جهة أخرى قد تكون مرشداً للمصرى الذى يريد أن يمد يده إلى يد السودان لتحقيق هذا التقدم

من القواعد المأثورة التى جرت عليها جميع الأمم حين تعمد إلى تأسيس اقتصادى فى بلد بكر كالسودان أن تمنح كل وسائل المؤازرة والترغيب وفى مقدمتها بالطبع تسهيل طرق الزراعة نفسها ثم توفير وسائل نقل الأنتاج بكلفة قليلة وتشجيع تصديرها إلى الخارج ولو بمنح جوائز للتصدير مازالت تمنح فى كثير من البلدان وقد قلنا أن تكاليف النقل باهظة إلى حد أنها تثنى الأهلين عن بعض مزروعات تجود فى أرضهم لأن تلك التكاليف تحملها مالا تطيق فترخيص النوالين أمر ضرورى وكذلك ترخيص أجرة البريد والتلغراف وتعبيد الطرق لسيارات النقل ومن أكبر المغريات للمصريين على استيطان السودان لغرض زراعى أن توصل البلدان

من الشلال إلى حلفا بخط حديدى علمنا أن إنشاءه لا يصادف عقبات طبيعية كبيرة

ولا ننسى بجانب ذلك ما يكون من شأن لمد الأسلاك التليفونية بين القطرين

ويسرنا أن نرحب كل الترحيب باللجنة الاقتصادية المشتركة التى شرع فى تشكيلها وستجمع من رجالات مصر ومن رجالات السودان خيرة من تناط بهم الشؤون التى ستهتم بها تلك اللجنة ، فانها تستطيع أن تذلل أولا فأولا كل صعوبة تحول دون تنمية صلات البلدين وتقويتها

أما مسألة تملك المصريين بعد أن تكون قد أزيلت جميع العوائق التى أشرنا إليها فى أثناء هذا التقرير فهى مسألة نسبية وتقديرية يرجع فيها إلى رأى كل راغب فى التملك : فقد يكون اقتناء أرض متوسطة الجودة أمراً مربحاً إذا أمكن الحصول عليها بثمن ملائم وأمكن استغلالها باطمئنان واستطاع صاحبها أن يستكثر لها اليد العاملة وهى من كبريات المصاعب فى السودان كما أشرنا آنفاً

وجملة القول أننا ننصح للذين يخطر لهم هذا التملك خصوصاً إذا أخرجت إلى حيز الوجود فكرة إنشاء شركة مصرية سودانية لهذا للغرض أن يكون ما تبدأ به دراسة جميع العوامل الاقتصادية والزراعية فى المنطقة المراد شراؤها فتناط تلك الدراسة باخصائيين يباشرونها محلياً . فاذا تملكت تلك الشركة بعد المباحث الوافية فهى ستفيد المصريين أفراداً بخبرتها المكتسبة من ممارسة العمل وسيتسنى لها أن ترشدهم ارشاداً محكما مأمون العاقبة بالقدر الميسور

وإذا تكلمنا على التملك فلا يفهم مما نرمى إليه أننا نقصد استنبات صنف معين كالقطن بل الذى نراه وننصح به أن يتخير المصريون المناطق الشمالية التى يجود فيها القمح وتعود ذراعته فيها على أصحابه بكسب وافر لا سيما وهو لا يحتاج إلى كثرة من الأيدى العاملة فان هذا الاختيار يفيد مصر كما يفيد السودان إذ يغنى الأول عن استيراد القمحات الأجنبية يوم نجدها فى متناول اليد بالسودان واستيرادها منه يوسع نطاق الصادرات المصرية إليه ، وفى ماذكرناه عن نجاح مزارع القمح التى شاهدناها ما يشجع على درس هذه الفكرة بعناية خاصة

هذا وإنا لنتمنى من صميم الفؤاد لذلك القطر الذى أكرم وفادتنا إكراماً شرح صدورنا وحرك فينا أواصر الود والأخاء القديم ثم زادنا سرورنا بما تبيناه فيه من طيب عنصر الأهلين وتعطشهم للتقدم والرقى أن يخطو خطوات واسعة

فى سبيل الرفاهة والعمران وأن يشترك معه المصريون فى هذا العمل الجليل اشتراكا يعود عليهم وعلى جيرانهم الكرام بالخير الوفير العميم

القاهرة فى ١٠ مارس سنة ١٩٣٥

يوسف نحاس ، مصطفى نصرت ، أحمد أبو الفضل الجيزاوى

مشاهدات عن زراعة القطن فى وادى النيل

تقرير قدمه فؤاد أباظة بك إلى لجنة القطن الدولية المشتركة المنعقدة بالقاهرة فى ١٧ و١٨ و١٩ فبراير سنة ١٩٣٤

ننشر التقرير المذكور المؤرخ فى ١٧ فبراير سنة ١٩٣٤ فيما يلى :

« يزرع القطن فى جميع البلاد التى يمر النيل بها ويقدر ما تنتجه تلك البلاد وهى مصر والسودان وأوغندا والحبشة بنحو أحد عشر مليوناً من القناطير وإذا أضفنا نحو نصف مليون قنطار مقدار ما تنتجه البلاد المتاخمة مثل الكنغو البلجيكى وكينيا والصومال الطليانى والارتريا وهى البلاد المكونة لأفريقيا الشرقية والشمال الشرقى ، لكان الناتج العام نحو ١١٫٥٠٠٫٠٠٠ — حصة مصر فيها نحو تسعة ملايين قنطار هذا العام والباقى وقدره مليونان ونصف تخرجه البلاد الأخرى تنتج الأوغندا منها (٢٦٠٫٠٠٠) بالة أى ١٫٣٠٠٫٠٠٠ قنطار باعتبار وزن البالة فى هذه الأصقاع ٥٠٠ رطل وكلها من النوع الأمريكانى

أما السودان فمحصوله ٧٠٠٫٠٠٠ قنطار . منها ٦٥٠٫٠٠٠ من القطن السكلاريدس المصرى .

وفى الأوغندا يزرع القطن فى مساحات صغيرة مبعثرة على التلال والأحراش الخ ، ومن الغريب أن مجموعها ينتج هذا المقدار الكبير . ولقد قمت بسياحة فى المنطقة القطنية الأكثر أهمية وزرت غيط التجارب فى بوكالاسا الذى لا يبعد كثيراً عن بحيرة كيوجا وهناك يشتغل الاخصائيون فى تحسين صفات القطن أما مستعمرة كينيا فيظهر أنها تجد من زراعة البن والشاى والحاصلات الزراعية الأخرى أحسن مورداً من القطن ، وكذلك الحبشة فان انتاجها قليل . ولا تزال زراعة القطن عند بدئها فى الصومال الطليانى عند جنالى وافجوى على نهر الوبى شبالى وكذلك فى الارتريا عند تسينايا على نهر الجاش

أما السودان المصرى الانجليزى ففيه حركة كبيرة فى أرض الجزيرة على النيل

الأزرق وفى كسلا على دلتا نهر الجاش وفى طوكر على حوض نهر بركة وكل هذه المناطق الثلاثة تزرع القطن السكلاريدس وما بقى من السودان فيزرع القطن الأمريكى .

ويزرع قطن طوكر وكسلا على طريقة رى الحياض بعد فيضان بركة والجاش اللذين لايتصلان بالبحر بل تفيض مياهها الغزيرة فى الفلاة وتعقبهما زراعة القطن

وينبع نهر الجاش فى الحبشة ماراً بالارتريا وقد أقامت عليه الحكومة الايطالية قناطر عند مزرعة تسينايا ثم يمر بكسلا وهناك حفرت ترع رئيسية لتأخذ ماء الفيضان منه ويتفرع منها مسافى كثيرة

وفى سنة ١٩١١ شرفنى جلالة مليكنا المحبوب بالاتفاق مع عظمة المرحوم السلطان حسين كامل أبى الفلاح مؤسس الجمعية الزراعية ورئيسها الأول لزيارة الصومال الطليانى لبحث إمكان زراعة القطن هناك على جوانب مجرى نهر الوبى شبالى — وعند عودتى من هذه الرحلة زرت الارتريا والسودان وكانت اقامة سدود على نهر الوبى شبالى ونهر الجاش والنيل الأزرق مشروعات وأفكار وأمانى

أما فى رحلتى الأخيرة فى يناير وفبراير سنة ١٩٣٤ فقد رأيت أن تلك المشاريع قد حققت بالفعل وزاد عليها جبل الأولياء الذى رأيت العمل فيه قائما على قدوم وساق ، كما رأيت تعلية أصوان قد تمت .

ليس من شأن هذه المذكرة بحث المشروعات الكبرى على النيل من إقامة قناطر وسدود وخزانات . ولكن لا مناص من الاشارة اليها لما لها من العلاقة المباشرة للتصرف فى مياه النيل لانتاج مقادير جديدة من القطن للعالم .

فباقامة خزان سنار على النيل الأزرق (وكان مسمى خزان مكوار) خلفت مساحة جديدة فى الجزيرة مقدارها ٣٠٠،٠٠٠ فدان . زرع منها ٨٠،٠٠٠ قطنا فى سنة ٢٥ — ٢٦ بعد افتتاح الخزان و ١٠٠،٠٠٠ فدان فى موسم ٢٦ — ٢٧ وقد زيدت هذه المساحات من وقت لآخر حتى بلغت الآن ٧٥٠،٠٠٠ فدان منها ١٨٠،٠٠٠ فدان تزرع قطنا هذا العام أى نحو ربع المساحة الجارى ريها والتى ينتظر أن تنتج نصف مليون قنطار . أما مساحة الجزيرة نفسها فتبلغ أربعة ملايين من الفدادين أو أكثر ، وتتعشم حكومة السودان أن تزرع منها ثلاثة ملايين فى النهاية وفى المساحة التى يمكن وصول المياه اليها من الترعة التى حفرت بموازاة النيل الازرق والتى تأخذ المياه مباشرة من خزان سنار ، ولكن زيادة الأراضى

التى تزرع وزيادة مناسيب المياه التى تؤخذ خاضعة لاتفاقات ومراقبة من الحكومة المصرية ولها علاقة مباشرة بكميات المياه التى تخزن من تعلية خزان اسوان واقامة خزان جبل الأولياء وما يتلوهما من مشاريع الرى الكبرى فى بحيرة البرت نيانزا وشق مجرى النيل فى منطقة السدود ومشروع اقامة سد فى بحيرة تسانا فى الحبشة وربما على فيكتوريا نيانزا نفسها فى أوغندا .

لم يمكنى ضيق الوقت من زيارة بحيرة تسانا مع أن الحكومة الحبشية تفضلت بالموافقة على وضع احدى طياراتها تحت تصرفي لتنقلاتى فى الحبشة ولم اتمكن من الانتفاع بهذا العرض الثمين لأنى كنت مرتبطاً بمقابلة لجنة القطن الدولية يوم ٤ فبراير ببور سودان لأقوم بزيارتى للسودان مع حضرات أعضاء اللجنة ولما لم تحضر اللجنة وعدلت عن المجيء ، قمت بالرحلة وحدى مع أسفى وأسف الجهات المختصة بالسودان التى رحبت كثيراً بتلك الزيارة — ومن واجبى أن أقرر مع السرور أن جميع التسهيلات لقيامى بهذه الزيارة ووقوفى على دخائل ما يجرى هناك من التصرف فى المياه الخ وزراعة القطن قد قدمت الى على أحسن وجه مرضى . وأضيف على ذلك أن الرجال الاداريين والفنيين فى منطقة الجزيرة والجاش كشفوا لى عن هصاعبهم عن طيب خاطر وكما ان فى زراعة القطن عندنا مصاعب وآفات وأمراض فعندهم قسطهم منها .

ويظهر أن أحسن قطن السودان هذا العام هو ما تخرجه دلتا نهر الجاش ويأتى بعده قطن الجزيرة ، أما قطن طوكر فقد علمت أنه مصاب اصابة كبيرة بمرض التواء الورق وكلها منزرعة سكلاريدس .

أما الأشمونى والأقطان المصرية الأخرى فلم تفلح زراعتها فى السودان . ودل القطن الامريكى على صلاحية زراعته فى باقى أقطار السودان سواء على المطر أو بالرى ، ولكنه فى الوقت نفسه يصاب بالآفات اصابة خطيرة عند زراعته فى الجزيرة

وينتظر أن ينتج الفدان من السكلاريدس فى أرض الجزيرة ٢و٧٥ قنطاراً فى المتوسط فى مساحة قدرها ١٨٠و٠٠٠ فداناً كما أسلفنا أو نحو نصف مليون قنطار بالتقريب وكذلك مائة الف قنطار أو تزيد فى منطقة الجاش ومائة الف قنطار أخرى من طوكر وباقى السودان .

وهناك آراء متضاربة عن مستقبل أرض الجزيرة ومن المصاعب التى تعترض

زراعة القطن فيها مرض البلاك آرم ومرض التواء الأوراق وهما أشدهما خطورة ويلى ذلك دودة اللوز المصرية والسودانية ودودة اللوز الحمراء ثم الشلل والسوس والحشرة المسماة تربس .

وقد عثر الفنيون على نبات من السكلاريدس فيه مناعة ضد مرض التواء الأوراق أسموه ا كس ١٥٣٠ وسيزرع منه ١٠٫٠٠٠ فدان فى الموسم القادم وينتظر أن تزرع الجزيرة كلها منه فى عام سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦

وقد يتوقف على نجاح هذا القطن الجديد انتعاش الآمال بزيادة متوسط محصول الفدان فى الجزيرة كلها من نصف قنطار الى قنطار .

ويلاحظ أن مرض البلاك أرم موجود فى ترجمته الحرفية الزراع الأسود إذ أن الفروع واللوزات المصابة فى أنسجتها تسود ثم تنشف ويتعطل نبات القطن عن النمو والانتاج

ولحسن الحظ ليس فى مصر أمطار كثيرة كأمطار السودان تساعد على انتشاره ولكن ذلك لا يمنع أن يراقب سير هذا المرض بكل انتباه خشية مالا تحمد عقباه والأمطار فى السودان تنزل بكثرة وغزارة عادة فى يوليو وأغسطس وهو وقت زراعة القطن فى السودان ، فتنتشر الأمراض بمساعدة المطر والرطوبة ويقال ان تفريق الأرض بعد تقليع القطن بآلة خاصة فى شهر مايو تفيد فى قتل المرض وجارى عمل تجارب على ذلك

ويزرع القطن بالجزيرة الآن فى ربع الأرض المنزرعة بدلا من الدورة الثلاثية لتفادى أضرار الحشرات والأمراض الفطرية الخ .

وتظهر الأملاح فى بعض البقاع وعلى جوانب الترع فتشق مصارف سطحية لتصريفها .

أما شق المصارف كما نعرفه بمصر فلا ينفع فى الجزيرة ذلك لأن أرضها طينية ثقيلة لا تتشرب مياهها بسهولة ولذلك لا تنفذ منها المياه للمصارف .

على أن جميع هذه المصاعب يشتغل فى مقاومتها رجال قديرون من مصلحة الزراعة ونقابة زراعة القطن بالسودان من فنيين وإداريين ، وقد أعجبت بالمباحث القيمة المنتجة فى غيط تجارب الجزيرة فى واد مدنى وغيط شمباط فى الخرطوم بحرى وهناك نقط تجارب ومشاهدات أخرى فى أنحاء الجزيرة .

وفى دلتا الجاش غط تجارب قريب من بلدة أروما ، ورأيت فيه مساحة صغيرة

منزرعة من القطن الجديد ا كس ١٥٣٠ وإنه ليلذ للناظر أن يرى مساحة شاسعة من القطن فى دلتا الجاش تبلغ آلافا من الفدادين عليها ثوب الصحة والنضارة خالية من الآفات والأمراض . لويزاتها ما بين مفتحة وخضراء سلمية حتى القمة من أعلى النبات .

ويلاحظ أن زرع القطن فى السودان وأوغندا والصومال والأريتريا يبدأ فى شهر يوليو ويبدأ الجمع فى شهر ديسمبر رويداً رويداً حتى شهر مايو وفى بعض الجهات يمر الجماعون كل اسبوع لالتقاط كل ما يفتح وهذه الطريقة تعطى قطناً نظيفاً متجانس الدرجة كما أنه لا يزرع فى كسلا وطوكر والجزيرة إلا صنف واحد هو السكلاريدس وليس هناك ما نعهده فى مصر من خلط رتب القطن بعضها ببعض لتوليف ما نسميه TYPE تيب . وإنى أهنىء مصلحة الزراعة بالسودان لما أصدرته من القوانين واللوائح لنقاوة بذور التقاوى ومنع خلط أنواع الأقطان ببعضها فى المحالج والمكابس كما قد يحصل أحياناً عندنا فى مصر كخلط السكلاريدس بالبليون والفؤادى أو الجيزة ٧ أو غيرها فى غرفة الفرفرة بالمكابس .

وقد يتساءل إخواننا الغزالون فى لجنة القطن الدولية الممثلة لانجلترا وفرنسا وإيطاليا والمانيا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا الخ ما ذا عملت الحكومة المصرية فى القرار الاجماعى الذى أصدره مؤتمر القطن الدولى فى مصر سنة ١٩٢٧ لمنع خلط أنواع القطن بعضها ببعض فى مكابس ميناء التصدير وجوابنا — هو بعينه ما أعلناه فى مؤتمر بارشلونة فى سنة ١٩٢٩ ومؤتمر باريس سنة ١٩٣١ ومؤتمر براج سنة ١٩٣٣ — أننا غير قادرين على اصداره بسبب هذا النظام الممقوت المسمى امتيازات الذى لا تزال مصر مثقلة بحديده وأغلاله ولعلنا نتمكن قبل مؤتمر نابلى أو روما سنة ١٩٣٥ من فكها وإصدار هذا القانون الذى طلب تشريعه ممثلو الدول الأجنبية فى مؤتمرات القطن الدولية باجماعهم وإجماع الممثلين المصريين من الزراع (١)

ولقد وصلت صباح اليوم من رحلتى لادراك أول انعقاد للجنة القطن الدولية فى القاهرة وتمكنت من تجهيز هذه المذكرة المختصرة على وجه السرعة وإنى آمل أن أكون قد نجحت فى وصف زراعة القطن فى وادى النيل وإنى مستعد للاجابة على كل ما يقدم لى من الأسئلة والاستعلامات

(١) صدر قانون منع خلط القطن سنة ١٩٣٤ ونفذ وانشىء له مكتب بالاسكندرية تابع لوزارة الزراعة رئيسه مسيو فيليبو

وإنى مدين لأصحاب السعادة حاكم السودان وأوغندا وكينيا والصومال الطليانى والأرتريا والذين كان لى السرور بمقابلتهم جميعاً (عدا سعادة حاكم كينيا) وحضرات رجالهم الزراعيين والفنيين والاداريين الذين تفضلوا بتسهيل مأموريتى على وجه مرض .

وقبل أن أختتم كلمتى أبادر بالقول بأن العناية تامة بأعطاء مصر ما يلزمها من مياه الرى واستعمال ما يزيد عن احتياجاتها فى رى وزراعة أراضى اخواننا السودانيين ولكن الأحوال فى الوقت الحاضر من الوجهة الاقتصادية والتجارية البحتة ليست على ما يرام بل يلزم زيادة التعاون والتآزر الزراعى والتجارى . أما كيف يكون ذلك فمن الوجهة الاقتصادية البحتة فان ذلك على حسب تخيلى الضعيف فليس من الصعوبة بمكان أما من الوجهة السياسية فليس من شأن هذه المذكرة » ـ اه

فؤاد أباظة

رأى عبد الحميد بك فتحى

تحدث حضرة صاحب العزة عبد الحميد فتحى بك ناظر مدرسة الزراعة العليا بالجيزة سابقاً وعضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية وأحد أعضاء البعثة الاقتصادية عن رأيه فقال :

سأتحدث كرجل زراعى مصرى وأول ما أسجله لاخواننا السودانيين بالفخر هو شدة تعلقهم بمصر وأحوالها وأبنائها ، ولا يمكننى أن أوفيهم حقهم من الشكر والتقدير على ما أحاطوا به بعثتنا من الحفاوة والترحيب ولا أبالغ إذا قلت انه كان لقاء أخوين طال عليهما البعد ، ولا أخص بهذا فرداً أو هيئة فالكل كان سواء فى الغبطة والبشر شعباً وحكومة ، زراعاً وتجاراً وصناعاً . حتى أننا شعرنا بلذعة التقصير فى القيام بهذا الواجب من زمن بعيد

ولم تكن هذه الرحلة فكرة طارئة أو بنت اليوم بل كانت أمنية تجيش فى نفس المصرى والسودانى على السواء فالنيل قد جمع بينهما من قرون وآماد ، فلم نشعر عند حلولنا فى ربوع السودان إلا أننا فى جانب من جوانب وادى النيل فاللغة والدين والعادات كلها واحدة . وأين سرت لا ترى إلا أنهاراً وعيوناً ووديانا كما ترى فى مصر وحتى النباتات والمزارع والطرق متشابهة تشابهاً كلياً فهناك القطن والقمح والفول وغيرها

يزرع القطن فى أنحاء كثيرة فى السودان منها ما يزرع بنظام الرى وأكبر ميادينه الجزيرة ومنها مايزرع القطن السكلاريدى ومنها مايزرع « بعليا » وهو ما يزرع بعد غمر الأرض بالمياه ولا يروى بعد ذلك وهذا النوع يزرع فى كسلا وتوكر . ففى كسلا أعدت طرق هندسية لغمر الأرض بالمياه . أما أرض توكر فتغمرها مياه نهر بركة وروافده وتصادف أثناء وجودنا هناك انهم كانوا يجنون القطن لأنه يزرع عندهم فى شهر يوليو وأغسطس

والقطن البعلى المذكور نام لدرجة كبيرة وقد بلغ ارتفاع شجيرات القطن نحو ١٧٠ سنتيمترا ويغل الفدان منه نحو ثلاثة قناطير وهو من النوع الأمريكى وهو يزرع عادة على مسافات كبيرة سواء بين الخطوط وبعضها أو بين الشطرات

ويجرب هناك الآن نوع جديد من القطن يسمى « X ١٥٣٠ » وهو مستنبت من السكلاريدى المصرى وميزته أنه يقاوم مرضى « الزراعة الأسود » و « تجعد الأوراق » وهاتان الآفتان هما أظهر أمراض القطن فى السودان

أما قطن الجزيرة فتقل غلة الفدان منه عنها فى توكر وكسلا ومديرية بربر ويرجع ذلك لكثرة الرى وللآفات الزراعية السالفة الذكر

زراعات الحبوب

شاهدنا مساحة واسعة لا تقل عن ثلاثة آلاف فدان فى بلدة « البوقة » بعد مدينة « بربر » مزروعة قمحا وفولا وقطناً ولم نتمكن من تقدير درجة نمو القطن لأنه كان قد نزعت شجيراته فى الوقت الذى وصلنا فيه . أما القمح والفول فمن أحسن الأنواع ولا يقل نموهما عما عندنا والسبب الأكبر فى نجاح الزراعة بتلك الجهة راجع إلى الرى فان للحكومة طلمبات للرى بها

المحاصيل الأخرى

أما المحاصيل الأخرى فكثيرة ويطول الكلام عنها وأهمها السمسم والأذرة بأنواعها والصمغ والدوم . وتقام للدوم سوق كبيرة يباع فيها ويصدر إلى الخارج ولعل أطرف ما أحدثك به عن الدوم الذى لا تعتد به فى مصر أنه من أمتن العناصر لعمل الأزرار ومنه تعمل أفخر أنواع الأزرار فى العالم

ولما عرفت فائدته هذه أنشأ أحد التجار معملا للأزرار فى العطبرة ومنه تخرج أنواع الأزرار المختلفة وليس ينقصها فى الوقت الحاضر إلا عمليتا (التخريم)

والصبغ وهى تصدر إلى انجلترا لهاتين العمليتين فقط وسمعنا من المشرفين على هذا المعمل أنهم سيتمكنون قريباً من أعداده بآلات التخريم وألوان الصباغة

لا يخفى عليك أن السودان واسع جداً وأن التربة لا تختلف كثيراً عن أرض مصر فهناك أراض سوداء وصفراوية ورملية وحجرية كما هو الحال فى مصر وإن اختلفت فى النوع من جهة وفى عناصر تركيبها من جهة أخرى غير أننى أستطيع أن أؤكد لك من الآن أنه يمكن زراعة مساحات لاتقل عن مساحة المنزرع فى مصر إن لم تزد ولا ينقصها إلا المال والأيدى العاملة

وقد تألف لاتصال القطرين لجنتان واحدة فى مصر من أعضاء البعثة وأخرى من اخواننا السودانيين وسيكون الاتصال بينهما مستمراً لبحث المواضيع الاقتصادية التى تهم البلدين وتنمية العلائق وتسهيل سبل المواصلات والنقل وغيرها وقد رأينا بادىء الأمر أن يكون اجتماعنا سنوياً ودورياً بمعنى أننا نجتمع سنة فى القاهرة وسنة فى الخرطوم لتوثيق العلائق وتنمية موارد القطرين الزراعية والاقتصادية والعمرانية

ومما يؤسف له أن الاتصال التليفونى بين مصر والسودان لا وجود له فى حين تتصل مصر بجميع بقاع الأرض تليفونياً . وقد كان هذا من أهم المطالب التى عنيت بها البعثة كما أن البعثة رأت أنه لأحكام الروابط بين البلدين وخاصة من الوجهة الاقتصادية أن تخفض أجور التلغرافات ورسم الطرود ونولون البضائع إلى مثلها فى مصر وعلى ما أظن ستكون هذه المطالب محل عطف السلطات هنا وفى السودان

وقد خطرت لأعضاء البعثة فكرة إنشاء شركة مصرية سودانية يكون غرضها الرئيسى مشترى أراضى بالسودان وزرعها وهى فكرة جديرة بالتقدير إلا أنها تحتاج لبحث طويل . وتسود الجميع هنا وهناك روح الموافقة على تأليف هذه الجمعية . واعتقادى أن القانون المعمول به فى السودان بخصوص عدم تمليك الأرض لغير السودانيين لايحول دون ذلك لأن هذا القانون صدر من زمن طويل وكان المقصود منه وقت سنه عدم تمكين بعض الجاليات الأوربية من شراء أراض واسعة كان غرضهم الرئيسى منها المضاربة والكسب » اه

أراضى دنقلا

الأراضى فى دنقلا مساحات صغيرة وتزرع نخيلا فى الغالب

أراضى حلفا والخرطوم

والأراضى بين حلفا والخرطوم عالية

وكبار الزراع : كفورى ويملك حوالى ٤٠٠٠ فدان ومسيو كونتو ميخلوس ٤٠٠٠ فدان ثم ابراهيم عامر بك وغيره

وكان فى بربر شركة الزيداب وكانت تزرع عشرين ألف فدان

أسهم شركة السودان الزراعية تباع فى بورصة لندن لأى انسان وكانت قيمة السهم جنيها ثم صعد إلى أربعة جنيهات ثم إلى ٢٢ شلنا . وسعره بين الصعود والهبوط

ولا يجوز للسودانى أن يبيع أرضه إلا باذن من مدير المديرية ، إذ يفضل السودانى المشترى على المشترين غير السودانيين ، وأراضى الجزيرة مسجلة باسم الأهالى

وقد قسمت الشركة الزراعية أرض الجزيرة إلى أقسام صغيرة كل قسم يسمى « حواشة » . والأرض ملك للأهالى ، تولت الحكومة عنهم تأجيرها للشركة . والشركة تصلح الأرض وتسلمها إلى الذين يقبلون زراعتها وتعطيهم التقاوى وسلفية تأخذ الشركة القطن وتحلجه فى محالجها ، ويرسل القطن إلى انجلترا

زراعة الدخان

زراعة الدخان مباحة فى المديريات التى كانت تزرعه قبل الثورة المهدية ، مثل جبال النوبة ودارفور وهو على العموم دخان غير جيد ، وقد حرم السيد أحمد محمد المهدى زعيم الحركة المهدية زراعته ، ولما عاد الحكم الحالى فى السودان اقتصرت الاباحة فى المديريات التى كانت تزرعه قبل الثورة

جمعية زراعة القطن البريطانية (١)

وقد نشرت فى ٧ ابريل ١٩٣٥ جريدة « مانشستر جارديان » حديثا للسر وليام همبورى رئيس جمعية زراعة القطن البريطانية ، وقد عاد أخيرا من مصر والسودان ومما قاله : « ان زارعى القطن فى السودان يتوقعون الحصول فى هذا الموسم على محصول أحسن بكثير مما حصلوا عليه فى بضع السنوات الاخيرة . وقد حصل الزراع منذ عامين على بذرة جديدة تقاوم دودة القطن ولكنها لا تقاوم الآفة المعروفة باسم

(١) تألفت هذه الجمعية سنة ١٩٠٢ وغرضها توسيع زراعة القطن فى الامبراطورية البريطانية وفى سنة ١٩١٦ تألفت جمعية زراعة القطن الامبراطورية واعترف بها فى سنة ١٩٢١ بأمر ملكى ومنحت مليون جنيه لمساعدتها على البحث الفنى ومكافحة آفات القطن والاستغناء بمحصوله فى بلاد الامبراطورية عن محصول امريكا

« بلاك آرم » مقاومة تامة ، وهذا النوع من البذرة تنتشر زراعته فى السودان .

وجاء السكلاريدى الجديد والقديم بغلة طيبة وينتظر أن يزيد المحصول على ضعفه فى العام الماضى وأن يكون من نوع جيد وعلى ذلك فان الآمال بتحسن الحالة الاقتصادية فى البلاد أقوى منها منذ بضعة أعوام ، كما أن هناك تفاؤلا عاماً يشمل البلاد

وأعرب السر وليام عن ارتياحه الى زيادة القطن الذى يزرع من بذرة القطن الأمريكى على مياه الأمطار بواسطة أناس لم يشتغلوا من قبل بزراعة شىء للتصدير وقد كان لهذا تأثير كبير من حيث المدنية وتقدمت الزراعة تقدماً عظيماً فى المناطق الواقعة فى جبال النوبة . والسكان هناك من الافريقيين المعروفين بالخشونة من طراز رجال العصابات وهم يعيشون على الفطرة فلم يتعودوا ارتداء الملابس . وكانوا فيما مضى يظهرون نفورا كبيرا من الاحتكاك بالمدنية فاخذوا الان يهبطون من منازلهم الجبلية ويزرعون كميات معينة من القطن فى أراضيهم فى السهول . وهم يدفعون ضرائبهم من القود التى يحصلون عليها من بيع القطن ويشترون القلائد والعقود والملح والسكر

ويقدر محصولهم من نوع القطن الأميركى الذى زرعوه بمياه الأمطار فى هذا الموسم بنحو ٣٠٠ ألف جنيه . ويجد ولاة الأمور أنفسهم الآن أمام مشكلة تحمل بعض الذين يشتغلون بالمشروعات التجارية على الذهاب الى هذه المناطق لاغراء هؤلاء الجماعة بالبضائع القطنية وغيرها . ومن الصعب تقدير عدد السكان ولكن لا بد أن يكون كبيراً

وحكومة السودان مغتبطة بما لزراعة القطن من الأثر فى نشر الحضارة بين السكان ، ولك ان تقدر معنى هذا القول متى علمت أن الأمر لايتطلب وضع جنود للحراسة

ومن المناطق الأخرى التى يزرع فيها القطن بمياه الأمطار ، المنطقة الجنوبية القريبة من حدود أوغندا ، وبين الملاكال ومنجلا حيث تقطن فى الغالب قبائل الشلوك والنوير التى لم يسبق لها الاشتغال أيضا بزراعة شىء من المحصولات التى تباع . وقد اقلعت هذه القبائل الآن عن أن يشن الغارة بعضها على بعض وعن نهب المواشى وسبى النساء وشرعت تعيش هذه العيشة النافعة

والتقدم فى هذه المناطق ليس سريعاً كما هو الحال فى منطقة النوبة ولكن الصناعة فى تقدم

وتحتضن الحكومة الآن جميع الأعمال الخاصة بزراعة القطن وتتولى أمرها. وقد بذلت كل مافى وسعها فى اثناء الضيق الاقتصادى لترويج الصناعة التى لو تركت للمصالح التجارية لاصيبت على الأرجح بصدمة قوية.

أما سياسة الرئيس روزفلت الخاصة بحفظ أسعار القطن فقد نفعت السودان نفعاً كبيراً، اهـ.

تقرير السر وليم همبورى رئيس جمعية زراعة القطن

أصدرت جمعية زراعة القطن البريطانية التقرير الذى وضعه السر وليم همبورى عن زيارته الأخيرة لمناطق القطن فى مصر والسودان فى مايو سنة ١٩٣٥. وقد كان من أغراض زيارته درس التسهيلات اللازمة لخزن القطن فى بورسودان والسعى لمعرفة التأثيرات الضارة — إذا كانت هناك تأثيرات — فى بالات القطن التى تخزن لمدة طويلة

ويقول السر وليم همبورى أنه لم يجد عيوباً تذكر سواء فى طرق تخزين القطن أو شحنه من ميناء بور سودان حيث توجد تسهيلات للتخزين يمكن مقارنتها مقارنة حسنة بالتسهيلات الموجودة فى موانىء انجلترا

ومعامل الحليج التى تملكها الحكومة السودانية فى بور سودان حسنة ومن المحتمل أنها لا تقل من حيث معداتها الحديثة واتقان العمل فيها

وينتظر الحصول على محصول جيد من نوع القطن الأمريكى من المناطق التى تروى بمياه الأمطار فى جبل النوبة والشقة الواقعة فى جنوبها بين الملاكال ومنجله وقد تقدمت زراعة القطن تقدماً عظيماً فى جبال النوبة بحيث يقدر مجموع المحصول فى هذا الموسم بنحو ٣٤ ألف بالة من القطن الذى يتراوح طول تيلته بين $1\frac{1}{8}$ و $6\frac{1}{4}$ قيراط وهو يساوى ٨٠ إلى ١٠٠ بنط من كنتراتات القطن الأمريكى، وتوجد فى هذه المنطقة بضعة معامل للحليج سيزاد عددها قريباً»

ويقول السر وليم: «أن صناعة القطن هذه كلها أنشأتها مصلحة الزراعة بمساعدة الموظفين الاداريين وهم لا يزالون يرعونها بعناية، وإذا ذكر المرء بين هؤلاء السكان الذين كانوا منذ أعوام قليلة لا يعرفون شيئاً عن المدنية ولا ينتجون إلا غذاءهم وحده وكانوا مصدر قلق للسلطات المحلية، فانه لا يسعه إلا الثناء على الذين أقنعوا هؤلاء القوم الذين كانوا يعيشون عيشة العزلة والبداوة بأن يهبطوا من المرتفعات ويصغوا إلى نصيحة الرجل الأبيض ثم ينتجوا محصولا يمكن عرضه

فى الأسواق تربو قيمته على ربع مليون جنيه يجدون فيها ما يساعدهم على تسديد الضرائب وشراء ما يحتاجون اليه من الطعام وحاجيات المعيشة الأخرى

وهذه المنطقة لم تستغل تماماً ومن المحتمل جداً الحصول منها على مائة ألف بالة أو أكثر فى المستقبل القويب

وليس هناك شك فى أن أرض الجزيرة بل جميع مناطق القطن فى السودان ستعطى فى هذا الموسم محصولا طيباً سواء من حيث الكمية أو النوع ، والواقع أنه ينتظر أن تعطى أرض الجزيرة غلة تزيد على أربعة قناطير للفدان وقد تصل إلى الرقم الذى بلغته فى سنة ١٩٣٢ وهو ٤٫٠٣ قناطير

وبلغت غلة الفدان فى كسلا ٤ ٣/٤ قنطار مقابل ٥٫١٧ فى سنة ١٩٣٢ وهو محصول حسن جداً

وكل هذا القطن من نوع جيد يمكن استعماله ولكنه يختلف قليلا من حيث النوع نظراً للأنواع المختلفة التى تذرع من بذرة السكلاريدى التى لا يستهدف بعضها للأمراض والآفات » . اه

الزراعة فى منطقة سنكات

وصف الأديب صالح عبود بالخرطوم بحرى « سنكات » فقال :

« سنكات احدى مراكز مديرية (كسلا) محاطة بالجبال هواؤها جاف ومعتدل طول أيام السنة وهى من أكبر مصايف السودان يقصد اليها المصيفون بكثرة من مختلف الجهات المجاورة وغيرها . حتى إن المساكن قد يضيق بهم فى بعض الأحايين فيضطرون إلى السكنى فى جيبت التى تبعد عنها بنحو ٨ كيلو تقريبا وهى نقطة بسيطة الآن وجميع أشغالها مرتبطة بسنكات أما سوق سنكات فلا بأس به غير أن حركته التجارية تنشط فى أيام المصيف التى تبتدىء غالباً من شهر مايو وتنتهى فى أواخر أغسطس من كل سنة وأحيانا تمتد لغاية أكتوبر وذلك يتوقف على الرى فى إقليم طوكر وبعد انتهائه يغلق أغلب أصحاب الحوانيت محلاتهم ويقصدون إلى بورت سودان وسواكن وطوكر لأن المصيفين معظمهم من مزارعى طوكر

شجرة الجوافة تؤتى أكلها فى سنتين إلى ثلاث من تاريخ غرسها بينما فى الخرطوم لا تثمر فى أقل من خمس سنوات وهذا مما يدل دلالة أكيدة على أن أرض الأولى أخصب وأنتج للفاكهة لأن طينتها مخلوطة بالرمل وأرض الثانية طينية لا تصلح كثيراً الفاكهة إلا بعد مزج تربتها بالرمل والسباخ

وفى سنكات بعض بساتين ولكن ماذا يوجد فى هذه البساتين ياهل ترى ؟ الجواب لا شيء . إلا قليل من البقول الصيفية التى تكثر زراعتها فى الصيف كالملوخية والباذنجان والفجل والجرجير والبطيخ الذى ينتج بكثرة فى بعض السنين ويكون مورداً لربح عظيم وليت أصحاب هذه الجنائن فكروا فى زراعة ما هو أدر للربح وأنفع كأشجار الفاكهة والبطيخ ولا شك فى نجاحها لو عرفوا كيفية توليدها بطريقة التجنيس واستجلاب البذور من مصر والخرطوم على أنى لا أقول لهم أن يتركوا زراعة الخضروات التى تعوضهم أتعابهم وقد يلاحظ بالسوق كثير من أنواع الفاكهة والخضروات المستجلبة من داخلية البلاد والخارج فى أيام المصيف التى يمكن الاستغناء عن استجلابها فيما لو خصت هذه الأرض بعناية من الحكومة بتشجيع أهالى سنكات ماديا لزراعة أنواع الفاكهة هناك كان يمكن تصدير الفاكهة من سنكات للخارج وقبل أن أختم هذه العجالة أريد أن أنوه عن الرمان الذى ينتج بكثرة فى أركويت ولكن مع الأسف الشديد لا يوجد من يهتم باستثماره وأركويت لا تبعد عن سنكات بأكثر من عشرين كيلو وهى العاصمة الصيفية لصاحب المعالى حاكم السودان العام وفيها فندق كبير تحت إشراف مصلحة السكة الحديد يؤمه المصيفون الأوروباويون برحلات منظمة تدبرها المصلحة المذكورة فى أوقات مخصوصة من السنة ولا يوجد بها فندق للوطنيين

وفى سنكات توجد جنينة للحكومة منتظمة بالنسبة لبقية الجنائن الأخرى يحتكرها نادى توفيق بك فى المصيف ولا يوجد بها من الأشجار الصالحة إلا بعض من شجيرات النخيل والرمان ومن هنا يظهر لى أن أصحاب الجنائن لم يفكروا ولولا ذلك لما أهملوا هذه الأرض التى تدر عليهم أضعاف ما ينفقون . ولو شمروا عن ساعد الجد وابتدأوا من الآن باستحضار الأشتال والشتلة الواحدة من الفاكهة لا تكلفهم أكثر من مائة مليم بما فى ذلك نولون السكة الحديد لجنوا ربحاً طائلا فى أقرب ما يتصوره العقل من الزمن وأسباب المياه متوفرة لديهم وفيها بعض الخواص المعدنية المفيدة لنمو النباتات

ولا أكون مبالغاً إذا قلت أن بعض المساكن فى سنكات توجد بها حدائق صغيرة غناء تثمر طيبا كحديقة حضرات الشيخ عبد المجيد فضل المولى من كبار مزارعى طوكر والشيخ محمد عبد الرحمن من كبار مزارعى طوكر أيضاً وآل عبود فليتخذوها أنموذجاً لهم وفيها من البرتقال واليوسفى والنارنج والليمون والجوافة والعنب والياسمين ما يشرح الصدور فهنيئاً لهم بما غرست أيديهم » اه

الفصل الخامس والعشرون

جغرافية السودان ومصر

يقع السودان «الحالى» فى الشمال الشرقى من أفريقية جنوبى مصر ، يبدأ منها عند خط العرض ٢٢° إلى جنوب الخط ٥° من العرض الشمالى ، ويبلغ طول هذه المسافة ١٢٠٠ ميل ، ويحد السودان شمالا بمصر وشرقاً بالبحر الأحمر وأريترة التابعة لايطاليا وبلاد الحبشة ، وغرباً بأفريقيا الاستوائية الفرنسية ، وجنوباً مستعمرة أوغندا الانجليزية والكنغو البلجيكى ، ليمتد غرباً من بحيرة رودلف قاطعاً النيل عند نموله ، وهى قرية فى أقصى الجنوب

وتبلغ مساحة السودان حوالى مليون ميل مربع أى ضعفين ونصف مساحة المملكة المصرية . وقد نزلت حكومة السودان عن مثلث من الأرض ضمت إلى طرابلس الغرب ، ويقع المثلث الصحراوى فى الشمال الغربى للسودان . وكان ذلك بمعاهدة بين السودان وإيطاليا سنة ١٩٣٤

وسكان السودان قايلون وإحصاؤهم مستحيل لاتساع المساحة وتفرق القبائل أقل من تنقلهم فيها ويقال إنهم بلغوا عشرة ملايين قبل الثورة المهدية ، وأنهم نقصوا إلى أقل ثلاثة ملايين بعد انتهائها ، وأصبح العدد الآن متراوحاً بين ستة ملايين وعشرة ملايين

ويشغل السودان أكبر نصيب من وادى النيل ، وتحيط بالسودان الهضاب عند حدوده الشرقية والغربية والجنوبية وبين رأس نباس على البحر الأحمر إلى بحيرة رودلف فى الجنوب صحارى واسعة ، بها جبال وهضاب ، منها الهضبة الحبشية ، وهى عالية المواقع فى الحبشة ثم تميل إلى الهبوط عند السودان . وتقع غربى النيل صحارى واسعة حتى مرتفعات جنوبى كردفان وجبال النوبة ، وبعض الجبال يصل ارتفاعه إلى ٢٥٠٠ متر كجبل قدير الذى أقام بها المهدى مدة وجاءته الوفود تترى من أنحاء السودان مصدقة دعوته مقبلة على مبايعته ، وجبل طقيم وتاج الله . وجبل مرة على مقربة من دار فور وعلوه ٣٠٠٠ متر . وترتفع الأراضى عند بحر الغزال ابتداء من بحر العرب وبحر الجبل ، إلى خط تقسيم الماء الفاصل بين النيل والكونغو

وأشهر صحارى السودان : بيوضة وهى جزء من صحراء ليبيا ، والنوبة وهى امتداد صحراء العرب شمالا .

وأهم واحات السودان : سليمة ولوجيا وبئر النطرون أو السلطان وتقع كلها غربى النيل

كان بالسودان ١٥ مديرية : وهى الخرطوم وعاصمتها الخرطوم ، وبربر وعاصمتها الدامر ، ودنقلة وعاصمتها مروى ، وحلفا وعاصمتها حلفا ، والبحر الأحمر وعاصمتها بور سودان ، والنيل الأبيض وعاصمته الدويم ، والنيل الأزرق وعاصمته واد مدنى ، والفونج وعاصمتها سنجة ، وكسلا وعاصمتها كسلا ، وأعالى النيل وعاصمتها ملاكال . وكردفان وعاصمتها الأبيض ، ودار فور وعاصمتها الفاشر وجبال النوبة وعاصمتها تالودى ، وبحر الغزال وعاصمتها واو ، ومنجلا وعاصمتها منجلا .

وفى كل مديرية مأموريات « مراكز » ففى الخرطوم : الخرطوم ، أم درمان الخرطوم بحرى ، وجيلى

وفى بربر — أبو حمد وبربر والدامر وزيداب وشندى ، وود حامد وعطبره

وفى دنقلة — أرجو ودنقلة والخندق والدبة وكورتى ومروى

وفى حلفا — حلفا والمحس وسكوت

وفى البحر الأحمر — سواكن ومحمد غول وسنكات وطوكر والعقيق وكارورة

وفى النيل الأبيض — الدويم والكوة وكوستى وتندلتى والجبلين والقطنية

وفى النيل الأزرق — مدينة ود مدنى ومركز ود مدنى والمناجل ورفاعة والمسلمية وسنار والكاملين وأبودليج

وفى الفونج — سنجة ودندر « ابوهاشم » وكركوج والرصيرص ودارفنج وكرمك

وفى كسلا — كسلا وتمريز والبكانة « خشم القربة » والقضارف والمفازة والقلابات

وفى أعالى النيل — الرنك وملوت وكودوك وملاكال وتنجة وفنجاك ولنجتام ونيرول وأبونج وايوض ونقطة خور أثر والناصر ونقطة جارجوانج ونقطتى أكوبو وبيبور وجامبلة « محطة تجارية استأجرتها الحكومة من الحبشة »

وفى كردفان — بارا دام دام وسوديرى والأبيض وأم روابة ورهد والنهود وابو زبد والأضية ومقلد

وفى جبال النوبة — دلنج وسنجيكاى وكدوجلى ورشاد وتاج الله وتالودى واليرى وهيبان والقوالب

وفى دار فور — الفاشر وكتوم ونياله وأم كداده

وفى بحر الغزال — واو وطنج ومشرع الرق ونيام ليل وراجه وديم الزبير وكفيكنجى ورومبيك ولاو وشامبى وجنب ومريدى ويامبيو وطمبورة

وفى منجلا — دك فايولو بور وأمادى وطمبة وباى ولوكا والرجاف وتوريت واكوتوس ولوزنجا وعدالى وأوبارى وكاجوكاجى ومنجلا

* * *

وتكثر الأمطار فى الجنوب والشرق . والجو فى الشمال جاف ، مع حرارة شديدة فى الصيف « وخاصة فى ابريل ومايو ويونية . تصل إلى ١٢٠° » فارنهيت ، وبرودة شديدة فى الشتاء ، حيث تنزل بعض الأمطار .

فى الجنوب — الجو حار رطب .

وفى الشرق — رطب - لاسيما فى فصل الأمطار - وفى الهضبة الحبشية بارد صحى ، وفى السهول رطب غير صحى

وفى الغرب — حار وجاف صحى - وحرارته ليست شديدة

جدول مديريات السودان قبل الادماج الأخير

المديرية	البندر	المديرية	البندر
الخرطوم	الخرطوم	كسلا	كسلا
بربر	الدامر	أعالى النيل	ملاكال
دنقلة	مروى	كردفان	الأبيض
حلفا	حلفا	جبال النوبة	تلودى
البحر الأحمر	بور سودان	دارفور	الفاشر
النيل الابيض	الدويم	بحر الغزال	واو
النيل الأزرق	واد مدنى	منجلا	منجلا
الفونج	سنجا		

ادماج المديريات

ورؤى أخيراً ادماج المديريات فى بعضها كما ألغيت مراكز بسبب إنشاء المحاكم الأهلية .

أدمجت مديريات حلفا وبربر ودنقلا ، وأصبحت باسم المديرية الشمالية وعاصمتها الدامر . وأدمجت النيل الأزرق والفونج باسم النيل الأزرق عاصمتها وادمدنى

أدمجت مديريتا البحر الأحمر وكسلا — أصبحتا مديرية كسلا — ماعدا بورسودان فقد أصبحت محافظة

وأدمجت مديريات النيل الأبيض وأعالى النيل وملاكال وأصبحت مديرية ملاكال عاصمتها ملاكال

أدمجت بحر الغزال فى منجلا باسم مديرية خط الاستواء وعاصمتها جوبا

جغرافية النيل فى رأى العرب

جاء فى مقدمة ابن خلدون تحت عنوان « تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا »

الأقليم الأول وفيه من جهة غربية الجزائر الخالدات التى منها بدأ يطليموس يأخذ أطوال البلاد وليست فى بسيط الاقليم وإنما هى فى البحر المحيط جزر متكاثرة أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال أنها معمورة وقد بلغنا أن سفائن الأفرنج مرت بها فى أواسط هذه المائة وقاتلوهم فيها فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض أساراهم بسواحل المغرب الأقصى ، وصاروا إلى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربى أخبروا عن حال جزائرهم وأنهم يحتفرون الأرض للزراعة بالقرون وأن الحديد مفقود بأرضهم وعيشهم من الشعير وماشيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يرمونها إلى خلف وعبادتهم السجود للشمس إذا طلعت ولا يعرفون ديناً ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر إلا بالعثور لا بالقصد إليها لأن سفر السفن فى البحر إنما هو بالرياح ومعرفة جهات معها بها ولا أين يوصل وإذا مرت على الاستقامة من البلاد التى فى ممر ذلك المهب وإذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذى به القلع محاذاة يحمل السفينة بها فى القوانين فى ذلك محصله عند النواتية والملاحين الذين هم رؤساء السفن فى البحر والبلاد التى فى حفافى البحر الرومى وفى عودته مكتوبة كلها فى صحيفة على شكل ماهى عليه فى الوجود وفى وضعها فى سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح وممراتها على اختلافها مرسوم معها فى تلك

الصحيفة ويسمونها الكنباص وعليها يعتمدون فى أسفارهم وهذا كله مفقود فى البحر المحيطى فلذلك لا تلج فيه السفن لأنها إن غابت عن مرأى السواحل فقل أن يهتدى إلى الرجوع إليها مع ماينعقد فى جو هذا البحر وعلى سطح مائه من الأبخرة المانعة للسفن فى مسيرها وهى لبعدها لا تدركها أضواء الشمس المنعكسة من سطح الأرض فتحللها فلذلك عسر الاهتداء إليها وصعب الوقوف على خبرها وأما الجزء الأول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الآتى من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب إلى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة أولئك وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد فى مملكة ملك مالى من أمم السودان وإلى بلادهم تسافر تجار المغرب الأقصى وبالقرب منها من شماليها بلاد لمتونة وسائر طوائف الملثمين ومفاوز يجولون فيها وفى جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال لهم طلم وهم كغار ويكتوون فى وجوههم وأصداغهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم إلى المغرب وكلهم عامة رقيقة وليس وراءهم فى الجنوب عمران يعتبر الا أناسى أقرب إلى الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيافى والكهوف ويأكلون العشب والحبوب غير مهيأة وربما يأكل بعضهم بعضاً وليسوا فى عداد البشر . وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين وورکلان فكان فى غانة فيما يقال ملك ودولة القوم من العلويين يعرفون ببنى صالح وقال صاحب كتاب زجار أنه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا فى ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالى وفى شرقى هذا البلد فى الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص فى بلاد الجزء الثانى وكان ملك كوكو قائما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالى وأصبحت فى مملكته وخربت لهذا العهد من أجل فتنة وقعت هناك نذكرها عند ذكر دولة مالى فى محلها من تاريخ البربر وفى جنوبى بلد كوكو بلاد كاتم من أمم السودان وبعدهم ونفارة على ضفة النيل من شماليه وفى شرقى بلاد ونفارة وكاتم بلاده زغاوة وتاجره المتصلة بأرض النوبة فى الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء إلى البحر الرومى فى الشمال ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا فى ضبط هذه اللفظة فضبطها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة إلى قمر السماء لشدة بياضه

وكثرة ضوئه وفى كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة إلى قوم من أهل الهند وكذا ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها فى بحيرة وبينهما ستة أميال ويخرج من كل واحدة من البحيرتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها فى بطيحة واحدة فى أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربى منه إلى بلاد السودان مغربا حتى يصب فى بحر المحيط ويخرج الشرقى منه ذاهبا إلى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما وينقسم فى أعلى أرض مصر فيصب ثلاثة من جداوله فى البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصب واحد فى بحيرة ملحة قبل أن يتصل بالبحر فى وسط هذا الاقليم الأول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات إلى أسوان وحاضرة بلاد النوبة دنقلة وهى فى غربى هذا النيل وبعدها علوة وبلاق وبعدهما جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاق فى الشمال وهو جبل عال من جهة مصر منخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب فى مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن أن تسلكه المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر إلى بلد أسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد إلى فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة والواحات فى غربيها عدوة النيل وهى الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة وفى وسط هذا الاقليم فى الجزء الخامس منه بلاد الحبشة وادياتى من وراه خط الاستواء ذاهبا إلى أرض النوبة فيصب هناك فى النيل الهابط إلى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر وبطليموس ذكره فى كتاب الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل » اه

جغرافية مصر

تشتمل بلاد القطر المصرى على الاقسام الآتية :

(١) مصر الأصلية : وهى عبارة عن الزاوية الشمالية الشرقية من قارة أفريقيا وتمتد جنوبا من البحر الأبيض المتوسط الى خط عرض ٢٢ شمالا وشرقا من خط الزوال ٢٥ الى قنال السويس وخليج السويس والبحر الأحمر وتنقسم مصر الأصلية الى ثلاثة أقسام متناسبة :

وادى النيل والدلتا ، صحراء ليبيا أو الصحراء الغربية ، صحراء العرب أو الصحراء الشرقية .

(٢) شبه جزيرة سينا : وهى عبارة عن جزء من قارة آسيا يمتد شرقا من قنال السويس إلى الخط الواصل بين رفح على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وبين طابا بالقرب من رأس خليج العقبة وتسكنها قبائل من البدو ماعدا مدن العريش والطور والقنطرة . وتعرف شبه جزيرة سينا إدارياً باسم محافظة سينا وهى ضمن المناطاطق التى تشرف عليها مصلحة الحدود

(٢) عدة جزر فى خليج السويس والبحر الأحمر : أهمها جويال وشدوان وقفاطين وزبرجد أو جزيرة سان جون (القديس يوحنا) .

وتبلغ مساحة مصر حوالى ١٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع أو أقل من المساحة الكلية صالحة للزراعة ولسد حاجة عدد محدود من السكان والباقى منها يحتوى على أراضى صحراوية قاحلة يسكنها قليل من الأعراب الرحل

وقد بلغ عدد سكان القطر المصرى حسب الأحصاء الأخير الذى عمل فى سنة (١٩٢٧) ١٣٫٢١٧٫٨٦٤ نسمة ، أكثر من ٩٩ منه يسكن وادى النيل والدلتا ومديرية الفيوم ومنطقة قنال السويس والباقى مبعثر فى الصحارى وشبه جزيرة سينا ونسبة عدد السكان تبلغ ٤٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع من وادى النيل والدلتا . أما فى الصحارى فان تلك النسبة هى نسمة واحدة فى كل ١٣ كيلو مترا مربعا . أما مدينة القاهرة وهى عاصمة القطر المصرى فانها أكبر مدينة فى أفريقا وقد بلغ عدد سكانها فى إحصاء سنة (١٩٢٧) ١٫٠٦٤٫٠٦٧ نسمة .

الشاطىء - يبلغ طول شاطىء القطر المصرى ٢٤٠٠ كيلو متر تقريبا أو ١٣٠٠ ميل جغرافى وشاطىء البحر الأبيض المتوسط مستو ورملى ما عدا الجهات الغربية لمدينة الاسكندرية فانها مكونة من هضاب صخرية قليلة الارتفاع قريبة من البحر فى بعض المواضع . أما على امتداد شاطىء البحر الأحمر فيوجد سهل رملى أوحصوى منحدر يفصل بين الجبال والبحر وتلك الجبال ترتفع كثيرا على مسافة قريبة فى داخل البلاد وتقترب كثيرا من البحر فى جهات أخرى خصوصا عند خليجى السويس والعقبة فان مياههما تتلاطم بسفوح الجبال وترى غالبا فى كل مكان على امتداد شاطىء البحر الأحمر سلسلة صخور مرجانية كثيرة ، توجد عدة من الجزر الأخرى بعيدة عن شاطىء البحر ، وفضلا عما فى مصر من الثغور الثلاثة العظيمة : الاسكندرية وبور سعيد والسويس ، فان بها أيضا ثغورا ومرافىء أخرى معدة لرسو المراكب الكبيرة أهمها على التوالى : السلوم ومرسى مطروح على شاطىء

البحر الأبيض المتوسط ، والطور وأبو زنيمة والزيتية وجمسة وهرغادة على خليج السويس ، وسفاجة والقصير وحلايب على البحر الأحمر .

وادى النيل والدلتا ـ نهر النيل هو أهم الظواهر الجغرافية فى مصر وعليه تتوقف حياتها الزراعية ويبلغ الجزء الممتد منه فى مصر من وادى حلفا فى أقصى الجنوب الى رشيد ودمياط على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ١٥٠٠ كيلو متر . أما فى جنوب القاهرة فان وادى النيل يسير منحصرا بين صخور شاهقة يبلغ ارتفاعها عن سطح النهر أكثر من ٣٠٠ متر فى بعض المواقع ومن هذه الصخور تؤخذ معظم أحجار البناء ، ويختلف اتساع الوادى من أقل من كيلو متر فى المواضع التى بها أحجار الجرانيت والأحجار الرملية فى جنوب أسوان إلى أكثر من ٢٠ كيلو مترا فيما بين أسيوط والقاهرة حيث يتكون معظم صخورها من حجر الجير . والأرض الصالحة للزراعة فى الوجه القبلى عبارة عن الطبقة المستوية من وادى النيل وهى المحصورة بين مجرى النهر والصخور المحيطة به . أما فى شمال مدينة القاهرة فان الأراضى الزراعية تمتد فى الدلتا على شكل مروحة غير منتظمة وتشتمل على مديريات الوجه البحرى ألست . ومديرية الفيوم ذات الأرض الخصبة والواقعة فى منخفض من صحراء ليبيا على بعد ٩٠ كيلو مترا جنوب . غربى مدينة القاهرة وإن كانت خارجة عن حوض وادى النيل ولكنها تروى من مياه النهر بواسطة ترعة كبيرة يبلغ طولها أكثر من ١٥٠ كيلو مترا معروفة باسم بحر يوسف ولا يتصل بالنيل رافد مطلقا فى كل مجراه الطويل فى مصر حيث يقل فى الواقع سقوط الأمطار لدرجة أن ما يفقده النيل بالتبخر يزيد كثيراً جداً على كمية ما يسقط من المطر فى هذه البلاد

ويستمد النيل ماءه من الأمطار الغزيرة التى تسقط فى مناطق خط الاستواء بافريقية ويختلف ارتفاع الفيضان فى القطر المصرى سنويا تبعا للمواسم الممطرة والجافة التى تتعاقب على هضاب الحبشة وبلاد السودان التى تعتبر حوض تجمع لمياه النيل

ويبدأ النيل فى الزيادة عند مدينة القاهرة فى شهر يولية ويصل إلى النهاية العظمى (التى تزيد عن أربعة أمتار من منسوبه مدة التحاريق) حوالى منتصف شهر سبتمبر ثم ينخفض إلى الحد الأدنى فى شهر مايو ويختلف مقدار تصرف النهر المار بالقاهرة من ٢٥ مليون طن فى اليوم مدة التحاريق الى ٨٠٠ مليون طن فى اليوم وقت الفيضان . وعند انخفاض النيل يكون ماؤه رائقا ولكنه يتغير وقت الفيضان

ويصير معكرا ضاربا الى السمرة كلون الشكولاته نظرا لوفرة ما يعلق به من الرواسب أو الطمى الذى يحمله أثناء جريانه فى جبال الحبشة وبسبب احتواء هذا الطمى على المواد المخصبة كان هو العامل الأساسى فى خصوبة أراضى القطر المصرى

وتوجه عناية مهندسى الرى إلى الاحتفاظ بمياه النيل وحصرها بين ضفتيه وقت الفيضان ثم توزيعها على الأراضى بواسطة الترع : أما خزان أسوان الكبير فان الغرض منه حجز كمية من مياه النيل عند أول دور من أدوار نقصانه السريع واطلاقه وقت الصيف تخفيفا لما قد يحصل فى مياهه من النقص مدة التحاريق وقد أنشئت قناطر عند اسنا وأسيوط وقرب القاهرة وزفتى بقصد مراقبة توزيع المياه على ترع الرى الكبيرة .

صحراء ليبيا أو الصحراء الغربية — تمتد صحراء ليبيا الشاسعة الأرجاء من غرب وادى النيل إلى بلاد طرابلس الغرب وفى الجهة الشمالية منها تتكون معظم الصخور السطحية من حجر الجير ؛ أما فى الجهة الجنوبية فانه يكثر انتشار الحجر الرملى . وجبل عوينات (١٩٠٧ أمتار) وهو أعلى القمم بها يقع فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى من الأراضى المصرية وهو مثل قمم جبال الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سينا يتكون من صخور نارية . والسلاسل الطويلة من التلال الرملية التى لا يمكن عبورها والممتدة من شمال الشمال الغربى إلى جنوب الجنوب الشرقى لمسافات تبلغ ٥٠٠ كيلو متر هى أجلى ظاهرة لصحراء ليبيا التى هى فى جملتها من أكثر مناطق الدنيا ذات الأرض القاحلة وغير الآهلة بالسكان غير أن بها عددا من المنخفضات به آبار وينابيع كافية لرى مساحات قليلة وسد حاجة الآلاف من السكان وهذه المنخفضات عبارة عن الواحات الغربية التى أهمها (من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى) : الواحات الخارجة والداخلة والفرافرة والبحرية وسيوه وتتصل الواحات الخارجة بوادى النيل بواسطة سكة حديدية . وأما معظم الواحات الأخرى فبعد أن كان الوصول إليها فيما مضى يقتضى سفرا طويلا شاقا على ظهور الجمال فى أرض مقفرة خالية من الماء أصبح الآن بفضل الطرق التى مهدتها مصلحة الحدود للسيارات على قيد ساعات معدودة . أما واحة سيوه ومديرية الفيوم فمنخفضتان عن سطح البحر ويقع بينهما منخفض القطارة الواسع الأرجاء الذى تبلغ مساحته حوالى ١٨٠٠ كيلو متر مربع وهو أوطأ من سطح البحر وتقع أوطأ نقطة فيه على منسوب ١٣٤ متراً تحت سطح البحر الأبيض المتوسط . وإمكان الانتفاع اقتصاديا من مشروع توليد القوى

الكهربائية من منخفض القطارة لا يزال قيد البحث الدقيق . والمعادن التى تستخرج من صحراء ليبيا فى الوقت الحاضر هى النطرون أو الصودا الطبيعية التى توجد فى بحيرات وادى النطرون الواقعة على مسافة ١١٠ كيلو مترات شمال غربى مدينة القاهرة . ويستعمل النطرون على الخصوص فى صناعة الصابون البلدى ، ويوجد نوع من صخور الفوسفات فى الواحات الداخلة وحجر الشب فى الواحات الخارجة ومعدن الحديد فى الواحات البحرية ، غير أن النفقات العظيمة التى تلزم لنقل هذه المعادن تحول دون استخراجها والانتفاع بها تجاريا . ولا يعلم مايدل على وجود أثر للبترول فى صحراء ليبيا وكذا منابع الزيت فانه يشرع فى البحث عنها فى تلك البقاع إلى الآن .

وتنقسم صحراء ليبيا إداريا إلى محافظتين تابعتين لمصلحة أقسام الحدود : إحداهما تشمل القسم الشمالى بما فيه الواحات البحرية والفرافرة تعرف بمحافظة الصحراء الغربية ، والأخرى الجزء الجنوبى بمافيه واحات الخارجة والداخلة وتسمى بمحافظة الصحراء الجنوبية .

صحراء العرب أو الصحراء الشرقية - تعرف المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر بصحراء العرب أوالصحراء الشرقية ولوأنها تشبه صحراء ليبيا فى عدم وجود الماء بها غير أنها تختلف كثيراً عنها ، فبدلا من الهضاب المتماثلة الواسعة الأرجاء التى تتكون منها المنطقة التى على الجانب الآخر من النهر فان بالصحراء الشرقية ظواهر طبيعية متنوعة أهمها سلسلة الجبال الوعرة المرتفعة التى تمر فى وسطها ويتكون معظمها من طبقات من الصخور النارية وتمتد فى الشمال الغربى من بلاد الحبشة إلى ما يقرب من السويس وهناك تظهر ثانية كأنها كتلة منفصلة عن جبال شبه جزيرة سينا وأشهر قمم هذه الجبال الموجودة بالقطر المصرى (من الشمال إلى الجنوب) جبل غريب (ارتفاعه ١٧٥٦ مترا) وجبل أبو دخان (١٦٦٢ متراً) وجبل الشايب (٢١٨١ متراً) وجبل حماتة (١٩٧٨ متراً) وجبل فريد (١٣٦٦ متراً) وجبل جيرف (١٤١٩ متراً) وجبل شنديب (١٩١٢ متراً) وجبل علبة (١٤٢٨ متراً) وتحيط بسلسلة جبال من الجهة الغربية بين محورها والنيل هضاب من الحجر الرملى والجيرى تخترقها وديان كثيرة الطول والعمق بها كثير من الآبار ومنابع المياه وكذا الأعشاب البرية . ولما كان محور هذه الجبال أقرب إلى البحر الأحمر منه إلى النيل كانت منحدرات الجبال الشرقية على الدوام أكثر انحدارا منها

فى الجهات الغربية ، ولذا تنعدم الهضاب لمسافات طويلة على شاطىء البحر الأحمر ويكثر وجود الآبار والينابيع فى الجهات الجنوبية من الصحراء الشرقية عن الجهات الشمالية منها لأن الجهات الجنوبية قريبة من مناطق خط الاستواء الممطرة ونسبة الطرق الممتدة فى الصحراء الشرقية غالباً بين الوديان الشهيرة من بئر إلى بئر . وقد ترى هنا وهناك أكواخاً صغيرة للأعراب الرحل الذين من عددهم القليل يتكون سكان هذه البقاع . وتربية الجمال السريعة العدو تقوم بها قبائل البشارين الذين يسكنون الجهات الجنوبية للصحراء الشرقية لا سيما بالقرب من جبل علبة .

ولا تخلو الصحراء الشرقية من الثروة المعدنية ، وقد عملت فى السنين الأخيرة محاولات جديدة للبحث عن إيجاد مراكز معينة لهذه المعادن التى علم أنها توجد فى بعض الأماكن لاستخراج ما فيها والانتفاع به ولا يزال كثير من جغرافية هذه الجهات الاقتصادية قيد الكشف فى القطر المصرى ولكن البترول يستخرج بكميات وافرة من جمسة وغرهادة على شاطىء خليج السويس ويستخرج الفوسفات كثيراً من الجهات المجاورة لسفاجة ، ولا يزال ما يستخرج من البترول من الينابيع المصرية غير كاف لسد حاجة البلاد إلا أنه من المأمول كشف ينابيع جديدة . أما الفحم فانه قد كشف فى عدة جهات طبقات صغيرة فى صخور الصحراء محتوية على مادة الكربون . غير أنه للأسف لم تكشف من بينها طبقات فحمية يمكن الاعتماد عليها ، وليس هناك أمل فى كشف غيرها فى المستقبل وقد أدت قلة وجود الفحم فى مصر مع قلة وجود الخشب أيضاً إلى الاهتمام بالبحث عن سوائل الوقود اهتماماً لم يسبق له مثيل

ويصدر إلى الخارج جميع ما يستخرج من الفوسفات من سفاجة وغيرها لعدم حاجة البلاد اليه إذ أن أراضى القطر المصرى غنية بهذه المادة من السماد وليست فى حاجة اليها

وتوجد كميات قليلة من الذهب والنحاس الأحمر فى أماكن مختلفة من الصحراء الشرقية ولكن استخراجها لا يعود بفائدة ما لكثرة ما يصرف من النفقات فى استخراجها من هذه الأراضى الوعرة المسالك والتى لا ماء فيها كما أنه قد بذلت مجهودات أخرى لاعادة فتح مناجم الزمرد القديمة فى جهات السكيت ، وقد كانت النتيجة أن استخرجت منها كميات متوسطة منذ بضع سنوات على أنه قد لحظ

أن نوع هذه الأحجار لم يكن عالى القيمة بل كان منحطاً جداً بحيث أنه يحول دون إمكان صنعها إلا بخسارة

وهذا الجزء من الصحراء المصرية يقع تحت إشراف مصلحة أقسام الحدود ويعرف إداريا بقسم البحر الأحمر ويمتد شمالا إلى طريق القاهرة ـ السويس وجنوباً إلى حدود السودان الادارية

شبه جزيرة سينا : تمتد من الساحل الشمالى للبحر الأبيض المتوسط وهو ساحل رملى مستو مرتفعة نحو الجنوب لمسافة ٢٥٠ كيلو متر تقريباً وتكون بعد ذلك هضبة مرتفعة جيرية تنتهى بمنحدر عظيم عند التيه . ويعلو هذا المنحدر فى بعض الجهات إلى أكثر من ١٥٠٠ متر عن سطح البحر ثم تتغير طبيعة البلاد تغيراً فجائياً فى الجهات الجنوبية من التيه ، والقسم الجنوبى من شبه الجزيرة عبارة عن جبال وعرة من الجرانيت تخترقها وديان عميقة وأعلى قمم هذه الجبال جبل كاترينا (ارتفاعه ٢٦٤٦ متراً) وأم شومر (٢٦٠٢ متراً) وأستيب (٢٤٤٩ متراً) فانها أعلى جبال فى مصر ، وفى شبه جزيرة سينا ينابيع وآبار بكميات متوسطة وتجرى فيها مياه ملحية ولاتوجد فى شبه الجزيرة مدينة متسعة ، أما الجهات المأهولة فهى العريش والنخل والطور التى لها أهمية خاصة فى كونها محجراً صحياً

اماثروتها المعدنية فانها قليلة لغاية الآن ويستخرج معدن المغنيز بكميات متوسطة من الجبال الواقعة فى شرق أبو زنيمة وتصدر للخارج وقد كشفت بشبه الجزيرة منابع للزيت بالقرب من خليج السويس فى أبى دربة ولكن الكميات المستخرجة منها قليلة

جزائر خليج السويس والبحر الأحمر : قليلة الأهمية وعلى بعضها كجزيرة الأشرفى وجزيرة صدوان فنارات السفن يسكنها حراس هذه الفنارات فقط وليس بها سكان آخرون ، وقد عملت مباحث عن البترول فى جزائر جاى صم وملحميت وجوبال بالقرب من خليج السويس بدون جدوى كما استكشفت حديثاً جملة أماكن لمنابع الزيت فى جزيرة الزبرجد أو سان جون الواقعة فى البحر الأحمر على بعد خمسين كيلو متراً من الجنوب الشرقى لرأس بناس

الفصل السادس والعشرون

معادنه السودانه وجوه وحيواناته وصناعاته

كان السودان محط أنظار الباحثين عن المعادن الثمينة . وطالما كانت هذه المعادن وفى مقدمتها الذهب أول ما حفز الفاتحين لغزوه والكاشفين لارتياد مهابطه ومجاهله ، وقد أشتهر ذهب سنار . فهو يوجد تبراً فى جبال بنى شنقول جنوبى سنار ويدعى الذهب السنارى ، ويوجد فى جبل تيرا وشيبون غربى جبل قدير . ويروى المؤرخون أن الذهب كان يوجد فى وادى العلاقى بين كرسكو والبحر الأحمر . ولكن انقطع وروده من هذه المنطقة الآن .

والزمرد فى الصحراء الشرقية والنحاس فى « حفرة النحاس » فى الشمال الغربى من بحر الغزال وفى جبال سوا كن ، والحديد فى كردفان ودارفور وبحر الغزال مطموراً فى الرمال . والرصاص فى جبل الكتم مسيرة يوم إلى الشمال من كوبى بدارفور والنطرون . وهو يؤخذ من بحر النطرون من طريق الأربعين . والملح ممزوجاً بالتراب السبخ ويوجد فى عطبرة والدامر والبويضة فى مكان اسمه شرشار شمالى بارة ويوجد فى وادى الكعب غربى دنقلة ، وملح البارود من الخرطوم والفاشر ، والشب فى واحة الشب غربى حلفا . والتربية وهو تراب يحتوى على مواد ملحية فى بربر وتستعمل دواء للزهرى والحمى

« والانتيمون » أو الكحل فى جبال مرة والحجر الرملى والجرانيت والأحجار الكلسية فى أنحاء مختلفة . وتنقب شركات أوروبية عن المعادن

المعادن والذهب عند الفراعنة

يقول الأستاذ سلامه موسى من بحث له :

كلنا يعرف أن هجرة الأوربيين إلى القارة الأمريكية تعود إلى رغبتهم فى الذهب وأن استعمار الأمريكيين للولايات المتحدة نفسها كان يسير على الدوام فى أثر الذهب ، فحيثما يكون المنجم يهرع إليه السكان ، وأفريقية الجنوبية لم تستعمر إلا من أجل الذهب

وكذلك الحال عند القدماء فان الكتب الستسكريتية تذكر أن هجرة الهنود إلى الهند كانت تتخذ على الدوام تلك الطرق التى تؤدى إلى مناجم الذهب ، ولكن الهنود القدماء مثل المصريين القدماء لم يكونوا يطلبون الذهب من أجل الزينة والنقد كما يطلب الآن . بل كانوا يعزون اليه صفات قيمة أكبر عندهم وألصق بحياتهم من قيمته عندنا

كان القدماء من الهنود يصفون الذهب فى كتبهم التى لا تزال تقرأ فى اللغة الستسكريتية المنقرضة بأنه خالد وأنه متولد من النار وأنه يعيد الشباب ويطيل الحياة ويكثر النسل . وهو النار والنور والخلود معاً

وهذه الصفات لم يخترعها الآريون المهاجرون إلى الهند وإنما هم أخذوها عن الفراعنة ، فان تقديس الذهب عقيدة فرعونية ، فهم كانوا أبناء الشمس أى أبناء رع . وكان يجرى فى عروقهم سائل الذهب الذى ورثوه عن رع

وقد دهشنا منذ سنوات عند ما اكتشف قبر توتنخ أمون ورأينا مقداراً عظيماً من الذهب ، ولكن هذا الفرعون لم يكن شاذاً فى وفرة الذهب فان جميع الفراعنة منذ الأسرة الأولى بل جميع النبلاء كانوا يضعون الذهب فى القبور لأنه الوسيلة إلى الخلود

وهذه القداسة التى نسبت إلى الذهب أيام الفراعنة قد انحدرت إلى الأمم القديمة بل بقيت منها إثارة حتى فى القرون الوسطى حين اختلط البحث عن اكسير الحياة بالبحث عن إحالة المعادن الخسيسة إلى معادن شريفة . والذهب بالطبع فى رأسها وفى هذا الاختلاط يؤيد قدم العقيدة فى قداسة الذهب وإنه معدن الآلهة والسبيل إلى الخلود

* * *

وكيف وصل الذهب إلى هذه المنزلة ؟

للجواب على هذا السؤال نقول إننا نجد فى المتحف المصرى ودعاً مصنوعاً من الذهب ، وهو يعزى إلى الأسرة الأولى ، وليس فى العالم الآن صائغ يصيغ الذهب فى هيئة الودع ، ونعنى هذا الودع الذى ما زلنا نجده عند العرافين الذين يخبروننا بطالعنا بضربه فوق الرمل

هذا الودع كان له أثر كبير جداً فى عقائد الانسان البدائى فى العصر الحجرى حتى لقد كان سبباً فى انتقال الثقافة الأولى بين البشر كما أوضح ذلك المستر ولفرد جاكسون

فى كتابه « الأصداف ودلالتها على الهجرة الثقافية »

فان الانسان فى العصر الحجرى كان من السذاجة بحيث يعتقد أن الأم هى العامل الوحيد للولادة وكان يجهل الأبوة بمعناها البيولوجى . ولذلك نظر الى الودعة نظرة خاصة لما بينها وبين عضو التناسل فى المرأة من مشابهة . فقد سها لهذا السبب وصار يتجشم المشاق لجلبها من البقاع النائية لكى يحملها وهو يتوهم أنها مادامت هى الأصل فى الحياة فأنها قادرة على أن تحفظه فى صحة دائمة وتقيه من الأمراض وتطيل عمره حتى بعد الموت . وذلك لأن الموت عنده كان حياة أخرى تحتاج أيضاً الى مايحفظها ويطيلها

ولكن الودعة بطبيعتها صدفة هشة تنكسر لأقل مصادمة وهى مع ذلك كانت تجلب من البقاع النائية . ولذلك فكر الانسانى البدائى فى أن يصنع ودعاً من الحجر . وظل الايمان بالودعة مدة طويلة حتى بعد ان اهتدى المصريون الى الزراعة وأسسوا الحضارة . وكانوا يصنعونها من الحجر والذهب .

ويرى اليوت سمث أن اكتشافهم للذهب كان مصادفة حين كانوا يبعثون بعثاتهم الى سواحل البحر الأحمر لجمع الودع فان هذا الودع لا يوجد فى سواحلنا الشمالية وإنما يوجد كثيراً فى البحر الأحمر . وهناك عثروا على مناجم الذهب فاستحسنوا لونه وخفته ومرونته ونصاعته فصاروا يصنعون منه تماثيل صغيرة للودع بدلا من أن يصنعوها من الحجر وشاع بعد ذلك استعمال الذهب لهذه الغاية . ثم بتوالى السنين أو القرون انتقلت ميزات الودعة الى الذهب حتى أصبح المعدن نفسه يضفى على من يحمله أو يتحلى به صفات الصحة والخلود أو طول البقاء

الودعة والبقرة والذهب

هذه الأشياء الثلاثة كانت تمثل فى أذهان الفراعنة معانى الصحة وطول العمر والخلود . ولا بد أن الودعة فقدت قيمتها عند ما عمت الحضارة البدائية الأولى وشرع الناس يفكرون فى وظيفة الرجل البيولوجية فى التناسل . ولكن الذهب كان قد احتل من نفوسهم مكاناً كبيراً يلابس عواطفهم فبقيت مكانته . أما البقرة فكانت حاضرة على الدوام فى أذهانهم وهى أعم من الذهب . لأن هذا المعدن كانت حيازته تقتصر على الأغنياء وأما البقرة فكانت عامة فى الريف يملكها الزارعون .

وكانت رمزاً للأمومة ترضع الناس لبنها فيقوم عند الطفل مقام اللبن الذى يرضعه من أمه . ومن هنا أصبحت البقرة التى لا تزال تقدس فى الهند ــ الربة هاتور

ولكن الودعة والبقرة والذهب اختلطت لأنها جميعها تؤدى مهمة واحدة . وهذا القول هو الذى تثبته الشواهد التاريخية . ولذلك ترى الكلمة الهيروغليفية لهاتور تعنى الذهب . وهى توصف بأنها « هاتور الذهبية »

ومن هنا عناية القدماء بالذهب الذى كانوا يبعثون البعثات إلى الأقطار النائية لجلبه واحتفالهم به ودفنه مع الموتى

✡ ✡ ✡

وكان الذهب بذلك وسيلة لنقل الحضارة ــ حضارة أبناء الشمس فى عصر الفراعنة من مصر الى أسيا وأفريقيا وأوربا بل الى أمريكا . والآن يطوف السائح المنقب فيجد فى تاريخ الأمم التى ينزل فيها أو فى تقاليدها الباقية قصصاً عن أبناء الآلهة الذين نزلوا فيها وا كتشفوا الذهب .

وأبناء الآلهة هم أبناء الشمس أى رع . هم المصريون الذين أقاموا حيث كان الذهب وزرعوا وعملوا من حولهم التقويم الشمسى وتحنيط الموتى وبناء الهرم ونقلوا الانسان من العصر الحجرى الى الحضارة

ولم تقف مهمة الذهب عند انشاء الثقافة فان المصريين افتتحوا به عصر المعادن. واستخرجوا النحاس واستعملوه أولا كما يستعمل الذهب للشبه الكبير بينهما ثم وجدوا من صلابته ما يجعله صالحاً للآلات فصاغوا منه الخناجر على هيئة الأسلحة الحجرية القديمة ثم صنعوا السيف وهو خنجر طويل . ووجدوا فى الرماد المتخلف من صهر النحاس مواد لصنع المينا التى يطلى بها الفخار . ثم ارتقوا من ذلك الى صنع الزجاج

وهكذا نجد سلسلة متعددة الحلقات من ألوان الرقى البشرى نشأت جميعها على أسطورة قديمة هى أن الذهب يطيل العمر .

✡ ✡ ✡

فى هذا العام « ١٩٣٥ » يبلغ السر جيمس فريزر الحادية والثمانين من عمره . وهذا العالم العظيم قد عرف وذاع صيته بكتاب يدعى «الغصن الذهبى» تعد صفحاته بالألوف . وهو مجموعة وافية من العادات والعبادات والشعائر وألوان الحر والعرافة

والعقائد التى تتمشى فى أنحاء العالم المتحضر والمتوحش . ولهذا الكتاب موجز تبلغ صحاته ٧٥٦

والقارئ لهذا الكتاب يعجب بهمة المؤلف وجلده واحاطته وسيبقى هذا الكتاب خالداً بين الكتب التى تعد مراجع غالية وان كان أساسه كله خطأ . فان الحقائق المدونة فيه لها فائدتها التى يمكن كل قارىء أن ينتفع بها . أما استنتاجات المؤلف منها فقد ثبت خطؤها ولا قيمة لها الآن

فان المؤلف يفرض أن الطبيعة البشرية واحدة فى كل مكان وأنها تستجيب للظواهر الطبيعية بعقائد متشابهة . ولذلك إذا عرفنا أن التحنيط معروف فى بيرو فى أمريكا السفلى وفى الجزر الملاوية فى جنوب أسيا وفى مصر وفى الكونجو فاننا يجب أن نعرف أن الظروف تشابهت فاستجاب لها الانسان فى جميع هذه الأقطار استجابات متشابهة . فليس هناك إذن ما يدعونا إلى أن نفرض أن الثقافة انتقلت فى مسألة التحنيط من قطر إلى آخر . وكذلك الشأن فى اختراع الزراعة والاهتداء إلى المعادن ونظام الحكومة والكهانة والزواج إلى غير ذلك

ولكن هل هذا هو الواقع الذى نستطيع أن ندعمه بشهادة الحياة التى يعيشها البشر أو قبائلهم أو أممهم المختلفة ؟ .

إن الواقع يثبت أن الأمم أو القبائل أحياناً تتجاور ومع ذلك تعيش كل منها فى حدود ثقافتها الموروثة . فهذه قبيلة تمارس الزراعة وأخرى تجاورها ولكنها لا تزال تجمع الطعام جمعاً ولا تستنتجه استنتاجاً . وهذه طائفة تمارس عادات فى الزواج أو تحريم بعض الطعام فتخالف الطوائف الأخرى المحيطة بها ولو أن الجميع يتجاورون ويختلطون . وكل ذلك لأن لكل منها تراثاً ثقافياً يجعلها تحب وتكره مالا يحبه غيرها أو يكرهه

والانسان بطبيعته جامد لا يقبل على العادة الجديدة وليس هو بالمفكر النشيط الذى يدأب فى الاختراع والاكتشاف . فاذا فرضنا أن احدى الأمم اهتدت إلى كتشف أو اختراع فان من المبالغة الكبيرة فى حسن الظن بالذهن البشرى أن نعتقد أن سائر الأمم ستخترع مثلها . وقصارى ما يحدث أنها تنقل عنها فى بطء وفتور . وانتشار الأديان الحديثة يدل على أن انتقال الثقافة من قطر إلى آخر فى العصور القديمة كان مألوفا . ولما كانت الحضارة المصرية القديمة تتصل بالدين وتمس العقائد التى تتعلق بالصحة وطول العمر والخلود والتناسل — كانت تجد

قبولا بل تلهفاً أينما حلت لأن الانسان مهموم بهذه الأشياء كما يدل على ذلك هذه المعارف الجديدة عن الفيتامينات التى فشت بين الناس هذه الأيام وبولغ فيها مبالغات كثيرة خرجت بها عن حدودها العلمية فان الناس لشوقهم إلى ما يطيل العمر ويقوى الصحة يكثرون من قراءة هذه الموضوعات كما أن الكتاب الذين عرفوا هذا الشغف قد أصبحوا يبالغون فى فائدة الفيتامينات

وهكذا الحال فى العصور القديمة . فان الوهم الذى أشاعه المصريون عن فائدة الذهب والتحنيط جعل الأمم البدائية الأخرى تعتنق مذهبهم وتقبل حضارتهم وترتقى بها إلى الاكتشافات والاختراعات الأخرى

* * *

ويجب عند ما نبحث فى انتقال الثقافة المصرية إلى أقطار العالم أن نميز بين إنسانين أحدهما الانسان البدائى . والآخر الانسان المتوحش

فان الانسان البدائى لايعرف الزراعة وليس عنده تراث كثير أو قليل من التقاليد . فهو يعيش عيشة ساذجة يجهل فيها اللباس والمسكن والغزو والسبى

أما الانسان المتوحش فيعرف طائفة عظيمة من العقائد يمارسها منها السحر والقتال ونظام الحكم وأحياناً يعرف الزراعة وهذا الانسان هو الذى جمع السر جيمس فريزر عاداته من جميع الاقطار وعرضها فى كتابه لكى يثبت المشابهة فى استجابة الذهن البشرى للبيئة إذا اتفقت الظروف

ولكن مدرسة كمبردج التى تقول بأن مصر هى أصل الحضارة التى تفشت منها إلى سائر الاقطار تفسر هذا التوحش عند المتوحش بأن الثقافة المصرية القديمة وصلت اليهم فركدت ولم ترتق أو هى انحطت على أيديهم وانمسخت

وهذا التفسير يبرره الاستقراء لاننا نجد فى عادات المتوحشين الحاضرة بذور الثقافة المصرية القديمة .

حالة الجو فى السودان

يختلف الجو فى السودان باختلاف مديرياته ومناطقه لاتساع مساحته . وفى السودان ثلاثة فصول : فصل الأمطار ، أو فصل الخريف من يوليو إلى اكتوبر حيث يفيض النيل وتورق الأشجار وتزرع الأراضى البعيدة عن النيل وأول نزول الأمطار يسمى الرشاش وعند اخضرار الأرض يعرف بالربيع وعند النضج يعرف بالدرت . ويقف سير المراكب .

وفصل الشتاء — من نوفمبر إلى فبراير وهو فصل البرد ولا ينزل المطر ، وهو خير فصول السودان اعتدالا وصحة

وفصل الصيف — من مارس إلى يونية — وهو فصل الحر ، وهبوب ريح السموم وثوران الغبار .

تسمى رياح السودان بالهبوب . وتهب فى فصل الصيف بشدة فتثير الغبار والحصى وتلذع الوجوه لأنها لهيب من النار . وفى الهبوب أعاصير زاحفة اسطوانية وتهب الرياح « اللواقح » فتثير الغبار ، ويظلم الفضاء وقد تقتلع الأشجار وتهدم المبانى الضعيفة وقد تغرق المراكب والبواخر

ويشتد هطول الأمطار كأنه ينزل من أفواه القرب وتصطحب بالرياح والبرق والرعد وقد تنزل الصواعق

غابات السودان وأخشابه

السودان غنى بالأخشاب والغابات : فمنه النخيل وهو أنواع كثيرة . والدوم والدليب والعرديب وهو شجر التمر الهندى والسدر وهو شجر النبق . والتبلدى وهو شجر هش وثمره كجوز الهند والجوغان ثمره كالنبق ، والقضيم والطندب والأهليلج ويسمونه « الهجليج » . والحميض والجميز واللاستك والهشاب واللبان والسنط والسلم والكبتر والسيال والحراز والعرد والمدس ويؤخذ منه قشر الدبغ والأبنوس والكاكموت والاندراب والحبيل والبشم والعشر والأراك واللعوت يشبه شجر الليمون والصباغ فى كردفان والنيل الأزرق والكايت واللولو والخمرة والروم والسنا والحناء والخروع ويستخرج منه زيت والحسكنيت والحنظل والسم والسلعلع والمرخ والحمريب والحلفاء والنجيلة والطرفاء والصفصاف والقنا وقضب البردى والعنبج وأكثر الغابات والأشجار فى الجنوب

الصناعة

الحدادة — لصنع الحراب والسكاكين وأدوات الزراعة

الصياغة — الحلى والأوانى المعدنية . ومن الصناع من يخرط العاج والخرتيت ويصنع منهما الأساور والفناجين والأقداح

الحياكة — يصنعون قماشاً يشبه الدمور

الدباغة — للجلود

البناء — يبنون المنازل من طوب أو حجر أو طين ويصنعون الجير
النجارة — ومنها صنع المراكب - وهم مهرة فى الخزف

بعثات التنقيب عن المعادن

(١) شركة انجليزية فى أم بناردى عن طريق فى الصحراء بين حلفا وأبى حمد (محطة رقم ٦) ومنها إلى أم بناردى - مدت سكة حديد ، ونقبت عن الذهب ، ولكنها أفلست ولم تصل إلى نتيجة

(٢) شركة انجليزية على حدود الحبشة فى بنى شنقول نقبت عن الذهب ، وأفلست

(٣) شركة انجليزية تسمى (السد) أى (السدود) تألفت لقطع الأعشاب وكبسها واستعمالها وقوداً ، فى قوالب كالطوب الأحمر

(٤) مصلحة الجيولوجيا بالخرطوم تبحث عن المعادن - ولكنها لم تصل إلى أية نتيجة .

البترول - لم يكشف البترول بعد

وجاء فى تقرير اللورد كتشنر سنة ١٩١٢

« واستمر النقب فى مروى وكان نتيجته حسنة ومن جملة الأطلال التى كشف الروم عنها حمام رومانى وهيكل صغير أمامه أعمدة وجانب من الحمام الملكى وقد سافرت بعثة اكسفورد من فرس وستعود فى السنة القادمة إلى النقب فى نبطه وهى عاصمة ملوك مروى الثانية ، وقد تولى المستر ولكوم النقب فى جبل مويه للبحث عن الأشياء التى صنعت قبل عهد التاريخ »

الحيوانات

المفترسة : الأسد ويسمونه الدابى ودود الخلا ، والفيل ويصطاد من أجل سنه وجلده . ووحيد القرن ويسمونه العنزة أم قرن ويصطاد لأجل قرنه المعروف بالخرتيت ويصنع منه كاسات وفناجين وأنصبة

والزرافة والجاموس البرى وبقر الوحش . وحمار الوحش ويسمى عندهم حمار الخلا أو حمار الوادى والزيبرة ويسمونه خطأ حمار الوحش والضبع ويسمى بالمرفعين أو المرعفيب . والذئب والنمر والفهد والنمس والقنفذ والثعلب ويسمى البعشوم والخنزير البرى ويسمى الحلوف وأبو أظلاف وهز الزباد والثيتل والغزال والقردة والنعام .

وتصطاد الكواسر بالبنادق والشراك ، ومنه عمل حفرة فى الطريق على عمق

خمسة أمتار وتغرز فى قاعها أوتاد محددة وتسقف بالحصر ويحثى التراب فوقها حتى تكون شبيهة بالأرض المحيطة بها. فاذا ما مر الحيوان المفترس هوى فى الحفرة ، واستحال عليه الصعود والهرب ، فيرميه الصائد بحربته

وتكثر الثعابين ، ومنها غير السام والكبير الحجم واسمه (الأصلة) طوله أربعة أمتار ويصاد لجلده والعقرب وأبو شبت والأرضة والسروت وهى ذبابة سامة كالنحلة والذباب العادى والبعوض والبق والنحل والفراش والنامتة

الأمراض والمستشفيات .

جو السودان صحى فى عامة القول ، لجفاف التربة ، وليس وجود الأمراض به مانعاً من وجود مناطق صحية . ويغلب فى الأمراض سعة المساحة والعجز عن إعداد الوسائل الصحية فى كل مكان لما يتطلبه ذلك من المال الكثير .

والأمراض المشهورة هى : الحمى الملاريا وتسمى بلغة السودان الوردة . وعلاجها البلدى منقوع القرظ الممزوج بشراب العسل أو منقوع التمر الهندى أو ثمر التبلدى

والديسونطاريا وتسمى عندهم العشرة وعلاجها البلدى اللبن الرايب بالحلبة أو أقراص النبق ومسحوق عرق السنط »

والزهرى ويسمى « الحلق أو الجقيل » وعلاجه البلدى العشبة المعروفة أو التريبة ، والسيلان ويسمونه « النجل » وعلاجه السمن البقرى بمنقوع الحنظل أو بعشب الربع ، والدودة الوحيدة وعلاجها شرب الحشيشة الحبشية ممزوجة باللبن . والجدرى . ويكون أحياناً وبائياً يصيب الزنوج أكثر من العرب ، ويمنعون عن المريض به الروائح ويدهنون عينيه بماء البصل ويعالجونه بطعام البلح واللبن والبصل مع الذرة .

والالتهاب السحائى الشوكى والجرب والبرص والكوليرا وتسمى عندهم وعند أهل الصعيد « الشوطة » وضربة الشمس . وأكثر الأمراض منشؤها تقلب الجو. على أن التحوط الصحى ، وهو ميسور ، يعطى مناعة لا بأس بها

وقد انتشرت فى السودان المستشفيات وهى ثلاثة أنواع : صغيرة ومتوسطة وكبيرة : وبناء المستشفيات بسيط من الطوب فى مساحات واسعة ، نفقاتها قليلة ، وهى دور واحد أو دورين ، ويشرف عليها أطباء انجليز ويساعدهم أطباء سودانيون من خريجى مدرسة كتشنر الطبية فى الخرطوم ويدخلها خريجو طلبة غوردون لمدة أربع سنوات .

الفصل السابع والعشرون

الحالة الاقتصادية فى السودان

زادت الحركة التجارية فى السودان فجأة عقب نشوب الحرب سنة ١٩١٤ . وعندئذ كان مشروع رىّ الجزيرة قد نهض ولم يبق عليه إلا القيام ببعض التجارب فى جوار « واد مدنى » . وقد قسم قرض الحكومة السودانية الذى صدر به القانون سنة ١٩١٣ وأريد تنفيذه فى سنة ١٩١٤ إلى مايلى : مليونى جنيه ، مايلزم من الأعمال لتحقيق رى سهل الجزيرة ، و ٨٠٠ ألف جنيه لمد السكك الحديدية ، ٢٠٠ ألف جنيه لأعمال رى أخرى وللطوارىء .

ولكن هذا القرض الذى أريد الاكتتاب به فى لندن ، قد منعت الحرب الشروع فيه والحصول عليه ، إلى أن كان شهر أغسطس سنة ١٩١٩ ، فرأت وزارة المالية البريطانية أن تزيد مبلغ القرض من ثلاثة ملايين إلى ستة ملايين . ولكنه لم يكن كافياً وفى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٩ أبرم اتفاق مع « نقابة السودان الزراعية » « Sudan Plantations Syndicate » وقد واصلت النقابة المذكورة فى أثناء الحرب تجاربها فى نواحى الزيداب بمديرية بربر وفى مزارع الطيبة وبركات بالجزيرة ، على أن تقوم الحكومة السودانية بنفقات الترع الرئيسية ، وأن تقوم النقابة بانشاء الترع الصغرى تحت اشراف الحكومة ، مع تمويل المستأجرين وبيع المحصول على أن تقسم الأرباح الناتجة من بيع محصول القطن بين المستأجر والحكومة والنقابة بنسبة ٤٠ ٪ للأول و ٣٥ ٪ للحكومة و ٢٥ ٪ للنقابة ، أما المحاصيل الأخرى فتكون كلها للمستأجر . وبمقتضى الأمر الصادر فى اكتوبر سنة ١٩٢١ الخاص بأرض الجزيرة خول للحكومة الحق فى استئجار الأراضى التى لها ملاك وطنيون مسجلون لمدة أربعين سنة وتكون أجرة الفدان عشرة قروش ، على أن يكون للملاك الحق الأول فى زراعة قطع كل منها تبلغ ٣٠ فداناً كلما كانت أقرب إلى أملاكهم الأصلية . أما الأراضى التى كان محتاجاً اليها لأعمال مستديمة ، فقد اشتريت من أصحابها .

لجنة التحقيق فى مشروعات الرى

فى سنة ١٩٢٠ ثار نزاع مشهود فى صدد تنفيذ مشروعات الرى الكبرى فى مصر والسودان . وقام مهندسان انجليزيان كبيران « ويلكوكس وكندى باشا » يعارضان فى برنامج هذه المشروعات . وقد كان لهذا ضجة كبيرة استيقظ لها الرأى العام المصرى ، وطلب وقف المشروعات . فاضطرت وزارة الأشغال إلى تأليف لجنة للتحقيق تألفت من مهندسين من الهند والولايات المتحدة وكامبردج لاعطاء رأيها فى صدد تنظيم توزيع ماء النيل لمصلحة مصر والسودان ، وقد شملت المشروعات : خزان سنار ، وخزان جبل الأولياء وقناطر نجع حمادى فى الوجه القبلى ، والقيام بأعمال صيانة عند منطقة السدود . وخزانات تخزين فى البحيرات الكبرى .

ميزانية الحكومة

ورد فى التقرير المرفوع من الفيكونت كتشنر إلى السير ادوارد جراى وزير خارجية انجلترا يومئذ عن المالية والادارة والحالة العمومية فى السودان سنة ١٩١٢ ما يلى :

ويظهر نمو إيرادات السودان من الجدول التالى الحاوى الايرادات التى حصلت منذ سنة ١٨٩٨

السنة	الايرادات ج . م
١٨٩٨	٣٥٠٠٠
١٨٩٩	١٢٧٠٠٠
١٩٠٠	١٥٧٠٠٠
١٩٠١	٢٤٢٠٠٠
١٩٠٢	٢٧٠٠٠٠
١٩٠٣	٤٦٣٠٠٠
١٩٠٤	٥٧٦٠٠٠
١٩٠٥	٦٦٥٠٠٠
١٩٠٦	٨١٨٠٠٠
١٩٠٧	٩٧٦٠٠٠
١٩٠٨	٩٧٩٠٠٠
١٩٠٩	١٠٤٣٠٠٠
١٩١٠	١١٧١٠٠٠
١٩١١	١٣١١٠٠٠
١٩١٢ (المنتظرة)	١٤٢٤٠٠٠

وبلغ جملة الايراد من الأطيان والعشور أى أموال الأطيان التى تروى بماء المطر ١٤١٤٠٠ ج . م

ايرادات سنة ١٩١٣ ١٦٣١٠٠٠

مصروفات سنة ١٩١٣ ١٦٣١٠٠٠

والسبب فى نقص الايرادات والمصروفات هو الاتفاق الذى تم بين الحكومة السودانية والحكومة المصرية على العلاقات المالية التى كانت بينهما فقد تقرر فى هذا الاتفاق أن تلغى الاعانة التى تدفعها الحكومة المصرية للحكومة السودانية وأن تدفع الحكومة المصرية للسودان رسوم الجمارك التى تؤخذ فى مصر .

ايرادات الحكومة ومصروفاتها

١ ــ الايرادات : فى سنة ١٩٣٣ بلغت هذه الايرادات ٣٫٦٣١٫٥٥٢ جنيهاً مصرياً : من ذلك ٦١٨٫٠٠٥ ج من المديريات و ٦٩٦٫٤٣٧ من المصالح ، و ٧٥٠٫٥٤٩ من الادارات المركزية العامة و ٤٤٧٫٢٥٥ من السكك الحديدية و ٣٦٩٫٣٠٦ جنيهات من الرى ، و ٧٥٠٫٠٠٠ الاعتماد الذى تدفعه مصر لقوة الدفاع عن السودان

وقد بلغت الايرادات ٤٫١٧٧٫٨٠٩ فى سنة ١٩٢٧ ، و ٤٫٦٨٠٫١٨٨ فى سنة ١٩٢٨ و ٤٫٨٣٥٫٠٠٣ جنيهاً فى سنة ١٩٢٩ و ٤٫٦٩٣٫٦٢٣ ج فى سنة ١٩٣١ و ٤٫٣٩٨٫٦١٨ جنيهاً فى سنة ١٩٣١ . و ٣٫٨٥٣٫٧٩٨ ج فى سنة ١٩٣٢ ، و ٣٫٦٣١٫٥٥٢ فى سنة ١٩٣٣ .

٢ ــ المصروفات : وبلغت المصروفات سنة ١٩٣٣ مبلغ ٣٫٦٢١٫٩٥٧ جنيهاً مصرياً .

الحساب الختامى لحكومة السودان ١٩٣٤

صدر الحساب الختامى لحكومة السودان عن السنة المنتهية فى ديسمبر سنة ١٩٣٤ وقد بلغت جملة الايرادات ٣٫٧٧٤٫٩١١ ج . و ١٥٤ م . والمصروفات ٣٫٧٤٩٫٤٧٧ ج . و ٢٤ م . بوفر ٢٥٫٤٢٣ ج . و ١٣٠ م . أضيفت لمال الاحتياطى العام فبلغت جملته ٣٦١٫٨٣٥ ج و ٦٥٤ م . هذا بخلاف أموال الاحتياطى المخصصة التى تبلغ جملتها ١٫٨٠٥٫٠٤٠ ج و ٧٨٢ م . والباقى من مال الاحتياطى المخصص للسلفيات البالغ قدره ٩٢٠٤٩ ج . و ٦٦٥ م . وتدل أرقام الحساب

الختامى على أن مركز الحكومة المالى متين يبعث على الطمأنينة ويصح أن يؤخذ كدليل قاطع على انكشاف الأزمة المالية فلديها مبلغ ٣٤٤ر٦٩٥ ج . و ٨٤٩ م نقدية فى الخزانات وطرف البنك ومبلغ ٨١٩ر٨٤٢ر٢ ج ٠ و ٣٥٨ م . سندات دين الحكومة البريطانية والمصرية هذا بخلاف مال تعويضات خزان جبل أولياء الذى بلغ بأرباحه حتى آخر العام الماضى مبلغ ٥٥٢ر٧٧٨ ج و ٤١٤ م . منهامبلغ ١٩٣ر٧٧٧ ج و ٨٠ م . موظفة فى سندات والباقى محفوظ فى البنك الأهلى المصرى» اهـ .

مذكرة الحكومة عن ميزانية ١٩٣٤ — ١٩٣٥

ميزانية سنة ١٩٣٤

كان من أثر اضطراد التحسين فى الميزان التجارى فى سنة ١٩٣٤ ان زاد دخل الحكومة فى جميع أبواب الايرادات إلا فى ما يخص أسهمها فى محصول القطن فى توكر والجزيرة حيث كان العجز ظاهراً ظهوراً ملموساً .

وقد بلغ صافى الدخل فى الميزانية ٩١١ر٧٧٤ر٣ جنيهاً وذلك بعد خصم مبلغ ١٣٧ر٣٦٩ جنيهاً لسد العجز فى حساب القطن وكان المقدر للايرادات مبلغ ٠٠٠ر٨١٢ر٣ جنيهاً وبلغت المصروفات الفعلية ٤٨٨ر٧٤٩ر٣ وكان مقدراً لها ١١٤ر٨٠٩ر٣ وبهذا بلغ الوفر فى الميزانية ٤٢٣ر٢٥ جنيهاً أضيفت للمال الاحتياطى .

وقد بدىء فى خلال سنة ١٩٣٤ بتخطيط قنالات إضافية فى المساحات المروية فى أراضى الجزيرة . وينتظر أن تزاد مساحات الأراضى المزروعة قطناً نحو ٨٠٠٠ فدان حتى شهر يوليه سنة ١٩٣٦

وكذلك انشئت ثلاثة محالج صغيرة فى مديرية كردفان لتلافى الحاجة التى أوجبها الاتساع السريع فى زراعة القطن المطرية فى منطقة جبال النوبة حيث زاد المحصول من ٣٣٥٦٦ قنطاراً كبيراً فى ١٩٣٢ - ١٩٣٣ إلى ٨٦٨٠٠ فى ١٩٣٣ - ١٩٣٤ ويقدر محصول ١٩٣٤ - ١٩٣٥ بما يزيد على ١٣٣٠٠٠ قنطاراً كبيراً .

وأقيمت فى مديرية الفونج فابريقة لنشر الخشب لامداد السكة الحديد السودانية بما تحتاج اليه من الفلنكات وأجريت تخفيضات هامة فى كثير من أجور النقل فى السكك الحديدية وفى أسعار السكر وأجور التلفونات وخفضت ضرائب مباشرة كثيرة فى المراكز التى ظلت الأحوال الاقتصادية فيها رديئة . ومع هذا فقد دفعت الضرائب بسهولة وختمت السنة بمتأخرات قليلة .

ميزانية سنة ١٩٣٥

بعد الاستعداد لسداد زيادة قدرها ١٧٫٨٧٣ جنيهاً تم تعادل الميزانية على مبلغ ٤٠٣٥١٥٠ جنيهاً .

وقد وضعت زيادات معتدلة ودقيقة فى تقديرات أغلب أبواب الايرادات وظلت الضرائب تناسب مقدرة البلاد على احتمالها . وفى ناحية المصروفات وضعت نفقات الادارة عند أقل منسوب تقضى به الضرورة . ولكن زيدت المبالغ المرصودة للانفاق على الوسائل التى وضعت لزيادة الانتاج والدخل وتجديد ما يستهلك من الماكينات وزيدت الأموال المرصودة للتعليم والأعمال الطبية . وأعيدت الاستقطاعات التى كانت أخذت من مرتبات الوظائف الصغيرة وجزء من تخفيضات مرتبات الوظائف الأخرى .

والأسس العامة التى بنيت عليها الميزانية تدل على أن الحكومة مع حرصها على الاحتفاظ بنفقات الادارة الاعتيادية تتخذ من الوسائل الفعالة ما من شأنه أن يعجل إعادة الانتعاش إلى كيان البلاد الاقتصادى . اه

* * *

وجاء فى خطاب السر أدوارد كوك محافظ البنك الأهلى المصرى بالقاهرة فى اجتماع الجمعية العمومية السنوية سنة ١٩٣٥ ما يلى :

« كانت آثار الكساد فى السودان أشد وقعاً منها فى القطر الشقيق نظراً لضآلة موارده الطبيعية وقلة الأموال المدخرة فيه فلقد انحطت قدرة الأفراد على الشراء بغتة وإلى حد كبير . وعجز التجار عن احتمال خسائرهم واختل توازن ميزانية الحكومة ، التى يتوقف . الجزء الاكبر من إيراداتها على ما تجنيه من أرباح مشروعاتها التجارية اختلالا خطيراً . ولكن هذه الصعاب قوبلت بهمة وشجاعة وأنقصت المصروفات فى كل ناحية بمجرد أن تبينت الحكومة أن الآمال التى نيطت بها برامج الادارة لن تتحقق لسنين متعددة

هذه السياسة السليمة ، وإن كانت محافظة ، آتت ثمارها ، وعادت بها ميزانية الحكومة إلى حالتها من التوازن . وانتعشت الحياة الاقتصادية بالتحسن الطارىء على التجارة العالمية ، فارتفعت أثمان أغلب البضائع السودانية ، وزادت الصادرات بما يزيد على ٤٠ فى المائة قياساً بسنة ١٩٣٣ كما زادت تجارة السودان الخارجية فى مجموعها نحو الثلث . وتدل زيادته استهلاك السكر والشاى على نحو قدرة الأفراد

على الشراء : واستطاعت الحكومة ، بعد أن أصبحت ماليتها فى حالة أبعث على الرضى ، أن تقوم بشتى الاصلاحات وأجرت من تخفيض نفقات النقل المائى وعلى سكك الحديد ما يدل على شعورها بضرورة تخفيض نفقات النقل المائى وعلى سكك الحديد ، ما يدل على شعورها بضرورة تخفيض نفقات النقل كى تستطيع الحاصلات السودانية أن تصمد للمنافسة فى الأسواق التجارية . اه

تجارة السودان

١ ــ الصادرات : نبين فى الجدول التالى قيمة صادرات السودان إلى البلاد الأخرى .

اسم المملكة	سنة ١٩٣٢ جنيه مصرى	سنة ١٩٣٣ جنيه مصرى	النسبة المئوية
بريطانيا العظمى	٢ر٦٦٧ر٠٩٩	١ر٥٧٤ر٩٩٨	٦٠ر٥
مصر	٢٢٨٣٢٠	٢٩١٣٥٣	١١ر٢
الهند الانجليزية	٣٦٨٥١١	١٦٥٩٧٤	٦ر٤
الولايات المتحدة	١٠٣٢٢٢	٩٤٤٥٢	٤ر٤
فرنسا	١٠١٥٨٨	١٢٩٧٦٦	٥
المانيا	٦٤٠١٢	٦٥٧٠٠	٢ر٥
إيطاليا	٩١٠٨٢	٥٦٩٤٢	٢ر٢
بلجيكا	٣٠٦٢٠	٣٦٨٩٦	١ر٤
هولاندا	٢٥٦٤٨	٢١٠٦٧	٠ر٨
اليابان	١٨٧٩٥	٣١٤٢٢	١ر٢
استراليا	١٥٩١٨	٨٣٣٩	٠ر٣
بلاد أخرى	٨٢٧١٣	١٠٨٤٨٥	٤ر١
المجموع	٣٧٩٧٥٢٨	٢٦٠٥٣٩٤	١٠٠

٢ — الواردات :

اسم المملكة الموردة	سنة ١٩٣٢ جنيه مصرى	سنة ١٩٣٣	النسبة المئوية
بريطانيا العظمى	٧٥١٧٥٣	٨٥٩٩٠٨	٢٧ر٢
مصر	٤٦٠٤٤٢	٥٨٤٢٧١	١٨ر٥
اليابان	٤٢٣١٥٥	٥٥٨٨٣٧	١٧ر٧
الهند البريطانية وعدن	٢٣٢٢٣٦	١٧٩٥٢٠	٥ر٧
الحبشة	١٧١٤٨٤	١٥٤٨٦٢	٤ر٩
استراليا	٩٥٠٤٦	٨٢٢٩١	٢ر٦
بلجيكا	١٤٤٦٤٢	٦٧٥٧٩	٢ر١
اتحاد جنوبى افريقيا	٤٤٦١٠	٥٣٠٢٧	١ر٧
كنيا	٤٥٥٩٣	٥٢٦٧٤	١ر٧
يافا	٦٨٠٨٠	٥٢١٠٨	١ر٦
جزر الهند الشرقية	٣٧٠١٣	٥١٦٨٦	١ر٦
الصين	٢٧٣٠١	٤٥٤٠٩	١ر٤
فرنسا	٥٣٨٦١	٤١٥٨٨	١ر٣
إيطاليا	٤١٩٦٨	٤٠٠١٥	١ر٣
المانيا	٣٤٩٥٢	٣٤٦١٣	١ر١
الولايات المتحدة	٣٤١٩٦	٣٠٤٩٦	١
هولندا	٥٢١٨٨	٨٥٩٩	٠ر٣
بلاد أخرى	٣٣٦١٢٤	٢٦٢٨٦٠	٨ر٣
المجموع	٣٠٥٤٦٤٤	٣١٦٠٦١٩	١٠٠

إيرادات السكك الحديدية

بلغت هذه الايرادات فى سنة ١٩٣٣ مبلغ ١٧٣٧١٤٢ جنيها ، وبلغت الأرباح ٥٢٠٢٤٢ جنيهاً مقابل ٦١٢٧٠٤ جنيهات فى سنة ١٩٣٢

إيراد البريد والتلغراف

بلغت هذه الايرادات ١٠٢٠٧٤ جنيها فى سنة ١٩٣٣

الغرفة التجارية وخطاب المستر كنتو ميخالوس

بالسودان غرفة تجارية وحيدة هى الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم ، وقد عقدت اجتماعها السنوى يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٣٥ وألقى مسيو كونتو ميخالوس رئيسها السابق الخطاب التالى

« أيها السادة :

لى الشرف بأن ألقى خطابى السنوى للمرة الثانية كرئيس للغرفة التجارية وأن من دواعى السرور أن نرى هذا العدد العظيم فى اجتماعنا السنوى مما يدل على اهتمامكم بأعمال الغرفة وتقديركم لمجهودات اللجنة : —

إن الحساب السنوى لحالة الغرفة يدل على تقدم ظاهر حيث لدينا الآن رصيد نقدى مبلغ ٨١٤ ج . ثمانمائة وأربعة عشر جنيهاً مصرياً ومتأخرات عند الأعضاء مبلغ ١٦ جنيهاً ستة عشر جنيهاً مصرياً كما أنه قد وصلتنا اشتراكات عن السنة القادمة مبلغ ١٨ جنيه ثمانية عشر جنيهاً مصرياً . ونتيجة أعمال السنة كانت بزيادة الايرادات على المصرفات بمبلغ ستين جنيهاً مصرياً .

إن أعضاء الغرفة التجارية قد بلغوا الآن ٤٠٣ عضواً منهم ٢٨٦ عضواً فى السودان و ٧٢ عضواً فى مصر والخارج و ٤٦ عضواً شرفياً . ومع أن هذه النتيجة مرضية جداً فانى لاأزال أنتظر من التجار الذين لا زالوا خارج الغرفة أن ينضموا اليها بأول فرصة .

فى خلال السنة الماضية كانت لجنة الغرفة منهمكة فى جملة محادثات مع اللجنة الاقتصادية فى مواضيع كانت تطلب اهتمامها الخاص وأنه يسرنى أن أشكر رؤساء وأعضاء اللجنة الاقتصادية لمساعدتهم القيمة فى هذا الصدد وأن المسائل التى نجحت الغرفة فى الحصول عليها فى بحر السنة تتلخص فيما يأتى : —

(أولا) إلغاء عوائد الحنظل والسنمكى الخلوية والمزروعة وقد كان هذا من الضرورى بمكان بالنسبة لحالة هذين الصنفين

(ثانياً) تخفيض ناولون الأذرة فى المحطات قبلى أبو حجار ومصاريف تخزين هذا الصنف فى حلفا .

(ثالثاً) تخفيض ناولون الفاصوليا واللوبيا من محطات خط دنقلة

(رابعاً) إلغاء عوائد توريد الصمغ فى استراليا بمساعدة الغرفة التجارية فى

سيدنى وفى ملبورن اللتين نقدم لهما تشكراتنا .

(خامساً) توحيد العوائد على القرض مدة ١٢ شهراً ابتداء من أول يناير بدلا من تحديد هذه العوائد شهرياً وذلك بمساعدة اللجنة الاقتصادية

لقد شكلت لجنة فرعية لدرس مشتريات الحكومة فى الخارج وقد قدمت هذه اللجنة تقريراً عن ذلك من اللجنة الاقتصادية . ولنا الأمل بأن نتحصل على مساعدة الحكومة فى هذا الشأن وقد بحثت اللجنة بالاشتراك مع اللجنة الاقتصادية تشجيع الأهالى لتقشير الفول السودانى ولكن بالنسبة للمصاريف الباهظة التى تطلبها هذه العملية وجد أن الأوفق عدم الاستمرار فى هذا الموضوع فى الوقت الحاضر

وقد اجتهدت الغرفة لايجاد أسواق جديدة للشطة ولكن لم تحصل نتيجة من ذلك . وقد طلبنا من سعادة السكرتير القضائى الموافقة على نشر الكمبيالات التى يعمل عليها برتستو ولكن الحكومة لم توافق على طلبنا والموضوع لازال تحت النظر

وقد حصلت مباحثات لتعميم البيع بالمزاد لجميع الحاصلات فى جميع المديريات بما فيها جميع الفونج وكذلك توحيد جميع الحاصلات فى الوزن ومنع تصدير الأذرة والسمسم إلا بعد الغربلة بماكينات الغربال وهذه المواضيع جميعها لازالت تحت النظر .

بموافقة صاحب المعالى الحاكم العام تألفت لجنة مشتركة مكونة من مدير اللجنة الاقتصادية وموظف من مصلحة الزراعة من جانب الحكومة ورئيس وسكرتير الغرفة التجارية من جانبنا مع إمكان ضم أعضاء آخرين يستدعى حضورهم وقت النظر فى أى موضوع يهم التجارة ولنا الأمل بأن هذه اللجنة المشتركة ستأتى بفوائد عظيمة لصالح تجارة السودان .

هذا ملخص الأعمال التى قامت بها اللجنة فى هذه السنة .

* * *

ومن أعظم حوادث هذه السنة زيارة فخامة المندوب السامى لأول مرة للسودان ونؤمل أن فخامته كان مسروراً مما شاهده من تقدم هذه البلاد

وحادث آخر له أهمية وهو زيارة البعثة التجارية المصرية التى من نتائجها الكبيرة زيادة التعارف بين البلدين وبهذه المناسبة أود أن أشكر مرة أخرى معالى الحاكم العام وجميع موظفى حكومة السودان لحسن اهتمامهم بالبعثة مما جعل زيارتها للسودان ذات فائدة عظيمة . لا يمكن أن نقول بأن التجارة ستحصل على

نتائج سريعة من وراء زيارة البعثة وتعارف التجار فى القطرين حيث هذا يتطلب جهوداً متواصلة حتى يصل إلى زيادة العلاقات التجارية بيننا ولكن يمكن أن أقول بأن زيارة البعثة قد أتت بفوائد من جهة العلاقات بين البلدين . وفى خلال زيارتى الأخيرة لمصر وجدت أن أصدقاءنا المصريين أصبحوا أكثر فهماً من قبل ويقدرون الصعوبات التى أمامنا وهذا نفسه يعد خطوة إلى الامام لتحسين العلاقات الودية التى هى واجبة بيننا . والنتيجة الأولى التى ظهرت من زيارة البعثة هى تأليف لجنة دائمة مكونة من أحسن العناصر التجارية والزراعية والتى ستكون على اتصال مع لجنة هذه الغرفة للنظر فيما يهم تجارة البلدين .

وعند اتمام تأليف اللجنة الجديدة لهذه الغرفة سيكون أول اهتمامها الاتصال باللجنة الدائمة فى مصر لتقرير خطة مشتركة للعمل فى المستقبل . وليس من شك بأن هذا سيعود بفوائد جمة على القطرين .

وفى ديسمبر القادم (١) سيقام معرض زراعى صناعى فى مصر وقد قبلت الغرفة الاشتراك فى هذا المعرض . واللجنة الجديدة سيكون عليها الاستعداد من الآن كى تكون معروضات السودان ظاهرة بمظهر لائق وأنا متأكد بأنه يمكننا الاعتماد على مساعدة الحكومة فى ذلك .

كذلك نؤمل بأن أكبر عدد ممكن من تجار هذه البلاد يغتنمون هذه الفرصة لزيارة المعرض ومشاهدة التقدم العظيم التى حصلت عليه مصر فى السنين الأخيرة صناعياً وتجارياً ويتبادلون الآراء مع التجار المصريين للوصول إلى الغرض التى تسعى اليه وهو زيادة العلاقات بيننا وبين مصر .

وسيقام فى هذه السنة مؤتمر دولى للغرف التجارية فى باريس (٢) . وكما كانت لى فرصة حضور مؤتمر فينا فى العام الماضى نؤمل أن نتمكن من الحضور فى مؤتمر باريس وأن البعض منكم أيضاً يغتنم هذه الفرصة للاجتماع برجال الأعمال فى الأقطار الأخرى .

احصائية تجارة البلاد

بلغ مجموع وارداتنا فى سنة ١٩٣٤ مبلغ ٣٫٧٤٤٫٣١٣ جنيه مصرى يقابله مبلغ ٢٫٩٩٩٫٤٧٩ جنيه مصرى فى سنة ١٩٣٣ ومجموع صادراتنا مبلغ ٣٫٨٢١٫٤١٥ جنيه يقابله مبلغ ٢٫٥٨٧٫٤٢٣ جنيه مصرى فى سنة ١٩٣٣ أو بزيادة مبلغ

(١) تأجل المعرض من ديسمبر ١٩٣٥ إلى فبراير ١٩٣٦

(٢) حضر كونتو ميخلوس هذا المؤتمر

٨٣٤ر٧٤٤ جنيه مصرى ومبلغ ٩٩٢ر٢٣٣ر١ جنيه مصرى فى الصادرات والواردات . من المبالغ المذكورة أعلاه زادت واردات الحكومة مبلغ ٨٨٣ر٢٢٥ جنيه مصرى وواردات الجمهور مبلغ ٠٠١ر٥١٩ جنيه مصرى . وبدون شك أنها نتيجة حسنة بالرغم من أن هذه الأرقام لازالت أقل من أرقام بعض سنين مضت

كانت انكلترا أول البلاد فى الواردات والصادرات فقد استوردنا منها بمبلغ ٦٨٨ر٩٧٢ جنيه مصرى وصدرنا اليها بمبلغ ١١٦ر٠٨٤ر٢ جنيه مصرى أو بمعدل ٢٦ ٪ من جميع وارداتنا و ٥٤ ٪ من جملة صادراتنا وكانت مصر ثانية البلاد بهذا المعنى فقد استوردنا منها بمبلغ ٤٠٥ر٨٧١ جنيه وصدرنا اليها بمبلغ ٧٩٨ر٧٨٣ أو معدل ٢٣ ٪ فى الوارد و ٢٠ ٪ فى الصادر

أما علاقاتنا بالبلاد الأخرى فلم تتغير كثيراً ما عدا اليابان فقد بلغ الوارد منها للسودان مبلغ ٧٥٤٦٧٨ جنيه أو معدل ٢٠ ٪ من جملة وارداتنا بينما من وارداتنا لم تأخذ اليابان الا بمبلغ ٤٦٩ر٥٠ جنيه او ١½ من جملة الصادر وقد ذكرت لكم هذا فى خطابى الماضى وتحدثت بذلك فى فرص اخرى ولكن يظهر أنه لا يوجد دواء لهذه الحالة لسبب بعض معاهدات مرتبط بها السودان وبهذه الفرصة نتوجه الى الحكومة بالرجاء أن تسعى باول فرصة بتغيير هذه الحالة حيث لا أجد مبرراً لأن ندفع لليابان هذه المبالغ العظيمة بينما اليابان لا تهتم بان تزيد مقدار صادراتنا اليها . إن حالة التقدم فى تجارتنا فى العام الماضى لازالت فى استمرار فى الربع الاول من هذه السنة ولنا الأمل فى أن تكون نتيجة سنة ١٩٣٥ كلها كذلك

ان انجلترا لا زالت أحسن عميل لنا . ولكن للاسف وبالرغم عن كل ما بذلناه لا زالت بعض صادراتنا ندفع ١٠ ٪ جمرك هناك . وقد ذكرت ذلك فى تقريرى الماضى كما انى ذكرت باننا ننتظر من انجلترا مساعدتنا فى أوجه أخرى وذلك باعادة النظر فى قرض الجزيرة وفائدته وقد بحث هذا الموضوع أشخاص ذوو نفوذ فى انجلترا وقال صديقنا السير جيمس كرى فى مقال نشره فى مجلة الجمعية الأفريقية بينما كان يبحث فى حالة التعليم فى هذه البلاد ذكر نفس الموضوع . وهذا نص مانشره السير كرى « منذ سنة ١٩٠٠ وفى مختلف الظروف حصل السودان على مساعدات ضئيلة من انجلترا الا ما كان بمعدل فائدة ٦ ٪ وبحكم الظروف السياسية لقد حرم السودان من مساعدات مصر كما أنه لم يكن له نصيب من الأفضلية التى منحت للبلاد الأخرى التابعة للامبراطورية البريطانية والتى كان يجب أن تمنح للسودان بالرغم عن الظروف السياسية »

أظن أن جميعكم موافقون معى ان السودان ولو لم يكن بنفس الحالة التى تربط البلاد الأخرى بالامبراطورية ما كان يجب ان يحرم من الفوائد التى حصلت عليها البلاد التى ترفع العلم البريطانى وحده

السكرتير المالى

فى خلال السنة ترك هذه البلاد السكرتير المالى الذى استلم مالية البلاد فى وقت الضائقة والحقيقة ان المستر فاس يوم حضر لهذه البلاد قابلته حالة صعبة جداً. وقد تمكن بالرغم عن ذلك من موازنة الميزانية وقد ترك لخلفه حالة أحسن ، وان لم تكن أقل صعوبة . ان تعيين المستر رجمان كسكرتير مالى للسودان قد قوبل باغتباط وارتياح فى جميع الدوائر . وانه تعيين فى غاية التوفيق بالنسبة لمعرفته للبلاد وأهلها وبكل تأكيد سيكون كاحسن سكرتير مالى حصلت عليه هذه البلاد وانى أقدم للمستر رجمان تهانى جميع أفراد الهيئة التجارية . وصحيح ان السكرتير المالى تعين حين بدأت البلاد تنتعش ولكن الحالة لا زالت تطلب عناية خاصة

وقد كان أول أعمال السكرتير المالى ان صدق على مايلزم للحكومة من المصروفات الضرورية لادارة الأعمال وعلى منشآت جديدة ذات فائدة . وبهذه الفرصة أؤمل ان وقت النظر فى أى مشروع جديد يسهل السكرتير المالى للهيئة التجارية الاشتراك فيه وانى أؤمل ان جنابه يجيب طلب العموم بان يعيد للتجارة ما أخذ منها بالغاء احتكار السكر الذى كان من الامور الاستثنائية التى قررت الحكومة العمل بها بعد الحرب

* * *

كما تعلمون ان ميزانية سنة ١٩٣٤ قد تعادلت ولكن النتيجة النهائية قد زادت على الأرقام التى كان قدرها سلفا المستر رجمان وفى التقرير النهائى للايرادات يظهر ان ايرادات المديريات قد بلغت ٦٠٠ر٠٠٠ جنيهاً ، وقد كان مقدراً لها ٥٥٨ر٠٠٠ جنيه . وايراد المصالح ٨٦٨ر٠٠٠ جنيهاً ، وقد كان مقدراً لها ٧٣٥ر٠٠٠ جنيه . وأهم زيادة فى الايراد كانت كالآتى : —

من الجمارك مبلغ ٨٧ر٠٠٠ جنيه ومن مصلحة الزراعة والغابات مبلغ ٣١ر٥٠٠ جنيه . وعلى العموم فكل مصلحة قد زادت ايراداتها عما قدر لها

كما أن إيراد المصالح العامة قد بلغ ٢ر٢٧٤ر٠٠٠ جنيه وقد كان مقدراً بمبلغ ٢ر٠٢٥ر٠٠٠ وزيادة السكر كانت ٥٦ر٤٤٠ بالرغم من تخفيض سعر البيع . ومن

عوائد الصمغ ٧٧٫٨٢٠ جنيها ومن السكة الحديد ١٠٠٫٠٠٠ جنيه والمصلحة الوحيدة التى حصل بها عجز كبير هى مصلحة الرى السودانى التى قدر ايرادها بمبلغ ٤٨٠٫٠٠٠ ولم يبلغ الـ ٣٨٩٫٠٠٠ جنيه وهذه من سوء رداءة محصول الجزيرة فى العام الماضى .

وقد كانت النتيجة العامة لسنة ١٩٣٤ أنه بعد إضافة مبلغ ٣٦٩٫٠٠٠ جنيه لحساب احتياطى القطن كانت الزيادة فى الايراد عن المصروف مبلغ ٢٥٫٠٠٠ جنيهاً يعادلها مبلغ ٩٫٥٠٠ جنيهاً فى السنة التى قبلها والتى أضيف اليها أيضاً مبلغ ١٤٥٫٠٠٠ جنيه لحساب الاحتياطى وأن هذه النتيجة تستدعى شكر جميع من ساهموا فى الحصول عليها

وأما لسنة ١٩٣٥ فقد قدر السكرتير المالى أرقام الايراد والمصروف بتحفظ كبير مما يجعلنا نتفاءل خيراً بأن النتيجة النهائية ستكون أيضاً بزيادة الايرادات على المصروفات .

كانت ميزانية سنة ١٩٣٤ مقدرة بمبلغ ٢٫٨١٢٫٠٠٠ جنيه للايراد و٣٫٨٠٩٫١١٤ للمصروف أى بزيادة ٢٫٨٨٦ جنيهاً . أما ميزانية سنة ١٩٣٥ فقد قدرت بمبلغ ٤٫٠٣٥٫٠٠٠ للايراد ومبلغ ٤٫٠١٧٫٠٠٠ للمصروف بزيادة ١٧٫٨٧٣ للايراد . على أن المصروف الذى زاد بمبلغ ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ عن سنة ١٩٣٤ للانشاءات جديدة كزيادة زراعة القطن فى الجزيرة ومحالج القطن فى كردفان وأعمال أخرى لفائدة البلاد .

وبالنسبة لحالة محصول القطن فى الجزيرة هذه السنة وحيث أن السكرتير المالى لم يقدر لهذا الباب إلا نفس أرقام سنة ١٩٣٤ فالأمل عظيم بأن الميزانية ستترك زيادة كبيرة فى الايراد مما سيمكن السكرتير المالى من عمل جملة تخفيضات لصالح التجارة

وإنى أهنىء السكة الحديد على التعريفة الجديدة التى جاءت نتيجة عمل طويل والتى سهلت على التاجر عملية النولون لأى صنف بدلا عن الطريق المعقد القديم ولا يسعنى إلا أن الفت نظر هذه المصلحة لبعض النولونات العالية وخصوصاً نولون القطن والزيادة الاضافية على بعض الأصناف والتى يجب إعادة النظر فيها خصوصاً أنها وضعت أيام الحرب أما الآن مع رخص الفحم والأدوات والزيادة العظيمة فى ايراد السكة الحديد فهذه النولونات ليس لها ما يبررها

الجزيرة :

مما يسرنا جميعاً أن حالة محصول القطن هذا العام بعد أعوام عديدة سيعطى أكثر مما قدر له فجملة ما ننتظر من الفدان من زراعة الشركة الزراعية وشركة كسلا ستكون أربعة ونصف قنطار . إن إدارة شركة كسلا تستحق الشكر العظيم فقد قاربت أن تصل إلى رقم قياسى لانتاج فدان القطن خمسة ونصف قنطار

كذلك الشركة الزراعية وخبراء الحكومة يستحقون كل الشكر للنتائج القيمة التى تحصلوا عليها فى زراعتهم الواسعة بالتغلب على الآفات والحشرات

جار العمل الآن على زيادة مساحة القطن فى الجزيرة . ومنتظر أن تبلغ المساحة المزروعة فى يوليو سنة ١٩٣٧ مائتى ألف فدان أو ثمانمائة الف فدان كمساحة إجمالية من مشروع . وهى غاية ما يمكن ريه بواسطة الجداول الرئيسية الموجودة

أن الحالة فى الجزيرة والتى ذكرتها فى خطاباتى الماضية لأزالت موجودة بالرغم من أنها تحسنت بزيادة محصول هذا العام ولا أرى طريقة لتغيير الحالة إلا إعادة النظر فى شروط المشروع بأكمله حتى يصبح ذا فائدة أكبر للمزارعين

إنه ليس لى أن أشير إلى ادارة الشركة الزراعية التى لها خبرة طويلة من مدة سنين عديدة . لا نمل أى بحث . إلا أننا معشر رجال الأعمال لنا طريقتنا فى بحث الأمور والوصول لتكوين فكرة لها على الغالب صلاحيتها

أن الزراعة الحالية التى تسير على أساس المناوبة كل أربعة سنوات تكلف مصاريف زائدة للمحافظة على جداول فى مساحة ثمانمائة الف فدان لزرع مائتى الف فقط قطناً وقد يجوز أن المناوبة كل أربعة سنين تكون ضرورية لبعض الأطيان . ولكن ليس لكل المساحة ولو أعيد النظر فى هذا الموضوع وتعادلت المناوبة لثلاث سنين لأمكن زرع مائتين وخمسين الف فدان بدون أى زيادة تذكر فى المصاريف

نعم أن تقدم الحالة التجارية والزراعية تسمح لنا بأن ننظر إلى المستقبل بثقة أكبر . ولكن لازالت أمامنا جملة مصاعب للتغلب عيها إلا أنكم توافقونى بأن لنا الآن أن ننتظر بتحقيق آمالنا أن يكون المستقبل أحسن من الماضى

إن أحسن ظواهر الحالة هو الاهتمام والنشاط الذى بذله معالى الحاكم العام وحضرات معاونيه الذين ينظرون إلى الهيئة التجارية بروح التعاون . وباختبارى الطويل أقدر أن أؤكد لكم بأن العلاقات بين الحكومة والهيئة التجارية لم تكن فى وقت من الأوقات أحسن منها الآن . ولزام علينا أن نتقدم بالشكر لمعالى الحاكم العام للخطة الحكيمة التى وضعها فى هذا الشأن

وبهذه المناسبة . ولو أنه ما زال أمامنا عمل طويل حتى نصل إلى الدرجة التى يمكننا فيها نحن التجار أن نقول بأننا حصلنا على كل ما يلزمنا من معاضدة الحكومة فيما يمكننا عمله فى محيطنا التجارى ، أقول بالرغم عن ذلك إنى أنتظر نتائج مجهوداتنا وأنه يمكننا أن ننظر إلى الهيئة الحكومية بثقة متبادلة

إن أول أعمال معالى الحاكم العام كانت إعادة تأليف اللجنة الاقتصادية التى تؤلف من رؤساء المصالح الكبرى الآن والتى تنظر فى أهم المسائل وتعرض توصياتها رأساً على معالى الحاكم العام للتصديق وبعد ذلك تصبح هذه المسائل تحت التنفيذ بحسب ما تسمح به الحالة المالية وأن هذه الطريقة فى العمل تمكن معاليه من الالمام بجميع أمور البلاد كما أن اتصال معاليه بجميع من فى البلاد سبب آخر مهم يساعده للسير بالبلاد إلى الأمام وقبل أن أختم تقريرى أود أن أطلب منكم الموافقة على إرسال برقية لمعالى الحاكم العام معبرين باحترام عن تقديرنا العظيم لمعاليه ونتمنى له الصحة الكاملة لكى يقود هذه البلاد إلى طريق النجاح (١)

أيها السادة

أشكركم لاستماعكم إلى تقريرى الطويل وإنا نعتمد دائما على تأييدكم لجهودنا لتنمية مصالحنا المشتركة ولتعود بالخير لهذه البلاد» اه .

الانتخابات فى غرفة التجارة — بيان رسمى

« عقدت غرفة التجارة السودانية جلستها فى منتصف الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعه ١٢ ابريل سنة ١٩٣٥ عند موعدها المحدد . وقد كان العدد الذى أمها فى هذا اليوم كبيراً جداً وقد افتتحت الجلسة بتلاوة تقرير الرئيس الذى القاه هو بنفسه باللغة الانجليزية وكان خطابا جامعا شاملا لكل اعمال الغرفة متتبعا فى اجمال سير الحركة الاقتصادية فى البلاد ذاكرا الانتعاش الذى بدأ ، معرجا على كثير من النقط ذات الاتصال باعمال التجارة ثم تحدث عن زيارة البعثة الاقتصادية المصرية للسودان والمباحثات التى دارت بينهما وبين رجال الغرفة وما اتفق عليه معها وما بقى معلقا للدراسات المقبلة . وبعد أن جلس جنابه نهض جناب المستر جورج توتنجى فقرأ تعريب هذا الخطاب ثم اقترح جناب الرئيس ان ترسل برقية لحضرة صاحب المعالى الحاكم العام وتلا صورتها فنال الاقتراح الموافقة الاجماعية وكانت البرقية

(١) أرسلت البرقية ووردت منه برقية شكر

تتضمن شكر الهيئة التجازية مجتمعة لمعاليه على ماتالت من معونة منه ومن رجال حكومته فى بحر السنة المنصرمة فى جميع المرافق الحيوية مقدمة لمعاليه أطيب التمنيات والاخلاص ثم نهض جناب الرئيس مرة أخرى فذكر انه فى اجتماع العام الماضى كان قد اقترح ان تكون مدة اللجنة سنتين بدلا من الانتخابات السنوية ولكن رؤى بعد انفضاض هذا الاجتماع أن هذا الاقتراح لايمكن تنفيذه لانه يخالف قانون الغرفة الذى ينص على ان كل اقتراح لايتفق مع القانون يجب أن يقدم به طلب من ١٥ عضوا يوقعون عليه ويكون موجودا بين يدى اللجنة قبل الاجتماع العام بزمن لايقل عن ١٥ يوما . ولما كان ذلك الاقتراح لم يحز هذه الصفة ، فقد اوقف تنفيذه ثم قدم البعض طلبا حائزا لهذه الصفة من كل الوجوه يطلب فيه مقدموه اعادة النظر فى بعض مواد القانون بسبب تطور الحالة التجارية وصلة التجار بالغرفة فوافق الحاضرون عليه وقد أعلن جنابه ان اللجنة عندما تدرس مشروع القانون وتضع تلك التعديلات تعقد جمعية عمومية للنظر فيها ومتى اقرتها يصير القانون المعدل دستوراً للغرفة - ومن ثم وزعت بطاقات الانتخابات على المجتمعين وهى بطاقات تشتمل على اسماء المرشحين ومتروك بها فراغ لمن يشاء ان يضع اسم منتخب آخر غير المرشح والبطاقة مشتملة على ٤٢ اسما فما على المنتخب الا أن يشطب على الاسماء التى لايرشحها للعضوية ويبقى ١٤ اسما بشرط الايزيد عدد المنتخبين من أى جالية عن ٥ أعضاء والا ينتخب من محل تجارى واحد أكثر من شخص واحد وبعد ان يفرغ الناخب من انتخابه يضع بطاقته فى الصندوق المعد لذلك وفى اثناء عملية فرز الاصوات تدفق المجتمعون فى حديقة الدار يتناولون المرطبات والمحادثات حتى ظهرت النتيجة على اللوحة فكانت كالاتى : المستر جورج توتنجى ١٠٢ صوت . المستر الفريد كفورى ١٠٠ صوت . المستر ويكر ٨٩ صوتا المستر ازمرليان ٨٧ صوتا المستر سميث ٨٥ صوتاً . الشيخ محمد مدنى يحى ٨٣ صوتاً المستر ويليامز ٧٨ صوتاً . مصطفى افندى ابو العلا ٧٧ صوتا . المستر كونتوميخالوس ٧٠ صوتا . الشيخ احمد حسن عبد المنعم ٦٩ صوتا . المسيو تسكارغلو ٦١ صوتا . الشيخ السيد احمد سوار الذهب ٦٠ صوتا . عبد المنعم افندى محمد ٥٥ صوتا . المستر جورج مرهج ٤٦ صوتا » اه

تجارة مصر مع السودان

تستورد مصر من السودان نحو ٩٥ فى المائة من حاصلاته (بعد استبعاد القطن الصمغ إذ لا حاجة لنا بهما) والواردات لمصر من السودان سنة ١٩٣٤ هى : —

السمسم	٩٦٤٢٨	جنيه مصرى
الفول السودانى	٣٨٧٤٣	» »
الذرة العويجة	٣٥٤٦٣٤	» »
الماشية	٣٦٢١١	» »
الغنم	١٤١٠٠	» »
الجلود	١٢٢١٩	» »
البلح	٤٢٩٤٣	» »
السمك المجفف	٨٢٢٥	» »
الفحم البلدى	١١	» »
الفاصوليا الناشفة	٤١٩٥٥	» »
الشطة	١٩٥٥٧	» »
لب البطيخ	٣٣٣٩٥	» »
الذرة	٢٣١٦٦	» »
المسلى	٢٥٣٩٥	» »
القرض	٤٢٠٥	» »

والصادرات من مصر للسودان فى السنة عينها هى :

السكر	٢٢٦٠٦٧	جنيه مصرى
تبغ وسجاير	١٠٨٢٤٧	» »
دقيق القمح	٥٢	» »
بضائع قطنية	١٤٤٧٦٤	» »
الأرز	١٧٦٥	» »
حبوب أخرى وخضروات وفواكه	٢٣٨٤٥	» »
صابون	٢٧٥٦٧	» »
أحذية ومراكيب وشباشب	٣٤٥٣	» »
سبرتو وغاز	٧١٧	» »

وقد بلغت قيمة الواردات لمصر من السودان سنة ١٩٣٤ مبلغ ٧٨٣ر٧٩٨ جنيه وبلغت قيمة صادرات البضائع المصرية للسودان مبلغ ٦٨٧ر١٢٣ جنيها أى

بنسبة ٢٠ر٤ — فى المائة بالتوالى من مجموع تجارة السودان حيث بلغت قيمة الصادرات فى سنة ١٩٣٤ — ٣ر٨٤٨ر٦٧٩ جنيها وبلغت الواردات الى السودان ٣ر٩٤٥ر١٤٩ جنيها .

وتعد مصر العميلة الثانية للسودان بعد انجلترا .

المبادلات التجارية بين مصر والسودان

عقدت لجنة البعثة الاقتصادية المصرية الى السودان بعد عودتها اجتماعا بمكتب مدير التجارة والصناعة الغرض منه وضع نتائج مباحث البعثة المصرية موضع التنفيذ واجراء مايلزم للاتصال بالهيئات المختصة من المصالح الحكومية وتمهيداً لهذا الاجراء أذيع تقرير اشتمل على بيان هذه العلاقات كالآتى :

ان واردات السودان من مصر سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٤ كانت ٥ر٣ فى المائة بالنسبة لمجموع وارداته

ومن سنة ١٩٢٥ الى ١٩٢٩ كانت ٥ر١٠ فى المائة وفى سنة ١٩٣٠ كانت ٥ر٨ فى المائة وفى ١٩٣١ كانت ١٥ فى المائة وفى سنة ١٩٣٢ كانت ٦ فى المائة وفى سنة ١٩٣٣ كانت ١١ فى المائة وفى سنة ١٩٢٤ بلغت ٢٢ فى المائة

الصادرات من مصر الى السودان

وأهم صادرت مصر الى السودان السكر والمنسوجات المصنوعة من القطن والحرير الصناعى والأقمشة القطنية المصبوغة والسجاير والأتربة والأحجار والجير والأسمنت والصابون والحلويات والحديد والظهر والفولاذ وبذرة القطن والنحاس والورق

ولوحظ ان صادرات السكر والمنسوجات القطنية المخلوطة بالحرير الصناعى زادت زيادة كبيرة ويبلغ المصدر منها مقدار ربع صادرات مصر للسودان

وكذا زادت صادرات الجير والأسمنت فى هذه السنة زيادة كبيرة بسبب بناء خزان جبل أوليا

الواردات من السودان لمصر

تستورد مصر من السودان : الذرة . السمسم . الفول السودانى . لب البطيخ . الحيوانات الحية . البقول . المسلى . البلح التوابل « الشطة » . الجلود . الأسماك المملحة : « فسيخ وملوحة » . فول جاف

وفى سنة ١٩٣٢ صدر السودان لمصر من الذرة ما قيمته ١٣ الف جنيه ولكن ماصدرته فى السنة الماضية (١٩٣٤) بلغ ٤٠٠ الف جنيه

وتنقسم واردات السودان الى أهلية وحكومية . وقد نمت الواردات الأهلية حتى وصلت الى ٨٠ فى المائة بعد أن كانت ٥٣ فى المائة

وقد أصبح الميزان التجارى فى صالح السودان فى سنة ١٩٣٤ ، بعد أن كان فى صالح مصر قبل ذلك

الارز المصرى

لاحظت البعثة ان السودان يستورد من الأرز ماقيمته ١١٤٤٩ جنيها مصرياً كله من الهند سوى ١٨٠٩ جنيها من مصر وذلك بسبب غلاء أجور نقله بالسكة الحديد وشركة البواخر الخديوية وقد طلب من حكومة السودان والشركة تنزيل أجور النقل كما طلب من الحكومة المصرية اعفاء الأرز المصدر للسودان من الضرائب

الاحذية

وقامت اللجنة ببحث للوقوف على الاذواق السودانية لصنع الأحذية التى تلائمها وعن المصنوعات القطنية كالفانلات والشرابات ستعرض بالغرفة التجارية السودانية ليعرفها السودانيون ١٨٥٠٠ جنيها . ورؤى ان السودان يستورد فواكه بقيمة يخص مصر منها ٣٤٠٠ جنيها . فاقترحت اللجنة تخفيض أجور نقلها بالسكة الحديد بين مصر والسودان

الجمارك

يغلب فى نظام الجمارك أن تعريفته ١٠ ٪

غلاء السكك الحديدية

يرجع غلاء أجور السكك الحديدية فى السودان إلى غلاء الفحم والوقود وقلة الركاب والحركة ولا يمكن اتصال السكك الحديدية السودانية بالسكك الحديدية المصرية لأن الخط الحديدى السودانى أضيق ولكن يمكن وصل الخط السودانى إلى الحدود السودانية ويقابله الخط المصرى وينقل الركاب من قطار إلى آخر

عدد الموظفين

بلغ عدد الموظفين فى سنة ١٩٣٣ - ٤٧٥٧ منهم ٢٩٨٧ موظفا سودانيا والباقون بين انجليز ومصريين وسوريين وغيرهم

الحالة الاقتصادية لمديرية دارفور

وصف الأديب يوسف عمر التنى حالة دارفور فيما يلى :

« تمتد مديرية دارفور من صحراء ليبيا شمالا إلى حدود مديرية بحر الغزال جنوباً وتحد غرباً بوادى كجا الذى يفصلها من مقاطعة واداى التى تكون الآن جزءاً من أفريقية الاستوائية الفرنسية وتحد شرقاً بمديرية كردفان عند حلة الشريف كباشى — هذه المنطقة كثيرة الجبال والتلال خصوصاً فى الشرق والشمال والغرب وقليل منها فى الجنوب كجبال الداجو وغيرها ولا يكاد يوجد بها مكان متناسب إلا نادراً وأرضها رملية وكثيرة الأودية والأشجار — مناخها حسن جداً فى الشرق والوسط والشمال وردىء فى الجنوب ومتوسط فى الغرب ويبلغ عدد سكانها نحو ٧١٥٥٤٣ نسمة ومساحتها ١٤٤١٠٠ ميل مربع . وتبعد الفاشر عن الأبيض بمقدار ٣٩٦ ميلا وهى مسيرة ثلاثة أو أربع أيام بالسيارات

سمى هذا الأقليم دارفور مع وجود القبائل الكثيرة فيه ، لأن الفور هم أسبق القبائل اليه . وقد ينقسم السكان هنا لك إلى عرب وفور وغيرهم من قبائل السود الأخرى . أما العرب فمنهم الزيادية والمسيرية . الرزيقات . بنى هلبا وغيرهم . أما السود فمنهم الفور وغيرهم . كانت دارفور تحت سيطرة ملوك من التنجر آخرهم السلطان شاودورثيت ثم آل الملك إلى العباسيين أولاد أحمد المعقور وأولهم السلطان سليمان سلنج وآخرهم المرحوم السلطان على دينار لغاية سنة ١٩١٦ ومن ذلك التاريخ صارت دارفور تحت نفوذ الحكومة الحاضرة ومن أكبر مديريات السودان .

ولدارفور مكانتها التاريخية وعظمتها الخالدة فقد كانت مهجر التجار ومحط آمالهم ومفتاح السعادة وأن التاجر لا يرفع ذكره إلا إذا تردد اليها وقطع درب الأربعين يوم كانت التجارة تتمركز فى مدينة كوبى التى ضربتها المهدية على يد المرحوم السيد محمد زقل وأتى اليها بالثمين الغالى وعاد منها بالجوارى والغلمان وريش النعام وسن الفيل يوم كانت أغلى من الذهب الأحمر

الثروة الطبيعية

المحصولات الزراعية

لا شك أن الموارد الطبيعية لأقليم من الأقاليم هى فى طليعة الدوافع لنهوضه الاقتصادى . وأهم موارد دارفور الطبيعية هى الزراعة . وتقدم زراعة التمباك ود عمارى بدارفور على رأس محصولاتها التى تجلب اليها النقود وأن الأحوال الجوية هنالك ملائمة لنمو التمباك ويعلق الأهالى أهمية عظمى على هذا المحصول فى انعاش ثروتهم وإذا ولينا وجوهنا شطر دارفور فى البحث عن زراعة التمباك ود عمارى ومعه أنواع المحصولات الأخرى وجدنا أنه الشاطىء الذى ترسو لديه سفينة بحثنا ، فزراعته هنالك من الكثرة حيث تشغل بال كل فرد من السكان باستمرار حيث لتجارته أهمية خاصة فى داخلية البلاد (السودان) ويظهر لنا أن أسعاره هى التى تقرر مستوى الأسعار لباقى أنواع محصولاتهم الزراعية الأخرى ، فاذا كان سعر التمباك منخفضا فمن المعتاد أن يكون هنا لك كساد عام . ولكن إذا كان التمباك متمسكا ومرتفع السعر أو إذا كان ثمنه فى مستوى معتدل فهذا التمسك يكون مصحوبا غالبا بميل مشابه له فى أسعار المحاصيل الاخرى التى يبدو أنها تتأثر بتأثيره .

وحقيقة التمباك ما هو إلا الوحيد من محاصيل دارفور الزراعية الهامة . وهى المورد الوحيد لهذا الصنف الذى يستهلك القطر منه كميات وافرة بمبالغ طائلة تقدر بألوف الجنيهات سنوياً . ويزرع التمباك ود عمارى بكميات غير محدودة فى طوبلة على مسيرة يوم إلى الجنوب الغربى من مدينة الفاشر ووادى بيرة ووادى شقرة بغرب الفاشر ووادى الملم جنوب الفاشر وفى جهات نيالا وزالنجى وغيرها ، أما المحل الرئيسى لزراعته بدارفور فهو طريلة . ويباع هذا المحصول على نظام المزاد العلنى تحت إشراف الحكومة بسوق الفاشر ولقد أحدث هذا النظام فائدة كبرى فى انعاش هذا الصنف منذ بداية من أوائل سنة ١٩٣١ وقد حصل سعر القنطار منه فى عام سنة ١٩٣٢ نحو ثلاثة جنيهات أو أكثر بسوق الفاشر مع العلم إنه فى نفس السوق كان يساوى ٢٥ قرشاً القنطار فى أوائل سنة ١٩٣٠ وتصدر منه كميات كبيرة سنوياً وقد بلغ ما دخل جيوب الأهالى من ثمن التمباك فى عام سنة ١٩٣٢ نحو ٢٠٠٠٠ جنيه مصرى

والتمباك هو من أهم مرافق الثروة بدارفور فى الوقت الحاضر ويعد أول صادراتها من المنتوجات الزراعية

ويستعمل التمباك ود عمارى (للنشوق) السعوط الذى يعد من أقدم الطرق التى ابتدعها الناس لاستعمال التبغ فى غير هذه البلاد وأن استنشاق السعوط كان معروفا منذ القرن الخامس عشر حيث قد كتب العالم كورتز (Cortes) أنه رأى هنوداً فى المكسيك يسحقون أوراق التبغ ويتنشقون المسحوق كما يتنشق الناس اليوم السعوط — ومن المكسيك انتقلت بدعة السعوط إلى فرنسا أولا فى الوقت الذى كان فيه الفرنسيون يستعملون أوراق التبغ للتدخين فقط وانتشر من فرنسا الى سائر أنحاء العالم لا سيما الجزر البريطانية

كثير من تجار التمباك المعسرين بالفاشر يشترون أحيانا بلات وزن عشرة من تجار الجملة بأثمان عالية بمواعيد وبسبب اضطرارهم قد يرهقهم الدائنون بأرباحهم الباهظة — وهم يقذفون بهذه البلات إلى السوق ويبيعونها بخسارة تكاد تكون فادحة وأملهم فى ذلك أن يشتروا التمباك ويستعوضوا منه هذه الخسارة مع الربح . وبالطبع لا يكون ذلك إلا اذا ارتفع السعر وصادفت الحالة حظاً وافراً — وإنهم ربما ينسون تدهور سعر التمباك فجأة وتحل عليهم مواعيد الكمبيالات فى ذلك الحين لا خلاص لهم إلا عرض تمباكهم للبيع بخسارة وبلا شك ينتج من ذلك انحلال فى ميزان التمباك التجارى بزيادة العرض على الطلب وزيادة على ذلك سيبقى عليهم دين وزن عشرة عند ما تصادفهم الخسارة فى السلعتين . ولذا نلفت نظر التجار هنالك الذين يهمهم هذا الشأن لتجنب هذا المسلك السيء الذى ربما قضى على اسمهم تجارياً .

ومن منتوجات دارفور الزراعية الشطة التى تصدر للمقايضة بالنقود أيضاً حيث تجود بها الطبيعة بمحصول وافر فى تلك الأصقاع . وهى تزرع بنطاق واسع فى شمال دارفور وبجبل مرة وكاسى وزالنجى . وشطة جبل مرة كبيرة الحجم ، أما نوع كاسى وزالنجى وصغيرة جداً وتسمى بالدنقابة وحرارتها شديدة وهى أشبه بشطة القبانيب ورشاد وتصدر الشطة من دارفور إلى أسواق كردفان بكميات كبيرة — ولا يفوتنى أن أذكر أن مركز الجنينة بدار المساليت مورد كبير للشطة وترد اليها من دارتاما الواقعة فى المقاطعة الفرنسية

ومن محصولاتها الغنائية الزراعية الأذرة والدخن وتزرع الأولى فيها على قدر حاجة البلاد الداخلية بكثرة والغذاء الرئيسى للسكان هو الدخن ويستخلصون من هذا النوع دقيقاً أبيض ناصع البياض أشبه « بالكورنفلور » ويسمونه بالجير ويستعمل هذا الصنف عصيدة لطعام الفطار ويمكن استعماله أيضاً كحلو بدلا من استعمال الكورنفلور . ويعملون منه ما يكون كالأرز . وعند تقديمه للطعام لا يمكن تمييزه من الأرز مطلقاً — ويزرع هنالك الماريق أيضاً . هذا المحصول غير قابل للتصدير وذلك راجع إلى عدم التوسع فى زراعته وعدم تقدم المواصلات بسبب بعد الشقة وعدم إمكان نقله إلى محل آخر للتجارة

ومن محصولات دارفور الطبيعية الرئيسية الصمغ العربى الذى ينمو نمواً طبيعياً بكثرة فى شرقها بدار برنى حول أم كدادة والطويشة . ويباع هذا المحصول بسوق النهود بكردفان بكميات كبيرة

وقد تصدر من صمغ دارفور الذى بيع فى سوق كردفان ٣٠٤ أطنان فى سنة ١٩٣٤ وهذه أصغر كمية فى السبعة سنوات الماضية كالبيان التالى : —

سنة	طن
١٩٢٨	٩٧٣
١٩٢٩	٨٤٣
١٩٣٠	١٥٠٥
١٩٣١	١٣٢٥
١٩٣٢	٤١١
١٩٣٣	٣٢٠
١٩٣٤	٣٠٤

ويزرع القمح فى الأودية فينجح نجاحاً باهراً فى الحجم والكمية خصوصاً فى خور تندلتى ببندر الفاشر — أما الخضر فحدث عنها ولا حرج . وهى تنمو بشكل يفوق ما يزرع عندنا فى نواحى الخرطوم بالسواقى والشواديف ، وقد يصدرون الطماطم الأحمر بكميات كبيرة بعد تجفيفها على الشمس إلى أسواق كردفان لاستعمالها صلصة .

الماشية

أريد بالمواشى هنا ذوات الخف والظلف كالأبل والبقر والغنم . ومن المعروف أن الناس اعتادوا تربية الحيوانات الأليفة منذ عهد طويل بغرض الانتفاع بألبانها

ولحومها وأوبارها وأصوافها وغير ذلك — وتكثر أنواع هذه الماشية بدارفور والبقر أكثر ما يقتنى فى جنوب دارفور عند عرب الرزيقات وغيرهم . وهى تصدر بكميات غير محدودة لأسواق مديرية كردفان بالنهود والأبيض وتصديرها يعد من أول مصادر الرزق بتلك الناحية — أما الابل فتكثر فى الشمال عند عرب الزيادية وأم جلول والماهرية . وهى تستخدم فى النقل محلياً ما بين الأبيض والفاشر وواداى ولكن الفائدة التى تعود على الأهلين من جراء هذا النقل تكاد لا تذكر بسبب مزاحمة السيارات لها فى هذه الآونة الأخيرة منذ بضع سنوات مضت — وتوجد سوق رائجة للابل بالقطر المصرى وقد دلت التجارب على نجاح باهر فى تصريف الابل السودانية بأثمان مناسبة ذات فائدة للمصدرين — وتوجد أيضاً الأغنام بكثرة بدار الميدوب ودار زغاوة . وأغنام الميدوب تصدر لسوق أم درمان والأغنام الزغاوية تصدر لأسواق كردفان . وهما أقل فى القيمة من الأغنام الأخرى وهما من ذات الفراء الأسود وتستعمل جلودها بالسودان كفراء للصلاة

المنتوجات الحيوانية

إن ما يصدر من المنتوجات الحيوانية بدارفور يكاد ينحصر فى الجلود فقط وتجارة هذا الصنف واسعة النطاق وذات أهمية اقتصادية كبرى خصوصاً فى أسواق ماوراء البحار — والجلود السودانية عموماً لاينقصها إلا القليل عن الجودة ، وهذا النقص يعزى إلى حد بعيد للاهمال فى عمليتى السلخ والتجفيف . فان كمية كبيرة من الجلود تنزل إلى المرتبة الثانية لهذا السبب . فتكون النتيجة هبوطها فى القيمة المالية ، وهذا كله يعزى لجهل أهالى البلاد بطرق تحضيرها على الطريقة المستحدثة . ومما يسرنى ذكره بهذا الصدد أن المصلحة البيطرية باذلة قصارى جهدها لادخال الطرق المستحدثة للسلخ والتجفيف حتى تنمو تجارة هذا الصنف وتعود على البلاد بالخير العميم .

والسودان وإن كان معروفاً فى أسواق العالم كمصدر للجلود ، فهو لا يهتم بصنعها والانتاج فيها كما تفعل الأمم الأوربية المتمدينة ، بل إنك لتجد هذا الاهتمام بالمصنوعات الجلدية حتى بين الأمم غير الأوربية أو الأمم الشرقية . وبالرغم من النشاط الذى أبدته مصر فى الأعوام الأخيرة فى انتاجها من المصنوعات الجلدية فان هذا النشاط لم يبعث فى نفس السودانى حتى اليوم فكرة الاستفادة بجلود بلاده التى يستغلها غيرنا من الأمم — وكل ما نعرفه من المصنوعات الجلدية اليدوية ، هو

ما تداولناه عن أجدادنا وأجداد أجدادنا فى هذه البلاد ، وأهم ما نصنعه هو أحذيتنا القومية (المراكيب) التى تزاحمها الآن الأحذية اليابانية وخلافها مزاحمة مهلكة كان واجبا لتوقى خطرها القوة الكافية لدفعنا إلى تحسين منتوجاتنا الجلدية

ولم نستحدث من مصنوعاتنا الجلدية غير مصنوعات دارفور التى تشمل المقاعد والشنط المكتبية . وهذه وإن كانت جميلة الصنع إلا أنها لم تتسع دائرة استعمالها عن هذا القطر إلا نادراً وهذا مايجعلها قليلة القيمة التجارية ، وإن مركز الصناعة الجلدية بالسودان هو دارفور وتقوم الجنينة عاصمة دار المساليت على رأس مدن دارفور فى صناعة المراكيب التى تشبه الجزم الكشف وتفضل عند كثير من الوطنيين على الجزم نفسها ويا حبذا لو أقبل مواطنونا الكرام على استعمالها بدلا من استعمال الجزم اليابانية التى لو نظرت اليها نظرة الفاحص المدقق لوجدتها لا تساوى شيئاً تجاه هذه المراكيب الوطنية التى لصناعتها جاذبية الطرافة فى اللون والشكل

وأهل الجنينة أيضاً يجيدون الدباغة والصبغة إجادة فائقة خصوصاً دباغة جلود الأغنام ذات الفراء . وبهذه المناسبة أذكر أن جلود أغنام السودان ذات الفراء جلود دقيقة النسيج وخفيفة فانها تخرج أحسن أنواع (الاجلاسيه) وتستعمل بنطاق واسع فى صناعة القفازات ذات الدرجة الأولى وكثير من المصنوعات الجلدية الدقيقة وأحسن أنواع (الكموش) ولهذه الجلود سوق رائجة ممتازة فى أمريكا التى تصدر إليها من هذا النوع نحو ٩٧٠ ½ طن فى سنة ١٩٣٤ من مجموع صادراتنا الجلدية البالغ قدرها ١١٦٨ طن

وتستعمل الجلود بدارفور فى صناعة الشباشب وأشياء أخرى يطول شرحها نذكر منها الستاير الجلدية التى تصنع على شكل الرهط العربى الذى يستعمله الفتيات السودانيات منذ العصور السحيقة ، ولقد وجد هذا الرهط فى قبور قدماء المصريين واستعمالها كستاير يفى بالغرض المطلوب تماماً ولها أهمية كبرى للوقاية من الذباب وما شاكله من الحشرات المنزلية ـ كما أذكر أيضاً صناعة فرايات سروج الخيل وأكياس المخدات ـ وأن المصنوعات الجلدية اليدوية بدارفور يعتمد عليها الأهالى كمورد ثان قوى يوازى التمباك فى إنماء ثروتهم

وتستعمل الجلود بالخارج فى العدد الكثير من حاجات البشر اليومية وهى عماد صناعة الأحذية (الجزم وما شاكلها) وشنط الملابس والمحافظ بأنواعها

ـ وسروج الخيل ومقاعد السيارات وأشياء أخرى كثيرة ـ ووظيفة الجسم الطبيعية أن يكسو جسم الحيوان من تأثير العوامل الجوية ولا شك أنه يختلف من حيث كثافته بحسب نوع الحيوان وجسمه وطقس البلاد التى يعيش فيها كما يختلف باختلاف أجزاء الجسم . فجلود الفيلة مثلا التى تعيش فى الغيافى والقفار أكثر سمكا من جلود الأبقار التى تعيش فى القرى والمزارع وجلود البقر الأناث تختلف عن جلود الثيران كما أن جلود الضأن تختلف عن جلود المـاعز وهلم جرا . وبطن الجلد يختلف عن ظاهره وأن أمتن أنواع الجلود وأحسنها هى جلود العجول التى تعيش على الألبان فقط ومن هنا يعلم لنا أن لغذاء الحيوان تأثيراً عظيما فى نوع جلده من حيث الجودة .

سبق ذكرت أن الجلود السودانية ،بصفة عامة ؛ لاينقصها إلا القليل من الجودة وها هى أسباب التلف فيها : ـ

تنقسم أسباب تلف الجلود عندنا الى قسمين وكلاهما يسبب ضرراً عظيما للجلود حتى تفقد ميزتها فتقل قيمتها فى السوق : أما القسم الأول فهو مايتعلق بطريقة السلخ وليست طريقة السلخ بالعملية السهلة التى يستطيع ان يزاولها كل من استطاع ان يمسك السكين ويمر بها على جسد الحيوان فيفصله عن جسده دون مراعاة لما ينتج من وراء ذلك من اخطاء ربمـا اتلفت الجلد . فعملية السلخ عملية منظمة لها قوانينها ولها تدريبها الخاص ولها طرقها المضمونة التى لا تنتج ما يسبب تلفاً للجلد وأول شروط السلخ هو ان تـكون المدية حادة لدرجة انها تزيل الشعر من جسد الانسان اذا جربها عليه لان السكين غير الحادة هى التى تسبب الخروق التى تشين الجلد وتقلل من قيمته ـــ كما ان السكين الحادة وحدها دون السالخ الماهر هى ايضاً خطر على سلامة الجلد فلا بد أن يكون العامل ماهراً والسكين حادة وبذلك تضمن سلامة الجلد من الخروق وتبعد العيوب عنه . أما القسم الثانى فهو ما يتعلق بعمليتى التطبيق والتنشيف . ومن العمليتين تتسبب اخطار عظيمة تؤدى بقيمة الجلد الى المرتبة الدنيا ـ أما عملية التطبيق فتتداول عندنا دون مراعاة لما يعلق بالجلد من لحوم أو دهن يسببان عفونة فى الجلد بعد تطبيقه بأيام وبذلك يفقد جودته كما ان كثيراً من الجزارين يعمدون الى مسح الجلد بالتراب أو الاوساخ ثم يطبقونه وأملهم فى ذلك ان يزيدوا وزن الجلد ولـكنهم ينسون ان هذه العملية تشين الجلد فالتاجر الذى يشتريه لا يبقى عنده يومين أو ثلاثة الا ويفقد قيمته ـــ ومما يسبب ايضاً ضرراً

بليغاً بالجلد وضعه فى الشمس مدة طويلة قبل اجراء عملية مسحه بالملح

ومما تقدم نفهم ان طريقة استغلال الجلود غير صالحة ولكن هذه المعضلة تعالج كثيراً اذا أوجدنا فى السودان المدابغ الفنية ذات العدد والآلات المنظمة ولعل بعض المتمولين الوطنيين او ملجأ القرش يفكر فى هذه الناحية تفكيراً جدياً يجعلهم يستفيدون من هذه الدباغة فى ترويج الأحذية الوطنية وقطع خط الرجعة على الجزم اليابانية ومن المهم قبل المدبغة تعليم بعض الطلبة هذا الفن بالخارج . ويمكن التعليم فى مصر أو الشام بدون كبير زمن او نفقة تذكر

المسلى

من منتوجات دارفور الحيوانية المسلى وهى تعد فى مقدمة اقاليمنا فى تصدير المسلى ولكن الذى يؤسف له ان مسلى دارفور لا يتمتع بسمعة حسنة بين الأوساط التجارية فى السودان . وسبب ذلك عدم انضاجه بالطريقة التى تضمن له استمرار الطلب والرواج فى الأسواق عند المستهلكين . وسبق لى أن بينت ذلك فيما قلته عن كيف نروج محصولاتنا فى الاسواق العالمية — فهأنا أكرر طلبى مرة أخرى على تجار المسلى هنالك ان يعطوا هذه السلعة ما تستحق من عناية فى الانضاج والنظافة وعدم التلويث بما يشين سمعت مسليهم حتى يحصلوا على الفائدة المنشودة ويشيدوا اسما حسناً لمسلى دارفور عند جميع المستهلكين

صناعة الأحذية الفاشرية

ليست مدينة الفاشر بالمدينة الزراعية بحيث تكفى لشغل جميع سكانها بالزراعة فقط — لذا قد تحول فريق من سكانها شطر صناعة الأحذية الفاشرية المعروفة بالمراكيب الفاشرية التى يستعملها السواد الأعظم من الشعب الوطنى وهى تكاد تكون فى مقدمة أحذيتنا القومية من حيث شهرتها بين الأوساط السودانية — وكثير من العائلات هنالك يعيشون على هذه الصناعة إذ هى المورد الوحيد لكسبهم — وتشتهر المراكيب الفاشرية بمتانتها وجودة صنعها وشكلها بديع . وهى تقى الأقدام تماماً من تأثير الرطوبة وحراره الشمس المحرقة وهى الواقية أيضا للحافى من أضرار الأحجار والشوك وغير ذلك من الأعشاب المضرة — ولا شك أن استعمال الحذاء المتقن بالمعنى الصحيح هو الذى يكسب الانسان صحة بدنية وذهنية — وأن استعمال النوع الردىء الرث الذى لا يقى من تأثير الحر أو البرد مثل الجزم اليابانية وما

شاكلها التى اتخذناها فى هذا الزمن لباساً قومياً تقريباً ، فهى فى الحقيقة رمز للشخصية البائسة التعسة فان لبسها فى الحر يسبب البلهارسيا وفى البرد تسبب أمراض الأسنان - ولا يفوتنى أن أذكر أن كثيراً من الأمراض مصدرها استعمال مثل هذه الأحذية التى تسبب عفونة فى الأرجل - وربما ظن البعض أنها رخيصة ولكن عند ما نقارن ثمنها بالزمن الذى تعيشه وعدم فائدتها الصحية ، نجدها أغلى ثمناً من المراكيب الفاشرية - ومثال ذلك المركوب الفاشرى المتوسط لا يزيد على مبلغ ١٥٠ مليما فى سوق الخرطوم وهو يعيش أكثر مما تعيش ثلاث جزم يابانية سعر ٧ قروش مثلا ويمتاز عليها بالوقاية التامة للرجل من تأثير العوامل الجوية مثل الحر والبرودة - ولما لم يكن لوسائل تشجيع الصناعات الوطنية حد أو نهاية ، وجب علينا أن نفضلها على الأجنبية ولو كانت أغلى فى الثمن وبذلك نضمن عدم تلاشى صناعاتنا كما يفعل غيرنا من الأمم من طرق التشجيع لحماية صناعاتها بما يلائم طبائع أهلها

وإن تشجيعنا للمصنوعات الوطنية سيخلق عملا واسعا للأيدى فى صناعة كهذه يمكن أن يشتغل فيها أضعاف أضعاف عدد المشتغلين بها الآن وبذلك نكون أسدينا أجل الخدمات لوطننا المحبوب

الخيول فى دارفور

قد يصح لنا أن ندرج الخيول تحت المنتوجات الحيوانية بالرغم أن المتعارف بيننا أن يطلق هذا الاسم على ما ينتجه الحيوان المقتول لا على الحيوان نفسه - وعلى هذا الاعتبار نتحدث عن الخيول فى دارفور كحلقة من هذه السلسلة التى بدأناها

تشتهر دارفور بخيولها النادرة المثال بهذا القطر ولكن نسلها ليس بالجيد لو قورن بخيول نجد والعراق والحجاز أو الخيول الأجنبية عموماً - ولذا فكر أولو الأمر فى استجلاب الفحول منذ سنين مضت وأرسلوها لتلك المقاطعة وقد أتت التجارب بنتائج حسنة حتى استغنت بها الآن حكومة السودان وعشاق الخيل عن الجياد الأخرى ماعدا السودانية والدارفورية . ومعظم طلبات الحكومة تستورد سنوياً من جنوب دارفور عند ما تقام المعارض السنوية للخيول بتلك الناحية

ربما ذهب بنا حسن الظن بأن يكون قطرنا من مصدرات الخيل للخارج وفى هذا من الفوائد الاقتصادية ما فيه إذ تبقى أموال البلاد فى داخلها وتجلب أموال أخرى من الخارج فتزداد مقدرة الشراء وتسرى فى حركة الأخذ والعطاء روح ربما أفادت أسواق المحصولات الأخرى والواردات فائدة تذكر

منذ المحاولات الأولى التى عملت لحصر الخيل وتحسين تربيتها فى دارفور من سنين مضت قبل التقدم بالمشروع الحكومى قد أزيلت بنجاح باهر كثير من الصعوبات الاقتصادية والحيوية كما أن معارضة الأهالى فى إدخال الطرق الحديثة قد أزيلت

أن النجاح الباهر الذى لازم المشروع يعزى إلى حد بعيد إلى المساعدات التى قدمها كثير من الموظفين فى دارفور باذاعتهم ونشرهم المعلومات الخاصة بتحسين طرق تربية الخيل التى أدخلها الكبتن أودس بك المفتش البيطرى بتلك المديرية سابقاً

وأن المشتريات الكثيرة بجنوب دارفور تدخل مبالغ طائلة إلى جيوب أصحاب الخيول وتساعدهم فى تسديد ضرائبهم وقضاء لوازمهم الضرورية وخصوصاً فى الزمن الذى كانت التجارة فيه متأخرة . ومما هو جدير بالذكر أن حكومة إيطاليا قد اشترت كمية من خيول دارفور لحكومة أريتريا فى المعرض الماضى

دارفور فى الصناعة الحديثة

يخيل الى ان سيكون لهذه المديرية القديمة شأن وأى شأن فى التاريخ الصناعى فى هذا القطر : فهى منذ زمان بعيد تتمتع بشهرتها كمديرية مؤهلة للصناعات اليدوية الدقيقة . وهاهى قد بدأت فى طورها الحديث تساهم مساهمة لا بد انها ستغدو فعالة فى الحركة الاقتصادية فى البلاد — وستكون دعامة من أقوى دعامات صرحنا الاقتصادى القادم كما ستكون خير قدوة لغيرها من المديريات فى استغلال كل موادها الخام استغلالا صناعياً ما وجدت الى ذلك سبيلا

والمثال الذى نسوقه لك اليوم ونحدثك عنه فى هذا المقال هو صناعة الدبارة التى أصبحت ذات شأن فى الأوساط التجارية المحلية وهى واحدة من أمثلة عدة لدخول دارفور فى الصناعة الحديثة . وأول ما عرفت دبارة دارفور فى سنة ١٩٣١ بطريق المصادفة . اذ حصل ان انتبه حضرة عثمان أفندى محمد خير مساعد حكيم شفخانة زالنجى الى تلك الخيوط الجميلة التى يصنعها بعض مرضاه من الأهلين فلفت اليها أنظار ولاة الامور الذين أعطوها ما تستحق من احتفال وعناية . وفى مقدمة هؤلاء جناب المستر ساندسون الذى كان نائباً لمعتمد زالنجى فى ذلك الحين — لقد فكر المستر ساندسون المذكور لاتخاذ انجع الوسائل التى تكفل استغلال هذه الصناعة استغلالا يعود على الاهلين بالنفع العميم حتى أبرز هذه الصناعة بجهود الجبارة الى حيز الوجود — وهو لا يألو جهداً فى تحسينها واعلاء شأنها حتى أصبحت تستعمل فى دواوين الحكومة ولقد جربت استعمالها بعض الشركات

وفى الجنينة يوجد مصنع للدبارة وهو مصنع شقيق لمصنع زالنجى وان هذين المصنعين يؤذنان بأنهما سوف يحلان مكاناً جليلا فى صناعة الدبارة بالسودان — وهذه الصناعة تشرف عليها الآن الحكومة . وأصبحت صناعة الجنينة تزاحم صناعة زالنجى وذلك بفضل الجهود العظيمة التى بذلها المستر ساندسون عند مانقل اليها كمساعد للمعتمد هنالك — ولقد استطاع المستر ساندسون ان يحصل على آلات حديثة لصناعة الدبارة والخيش بالجنينة . وينتظر ان يكون لمصنوعاتها شأن كبير كما تدل التجارب على ذلك — كما ينتظر الحصول على نفس الآلات لزالنجى

مم تصنع الدبارة

تصنع الدبارة بزالنجى قبيلة الفور من اللحاء الداخلى من ذلك النبات البرى المعروف عندهم بالكوكنج « كركديه » . ويقوم بهذه الصناعة الرجال ويستعمل المحصول محلياً فى صناعة الشرك لدجاج الوادى وغيره من صغار الحيوانات التى تؤكل

يجمع هذا اللحاء ثم يغلى فى محلول من الماء والأملاح النباتية يسمى بالكمبو ثم يترك لينشف قليلا ثم يصنع وهو رطب ويمكن خزن هذا اللحاء وهو خام لمدة غير محدودة دون أن يطرأ عليه انحلال أو فساد قبل استعماله . ولكن لقد وجد ان أحسن النتائج انما هى وليدة استعمال اللحاء وغليه بالكمبو وهو فى حالة رطوبته الطبيعية . وليس هنالك ضرورة ماتستدعى استعمال هذا اللحاء بعد تلك العملية مباشرة بل يمكن ان يخزن لمدة شهور حتى يجىء أوان العمل ويتوفر هذا اللحاء لجامعيه فى شهرى اكتوبر ونوفمبر من كل سنة

وتصنع الدبارة بالجنينة من نبات (التنجت) كما يسميه المساليت والأرنجة ويسمى بالعربى (لوبيا الغزلان) وهو نبات من فصيلة الفاصولية يزرع فى الأراضى الرملية بواسطة (تامة وارنجة) وهم يأكلون الورق والثمر ويصنعون من لحاء جذوره الدبارة — كما تصنع ايضاً هنالك من نبات آخر يسمونه (نيادو) بالمسلاتى وبالعربى ملوخية الرهد . وهذا النبات ينبت على ضفاف الوديان فى زالنجى ودار مساليت ويكثر فى دار مساليت ودار قمر ، وتصنع أيضاً من ألياف أخرى مثل السيال وخلافه وان هذه الصناعة بزالنجى والجنينة تعتبر العمود الفقرى لنمو مرافق الثروة بهما حيث البلاد تحتاج لهذا الصنف بكثرة حكومة وشعباً . فالأمل عظيم ان نرى الدبارة الدار فوراوية قريباً تزاحم الدبارة الطليانية مزاحمة مهلكة وذلك

من الميسور جداً اذا عملت الدعاية الكافية وعرض الصنف فى المحلات التجارية الكبيرة . ولعل بعض تجارنا الوطنيين يفكر فى احتكار الصنف ونشره فى الوسط التجارى » اه .

الغاء باقى السبعة ونصف فى المائة

انتهزت الحكومة السودانية فرصة عيد اليوبيل الفضى لجلالة الملك جورج الخامس فى هذا العام فألغت الثلاثة فى المائة التى كانت باقية من استقطاع السبعة ونصف فى المائة والتى دعا لخصمها من مرتبات المستخدمين استحكام الضائقة فى السنين السالفة - فانتهزت الحكومة هذه الفرصة وأصدرت منشوراً بذلك .

وعند ما أذيع هذا المنشور قيل بأن فى النية صرف نصف ما استقطع من مرتبات المستخدمين وبأن الصرف سيكون لشهر واحد مما خصم

تقرير بوليس مديرية الخرطوم

نشرت هيئة البوليس لمديرية الخرطوم تقريرها عن سنة ١٩٣٤ وقد قارن التقرير بين الجرائم فى سنة ١٩٣٣ و ٣٤ فكانت فى الأولى أقل منها فى الثانية . ويعلل التقرير هذه الزيادة لاستحداث مشاريع كبيرة فى الخرطوم وبعض نواحيه كمشروع خزان جبل الأولياء وغيره من المنشآت . على أن التعاليل يبدو غريباً لأول وهلة . إذ المعلوم أن إيجاد المشاريع الكبيرة مما يساعد على تخفيف الجرائم التى كثيراً ما تدعو اليها البطالة وقلة العمل . وإنشاء مثل هذه المشاريع بطبيعتها داعية للعمل ومخففة لوطأة العوز الذى من أجله ترتكب الجرائم . وقد تزول هذه الغرابة إذا نظرنا إلى البطالة وإنتشارها فى أنحاء البلاد قبل بروز هذه المشاريع . ونظرنا من ناحية أخرى إلى تعطش الناس إلى العمل وتكاثرهم فى بقعة محدودة كمنطقة خزان جبل الأولياء مثلا . وقد وفد اليها الناس من كل صوب وهؤلاء الناس خليط من جميع الأجناس وفيهم من يحمل طبيعة الاجرام بأنواعه وفيهم من فشل فى الالتحاق بأى عمل .

بريد السودان وأعالى النيل

يقوم البريد للسودان من القاهرة عن طريق النيل (الشلال وحلفا) مرتين فى الأسبوع فى يومى الاثنين والخميس .

المراسلات العادية يجب تسليمها قبل الساعة ٦ر٣٠ مساء .
والموصى عليها يجب تسليمها قبل الساعة ٥ر٣٠ مساء
أما الطرود فقبل الساعة الثالثة بعد الظهر .
ويقوم قطار بالبريد بين الخرطوم وسنار فى أيام الأحد والخميس . ويستمر فى سيره إلى كوستى والأبيض .
أما البواخر النيلية فتسير من الخرطوم الى الجنوب بالكيفية الآتية :
(ا) مرة واحدة فى كل شهر لمشرع الرق (بحر الغزال) عندما يكون نهر الجور مغلقاً أمام الملاحة (من أكتوبر - يونيه من كل سنة) .
(ب) مرة واحدة فى كل أسبوعين لمشرع الرق وواو عند ما يكون نهر الجور صالحا للملاحة (يولية - سبتمبر) من كل سنة .
(ج) مرة واحدة فى كل أسبوعين إلى جوبا فى الصيف ومرة واحدة كل أسبوع فى الشتاء (يناير — مارس) تقريبا .
(د) مرة كل شهر الى جمبيلا طول السنة لأن الطريق غير منتظمة .



صاحب السعادة السير ستيوارت سايمز حاكم السودان العام

تعريفة أجور المراسلات المتبادلة فى داخلية القطر المصرى وللخارج

أنواع المراسلات	المراسلات المتبادلة فى داخلية القطر المصرى وصادرة الى السودان		المراسلات الصادرة الى البلدان الخارجية الداخلة فى اتحاد البريد العام	
	مليم		مليم	
مراسلات	٥	عن كل ٣٠ جراما أو كسورها	٢٠	لغاية ٢٠ جراما و ١٣ مليما عن كل ٢٠ جراما أو كسورها زيادة عن الأولى
تذاكر بريد منفردة	٣	عن كل تذكرة	١٣	عن كل تذكرة
« « خالصة الرد	٦	« « «	٢٦	« « «
جرائد ومطبوعات دورية	١	« « عدد أو نسخة	—	عن كل ٥٠ جراما أو كسورها لغاية ٢٠٠٠ جرام
المطبوعات غير الدورية . الجرائد والمطبوعات الدورية المنشأة فى البلاد الخارجية وجار تداولها داخل القطر		عن كل ٥٠ جراما أو كسرها لغاية ٢٠٠٠ جرام	٤	
أوراق الزيارة أوراق الأشغال	٢	أقل رسم عن أوراق الأشغال مليمان	٤	عن كل ٥٠ جراما أو كسورها وأقل رسم يحصل عن أوراق الأشغال هو ٢٠ مليما
عينات	٢	عن كل ٥٠ جراما أو كسورها لغاية ٥٠٠٠ جرام . وأقل رسم مليمان	٤	عن كل ٥٠ جراما أو كسورها لغاية ٥٠٠ جرام . وأقل رسم هو ٨ مليمات

التلغرافات المرسلة إلى السودان

التلغرافات التى تتبادل مع السودان على نوعين :

الأول — (تلغرافات مستعجلة) وأجرتها مائة وعشرون مليما عن التلغراف المركب من ست كلمات وأقل من ست كلمات وما زاد على ذلك فباعتبار عشرين مليما عن كل كلمة زيادة .

الثانى — (تلغرافات عادية) وأجرتها ستون مليما عن التلغراف المركب من ست كلمات أو أقل وما زاد عن ذلك فباعتبار عشرة مليمات عن كل كلمة زيادة . وينتظر تخفيض هذه الأجرة

مكاتب تلغراف السودان هى الآتى بيان أسمائها بعد وهى مستعدة لقبول التلغرافات باللغات العربية والافرنجية

أبو حمد — سودان	الأضية النهود	الدويم
أبو زبد الابيض	الجبلين كوستى نيل ابيض	الروصيرص
أبو نعامه — سنجه	الجنينة	الرنك
اتبره	الحصيحيصة	الرهد
أرصفة بور سودان	الخرطوم	الزيداب
ارقو — سودان	الخرطوم البحرى	السعاته الأبيض
أركويت (يفتح فى فصل الصيف)	الحندق	السوكى
أرومه	الدامر	الفاشر
أكوبو	الدبة	القضارف
أوونج	الدلنج سودان	القطينة الدويم
الأبيض	الدم جمد النهود	الكاملين
الكوه الدويم	تومبى بور	قلابات
الليرى تلودى	جبيت	قلع النحل
المسلمية	جبل الأولياء	كابوتا
الناصر سودان	جبل الحلة — النهود	كادقلى

(تابع) أسماء مكاتب تلغرافات السودان

النهود	جبل دوليب ملكال	كاكا - سودان
أم درمان	جمبيلا	كدوك - ملكال
أم روابه	جوبا	كرمة النزل
أم كدادة الفاشر	حاج عبد الله بركات	كريمة
باره — سودان	خشم القربة — كسلا	كسلا
بربر	دلقو	كنجور بور أعالى النيل
بريد منقلة بور	دار عقيل - سنجه	كرمك
بريد منقلة جوبا	دنقلة - سودان	كوستى - نيل أبيض
بركات	رشاد	مروى
بور أعالى النيل	رفاعة	مشرع الرق - واو
بورت سودان	رمبيك	ملكال
بورت سودان اللاسلكى	زالنجى	ملوت كاكا
تالى بور	سنار	موت ديد
تلودى	سنجة	نيالا
تندلتى	سنكات	واد بنده النهود
تنجاسى السوق مروى	سواكن	وادى حلفا
توريت	شندى	واو
توكر	طابية الجنينة	ود النايل سنحه
تونجا ملكال	عبرى	ود مدنى

فيما يتعلق بالتلغرافات الخارجية

قانون التلغرافات التى لخارج مصر هو نفس المتبع فى داخلية القطر ما عدا الأحوال الآتية :

التعريفة

أجرة التلغرافات التى ترسل إلى البلاد الخارجية تحصل بواقع الكلمة الواحدة

البسيطة حسب التعاريف الموجودة بمكاتب التلغراف وتختلف قيمة أجرة الكلمة باختلاف البلاد المرسل اليها وباختلاف الطرق التى تتبعها التلغرافات .

والتعريفة المذكورة هى عن أجرة الكلمة الواحدة من أى مكتب من مكاتب الوجه البحرى . أما التلغرافات التى تصدر من الوجه القبلى فتضاف ستة مليمات لكل كلمة على القيمة الموضحة بالتعريفة اذا كانت البرقية « عادة » وثلاثة مليمات اذا كانت البرقية « مؤجلة » .

التلغرافات المستعجلة

أجرة التلغرافات الخارجية المستعجلة هى صنف أجرة التلغرافات الخارجية العادية .

لاتقبل تلغرافات بواقع المستعجل الى بعض ممالك وارد بيانها بدليل التلغراف.

تلغرافات الحكومة لخارج القطر المصرى تتحصل أجرتها بواقع الأجرة العادية حتى لو كتبت عليها كلمة « مستعجل » ويجب على مكتب التصدير أن يشطب هذه الكلمة عند المحاسبة .

التلغرافات المؤجلة المعنونة لبعض بلاد أجنبية

تقبل التلغرافات المحررة بلغة واضحة المعنى بنصف الأجرة العادية لبعض البلاد الأجنبية عن طريق الايسترن أو أى طريق آخر من الطرق المبينة بالتعريفة ودليل التلغراف . وهذه التلغرافات يجب أن تكون محررة باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو العربية (بحروف لاتينية) أو الايطالية أو بلغة البلد المرسلة اليه أو المتصدرة منه ويمكن الاستعلام عن الشروط الأخرى لقبول هذه التلغرافات من مكاتب التلغراف .

التلغرافات الجفرية والاصطلاحية

التلغرافات المحررة بلغات سرية (جفرية كانت أو اصطلاحية) تقبل لجميع الممالك الخارجية ما عدا بعض ممالك مبينة بدليل التلغراف ، والتلغرافات المحررة بلغات سرية المتصدرة من الحكومة أو الوكلاء السياسيين تقبلها جميع الممالك .

التلغرافات التى تصدر عن طريق حلفا

تقبل مصلحة التلغراف الأخبار التلغرافية التى برسم الجهات الآتية عن طريق حلفا باللغات والتعريفة الموضحة أدناه

	عن الكلمة الواحدة	
	من الوجه البحرى	من الوجه القبلى
	مليم	مليم
الأريترة باللغة الأفرنجية فقط طريق حلفا وكسلا	٢٩	٢٣
الحبشة « « « « « « «	٣٧	٣١
السومال الايطالى أو بنادير « « « « « « «	٣٥	٢٩
كزيمايو « « « « « « «	٣٥	٢٩
عدن « « « « « « «	٦٧	٦١
جيبوتى « « « « « « وبورسودان		
ولاساكى عدن	١١٣	١٠٧
بيريم « « « « « « وكسلا	٦٧	٦١
الصومال الانجليزى :		
بربره « « « « « « «	٩١	٨٥
الحجاز :		
الطائف وبحره ومكة باللغة العربية والأفرنجية طريق حلفا وبور سعيد	٧٦	٧٠
جدة « « « « « « «	٧٠	٦٤
باقى الجهات الأخرى « « « « « «	١١١	١٠٥

نقل حسابات صندوق التوفير بين القطر المصرى والسودان

يمكن نقل حسابات صندوق التوفير بين القطر المصرى والسودان وكذلك يمكن استرداد المبالغ المودعة فى صندوق توفير أحد القطرين من القطر الآخر كما يجوز الاسترداد بالتلغراف .

ويؤخذ عن كل عملية من هذا النوع رسم قدره خمسة مليمات عن كل جنيهين أو كسورهما .

الفصل الثامن والعشرون

فى وظائف السودان والموظفين

الموظفون الانجليز — والمصريون والأقباط

الاجازات — الأجانب — السجون

عدد موظفى حكومة السودان ٤٧٥٧ وكان عدد الموظفين المصريين فى حكومته ١٢٠٠ أصبحوا الآن حوالى ٣٠٠ . وكان عدد الموظفين السوريين ٢٣٠ فأضحوا ٢٠ . ونزل عدد الموظفين الانجليز إلى حوالى مائة .



المستر هـ . ب . املى مدير عام سكك حديد السودان

وللمعاش فئتان : فئة (ا) وفئة (ب) وفئة (ا) تشمل الموظفين السودانيين وفئة (ب) تشمل الموظفين المصريين والانجليز والأجانب وسن معاشهم ٤٨ سنة ، أى يجوز للموظف منهم أن ينسحب من الخدمة عند بلوغ هذه السن أما إذا بلغ سنه ٥٥ سنة فلابد من إحالته إلى المعاش .

ولا يمكن أن يزيد المعاش على ثلثى المرتب مهما طالت مدة الخدمة ، أى لا يوجد معاش كامل ، وهذا بشرط أن لا يزيد المعاش على ٩٦٠ جنيهاً مصرياً فى السنة ، ولأسرة الموظف الشاملة لأولاده نصف المعاش إذا توفى الزوج المتقاعد ،

وللزوجة ثلث المعاش فقط إذا لم يكن للزوج أولاد على أن لا يزيد المبلغ على ٣٦٠ جنيهاً . وتستمر البنت تأخذ حصتها فى المعاش حتى يبلغ سنها ٢١ سنة، وهذا على خلاف المتبع فى مصر إذ تستمر البنت فى قبض المعاش حتى تتزوج .

أما الابن الذكر فيقطع المعاش عنه إذا بلغ سن ١٨ سنة

وعند ما كان منصب سردار الجيش المصرى مندمجاً مع مناصب الحاكم العام بالسودان كان الشاغل لها يتناول ٣٠٠٠ جنيه بصفته سردارا و ١٥٠٠ جنيه علاوة لقيامه بمهمة الحاكم العام فضلا عن علاوة الاستقبال

وبعد فصل منصب الحاكم العام من منصب سردار الجيش المصرى أصبح الحاكم العام يتناول مرتبا أصليا قدره ٣٠٠٠ جنيه غير علاوة الاستقبال .

ويسكن الحاكم العام مجاناً فى دار للحكومة معروفة باسم « السراى » ، وخدمه على نفقة الحكومة إلا الطاهى . وقد كان للسير لى ستاك . طاهى أوروبى «المانى» يدفع له ٤٥ جنيهاً فى الشهر وكانت زوجه تخدم فى السراى ويدفع لها ١٥ جنيها . وكان ستاك(١) ينفق الفى جنيه سنويا فوق مرتبه وعلاواته ، فقد كان مثريا وقد خلف ثروة تقدر بمبلغ ١٢٠ الف جنيه ، وترك ابنة ، توفيت فى سنة ١٩٣٢ وكانت مخطوبة وذلك فى حادث أليم إذ كانت تتسلق أحد جبال الألب فى سويسرا فسقطت وتوفيت

ويتناول كل من القائد العام لقوة الدفاع السودانية والسكرتير المالى ، والسكرتير الادارى ، والسكرتير القضائى ومدير السكك الحديدية مرتبا سنويا قدره ٢٠٠٠ جنيه ويسكنون فى دور الحكومة ويدفعون أجرتها

وكان الذى يعين فى السودان يعطى مرتباً أكبر من الذى يعطى له فى مصر . والحكومة المصرية فى الغالب تجعل مرتبات موظفيها مرة ونصف مرة وأحيانا مرة و ٦٠ ٪ أو ٤٠ ٪ حسب الوظائف الفنية والادارية والمناخ الذى يعيش فيه الموظف الخ .

ويتعلم الانجليز العربية . ولهم ثلاث امتحانات ورقيهم منوط بنجاحهم

ويعقد الآونة بعد الأخرى امتحان اختيارى لنيل درجة شرف فى اللغة العربية للموظفين الانجليز الذين يجدون فى نفوسهم ميلا لمواصلة دراسة اللغة العربية دراسة مستفاضة تمكنهم من قراءة العربية الفصحى وكتابتها وتفهمها ونقلها إلى لغتهم أو نقل لغتهم اليها . وآخر امتحان من هذا النوع عقد فى منتصف شهر مايو الماضى وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من المستر بنى مدير الأمن العام رئيساً والشيخ عمر

(١) من الغريب أن الكثيرين من الضباط والموظفين المصريين فى حكومة السودان أبلغونى أن « استاك » كان عطوفاً على المصريين ، وكان شهماً كريماً عالى النفس متواضعاً ، وكان من رأيه زيادة المصريين فى المناصب الكبيرة فى السودان

اسحاق المفتش بالمعارف والمستر ادورد عطية(١) ضابط الأمن العام أعضاء والذين تقدموا للامتحان هم المستر « لى » المفتش بالمعارف والمستر هزلدين نائب مساعد مدير الأمن العام والمستر كنى من السكة الحديد . وكانت مواد الامتحان ترجمة قطعتين من اللغة العربية إلى اللغة الانجليزية وترجمة قطعتين من اللغة الانجليزية إلى العربية ومحادثة . وكانت مواد الامتحان صعبة وقد نجح المستر لى والمستر هزلدين نجاحا باهراً بل فاقا الرقم القياسى الذى وضعه المستر كتشن فى عام سنة ١٩٢٢ أما المستر كنى فلم ينجح . وبلغ عدد الموظفين البريطانيين الذين جازوا هذا الامتحان



المستر ا . ا . ج سرسفيلد هول مدير مديرية الخرطوم

حتى الآن خمسة هم المستر آيلز والمستر نولدر والمستر كتشن والمستر لى والمستر هزلدين ويعطى للناجح فى هذا الامتحان مائة من الجنيهات ، من الحاكم العام . واليك مثالا مما يعطى للانجليز من الترجمة :

There are tow classes of people.

A wise man should mark out people, in general, into two kinds and should adopt a certain attitude towards each. There are the masses with whom he has to be reserved, self-restrained, and wide awake in every word aud action. There are the classes in whose presence he exchange his harshness and vigour for affability, benignity, bounty and deliberation. It it but one in a thousand who can dare take a place among these. All of them are distinguished for their sound judgment and trustworthiness, being confidential and of an unswerving idelity.

(١) شاب لبناني متجنس بالانجليزية متخرج من انجلترا

ترجمتها : الناس طبقتان

على العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين فطبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وتحفظ فى كل كلمة وخطوة . وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشديد ويلبس لباس الأنس واللطف والكرم والتبصر ولا يدخل فى هذه الطبقة إلا واحد من الألف وكلهم ذو فضل فى الرأى وثقة فى المودة وأمانة فى السرور ووفاء بالأخاء .

THE CALIPH'S SYMPATHY.

Once Hatim Ibn El Nouman called upon the Commander of the Faithful, Omar Ibn Abdel-Aziz, whom he found weeping, "What sets you weeping Prince of Believers ?" asked Hatem. Liftiug up his head and sighing deeply, the Emir exclaimed, "I weep for the ignorant who are forsaken, the poor who are starving, the sick who are destitute, the naked who toil in vain, the oppressed who are stricken, the unfortunate who are held in captivity and the old father who has a long train of children and has but scanty means. I fear death will overtake me before I have sufficient time to carry out my work and meet God with a pure conscience and a heart free of all responsibilities."

ترجمتها : مؤاساة الخليفة (١)

دخل مرة حاتم بن النعمان على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فوجده يبكى فسأله « ما يبكيك يا أمير المؤمنين » فرفع الأمير رأسه متأوها وقال (إنى أبكى) جاهلا محروماً . وفقيراً جائعاً . ومريضاً صائعاً . وعارياً مجهوداً . ومظلوماً مقهوراً وبائساً أسيراً وشيخاً كثرت عياله وقل ماله .) وأخاف أن يأتى أجلى قبل أن أوفى بالعهد وألقى الله بقلب سليم

الأقباط فى السودان

فضلا عن الاتصال المعروف بين فراعنة مصر والسودان ـ النوبة واتيوبيا ـ كالمبين فى الجزء الأول من هذا الكتاب ـ فلأقباط مصر صلات وثيقة بالسودان

(١) تخير قطع الترجمة يدل على العناية بانتخاب الفصول التى تعلم الانجليز عقائد القوم وعاداتهم وشعارهم

فى العصر الحديث ـ من عهد محمد على : فقد كان بين موظفى مديريات السودان منذ عهده موظفون وحاسبون من الأقباط ، وكان لتجار أسيوط صلات تجارية بالسودان ، بطريق الأربعين وعلى ظهور الابل ومع القوافل .

وقد أكره المهدى من بقى من الأقباط عند الثورة على الدخول فى الاسلام ، كما أكره سائر المسيحيين ، واضطروا لدخول الاسلام حفظاً لحياتهم . وعند استعادة السودان بقيادة كتشنر باشا كان مع الجيش موظفون من الأقباط ، من الحاسبين والمترجمين ، كما كان معه سوريون وأكثرهم لبنانيون مسيحيون ، وقد جاء وقت كان أكثر موظفى الحكومة السودانية ـ من الكتاب والحاسبين ـ من الأقباط



المستر . ج . ن . لوجن مدير مصلحة الأشغال العمومية

المصريين ـ ذلك أن نسبة المتعلمين فيهم كانت أكثر من المسلمين المصريين ، وذلك أن عدد الموظفين الأقباط فى الحكومة المصرية كان كثيراً جداً ، وكانت هناك دواوين حكومية ـ كالسكك الحديدية والبريد ـ تكاد لا تعرف موظفاً مسلماً . ويرجع هذا إلى نشاط الأقباط وصبرهم وجلدهم وسبقهم فى دخول مدارس الامريكان والبعثات المسيحية الوافدة على مصر والمدارس الأميرية إخوانهم المسلمين ، وقبولهم العمل فى البلاد السحيقة كالسودان والافادة من علاوات السودان ومضاعفة سنى المعاش ، وقد اقتنى الكثير منهم ثروات ، كما انتفعوا بالوقت فاشتغلوا بالتجارة .

ولا نغالى إذا قلنا إن للأقباط فضلا فى نظام العمل فى دواوين الحكومة السودانية وقد أتقن أولئك الأقباط الصبورون المجتهدون اللغة الانجليزية ، ونجحوا

فى الوظائف والتجارة ، وأعجب الرؤساء الانجليز فى السودان بهمتهم وصبرهم

وقد اتجهت الحكومة السودانية أخيراً إلى الاستغناء عن خدمة غير السودانيين من مصريين وسوريين ويونانيين ويهود وبعض الانجليز ذاتهم اقتصاداً فى النفقات من جهة ، ولايجاد مناصب خالية للمتعلمين من السودانيين . وقد بقى من المصريين عدد قليل ، يقل عاماً بعد عام ، ولا يعين من يحل محله . على أن كثرة الموظفين المصريين الباقين من المصريين هم من الأقباط ، وقد أنشأوا مدارس ناجحة فى الخرطوم والعطبرة وأم درمان وأندية محترمة ، ولهم كنائس وقد أعلو كلمة مصر فى السودان ، وأن كان قد وقع بين بعضهم وبعض الموظفين السودانيين منافسة عادية تحصل عادة فى كل الحكومات بسبب العلاوات والترقيات وبسبب العاطلين المتعلمين الذين يرون أنهم أحق بالوظائف التى يشغلها سواهم . وليس لهذه المنافسة أثر عن العقلاء .

والخلاصة أننى اعتقد أن جهد أقباط مصر فى السودان هو جهد جدير بالاعجاب والثناء والتشجيع ، وأحث وزارة المعارف المصرية على مساعدة المدارس القبطية فى السودان إذ هى تحمل اسم مصر وبرنامج تعليمها وتعلم أبناء المصريين من مسلمين وأقباط على السواء ، وأعجب بكل مصرى يضحى بوجوده فى السودان الآن وسط ظروف غير صالحة من وجوه كثيرة .

الأجانب فى السودان

نزح ألوف من السوريين إلى السودان عقب فتح محمد على له ، للتجارة أو للتوظف كمترجمين أو حاسبين أو أطباء . وكانت تجارتهم مع القوافل المسافرة من أسيوط إلى السودان فى عهد محمد على . وفى الثورة المهدية اضطر السوريون المسيحيون كما اضطر المسيحيون الاوروبيون إلى التظاهر بالاسلام حفظا لحياتهم ، وقد جعل لهم المهدى حيا خاصاً فى أم درمان أسمى « مسلمانى » ، وبعد استرداد السودان عاد أكثرهم إلى المسيحية وظلت أقليتهم على الدين الاسلامى ، لا سيما من زوج منهم من سيدات مسلمات

ويبلغ عدد السوريين الآن ٤٥٠٠ وعدد اليونانيين ٦٠٠٠ والايطاليين ٥٠٠ وكان بالسودان نحو أربعة من الفرنسيين ولكنهم غادروه وتوجد فئات قليلة من التجار الأرمن . واليهود يعدون على الأصابع .

ولكل جالية جمعيات ورؤساء ومدارس ، ورئيس الجالية السورية الآن الخواجه عزيز كيفورى ورئيس الجالية اليونانية مسيو دميتاكسه وكان مسيو دجراسيمو كونتوميخالوس ، رئيساً للجالية قبله . وتستأنس الحكومة السودانية برأى رؤساء الجاليات فى بعض المسائل العامة كالتشريع الخاص بالغرف التجارية ، لأنه لايوجد بالسودان مجالس نيابية أو استشارية ، بل الحكم فيه مطلق ، كما يدعون إلى الحفلات الرسمية .



الملك جورج الخامس ملك الانجليز

الاجازات فى السودان

العيد الصغير ، العيد الكبير ، يوم ١٧ يناير ، حيث زار جلالة ملك الانجليز السودان فى ١٧ يناير سنة ١٩١٢ ، يوم ٢٦ مارس ميلاد جلالة الملك فؤاد . عيد رأس السنة الهجرية . عيد الايستر فى ابريل . يوم شم النسيم فى ابريل ، عيدجلوس جلالة الملك جورج الخامس حيث جلس فى ٢ مايو سنة ١٩١٠ ، ميلاد ملك الانجليز ٣ يونية (١٨٦٥ م) ، مولد النبي صلى الله عليه وسلم ١٣ يونيه . جلوس الملك فؤاد ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ ، عيد الميلاد ٢٥ ديسمبر

* * *

وقد ورد فى التقرير المقدم من الفيكونت كتشنر إلى السير ادوارد جراى وزير خارجية انكلترا وقتئذ عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩١١ ما يلى :

« تفضل جلالة الملك والملكة بزيارة السودان فى شهر يناير من السنة الحالية ولما كانت هذه الزيارة عظيمة الشأن والقدر رأيت أن أسجلها فى هذا التقرير

تكرم جلالتهما بتأخير عودتهما من الهند إلى الوطن لكى ينزلا إلى بورت سودان التى كان سمو الخديوى قد فتحها رسمياً لتجارة السودان قبل ذلك بنحو سنتين فاستقبلهما الحاكم العام وكبار موظفيه وجمهور من مشايخ البلاد وأعيانها جاءوا من جميع الأنحاء



السير سعيد باشا شقير
مدير حسابات حكومة السودان سابقاً

وبعد الاستقبال الرسمى فى بورت سودان ركب جلالتهما ومن فى معيتهما القطار إلى سنكات حيث رحب بهم جمهور كبير من العرب المحليين . وتلا ذلك عرض فضائل من جميع الجنود السودانية ورقص أهل تلك الجهة رقصهم الحربى الوطنى . وقد أعرب لى جلالة الملك قبل عودته إلى بورت سودان عن ارتياحه إلى التدابير التى اتخذت لاستقباله وسروره العظيم بالوقوف على أحوال السودانيين وعاداتهم بما شاهده فى الجماهير العظيمة المؤلفة من الزعماء والمشايخ وسواهم الذين اجتمعوا احتفاء بجلالته » . اهـ

سجون السودان

تشبه سجون السودان السجون المصرية وقد انشئت على أساسها ونظامها ، ولكن النظافة متوافرة والآداب محترمة . ولا يستطيع السجان أن يهين سجيناً ، وإذا حصل أقل اعتداء ، رفع إلى مأمور السجن أو حاكم دار السجن إذا كان كبيراً ويحقق فى الحادث حالا . ويطوف مدير المديرية بالسجون مرة فى كل أسبوع ويسأل المساجين عن شكاويهم . ويبت فيها .

ويلحق بكل سجن عمومى فرع للأحداث القصر وفرع آخر للأحداث البالغين ولهم مدرسة تعلمهم بعض الصناعات

سجن الانتظار - ويوضع المسجونون احتياطياً فى سجن الانتظار ويباح لهم كل شىء من مأكل وملبس ومفرش من المنزل وقراءة أى كتاب ، ولا يمنعون إلا من الاختلاط بآخرين

أشغال المحكوم عليهم

تعبيد طرق . إصلاح متنزهات عامة وحدائق . والعمل فى ورشة السجن فى إحدى الصناعات . ونقل فحم السكة الحديد . وإنشاء مصارف فى الخريف ونقل أحجار .



مستر . ه . ا تاس السكرتير المالى

الفصل التاسع والعشرون

التعليم فى السودان

كان التعليم فى السودان قبل عهد محمد على اسلامياً دينياً ، كما كان الحال فى مصر ، فكان فى جميع أنحاء السودان « الخلاوى » ، وهى المكاتب التى يعلم فيها « الفقهاء والعرفاء (١) مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، على أنه كان فى السودان منذ الفتح العربى وقيام الممالك والسلطنات الاسلامية فى سنار ودارفور وغيرهما - علماء محترمون مطلعون على طائفة من كتب الفقه الاسلامى والحديث والأدب والمذاهب ، وكانوا أهل ذكاء ، وكانت أكثر كتبهم مأخوذة عن مؤلفات علماء المغرب الأقصى وتونس ، إذ كان بين ممالك افريقية الشمالية والسودان صلات تجارية ، استتبعت هجرة نفر من العلماء والكتاب ، وقد كان للأزهر الشريف شهرة ذائعة فى العالم الاسلامى ، وطالما ساعد بعض ملوك السودان وأعيانهم طلبة العلم فى تحصيله بالجامع الأزهر ، وفى تكريم نفر من طلبته وعلمائه ممن قذفت بهم الأقدار إلى السودان . وكان للصوفية شأن وأى شأن

وكان علماء السودان يعطون الدروس فى دورهم وكان طلبتهم قليلين جداً ودراستهم غير منتظمة

ولما فتح محمد على السودان ، ظهرت فيه المدنية وبدأت بانشاء المعسكرات ومدينة الخرطوم وباقامة دور الحكومة ، وبتجنيد العبيد ، واستلزمت هذه المدنية التى أنشأها المصريون انشاءاً وابتدعوها ابتداعاً فى أثناء حكمدارى السودان ، إنشاء المدرسة الابتدائية بالخرطوم وكان ناظرها رفاعة رافع بك الطهطاوى (٢) ، فعرف السودان المدارس النظامية ، وتلقى الكثير من أبنائه العلم فى مدارس مصر ، إلى أن قامت الثورة المهدية فجعلت التعليم وقفاً على حفظ القرآن الكريم ورواتب المهدى ، وأغفلت كتب الفقه وسواها

---

(١) المقصود من فقيه ويدعى فى السودان « فقى أو فكى » هو الذى يعرف بالعامية المصرية « الفقى » وهو معلم حفظ القرآن الكريم فى « الكتاتيب »

(٢) راجع صورته وترجمة حياته فى الجزء الأول من هذا الكتاب

ولما استعيد السودان ، بدت الحاجة ملحة وقوية إلى إعادة التعليم المدنى ، على أن الحكومة السودانية رأت أن يكون التعليم مقصوراً على تلبية حاجة السودان إلى صغار الموظفين من كتبة ومترجمين وصناع بمصالح السكك الحديدية . مع بقاء «الخلاوى» المنتشرة فى جميع أنحاء السودان لتعليم مبادىء القراءة والكتابة والحساب

منذ سنة ١٨٩٩ بدأت الحكومة السودانية الجديدة بفتح بضع مدارس أولية وابتدائية . وفى سنة ١٩٠٢ فتحت كلية غردون فى الخرطوم تخليداً لذكرى غردون وكان ذلك تنفيذاً لفكرة اللورد كتشنر ، وقد أريد منها أن تكون « مدرسة ثانوية متوسطة » وهى نوع خاص من المدارس ، فهى ليست كلية بالمعنى المعروف فى نظام الكليات ، وهى ليست مدرسة ثانوية إلى الحد الذى نفهمه من الدراسة الثانوية . ثم زادت الحكومة عدد المدارس الأولية والابتدائية فى العواصم والمحافظات والمراكز

ويبلغ عدد الخلاوى « كتاتيب السودان » ١٥٠٠ وعدد تلاميذها ٦٠٫٠٠٠ وهى ليست فى مستوى واحد . ومنذ سنة ١٩٢٢ رؤى تزويد معلمى « الخلاوى » بتعليم أرقى ، ومدهم بالمساعدات المالية .

وهناك « كتاتيب أميرية » عددها ٨٧ ويتراوح تلاميذها بين ثمانية آلاف وتسعة ألاف . ويدخلها التلميذ إذا كان سنه يتراوح بين سنين وثمان ، ويعلم فيها القرآن ودروس دينية مع القراءة والكتابة والحساب ومبادىء فى الجغرافيا والتاريخ والصحة والزراعة والأعمال اليدوية

ويرى سير هارولد ماكيكل (١) أن تظل الكتاتيب الأميرية أساساً لنظام للتعليم فى السودان ، وأنه يجب تطورها بحيث تلبى حاجات الحياة فى القرى والمراكز بادخال الدروس الزراعية والصناعات والحرف المحلية مع رفع مستواها أيضاً لتخريج مستخدمين للادارة الأهلية (٢) ، وجعل المدارس الابتدائية والمعلمين لتخريج معلمى الكتاتيب وتسمى أيضاً « المدارس الأولية » . وقد جعلت مدة الدراسة فى مدرسة المعلمين الأولية أربع سنوات وبرأسها ناظر انجليزى

وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية حتى سنة ١٩٣٣ عشرة وتلاميذها ١٠٩٤ ،

(١) ص ٢٦٠ من كتابه السودان الأنجليزى المصرى طبعة لندن

(٢) المقصود بالادارة الأهلية هو النظام الجديد المنشىء لمحاكم أهلية تشبه محاكم الأخطاط فى مصر سابقاً ويرأسها نظار القبائل

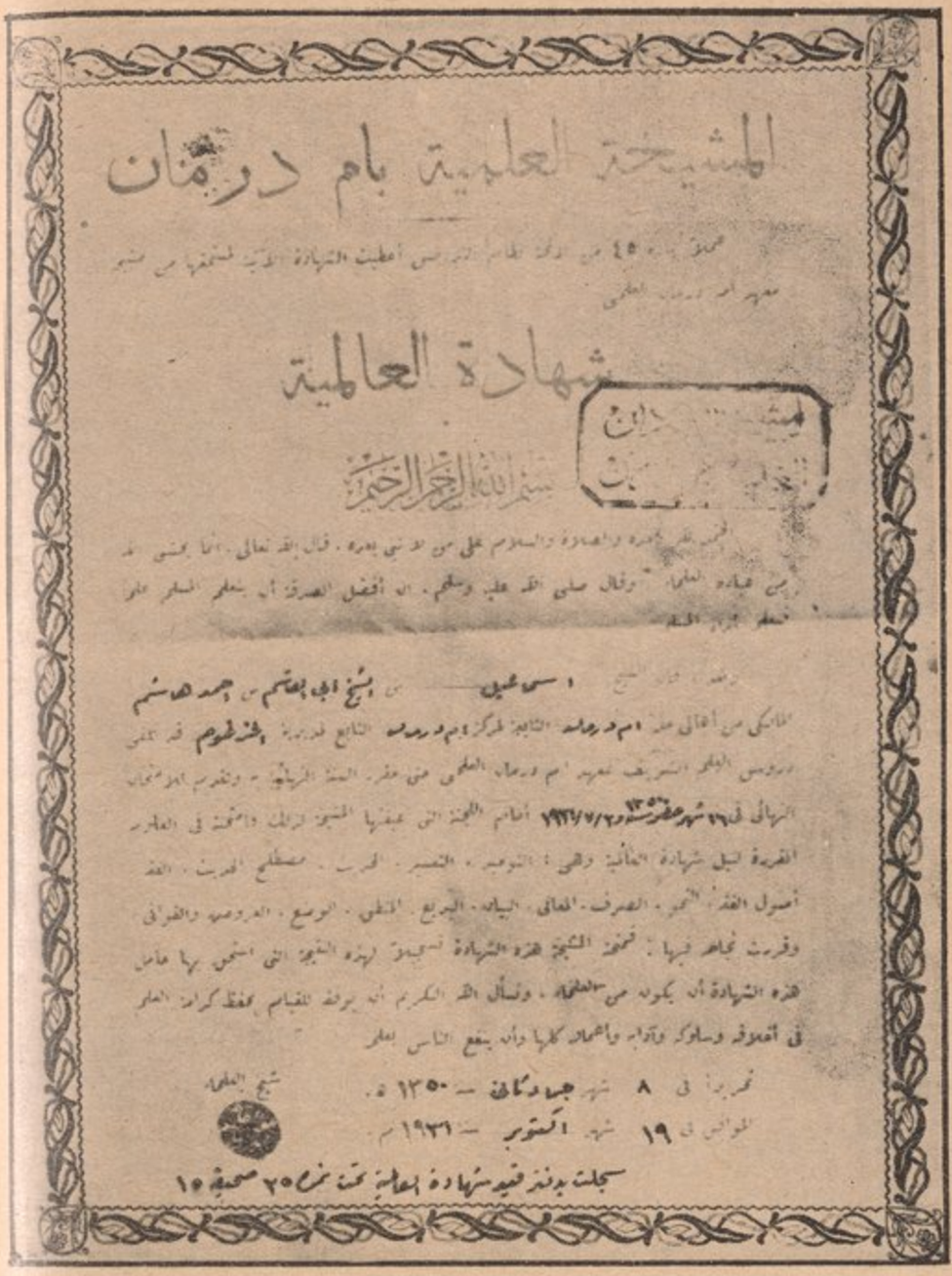

المشيخة العلمية بام درمان

شهادة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة شهادة العالمية فى المعهد العلمى بام درمان

وهى منشأة فى أكبر مدن السودان الشمالى . ويدخلها التلاميذ الذين يتراوح سنهم بين ١٠ و ١٣ سنة ممن تخرجوا من الكتاتيب الأميرية . ويقبل تلاميذها مجاناً أو بأجور منخفضة أو بأجور كاملة على حسب الأحوال . والغرض الأساسى من إنشاء المدارس الابتدائية هو إعداد طلبة للالتحاق بكلية غوردون . ولكن زاد عدد المتخرجين على عدد الكلية الجائز التحاقهم بالكلية . فاتجهت الفكرة إلى تغيير مناهج التعليم فى المدارس الابتدائية . لكى يستطيع خريجوها الاستخدام فى الوظائف المحلية الصغيرة أو الاحتراف بالتجارة . إلى جانب المهمة الأصلية فى إعداد طلبة لكلية غوردون

كلية غوردون والمدارس الفنية

مدة الدراسة أربع سنوات : وفى السنتين الأخيرتين يتخصص الطلبة فى أقسام : قسم المعلمين . وثان للمترجمين ، وثالث للحاسبين . ورابع للكتبة ، وخامس للطلبة الذين يلتحقون بمدرسة كتشنر الطبية ، وسادس قسم خاص للهندسة . وسابع قسم للقضاة ، وقسم ثامن للتجارة

وقد بلغ عدد الطلبة ٥٥٥ فى سنة ١٩٣٠ و ٤٧٦ فى سنة ١٩٣٣ ، وثلاثة أخماسهم من أبناء مديريتى الخرطوم والنيل الأزرق . ويدفع بعضهم أجوراً كاملة ، والبعض الآخر أجوراً مخفضة . ويتعلم فريق ثالث مجاناً

والغرض الأساسى للتعليم بالكلية هو أعداد موظفين للحكومة فى الأنواع المختلفة وقد بقى هذا الغرض منذ إنشائها حتى ظهور تقرير ملنر . حيث أوصى بتغيير نظام التعليم وجعله لا مركزياً فى السودان (١) أى بانشاء مدارس فنية فى كل مديرية بحسب حاجتها . فتوجد مدرسة صناعية من سنة ١٩٠٧ فى أم درمان ، وقد أدمجت فى سنة ١٩٢٢ فى الورش الصناعية لكلية غوردون ، وفى سنة ١٩٣٣ كان عدد طلبتها ٢٠٦ تخرجوا من الكتاتيب الأميرية ثم تعلموا فى قسم الورش النجارة وصنع الطوب والبناء . ومدة الدراسة أربع سنوات ، والغرض منها تلبية حاجة المدن والقرى من هذه الحرف . أما الورش التعليمية فى عطبرة فقد انشئت فى سنة ١٩٢٤ على أثر إغلاق القسم الميكانيكى لورش كلية غوردون . ويتلقى التلاميذ فى عطبرة البرادة والحدادة ليشتغلوا فى الورش الهندسية الميكانيكية لمصلحة سكك حديد

(١) راجع الباب الخاص بالسودان فى تقرير ملنر سنة ١٩٢١

السودان ،التى تشرف على المدرسة الصناعية بعطبرة . وقدبلغ عدد تلاميذها ٧١ فى سنة ١٩٣٣ وهم يتعلمون مجاناً

أما تاريخ فتح كلية غوردون فذلك أنه بعداستعادة السودان وعودةاللوردكتشنر أوف خرطوم إلى لندن دعا سعادته مواطنيه للاكتتاب لانشاء كلية غوردون بالخرطوم . فبلغ الاكتتاب فى انجلترا واستراليا وكندا ونيوزيلندا ورأس الرجا الصالح والهند ومصر ١٢٤ جنيه ألف تقريباً . ووضع الحجر الأساسى للكلية فى ٥ يناير سنة ١٨٩٩ بحفلة رسمية برياسة كتشنر باشا



طالب خريج من كلية غوردون وبمدرسة كتشنر الطبية

مدرسة حقوق الخرطوم المؤسسة سنة ١٩٣٥

أسست هذه المدرسة فى هذا العام - ١٩٣٥ - وهذه لائحتها

لائحة (امتحان ومصاريف) مدرسة الحقوق سنة ١٩٣٥

« تشريع نمرة ١٧ سنة ١٩٣٥ »

عملا بالسلطات المخولة للجنة الدراسات القضائية بالمادة ٤ (٢) من أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥ قد وضعت اللائحة الآتية :

١ ـ تسمى هذه اللائحة لائحة (امتحان ومصاريف) مدرسة الحقوق سنة ١٩٣٥ ويعمل بها على الفور

٢ ـ تعقد لجنة الدراسات القضائية الامتحانات الآتية : ـ

(ا) امتحان الدخول للحقوق

(ب) الامتحان الوسط فى القانون

(ج) الامتحان النهائى فى القانون

(د) الامتحان الاضافى

٣ ـ يكون امتحان الدخول للحقوق بكيفية تظهر مقدرة الطلبة فى اللغتين الانكليزية والعربية كتابة وحديثاً وفى المعلومات العمومية ويعقد هذا الامتحان فى شهر نوفمبر من كل سنة كالمطلوب

٤ ـ (١) يعمل الامتحان الوسط على قسمين ـ القسم الأول يشتمل على امتحان كتابى وشفهى فى الفقه المدنى وقانون العقود ويعقد هذا فى شهر إبريل من كل سنة والقسم الثانى يشتمل على امتحان كتابى وشفهى فى قانون الاخطاء (المسئولية المدنية) والقانون الجنائى ويعقد فى شهر ديسمبر من كل سنة

(٢) الطلبة الذين يلحقون فى شهر نوفمبر من أية سنة يمتحنون فى قسمى الامتحانات الوسطى فى شهر إبريل وديسمبر على التوالى من السنة التالية على أنه يجوز للجنة الدراسات القضائية بسبب مرض الطالب أو بسبب قهرى أن تؤجل امتحانه فى أحد القسمين أو فيهما معاً إلى سنة أخرى

٥ ـ (١) يعقد الامتحان النهائى فى القانون فى شهر ديسمبر من كل سنة عند الطلب ويشتمل على امتحان كتابى وشفهى فى المواضع الآتية : ـ

(ا) مواضع الامتحانات الوسطى

(ب) قانون الأثبات

(ج) قانون التحقيق المدنى والجنائى

(د) قانون الأراضى

(ه) القانون التجارى

(٢) الطلبة الذين يلحقون فى نوفمبر من أية سنة يمتحنون الامتحان النهائى فى شهر ديسمبر من السنة التى تتلوا السنة التالية لسنة دخولهم ، على أنه يجوز للجنة بسبب مرض الطالب أو لسبب قهرى أن تؤجل امتحانه النهائى لسنة أخرى

٦ - (١) يعقد الامتحان الاضافى فى شهر ابريل من كل سنة ويشتمل هذا الامتحان على امتحان كتابى وشفهى بالعربى فى قانون ونظام المحاكم الشرعية السودانية

(٢) لكل شخص اجتاز الامتحان النهائى أن يجلس فى أى وقت للامتحان الاضافى

٧ - (١) لا يسمح لأى طالب أن يمتحن فى أى قسم من قسمى الامتحان الوسط أو الامتحان النهائى أكثر من مرة واحدة

(٢) كل طالب لا يؤدى أى قسم من قسمى الامتحان الوسط أو الامتحان النهائى فى المدة المحدودة بهذه اللائحة يفصل من مدرسة الحقوق



طالب ثانوي سودانى من طلبة كلية غوردون
وهم يلبسون الجلاليب البيضاء والعمائم

٨ - يدفع الطلبة الرسوم المبينة فى الخانة الثانية من الجدول الآتى بالنسبة إلى المسائل المبينة فى الخانة الأولى من الجدول المذكور ويستثنى من ذلك الموظف فى حكومة السودان المنتدب للالتحاق بمدرسة الحقوق فانه لا يلحق كطالب ولا يدفع مصاريف

الجـــدول

الخانة الأولى	الخانة الثانية
	جنيه
الانضمام	١٠
الامتحان الوسط	١ عن كل قسم
الامتحان النهائى	٢
الامتحان الاضافى	٢

أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥

أمر بتعيين لجنة الدراسات القضائية

(اعلان قانونى نمرة ٦٠ سنة ١٩٣٥)

عملا بالسلطات المخولة بالمادة ٣ (٢) من أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥ قد عين سعادة السكرتير القضائى بهذا جناب المستر س . س . ج . كمنجز ليكون مدير الدراسات القضائية والمذكورين بعد أعضاء لجنة الدراسات القضائية ابتداء من اليوم الأول من شهر يونية سنة ١٩٣٥ :

جناب المستر ا . ج . ت . فلمنج ساندس نائب قاضى المحكمة العليا

صاحب الفضيلة الشيخ أحمد السيد الفيل مفتى السودان ونائب قاضى القضاة

جناب المستر المستر ا . ج . كلاكستون المحامى (بارستر)

مذكرة إيضاحية

أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥

إن الغرض من هذا التشريع هو فتح سبيل لعمل لم يكن مفتوحاً قبل عملياً للمتعلمين من أبناء السودان

هناك حاجة محدودة لمحامين خبيرين باجراءات المحاكم ومادة القانون وبانشاء هذه المدرسة ستكون فرصة للوطنيين السودانيين لسد هذه الحاجة

ان مقدار ومجال العمل الذى تسمح به محاكم السودان للمحترفين بالأعمال القضائية لمحدود جداً بحكم الضرورة . بينما قد يكون عدد الطامحين للاشتغال بها كبيراً

جداً . لذا فان مستوى امتحان الدخول لمدرسة الحقوق سيكون عالياً . على أن الناجحين فيه الذين يبرهنون بعد على ضعفهم أو عدم لياقتهم سوف يخرجون من المدرسة بلا تردد .

يسند أمر إدارة المدرسة إلى لجنة يرأسها مدير الدراسات القضائية

لأى شخص يسكن السودان عادة أن يقدم للسكرتير القضائى لترشيحه كطالب لمدرسة الحقوق وللسكرتير القضائى أن يقبل الطلب أو يرفضه بالنسبة لأخلاق الطالب . وعدد المحامين العاملين وعدد الطلبة المرشحين وقراره فى ذلك يكون بمحض اختياره ونهائياً لا يستأنف

مدة الدراسة سنتان وربع تقريباً يعقد فى خلالها ثلاثة امتحانات — امتحان دخول وامتحان وسط وامتحان نهائى . وبعد تأدية الامتحان النهائى يجوز عمل امتحان اضافى فى القضاء الشرعى . لا يسمح لأى طالب بالامتحان فى أى قسم من أقسام الامتحانين الوسط أو النهائى أكثر من مرة واحدة . كما أن عدم اجتيازها فى المدة المقررة يوجب فصل الطالب من مدرسة الحقوق

سيوضع نظام للدراسة تحت الملاحظة ويعمل به داخل حجرة مطالعة ومكتبة فى بناء المصلحة القضائية . وستلقى محاضرات مخصوصة من وقت الى آخر . وقبيل انتهاء الدراسة يحضر الطلبة جلسات المحاكم للاسترشاد

تمنح لجنة الدراسات القضائية شهادات (دبلومات) للطلبة الملحقين الذين يمضون الامتحان النهائى .

مع مراعاة نصوص قانون المحاماة الذى سيصدر قريباً ، تخول هذه الشهادة لحاملها المرافعة أمام المحاكم المدنية والجنائية المصرح للمحامى بالمرافعة أمامها قانوناً فى السودان .

يسمح لحاملى الشهادة الذين يمضون الامتحان الاضافى بالمرافعة أمام المحاكم الشرعية .

الرسوم الواجب دفعها عند الالتحاق ١٠ جنيه مصرى و٢ جنيه بالنسبة لكل من الامتحانات اللاحقة .

يعقد أول امتحان دخول فى نوفمبر سنة ١٩٣٥

ويراد استعمال هذه المدرسة أيضاً كمحل لتدريب نخبة من موظفى الحكومة الذين برهنوا على أهليتهم لاعداد قضاة وطنيين مدربين ويكون انتخابهم بواسطة السكرتير القضائى

بيان رسمى عن مدرسة حقوق الخرطوم

أذيع البيان الرسمى التالى :

إن الاهتمام الذى أبدى لاعلان فتح مدرسة حقوق الخرطوم كان داعية لسرورنا وانا لنأمل أن تظل المدرسة موضع العناية الخالصة والانتقاد المثمر . وإجابة على ما يتساءلون عنه نقدم الايضاحات الآتية :

(١) إن السنتين والربع ليستا بالمدة القصيرة إذا لوحظ أن الطلبة ستقتصر دروسهم أثناءها على دراسة القانون فقط . على أننا وإن كنا نعلم بأن مستوى الدروس سيكون عالياً — ولكننا رغم ذلك نثق أن الطلبة الاكفاء لن يقتصر تحصيلهم بفضل المثابرة والاجتهاد على معرفة فرع القانون المعمول به فى السودان فحسب بل أنهم سيتأسسون فى فهم المبادىء القانونية تأسيساً يعينهم اعانة موثوقاً بها على المضى فى تفهم كل فرع من فروع القوانين الأخرى .

(٢) يقدم طالبو الجلوس فى امتحان الدخول طلباتهم إلى سعادة السكرتير القضائى قبل أول يوم من شهر سبتمبر موضحاً بها العمر والجنسية والتعليم . ويحتمل أن يستعرض مقدمو الطلبات ويسألون عن كل ما تبدو له أهمية . وعلى طالبى الالتحاق من موظفى الحكومة أن يوضحوا جلياً عما إذا كانوا يودون الالتحاق للاعداد للمحاماة أو ليكونوا موظفين ملحقين للتأهل للوظائف القضائية وسيستولى الموظفون الملحقون للتأهل للوظائف القضائية على مرتباتهم الاعتيادية مدة الدراسة ولكن الموظفين الذين يودون التأهل للمحاماة عليهم أن يستقيلوا من وظائفهم متعرضين بذلك لعدم استخدامهم مرة أخرى إذا ما فشلوا . على أن ذلك لن يثبط من همم ذوى الاقدام والجرأة الذين يعلمون أن كل ما ينتج عن ذلك من مجازفة أو انكار للذات يهون أمام الفرصة التى ستتيح لهم الانضواء فى سلك تلك المهنة الهامة الشريفة الحرة .

(٣) على كل الطلبة أن يقوموا باعداد مساكن لهم محلياً مدة الدراسة على أنه ستعد غرفة للدراسة وأخرى للمكتبة فى بناء المصلحة القضائية . وعلى الطلبة الذين يدرسون للمحاماة أن يدفعوا المصاريف المبينة باللائحة والتى تشمل رسوم الدروس وحق استعمال المكتبة ومن المرجح أن طلبة المدرسة بقسميها سيلزمهم شراء بعض الكتب من مواردهم الخاصة . ولن تتعدى قيمة تلك الكتب خمسة جنيهات سنوياً

الخرطوم فى ٣٠ يولية سنة ١٩٣٥

أحمد السيد الفيل س . س . ج . كمنجز

رأى مجلة الفجر

وجاء فى مجلة الفجر ما يلى :

علقنا فى العدد الحادى والعشرين من هذه المجلة على الاشاعة التى كانت تدور حول فتح قسم فى المصلحة القضائية لتدريب وتعليم بعض العمال القضائيين ليكونوا قضاة جزئيين وتمنينا على الحكومة أن تجعل منها نواة حسنة لمدرسة حقوق ثم كتبنا فى افتتاحية العدد الثانى والعشرين عن التعليم وقلنا أن مدرسة للحقوق أصبح وجودها مهماً لمستقبل هذه البلاد وما كاد العدد تتلقفه الأيدى إلا واطلعنا على ملحق التشريع لغازيتة الحكومة السودانية نمرة ٦١٤ بتاريخ ١٥ يونيو سنة ١٩٣٥ وفيه مذكرة إيضاحية بأمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥ وبعد قراءة الأمر ومراجعته مراجعة دقيقة خرجنا بهذه الفكرة التى نثبتها فيما يلى ونلفت اليها نظر أصحاب الشأن :

أن دراسة الحقوق بلا شك تستوجب معرفة حسنة للغة الانجليزية التى سيدرس بها القانون ولهذا لن يتقدم لهذه المدرسة وينجح فيها إلا الخريجون الذين اشتغلوا فى الوظائف الحكومية زمناً ليس بالقصير واستفادوا من تجاربهم واطلاعهم الشخصى ووسعوا دائرة معلوماتهم وهؤلاء لن يكون فى وسعهم أن يتركوا وظائفهم ليلتحقوا بهذه المدرسة والمستقبل غير مضمون . أما الطالب الذى يتخرج من الكلية فلا يمكنه الالتحاق بهذه المدرسة لأول وهلة واذا التحق بها فلن ينجح نجاحاً يبشر باستمرار المدرسة . وأما عن الذين تنتدبهم الحكومة ليدرسوا ويكونوا قضاة جزئيين أو جنائيين فهؤلاء كما تدل الاتجاهات سيكونون من العمال القضائيين وهم لا تسمح لهم معرفتهم باللغة الانجليزية أن ينجحوا فى هذه الدروس وعندنا أن خير حل لذلك أن تختار الحكومة خيرة موظفيها من الشبان العارفين باللغة الانجليزية والذين لهم ميل لدراسة القانون فتبتدىء بهم المدرسة وتخرج بعضهم كمحامين ينفصلون عن خدمة الحكومة بعد انتهاء عهد الدراسة والبعض الآخر كقضاة جزئيين أو جنائيين وبعد دفعة أو دفعتين ترجع إلى هذا النظام الذى سنته فى قانونها الحالى حيث يكون الناس قد استعدت أذهانهم والشباب قد بدأ يعد نفسه لدخول مثل هذه المدرسة والكلية قد حسنت برامجها وتخرج فيها شباب صالح » اهـ .

فكرة انشاء جامعة سودانية

والمقول : أن إنشاء مدرسة كتشنر الطبية ومدرسة حقوق الخرطوم هو توطئة لانشاء جامعة سودانية ، تضم اليها المدرستان وترفع درجة بعض أقسام كلية غوردون . كالهندسة والزراعة لتكون كليات عالية فى الجامعة المنشودة

المدرسة الحربية

كان بالسودان مدرسة حربية فى الخرطوم ألغيت سنة ١٩٢٤ . وفى هذا العام انتخب للمدرسة الحربية المتنقلة تسعة من خريجى كلية غوردون الذين قد، واللالتحاق بهذه المدرسة بعد أن اجتازوا امتحان الدخول وهم حضرات الأفندية محمد طلعت أفندى ، فريد حسن أفندى ، بشير نصر عمر أفندى ، إبراهيم العوض عمر أفندى ، محمد إبراهيم محمد أفندى ، نمر نصر احمد ، عبد الله حامد احمد أفندى ، عبد الوهاب خير الله احمد افندى ، أبو بكر احمد رضا افندى فريد

وقد التحقوا بقسم الحملة ابتداء من ١٦ يونية سنة ١٩٣٥ وفيما بعد يوزعون على وحدات قوة دفاع السودان الأخرى للدرس والتمرين ثم يعينون ضباطاً فى قوة دفاع السودان . وهى ليست مدرسة ولكنه نوع من التعليم الحربى الوقتى الذى لم يوضع له نظام بعد

تعليم البنات

أما تعليم البنات فهو فى بدايته . ويبلغ عدد المدارس الأولية للبنات ٢٢ مدرسة فى المدن الكبيرة على النيل . ويبلغ عدد تلميذاتها ٢٠٥٩ وهن يتعلمن القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن والدروس الدينية ، وقد جعل التعليم عملياً يبعث على الاعتماد على النفس ومعرفة التدبير المنزلى . والتعليم لهن مجاناً وقد انشئت كلية للمعلمات فى أم درمان وبلغ عدد تلميذاتها ٥٧ ، وأكثر خريجاتها قد تزوجن وقد أنشأ فضيلة الشيخ بابكر بدرى المفتش بمعارف السودان سابقاً مدرسة الأحفاد بأم درمان . وهى أول مدرسة للبنات

وكلما انتشر تعليم الذكور فى بلد ، بدت الرغبة ملحة فى تعليم البنات والحاجة إلى مدارس أخرى

وقد أنشئت فى الماضى مدرسة لنواب المأمير واضباط البوليس وللبوستة والتلغراف

وأقسام للصيدلة وللمساعدين بالمعامل وللمفتشين الصحيين وأقسام صيفية للمساحين والعدادين ، ودروس للصبية فى جراجات الحكومة وورشها

بعثات علمية

وقد رأت مصلحة المعارف انتخاب بعض خريجى كلية غوردون وإرسالهم فى بعثة إلى الجامعة الامريكية ببيروت للحصول على دبلومتها بعد دراسة مدتها ثلاث سنوات أو أربع . وتعلم الشاب السودانى الغيور الأستاذ الدرديرى أحمد اسماعيل فى الجامعة المصرية وفى جامعة ليدز بانجلترا ونال شهادتها فى القانون ، وعاد فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٥ وأقيمت له حفلة تكريم بالنادى السودانى بميدان سليمان باشا رقم ٣

فى جنوب السودان

وفى جنوبى السودان ، حيث يسكن الزنوج وهم لادين لهم ، رغبت الحكومة السودانية فى إنشاء مدارس لتعليمهم .

ولقد بدأت الارساليات التبشيرية المسيحية بتعليمهم . وفى سنة ١٩٢٢ عينت الحكومة لها إعانات سنوية صغيرة لمساعدتها . وفى سنة ١٩٢٦ زادت مبالغ هذه الاعانات لمساعدة الارساليات على توسيع التعليم وفى مهمتها الصحية ، وقد رأت الحكومة أن تشرف على تعليم الارساليات وأن تتحقق من أنه يخدم الأغراض السياسية والادارية التى تطلبها (١)

وقد كان تعدد اللغات واللهجات وعدم ضبطها وعدم سابق وجود قواعد لها مشكلة المشاكل فى سبيل تعليم أبناء جنوبى السودان (٢) ولذلك عقد مؤتمر لغوى فى « الرجاف » فى إبريل سنة ١٩٢٨ تحت رعاية سكرتارية المعارف والصحة ، وقد حضر المؤتمر ممثلون عن حكومات السودان وأوغندة والكونغو البلجيكية والجمعيات التبشيرية فى هذه الأقطار . وقد كانت مهمة المؤتمر علاج مشكلة تعدد اللغات ، وقد انتهى المؤتمر إلى اختيار مجموعة من اللغات الرئيسية ، وتهذيبها وضبط تهجئتها وإملائها وتوحيدها ووضع كتب بمتونها وأجروميتها . وقد عقدت مؤتمرات

(١) راجع ص ٢٦٦ من كتاب السودان الانجليزى المصرى بالانجليزية تأليف ماكمبكل

(٢) كان تعليم أبناء الجنوب فى عهد الحكم المصرى فى الكتاتيب باللغة العربية ، التى سرعان ما كانوا يتعلمونها ويدخلون الاسلام فى غير إكراه ، بل بمجرد اجتماعهم ببعض المسلمين ورؤيتهم وهم يصلون او يتعلمون

أخرى غير رسمية لتحقيق هذا الغرض والتقدم فيه بعد مؤتمر سنة ١٩٢٨

وقد بلغ عدد الذين تلقوا التعليم العصرى فى الخرطوم وأم درمان وبعض المدن الرئيسية ١٢٠٠٠ منهم ١٣٠٠ من كلية غوردون و ٢٥٠٠ من المدارس الابتدائية . وعدد يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ من ضباط حاليين وسابقين ، وعدد يتراوح بين ٧٠٠٠ و ٨٠٠٠ تاجر

وقد جعلت اللغة الانجليزية أساسية وسائدة فى كلية غوردون وفى المكاتبات الرسمية .

كلية المعلمين الأولية مركزها الآن فى « كلية بخت الرضا » تابعة لمركز الدويم بمديرية النيل الأبيض

المعهد العلمى بأم درمان

الى سنة ١٩١٢ كان المرحوم العلامة أبو القاسم أحمد هاشم قاضياً شرعياً لمديرية النيل الأزرق . وفى يناير سنة ١٩١٢ عين « شيخاً للعلماء » خلفاً للمرحوم الشيخ محمد البدوى الذى كان فى عهده تدريس العلوم الدينية فى منازل العلماء وعددهم عشرة

رأى فضيلة الشيخ أبو القاسم أن يكون التدريس فى معهد أم درمان ، الذى كان مكانه عندئذ فى الفضاء الواقع بين جامع أم درمان الحالى وبين مكاتب إدارة المعهد وكان محل الجامع الحالى دكاكين . فطلب فضيلته من الحكومة أن تعطى أصحاب الدكاكين تعويضاً ، وأن توقف الأرض لبناء الجامع ، وأن يستعمل بناء الجامع القديم فناء للمعهد ومكاتب .

وافقت الحكومة على رأى فضيلته ، وفتح اكتتاب من أهالى السودان وجمع نحو ١٦ ألف جنيه ، وعاونت الحكومة فى بناء الجامع بتخصيص جزء من عوائد الأسواق لبنائه . وسمى « المعهد العلمى بأم درمان » ، وبدىء التدريس بالسنة الأولى طبقاً لبرنامج الجامع الأزهر ، وتلقى فضيلته لوائح الأزهر من صاحبى الفضيلة الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر عندئذ وقاضى قضاة السودان سابقاً ، والشيخ محمد هارون وكيل مشيخة الأسكندرية وقاضى قضاة السودان وساعده فضيلة مفتى السودان يومئذ شقيقه الشيخ الطيب أحمد هاشم مفتى السودان ، وهو أول مفتى فى السودان سابقاً وقبس منها لائحة للمعهد العلمى وعرضاها على فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى قاضى قضاة السودان فوافق على إصدارها » وصدقت عليها الحكومة فى سنة ١٩١٣

وفى سنة ١٩٢٠ عقد أول امتحان للشهادة الأهلية لمن أتموا السنة الرابعة الثانوية ، وفى سنة ١٩٢٤ عقد أول امتحان لشهادة العالمية فنجح ثلاثة طلاب من تسعة ، عين اثنان فى وظيفة « عامل قضائى » التى تعادل فى مصر وظيفة « موظف قضائى » والثالث عين مدرساً ، بالمعهد ويبلغ عدد حاملى شهادة العالمية من خريجيه ٤٩ عالماً .

فى سنة ١٩٣٢ أحيل فضيلة الشيخ أبو القاسم إلى المعاش وعين فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو دقن المفتش بالمحاكم الشرعية شيخاً لعلماء السودان ورئيساً للمعهد

وأذاع فضيلة الشيخ أبو القاسم سنة ١٩١٣ نداء للتبرع لانشاء مكتبة للمعهد العلمى ، فلبى سمو الأمير محمد على النداء وألف لجنة اشترت أكثر من ألفى مجلد فى جميع العلوم الدينية والعربية وغيرها وأرسلتها إلى فضيلته ، وكانت النواة الأولى للمكتبة .

وفى سنة ١٩٢٢ زار فضيلته الأزهر الشريف فاطلع على نظام التدريس فى إدارته ونظام الامتحان وعدل اللائحة على مقتضى النظام الجديد ، وزار دار الكتب المصرية . ومنذ ذلك توالى الدار إرسال هدايا من الكتب الجديدة المطبوعة فى مطبعتها .

وستنشأ قريباً دار يستخدم ريعها فى مساعدة فقراء الطلبة . وقد تبرعت لجنة سمو الأمير عمر طوسون بألف جنيه فى إقامة البناء

ويدفع سموه ثلاثين جنيهاً سنوياً إلى المعهد منذ سنة ١٩٢٩

ويجلس الطلبة القرفصاء عند التدريس ، وليس للمعهد أروقة ولا بيوت للطلبة ويسكن طلبة أم درمان فى منازل ذويهم ، ويسكن الطلبة الغرباء ، وهم فقراء عادة فى منازل كبار العلماء والتجار والأعيان الذين خصصوا فى منازلهم أماكن خاصة للضيافة

وطلبة المعهد اكثرهم من سكان أم درمان ، ثم من النيل الأبيض ، ودنقلا والنيل الأزرق ، وكردفان ، ومن مصوع واريتريا ونيجيريا والحبشة وسائر مديريات السودان

أشهر العلماء قديماً وحديثاً

هم أصحاب الفضيلة الشيوخ :

القاضى السلاوى عالم أزهرى تولى القضاء فى الفتح الأول(١) ، ومحمد الجد شيخ المهدى وعالم جليل ، وحسيب الأزهرى عالم جليل تخرج على يده كثير ، والأمين محمد الضرير ممن العلماء سابقا وعالم جليل اشتهر بالتقوى ، وابراهيم عبد الدافع عالم شهير وله استغاثة مشهورة ، وولد يفادى عالم أفاد كثير وتخرج على يده علماء قديماً ، وأحمد ولد عيسى حضر على الشيخ الدردير الشهير بمصر وأفاد كثيراً ، وابراهيم احمد ولد عيسى ابن المذكور قبله ، وولد عدلان صاحب كتاب زبد العقائد ، واسماعيل الولى الكردفانى مؤسس الطريقة الاسماعيلية بالسودان ، وسيد احمد الأزهرى أول سودانى درس بالأزهر الشريف وهو ابن الشيخ اسماعيل الولى الكردفانى ، والسيد البكرى الولى اسماعيل والسيد الباقر الولى اسماعيل ولدا الشيخ اسماعيل مؤسس الطريقة الاسماعيلية ، ومحمد عربى أحمد وبشير النعمة عالم ازهرى جليل وأول من حضر على السيد جمال الدين الأفغانى ومعه على محمد البوشى الأزهرى الحناوى ، والشيخ الأستاذ الامام محمد عبده ، وعلى محمد البوشى الأزهرى عالم جليل حضر على السيد جمال الدين الأفغانى مع صاحبيه المذكورين وانفصل عنه لأن الشيخ عليش كان ولى أمره وطلب إليه التخصص فى علوم الشريعة فكان فذاً فى علم الميراث والحساب والأصول بالسودان ، وحسين الزهراء عالم أزهرى وقد اشتهر أمره فى المهدية ، والقاضى احمد الأزرق عالم اشتهر أمره فى المهدية ، ومكى أبو حراز ، عالم اشتهر أمره فى المهدية ، والدردبرى الدولابى ، وابراهيم شريف عالم وشاعر اشتهر بكردفان ، وحسن دوليب ، ومحمد عبد الماجد ، والصاوى عبد الماجد ، واحمد وديدى ، وأحمد عبد العاطى درس مع الشرنوبى بمصر ، وعمر الأزهرى عالم أزهرى جليل ، ومحمد البدوى عالم جليل وشيخ علماء السودان فى أول هذه الحكومة ، ومضوى الأزهرى عالم جليل ، والنذير خالد عالم جليل انتفع به العلماء بالمعهد العلمى وكان أظهرهم فى جامع أم درمان حتى توفاه الله ، وأبو القاسم أحمد هاشم شيخ العلماء بالسودان وقد كان مقرباً لدى الخليفة عبد الله بالمهدية ثم تولى القضاء فى السودان فى هذه الحكومة ثم اختير لوظيفة شيخ المعهد العلمى بأم درمان ، والحاج

(١) فتح محمد على للسودان

أحمد المجذوب وحامد محمد أحمد ، ودفع الله أحمد ، والطيب أحمد هاشم مفتى السودان سابقاً وكان مقرباً عند الخليفة عبد الله زمن المهدية ، ومحمد البناء مفتش بالمحاكم الشرعية سابقاً ومحمد الأمين الضرير عالم ورع كان مدرساً بالمعهد بأم درمان ، والظاهر المجذوب بالمعهد ، ومحمد الجزولى بالمعهد ، والعاقب الأزهرى كان مدرساً بالمعهد ، والسيد محمد السيد الباقر الولى اسماعيل أحد كبار العلماء بالمعهد العلمى ، وابراهيم الامام أحد كبار العلماء بالمعهد العلمى ، وابراهيم الامام ، وابراهيم أبو النور ، وعوض الكريم ، والزين تناد ، ومحيى الدين عيسى دوليب . وعثمان العمرابى ، ومحمد الصالحى عنان ، وموسى محمد الجزولى ، وصالح على ، وعلى بخيت ، ومجذوب مدثر بالمعهد بأم درمان ، والحسن الأمين امام جامع الخرطوم سابقا ، وأحمد سوركن رئيس مدارس الارشاد بجاوه ومؤسسها ورئيس جمعية المسلمين ، وأحمد العاقب ناظر مدرسة أم درمان الابتدائية الأهلية ، وأحمد محمد أبو دقن شيخ العلماء بالسودان اليوم ومفتش بالمحاكم الشرعية سابقاً ، والحلى المريومابى ، وعبد الرحيم العمرابى ناظر مدرسة ابتدائية بالمعارف سابقاً ، والأمين أبو قرين ، وابراهيم يعقوب ، وآدم على مدرس بجامع ود مدنى ، ومحمد الطيب قمر الدين مدرس بكوستى ، وعبد الرحمن دفع الله ، وعمر الأمين مدرس بكوستى ، وعلى الصالحى بالأبيض ، وهاشم خوجلى بمكوار سنار وعثمان محمد الخير قاض شرعى سابقاً ، وأبوزيد محمد الأمين بعطبرا ، وعلى محمد ومصطفى البكرى

الثقافة فى السودان

إذا جاز لنا أن نقول أن الاسلام دين يحمل رسالة العلم إلى الوجود ويجعل من العلوم والمعارف أداة يتوصل بها إلى توحيد الله تعالى وتمجيده والاحساس بما يحيط بالانسان من الخلق الذى هو دليل الصانع إحساسا يمتزج بالعواطف والمشاعر ويسمو بالروح إلى مداركها العليا وعنصرها الذى تصبوا اليه — جاز لنا أن نقول إن الأمة التى تدين بهذا الدين لابد لها من آداب تتفرع عن توحيده وتشريعه واكتناه أسراره وفهم مصطلحاته ونشر تعاليمه وضبط معاملاته وتعرف روحانيته السامية : فهو دين ناهض بذاته لايتصور الخمول فى جانبه إلا اذا كان عارضاً أو معارضاً . واذا علمنا أن تلك اللغة المجيدة أعنى لغة القرآن المعجز قدوسعت جميع ما تضمنه هذا الدين الحنيف الخالد وترجمت جميع ما أوحاه العقل البشرى الى الأمم البائدة والمعاصرة لها مما ضاقت عنه بعض لغاتها فأماته درساً واحداً على

الوجود كان بمثابة النواة لمدنيتنا الحاضرة وكان بمثابة حلقة الاتصال بين الماضى والمستقبل كما يشهد بذلك التاريخ الذى لا يكذب . أقول إذا علمنا ذلك تضاعف يقيننا بأن الامة العربية المسلمة أينما وجدت وحيثما ارتحلت لا يمكن أن تتسفل أو تنحدر إلى مستوى الهمجية المرذولة ولا يمكن أن تكون بغير آداب محترمة ففى قانون الشرع وقاموس الكتاب الذى لا يأتيه الباطل أعظم ذخيرة لآدابها ومعارفها .

وإذا علمنا إلى جنب ذلك أيضاً أن الاسلام بطبيعته المذكورة وحيويته المدهشة قد عهدت فيه القدرة التامة على نسخ كافة ما يعترضه واكتساحه وتحويل الجنسيات المتباينة إلى جنس واحد واللغات إلى لغة واحدة لا سيما إذا كان وافداً على البلاد التى يدخلها بأشخاصه العاربة أو المستعربة ، سهل علينا أن نتصور ذلك الفتح العظيم الذى جعل من السودان وطناً له حين انحدرت سيوله بعد تكاثفها وتدافعها من أسافل النيل إلى أعاليه . هنالك يجد التاريخ والمؤرخ مجالا فسيحاً لأن يقول كلمته فى أن القبائل الضاربة فى مصر هى أصول القبائل التى احتلت السودان حتى بلغت قبيل الثورة المهدية نحو ١٢ مليون نفس فنزلت فى سهوله ووهاده وهضابه وشعابه حتى طغت على عناصره الأولى فلم يبق منها إلا الأثر بعد العين اللهم إلا فى مناطق الاستواء حيث لا يلائم العربى الجو ولا يطيق طبيعة البلاد ومستنقعاتها وحيث لا تجد أنعامه الجفاف اللازم لحياتها فانه وقف هنالك حائراً فى وقت كان العالم فيه كله حائراً متبلداً . ولكن مع ذلك خرجت رسالة الدين واللغة من بين فكيه وصارت تخترق الغابات والكهوف وتصعد إلى القمم فلا يكاد يجهل قاطنوها كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ــ وهى كل شىء فى معناها ومبناها

أقول اذا استبقنا ذلك كله لم نشك فى أن السودان منذ الفتح الاسلامى تجاوبت فى جهاته الأربع آداب الاسلام وعلوم الاسلام ولغة الاسلام ولم يخل من العلماء والشعراء والكتاب ولكن بعدت الشقة بينه وبين البلاد التى كانت تحفظ تاريخها وتاريخ من جاورها لتوفر أسباب الكتابة وأدواتها فيها فحالت بينه وبينها هذه العقبة والتواء النيل فى الصحراء العظيمة واعتراض الشلالات لمجراه وصعوبة الترحل إلا على الدواب واخصها الجمال التى لا يحسن ركوبها سوى أعراب البادية فمن هنا قضى تقادم العهد على بعض تاريخه العلمى وصار شيئاً غامضاً نتلمسه فى معاهد الصلاح وقبور الأولياء فلا نجد منه الا أثراً غير حميد فقد طغت نعرة الدين وغلبته ارباب الطرق على كثير من الآداب والمعارف وان كان فى وجود آثار الصالحين دليل

على أنهم انما اقتطفوا تلك الثمار وتبلغوا بها الى مجالس الأنس وحظيرة القدس، ولم يبق بين أيدينا إلا ما يحكى أو يروى. وفى الحكاية والرواية ماقد يمسخ أو يشوه جمال الحقائق حيث يكون للحظ والتخمين المرتبة الأولى فى التزيين والتقبيح. على أن هناك حسنة ملموسة فى طى هذه العزلة. فان فى تفرد لغة قوية غنية بمفرداتها، زاخرة ببلاغتها ـ أصل استمدادها من الصحراء الواسعة والحياة الحرة والاجواء الطلقة أعظم عامل على بقاء جوهرها سليماً من الدخيل فى زمن كثرت فيه الاخلاط وتشعبت فيه اللغات وانحطت فيه الامم الاسلامية لاشتغالها عن العلوم بالقشور حتى صار الزجل شعرها والسجع المبتذل رسائلها ونثرها ـ فقد بقيت اللغة العربية فى السودان حافظة لجوهرها ومادتها وإن دخل اللحن عليها فانه لا فرار من أمر لم تخل منه الجزيرة نفسها ـ أقول بقيت كذلك حتى حدثت النهضة المصرية المباركة وكان فتح محمد على للسودان فلم يلبث أن تشبث السودان بعلوم مصر وأخذ منها حظه فدبت فى اللغة روح الحياة ونشطت من عقالها على يد أساتذة المدرسة الحديثة وما زالت تنمو وتصفو حتى جاء الفتح الثانى بعد ثورة المهدية التى كانت بمثابة فترة فى عالم الآداب والعلوم فأسست كلية غردون بالخرطوم والمدارس الأولية التابعة لها فى بعض جهات القطر السودانى وسارت المعارف فى نظام الدراسة على أحدث الأوضاع وفاقاً لما يجرى فى المعارف المصرية وانتخب لذلك مدرسون أكفاء من المصريين والانكليز لتأسيس التعليم على قواعد صحيحة فدرج التعليم على اكفهم وترعرع فى أحضانهم حتى أينع وازدهر ونبت نباتاً حسناً فى عقول، ظهر أنها من أخصب العقول وأقواها مداركا وأسرعها انتاجاً ـ وفى أثناء ذلك كان العلم الأزهرى يتدرج فى القطر ويسير الى جنب التعليم المدرسى حتى انتظم بفضل وجود معهد أم درمان الذى كان الزمن العامل فى تكوينه فتوحدت صفوفه بمعونة الله وتوفيقه وأمدته الحكومة بالمعونة التى لاتنكر فأخذ يحتذى مثال الأزهر الشريف ويترسم خطاه حتى أصبح بحمد الله معهداً يصح أن يشار اليه وتخرج منه عدد غير يسير من العلماء والمتعلمين ـ ومن هؤلاء وأولئك المتعلمين تكونت ثروة البلاد العلمية والأدبية وصار أبناؤها يقذونها بنفائس العلم وعرائس الفكر وينادون بالاصلاح الذى شغل بال العالم والمتعلم عن التحبير والتصنيف، شأن كل أمة لاتزال فى مهد الطفولة ولولا ذلك لسمع الناس عنهم ولقرؤا لهم أطيب الخبر وأفضل الأثر ـ وهنا لا يفوتنا أن نقول أن ما أخرجته المطابع المصرية من الكتب القديمة

والحديثة وما كتبه الكتاب فى المجلات والجرائد اليومية وغيرها كان بمثابة المنهل العذب لأبناء السودان جميعاً حيث أنهم أولوها عنايتهم وجعلوها رائدهم ونظروا فيها نظرة ناقد غيور ومتعلم بصير فلا تكاد تخفى عليهم منها خافية وقد ساعدهم على ذلك لغة التخاطب التى هى بمنزلة لغة التأليف عند سواهم من غير أبناء هذا الوادى حتى أنك تستطيع أن تقرأ الكتاب اللغوى بين الأميين فتراهم يشاركونك فى فهم مفرداتها وجملها وشواردها مشاركة دراية واسعة وإحاطة شاملة ونشوة من لذة البيان — وهنا نلمس السر فى أن السودانى لا يعانى فى تحصيل الثقافة إلا فهم المصطلحات وماهو من قبيل الفن الخالص - هذا ولا يخفى أن دراسة اللغة الانكليزية فى كلية غردون والمدارس الابتدائية وبعض مدارس الارساليات على يد أساتذة انكليز وتلامذتهم قد أدخل على الثقافة السودانية مسحة من الآداب الغربية التى نرجو أن يكون نصيب البلاد منها واقفاً عند حد ما تستسيغه على يد أبنائها البررة والزمن كفيل وحده بتحقيق الأمانى وافشاء الحقائق وإظهار الدقائق .

الأزهر والسودان

أسلفنا الكلام على علاقة السودان بالأزهر ، واهتمام ملوك الفونج ودارفور بعلماء الأزهر وطلبته وبعثاته . ولا يزال مواطنونا السودانيون ينهلون من الأزهر العلم الدينى ، ولهم أروقة . ومعهد أم درمان العلمى كما قدمنا قد جعل وفاقاً لمناهج الأزهر القديمة : لذا كان لزاماً علينا الكلام عن الأزهر تعريفاً لاخواننا السودانيين ولقرائنا .

جاء فى « كتاب الازهر تأليف محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٥ هـ »

قال فى الفصل الثالث تحت عنوان « صفة الأزهر »

« الأزهر مسجد إسلامى قديم ، ومعهد علمى عظيم ، ما زال أعيان المسلمين وأمراؤهم ولا يزالون يتعهدونه بالعناية والتوسيع والاصلاح — منذ نحو الف سنة — على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم »

وقال:

« وهو فى شكله الحاضر بناء واسع قائم على أرض مساحتها ٢٦٣٣٣ ذراعاً (١٢ ألف متر مربع) ، يحيط به سور مربع فيه ثمانية أبواب : فى الجانب الغربى الخارج إلى ميدان الأزهر باب المزينين والباب العباسى . وفى الجانب الجنوبى باب

المغاربة وباب الشوام وباب الصعايدة ، وفى الجانب الشرقى باب الحرمين وهو مقفل وباب الشربة ، وفى الجانب الشمالى باب الجوهرية . وتسمو فوق هذه الأسوار والأبواب خمس مآذن ثلاث فى داخل باب المزينين : أحداها الاقبغاوية والثانية مئذنة قايتباى، والثالثة مئذنة قانصوه الغورى . وواحدة بجانب باب الصعايدة وأخرى بباب الشربة وكلتاهما من إنشاء كتخدا . ولا يؤذن على تلك المآذن غالباً إلا العميان تفادياً من وقوع أنظار المؤذنين على المنازل ، وهى عادة حسنة جارية فى أكثر المدن المصرية . والغالب أن آذان الأزهر ينبنى عليه آذان أكثر منارات القاهرة .

وقال تحت عنوان « أولية الأزهر »

« اختل أمر مصر بعد موت كافور الأخشيدى (١٠ جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ) فكتب جماعة من أعيانها ورجال الدولة فيها إلى أبى تميم المعز لدين الله معد الفاطمى أمير المغرب يطلبون منه عسكراً ليسلموا اليه إدارة البلاد المصرية . فجهز المعز جيشاً سار من القيروان - يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨ - بقيادة أبى الحسين جوهر بن عبد الله . وفى يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ تم للقائد الفاطمى جوهر فتح مملكة مصر ، وكانت قاعدتها « الفسطاط (١) » فأنشأ جوهر شمالها - حيث كانت مضروبة خيام جيشه - مدينة أخرى دعاها «المنصورية(٢)» وابتدأ البناء بمسجد المدينة الجديدة وهو «الازهر» يوم السبت ٢٢ جمادى الأولى سنه ٣٥٩ هـ .

« وتم بناء الأزهر - وما حوله من قصور الخلافة وبيوت كبار رجال الدولة - فى نحو ثلاثين شهراً . وأول جمعة صلاها الفاطميون فى مسجدهم الجديد «الازهر» كانت يوم ٦ رمضان سنة ٣٦١ هـ

« وفى زمن الحاكم بامر الله زين الأزهر بقناديل من الفضة تعلق فيه فى شهر رمضان . وكان الأزهر ومناراته ينار بالمصابيح أيام الخلفاء الفاطميين بزينة باهرة فى المواسم . وفى قصر الخلافة منظرة مخصوصة تطل على الأزهر يشاهد منها الخليفة تلك الزينة واسمها (منظرة الجامع الأزهر)

وكان فى محراب الأزهر منطقة فضة بقيت إلى زمن السلطان صلاح الدين

---

(١) هي مصر القديمة الآن .

(٢) ولما حضر المعز الفاطمى من المغرب الى مصر بعد أربع سنوات سماها (القاهرة المعزية)

والمنبر الأصلى القديم الذى أنشىء للأزهر فى بداية تأسيسه نقل فيما بعد إلى الجامع الحاكمى

وكان الخلفاء الفاطميون يخطبون بأنفسهم على منبر الجامع الأزهر »

« وجدد الحاكم بامر الله الأزهر ، وهو أول من وقف الأوقاف عليه

« وفى سنة ٤٢٧ هـ تولى الخلافة الفاطمية المستنصر بالله معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ، وفى مدة خلافته جدد الجامع الأزهر . ثم اقتفى أثره حفيده المنصور أبو على الآمر بأحكام الله الذى تولى الخلافة سنة ٤٩٥ فأحدث فى الأزهر تجديداً .

« ثم تولى سنة ٥٢٤ أبو الميمون الحافظ لدين الله عبد المجيد فجدد فى الأزهر أبنية وأنشأ فيه « مقصورة فاطمة الزهراء » وهى مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدمة الجامع بداخل الرواقات

وقال تحت عنوان « الأزهر بعد الفاطميين »

« وكان للأمير بدرالدين بيلبك الخازندار الظاهرى يد محمودة فى هذا التجديد »

وفى سنة ٧٠٢ داهمت الشرق الأدنى زلزلة عنيفة خربت قسماً عظيماً من بلاد مصر والشام ، وأخرجت المياه من الآبار إلى سطح الأرض وفاضت البحار إلى اليابسة فأغرقت خلقاً كثيراً ، وأصابت الزلزلة « الأزهر » وسائر مساجد القاهرة بأذاها ، فتقاسم الأمراء عمارتها وأخذ الأمير سلار — من رجال دولة المماليك البحرية — على نفسه عمارة الأزهر الشريف وتجديده

وفى سنة ٧٠٩ انتهى الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار — نقيب الجيوش — من انشاء مدرسته التى هى مخزن (دار الكتب الأزهرية)

وفى سنة ٧٢٥ جدد الأزهر القاضى نجم الدين محمد بن حسين الأسعردى محتسب القاهرة

وفى سنة ٧٤٠ انتهى الأمير آقغا علاء الدين الواحدى من انشاء مدرسته المتصلة بالمدرسة الطيبرسية « مخزن المكتبة الأزهرية »

وفى سنة ٧٦١ جدده الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى

وفى سنة ٧٨٤ تولى النظر على الأزهر الأمير بهادر الطواشى

وفى سنة ٨١٨ بلغ عدد المجاورين فى الأزهر ٧٥٠ رجلا

وفى شوال سنة ٨٢٧ ابتدىء بعمل الصهريج وسط الجامع ، فوجد هناك آثار فسقية ماء

وفى مدة الملك الأشرف أبى النصر قايتباى المحمودى « ٨٧٢ — ٩٠١ » أحدث الملك تجديداً فى الأزهر

وفى سنة ٩٠٠ انفق الخوجا مصطفى بن محمود بن رستم خمسة عشر ألف دينار من ماله على عمارة الجامع الأزهر

وفى سنة ٩٠٤ رتب الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه — خال الناصر بن قايتباى — الخبز والخريزة (١) فى الأزهر أيام رمضان

وفى عام ٩٢٣ زاره السلطان سليم العثمانى وصلى فيه الجمعة وتصدق بمبلغ كبير

وفى سنة ١٠٠٤ أحدث الشريف محمد باشا والى مصر تجديداً فى الأزهر ورتب للطلبة طعاماً يطبخ لفقرائهم كل يوم

وفى سنة ١٠١٤ عمر حسن باشا والى مصر مقام الحنفية أحسن عمارة وبلطه

وفى سنة ١١٠٥ وقف عليه محمد باى ابن مراد باى حاكم ولاية تونس أوقافاً

ثم جدد سقف الجامع الأزهر الأمير اسماعيل بك القاسمى المتوفى سنة ١١٣٦

وفى سنة ١١٤٨ أنشأ الأمير عثمان كتخدا زاوية العميان وعمر رواق الأتراك ورحبته المسقوفة ورواق السليمانية « الأفغانيين » وزاد فى رواق الشوام ، ورتب لذلك مرتبات من وقفه

وفى سنة ١١٦١ تقلد ولاية مصر احمد باشا كور ، وتتلمذ للشيخ حسن الجبرتى (والد الشيخ عبد الرحمن صاحب التاريخ)

وفى سنة ١١٦٧ أنشأ الأمير عبد الرحمن كتخدا الزيادة التى زادها على الأزهر وقال « فى صحيفة ٢٣ عن رواق السنارية ما يأتى »

« وفى ١٢٢٠ أنشأ محمد على باشا جد الأسرة المالكة « رواق السنارية بالتماس الشيخ محمد وداعة السنارى ، فاشترى عزبة مصر ريعاً كان فى مكان هذا الرواق وبناه ووقف عليه »

ووقفت الأميرة زينب هانم كريمة العزيز محمد على أوقافاً على الأزهر كان ريعها عشرين ألف جنيه وهو الآن أعظم من ذلك

---

(١) عصيدة باللحم

أروقة الأزهر

وجاء فى (كتاب « رسالة الأزهر سنة ١٣٢١ » تأليف حضرة صاحب العزة مصطفى بيرم بك فى صحيفة — ١٧ —) عن أورقة الأزهر مايلى :

« ثانياً أروقة الأقاليم الاسلامية الأجنبية عن مصر - وهاك بيانها :

رواق الحرمين الشريفين	لسكان الحجاز
« الشوام	لأهل الشام
« الجاوة	لأهل جزيرة جاوة وما جاورها .
« السليمانية	لأهل أفغانستان
« المغاربة	وبه أقسام : قسم للمراكشيين ، وآخر للجزائريين وآخر للتونسيين وآخر للطرابلسيين
« الأتراك	للترك .
« اليمن	لأهل اليمن وحضرموت
« الأكراد	للأكراد .
« الهنود	لأهل الهند
« البغدادية	لأهل بغداد وما جاورها
« الجبرت	وهو للاحباش المسلمين
« البرابرة	وهم سكان أعالى الصعيد ما بين مصر والسودان
« السنارية	لأهل سنار من السودان
« الدكارنة البرناوية	لأهل برنو من السودان
« دكارنة صليح	لأهل صليح من السودان » . اه

رواق السنارية

فى عام ١٢٥٣ هجرية حضر إلى الأزهر الشريف لطلب العلم سنارى يدعى محمد على وداعة . فوجد بالأزهر ستة من السنارية قد سبقوه إليه وفى سنة ١٢٥٧ هـ قدم هؤلاء الطلبة إلى المغفور له محمد على باشا الكبير طالباً يطلبون منه ترتيب خبز لهم . فوافق على ذلك فى سنة ١٢٥٨ هـ .

وفى عام ١٢٦٦ هـ . وافق المغفور له محمد على باشا على بناء رواق خاص بالسنارية فى الأزهر الشريف . وفعلا تم انشاء ذلك الرواق الحالى

وقد زاد الخديو اسماعيل باشا الخبز الذى يأخذونه من الأزهر . ويوجد الآن من الطلبة السناريين ٣٧ طالباً والذين حصلوا على شهادة العالمية من هؤلاء ستة بعضهم يشتغل بالتدريس بالمعهد الأزهرى والبعض الآخر يشتغل بالمحاماة الشرعية وطلبة رواق السنارية ينتمون إلى سبع عواصم مديريات وهى : الأبيض والدويم والخرطوم والدامر وكسلا ومدنى وسنجه . ويرجع أصلهم إلى عرب الحجاز فمنهم من ينتمى إلى الأشراف ومنهم العباسيين ومنهم جهينة والقسم الأخير يعد الأكثرية

ويرجع الفضل إلى هذا الرواق فى نشر العلم والعرفان بين أهالى السودان .

والشيخ الحالى لهذا الرواق هو الشيخ بشير أحمد عبد الجبار ولأهل هذا الرواق بالجامع الأزهر الشريف حصة قدرها الربع من وقف المرحومة الست برلنته هانم حرم المرحوم محمد شريف باشا الكبير مشروط صرف ريعها فى ثمن خبز وقد بلغ ريع تلك الحصة عن سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ المالية نحو ٢٨٥ جنيهاً مصرياً

ولهم أيضا حصة من وقف المرحوم حيدر أغا الحبشى يصرف ريعها نقداً لشيخ الرواق وطلبته بلغ ريعها عن سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ المالية نحو ١٥ جنيهاً وموقوف أيضاً على هذا الرواق دكان تبلغ أجرتها سنوياً نحو ستة جنيهات

رواق برنو : يبلغ عدد طلبة هذا الرواق نحو ١٦ طالباً بينهم اثنان من العلماء الحاصلين على شهادة العالمية وعلى رأسهم فضيلة الشيخ سعيد محمد مالك شيخ هذا الرواق

رواق صليح : يبلغ عدد طلبة هذا الرواق نحو ١٢ طالباً حسب احصاء سنة ١٩٣٥ م وشيخ هذا الرواق هو الشيخ آدم بحر

أوقاف هذين الرواقين : لطلاب رواقى (برنو وصليح) أوقاف خاصة بهم

فقد وقف المرحوم محمد سرور أغا ١٥ فداناً ، على أن يصرف ريعها بعد وفاته فى ثمن خبز لطلبة العلم السودانيين برواقى برنو وبرجو بالأزهر

كما وقف المرحوم المذكور رواقين لسكنى طائفة من مجاورى الرواقين المذكورين ومنزلا آخر يصرف ريعه فى ثمن خبز للطلاب القاطنين بالرواقين

رواق الجبرت : يحتوى رواق الجبرت على أربعة أقسام من الطلبة : كل قسم تابع لدولة من الدول . فمنهم التابع للدولة الايطالية وعددهم ٢٣ بينهم ٦ من العلماء

وقسم آخر تابع للامبراطورية الحبشية يبلغ عدد طلبته ١٣ بينهم اثنان من العلماء . وقسم ثالث من الصوماليين التابعين للحكومة الانجليزية وعدد طلبته ٦ . والقسم الرابع من الصوماليين التابعين للحكومة الايطالية ويبلغ عددهم نحو ٩ منهم عالم . وعلى رأس هؤلاء الطلبة شيخ الرواق فضيلة الشيخ محمد نور بكر من العلماء . وهذا حسب إحصاء ١٩٣٥ .

ولطلبة هذا الرواق حصة من وقف المرحوم حيدر أغا الحبشى يصرف ريعها لهم نقداً وقد بلغ هذا الريع عن سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤ المالية نحو خمسة عشر جنيهاً

رواق البرابرة (دنقلة) : يبلغ عدد طلبة هذا الرواق حسب إحصاء سنة ١٩٣٥ م ٢٢ طالباً على رأسهم شيخ الرواق وهو الشيخ محمد وحش

وليس لطلبة هذا الرواق أوقاف خاصة بهم .

رواق دارفور : يبلغ عدد طلبة هذا الرواق حسب إحصاء سنة ١٩٣٥ : -

خمسة من الطلاب على رأسهم شيخ الرواق وهو الشيخ سليمان ابراهيم

وليس لطلبة هذا الرواق أوقاف خاصة بهم

ولمشايخ الأروقة مرتبات شهرية تصرفها لهم المشيخة من ميزانيتها

ولكل من هذه الأروقة مساكن خاصة بطلابها على حساب مشيخة الأزهر وهى مجهزة بالماء والنور

على أن هناك أوقاف عامة تشمل جميع طلاب العلم بالأزهر الشريف

طلبة السودان بالقسم العام بالازهر

شيخ السنارية - الشيخ بشير احمد عبد الجبار . عدد الطلبة حسب احصاء سنة ١٩٣٥ م : ٣٢

شيخ البرابرة (دنقلة) - الشيخ محمد وحش . عدد الطلبة حسب إحصاء سنة ١٩٣٥م : ٢٢

شيخ دارفور - الشيخ سليمان ابراهيم عدد الطلبة حسب إحصاء سنة ١٩٣٥م : ٥

شيخ صليح : الشيخ آدم بحر . عدد الطلبة حسب إحصاء سنة ١٩٣٥ م : ١٢

الحاصلون على شهادة العالمية المصرية غير نظامية من سنة ١٣٤٩ هـ سنة ١٩٣٠م إلى سنة ١٣٥٣ هـ : عدد ٣

الحاصلون على شهادة العالمية الخاصة بالغرباء من سنة ١٣٤٩ هـ إلى سنة ١٣٥٢ هـ عدد ٦

شيخ رواق البرناوية ــ الشيخ سعيد محمد مالك
شيخ رواق الجبرت ــ الشيخ محمد نور بكر . ولهؤلاء المشايخ مرتبات شهرية تصرفها لهم المشيخة من ميزانيتها

أوقاف أروقة السودان

فضلا عما بينا من الاوقاف فيما تقدم نذكر ما يلى :
رواق الجبرت : شيخ الرواق ــ الشيخ محمد نور بكر .
أوقاف الرواق : لأهل هذا الرواق حصة من وقف المرحوم حيدر أغا الحبشى يصرف ريعها لهم نقدا وقد بلغ ريعها سنة ١٩٣٣ - سنة ١٩٣٤ المالية نحو ١٥ جنيهاً
ووقف للسيدة حفيظة الألفية حصة لم يصرف ريعها بعد . ووقف آخر لأحد السودانيين وهو الحاج رفعت أغا السودانى حصة من أطيانه تؤول اليهم من بعد وفاته
أوقاف رواق السنارية بالجامع الأزهر : لأهل رواق السنارية بالجامع الأزهر حصة قدرها الريع من وقف المرحومة الست فاطمة برلنته هانم حرم المرحوم محمد شريف باشا الكبير مشروط صرف ريعها فى ثمن خبز وقد بلغ ريع تلك الحصة عن سنة ١٩٣٣ م حوالى ٢٨٥ جنيه . ولرواق السنارية حصة من وقف المرحوم حيدر أغا الحبشى يصرف ريعها نقدا لشيخ الرواق وطلبته وبلغ ريعها سنة ١٩٣٣ نحو ١٥ جنيهاً
وموقوف على هذا الرواق دكان تبلغ أجرته سنوياً نحو ٨ جنيهات
أوقاف رواق برنو وبرجو (البرناوية وصليح) وقف المرحوم محمد سرور أغا خمسة عشر فدانا على أن يصرف ريعها بعد وفاته فى ثمن خبز لطلبة العلم السودانيين برواق برنو وبرجو . كما وقف المرحوم المذكور رواقين لسكنى طائفة من مجاورى الرواقين المذكورين ومنزلا آخر يصرف ريعه فى ثمن خبز للطلاب الساكنين بالرواقين .

شيوخ الأزهر

وقد أحصى فضيلة الشيخ محمد على القاضى الطحاوى المراقب بالجامعة الأزهرية ٣٥ شيخاً للازهر فى ٣٥٤ عاماً
كان الازهر إلى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى يتولى أمره متول من قبل حاكم مصر وأول من تولى منصب المشيخة الجليلة

(١) الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخراشى المشهور بالخراشى المالكى وبقى فيها إلى أن انتقل إلى رحمة الله يوم الاحد ٢٧ ذى الحجة سنة ١١٠١ هـ

(٢) المغفور له الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى سنة ١١٠٦ هـ

(٣) المغفور له الشيخ محمد النشرتى المالكى . وبقى فيها إلى أن توفى أواخر ذى الحجة سنة ١١٤٠ هـ

(٤) المغفور له الشيخ عبد الباقى القاينى المالكى . وبقى فيها إلى أن توفى

(٥) المغفور له الشيخ محمد شنن الجداوى المالكى . وبقى فيها إلى أن توفى سنة ١١٤٣ هـ

(٦) المغفور له الشيخ ابراهيم بن موسى الفيومى المالكى . وبقى فيها إلى أن توفى سنة ١٣٤٧ وهو آخر من تولاها من السادة المالكية حتى عادت اليهم فى العقد الثانى من القرن الرابع عشر

(٧) المغفور له الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى أواخر سنة ١١٧١ هـ

(٨) المغفور له الشيخ محمد بن سالم الحفنى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى أواخر ربيع الأول سنة ١١٨١ هـ

(٩) المغفور له الشيخ عبدالرؤوف بن محمد السجينى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى فى منتصف شوال سنة ١١٨٢ هـ

(١٠) المغفور له الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى الحنفى المالكى الشافعى الحنبلى وبقى فيها إلى أن توفى أوائل رجب سنة ١١٩٢ هـ

(١١) المغفور له الشيخ أبو الصلاح أحمد بن موسى العروسى الشافعى ، وبقى فيها إلى أن توفى أواخر شعبان سنة ١٢٠٨ هـ

(١٢) المغفور له الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى أوائل شوال ١٢٢٧ هـ

(١٣) المغفور له الشيخ محمد بن على الشنوانى الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى أواخر محرم سنة ١٢٣٣ هـ

(١٤) المغفور له الشيخ محمد العروسى الشافعى بن الشيخ أحمد العروسى (الحادى عشر) وبقى فيها الى أن توفى ١٢٤٥ هـ

(١٥) المغفور له الشيخ احمد بن على الدمهوجى الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى يوم عرفة سنة ١٢٤٦ هـ

(١٦) المغفور له الشيخ حسن بن محمد العطار الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى أواخر ذى الحجة سنة ١٢٥٠ هـ

(١٧) المغفور له الشيخ حسن القويسنى الشافعى الضرير . وبقى فيها الى أن توفى فى ذى القعدة سنة ١٢٥٤ هـ

(١٨) المغفور له الشيخ أحمد بن عبدالجواد الصائم السفطى الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى فى شعبان سنة ١٢٦٣ هـ

(١٩) المغفور له الشيخ ابراهيم بن محمد الباجورى الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى فى أواخر ذى القعدة سنة ١٢٧٧ هـ (الا أنه قبل وفاته ضعف عن القيام بأعمال المشيخة فأجمع الأمر على إقامة أربعة من العلماء يقومون مقامه وصدر الأمر بذلك من والى مصر المرحوم سعيد باشا فى محرم سنة ١٢٧٥ هـ بانتخاب الشيخ اسماعيل الحلبى الحنفى والشيخ مصطفى الصاوى الشافعى والشيخ خليفة الفشنى الشافعى . والشيخ أحمد كبوه العدوى المالكى

وبعد وفاة الشيخ الباجورى ظل المنصب شاغراً يديره من بقى من هؤلاء الوكلاء وهما الشيخ خليفة الفشنى المتوفى يوم السبت ١٧ محرم سنة ١٢٩٣ هـ والشيخ أحمد كبوه العدوى المتوفى فى ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٢١ هـ وبقى الأمر كذلك إلى سنة ١٢٨١ هـ

(٢٠) وتقلدها فى سنة ١٢٨١ هـ المغفور له الشيخ مصطفى العروسى الشافعى كما تولاها أبوه وجده من قبل . وبقى فيها إلى أن أقيل فى شوال سنة ١٢٨٧ هـ

(٢١) المغفور له الشيخ محمد المهدى العباسى الحنفى وهو أول من تولاها من السادة الحنفية . وقد بقى فيها إلى أن أقيل منها فى ١٣ محرم سنة ١٢٩٩ هـ « نزولا على إرادة العرابيين »

(٣٢) المغفور له الشيخ محمد الانبابى الشافعى . وبقى فيها إلى أن استقال منها فى ذى القعدة سنة ١٢٩٩ هـ

(٢٣) المغفور له الشيخ محمد المهدى العباسى الحنفى « مرة ثانية » وبقى فيها إلى أن استقال منها موفور الكرامة عزيز النفس والجانب فى أوائل ربيع الثانى سنة ١٣٠٤ هـ

(٢٤) المغفور له الشيخ محمد الانبابى الشافعى « مرة ثانية » . وبقى فيها إلى أن استقال منها فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٢ وقبلت استقالته فى ٢ محرم سنة ١٣١٣ هـ

(٢٥) المغفور له الشيخ حسونه النواوى الحنفى وقد بقى فيها إلى أن أقيل منها فى أواخر محرم سنة ١٣١٧ هـ « بسبب الزوبعة المعروفة فى مجلس شورى القوانين مما يشهد للمغفور له بعزة النفس والمحافظة على الكرامة التى كان يرى قدس الله روحه أنها ليست ملكاً له بل هى ملك لأهل العلم أجمع »

(٢٦) وتقلدها بعده ابن عمه المغفور له الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى الحنفى وبقى فيها إلى أن انتقل إلى رضوان الله فى ٢٥ صفر سنة ٣١٧

(٢٧) المغفور له الشيخ سليم البشرى المالكى . وبقى فيها إلى أن أقيل منها فى أوائل ذى الحجة سنة ١٢٣٠ ، بسبب « حادث مسجد السيدة نفيسة رضى الله عنها مع الخديو السابق عباس حلمى »

(٢٨) المغفور له السيد على محمد البيلاوى المالكى وقد بقى فيها إلى أن استقال منها فى أوائل محرم سنه ١٣٢٣ هـ صيانة لكرامته وضنا بها من أن تمس بسوء .

(٢٩) وتقلدها بعده فى ١٣ محرم سنة ١٣٢٣ هـ المغفور له الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى وبقى فيها إلى أن استقال منها فى ذى الحجة سنة ١٣٢٤ هـ

(٣٠) المغفور له الشيخ حسونة النواوى الحنفى (مرة ثانية) وبقى فيها إلى أن استقال منها بشمم وإباء وعزة نفس فى ربيع الأول سنة ١٣٢٧ هـ

(٣١) المغفور له الشيخ سليم البشرى المالكى (مرة ثانية) وقد بقى فيها إلى أن انتقل إلى رضوان الله فى أوائل ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ (١)

(٣٢) المغفور له الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى المالكى وقد بقى فيها إلى أن انتقل إلى رضوان الله فى منتصف محرم سنة ١٣٤٦ هـ (وقد ظلت الوظيفة شاغرة أكثر من عشرة أشهر) .

(٣٣) وتقلدها ابن بجدتها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى فى ذى القعدة سنة ١٣٤٦ هـ وبقى فيها إلى أن استقال منها مرفوع الرأس وافر الكرامة فى نهاية ربيع الثانى سنة ١٣٤٨ هـ

(٣٤) وتقلدها بعده الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى الشافعى وبقى على

(١) يلحظ أن شيوخ الازهر كانوا يستمرون فى المشيخة حتى وفاتهم . ولكن فى العهد الأخير كثرت اقالتهم واستقالتهم . وانى أعلل ذلك بسبب تدخل السياسة بالازهر فى العهد الأخير

الأزهر مدة خمس سنين وسبعة أشهر إلا أياما حيث استقال من المشيخة مساء الجمعة ٢٣ محرم سنة ١٣٥٤ هـ كنتيجة لاضراب الأزهريين ومطالبتهم باعادة فضيلة الشيخ المراغى شيخاً للجامع الأزهر . وقد أعيد فضيلته للمشيخة ولا يزال بها

السودانيون بالجيش المصرى

هذا بيان أسماء حضرات الضباط السودانيون الذين عادوا من السودان بعد حوادثه سنة ١٩٢٤ وبعد نزول الجيش المصرى من السودان وهم الذين رفضوا حلف يمين الولاء لحاكم السودان العام وتمسكوا بولائهم لحضرة صاحب الجلالة مليك البلاد — وهم الذين اعيدوا للخدمة بوزارة الداخلية فى أغسطس سنة ١٩٢٧ وظلوا بها حتى الآن وهم : —

حضرات البكباشيين ابراهيم عبد الرحمن مفتش خفر مديرية اصوان وخضر على أحيل الاستيداع فى أول يونيو ١٩٣٥ ومحمد صالح جبريل مفتش خفر مديرية جرجا وعبد الله النجومى افندى وهو نجل الزعيم الكبير بالسودان المرحوم عبد الرحمن ولد النجومى الذى حاول الوصول للقطر المصرى فى عهد عبد الله التعايشى ملك السودان وقتئذ وقد قتل النجومى فى بلدة توشكى بعد معركة مع قوات الجيش المصرى — ضابط بسبورتات بالاسكندرية وفرج الله محمد افندى قومندان بلوك خفر الاسكندرية والصاغ زين العابدين عبد السلام افندى قومندان هجانة بوليس الميناً واليوزباشية : عبد الدايم محمد افندى قومندان هجانة بوليس الجيزة وسيف عبد الكريم افندى ضابط مرور مديرية جرجا وابراهيم فرج علام افندى ضابط مرور مديرية المنيا واليوزباشى عبد العزيز عبد الحى افندى ضابط مرور مديرية القليوبية وعبد الله افندى مرجان ببلوكات خفر الأقاليم بمصر والملازمان الأولان عبد الحميد افندى فرج الله ضابط خفر بالسكة الحديد بالمنيا والسيد افندى شحاته ضابط خفر بالأقاليم بمصر

الفصل الثلاثون

الأدب فى السودان

كان للقبائل العربية النازحة إلى السودان فى عصور التاريخ المختلفة ولطبيعة البداوة التى شاهدتها فى مهابطها ومنتجعاتها أثر فى إيجاد شعر أشبه موضوعا بشعر الأقدمين ، شعر ينزع إلى الحماسة ، والفخر بالعشيرة ، والانفة ، وأباء الضيم ، والحب ، والرثاء ، وغير ذلك ، وقول الشعر لديهم سهل ميسور بفضل روحهم العربية ، وطبيعة بلادهم ، غير أن هذا الشعر ليس فصيحا متفقا مع قواعد العربية وأوزان الشعر إلا إذا صدر عن الذين اتصلوا بلغة العرب اتصال تعلم وتثقف ثم هو يحتذى الشعر المصرى فى تطوره ، وتغلب عليه النزعة الدينية وروح الايمان انظر إلى قول المرحوم الشيخ مكى الدقلاشى أحد شعرائهم من قصيدة

الله لى عدة فى كل نائبة أقول فى كل حال حسبى الله
يا فاعلا للمعاصى عند خلوته أما علمت بان الشاهد الله

وانظر إلى قول صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ أبو القاسم احمد هاشم شيخ العلماء

وسائل الناس عنا أننا نجب لنا التقى وسوانا اللهو واللعب
وفى المحامد لا يلفى لنا بدل وما تعدى حمانا الظرف والادب

وانظر إلى قول الشيخ الحسين الزهراء فى المهدى مؤيداً دعوته ذاهباً بها مذهب المتصوفة وأهل الطريق

وان كان علم العقل غير موصل إلى شرح علم السر اذا لم يزل قشرا
قديما أرتنا من وراء خبائها ستور رسوم لم نزل للعلا سترا
بنفسى فتى بالشمس راد الضحى أزرى ونوراً يفوق النور والنجم والبدرا

وانظر إلى قول الشيخ الأمين محمد الضرير المحسى الأنصارى فى توفيق باشا خديوى مصر لما عينه رئيساً للشيوخ فى مسجد أسسه للعلم

أما حويتم بتوفيق العزيز حمى أبعد توفيق رب العز خذلان

وبجانب هذا الشعر المجيد الذى غزته الروح العلمية المنتشرة حيناً بعد حين على يد مصر تجد شعراء آخرين تغلب على ألسنتهم رطانة البدو

أنظر إلى قول أحد شعرائهم « أبو جروس » فى عهد الأرباب يمدح الملك حمد ابن الشيخ ادريس الأرباب من قصيدة

ولد القرشى ضيفانه ماية والفين هيلك هيل أبوك يا جامع الشرفين

ومن شعرائهم المجيدين الذين أخذوا عن جمهرة من الأساتذة المصريين الذين قاموا بالتدريس بكلية غردون الشيخ عبد الله البنا ومن شعره يخاطب الهلال

يا ذا الهلال عن الدنيا أو الدين حدث فأن حديثاً منك يشفينى

طلعت كالنون لا تنفك فى صغر طفلا وإنك قد شاهدت ذا النون

سايرت نوحاً ولم تركب سفينته وأنت أنت فتى فى عصر زبلين

أما المحدثون من الشبان فنزعتهم إلى الشعر لا تقل عن سابقيهم ، وهم يتتبعون بانتباه روح مصر فى نزعاتها ، ويكادون يلتهمون شعرها ونثرها وعلمها التهاماً ، ومن أولئك الشبان الذين تقوى فيهم النزعة الشعرية زين العابدين افندى ابراهيم طالب بمدرسة كتشنر الطبية ومن شعره فى الرثاء

ناح هذا الطير فى أفنـــانه بافتنان فى عبارات النحيب

غننا بالله ألحان الأسى فوداع المرء للروح قريب

أنمـــا الدنيا خيال زائل كل حى فى زواياها غريب

أما النثر فلم ينل الحظ الذى ناله الشعر لديهم اذ لم يزل للسجع سلطان فى الكتابة على كثرة الكاتبين ، وكان المرحوم محمد عباس أبو الريش من الأدباء الذين امتازوا بحصافة الرأى ، وقوة التعبير ، وفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عثمان القاضى رئيس تحرير حضارة السودان من أرباب القلم القادرين على ابراز المعانى الدقيقة فى عبارات خلابة طلية

ويدخل فى منطوق كلمة « النثر » أمثال وحكم سارت على لسانهم كما سارت الأمثال قديماً على ألسنة العرب ، وكما كانت الحكمة تلقى من أفواههم فاذا هى نور وهدى

ومن هذه الأمثال قولهم :

« البتسوى تلقى » يريدون : ماتعمل من عمل تجد جزاءه خيراً أو شراً و « الجعلى بعدى يودعه خنق » يضربونه للرجل الشجاع الذى لايبالى بأحداث الايام وهمومها و « لا محمد فى القراية ولا فاطمة فى السقاية » يضربونه عند ما يعيرون رجلا عقيماً أو امرأة عقيماً .

ومما يلفت النظر أن كثيراً من ألفاظهم المتداولة عربية فصيحة ، فمثلا تقول المرأة عند ما تريد أن تغتسل : أريد أن أتبرد بالماء « وكلمة أتبرد كلمة عربية فصيحة قال عمر بن أبى ربيعة القرشى :

زعموها سألت جارتها وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله أم لا يقتصد

ويقولون « أنت يا زول » يعنى يا إنسان وهى عربية ولكن بفتح الزاى وهو الظريف من كل شىء ، قال الحطيئة يصف ناقته

همها الأعور الهجان مبارى الريح للشريحية الأزوال

وخلاصة القول أن الأدب اليوم يحمل فى ثناياه طابعاً عربياً اسلامياً مصرياً متأثراً بلون من ألوان الثقافة الفرنجية . إذ الثقافة فى السودان تتغذى من ينابيع كثيرة :

(١) فهى تتغذى من الينبوع العربى الأصيل الفياض ، ولذا ففيها شجاعة ، وفيها كرم ، وفيها وفاء ، وفيها حماسة ، وفيها مروءة

(٢) وتتغذى من الينبوع الاسلامى ولذا فللدين فيها نصيب كبير ، وللقرآن حظ عظيم ، وللأحاديث النبوية سيادة واسعة ، وللأخلاق الاسلامية سيطرة روحية نافذة ، وحافظة واعية ، لا سيما بوجود المعهد العلمى بأم درمان ودروس القرآن فى المعاهد الصغيرة ، واحترام المذاهب

(٣) وتتغذى من الثقافة الأدبية المصرية بما يقرأه الشبان من كتب وجرائد ومجلات مصرية ، ومما يحفظونه من قصائد الشعراء المصريين ، وكلمات كبار الكتاب وأساطين الصحافة المصرية ، ومما يتأثرونه من أساليبهم ، التى أصبحت متجددة ، وأضحت مبتكرة ، متنافسة ، متبارية ، فى الصيغ والجمال والروح والمعانى .

(٤) وأخيراً وجدت الثقافة السودانية ينبوعاً جديداً ، فى الثقافة الانجليزية - فى التعليم فى كلية غوردون ، وفى تعليم بعض الشبان الأذكياء فى مدارس القاهرة وجامعة بيروت الأمريكية وفى لندن ، وفى وجود عدد كبير من الموظفين الانجليز ، وبينهم خريجو الجامعات وأبناء المدرسة الانجليزية ، وفيما توافرت عليه النخبة الفنية المتعلمة من مطالعة الكتب الانجليزية

ويلوح لى أن الثقافة السودانية ستتجه فى المستقبل - إذا ظلت متجددة أو محبة للتجديد - إلى انتحاء الثقافة المصرية والأخذ بقليل من الثقافة - الانجليزية الخالصة ، لأن فى الثقافة المصرية الجديدة نفسها مزيجاً من الثقافة الاسلامية والثقافة الانجليزية

* * *

على أن حديث الثقافة السودانية يجب أن ينبه كل متحدث عن الثقافة ، إلى ذلك التطور العالمى البارز ، فان الثقافات أصبحت متداخلة ، ونحن نوشك أن نرى العالم

كله تغمره ثقافة واحدة ، لأن العالم فى سبيل أن يحيا حياة متماثلة ، فى التوافر على استعمال الآداب والطائرات وأساليب الدفاع ، وصيغ المجاملات ، والولائم ، ولأن المواصلات قد تعددت ، ولأن العارفين باللغات الأجنبية يكثرون ، ولأن الكثير من المنتجات الأدبية والتاريخية وما إليها يترجم إلى اللغات الأخرى

وهناك حقيقة أخرى — يجب أن يذكرها الذاكرون — ذلك أن فى البلد الواحد — ولا سيما ما كان فى اتساع الأطراف كالسودان — تتنوع الثقافات ، وذلك أن الثقافة الجديدة ، وإن بدا أنها وقف على قلة صغيرة ، فهى التى بيدها المستقبل ولها الانتشار ، لأن الانسان يمل القديم ولأن القديم نفسه يهرم ويبلى

* * *

قال عطوفة الأمير شكيب ارسلان عن الشعر فى السودان :

بينى وبين الشاعر «السودانى» عثمان حسن بدرى فى رثاء كل منا لأخيه فانه هو يقول:

لو كان كل الناس مثلك فى التقى ما احتاج هذا الناس للتشريع

وأنا أقول فى المرحوم أخى نسيب :

لو كانت الناس فى الدنيا نظيرك لم تحتج لعمرى لحكام وعمال

ولا شك ان كلا منا لم يطلع على بيت الآخر فانى أنا رثيت أخى « نسيباً » سنة وفاته أى من ثمانى سنوات ولم أنشر رثائى له بعد لأقول أن هذا الشاعر اطلع عليه فبقى فى ذهنه هذا المعنى وسينشر هذا الرثاء قريباً فى ديوانى الذى هو تحت الطبع بمطبعة المنار كما أنه سينشر فى ديوان أخى رحمه الله الذى هو اليوم أيضا تحت الطبع فى دمشق الشام . وأما أنا فما اطلعت على هذه المرثية التى لعثمان حسن بدرى إلا فى عدد فى محرم الجارى من جريدة « الجهاد » ولم تكن هذه المرثية مما أورده الأستاذ عثمان هاشم فى جريدة السياسة من قبل . وقد رأيت مما رأيته من العجب فى نوادر الخاطرين أن أضع أمام أنظار القراء فى وقت واحد رثاء السيد عثمان حسن لأخيه ورثاء كاتب هذه السطور لأخيه فهو يقول :

هل تنطفى حرق الأسى بدموعى وتعين صبرى أو تعيد هجوعى

وهذا المعنى لا شك فى أنه مطروق ولكننى أنا مند شهرين كنت أقول فى مطلع رثائى للحاج عبد السلام بنونة فقيد المغرب رحمه الله ما يلى :

يا مدمعى أكفيانى نار أحزانى فقد عهدتكما من خير أعوانى

نار تأجج فى قلبى فهل لكما أن تطفئاها بتسكاب وتهتان

ثم يقول :

هيهات مات أخى وتلك رزية أفلت ببدر لم يعد لطلوع
هيهات مات أخى وتلك مصيبة طاحت بكوكب معشرى وربوعى
رحب الفؤاد فلا تراه معبسا لنزول نائبة ولا بجزوع
ولهى عليه فلا أراه بمنقض أبداً ودمعى فيه غير منوع

وأنا أقول فى أخى :

إن طالما كانت الأحزان زائلة مع الزمان فحزنى غير زيال

ثم يقول :

يرنو إلى بعينه ولسانه عقد الضنى أطرافه بنسوع
حتى أناخ اليأس حول رجائه وتسارعت آماله لنزوع
ألقى إلى يديه فى ترجافها فمسكت كفا منه ذات صنيع

يصف احتضار أخيه رحمه الله وكيف كان خروج نفسه الأخير . وأما أنا فلم يكن لى واحسرتاه أن أودع أخى ولا أن ألقى عليه النظرة الأخيرة لأن المحتل لبلادى يمنعنى من دخولها بجريمة انى أدافع عن استقلالها .

ثم يقول :

قد كنت درعى فى المكاره كلها فالآن بعدك قد وهين دروعى

وهذا مثل قولى :

شعرت إذ ذاك أن لا أزر ينهض بى وأننى رازح من تحت أثقالى

ثم يقول :

لله نفسك ما أشم صفاتها وأبر فى ضنك وفى توسيع
ويلم دائك لم يراع يتيمة أضحت تمنى نفسها برجوع
ظنت مضيك كاغترابك قبل ذا لبناء مجد أو لدفع شنيع
فتغمدتك من المهيمن رحمة وسقت ضريحك كل ذات هموع

وأما رثائى لأخى فهو هذا :

نسيب قد كان سارى الطيف أبدى لى رؤيا تناهى بها ذعرى وإجفالى
رأيت فى دارنا الأفواج أشبه بالأ مواج ما بين إدبار وإقبال
فقمت والبال منى كاسف قلقاً مستقبلا من حياتى كل ذى بال
وما مضت ساعة إلا أذنت بها مصيبة حققت خوفى وأوجالى

* * *

ومن قصيدة ألقاها الشيخ مدثر على البوشى القاضى الشرعى بمناسبة المولد النبوى

سنة ١٣٤٢ هـ تليت بسرادق الحكومة بأم درمان عند زيارة الحاكم العام، وكان لها أثر شديد في النفوس وصدى بعيد حتى ترجمت يومئذ مع النثر إلى اللغة الانكليزية وسارت مسير الأمثال.

نأت بك عن ذات الحجال الرواسم فقلبك مقسوم وبينك قاسم
مدامع تذريها من البين مثلما همت من خلال المرسلات غمائم
جراح بأعماق النفوس نفرنها وهيهات منها أن تفيد المراهم
أنين ولا كالثاكلات ومهجة براها حنين قلدته الحمائم
عيون ولا كالمرهفات تألبت عليها جيوش الهم والهم لازم
ترفق فما يجدى البكاء ولا أرى من الخير ما يلقاه فى الناس نائم
أرانا هجرنا الدين. والدين معقل فما خير دين لم يؤيده قائم
أرى البدعة الحمقاء أرخت سدولها على السنة الغراء أين الصوارم

إلى أن قال:

اليك رسول الله والخطب فادح تطل نفوس أرهقتها الأشائم
عنتها سهام المفسدين فأسبلت بليلتك الغرا دموع سواجم
فلا تبتئس يامن تريد جواره ستعلم بعد الغرم أنك غانم
ولى ذمة فى الله لا أخفرنها وفى شأن قومى فلتلمنى اللوائم
ومالى وللأيام أخشى نزالها (واحمد) عون للضعيف وعاصم
فلا تلهينى بالزمان وأهله فان فؤادى منه للغيظ كاظم

اسماء الشعراء

هم الأساتذة والشيوخ والأفندية:

الحسين الزهراء عالم أزهرى، والأمين محمد العزيز شيخ العلماء سابقاً، وابراهيم شريف عالم، وأبو القاسم هاشم، شيخ المعهد العلمى بأم درمان، واسماعيل عبد القادر المفتى، عالم أزهرى، والطيب احمد هاشم مفتى السودان سابقاً وأحمد المرضى قاض شرعى، واحمد محمد صالح ناظر مدرسة ابتدائية، وابراهيم محمد مدنى قاض شرعى، والطيب السراج مترجم بحكومة السودان، واحمد يوسف نعمة والسيد الباقر الشيخ اسماعيل عالم ومدرس جامع الخرطوم سابقاً، وتوفيق أحمد بالجامعة المصرية، وحسيب على حسيب كاتب بالمحاكم الشرعية، وصالح عبد القادر موظف بالبوستة سابقاً، ومدثر على البوشى قاض شرعى، وعبد الله

محمد عمر البناء مدرس بالمعارف ، وعبد الله عبد الرحمن ، وعبد الله حسن كردى موظف بالحكومة سابقاً ، وعبد الرحمن شوقى مهندس ، وعبد الحميد وصفى موظف سابقا ، وعثمان هاشم ، وعلى الشامى ، وعمر الأزهرى عالم أزهرى ، ومجذوب جلال الدين مدرس بالمعارف ، ومحمد عمر البناء عالم أزهرى ومفتش المحاكم سابقاً ، ومحمد سعيد العباسى خليفة سجادة ، ومحمد الطاهر المجذوب ، ومحمد حافظ الامير ، موظف ، ومحمد أنيس موظف ، ويوسف نعمة عالم ، ومحمد مضوى عالم أزهرى جليل ، ولد يفادى عالم ، وابراهيم عبد الدافع عالم ، القاضى السلاوى عالم وقاضى سابقاً ، وتوفيق صالح جبريل مأمور ، والصاوى عبد الماجد عالم ، وحسن عمران زهرى ، مدرس بالمعارف ، ومكاوى يعقوب مهندس سابقاً ، ويوسف القاضى مدرس ، وابراهيم أبو النور عالم بمعهد أم درمان ، والسيد البكرى الشيخ اسماعيل صوفى . ومحمد عبد الوهاب القاضى طالب علم ، محمد الأمين القرشى قاض شرعى ، التجانى أفندى يوسف بشير موظف وله ديوان شعر ، محمد أحمد محجوب مهندس بالأشغال ، يوسف مصطفى التنى موظف ، محمد كوبادى مهندس

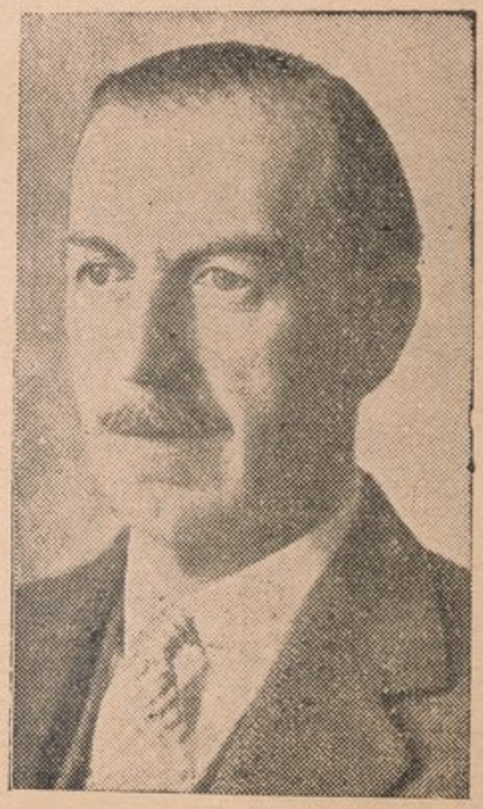

السير برسي لورين سفير انجلترا بانقره والمندوب السامى البريطانى فى مصر سابقا من سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣

الفصل الحادى والثلاثون

الاسلام والاديان فى السودان

السودان معقل من معاقل الاسلام وقد وفد عليه العرب المسلمون من مصر ، وبه قبائل عربية ، تعتز بالاسلام ، وقد تتعصب له ، تعصب المؤمن بدينه ، العارف قدر غيره المحترم للأديان الأخرى

البعثات التبشيرية

وقديماً وفد على السودان بعثات تبشيرية ولها مناطق تعمل فيها ، ومدارس ومستشفيات تنشئها



تانوج أو دوليب حيث توجد البعثة التبشيرية البروتستانتية الأمريكية على السوباط

لوائح بعثات التبشير المسيحية فى السودان سنة ١٩٣٣

وضعت الحكومة لوائح لهذه البعثات وهى تعمل فى بلاد الزنوج وهى فى الجنوب ولا يجوز لها العمل فى البلاد التى يسكنها مسلمون وتنال اعانات من الحكومة . ولا يجوز للمسلمين نشر دينهم فى هذه المناطق .

الفصل ١٨ — البعثات — مناطق البعثات

لا يجوز إنشاء مراكز للتبشير فى أى جهة من خط العرض الشمالى فى أى



مركز البعثة التبشيرية للكنيسة الرومانية الكاثوليكيه

نقطة من السودان مما تعده الحكومة مسلماً فى جنوبى الخط العاشر من مناطق خط العرض الشمالى . وتمنح مناطق للعمل كما يلى :

جمعيات التبشير البريطانية — حدودها : غرباً - من غابات العرب على بحر الغزال إلى بحر الغزال حتى جهة مشرع الرق ثم مباشرة إلى اتصال حدود الكونغو البلجيكية وأفريقيا الفرنسية الاستوائية والسودان . وشمالا من غابات العرب

« وإنكانى » إلى بحر الغزال والنيل الأبيض بين بحر الزراف وبحر الجبل وجنوباً إلى أجونج . وغرباً حتى حدود الحبشة . وجنوباً من حدود الحبشة إلى النيل الأبيض

منطقة البعثة الكاثوليكية ـ غربى منطقة البعثة البريطانية

البعثة الأمريكية ـ فى وادى السوباط وعلى حدود منطقة البعثة البريطانية

منطقة خالية ـ بين منجلا وشمال أوغندا الجنوبية وغربى الحبشة

مناطق بعثة السودان المتحدة ـ فى بعض جهات كردفان مع استثناء البلاد الاسلامية .

ويجب على كل بعثة أن تكون تحت رقابة الرئيس الادارى ، وأن يخضع أعضاؤها لقوانين السودان ولوائحه ، وأن تحصل على تصريح من الحاكم العام للسودان للقيام بمهمتها ، ولتأجير الأراضى

الفصل الثانى والثلاثون

الحياة الاجتماعية والصحافة والعادات

الأغانى السودانية

للأغانى السودانية نغمة غريبة بالنسبة لأذواق أهل مصر . ولكنها نغمة محبوبة ومعانيها خير من معانى الأغانى المصرية الخليعة الماجنة . وإليك مثال من الأغانى السودانية المتأثرة بالسليقة العربية (١) .

ويعد الحاج محمد احمد سرور مطرب السودان الأول . وهو الآن بمصر يتلقى مع بعض زملائه دروساً فى الموسيقى بمعهد الموسيقى الشرقى وأقام حفلات

ومن الأغانى السودانية :

شوف محاسن حسن الطبيعة تلقى هيبة وروعة وجلال
صاح شاهد هاهى الطبيعة زاهية زاهرة بزهور ربيعة
دور سواقى يسرف نبيعه ما فى شتله السايم يبيعه
ما فى صيده انقادت تبيعه ذوق محاسن حسن الطبيعة
لا تصنع وصبغة دلال
شوف نواحى الوادى الخديرة والحمايم يشجيك هديره
تلقى بدرى التم فى غديره هى المحاسن وأنا قلبى ديره
صاح املأ عيناك وديره شاهد إيد الصانع القديرة
تملأ بهجة وعظمة وجلال
فوق هضاب الوادى الوثيرة الزهور منظومة ونثيرة
عن جمال البدو نروى سيره عن محاسن البادية الكثيرة
والجداول فى حال مسيره فى جبين التل زى مسيره
والغدائر حول الهلال
شوف هداك الصيدلج شارف يرعى ناله الحول المسارف
أوع من الخور سيله جارف ميل شمالك وأبرى المصارف

(١) أقرأ أمثلة أخرى من هذه الأغانى فى الفصل العاشر من الجزء الثالث من هذا الكتاب

عج على السيال ظله وارف دانى بنت البدو وانت عارف
بل شفاى من دائى العضال
أهوى يا أخى السكنت براحه فى هدؤها وعيشة انشراحه
فى غدوها وساحة مراحه يهوى فيها الحيا والصراحه
مابتجول بكرب(١)خاضه راحة يا أخى بهوى جاره مراحه
فى ربوعه الخلف التلال
شوف جمال البدو ما مضارا شوف دى صفراء انفضحت نضارا
هاديه ناديه الفائق حضارا دون تجندر (٢) ولهجة حضارا
شوف طبيعة البها والنضارا شىء يعيد الروح فى احتضارا
الخضار والماء والجمال
دون فصاده سواك إلهك والأبار ما لمست شفاهك
بى فظاظه ما فاه فاهك فطره أدبك وطبعه انتباهك

الصحافة فى السودان

(١) أول جريدة أنشئت هى جريدة الغازيتة السودانية « الجريدة الرسمية » ونشرت فى أول أعدادها نص اتفاق ١٨٩٩ . وكانت الغازيتة العسكرية للجيش المصرى تطبع فى الخرطوم عند وجود الجيش والسردار بها

(٢) بعدها أنشئت جريدة « السودان » وكانت تصدر مرتين فى الأسبوع وأصحاب امتيازها هم الدكاترة أصحاب المقطم والذى تولى شئونها إدارة وتحريراً هو حضرة صاحب العزة الأستاذ خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الآن وقد انتهى عهدها سنة ١٩٢٥ . وكانت لها إعانة من الحكومة

(٣) مجلة « غرفة التجارة السودانية » وهى مجلة اقتصادية ولا تزال قائمة إلى الآن

(٤) جريدة « الخرطوم » ولدت فى سنة ١٩٠٩ لصاحبها المرحوم أسعد يسى المساح الذى كان قد وصل الخرطوم مكاتباً لجريدة « الظاهر » لصاحبها المرحوم محمد أبو شادى بك

(٥) « كشكول المساح » وقد قام على أنقاض جريدة « الخرطوم » لصاحبه

(١) الكرب نوع من الثياب الشفافة (٢) التجندر التواليت

المرحوم أسعد يسى المساح المنوه عنه آنفاً . وكان دينياً مسيحياً

(٦) جريدة « رائد السودان » وأصحاب امتيازها هم أصحاب مطبعة فيكتوريا من من رجال الجالية اليونانية وقد تولى تحريرها الأستاذ عبد الرحيم قايلات السورى البيروتى الذى كان موظفاً بمصلحة البواخر بحكومة السودان إلى سنة ١٩١٥ . وكان يشترك فى تحريرها طائفة من كبار الكتاب والأدباء أذكر منهم حضرات الأستاذ محمد توفيق وهى الموظف بوزارة الخارجية الآن والأستاذ محمد توفيق بدرى الذى كان موظفاً بمصلحة المراجع العام بالخرطوم ويقيم الآن فى السودان بعد أن تقاعد بالمعاش والأستاذ حامد عوضين سعفان الموظف بالمالية المصرية الآن وصاحب الأبحاث الممتعة عن السودان وغيرهم من حملة الأقلام الوطنيين والمصريين . ولما اعتزل رئيس تحريرها خدمة حكومة السودان فى سنة ١٩١٥ أسندت رياسة تحريرها إلى الأستاذ المرحوم « السيد حسين شريف » المتخرج من كلية غوردون فتولاها إلى سنة ١٩١٩ حيث توفيت تلك الصحيفة إلى رحمة مولاها

(٧) « حضارة السودان (١) » أخذ امتياز احداها جماعة ساهموا فى رأس مالها وفى طليعتهم السر السيد عبد الرحمن المهدى وهم الشيخ عثمان صالح التاجر المشهور بأم درمان ، والشيخ محمد عكاشة خليل خيال والشيخ عبدالرحمن جميل التاجر بكوستى والشيخ محمد أحمد نقد التاجر بأم درمان والشيخ حسن أبو الفاجر بالأبيض والمرحوم السيد حسين شريف الذى تولى تحريرها وقد شاركه فى تحريرها فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضى ولم تكد تسلخ عامها الأول حتى لحقت بالخالدات سنة ١٩١٩

(٨) « حضارة السودان » (٢) قامت على انقاض الحضارة الأولى وأصحاب امتيازها السادة السيد على الميرغنى والسيد عبد الرحمن المهدى والشريف يوسف الهندى وقد تولى تحريرها المرحوم السيد حسين شريف ، وفى مدة مرضه كان ينوب عنه « الأستاذ عبدالرحمن أحمد » فلما لحق بربه أختير لتحريرها « الأستاذ أحمد عثمان القاضى » رئيس تحريرها من إبريل سنة ١٩٢٩ وهى تصدر مرتين فى الأسبوع ولا تزال قائمة وتنال إعانة من الحكومة . وتنشر اعلاناتها

(٩) الجريدة التجارية وكانت تعنى بالمباحث الزراعية والصناعية صاحب امتيازها ومحررها هو سليمان أفندى داود منديل صاحب مطبعة منديل وناشر جريدة « حضارة السودان » الآن قامت حوالى سنة ١٩٢٦ واستمرت إلى سنة ١٩٣١ ، ثم تحولت

إلى جريدة « ملتقى النهرين » وأصبحت سياسية أدبية أيضاً

(١٠) جريدة ملتقى النهرين وسارت تحت هذا الاسم إلى أن اندمجت فى سنة ١٩٣٤ من أول شهر مايو فى جريدة حضارة السودان التى لا تزال محتفظة بهيئتها من امتياز وتحرير

(١١) مجلة النهضة السودانية صاحب امتيازها ورئيس تحريرها هو المرحوم محمد أفندى عباس أبو الريش أحد خريجى كلية غردون وقد ماتت هذه المجلة بوفاته فى سنة ١٩٣٣

(١٢) مجلة مرآة السودان لصاحبها ومحررها الشيخ سليمان أحمد كشة أحد خريجى المدارس الأبتدائية وقد اختفت منذ أواخر سنة ١٩٣٤ ولم تعد للظهور

(١٣) مجلة الكشافة وهى مجلة دورية تعنى بأعمال الكشافة خاصة ولا تزال قائمة

(١٤) مجلة كلية غردون وهى مجلة خاصة بالطلبة ومباحث جمعياتهم المختلفة التى تأسست بدار الكلية مؤخراً لتنمية مداركهم ودفعهم فى نواحى الانتاج الذهنى المختلفة وهى خطوة من دار الكلية حمدنا عقبة نتائجها كثيراً ولا تزال بحمدالله قائمة

(١٥) مجلة « الفجر » وهى مجلة أدبية أنشئت فى سنة ١٩٣٤ وصاحب امتيازها ورئيس تحريرها هو « الأستاذ عرفات محمد عبد الله » وهى نصف شهرية ولا تزال قائمة . وهى تعد لسان حال أدباء السودان الشبان

(١٦) « السودان » أخذ امتيازها فى سنة ١٩٣٤ الشيخان الأستاذ « عبدالرحمن أحمد » وتولى تحريرها و « محمد السيد السواكنى » وتولى إدارتها ولا تزال قائمة وكانت أسبوعية وتصدر الآن مرتين فى الأسبوع

(١٧) « جريدة النيل » أول جريدة يومية عربية مصورة بالسودان ألفتها شركة مساهمة اسمها « شركة الطباعة والنشر المساهمة بالسودان » رأس مالها خمسة آلاف جنيه برياسة الوجيه السيد مصطفى أبو العلا التاجر المشهور ومن المشاركين فيها الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدى ومسيو كونتوميخلوس فى أربع صفحات مديرها الصحفى المصرى حضرة الأستاذ حسن صبحى ومحررها فضيلة الشيخ الحاج الأمين عبد القادر . العدد الأول منها صدر فى أول أغسطس سنة ١٩٣٥ . وللجريدة عدد أسبوعى أدبى علمى خاص

وعدا هذه الجرائد العربية يوجد فى الخرطوم جريدة يومية وصحيفة أسبوعية من ٨ صحائف انجليزية اسمها « سودان هرالد » ويحررها جناب « المستر كوكس » وهو

كاتب انجليزى مهذب حلو الدعابة ، وهو وكيل شركة روتر بالخرطوم .
وهناك أيضاً ثلاث جرائد يونانية أسبوعية

الطباعة فى السودان

أول عهد السودان بالمطابع فى عصر الحكومة المصرية السابقة بعد فتح محمد على بقليل أنها أنشأت بالخرطوم فرعاً من المطبعة الأميرية من نوع الحجر ومعملا لصنع الورق وعهدت بنظارتها إلى المرحوم ابراهيم أفندى أحمد وأعوانه وكلهم جاءوا من مصر . وقد توفى هذا الناظر بالخرطوم وخلفه ابنه حسن بك المطبعجى حتى مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ وقد استغنت الحكومة السودانية المصرية بهذه المطبعة ومعمل الورق عن جلب لوازمها من مصر علاوة على طبع أوراق التمغة التى تعود على الخزانة بايراد يذكر لتوقف سائر المعاملات المدنية والتجارية على أن تحرر على أوراق التمغة كما تقضى به لوائح الحكومة

ومن المعلوم أن هذه المطبعة لم تطبع غير مطبوعات الحكومة . وفى أثناء حصار الخرطوم من مارس سنة ١٨٨٤ إلى يناير سنة ١٨٨٥ كان غردون باشا يوزع نشرات مذيلة بتوقيعه عن حوادث الحروب التى تدور رحاها بين القوات المدافعة عن المدينة وبين الأعداء وأخبار النجدات الزاحفة نجدة للخرطوم

ولما سقطت الخرطوم استولى المهديون على هذه المطبعة ونقلوها إلى أم درمان واستعملوها فى طبع « راتب المهدى » المحتم قراءته صباحاً ومساء . وقد جمعت منشورات المهدى من أولها إلى آخرها وطبعت فى مجلدين كبيرين ، وكذا طبعت منشورات خليفته

ولما استرجع السودان فى سنة ١٨٩٨ أسست مطبعة السودان لأصحاب المقطم بعد قليل لطبع جريدة السودان ومطبوعات الحكومة ثم أنشأ الخواجات ساوولى وخرثانثو مطبعة فكتوريا فى سنة ١٩٠٨ وقد آلت إلى مسيو كونتو مخالوس فى سنة ١٩١٦ ثم آلت إلى شركة ما كور كوديل سنة ١٩٢٥

وقد أنشئت مطبعة لطبع جريدة حضارة السودان ولم يطل عمرها أكثر من ثلاثة أعوام . وأنشئت بعدها مطبعة شركة ما كور كوديل فى سنة ١٩٢٤ فانضمت إليها بالشراء مطبعتا السودان والحضارة وانتدبت مطبعة ما كوركوديل لادارة

قسمها التجارى حضرة الأستاذ سليمان أفندى داوود منديل(١) فاضطلع بهذه المهمة زهاء عامين حتى أدرك حاجة البلاد إلى مطبعة وطنية تقوم لمعونة النهضة الأدبية للبلاد فانشأ مطبعته فى سنة ١٩٢٦ كان لها الشأن الأول من حيث الاتقان والاستيفاء لم يسبقه فرد على الاضطلاع بمثل هذه فقد طبعت العدد الكثير من المؤلفات الوطنية والمطبوعات القيمة وإليها يرجع الفضل فى نهضة الصحافة الوطنية وما تزال مطبعة منديل قائمة بمجهود صاحبها الفرد الذى لم يشاركه فى مجهوداته أحد وقد عنى بتعليم عدد وفير من الوطنيين إذ أحضر لهم معلمين مهرة من مصر لمختلف فروع المطبعة من صف وطبع وتجليد . وقد تخرج منها مايربو على ٨٥ شخصاً يمتهنون هذه المهنة . وأنشأت شركة جريدة النيل مطبعة خاصة لطبع جريدتها ومطبوعاتها وبها قسم للتصوير والزنكوغراف

عادات المواطنين السودانيين

لمواطنينا السودانيين الكرام عادات كثيرة ، أملى أكثرها حياة الفطرة والحياة الاسلامية الدينية ، والظروف المحلية فى السودان والاختلاط بالزنوج ، وبالمصريين وبالانجليز والوافدين ، والتعليم

ولاتساع ربوع السودان ، تختلف العادات فى مديرية عن الأخرى ، ففى الشمال العادات أقرب إلى مصر ولا سيما صعيدها إن لم تكن متوافقة معها ، وفى الجنوب ترى عادات الزنوج .

ولا شك أن السودان فى تطور منذ فتح محمد على - وهو ما يسمونه الفتح الأول ، أو ما يسميه السودانيون العامة « الحكومة التركية القديمة »

وقد أثرت العادات الانجليزية فى المجتمع السودانى الراقى ، فانتشر الهندام الانجليزى وعادات حفلات الشاى والرياضة والنظام والأندية واللغة الانجليزية .

ويحتفظ السودانيون إجمالا بفضائل العرب والاسلام من شجاعة وكرم ووفاء والاعتزاز بالكرامة

وقد وجدنا بين الشبيبة السودانية ميلا ظاهراً إلى ترك الانتماء إلى عصبيات القبائل والاعتزاز بالنسبة إلى السودان فقط ، وقد أسفنا إذ رأينا بعضهم لا يزال

(١) مصري الأصل هاجر أبوه إلى السودان للتجارة واتخذه مقاماً ، وقد ولد سليمان أفندي بالسودان وتخرج من كلية غوردون وعين موظفاً بحكومة السودان واستقال واشتغل بالتجارة والصحافة حتى الآن

ينظر إلى السودان بأنه السودان العربى ويستنكر تصوير السودان على أن به زنوجاً

ونحن نرى على العكس أن الزنوج لاذنب لهم فى بساطة حياتهم وسذاجتهم وكونهم لا دينيين ، وأنهم حين يشهدون مسلماً يصلى أو يحتفل بعرس أو بمولد ، أو يذكر الله حاكوه ، وسرعان ما اعتزوا بالاسلام . كما أنهم أبلوا بلاء مشهوراً فى الجيش المصرى ، فى حرب المكسيك وفى حروب محمد على ومن بعده .

* * *

ولا ضير فى نقلنا بعض العادات ونشرها فى هذا الكتاب نقلا عن المراجع والمؤلفات والمشاهدات . فلكل أمة مهما رقت عاداتها وأخلاقها . والعادات أبداً فى تطور وتغيير وتنقيح . وهذا ظاهر فى السودان ظهوراً بيناً

* * *

جاء فى كتاب « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » :

« ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس وهى عادة لا توجد فى غير دارفور وتجليد النحاس هو تغير جلود الطبول المسماة فى اقليم مصر بالنقاقير وهذا التجليد يعظمونه ويجعلون له موسما فى السنة ومدته سبعة أيام وكيفية ذلك أن السلطان يأمر بنزع جلود الطبول كلها فى يوم واحد فتنزع ثم يؤتى بأثوار خضر اللون فيذبحونها ويأخذون من جلودها ويجلدون بها تلك الطبول . لكن أهل دارفور يقولون فى ذلك كلاما لا يقبله عقل العاقل ممارس الكتب ولكنهم مطبقون على ذلك فانهم يزعمون أن هذه الأثوار من نوع بقر معروف عندهم وانها حين الذبح تنام وحدها بدون أن يمسكها ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ويقولون أن الجن هو الذى يمسكها وينيمها ثم يأخذون لحومها ويجعل فى خوابى ويترك ستة أيام مع الملح وفى اليوم السابع يأتون ببقر كثيرة وأغنام وتذبح كلها ويطبخون لحومها وفى حال الطبخ يأخذون اللحم الذى فى الخوابى ويقطعونه قطعا صغيرة ويجعلون فى كل قدر منه قطعاً تخلط باللحم الجديد ثم تفرق الموائد للملوك وأولاد الملوك والوزراء على حسب طبقاتهم ويقف على كل مائدة منها حارس من طرف السلطان ينظر من يأكل ومن لم يأكل فاذا أخبر السلطان بأن فلانا لم يأكل أمر بالقبض عليه فى الحال لانهم يقولون أن من كان فى قلبه خيانة للسلطان أو غدر لا يمكن أن يأكل من هذا اللحم . وإن تعلل أحد بأنه مريض أو لا يقدر على حضور أرسلت إليه أوانى منه

مع حارس أمين ينظر هل يأكل أو لا فإن أبى يقبض عليه إلا إذا كان معذوراً بقوة مرضه » . اه

* * *

يدهن بعض عامة السودانيين رؤوسهم وآذانهم بالشحم والسيرج لتخفيف الحر . ويتطيبون بالروائح العطرية كالمسك والصندل والقرنفل

الدلكة — عجين الذرة مخلوط بماء ثم يحمد فوق النار ، ثم يضعونه فى قدر تحتها نار .

والعجين مؤلف من دقيق القرنفل والسحلب وخشب الصندل والظفر واللبان والمسك . ويدلكون به الأجسام . والدلكة مفيدة صحياً ، ترطب الجسم وتخفف حرارته .

التدخين — نار فى حفرة بها خشب طيب الرائحة وتسد نوافذ الغرفة وتجلس المرأة عارية على حافة الحفرة ورجلاها على عود فوق الحفرة ، حتى تنطفىء النار ، ويتحلب العرق ، وتلبس شملة ، وتدلكها جارية ، وتفتح النوافذ تدريجياً .

التشليخ — تشليخ الوجوه بثلاثة خطوط للزينة — بين الجعليين والشايقية

عادات الزواج

يتزوج السودانيون غالباً بمجرد البلوغ أو بعد البلوغ بقليل . وكان المهر غالياً . فجهد حاكمدارو السودان بعد فتح محمد على وجاهد المهدى بتخفيضه . فجعله المهدى جنيهين للبكر وجنيها للثيب . ويؤثر السودانيون الزواج من ذوات الانساب والأحساب على ذوات المال .

وللمرأة السودانية فى الأسر المحترمة خدم . ولا تأكل مع زوجها أو بحضوره مطلقاً .

الترويج للمزواج فى السودان

جاء فى جريدة حضارة السودان سنة ١٩٣٤ ما يلى :

« رأى حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السر السيد عبد الرحمن المهدى منذ أكثر من سنة أن أزمة الزواج قد استحكمت بدرجة مخيفة من مغالاة الاباء فى مهور بناتهم ومن الأزمة المالية حتى يكاد يقف الزواج وتقضى الأزمة على الفتيات

بالبوار فهدته بصيرته النيرة وحكمته العالية الى أن يشرع لأهل السودان سنة حسنة بتخفيض المهور الى قسمين : الحد الشرعى الأدنى وهو ربع الدينار والحد الاختيارى الأعلى وهو ثلاثة جنيهات ونفذ ما سنه أولا على أهله وعشيرته ومريديه الكثيرين فى ليلة ٢٧ رجب سنة ١٣٥٢ وهو الحفل الأول ثم أذاع نداءه فى الشعب السودانى للاقتداء به والعمل بسنته فأجاب نداءه الكثيرون وزوجوا بناتهم بالمهور القليلة وتردد آخرون من الذين يتمسكون بالعادات القديمة الضارة

ولما دار الفلك وأتى يوم ٢٧ رجب سنة ١٣٥٣ دعا سيادته كثيرين من الموظفين والأعيان الى حضور حفل التزويج الثانى وكنت ضمن المدعوين وقد كان سرورى عظيماً حقاً لحضور هذا الحفل ومالى لا أفرح وقد جاهدت فى سبيل هذه الأزمة وما زلت أجاهد وأنشر فى هذه الجريدة كل ما يمحو العادات العتيقة التى تئن منها . وقصارى القول أنى قصدت إلى دار حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السر السيد عبدالرحمن المهدى بحى ود نوباوى بام درمان فى الميعاد المضروب فوجدت سرادقاً عظيماً منصوباً فى حظيرة داره الواسعة وقد امتلأت بالألوف من الناس وبقى ألوف خارجه ورجال السيد يقابلون المدعوين بالترحيب ويقدمون لهم المشروبات وما كدت آخذ مجلسى حتى شرف السيد الزعيم الكبير يصحبه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكرم محمد نعمان الجارم قاضى قضاة السودان وجناب مفتش أم درمان وبعد ان جلسوا القى حضرة السيد محمد الخليفة شريف خطبة وبيانا باحصائية الزواج بالمهور القليلة فى بحر السنة الماضية وهى منشورة فيما يلى . ثم عقبه آخر وانشد قصيدة وفى أثناء ذلك تولى سيادته عقد الزواج بنفسه وعقبه حضرة صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان فى عقد زواج واحد ثم عاد سيادته الى تولى العقد فى حين ان حضرة صاحب السيادة السيد على المهدى يتولى عقد زواج الآخرين فى ناحية أخرى وبعد برهة ترك السيد أخاه السيد على المهدى يتولى عقد الزواج ودخل فى داره من ناحيتها الغربية ومع سيادته حضره صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان وجناب مفتش أم درمان وبعض كبار الموظفين والأعيان وهناك مدت اليهم المرطبات والشاى والكعك والبسكويت وعند دخول المغرب غادره جناب مفتش أم درمان . وقام المدعوون يؤدون فريضة المغرب وبعد ما فرغوا منها عادوا الى مكانهم الأول وأخذوا يتحدثون فى إكبار عمل السيد الاجتماعى المفيد للبلد وقد غادرت دار السيد فى نحو الساعة السابعة مساء والسرور يطفح من قلبى مما

رأيت من هذا الاصلاح الاجتماعى الذى قام به السر السيد عبد الرحمن المهدى الزعيم الكبير بعد ان عجز عنه المصلحون فى الشعوب الشرقية

ونحن حين نصف هذا الحفل الكبير لا نريد أن نطرى السيد فهو غنى بعمله المجيد عن الاطراء . انما الذى نريده هو ان يقدر السودانيون عمله حتى قدره وان يعملوا به ويتخذوه دستوراً للزواج بين الأمير والحقير والصغير والكبير فى أنحاء السودان صونا للعروض وحرصا على الفضيلة ولينظروا الى سيادته كيف زوج أهله بالمهور القليلة ليقتدوا به لا لقلة ماله اثابه الله أجر سنته الحسنة وأجر من عمل بها

وقد علمت ان عقود الزواج بلغت ١٠٦ عقود فى مساء الاثنين الماضى ٢٧ رجب سنة ١٣٥٣ »

خطبة السير محمد الخليفة شريف

« باسمك اللهم افتح هذا الحفل الميمون وبالنيابة عن امامنا المفدى الزعيم الأوحد سيادة السير السيد عبد الرحمن المهدى أتقدم الى حضراتكم بواجب الشكر على تشريفكم لهذا الحفل الذى انتم واسطة عقده وخصوصا رجال حكومتنا العظام الذين دل تشريفهم لهذا الاجتماع السنوى على اهتمامهم بشؤون الشعب الاجتماعية وتقديرهم لمصلحته التقدير الذى من شأنه أن يربط الحاكم بالمحكوم رباطا وثيقا

ان سيادة السيد حفظه الله ما فتىء يعمل لمصلحة هذا البلد الأمين عملا متواصلا كلما دعا اليه داع عمومى وكلما رأى الفرصة سانحة للقيام بعمل خصوصى يسره ان يعلن اغتباطه بالنتيجة الثمينة التى وصل اليها مشروع تخفيض المهور فانه فى مثل هذا اليوم من السنة المنصرمة وجه نداء الى الشعب يحثه فيه للعمل على تخفيض المهور وربط الشباب برباط الدين الحنيف حتى لا تثور عليهم الطبيعة البشرية فيخرجوا على تعاليمه العظيمة وكانت النتيجة كالآتى :

٥١٨ من جبل أولياء الى الكوة نظارة الشيخ عبد القادر أدريس هبانى
١٠٤ مديرية بربر
٣٨٠ « الفونج
١٦٤ « النيل الأزرق
٣٦٠ أم درمان
١٢٠ كوستى وضواحيها
٦٠ القضارف

٣٦ مديرية كسلا

٤٦٠ جزيرة ابا

٧٥٠ مديرية كردفان

إن نظرة عادية الى مثل هذه الأرقام تدلك دلالة واضحة على نجاح المشروع وانصياع البلاد من اقصاها الى أقصاها لتلبية نداء السيد والسير على تعاليمه الحكيمة اجابة لاوامر الشرع الشريف وحبا اكيداً لاخلاصه فى عمران بلادهم

سادتى : قبل ان أترك موقفى هذا أريد أختم كلمتى بتكرير شكرى الجزيل لسيادة السيد ولرجال حكومتنا العظام فى تشجيعهم لهذا العمل الجليل ولكل من لبوا هذا النداء وعملوا على أساسه » اه

عادات الزواج عند الشلك

تسكن قبائل الشلك منطقة السدود فى أعالى النيل . ولا تتزوج الفتاة عندهم قبل بلوغ سن الخامسة عشرة سنة . وللرجال أن يشترى من النساء كما يشاء فهذا الشراء دليل الغنى والثروة والحاجة . وعند ما يريد الشاب الزواج من فتاة فانه يشبكها بالماعز والحراب وغيرها . ثم تحضر الفتاة أمام ناظر القبيلة وتعترف بكل مبدأ حبها . وهؤلاء المحبون يجلبون ويدفع كل منهم غرامة من الماشية للعريس وتقدم ترضية للعريس .

عادات الأفراح

للسودانيين فى أفراحهم عادات . منها أن تظل الزوجة فى بيت أهلها معه ردحاً من الزمن ، وأن لاتقترب معه ، ولهذا يضطر بعض الأزواج إلى زواج غير واحدة ، والزوجة تأتمر بأمر أمها مكثرة الدلال على زوجها هاربة منه من غرفة إلى غرفة ، ومن مكان إلى مكان ، حياء وخجلا .

فى المآتم

أما عاداتهم فى مآتمهم فكثيرة : منها أن المعزى إذا زار المعزى قابله الأخير برفع يده فيقرآن الفاتحة للميت داعيين له .

ومنها أن تتوارى الزوجة التى مات زوجها عن الناس حتى تنقضى العدة .ومنها أن تقدم القهوة مضافاً اليها شىء من السكر . كما تقدم الأطعمة للمعزين ومنها أن تطول مدة التعزية فربما ظلت الخيام المنصوبة للتعزية شهراً كاملا ، وعلى قصر

المدة وطولها تقاس درجة الميت رفعة وضعة ، ومن العادات الآخذة فى الزوال ، النقر على آلات نحاسية عند وفاة أحد نقرا مزعجاً ، والسودانيون مع هذا ذوو أيمان ورضى يرحبون بقضاء الله ، ويطمئنون إلى قضائه.

* * *

ويوضع المتوفى فى عنكريب(١) . وفى البيوت المحترمة يمنع البكاء على الميت . ولا يغير النساء ملابسهن . بل يبقين سبعة أيام بملابسهن التى كن يلبسنها عند وفاة الميت ثم يبدأن فى تغييرها .

وفى أثناء الأيام السبعة يقوم أهل الميت بنحر الذبائح وإطعام المعزين والفقراء.

الخرافات والأوهام

ويعتقد جمهور فى السودان كما فى مصر بالسحر والعفاريت والجن والمندل والزار والودع والأحجبة .

ويقال إن الزار نقل إلى السودان من مصر — فانتشر فى سواكن وبربر والخرطوم .

لون السودانيين أسود أو يميل إلى السواد . ومساكن الفقراء فى أكواخ مستديرة هرمية كالرؤوس جنوبا ومربعة مسطحة السقوف شمالا .

المرأة السودانية

المرأة السودانية العربية — محترمة جداً عند الزوج تدخل فى الغرفة عقب الزواج تمتد على العنجريب أربعين يوماً لا تتكلم مع زوجها بعد الدخول وربما لعدة شهور تخدم « بضم التاء » ولا تخدم والغنية لا تنتقل من العنجريب ومن غرفتها حتى تلد الولد الأول .

ولها نفوذ ورأى — والطلاق نادر بين العائلات الكبيرة والزواج ببنت العم مشهور — والمقصود من الزواج النسل

وتتعلم المرأة فى الخلوات وهى توجد فى كل قرية حيث يوجد شيخ الخلوة ويعطى لهن دروساً فى حفظ القرآن ومبادىء القراءة والكتابة . وفى أكثر مساجد السودان يخصص الجزء الخلفى من صحن الجامع للنساء المصليات . وهن يؤدين الفرائض خلف المصلين وبينهن وبينهم حاجز خشبى .

(١) سرير من الخشب

وفضيلة الشيخ بابكر بدرى مفتش المعارف سابقاً هو أول من أرسل بناته فى مدرسة البنات التابعة لمصلحة المعارف التى تعلم البنات مجاناً ليكن معلمات وتخرج معلمات لمدارس الخرطوم ، وأم درمان ، وواد مدنى ، والعطبرة

تشتد رغبة أهل السودان اليوم لتعليم فتياتهن ، وقد قرأنا فى أحد أعداد جريدة حضارة السودان فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٥ شكوى من قلة مدارس البنات . وقد كان يتبع انتشار تعليم الصبيان ، رغبة فى تعليم البنات

والفتاة السودانية على جانب كبير من الذكاء ، والاستعداد للأخذ باسباب التعليم الراقى والمدنية لو أتيحت لها الفرصة . ولكن الفرصة غير متاحة لها . ولذلك رسفت فى قيود معينة

وكان من نتائج كثرة المتعلمين تعلماً عصرياً وأوروبياً أن ظهرت عند نفر قليل من الشبان نزعة إلى الحث على سفور المرأة السودانية ومسايرة النهضة النسوية المصرية والشرقية ولكن جرائد السودان ، ومنها مجلة الفجر وجريدة حضارة السودان ، قد سلقت الداعين إلى السفور ومحاكاة المرأة المصرية بألسنة حداد ، وقد احتجوا بآداب الدين الاسلامى والفضائل والأخلاق ، التى ترى فى اختلاط المرأة بالرجل عواقب غير حميدة وفساداً ، وقى الله السودان من شره .

على أن حجاب المرأة السودانية — يشبه حجاب المرأة المصرية — فى انحصاره فى المدن وبين الأسر الكبيرة والعصبيات المعروفة . أما الطبقة الصغيرة ، فقد رأينا نساءها وفتياتها فى الأسواق والحقول وورش تنظيف الصمغ . ومن السودانيين من ينكر أن هؤلاء من صميم أهل السودان ، ويقول إنهن ينتمين إلى الفلاتة والهوسة وبرنو ومهاجرى واداى والحبشة . ولكنى سألت بعض هؤلاء لما سألهن الدكتور محجوب وبعض زملائى فى البعثة ، فكان بعضهن يتكلم العربية الواضحة وله مسحة تخالف مسحة القبائل المهاجرة ، وكن ينسبن أنفسهن إلى قبائل سودانية عربية .

واعتقد أن هذا الموضوع فى حاجة إلى بحث خاص ، لا يتسع له هذا الكتاب

المرأة الجميلة

المرأة الجميلة : — فى السودان هى من كانت ربعة القامة ، طويلة الشعر وغزيرته ، واسعة الجبين ، زجاء الحاجبين ، دعجاء العينين .

وقد تقدم أنه كانت تصاحب الأورط السودانية فرق من النساء ، وكن يقمن بتقديم الغذاء ويعاون الرجال ويشجعنهم فى الحرب ويفخرن ببطولتهم وينقمن على على الجبناء منهم .

ملجأ القرش

منذ أربع سنوات دعا السيد مرغنى حمزة إلى التبرع لملجأ القرش . وقد بلغت التبرعات حوالى الفى جنيه ، وقد وافقت الحكومة على تخصيص المبانى المواجهة للمدرسة الأهلية من الجنوب التى كانت تشغلها الطوبجية المصرية سابقاً للملجأ بايجار إسمى قدره جنيه مصرى لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد . وقد قبل البكباشى محمد نور وكيل مفتش أم درمان سابقاً رياسة اللجنة التنفيذية

وقررت اللجنة التنفيذية إنشاء ملجأ يحتوى على صناعات يتعلمها اليتامى والفقراء

جمعية منع المسكرات

تألفت لجنة مندوبة من أفاضل سكان الخرطوم وأم درمان للبحث فى المسكرات بقصد التقليل منها إذا استحال منعها وقد أطلق محرر الفجر الغراء على هذه الجماعة اسم « جمعية منع المسكرات » من قسمين قسم لا يؤمن بالخمر ولا بفائدتها ويرى وجوب محاربتها فأخذوا على عاتقهم الوعظ ضد الخمر والارشاد لتركها فهذا القسم يسمى بحق قسم الوعظ والارشاد وقد اتصل بنا أن صاحب الفضيلة مفتى السودان يحمل لواء هذا القسم من الجمعية يعضده جماعة من خيرة علمائنا الأفاضل وهم يسعون لتحقيق غرضهم بالدعاية المنحصرة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ورأى القسم الثانى من الجمعية أننا نغالط الحقائق إذا دعونا لمنع الخمر فهى موجودة يتعاطاها البعض رغم تحريمها دينياً وقانونياً فمن العقل ومن الشجاعة أن نسلم بوجودها أولا ثم نسعى لمنعها أو التقليل من ضررها صحياً ومالياً واجتماعياً وطريقة هذا المنع أو التقليل عند هذا القسم تكون بطريق الوعظ والارشاد والقاء المحاضرات التى تبين مضار السكر والادمان فى شرب الخمر

قال الأستاذ مرغنى فى جريدة حضارة السودان بتاريخ ١٤ ربيع الأول :

« تحرم الحكومة تعاطى المشروبات الروحية على الوطنيين مع استثناء طائفة المآمير والضباط وقد صرحت أيضاً بتعاطيها فى بعض نوادى الموظفين مثل نادى

الدامر ومدنى كما سمحت بها لكل أجنبي يسكن السودان من مصرى وسورى وإيطالى ويونانى وغيرهم . وقد صرحت ببيع هذه الخمور للأجانب الذين يحصلون على رخصة نظير دفع ما بين ٢٥ جنيهاً و ٧٥ جنيهاً فى السنة حسب أهمية المركز الذى يفتح فيه المحل

يستورد السودان فى كل عام من المشروبات الروحية ما تقرب قيمته من الخمسين ألف جنيه فاذا قدرنا أن بالسودان عشرة آلاف من الأجانب والوطنيين الذين يبيح لهم القانون شرب الخمر تجد أن متوسط ما يصرفه الواحد خمسة جنيهات فى السنة وهذه نسبة بسيطة إذا عرف القارىء أنها تساوى قيمة عشرة زجاجات من الوسكى ولكننا نعترف بأن جزءاً من الخمرة المستوردة يتسرب إلى أفواه أفراد لا يجوز لهم القانون شربها . ومهما تساهلنا فى التقدير فلا يتجاوز قيمة هذا الجزء عشرة فى المائة من مجموع قيمة الوارد وحينئذ يكون عندنا الف شخص من سكان السودان يتعاطون المشروبات الروحية رغم التحريم . وهذا عدد حتى إذا ضاعفناه بسيط جداً لا يذكر اذا قارناه بعدد الذين يستطيعون شربها ويمتنعون لأسباب أهمها رقابة البوليس . فهذا فوز عظيم للبوليس أورجال الادارة بالسودان فى تنفيذ قانون منع المسكرات ولا نظن أن هناك بلداً آخر يستطيع أن يفاخر بنتيجة كهذه حتى فى منع تعاطى المخدرات

اذا صح ما قدمت من الاحصائيات أمكننا القول بأن عندنا فى السودان ألف شخص يتعاطون المشروبات الروحية فى الخفاء والبوليس يهددهم من وقت لآخر والرأى العام يمقتهم . فهم يشربونها خلسة فى أماكن وبحالة لا يرضون أن تعرف عنهم . فهل هذا العدد يستوجب وجود جمعية لمنع المسكرات ؟ أويجوز التحدث عن المسكرات فى السودان ؟

إن وجود هذه الجمعية يثير ضجة حول المسكرات تكون لها بمثابة دعاية تستميل البعض وتشجع آخرين على المطالبة بإباحتها قانونياً والنتيجة النهائية ستكون وخيمة جداً لا يرضاها حتى الذين يتحمسون للاباحة الآن لأن هناك فريقاً مما له منفعة مادية فى الموضوع . وخطر عظيم فى ترويجها وهو تاجر الخمور الذى سيظهر على المسرح متى صدر القانون بالاباحة ، ويستعمل أساليبه المتعددة لترويج بضاعته وزيادة مبيعاته .

تمر الآن فى طول البلاد وعرضها فلا تقع عينك على إعلانات مهمة تستلفت نظرك عن شرب الخمر إلا راية المريسة . أما إذا أبيحت المشروبات الروحية فسوف لا يغيب عن نظرك منظر جونى وكر بخطوته الواسعة ومنظاره العجيب ذلك الرجل الذى يقال عنه أنه ولد فى أول التركية السابقة ولا يزال قوياً بفضل كأس الوسكى وغيره من أقطاب بنت الحان . وللاعلانات تأثيرها فى انتشار البضائع مهما كانت قوة العوامل المضادة . وحينذاك تدخل الخمرة المنازل فيشربها الرجل وعقيلته والعياذ بالله كما يحصل الآن فى مصر وفى غيرها من البلاد الشرقية

لا نشك أن هناك بعض الطبقات السودانية التى سبق لبعض أفرادها أخذ الكأس الأولى بالرغم من التحريم الدينى والقانونى . فهم يرون أنفسهم أحق من غيرهم فى الحصول على امتياز الاباحة القانونية . فكل ما نقوله لأمثال هذه الطوائف أن تحاول إقناع أفرادها بترك الخمر فاذا عجزت وكان لا بد لها من أن تجاريهم فلها أن تحاول الحصول على امتياز خاص أسوة بالمآمير والضباط مثلا . أما الاباحة العامة ، فيجب أن لا يفكر فيها عاقل يهتم بمراعاة الدين أو الاحتفاظ بالمبادىء السودانية الاجتماعية ، لأن الضرر الذى يعود على البلاد من الاباحة سيكون أبلغ من أى تقدير نتصوره الآن ونحن فى عهد التحريم »

حفلات المولد النبوى

من المجمع عليه أن حفلات المولد النبوى فى السودان يفوق الاهتمام بها فى السودان اهتمام أهل مصر بها ، وذلك لقوة العصبية الدينية والرابطة الاسلامية فى السودان ولأن العامل الدينى يقوم بدور كبير فى كثرة شئون السودان وتاريخه وحفلاته ،

ومما رواه الأديب الشيخ الوقور السيد محمود القبانى عن حفلات المولد النبوى بين فتح محمد على للسودان الى ماقبل الثورة المهدية عن السيد محمد شريف ابن الولى القطب الشيخ نور الدايم ابن القطب الاعظم الشيخ احمد الطيب ناشر الطريقة السمانية فى السودان ومصر قال : « شهدت بنفسى ان السيد احمد العقاد وزع فى ليلة عيد على مائتى شخص من العلماء وأكابر طلبة العلم مائتى كسوة من شكل واحد وقيمة واحدة قفطان وصديرى من الشاهية « اسم للقطنية البلدى المصرية » وثمنها فى الخرطوم ثمانية جنيهات مصرية وجبة من الجوخ أميريالة وقميص طرابزونى وسراويل دبلان وحذاء اصفر «مركوب» وجورب صوف وعمامة بيضاء وطربوش مغربى وطاقية دبلان تلبس تحت الطربوش وكنت استمع له وكأنه اشتم رائحة

ارتياب بدت على وجوه السامعين فأقسم يميناً شرعية وختمها بقوله والله على ما أقول شهيد

وإنى لأقول بانى لم اسمع بمكرمة لقومنا سراة الخرطوم تتجاوز عشر هذا القدر . وكان السيد احمد العقاد مع غناه هذا متصفا بأنه شيخ طريقة أحمدية بيومية تقام الأذكار فى داره العامرة وينفرد فى المولد بخيمة للوجاهة بجانب خيمة التجار وأخرى للطريقة بجانب خيام الطريقة رحمة الله عليه

وفرارا من نقد الناقدين الذين يطلبون بيانا لكل جملة سيما اذا كانت بعيدة عن مدركاتهم فقد لاح لى وأنا أكتب هذا أن بعضهم يجهل أن القطب الكامل الشيخ احمد الطيب ناشر الطريقة السمانية بالسودان ومصر له تلاميذ اعلام فى الديار المصرية وله رحلات متعددة الى القاهرة واتصال وثيق بامراء مصر من المماليك قبل تملك محمدعلى باشا عليها . ولعل كثيرين فى مصر والسودان لايعلمون أن فى بلدة (بلصفورة) بمديرية جرجا زاوية كبرى تقام بين جدرانها أذكار وأوراد الطريقة السمانية وفى احدى زواياها ضريح الولى الصالح (الشيخ شيخون) تلميذ الشيخ أحمد الطيب وخليفته فى مصر العليا

والشيخ شيخون هذا هو الجد الأعلى للمرحوم السيد على يوسف صاحب جريدة المؤيد المعروفة وشيخ السجادة الوفائية رحمة الله عليهم جميعاً

ومنذ الليلة الثالثة عشر تغمرنا افراح متجددة فى الدور فيوم غد عندنا وبعد غد عند العم فلان . ولسنا فرحين بالموائد الفاخرة بل فرحنا الاكبر أن نجلس أو نقف خلف قراء المولد الكبير المسمى « مولد المناوى » المشتمل على أجل وأحسن القصائد النبوية ولا تنتهى تلاوته فى أقل من ست ساعات تكاد تطير أرواحنا منا فنصيح ونتواجد حينما نسمع

قف واستمع ذكر من أنواره سطعت فى الكائنات كشمس فى الضحى لمعت

وكبارنا يتمايلون وبعضهم يصيحون مثلنا ونسمع من صفوف الجالسين والواقفين صيحات « معاد » وصلى الله على محمد حبيبى قرة عينى الشفاعة يارسول الله والنساء الستور يصحن (أنا فى حواك فى جاهك يوم الناس حفايا وعرايا) وهذا نصيب امهاتنا واخواتنا من ذكرى المولد الشريف فى احتفالات المنازل يسمعن سيرة سيد الأنبياء والمرسلين من وراء خدورهن ويبكين من فرحهن ويذكرن القيامة . ولله الحمد والمنة اذ صانهن عن التبذل ونزههن عن غشيان ليالى المولد

فاذا انتهت تلاوة مولد المناوى بعد ست ساعات أنشدت القصائد النبوية وكلها

فى مدائح الذات المحمدية . وسمعت أن فى منزل أحد الذوات لما فرغوا من تلاوة القصة أنشد أحد القراء مترنماً بقول عياض رحمه الله

وبما زادنى شرفا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى وأن صيرت احمد لى نبيا

فتصايح السامعون « معاد معاد » وظلوا كذلك حتى صاح ديك الفجر ثلاثاً وسمعوا أذان الصبح فأدوا الصلاة وانصرفوا . وقد شهدت ليلة ترنم فيها القارىء

صفت الأملاك والبشرى لرسول الله ابى الزهرا

والقوم يصيحون (معاد معاد) صلى الله على محمد أنا فى جاهك يا رسول الله الشفاعة الخ وقد غلبنى النوم بين يدى ذوى فسمعت فى الصباح انهم ظلوا على «معاد» حتى أدوا فريضة الصبح

ومن أشبه الأشياء بموالد الدور التى كانت فى الخرطوم ما كان مواظباً على المحافظة على رسمه المغفور له الوجيه الشيخ الحاج المرضى الخضر عمدة العاصمة « الخرطوم » وعين أعيان سكانها الأقدمين الذى كان يحتفل فى داره بعد الحفل الرسمى بالمولد احتفالا فاخراً كأحسن ما كان يجرى فى دور أعيان الخرطوم القديمة ووجهائه يدعو اليه أكابر وأعيان المدن الثلاث والضواحى وتمد موائد حاوية لكل الأطعمة والألوان من أفخر أنواعها العديدة كما كان فى الخرطوم مع العلم بأنه رحمة الله عليه ينفق عليها أربعة أضعاف ما كان يبذله اولئك المحتفلون فى أزمنة رخاء الأقوات فى الخرطوم القديمة والاحتفال بالمولد الشريف يعقبه حفلان هما الأسراء فى رجب ونصف شعبان فهذه الثلاثة كان المرحوم المرضى الخضر يحافظ عليها ويفرح بها ويبذل فيها ولا ريب انه كان محافظاً على قديمه وما وجد عليه قوميته فى الخرطوم القديمة . وفى أم درمان يحتفظ حضرة مولانا صاحب الفضيلة السيد اسماعيل الأزهرى المفتى السابق بهذه الاحتفالات الثلاثة فى هذا الزمان وفى الأزمنة المخيفة أيضاً

ولست أنسى احتفالات أعيان ضواحى الخرطوم وما كنا نتمتع فيها بالرحلات القصيرة مع ذوينا وما ذلك كله إلا محبة واجلالا وتعظيماً لمن تفضل الله علينا بجعلنا من أمته صلى الله عليه وآله وسلم

فاذا قيل أن الاحتفال بالمولد بدعة استحسنها البعض وخالفهم آخرون فقد حكى أن واحداً من أهل العلم والصلاح كان متردداً أو متشككاً بين الاستحسان والاساءة فرأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام . ورؤيا المنام حق ، كما جاء فى

الحديث الشريف فقال يارسول الله ما ترى فيما نأتيه فى مولدك من هذه المناظر والأعمال فقال (من فرح بنا فرحنا به) وعلى هذا اذا كانت الأغراض هى الفرح والذكرى وبذل البر شكراً لله على حد قوله تعالى « اعملوا آل داود شكراً » فالله تبارك وتعالى لايضيع أجر من أحسن عملا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تدنى بعيدنا من الحضرات الربانية وتذهب بقربنا الى مالا نهاية له من المقامات الاحسانية

ليس فى الخرطوم أنظمة الاكتتابات للمولد : فالتجار يقيمون احتفالهم فى صيوانهم ولهم عوائد أو نذور تقدم إلى صواوين الشيوخ لم أسمع بالنقد فيها وأظن أنها موجودة قطعياً ولكنها سرية فما كنا نسمع أو نرى غير صناديق الشمع والسكر والبن وبهار القرفة والزنجبيل والأرز والسمن والخراف والعجول عدا الأطعمة الموفورة فى الليالى كلها

ومما توضح يفهم القارىء أن الاحتفال بالمولد الشريف يأخذ شكل العيد ولهذا كنا نرى أجواق الطرب والأغانى والعزف بالدفوف والرق والمزمار يدخلون ساحة المولد وقوفاً أمام الصواوين عازفين مغنين ويمنحهم أصحابها أعطية لا بأس بها . فاذا جاءوا أمام صواوين الذكر حولوا أغانيهم إلى مدائح نبوية أو صوفية ونادوا مدد يا جيلانى مدد يا بدوى مدد يا ميرغنى مدد يا ود سحونة وأخذوا يهتفون بذكر الأولياء فيتقدم نحوهم أصحاب الصيوان بالشربات والقهوة وهم وقوف ثم يصلونهم بالفواتح بدل النقود .

تتسامح الحكومة إلى موظفيها اكراما للمولد فيخرجون من مكاتبهم قبل المواعيد المقررة بنحو ساعتين وفى اليوم الأخير بأربع ساعات وفى صباح اليوم البطالة الرسمية وهكذا شأن المدرسة فقد كنا نترك المدرسة بعد أن نتناول طعام الغداء بساعتين إلى ساحة المولد للتمتع بمنظر « لعبة الجريد » التى يشترك فيها عدد غفير من فرسان الأجناد الأتراك والمغاربة والشايقية وقلما تخلف الحكمدار والقناصل عن التمتع بشهودها الممثل للحروب القديمة قبل اختراع النيران فهذا ينهزم بعد أن يصيبه السهم فى النحر وذاك يلتوى إلى باطن الفرس فيمر السهم فى الهواء فاذا غربت الشمس عدنا الى دورنا ريثما نبدل ملابسنا فنعود إلى الصواوين لنتعشى مع ذوينا ونقضى السهرة .

ليس فى موالدنا من الملاهى غير جوقات الطرب التى بينتها ولا نعرف شيئاً

من كشكوش ولا شختك بختك ولا لبس تكسب ولا بندقية وغاية ما عندنا أن موالينا يدخلون بالتوزة أمام الصواوين ويصلهم أسيادها كالجوقات المطربة

تختم الليلة الأخيرة بمظاهر من العظمة يعجز اليراع عن وصف لمحة منها فضلا عن كلها وجل النفقات من خزانة الحكومة ومقررات المولد كانت تقدر بنحو ألف جنيه فى العام ومنها الحفلات التى تقدم ذكرها فى الذكريات السالفة كليالى القدر والمعراج ونصف شعبان وقد احتفظوا أيضاً بالاحتفال بقراءة القصة الشريفة كما يجرى فى مسجد الحسين عليه وعلى آله صلوات الله وسلامه وانما اختلف الوضع ففى القاهرة يحتفل صباح ١٢ ربيع أول بتلاوة القصة الشريفة باللغة التركية وهنا تقرأ فى سلاملك الحكمدارية باللغة العربية وسمعت أن فى أوقات سلفت كانت تقرأ باللغة التركية تبعاً لوجود شخص يجيد هذه اللغة

وخلاصة ما أدونه أن كل شىء يجرى فى الخرطوم كانوا يتوخون فيه محاكاة وتمثيل مايتبع أجراءه فى القاهرة حذو النعل بالنعل(١) حتى فى الملابس والأزياء وإن وجدت اختلافات طفيفة لا مندوحة من وجودها وصفوة ما استخلصته أن المولد النبوى الشريف من أكبر المواسم لرواج الأسواق فى الخرطوم ووسيلة لكسب المعدمين من الأنحاء المجاورة وبعض البعيدة يفد علينا ما لا يعد من المادحين بالطار وبغيره كضرب العصى ويحلق الناس عليهم حول ساحة المولد ليلا ونهاراً فيمطرون عليهم القروش حباً وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكريماً لمن يترنم بمدائحه صلى الله عليه وسلم وإنى لأذكر وأنا صغير احتفاء قومنا وتكريمهم لشخص المادح الصالح الشيخ عبد القادر أبى كساوى الذى كنا نترنم بمدائحه ونحن أطفال لأنه من آداب القومية عندنا أن الترنم بأغانى الحب والأرقاص المائلة لوسطنا الحاضر يعد من أكبر العيوب بل هو الدليل الناطق بفقدان رجولية الصغير والكبير اذ الغناء لا يباشره فى وسطنا غير الجوارى وليس فى جماعتنا حرة تعرف الأغانى اللهم إلا نوع مراثى العظماء والكبراء ونحن إنما نترنم بالمدائح النبوية ليس إلا . سبحان من يغير ولا يتغير جل شأنه . » اه

هذا وفى مولد هذا العام صدرت فتوى من فضيلة شيخ العلماء وندادات منه ومن العلماء وفى الصحافة بتحريم البدع ومنع النساء الوافدات المستهترات من غشيان ساحات الموالد . وقد نفذ ذلك كله

(١) يكثر السودانيون من التعبير بهذه العبارة عن المحاكاة والمشابهة

الفصل الثالث والثلاثون

هجرة المصريين الى السودان

يحملنا على الخوض فى هذا الموضوع ما تردد على ألسنة الكتاب السياسيين وكبار الباحثين المصريين خاصة من أن السودان هو المنفذ الطبيعى الوحيد لمصر ، التى يزداد عدد سكانها ، وتجد فى السودان الواسع القليل السكان ـ المجال الفسيح لنشاط العدد الزائد .

ونحن لا نشارك الباحثين أو المتفائلين آمالهم ـــ لان السودان غاش ونهض ومدن بفضل ملايين الجنيهات التى أنفقتها مصر عليه منذ الفتح حتى الآن . فهو غرم لاغنم . وهو لايزال فى حاجة الى أموال مصر ، وكان ظن بعض الانجليز أن الأموال الانجليزية اذا تدفقت عليه واستغلت فيه ؛ نهض ، وآتت ثمارها أضعافاً مضاعفة. ولكن الأمل قد خاب .

والدليل على ذلك هو أن سكان السودان أنفسهم فى حاجة الى الأموال ، وان انتاج الأراضى ضعيف ، وان الزارع المصرى لا يحفل بالهجرة . وقد رأينا عند عودتنا من السودان ـــ سكان مديرية اسوان الذين غمر الخزان أراضيهم ، آثروا السكنى فوق الجبال والتلال على الانتقال إلى الأراضى الخصبة مع ما أخذوا من تعويض واف . فكيف بفلاح المنوفية والشرقية الخ .

ودون استغلال السودان أجيال وملايين الجنيهات . وقبل هجرة المصريين إليه يجب كفالة حياة مستطاعة لان السودانى العادى يعيش بدوياً راعياً للماشية وبائعاً للجمال وجالباً للصمغ وجامعاً للسمسم . وهذا شىء لايستطيعه الفلاح المصرى والفلاح السودانى لايتعلق بالزراعة تعلق المصرى ، وهى لاتجود بخير كثير

على أن من الممكن استغلال المصريين للسودان تدريجياً ، كأن تشترى الجمعية الزراعية الملكية أطيانا وتصلحها . لكن هذا شىء وهجرة المصريين وملايينهم الى السودان ليحصلو الرزق ويجدوا العيش شىء آخر

واعتقد أن هذه الهجرة أقرب إلى الخيال منها الى الحقيقة . ومن قال غير ذلك فعليه أن يستقرأ التاريخ وأن يزور السودان .

هذا أقوله مخلصاً ومجرداً عن المسألة السياسية التى فيها أيضا عقبة أخرى فى سبيل

هذه الهجرة حتى لو أبيحت . فمن الواجب حل مسألة السودان قبل التفكير فى الاستغلال والهجرة .

نعم إن المصريين كانوا فى السودان - ولكن كانوا يعيشون كالموظفين على أموال حكومتهم أو تجاراً تعاونهم الحكومة المصرية بمالها ونفوذها . وكانت تجارتهم رابحة لاعتمادها على القوافل السودانية وريش النعام والأبنوس والمواشى .

أما بعد السكك الحديدية فقد أضحى ذلك رخيصاً سهلا ، وأصبح فى يد حفنة من التجار الأجانب والسودانيين والمصريين ، مع بقائهم فى العواصم وبغير هجرة مع أسرهم

والمصريون الذين هاجروا قبل الفتح المصرى الأخير وبعده قد اندمجوا فى السودانيين وكانت هجرتهم تدريجية وقليلة وممكنة مع معيشة المصريين نفسها الرخيصة أما مع المدنية الحاضرة فهذا شىء صعب

* * *

وينبغى التنبيه على أن المصريين فى السودان يشملون منذ فتح محمد على الكبير فروعا هى بمثابة الأجزاء للكل تعرف بعنوان المولدين (هذه الكلمة عكس معناها فى مصر) ويندرج تحته المغاربة والعرب المصريون والمصريون الفلاحون والشركس والترك والأرنئوط والأكراد والأقباط بل من بينهم الشوام فان الفاتحين الأولين كانوا من أعراب مصر ومغاربتها والأرنئوط والترك . — انظر تاريخ مصر الحديث — ثم بعد تسريح هؤلاء واعفاء عرب مصر من الخدمة العسكرية أصبح الجنود النظاميون يرسلون الى السودان من الفلاحين وسواهم من المتمصرين كما أصبح الذين يدخلون البلاد بالتجارة وسواها من الأعمال الحرة من المصريين ومن غير المصريين على السواء - والذى أريد إيضاحه هنا هو ما يختص بالمغاربة والعرب الذين قدموا الى السودان ضمن الفاتحين الأول وصاروا فيما بعد يعرفون بالمغاربة جميعهم لانتمائهم إلى قبائل مغربية أصلا واحتفاظهم بعصبيتهم وبدويتهم فى ذلك الوقت مع العلم بأنهم أصبحوا اليوم مصريين وتنوسيت تلك الفوارق إن لم تكن فى الواقع ففى نظر القانون مما جعل الحكومة المصرية فى هذه الأيام تتشبث بتجنيدهم أسوة بغيرهم ويا حبذا لو وفقت لأنهم كما يلوح لى هم عنصر القوة فى مصر

فهم الذين افتتحوا السودان مع الترك وهم الذين صدوا غارة الوهابيين وردوهم عن الحجاز إلى الرياض فى المرة الأولى وهم الذين هددوا الباب العالى مع

ابراهيم باشا الى آخر ما فعلوه مما جعل والى مصر يمنحهم البراءة اعترافاً بالجميل وتقديراً للولاء والاخلاص للوطن - فالمغاربة الذين هم فى السودان هم مصريون بلا شك وإنما احتفظوا بهذا اللقب لأنهم نزحوا من مصر فى وقت كانت الاعراب فيه والمغاربة الضاربون فى مصر يحتفظون بأسماء قبائلهم وأنسابهم — ولقد كانت عراضى (١) المغاربة والعرب نحو ثمانية على ما أتذكر . وهى : - عرضى محمد أغا أبو مطر - عرضى أبو خضرة - عرضى الصهبى - عرضى البصيلى - عرضى الأدغم أبو حليمة - عرضى الأدغم أبو سليمان - عرضى ؟ - عرضى ؟

وهذان الأخيران لا أتذكرهما - وكانت القبائل التى تألفت منها هذه العراضى تكاد تنحصر فى - بنى عون - خويلد - الضعفة - النجمة - محارب - عمائم - الجهمة - أولاد على - الربائع - الجوازيا - الهرازا - التراهنة - سملوس - وأصول هؤلاء يقيمون كما علمنا ذلك من شيوخ السن بالفيوم والغربية والبحيرة والشرقية ومطروح والواحات والجيزة أيضاً وباختصار فإنهم منتشرون فى القطر المصرى كعادتهم ولذلك فان مغاربة السودان هم مصريون قبل أن يكونوا مغاربة . وتعدادهم اليوم بعد حصد الحوادث والكوارث يزيد على الخمسين ألفا وأغلبهم فى مدن السودان كواد مدنى وأم درمان وبربر والقضارف والأبيض الخ وهم أنبل الأسر والقبائل وأشجعهم وأعظمهم حمية وغيرة وأقواهم بأسا بعد كل ما أصابهم - وتاريخهم فى حوادث المهدية وقيامهم فى وجهها سجل لهم فخراً لا يمحى فى الذود عن أعراضهم وضنهم بتعرض البلاد التى فتحها آباؤهم لغوغاء الفتنة . وهم العامل الوحيد فى بقاء سنار بعد استيلاء الدراويش على السودان قاطبة (مصرية) حتى استسلمت أخيراً من طول الحصار . وليست واقعة (أبو شوكة) بمجهولة فقد استبسل فيها مغاربة عصار واستهانوا بالموت حتى صار ذكر اسمهم مما تفزع له الجيوش الجرارة . فقوم هذا شأنهم ومكانهم من التاريخ لا ينبغى إغفالهم . فهم فخر مصر وهم أبناؤها الذين سجلوا لها حقها بدمائهم مما كان يجوز عليهم هذا الاغفال لمجرد أنهم يعرفون بالمغاربة وهم مصريون دماً ولحماً ولقد زار أديب سودانى مصرى سنة ١٩٣٢ وقصد الى بلدة بسيون بمديرية الغربية وكان يعتقد أنه يجد اسم المغاربة هناك ضارباً

(١) عراض بفتح العين جمع (عرضى) بضم العين وسكون الراء وهو يقابل لفظة أورط ولكن عدد العرضى مابين الثلاثمائة والأربعمائة من بينهم السناجق — أى الضباط

وأن لهم طابعا مخصوصا فما أدهشه إلا انه وجد جميع القبائل تمصرت وصارت أمة واحدة فى الأمصار وفى البوادى تعرف باسم عرب مصر وهنا تجد مثالا ناطقاً بذلك

وعندما استقبل فضيلة الشيخ مدثر على البوشى القاضى الشرعى بواد مدنى خليفة جده الشيخ البسيونى ، وهو الأستاذ الشريف بدر بن مصطفى بن بدر بن مصطفى المقيم ببسيون قال : « انى أنا مدثر بن على بن محمد أبو النجا بن أحمد بن مصطفى يرتقى نسبى الى الشيخ أبى النجا الشهير ومنه الى سيدى أحمد بن عيسى عم الشيخ اسماعيل البسيونى مؤسس البلدة ومن ثم الى الشريف ابراهيم العلوانى التونسى فنحن مغاربة وينبغى أن نعرف بذلك فما لى لا أرى الحالة التى كان عليها أباؤنا الذين فتحوا السودان ؟ فقال له الخليفة هل ترى أن الذى يسكن فى بلد نحو سبعمائة سنة ينكر وطنه ليضاف الى وطن يرجع اليه نسبه قبل هذا التاريخ ولماذا لا نقول نحن حجازيون أو يمانيون مثلا — فكان ذلك جواباً مسكتاً بليغاً — فالحقيقة أن من سكن منهم الأمصار تمصر أى أنه لاينسب إلا الى مصر ومن سكن منهم البادية صار من أعراب مصر . هذا ولولا حادث المهدية لكان تعداد هؤلاء المغاربة بالسودان يربو على مائة ألف نفس بلاشك — واذكر ان أغلب من شاهدتهم فى واد مدنى والقضارف وام درمان من البيض فى رحلتنا هم من هؤلاء — وبالنسبة لأن الشيخ البسيونى من ذرية الشيخ محمد أبو النجا البسيونى وهم يعلمون ذلك فقد صارت زعامتهم لدى تابعيهم من العهد الأول الى اليوم — لأن الزعامة عندهم تتبع الدين . وقد أحضروه معهم تيمناً وتبركاً وحاولوا إخفاء اسمه تحت لقب البوشى — والبوشى هذا من ضئولته — حتى يعموا على أهله الذين كانوا جادين فى طلبه ثم صارت البوشى علماً عليه .

ينبغى أن يعلم أن هناك قبيلتين أحدهما بدوية تسكن بين النيل الأزرق ونهر عطبرا ، وعددها نحو أربعين ألفا والثانية تسكن فى قرى كثيرة وسط الجزيرة بمركز المناقل وعدد أفرادها نحو خمس وعشرين ألفا وكلتا القبيلتان تعرفان باسم المغاربة ولكن تاريخهما فى السودان يرجع إلى خمسمائة عام وهما كغيرهما لا يعرف من أين جاء للسودان هل من مصر أو طرابلس — وهاتان القبيلتان غير من عنينا أولا —

فقد شاهدت فى الفلاحين قبلى وبحرى مصر العرب مثل الرواشدة والحمدة وبنى هلبة وسليم وكنانة الخ وكلهم موجودون بالسودان اليوم ولا طريق لهم للهجرة

ولنرجع إلى ما قلناه أولا عن المصريين أى نصف المليون فكلهم يحتفظون بأسماء عوائلهم وبلادهم ودماؤهم التى فى عروقهم تنم عن ذلك وهم فى الغالب سكان الأمصار والقرى العامرة بالسودان ونسبتهم فيها مابين الثلث والثلثين على الدوام

لقد مضى على مجىء السيد أحمد مصطفى أبو النجا (المعروف بالبوشى) نحو ١٢٠ سنة تقريباً وذريته الذين هم على قيد الحياة اليوم أكثر من ٣٠٠ نفس بعد كل ما حصل لهم من نكبات فى تطورات السودان التى يمكننا أن نقول أنها انتهت اليوم — ولقد مضى على قدوم جد البوشى الأكبر إلى مصر من تونس نحو سبعمائة سنة ٧٠٠عام تقريباً وذرية أحد بناته ببلدة بسيون حتى سنة ١٩٣٢ ٣٠٠٠ نفس كما علم ذلك من خليفتهم

رأى سمو الامير عمر طوسون

ماجاء فى خاتمة كتاب (مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن(١)) متعلقاً بمصر والسودان تأليف حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون مايلى :

«إن مساحة الاراضى القابلة للزراعة فى القطر المصرى هى ٧ر١٠٠ر٠٠٠ فدان عدا ٢٠٠ر٠٠٠ فدان تربى فيها الأسماك . والمقدار الأول قسمان :

١ — ٥ر٦٠٠ر٠٠٠ فدان تجبى منها الضرائب باعتبار أنها مزروعة

٢ — ١ر٥٠٠ر٠٠٠ فدان غير مزروعة الان وقابلة للزراعة فى المستقبل

وجملة سكان مصر حسب احصاء سنة ١٩١٧ م هى ١٢ر٧١٨ر٢٥٥ شخصا فيكون لكل فدان شخصان وربع . وأكثر المديريات سكانا بالنسبة لمساحتها مديرية المنوفية اذ يخص كل ثلاثة من سكانها فدان واحد وما زال عدد السكان منذ احصاء سنة ١٩١٧ م فى ازدياد مطرد . فاذا تركنا سنى الحرب الاستثنائية جانباً نجد زيادة عدد المواليد على عدد الوفيات فى سنة ١٩٢١ م حسب تقدير مصلحة الاحصاء بلغت ٢٢٤ر٤٥٩ وفى سنة ١٩٢٢ ٢٤٣ر٥٣٦ نسمة

وكلما زاد عدد السكان كثر ازدياد عدد المواليد على عدد الوفيات طبعاً . ولا ريب عندنا فى أن متوسط هذه الزيادة يبلغ سنوياً ٢٥٠ر٠٠٠ بدون أدنى مبالغة

وليس فى مديرية المنوفية - وهى أخصب أرض مصر - قطعة لاتزرع ومع ذلك فكثير من سكانها يهاجرون لأنهم لايجدون مايقوم بمعيشتهم فيها . على أننا

(١) الكتاب وضع قبل تعداد النفوس سنة ١٩٢٧

مع هذا نسلم بقاعدة كفاية الفدان الواحد من كل أرض زراعية فى مصر لمتوسط معيشة ثلاثة أشخاص فنقول بناء على هذه القاعدة :

أن الأرض المزروعة فى مصر ومقدارها ٥٫٦٠٠٫٠٠٠ فدان تكفى لمعيشة ١٦٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة . وبعد تعداد النفوس سنة ١٩١٧م بلغ مجموع زيادة المواليد على الوفيات ٨٧١٫٧٧٠ بتقدير مصلحة الاحصاء . فإذا أضفنا إلى ذلك زيادة سنة ١٩٢٣م ومقدارها ٢٥٠٫٠٠٠ وأضفنا المجموع الى احصاء سنه ١٩١٧م يكون عدد السكان فى نهاية سنة ١٩٢٣م ١٣٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة . وبطرحه من ١٦٫٨٠٠٫٠٠٩ نسمة وهو العدد اللازم لاستثمار المساحة المقرر عليها ضرائب يكون الباقى ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة وهو عجز يسد بزيادة السكان السنوية . فاذا سلم لنا أنها ٣٥٠٫٠٠٠ سنوياً يتلاشى هذا العجز بعد اثنى عشرة سنة على أننا نقول أن عشر سنوات فقط تكفى لذلك اذا جرت الأمور فى مجراها الطبيعى

واذا أعدت المساحة غير المزروعة الان للزراعة وهى تشمل الجزء الشمالى واقليم البحيرات للدلتا ومقدارها كما مر ١٫٥٠٠٫٠٠٠ لزمها من السكان ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ وهو مقدار يتلاشى بزيادة السكان فى مدى ثمانى عشرة سنة فتكون السنوات اللازمة لملاشاة العجز كله ثلاثين سنة أو بالحرى خمساً وعشرين سنة أى ربع قرن أو نصف العمر الغالب للانسان . وعلى ذلك نجد أنفسنا أمام احدى حالتين وهما

الأولى : اذا لم تجفف مياه اقليم البحيرات ولم يعد للزراعة وصلنا الى آخر حد لاستطاعة القطر تحمل سكانه فى مدة اثنتى عشرة سنة على الأكثر

الثانية : اذا جففت مياهه وأعد للزراعة وصلنا الى الحد المذكور فى مدة ثلاثين سنة على الأكثر

وهاتان المدتان حتى أطولها أقرب الينا من حبل الوريد . ومعظم النسل الحاضر سيرى بعينى رأسه انقضاء هذه السنين. فماذا نصنع يومئذ والزيادة مستمرة فى السكان

لاريب أنه يجب علينا منذ الآن التفكير فى حل لهذه المعضلة الاجتماعية المتوقعة وهو ما سنفرد له هذا البحث :

الجزء المروى أو الممكن ريه من القطر المصرى على شكل شريط طويل دقيق ينتهى طرفه الشمالى بشكل مروحة عند البحر الأبيض المتوسط وهذه هى التى تسمى الدلتا

وهذا الجزء المروى يحد بصحراء العرب شرقاً وصحراء لوبية غرباً . وليس فى الامكان رى أرض الصحراوين المذكورتين بماء النيل لارتفاعها وعدم استواء سطحها فيستمر جدبها لهذا العائق الذى لا يمكن تذليله إلى ماشاء الله . ومن المستعمل فى مصر الانتفاع بارض لا يرويها النيل . فليس هناك احتمال لتوسع زراعى من هاتين الجهتين

وفى الجهة الشمالية البحر . فاذا وجهنا زيادة عدد سكاننا الى هذه الوجهة وافترضنا ارتحالها الى ماوراء البحار وتركنا جانباً كراهة المصرى الغربة فاننا لانجد ما يحقق لها أى رغد من العيش للبون الشاسع بين البلادين مناخاً وطبيعة وجنسية ولغة وديانة . فهذه الجهة فى حكم المسدودة

أما المورد الصناعى للمعيشة ففضلا عن أن مصر تنقصها المواد الأولية لتكون الصناعة فيها زاهرة يانعة فانه مورد محدود من المستحيل أن ينتفع به عدد عظيم من السكان فى مصر . ولنفرض أنهم نصف مليون فانه يستغرق بزيادة السكان فى مدى أربع سنوات فقط ، ومتى انقضى هذا الأجل القصير نجد أنفسنا أمام المعضلة بعينها من جديد

وحاشا أن نقصد تثبيط الهمم عن الصناعة بهذا الكلام وإنما القصد فقط بيان عدم كفاية هذا المورد . وأنه لا يحل المشكل الذى نحن بازائه

فالمنفذ الوحيد المفتوح أمامنا هو جهة الجنوب حيث يوجد إقليم واسع ذو سكان قليلى العدد وأرض من طبيعة أرض مصر تروى بنفس النيل ولا يفصلها أى فاصل . بل هى ومصر جسم واحد

وإقليم كهذا حالته المعيشية وثمار أرضه مماثلة لقطرنا المصريون وحدهم هم الذين فى استطاعتهم جعله فى حالة سعادة ورفاهية

وبالاختصار هو بيئة مناسبة لأمزجة المصريين على قدر ما هم أنفسهم موافقون لهذه البيئة . وهو الذى يسع الزيادة المستمرة لسكان مصر مدى مائة عام بدون أدنى مضايقة

فالسودان هو باب السلام الوحيد الذى ظل مفتوحاً لمصر على مصراعيه منذ الأزمان الخالية ويجب أن يبقى كذلك إلى الأبد لأنه لازم لها لزوم الروح للجسد

وإلى هذا الغرض يجب أن تصوب جميع جهود الذين فى يدهم حظ مصر وفى قلبهم يضمرون لها النفع والمصلحة ، اه

رأى المؤلف

نشرت جريدة « السودان » الغراء حديثاً للمؤلف فى هذا الصدد جاء فيه :

لقد تألفت لجنة من أعضاء البعثة المصرية فى السودان ومن ذوى الأملاك به للسعى لتأليف شركة ذراعية من المصريين واخوانهم السودانيين لاستغلال الأراضى الزراعية الخصبة فى السودان

ولقد اطلعت على بحث لحضرة الفاضل المسيو عزيز كفورى يقترح فيه أن يكون رأس مال الشركة ٥٠٠ر٠٠٠ جنيه تدفع منها فى البداية ٢٠٠ر٠٠٠ جنيه وأن تجعل نشاطها الزراعى فى منطقة الخرطوم بحرى تفضيلا على مناطق شندى وبربر ودنقلة

إن شراء المصريين أراضى فى السودان واستغلالها يجب أن لاينظر اليه فقط من الناحية المادية . وإنما يجب أن ينظر اليه من الوجهة الأدبية - وجهة توثيق العلاقات الودية بين مصر والسودان وتعاون سكان القطرين فى أسباب المنافع الحيوية

وانى أعتقد أنه يجب أن تشترك الجمعية الزراعية الملكية (١) فى كل استغلال للأراضى السودانية . اذا ما انتهى الأمر الى تأليف الشركة المصرية السودانية . وأن يكون عمل الجمعية الزراعية التمهيد لهذه الشركة وتجربة استغلال رؤوس الأموال المصرية واستغلال الكفايات المصرية الفنية فى السودان . وذلك بأن توفد الجمعية نفراً من خريجى المدارس الزراعية الى حقول للتجارب تعد عدتها قبل سفرهم

وبين المسائل التى تعترض استغلال المصريين أموالهم زراعياً فى السودان ، نوع الزراعة ، لأنه ليس بالمصريين حاجة لزراعة القطن فهى فى مصر وافرة ، وقد تكون زراعة الحبوب هى أول مايجب أن يتجه اليه بحث الباحث فى استغلال الأموال والعقول المصرية

وكيفما كان الرأى فى هذا الصدد . فانه مما لاشك فيه أن هذه المسألة دقيقة وفى حاجة إلى بحوث اضافية . نرجو من ورائها خيراً للمصريين واخوانهم السودانيين

(١) قررت الجمعية الزراعية الملكية اخيراً ندب خبيرين زراعيين من قبلها لمعاينة أراضى السودان

الفصل الرابع والثلاثون

مستقبل السودان

يهم القارىء أن يتنبأ بما عسى أن يكون عليه السودان فى المستقبل ، أو ماهو المستقبل المنتظر للسودان . ويجب التفريق بين الأمانى والوقائع الراهنة والحقائق الواقعة : فمن جهة الأمانى ، فانها قد تتعدد : فلمصر أمانى نحو السودان ، وأمانيها معروفة وهو بقاء السودان مع مصر لأن النيل قد جعل منهما بلاداً متماثلة وسكانا متشابهين ، وهذا يقع تحت شعار « الاستقلال التام لمصر والسودان » وهو مطلب من مطالب الحركة الوطنية ، وقد فشلت المفاوضات بين انجلترا ومصر فى سبيل السعى لتحقيقه جزئياً كان أم كلياً

وهناك أمانى الانجليز ، وهى تفهم أو يحاول الانسان أن يفهمها من سياسة الانجليز فى استعمار إفريقيا ، وفى مواصلات الامبراطورية وفى قناة السويس وفى مصر وفى السيطرة على منابع النيل ، وفى رغبتهم فى التوسع الزراعى فى مساحات القطن ، وفى احاديثهم فى المفاوضات الرسمية وفى كشف منابع النيل وحكم بلاده والايعاز إلى الخديو اسماعيل بتعيين غوردون حاكما مستقلا على خط الاستواء فحكماً لعموم السودان ، فمنتدبا لاخلائه ، فاستعادة السودان بقيادة كتشنر باشا واشتراك الجنود الانجليزية مع الجيش المصرى فسياسة الحكم فى السودان التى بدأت باتفاقية سنة ١٨٩٩ وانتهت فى سنة ١٩٢٤ باخراج الجيش المصرى ، وفى أقوال الصحف الانجليزية والمؤلفين الانجليز عن السودان ، وفى اهتمام انجلترا بالحبشة ومنافستها لايطاليا وفرنسا فى الاستعمار

على متكشف نيات انجلترا أن يدرس هذه العوامل مجتمعة . وإذا أخذنا بالواقع وحده ، ألفينا انجلترا منفردة فعلا بحكم السودان ، فالحاكم العام من كبار الانجليز وأعضاء مجلس الحاكم وكبار الموظفين من مديرى المديريات ومديرى المصالح والمفتشين — جميعاً من الانجليز — والحكم الثنائى فى السودان — وهو اشتراك مصر مع انجلترا — ليس لمصر من مظاهره إلا تعيين الحاكم العام بمرسوم ورفع العلم المصرى إلى جانب العلم الانجليزى على دواوين الحكومة فى السودان ،

وحكومة السودان تسير على قوانين وقواعد وطرائق لا ترجع فيها إلى مصر ، بينما ترجع إلى المندوب السامى البريطانى فى مصر وهو فى الوقت ذاته مندوب سام فى السودان ورئيس مباشر للحاكم العام ، والمندوب السامى نفسه تابع لوزارة الخارجية البريطانية . وقد جاء فى كتاب « السودان الانجليزى المصرى » تأليف سير هارولد ماكميكل السكرتير الإدارى لحكومة السودان سابقاً ، والحاكم العام لتنجانيقا حالا » ـ قال فى الفصل الثالث والعشرين ص ٢٧١ : « أحياناً يوجه هذا السؤال : ماهى فائدة السودان لبريطانيا العظمى ؟ والجواب على ذلك هو أن بريطانيا العظمى



سير مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى
فى مصر من سنة ١٩٣٤ ـ إلى الآن

قد قبلت مسئوليات جسيمة بصفتها ضامنة للقروض التى عقدت فى سبيل تقدم السودان ولأن هناك ملايين الجنيهات من رؤوس الأموال البريطانية موظفة فيه ـ هذا من الوجهة المادية ، ومن الوجهة الحربية فان للسودان موقعاً مهماً ، فله ٤٥٠ ميلا على ساحل البحر الأحمر وله ثغر قيم فى الطريق إلى الهند ، وحده الشمالى متطابق مع الحد الجنوبى لمصر . وما دامت بريطانيا العظمى تحتفظ بمصلحة خاصة فى رخاء مصر ، فان جعلها آمنة من الاعتداء عليها وكافلة حسن إدارة ماء الرى التى تحيا به ـ

فان رقابتنا على السودان « حكمنا له » مسألة أساسية . وأن عودة الفوضى إلى السودان أو عدم كفاءة الحكم فيه ، لابد أن يكون لها من الوجهتين السياسية والحيوية « أى حياة البلاد » ـ نتائج عاجلة تحس بها البلاد المحيطة بالسودان ، وتتعرض سعادتهم للخطر ، ويتأخر تقدم مدنيتهم بسبب ترك منطقة مركزية واسعة للفوضى وتجارة الرقيق والأمراض »

« ونصيب السودان فى انتاج المواد الخام والقطن المصرى طويل الفتلة والصمغ والزيوت النباتية ـ يعد قليلا بالنسبة للانتاج العالمى من ذلك . كما أن القوة الشرائية ليست كبيرة على أنه بعودة الانتعاش التدريجى فى التجارة العالمية فان السودان محكوما ببريطانيا العظمى سيتقدم ـــ كبلد مستورد ومصدر ـــ كلما زاد عدد سكانه وطرق مواصلاته »

ثم تساءل مستر ماكميكل عن « إذا كانت بريطانيا لاتخسر ماديا بفقدها السودان ـ فهل لايكون هناك سبب فى مواصلتها احتلاله » . وقد رد على هذه النقطة بأنه عند هذا السؤال يقوم سؤال آخر وهو هل يبرر لبريطانيا العظمى ، من الوجهة الأدبية ، أن تتركه . وقال: « لاشك فى أن هذا يتوقف على مايؤول إليه أمر السودان بعد تركه ، والفرصة التى تتاح لأهله ليتمتعوا بحكومة طيبة . إنه لايزال بعيداً ذلك اليوم الذى تتألف فيه أمة واحدة من أقوام السودان غير المتجانسة وتحكمها حكومة وطنية واحدة سواء أكانت أوتقراطية « أى حاكم مطلق مستبد بالحكم » ، أم حكومة أعيان « الخاصة » ، أم ديموقراطية . قد يكون من الممكن أن تتوحد المديريات المتعربة الشمالية فى وقت قريب ، ولكن سكانها ، إذا نظر اليهم كوحدة سياسية ، فانهم لا يزالون فى بداية تألفهم ولا بد من مضى بعض أجيال قبل عمل تجربة على هذا النحو واحتمال مسئوليتها . وفى الوقت ذاته قد أخذت بريطانيا العظمى على عاتقها مسئولية العمل فى سبيل سعادة السودانيين من عرب فى الشمال ومتوحشين لادينيين فى الجنوب ، وهى لاتستطيع أن تتخلى عما أؤتمنت عليه ، ولا أن تسلمه لمن ليس صالحاً بسبب طبيعة جنسه وعدم اختباره العملى لكى يتولى أمره »

وقال مستر رامزى ماكدونالد فى خطاب له نشرته جريدة التيمس فى عددها الصادر فى ٢٦ مايو سنة ١٩٣٠ ، عن حكم بريطانيا للمستعمرات مايلى :

« لقد تعهدنا بأن نعنى بأمر أناس لم يستطيعوا أن يتولوا أمر أنفسهم ، فقد

كانوا هدفاً لحرب داخلية أو لأساليب من الحكم حرمتهم من منافع المدنية . ولذلك ألقيت علينا واجبات نحوهم »

ثم قال : « على أن ذلك لا يعنى انحرافنا عن تحقيق أمنية الحكم الذاتى »

وقد علق مستر ما كميكل على هذه العبارة فقال : « إن ذلك يجرنا إلى ذلك السؤال - ماذا عسى أن يكون مستقبل السودان ؟ » فقال : « إن أعظم الناس إيماناً بالأنبياء والنبوءات لابد أن يتردد فى إعطاء جواب صريح : على أنه ممكن أن يقال بشىء من التأكيد إن مستقبل السودان سوف يتعين - إلى حد كبير - بالاتجاه السياسى العام ، بالسياسة التى توضع فى انجلترا أكثر مما يتعين بحصول حوادث خاصة فى السودان ، ومن ذا الذى يستطيع أن يقول أن الحكم الذاتى سيكون حقيقة عامة مقررة مقبولة كشىء بديهى فى وقت قريب ؟ . ليس من السهل أن نتنبأ بما عسى أن تفضى اليه أساليب الحكم من مبادىء المحافظين والأحرار والاشتراكيين فلكل حكم مبادئه ويومه وليس نوع الحكم بشىء خالد . وفى كل لحظة قد يحدث ما يدعو إلى اتخاذ قرار يعد انحرافاً عن الطريق المرسوم للسودان كأن يكون اندماجاً له أو لجزء منه فى الأمبراطورية أو مؤدياً به إلى الاستقلال أو إلى العبودية أو إلى الفوضى ومعنى ذلك إنه غير ممكن التنبؤ بأى قرار يتخذ فى صدد السودان ، ومتى يصدر هذا القرار

« لقد قالت جريدة النيرايست والهند فى عددها الصادر بتاريخ ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٣ « إن علاقة بريطانيا العظمى بالسودان يجب أن لا توزن بالموازين التجارية » والحق ان الاعتبارات المادية هى ثانوية فى الأهمية ويجب أن لا تؤثر فى الاعتبارات الأولية . إن السودان مدين بمبلغ غير محدود لمصر بسبب المبالغ التى اقترضها من وقت لآخر للقيام بمشروعات أوجبها تقدمه فيجب تسوية هذا الدين وشروط تسديده . إن مصر تمنح السودان سنويا إعانة قدرها ٧٥٠ ألف جنيه وبدونها لا يستطيع أن يوازن ميزانيته . فيجب أن تتخذ إجراءات من شأنها إما كفالة (١) استمرار هذه الاعانة ، وإما باتخاذ وسيلة لايجاد المال . إن على طرفى الحكم الثنائى - وهما مصر وانجلترا - ضمان استمرار المساعدة التى يقدمانها للسودان

(١) لقد أثارت مناقشات البرلمان المصرى والصحف حول الكف عن دفع هذا المبلغ قلق ولاة الأمور فى السودان وانجلترا خشية أن تقرر مصر يوما ما الامساك عن دفع هذا المبلغ فيستهدف السودان لخطر

حتى تصبح مالية السودان فى غنى عن هذه المساعدة . وإذا كانت مصر لا تدفع نصيبها من هذه المساعدة فانه سيقع على بريطانيا العظمى عبء غير عادل فى هذا الصدد »

***

قال سير مكمايكل :

«انتصرت القوات البريطانية المصرية على جيش الخليفة فى (كررى) ثم أوقعت به وبالبقية الباقية من أنصاره فى (جديد) فتم لها الفتح العسكرى وسلمت جميع مديريات السودان لقواد الجيش الفاتح باسم (الجناب العالى الخديوى) . وكاد السردار يصطدم بقوة عسكرية فرنسية بقيادة الماجور مارشان فى (فشودة) ولكن حلت المسألة دبلوماسياً وعاد الفرنسيون أدراجهم . وهرب الأمير على دينار بن الأمير ز كريا بن السلطان محمد الفضل الفوراوى إلى الفاشر فوضع يده على ملك أجداده واعترفت له الحكومة الجديدة بهذا الملك لقاء جزية ليست ثقيلة يدفعها غير صاغر ويسوس ملكه كيف شاء داخل حدود بلاده .

حلت بهذا العقدة العسكرية . ولكن بقيت العقدة السياسية الدولية ولم تكن بالهينة ولكن (كرومر) حلال المشكلات ما كان لتقعده مثلها .

كان (السودان وسواحل البحر الأحمر) أعنى السودان الحالى واريتريه وهرر وزيلع وبربرة وماجاورها وجزءاً من أوغندا من أملاك (الجناب العالى الخديوى) وكان هذا بدوره يدين بالسيادة ويؤدى الجزية (لسلطان البرين وخاقان البحرين أمير المؤمنين) السلطان العثمانى ولم يكن لخديوى مصر سيادة معدودة دولياً منفصلة عن سيادة (الباب العالى) فلم يكن بمصر سفراء ولم يكن لها مفوضيات فى الخارج ولكن مصر فقدت السودان بفوز الثوار من أهله على سلطانها بل ان توفيق باشا أعطى غوردون باشاً (فرماناً) يعترف فيه بأنه قدأعاد السودان إلى أهله من أبناء البيوت المالكة القديمة . وهذا نزول على كل حال . ثم أعيد فتح السودان بجيش مصرى جديد دربه البريطانيون مدة الثلاثة عشر عاماً التى تلت سقوط الخرطوم وعاونته فى ذلك جيوش بريطانية صرفه . هذا بعد أن عمت الفوضى أرجاءه وفشل بنوه فى الاحتفاظ بملكهم الذى شادوه على الرماح يدفعهم حماس دينى وقومى عظيم . لكن تنقصهم الحنكة السياسية وتنقصهم وحدة الكلمة ، وغشى الجهل على

عيونهم وذهبت الحروب الداخلية والغزوات والأوبئة والمجاعات بسبعة أثمان سكان السودان على أقل تقدير

وبريطانيا العظمى التى احتلت مصر احتلالا عسكرياً وتولت ارشاد ولى الأمر فيها إلى أن أنقذتها من الافلاس أولا ثم خلفت لها جيشاً استعادت به مديريات السودان ، سوى ما اقتطعته إيطاليا وسواها ، والتى اشتركت بالرأى وبالمال وبالرجال . والتى حملت على عاتقها عبء الدفاع عن مصر فى الداخل والخارج . بديهى أن تكون بريطانيا العظمى هى المكلفة بحل العقدة مادام بيدها الحل والعقد هنا وهناك . فكيف تفعل بين هذه القوى والحقوق المتضاربة ؟ وكانت العقدة المثلثة تتلخص فى : —

(١) استحالة السماح لمصر بالتصرف المطلق فى السودان « والعودة إلى سوء الادارة القديمة »

(٢) استحالة السماح لدولة أجنبية بأن تتسيطر على جزء من حوض النيل حرصاً على « مصالح مصر وبريطانيا معا »

(٣) عدم الرغبة فى ضم السودان إلى الأملاك البريطانية اعترافاً بما لمصر من حق ودرءاً للمشاكل الدولية وخصوصا مع فرنسا التى كانت ذكرى حادثة فاشودة لم تزل شجى فى حلقها » .

ثم يقول المؤلف فى ص ٦٣ :

« لم يكن لبريطانيا العظمى بد من أن تتكفل بالواجب المزدوج فتقضى على الخطر السودانى الذى يهدد مصر وأن تحول دون الدول الأخرى ودون امتلاك السودان فتهدد بذلك مصر . وكان هذا مسوغا كافيا لها بأن تستخدم فى سبيل ذلك الجند المصرى الذى دربته وأمدته بالضباط وموارد مصر المادية التى أعادت لها الحياة كما استخدمت أيضا رجالها ومالها هى . لقد كان سبب الاضطرابات من عمل مصر وكانت مصر هى أكثر الناس استفادة من زوالها .

« لقد انفقت الخزانة البريطانية من عام ١٨٨٢ الى عام ١٨٨٥ ثلاثة عشر مليوناً (من الجنيهات) على الحملات العسكرية فى السودان ومات أو قتل نحو ألفى ضابط وجندى من البريطانيين وأخرج من الخدمة لعدم اللياقة الطبية نحو ٧٠٠٠ من جراء الأعمال الحربية بمصر والسودان . وعندما سحبت الجنود البريطانية والهندية من سواكن عام ١٨٨٦ تولت الحكومة البريطانية نفقات الحامية المصرية

التى تركت هناك . وقد بلغت جملة نفقات الحملة من عام ١٨٩٦ الى عام ١٨٩٨ نحو مليونين ونصف مليون بذلت الخزانة البريطانية منها ٨٠٠ ألف . »

فكان من المحتم لحل العقدة أن يكون لبريطانيا العظمى نفوذ شرعى فى البلاد وأن يكون نفوذها هو الأعلى وذلك بدون احتياج الى ضم البلاد الى أملاك التاج البريطانى للأسباب التى تقدمت . أو باختصار أرادت بريطانيا أن تكون الوصية على السودان وان كانت لفظة « وصاية » لم تدخل فى قاموس السياسة الدولية الى ذلك الحين فابتدعت المعاهدة الثنائية التى أوجدت سيادة جديدة فى الفقه الدولى مستمدة من أكثر من سيد واحد وخارجة عن نطاق ملك السيدين جميعاً وهو ماعرف باسم (كندومينيوم) Condominium أو ملك مشترك ويقول ارل كرومر خالق هذا الشىء الجديد : —

« بهذا الشكل ولد السودان الجديد وقد رزق قوة كافية للبقاء . على أنه كان بحكم الضرورة وليد مراعاة الظروف ، فاذا مات (الطفل) فى المستقبل وحل محله مخلوق سياسى أقوى منه بنية بسبب كونه أقرب الى عالم الحقائق فليس لموجوديه أن يبكوا مصيره »

وهنا نتساءل نحن هل مازال هذا الطفل قوياً أم هو يحتضر ليخلى المكان للمخلوق الجديد القوى ؟

* * *

ثم يقول ماكيكل : « ولا يتسع المجال لايراد معاهدة ١٨٩٩ هنا بالحرف ولا داعى لذلك فهى موجودة فى كثير من المراجع بالانجليزية والعربية ويكفى أن نمر على موادها مروراً يوضح لنا ما ذكرنا فى هذا الباب . ففى ديباجة الاتفاقية :

« اتفاق مبرم بين الحكومة البريطانية وحكومة خديوى مصر بشأن ادارة السودان فى المستقبل » . . . ثم :

« حيث أن بعض مديريات السودان كانت قد ثارت ضد سلطة الجناب العالى الخديوى وأعيد الان فتحها بجهود مشتركة حربياً ومالياً بين حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وحكومة الجناب العالى الخديوى ،

« وحيث أنه قد تحتم تقرير نظام لادارة تلك المديريات المعاد افتتاحها ولسن القوانين لها مع النظر الى حالة التأخر وعدم الاستقرار التى تسود أجزاء كبيرة منها واختلاف حاجات الجهات المختلفة ،

« وحيث أنه يراد الاعتراف بالحقوق التى آلت لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية بحق الفتح حتى تشترك فى وضع التسوية الحالية وسيرها وتطورها فى المستقبل . . . .

« لذلك قد حصل الاتفاق . . . . الخ »

« ومواد الاتفاقية اثنتا عشر تنص على : (١) حدود السودان (٢) رفع العلمين البريطانى والمصرى فى جميع جهاته براً وبحراً (٣) تمركز السلطتين المدنية والعسكرية فى يد موظف واحد هو الحاكم العام للسودان الذى يعينه خديوى مصر بناء على تزكية الحكومة البريطانية ولا يمكن اقالته الا بمرسوم خديوى بموافقة الحكومة البريطانية . (٤) أن للحاكم حق التشريع المطلق (٥) ألا تسرى أية قوانين مصرية على السودان (٦) ألا يعطى أى امتياز خاص لأى فئة من الأجانب دون غيرها بشأن الاقامة والايجار الخ . . . (٧) إعفاء الواردات المصرية من المكوس وتحديد رسوم الصادر والوارد (٨) ألا تسرى أحكام المحاكم المختلطة ولا يعترف بها بأى وجه فى السودان (٩) الى أن يصدر اعلان بهذا الصدد يكون السودان تحت الحكم العسكرى (١٠) ألا يسمح بتعيين قناصل أو وكلاء للدول بالسودان بدون موافقة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية (١١) تحريم النخاسة (١٢) سريان اتفاقية بروكسل بشأن حمل الأسلحة النارية وتجارة المشروبات الكحولية .

« فأنت ترى أن أرجحية السيادة البريطانية ضمنت بحقها فى اختيار الحاكم العام والاشارة بعزله ولما كان الحاكم العام هو الذى يحكم البلاد ويسن القوانين أصبح منفذاً لوجهة نظرها بدون تقييده بذلك بالنص فى صلب الاتفاقية . والموافقة على تعيين القناصل - وهى من شارات السيادة - لم تترك ولو ضمناً للحاكم العام ولا لخديوى مصر بل جعلت رهنا بموافقة الحكومة البريطانية . فلو أن الحاكم العام غير مقيد قانونا باستشارة بريطانيا العظمى أو مصر فيما يرى اتخاذه بصفته المشرف المباشر على أحوال البلاد ، بل هو شرعا صاحب سلطة غير محدودة على الأرواح والأموال لكنه يعين ويعزل بارادة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فهو رهن سياستها فى الواقع . وأذكر أننى قرأت أخذاً ورداً طريفا للفقيد غردون فى مذكراته حول هذه النقطة فقد كان هو ضابطا فى الجيش البريطانى ولكنه مزود بفرمان يطلق يده فى التصرف من صاحب الحق الشرعى فى البلاد . . الخ فهو غير مقيد

باتباع نصائح هذا أو ذاك ولكن . . . الخ أما عن حقوق مصر فيقول المؤلف « ماكيكل » (ص ١٧٠) : -

« ان حقوق مصر الثابتة فى النيل هى ضرورية جداً لأجل رفاهيتها ومن الانصاف أن نفترض أن وجود هذه الحقوق كان الى حد ما عاملا فى التسليم لها بنصيب فى السيادة على السودان وهو قرار ما كان يسهل تسويغه اعتماداً على الاعتبارات التاريخية دون سواها . ولم يحصل مطلقاً أن تجوهلت أو أنكرت هذه الحقوق بل على النقيض من ذلك اعترفت بها بريطانيا مراراً وتكراراً »

واليك الفقرة الآتية (ص ١٧) من المذكرات المتبادلة بين الحكومتين البريطانية والمصرية فى مايو ١٩٢٩ بشأن مياه النيل : -

« . . . وبدون موافقة سابقة من الحكومة المصرية لا تقام أى مشاريع للرى أو منشآت على نهر النيل أو أحد فروعه أو على البحيرات التى يجرى منها طالما كانت داخل حدود السودان أو أى قطر تحت الادارة البريطانية اذا كان من شأن تلك المشاريع أو المنشآت التأثير على مصالح مصر سواء بانقاص كمية المياه التى تصل الى مصر أو تغيير موعد وصولها أو تخفيض مستواها »

ورأى « ماكيكل » لا يخرج فى كثير أو قليل عن رأى رجل اشترك بالفعل فى تنفيذ السياسة البريطانية واجراء العدل البريطانى فى السودان وكان من المتحمسين للتصغير من شأن الحقوق المصرية فى السودان وتسفيه رأى القائلين بضرورة الاعتراف لحكومة مصر بالاشتراك فى إدارة السودان .

* * *

عهد الاصلاح الأول (١٨٩٨ - ١٩٠٢) يقول المؤلف فى مستهل هذا الفصل :

« لقد واجه اللورد كتشنر والشرذمة القليلون من الضباط الذين تركوا ليعاونوه بعد واقعة أم درمان عملا ضخما وقد كان من حظهم وحظ خلفائهم أن يكون من ورائهم معيناً ومرشداً وكابحا فى بعض الأحيان أحكم الساسة اللورد كرومر . فاذا أفردنا شخصاً بعينه من بين الكثيرين الذين وضعوا الأسس المدنية للسودان الجديد كان هو أحقهم بالفخر الاكبر . ولكن يقلل هذا التخصيص من عظم النجاح الذى أحرزه أولئك الرواد الأولون الذين وقع على عواتقهم واجب النهوض بالعمل فى وجه صعاب كادت تبدو مستحيلة التذليل

نعم لقد كان واجبهم صعباً عليهم كانوا رجالا ذوى حكمة وحزم

ونزاهة قبل كل شيء مع لين فى العريكة فى الغالب وبطش عند اللزوم وقد قال كتشنر لمعاونيه بحق « .... إننا إنما نعتمد على العمل الانفرادى الذى يقوم به الضباط البريطانيون ، حيث يشتغلون مستقلين ولكن فى سبيل غرض واحد ، وما يتركونه من أثر على أفراد الأهالى الذين يحرزون ثقتهم ، للوصول إلى الاصلاح المعنوى والصناعى للسودان .... »

من أجل هذا كان الاعتماد فى بادىء الأمر على كفاية المديرين والمفتشين البريطانيين وعلى نشاطهم ونزاهتهم وعفتهم وحزمهم وما اتصفوا به من خلال تحبب الأهالى فيهم وبالتالى فى النظام الجديد الذى هم رواده والممثلون له . ولم تكن القوانين تصدر إلا بقدر الحاجة وكانت دائماً موجزة مجملة . بل أن اللورد كرومر ، وكان يعلق على الميزانية ، كتب فى عام ١٩٠١ عن زيادة المنصرف على بند (أدوات كتابية) على المربوط بستمائة جنيه وان المطلوب عن عام ١٩٠٢ هو ألفان من الجنيهات ، فقال :

« أخشى أن يكون معنى هذه الزيادة أن مقدار الوسائل الرسمية بالسودان فى ازدياد والأرجح أن هذا لامناص منه إلى حد ما . ولكن على الرغم من هذا فأننى أجرؤ على ابداء أملى فى أن تقوم مقاومة مستديمة فى وجه الافراط فى كتابة الرسائل فانها تدل على الافراط فى (المركزية) مع أن السودان قطر يجب أن تسير الادارة فيه على قاعدة (اللامركزية) ما أمكن ذلك »

ولكن مع هذا بدأ التشريع بنشاط فوضع قانون للعقوبات وقانون للتحقيقات الجنائية وقانون للدعاوى المدنية وسجلت الأراضى بقدر المستطاع لمالكيها الواضعين أيديهم عليها ووضعت الميزانية (وإن بقيت مصر مدة طويلة تدفع عجزها) ومن أمثلة ماتم من الاصلاح فى بضعة عشر عاماً نذكر أن (مستر بونهام كارتر) بدأ الخدمة فى القسم القضائى عام ١٨٩٩ يساعده كاتب واحد فى القسم المدنى وسبعة قضاة ، شرعيين ، وعشرة كتاب لهم . وعندما غادر (السر ادجار بونهام كارتر) السودان عام ١٩١٧ ترك وراءه (مصلحة السكرتير القضائى ، ومحكمة عليا ، ومحاكم كلية وجزئية ، ومحاكم شرعية إسلامية ، ومكتبا للمحامى العمومى ونظاماً لتسجيل الأراضى ، ومصلحة لادارة الأراضى الحكومية) ولم يكن التقدم فى جميع المصالح الأخرى دون هذا ، ووضع نظام محكم لجباية الضرائب . وانشئت (كلية غوردون)

والمدارس الابتدائية والأولية وكان الحافز الأول على انشائها ايجاد طبقة من (المعلمين) كانت الادارة فى أشد الحاجة إليها . ولا يفوتنا هنا أن نورد تفسير اللورد كرومر لهذه الكلمة : -

(على اننى أود أن أوضح ما أقصد بالفئة المتعلمة فاننى لا أشير إلى التعليم العالى . . . . . بل ان المطلوب مبدئيا تعليم القراءة والكتابة والحساب لعدد معين من الشبان بالقدر الذى يمكنهم من أن يفيدوا فى ملء الوظائف الصغيرة فى إدارة البلاد . فان الحاجة إلى مثل هذه الفئة جد ماسة)

ومد الخط الحديدى إلى شمالى الخرطوم (الحلفاية) واتسع نطاق الاسلاك التلغرافية . وإن الذين ينظرون إلى السودان الآن لا يمكنهم أن يتصوروا الصعاب التى كانت تكتنف أعمال التقدم منذ أكثر من ٣٠ عاماً

فقد كان أهم هذه الصعوبات (١) قلة السكان و(٢) قلة المال و(٣) صعوبة المواصلات . أما الأولى فيكفى أن نورد ما جاءت به الاحصاءات الرسمية فقد كان سكان السودان قبيل الثورة المهدية ثمانية ملايين ونصف مليون من النفوس (والأرجح أنهم كانوا أكثر من ذلك) بقى منهم بعد الفتح الأخير مليون واحد وسبعمائة وخمسون ألفا . ويقدر أن المجاعات والأوبئة أتت على نحو الثلاثة ملايين ونصف المليون وأن الحروب والفتن الداخلية أتت على ثلاثة ملايين وربع مليون » .

* * *

يقول سير ماكيكل : «لقد استغرقت مفاوضات النحاس - هندرسون ١٤ جلسة من ٣١ مارس إلى ١٧ ابريل ، وأن الوفد الرسمى المصرى قد طلب أن تكون تفسير المادة ١٣ - الخاصة بالسودان - فى مقترحات هندرسون - محمد محمود - كما يأتى :

« المادة ١٣ - حالة السودان - هى التى تنشأ من هذه الاتفاقات « الاتفاق الثنائى ١٨٩٩ » يجب تفسيرها بأن حالة السودان هى التى فى نظرنا كان يجب أن تنشأ من اتفاقية ١٨٩٩ . أى التى تتضمن سيادة مصر على السودان ونصيبها فى إدارته »

رأى اللورد كرومر

« إن الذين يخترقون الصحارى المحرقة بين وادى حلفا وبربر أو القفار بين النيل والبحر الأحمر التى مدت فيها سكة الحديد وهم يعلمون أن مثل هذه القفار

الشاسعة التى قلما تنبت شيئاً أو يعيش فيها حيوان كثيرة جداً فى بلاد السودان لا يلامون إذا قالوا مع غوردون وستيورت أول شهيدى العمران فى تلك البلاد أنها كانت وستبقى دائماً ملكا لا نفع منه . لكن لقد أخذ يثبت على مر السنين أن هذا القول غير صحيح . وأهمية بلاد السودان فيما يتعلق بالقطر المصرى لا تتوقف على قابليتها للارتقاء بل على كون النيل يخترقها من طرف إلى طرف وعلى أن التحكم فيه على طول مجراه مهم جداً للقطر المصرى ولولا هذا الامر لكان انقاذ السودان من حالة البربرية والهمجية غير جدير فى رأيى بالنفقات الكثيرة التى تنفق عليه من الأموال المصرية والأرواح المصرية وغير المصرية المنوطة بخدمته . ولو كان هذا الانقاذ حسناً لذاته ولكن رأت مصر وحكامها أن انقاذ السودان أمر لابد منه مالياً وسياسياً وهذا الانقاذ يؤول أيضاً إلى ترقية بلاد السودان فتصير له أهمية أخرى ذاتية من غير التفات إلى الغرض الأول » (١)

رأى اللورد ملنر

« لا بد من ترك السودان بكل سرعة ممكنة وأن كل وزير لا يوافق على هذا البرنامج لابد أن يترك منصبه ولا شك أن هذا القرار كان عادلا وإذا نحن ذكرنا هذا فلا يظن أحد أنى أجادل فى أن امتلاك السودان أو على الأقل جزء عظيم منه ليس بذى أهمية أو أنه لا يكون ضرورياً فى المستقبل لسعادة مصر . غير أن الحزم يقضى على الانسان الذى حل به أشد الضيق بأن ينزل عن جزء مهم من ملكيته خير من وقوعه فى هاوية الافلاس وأن الجند المضغوط عليه بشدة يجد أن الضرورة قد توجب ترك النقط الامامية المهمة محافظة على القلعة الرئيسية التى تحتمى بها ولو أن مصر نزلت عن السودان وقت أن كان فى غير مقدورها المحافظة عليه فان ذلك لا يعتبر سببا يدعوها إلى الانصراف عن استرجاعه كله أو بعضه عند مايكون لديها القوة كما أنه لا لوم على من يقومون بواجب وان كان ممقوتا غير أنه ضرورى كما يضطر ربان سفينة أن يلقى فى اليم بضاعة ثمينة فى بقائها غرق السفينة » (٢)

(١) (اللورد كرومر — من تقرير ١٩٠٥ ص ١٧٣ — ١٧٤)

(٢) ملنر — من كتابه « انجلترا فى مصر » ص ٧٣

رأى المستشار المالى

يقول المستشار المالى الانكليزى لدى الحكومة المصرية فى تقريره الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٤ : « ان السودان ضرورى لمصر بل هو ألزم لها من مدينة الأسكندرية »

جاء فى مذكرة الوفد المصرى فى المقدمة لمؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ « إننا بطلبنا ارجاع السودان إلى مصر نريد أن نجعله شريكا له مالنا وعليه ماعلينا »

رأى الامير عمر طوسون

مقال عن (حقوق مصر فى السودان) . نشرته جريدة (المقطم) بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٣١ وها هو : —

« استغلت الصحف زيارة مستر مورى ومستر سبندر لمصر فى هذه الاونة الأخيرة وذهبت الى أن هذه الزيارة ليس لها من علة فى الوقت الحاضر إلا أن تكون لمعالجة المسألة المصرية التى مازالت معلقة بدون حل بين البلدين انكلترا ومصر وأن أهم نقطة من نقط المسألة المصرية جاء هذان السياسيان لدرسها وعلاجها هى السودان الذى كان وما زال أكبر عقبة فى سبيل أية مفاوضة تدور بيننا وبين البريطانيين ماداموا متشبثين به غير حافلين بما لنا من الحقوق فيه

ولقد ذهبت تلك الصحف أيضا الى أن رحلة مستر مورى ومستر سبندر الى السودان فى الوقت الذى يقيم فيه المندوب السامى هناك لم تكن على سبيل المصادفة وانما هو اجتماع فى نفس البلد الواقع بشأنه النزاع يقصد منه بالاتفاق مع حاكمه البحث ومعرفة الحد الأقصى الذى تستطيع بريطانيا أن تذهب اليه فى مسألة السودان ما دام قد ظهر أنه من غير الممكن عقد أى تسوية بين البلدين دون أن تحل هذه العقدة المستعصاة

ولست أدرى ان كان ماذهبت اليه هذه الصحف صحيحا أو غير صحيح . ولكن الذى أعلمه علم اليقين وأحب أن يعلمه أيضا هذان الضيفان على وجه خاص والجمهور البريطانى على وجه عام أنه من غير الممكن أن يقبل مصرى مهما كانت صفته السياسية أو نزعته الحزبية التخلى عن السودان وانه لا يمكن بأى وجه من الوجوه أن يوافق

على تسوية ما بشأن مصر تسوية لا ترد لنا فيها حقوقنا فى السودان

ولقد أقام جميع من فاوضوا الحكومة البريطانية من المصريين على اختلاف نزعاتهم الحزبية الدليل على أن المسألة السودانية كانت دواما السبب فى حبوط المفاوضات وقطعها

لذلك أرى بعد هذا أن يبدأ بحل مسألة السودان قبل حل مسألة مصر لأن الأولى تفوق الثانية وليس من المعقول حل المسألة الثانية فى المرتبة وترك المسألة الأولى لآخر الأمر حتى اذا فرغ المفاوضين أو كادوا جاءت مسألة السودان فأفضت الى قطع المفاوضات

فلو عكس الوضع واتفق على مسألة السودان أولا لوجد أن الاتفاق عليه يدعو حتما الى سهولة الاتفاق على مصر . فقد يستطيع المصريون أن يتنازلوا عما يستطاع التنازل عنه فى مصر . أما السودان فتمسكهم بحقوقهم فيه أشد التمسك أمر واجب لا هوادة فيه لأنه فضلا عن كونه جزءا لا يتجزأ من مصر فمسألته فى حقيقة أمرها مسألة حياة أو موت .

انى أعنى برد حقوقنا فى السودان بالرد الفعلى لهذه الحقوق أى الذى يوضع موضع الاجراء على الفور لا تلك التحفظات التى تتخذ لحفظ هذه الحقوق الى أجل معين أو غير معين . فان هذا فى نظرى والتنازل عن حقوقنا فى السودان سواء

ولذلك نرى أن الانكليز لا يهتمون باتفاقية السودان اهتمامهم باتفاقية مصر على عكس الأمر عندنا . فهم يودون بلهف شديد عقد تسوية معنا بشأن مصر فقط لجعل مركزهم فيها شرعياً ولا يهتمون بمسألة الاتفاق على السودان أقل اهتمام

فاذا رضينا أن نؤجل المسألة السودانية نكون بذلك قد اتبعنا خطة تفضى الى الغاية التى يعمل لها الانكليز بل نكون كاننا نعمل ليقضى الانكليز لبانتهم فتقبر مسألة السودان ولا يمكننا بعثها من مرقدها بالتحفظات التى تكون فى أيدينا مهما كانت قوية

وانى أحب أن يعلم الانكليز أن شدة اشتياقنا لحل مسألة مصر وان التجارب التى مرت تقضى علينا أن نأبى ونرفض رفضا باتا أن ندخل معهم من جديد فى مفاوضة بشأن مصر قبل أن يتفقوا معنا على مسألة السودان لأنه خير لنا أن نظل على الحالة التى نحن فيها من أن نعقد اتفاقا لا ترد لنا حقوقنا فى السودان فيه بالفعل ،

رأى الجمعية التشريعية

كانت الجمعية التشريعية نوعا من المجالس التمثيلية محدود الاختصاص ، لم تتجاوز السنة الأولى من حياتها سنة ١٩١٤ ثم عطلت بسبب الحرب الكبرى . وبعد قيام الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ نشط أعضاؤها . ورأوا أن يجتمعوا بالرغم من تعطيلها :

ولما كان اجتماعهم فى مكانهم الرسمى غير ميسور كأمر السلطة العسكرية البريطانية وجهت الدعوة إلى الأعضاء للاجتماع فى بيت الأمة « دار سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى » يوم ٩ مارس سنة ١٩٢٠ . فاجتمع منهم ٥١ عضواً فى الموعد والدار المحددين . بحثوا فى الحالة السياسية من كل وجوهها المختلفة . وننشر فيما يلى نص محضر هذه الجلسة :

« فى الساعة الرابعة والدقيقة عشرة من يوم الثلاثاء الموافق ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ الموافق ٩ مارس سنة ١٩٢٠

« انعقدت الجمعية التشريعية بمنزل حضرة صاحب السعادة سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى بحضور حضرات الآتية اسماؤهم : ابراهيم سعيد باشا وحسين واصف باشا وقلينى فهمى باشا وراغب عطية بك وفتح الله بركات باشا وحسين هلال بك وحسن سيف أفندى والدكتور محمد أمين بدر بك ومحمود الاتربى باشا والسعدى بشاره الطحاوى بك وعمر مراد بك ومتولى حزين بك وعمر خلف الله بك وابراهيم على بك ومحمد محمود بك وحنفى منصور بك ومحمد علام بك وعلى المنزلاوى بك وسينوت حنا بك ومحمد رشوان بك الزمر واسماعيل أباظه باشا ومحمود أبو حسين باشا وعبد اللطيف الصوفانى بك والشيخ محمد شاكر ومحمد السيد أبو على باشا وعبد الرحمن عوض بك والشيخ عبد الفتاح الجمل وعلى شعراوى باشا وحافظ المنشاوى بك وأمين سامى باشا ومنصور يوسف باشا ويوسف أصلان قطاوى باشا وزكريا نامق بك وعبدالسلام العلايلى بك ومحمد كمال أبو جازيه بك وعلوى الجزار بك ومحمد أمين أبو شنب بك ومحمود همام بك ومحمد محفوظ باشا وعبد الرحمن محمود بك ومشيل لطف الله بك ومحمد المنياوى بك ومحمد على سليمان بك والمصرى السعدى بك ومصطفى بكير بك ومحمد عزام بك وكامل صدقى بك وحسين الشريعى بك ومحمد عبد الخالق مدكور باشا .

وقد انتخب لرياسة الجلسة حضرة صاحب السعادة ابراهيم سعيد باشا بصفته

أكبر الأعضاء سناً ولأعمال السكرتارية حضرات فتح الله بركات باشا وحسين هلال بك ومحمد عبد الخالق مدكور باشا بالاجماع

وبعد ذلك أعلن سعادة الرئيس افتتاح الجلسة واقترح محمد عبد الخالق مدكور باشا إيقاف الجلسة خمس دقائق حداداً على من انتقل إلى رحمة الله من أعضاء الجمعية فى مدة عطلتها فأوقفت الجلسة خمس دقائق

أعيدت الجلسة وتلا سعادة فتح الله بركات باشا اعتذارات واردة من أصحاب السعادة والعزة أحمد مظلوم باشا رئيس الجمعية على لسان صاحبى السعادة ابراهيم سعيد باشا وفتح الله بركات باشا اللذين دعياه لحضور الجمعية . وطلبة سعودى باشا ومحمد شريعى باشا ومرقس سميكة باشا ومحمد عثمان أباظه بك .

وكذلك تليت جملة تلغرافات واردة من جهات متعددة من اعيان ووجوه القطر باظهار شعورهم نحو الجمعية وتضامنهم معاً واحتجاجهم على المشروعات التى آلمت الأمة .

ثم تباحثت الجمعية فيما عرض عليها من اقتراحات حضرات الأعضاء وقررت ما يأتى :

أولا ــ أن الجمعية التشريعية تعتبر الحماية التى أعلنتها انكلترا ، من تلقاء نفسها على مصر ، عملا باطلا لاقيمة له من الوجهة القانونية

ثانياً ــ تقرر الجمعية أن البلاد المصرية ، التى تشتمل مصر والسودان مستقلة استقلالا تاماً وفاقاً لقواعد الحق والعدل والقانون ، وكل مظهر من مظاهر اعتداء القوة على هذا الاستقلال لا يؤثر وجوده من الوجهة القانونية وليس من شأنه إلا أن يزيدنا تمسكا به .

ثالثاً ــ تحتج الجمعية على تعطيلها وعلى كل القوانين والنظامات التى وضعت فى اثناء تعطيلها لصدورها من غير عرضها عليها ،

رابعاً ــ تحتج على كل الاعتداءات التى أصابت البلاد وأبناءها ، سواء كان الاعتداء واقعاً على النفس أم المال أم أى نوع من انواع الحرية .

خامساً ــ تحتج على البدء فى مشروعات رى السودان وتطلب وقف هذه المشروعات وقفاً تاماً حتى يبت فى المسألة المصرية ويعرض الأمر على الهيئة النيابية التى تمثل البلاد بجميع اجزائها وذلك للاسباب الاتية :

(١) لأن مصر والسودان كل لايقبل التجزئة . وكل مشروع يتعلق بهما لايجوز تنفيذه قبل أن توافق الأمة عليه .

(ب) لأن هذه المشروعات لم تلاحظ فيها مصلحة السودان منفرداً ولا مصلحة مصر وحدها ولا مصلحة الاثنين معاً . وقد قامت عليها اعتراضات فنية واقتصادية وسياسية وصحية من كثيرين ومنهم رجال من الانكليز ذوو المكانة الذين اثبتوا أن كل هذه المشروعات ضارة بالبلاد وأنه لم يقصد بها سوى مصلحة الاجنبي وفائدة اصحاب رؤوس الأموال والشركات من الانجليز

سادساً — قررت أن كل عمل قامت أو تقوم به الهيئة الحاكمة ، ويكون فيه مساس بالاستقلال التام لمصر أو السودان أو مصالحهما ، يعد لغواً ولا يلزم الامة فى شيء ما فالأمة وحدها صاحبة الشأن فى تقرير كل مايتعلق بأمورها الحاضرة والمستقبلة

سابعاً — تقرير الجمعية ابلاغ هذه القرارات إلى الجهات الآتية :

(١) الوفد المصرى فى باريس
(٢) رياسة مجلس الوزراء
(٣) قناصل الدول فى مصر
(٤) الصحف المصرية
(٥) كبريات الصحف الأجنبية خارج القطر
(٦) سكرتارية الجمعية التشريعية لحفظه بسجلاتها

ثامناً — ارسال تلغراف لسعادة رئيس الوفد المصرى بباريس لشكر الوفد على ماقام به من الأعمال

تلى المحضر وتصدق عليه

وانتهت الجلسة حيث كانت الساعة السابعة والدقيقة ٤٥ مساء . ويلى ذلك امضاءات جميع الأعضاء الحاضرين » . اه

وكان هذا الاجتماع اجتماعاً تاريخياً هاماً

أمر عسكرى من اللورد اللنبى

وقد أصدر اللورد اللنبى أمراً عسكرياً بمنع اجتماع النواب إلا بأمر رسمى منه .

وهذا هو نص الأمر العسكرى الصادر فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ .

« أنا الموقع أدناه أدمند هنرى هيمن فيكونت اللنبى ، بمقتضى السلطة المخولة لى بصفة كونى فيلد مرشال قائداً عاماً لقوات جلالة الملك فى القطر المصرى أصرح وأعلن مايأتى »

« ممنوع كل اجتماع للجمعية التشريعية أو لأى مجلس مديرية أو لأى هيأة منتخبة وكل اجتماع من أعضاء تلك الهيئات ، بصفتهم أعضاء فيها ، ما لم يكن ذلك بمقتضى الشروط المنصوص عليها فى القوانين واللوائح الخاصة بها »

« ويشمل هذا المنع كل اجتماع من هيئتين أو أكثر من الهيئات المنتخبة ومن أعضاء هيئتين أو اكثر من تلك الهيئات بصفتهم أعضاء فيها ما لم يكن مرخصاً بهذا الاجتماع ترخيصاً صريحاً بمقتضى القانون »

« وكل مخالفة للأحكام المتقدمة تقع تحت طائلة الأحكام العسكرية »

« وكل قرار تأخذه ، أو توافق عليه ، إحدى الهيئات المنتخبة فى أى موضوع خارج عن اختصاصها ، يكون ملغى ولا يعمل به . وجميع الأعضاء الذين يكونون قد وافقوا على ذلك القرار يكونون عرضة للمحاكمة أمام مجلس عسكرى »

« فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ الامضاء : اللنبى

« فيلد مرشال »

برقية سعد زغلول باشا

فيما يلى البرقية التى أرسلها (حضرة صاحب المعالى) سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى من باريس :

« إن أعضاء الجمعية التشريعية قد أدوا الواجب المقدس باعتبارهم الحماية باطلة قانوناً وإعلانهم استقلال مصر والسودان » .

رأى مجلة الفجر

قالت مجلة الفجر عن مستقبل السودان مايلى :

« ان الجيل الذى ابتدأت حياته بالفتح الانجليزى المصرى للسودان ، عقب الثورة المهدية ، لهو الجيل الذى يمثل الكتلة الحية الناطقة فى السودان الفتى . وكلية غردون التذكارية كانت المعمل الذى كيفت فيه المادة البشرية لتسد أولا حاجة دواوين الحكومة ولتنقلد ثانياً القيادة فى الحياة الاجتماعية والفكرية للبلاد

ولسنوات مضت ، كان خريجو كلية غردون التذكارية يعملون فى دواوين الحكومة فقط ليكفوا حياة ذويهم وأنفسهم . لقد كان ذلك جميلا وحسناً ، لأن كسب العيش أول الواجبات فى المجتمع وتأسيس الأسرة المنظمة ضمان لخير أساس تقوم عليه جماعة متمدينة . إن نظرتهم للحياة لم توجد وإذا وجدت فلم تكن معروفة

لهم جميعاً كأعضاء مجتمع واحد يعملون لخير أمتهم . ولم يقوموا بأية محاولة لكشف النقاب عن مستقبل بلادهم فى الاجتماع والسياسة . بل لم يفكروا فى تحسين مستواهم فى حكومة البلاد ليس كموظفين فحسب بل كشريك ثالث فعال فى مثلث القوى المتعادل الذى ناتجه هذه الهيئة السياسية العامة المعروفة « بالسودان »

وحكومة السودان أول تجربة من نوعها فى السياسة الدولية . والحكومة الثنائية التى تسير حسب بنود الاتفاقية الانجليزية المصرية لعام ١٨٩٩ والتى أعطت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية حق الحكم فى السودان على قاعدة استشارة سمو خديوى مصر . أما كان لها أن تعتبر حقوق الشريك الثالث ، أهل البلد : الطبقات العاملة الدافعة للضرائب ، والذين يجب أن تكون لهم كلمة فى تكييف مصيرهم .

إن جيلنا هو الكتلة الحية الناطقة فى السودان الفتى . ونحن نطمح لنميز أنفسنا باتخاذ نظرة خاصة للحياة : سياسياً واجتماعياً وأدبياً . إننا فى مفترق الطرق . فأما أن نسلك الطريق القويم أو نضل السبيل . ونحن لا نحمل عداء للهيئة الحاكمة ولا للدخلاء ولا لأساطين مجتمعنا — فى القبائل أو الدين — فرادى أو مجتمعين ، ما داموا يعملون جميعهم فى تجاوب ولخير هذا البلد . وسنكون دائما أصفياء متعاونين ، ولننفذ هذا المبدأ ونحافظ عليه ينبغى أن نكون صريحين ومفصحين . ينبغى أن نوضح نظرتنا وليتأكد الجميع أننا سنعمل بها

قد يسأل سائل : لماذا نذيع نظرتنا فى الصحافة ولماذا لا نحتفظ بتجاربنا لأنفسنا ؟ والجواب على ذلك أنه مما يساعد غرضنا فى الحياة أن نعرف كيف ينظر الآخرون إلى الحياة ، وماذا ينتظرون منها ، وماذا يجدون فيها وما الذى لا يجدون . . وفى الناحية الأخرى لنوقفهم على مهمتنا . ولنتحدث إذاً بجلاء عن ماهية نظرتنا ليساعدهم على أغراضهم

لقد جاء الأوان الذى ينبغى أن تبدأ فيه الحكومة — بما لها من الوصاية — لتعطى الوطنى الفرصة لكسب الصفات اللازمة للحكم الذاتى ، اننا ننظر للحكومة كهيئة نظامية جاءت لخلاصنا وإرشادنا . ونطلب منها المكانة الثانية فى الدواوين مباشرة بعض كبار الموظفين البريطانيين لنتصل إتصالا مباشراً بمعضلات المسائل فى حكم البلاد ولنشترك فى تقرير مصيرنا . وسيكون واجبنا مشاطرة البريطانيين أعباء المسئولية فى الحاضر وتأهيل أنفسنا للغد . ولربما نبدء بالسؤال الآتى « أليس فى

نظام الادارة الأهلية الأساس الصحيح للحكم الذاتى ؟ » وجوابنا على ذلك أن الادارة الأهلية محتمل فشلها مادامت فى أيدى الجهلاء حيث لانراها إلا ظلا زائفاً من العهد الاقطاعى . وإذا قدر للادارة الأهلية أن تبقى فينبغى أن تكون فى أيدى الجيل المتعلم

إننا نرى أن الادارة الأهلية قائمة على النعرة القبيلية والارستقراطية الدينية والنعرة القبيلية والارستقراطية الدينية لسنا فى حاجة لنقول أنهما مصدر الكثير من مصائبنا . وانهما بمثابة الطوائف فى الهند ولهذا السبب نحن لا نعمل على وفاق والقوى دائماً متوزعة فى جهات متضادة . واننا لننظر للنعرة القبيلية والارستقراطية الدينية بعين الوطنى المخلص الذى يريد أن يتخلص من أخطاء الماضى وأن يعبد الطريق لمستقبل زاهر

وإنا لننتوى الانتفاع بتجارب الماضى والحاضر على ضوء العلم والبحث الحديثين . وسندرس بامعان تقاليد الماضى وعادات الأهالى وأعمال الحكومة وسنقدر ونساعد ما يتفق منها ومثلنا العليا وسنودع ما نرى فيه نقصاً لمجتمعنا وما سيقعد بأغراضنا . ونظرتنا فى الحياة أن نخلق عناصر جديدة من مخلفات الماضى . والتسامح والاخلاص والتجديد يتكون منها شعار جيلنا »

* * *

وجاء فى مجلة الفجر أيضاً ما يلى :

« قبل أعوام كانت تتجه سياسة الحكومة لتقسيم السودان الى مقاطعات كبرى تحوى كل واحدة منها اثنتين أو ثلاثاً من المديريات الحالية غير أن هذه السياسة لم يبدأ بتنفيذها الا قبل عام واحد حيث أدمجت مديرية حلفا ومديرية دنقلا ومديرية بربر وأسميت بالمديرية الشمالية وقلنا لعل تلك خطوة لاثانية لها ولكن سرعان ما أدمجت مديرية الفنج فى مديرية النيل الأزرق وأسميت بمديرية الجزيرة فقلنا لعل مصالح الرى ونظامه وطبيعة البلاد دعت الى هذا الاندماج والآن وصل الى اسماعنا خبر اندماج مديرية بحر الغزال ومديرية منجلا وسميت بمديرية خط الاستواء ومن هنا علمنا أن سياسة الاندماج أخذت فى التنفيذ الجدى ولعل وراء هذه السياسة خطة جديدة للحكم نستطيع أن نتكهن عنها فلربما فى النية تقسيم السودان الى خمسة أو ستة أقسام كبرى يكون لكل منها مدير انجليزى وأمير من الوطنيين فتنفذ بذلك السياسة

المتبعة فى الهند أو فى نيجريا . وقد يتبع ذلك انفصال السياسة فى كل مقاطعة عن المقاطعة الأخرى بأن يكون نظام التعليم فيها غير متصل بنظام التعليم فى المقاطعات الأخرى وتكون ميزانيتها وماليتها غير مرتبطة بميزانيات وماليات المقاطعات الأخرى وهذه السياسة قد تنتج نتاجاً حسناً فى بعض المقاطعات ولكنها ستكون سيئة العواقب فى بعضها وستكون سبيلا لتوتر الصلات بين افراد القطر فلا يشعر من فى هذه المقاطعة بما يحسه من فى المقاطعات الأخرى . وأول بوادر هذه السياسة ما سمعناه عن أن مدير المديرية الشمالية طلب أن تكون فى المديرية مدرسة وسطى واحدة كبيرة بدلا من الثلاث مدارس التى فى حلفا وبربر وعطبرة وفى مثل هذا التصريف اضرار بالتعليم لأن من السهل ان يعلم من فى حلفا ابنه فى مدرسة حلفا ولكن اذا انتقلت المدرسة الى بربر مثلا فلن يكون من السهل تعليم ابنه فى بربر

ونحن نترك هذا الموضوع ليفصل فيه الزمن ونرجو حكومتنا أن تفعل مافيه خير الأمة كوحدة لا تتجزأ »

تقرير السير جيمس كرى

ونشرت الجمعية الافريقية البريطانية مؤخراً تقريراً هاماً رفعه اليها السير جيمس كرى — وهو الذى كان ناظراً لكلية غوردون ومديراً للتعليم بالسودان من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩١٤ ، والآن مدير النقابة الأمبراطورية لزراعة القطن — عن شئون التعليم وادارته فى السودان فى الحقبة الاخيرة ، غير أن السير جيمس وهو من ذوى الخبرة العظيمة بأحوال السودان تناول فى تقريره الادارة العامة فى السودان وأبدى ماعن له من الانتقادات والملاحظات فى صراحة من شأنها أن تجلو الموقف الحاضر وتدل على فشل السياسة التى قضت باقصاء المصريين عن السودان فى السنوات الأخيرة ، وقد رأيت أن أدون هنا بعض الفقرات الواردة فى هذا التقرير مما له مساس بالتطور الأخير فى السودان .

بعد أن أسهب السير جيمس كرى فى وصف نظام التعليم بالسودان حتى نشوب الحرب العالمية أنتقل الى الكلام على الادارة فى السودان بعد سنة ١٩١٩ حين انتهت مدة خدمة السير ريجنالد ونجت المعتمد البريطانى فى مصر ، وذكر أنه بعد سنة ١٩٢٢ أصبح اهتمام الخزينة البريطانية باستغلال السودان عظيماً . وأصبح مجموع الفوائد التى يدفعها السودان (بحسب آخر تقرير للسير جون مافى حاكم

السودان السابق) ١٦٠ ر ٩٧٦ من الجنيهات وهذا لايدخل فيه حق الطرف لمصرى فى المطالبة بفوائد الأموال التى قدمها ولم تدفع عنها فوائد فى يوم من الأيام مع أن فضل مصر العظيم لاينكر فقد قامت بالمساعدة الجليلة ولا تزال تقوم بها بالاموال التى تدفعها إلى السودان .

وتكلم عن المدرسة الطبية فى السودان فقال : « أنشئت مدرسة السودان الطبية فى سنة ١٩٢٤ فكانت حجراً جديداً فى بناء أمة السودان واحرزت هذه المدرسة التى تخرج الاطباء السودانيين نجاحا باهراً . غير أن تطور السياسية البريطانية فى مصر منذ سنة ١٩٢٢ كان له تأثير ورد فعل لابد منهما فى السودان . ولما قتل السير لى ستاك فى أحد شوارع القاهرة اتخذت بريطانيا تدابير حكيمة أو غير حكيمة ولكنها اشتملت على اخلاء الجيش المصرى للسودان واخراج جميع المصريين الموظفين فى الوظائف المدنية ويا للاسف طغت هذه السياسة على شئون التعليم فى السودان فاقصى عنها المصريون وفقد السودان بذلك خير الأساتذة المهرة المدربين ثم يقول السير جيمس كرى : « وأنا أقول عن علم ويقين أن الاساتذة المصريين لم تكن لهم جريرة او اثم يبرر إخراجهم فانهم كانوا مخلصين فى خدمة حكومة السودان التى يشتغلون فى ظلها . وأريد فى هذا المقام أن اثنى خير الثناء على العمل العظيم الذى قام به المصريون وأسجل هنا اقتناعى بانه لولا مساعدة المصريين لكانت نهضة التعليم — لابل سائر الادارات العامة فى السودان — أمراً مستحيلا »

« ثم ألغيت مدرسة الخرطوم العسكرية التى كان يتعلم فيها الضباط السودانيون ليلتحقوا بالجيش المصرى بعد إتمام دراستهم فى كلية غوردون وبعد الغائها غير نظام القوات العسكرية وأصبح تعيين الضباط من تحت السلاح وهذا أعتبره خطوة الى الوراء لأن ذلك النظام لايتفق واستعدادات الاهالى العرب وهو على الضد من التقاليد السودانية وكان الاجدر إبقاء مدرسة عسكرية لتدريب الضباط من الشبان » .

ثم أنحى السير جيمس على بقاء أورطة ثانية انجليزية فى السودان فقال : « قد حضرت الى السودان فرقة إضافية من الجنود البريطانيين استعداداً للطوارىء عام ١٩٢٤ ولكنها بقيت وأضيفت إليها قوة من سلاح الطيران البريطانى ومهما تكن مزايا الوحدات البريطانية فان النفقات الباهظة التى تصرف عليها لاشك ترهق

مالية السودان » وما من أحد يريد الخير للسودان إلا ويتمنى من جميع الوجوه إزالة الاورطة الثانية البريطانية فضلا عن أن هناك حقيقة لا يمكن إغفالها وهى أن السودان يستحيل أن يكون مركزاً صالحاً لاقامة الجيوش البريطانية »

« ثم إن تقدم السودان الاقتصادى بسبب رى الجزيرة أدى إلى استحضار عدد من الموظفين البريطانيين من جميع الدرجات . وقد كانت وفاة السير لى ستاك بلا ريب خسارة عظمى للسودان ولو عاش لما حدثت الزيادة المطردة فى الموظفين البريطانيين لأنه كان أعلم الناس بضرر هذه السياسة فى مصر »

ثم قال السير جيمس كرى : « وقد لبيت دعوة حكومة السودان سنة ١٩٢٩ لحضور افتتاح خزان النيل الأزرق ولاحظت تغيراً فى موقف كبار الموظفين الانجليز فى السودان بازاء التعليم وان الاهتمام بشئونه قد قل . وتأكدت من ذلك لما زرت السودان لآخر مرة فى سنة ١٩٣٢ ووجدت التعليم فى تقهقر ، وكنت قد تلقيت خطاباً من الدكتور ماكين ناظر مدرسة الهندسة بالسودان يشكو فيه اهمال حكومة السودان لهذه المدرسة ويقول أن حكومة السودان عرضت نفسها لتهمة تأخير التعليم الفنى الراقى فى السودان »

ثم ينادى السير جيمس كرى فى آخر تقريره بضرورة إحياء المدرسة الحربية وإنشاء مدرسة للحقوق ومدارس للزراعة ثم ضرورة تعمير جنوبى السودان فان أمد إهماله طال إلى حد يعوق نهضة السودان الاقتصادية . ثم يقول فى النهاية : « ولعل جريدة « التيمس » لا تترجم إلى العربية فى السودان وإلا لكان السودانيون يطلعون فيها على آراء الساسة الانجليز الواقفين على أحوال السودان والذين ينادون بوجوب إجراء إصلاح واسع النطاق لانعاش السودان وإلا فان السودانيين ، تحت ضغط آلامهم وما يقاسونه ، يتنبهون وتقوى فيهم ملكة انتقاد السياسة التى تجرى عليهم . وإن تطور الحالة السياسية فى السودان قد حرم السودان من المساعدة السخية التى كانت تقوم بها مصر فى الزمن الماضى » اه .

رأى المؤلف

والذى نعتقده بالرغم مما حدث ولما تقدم ، بأن الارتباط بين مصر والسودان قد أصبح وثيقاً ، بسبب إنشاء خزان جبل الأولياء ، ومشروع وزارة الأشغال

فى انشاء خزان أو حفر ترعة عند منطقة السدود ، ولحملها على الاشتراك فى انشاء خزان تانا بالحبشة ، لأن ملايين الأفدنة المصرية ستعتمد على الرى بهذه المشروعات ولأن هناك ملايين المصريين الذين سيعولون عليها فى حياتهم ورزقهم .

ومن جهة أخرى فأن استتباب الأمن فى السودان يهم مصر جداً . لأن اضطرابه يؤثر فى أمن مصر ورخائها .

وقد علمت أن سير « جون مافى » الحاكم العام للسودان سابقاً ووكيل وزارة المستعمرات البريطانية الآن قد بحث المسألة مع الموظفين الانجليز بالخرطوم ومع الحكومة البريطانية ومع الممولين الانجليز - وانتهت بحوثه بأنه ليس هناك أمل فى الوقت الحاضر فى أن تشترك انجلترا بأموالها فى تعمير السودان أكثر مما فعلت . بالانفاق على جيشها المحتل وعلى أراضى الجزيرة .

ومن ثم اتجهت أفكار ولاة الامور الانجليز إلى فتح الباب للمصريين للمعاونة بأموالهم فى تعمير السودان .

واعتقد أن مسألة السودان قد أصبحت أقرب إلى الحل بالمفاوضات بين مصر وانجلترا مما كانت عليه سنة ١٩٣٠ وقبلها .

وأرى أن مسألة السودان يجب حلها فى الخرطوم نفسها ، وأدعو كل سياسى مصرى ليزور السودان وليبحث تاريخه وجغرافيته قبل المفاوضة ، واعتقد أن مسألة السودان قد صورت بصورة غير حقيقية فى أثناء المفاوضات الماضية ، وإن الانجليز قد غالوا فى تصور أن السودان يستطيع أن يعيش مفصولا عن مصر ، وأن يتقدم مستقلا عنها ، فلقد ثبت أخيرا أن السودان لا يستطيع أن يحيا ، فضلا عن أن ينموا ويتقدم ، بغير أموال مصر ورجالها ، وأن السودان عبء على من يحكمه وليس من موارد الثروة

على أنه إذا قدر للسودان أن يعود الى الحظيرة المصرية الخالصة ، فقد يكون من الفائدة أن توضع له ادارة تختلف اختلافاً موضعياً عن الادارة المصرية وأن تكون جزأ منها فى المسائل العامة لأن للسودان ظروفاً خاصة ولأن فى بعده عن القاهرة مايدعو إلى نظام اللامركزية بين مصر والسودان

على أننا ، نرجو للسودان ولاخواننا السودانيين حياة سعيدة ومستقبلا زاهراً

الوزارات المصرية

من أول نشأتها إلى الآن

فيما يلي ننشر أسماء الوزارات التي تولت الحكم في مصر منذ انشاء الخديو اسماعيل مجلس النظار في سنة ١٨٧٨ حتى الآن :

في عصر الخديو اسماعيل

الوزارة	تاريخ تأليفها	مدة حكمها		
		يوم	شهر	سنة
نوبار باشا الأولى	٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨	١٣	٦	
الأمير محمد توفيق باشا	١٠ مارس سنة ١٨٧٩	٢٨		
محمد شريف باشا الأولى	٨ ابريل سنة ١٨٧٩	٢٥	٢	

في عصر الخديو توفيق

شريف باشا الثانية	٣ يوليو سنة ١٨٧٩	١٦	١	
الخديو توفيق	١٨ أغسطس سنة ١٨٧٩	١٤	١	
رياض باشا الأولى	١١ سبتمبر سنة ١٨٧٩	١٨	١١	١
شريف باشا الثالثة	١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١	٢٠	٤	
محمود سامي باشا	٤ فبراير سنة ١٨٨٢	١١	٤	
اسماعيل راغب باشا	٢٠ يونيه سنة ١٨٨٢	١٢	٢	
شريف باشا الرابعة	٢٨ اغسطس سنة ١٨٨٢	٠	٤	١
نوبار باشا الثانية	١٠ يناير سنة ١٨٨٤	٠٠	٥	٤
رياض باشا الثانية	١٠ يونيه سنة ١٨٨٨	٤	١١	٢
مصطفى فهمي باشا الأولى	١٤ مايو سنة ١٨٩١	٤	٨	

فى عصر الخديو عباس حلمى

الوزارة	تاريخ تأليفها	مدة حكمها		
		يوم	شهر	سنة
مصطفى فهمى باشا الثانية	١٧ يناير سنة ١٨٩٢	٢٨	١١	
فخرى باشا	١٥ يناير سنة ١٨٩٣	٢		
رياض باشا الثالثة	١٩ يناير سنة ١٨٩٣	٢٧	٢	١
نوبار باشا الثالثة	١٦ أبريل سنة ١٨٩٤	٢٦	٦	١
مصطفى فهمى باشا الثالثة	١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥	٠٠	٠٠	١٣
بطرس غالى باشا	١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨	١١	٣	١
محمد سعيد باشا الأولى	٢٣ فبراير سنة ١٩١٠	١٠	١	٤
حسين رشدى باشا الاولى	٥ ابريل سنة ١٩١٤	١٤	٨	

فى عصر السلطان حسين كامل

حسين رشدى باشا الثانية	١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤	٢٢	٩	٢

فى عصر السلطان فؤاد

حسين رشدى باشا الثالثة	١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧	٠٠	٦	١
حسين رشدى باشا الرابعة	٩ أبريل سنة ١٩١٩	١٢	٠٠	٠٠
محمد سعيد باشا الثانية	٢١ مايو سنة ١٩١٩	٠٠	٦	٠٠
يوسف وهبة باشا	٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩	٠٠	٦	٠٠
محمد توفيق نسيم باشا الاولى	٢٢ مايو سنة ١٩٢٠	٢٥	٩	٠٠
عدلى يكن باشا الاولى	١٧ مارس سنة ١٩٢١	٩	٩	٠٠

فى عصر الملك فؤاد الاول

عبد الخالق ثروت باشا الأولى	١ مارس سنة ١٩٢٢	٢٩	٨	٠٠
محمد توفيق نسيم باشا الثانية	٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢	١٥	٣	٠٠
يحيى ابراهيم باشا	١٥ مارس سنة ١٩٢٣	١٣	١٠	٠٠

الوزارة	تاريخ تأليفها	مدة حكمها		
		يوم	شهر	سنة
سعد زغلول باشا	٢٨ يناير سنة ١٩٢٤	٢٧	٩	٠٠
أحمد زيور باشا الأولى	٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤	١٩	٣	٠٠
أحمد زيور باشا الثانية	١٣ مارس سنة ١٩٢٥	٢٥	١٢	
عدلى يكن باشا الثانية	٧ يونية سنة ١٩٢٦	١١	١٠	٠٠
عبد الخالق ثروت باشا الثانية	٢٦ أبريل سنة ١٩٢٧	٢٠	١٠	٠٠
مصطفى النحاس باشا الأولى	١٧ مارس سنة ١٩٢٨	٨	٣	٠٠
محمد محمود باشا	٢٧ يونية سنة ١٩٢٨	٥	٣	٠١
عدلى يكن باشا الثالثة	٤ اكتوبر سنة ١٩٢٩	٢٧	٢	
مصطفى النحاس باشا الثانية	٢ يناير سنة ١٩٣٠	١٦	٦	
اسماعيل صدقى باشا الاولى	٢٠ يونية سنة ١٩٣٠	٤	٦	٢
اسماعيل صدقى باشا الثانية	٤ يناير سنة ١٩٣٣	١٩	٨	٠٠
عبد الفتاح يحيى باشا	٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٣	٩	١	١
محمد توفيق نسيم باشا الثالثة	١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٤			

« انتهى الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث »

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحات
مقدمة الجزء الثانى :	٣ - ٤
الفصل الأول : الانجليز فى أفريقيا ، الأوربيون وأفريقية قبل القرن التاسع عشر ، الأوروبيون وأفريقية اول القرن التاسع عشر ، الانجليز وأفريقية خلال القرن التاسع عشر والعشرين ، كيف استولى الانجليز على مستعمرة الرأس ، النزاع بين الانجليز والبوير ، النزاع بين بوير الترنسفال والانجليز ، سيسل رودس ، الانجليز يضايقون بوير الترنسفال ، حرب البوير ١٨٩٩ - ١٩٠٢	٥ - ١٠
الفصل الثانى : الانجليز كحكام ومستعمرين ، كيف نفهم الرجل الانجليزى ، رأى أديب فى أخلاق الانجليز ، أخلاق الانجليز ، زيادة أعمار المعلمين الانجليز بسبب سلوك الطلبة ، الأمبراطورية الانجليزية ومميزاتها ، سياسة الانجليز فى البلاد الخاضعة لنفوذهم	١١ - ٢٦
الفصل الثالث : استعادة السودان بعد إخلائه ، استعادة طوكر ، زيارة الخديو الحدود ، استرداد السودان ، استعادة دنقله ، تعيين كتشنر سرداراً للجيش ، منشور كتشنر إلى أهل السودان ، عود إلى دنقله ، استعادة بربر ، أهمية عطبرة وحالتها اليوم ، المصريون بعطبرة ، النادى المصرى ، بين قاضى قضاة تونس والتعايشى ، استعادة الواحات الخارجة ، السردار ، المواصلات ، احتلال النقضارف وهزيمة احمد فضيل ، تسليم الخليفة محمد شريف ، بحر الغزال ، البلجيك ، دارفور وعلى بن دينار ، إدارة الجيش ، السردار فى القاهرة ، حادث فاشودة ، قتل الخليفة عبد الله التعايشى ، قتل الخليفة شريف وولد المهدى ، أسر عثمان دقنه ، احتلال كردفان ، انقاذ سلاطين ، الزبير رحمت باشا	٢٧ - ٤٧
الفصل الرابع : اتفاق ١٨٩٩ والحكم الثنائى .	٤٨ - ٥١
الفصل الخامس : الرأى المصرى فى اتفاق سنة ١٨٩٩ ،	٥٢ - ٨٣

الموضوع	الصفحات
تصريحات رجال السياسة الانكليز عن اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، رأى سمو الأمير عمر طوسون ، قيمة اعتراف تركيا ؛ مذكرة عن مركز الانجليز فى السودان ، المقال ، كلمة لسموه عن مديرية خط الاستواء ، معرب مقال آخر لسمو الأمير عمر طوسون ، الصحيفة الحادية عشرة ، فى الملف رقم ١٩٧ ، الصحيفة الثانية عشرة فى الملف رقم ٢٩٧ ، انقاذ السودان فى كتاب القاضى بيير كرابيتس ، السودان بقلم صاحب الدولة حسين رشدى باشا ، السودان حياة مصر ، بحث فى حالة السودان السياسية بقلم صاحب الدولة حسين رشدى باشا	
الفصل السادس : بعد استعادة السودان ، منشور الحاكم العام لخاصة السودان وعامتهم ، الموظفون بعد استعادة السودان ، حادث الحدود بين الخديو وكتشنر باشا ، خطاب من الجناب الخديو إلى السردار بحلفا ، قضية التلغرافات ، الكشاف والكشوفية فى النوبة	٨٤ - ٩٢
الفصل السابع : السودان بعد اتفاق سنة ١٨٩٩ ، مجلس الحاكم العام أو الدستور السودانى ، الخديو عباس فى الخرطوم ، خطاب الخديو ، زيارة لورد كرومر ، جريدة السودان ، وكالة حكومة السودان ، لا امتيازات فى السودان ، لا قنصليات فى السودان ، قوانين السودان ، الأمر الصادر بانشاء مجلس الحاكم العام	٩٣ - ١٠٢
الفصل الثامن : حوادث السودان بعد استعادته احتلال دارفور ، أعمال البناء ، الرتب والنياشين	١٠٣ - ١٠٨
الفصل التاسع : نظام الحكم فى السودان والادارة الوطنية ، القضاء فى السودان فى الفتح المصرى الأول ، القضاء فى حكومة المهدى أو الدراويش ، القضاء الشرعى فى الحكومة الحاضرة ، منشور شرعى نمرة ٣٤ ، أوامر عالية ومراسيم بتعيين الحاكم العام ، تعيين شرعى ، الادارة الأهلية ، النظام القضائى فى السودان ، المحاكم الأهلية ، اسم القانون وبدء نفاذه ، سريان القانون : تعريف الألفاظ أنواع المحاكم الأهلية ، الأوامر القضائية بانشاء المحاكم الأهلية ،	١٠٩ - ١٤٠

الموضوع	الصفحات
اختصاص المحاكم ، القانون الذى يطبق ، وجوب حفظ محضر ، الاستئناف ، المحاكم المخصوصة ، سلطة إعادة النظر ، القضايا المعلقة أو التى حكم فيها أمام محاكم أخرى ، التنفيذ ، اللوائح ، الجدول الأول ، الجدول الثانى ، تنفيذ الأحكام بين مصر والسودان ، المحاكم المدنية والجنائية ، مسألة قاضى قضاة السودان	
الفصل العاشر : ديون مصر على السودان ، كشف رقم ١ المبالغ التى أخذت من الميزانية المصرية المعتادة ، كشف رقم ٢ المبالغ التى أخذت من الاحتياطى ، كشف رقم ٣ نفقات الجيش ، كشف رقم ٤ النفقات العسكرية ، بيان محمد شفيق باشا فى مجلس النواب ، بيان للدكتور محجوب ثابت ، مصلحة الأشغال العسكرية	١٤١ - ١٥١
الفصل الحادى عشر : الطرق الصوفية ، ١٥٢ — ١٥٦ ، الطريقة المرغنية ، انتشارها فى السودان ، انتشار الطريقة بمصر ، طرق أخرى فى السودان	١٥٢ - ١٥٦
الفصل الثانى عشر : حوادث مصر فى السودان	١٥٧ - ١٥٨
الفصل الثالث عشر : عهد الحماية والسلطنة فى مصر ، الانقلاب السياسى وإعلان الحماية ، خلع الخديو عباس وتولية السلطان حسين ، تثبيت وزارة رشدى باشا ، المرسوم السلطانى بتأليف الوزارة ، وفاة السلطان حسين ، السلطان أحمد فؤاد الأول ، استمرار وزارة رشدى باشا فى الحكم	١٥٩ - ١٧٠
الفصل الرابع عشر : حوادث مصر والسودان بعد الهدنة ، صيغة التوكيل للوفد المصرى ، استقالة وزارة رشدى باشا أعضاء الوفد المصرى ، اعتقال سعد وصحبه إلى مالطة ، الافراج عن سعد وصحبه ، سفر الوفد إلى باريس	١٧١ - ١٧٥
الفصل الخامس عشر : لجنة ملنر والوفد المصرى مهمة لجنة ملنر ، الوفد السودانى فى لندن ، وصول لجنة ملنر وسفرها	١٧٦ - ١٧٩
الفصل السادس عشر : السودان فى مشروعات الاتفاق ، مشروع	١٨٠ - ١٩٩

الموضـــوع	الصفحات
ملنر ، فى مشروع كرزون ، فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، مفاوضات مكدونالدوسعد سنة ١٩٢٤، مشروع سرأوستين تشمبرلين سنة ١٩٢٧ ، مشروع ثروت باشا سنة ١٩٢٧ ، مشروع هندرسون رأى الأمير عمر طوسون فى المقترحات ، مفاوضات ربيع سنة ١٩٣٠ مفاوضات ١٩٣٠ فى الكتاب الأبيض الانجليزى ، المفاوضات فى الكتاب الأخضر المصرى ، رأى مستر لويد جورج	
الفصل السابع عشر : السودان فى الدستور المصرى ، كتاب للأمير عمر طوسون ، السودان فى مشروع لجنة الدستور ، استقالة نسيم باشا بسبب السودان ، قبول الاستقالة ، وزارة يحيى باشا والدستور	٢٠٠ - ٢٠٥
الفصل الثامن عشر : حوادث السودان سنة ١٩٢٤ ، السودان ومعرض وميلى ، وزير مصر فى لندن والسودان ، مصر والسودان ، عهد اسماعيل ، مبادىء الانصاف ، تمهيد السبيل للمفاوضات ، خطبة أخرى لعزيز عزت باشا ، خطبة لعزيز عزت باشا ، السودان فى برلمان سنة ١٩٢٤ . كلمة المغفور له سعد زغلول باشا ، قرار المجلس ، مقتل السردار سير لى ستاك ، الاحتفال بجنازته ، الانذار البريطانى عن مقتل السردار ، بلاغ رسمى ، احتلال جمارك الاسكندرية ، قبول استقالة الوزارة السعدية ، المكاتبات المتبادلة ، بين وزارة دولة زيور باشا ودار المندوب السامى ، القبض على الجناة فى مقتل السردار ،	٢٠٦ - ٢٣١
الفصل التاسع عشر : جمعية اللواء الأبيض ، عصيان طلبة المدرسة الحربيه بالخرطوم ، الهياج فى السجن فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، قضية المؤامرة الكبرى ، محاكمة أعضاء اللواء الأبيض والمتظاهرين ، مظاهرات الأورطة السودانية ، الأورطة العاشرة السودانية فى تالودى (النوبة) ، الأورطة الحادية عشرة ، جمعية الاتحاد السودانى	٢٣٢ - ٢٣٨
الفصل العشرون : الجيش المصرى ، فى عهد محمد على ، الجيش	٢٣٩ - ٢٦٧

الموضوع	الصفحات
فى عهد اسماعيل ، فى عهد توفيق ، بعد الاحتلال الانجليزى ، الضباط السودانيون ، حادث سحب الجيش المصرى ، الجنود السودانية تؤازر الجيش ، الأورط السودانية ، الخدمة السرية ، إدارة الاستخبارات الحربية ، الجيش المصرى بعد انسحابه ، العلم المصرى ، الرتب فى الجيش المصرى ، قوة الدفاع عن السودان ، الجيش الانجليزى ، أمر الحاكم العام ، مناطق قوة الدفاع ، المقاتلون فى قوة الدفاع ، الأورطة المصرية بالمكسيك ، الامضاء عن السودان ، اعتماد ٧٥٠ ألف جنيه لقوة الدفاع ، فى برلمان سنة ١٩٢٦ ، فى برلمان سنة ١٩٢٧ ، فى برلمان سنة ١٩٢٨ ، فى برلمان سنة ١٩٣٤ ، رأى الأمير عمر طوسون ، الجيش المصرى من محمد على للآن ، سلاح الطيران فى السودان	
القصل الحادى والعشرون : النيل يوحد بين مصر والسودان ، وصف حوض النيل ، الأبحاث المائية ، المناخ ، معدل درجة الحرارة بالسنتيجراد ، معدل النسبة المئوية للرطوبة النسبية ، معدل سقوط الأمطار بالمليمتر ، مصر والنيل ، تطورات نهائية للفيضان ، بعض معلومات القبط عن منابع النيل ، الفيضانات العالية والمتوسطة والواطية	٢٦٨ - ٣١٠
الفصل الثانى والعشرون : اتفاق بين مصر وانجلترا سنة ١٩٢٩ رد فخامة المندوب السامى ، تقرير لجنة مياه النيل ، تقرير اللجنة ، الموقف الحاضر ، إختصاص اللجنة ، مشروع رى الجزيرة ، إعتبارات عامة للجنة ، الفصل الثالث : فى الاحصائيات ، الارصاد المائية ، مدة انتقال الماء ، الماء الضائع ، تقسيم السنة ، زيادة النيل - يوليو وأغسطس ، الفيضان ، انخفاض النيل - يناير وفبراير ، الفصل الرابع : الرى بالطلمبات ورى الحياض فى السودن ، رى الحياض فى السودان ، الفصل الخامس : الخلاصة الكلمة الختامية ، الكلمة الختامية ، رأى الأمير عمر طوسون ، النيل فى عهد قدماء المصريين .	٣١١ - ٣٤٦
الفصل الثالث العشرون : الخزانات ، خزان أسوان وإنشاؤه وتعليته ، منطقة السدود ، وصف منطقة السدود ، المناخ ، النباتات ،	٣٤٧ - ٣٨٩

الموضوع	الصفحات
الحيوانات ، السكان ، المياه ، المشروعات ، بيانات أخرى ، مشروع تانا ، مطامع الدول فى الحبشة وتسانا ، مؤتمر اديس أبابا ، خزان بحيرة تانا ، مؤتمر أديس أبابا ، وثائق ملحقة بالتقرير ، تعليمات للمندوبين ، خلاصة المقايسات ، بحيرة تانا وجزرها المقدسة ، بحيرة تانا من الوجهة الاقتصاديه	
الفصل الرابع والعشرون : الزراعة فى السودان ، أنواع الأراضى الزراعية ، فصول الزراعة ، المزروعات ، المساحات المزروعة والبور ، مشروع الجزيرة ، زراعة القطن ، تقرير مندوبى النقابة الزراعية ، الحالة الاقتصادية فى السودان ، الحالة الزراعية فى السودان ، مشاهدات عن زراعة القطن فى وادى النيل ، رأى عبد الحميد بك فتحى ، زراعات الحبوب ، المحاصيل الأخرى ، أراضى دنقلا ، أراضى حلفا الخرطوم ، زراعة الدخان ، جمعية زراعة القطن البريطانية ، تقرير السر وليم همبورى رئيس جمعية زراعة القطن ، الزراعة فى منطقة سنكات	٣٩٠ - ٤٢٢
الفصل الخامس والعشرون : جغرافية السودان ومصر ، جدول مديريات السودان قبل الادماج الأخير ، إدماج المديريات ، جغرافية النيل فى رأى العرب ، جغرافية مصر	٤٢٣ - ٤٣٤
الفصل السادس والعشرون : معادن السودان وجوه وحيواناته وصناعاته ، المعادن والذهب عند الفراعنة ، الودعة والبقرة والذهب حالة الجو فى السودان ، غابات السودان وأخشابه ، الصناعة ، بعثات التنقيب عن المعادن ، الحيوانات ، الأمراض والمستشفيات	٤٣٥ - ٤٤٣
الفصل السابع والعشرون : الحالة الاقتصادية فى السودان ، لجنة التحقيق فى مشروعات الرى ، ميزانية الحكومة إيرادات الحكومة ومصروفاتها ، الحساب الختامى لحكومة السودان سنة ١٩٣٤ ، مذكرة الحكومة عن ميزانية سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ ، تجارة السودان ، إيرادات السكك الحديدية ، إيراد البريد والتلغرافات ، الغرفة التجارية وخطاب المستر كونتوميخالوس ، السكرتير المالى ،	٤٤٤ - ٤٨٠

الموضوع	الصفحات
الجزيرة ، الانتخابات فى غرفة التجارة ، بيان رسمى ، تجارة مصر مع السودان ، الواردات من مصر إلى السودان ، الواردات من السودان لمصر ، غلاء السكك الحديدية ، عدد الموظفين ، الحالة الاقتصادية لمديرية دارفور ، الثروة الطبيعية ، المحصولات الزراعية ، الماشية المنتوجات الحيوانية ، المسلى ، صناعة الأحذية الفاشرية ، الخيول فى دارفور ، دارفور فى الصناعة الحديثة ، مم تصنع الدبارة ، إلغاء باقى السبعة ونصف فى المائة ، تقرير بوليس مديرية الخرطوم ، بريد السودان وأعالى النيل ، التلغرافات المرسلة إلى السودان ، مكاتب تلغراف السودان ، أسماء مكاتب تلغرافات السودان ، التعريفة ، التلغرافات المستعجلة ، التلغرافات المؤجلة المعنونة لبعض بلاد أجنبية ، التلغرافات الجفرية والاصطلاحية ، التلغرافات التى تصدر عن طريق حلفا ، نقل حسابات صندوق التوفير بين القطر المصرى والسودان	
الفصل الثامن والعشرون : فى وظائف السودان والموظفين ، الناس طبقتان ، مؤاساة الخليفة ، الأقباط فى السودان ، الأجانب فى السودان ، الأجازات فى السودان ، سجون السودان ، أشغال المحكوم عليهم	٤٨١ - ٤٨٩
الفصل التاسع والعشرون : التعليم فى السودان ، كلية غوردون والمدارس الفنية ، مدرسة حقوق الخرطوم المؤسسة سنة ١٩٣٥ ، أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥ ، مذكرة ايضاحية ، بيان رسمى عن مدرسة حقوق الخرطوم ، رأى مجلة الفجر ، فكرة إنشاء جامعة سودانية ، المدرسة الحربية ، تعليم البنات ، بعثات علمية ، فى جنوب السودان ، المعهد العلمى بام درمان ، أشهر العلماء قديما وحديثاً ، الثقافة فى السودان ، الأزهر والسودان ، أروقة السودان ، رواق السنارية ، رواق برنو ، رواق صليح ، رواق الجبرت ، رواق دارفور ، طلبة السودان بالقسم العام بالأزهر ، أوقاف أروقة السودان ، شيوخ الأزهر ، السودانيون بالجيش المصرى	٤٩٠ - ٥٢٠

الموضوع	الصفحات
الفصل الثلاثون : الأدب فى السودان ، اسماء العشراء	٥٢١ - ٥٣٠
الفصل الحادى والثلاثون : الاسلام والأديان فى السودان ، البعثات التبشيرية ، لوائح بعثات التبشير المسيحية فى السودان سنة ١٩٣٣ ، البعثات — مناطق البعثات	
الفصل الثانى والثلاثون : الحياة الاجتماعية والصحافة والعادات ، الأغانى السودانية ، الصحافة فى السودان ، الطباعة فى السودان ، عادات المواطنين السودانيين ، عادات الزواج ، الترويج للزواج فى السودان ، خطبة السيد محمد الخليفة شريف ، عادات الزواج عند الشلك ، عادات الأفراح ، فى المآتم ، الخرافات والأوهام ، المرأة السودانية ، المرأة الجميلة ، ملجأ القرش ، جمعية منع المسكرات ، حفلات المولد النبوى	٥٣١ - ٥٥٠
الفصل الثالث والثلاثون : هجرة المصريين ، رأى سمو الأمير عمر طوسون ، رأى المؤلف	٥٥١ - ٥٥٨
الفصل الرابع والثلاثون : مستقبل السودان ، رأى اللورد ملنر ، رأى المستشار المالى ، رأى الأمير عمر طوسون ، رأى الجمعية التشريعية ، أمر عسكرى من اللورد اللنبى ، برقية سعد زغلول باشا ، رأى مجلة الفجر	٥٥٩ - ٥٨٥

فهرس صور الجزء الثانى

مرتبة حسب الحروف الأبجدية

الصورة	الصفحة
صورة احمد فؤاد (جلالة الملك)	١٦٩
« ادموند اللنبى	١٧٤
« ادموند هنرى اللنبى	٢٢٢
« الزبير رحمت باشا	٤٧
« الأورطة السودانية	٢٥٣
« الأوطة المصرية بالمكسيك	٢٥٤
« النيل عند خزان سنار	٣٠٥
« « عند الشلال الثانى	٣٠٨
« اوراق البابيرس (البردى) فى بحر الجبل	٣١٠
« الوفد السودانى فى لندن سنة ١٩١٩	١٧٨
« ا - ج سر سفيلدهول مدير مديرية الخرطوم	٤٨٣
« بتلر باشا (الفريق)	٢٥٠
« بحر الغزال	٢٧٦
« بطرس غالى باشا	٥١
« بيت الخليفة التعايشى	٤٥
« برسى لورين (السير)	٥٢٧
« تخطيط الخرطوم بعد إعادة السودان لمحمد السعيد سماحه بك	٩٧
« تالوج أو دوليب	٥٢٨
« جثة الخليفة التعايشى ومن معه فى واقعة جديد	٤٤
« جورج لويد (اللورد)	٢٦٧
« ج - ن لوجن مدير مصلحة الأشغال العمومية	٤٨٥
« جورج الخامس (جلالة ملك الانجليز)	٤٨٧

الصورة	الصفحة
صورة حسين كامل الأول (السلطان)	١٦٤
« حسين رشدى باشا	١٦٥
« حقول القطن فى السودان (حركة الجنى)	٣٩٣
« خزان سنار (مكوار)	٣٠٦
« « إسوان	٣٠٧
« سعد زغلول باشا	١٧٢
« ستيوارد سايمز (السير) حا كم السودان العام	٤٧٥
« سعيد شقير باشا (السير)	٤٨٨
« شهادة العالمية فى المعهد العلمى بأم درمان	٤٩٢
« صمويل عطية بك	١٧٩
« طالب خريج من كلية غوردون وبمدرسة كتشنر الطبية	٤٩٤
« طالب ثانوى سودانى من طلبة كلية غوردون	٤٩٦
« عباس حلمى باشا (الخديوى السابق) سنة ١٩٠٥	٩٤
« « « « « سنة ١٩٢٩	٩٥
« على الميرغنى	١٥٤
« على يوسف باشا	٨٩
« فرانسيس ريجلند ونجت باشا (الميجر جنرال الفريق السير)	٤٣
« قوة الدفاع	٢٥١
« كازينو الخرطوم	٩٢
« كتشنر (اللورد)	٣٠
« كتشنر اوف خرطوم يفتتح كلية غردون	١٠٢
كرومر (اللورد)	٥٠
لى ستاك (السير)	٢٢٣
محمد بن احمد (الأمير) وهو بلباس المهدى فى الأسر	١٠٨
« محمد أمين قراعه	١١٧
« محمد شا كر	١١٤
« محمد هارون	١١٥

الصورة	الصفحة
صورة محمد مصطفى المراغى	١١٦
« محمد لقان الجارم	١١٨
« مصطفى النحاس باشا	١٧٣
« مشروع الجزيرة	٣٢٠
« مدينة الخرطوم	٩٢
« معمل أبحاث سيرلى ستاك باشا	٨٣
« منطقة السدود	٢٧١
« مركز البعثة التبشيرية	٥٢٩
ما يلز لامبسون (السير)	٥٦٠
« هـ . ك املى (مدير عام سكك حديد السودان)	٤٨١
« هـ . ا . تاس (السكرتير المالى)	٤٨٩
« واقعة فركه فى ٧ يونيه سنة ١٨٩٦	٤٠
« واقعة أم درمان — الهجوم الثانى	٤١
« « « « — هجوم الدراويش على الزريبة	٤٢
« يوسف الهندى (الشريف)	١٥٦

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤	١٩	فألى	فإلى
١٣	١٦	ذا	إذا
١٥	١٥	بايماة	بإيماءه
١٩	١٣	الغزله	العزله
٢٨	١٨	فاختلف	فاختلف مع
٣٣	١٤	فرقة التمثيلية	الفرقة التمثيلية
٤٤	٤	٨٠٠٠ آلاف	٨٠٠٠ ثمانية آلاف
٤٥	٣	اللجيش المصرى	الجيش المصرى
٤٩	٦	الرعاسة	الرئاسة
٦٤	١٣	وزرائه	وزرائه
٥٨	٨	يعتورها	يعترها
٦٣	٢٤	لمديرريات	لمديريات
٧٩	٧	الجرائد	الجرائد
٧٥	٦	الأعدم	الاعدام
٧٥	١	مسئلة	مسألة
١٥٢	١٩	الأرض	الأرضيين
١٧١	١٩	١٨٩٩	١٩١٩
١٧٦	٧	القادمة	القائمة
٢٠٧	١٧	اللور	اللورد
٢١٨	١٧	بمبدأها	بمبدئها
٢٣٥	١٩	طلبة المدرسة	من طلبة المدرسة
٢٣٦	١٨	المعسكرية	المعسكرة
٢٣٧	٩	من الضباط السودانيون	من الضباط السودانيين
٢٣٧	١٦	وست ضباط	وستة ضباط

صفحة	سطر	الخطأ	صواب
٣٠٣	١٩	المجاوز	المجازر
٣١٦	٢٣	إبذاء الرى	ابداء الرأى
٣٣٣	١٨	لا يفل	لا يقل
٣٣٦	٦	يستأئس	يستأنس
٣٤٣	١٥	الذى تقدمث	التى تقدمت
٣٥١	٥	وأقيم	واقليم
٣٥١	٩	إكشاف	اكتشاف
٣٥٣	٧	الحوية	الجوية
٣٥٤	١٧	إنماءه	انماؤه
٣٥٧	٤	المشروع	المشروعات
٣٥٧	١٧	كلاها	كلاهما
٢٥٧	١٦	شبكة	لشبكة
٣٦٠	٢	ضباع	ضياع المياه
٣٦٠	١٥	سعة	سبعة
٣٦١	١٢	لا ينو	لاينمو
٣٦٦	١٩	ارصادا	ارصاد
٣٦٧	٥	بتنا	بينا
٣٦٨	٦	ميا النيل	مياه
٣٦٩	١١	١،٥	١ر٥
٣٦٨	٨	اذن	اذ
٣٧٠	٢٦	مستوفى	مستوف
٣٧٣	٩	للجنة	للجنة
٣٧٤	١٨	فى من الطريق	فى جزء من
٣٧٥	٢٣	تفصيلا	تفاصيل
٣٨٠	٢٥	بركات	بركان
٣٨٢	٢١	قبيله	قبيلة
٣٨٦	٢١	أن المكان	أنة المكان

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٨٩	٤	ومجارى	ومجار
٣٩٢	١٧	برأس	يرأس
٣٩٧	٢	الصلاة	الصلات
٤٠٠	٢٢	ممتد	ممتداً
٤٠٢	١٥	لأبناتة	لأبنائه
٤٠٦	١٣	تمار	ثمار
٤٠٧	٥	(٢٠)	(٢٠٠)
٤٠٧	١٨	للأريتية	للأريتية
٤٠٩	١٣	للغرض	الغرض
٤٠٩	٢٠	ذراعته	زراعته
٤١١	٨	مسانى	مساق
٤١١	٢٤	ثزع	تزرع
٤١٢	١٣	مرضى	مرض
٤١٣	٢٨	غط	غيط
٤١٤	٣	سلمية	سليمة
٤١٩	٣١	القود	النقود
٤٢١	١٢	تذرع	تزرع
٤٢١	١٨	يصيق	تضيق
٤٢٣	٣١	ثلاثة	من ثلاثة
٤٢٦	٤	وأمجت	وأدمجت
٤٢٧	١١	كفار	كفار
٤٢٨	٦	ذاهيا	ذاهبا
٤٢٩	٥	مصلحة	مصلحة
٤٣١	٢٣	طهور	ظهور
٤٣٦	١٧	إثارة	أثارة
٤٣٨	١٠	الانسانى	الأنسان
٤٣٩	٢٤	ألوان الحر	الوان الحرف

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٤٣	٢٤	كتشف	اكتشاف
٤٤٣	٨	القول	الفصول
٤٥٧	٢٦	أودورين	اودوران
٤٥٩	٨	جار	جارى
٤٦٠	١	البجازية	التجارية
٤٧٠	٢	الصمغ	والصمغ
٤٧٢	١٤	سمعت	سمعة
٤٨٦	٢٦	بجهود	بجهوده
٤٨٧	١٠	عن العقلاء	عند العقلاء
٤٩٣	١٢	جلوس	عيد جلوس
٥٠٨	٥	الصخراء	الصحراء
٥١٣	٣	أورقة	أروقة
٥١٧	١١	سنة ١٣٤٧	سنة ١١٤٧
٥١٩	١٠	سنة ١٢٣٠	سنة ١٣٢٠
٤٤٦	٢٦	أمير ياله	أمبزيال
٥٥٠	٢٢	الضناه	الفناء

وبالرغم من الدقة فى مراجعة الكتاب وقعت مع الأسف بعض أخطاء نشر؛ بعضها على سبيل المثال ونترك الباقى لفطنة القارىء الكريم ؟

السودان

من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية

الجزء الثالث

يشتمل على تراجم عن سمو الأمير عمر طوسون والهيئات التى اشتركت في البعثة الاقتصادية المصرية إلى السودان من الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية والغرف التجارية ووزارة التجارة والاسرة الأباظية ، ومقدمات سفر البعثة وأسبابه ، ووصف رحلتها يوماً يوماً وعودتها ولجانها ونتائج مهمتها وبيانات كثيرة عن الحياة السودانية — مع الصور

تأليف

عبد الله حسين

المحامى أمام محاكم الاستئناف والمحرر بالاهرام

وصاحب الجريدة القضائية والادارة والبوليس القضائى

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس من هذا الكتاب ملك خاص للمؤلف

الطبعة الاولى — على نفقة المؤلف

طبع سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

مطبعة وادى الملوك

شارع محمد على بدرب الفجالة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف عن الجزء الثالث

أتممنا الجزء الثاني من كتابنا «السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية». وقد خصصنا هذا الجزء، وهو الجزء الثالث، للبعثة المصرية في السودان، وقد رأينا أن نقدم فيه حضراء أعضاء البعثة للقراء، وأن نكتب بياناً عن الهيئات التى اشتركت فيها، ليقف قراء السودان على المهمة التى تقوم بها هذه الهيئات. ولما كان لحضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون الأثر العظيم في سفر البعثة، والفضل الكبير فى توثيق العلاقات بين مصر والسودان، فقد عقدنا فصلا ترجمنا فيه حياته الكريمة، كذلك تكلمنا عن الاسرة الأباظية، لأن لها اسما مشهوراً في السودان، حتى ان اسم «أباظة» أوشك أن يكون إسما سودانياً، بسبب النصيب الوافر الذى كان لحضرة مقرر البعثة صاحب العزة فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعة الزراعية الملكية، ولانه قد اشترك في البعثة رجل آخر من الاسرة الأباظية هو حضرة صاحب العزة عبد الحميد أباظة بك، ولأن أهل السودان معجبون بقلم الكاتب المتفنن زميلنا الاستاذ محمد فكرى أباظة، المحامى ورئيس تحرير المصور. ولاسيما لما علموا أن «أباظة» اسم لقبيلة عربية بعد أن ظنوه اسماً تركياً، وقد أسمى الكثيرون من أهل السودان مواليدهم باسم «أباظه»، فرأينا لزاماً علينا أن نعرف أهل السودان على الأقل بتاريخ هذه الاسرة

أما الفصول التى كتبت عن رحلة البعثة فهى، على الغالب، قد نشرت بجريدة «الاهرام» وقد أضفنا اليها بيانات مهمة أخرى عن السودان وشئونه

اننا نعد رحلة البعثة حادثاً تاريخياً جليلا في العلاقات بين مصر والسودان، وقد ساعدنا اشتراكنا في هذه البعثة على جلاء المسألة السودانية، ان صح أن هناك مسألة بهذا الاسم، واننى لاعد من حسن السياسة ومن الفأل الحسن سفر هذه البعثة، أيا كانت الاغراض التى بعثت رجال الحكومة السودانية على تسهيل مهمتها

فيجب أن لا يعزب عن البال أن علاقاتنا الفعلية بالسودان قد وهنت منذ خروج الجيش المصرى ، وأن جيلا جديداً في السودان سيجىء فلا يعرف شيئا عن المصريين ، أو يعرف شيئاً لاغناء فيه ، وأن اتصال المصريين باخوانهم السودانيين قد جدد الروابط القديمة ، وأحيا العلاقات الماضية ، وفتق الاذهان لآراء جديدة

لهذا كله أفردنا هذا الجزء لرحلة البعثة ، ونرجو أن نكون بتأليفنا الكتاب فى أجزائه الثلاثة ، قد حققنا الغاية التى رمينا اليها ، وهى أن يقف القراء على تاريخ السودان ووجوه نشاطه ، ورابطته بمصر ، وأن يعود ذلك كله بالخير على مصر والسودان والبلاد المتصلة بهما ، وعلى الانسانية جمعاء

عبد الله مسين

الفصل الأول

الامير عمر طوسون والسودان

لايسع المؤرخ الصادق إلا أن يعرض لنصيب حضرة صاحب السمو الامير العظيم عمر طوسون في الاهتمام بأمر السودان ، فلسموه المقالات والمذكرات والاحتجاجات والكتب والنداءات في صدد العلاقات القديمة والحاضرة بين مصر والسودان ، وسموه يبذل الكثير فى معونة طلاب العلم السودانيين الفقراء فى الأزهر والخارج ، ويكرم مثوى الضيوف السودانيين ، ويساعد جهات البر والعلم فى السودان، كملجأ القرش ومعهد أم درمان والمساجد والأندية، ويغتنم سموه كل فرصة للوقوف على أنباء السودان من الذين يزورون سموه من أهله والذين أقاموا به كالضباط والموظفين المصريين ، ولا يزال سموه يبحث وينقب لكشف ما خفى من تاريخ السودان ورجاله وعلاقاته بمصر ، ويقدح زناد الفكر ، لكى يعيش السودان سعيداً ويحيا السودانيون حياة سعيدة ، ويكاد حديث السودان يغلب كل حديث آخر فى حضرة سموه . ولما عاد أعضاء البعثة المصرية دعا سموه من أمكن مقابلتهم ، لاستطلاع رأيهم فى نتائج رحلة البعثة

وسيذكر تاريخ السودان وعلاقاته بمصر النصيب الأول الذى لسمو الأمير فى هذا الشأن ، وقد قدر السودانيون أنفسهم بره بهم وحبه لهم ، فأحلوه من نفوسهم أسمى منزلة ، وأجمعوا على حبه ، ولهجت ألسنتهم بذكره والدعاء له

على أن مسألة السودان ، على مالها من الأهمية وعظيم الشأن عند سموه ، ليست المسألة الوحيدة التى يعنى بها سموه ، فان سموه — كما هو المعروف — العلم فى بيئته ، بمتابعة الاهتمام بالشؤون العامة فى مصر والشرق والاسلام وابداء الرأى فى كل فرصة . لهذا رأيت أن أعقد هذا الفصل خصيصاً أترجم فيه حياته

ترجمة صاحب السمو الامير عمر طوسون

ولا نقصد من هذه الترجمة مدح الأمير فهو غنى بصيته الذائع وشهرته الواسعة عن المدح والاطراء. ولقد أبى علينا مراراً درج ترجمته فى كتابنا، ذهابا مع ماعرف عنه من التواضع والبعد عن الزهو، فلما توسلنا اليه برغبة الأمة والحاح الكافة من الأدباء والعظماء، أذن لنا: فنحن نترجمه للامة وللسودان ومصر لا لنفسه ليكون للبلاد من تاريخ حياته الحافل بجلائل الأعمال نبراساً يضيء لها الطريق: طريق المجد الصحيح ومحبة الخير للخير.

وفى اعتقادنا أن فى ترجمة الأمير أكبر درس للعظاميين الذين يرون فى مجرد الحسب والنسب كل الفخر وفى الغنى الموروث عن الآباء والأجداد غنى عن كل منقبة تكسبهم مجداً جديداً وذكراً حميداً، بل درسا فى الاخلاق الفاضلة

قدمنا هذه المقدمة ليعرف الأمير قصدنا من ترجمته، وأننا لم نعد مافى نفسه ولم نتجاوز غرضه، وليكون القارىء على بصيرة من الغاية التى حدت بنا إلى الافاضة فى هذه السيرة فتشرق عليه شمس العظمة من سمائها الصافية، وتنعكس أشعتها على مرآة نفسه، فيقتبس من أنوارها ما يشاء ويحتذى ببعض ما فيها من أمثلة العلاء، ولعله يقتفى مثالا كريما ويهتدى صراطاً مستقيما. ومن قرأ تراجم العظماء وترسم آثارهم لا يلبث أن يكون عظيما:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم أن التشبه بالرجال فلاح

ولد الأمير عمر بن طوسون بن سعيد بن محمد على الكبير بمدينة الاسكندرية فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٢ م. وفى السنة الرابعة من عمره توفي والده فكفلته جدته لأبيه خير كفالة وعنيت بتربيته هو وأخوته وأخواته أجل عناية فنبت نباتا حسنا، وشب على الكمال خلقا وخلقا. ودرس مبادىء العلوم على أساتذه قصر والده إلى أن بلغ الحلم فنزح إلى سويسرا ودرس فيها دراسة مستفيضة. ولما تخرج تاقت نفسه إلى السياحة فرحل إلى إنجلترا وفرنسا باحثا مدققاً معتبراً بما هنالك من تقدم اجتماعى وعلمى وصناعى وزراعى، ثم قفل إلى الديار المصرية حاملا بين جنبيه همة علية ونفسا زكية وقلبا المعيا وأدبا عليا. وهو يجيد اللغات التركية والعربية والفرنسية والانجليزية قراءة وكتابة، ويشارك فى مختلف العلوم مشاركة تدل على سمو مداركه، وسعة معارفه. وقد نال من الرتب والوسامات

المصرية أسماها وأعلاها، واقترن بأحدى كريمات الامير حسن باشا ابن الخديوى اسماعيل فرزقه الله منها النجباء والنجيبات من البنين والبنات. وسعادتهم بتثقيفه وتعليمه لهم تتفق مع سعادة طالعهم .وتبشر بأنهم سيطلعون نجوم سماء ويسطعون كواكب علاء .

ومنذ بلغ أشده جعل نصب عينيه أن يقبض يوما ما على زمام دائرته ويدير شؤونها بنفسه . فانكب على التمرن وكان من وقت لآخر يطوف بمزارعه الواسعة وينعم النظر فى كتب الفلاحة . ويعنى بالوقوف على أسرارها وأصولها العملية . كما يعنى إذا رجع إلى ديوان دائرته بالشؤون الادارية والمالية . ولما كملت أهليته تولى أمره بنفسه ، وقد أصبح الآن ممن يشار اليهم بالبنان فى سعة الاطلاع على المعارف الزراعية والمعاملات المالية. وعهدت إلى إدارته بعد ، دائرتان من أكبر الدوائر وهما دائرة الأمير حسن باشا وزوجه الأميرة خديجة هانم ، ودائرة الأمير محمد ابراهيم فتبرع بأدارة شؤونهما غيرة منه على مصالح المستحقين فيهما من أبناء أسرته الكريمة وأبي أن يأخذ على ذلك أجراً وطالما كلفه الطواف على مزارع الدائرتين ورعاية مصالحهما مالا. فتأبي نفسه الكريمة إلا أن يكون على حسابه الخاص . فهو يضحى الكثير من وقته وماله فى سبيل منافع بعض أعضاء أسرته شأنه في محبة الخير وأسداء النصيحة إلى القريب والبعيد . وقد بلغت الدوائر الثلاث بحسن إدارته أفضل المبالغ . وغدا مركزها المالى ثابتا على أقوى الدعائم ونهضت بها عزيمته نهضة جعلتها فى مقام رفيع .

وللامير ولع بالفروسية وكل ما يؤدى اليها فلذلك كانت دائما جميع أندية الرياضة في البلاد ملحوظة بجميل رعايته . كمضامير السباق في الديار المصرية فهو رئيسها منذ أمد بعيد ، ومن أكبر المنشطين لها ، كما له ولع قديم بالصيد والقنص جعله من أمهر الرماة . واكتسب الأمير من وراء هذا الميل الغريزى فيه صحة ونشاطا، ينطقان بفوائد الرياضة بأفصح لسان . فهى لا تدخل في باب اللهو كما يظن العامة ، بل هى إلى الجد أقرب لعودها على الصحة بأجل الفوائد . والصحة ملاك الحياة وعليها ينبنى العلم والعمل وما يعمله الصحيح في يوم لا يقدر عليه السقيم في أيام. كما أن العقل السليم في الجسم السليم .

وسموه ميال بطبعه إلى الرحلات والاستكشافات فقد قام برحلات كثيرة إلى الصحراء الغربية ودرس طبيعة هذه الجهات وما فيها من الواحات وغيرها

دراسة مستفيضة. وقد نشر سموه في الجرائد معلومات قيمة عنها . ولا ننسى هنا ماجادت به يده السخية في سبيل الله والخير : من انشائه الآبار في طريق الغادى والرائح في هذه الجهات . ومن استكشافات سموه الجديرة بالذكر بعض الآثار القديمة التى توالت عليها الدهور والأعصار . فمن ذلك أنه كشف في أطلال بناء قديم في جنوبي غرب واحة الدلة عن صليب قبطى من الشبه « البرنز » يرجع عهده إلى القرن الخامس أو السادس للمسيح وكذلك عن بعض الأوانى الفخارية الأثرية القديمة بتلك الجهة . ثم استكشافاته لسليا وآثارها غربي وادى النطرون ورأس تمثال الاسكندر الأكبر بخليج أبي قير وإرشاده لجمعية الآثار وبلدية الأسكندرية للتنقيب بجوار مسجد نبى الله دانيال ، ورحلته الأخيرة فى شهر يونيه سنة ١٩٣٥ إلى الواحات الخارجة

* * *

ومن وقف على حياة الأمير عجب أشد العجب من انكبابه على العمل دون سآمة أو ملل: فهو، مع أعمال الدوائر العظيمة ، لا ينقطع عن القراءة والدرس فى مكتبته الحافلة بالنفائس . وله غرام باقتناء كتب التاريخ والوقوف على آثار الأقدمين ولا يخلو الكثير من أيامه من النظر فى شأنهام . أو دعوة لاكتتاب أو رياسة جمعية كما لا يخلو شهر من سفره إلى ضياعه مرة أو أكثر . وقد يبقى فى الأرياف أسبوعا لمشارفة الأعمال الجارية في أراضيه .

والأمير بعيد بفطرته السليمة. وتربيته القويمة . عما يغضب الله وهو يكره الخمر ويكره شاربيها ويعاقب من يعلم أنه يشربها من موظفيه أشد العقاب . وجمعية منع المسكرات بالاسكندرية تحت رياسة شرفه، ويمدها دائما بمساعداته ونذكر له بهذه المناسبة اقتراحه على الحكومة المصرية بقبول اشتراكها في مؤتمر مكافحة منع المسكرات الذى انعقد بمدينة انفرس ببلجيكا ومعاونته للجمعيات التى أنشئت في نواحى القطر لمحاربة المخدرات بمختلف الوسائل . وهو يجل الاسلام وأوامره . وايمانه بالله عظيم . واعتقاده راسخ . يعجبه من الناس الصدق والاخلاص ، ويقربهم اليه أكثر مما يقربهم جاههم ومناصبهم . وهو مشهور بدفاعه عن القومية المصرية وعن الدين والأمة الاسلامية وصد تيار المبشرين والملحدين، وبنصائحه الاجتماعية الثمينة الغالية. وآراؤه معروفة ومقدورة في مسائل مساواة المرأة للرجل في الميراث وإبدال القبعة من الطربوش ومزاحمة

المرأة للرجل في ميدان العمل ومايرى سموه أنه ينجم عن ذلك من الأضرار الأدبية والمادية والاجتماعية . ومحبته للمصريين تعدل محبتهم له. وهم في نظره سواء لا فرق بين مسلمهم ومسيحيهم . وكثير من موظفى دوائره من الاقباط وبينهم من بلغوا مراكز كبيرة . وتولوا المناصب العالية عنده . وفيهم سوريون أوجانب وهو شرقي في ميوله . ويعد سموه أن أكبر جزاء له من الأمة المصرية على التفاته السامى نحوها ، وعنايته التى يظهرها فى ظروف مختلفة ـ هو ذلك الحب الخالص الذى يتجلى لسموه في غدوه ورواحه وعند كل فرصة تمكنها من أظهار ماتكنه لشخصه المحبوب . وفي أيام المظاهرات الوطنية الكبرى كان يقف الجمع المحتشد تحت شرفات دائرته هاتفا له داعيا . ولا ينصرف حتى يطل سموه عليهم ويحييهم وكذلك حالهم معه في كل مشهد واحتفال .

بعضه مآثر الامير ومبراته

لا ينتظر القارىء منا أن نحصى له مبرات الأمير وأعماله العظيمة في هذه العجالة وانما سبيلنا في ذلك أن نلمع إلى بعضها الماعا . ونذكر ما حضرنا منها . ليقاس عليه ماغاب عنا : فكرمه الواسع لا تحضرنا عبارة تفى بالافصاح عنه خصوصا اذا أهابت بجدواه دواعى البذل . ونزلت بالناس سنو الشدائد ـ فهناك تتجلى أريحيته للعطاء ويكون بأياديه الجسام أندى كفا من الغمام : فالحرب الطرابلسية انما كانت مادتها ماله. ولو لم يسعفها بمعونته وجاهه ومبرته لما أمكن أهلها الدفاع عن حوزتهم بضعة أشهر، وكذلك حرب البلقان التى شبت نارها على أثر حرب طرابلس فقد أقر فيها عين الدولة والملة ، ورأس لجنة الاعانة في مصر فلبته الامة والتفت حوله . وألفت اللجان في المديريات والبلدان وكان يستندى الا كف بنفسه . ويخطب الخطب الرنانة فى المشاهد الحافلة بالامراء والاعيان فيجرى النضار بين يديه سيلا متدفقا وهو يبعث به إلى الدولة العثمانية العلية تباعا.

ولقد عرفت الدولة العثمانية مواقفه العظيمة لها في مواطن كثيرة خصوصا في هاتين النازلتين . ومن جمعية الهلال الأحمر . وأرادت أن تكافئه بالأوسمة والرتب بل بالولايات فأبي شاكراً وقال : — إني لم أفعل غير الواجب وليس على الواجب جزاء .

وغرضه الأقصى من أعماله هذه إحياء عاطفة التعاون والتعاضد بين الشرقيين

وأحكام روابط الألفة والاتحاد التى تقويهم لعلمه أنهم إذا لم يتمسكوا بهذه العروة الوثقى فقد ذهبت ريحهم .

والأيام تبين عن كثب صدق مايرى وليس أصدق من عبر الدهر وحوادثه وهذا هو مذهبه السياسى للشرقيين عامة ورأيه أنهم لو عملوا بهذا المبدأ ، مبدأ التكافل ماتخطفتهم ذئاب الغرب . ولا التهمت بلدانهم واحدة تلو الأخرى . وطالما مد يد المساعدة للدولة في ظروف مختلفة فقد حدث حريق هائل في الآستانه وحدث مثله فى الشام ومصر فى وقت واحد فأعمل همته وجمع للمصابين بين البلدان الثلاثة مبالغ ذات بال نفست من خناقهم . وأزالت بعض كربتهم . ولم ننس تبرعه للاسطول العثماني والطيارين العثمانيين وأحتفاله بهم فى مضمار الأبراهمية من رمل الاسكندرية في يوم مشهود .

ومن مآثره الغراء عوله لجماعة البخاريين الذين سدت عليهم الحرب الأوربية الكبرى طريق الوصول إلى بلادهم بعد أدائهم فريضة الحج فقد كفاهم بره معرة السؤال والتكفف أكثر مدة هذه الحرب المشؤومة وحاطهم بمعروفه فى ستر وكفاية . حتى تمول منهم المعدم وأشتغل العاطل وفتحت فى وجوههم الطريق — إلى غيرذلك من المكارم الكثيرة، التى تعيد لنا ذكرى الأجواد في سالف الأيام . ولما تمخضت الحرب الكبرى عن انتصار الحلفاء واقتطاعهم أكثر الولايات العثمانية واحتلالهم عاصمة الخلافة وانحازت فلول الجيش التركى وعلى رأسها مصطفى كمال باشا إلى داخل الأناضول يدافعون عن البقية الباقية من بلادهم وهم خلو من المال والسلاح ، أهاب هذا الامير الكبير بالمصريين فلبوه مسرعين إلى معاضدة هؤلاء الابطال ومساعدتهم بالمال ونهجت الأمم الاسلامية وخصوصاً الهنود هذا السبيل مقتفين أثره فى هذا العمل الانساني، الذى بيض وجه مصر وعطر الخافقين بذكرها .

وقد دامت هذه المعونة ثلاث سنوات متواليات وهى تتدفق على الاناضوليين من غيث جوده سيلا منهمرا حتى فازوا على اليونان وأخرجوهم مدحورين من بلادهم ثم استمرت ولا زالت لاعالة أيتام الاناضول إلى أن توارى شبح الموت والجوع عن أعينهم .

ولكن بعد أن تم الفوز للكماليين ألغوا السلطنة العثمانية وقلبوها جمهورية على رأسها مصطفى كمال ثم تمادى بهم السير في هذا الطريق فألغوا الخلافة وأخرجوا الخليفة

عبد المجيد وسائر أسرة آل عثمان مشردين فى الممالك الاجنبية مجردين مما يقوم أود معيشتهم ، فظهر بطل الاسلام مرة أخرى في ميدان العمل وأثارت هذه الكوارث نخوته المعروفة فقام يدافع عن مقام الخلافة ويذود يد الدهر عن هذه الاسرة الكريمة وألف جمعية لامداد الخليفة عبد المجيد وأمراء البيت العثماني وأميراته كان أول مدد لها أرسل اليهم أربعة آلاف جنيه .

أما أعماله لمصر والمصريين فهى أجل وأعظم فبابه مجتمع العفاة . ومزدحم الواردين والصادرين عن ذلك المنهل العظيم . وسدته قبلة عرائض أولى الحوائج وكعبة آمال ذوى الخلة من الفقراء والمستورين . وهو يسعهم بفضله . ويعمهم بسببه . وهو يواسى موظفى دائرته فى مرضهم وفى موتاهم . ويعينهم فى زواجهم وفى ولادة أولادهم وختان ذكورهم . وقد رتب لهم الاطباء ويتبرع لهم بما يحتاجون اليه من الدواء . وهو الذى يمون بيوتهم بالغلال منذ بداية الحرب ، ومدارسه لأبناء الفلاحين في ضياعه العامرة وأبناء الموظفين فيها تعلمهم بدون أجر مبادىء العلوم وتصرف لهم أدوات الدراسة كلها بغير مقابل .

وذلك غير اقامته للمساجد فيها وتعليم موظفيه عامة على نفقاته علوم اللغة العربية فى دروس يومية تعطى لهم عقب فراغهم من أعمالهم . واعطائه الجوائز للناجحين فى امتحانها كل عام . وقد يرى فى بعض هؤلاء نجابة فيعينه على تتميم دراسته . ومن أبناء الموظفين وغيرهم من بعث بهم إلى مدارس أوروبا العالية على نفقته الخاصة لامتيازهم بالنبوغ . ولا يزال بعضهم فيها إلى الآن .

واعطياته لمعاهد العلوم . والجمعيات الخيرية . لا تدخل تحت حصر : نذكر منها تلك الهبة الجليلة التى نفح بها جمعية العروة الوثقى . وجمعية المواساة على أثر رجوعه الاخير من أوروبا . فقد وهبهما من أجود أطيانه ما جعل الألسنة تنطلق بشكره عليه . وكم وهب هاتين الجمعيتين والملجأ العباسى هبات أخرى جزيلة سابقة ولاحقة فى ظروف متعددة . وله فى مشيخة العلماء بالاسكندرية مآثر جميلة فمنها عطاياه لترقية المتعلمين بها . وهباته لمكتبتهم . واننا نثبت هنا أبياتا من قصيدة لفضيلة الشيخ ابراهيم سليمان أحد شيوخهم تلاها بين يدى سموه على أثر عطية من تلك العطايا ، وقد جاءه منهم وفد شكر تحت رياسة شيخهم إذ ذاك وهو الاستاذ الاكبر الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الجامع الازهر الاسبق وهى .

أكلما ناب خطب قيل « ياعمر » كأنما « عمر » من جنده القدر

وكل خطب دجا يبدو له « عمر » كأنه الشمس للآفاق والقمر
البدو يسأله والمدن تأمله كأنما من ذويه البدو والحضر
لو كان في زمن القرآن إذ نزلت آياته أنزلت فى مدحه السور
فلا عدمنا هبات منه وا كفة لم يسقنا مثلها فى كفه المطر
حنا على العلم واستسقت معاهدنا منه فظل عليها الخير ينهمر

ومن شكر العروة الوثقى لسمو أنها سمت مدرستين من مدارسها احداها للبنات والاخرى للبنين باسمه الكريم . والدار التى فيها مدرسة البنين موهوبة لها من سموه ومن أفضل أياديه المشكورة ايعازه لجمعية المؤاساة التى يرأسها سموه رياسة شرف بتوزيع مقدار كبير من الدقيق على فقراء الاسكندرية عندما اشتدت الضائقة بهم . وخلت الاسواق أو كادت من هذه المادة الضرورية للحياة.

وقد أخذ يعاضد مشروع الكشافة لعلمه بما فيه من الفوائد الجلى لنابتة البلاد، فلقب عن جدارة من جمعية الكشافة بالاسكندرية بلقب «الكشاف الاعظم» بعد أن جعلها تحت رعايته العالية .

وإذا لم تقم في وجه هذا المشروع الجليل عقبات فسيبلغ بجميل رعايته مبلغا عظيما ويجنى شبان مصر منه نفعا عميما .

أما أعماله العامة فلا تكاد تجد مشروعا نافعا ظهر تحت سماء مصر الا وله فيه يد بيضاء. ومن ذلك تشجيعه للمعارض الزراعية . واشتراكه في الاكتتابات لاحياء العلم وتشجيع المشروعات الاهلية . وبلغ به هذا التشجيع أن تفضل واشترك مع الاسكندريين بخمسمائة سهم في جمعية المشروعات الاهلية وكان غرضها تجاريا محضاً . ولما كان الكثير من أعماله العظيمة واقعا تحت أعيننا وهو كل يوم يتجدد فلا حاجة بنا إلي عده . وإنما نذكر له هنا أعانته « الوفد المصرى » إلي مؤتمر فرساى بعشرة آلاف جنيه وبهذه المناسبة نذكر أن سموه هو أول تكلم مع الزعيم الخالد رئيس الوفد المصرى « سعدزغلول باشا » فى هذه الفكرة عندما وضعت الحرب أوزارها . وأول من أراد جمع المصريين عليها بدعوة صدرت منه فعلا فى يوم معين ونشرت فى الجرائد ولكن الظروف حالت دون هذا الاجتماع « راجع خطاب الاستاذ الكبير مكرم عبيد في المؤتمر الوطنى العام ومذكرات المغفورله سعدزغلول باشا » .

ومما لا يفوتنا ذكره اكتتابه في لجنة الامراء التى صرفت جل مالها في تخفيف

الويلات التى نتجت عن ضحايا المظاهرات . ولم يكتف حفظه الله بذلك بل دعا السكندريين إلي مثل هذا العمل ليكون خاصا بضحايا المظاهرات في الاسكندرية وحدها . وكان لهم نعم القدوة الحسنة . وشأنه في انضمام الامراء إلي بقية الامة في نهضتها الوطنية الاخيرة عند حضور لجنة « ملنر » والمطالبة بالاستقلال التام مشهور معلوم

ومما نذكره لسموه مقرونا بالشكر والاعجاب دعوته في الصحف للمصريين عامة إلى مد يد المساعدة للجمعية الخيرية الاسلامية وتقدمهم إلي الاكتتاب لها بمبلغ خمسة آلاف جنيه بمجرد ماعلم سموه بحاجة الجمعية إلي المال، واستصراخها لذوى البر والاحسان . فكان أول الملبين وأمام المحسنين .

وعلى أثر هذه الدعوة لفت نظره العالى بعضهم إلى الجمعية الخيرية القبطية وأنها أيضا فى حاجة إلى بر سموه فنفحها بألف جنيه ودعا الاقباط إلى الاكتتاب لها كما دعا المسلمين إلى الاكتتاب لجمعيتهم فى نشرة مذيلة باسمه الكريم جاء فى آخرها ما نصه : —

« والغرض الاقصى لى من ذلك أن أشرف على مضمار للخير فى مصر بين الاخوين الشقيقين « المسلم والقبطى » تتسابق فيه العزائم . وتتبارى الهمم . لانظر إلى أية غاية يجرى الاخوان المتباريان . وأيهما يحرز قصبات السبق فى هذه الحلبة الخيرية ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »

تلك سجية فيه عرفتها له مصر فهى ما هزت مواضع الاريحية من أنفس كرمائها إلا رأت ذلك الامير المحبوب يرتجل الندى ارتجالا ويرسل مكارمه إرسالا.

وكثيرا ما تقدمت أريحية سموه دعوة الداعين فاحالت دعوتهم دعاء وثنتهم عن الطلب إلى الثناء .

فانا لم نكد نسجل للامير الجليل تلك النفحة التى شمل بها الجمعية الخيرية الاسلامية حتى ارتجل مبرة أخرى فشمل الجمعية الخيرية القبطية بنفحة ترفع القواعد من بنائها . ولم نكد نفرغ من شكر هاتين المبرتين حتى بدهنا ثالثة لاينقطع برها ، ولا ينقضى شكرها

فانه لم يكد تمثال (نهضة مصر) يتصل حديثه بسموه حتى تفضل فتبرع بخمسمائة جنيه مصرى من ثمن ذلك التمثال ،

ومن مبراته الخالدة التي زادت أواصر الاتحاد متانة ماتبرع به أخيرا لمدرستى

البطركخانة والمشغل البطرسى على أثر زيارته غبطة الانباكيرلس بطريرك الاقباط الارثوذكس : فمنح المدرستين سندات من الدين الموحد لتعطى أرباحها السنوية جوائز لاوائل الناجحين والناجحات منهما وهكذا غرس يديه الكريمتين يبقى نفعه ما توالى الجديدان

وما ننسى لا ننسى تبرعات سموه المتوالية فى وجوه البر والخير فمن ذلك تبرعه بمائة جنيه فى مشروع شراء قطعة أرض بانجلترا لدفن موتي المسلمين بها وحثه المسلمين فى مصر على الاكتتاب لهذا المشروع وتبرعه بمثل هذا المبلغ لجمعية المحافظة على القرآن الكريم برمل الاسكندرية وبمبلغ أربعين جنيها كل سنة لجمعية مشروع القرش وتبرعه المتتالى لترميم مساجد السودان فى مدنه المختلفة ومدها ببعض الكتب الدينيه والعلمية وتبرعه لنادى الضباط المصريين بالسودان وللنادى السودانى بالقاهرة ولنادى الطلبة المصريين بانجلترا وبالكؤوس الفضية للالعاب الرياضية للمدارس الأميرية وغيرها .

مكارم يتلو بعضها بعضا . ومبرات يسطع فى العصر شذاها . وأن مصر التى تقدر كل عامل لها فى أبنائها لتحمد للامير أياديه البيضاء وتذكر له أنه لم يدع فرصة سانحة للبر بها إلا انتهزها مشكوراً ، وأن حياته المباركة نجح لكل عمل عميم النفع

ولا يفوتنا أيضا معاضدات الأمير وتشجيعاته المادية والادبية، فمن ذلك تأليف سموه جمعية للاحتفال بالطيار المصرى محمد صدقي بالاسكندرية ومنحها له خمسمائة جنيه. ومساعداته المؤلفين والمفكرين على نشر مؤلفاتهم وطبعه على نفقته الخاصة مؤلفات بعض رجال مصر العاملين ومذكراتهم وتشجيعه للعلوم والآداب إلى غير ذلك مما له أكبر الاثر فى حياة هذا الوطن وشؤونه

وأما نصائحه إلى أبناء وطنه مصر فهى غالية مجدية وكلها تنهى عن الشقاق والخصام وتأمر بالاتحاد والوئام كلما دبر لها أعداؤها فتنة أو ألقوا فى جموع الامة عصا التفرقة

وبالجملة فالامير عمر باجماع الامة المصرية صاحب الايادى العديدة ، والاعمال المجيدة والآثار الخالدة ، والسيرة الطاهرة ، فى بعد عن الشهوات ، وترفع عن الغايات، وثبات عند الملمات ، واجتهاد وجد يشبه سميه سيد المسلمين عمر بن الخطاب فى الصلابة فى الحق والثبات على العهد . والميل الي الجد . ثابت على مبادئه

ثبوت الجبال حتى ليس في مقدوره أن يقول ما لا يعتقد أو يعمل ما لا يريد أو يعد فيخلف أو يحكم فيجحف . صبور وقور . ذو أناة وحلم . لا تنال الملمات من نفسه الكبيرة . ولا يظهر لها أثر عليه وذلك من عجيب ما أودعه الله فيه من الخلائق فهو فى بيئته نسيج وحده ، ووحيد هذا العصر ، فى كرم الخلال وشرف الفعال فما أجدره بقول القائل : —

ولو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

أما العلم والتأليف وهما مما تنبو عنه ، عادة ، طباع أهل النعمة والثراء فضلا عن الامراء فقد بلغ الامير فيهما الشأو البعيد

وإن بحوثه التاريخية والعلمية لفى غنى عن الايضاح والبيان وهى تتناول مواضيع كثيرة هامة وقد نشر معظمها فى جرائد مصر العربية والافرنجية . وسمو الأمير يعمل بجد ومثابرة على إظهار مكنونات تاريخ جده الاكبر محمد على باشا واثارة دفائن هذا التاريخ الحافل بجلائل الاعمال . فمن ذلك أنه لفت نظر وزارة الاشغال على أثر عثوره بجريدة الوقائع المصرية على مقطوعات شعرية بها تواريخ انشاء بعض القناطر المصرية فى هذا العهد السعيد واقترح عليها نقش هذه المقطوعات التاريخية الاثرية على ألواح توضع فى مواضع هذه القناطر فنالت فكرته استحسانها ونفذت مقترحه .

وما ظهر الى الآن لهذا الأمير النابغة من آثار قلمه البليغ باللغتين العربية والفرنسية ودبجته يراعته من المباحث الممتعة وكلها من الطريف الذى لم يكن معروفا من قبل ، يجعل له القدح المعلى فى هذا المضمار.

وذلك مثل مقالاته التى نشرتها الصحف والمجلات العلمية عن الجيش المصرى أيام محمد على وعن المدارس والصنائع . والبعثات العلمية . فى ذلك العهد ومحاضراته القيمة التى القاها فى المجمع العلمى المصرى وتلقتها أندية العلم فى الشرق والغرب بمزيد الاهتمام . وكتابه النفيس عن أفرع النيل القديمة الذى ظهر منذ عهد قريب مطبوعا باللغة الفرنسية . وسيظهر عن قريب باللغة العربية . ورسائله التاريخية العديدة الى غير ذلك مما شارك الأمير فيه أكابر العلماء المحققين وسلكه فى سلك جهابذة المؤرخين المتميزين .

وقد تغنى الشعراء بمدحه وأكثروا من القول فيه مما لو جمع لكان ديوانا كبيراً . واننا نختم هذه السيرة المتضوعة بقصيدة فى الأمير لشيخ شعراء الجيل الغابر

اسمعيل صبرى باشا بعث بها إلى سموه أيام حرب البلقان والهلال الاحمر وهى:-

لك الامارة والاقوام ما برحت ... بكل عالى الذرى فى الكون تأتمر
لو لم تنلها لما القت أعنتها ... الا اليك : خلال كلها غرر
يا ابن الالى لو أطلوا من مضاجعهم ... يوما عليك لقالوا ايه يا « عمر »
أعدت أيامهم فى مصر ثانية ... حتى توهم قوم أنهم نشروا
وسرت سيرتهم حتى كأنهمو ... اذا خطرت بأرض مرة خطروا
لله درك كم نبهت من همم ... تثنى على أهلها الآصال والبكر
وكم تعهدت جرحى من أسود وغى ... إن يكشر الدهر عن احداثه كشروا
مستنجدا من بنى مصر أولى شمم ... اذا رأوا ثلمة فى حوضهم جبروا
مستهميا هاميا والنيل فى وجل ... من أن تجود به أيمانكم حذر
حتى تفاهمت الارحام وادكرت ... ما بينها الاهل والخلان والاسر
وآذن البر بالسقيا وما فتئت ... منهم ومنك صنوف البر تنتظر
وحركت كل كف بالندى مقة ... حتى تعجبت الانهار والغدر
والناس، ان قام يستسقى الكريم لهم ... سحائب الفضل بشرهم، فقد مطروا
أبي علاء سعيد أن يشابهه ... الا ابن دوحته ان قام يفتخر
ما زال يحمده رائيك مدكرا ... والاصل بالفرع ان حاكاه يدكر

مؤلفات سمو الامير

(المؤلفات الفرنسية)

١ — تاريخ أفرع النيل القديمة قبل الفتح العربي وفى مدته (٢ جزآن)
٢ — تاريخ النيل (٣ أجزاء)
٣ — مالية مصر من عصر الفراعنة الى الآن (١ جزء)
٤ — جغرافية مصر فى عصر العرب (ظهر منه جزآن وباقي ثلاثة تحت الطبع)
٥ — الاديره القبطية بوادى النطرون
٦ — الاسكندرية فى سنة ١٨٦٨ م

(المؤلفات العربية)

١ — كلمات فى سبيل مصر
٢ — صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على « تحت الطبع »
٣ — مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن
٤ — الصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية فى عهد محمد على
٥ — الجيش المصرى البرى والبحرى فى عهد محمد على
٦ — مصر والسودان
٧ — مذكرة عن مسألة السودان بين مصر وانكلترا
٨ — البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم فى عهد عباس الأول وسعيد
٩ — صفحة مجد للجيش المصرى البرى والبحرى فى حرب القريم
١٠ — بطولة الأورطة السودانية المصرية فى المكسيك

الفصل الثانى

كيف سافرت البعثة المصرية للسودان

أذاعت الجمعية الزراعية الملكية فى يناير سنة ١٩٣٥ البيان التالى عن الاسباب التى حملتها على تنظيم البعثة المصرية الى السودان :

« اوفدت الجمعية الزراعية الملكية فى شهرى يناير وفبراير من العام الماضى حضرة مديرها للسفر للسودان وأعالى النيل والاوغاندا والبلاد المكونة لأفريقيا الشرقية والشلال الشرقي لجمع المعلومات والمشاهدات عن زراعة القطن فى وادى النيل وقدم بها مذكرة للجمعية الزراعية وللجنة القطن الدولية المنعقدة فى القاهرة فى شهر فبراير من العام الماضي ثم قدم حضرته اقتراحات لحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيس الجمعية بشأن تنمية العلاقات بين مصر والسودان وبعد أن درستها لجنة المشروعات بالجمعية قرر مجلس ادارتها بجلسة ٩ أغسطس سنة ١٩٣٤ الموافقة على ما يأتي : —

(١) أعداد مكان لمعروضات السودان فى المعرض الزراعى الصناعى القادم

(٢) تنظيم رحلة للسودان فى شهر يناير سنة ١٩٣٥ مكونة من أعضاء الغرف التجارية والجمعية الزراعية وكبار الزراع والتجار فى مصر

(٣) مشروع تأليف شركة من أهالي مصر والسودان لمشترى أراضى زراعية بالسودان واستثمارها

(٤) دراسة انشاء فرع للجمعية الزراعية بالخرطوم .

(٥) دعوة بنك مصر لانشاء فرع له بالخرطوم

وفى صباح الخميس ٢٦ يولية سنة ١٩٣٤ قابل مدير الجمعية حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء بالاسكندرية وعلم من دولته موافقته على ذلك كما أنه قابل حضرة صاحب السعادة الحاكم العام للسودان وباحثه فى ذلك ووافق سعادته على وجهة نظر الجمعية بانماء العلاقات الاقتصادية بين مصر والسودان وعلى عزم الجمعية تخصيص محل فى المعرض الزراعى الصناعى القادم لمعروضات السودان الزراعية والصناعية وعلى اتصال المدير بالغرف التجارية بمصر والاسكندرية

والخرطوم للقيام بما يلزم لهذا الشأن وترتيب رحلة من التجار والزراع للسودان فى شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٣٥ لدراسة المشروعات الزراعية والتجارية

كما ان بنك مصر رحب بفكرة وجود فرع له بالخرطوم متى وجد السبل ممهدة لهذا المشروع . وبناء على كل ذلك قامت لجنة الجمعية الزراعية المكونة من حضرات أصحاب السعادة والعزة عبدالحميد بك فتحى ناظر مدرسة الزراعة العليا بالجيزة سابقا وحضرة صاحب العزة الفونس بك جريس مدير قسم الزراعة سابقا وحضرة صاحب العزة فؤاد بك سلطان وحضرة صاحب السعادة رشوان باشا محفوظ وكيل وزارة الزراعة سابقا وعبد الحميد أباظه بك وفؤاد أباظة بك مدير الجمعية بدراسة كل مايلزم لتنفيذ الفكرة وفعلا قد تمت جميع الاجراءات الخاصة بذلك واشترك فيها مندوبون عن الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية العامة والغرف التجارية بمصر والاسكندرية والمنصورة وكبار التجار والزراع الخ وقد زاد عددهم عن الثلاثين عضواً (كشف الاسماء طيه) . وعمل بروجرام للسفر والتنقلات بقطار مخصوص فيه معدات الراحة والنوم والاكل»

* * *

وجاء فى المحاضرة التى ألقاها حضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعية الزراعية الملكية فى الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الخميس ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٥ بدار الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة مايلي :

كان لى الشرف بأن حاضرتكم فى العام الماضى عن رحلتى لأعالى النيل وشرق افريقيا وقد كنت سافرت فى صباح ٧ يناير سنة ١٩٣٤ بالطيارة من مصر الجديدة للخرطوم فوصلتها مساء اليوم نفسه واستأنفت السفر فى اليوم التالى طائراً أيضاً الى جوبا فى حدود السودان القبلي وفى صباح ثالث يوم كنت في عنتبه وكمبالا ثم جنجا على شواطىء فيكتوريا نيانزا والبلدة الاخيرة ينبع منها النيل عند مساقط ريبون . وبعد أن تفقدت مزارع القطن فى اوغندا وكينيا ركبت الباخرة من ممباسا الى مقديشو عاصمة الصومال الطليانى التى زرتها سنة ١٩١١ ثم عدن وجيبوتى وتركت الباخرة عند مصوع مخترقا الارتريا بالسيارة الى كسلا حيث بدأت رحلتى السودانية الثانية فى العام الماضى وكانت الاولى فى سنة ١٩١١ والثالثة فى هذا العام

وقد ذكرت فى ختام كلمتى عن رحلة سنة ١٩٣٤ مايأتي :

« ان العناية تامة باعطاء مصر مايلزمها من مياه الرى واستعمال ما يزيد عن احتياجاتها فى رى وزراعة أراضى اخواننا السودانيين — ولكن الاحوال « بالسودان » فى الوقت الحاضر من الوجهة الاقتصادية والتجارية البحتة ليست على ما يرام بل يلزم زيادة التعاون والتآزر الزراعى والتجارى (بين مصر والسودان) . أما كيف يكون ذلك فمن الوجهة الاقتصادية البحتة حسب تخيلي الضعيف ليس من الصعوبة بمكان » . ثم عرضت فكرتي بتكوين بعثة مصرية لزيارة السودان لغرض تنمية العلاقات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين على حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيس الجمعية الزراعية الملكية فشمل المشروع بعطفه وتشجيعه واشتغلنا بدرس الفكرة بعد ذلك فى لجنة خاصة شكلت بالجمعية الزراعية الملكية لهذا الغرض واتصلت بمندوب حكومة السودان فى مصر ثم كان لى السرور بأن قابلت بالاسكندرية فى يوليو الماضى دولة رئيس الوزراء إذ ذاك عبدالفتاح يحي باشا وسعادة السراستيوارت سايمز حاكم عام السودان وشرحت لكل منهما على انفراد اغراض البعثة وما ينتظر منها من النتائج بين مصر والسودان فوافق عليها كل منهما ، إذ أن ذلك فى صالح علاقات البلدين ثم اتصلت بجناب رئيس الغرفة التجارية السودانية الذى كان موجوداً وقتها بالقطر المصرى وتباحثت معه لأول مرة فى تفاصيل المشروع وكان يعمل لتحقيق مثل هذا الغرض ايضاً من جانبه .

وفى ٩ اغسطس سنة ١٩٣٤ قرر مجلس ادارة الجمعية الزراعية الملكية برئاسة حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون مايأتي :

١ — إعداد بناء للسودان فى المعرض الزراعى الصناعى القادم

٢ — تنظيم رحلة للسودان فى شهري يناير وفبراير سنة ١٩٣٥ مكونة من اعضاء الغرف التجارية وكبار الزراع فى مصر .

٣ — دراسة مشروع تأليف شركة من أهالى مصر والسودان لشترى أراض زراعية واستثمارها .

٤ — بحث انشاء فرع للجمعية الزراعية بالخرطوم .

٥ — دعوة بنك مصر لأنشاء فرع له بالخرطوم .

وقد نفذ البرنامج بحذافيره حيث تكونت البعثة المصرية ممن يمثلون الجمعية الزراعية وجمعية خريجى الزراعة والنقابة الزراعية العامة والغرفتين التجاريتين

بالقاهرة والاسكندرية وكبار الزراع والتجار والاعيان وفيهم الطبيب والمهندس والحقوقي ومندوبين عن الصحافة المصرية ويرافقهم مصور الجمعية للسينما والفوتوغرافية وفراش يساعده وجابوا جميعا انحاء السودان الشمالية ووقفوا بأنفسهم على الحالة ورأوا بأعينهم ما كان غامضا علينا وتحروا الاغراض التى سافروا من أجلها وبحثوا محتملات كل منها وكان قيام البعثة من مصر فى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٥ عن طريق السويس. اهـ

* * *

وهـذه هى الشروط التى وضعتها الجمعيـة الزراعية وطلبت من كل مسافر قبولها :

أنا ..... أقرر مايأتي :

١ — مبلغ الخمسين جنيها الذى دفعته لمصاريف الرحلة هو قيمة تقدير مصاريف السفر من القاهرة الى بور سودان — طوكر كسلا — سنار — الابيض — واد مدني — الخرطوم — وادى حلفا — الشلال — القاهرة، بما في ذلك اللوكندات وعربات النوم والأكل — أما مصاريف المشروبات والطلبات الزائدة عن الترتيبات المعتادة مثل طلب حمام خصوصى فى اللوكندات أو عربة نوم مفردة فى الباخرة أو في عربات النوم أو أكل مخصوص فيدفعها المسافر زيادة عن الخمسين جنيها أولا فأولا للوكندات وخلافه

٢ — اجتماع المسافرين يكون بمكتب الجمعية الزراعية الملكية صباح الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥ للنقل بعربات ثورنيكروفت وامتعة المسافرين تنقل بعربات اللورى ويصير اخطار حضراتهم فيما بعد عن ساعة القيام بالضبط . أما من يريد السفر للسويس مباشرة فيكون على حسابه

٣ — بما ان الرحلة لها حالة خاصة فمن المفهوم ان حضرات أعضاء الرحلة يراعون الظروف المحيطة بها فيبتعدون عن الاشتغال او المباحثة فى الأمور السياسية والدينية لان الغاية المقصودة من هذه الرحلة هى تنمية العلاقات الزراعية والاقتصادية بين مصر والسودان. ولهذا فان إلقاء الخطب او البيانات فى الحفلات أو غيرها لايكون إلا بعد اطلاع اللجنة المنظمة للرحلة على ما سيقال مقدماً وتسليم كل كلمة لحضرة فؤاد اباظة بك

خطاب مسيو كونتو ميخالوس الرئيس الفخرى لغرفة السودان

فى ابريل سنة ١٩٣٤ خطب مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم يومئذ ورئيس شرف لها الآن فقال :



مسيو كونتو ميخالوس رئيس شرف غرفة السودان التجارية

« كلكم تعلمون أن جنود الجيش المصرى أجلوا عن السودان بسبب الحوادث التى وقعت لسوء الحظ فى سنة ١٩٢٤ فكان خروج الجيش خسارة كبيرة أصابت تجارة البلاد . وهذه الخسارة تقدر بمليون جنيه على الأقل فى العام ولم تعوض من مورد آخر . وقد جاءت سنوات الرخاء بعد خروج الجيش فلم تشعر البلاد بوطأة حرمانها من هذا المورد إلى درجة خطيرة وان تكن المدن التى تشبه الخرطوم بحرى وشندى والابيض والعطبرة والمراكز الأخرى قد شعرت بالصدمة على أثر وقوعها تقريبا ولما حلت الازمة ساءت الاحوال فاضطرت الشركات التجارية ، حتى فى الخرطوم نفسها ، الي غلق أبوابها وأخليت دور الأعمال والعمارات ولا تزال خالية الى يومنا هذا

« وكم أود أن أرى المساعى تبذل لزيادة روح التعاون بين مصر والسودان وفى الامكان القيام بأول خطوة في هذه السبيل بالغاء جميع القيود والموانع بين البلدين ولست أشك انه إذا أزيلت القيود التى تمنع المصريين من دخول البلاد فانه لا يأتي الي السودان شخص واحد من غير المرغوب فيهم أكثر من ذى قبل ، بل يجد المصريون المسالمون الاذكياء طريقهم الي هنا فيساعد وجودهم ومصالحهم مساعدة كبيرة على ترقية السودان ورخائه

« وتنفق مصر اليوم بضعة ملايين من الجنيهات على انشاء خزان جبل الأولياء وستنفق ملايين أخرى فى خلال السنوات القادمة على مشروعات أخرى للرى علاوة على الاعانة السنوية التى تدفعها للمحافظة على النظام

« فلأجل كل هذه الأسباب ولاجل المصالح الأخرى الكبيرة الموجودة بين

البلدين ، أرى أن الصداقة وحسن النية أمران جوهريان بالنسبة اليهما . واني أرجو ان لا يسيء أحد ادراك غايتى، ولا يراني قد تجاوزت حدودى فى توجيه هذه الدعوة . ومن حسن حظنا أن حاكمنا العام اكتسب خبرة طويلة باحوال الشعب سواء فى مصر أم فى السودان ، لذلك تجدونى مرتقنا بانه سيفسر ملاحظاتي هذه تفسيرا صحيحا » . وقد علق فضيلة الشيخ احمد عثمان القاضى على هذا الخطاب بأنه لا توجد قيود لمنع سفر المصريين

تصريحات سير مافى

وفى سنة ١٩٣٣ صرح سير جون « مافى » الحاكم العام للسودان يومئذ لجريدة « المقطم » بأن مصر سوق طبيعية للسودان « لحاصلاته » وأن السفر إلى السودان مباح للمصريين ، وأنه لا يمنع من السفر سوى العنصر المثير سواء أكان مصريا أم انجليزيا أم أجنبياً

زيارات الشيخ احمد عثمان القاضى

وكان فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضى رئيس تحرير جريدة « حضارة السودان » فى أثناء اجازاته الصيفية التى ابتدأت فى مصر منذ صيف ١٩٣٢ فى مصر يعنى بحث كبار المصريين والصحفيين على السفر إلى السودان ،



لفيف من أعضاء البعثة فى ميناء بور سودان
فى قارب ينظرون فى سطح زجاجى قاع البحر العجيب

الجمعية الزراعية الملكية

تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك « فؤاد الاول »
ورياسة حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون

أسست الجمعية(١) فى ٢٢ ابريل سنة ١٨٩٨ على يدى المغفور له حضرة صاحب السمو الامير حسين كامل وسميت حينذاك بالجمعية الزراعية الخديوية . وفى سنة ١٩١٥ سميت بالجمعية الزراعية السلطانية على أثر ارتقاء مؤسسها عرش مصر فتكون مدة رياسة سموه لها من سنة ١٨٩٨ الى سنة ١٩١٥ . وفى سنة ١٩٢٥ سميت بالجمعية الزراعية الملكية لوضعها تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر الحالى . ورئيسها الثاني هو المغفور له الأمير كمال الدين حسين نجل المغفور له السلطان حسين كامل ومدة رياسته لها سنة ١٩١٥ الى يوم وفاته في ٦ أغسطس سنة ١٩٣٢ . وقد انتخب حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيساً للجمعية فى يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٢ خلفاً للمرحوم الأمير كمال الدين حسين

أما أغراض الجمعية الأساسية فهى السعى فى تحسين الشؤون الزراعية وترقيتها بالقطر المصرى بالوسائل المشروعة جميعاً واقامة المعارض الزراعية والصناعية الخ .

وليست الجمعية الزراعية الملكية ملحقة بأية جمعية أو نقابة أخرى بل لها نظام يكاد يكون فريداً فى بابه .

فمع أنها ليست جمعية تعاونية بالتعريف التعاوني فان اتجاه أغراضها وسير أعمالها يتمشى مع روح التعاون بين الزراع والجمعية .

وهى تتألف من أعضاء أصليين وعددهم ٤٠٠ عضو ولهم وحدهم حق الحضور فى جلسات الجمعية العمومية السنوية — وأعضاء منتسبين لاحد لعددهم.

وفيما عدا ذلك فجميع الأعضاء أصليين ومنتسبين متساوون فى الحقوق والامتيازات فى أثمان مايشترونه من الأسمدة والبذور ودخول المعارض وليست لهم حصة أو نصيب فى أموال الجمعية ولا فى أرباحها أو خسائرها .

---

(١) كانت هناك جمعية زراعية وطنية من الاعيان قبل انشاء الجمعية الحالية

ويجتمع هؤلاء الأعضاء مرة فى كل سنة بهيئة « جمعية عمومية » تعرض عليها نتيجة الأعمال التى قامت بها الجمعية في خلال السنة والمشروعات التى يقترح مجلس ادارة الجمعية القيام بها .

ويتولى شؤون الجمعية مجلس ادارة لايزيد على اثنين وثلاثين عضواً من أعضاء الجمعية ، أربعة عشر منهم يجب انتخابهم من الأربع عشرة مديرية والثمانية عشر الباقون ينتخبون بناء على معارفهم وخبرتهم .

الرئيس : حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون

الوكيل الأول: حضرة صاحب السعادة سيد خشبة باشا

الوكيل الثاني : حضرة صاحب السعادة عيسوى زايدباشا

وللجمعية لجان فرعية مختلفة وهى :

(١) اللجنة الأدارية
(٢) لجنة الأسمدة والبذور
(٣) لجنة المعرض
(٤) لجنة متحف القطن
(٥) اللجنة المالية
(٦) اللجنة الزراعية
(٧) لجنة تربية الحيوانات
(٨) لجنة القضايا والمطالبات
(٩) لجنة المشروعات

مركز ادارة الجمعية العام بداخل الحديقة التابعة للجمعية وهى الواقعة على شارع الخديوى اسماعيل بالجزيرة بمصر، حيث يوجد بها ديوان الجمعية والأقسام الفنية الملحقة بها ومتحف القطن .

وتنقسم أعمال الجمعية الى أربعة أقسام رئيسية وهى :

١ — قسم الأدارة العمومية والأسمدة والبذور . و ٢ — الأقسام الفنية .

و ٣ — قسم تربية الحيوانات والطيور . و ٤ — متحف القطن .

أولا — قسم الادارة العمومية والأسمدة والبذور

أهم أعمال هذا القسم هو الاشراف العام على ادارة جميع أعمال الجمعية بوجه عام وعلى توزيع الأسمدة الكيماوية والبذور واقامة المعارض الزراعية والصناعية الخ . الخ .

ثانيا - الأقسام الفنية

وهى أقسام تكاثر البذور تربية النباتات والكيميا والحشرات .

وتقوم هذه الأقسام بتجارب زراعية ومباحث كيماوية على الأرض وطرق إصلاحها وخواص الأسمدة ودرس طبائع الحشرات ومقاومتها وطبائع النباتات واستكثار أنواع جيدة منها وقسم تربية النباتات التابع للجمعية الزراعية الملكية هو الذى ابتكر نوع القطن المعروف باسم « القطن المعرض » وقد انتشرت زراعته نظرا لصفاته الطيبة ومحصوله الوافر .

ويدير هذه الأقسام اخصائيون فى علوم النباتات والكيميا والحشرات والزراعة

ثالثا - قسم تربية الحيوانات والطيور

أهم أعمال هذا القسم تربية الماشية والأفراس العربية الأصلية وتوزيع خيول طلائق لتحسين نسل الخيول بالقطر المصرى وكذلك تحسين أنواع الدجاج ، ويوزع هذا القسم الخيول في أنحاء القطر في المدة مابين شهر أكتوبر وشهر ابريل من كل سنة وتبقى في البلاد لاستخدامها في الوثب .

ويدير هذا القسم إخصائيون في تربية الماشية والخيول والدجاج .

رابعا — متحف القطن

للجمعية الزراعية الملكية متحف خاص للقطن تأسس سنة ١٩٢٣ بناء على اقتراح رئيس الجمعية السابق المغفور له الأمير كمال الدين حسين ، ويحتوى هذا المتحف على كل شىء له علاقة بزراعة القطن وصناعته مثل : أنواع الأقطان التى تزرع في القطر المصرى وفي مختلف البلدان الأجنبية ، الصناعات القطنية وجميع أدوارها من غزل ونسج وخيوط ومنسوجات مع بيان عيوبها ، الصناعات التى تستعمل فيها الأقطان وبذرة القطن على العموم ، الآفات والحشرات التى تفتك بالقطن وطرق إبادتها ، الطرق الحديثة المتبعة لتحسين أنواع الأقطان ونقاوة بذرها وحليجها ، الأسمدة الكيماوية وما يحسن استعمالها منها ، خرائط عن المناطق العالية التى يزرع فيها القطن ، احصائيات ومعلومات فنية الخ .

ويفتح المتحف للجمهور من الساعة ٩ صباحا الى الساعة ١ بعد الظهر يوميا ماعدا أيام الأثنين والأعياد الرسمية — والدخول مجانا .

وقد زار هذا المتحف بعد ظهر يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٢٧ حضرات أعضاء مؤتمر الاتحاد الدولى لأصحاب مغازل القطن ومعامل نسجه الذى عقد فى

القطر المصرى من ٢٧ يناير الى ٥ فبراير سنة ١٩٢٧ وأجمعوا في قراراتهم على أن المتحف المذكور فريد في بابه من كل الوجوه .

أماكن توزيع أسمدة الجمعية وبذورها

توزيع أسمدة الجمعية وبذورها معهود به الى :

مركز الجمعية بالجزيرة بالقاهرة .

ووكلاء الجمعية بالاسكندرية .

مخازنها في أنحاء القطر وعددها	٢٤
عملائها بالبلاد وعددهم	٢٤٩
حلقات الأقطان وعددها	٤

وقد بلغ مجموع متوزعات الجمعية سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ من أنواع نيترات الصودا وسوبرفوسفات الجير وسلفات النوشادر وسلفات البوتاسا وسيانامـيد ونيترات الجير والجبس الزراعى ماينوف عن ٥٥٠٤٠ طنا .

رأس مال الجمعية

لما كان لابد للجمعية من موارد مالية لتقوم بأعمالها خدمة للمزارع المصرى فقد اتبعت في تصريف الأسمدة والبذور طريقة تعود عليها ببعض الربح للقيام بحاجتها ولتنمية رأس مالها تدريجياً .

والشطر الأكبر من رأس مال الجمعية من أرباح الأسمدة الكيماوية التى تجمدت عاما بعد عام وكذلك من الاعانات المالية التى كانت الحكومة تقدمها للجمعية في سنيها الأولى . وقد بلغ رأس مال الجمعية الزراعية الملكية فى آخر اكتوبر سنة ١٩٣٢ (الاحتياطى العام) مبلغ ٥٠٠ر٠٠٠ جنيه مصرى . وبلغ قيمة الاحتياطات مبلغ ٤١٤٥٦ جنيها و٩٥٢ مليما هذا بخلاف الأطيان والمباني الخ ، التى تبلغ قيمتها ١١٦٠٧٦ جنيهات و٢٧ مليما حسب قيمتها في ٣١ اكتوبر سنة ١٩٣٢ وبلغ الايراد فى سنة ١٩٣٣ المنتهية فى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٣٤ مبلغ ٨٧٧٤٥ جنيه و٧٦٣ مليما والمصروفات مبلغ ٧٠٠٤٥ جنيه و٢٠٩ مليما والأرباح مبلغ ١٧٧٠٠ جنيه و ٥٥٤ مليما

وليست لأحد من أعضاء الجمعية حصة في رأس المال المذكور بل هو ملك مشاع للامة المصرية موقوف على خدمتها والعمل لصالحها .



رشوان محفوظ باشا رئيس البعثة

ولد سعادته فى يوم ٥ ابريل سنة ١٨٨٣ ميلادية وتعهده والده المرحوم محفوظ رشوان بك من اعيان الحواتكة وقد كان رحمه الله عضواً بأول مجلس نواب فى عهد ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديوى واستمر بعد ذلك عضواً بالجمعية العمومية

وقد تلقى الباشا أول تعليمه بمكتب قريته الحواتكة من أعمال مركز منفلوط مديرية أسيوط ثم انتقل الي مدرسة أسيوط الابتدائية ونال منها الشهادة الابتدائية سنة ١٨٩٥ ثم التحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية بالقاهرة ونال الشهادة الثانوية «بكالوريا» سنة ١٨٩٩ ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية وتخرج منها حائزاً للبسانسيه سنة ١٩٠٣

بعد ذلك ابتدأت حياته العملية: فعين فى يولية سنة ١٩٠٣ في وظيفة معاون ادارة بمركز الجيزة فمعاون ضبط مديرية الجيزة فمأموراً للضبط بمديرية الدقهلية فى نوفمبر سنة ١٩٠٥ فمأموراً لمركز ميت غمر دقهلية في مارس سنة ١٩١٠ فوكيلا لمديرية الفيوم فى يناير سنة ١٩١٤ فوكيلا لمديرية الغربية فى ابريل سنة ١٩١٤ فوكيلا لمديرية البحيرة فى مايو سنة ١٩١٥ فمديراً لأسوان فى أول فبراير

سنة ١٩١٦ فمديراً لبنى سويف فى أغسطس سنة ١٩١٧ فمديرا لقنا فى يونية سنة ١٩١٩ فمديراً للمنوفية فى مايو سنة ١٩٢١ فمديراً للغربية فى ديسمبر سنة ١٩٢٤ فوكيلا لوزارة الزراعة فى مارس سنة ١٩٢٥ فوكيلا للداخلية فى ابريل سنة ١٩٢٩ فوكيلا للزراعة فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ وأحيل الى المعاش فى يناير سنة ١٩٣٠

الاعانات المالية

تمنح الجمعية اعانات مالية لبعض الهيئات الزراعية تشجيعا لها على مواصلة أعمالها المتعلقة بالزراعة والزراع وكذلك لبعض الجمعيات الأخرى على سبيل المعونة فى أعمالها الخيرية

وقد منحت أخيراً الهيئات الآتية المبالغ الموضحة وهى : —

جنيه	
١٠٠	النادى الزراعى
٣٠٠	النقابة الزراعية المصرية العامة
١٠٠	اتحاد المزارعين
٥٠	جمعية العروة الوثقى الخيرية الاسلامية
٥٠	جمعية المؤاساة الاسلامية

اسماء حضرات اعضاء البعثة المصرية

١ — رشوان محفوظ باشا : رئيس البعثة وعضو مجلس ادارة الجمعية الزراعية (وكيل وزارة الزراعة سابقاً)

٢ — عبد الحميد فتحى بك عضو مجلس ادارة الجمعية الزراعية (ناظر مدرسة الزراعة العليا سابقاً)

٣ — الفونس جريس بك عضو مجلس ادارة الجمعية الزراعية (مدير قسم الزراعة والاكثار بوزارة الزراعة سابقاً)

٤ — عبد الحميد أباظة بك عضو مجلس ادارة الجمعية الزراعية (مدير الجمعية الزراعية الملكية سابقا ومندوب جمعية خريجى مدرسة الزراعة)

٥ — فؤاد أباظة بك مقرر البعثة ومدير عام الجمعية الزراعية الملكية

٦ — الدكتور ابراهيم الشوربجى بك طبيب الجمعية الزراعية الملكية

٧ — محمود مصطفى علي افندى رئيس قسم التفتيش بالجمعية الزراعية

٨ — اسكندر ناجى مصور الجمعية الزراعية الملكية

من النقابة الزراعية

٩ — يوسف نحاس بك سكرتير عام النقابة، ١٠ — الاستاذ مصطفى نصرت المهندس عضو النقابة، ١١ — الاستاذ احمد ابو الفضل الجيزاوى عضو النقابة

من الغرفة التجارية بمصر

١٢ — السيد عبد المجيد الرمالى سكرتير الغرفة التجارية — ١٣ — محمد حسين الرشيدى افندى و — ١٤ — محمد حسن قاسم افندى و — ١٥ — محمد عبد الرحيم سماحة افندى و — ١٦ — محمود مصطفى الجمال افندى — والأربعة تجار وأعضاء بالغرفة

من الغرفة التجارية بالاسكندرية

١٧ — الاستاذ على شكرى خميس سكرتير الغرفة و — ١٨ — محمود ابو العلا افندى و — ١٩ — عبد الرحمن نوفل افندى و — ٢٠ — عبد المجيد السيد محروس افندى تجار وأعضاء بالغرفة

من الغرفة التجارية الانجليزية بمصر

٢١ — المستر سدني ساير

من كبار الزراع والتجار والصحافيين وغيرهم

٢٢ — الياس عوض بك و — ٢٣ — عطا عفيفي بك و — ٢٤ — الدكتور محجوب ثابت و — ٢٥ — اسماعيل بركات بك و — ٢٦ — الحاج أمين حجاج الزيني و — ٢٧ — الاستاذ السيد حسين عيسى و — ٢٨ — احمد الحناوي افندي و — ٢٩ — الاستاذ فخري لوقا الزق و — ٣٠ — المستر حكيم «لم يسافر» — ٣١ — الاستاذ عبدالله حسين المحامي مندوباً عن «الاهرام» و — ٣٢ — الدكتور رياض شمس المحامي مندوباً عن «الجهاد» و — ٣٣ — احمد حسن قاسم افندي (مسافر بالطيارة يوم ٦ فبراير سنة ١٩٣٥) و — ٣٤ — علي احمد فراش الجمعية الزراعية

***

وبسبب انحراف صحة حضرة صاحب العزة احمد حمدي سيف النصر بك نائب رئيس النقابة الزراعية العامة وعضو الوفد المصري ورئيس المجلس الأعلى لاتحاد نقابات العمال، لم يستطع أن يرافق البعثة عند سفرها. وهو ما كان موضع أسف الأعضاء وأهل السودان جميعاً، الذين يحبونه حبا صادقا وهو يبادلهم هذا الحب بأضعافه



محطة الخرطوم

برنامج الرحلة

أذاعت الجمعية الزراعية قبيل السفر ما يأتى :

يكون اجتماع حضرات المسافرين الساعة ٢½ مساء الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥ فى ديوان الجمعية الزراعية بالجزيرة والقيام يوم الجمعة ٢٥ يناير الساعة ٣ السفر من القاهرة الى السويس بالسيارات فى الساعة ٣ مساء يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥

السفر من السويس الى بورسودان	مساء الجمعة ٢٥ يناير على مركب شركة هندرسن
الوصول الى بورسودان	صباح الاثنين ٢٨ منه
زيارة جزء من المسافرين لطوكر وجزء آخر لسواكن وجزء لبلدة بورسودان وأسواقها	الثلاثاء ٢٩ منه
السفر من بورسودان	الساعة ٦ مساء يوم الاربعاء ٣٠ منه
الوصول الى كسلا	« ٤ر١٥ « « الخميس ٣١ «
السفر من كسلا	« ٨ « « الجمعة أول فبراير
الوصول الى القضارف	« ٤ر٣٥ صباح « السبت ٢ «
السفر من القضارف	« ٠ر٣٠ مساء « السبت ٢ «
الوصول الى سنار	« ١١ر٣٥ « « « ٢ «
السفر من سنار	« ١١ر٣٠ « « الاحد ٣ «
الوصول الى كوستى	« ٣ر٤٠ صباح « الاثنين ٤ «
السفر من كوستى	« ٩ر٤٥ « « « ٤ «
الوصول الى تندلتى	« ٠ر٢١ مساء « « ٤ «
السفر من تندلتى	« ٠ر٣٢ « « « ٤ «
الوصول الى أم روابا	« ٣ر٣٤ « « « ٤ «
السفر من أم روابا	« ٤ر٥٤ « « « ٤ «
الوصول الى الابيض	« ٩ر٤٥ « « « ٤ «

السفر من الابيض	الساعة ٧ر٣٠ مساء	يوم الثلاثاء ٥ فبراير
الوصول الى كوستى	« ٤ر٥٠ صباح	« الاربعاء ٦ «
السفر من كوستى	« ٨ مساء	« « ٦ «
الوصول الى وادمدني	« ٢ر٥٥ صباح	« الخميس ٧ «
السفر من واد مدني	« ١٢ ظهر	« الجمعة ٨ «
الوصول الى الخرطوم (زيارات مختلفة في الخرطوم وأم درمان لها برنامج خاص)	« ٦ مساء	« « ٨ «
زيارة جبل الأولياء		« الأحد ١٠ «
السفر من الخرطوم	« ٨ صباح	« الجمعة ١٥ «
الوصول الى العطبرة	« ٣ر٣٠ مساء	« « ١٥ «
السفر من العطبرة	« ٣ر٥٥ «	« « ١٥ «
الوصول الى وادى حلفا	« ٧ر٤٥ صباح	« السبت ١٦ «
السفر من وادى حلفا	« ٩ «	« « ١٦ «
الوصول الى الشلال	« ١ر٣٠ مساء	« الأحد ١٧ «
السفر من الشلال	« ٣ر٣٠ «	« « ١٧ «
الوصول الى مصر	« ٧ر٣٠ صباح	« الاثنين ١٨ «

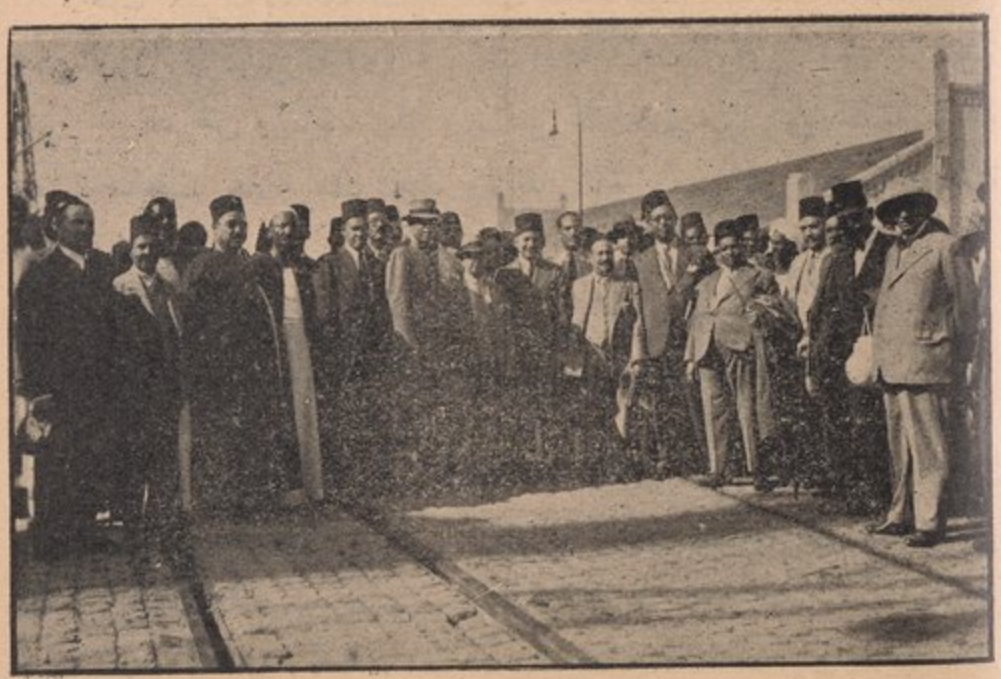

أعضاء البعثة فى ميناء بور سودان عقب نزولهم من الباخرة

المعرض الزراعى الصناعى

لسنة ١٩٣٦

نذشر فيمايلى بيان الجمعية الزراعية عن المعرض :

بدأت لجنة المعرض بالتماس مقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك لاستئذانه فى اقامة المعرض الزراعى الصناعى القادم وتحديد ميعاده .

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٧ ابريل سنة ١٩٣٤ تشرف بالمقابلة حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون رئيس الجمعية وحضرات أصحاب السعادة والعزة سيد خشبة باشا وعيسوى زايد باشا وحسن سعيد باشا ورشوان محفوظ باشا وعلى اسلام باشا ومحمود مهنا بك والمسيو بيو بك وفؤاد أباظة بك — أعضاء لجنة المعرض . فاستأذنوا جلالة الملك فى إقامة المعرض الخامس عشر بالجزيرة بمصر فى أواخر سنة . فتفضل جلالته وأذن للجمعية باقامته تحت رعايته السامية فى ديسمبر سنة ١٩٣٥ بدلا من اكتوبر سنة ١٩٣٥ نظراً لوجود جلالته فى ذلك الوقت بالاسكندرية للمصيف .

وعقب التشرف بالمقابلة السنية قابلت اللجنة حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء طالبة من دولته وحضرات أصحاب المعالي الوزراء مد يد المعونة لمشروع المعرض واحاطته بكل وسائل المساعدة حتى يأتي خليقاً برعاية حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ولائقاً بمقام الأمة المصرية وبمكانة الجمعية الزراعية الملكية .

وقد كتبت رياسة مجلس الوزراء الى جميع الوزارات بتقديم كل معاونة لتمهيد سبل النجاح للمعرض . وقد أجل افتتاح المعرض الى فبراير القادم سنة ١٩٣٦

أشغال حديقة الخديوي اسماعيل للمعرض

طلبت الجمعية من وزارة الأشغال التصريح باشغال حديقة كوبرى اسماعيل بالجزيرة لأقامة الملاهى والمطاعم والمقاهى بها نظراً لأن أرض الجمعية الحالية ستشغل جزء كبير منها بأقامة سرايتين كبيرتين لتخصيصهما لمعروضات الوزارات والمصالح الحكومية . وقد صرحت الوزارة بذلك .

رغبة من الجمعية فى اقتباس ما تقوم بعمله البلاد الأخري فى معارضها الزراعية لزيادة العناية بتحسين المعرض ، قد انتدبت الجمعية حضرة حسين فريد بك وكيل المدير العام لزيارة المعرض الزراعى الذي أقيم فى أول الصيف الماضى بايرفورت بألمانيا وستعمل الجمعية ما يلزم نحو تنفيذ اقتراحاته بما تراه وقد قدم به تقريراً خاصاً

وانتدبت وزارة التجارة والصناعة حضرة الأستاذ احمد صادق عفيفى مدير قسم المعارض بالوزارة للمعاونة فى اقامة القسم الصناعى بالمعرض وكذلك ستعاون الغرف التجارية واتحاد الصناع فى هذا القسم وقد انتخبت شركات بنك مصر المكان اللائق لها والمناسب لمعروضاتها . وقد وضع كتالوج للمعرض

واتجهت الادارة نحو تحويل إحدي المباني الباقية من المعرض السابق لجعله مصلى لائقة بأقامة الفروض الدينية .

ووافقت ادارة السكة الحديد على الامتيازات الآتية : —

تخفيض ٥٠ ٪ من أجور نقل المعروضات من بلاد القطر المصري الي مصر وبالعكس

تخفيض ٥٠ ٪ من أجور سفر العارضين والعمال .

تخفيض ٥٠ ٪ من أجور سفر الزائرين .

وطلبت الجمعية من وزارة المعارف التصريح باستلام أرض ملاعب الكرة بالجزيرة لاستعمال جزء منها فى اقامة معروضات المدارس الصناعية والزراعية وغيرها التى تشرف عليها وزارة المعارف . والجزء الباقي منها لمعروضات اخرى وقد وافقت الوزارة على طلبها .

واتصلت الجمعية بوزارة المعارف فى صدد موافقة مصلحة التنظيم على عمل شارع بين حديقة الزهرية وأرض ملعب الكرة للوصول به للنادي الأهلى وشارع الجبلاية . فوافقت وزارة المعارف على ذلك .

وقد وافقت مصلحة التنظيم على وضع مواسير من الأسمنت المسلح فى قناة وابور مصلحة التنظيم الموجود برصيف شارع الجبلاية بجوار سور الجمعية لغاية سور نادى الألعاب وذلك لغرض تسهيل ايجاد مكان لوقوف العربات المنتظرة .

واتخذت ادارة الجمعية الاجراءات التنفيذية لطرح مناقصة بناء سرايتين لمعروضات الحكومة . وبعد عمل الرسومات بمعرفة حضرة مهندس الجمعية والمقايسات التفصيلية وعرض ذلك كله على مجلس الادارة ، رسا العطاء لبناء

السراى الكبرى على الخواجه بيانكى وشركائه بمبلغ ٢٩٥٠٠ جنيه وتعهد المذكورون بأتمام البناء فى مدة سنة انتهت فى منتصف أغسطس وقد نفذ العمل

أما مدخل المتحف والسراى الصغرى فقد طرحت المناقصة عنها فرسا العطاء على المعلم صيام محمد وشركاه بمبلغ ١٩٥٠٠ جنيه على أن يتم البناء فى تسعة أشهر انتهت فى منتصف يوليه وقد انتهى البناء كله الآن

ولما كانت واجهة سراي الزراعة محجوبة عن شارع المعرض ببناء مظلة الدواجن وكان المقرر فى التصميم الأصلى لتقسيم باني أرض المعرض المعمول بمعرفة المغفور له الأمير كمال الدين حسين أن ينشأ أمام السراي من الجهة المذكورة حديقة مكان هذه المظلة فقد نقلت المظلة المذكورة لمكان أنسب وعملت كذلك عمليات أخري مناسبة لقسم تربية الحيوانات .

وعند ما تقرر تنفيذ فكرة بناء سراي معروضات الحكومة والمصالح التابعة لها استلزم هذا التنفيذ نقل مظلتين كانتا موجودتين فى الأرض المخصصة للابنية المذكورة ولما كانت المحلات الباقية لمعروضات الآلات الزراعية غير كافية لذلك نقلت هذه المظلات لاستعمالها فى توسيع مكان عرض الآلات الزراعية . هـ .



مكتب شركة مصر للسياحة ببور سودان
ويرى عبد اللطيف ابو رجيلة افندى مدير المكتب وعن يساره فؤاد أباظة بك

الفصل الثالث

الاسرة الاباظية

لمحة عن أصلها، وكيانها، وتاريخها

نسبها

يتصل نسبها الأعلى مباشرة بالعرب العاربة . وهم بنو قحطان سكان اليمن ومنشئو مدنيتها ودولتها . وهم أرسخ العرب قدماً فى العروبة وأقوامهم شكيمة ونوجز سرد التسلسل التاريخى مرجعين أساسه الي المؤرخين المحققين:

١ — من يعرب جد العرب الى كهلان . فقد انقسم شعب يعرب الى قبيلتين حمير و كهلان . والاسرة الأباظية من القبيلة الثانية

٢ — من كهلان الى جذام . و كهلان تداولوا الملك باليمن ثم بقيت الرياسة وحدها لبنى كهلان « صبح الاعشى مجلد أول ص ٣١٨ »

٣ — قال ابن خلدون فى تاريخه ان « العائذ » بطن من بطون « كهلان »

٤ — وان العائذ تنسب مباشرة الى « جذام » « صبح الأعشى ص ٣١٨ وما بعدها »

٥ — قال الحمداني « وجذام أول من سكن مصر من العرب حين جاءوا فى الفتح الاسلامى مع عمرو بن العاص . فأقطعوا بلاداً لاتزال بأيديهم الى الآن «صبح الأعشى الجزء الأول»

٦ — قال « المقريزي » ان أهل العائذ نفذ من جذام نزلوا بين القاهرة والعقبة

٧ — جاء فى الخطط التوفيقية جزء ١٤ ص ٣ : ان العائذ نزلوا فى بلاد قديمة ببلبيس فاستولوا على أرضها ومزارعها واستخدموا من بقى من أهلها بما لهم من البأس والقوة . و كان كبيرهم شيخ العرب — ابراهيم العائذي جد الاسرة الأباظية — متكلما على القبيلة فى زمن الفرنسيين . و كان ورودهم فى القرن السابع من الهجرة . ومن أشهر أسر قبيلة العائذ «الأباظية» . و كبيرهم حسن توفى سنة ١٢٦٥ هجرية

فيكون اذاً تسلسل نسب الأسرة الاباظية هكذا :

حسن اباظة — ابراهيم العائذي — جذام — كهلان — يعرب كما ورد في الكتب سالفة الذكر

وتكون الاسرة قد هبطت ارض مصر في أول القرن السابع من الهجرة أي يكون لهم بمصر للآن حوالى ثمانمائة عام . . .

لفظ أباظة

أما هذا اللفظ الذي غلب على لقب « العائذ » فيرجع سببه الى أن الجد الاكبر تزوج من شقيقة أحد المماليك الحاكمين وكان من قبيلة أباظه الشركسية الممتدة النفوذ في بلاد الشركس — القوقاز. فلما انجبت « حسن » لقبوه بابن الاباظية نسبة الى الأم فغلب اللقب الذي جري به عرف تلك الأيام على لقب العائذ

كيف خرجت الاسرة من طائفة العرب

ان مؤسس الاسرة المباشر هو « حسن اباظة » الكبير . ملك أطيانا عديدة وعقارات كثيرة وكان ذلك التملك مما لا يسمح به لأبناء العرب . قال العالم الكبير على مبارك باشا : « وكان الاباظية قد خولهم الله عقارات وأموالا فخيرهم محمد على الكبير بين معافاتهم في ان يعاملوا معاملة العرب بشرط ان ينزع ماتحت ايديهم من الأراضى . وبين أن يعاملوا معاملة الفلاحين ويبقى لهم ماتحت أيديهم فاختاروا الفلاحة — جزء ١٤ ص ٣ »

حسن أباظة

كان المؤسس الأول على ما نعتقد . كان رجلا كبير الذهن واسع الحيلة فساد أقليما بأسره . أو كما قال فيه على مبارك باشا « هو الأمير الجليل ذو المجد الأثيل حسن أباظة . كان جواداً كريماً الى آخره » له معارك طريفة مع « محمد على الكبير » . ولكن كان مؤسس العائلة العلوية يحبه ويكرمه لكبر سنه ويميزه عن غيره من رؤساء العشائر . وقد خلف لذريته ثروة طائلة ورسخ اقدامهم في الشرقية . . .

السير أباظة باشا

الابن الأكبر لحسن أباظة . أول من نال رتبة الباشوية من أبناء العرب . وصاحب هذه الرتبة الوحيدة في الوجه البحري صديق حميم لسعيد باشا . تنقل مديراً

للاقاليم ثم تربع فى منصب له خطره ومكانته وسعة نفوذه إذذاك وهو «مفتش الأقاليم» فامتدت سلطته الي الوجهين القبلى والبحري، ثم كان من المغضوب عليهم فى حكم «عباس الأول» وصدر الأمر بأعدامه ولكن كان يوم التنفيذ هو يوم اغتيال عباس الأول فنجا ... كان أديبا وشاعراً

اسماعيل أباظة باشا

شقيق السيد اباظه باشا . تولى حكم الأقاليم مديراً ثم عين وزيراً للمعارف وانتخب الوكيل الأول لمجلس النواب الأول وألقى خطبة الافتتاح ممثلا للشعب فكانت من أكثر الخطب تطرفاً وقد نشرها امين الرافعى بك رحمه الله كاملة ونصح المغفور له توفيق باشا نصحاً خالصاً فلم تقبل النصيحة واضطهد فى عهد «اسماعيل» اضطهاداً عنيفاً . وكاد ينفذفيه حكم الدنيا ولكن رحمة الله أنقذته فى آخر اللحظات . عرف بجبروته وشدته . وكان شاعراً له فى الوقائع المصرية آثار تشهد باطلاعه

احمد اباظة باشا

الزعيم التالي وساعد الحركه العرابية الأيمن سجن من ضمن مسجوني الثورة . وظل ثابتاً على مبدئه

عثمان بك أباظة

من زعماء الاسرة كان حلو الشمائل ، عذب الحديث

اسماعيل أباظة باشا

كان من اقطاب السياسة والصحفيين المبرزين ونائباً من النواب الذين حسموا أدق مواقف التاريخ المصري ببراعته وكياسته ودهائه وجرأته ثم كان مستشار الخديو الاسبق ، نصحه أصدق النصح فى الحرب العظمى فلم يصغ لوحى بعد نظره وحدث ماحدث . والكلام عنه يطول . بدأ حياته موظفاً ـ فمحاميا ـ فنائبا فى مجالس الأقليم النيابية ـ فنائبا فى مجلس شوري القوانين ـ والجمعية التشريعية حتى سنة ١٩١٣، وأسس جريدة «الأهالى» فعرفت بحملاتها القاسية على «كرومر»، وتعرض للمحاكمات . والخلاصة انه كان حركة لا تكل ولا تمل

وطرازاً من رجال السياسة القليلى النظير . وحين توفاه الله رثاه الخديو الاسبق بأفضل رثاء فى الاهرام . ورثاه الزعيم سعد زغلول أبلغ رثاء فى مجلس النواب رغم مخالفة ذلك التقاليد البرلمانية . وأقيمت له حفلة التأبين الكبري فى « الاوبرا » برياسة رشدي باشا فسمع الناس من العظماء تاريخه مفصلا تفصيلا ...

ونجمل أدواره بكل اختصار فيما يلى :

١ ـ ولد سنة ١٢٧١ هـ وتخرج من مدرسة الادارة « الحقوق » سنة ١٨٧٥ ميلادية وإشتغل بالوظائف وبالمحاماة .

٢ ـ انشأ جريدة الأهالى فى سنة ١٨٩٤ ثم طاف كاتبا بيانه (بيان لا بد منه) فى جرائد المؤيد، واللواء، والاهرام. وهاجم رياض باشا ومصطفى فهمى باشا وكرومر

٣ ـ فى دور النائب يلقبه المؤرخ المحقق أحمد شفيق باشا « بكليمنصو مصر! » . دعك من المجالس الأقليمية وانتقل بنا إلى مجلس شوري القوانين حيث انتخب نائبا فى سنة ١٨٩٦ . وكان بحق زعيم المجلس كله . ومعاركه التى ربحها فى نيابته الطويلة تناولت حق سؤال الوزراء ـ علنية جلسات مجلس شورى القوانين ـ اللغة العربية فى المدارس ـ مقاومة قانون المطبوعات ـ ثم نضاله المعروف به فى مشكلة قناة السويس (١) ـ ثم سافر على رأس وفد مصري لانكلترا فى سنة ١٩٠٨ ـ فأثار حملة على الحكم الانجليزي فى مصر ، أحدثت أثرها السريع في أروقة مجلس العموم وفي جلساته البرلمانية بطلب الحكم النيابي والغاء الامتيازات

وهو صاحب فكرة رحلة الخديو عباس سنة ١٩١٤ في الاقاليم قبل الفاجعة ، ثم ختم حياته السياسية بجهاد صحفى عنيف الى أن سجل مجلس النواب فى ١٤ يناير سنة ١٩٢٧ رثاء بليغاً لصديقه الزعيم سعد زغلول ـ وكذلك فى مجلس الشيوخ خلافا للتقاليد

محمد أباظه باشا

الزعيم التالى . ولد سنة ١٨٦٤ وتعلم التركية والعلوم الأخري . وانتخب فى سنة ١٨٩٤ عضواً فى لجان تعديل الضرائب فوضع أساسها بخبرته وتجاربه فكانت الاساس المالي لمصر حتى يومنا هذا . وانتخب عضواً بمجلس مديرية الشرقية من سنة ١٨٩٦ الي سنة ١٩١٣ بالتوالى . سافر مع الوفد المصري المشار اليه في سنة ١٩٠٨ إلي انكلترا . انتخب في سنة ١٩١٣ عضوا بالجمعية التشريعية وظل بها حتى الغيت. وانتخب نائبا بمجلس نواب سنة ١٩٢٥

(١) رأس المعارضة فى الجمعية العمومية ضد طلب امتداد أجل امتياز شركة قناة السويس

وكان رحمه الله رب أسرة وزعيم أسرة . واشتهر بالكرم والجود وبمساهمته في الجامعة المصرية وفي الأعمال العامة

وكان وثيق الصلات بأسر القطر المصرى الكبري وبكل أقطابه . وكم شهدت « الربعاية » موطن الأسرة بالشرقية أسواقا سياسية وأدبية واجتماعية . ولعل من أهمها دعوته للوزراء الانكليز ـ العمال ـ في سنة ١٩٢٩ ، حيث توفي فرثته الجرائد الكبرى كلها أجل رثاء ...

وقد ورث عنه نجله « سليمان نجاتى أباظة بك » عضو الشيوخ السابق رحمه الله فى سنة ١٩٣٠ زعامة الاسرة وهو كشقيقه من البارزين

من تقاليد الأسرة الاباظية

١ ـ الروح الرياضية :

أسرة رياضية بأوسع المعاني الرياضية . الرياضة يتوارثها الشبان عن الشبان . كان المرحوم نجاتي أباظة بطل القطر كله فى المسابقات والجباز . وبطل كمبردج ، الجامعة الخالدة فى انكلترا ...

وسجلت الملاعب المحلية والدولية العالمية أسماء السيد احمد أباظة ـ السيد خليل أباظة . المرحوم محمود أباظة . السيد نجاتى أباظة . فؤاد أباظة (بك ...) فكري أباظة . الدكتور محمود أباظة (شارة جامعة ادنبرة) .

وشغلت الجرائد الانكليزية والمجلات الخارجية في سنتى ١٩١٦ ، ١٩١٧ باخبار فريق الكرة الأباظى الذي هزم القطر كله رياضيا ! فكان أعجوبة من الاعاجيب أن تخرج الأسرة فريقين للكرة من أبنائها وحدها !

٢ ـ المجالس النيابية :

احتكرت الاسرة الاباظية كامل مقاعد مجلس مديرية الشرقية عدة سنوات ولجان الشياخات وهذا عجيب في بابه . ثم تسللت إلى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية لغاية سنة ١٩١٣ فكان من أعضائها البارزين اسماعيل أباظة باشا . عبد الله اباظة بك . صادق اباظة بك . ثم تسللت الى مجالس النواب والشيوخ سنة ١٩٢٤ الى ١٩٣٠ فكان من أبرز اعضائها النواب : عبدالله سليمان أباظة بك . سليمان نجاتي أباظة بك . محمود اسماعيل أباظة بك . الاستاذ دسوقى

أباظة . « وكيل مجلس النواب السابق » . الاستاذ فكرى أباظة . الاستاذ اسماعيل نجاتى أباظة . الاستاذ سليمان اسماعيل أباظة . الاستاذ عزيز محمد أباظة ومحمد باشا عثمان أباظه وعذراً إذا لم يعن بالترتيب ...

ولهم فى تلك المجالس المتعاقبة جولات وحملات سجلتها المضابط

البعثات والمؤتمرات :

وتسللت الاسرة إلى البعثات العالمية الحكومة . وفى المؤتمرات العامة : اشترك الاستاذ دسوقي أباظة في مفاوضات سنة ١٩٢١ مع عدلى يكن باشا . وفؤاد أباظة بك — والمرحوم محمود أباظة بك مدير البساتين إذ ذاك — ونجاتي أباظة بك وكيل مصلحة الاملاك في المؤتمرات الدولية فى أمريكا وأوروبا نيابة عن الحكومة المصرية ...

الوظائف :

تحتل الاسرة الأباظية من زمن المناصب الكبيرة : وزراء — ووكلاء وزارات — ومديرى عموم — ومديرين ومدير شركات — وكبار موظفين إلى اليوم . والسرد يطول وهم بحمد الله في كل مصلحة بلا استثناء ...

الحياة العامة :

وقد ساهموا فى الحياة العامة : فهذا الأستاذ دسوقي أباظة من الكتاب الأدباء « الغزالى » ومن رجال الحزب الوطنى أبان نهضته الأولى . وكان من رجال الأحرار الدستوريين وهو اليوم مستقل . وهذا فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعية الزراعية وروح البعثة المصرية للسودان ومنظم المعارض وعضو في أكثر من عشرين شركة وهيئة وجمعية . وهذا الاستاذ عبدالله فكري أباظة مدير شركتى الخليج والملاحة ببنك مصر ورئيس نادي التجارة العليا ومنشيء الشركات الاقتصادية واليد العاملة فى كل عمل عام — وقبل هؤلاء جميعاً كان عبدالحميد أباظة بك مدير الجمعية الزراعية عمل فى تأسيسها وحياتها وغيرهم في الطب والزراعة — والهندسة — والكهرباء — والمحاماة والتجارة — والتعليم — بحيث كان متخرجى الأسرة وحملة الشهادات ممن ملأوا مقاعد الحكومة والحياة الحرة من زمن طويل بمحصول وافر يتزايد عاما بعد عام ...

عدد افراد الاسرة

اجرى احصاء لهم فبلغ ثمانية آلاف نفس . ولهم أقارب في الشام وفلسطين والحجاز واليمن وهى بلا جدال أكبر الأسر المصرية في وحدتها وعدد أفرادها



أعضاء البعثة على سطح الباخرة بالبحر الأحمر بعد سفرها من السويس إلى بورسودان ويرى من اليسار : محمد حسين الرشيدى . عبدالله حسين . فخرى الزق . على شكرى خميس . رشوان محفوظ باشا . عبد الحميد فتحى بك . عبدالمجيد الرمالى . فؤاد أباظة بك . محمد حسن قاسم

فؤاد اباظة بك — ترجمة حياته



هو فؤاد أباظة بن حسين أباظة بك بن السيد أباظة باشا ولد ببلدة كفر أبو شحاته مركز منيا القمح بمديرية الشرقية فى ٢٣ يوليه سنة ١٨٩٠ وحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة النحاسين سنة ١٩٠٣ وشهادة البكالوريا من المدرسة الخديوية سنة ١٩٠٦ ودبلوم مدرسة الزراعة بالجيزه سنة ١٩٠٩ ، وألحق بخدمة الجمعية الزراعية الخديوية (يومئذ) فى ١٥ يوليه ١٩٠٩ ، وكان رئيسها سمو الأمير حسين كامل « حضرة صاحب العظمة السلطان حسين كامل » وتقلب

في وظائفها وعين مساعداً بفرع الجمعية بمديرية الشرقية فى أول نوفمبر فى السنة نفسها ثم سكرتيراً زراعيا لمديرية الجيزة فى أول مايو سنة ١٩١٠ ثم كبيراً للمفتشين فى أول يونية ١٩١١ ثم رئيساً لقسم التجارة فى أول مايو ١٩١٢ ثم سكرتيراً عاما للجمعية الزراعية فى ٢٢ يونيو سنة ١٩١٤ ثم مديرا للجمعية الزراعية فى سنة ١٩٢٣ . ومديراً عاما سنة ١٩٣٥ . وكانت تسمى الجمعية الزراعية الخديوية منذ تأسيسها في سنة ١٨٩٨ حتى سنة ١٩١٧ حيث سميت الجمعية الزراعية السلطانية وفى سنة ١٩٢٣ سميت الجمعية الزراعية الملكية

وعندما تولى المغفور له السلطان حسين مؤسس الجمعية ورئيسها الأول عرش السلطنة فى ديسمبر سنة ١٩١٤، خلفه نجله فى رياسة الجمعية المغفور له الأمير كمال الدين حسين ، ولما توفى إلى رحمة الله فى ٦ أغسطس ١٩٣٢ خلفه في رياسة الجمعية حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون وكان سموه وكيلها الأول منذ تأسيسها

وفى سنة ١٩١١ انتدب « دولة الأمير حسين كامل » فؤاد أباظة أفندى بالاشتراك مع «دولة الأمير أحمد فؤاد» وهو جلالة الملك بعد ذلك، للسفر للصومال الايطالى لبحث الأحوال الزراعية هناك واحتمالات زراعة القطن على جوانب نهر الوبي شبالى ، وعند عودته لمصر زار مصوع واسمرا بالاريتريا وبورسودان وعطبرة والخرطوم وأم درمان بالسودان. وهذا ما دعاه إلي القيام برحلة بالطائرة فى ٧ يناير سنة ١٩٣٤ إلى بحيرة فيكتوريا ومنابع النيل ثم التجوال فى أوغندا وكينيا ومقديشو عاصمة الصومال الطليانى حتى نهر الوبي شبالى ثم الاريتريا والسودان للمرة الثانية ، حيث شاهد أعمال بناء خزان جبل الاولياء وزار منطقة زراعة القطن بالجزيرة وخزان اصوان وكل ذلك لجمع مشاهدات عن زراعة القطن فى وادى النيل حيث قدم مذكرته عن رحلته هذه للجنة القطن الدولية المشتركة المنعقدة بالقاهرة فى ١٧ و ١٨ و ١٩ فبراير سنة ١٩٣٤

وكانت من نتائج رحلته الثانية إلى السودان وأعالى النيل أن تمت رحلة البعثة المصرية للسودان فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٥ . وكان نجاحها فوق كل تقدير .

وقد أنعم السلطان حسين كامل على فؤاد بك بالبكوية من الدرجة الثانية فى ديسمبر سنة ١٩١٦ وأنعم حضرة صاحب الجلالة الملك أحمد فؤاد عليه بالبكوية من الدرجة الأولى فى مايو سنة ١٩٢٦ على أثر اقامة الجمعية الزراعية الملكية

للمعرض الزراعى الصناعى فى أوائل سنة ١٩٢٦ و بنيشان اسماعيل من الطبقة الثالثة سنة ١٩٣١ على أثر اقامة المعرض الزراعى الصناعى فى أوائل تلك السنة وكان فؤاد بك مديراً للمعرض .

ومنحت الجمهورية الفرنساوية فؤاد بك نيشان الليجون دونير سنة ١٩٢٩ اعترافا بجهوده فى إقامة المعرض الفرنسى بالقاهرة فى تلك السنه .

وعرف فؤاد بك من حداثة سنة بروحه الرياضية ويضيق المكان عن تعداد عماله في الاوساط والهيئات والأندية الرياضية .

كما أنه عرف شغوفا بالاسفار. فبينما تراه في القاهرة اذا به بالاسكندرية واذا به فى روما ، ثم تسمع به فجأة فى السودان أو فى عدن وتسمع أنه فى مجاهل افريقية. وهو ديموقراطى وصريح وواقف على أصول إلا تيكيت، وهو صحفى بروحه وبتحريره مجلة الفلاح . وقد زار النرويج والسويد والشام واستامبول.

وقد حضر مؤتمرات كثيرة بالخارج وفى القاهرة وبذلك أصبحت روحه دولية، مما أفاده كثيراً فى حياته العملية وادارته لشؤون الجمعية الزراعية الملكية. وله أصدقاء كثيرون من جميع الطوائف والبلاد

وقد تزوج فؤاد أباظه بك فى ٢٠ يناير سنة ١٩١٦ من ابنة خاله المرحوم محمد فخر الدين بك فأنجب قدرى أباظه فى ٢٣ يوليو سنة ١٩١٧ ويسرى أباظه في ٢٩ ابريل سنة ١٩١٩ .

الاستاذ فكرى اباظة المحامى والصحفى

هو زميلنا الكاتب المتفنن المبدع، صاحب القفشات، ومسدد الوخزات، ومبتكر الاسلوب الخاص الرقيق . وهو الخطيب المتحمس ، والمنافح المتنمر ، الهادىء فى ثورته ، الثائر فى سكينته وهو مع هذا محبوب من الجميع لأدبه ووفائه لأصدقائه من جميع النحل والمذاهب حتى لا يكاد الناس يعرفون أنه من رجال الحزب الوطنى أو أنه شقيق فؤاد أباظة بك



محمد فكرى أباظة المحامى ورئيس تحرير المصور

عبد الحميد اباظة بك



عبد الحميد أباظة بك

المدير السابق للجمعية الزراعية الملكية وكان فى البعثة يمثل خريجى الزراعة ، رجل كريم . ديموقراطى فى أوسع معاني الديموقراطية « البلدية ! » . وهو من القائلين أصرف مافى الجيب يأتيك مافى الغيب. حركة واسعة . كان وكيلا للملك الشريف حسين ولغيره من أمراء مكة وأشرافها، وبالرغم من مجتمعاته وجولاته ، فهو يعشق المعيشة القروية ويحب الفلاحين، محب للاسفار الفجائية غير الأنتظارية ، يظهر فجأة ويختفى فجأة !



عبد الحميد فتحى بك

عبد الحميد بك فتحى

ولد في بلدة هيا شرقية في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٧٦ هجرية الموافق ٢٠ أغسطس سنة ١٨٦٩

أتم الدراسة الابتدائية بمدرسة عابدين والقربية والدراسة الثانوية بمدرسة الخديوية سنة ١٨٨٩ وفى هذه السنة افتتحت مدرسة الزراعة بالجيزة فالتحق بها في سنة ١٨٩٤ . نال دبلوم المدرسة وعين مساعد مدرس بها في سنة ١٩٠٩ ثم عين وكيلا للمدرسة في أول ابريل سنة ١٩١٥ ثم عين مديراً للتعليم الزراعى بوزارة الزراعة «يومئذ» ثم أضيفت اليه أعمال وكالة مدرسة الزراعة بالجيزة علاوة على وظيفة مدير التعليم الزراعى فى نوفمبر سنة ١٩١٥ . ثم عين ناظرا لمدرسة الزراعة العليا بالجيزة وهو أول ناظر مصرى عين لها وقد أنعم عليه بجملة رتب أعلاها رتبة البكوية من الدرجة الأولي و نيشان النيل الرابع

ثم أحيل إلى المعاش فى أغسطس سنة ١٩٣٠ وهو الآن عضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية الملكية وعضو مجلس ادارة مدرسة الطب البيطرى . وعضو اللجنة الادارية لجمعية خريجى مدرسة الزراعة بالجيزة

الفونس جريس بك

تلقاه فتشعر بأنه رجل وقور ، وتظنه من رجال القضاء ، وهو زراعى فنى ذو رأى صائب كان مديراً لقصر الزراعة والاكثار بوزارة الزراعة وهو عضو بمجلس ادارة الجمعية الزراعية



الدكتور ابراهيم الشوربجى بك عن يمينه الشيخ البربر

من خريجى الطب المصرية وكليات الطب بانجلترا وارلندا. متخصص فى أمراض النساء كبير أطباء السكة الحديد وطبيب الجمعية الزراعية الملكية ، ذكاؤه لامع ، ومجتمعاته محبوبة ، حلال المعضلات ، شديد التوافى لاصدقائه ، يؤثر البساطة والقصد في الحديث مع الروية ، طبيب مطمئن لا مهوش !

الفصل الرابع

النقابة الزراعية المصرية العامة

أسست في سنة ١٩٢١ بحضور جمهور كبير اجتمعوا للدفاع عن مصالح الزراع وانتخب حضرات أعضاء مجلس ادارتها من بينهم

وهذه خلاصة صغيرة جداً من أعمالها التى تملأ القرارات الصادرة منها بعد البحث المستفيض ، مجلدين كبيرين وتملأ تفاصيل تلك الاعمال مجلدات كثيرة موجودة فى محفوظاتها ، اذ كان يستغرق البحث فى كل موضوع من المواضيع التى اهتمت بها اجتماعات كثيرة ويشتمل على ما يصعب احصاؤه من المطالعات والمراجعات والمداولات

وقد أوجدت النقابة منذ تأسيسها روح الكفاح عند الشعب عن قطنه وسائر محصولاته ، تفاديا من أن تباع سلعه بخسة واستخدمت لذلك تارة طريقة الوساطة لدى الحكومة في تبيين مواضع العلل لتداركها وتارة طريقة النصح للزراع والدلالة على وجوه الصواب مما فيه جلب خير لهم أو درء شر عنهم .

كان أول عملها في سنة ٢٠ – ١٩٢١ – أنها توصلت بمداولاتها ومساعيها لدى الحكومة الى اهم الامور الاتية وهى : اقرار تكليف البنك الزراعى فتح أبواب التسليف لصغار الفلاحين من غير اخلال بقانون الخمسة الأفدنة ، والايعاز الي البنك الأهلى باقراض كبار الزراع بضمان الخزينة على أن لا يضطرهم الي بيع أقطانهم ، ودخول الحكومة سوق القطن شارية في داخلية البلاد وفي ميناء البصل ووقف انفاذ قانون الحلج قبل ٣٠ ابريل مؤقتا . فكان من أثر هذه القرارت نهوض سعر القطن من ١٨ ريالا الي ٢٨ فما فوق ، وانقاذ البلاد من كارثة اقتصادية كانت شديدة التهديد لها :

وما زالت منذ عشر سنين توالي مباحثها في أسعار القطن يوما بيوم ولا تنقطع عن الاتصال بالحكومة لابلاغها كل ما يطرأ من الأمور الموجبة لاتخاذ الحيطة أو دفع المحذورات . وهى تدعو كلما أنذرت الحالة بخطر الي اجتماع عام كبير للزراع . وقد بلغت هذه الاجتماعات العامة أربعة فكان الذين يشهدونها ينظرون فى الوسائل التى تتفادي منها الازمات وترفع نتائج قراراتهم وأمانيهم الي الحكومة

وتنشر في الصحف على أثر كل اجتماع .

وقد مثلت النقابة مصر حكومة وشعبا في المؤتمر القطنى العالمى الذى عقد في مانشستر وليفربول بين ١٣ و٢١ يونية من سنة ١٩٢١ ، حيث ناب عن وزارة الزراعة وعن النقابة عضوان من مجلس ادارتها فى حضور ذلك المؤتمر واسمعا الغزالين لأول مرة صوت مصر ومطالبها ودلا على وسائل حسن التفاهم بين المنتجين المصريين والغزالين وهى التى قامت بقسم ذى بال في أعمال المؤتمر القطنى العالمى الذى عقد في القاهرة سنة ١٩٢٧ والمؤتمر القطنى العالمى الذى عقد في برشلونه سنة ١٩٣٠ . ومن أعضائها من يعمل بكل جد ومثابرة في لجنة القطن الدولية المختلطة التى ألفها اتفاق الرأى في المؤتمر لدراسة كل حالة توطد بها الصلات وتزال منها وجوه الخلاف بين المنتجين والغزالين .

النقابة ناضلت فى مسئلة التنافس على شحن القطن المصرى سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢١ نضالا مشهوداً ، كان من نتيجته هبوط أجر القطن المشحون من ٦٠ شلنا لأمريكا إلى ٣٥ شلنا لانجلترا و ٤٠ شلنا لامريكا

النقابة والت مساعيها لتقليل الوسطاء بين منتجى القطن وغزاليه فلم تظفر بتحقيقه مباشرة . ولكنها فازت فوزاً كبيراً من طريق آخر بردالارباح الطائلة التى كان يغنمها الوسطاء الى أرباح معتدلة . ومن هذا القبيل نذكر أهم وسيلة استخدمتها وهى الآتية :

النقابة درست أحوال بورصة العقود وأحوال بورصة البضائع وتباحثت فيها سنوات كثيرة في عشرات من الجلسات وقدمت عنها مذكرات ضخمة وافية للحكومة وظلت تتعقب أنواع الحيف الواقعة فيها على المنتج حتى أفضت الي إقناع ولاة الامور بضرورة تعديل لائحتى البورصتين المذكورتين وفي خلال العمل على تعديلهما كانت النقابة توالى معاونة الحكومة في دراسة تلك المواضيع من وجهاتها العلمية والعملية الدقيقة وتدل على مظنات الخطر حتى يسر الله تحقيق تلك الأمنية بعد العناء الذى لم ينقطع مدة العشر سنوات

النقابة سعت مساعى متكررة، بعد تقديمها مباحث ومذكرات متعددة ، لتعين مندوبا للحكومة فى بورصة ميناء البصل. وقد تقرر وعين فى النهاية . وأهمية هذه الرقابة لمصلحة المنتجين لا تخفى .

النقابة سعت وكررت القرارات والالتماسات فى تخفيض أجور النقل بالسكة

الحديدية على المنتجات الزراعية وقد تحقق جانب مهم من أمانيها .

النقابة بدأت المباحث فى مسأله تقاوة بذرة القطن فلما اقتنعت بها وزارة الزراعة وشرعت في الأخذ بها كان لمندوبي النقابة عمل متصل جليل الاثر فيما أعدت لذلك من القوانين التى يجنى القطر الآن فوائد جمة منها .

النقابة سعت لخفض السعر المقرر للحليج بعد أن كان قد جاوز في الغلاء حد المعقول منذ سنة ١٩٢١ فاستمعت لها المحالج الوطنية آنئذ وأنزلت السعر الي نصف ما كان عليه وقد ظلت النقابة عاما بعد عام تكرر مجهودها لذلك كلما آنست مسوغا

النقابة بذلت أكبر مجهود عند ما شرع في فرض الضريبة الأمريكية على القطن الطويل الشعرة وقدرها سبعة دولارات على القنطار لتحول دون اقرار تلك الضريبة فاجتمعت بحضرات ممثلى الولايات المتحدة في القطر وأدلت لديهم بحججها وبعثت بالبرقيات الكثيرة الكلفة وبالتقارير الوافية والبيانات الى الصحف الكبرى والغرفة التجارية العليا فى واشنطن والي رياسة اللجنة المالية بمجلس شيوخ الولايات المتحدة والى جميع الغزالين الاميريكيين الذين يشتغلون في القطن المصري وكان من حسن الطالع ان عدل عن تلك الضريبة في المرة الأولي :

فلما فكرت فيها حكومة الولايات المتحدة للمرة الثانية منذ عامين ، بذلت النقابة مجهوداً كالاول لاقناعها بالاقلاع عنها وتوسلت لحكومتنا المصرية التى فعلت ما في وسعها لدرء ذلك الحيف وما زالت تعمل له .

النقابة كررت مساعيها لدي الحكومة بعد هبوط سعر القطن الى الغاء ضريبة الخمسة والثلاثين قرشا التى فرضت على كل قطار يباع من القطن المصرى وقد فازت على توالى السنين بتخفيض بعد آخر في تلك الضريبة فأصبحت عشرة قروش في هذا العام ثم الغيت

النقابة هى التى بمباحثها وتكرار مساعيها اقنعت الحكومة بضرورة الغاء البيع تحت القطع فوضعت لذلك مشروع مرسوم ولكن محكمة الاستئناف المختلطة عاقت صدوره الى الآن مع ماله من النفع العظيم للمنتجين .

النقابة بدأت منذ تأسيسها المباحث والمساعى لتقرير التسليف الزراعى وقد وافقتها عليه الحكومة المرة بعد المرة حتى انتهت إلى تأسيس البنك الذى خصته بهذا العمل وكم من اقتراح مفصل رفعته اليها النقابة لتحقيقه .

النقابة آزرت بمباحثها ومساعيها زراع قصب السكر تارة وزراع البصل طوراً ، بما يتسنى معه تحسين حالهم لضمان تنويع الزراعة في القطر بما في الوسع .

النقابة عملت غير مرة مع منتجى الغلال وعاونتهم ما تستطيع على التماس اقرار الحماية الضرورية لهذه المحصولات في البلاد وقدمت في ذلك المذكرات والبيانات المقنعة وآخر مارفعته منها وباحثت أولى الامر فيه كان فى الأشهر الثلاثة الاخيرة

النقابة طالبت منذ عام سنة ١٩٢٢ بانشاء الجمعيات التعاونية وبينت فى مذكرات مفصلة فوائدها الى أن شرع فى تأسيسها .

النقابة رفعت الاقتراحات المتعددة في التماس المؤازرة على تأسيس مغازل القطن وتبين وجوه منافعها للبلاد مما بدأ يتحقق عملياً في هذا العام على مد الشركة التى وفق بنك مصر الى تأليفها والمصنع الذى أقامه فى المحله الكبرى

النقابة بحثت وناضلت سنين متوالية فى مشكلة الرطوبة القطنية الى أن حلت أخيراً

النقابة التمست المرة بعد المرة تحديد الزمام القطنى حين قضت به ضرورة الدفاع عن سعر المحصول وقد قدمت فى ذلك مذكرات متضمنة صنوف البيانات المقنعة .

النقابة رفعت الى الحكومة فى السنتين الاخيرتين ما أفضت اليه مباحث أعضائها والزراع الذين لبوا دعوتها من الوسائل المقترحة لتخفيف ويلات الكارثة الاقتصادية الحاضرة وقد شهدت بارتياح موافقة الحكومة على معظمها .

النقابة عملت على استصدار قانون بمنع خلط القطن فى داخلية البلاد وبعد أن تبينت عدم كفايته لما علمته من مندوبيها المتصلين بالغزالين اقترحت استصدار قانون آخر بمنع خلط القطن فى المكابس وكررت فيه مساعيها وما زالت على أمل بانفاذه ولو عاقته محكمة الاستئناف المختلطة الى الآن :

النقابة اقترحت كبس القطن المخزون لدى الحكومة كبساً بخاريا لصونه من التلف وتقليل نفقاته . وقد أجابت اليه وزارة المالية .

النقابة بدأت منذ سنة ١٩٢٣ فى الدعوة لانشاء بورصة الغلال وقد أخذت أمنيتها تتحقق وستفتح هذه البورصة فى ١٥ مايو المقبل .

النقابة بدأت منذ سنة ١٩٢٤ مباحثها فى حقيقة مركز القطن السكلاريدس لدى عالمى الصناعة والتجارة وفيما ينبغى لمصر أن تعتمد عليه من جهة هذا الصنف الممتاز واستحضرت اذ ذاك بيانا لجميع المنتجات الصناعية التى يدخل فيها كما أن

النقابة هى التى نبهت الحكومة والزارع فى العام الماضي إلى ما طرأ من قلة للطلب على الأقطان الجيدة وكررت الرجاء أن تستخدم الحكومة وسائلها فى الخارج لتبين حقيقة هذه الحالة ومعرفة المقدار الذى تستطيع زراعته من هذه الأصناف حتى لا يجنى محصولنا على السعر بزيادة المعروض منه على المطلوب.

النقابة التمست تعيين مندوبين تجاريين لدى ممثلى مصر فى الخارج. فلما آنست من الحكومة أن صعوبة تحول دون ذلك التمست تعيين مندوبين أحدهما فى المفوضية المصرية بلندن والثانى فى مفوضية واشنطن وقد بينت الأسباب المتعددة التى تدعو الى هذا التعيين والفوائد التى تترتب عليه لمصلحة محصولات القطن فى أسعارها وفى رواجها.

النقابة اقترحت عدم مجاوزة سعر القطن صعوداً أو هبوطاً ريالين فى الجلسة الواحدة وذلك منذ سنة ١٩٢٥ وقد أخذت به وزارة المالية.

النقابة اقترحت انشاء المصارف والصناديق القروية لتسهيل التسليف الزراعى وهو ما يعمل على انفاذه اليوم فى صورة أخرى باعتبار تلك الصناديق فروعا لبنك التسليف الزراعى.

النقابة بحثت في رخص الالات الرافعة من حيث اعتبار الحكومة اياها شخصية لا عينية. وأبانت أن اعتبارها عينية أيسر لمصلحة المالك وأعدل من جانب الحكومة مع عدم المساس بأية مصلحة من مصالحها.

النقابة بحثت مراراً فى شئون الصرف والري وقدمت فى ذلك اقتراحات متعددة وهى الآن توالى البحث من جهة الصرف على وجه خاص لأنه لم يتيسر له من وسائل التحسين والاصلاح ما هو جدير به بعد التوسع في أعمال الرى الكبري

النقابة توالى العمل كل سنة لاخراج تقدير للمحصول القطنى بجانب التقدير الرسمى وغيره مما تصدره الهيئات التجارية وذلك لتضرب بسهم في تقريب الاحصاء الى الحقيقة جهد المستطاع.

النقابة التمست وألحت في إنشاء مكتب خاص للقطن وتعيين خبراء فيه من النخبة المدربين الذين يعول على آرائهم في عالم المشتغلين بمزاولات القطن وقد حققت المالية جانبا من هذا الاقتراح.

النقابة اتصلت بغزالى فرنسا عام ١٩٢٥ وغزالى انجلترا بعدهم وطرحت عليهم أسئلة لتعرف بها آراءهم في تصريف القطن المصرى وتبين هل لهم شكايات مما

يصدر منه اليهم لازاله أسبابها وتسهيل السبيل لاتساع نطاق التصدير وتسهيل اقبال الغزالين على القطن المصرى وقد تلقت أجوبتهم وعرضتها على أولي الشأن وكان منها اصلاح كبير في تفادي وجود المواد الغريبة في القطن وتنوير ما كان غامضا من جوانب التصدير .

النقابة اتصلت بالوفد التجارى الامريكى الذى حضر فى عام ١٩٢٥ واستفادت من مداولاتها من أشياء تعود بالنفع على المنتجين المصريين ونشرتها فى حينها . وكذلك اتصلت بالبعثة التجارية البريطانية التى جاءت فيما مضي وجرت بين الفريقين مبادلة في الاراء أذيعت فى الصحف أيضاً .

النقابة ناضلت فى مسألة الفليارات وسوء استعمالها للضغط على السوق أحيانا وجاهدت فى منع تسليم القطن القديم فليارات منذ عامين للتخفيف عن السوق وصيانة حقوق المنتجين .

النقابة سعت لتعين الفرازين الرسميين بميناء البصل منعا للحيف الذي كان يقع على المنتجين المصريين .

النقابة ممثلة من اللجان الحكومية في المجلس الاقتصادي والمجلس الاستشاري الزراعى ولجنة القطن الدولية ومجلس التعاون الأعلى . وقد مثلت فى لجان أخري حكومية منها اللجنة التى تشرف على أعمال شراء القطن ومنها اللجنة التى ألفتها وزارة الزراعة حين قررت تحسين بذرة التقاوي ووضعت لها القوانين الجديدة

النقابة أصبحت معروفة فى أمريكا وأوروبا ومعظم هيئاتها الاقتصادية بدأت تخاطبها منذ سنة ١٩٢١ ومازالت تخاطبها العام بعد العام فيما يتعلق بالشئون الاقتصادية المصرية .

ولدى النقابة مجلدان لمحاضرها ومجلدان نقلت اليهما مذكراتها واقتراحاتها ـ مارفع منها إلى الحكومة وما نشر لاطلاع الجمهور عليه وفي عزمها أن تطبع مجموعة أعمالها فى خلال هذا العام ان شاء الله

النقابة بذلت فى السنتين الأخيرتين مجهودات متواصلة حتى أقنعت الحكومة بالتجاوز عن مليونى جنيه من الضرائب للزراع وأقنعتها بالتنازل عن ضريبة القطن وقدرها عشرة قروش وأقنعتها بتسوية الديون العقارية للمرة الأولى وهى الوقتية والمرة الثانية وهى التى انجز منها الاتفاق مع بنك المورگدج والبنك العقاري المصرى ويعمل لانجازه مع بنك الاراضى وصندوق الرهنيات العقارية ومع أصحاب التسجيلات الثانية



الدكتور يوسف نحاس بك

الدكتور يوسف نحاس بك

سكرتير عام النقابة الزراعيـة . زارع قح ، واقتصادى مطلع . وباحث . عضو فى لجنة القطن الدولية والمجلس الاقتصادي وفى لجان وجمعيات كثيرة وآخر ذلك البعثة الاقتصادية فى السودان ثم فى لندن، وهو من الذين عرفتهم فأحببتهم ،في حديثه جاذبية،وهو قوى الحجة ، محب للسلام والتوفيق، وكم وفق بين الوزراء إذ كانوا مختلفين !



المهندس مصطفى نصرت

المهندس مصطفى نصرت

ولد مصـطفى نصرت بالقـاهرة فى ٢ فبراير سنة ١٨٩٤ —

وترك مصطفى نصرت فى سنة ١٩٠٨ المدرسة السعيدية وسافر إلى جلاسجو والتحق بجامعتها فى سنة ١٩٠٩ بمدرسة الهندسة المدنيـة وفى شـهر مارس سنة ١٩١٣ تخرج من الجامعة بعد أن نال درجة B. S.c فى فن الهندسة مع لقب شرف ثم التحق بشركة درايزديل وشركاه . Drys dale &Co للاعمال الهندسية بجلاسجو حيث اشتغل مدة سنة كمهندس وبعدها عرضت عليه الحـكومة العثمانية أن يشتغل فى مصلحة الرى بالعراق كمهندس فقبل وذهب الى بغداد فى شهر يونية سنة ١٩١٤ وهناك اشتغل فى مشروعات الرى وأهمها قناطر الهندية التى كانت الحـكومة قائمة ببنائها بواسطة شركة جاكسون وزملائه المقاولين المشهورين الذين قاموا ببناء قناطر نجع حمادى . وعند نشوب الحرب بين الحـكومة العثمانية وانجلترا فى فبراير سنة ١٩١٤ انسحب الانجليز من العراق وباشرت الحـكومة العثمانية تنفيذ مشروعات الري هناك بواسطة مهندسيها وكان مصطفى نصرت من القائمين بذلك .

وفى سنة ١٩١٦ عين مصطفى نصرت مهندسا مقيما لقناطر الهندية على نهر

الفرات . وفى الوقت نفسه كلف باصلاح أساس القناطر المذكورة الذي كان قداختل اختلالا يخشي سقوطها في أى لحظة وكان السبب في هذا الخلل غلطات فنية وقعت فى أثناء بنائها . وفى الوقت نفسه عزمت قبائل العرب هناك على أن تقاوم الاصلاح وتمنع العمل بالقوة لأن عملية الاصلاح تمنع المياه من الوصول اليهم لرى أطيانهم . فوصلت للحكومة أخبار هذا الاتفاق فاطلعت مصطفى نصرت عليه نظراً لخبرته باحوالهم وكان القرار الذى صدر هو أن يقوم مصطفى نصرت بهذه العملية بالرغم من تهديد العرب على شرط اعطائه القوة المسلحة الكافية للمحافظة على القناطر ووضع هذه القوة تحت أمره مباشرة فذهب على رأس هذه القوة المسلحة لقناطر الهندية وقام بعملية الاصلاح خير قيام وفى أثناء العمل قامت ثورة فى البلاد المحيطة بالقناطر مثل كربلة والحلة وبلدة الهندية فانقطعت الموصلات بينه وبين الحكومة العثمانية ولكنه قاوم العرب هناك ومنع امتداد الثورة لقناطر الهندية تارة بالسياسة وتارة بالتهديد وتارة بمحاربتهم حتى تم الاصلاح والترميم

وبعد ذلك أرسلت الحكومة العثمانية قوة عسكرية لتأديب الثوار مكونة من ٦٠٠٠ عسكري وبطارية مدافع سريعة الطلق وطابور متراليوز وطيارتين فقامت هذه القوة وعلى رأسها عاكف باشا القائد السواري المشهور وكانت الخطة المرسومة لها أن تفتح الطريق لقناطر الهندية أولا وفعلا وصلت للقناطر وتقابل قوادها مع مصطفى نصرت وهنأوه على العمل الجليل الذي قام به وقت أن كانت الحكومة العثمانية لا نفوذ لها فى هذه الجهة ثم زحفت القوة العسكرية هذه على بلدة الحلة حيث نكلت بالثوار وفتحت البلد وحاكمت العصاة أمام المحاكم العسكرية وحكمت على ١٣٦ شخص بالاعدام ونفذ الحكم

بعد ذلك ندب مصطفى نصرت مهندسا لقيادة الجيش العثماني السادس المعسكر فى العراق علاوة على وظيفته الأصلية وهو مهندس مقيم لقناطر الهندية فقام بتأدية وظيفتيه خير قيام مما استأهل به الأنعام عليه بمدالية الحرب العثمانية فى سنة ١٩١٧ .

وبعد سقوط بغداد فى مارس سنة ١٩١٧ فى يد الانجليز تقهقر الجيش العثماني الى الموصل ولحق به مصطفى نصرت الذى عهد اليه بدراسة مشروعات الري بولاية بورسة في الاناضول ثم عين للقيام بعمل مشروعات رى ولاية أطنه فى الاناضول

أيضا وقبل تمامها عين في سنة ١٩١٨ مساعد باشمهندس ولاية قونية ومكث بها لغاية ١٩٢٠، حيث صرح له بدخول مصر واستقال من وظيفته وجاء مصر ومن يومئذ التاريخ لم يدخل وظيفة حكومية بل باشر أعماله الخصوصية فقط



السيد احمد أبو الفضل الجيزاوى

السيد احمد ابو الفضل

كان من رجال الادارة مأموراً للجيزة والزقازيق واعتزل الادارة . وانتخب شيخا فى مجلس الشيوخ عن الجيزة سنة ١٩٣٠ . نجل فضيلة الاستاذ الاكبر المغفور له الشيخ محمد ابو الفضل الجيزاوي . مهذب ، يتخير أصدقاءه ، وهو تقى مؤمن .

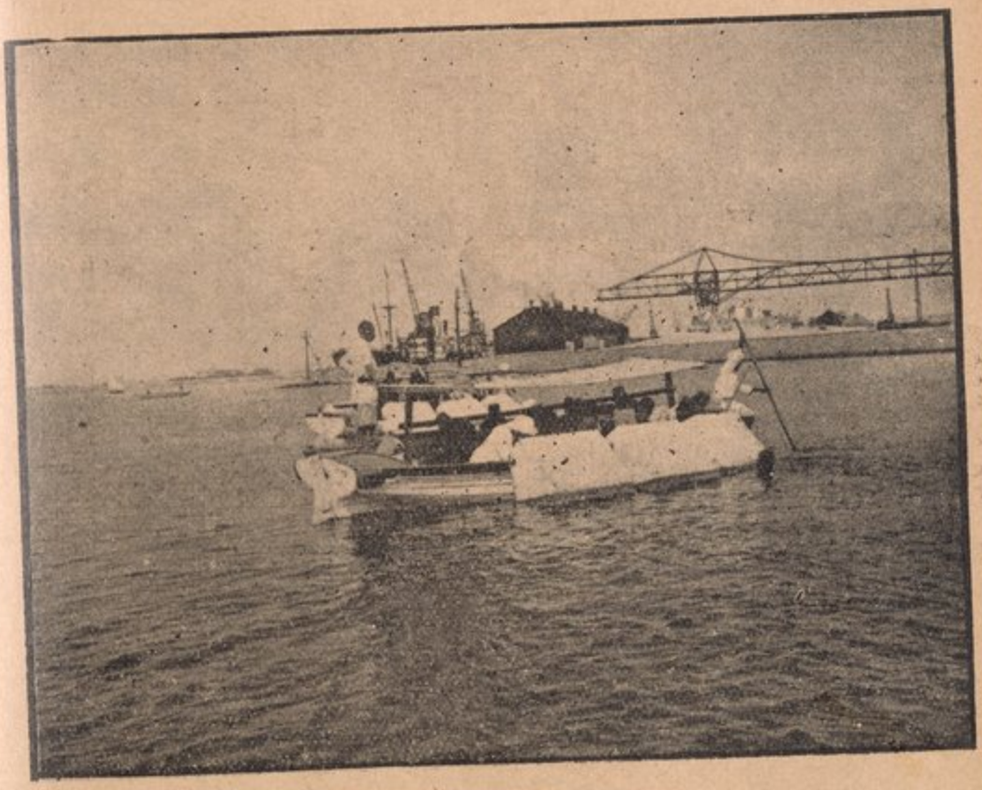

فى ميناء بور سودان القارب الذى استقله الاعضاء
حيث شاهدوا من سطح صندوقه الزجاجي صخور البحر العجيبة

وزارة التجارة والصناعة

كانت مصلحة انشئت فى ابريل سنة ١٩٢٠ بناء على اقتراح لجنة التجارة والصناعة المشكلة بقرار من مجلس الوزراء الصادر فى ٨ مارس سنة ١٩١٦ وألحقت بوزارة المالية ومهمتها انشاء نظام دائم لتنشيط التجارة والصناعة فى مصر وترقيتها .

وكان بالمصلحة معرض للنماذج به طرائف فاخرة من قطع الأثاث المستوردة من أشهر مصانع العالم وفيه موظف مصرى خبير فى الاثاث وآخر أجنبى خبير بتصميمه لارشاد الجمهور والصناع . كذلك به حجرة للرسم لمن يشاء من أرباب الصناعة وهو مفتوح للجمهور أيام الأسبوع ماعدا المواسم والاعياد .

وقد أصبحت المصلحة فى هذا العام وزارة بمرسوم ملكى ، ووزيرها الحالى سعادة احمد نجيب الهلالى بك وزير المعارف ايضا ، وهو أول وزير لها . وقد عين لها خبير فنى انجليزي يقوم الآن بتنظيمها

المجلس الاستشارى للتجارة والصناعة

أنشىء هذا المجلس بقرار أصدره وزير المالية فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩ مكونا من وكيل وزارة المالية . . . . رئيسا

المستشار الملكى لوزارة المالية . جناب المستر ا . س . بارنس رئيس مجلس ادارة فرع بنك باركليز بالاسكندرية . مدير عام مصلحة الاملاك الاميرية . وهنري نوس بك المدير العام لشركة السكر . ومدير عام مصلحة التجارة والصناعة . ومراقب التعليم الفنى والصناعى بوزارة المعارف ومراقب مصلحة المناجم ومندوب يمثل الغرفة التجارية المصرية بالقاهرة ومندوب يمثل الغرفة التجارية المصرية بالاسكندرية . أعضاء

اقسام الوزارة

وتنقسم الوزارة الى فرعين رئيسيين : أحدهما الفرع الاقتصادي والادارى والتجارى ، والآخر الفرع الصناعى .

وينقسم الفرع الاقتصادى والادارى والتجارى الى الاقسام الآتية :

١ — قسم المباحث ، ٢ — الاحصاء ، ٣ — التشريع التجارى ٤ — النقل والتعاريف ، ٥ — الغرف التجارية ، ٦ — المخابرات التجارية . ٧ — المشتريات ٨ — قسم المعارض ٩ — النشر والترجمة ، ١٠ — المكتبة ١١ — الحسابات والمستخدمين . ١٢ — المحفوظات . ١٣ — السواحل وأسواق الغلال : فى أثر النبى والجيزة وروض الفرج وغمرة وبولاق والاسكندرية ورشيد

وينقسم الفرع الصناعى الى الأقسام الآتية :

١ — قسم الجلود والدباغة ، ٢ — الصباغة ٣ — الغزل والنسيج ٤ — قسم الاقتصاد الزراعى ، ٥ — الصناعات الكيماوية ٦ — قسم المباحث الصناعية . ٧ — الاثاث . ٨ — الصوف والسجاد . ٩ — الزجاج . ويوجد معمل كيماوى بالوزارة التى تصدر مجلة اسمها « صحيفة التجارة والاقتصاد »

الغرف التجارية المصرية

الغرض من هذه الهيئات هو حماية مصالح التجار والصناع والدفاع عن حقوقهم وايجاد رأى تجارى عام واعداد أداة صالحة لجمع المعلومات والبيانات التى تهم التجارة والصناعة وتبويبها ونشرها وكان انشاء أول غرفة تجارية مصرية بمدينة القاهرة عام ١٩١٣ إذ وضع أساسها جماعة من تجار العاصمة على رأسهم المرحوم عبد الغنى سليم عبده وعبد الخالق مدكور باشا . ومنذ سنة ١٩٢٠ أخذت تنتشر فى هذه البلاد فكرة انشاء الغرف التجارية ، إذ تكونت غرف تجارية فى معظم مدن القطر ، إلا أن تلك الغرف كان يتنازعها عاملان : عامل النجاح ، وعامل الفشل لأسباب كثيرة ، أهمها : ضعف ماليتها وفقدان روح التعاون بين أعضائها ، وعدم وجود رقابة حكومية منظمة عليها لضمان ارشادها ومساعدتها ماديا وأدبيا ، مما كان من أثره ظهور عجزها عن تحقيق الأغراض التى انشئت من أجلها .

قانون الغرف التجارية

رأت وزارة التجارة والصناعة ضمانا لحياة الغرف أن تسن لها قانونا يتسنى معه أن تكون لها الشخصية المعنوية ، وتحدد به اختصاصاتها ، وتنظم به رقابة

الحكومة عليها ، وقد صدر القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٣ بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣ لهذا الغرض ، ونصت المادة ٣٨ منه على إصدار لائحة عامة للغرف التجارية تبين النظام الداخلى لسير العمل فيها وتنظيم لجانها ، وتحدد القواعد الخاصة بماليتها وبانتخاب أعضاء مجلس ادارتها ، ولذلك صدر مرسوم بتاريخ ٣ أغسطس سنة ١٩٣٣ بالموافقة على اللائحة المذكورة

اعادة تكوين الغرف التجارية

وبمجرد صدور اللائحة العامة للغرف التجارية نشطت المصلحة «الوزارة» فى تنفيذ أحكام التشريع الجديد ، فعملت على حل الغرف الحالية واعادة تكوينها ، وطبقا لأحكام التشريع الجديد ، لكل غرفة لائحة داخلية يصدق عليها وللغرف معارض وتمنح المصلحة الغرف اعانات سنوية .

انشئت « غرفة مصر التجارية » فى أول يوليو سنة ١٩٢٧ وانتخبت جمعيتها العمومية مجلس ادراه

ولقد سارت منذ نشأتها سيراً حثيثاً بفضل مقاصد الأعضاء وتساندهم وبما كسبته من الثقة لدي الهيئات الرسمية والهيئات الاخري فى مصر وفى الخارج فأصبح يرجع اليها فى كل أمر يتعلق بالتجارة

ولم يقف مجهود الغرفة عند هذا الحد بل رأت ان تخص الصناعة بشىء من عنايتها فافتتحت معرضاً دائماً للصناعات المحلية دون سواها وبثت لها الدعاية فقابل الجمهور المصرى هذا العمل بالتشجيع واقبل على مشترى مصنوعات بلاده اقبالا ترتب عليه استخدام كثير من الأيدى العاملة واتقان الصناعات اتقانا جعل مصر تفاخر بها فى المعارض الخارجية . ولقد اشتركت الغرفة اشتراكا فعليا فى المعرض العربي بالقدس وفى معرض باري بايطاليا . وكان لاشتراكها هذا أكبر الاثر فى الدعاية لمصر ولمصنوعاتها

ولقد طالبت الغرفة منذ تكوينها الحكومة بتنظيم الغرف التجارية المصرية والاعتراف بها رسميا وظلت كذلك حتى فازت بأمنيتها وصدر القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٣ الخاص بالغرف التجارية فخلت بموجبه جميع الغرف وأعيد تكوينها وصدر بعد ذلك قرار وزارى رقم ٨١ فى ٢ أكتوبر سنة ١٩٣٣ بانشاء «الغرفة المصرية التجارية للقاهرة » وهو الاسم الرسمي الذي تحمله غرفة العاصمة ـ كما

حدد هذا القرار عدد أعضاء مجلس ادارتها فجعلهم ثلاثين عضواً وجعل دائرة اختصاصها محافظة القاهرة

ويتألف المكتب الذى يدير الغرفة من حضرات :

يوسف قطاوي باشا رئيساً ومحمد حفنى الطرزى باشا وعبد الفتاح اللوزى بك وكيلين والسيد عبد المجيد الرمالى سكرتيراً وابراهيم نصيرأ فندى امينا للصندوق

الوجيه عبد المجيد الرمالى



الوجيه عبد المجيد الرمالى

بعد أن تخرج من المدارس رأى والده أن يشركه معه فى ادارة مخابزه ومطاحنه وبعد أن توفى الى رحمة الله قام بادارتها وأنشأ مطحناً على أحدث طراز ومصنعا تصنع به الحلوي على اختلاف انواعها فنالت الرضاء العام وسدت فراغا كان يشغله الاجانب وفابريقة لصنع الجيلاتي باحدث الآلات الامريكية

وقد انتخب من يوم اشتغاله بالتجارة قاضيا محلفاً بالمحكمة المختلطة وعضواً مؤسساً فى جمعية المواساة الاسلامية ، وسكرتيراً عاما للغرفة التجارية بالقاهرة من تاريخ انشاء الغرفة للآن ، وعضواً بمجلس النواب سنتى ١٩٢٧ وسنة ١٩٣٠ ووكيلا للجنة التنفيذية للجان الوفد بالقاهرة وسكرتير شرف جمعية اتحاد الصناعات بالقاهرة



محمد عبد الرحيم سماحة

من أسرة سماحة بفارسكور ومصر وهو تاجر عصامى مجتهد نشيط كثير الطموح كثير الدعاية سيكون له مستقبل رشيد . . . .

الوجيه على شكرى خميس



الوجيه على شكرى خميس

وقد نشأ حضرته نشأة تجارية وقد كان أول من فكر في انشاء غرفة مصرية لتجار الاسكندرية تجمع شتاتهم وتنظم جهودهم وتؤلف منهم جبهة للنهوض بتجارة المصنوعات المصرية

ففى أمسية من أمسيات سنة ١٩٢٢ اجتمع ببعض اخصائه وبسط لهم مشروعه بتأليف لجنة تحضيرية فاستجابوا الدعوة ووضعوا أيديهم في يده ودعوا التجار لعقد اجتماع كان بمثابة جمعية عمومية للغرفة.

وقد مضت اللجنة التحضيرية لهذا قدما فى سبيلها فعدت نفسها لجنة تنفيذية وألفت من اعضائها مجلساً لأدارة الغرفة، واستأجرت غرفة متواضعة فى ميدان المنشية. وطفقت تباشر فيه عملها وتنشر نشاطها وواصلت النمو ويرأسها الآن سعادة أمين يحيى باشا ووكيلها التاجر الكبير الخواجه أسعد باسيلى،

وللغرفة الآن عمارة من أجمل العمارات في شارع سعيد الأول بالاسكندرية أما المعرض فهو أول معرض عام دائم انشىء للصناعات المحلية فى القطر المصرى وعلى منواله نسجت الغرفة المصرية لتجار القاهرة وغيرها من المعاهد والهيئات التى عنيت بعد ذلك بالمعارض الصناعية العامة . وهو فى الحقيقة فخر أعمال غرفة الاسكندرية . فقد عرف الجمهور إلى صناعه وعرف الصناع إلى جمهورهم وبلغ من نجاحه أن بلغت مبيعاته فى السنة الماضية زهاء عشرة آلاف جنيه.

وفى الغرفة قسم للاستعلامات التجارية على أحدث النظم وقد اشتركت الغرفة في أعداد اللوائح والقوانين المنظمة للاسواق التجارية فى الاسكندرية كما كانت

لها اليد الطولى فى تنظيم أحوال الطوائف العاملة فى التجارة والصناعة والسوابق الطيبة فى توثيق العرى التجارية بين الأسواق المصرية والأسواق الخارجية و « خميس » عضو في المجلس الاقتصادى الاعلى لمصلحة التجارة والصناعة وعضو في المجلس الحسبي بالاسكندرية وقاض محلف فى المواد الجنائية والتجارية بالمحكمة المختلطة وعضو فى هيئة الاتحاد السكندرى وعضو فى جمعية المؤاساة الخيرية الاسلامية بالاسكندرية

الشقيقان محمد قاسم وأحمد قاسم



أحمد حسن قاسم

هما نجلا المرحوم حسن أفندي قاسم كان من كبار تجار مصر والسودان وكان له جملة أفرع فى جميع انحاء السودان كما أنه تخرج على يديه كبار التجار الحاليين هناك وقد ورث الوجيهان محمد واحمد حسن قاسم التجارة عن والدهما وقد اتسعت دائرة أعمالهما هناك . وقد أصبح لهما وكلاء فى جميع أنحاء أوروبا لتصريف حاصلات السودان من سمسم وصمغ وفول فضلا عن تأسيسهما فاوريقة بمصر لعمل الحلوى وزيت من سمسم السودان ولهم مقطوعية عظيمة من هذا الصنف

هذا فضلا عن تصدير كثير من البضائع اليابانية الى السودان وكانا معنا بالبعثة . وكنا نلاحظ فى أثناء مصاحبتنا للاول فى جميع انحاء السودان مقابلته من جميع التجار هناك ومعرفته لهم ومعرفتهم له معرفة تامة وكان يقابل فى جميع المحطات بالترحاب والاجلال وقد كان التاجر المهم فى البعثة الذي يشتغل فى المحاصيل السودانية وبفضله وفضل شقيقه الذي انضم إليه فى الخرطوم تحسنت اسعار المحاصيل حيث اشتريا كميات وافرة تقدر بعشرين ألف جنيه مصري فى

برهة وجيزة وكان لهما فى العام الماضى مشتريات جمة من الذرة السودانية ولولاهما لبارت هذه الذرة في محلها وما بيعت بمصر . هذا فضلا عن كون سمعتهما التجارية طيبة جداً فى الدوائر التجارية والمالية بمصر والسودان

الياس عوض بك



الياس عوض بك

١ — حصل على الليسانس في علم الحقوق من كلية باريس

٢ — عين بقسم قضايا الحكومة للمرافعة فى القضايا المدنية لوزارات الاشغال والحقانية والخارجية ومصلحة السكة الحديد

٣ — وفى سنة ١٨٩٢ عين وكيل النائب العمومي لدى محكمة الاستئناف الأهلية. فى سنة ١٨٩٦ عين رئيسا للنيابة العمومية بمحكمة الاستئناف . وفي ١٨٩٧ عين رئيسا لمحكمة بنى سويف وبينما كان جاريا التفتيش على البوليس سقط من الجواد الذي كان يركبه وكانت أصاباته خطرة ومكث ثلاثة شهور مريضا وبعد أن شفى نقل إلى محكمة الاستئناف وفى سنة ١٩٠٤ طلب احالته إلى المعاش احتفاظا بصحته ثم اشتغل فى المحاماة ولكن فى سنة ١٩٢٥ طلب نقل اسمه الى جدول المحامين غير المشتغلين. وفي سنة ١٩٣٠ عين عضوا بمجلس الشيوخ وكان من الأعضاء البارزين فى المجلس كما تدل على ذلك آراؤه ومناقشاته ومباحثه المدونة فى مضابط جلسات المجلس وهو من أرباب الثروة والمصالح الكبيرة وكان أيام البعثة هادئا ، كثير الصمت ، دقيق الملاحظة مغتبطا بالرحلة



عطا عفيفى بك

عطا عفيفى بك

ولدسنة ١٨٩٠ وتعلم بمدارس الفرير ونال منها البكالوريا ، والتحق بكلية الحقوق بباريس فنال منها شهادتي الليسانس والدكتوراه وعين بوظائف الحكومة حتى شغل وظيفته تشريفاتى ثم استقال وكان من أعضاء الوفد المصرى ثم من أعضاء نادى الوفد السعدي وهو مولع بالصيد والرحلات ، وهو أنيق الملبس دقيق المحافظة على الاتكيت ، أقرب فى طبعه الي رجال الدبلوماسية والارستقراطية منه إلى سواهم



لفيف من أعضاء البعثة فى ممر الباخرة الى بور سودان
من اليسار : محمد حسين الرشيدى . عبد الله حسين . محمد عبد الرحيم سماحة . فؤاد أباظة بك . عبد المجيد الرمالى . محمد حسن قاسم . محمود مصطفى الجمال



أحمد الحناوى

عرفنا هذا الشاب فلمسنا فيه عنصراً كريما من أبناء السلف الصالح لأعيان الزراع فى الشرقية ، أدب فى حياء ، وحياء فى كرامة وهو من مندوبي الزراع .

محمد حسين الرشيدى

من مندوبي الغرفة التجارية بالقاهرة ، وصاحب «فابريقة حلويات وطحينة ومعصرة زيوت الميزان » رقم ٢٣٤ السيدة زينب شارع الخليج المصرى ، وهو اكبر مصنع لعمل هذه الاصناف بالقاهرة ، وله شهرة ممتازة بين سكان مصر ، وهو يستهلك من محصول السمسم السوداني كمية كبيرة ، ويورد منتجاته إلى الخرطوم وبور سودان وأم درمان وبقية عواصم السودان ، فضلا عن البلاد الغربية والشرقية ومنها سنغافورة ، ومرسيليا وشيكاغو وتريستا وأزمير على شهرتها واختصاصها بعمل الحلوى — ، ويوزع ٧٥ فى المائة للقاهرة من مقطوعية سكانها من الحلوى الطحينية

وماركة الميزان هى شعار الفابريقة المسجل ولها شهرة عالمية تنفرد بها . وهو مصري صميم وعصامى متواضع صادق الود والوعد ، نجل المرحوم الوجيه الحاج حسين حسن الرشيدى ومن أسرة عريقة فى التجارة برشيد وقد زار الاناضول وأوروبا عرف بالاخلاص لأصدقائه وسهره على راحتهم ، ولم ينس أحد الاعضاء حلاوة حديثه « كحلاوته الطحينية »

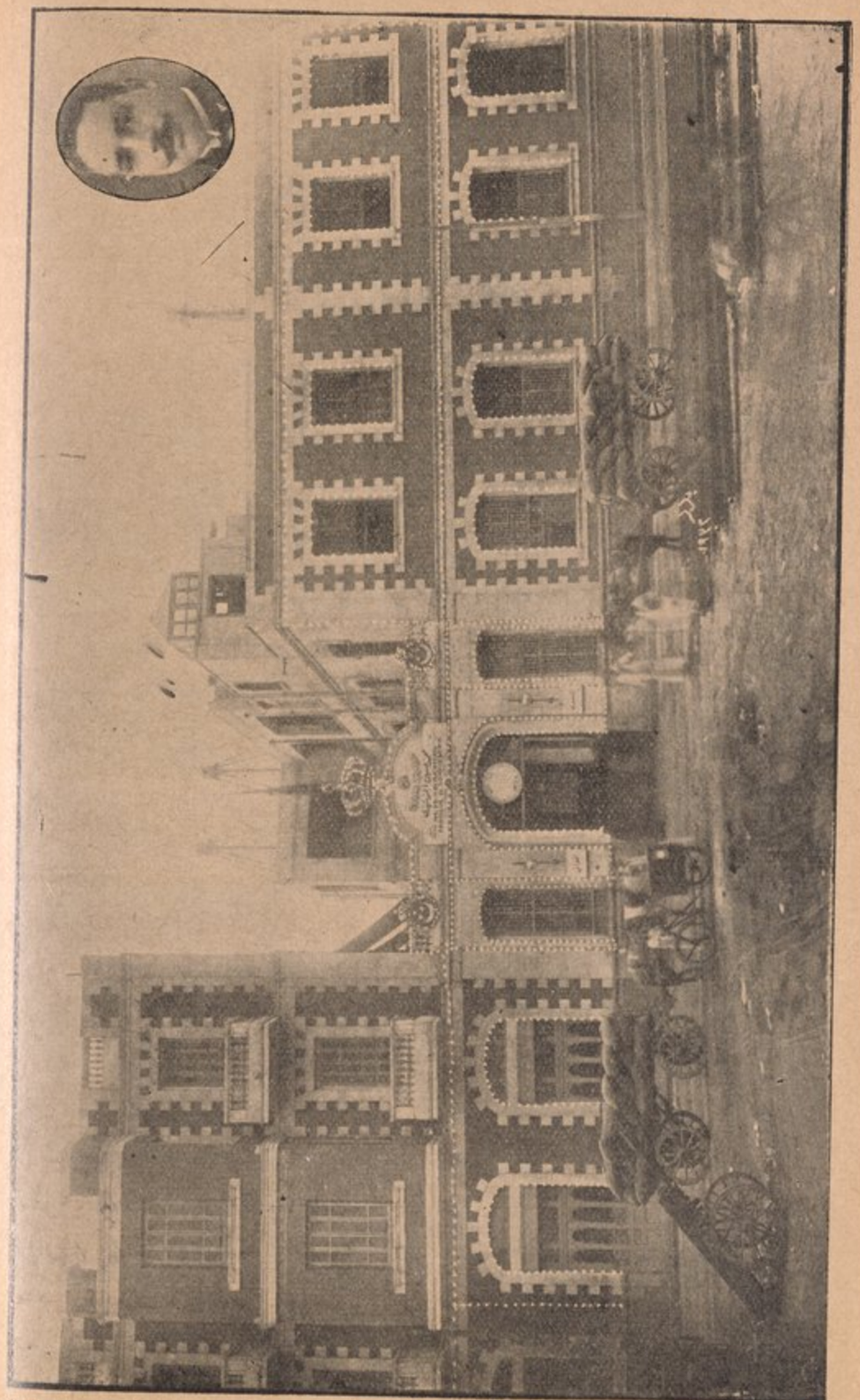

فابريقة الوجيه محمد حسين الرشيدى بالخليج المصري وترى صورته فى اعلاها

الدكتور محجوب ثابت



الدكتور محجوب ثابت

ولد الدكتور فى دنقله إذ كان والده قومندانا فى سنار ووكيلا لمديرية فازوغلى المندمجة مع سنار

ثم تزوج بوالدة الدكتور فى سنار وهى من أسرة تنتمى إلى سيدى طلحة خال السيد البدوى بكفر الشيخ وكان والدها يوزباشيا بالجيش وحضر حروب الشام وساعد فى إطفاء الثورة المهدية تحت أمرة عبدالقادر حلمى باشا الذى أطفأ الثورة فى شرقي السودان

والدكتور محجوب أنيس المجالس ، وأنس المجتمعات . وحبيب الأصدقاء والاعداء وله جولات سودانية وخطب رنانة ومحاضرات طنانة

والدكتور محجوب فريد فى البيئة الطبية والاجتماعية ، وهو أديب وطبيب ، قوى الذاكرة والحافظة ، ولو كنت صاحب حزب سياسى لجعلت الدكتور داعية للحزب لأن الدكتور يصلح للدعاية ولاسيما إذا كانت للسودان ...!

وكان الدكتور يحب السودان دون أن يعرفه فقد نقل منه طفلا الى مصر وكانت رحلة البعثة فرصة لرؤيته السودان ، وقد بدا منه التقاعس عند أوبتنا وخشي فؤاد أباظة بك أن ينسي الدكتور مصر ، فتصعب عودته من السودان ، فما زال به حتى حمله على السفر مع الفوج الثاني ، وهو منذ عودته يقص على أصدقائه وطلبته ما رأت عيناه فى السودان . فهل تتاح الفرصة للدكتور ليعود اليه ويقضى مابقى من حياته به ؟!

الاستاذ فخرى الزق



فخرى لوقا الزق المحامى بأسيوط

نال إجازة الليسانس من مدرسة الحقوق الخديوية سنة ١٩١٤ ، وقبل للمرافعة أمام محكمة الاستئناف سنة ١٩١٧ وهو نائب طائفة الاخوة البليمو ثيين بالقطر المصرى ، ونائب جمعية الشبان المسيحيين باسيوط ومن أعضاء نقابة المحامين باسيوط ، ولأسرة الزق علاقة قديمة بالسودان، فكانت تتجر بسن الفيل وريش النعام والمصنوعات الأسيوطية وأسسوا مراكز تجارية بالسودان. وكان الاتجار عن طريق درب الاربعين — وهو أحد الطرق الاربعة بين مصر والسودان بالقوافل وكان المرحوم لوقا الزق والد الاستاذ فخرى وجده المرحوم ميخائيل الزق من أشهر تجار اسيوط

الدكتور رياض شمس

هو زميلنا الفاضل الدكتور رياض شمس المحامى ومندوب جريدة « الجهاد » فى البعثة وصاحب كتاب الحرية الشخصية بالفرنسية والعربية . ومع اشتغاله بالمحاماة يميل الى الصحافة ويكتب فى الصحف المقالات المدعمة . . .

البعثـــــة المصرية

كلمة المؤلف المنشورة بالاهرام الصادرة فى ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥

يسافر بعـد ظهر اليوم حضرات أعضاء البعثة المصرية الى السودان ، وقد وقف القراء علي أغراضها من هذه الرحلة وبرنامجها منذ يوم السفر حتى اوبتها الي مصر وقد تحددت الأغراض المشار اليها فيما يلى :

١ — اعداد مكان لمعروضات السودان فى المعرض الزراعى الصناعى القادم

٢ — مشروع تأليف شركة من أهالى مصر والسودان لمشترى أراض زراعية بالسودان واستثمارها

٣ — دراسة انشاء فرع للجمعية الزراعية بالخرطوم

٤ — دعوة بنك مصر لانشاء فرع له بالخرطوم

لهذه الاغراض تسافر البعثة ، محوطة برعاية المصرين ، وبترحيب اخوانهم السودانيين : فاما المصريين فانهم يرون في بعثتهم النواة الاولى لتدعيم العلاقات الاقتصادية والودية مع السودان ، بعد زوال الظروف الاليمة الماضية المعروفة التى اعقبت حادث السردار المشئوم ، ولذا جردت البعثـة مهمتها من كل طابع سياسى ، وقصرت أغراضها على الناحيتين الاقتصادية والزراعية . وقد صدق حضرة فؤاد اباظه بك مدير الجمعيـة الزراعية في قوله « ان للسـياسة رجالهـا وميدانها ، كما أن لبعثتنا مهمتها المحدودة » ومن حسن الحظ ان المندوب السامى والحاكم العام للسودان ووكيل حكومة السودان — وهؤلاء الثلاثة أصحاب الكلمة العليا في السودان اليوم — قد عملوا على تسهيل سفر البعثة والترحيب بها وهذا يدل على صحة ذلك القول المأثور للمغفور له شريف باشـا « إذا تركنا السودان فهو لا يتركنا . وإذا نسيناه فهو لن ينسانا »

لقـد كنا على اعتقاد دائما بان انفعالات السياسة والحوادث الطارئة ، لن تؤثر فى العلاقات التاريخيـة والروابط الاقتصادية بين مصر والسودان ، وأنه إذا جمدت السياسة أو شذت ، فان النشاط الاقتصادى والزراعى مفتوح ، أو فتح على مصراعيه

لن تكون زيارة السودان محصورة فى المستقبل في التجار والزراع كما هو شأن البعثة الاولى المسافرة ، بل في اعتقادنا أن هناك رحلات مدرسية وزيارات فردية للترويح عن النفس ومشاهدة البلاد السودانية وخزاناتها ، ستتوالى على الأيام ، وتتعاقب على الاعوام

ان الروابط الحقيقية بين بلدين ، هى ماتقوم على أساس تبادل المنافع . فالمنافع هى اليوم متجه الافراد والامم . وإذا قلت المنافع ، وهنت العلاقات . وإذا كثرت المصالح نمت الصلات . ونحن نشكو من نظام الامتيازات . والواقع ان مصدر قوتها هى قوة المصالح الاجنبية فى مصر ، فهذه المصالح من الوفرة والتغلغل ، مايجعل الاجانب يحرصون على الامتيازات ، وما يجعل الوزارات المصرية تتردد فى الغائها ، ومنذ بدأ المصريون يساهمون فى الاعمال المالية وينشئون المصانع ، قويت حركة المطالبة بالغاء الامتيازات ، وهكذا تقوي الروابط بين بلدين بوفرة المصالح المشتركة

لقد صور لنا رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم كيف شقى السودان بخروج الجيش المصرى ، وكيف يسعد بعودة المصريين اليه . ونحن نقول أيضا أن مصر تجد في السودان المنفذ الطبيعى لها . ويكفى أن يكون بالسودان منابع النيل وخزانات مصر عليه ، حتى تكون علاقتنا بالسودان وثيقة أبدية

يوم السفر

عند الساعة الثانية بعد ظهر ٢٥ يناير سنة ١٩٣٥ بدأ المودعون للبعثة المصرية للسودان يفدون علي أرض المعرض بالجزيرة وفى تمام الساعة الثالثة ركب حضرات أعضاء البعثة عربتين من عربات شركة الاوتوبيس المصرية التى قامت بهم بين تصفيق الحاضرين ودعواتهم الطيبة بسلامة الذهاب والعودة مع تمنياتهم الحارة بنجاح البعثة وتوفيقها فى تنمية العلاقات الاقتصادية والزراعية بين مصر والسودان . وقد لمحنا بين حضرات المودعين الذين يربو عددهم على الثلثمائة حضرات أصحاب السعادة والعزة والافاضل جناب المستر هاملتون مندوب حكومة السودان وعيسوى زايد باشا وحسن سعيد باشا وحسين بك السيد أباظة وعثمان بك زكى أباظة والاستاذ فكرى أباظة المحامى ومحمود حمدى اسماعيل بك والاستاذ توفيق دياب ومصطفى بك محفوظ والاستاذ

راغب اسكندر المحامى ومحمود بك اسماعيل أباظة ومحمد سرور قنصل مصر سابقاً وعبد العزيز بك رضوان وعباس الرمالى وسعيد بك جميعى والمستشار ذهنى بك ومحمود أبو العلا وعلي البرير وعلى افندى القوش أعضاء الغرفة التجارية السودانية بالقاهرة ومحمد ابراهيم سماحة بك وعبد الحميد افندى كيرة ومحمد عبد الله ومحمد الامام سماحة افندي واحمد بك الحناوى وسليم عز الدين وحسن بدران افندى وعبد الحميد بك سماحة والدكتور سعد الدين التاودى واحمد شعير افندى والخواجه توتنجى سامى والخواجه اسكندر أوجى ومصطفى بك الشوربجى ومصطفى بك سرور وغيرهم من أفاضل القوم من أجانب ومصريين

وتفضل حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون فأوفد حضرة حسين بك فريد وكيل مدير الجمعية الزراعية الملكية الى السويس لتوديع البعثة نيابة عن سموه

وقد أرسل حضرة صاحب العزة فؤاد بك أباظة المدير العام للجمعية الزراعية الملكية قبل قيام البعثة التلغراف الآتي :

حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء ، سراي عابدين القاهرة

أعضاء بعثة السودان وعددهم اثنان وثلاثون عضوا المجتمعون الآن بالجمعية الزراعية الملكية وهم على أهبة القيام للسويس فالسودان يلتمسون أن ترفعوا للاعتاب الملكية خالص ولائهم والدعاء لجلالة الملك بكمال الصحة وتمام العافية

كما أنه أرسل لحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون التلغراف التالى:

« حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون بباكوس :

أعضاء بعثة السودان وعددهم اثنان وثلاثون عضوا المجتمعون الآن مندوبين عن الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية وخريجى الزراعة والغرف التجارية بمصر والاسكندرية وكبار التجار والزراع ومندوبي الصحافة المجتمعون الآن بسراى الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة كلفوني جميعا وهم على أهبة القيام للسويس فالسودان أن أتقدم لسموكم معبراً عن عميق شكرهم لتوفيق الجمعية الزراعية تحت ارشادكم وتشجيع سموكم الشخصى لتنظيم هذه الرحلة وتنفيذ هذا العمل القومى لتوطيد العلاقات الاقتصادية والزراعية بين مصر والسودان ودوام امداد البعثة بارشاداتكم الطيبة ويتمنون لشخصكم الكريم كمال الصحة وتمام العافية ويرفعون للمولى أكف الضراعة أن يحفظكم ذخرا للبلاد »

كما انه قد أرسل تلغرافا لحضرة صاحب العزة حمدى بك سيف النصر الذى كان مزمعا السفر مع البعثة لولا مرض انتابه أخيراً بالنص التالى :

« أسف أعضاء البعثة عظيم نرجوكم اللحاق بنا قريبا » وقد وصلت الردود على هذه التلغرافات

وقد تلقى حضرة صاحب العزة فؤاد بك أباظه من المسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم « يومئذ » التلغراف الآتية ترجمته : « بالنيابة عن أعضاء الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم واعضاء لجنة تنظيم البعثة الاقتصادية المصرية ارجوا أن تبلغوا جميع زملائكم أعضاء البعثة خالص التمنيات لرحلة سعيدة وموفقة واؤكد لكم أن أعضاء البعثة سيلاقون حفاوة قلبية واستقبالا رائعا من السودانيين في كل مكان يمرون به أو ينزلون اليه وتقبلوا جميعا تحياتنا الصادقة »

فرد عليه بالتلغراف الآتى : جناب المسيو كونتو ميخالوس بالخرطوم :

« ابلغت زملائى أعضاء البعثة الاقتصادية المصرية التمنيات الطيبة التى عبرتم عنها بالنيابة عن أعضاء الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم وعن أعضاء لجنة التنظيم فتقبلوها شاكرين ممتنين وطلبوا منى أن اعبر لكم عن اغتباطهم العظيم بتلك التمنيات الطيبة ولما سيلاقونه من حفاوة واستقبال وهم يتطلعون بشوق عظيم الى ملاقاة السودانيين اخوانهم الاعزاء »



فى استقبال الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى

الوصول الى السويس والابحار منها

وصلت السيارة الاولى فى الساعة السابعة مساء ووصلت السيارة الثانية الساعة الثامنة بعدها . وقد قابلهم الجمهور بالتصفيق عند وصولهم الى السويس

وكان فى استقبالهم بالفندق حضرة صاحب العزة عباس سيد احمد بك محافظ السويس وكبار الموظفين وأعضاء المجلس المحلى والاعيان

وفى الساعة التاسعة مساء اقام حضرة المحافظ حفلة عشاء فاخرة فى كازينو السويس تكريما لأعضاء البعثة وكانت الموسيقى تعزف وتطرب المدعوين

وقد وصلت الباخرة «شندوين» عند منتصف الليل واستقلها المسافرون وأبحرت بهم من السويس فى الساعة الثانية والنصف من صباح السبت

وكانت صحة أعضاء البعثة جيدة، وقد تلقوا تلغرافياً دعوات كثيرة من السودان من ذلك حفلة شاي يقيمها سعادة الحاكم العام بقصره فى الخرطوم ودعوة من السيد الميرغنى ومن حضرة عبد القوى احمد بك المهندس المقيم بخزان جبل الأولياء ومن الشيخ احمد عثمان القاضى رئيس تحرير حضارة السودان ومن مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم . ومن علماء السودان ودعوات أخرى



مزارع القطن فى طوكر

وترى امرأة هندوية تجنى القطن وعلى ظهرها طفلها ، والى جانبها فؤاد أباظه بك

اليوم الاول من الرحلة

الباخرة شندوين فى ٢٦ يناير

ركوب البواخر

إننى مولع الولع كله بركوب البواخر خاصة وبالأسفار عامة وكنت أود أن تسمح الظروف لى بأن أكون رحالة . ومنذ خمس سنوات لم أسافر إلى الخارج بحراً . وقد أتيح لى فى اكتوبر الماضى السفر إلى السلوم بحراً على الباخرة « نقتس » طوافة مصلحة خفر السواحل ، ولكن الطوافة كانت سقيمة هانت على البحر وأسخطتنا على السفر فيه ، فكان السفر متعباً ومزعجاً ، ولذا آثرت العودة من السلوم براً . .

وأتيح لي السفر فى البعثة المصرية بحراً ، وكانت باخرتنا انجليزية ، وللبواخر الانجليزية ، عادات هى العادات الانجليزية ، فالباخرة ليست انجليزية ، ملكية ولواء خفاقا فقط ، ولكنها انجليزية خلقا ، وكان بحارتها من الهنود المسلمين فى برما وهى تبحر من ليفربول حتى رانجون وقد أحسنوا الخدمة وكانوا مثال الأدب والنظافة

الجنس اللطيف

حرمت بعثتنا من عنصر الجنس اللطيف وقد علمت أن السيدة منيرة صبرى كبيرة المرشدات ومفتشة التربية البدنية للبنات قد رغبت إلي فؤاد بك فى السفر مع البعثة ، فأبلغها أن قبول السيدات ليس مسموحا به ، وقد يكون السبب فى ذلك أن للبعثة مهمة معينة ، ليس للنساء سبيل إلى المساهمة فيها ، أو محافظة على التقاليد في مصر والسودان . على إننى أعتقد انه فى البعثات التالية ـ ولا سيما المدرسية ـ سيكون مستطاعا قبول السيدات

طعام البواخر

تتنافس شركات الملاحة في اعداد الطعام وتنويعه وكثرة وجباته وصنوفه: والشركات الانجليزية تعنى بهذا عناية أصبحت مثلا لغيرها : ففى الصباح الباكر ـ الساعة السادسة صباحا ـ نستيقظ على نداء الخادم يقدم لنا قدحا من القهوة

وقطعة من الخبز وتفاحة وفي الساعة الثامنة والنصف صباحا نتناول طعام الافطار وقائمته حافلة بصنوفه من الشاى واللبن والحلوى والسمك والبطاطس المقلى والعجة والبيض المقلى والبيض المسلوق والروزبيف والهام «لحم الخنزير البارد» والفاكهة

وقد أضاف زميلان لنا هدية إلى قائمة الطعام وهما : السيد عبد المجيد الرمالي والسيد محمد حسين الرشيدى ـ الأول أهدى الينا الملبس والشكولاته والثاني «الحلاوة الطحينية» فكانت دعاية ظريفة ، وكرما بديعا

وقائمة الغداء في الساعة الأولي والعشاء الساعة السابعة مساء حافلة بصنوف الطعام من لحوم السمك والديكة والارز والطيور واللحوم الساخنة والباردة الخ وبين الساعة الرابعة والساعة الخامسة مساء نتناول «الشاى الكامل» وقائمته حافلة باللبن والسندوتش والبسكويت وأنواع الجاتو

وبين هذه الوجبات تقدم لنا قطع السندوتش والشربة في أقداح ، خوفا علينا من الجوع . !

و يزعجنى في البواخر صنوف الطعام المتعددة ووجباته الكثيرة ، واعتقد أن وزن الراكب يزيد يوما بعد يوم ، ومن جهة اخرى يعد الطعام من المسليات والمرفهات والمنومات .

اسموكن...!

اننى شديد الكراهة للملابس الرسمية ولاسيما السموكن والسهرة ، ولما كانت باخرتنا إنجليزية فمن اللائق لبس سترة السموكن عند العشاء وقد احتاط الاعضاء فاحضروها معهم ، ولكنى اقترحت عليهم أن نقرر عدم لبسها ، خصوصا لحرارة الجو ، فقال فؤاد أباظه بك . لابد من سؤال قبطان الباخرة عن هل لبسها إجبارى فيها . فقال له : ان لبسها غير إجبارى ، وعندئذ لم نلبس «السموكن»

هذه الملابس الرسمية عادات وتقاليد ولست أدرى ما الذى يحملنا على مجاراة تقاليد غريبة علينا ، ان جونا حار ، وحاجتنا ملحة إلى الثياب الفضفاضة

وبهذه المناسبة اذكر رواية سمعتها عن شدة احتفاظ الانجليز بتقاليدهم ولاسيما السموكن عند العشاء : ذلك أن سائحا وصل إلي جبل من جبال الهملايا فى الهند فدهش لرؤيته انجليزيا وحيداً اقام ثلاثين سنة فيها ويحتفظ بلبس السموكن عند العشاء وحده . مع أن لبسها فى الواقع هو من باب تكريم السيدات واحترامهن والرقص معهن مساء ، الانجليز يحتفظون بالتقاليد ولا يسألون عن الحكمة فيها

اليوم الثانى

الباخرة شندوين فى ٢٧ يناير سنة ١٩٣٥

الجو حار . وقد اضطررنا إلى ارتداء ثياب الصيف . والبحر الأحمر هادىء جدا . والباخرة تسير قدما . والسماء مصفية . والجو صحو

عصاميون وعظاميون

جمعت البعثة بين العصاميين — وهم من نالوا النجاح بجهدهم وكفايتهم ، والعظاميين وهم من ورثوا المجد عن آبائهم

وقد حدثنا الشيخ الوقور اسماعيل بركات بك . وجده من أبناء دبروط ووارث تجارة الغلال عن جده وأبيه ، حديثا ممتعا عن حياته ، وعن حياة مصر قبل انتشار المواصلات الحديدية وتعميم المدنية . وهو شديد السخط على تلك الموصلات وهذه المدنية ، ويراها مجلبة الشر ومفسدة الاخلاق والرجولة ، ومهلكة الشباب الناضر والمقادة إلى الشيخوخة العاجلة

روي لنا أنه كان يقطع أحيانا المسافة بين حلوان حيث يسكن روض الفرج حيث توجد مخازن غلاله — راجلا . .

وهو يأسف على اختراع السيارات والترمويات ، فانها لم تدع له فرصة لتحريك عضلاته وتقوية بدنه . على أنه يحمد الله لأنه ينعم بصحة وافرة وقامة مديدة غير مقوسة . وقد تنافست معه فى الطواف على سطح الباخرة وسرنا ثلاثة كيلو مترات وقد دعا حضرته الشبان لهذا الطواف فلم يلبوا النداء فأسف على شباب تدب اليه الشيخوخة

ويرى اسماعيل بركات بك أن التربية المدرسية الحالية قد أفسدت العقول وعطلت نشاط البدن . وانه يجب أن يحتفظ التاجر أو الزارع بحالته الأولى من النشاط ومن احتمال الشدائد . وقال انه يوم منح رتبة البكوية غم عليه ، وقال لاحد مهنئيه « هذا يوم شر . فانى لن أستطيع أن أشارك عمالي تنقية القمح وغربلته لانى إذا فعلت سلقنى الناس بالسنة حداد قائلين : « شوفوا البيه البخيل مش هاين عليه يجيب له عامل بخمسة قروش ويريح نفسه » !

بعض الناس لا يوافقون اسماعيل بك على رأيه . ولكننى مقتنع به الاقتناع

كله . وأري اننا لن ننجح النجاح المنشود ، الا اذا كانت التربية المدرسية على أسس جديدة . والا إذا تقشفنا وصابرنا الايام.

والحق أن المدنية تحمل معها متاعب وأمراضا ، الي جانب مباذلها ومناعمها.

روح الجماعة والنظام

عند ظهر يوم الأحد ٢٧ يناير عقدت البعثة اجتماعا شهده جميع الاعضاء فتعارفوا وتآلفوا وتناقشوا . وكم كانت المناقشة بديعة . وقد سادتها الالفة . وكم سعدنا بمجتمع تملؤه المحبة وينتظمه الود ، ويدعواليه حب مصر والسودان

اننى أعتقد اننا ننمو ، وتنمو فينا روح الاجتماع والنظام . وقد ذكرت هذا فى تعليقاتي علي المؤتمر الوطنى العام واذكره ثانية لمناسبة اجتماع أعضاء البعثة

رحلات الجماعات

دفع كل عضو في البعثة خمسين جنيها مصريا لمدة ٢٤ يوما لاداء جميع النفقات من سفر بحراً وبراً بالدرجة الأولى ونزول الفنادق . وهو مبلغ زهيد أمكن الحصول عليه لأن القوم جماعة . ومن الممكن أن تكون النفقة أقل إذا لم يكن الركوب بالدرجة الأولى واذا لم يكن النزول بفنادق الدرجة الأولى أيضا ، فقد كان راكب الباخرة من السويس إلى بورسودان يدفع ثمانية جنيهات ونصف الجنيه . ولكن تمكنت البعثة من تخفيض الأجرة الى خمسة جنيهات

تستطيع البعثات المدرسية والرحلات الاجتماعية ان تأخذ طعامها وفراشها معها وأن تفترش سطح الباخرة وركوب الدرجة الثالثة بالقطارات . ولن يجد الأعضاء غضاضة فى ذلك ، لأن عامل الخجل أو عاطفة الكبرياء أو مزعوم الكرامة لن يكون له وجود ، لان الاعضاء سواسية ، وقد ينعمون بهذه الحياة البسيطة أكثر من نعيم الدرجات الأولى والطنافس والرياش ..

ان أكثر الناس رفاهية ونعيما وترفا ليمل أحيانا حياة الترف ، ويصبو الي حياة البساطة والتقشف . بل هذا المترف المجدود ، لن يحس انه وافر الخير ومتمتع بمناعم الحياة ، الا حين يحيا حياة أخري ـ هى حياة الزهد والبساطة والشظف وهو ، على هذه الحال ، يحس بسعادتين أو يتمتع بغبطتين : الأولى ـ غبطة القدرة

على دفع المال مع محبة التغيير ثم غبطة الاحساس بأن الله قد أعطاه مناعم وحباه بخير، حرم منه السواد

وفوق ذلك كله ، تتآلف الطبقات وتزول الوحشة والجفاء بين الاكثرين

القطن فى مصر والسودان

بين مصر والسودان روابط عديدة ، وفى رأيي أن المهم فيها اشتراك مصر والسودان فى زراعة القطن ، وحاجة هذه الزراعة فى البلدين إلى اقامة الخزانات على نهر النيل . لقد فشل مشروع الجزيرة وخابت الآمال التى عقدتها الشركة الانجليزية فى زراعة السكلاريدس فى أرضها وضاعت ملايين الجنيهات وكان من وراء ذلك أن تبين أن خطة الاقتصار على جهود الشركة ليقف السودان وحده ويستغنى عن مصر والمصريين ليست صالحة وأحس ولاة الامر أن من المصلحة تسهيل سفر المصريين واشتراكهم في تعمير السودان .

ان مصر تجود بسبعة ملايين قنطار في العام ومحصول السودان ٧٠٠ الف قنطار منها ٦٥٠ الف قنطار سكلاريدس « مشروع رى الجزيرة »

الدكتور محجوب ثابت

آلمنا يوم سفر البعثة من القاهرة وفى اليوم الأول من ركوبنا الباخرة — أى يوم ٢٦ يناير أن الدكتور محجوب ثابت كان معتكفا في غرفته متألما من التهاب قدمه بسبب اصطدامها بحجر فى بعثة طلبة الجامعة فى فلسطين وسوريا . وابتهجنا فى ٢٧ يناير حين رأينا الدكتور ينهض ويفرفش

ونذكر أن الدكتور محجوب ولد فى دنقله وكان والده ضابطاً بالجيش المصري ولكن الدكتور لم يزر مسقط رأسه بعد انتقال والده إلي القاهرة

وسن الدكتور ٥٣ سنة كما يقول هو — وعلى الرغم من عدم معرفته السودان لأنه كان صغيرا عند انتقاله منه فانه يحدثك عن السودان قبيلا قبيلا ودربا دربا ، ويأبي على العارفين وأبناء السودان أن يناقشوه في صحة معلوماته . .

اليوم الثالث

الوصول الى بور سودان

بور سودان فى ٢٨ يناير سنة ١٩٣٥

استيقظنا مبكرين صباح اليوم . متطلعين الي بور سودان وقد ظهرت لنا عند الساعة الحادية عشرة والنصف وسارت الباخرة الهوينا ، فوصلت الي الرصيف الساعة الأولى بعد الظهر ونزلنا بفندق البحر الاحمر . وقد ارسلت التفاصيل بالتلغراف كما يأتى

بيان البعثة بالتلغراف

أرسلت البعثة المصرية التلغراف التالى لدى وصولها الى بور سودان

بورت سودان فى ٢٨ يناير —

وصلت الباخرة شندوين المقلة للبعثة المصرية الى السودان فى الساعة الاولي بعد ظهر اليوم الى ميناء بور سودان وقد قوبلت بمزيد الحفاوة والحماسة وكان فى استقبالها جمهور كبير من رجال الحكومة والقضاء والعلماء والتجار والاعيان ومديري الشركات والبنوك ورؤساء الجمعيات وغيرهم وفى مقدمتهم محافظ بور سودان ومدير الميناء ومدير الجمارك والمسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم والسيد عمر الصافى والشيخ احمد عثمان القاضى رئيس تحرير جريدة حضارة السودان ومصطفى افندي أبو العلا ومحمد احمد البرير والسيد محمد البربر ووكيل شركة مصر للملاحة ومدير شركة جلاتلى وهانكى وقومندان البوليس وضابط قلم الجوازات ووكيل محلج دباس بسواكن ومدير شركة الشحن ومستر فلبس هاوس والمسيو عزيز كفورى والمسيو توتنجى ووكيل السيد ابراهيم عامر بك

وفضلا عن ذلك فقد ازدحم رصيف الميناء بالموظفين السودانيين وضباط البوليس وجنوده وجنود الجمارك وخفر السواحل وقد أدوا التحية للبعثة . وقدم رجال الحكومة كل مافي استطاعتهم من التسهيلات للنزول من الباخرة

للميناء واخذ المصورون صورا عديدة للبعثة مع مستقبليها وقد نقلت أمتعة البعثة مباشرة الى القطار الفاخر الخاص الذى أعدته حكومة السودان لسفر الأعضاء اليوم الى سواكن وسيظل هذا القطار تحت تصرف البعثة في جميع تنقلاتها حتى وصولها الي الخرطوم



فندق البحر الاحمر ببور سودان الذى نزلت به البعثة

وقد توجه الاعضاء من الميناء الى فندق البحر الاحمر ببور سودان حيث استراحوا واستقبلوا وفود المهنئين

وقد تلقت البعثة لدي وصولها الى بور سودان خمس دعوات لتناول الشاي عند الساعة الخامسة مساء اليوم من المحافظ ومدير الجمارك ومدير شركة جلاتلى هانكى ومدير شركة مسيو كونتو ميخالس ومستر ورمس فاضطرت البعثة الى تقسيم نفسها خمس جماعات لتتمكن من تلبية الدعوات الخمس وفى الساعة السابعة والنصف من مساء اليوم يستقل الاعضاء القطار الخاص الي سواكن حيث يبيتون به الليلة

وفي صباح غد يتوجه بالسيارات من سواكن وفد مؤلف من مندوبى الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية العامة والغرفة التجارية باسكندرية الى طوكر لمشاهدة زراعة القطن فى منطقتها ويظل باقي الاعضاء في سواكن غدا حيث يعود اليها وفد طوكر مساء ويتلاقي مع الاعضاء المنتظرين ويعودون جميعا بالقطار الخاص الى بور سودان فيصلون اليها عند منتصف الليل وينزلون فى فندق البحر الاحمر . اه

وفى صباح الأربعاء يزور الاعضاء مصانع ومنشئات بور سودان ويلبون الدعوات الموجبة اليهم وفى الساعة السادسة مساء يستقلون القطار الى كسلا

وصحة جميع الاعضاء جيدة جداً وسرورهم عظيم ووسائل الراحة متوفرة وقد اغتبطوا الاغتباط كله عند ماعلموا أن جلالة مولانا الملك حفظه الله تفضل بالانعام على المسيو كونتوميخالس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم بنيشان النيل من الطبقة الثالثة ، وقد تلقوا تلغرافا من القاهرة يفيد تحسن صحة حمدي سيف النصر بك فكان له وقع عظيم فى نفوسهم ، وتمنوا له عاجل الشفاء وقد ارسلت البعثة تلغرافا الى معالى كبير الامناء ترجو رفعه الى الاعتاب الملكية ينبىء بوصولها داعية لجلالته بدوام الصحة والعافية وارسلت لسمو الامير عمر طوسون تلغرافا آخر تعبر فيه عن عظيم شكرها لسموه وتلغرافا لدولة رئيس الوزراء ولمحافظ السويس تشكره فيه على حفاوته بالبعثة عند سفرها من السويس

فؤاد أباظة

ووزعت شركة روتر التلغراف الآتي :

بور سودان فى ٢٨ يناير — وصلت البعثة التجارية المصرية بعد ظهر اليوم فقوبلت بمظاهر الترحيب الحماسية . وقد حياها على ظهر الباخرة القومسيير وكبار الموظفين وكذلك المسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية . وقداشترك كبار التجار فى بور سودان فى استقبالهم كذلك

تحية البعثة : للأديب محمد حسنى العامرى

دع السكون الى الأوطان والكسل ... ومتع النفس بالاسفار والعمل
سافر وجد تجد عزا ومكرمة ... في كل ناحية كالسادة الاول
نري الاوائل جابوا الارض قاطبة ... بحرا مع الريح أو برا على الابل
ولم تكن سبل الاسفار دانية ... ولا البخار جرى فى البحر والجبل
فما لنا قد قبعنا — في منازلنا ... ولا نفر من الازمات والعلل

ماذا رأينا ببور سودان

بور سودان ميناء صغير هادىء ، جديد على البحر الأحمر دفعت مصر نفقة بنائه أنشئت في محل قرية تدعى الشيخ بوغوث يرجع تاريخها إلى سنة ١٩٠٥ مبانيه اكثرها مؤلف من دور واحد ، والكثير منها من الاكشاك والمنازل مخصصة فى الغالب للموظفين الحكوميين ورؤساء الشركات وموظفيها . وسكان بور سودان خليط من السودانيين واليمنيين والحجازيين والهنود ، وهى مركز تجاري عظيم . وهى الميناء البحري المباشر الوحيد للسودان

وقد وضعت الحكومة تحت تصرفنا قطارا خاصا كل صالون من صالوناته لعضو واحد من الاعضاء وتتوافر فى مركباته وسائل الراحة وفي كل صالون حنفية ماء بحوضها ، والمركبات نظيفة وقطارات السودان خير من قطارات مصر من جهة الاستعداد

وأهالي بور سودان أهل جد وسكون واتزان ، وكان البشر باديا على محياهم والسرور ظاهرا في أساريرهم . وبينهم شبان مديد والقامة وافرو الصحة والعافية وفتيات جميلات فى أعينهن سحر وفي حدقاتهن ايناس ونبل ، وفي مسيرهن خفر

وهذا المسيو كونتمخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم عصامى كبير من أبناء اليونان له نفوذ بعيد كسبه بكفايته التجارية حتى قبلت جميع الجاليات ومنها الجالية البريطانية أن يكون رئيسا للغرفة . وللرجل مكتب فى اسكندرية وفروع لتجارته فى مدن السودان . وتجارته شاملة تصدير حاصلات السودان والاتجار فى الواردات وتسيير البواخر والشحن والتفريغ والتأمين

والرعايا اليونانيون منبثون في بور سودان . وقد علمت انهم هكذا فى أنحاء السودان . فهم أصحاب المعامل والمحالج والمصانع ومديرو البنوك وأصحاب الزراعات الواسعة

وهكذا يدلل الشعب اليوناني على جده وكفايته وعصامية أبنائه وصبرهم ويبرهن على ان النجاح حليف المجد الصبور المتواضع

تنار بور سودان بالكهرباء وشوارعها نظيفة وفيها فيلات صغيرة وكبيرة وسيارات التاكسى بها مريحة وجديدة وهى من ماركة فورد وشفروليه

وقد بلغت نفقات تشييد ميناء بورسودان من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٩ ٩١٤٣٢٠ ج م — وبلغت قيمة تجارتها سنة ١٩٠٦ — أربعمائة وسبعين

ألف جنيه مصرى ، وفى سنة ١٩٠٨ — سبعمائة وخمسين ألف جنيه مصرى وتبعد عن السويس ٧٠٠ ميل بحراً وعن الخرطوم و ٤٩٥ ميلا براً ، وعن سواكن ٣٦ ميلا ، وعن جيبت ٤٠ ميلا

اللجنة السودانية لاستقبال أعضاء البعثة ومرافقيها

وتألفت لجنة لاستقبال البعثة فى بور سودان ومرافقتها حتى نهاية رحلتها وهى مؤلفة من حضرات :

مسيو كونتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم سابقاً ، ومسيو عزيز كفوري التاجر الشهير بالسودان ، والشيخ محمد أحمد البرير التاجر الكبير ومصطفى أبو العلا افندى التاجر بمصر والسودان ، ومسيو توتنجى ، وفضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضى رئيس تحرير حضارة السودان ، ومستر فيليبس ومستر ريد ومستر كوكسين رئيس تحرير جريدة سودان ديلى هيرالد الانجليزية ووكيل شركة روتر بالخرطوم وقديس عبد الملك افندى وكيل بوستة الخرطوم سابقا ، هذا عدا لجان الاستقبال المحلية الكثيرة



مصطفى أبو العلا



قديس عبد الملك



فضيلة الشيخ أحمد عثمان
رئيس تحرير جريدة حضارة السودان



مسيو توتنجى

يوم طوكر وزيارة سواكن

فى الثلاثاء ٢٩ يناير سنة ١٩٣٥

استيقظنا صباح اليوم مبكرين وتوجهنا نحن وفد البعثة — لزيارة زراعة القطن في طوكر . فقد رئى ندب وفد مؤلف من حضرات فؤاد أباظة بك وعبد الحميد أباظة بك وعبد الحميد فتحى بك والأساتذة على شكرى خميس وحسين الرشيدى ومحمود مصطفى ومصطفى نصرت ورياض شمس ومؤلف هذا الكتاب . ذلك لان طريق السيارات — وهو طريق القوافل والطريق الوحيد من سواكن الى طوكر ، التى لاتتصل بالبلاد السودانية بالسكك الحديدية طريق وعر شاق ، ولان الغرض من زيارة طوكر زراعى محض . فان حضرة فؤاد أباظة بك لم يتمكن من زيارتها فى رحلته الى السودان والحبشة في العام الماضى

« وطوكر » اسم معروف فى مصر. فيقول الجمهور عن كل مكان بعيد « انت عاوز تودينى طوكر » . فقد كانت طوكر منفى المجرمين السياسيين وغير السياسيين

بدأت السيارات مسيرها قبيل الساعة السابعة صباحا من سواكن . ووصلت الساعة العاشرة والنصف . وكان في استقبالنا مستر بترسون مفتش الزراعة بطوكر وعبد الله شفيع افندي مأمور مركز طوكر ، ومعهما الموظفون . وكان معنا سندويتش وبيض وخبز وجبن وشاى ولبن وقهوة فى زجاجات الترموس وليمون . ولضيق الوقت تناولنا طعام الافطار بمجرد وصولنا الى استراحة الحكومة بطوكر . وكانت ثيابنا محملة بالغبار والعرق يتصبب من ابداننا فبادرنا بالاغتسال بالماء . .

وفي الساعة الحادية عشرة صباحا توجهنا بالسيارات ومعنا مفتش الزراعة وحضرة مستر فيليبس مدير شركة كونتميخالوس الى مزارع القطن بطوكر . فوصلنا اليها بعد نصف ساعة . وهناك شهدنا منطقة واسعة خضراء قد فرشت بشجيرات القطن . فنزلنا من السيارات ومررنا بين الحقول

وفي مكتب مستر بترسون مفتش الزراعة شهدنا خريطة منطقة طوكر . وهى على شكل دلتا مساحتها ٢٥٠ الف فدان ترويها السيول والامطار وروافد الانهر الصغيرة — كنهير بركه — وهى غير متصلة بالنيل وتنزل هذه السيول فى هذه المنطقة في أثناء فصل الصيف . ولكن مايزرع منها عشر مساحتها من ذلك ٣٢ الف فدان من القطن وسبعة آلاف فدان من الدخن والعدس والذرة

وقبل بدء الأمطار يبذر الزراع بذرة القطن بواسطة اداة تسمى «السلوكة» وهى قطعة من الحديد يحفر بها الزارع حفرة في الأرض ويضع البذر . وعلى بعد متر ونصف المتر من الحفرة الأولي يفتح حفرة أخرى وهكذا . وتسمى الحفرة عند سكان طوكر (جورة)

وفى أول أغسطس يكون فصل الأمطار قد انتهى وينبت الزرع . وفي أواخر نوفمبر تظهر بواكير لوز القطن وبين أواخر يناير وفبراير يمكن الحصول على « الجنية الأولى » من القطن . ويستمر الجنى حتى وسط شهر يونيه . ثم يبدأ فصل الصيف وتهب فيه ريح صرصر خطرة تسمى « الهبوب » ويسمون الريح التى تهب في أثناء موسم الزراعة «الهبهب» مصغر «هبوب» . ويسمون « الجنية » من القطن « تلجيطة » أي « تلقيطة » من « لقط » يعنى جمع

وفى أثناء فصل الصيف — أو فصل الهبوب يهجر الزراع طوكر الي أعالى الجبال أو الي مساكنهم الاصلية . فان كثرة الزراع من غير سكان طوكر ، وانما ينتقلون اليها من أنحاء مختلفة من السودان ومصر في فصل الزراعة وهو فصل الشتاء

والاراضى ملك للحكومة ، ولكنها توزعها للزراعة على القبائل : وعددها ٧٢ قبيلة مسجلة . وهناك قبيلتان غير مسجلتين وتوزع الارض الصالحة للزراعة على القبائل بنسبة عددها والاهالى لا يملكون أرضا . على أن الحكومة تستبقى بضعة آلاف من الافدنة لتوزعها على الافراد من غير القبائل لزراعتها فقط أيضا ، ومنهم يونانيون .

ويحضر الزراع القطن بعد جنيه الى مركز طوكر . ويتولى بيعه سماسرة رسميون وعددهم ١٢ من الاهالى . ويكون بيعه فى بورصة مجاورة لمكتب مفتش الزراعة تحت اشرافه وثمن القنطار ٨٠ قرشا فى المتوسط . وتختلف الاسعار سنة عن أخري ويوما عن يوم . وقد حدد بدء بيع المحصول الجديد في ١١ فبراير القادم ويستمر فى الايام التالية الى يونية حتى يباع كله .

ويوضع القطن عند وصوله الي المركز فى شونة مسورة ويوزن وبعد البيع ينقل الى شونة أخرى ويوزن مرة ثانية وينقص وزنه نحو ٨ ٪ فى الوزن الثاني بسبب تبخر ماء القطن

وأهم مشتري قطن طوكر هم مسيو كونتميخالوس وبيل بالاسكندرية ، وشركة اسكندرية التجارية وأولاد الياس دباس بمصر والسودان ومستر راى ايفانس بليفربول . ويصدر القطن الي انجلترا وفرنسا . وقطن طوكر كله سكلاريدس

ويجود الفدان الواحد بنحو ستة قناطير صغيرة . والقنطار الصغير هو ما كان وزنه مع بذرته مائة رطل . ويحلج هذا القنطار — أي بعزل البذرة منه فيصبح قطنه متراوحا بين ٣٠ و٣٥ رطلا والباقي بذرة . وكان محصول العام الماضي سيئا إذ كان حوالى قنطارين ونصف . ولكن بشائر المحصول الجديد تنبىء بأن متوسط محصول الفدان سيكون ستة قناطير صغيرة وأجود محصول فيه ثمانية قناطير

وهناك مشروع لانشاء خزان للانتفاع بماء السيول لأنه يجرى نحو البحر

الاحمر فيضيع اكثره

ويهرع أكثر الزراع بعد انتهاء الموسم الى جبال سنكات العالية أو الى جبل اركويت — مصيف الحاكم العام للسودان وهذه المناطق الجبلية العالية على مايقول العارفون — تشبه جبال سويسرا ولبنان فى جوها وصلاحيتها كمصيف .

ولطوكر ميناء يسمى « ترنكتات » منها سكة حديد بضائع ضيقة تصل الى طوكر وتحمل قطنها على بواخر مسيو كونتميخالوس

وأهم القبائل قبيلة الهدندوة. ولأفرادها رطانة. وفيهم جمال ويقول بعض المؤرخين أن أصل المصريين من هذه القبيلة أو انهم مع المصريين من أصل واحد . قامتهم متوسطة . وانوفهم مدببة ، نحاف ، ونساؤهم بارعات الجمال ، ويساعدن الرجال . ويحمل الرجل منهم قوسا وسكينا مقوسة ، وشعرهم أسود فاحم ، وهم حديدو البصر ، ويعرفون العربية ويتعلمونها ولكن لهم رطانة خاصة من أصل غير عربي يتحدثون بها

وبعد هذه المشاهدة عدنا بالسيارات الى المركز ، حيث كانت الساعة الاولى والنصف . وبعد الاستراحة قليلا ورد الزيارة لمفتش الزراعة والمأمور ووكيل البريد والتلغراف — والثلاثة سودانيون — ركبنا السيارات عند الساعة الثانية بعد الظهر وعدنا الي سواكن فى الساعة الخامسة ، حيث كان باقي الاعضاء فى المدينة

وقد أقام حضرة جورج شكري افندى وكيل شركة أولاد دباس بسواكن بمحلهم بها حفلة شاي ، وقال إن انجال المرحوم إلياس دباس كانوا يودون الحضور الى سواكن لاستقبال البعثة ، وهم يعتذرون بارتباطهم باعمال منعتهم من السفر . وقد أسس المحلج المرحوم الياس دباس في سنة ١٨٧٤ ، أى فى أثناء الحكم المصرى للسودان وقد نهبه الثوار فى الثورة المهدية ، وبعد اخمادها فتح من جديد . وهو يحلج قطن طوكر وأصحاب المحلج مصريون وجميع عماله من سكان سواكن ولذا يمون قسما كبيراً منها بالعمل والاجور

وزاروا مصبغة الشيخ محمد السيد البربري وبها عشرون عاملا . ثم زاروا منزل الشيخ الكبير محمود عثمان ارتيجه بك عمدة سواكن وزعيم قبائل الارتيجة ويبلغ عمره تسعين سنة ، وقد فقد بصره . وعندما اعتذروا عن تناول القهوة

بداره ، دمعت عينا الرجل تأثرا . وقال هذا خيركم . فان الخير جاء على يديكم فاضطروا لتناول القهوة وشكره . وأخذ الرجل يروى قصصا تاريخية غريبة عن حوادث السودان فى عهوده المختلفة . وكان اللورد كتشنر باشا يزوره ويقدره

وزاروا دار المحافظة القديمة بسواكن وهى مشيدة على الطراز التركى القديم كقصور القاهرة القديمة فى الاحياء الوطنية . وهى تشرف على ميناء سواكن . وأمام الدار مدفعان تركيان . وبجوارها وقعت المعركة الفاصلة والختامية فى حرب استعادة السودان وأقام اللورد كتشنر باشا السردار العام للجيش المصرى يومئذ فى تلك الدار . حيث أسر البطل السوداني الكبير المرحوم عثمان دقنه زعيم دنقلة

كانت سواكن الميناء السوداني الوحيد وكانت مركزا تجاريا عظيما بين السودان وافريقيا من جهة — وبين الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب وفارس والهند وغيرها من جهة ثانية . ومن تجارتها تجارة النخاسة . حيث كان للرقيق الاسود سوق رائجة . ولذا كان بين سكانها السابقين والحاليين الكثير من أبناء اليمن ومكة وحضر موت

وبها قصور وعمارات للسادة الميرغنية وللشناوى — وهو غير شناوي المنصورة — والبربرى وأصله من السويس . وتدل المباني والشوارع على انها مدينة قديمة المدنية . وانها كانت ترفل في حلة العز . وتنعم بالجاه والثروة ولكن كارثتين حلتا بها بدلتا بسعادتها بؤسا وبعمرانها خرابا . وبعزها ذلا :

الكارثة الاولي — إنشاء ميناء بور سودان . ويقال أن اللورد كرومر هو الذي أوحى بانشاء الميناء الجديد . لان سواكن كانت موقعا مهما في خلال الثورة المهدية ولأن سكانها شجعان وكانوا على ولاء للمصريين والاتراك ومتصلين بحركة الخلافة الاسلامية . ومن جهة أخرى قيل بأن ميناءها لم يكن يصلح لرسو البواخر الكبيرة . وأن موقع بور سودان أصلح طبيعة للميناء من سواكن

الكارثة الثانية — خروج الجيش المصرى من السودان . فقد كان هناك معسكر كبير لذلك الجيش وكانت النقود التى ينفقها الضباط والجنود تتداول بين السكان

وقد رأينا اكثر بيوتها بين مهدمة ومغلقة ينعق فيها البوم . واكثر دكاكينها موصدة . وبهذا أصاب الفقر المدقع أغنياءها . فقد زالت تجارتهم واقفرت عماراتهم الكبيرة جدا . حتى انهم لم يجدوا سكانا ولو مجانا لتعميرها والحيلولة

دون تهدمها . وقد هاجر اكثر من أربعة أخماس السكان الى بور سودان وطوكر وغيرها

والحق ان الانسان ليتأثر من هذا المنظر . والحق أن الشقاء مقدور للبلدان كما كتب للانسان

ولم يبق لسواكن من مظاهر الجاه ، غير أنها ظلت حتى اليوم ميناء حجاج السودان ، فتقلهم الباخرة « تلودين » التابعة لشركة البوستة الخديوية يوم الاثنين كل اسبوعين وتزورها الباخرة الثانية يوم الاربعاء كل اسبوعين ولأهمية سواكن كانت ولاية عثمانية مستقلة عن مصر والسودان ، وقد منحت ولايتها لمحمد على مضافة الى ولايته على مصر . وبعد استعادة السودان ظلت تابعة لمصر ، حتى ضمت بعد عشرة أعوام تقريبا الى السودان وصار شأنها كالبلاد التى شملتها اتفاقية سنة ١٨٩٩ . وكانت ادارتها الصحية تابعة لمصلحة الكورنتينات المصرية حتى بعد خروج الجيش المصرى سنة ١٩٢٤ ولكنها فصلت أخيراً . وانشئت فيها مصحة سودانية يديرها مفتش انجليزي يندب في موسم الحج . وله مساعد وهو طبيب سوداني مستديم

وبها مدرسة أولية فيها ١٢٠ تلميذا وتناولنا العشاء بالقطار الخاص وبتنا فيه

توفيق بك بطل سنكات

قال الأديب محمود ذو الفقار الكاشف : —

قرأت مقالا للاستاذ عبد الله حسين يصف رحلة البعثة المصرية عند زيارتها سواكن وطوكر وسنكات وفات الاستاذ أن يذكر ما لسنكات من تاريخ حافل بالبطولة والشجاعة فقد ترك قائد هذا الموقع الضابط توفيق بك صفحة خالدة من صفحات المجد فى تاريخ مصر الحديث اذا ذكرت حوادث السودان الشرقي ومعارك عثمان دقنة الزعيم السوداني المشهور . ويؤلمنى جهل أبناء مصر التاريخ وأمثال هؤلاء الضباط الذين اراقوا دماءهم فى سبيل مجدها ونشر نفوذها فى مجاهل السودان وخليق بمصر أن تؤدى واجب الوفاء نحو هذا البطل وقد عرف له الانكليز بطولته وقدروا بسالته فوضع جلالة ملكهم الحالى تذكارا له ولجنوده الشجعان عند زيارته سنكات في سنة ١٩١٢ ولمناسبة ذكرها فى مقال حضرة مندوبكم رأيت أن أكتب على صفحات « الاهرام » لمحة موجزة من تاريخ هذا الضابط العظيم

ولد توفيق بك من أب مصرى وأم سورية وتعلم فى المدرسة الحربية فى عهد اسمعيل وبعد أن جاز امتحانها الحق بالخدمة فى محافظة سواكن وتدرج فى الرقي الى أن عين محافظا لها فى عهد الخديوى توفيق ولما استتب الأمر للمهدي في السودان الغربى بعد ابادته لحملة هكس « اكتوبر ١٨٨٣ » أرسل عثمان دقنه احد امرائه الى سواكن ليدعو أهل السودان الشرقي لمبايعة المهدي ونصرته فتمكن أميره من اثارة القبائل . والتف حوله عدد كبير منهم بجهات سنكات وما حولها ولما بلغ توفيق بك أمره وكان محافظا لسواكن توجه اليه بنفسه على رأس ستين جنديا . ولما وصل إلى هذه الجهة طلب من عثمان دقنه الحضور اليه فلم يحضر. بل فاجأه هذا بالهجوم عليه بغتة فتحصن توفيق بك ومعه هذا العدد القليل من جنوده داخل سنكات وكان ذلك فى أكتوبر سنة ١٨٨٣ ولما زاد عدد الثوار تحت أمرة زعيمهم حتى بلغوا عشرين الف مقاتل واشتد الحصار على طوكر وسنكات التى استبسل قائدها فى الدفاع عنها ، رأت الحكومة المصرية تجهيز حملة بقيادة محمود باشا طاهر لانقاذ المحصورين نهزمت شر هزيمة « نوفمبر ١٨٨٣ » ثم عادت وسيرت حملة أخري بقيادة بيكر باشا فدحرها الدراويش « فبراير سنة ١٨٨٤ » ولما رأى توفيق بك ماحل بالحملتين من هزيمة منكرة خرج بجنوده وهو شاهر سيفه مخترقا صفوف محاصريه وهم يبلغون عشرين الف مقاتل وظل يقاتل مستبسلا على رأس جنوده إلى أن وقع أسيراً فامر عثمان دقنه بقتله بعد أن عذبه كثيراً . وكان أمير الدراويش قد طلب منه تسليم سلاحه ليؤمنه على حياته فرفض الضابط الباسل الاستسلام مفضلا الموت فى ساحة الوغى على الخضوع والتسليم بعد أن قاوم أعداءه اربعة اشهر كاملة مقاومة دلت على بسالة وشجاعة نادرة .

فهل آن لمصر أن تذكر امثال هؤلاء الضباط البسلاء فتهم بتخليد ذكراهم ولو بكتابة تاريخ موجز لكل منهم في كتب التاريخ التى توزع على المدارس اذ بينما نجد فيها ذكر غوردون وكتشنر وصمويل بيكر وغيرهم من الضباط الانكليز نجد هذه الكتب تغفل ذكر ضباطنا الذين استشهدوا والانكليز جنبا الى جنب في مجاهل السودان .الا يجدر بنا ونحن نذكر السودان ونتحدث عنه الآن أن نقيم في أرضنا تذكاراً خالداً لهؤلاء الأبطال الذين أفنوا حياتهم في سبيل مجد مصر كي يحدث الأبناء عما فعله الآباء وأنه لواجب أدبي لا يجوز التهاون فيه

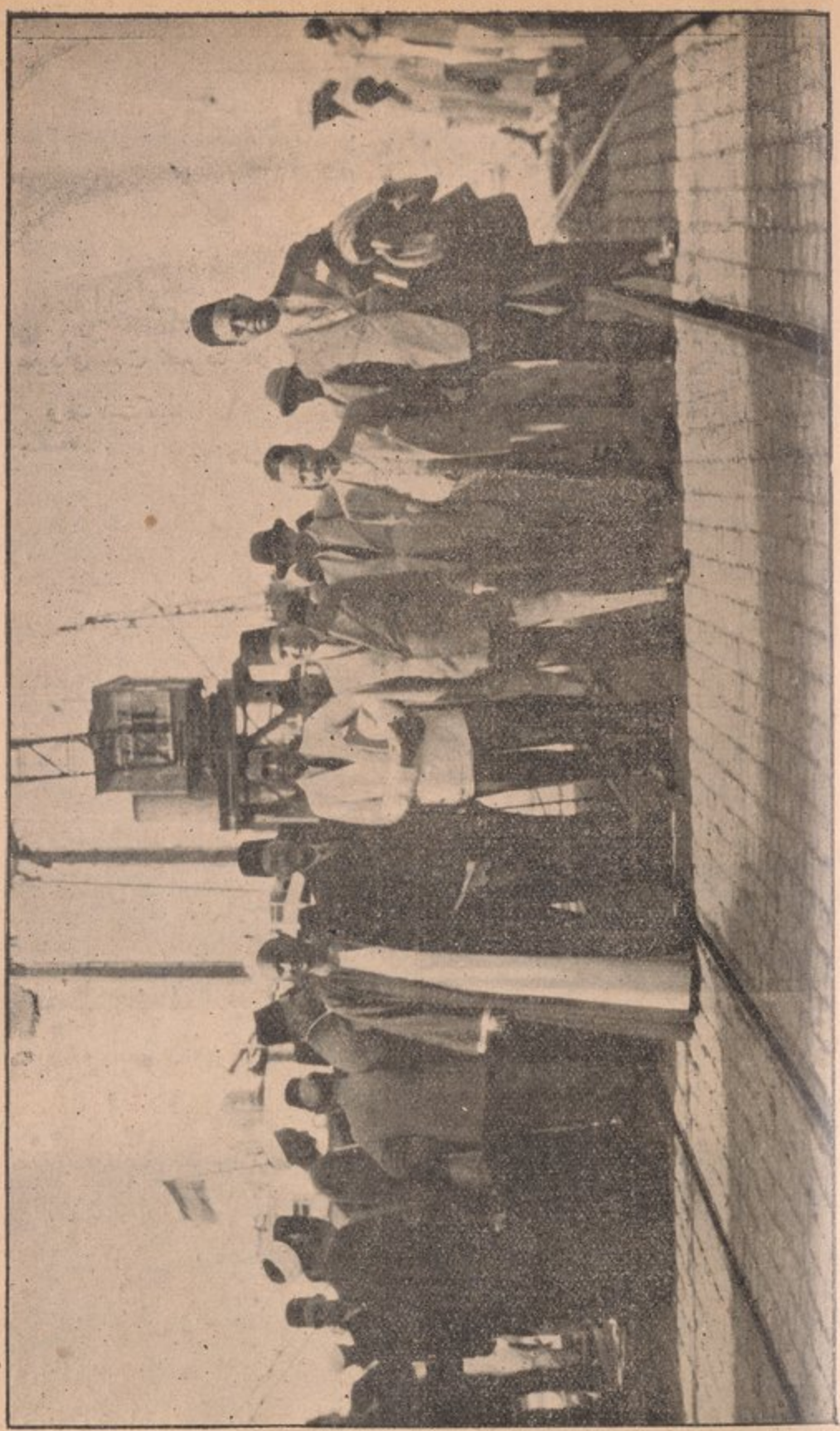

وصول أعضاء البعثة الى ميناء بور سودان

ويرى من اليمين : محمود مصطفى الجمال . أحمد السيد أبو الفضل الجيزاوى . مسيو كفورى . فؤاد أباظة بك . عبد اللطيف أبو رجيله . محمد عبد الرحيم سماحة . محمد أحمد البربر

العودة الى بور سودان

يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٥

بتنا ليلة أمس — ٢٩ يناير — بالقطار الخاص — الذي وضعته حكومة السودان تحت تصرفنا للانتقالات وللمبيت فيه حتى نصل الى الخرطوم

وقد استيقظنا الساعة السادسة صباحا وتوجهنا إلى فندق البحر الأحمر ، التابع لمصلحة السكك الحديدية السودانية

هذا الفندق الانيق الصحى الفسيح المشيد على احدث طراز للفنادق الصيفية الأوربية — من مفاخر مصلحة السكك الحديدية في السودان ، فقد انشأت المصلحة طائفة من الفنادق التى تتوافر فيها وسائل الراحة . من جريان الماء الساخن والعادي والأنارة بالكهرباء ، والمراوح ، والابهاء ، والصالونات ، والحدائق وبكل غرفة سريران وحمام متصل بها والاجرة اليومية مع الاكل ١١٠ قروش ، ولكن يمكن الاتفاق على اكثر من ليلة باجر مخفض

وخدم الفنادق من سكان حلفا والشلال وأسوان ، يلبسون العمائم السودانية ويتمنطقون بحزام أخضر اللون ، وهم مؤدبون وأذكياء ، وكثير منهم اشتغل فى مصر

انشأت المصلحة فندقا في كل من الشلال وجوبا والخرطوم وبور سودان

ومن العجيب أن مصلحة السكك الحديدية المصرية — وهى أغنى من زميلتها بالسودان ، لم تنشىء فندقا على الأقل في مدينة كطنطا — ثالث عواصم المملكة المصرية وعاصمة الوجه البحرى ، فليس بطنطا فنادق من الدرجة الاولى أو حتى الثانية ، ومن المخجل أن لا يجد النزيل فندقا يماثل الفنادق الحكومية بالسودان

وبعد الأستحمام فى فندق البحر الاحمر . تناولنا طعام الافطار . وكان مليئا من البيض والسمك والفاكهة والجبن والكبد والقهوة والشاى والحلوى وفى الميناء ركبنا قوارب صغيرة لمشاهدة قاع السواحل المرجانية ومن أجل هذا ربطت بالقوارب صناديق خشبية كان قعرها من الزجاج العادى وسطحها الاعلى غير مغطى ، وإذا نظر الانسان في الصندوق ، رأي قاع البحر عند الساحل المرجانى — رأى عجبا فهناك صخور واحجار قد طويت وتحلت واشبهت

عناقيد العنب والأسفنج والعقيق والاصداف . كانما هناك اطباق عرضت فيها أنواع الفاكهة والزهور . وهناك اسماك اختلفت الوانها بين الاحمر والأسود والاصفر والاخضر . والملون باشكال الطيور . كالوان الببغاء والعصافير الزاهية ولولا أن الرائى يعرف انه يشاهد أنواعا من السمك ، لحسبها أنواعا اخرى من الطيور . وهناك اسراب بديعة فيها الوف من السمك صفوفا وصفوفا

امضينا نحو ساعة ناظرين دهشين في هذا الساحل العجيب . وقد تساءلت متى يجىء اليوم الذى يستطيع فيه الانسان ان يعيش في البحر وفي جوف الماء وبين الاسماك بعد ان استطاع أن ينتفع بالجو طائراً ومتنزها

ألا تكون هناك اختراعات تسهل للانسان أن يعيش في الماء . حيث هناك جبال وتلال واودية وسهول وحزون والوف من الحيوانات . وحيث يستنقذ حياته من شقاء المدينة أو عذاب البر

وقد دفع كل شخص عشرة قروش عن هذه المشاهدة . وأهدي الينا البحارة قطعاً من هذه العناقيد الصخرية العجيبة إقتطعوها أمامنا بمهارة مدهشة

وقد أنشأت مصلحة السكك الحديدية حماما في المينا به عشرة كابينات وذلك لأن الأستحمام في البحر مباشرة خطر ، لوجود سمك القرش وعقارب الاسماك فتصيب ألابدان بجروح دامية

وهناك حوضان للحمام : حوض كبير طوله مائة قدم وعرضه ٧٥ قدما ويسع ١٢٠٠ طن ويملأ فى ساعتين ونصف ويفرغ في ساعة ونصف . ويكون ملؤه بموتور كهربائى من البحر الأحمر مباشرة وعمق الحوض طبقات : ٣ ½ و ٤ و ٥ و ٧ أقدام

وحوض صغير للاطفال عمقه قدمان ونصف قدم

وأجرة دخول الحمام خمسة قروش وللاطفال قرشان ونصف القرش

ثم زرنا حضرة عبد اللطيف أبو رجيله أفندى وكيل شركة مصر للملاحة البحرية فى مكتب الشركة ببور سودان حيث أنشأه على نفقته لمعاونة الشركة فى اعمالها وهو شاب نابه الف شركة مع حضرات السادة يونس أحمد وعبد المنعم محمد وآخرين للاتجار والشحن والتصدير والتأمين وتعاطى أعمال بنك مصر . وهو من أبناء إسنا ووالدته سودانية وتعلم بالمدرسة السعيدية الأميرية وسينشىء فرعا لشركة مصر لمصايد الأسماك فى بور سودان بانشاء ثلاجة

بها فيصاد السمك ـ وهو غزير فى مينا بورسودان ويوضع فى سيارة لوري بها ثلج . وينقل الي بور سودان ويصدر الى مصر.

زار الاعضاء محلج الحكومة وأستقبلهم مديره الانجليزى ويحتوي المحلج على ثمانين دولابا ويدار بالكهرباء . وطرازه حديث وبه ٣٠٠ عامل سوداني ورؤساؤهم مصريون وبجانب المحلج مخازن مسيو كونتمنخلوس وهى تسع مليون قنطار من القطن

وزرنا مصبغة أبراهيم عامر بك ومديرها نصرى أفندى وبه ٤٢ عاملا من أسيوط وقد شكر فؤاد بك حفاوة ابراهيم عامر بك . ورد عليه حضرة نصرى أفندي شاكراً

وأقام مسيو كونتميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم حفلة شاي مساء اليوم بفندق البحر الأحمر . حضرها مديرو الشركات والبنوك والقى فؤاد بك خطابا بالأنجليزية . وقد تجلت المودة بين الحاضرين وهم من مختلف الجنسيات وكانت حفلة اجتماعية جامعة

وببورسودان مدرسة حكومية ومدرسة كاثوليكية. وبها مستشفى وهو خير من أى مستشفى فى عواصم المديريات المصرية

وبور سودان تشبه مصر الجديدة من حيث سعة شوارعها ووجود البواكى والمتنزهات . ونظافتها وهدوئها . وقد احتملت أزمة شديدة. ولكن منذ العام الماضي أخذت الحالة فى التحسن . والدلائل تنبىء بأنه سيكون لها مستقبل كبير

وفى الساعة السادسة استقل الأعضاء القطار الخاص الى كسلا حيث يمضون ٢٦ ساعة لمشاهدة دلتا الجاش ومزارع القطن وغيره

لقد كانت رحلتنا شاقة ومتعبة . وأشعر أن معرفة هذه البلاد تنقصنا ولكن احتملنا العناء بلذة واغتباط

بين بور سودان الى كسلا

يوم ٣١ يناير سنة ١٩٣٥

يقصر القلم حقا عن وصف حماسة اخواننا سكان بور سودان — أعيانا وحكاما وأهلين عند توديعنا فى فندق البحر الاحمر ببور سودان وفى محطتها ولم يتمالك بعض الاعضاء والمودعين من ذرف دموع امتزج فيها فرح اللقاء وبأسف الفراق . وقد شعر كل عضو بأنه يودع أهلا واخوانا . وأنه يفارق ذوى الارحام . وكنا نسمع لغة عربية فصيحة ونشاهد عادات مصرية طيبة فى الكرم والاستقبال الباسم « أهلا وسهلا » يقولونها دائما . وقد نسيت أننى فى رحلة مع رفاق وأن لنا برنامجاً محدوداً وأن لى عملا وأهلا ومقاما بالقاهرة . فوددت لو بقيت مع البورسودانيين!

وهؤلاء الشبان أعضاء «نادى السواكنيين» ببور سودان التفوا حول الدكتور محجوب ثابت ودعوه ولفيفا من صحبه لزيارة ناديهم وخطبوا وخطب الدكتور وخطب السيد على شكرى خميس وصفق الجميع فكأنهم كانوا فى حفل مصرى بالقاهرة ولقد كنا كلما وصلنا الى محطة أو بلد ، الفينا الاهالى — رجالا ونساء شيبا وشبانا — قد خرجوا للقائنا ثم عادوا لتوديعنا كأننا الغيث ينزل عليهم . أو ذوو الارحام الغائبون يعودون اليهم . وكانت الاسرات الاوربية — من انجليزية ويونانية وغيرها — تشترك فى استقبالنا وتوديعنا : عاطفة شاملة من الحب . وفيض عميم من الود .

عشرات من الدعوات لتناول الطعام والشاى والزيارة — تلقيناها — وكنا نألم ونأسف لعجزنا عن اجابتها جميعا .

وكنا نتبين في وجوه الداعين أثر الخيبة . فى عدم اجابة دعواتهم فيقول لسان حالنا — لاحول ولاقوة إلا بالله !

وفى الساعة السادسة من مساء أمس — الاربعاء ٣٠ يناير — سار القطار بنا الى كسلا

وتناولنا طعام العشاء الساعة الثامنة مساء بالقطار . وتفرقنا جماعات الى الطاولة والبريدج والشطرنج .

فى سوق دردیب

وقدسار بنا القطار حتى محطة دردیب وشهدنا بها سوقا لبيع الدوم ومحصوله ٨ آلاف طن قيمتها عشرون الف جنيه تشحن من دردیب ونهايته الى اليابان وايطاليا لعمل الزراير . ويباع بالمزاد العلنى وقد تقدم للمزاد رجل يدعى الشيخ بكاش محمد من تجار السودان ووكيل مسيو كونتميخالوس . وفى أثناء المزايدة تقدم الدكتور محجوب ثابت عندما كان المزاد بسعر ١٦ قرشا ونصف للقنطار وأعلن الدكتور أنه يزايد بمبلغ ١٧ قرشا . فقال المنادي : «يستاهل» ومعنى ذلك أن المزاد قد رسا على الدكتور ، وطلب اليه المنادي ان يشترى كل الكمية على هذا السعر ، لأن المزايدة كانت على الكمية كلها لاعلى أردب وحده فتحرج مركز الدكتور ، إذ كان قد قدم مبلغ ١٧ قرشا للمنادى وحينئذ تقدم «بكاش» المشار اليه وأعلن أنه يقبل الكمية بهذا السعر ، وثمن الكمية التى كانت بالسوق ٦٠ جنيها فانقذ الدكتور من الورطة . . . !

ثم عدنا الى القطار وتناولنا طعام الغداء وفى الساعة الاولى وعشر دقائق وصلنا الى بلدة «أرومة» حيث استقبلنا لفيف من مفتشى الزراعة الانجليز وركبنا معهم السيارات حتى مزارع القطن في دلتا نهر الجاش ، وهو نهر يروى أراضى مديرية كسلا ، ومساحة المنطقة ١٥٠ الف فدان ، يزرع منها ٣٢ الف فدان منها ٢٨ الفا يزرع من السكلاريدس .

والاطيان المزروعة — بل جميع أراضى مديرية كسلا — ملك لحكومة السودان وهى تؤجرها للاهالى وهم من قبائل مختلفة ، يحضر اكثرهم من جهات بعيدة . وتشرف مصلحة الزراعة على اعداد الأرض للزراعة والرى وتسلم الارض للزراع . وهناك ترع رئيسية ومساق لتوزيع ماء نهر الجاش وتتولى الشركة الزراعية الانجليزية بيع قطن الجاش فى انجلترا مباشرة . وتعطى نصف الارباح الى الزراع والنصف الثاني تستولي عليه الحكومة :

والزراعة بالمنطقة بالدورة الثلاثية . فيزرع القطن عاماً . وتظل الارض خالية من زراعة القطن أو أية زراعة أخرى فى العامين التاليين .

وقد قرأنا فى أول المنطقة لوحة مكتوبا فيها مايلى :

«تاريخ الزراعة ١٤ — ٩ — ١٩٣٤ التربة أرض كثيرة تغطى بالطمى الرى — ١٧ يوما

حالة الزراعة معتادة والحش ثلاث مرات»

وشهدنا حقلا تجريبيا جربت فيه زراعة القطن الامريكى من الصنف المسمى «ويبار» وقد بدأ موسم الجنى فى ١٥ ديسمبر ويستمر الى آخر مايو القادم. وتنزل الأمطار من يونية حتى ١٥ سبتمبر وقد رأينا امرأة شابة تجنى القطن من الحقل وهى حاملة طفلها الرضيع مربوطا على ظهرها فى وهج الشمس. وهى صابرة تبتسم لنا.

وفى وسط الحقل أعدت «منظرة» ذات أعمدة خشبية ومغطاة بالقش، جلسنا فيها واسترحنا قليلا. ثم عدنا الى القطار وواصل سيره

فى محطة كسلا

سافر القطار الخاص من محطة «أرومة» الساعة الرابعة والنصف. وقد ازدحمت المحطة بالمودعين من انجليز ومواطنين ثم سار القطار حتى وصل الى محطة كسلا الساعة السادسة مساء. وكان فى استقبال البعثة حضرة المأمور وجميع الموظفين والأهالى وركب الأعضاء السيارات فزاروا نادي مستخدمى كسلا، حتى الساعة الثامنة مساء. وقد تناول العشاء على مائدة مدير مديرية كسلا الانجليزى حضرات رشوان محفوظ باشا وفؤاد أباظه بك ويوسف نحاس بك والاستاذين على شكرى خميس وعبد المجيد محمد الرمالى، مندوبى البعثة

وقد تقرر سفر فؤاد أباظة بك وبعض زملائه صباح الجمعة أول فبراير الى مديرية تسانايا فى اريتريا لمشاهدة زراعة القطن بها. ويستقبل المدير حضرات الاعضاء الساعة الحادية عشرة صباحا.

والطريق بين المحطة ونادى الموظفين وعرة وخطرة. وقد رأينا فى الطريق منازل حقيرة يسكنها زراع رحل يسيرون على الاقدام الي الحجاز للحج ويسمون «فلاته»

ودار النادى من مخلفات الجيش المصري بكسلا. وتحيط به حديقة.

زيارة كسلا وبيانات عنها

بتنا الليلة بالقطار الخاص أيضاً ، حيث كان واقفا أمام محطة كسلا وتناول الأعضاء الطعام صباح اليوم — الجمعة أول فبراير — وتوجهنا بالسيارات الساعة التاسعة صباحاً الى داخل مدينة كسلا ، وهى تبعد عن محطتها ٣½ كيلو مترات وطريقها وعر . وتبلغ المسافة من بور سودان ، التى قام منها القطار الى محطة كسلا ، ٥٥٠ كيلومترا . ورأينا فى الطريق بين محطة كسلا وكسلا نفسها منازل « الفلاتة » بتشديد اللام ويسمون أيضا « الهوسة » و« التكارنة » وأصلهم من مهاجرى السودان الفرنسى والحبشة ، وهم أهل جد وعمل يشتغلون بالزراعة فى موسمها ، وفى الأوقات الأخري يقومون بحمل الذين يعبرون حوض نهر الجاش بين المدينة ومحطتها ، وذلك عند فيضانه صيفا بين يونية واكتوبر ، حيث يغمر ماؤه مجراه الذي عرضه كيلو متر واحد ، ويبلغ عمقه عندئذ مترين أحيانا وهو عرضة للارتفاع والهبوط فى اليوم الواحد ، تبعا لحالة المطر ، وامتصاص الأرض للماء وانتشارها فى أنحاء المجرى ، وبعد الفيضان يظل المجري في أشهر السنة الأخرى جافا

ويبلغ عدد السكان الفلاتة عشرة آلاف نسمة ، ولهم جلد غريب على العمل ، إذ يؤدون فريضة الحج سيراً على الأقدام ، ونساؤهم سافرات في الغالب ماعدا « العرائس » وهن فى دور الشباب ، ويشاركن الرجال فى جميع الأعمال من زراعة وتجارة ويتزوج رجالهن أكثر من امرأة واحدة ، والكثير منهم متزوج باربع نساء ، وللرجل فى المتوسط زوجتان . .

ويبلغ سكان مدينة كسلا حوالى ثلاثين الفا ، بينهم العشرة آلاف المشار اليها من الفلاتة

وعلى جانبى الطريق أشجار « العشر » بضم العين وفتح الشين . وهو شجر قصير الساق ينتج طبيعياً من غير غراس . بداخل أوراقه وفروعه مادة لزجة بيضاء . تجهض المرأة . وتعمى البصر . وتمتص الشوكة التى تدخل في جلد الأنسان . ويستخرج من زهره سكر قليل يشبه السكر « السنترفيش » . وثمرته كبيرة بداخلها وبر حريري يصلح لعمل الورق والأقمشة الحريرية . ويستخرج من عيدانه مادة السبرتو

البعثة في تسانايا وكسلا

وحفلة شاى بنادى موظفى كسلا
فى يوم الجمعة أول فبراير

ازدحمت المعلومات والأخبار لدى فى أثناء الرحلة ، وتزاحمت الخواطر عندى ، حتى لأجدني حائرا فى صياغة ما اجتمع لدى . ولكل شىء عندي أهميته وفائدته ، ومن الاسف الشديد أننا نكتب عن بلد ، كان يجب أن تكون تفاصيل تاريخه وحوادثه معروفة للعامة لأن السودان ارتبط بمصر قديما وفيه دماء مواطنينا وأموالنا ، ونحن بناة خطوطه الحديدية وطرقه ومؤسسو حضارته ، وكان معسكراً لجيوشنا ، ومسترادا لضباطنا ، وللمصري في كل ناحية أثر — فى العادات واللغة والدين ، وفي بناء المساكن ، فى تأثيث الدور ، وبناء المساجد

ونحن — الكتاب والسياسيين ، صحفيين وغير صحفيين — طالما دبجنا المقالات عن السودان ونبهنا الأذهان الى علاقته بمصر . ولكننى — وقد زرت بعض مدنه — أقول ان ما كنا نتصوره عن السودان على ضوء الكتب التى طالعناها والروايات التى سمعناها — لا يصور الواقع كله ، وسنعود الى مصر وفى أذهاننا صورة أخرى صادقة

أن بين مواطنينا الالوف ممن عاشوا في السودان — كرجال الجيش المصريين العاليين والمتقاعدين وكالموظفين المصريين السابقين فى حكومة السودان أو فى وزارتى الحربية والأشغال المصريين والتجار — ولكن من منهم عنى بوضع كتب أو القاء محاضرات عن السودان أو بعض مناطقه أو حوادثه أو حاصلاته وإذا وجد شىء من ذلك فهو النذر الذي لا يحتسب ، والقليل الذى لا يشفى بعض الغلة .

واعتقد أن البعثة المصرية للسودان ستعرف مواطنينا بالسودان ، وأنها قد آصرت بين المصريين والسودانيين بما لم يقم به الالوف الذين عرفوا السودان وعاشوا فيه .

وقد دار حديث بيننا وبين أحد أعيان السودان ، تناول هذه المسألة

فقال : «لقد كانت غاية علمكم بالسودان ماسمعتموه من بعض الموظفين المصريين الذين يرون في السودان منفى ، ولا يقنعون بشيء إلا أن يسكنوا القاهرة دائما فهم لا يرضيهم أن ينقلوا الى أسيوط أو حتى الى بنها ! ! »

بعثتنا تزور السودان بروح أخرى — غير روح الموظف الحانق على بعده عن القاهرة ، ذلك الموظف الذى يأنس الي حياة المقاهى والبارات والملاهى والرخاوة ، أو يقبع فى بيته ، ويريد الحياة آمنة ، ليس فيها شوك قتاد ، أو بعد مزار

انى أدعو مواطنى — وخاصة شبابنا بالجامعة وغيرها — الي زيارة السودان وأدعو وزارة المعارف أن تحفل بدروس الجغرافيا والتاريخ عن السودان ، فالكتب الحالية هى أسوأ سبيل للوقوف على حالة السودان .

لو كتبنا الوف المقالات عن السودان وقدمنا البراهين والأسانيد على علاقته بمصر ، لما أفادنا هذا شيئا ، إذا لم نواصل زيارة السودان ، وإذا لم تغير وزارة المعارف منهج دروس الجغرافيا والتاريخ عن السودان .

زيارة تسانايا باريتريا

فى الساعة الثامنة من صباح اليوم زار حضرة فؤاد بك أباظة ومعه عشرة من زملائه مزارع تسانايا على الحدود السودانية الاريترية ، وقد زارها حضرته في العام الماضى وفي سنة ١٩١١ ، بدعوة حضرة الدكتور جسبارينى عضو مجلس الشيوخ الايطالى والحاكم العام الايطالى لأريتريا والصومال سابقا الذى استقال من هذا المنصب ، والف شركة لزرع القطن في تسانايا ، فى مساحة تبلغ ثلاثين الف فدان قابلة للزراعة وقد تم حتى الآن زراعة ٦٥٠٠ فدان من القطن السكلاريدى والأشمونى ولم تفلح تجربة زراعة القطن الأمريكى فان بذوره لم تثمر شيئا ، فعدل عن زراعته . ويجود الفدان بقنطارين أو أربعة ولتسهيل الرى أنشيء على مجرى الجاش سد وأقيمت قناطر على الترعة المتفرعة منه وينتفع بالسد فى رى كسلا وبالقناطر فى رى تسانايا بمقتضى اتفاق بين حكومتى اريتريا والسودان ، وتدفع حكومة السودان ثمنا للماء لحكومة أريتريا ، التى تقرض زراعها ٤٠ ليره على كل فدان وتقرضهم البذرة وتخصم القرضين من ثمن المحصول —

والجاش يجيء من الحبشة ويروى كلا من أريتريا وكسلا ، وتربة الأرض

تكاد تكون واحدة وتزيد الشركة الايطالية مساحة زراعة القطن فى تسانايا سنة بعد أخري — فقدزادت هذا العام الفى فدان . أما ماء الرى فهو كاف ، ولكن العقبة هي في اعداد الرى وفي انشاء ترع جديدة ، لأن الأرض ليست مسطحة فهى فى ارتفاع وانخفاض ، والايدي العاملة قليلة

والوقت فى اريتريا متقدم ساعة عن الوقت فى السودان ، فاذا كان الوقت به الساعة السابعة صباحاً كان فى أريتريا الساعة الثامنة صباحاً . ومباني تسانايا منتظمة ومقبولة ، وبها أحجار الجرانيت ومعدن الذهب ، وبها محلج ومعصرة للزيت ومصنع للصابون . وقد عين نجار مصري من المنصورة لصنع دواليب المحلج ، بمرتب شهرى قدره ٢٥ جنيها وله أجازة ستة أشهر فى السنة

وموعد جنى القطن في تسانايا يقع فى موسم زراعة القطن عندنا ، فهم الآن يجنون قطن تسانايا ويستمر الجنى حتى مايو القادم ، ونحن في مصر نبدأ بزرع القطن الآن وأنفقت ايطاليا نحو نصف مليون جنيه لتنظيم الري

وبين كسلا وحدود أريتريا ٢١ ميلا وبين الحدود وتسانايا ٢٢ ميلا عند سد الجاش المشار اليه ، وفي تسانايا دوم له مصنع بها لصنع الواح الزراير وتصدر للهند ، حيث تستكمل صناعتها وتباع فيها وسكان أريتريا جميعا مسلمون . ويتألف منهم جيش وطنى حسن الزى العسكرى « يماثل جنود قوة الدفاع عن السودان » ويلبس جنوده طرابيش ذات أزرار حمراء ، وبأحزمة صفراء

وطريق السيارات بين تسانايا وكسلا سهل

وقد تناول الأعضاء طعام الغداء على مائدة وكيل جسبارينى وعادوا الى كسلا الساعة الثانية والنصف بعد الظهر

حفلة موظفى كسلا

أقام حضرات موظفى بندر كسلا حفلة شاي تكريما للبعثة الساعة الخامسة من مساء اليوم — الجمعة أول فبراير — حضرها الأعيان والتجار ، وألقيت فيها الخطب . وقد تجلت روح الأخوة والاخلاص فى هذه الحفلة ، وشعرنا جميعا أننا أبناء أسرة واحدة ،

ولحضرات الموظفين ناد رئيسه عمر الأمين العمرابي أفندى ، وأمين صندوقه ابراهيم البلولة أفندى ، وسكرتيره أحمد فرج الله أفندى ، والأفندية : حسن عبد الغنى مدير أعمال ، وتوفيق صالح جبريل أمين مكتبة ، وحسن قورين سكرتير ألعاب ، والأفندية : محمد عثمان العوض المرضى والشيخ ابراهيم مالك وشفيق رمزى وابراهيم الجندى والدكتور على أحمد باخريبة والدكتور عباس حمد نصر وحمد النيل وابراهيم حاج أحمد ، أعضاء

وأعجبنى حسن القاء الخطباء مع أنهم من التجار ومن غير محترفى الأدب. ولذا أسجل فيما يلى شيئا من هذه الخطب :

خطاب الحسن العوضى

التى حضرة الشيخ الحسن العوضى بالمعهد العلمى بام درمان سابقا خطابا قال فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد فانى أتشرف بالمثول أمامكم لاتلو كلمات ، فان احسنت فذلك الغرض والحمد لله . أيها السادة ان الحياة تستلزم العمل وهو ذو طرق شتى ، ومظاهر جمة تختلف باختلاف النفسيات . وقديما قالوا إن طرق الكسب الناجعة أربعة : الامارة ، والتجارة . والزراعة . والصناعة — وهذه كلها أسها المتين الذى ترتكز عليه وقوامها الحق الذى تنمو به شيئان : الاخلاص والصدق

أيها السادة : انا نحتفل بامة هى ذات القدر العظيم — استغفر الله — بل أمم فى هذه الشخصيات التى بين ظهرانيكم . أمم لها النصيب الاوفر والقدح المعلى في جميع ضروب الحياة . أمم التفكير . أمم الرقي . أمم التمدن . أمم الاحسان . »

وواصل خطابه على هذا النحو . وقوبل بالتصفيق الحاد

خطاب أحمد البشير حسن

«السلام عليكم ورحمة الله — بالاصالة عن نفسى ونيابة عن اخواني التجار الأجانب والوطنيين — أقف لأحييكم تحية حارة وأهنئكم بسلامة الوصول لبلدتنا « كسلا » التى أشرقت عليها شمس مصر المضيئة وإننا سنسجل لكم هذه لزيارة فى سويداء القلوب لكى تظل خالدة كلما مر هذا اليوم

سادتي : أن هذا الحفل الصغير فى مبناه الكبير فى معناه : هو أقل ما يعمل لهذه الزيارة الميمونة » . وقد قوبل خطابه بالتصفيق والاعجاب . وقد ألقى كل من حضرات فؤاد أباظة بك والأستاذين عبد المجيد الرمالى وعلى شكرى خميس كلمة شكر واخلاص وود . وقد ودعنا الأهالى حتى المحطة خير وداع : تشيعنا قلوبهم قبل أبصارهم وركبنا القطار الخاص مساء الي القضارف

وقبل سفرنا زرنا المدينة وشهدنا حوانيتها ومساكنها . والمدينة مخططة وطرقاتها صغيرة منتظمة ومنازلها ذات دور واحد . وبها تجار يونانيون مع عائلاتهم. وزرنا الشركة التجارية الحبشية التى يملكها أربعة يونانيين. ولها وابور النور الذى يضيء المدينة بالكهرباء وسعر اللمبة الواحدة ١٥ قرشا فى الشهر بالنسبة للاهالى. وخمسة قروش لكل ٤ كيلوات لمكاتب الحكومة . وللشركة مطحنة تجارية ومصنع للثلج والكازوزة ومخازن لمبيع الأقمشة والخردوات

على أن أكثر السكان يستضيئون بالكلوبات والغاز العادي وكل من يسير خارج المدينة يجب عليه حمل مصباح وإلا قبض عليه

وزرنا دكان مسيو كوستى لبيع جلد النمر . وللمدينة أسواق منظمة . تباع فيها المأكولات والذرة وأفام السجاير .

وأكثر مساكنها وعقاراتها للحكومة التى تعطى الأرض للاهالى حكرا .

وبالمدينة لوريات لحمل البضائع والركاب . وعربات نقل تجرها الحمير . .

ويؤخذ ماء الشرب من آبار ماؤها عذب وهى قريبة جدا من سطح الأرض وكلما وجدت أشجار العشر ، كانت دليلا على قرب الماء . وتبنى المنازل من الطوب الأخضر والبوص والجريد . ودور الحكومة والحوانيت الكبيرة من الطوب الأحمر .

وزرنا المجزرة : حيث تباع اللحوم : وسوق بيع الخضر . «وسوق النسوان» وهى سوق تتولى البيع فيها النساء والعجائز .

ثم زرنا عند الجبل «الخاتمية» وهى موطن السادة أصحاب الطريقة الميرغنية التى لها أشياع فى أكثر أنحاء السودان . ولاسيما مديريتى كسلا ودنقلا : وقد زرنا منزل فضيلة الحسيب النسيب السيد محمد حسن الميرغنى : واستقبلنا فضيلته بالاكرام . وهو شاب فى العقد الثالث من عمره : مديد القامة : نحيف الجسم ثم زرنا ضريح زعماء السادة الميرغنية : ثم صعدنا الى جبل «الختمية» وشهدنا

«السرف» بفتح السين والراء . وهو نبع ماء معدنى عذب فى أسفل الجبل : به ماء جار بين أحجاره — وهى من الجرانيت — ورأينا حوله بعض النساء والأولاد يملأن بأيديهم الجرار من ماء النبع بسهولة . وشربنا جرعة فوجدناه ماء صافياً : ويستعمل الآهالى هذا النبع أيضا فى غسيل الملابس حوله ولشرب الماشية :

ثم زرنا دار فضيلة الحسيب النسيب السيد محمد عثمان الميرغنى : وهو الشقيق الأكبر للسيد محمد الحسن الميرغنى واستقبلنا بحفاوة واكرام :

والطريقة الميرغنية يتزعمها الآن حضرة الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى بالخرطوم : وقد تعلق الأهالى بزعمائها : حيث يلثم عامتهم الاعتاب عند زيارتهم : وللسادة الميرغنية نفوذ عظيم جداً ويزور الأهالى ضريح الخاتمية يوم الجمعة من كل أسبوع :

وزرنا المكتبة الميرغنية لصاحبها السيد « الطيب الدويح » وهى تتولى بيع الجرائد والمجلات المصرية والخردوات وغيرها :

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا زرنا مستر « ريدفورد » مدير كسلا في ديوان المديرية ، حيث استقبلنا بحفاوة ، وألقى محاضرة على ضوء خريطة مديرية كسلا . ونظراً للحر كانت هناك مروحة من القماش تبلغ مساحتها ١٢ مترا مربعا معلقة فى سقف الغرفة ومرتبطة بحبل يخرج من ثقب فى جدرانها الى جوار بابها وهناك عامل يمسك بالحبل ويحركه فتتحرك المروحة وترطب جو الغرفة .

وقابلنا حضرة مأمور مركز كسلا عمر أمين افندي وحضرة ابراهيم الجندى افندى الموظف بهندسة السكة الحديدية السودانية

وننشر فيما يلى خلاصة محاضرة المدير

محاضرة مدير كسلا

بلغ محصول الذرة المصرية ٢٢٤٩١١ أردباً والسمسم ٣٥٥٨٨ أردباً والدخن ٥٤٠٠ أردب ٥٩٨٤٠ قنطاراً من القطن و ١٤٢٥٣٠ أردباً من الذرة

ونقل بالسكة الحديد ٩٩٧١ طنا من الذرة ومن السمسم ٦٨٥٥ طنا ومن الصمغ ١٥٧٨ طنا ومن حب الدوم ٢٦٣١ طنا

وتتولى الشركة الزراعية الانجليزية بيع قطن « نهر الجاش » بكسلا فى

انجلترا . وتعطى الاهالي ٥٠ ٪ من الارباح . وقد بلغ نصيبهم في العام الماضى ٩٥ الف جنيه . وتأخذ الحكومة ٢٥ في المائة من أرباح بيع قطن طوكر ، الذي يتولى بيعه الأهالى أنفسهم وقد بلغ نصيب الحكومة فى العام الماضى ١٥٨٦٢ جنيها ، ونصيب الأهالى ٤٧٥٨٦ جنيها

وبلغ ما انتجته مديرية كسلا من الذرة ٣٦٧٤٤١ أردبا فى العام الماضى .

وتشتهر مديرية كسلا بتجارة الجمال وتتولى هذه التجارة «قبيلة الرشايدة» وهى من عرب جزيرة العرب أقامت بالسودان منذ ٨٠ سنة ، وتصدر الجمال الى مصر فتباع بأسواق فرشوط وامبابه ويقول بعض الاهالي أن الجمال تسير من كسلا الى فرشوط فى مدة ١٤ يوما وهى تسير ليل نهار ومعها حراسها الأكفاء الساهرون . ويتراوح ثمن الجمل بين ثلاثة جنيهات وأربعة وستة وثمانية وعشرة ومتوسط الثمن ستة جنيهات : وقد بلغ ثمن الجمال المبيعة وعددها ١٤١٠٥ سنة ١٩٣٤ — ٨٤ الف جنيه

وتتألف مديرية كسلا من مديريتى كسلا والبحر الاحمر — فقد ضمتا أخيرا وأصبحتا مديرية واحدة : طولها ٧٤٠ ميلا وعرضها ٢٥٠ ميلا ومساحتها ١٣٥٦٠٠ ميل ، أى مثل مساحة فرنسا وسويسرا معا . وهى ثالث مديريات السودان إتساعا ، فتأتي بعد كردفان ودارفور . وللمديرية مدير ونائب مدير ومفتش مديرية ، وفيها عشرة مفتشين لمراكز كسلا . ومن مراكزها سواكن وكسلا والقضارف وسنكات وطوكر لها مأمورون ،

وعدد سكان مديرية كسلا ٣٧٨١٠٩ نسمة وهم من قبائل الهدندوة والبجة وبنى عامر والبشاريين والحلانقة والرفاعية والشكرية والبطاحين ومن مهاجرى مكة والحجاز واليمن وحضرموت والحبشة واريتريا والسودان الفرنسي وبربر

ولكسلا شاطىء على البحر الأحمر ، بهسلسلة جبال تبتدىء من جبل المقطم وهناك شركتان لاستخراج الذهب من بعض مواقع هذه الجبال بكسلا وفيما بين يونية وأغسطس تنزل الأمطار بكثرة وأشد برودة فى الشتاء فى نوفمبر وديسمبر وفى القضارف يخزن الماء فى آبار تحفر وتدفع حكومة السودان الى حكومة أريتريا خمسين الف جنيه ثمنا لماء نهر الجاش الذي ينبع من جبالها

* * *

ثم زرنا بستان البكباشي عثمان على كيله وهو ضابط مصرى من أصل

سوداني له بستان مؤلف من واحد وعشرين فدانا يرويه وابور ، وينتج من الفاكهة : العنب والموز والجوافة والتين والرمان والباباز واستقبلنا استقبالا كريما ثم تناول الاعضاء طعام الغداء

وقد أقام تجار المدينة وموظفوها حفلة شاى تكريما لأعضاء البعثة

وقد توجه صباح اليوم الساعة الثامنة فؤاد أباظة بك ومعه تسعة من أعضاء البعثة الي تسانايا داخل حدود مستعمرة أريتريا وحصلوا على ترخيص خاص باجتياز الحدود لمشاهدة زراعة قطن الجاش فى أريتريا . وعادوا الى محطة كسلا الساعة الثامنة والنصف بعد الظهر ، كما سبق فى صفحة ١٠٠ وما بعدها



موسيقى فرقة العرب الشرقية بالقضارف تحيى البعثة

الفصل الخامس

من القضارف الى سنار

فى يوم السبت ٢ فبراير

بارح القطار الخاص محطة كسلا الساعة الثامنة من مساء أمس إلى «القضارف» فوصلنا اليها الساعة الرابعة والنصف من صباح اليوم. وعند الساعة السابعة والنصف استقبلنا جمع غفير من الموظفين والتجار والأعيان يتقدمهم حضرات الشيخ حمد أبو سن ناظر خط القضارف ورئيس فرع قبيلة الشكرية والشيخ عبد الكريم زايد ناظر عربان الضبابنة ، والسيد مدنى والحاج على الكردي وأحمد الحاج عبد الله والحاج على الحسين والحاج محمد يوسف علقم وعبد القادر الخانكى وعباس تولة وجعفر النصيرى وكرار كشة ومحمد سيد ميزو وعوض السيد جابر والخواجات كيكوس جوانيدس وجورج مكريدس وروفائيل جريس وكرياكو بابا جورجى ويعقوب أجيب بشيان وباغوص كالباكيان — صاحب معصرة الزيت بالقضارف —

وشارة مديرية كسلا التى يضعها الجنود على ملابسهم « الشوتال » والشوتال هو سكين ملتوية يحمله أفراد قبيلة الهدندوة . ولكل مديرية فى السودان شعار مأخوذ من عادات سكانها أو شهرة حيواناتها

وتوجهنا بالسيارة الي « نادي الوطنيين » وهو ناد للاعيان والتجار ، وقد رفعت أمامه الأعلام وأعدت موائد لتناول طعام الافطار ، ووضعت فى وسطها منضدة عليها أوعية تحمل كلا منها صنفاً من حاصلات القضارف .

وقد حيت البعثة موسيقى فرقة العرب الشرقية وهى الفرقة المخصصة لحماية الحدود. وعندما وصل الميرالاى « كير » بك صدحت الموسيقى بسلام السردار — وهو السلام المعتاد فى الحفلات العسكرية والرسمية. وفى الحفلات الرسمية الأخرى تؤدي الموسيقي سلام ملك انجلترا . وبين القضارف وحدود الحبشة مسافة تقطعها السيارات فى ٦ ساعات . وهناك فرقة العرب الشرقية مؤلفة من البيادة والسيارات والجمال

وأصل كلمة « القضارف » « الغضارف »

وسكان المدينة من الشكرية والجعليين والمغاربة والمهاجرين إليها من المديريات الأخرى . إذ قد منع دخول المهاجرين الأحباش نظراً لما لوحظ فيهم من الميل للاجرام والاتجار بالاعراض ، وحمل الأمراض

وتتصل القضارف بمدينة « القلابات » على حدود الحبشة، ونصف سكانها من الأحباش ، وبها مصنوعات الحبشة والبن والعسل والدوم والفول والعدس والكسبرة والكمون والبقر

وبعد تناول طعام الأفطار ألقى حضرة الشيخ محمد سيد ميزو من تجار القضارف الخطاب المنشور بعد

وزار الأعضاء غربال مسيو كونتميخلوس وهو غربال آلى لتنقية الذرة من الطين ، وثمن التنقية مع الحزم والشحن ٢٥ قرشا للطن .

ثم شهدنا سوق السمسم — وبه بورصة للمضاربة — فيقيد البائعون أسماءهم في دفتر وكذلك طلاب الشراء ، الذين يقفون صفاً ويبدكل منهم نمرة ، فيمر المنادى بكل منهم ويذكر له الثمن الأساسى. فاذا زاد عليه أحد المشترين ، عرضه المنادى على المشترى التالى فاذا لم تحصل زيادة عرض المنادي الثمن الذى رست عليه المزايدة على البائع ـ وسأله هل يقبل البيع بهذا الثمن فيقول نعم أو لا كما يشاء . فاذا قال نعم تم البيع . وكان ثمن أردب السمسم ١٥٦ و ١٥١ قرشاً اليوم : والاردب ١٦ كيله والاسعار أغلى من أسعار بور سودان : ويجود الفدان باربعة أو خمسة أرادب

وكذلك للصمغ سوق وبورصة على الطريقة السالفة : وكان ثمن قنطار صمغ الهشاب متراوحا بين ٥٥ و ٦٠ قرشا : وثمن صمغ الطلح ٢٢ قرشا

لأن العادة أن تكون أسعار الاسواق الصغيرة أعلى : نظراً لكثرة من يستطيعون شراء الكميات الصغيرة . أما فى الأسواق الكبيرة فان الكميات كبيرة والمشترون قليلون والمضاربة ضعيفة

وفي القضارف مدرسة ابتدائية أميرية بها ١٩١ تلميذا فى أربع فرق وثلاثة مدرسين وناظرها الشيخ ابراهيم عامر. وكذلك توجد جمعية رياضية باسم « جمعية التعاون الرياضية »

خطاب الشيخ محمد سيد ميزو

سادتى الأجلاء

أحييكم تحية المودة والاخلاص وأحي فى أشخاصكم الكريمة الهمم العالية والعقول النيرة ولى الشرف أن أقف بين أيديكم معبرا عن سرور تجار القضارف

ثم قال : « وبما أن مهمة هذه البعثة الاستطلاع على حالة البلاد التجارية والزراعية وتحسين العلاقات الاقتصادية : وبما أن القضارف هى بلدة زراعية فاني أود أن اشرح لسعادتكم حالتها بايجاز فأقول :

هذه البلدة ذات أراض واسعة جداً وخصبة : ويتوقف ريها على الأمطار التى تهطل بكميات وافرة من أوائل يونية الى أوائل اكتوبر حيث تزرع فيها المحصولات المتنوعة من الذرة بانواعها والسمسم والفول السوداني والقطن ـ هذا بخلاف ماتنتجه غاباتها الكثيفة من الصمغ بنوعيه هشاب وطلح وأيضا القرض

الحاصلات :

السمسم — كان محصوله فى العام الماضي سبعة آلاف طن تقريبا : وهو بلا شك أجود انواع السمسم السودانى ونوعاه : طبيعى « ناتورال » ومغربل بغربال مسيو كونتوميخالوس ويصدر معظمه للقطر المصري

الذرة — وأهم انواعها «الفترتة» : ومتوسط محصولها حوالى أربعين الف طن تقريبا يستهلك معظمها محليا فى السودان

الذرة المقد والقصابي والحميري صدر منها فى العام الماضي أربعة آلاف طن تقريبا للقطر المصري — وأنواعها : الشامى وتزرع على شاطىء الرهد : بعد الخريف وصدر منها فى العام الماضي حوالي ٣٠٠ طن

ويمكن انتاج القطن الامريكى هنا وقد أهملت زراعته لتدهور أسعاره

الصمغ الهشاب — كان محصوله في العام الماضى ١٣٠ طنا وكان سنة ١٩٣٢ أربعة الآف طن صدرت للخارج الصمغ الطلح وقد كان محصوله في العام الماضى ٧٠ طن صدرت للخارج القرض — ويصدر الى مصر

وأهم مانستورده من مصر : السكر والصابون ، والسجاير ، والحلوى وبعض الأقمشة نسيج نقادة واخميم والأحذية وغيرها » اهـ.

كلمة فؤاد أباظة

والقى حضرة فؤاد أباظة بك كلمة شكر فيها الداعين وقوبلت بالتصفيق

زيارة الشيخ حمد أبو سن

وقد زار الاعضاء دار الشيخ حمد ابو سن ناظر خط القضارف وعين أعيانها وهو ، الشيخ حمد بن محمد بن عوض الكريم بن أحمد باشا أبو سن ناظر خط أبى سن بالقضارف . وهو شيخ فى منتصف الحلقة السابعة من عمره مديد القامة ،وافر الصحة ، وضاح الجبين، واسع الكرم يرأس محكمة القضارف الأهلية ، وللمحاكم الأهلية في السودان نظام خاص يشبه نظام محاكم الاخطاط في مصر أو المحلفين في أوربا . يتناول مرتباً كبيراً وله أملاك ومزارع وماشية وله ولدان يعاونانه فى أعماله الزراعية وكلاهما رئيس محكمة في منطقة ، اسم كبيرهما محمد والصغير أحمد

وقد قدم أبو سن للاعضاء نوعين محليين من الشراب البارد ، أحدهما اسمه « الآبري» وهو خبز رقيق جاف كالورق ينقع فى الماء ويشرب منقوعه مسكراً أو غير مسكر «بفتح الكاف المشددة» وله حموضة مقبولة تقرب من مذاق شراب التمرهندى

ويصنع هذا الخبز من عجينة الذرة الناعمة جدا المخمرة ، كطريقة صنع الرقاق فى مصر

والثانى «غباشه» وهو شراب يتخذ من اللبن الرائب سواء أنزع منه الدهن الذى يسمى « الروب» أم لم ينزع ، ويضاف اليه شيء من الماء ويمكن تحليته بالسكر . وهو شراب مغذ مرطب للجسم ملين لذيذ الطعم ناقع للغلة . وسأثابر على تعاطيه عند عودتى

وقد زرنا المدينة وشهدنا بها حيا بريطانيا يسكنه الموظفون الانجليز ودكاكين المدينة ومنازلها . وطرقها مخططة خطوطا مربعة ،وقد جعلت الحوانيت في منطقة ، ولم تبن المساكن فوق الحوانيت ، بل جعلت الى جوارها — وكلها دور واحد ، وجديدة البناء ، وبالمدينة مستشفى يسع ٦٠ مريضا وبه طبيب انجليزى وآخر مواطن سوداني ومستشفى عسكرى يسع ٢٥ سريرا ومستشفى

للجذام يسع ثلاثين مريضا ، ومحكمة أهلية ، ومدرسة بنين أولية ويلبس تلاميذها الجلاليب البيضاء ويجلسون القرفصاء في الفصول — كما فى جميع المدارس الاولية بالسودان . ومسجد . ومصنع للكازوزة والثلج . وليس بها كهرباء وجوها معتدل صحى إلا فى الخريف . وسكانها أهل جد وسماحة . وفيهم يونانيون وأرمن كثيرون يتجرون في كل شيء . وفي الغالب يشتمل الحانوت الواحد على العطارة والخردوات وادوات المنازل والاحذية والسجاير . والأرض ملك للحكومة وتعطى حكراً للاهالى لمدة ثمانين سنة لهم حق الانتفاع وتؤجر الحوانيت بين جنيه وخمسة جنيهات . ورخصة الحانوت جنيه في السنة وتؤجر الحوانيت بالمزاد وبنائها ملك للاهالى وفقط الأرض للحكومة وتنتشر البضائع اليابانية في المدينة وفى السودان كله . ولمسيو فيليب كالفاكيان فابريقة للزيت والثلج وهو صياد ماهر وللشركة التجارية الحبشية بكسلا فرع بالقضارف . وللخواجة روفائيل جريس « مصري » متجر كبير

وجامع القضارف بنى سنة ١٩١٢ في عهد صالح عبد الرحمن أفندى المأمور سابقاً

وقد ودعنا الأهالي فى المحطة حيث سافر القطار فى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر .

ويبلغ عدد سكان القضارف ٥ آلاف داخل البندر و ٥٠ الفا بضواحيها وواصل القطار سيره من القضارف حتى سنار — وكان الجو حارا وكان السكان على طول الطريق فى كل محطة يخرجون لاستقبال البعثة ، وتلقى الخطب

عبد الرحمن مصطفى بقلع النخل

وقد ألقى حضرة الشيخ عبد الرحمن مصطفى بقلع النخل كلمة قال فيها : أرانى سعيدا جدا بتقديمى هذه العجالة للترحيب بكم اصالة عن نفسى ونيابة عن اخوانى التجار بقلع النخل وان لم اكن أهلا للوقوف أمام سدتكم ولكن داعى الغبطة والسرور دفعنى دفعا لهذه الجرأة

سادتى — لا اكون مبالغاً إذا تجرأت وقلت إن التجار السودانيين على أتم الاستعداد الكامل لأن يبرهنوا على أن السودان تجاراً وشعبا يرحبون بهذه الزيارة التى هى بمثابة الحلقة المفقودة

فقوبل خطابه بالتصفيق ورد عليه فؤاد أباظة بك بكلمة شكر .

وقد مررنا بمحطات ود الحورى هلت ، ومتنا وقلع النخل وجبل قرين وحواتة هلت والحصيرة وخور العطشان والدندرد

ثم السوكى حيث استقبلنا استقبالا رائعا لوقوف القطار ٢٥ دقيقة وقد أدهشنا هؤلاء القرويون بمعرفتهم لأسماء الأعضاء وسؤالهم عن الاعضاء المتخلفين في القاهرة كسعادة جعفر ولى باشا وحضرة حمدى سيف النصر بك وسؤالهم عن الدكتور محجوب ثابت ومعرفته بمجرد رؤيته . وسؤالهم عن الدكتور يوسف نحاس بك وطلبهم مشاهدته . وكسؤالهم عنى . فلما سألتهم كيف يعرفونى قالوا لي اننا نقرأ مقالاتك . ونعرف أن لك مجلة تسمى الجريدة القضائية وانك محام . فكنت دهشا لهذه المعلومات التى يوجد كثيرون في مصر لايعرفونها . وسألوا عن الأستاذ فكري أباظة . وذكروا لنا — فى ذكاء عجيب أخبارا كثيرة عن مصر .

ثم مررنا بمحطات حمدنا الله وكساب الدوليب وشهدنا خزان سنار الذى كان معروفا فيما مضي باسم خزان مكوار — ومكوار قرية . وقد رؤي أن ينسب الخزان الى سنار أولي من مكوار . ووصلنا محطته الساعة الحادية عشرة مساء وبتنا في القطار

أحراش وأشجار

وقد رأينا أحراشا على طريق السكة الحديدية بين كسلا والقضارف شاملة أشجارا متوسطة الطول حمراء السيقان اكثرها الطلح الذى يؤخذ منه صمغ معروف باسم «صمغ الطلح» بواسطة فتح لحايته فتتجمع المادة الصمغية اللزجة فى الفتحة وتتجمد وعند ذلك تجنى . وتشبه هذه العملية تجمع الدم وتجمده إذا ماجرح الجسم .

وبين شجر الطلح ظهر شجر آخر أبيض الشكل يسمى «اللعود» له صمغ خاص أقل قيمة من صمغ الطلح وأشجار «السدر» وله ثمر يعرف بالنبق أقل حلاوة من التمر وهو مكور صغير الحجم يشبه العنب ، تؤكل جلدته امتصاصا وترمى نواته ، وقد يجفف ويدق ويعمل من دقيقه أقراص تؤكل كاقراص التمر هندى الذى يسمى فى السودان «عرديب» ، ويوجد أيضا أشجار السلم والشمر والسيال المعروف «بالغضا» وهو خشب صلب الجمر فى النار

وقد ورد «الغضا» في قول مالك بن الريب :

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا مشى الركاب لياليا

ويغمر هذه المنطقة أيضا حشائش تستوي على سوق دقيقة وترتفع نحو المتر والنصف ، وساقه ذات عقل وهو هش الجوف ، ولهذه الحشائش أسماء منها : النال ويستعمل فى صنع الاخواص للمساكن ، ولاينفذ من قبابها ماء المطر ، والنال عطري الرائحة ، ويتخلل حشائش النال قصب العدار ، حبه يشبه حب الدخن لونا وحجما ويمكن أن يصنع منه خبز خشن يأكله الفقراء أو يؤكل فى المجاعات ، وهو أيضا مرعى خصيب للابل .

وخشب شجر السرح يستعمل فى الوقود

وعلى الطريق مزارع الذرة التى بعد أخذ حبها ورعى المواشى أوراقها الخضراء ، تحرق بالنار لأعداد الأرض للزراعة الجديدة . والرماد المتخلف يكون سماداً صالحا للتربة وتعرف حبوب الذرة على اختلاف أنواعها باسم «العيش» وأرض المنطقة خصبة جداً وتنقصها اليد العاملة



سوق سودانية



فى القضارف

يرى من اليسار : عبد الله حسين . عبدالحميد أباظة بك . الشيخ حمد أبو سن . فؤاد أباظة بك. عبد المجيد الرمالى. خميس . عبد المجيد السيد

الفصل السادس

سنار - خزانها - سنجة

غابات الخشب والقردة وصيد السمك والطيور

في يوم الاحد ٣ فبراير سنة ١٩٣٥

يحتاج كل رحالة أو وصاف رحلة الي تدوين المذكرات وكذلك كان شأني في تدوين أنباء البعثة المصرية فى السودان وكنت في بداية الأمر بين أن أدون رؤوس المسائل ، على أن أعد بحوثي عند عودتى الى القاهرة أو أن أبادر بوضعها يوما بعد يوم وساعة فساعة : فاخذت بالرأى الثانى حتى تتتابع الرحلة عملا وتتتابع على صفحات « الاهرام » وصفا . لأستطيع أن ألم بالتفاصيل خشية أن أنساها لازدحام الأخبار وتراكم المشاهد : ولاذكرها وأنا في محيط السودان .

وكان في الأخذ بهذا الرأى عناء احتملته في لذة . وان استأداني اهمال الطعام وتقاضاني السهر الطويل فانا أكتب فى القطار والسيارة وفى أثناء تناول الطعام وبين غفوات القيلولة — في حر وصلت درجته أحيانا الى الخمسين بميزان سنتيجراد !

وانى كلما فاضلت بين الكاتب يحتمل الجهد والعناء ويحرم النوم والغذاء وبين الصحفى السياسى يجهد أن يحصل على خبر من وزير مصرى فضلت الكاتب في حرمانه على الصحفى في استمتاعه براحة وكم ثارت نفسي على بعض الوزراء والكبراء الذين لايقدرون مهمة الصحافة أو يفهمونها على أنها أداة تسخر للدعاية لهم . ولايجوز لها أن تطالبهم بالثمن والثمن هو الخبر الصحفى المعقول — أولايجوز أن تعارضهم فى رأي

في سنار

استيقظنا مبكرين صباح اليوم — الأحد ٣ فبراير — وتناول الأعضاء طعام الصباح ثم توجه فريق منهم عند الساعة التاسعة صباحا الى محلج القطن التابع للحكومة والمجاور لمحطة سنار ويديره — مقاولة — الصياد الانجليزى المشهور مستر جاكسون . الذى صاد أكبر سمكة عرفها متحف لندن — فقد صاد حضرته من النيل الأزرق عند سنار سمكة وزنها ١٢٦ رطلا انجليزيا من صنف يدعى في مصر « البياض » وفي السودان « العجل »

ويقوم المحلج بحلج القطن الأميركى المزروع فى بلاد النوبة فى السودان

وعند الساعة التاسعة والنصف صباحا زار الأعضاء مكتب مستر إلين المهندس المقيم لخزان سنار — الذى عرف قبلا باسم خزان مكوار . واطلعهم جنابه على رسم برنزي للخزان — أبوابه ومناوره وترعته الرئيسية التى تروى أرض الجزيرة ثم توجه معهم الى معاينة الخزان نفسه . بادئا بالترعة الرئيسية التى تأخذ ماءها من النيل الأزرق . الذى ينبع فى بلاد الحبشة

يشبه خزان سنار خزان أسوان والقناطر الخيرية فى حجزه الماء خلفه وفى احاطته بحديقة واسعة للنزهة ، وفى حبس الماء للانتفاع به في رى أراض زراعية ، وفى ان سقف الخزان طريق عام لمرور العربات والجمهور وعرض النيل الأزرق عند خزان سنار ٣٠٠ متر ، على انه يفيض على جانبيه ويغمر جزءا من الأراضى المجاورة ، فيزداد عرضه عند الخزان أحيانا ، وأحجاره من الجرانيت قد اقتطعت من جبل «سجري» على بعد ٢٥ كيلو مترا من سنار وللخزان أبواب فوقها مناور ، تفتح الأبواب لمرور الماء فى مجري النيل الأزرق الى نهر النيل حاملة الطمى وإذا كان الماء كثيرا فتحت المناور أيضاً ، وعدد الأبواب ٨٠ وعرض كل باب متران وارتفاعه ٨ أمتار ونصف

ويملأ الخزان من نوفمبر الي يناير من كل سنة ثم يفرغ حيث تكون الجزيرة قد أخذت نصيبها من الماء

وارتفاع ماء النهر عند الخزان ٢٠ مترا حيث يخزن الماء وارتفاعه حيث يفرغ ثلاثة أمتار وارتفاعه عند الونش ٢٤ مترا

وفى مجرى النيل الأزرق — قريبا من الخزان — مرتفعات ومنخفضات وكانت هناك جزيرة فى المجرى ، أخذت تتلاشى وبجانب جرفها منخفض عمقه ٤٥ مترا يظهر أنه تأكل بقوة ارتفاع الماء على سطح الجزيرة الآخذة في التلاشي

وتصيب الملاريا في السنة من الموظفين بنسبة ٤ الى ١٣٠ وقد تم بناء الخزان في عهد مستر أرشر الحاكم العام وهناك لوحة فى أعلى الخزان كتب فيها أسماء الحكام العامين الذين تعاقبوا على السودان من كتشنر وونجت إلى ستاك وأرشر وسنوات مشروع الخزان وأدوار بنائه منذ سنة ١٨٩٩ و ١٩١٧ و ١٩٢٤ الى ١٩٢٦ حيث تم الخزان ، وكان انشاؤه موضوع خلاف بين مصر وانجلترا وطلب المهندسون المصريون وقفه محافظة على ماء النيل الأزرق الوارد الى مصر وأوقف انشاؤه فترات فى سنة ١٩١٤ بسبب الحرب، وقررت وزارة عدلى باشا سنة ١٩٢١ وقف العمل فيه مع وقف العمل فى خزان جبل الأولياء وزار شفيق باشا وزير الأشغال فيها السودان لهذا الغرض ولكن سير لى ستاك لم يقبل وتم العمل فيه مدة خلفه وفتح في ٢١ يناير سنة ١٩٢٦

وذكر أسماء المقاولين والمهندسين وأولهم السندريني مقاوله ومردوخ ماكدونالد وسير أرثروب « مستشار المشروع » وغيرهم

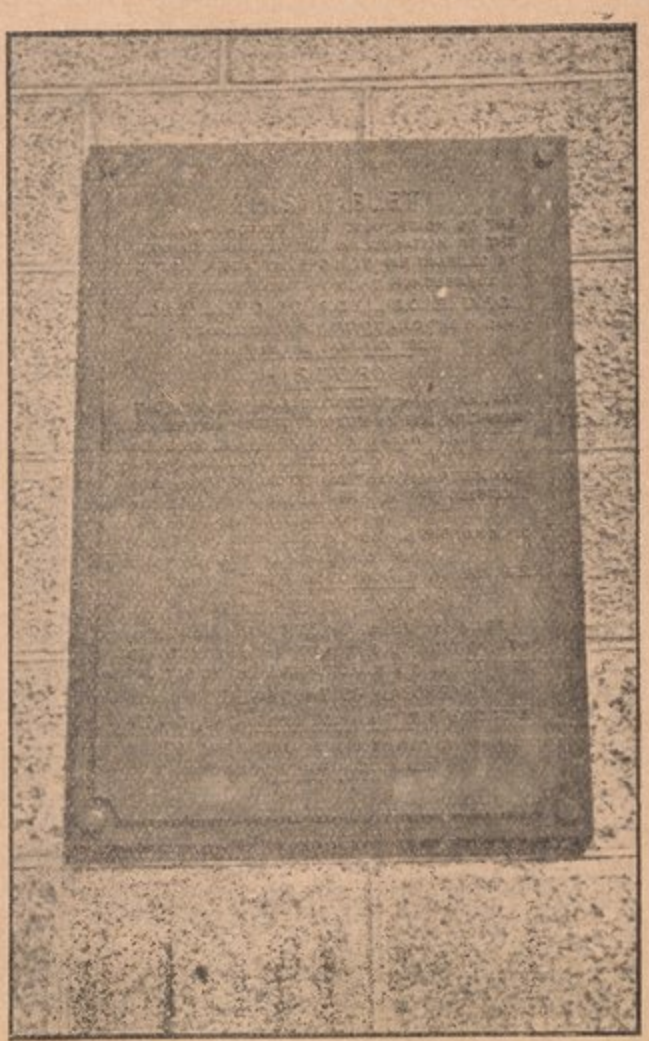

لوحة خزان سنار التى تبين تاريخه بالانجليزية

خزان سنار وافتتاحه

احتفل بافتتاح خزان سنار احتفالا رسميا بحضور اللورد لويد المندوب السامي وبعض وزراء الاشغال المصريين وكبار الموظفين والحاكم العام والصحفيين ، وناب صاحب العزة الدكتور محمد حسين هيكل بك مدير السياسة عن الصحافة المصرية ، وتحدد يوم الاربعاء ٢٠ يناير سنة ١٩٢٦ الساعة الثامنة والدقيقة أربعين مساء ، لقيام المدعوين بالقطار المخصوص من الخرطوم إلى مكوار لأفتتاح خزان سنار رسمياً يوم الخميس ٢١ يناير سنة ١٩٢٦ عند منتصف الساعة التاسعة صباحا : وقد وصلوا إلى «مكوار» والى خزان سنار الساعة الحادية عشرة صباحا : وكانت حفلة الافتتاح الساعة الرابعة بعد الظهر ، مع مشاهدة وابورات الحليج ببركات

وتحدد يوم الجمعة ٢٢ يناير سنة ١٩٢٦ الساعة السابعة صباحاً لعودة المدعوين إلى الخرطوم

وقد جلس اللورد لويد المندوب السامى البريطاني والحاكم العام وقرينتيهما وجلسوا إلى المنصة وجلس معهم معالى اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال بالوزارة الزيورية يومئذ . وجلس خلفهم فضيلة الشيخ محمد الطيب هاشم قاضى النيل الازرق الذي وكل اليه إلقاء ترجمة الخطب من الانكليزية إلي العربية ثم القى السير جوفري آرشر حاكم السودان العام خطابا بالانجليزية تعريبه فيما يلى

«يافخامة اللورد . إني بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن ضباط وموظفى حكومة السودان وهذا الجمع المحتشد وفى الواقع بالنيابة عن سكان هذه البلاد ، نرحب بفخامتكم ترحيبا قلبيا . كلنا نعلم حق العلم مابذلتم فخامتكم أثناء تقلدكم منصب حاكم بومباى من العناية الفائقة والهمة العظيمة في أمور الري وغيرها من المشروعات الآيلة لأسعاد الشعب وترقيته المادية . ولم يمض بعد سنتان على وضعكم الحجر الاساسي لذلك العمل العظيم على نهر السند الذى أطلق عليه اسم فخامتكم فدعى قناطر لويد . أننا نقدر عظم ملاءمة هذه الفرصة بمناسبة زيارتكم الأولى للسودان كمندوب سام للاحتفال باقامة خزان سنار ذلك العمل العظيم الشأن لخير هذه البلاد .

هذا واننا يافخامة اللورد لنتفاءل خيراً بحسن المستقبل لوجودكم بيننا فى

هذا اليوم . ولاريب عندي أن السودان فى أيامكم وبفضل عنايتكم يبلغ شأوا بعيدا فى سبيل التقدم والفلاح . وكذلك أود يافخامة اللورد أن أعرب لكم اليوم عن أمل عظيم هو أنكم كممثل جلالة الملك فى مصر تتمكنون بالاتفاق التام مع مصر من ترويج وتوسيع نطاق الأعمال التى من شأنها حفظ وصيانة مياه النيل لدرجة يستطاع معها بدون أن تتعارض مصالح القطرين زيادة الثمرات ليس فى مصر فقط ، بل فى السودان أيضا .

وإن العمل العظيم الذى نشاهده كاملا أمامنا فى هذه اللحظة مابلغ هذه النهاية إلا بفضل جهاد أناس كثيرين . فقد ظل مشروع رى سهول الجزيرة موضوع بحث المستشارين البريطانيين الذين تعاقبوا فى وزارة الأشغال المصرية من عهد السير وليم جارستين فالأبحاث الأولية التى بدأها المستر ديبوى أكملها السير مردوخ مكدونلد بمعاونة المرحوم اللورد كتشنر والسير ريجنالد ونجت والمرحوم السير لي ستاك . وأني لاأشك فى أن جميع الحاضرين يأسفون أشد الأسف لعدم تمكن السير مردوخ مكدونلد والسير ريجنالد ونجت من الحضور معنا في هذا الاحتفال . وقد وصلنى اليوم الرسالة الآتية من السير ريجنالد ونجت «عسى أن يكون افتتاح الخزان ومشروع الجزيرة فاتحة عصر فلاح جديد للسودان وشعبه» ولا بد لى فى هذا المقام من القول بأننا نحن الذين تربطنا بالسودان روابط خاصة نقدر أعظم تقدير اهتمام السير ريجنالد ونجت لخير شعوب هذه البلاد الذين حكمهم مدة سبع عشرة سنة بالحكم واللطف . وقد تكرمت وزارة الأشغال المصرية فوضعت بعناية السخاء تحت تصرف حكومة السودان كل ماكان لديها من الموارد للقيام وانفاذ هذا المشروع العظيم

وانى لا انتهز فرصة وجود صاحبى المعالى السيد اسماعيل باشا سري وعبدالحميد باشا سليمان هنا اليوم لأعبر لهما بالنيابة عن السودان عما نحن مدينون به لجميع الوزراء الذين تعاقبوا فى وزارة الأشغال العمومية وللمهندسين القديرين الذين جاءوا من مصر وكان لمجهوداتهم فضل فى المعاونة على اتمام هذا المشروع وسوف لا أجهد فخامتكم فى مثل هذا الظرف السعيد بسرد الصعوبات التى صادفت العمل فى بدئه وما زادت الحرب ونتائجها فى تلك الصعوبات وكذلك لاأطمع فى أن أضمن هذا الخطاب القصير مايجب من الاعتراف لفضل كل أولئك الذين عملوا لاتمام هذا المشروع الذى نحتفل اليوم به . هذا واني أتقدم بالشكر

للسير ادجارد نارد والسير ادجارلونهام كارتر والسير جيمس كرى لما قاموا به وهم في حكومة السودان من ابتكار هذا المشروع وتنفيذه

وبعد أن أثنى الحاكم العام على خدمات كل الذين اشتركوا فى هذا العمل العظيم ختم خطابه بالكلمات الآتية :

« ولى الشرف أن أدعوا فخامتكم إلى تكريس هذا العمل الهندسى العظيم لخير السودان وشعوبه »

وقام من بعده لوردلويد فألقي خطبة هذه ترجمتها ياصاحب المعالى وياحضرات ضباط وموظفى حكومة السودان وعلماء ومشايخ وأعيان وأهالى السودان . حقا اني لكبير الحظ أن تكون أول زيارة لى لهذه البلاد كمفوض سام كانت لاجل الاحتفال بانجاز هذا العمل العظيم الذى تم لى الشرف بافتتاحه هذا اليوم وقد قابلت أكثركم لاول مرة فى الاستقبال الذي أقيم فى الخرطوم احتفالا بيوم الملك وأثر بى ما رأيته من روح المودة الخالصة التى تسود ذلك الاجتماع الممثل لمصالح متعددة وهامة . وانى أرحب بهذا الاحتفال الذي تقيمه الآن حيث قد ختمت تلك المودة بفضل عظيم ، الغرض منه جلب المنافع الدائمة لكم يا أهالى السودان للبلدان الاخري التى تستورد المواد لصناعتها من محصولات أراضيكم . وأن السودان الاعظم منكم اليوم ليستطيع أكثر منى تلك الحكمة والبصيرة والجراءة التى جعلت خزان سنار في حيز الاستطاعة . أن السودان اليوم يجنى ثمار عبقرية اللورد كرومر المقرونة بطول الاناء فقد كانت سياسته كما تذكرون ترمي الى ترقية البلاد ترقية ثابتة دون أن تتجاوز حدود طاقتها وقد اقتفى السير ريجنالد ونجت والمرحوم السير لى ستاك هذه الخطة وواصلا العمل باخلاص ونجاح باهرين الاول لمدة سبع عشر سنة والثاني لمدة السبع عشرة سنة الأخيرة من حياته . ويجب أن لاننسى اليوم مانحن مويتون به لهؤلاء الثلاثة . وعلى أيضاً أن أؤيد السير جيوفرى أرشر فيما فاه به من ثنائه على البراعة والمثابرة والهمة التى أبداها أولئك المهندسون الشهيرون الذين منذ أن وضع السير وليم جارستن المشروع الأصلى سعوا الواحد تلو الآخر لأجل تحقيقه وللسودان في شخص السير جيوفري آرشر حاكم عام أثق كل الثقة أنه سيحافظ على تقاليد الماضى . وقد جاء للسودان في وقت مناسب وفى دور حيوي فى تاريخ البلاد . فان خزان سنار كما تعلمون ليس سوي جزء من

مشروع عام لأجل ترقية وتحسين موارد النيل وقد أثبتت المباحث الدقيقة التى أجراها الخبراء في الماضى أن مياه النيل إذا أحسن صيانتها وتوزيعها بالعدل والانصاف يجب أن تكتفى وتزيد عن احتياجات مصر والسودان الحالية والمنتظرة فى المستقبل

ومن دواعى سرورنا الخاص أن يكون حضرة صاحب المعالى السير اسماعيل باشا سري ، أحد أبناء مصر والمعروف بالنبوغ والشهرة حاضراً معنا اليوم وذلك نظراً لاشتراكه شخصياً في أعداد هذا المشروع ، وكذلك نتفاءل خيراً بوجود صاحب المعالى عبد الحميد باشا سليمان ، فاني واثق أن مقدرته وسعة نظره يبعثان على إزالة ما بقى عالقا من سوء الادراك للمسائل العملية الحاسمة بالمشروع

أما والوقائع الجوهرية هى كما تعلمون فاذا ساد المفاوضات روح الحكمة السياسية فلا يجب أن تقوم صعوبة فى سبيل الوصول الى تسوية تضمن ضمانا وافياً حاجة مصر ، وفي نفس الوقت تمكن السودان من السير فى طريق العمران يقدم ثابته حسبما تسمح له موارده . وللسودان فى أحوال كهذه أن ينظر إلى المستقبل بعين الثقة والطمأنينة . وعسى أن يبقى العمل الذي افتتحه اليوم شاهدا دائما على الفوائد الناجمة عن قيام الحكومة بعمل كهذا بغاية الحكمة والتبصر . ويجب أن يكون من نتائج هذا المشروع ليس فقط إزدياد رفاهية المزارعين الوطنيين بل يجب في نفس الوقت أن يعود بفائدة عاجلة مقابلة لرأس المال الكبير الذى انفق على إنشائه . وختاما أقول أنه بالرغم من أن زراعة القطن هي الفرض الأول من مشروع الجزيرة فهناك شرط على جانب عظيم من الحكمة يضمن وفرة المواد الغذائية محليا وعدم تعرضها للنقص . وأود فى الختام أن أشير إلى موضوع آخر عام وعلى جانب من الأهمية وهو أن الروابط التى تربط الحكومة وأهالى السودان لهى روابط صداقة شخصية . ومن المبادىء الأولية فى مشروع الجزيرة كما فى غيره من المشاريع التى يمكن أن تقام في هذه البلاد أن تلك الروابط المرغوبة يجب أن يحتفظ بها بغاية الاعتناء . والحكومة تعتقد أن من الأمور الجوهرية ترقية الشعب على موجب طبيعته . وأن التحسين المتعاظم فى الأمور المادية لا يجب أن ينتج ضياعا أو إنحطاطا فى الافكار والتقاليد التى هى أساس أخلاق الشعوب . ولى ملء الثقة أن يقوم قادة الأفكار فى السودان سواء كانوا رؤساء دينيين أو زعماء قبائل أو ذوى معارف ممتازة

بالواجب عليهم للمحافظة على الحالة السعيدة الحاضرة . ويسرني أن أخاطبكم بلهجة المتفائل بحسن المستقبل أن الرجم بالغيب محفوف دائما بالمخاطر . إنما يمكنكم أن تتأكدوا من شيء واحد هو أني سأبذل أقصى الجهد وروح التساهل الودى لازالة كل العوائق التى قد تقف فى طريق المشروعات العظيمة لارتقاء وعمران السودان في المستقبل . وأن مااختبرته في هذه المدة الوجيزة أثناء زيارتى الأولى للسودان يبعث فى نفسي الاعتقاد بأن فى استطاعتى الاعتماد على ولاء ومساعدة كل شخص فى السودان سعياً وراء تلك الغاية العظمى التى لابد أن تثير اهتمام وعطف العالم المتمدن بأسره

ثم وقف حضرة صاحب المعالي سري باشا وألقى خطبة هذا نصها :

يافخامة المندوب السامى وياصاحب المعالى الحاكم العام وياسيداتي وياسادتى :

كان من بواعث سرورى العظيم أن أدعى لحضور هذا الاحتفال الزاهر بافتتاح خزان سنار المعد لأحياء موات جزء عظيم من الأراضى السودانية بالري الصناعى الذى مادخل أرضا إلا زاد إنتاجها كماهو معلوم . ومن بواعث الفخر لمصر أن تكون هى واضعة مشروع ري الجزيرة بواسطة كبار مهندسيها وفي مقدمتهم المرحومين السير ويليام جارستن والسير آرثروب ومن تبعهما كالمستر ديبوى والمستر توتنهام والسير مردوخ مكدونلد الذى تم على يديه تحضير المشروع نهائيا وإعداده للتنفيذ . ولاحاجة لأن أذكر أن كل هؤلاء من أعاظم المهندسين التابعين لوزارة الأشغال العمومية . هذا واني أبدى هنا مزيد الشكر للسير جوفرى آرشر على مافاه به فى هذا الخصوص . وقد أشرف مهندسون تابعون لوزارة الأشغال العمومية المصرية على العمل فى مدة تنفيذه

ويمكننى أن أزيد مع الفخر اشتراك شخصى الضعيف فى تحضير المشروع واني أذكر هنا مع مزيد السرور لأهالى السودان الحاضرين معنا عطف الأمة المصرية عليهم بهذه المناسبة السعيدة وأخبرهم بأنها يسرها أن تري السودان فى بحبوحة من الرغد والسعة وأن يزداد أهله رفاهية وتقدما فى العمران . ولاريب عندي أن مايجري من الماء في النيل السعيد يكفى بل يزيد عن احتياجات مصر والسودان لريهما معا إذا أحكم تدبيره بالأعمال الصناعية التى أولها هذا الخزان واني أسأل المولى القدير المتعال أن يوفقنا جميعا للوصول لأداء واجباتنا

ثم وقف المندوب السامى وأمسك باليد التى صيغت على مثال(١) «امينمحعت الثالث» فجري الماء من الخزان الى القنام . وانما صيغت اليد على مثال «امينمحعت الثالث» الذي حكم مصر منذ الفين وثلاثمائة سنة تقريبا لما عرف عن هذا الملك القديم في التاريخ من أنه أول من حاول بصفة جدية ضبط مياه النيل لحسن ري الأراضى كما تذهب الاساطير الي أنه هو الذى أنشأ بحيرة موريس

وفيما كان الماء يندفع من احدى بوابات القناطر فى ترعة الجزيرة وقف مطران السودان المحترم جوين ووقف إلي جانبه مفتى السودان الشيخ اسماعيل الازهرى فوق العين التى يتدفق منها الماء وتليا عبارات التبريك لهذا الماء الخصب المنساب إلى أراض لم تكن تعرف الخصب ولا الزراعة من قبل . ووقف الحضور جميعا فى أثناء تلاوة صلاة التدشين التى فاه بها الاب المحترم جوين والخطبة المباركة التى ألقاها المفتى الازهرى وصلاة المطران جوين الثانية

فتحات السد معمولة باتساع يسمح بمرور أكبر تصرف للنيل الأزرق وزيادة وهو ١٥٠٠٠ متر مكعب فى الثانية والفتحات كالآتى : —

أولا — الفتحات السفلى وعددها ٨٠ وعرض كل واحدة ٢ متر وارتفاع ٨،٤٠ ومنسوب العتب ٤٤،٢ ويعمل عليها الموازنة ببوابات حديد تفتح بواسطة ونش بخارى

ثانيا — الفتحات العليا وتسمى فتحات التخفيف وهى ٧٢ فوق الفتحات السفلى عرض كل واحدة ٣ متر وارتفاعها ٢ متر وهذه الفتحات يعمل عليها الموازنة بواسطة أخشاب غما افقى وترفع بهلب باليد

ثالثا — يوجد بالجهة الشرقية من الفتحات المبينة عاليه ٢٠ فتحة عليا ومثلها في الجهة الغربية ـ وعرض كل فتحة ٥ متر وارتفاعها ٢ متر ـ وعتب عموم الفتحات العليا على منسوب ٤١٧،٢ وتفتح وتقفل بواسطة أخشاب غما أفقى

سعة الخزان وملوه وتفريغه :

أولا — أعلا منسوب تصل اليه المياه أمام الخزان هو ٤٢٠،٧ ويخزن على هذا المنسوب ٦٣٦ مليون متر مكعب

ثانيا — فى أول يوليو من كل سنة يكون منسوب أمام الخزان على ٤١٤،٥ ويرتفع تدريجياً فى مدة خمسة عشر يوماً إلى ٤١٧،٢٠ لاعطاء مياه لرى القطن بالجزيرة وتحفظ المياه على هذا المنسوب إلى أول نوفمبر

(١) عشرة أيام فى السودان — هيكل

ثالثاً — من أول نوفمبر إلى ديسمبر يرتفع منسوب المياه تدريجيا الي ٧، ٤٢٠ ويبقى على هذا المنسوب إلى ١٨ يناير

رابعاً — من ١٨ يناير تأخذ الجزيرة كافة احتياجها من الماء المخزون أمام والتصرف الذى يكون في النيل الأزرق فى الروصيرص أي تصرف النهر الطبيعى يمر خلف الخزان كما هو لاحتياجات القطر المصري لغاية أول يوليو حيث يتكرر الترتيب المبين عاليه

ملحوظة — قد اتبع نظام خاص فى الحجز على الخزان هذا العام لعدم أخذ مياه كثيرة فى يوليو يمكن أن يحصل منها ضرر للقطر المصرى وفى أول ديسمبر من هذا العام تم حفظ أمام الخزان على الدرجة المطلوبة وهى ٧، ٤٢٠

ترعة الجزيرة :

أولا — فم الترعة عبارة عن ١٤ فتحة عرض الواحدة ٣ متر وارتفاع ٥ متر والعتب على منسوب ١٠، ٤١١ — من هذه الفتحات سبعة مقفولة بالخرسانة المسلحة، وتعمل الموازنة بواسطة بوابات حديد ترفع بونش يدار بواسطة رجلين

ثانياً — الترعة عرض قاعها ٢٦ متراً وارتفاع المياه بها ٤٥، ٣ متر وانحدار ٧ سنتى فى الكيلو وذلك كاف لري المساحة الحالية وهي ٣٠٠٠٠٠ فدان ومسطاح الترعة يسمح بتوسيعها عند زيادة الزمام

ثالثاً — أول قناطر حجز على الترعة عند كيلو ٥٧ ويتفرع أمامها خمسة ترع ومصرف على النيل لتخفيف المياة بالترعة وعندها يبأ الرى بالجزيرة وكل الرى بالراحة

رابعاً — ثاني قناطر للحجز عند كيلو ٧٧ وأمامها ثلاث ترع ومصرف على النيل للتخفيف ثم قناطر حجز أخري عند كيلو ٩٩ ثم عند كيلو ١٤٤.

وبلغت الأرض المقرر زراعتها بالجزيرة سنة ١٩٢٦ هذا العام ثم رى ثمانين الف فدان قطن و ٤٩٠٠٠ فدان ذرة وعشرة آلاف لوبيا والزراعة حالتها حسنة والمقرر هو أن يزرع مائة ألف قطن ومثلها ذرة وبقول ويترك ألف فدان بور.

السبعة فتحات المقفولة بفم الترعة والمسطاح المتروك بالترعة يسمحان بزيادة الزمام الى مليون فدان

وقد طرأ على بعض مافى هذه المذكرة تعديلات فيما يتعلق بالتواريخ التى

التى تبدأ فيها حاجة مصر لتصرف النهر الطبيعى نعرض اليها حين الكلام عن مشروعات ضبط النيل كافة — كما أن سعة الخزان بعد ملئه للمرة الأولى تبين أنها ٨٠٠ مليون متر مكعب . والمناسيب المذكورة فيها مذكورة بالمقارنة إلى إرتفاع مياه البحر الأبيض المتوسط أما ماورد على مسطاح الترعة وكونه يسمح بتوسيعها عند زيادة الزمام فذلك لأن الخزان يتسع لخزن مياه تكفى زراعة نصف مليون فدان أى ضعف المساحة الحالية إلا قليلا . والسبعة الفتحات المقفلة بالخرصانة من فتحات ترعة الجزيرة يكفى لامداد هذا المقدار بالمياه اللازمة له .

ويحسن أن ننبه القارىء كى يسهل عليه ادراك حكمة تواريخ الملء والتفريغ الواردة فى هذه المذكرة الى أن زراعة القطن بالسودان تبدأ فى أواخر شهر يوليو أوائل أغسطس . فرفع مستوى الماء فى الخزان من ٤١٤،٥ وهو الرقم الموازي لمنسوب الفيضان الطبيعى للنهر الى ٤١٧،٢٠ فى النصف الثانى من شهر يوليو انما يقصد به الى تغذية أرض الجزيرة بمياه الراحة اللازمة لري الأرض وزرعها قطنا . ويبقي هذا المنسوب ثابتا إلى شهر نوفمبر حين تخلو مياه النهر من الطمى ويمكن التخزين . وفى شهر نوفمبر يرفع منسوب التخزين في سنار إلى مستوى ٤٢٠،٧ ويبقي أن نبدأ حاجات مصر للماء لزراعة القطن وتغذية النهر . وإذا كانت أولوية مصر أمراً مقرراً مقدماً به من الجميع فقد وجب البدء فى تفريغ الخزان بحيث تأخذ أراضى الجزيرة كل حاجاتها منه ويبقي تصرف النهر الطبيعى وقفا على مصر . والواقع أن حاجة أراضي الجزيرة للماء تقل بعد شهر يناير الذي تبدأ فيه الجنية الأولى من جنيات القطن ، ينتهى فى شهر مارس فلا تبقي ثم حاجة لغير مياه الشرب : وهذا يكفيها ما مقداره تصرف عشرة أمتار في الثانية فاذا كان شهر يوليو ، ابتدأت الحاجة الي المياه فى الجزيرة لزراعة القطن وابتدأ الفيضان يجعل رفع الماء فى الخزان غير ضار بحاجات مصر بدىء فى عملية رفع المياه فى الخزان من جديد .

كيف نفذ مشروع خزان سنار

يعد السر وليم جارستين مستشار وزارة الأشغال المصرية أول من أشار برى سهل الجزيرة ريا صناعيا فى سنة ١٨٩٩ وذكر ذلك فى تقرير قدمه فى سنة ١٩٠٤ إلى اللورد كرومر قنصل بريطانيا الجنرال في مصر . وقد عرفت زراعة القطن في السودان فقد روى المسيو بونسيه الذي زار سنار مع المبشر

زافريوس دي برفان سنة ١٦٩٩ أنه وجدبها مائة ألف من السكان رائجة تجارتهم فى تصدير القطن إلى حد أن اتفق السلطان الأزرق — وذلك هو اللقب الذى يطلق على أمير هذه المنطقة الواقعة على النيل الأزرق — مع ملك الحبشة على إبقاء ضابط بالنيابة عنه فى شلجا عند حدود الحبشة لتحصيل العوائد على القطن الصادر واقتسامها شطرين يأخذ كل أمير منهما شطراً . كذلك روى بركار الذي زار شندى فى سنة ١٨١٤ أن أهم صادرات سنار كان الدمور المصنوع من القطن كما روي أن مصانع القطن فى سنار وبجرمى هى التى كانت تمون القسم الأكبر من افريقيا الشمالية بالملابس . على أن هذه الصناعة انحطت فى السودان وتدهورت لقيام الصناعة الكبرى فى أوروبا ومزاحمتها الصناعة اليدوية في الأسواق

فعاد السودان إلى زراعة الحبوب وأصبح سهل الجزيرة مخزن حبوب السودان كافة . وقد أدخلت زراعة القطن عند فتح محمد على للسودان ، ثم بعد ثورة المهدى كانت زراعة القطن وصناعته قد تدهورت

ولما قدم السير جارستن تقريره عن امكان ضبط مياه النيل الازرق لري الجزيرة بدأت حكومة السودان في ديسمبر سنة ١٩٠٤ بمساحة أراضي هذا السهل المترامى الأطراف وبتقرير حقوق ملاك هذه الأراضى ، وقد استمرت المصلحة التى انشئت لهذه المساحة قائمة بعملها حتى أتمت القسم الأعظم منه فى سنة ١٩١٢ . كذلك بدأت الحكومة خطاً حديدياً مابين الخرطوم وسنار وبدأت العمل فيه فى سنة ١٩٠٩ ووصلت(١) به الى سنار في سنة ١٩١٢ ثم اخترقت به أرض الجزيرة من جنوبها حتى وصل الى كوستى على شاطىء النيل الأبيض اتجه الى بلدة الأبيض .

وفى أثناء ذلك بدأت الحكومة تجربة زراعة القطن فأقامت فى سنة ١٩١١ محطة طلمبات عند بلدة الطيبة على الشاطىء الغربى للنيل الأزرق ، وحفرت الترع التى تأخذ مياهها من محطة الطلمبات هذه لتغذي ثلاثة آلاف فدان زيدت بعد ذلك الي خمسة آلاف . وعهدت حكومة السودان في القيام بهذه التجارب الي نقابة زراعة القطن بزيداب فى شمال الخرطوم وبدأ نجاح تجربة الطيبة نجاحاً باهراً فى سنة ١٩١٣ . فدعا هذا النجاح الى ضرورة التفكير فى أصلح طرق الاستغلال . وكان لورد كتشنر يومئذ قنصل بريطانيا الجنرال فى مصر

(١) عشرة أيام فى السودان — هيكل

فتوسط فى الأمر وأتم الاتفاق على أن تكون حكومة السودان مسئولة عن الترع الكبرى في كل ناحية يزرع القطن فيها وأن تكون نقابة زراعة السودان مسؤولة عن الترع اللازمة لهم وأن يقوم الزراع بالعمل في الأراضى وأن يوزع محصول القطن الناتج من الزراعة بنسبة خمس وثلاثين فى المائة منه للحكومة وخمس وعشرين في المائة للشركة والأربعون فى المائة الباقية تكون للمزارع كما تكون له سائر الحاصلات التى تنتجها الأرض

فى هذه السنة عينها سنة ١٩١٣ وعلى أثر زيارة لورد كتشنر للسودان مع الفنيين فى الرى من رجال الحكومة المصرية وبعد أن رفضت الحكومة المصرية ضمان القرض الذي أريد اصداره بمبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات لاقامة خزان سنار ونجاح مشروع رى الجزيرة . في هذه السنة أقر البرلمان البريطاني الحكومة الانكليزية على ضمان القرض . وعلى ذلك بدئت الأعمال التمهيدية لبناء الخزان فى سنة ١٩١٤ . لكنها وقفت عند ماشبت نيران الحرب الكبري

وقد رفضت الحكومة المصرية إذ ذاك ضمان هذا القرض لأنها رأت الأمل ضعيفا فى استرداد مادفعته للسودان سدادا لعجز ميزانيته ، ولأن السياسة الانجليزية كان ظاهرا ميلها الى استئثار انكلترا بالسودان بعد أن تكون مصر قدمت له من الأموال مامكنه من الاستقلال ماليا عنها . وربما كان للحكومة وللجمعية التشريعية عند ذلك من العذر أن الأموال التى دفعتها مصر للسودان في السنوات المتعاقبة كانت ملايين كثيرة . وضمان مصر لقرض الجزيرة قد ينتهى بأن تدفعه مصر فتضاف هذه الملايين الى تلك لتعود فائدتها آخر الأمر على انكلترا وحدها .

تنحت مصر إذن عند الاشتراك في استغلال سهل الجزيرة فأقدمت انكلترا بتشجيع لورد كتشنر على الانفراد بهذا الاستغلال وأقر البرلمان البريطانى ضمان الحكومة الانكليزية قرض الجزيرة فبدىء بالأعمال التمهيدية لانشاء خزان سنار ، ثم استعرت نار الحرب فوقفت هذه الأعمال . لكن وقفها لم يمنع من الاستمرار في قيام نقابة زراعة السودان باجراء تجارب جديدة خصوصا بعد ما تقرر أن تكون مساحة الأراضى التى يرويها خزان سنار ثلاثمائة ألف فدان يزرع ثلثها قطنا فى كل عام . فأنشأت النقابة المذكورة في أوائل سنة ١٩١٤ محطة طلمبات جديدة فى بركات لري ستة آلاف فدان . ثم أنشأت بعد ذلك

محطة أخرى لري ١٩٥٠٠ فدان فى ناحية الحوش بدأت استغلالها سنة ١٩٢١ ومحطة رابعة فى وادى النور لرى ثلاثين ألف فدان بدأت استغلالها منذ سنة ١٩٢٢ وكان هذا الاستغلال على قاعدة زراعة الثلث قطناً والثلث ذرة ولوبية والثلث الباقي بغير زرع . أى على قاعدة الدورة الثانية

ولم يكن غاية حكومة السودان ولا نقابة زراعة السودان من انشاء محطات الطلمبات هذه مجرد للقيام بتجارب لزراعة القطن . فقد كانت تجربة الطيبة كافية منذ سنة ١٩١٣ . لكن زراعة القطن كانت قد اندثرت من السودان قبل ثورة المهدي بزمن غير قليل والمصريون المدربون على زراعة القطن رفضوا الاشتراك فى الاستغلال . وقد عطلت الحرب استمرار القيام بأعمال انشاء الخزان فرأت الحكومة ورأت النقابة الاستفادة من هذا الظرف لتدريب أكبر عدد ممكن من المفتشين الانكليز ومن أهالي السودان ومن الوافدين عليه من النيجر والسودان الفرنسى والحث علي القيام بهذه الزراعة ومراقبتها حتى اذا تم بناء الخزان وإنشاء الترع والقنوات في الثلاثمائة فدان أمكن زرع ثلثها أو ما يقرب من الثلث قطناً دفعة واحدة والزراع الوطنيين والمستأجرين الذين مرنوا على زراعته . وأمكنت زراعة ثمانين ألف فدان قطناً على أثر تمام بناء الخزان مباشرة فى شتاء سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦

أما هذه الثلاثمائة ألف فدان التى تقرر منذ البداية أن يتكون منها مشروع رى الجزيرة فتمتد على الشاطىء الغربى للنيل الأزرق مبتدأة عند قرية الحاج عبد الله على بعد سبعة وخمسين كيلو متر إلى شمال مكوار حيث يقوم الخزان « وقد نسى الناس فى السودان اسم قرية الحاج عبد الله وأصبحت هذه النقطة معروفة عند المهندسين باسم الكيلو سبعة وخمسين » ثم تستمر فى امتدادها شمالا على محاذاة النهر وسكة الحديد مدي خمسة وثمانين كيلو مترا . ويختلف عرضها من الشرق إلى الغرب بين أربعة عشر وخمسة وعشرين كيلو مترا ويسير وأمامك هذه الأبعاد أن تتصور هذه النقطة من السهل المطمئن لا تقوم عليه ربوة من الربى ولا عقبة من العقبات محاذية النيل الأزرق المخصب ، وأن تتصور إلى جانب ذلك أنها ليست إلا جزءا من عشرة أجزاء من تلك الأراضى التى يمكن ريها بالمشروعات والتى تبلغ ثلاثة ملايين فدان من خمسة ملايين هى مجموع مساحة سهل الجزيرة . وأن تتصور أخيراً أن هذه الثلاثمائة ألف فدان تقررت

سنة١٩١٣ وهاهى حكومة السودان و نقابة زراعة السودان تراها الآن غير كافية بالحاجة الزراعية مع أنه لم يبدأ بزرعها إلا عام ١٩٢٥ و١٩٢٦ أى منذ عام فقط

لم تكن الثلاثمائة ألف فدان ، كغيرها من أراضى سهل الجزيرة ملكا لحكومة السودان وهى ليست الى الآن ملكا لها . بل هى فى ملك أهالى السودان الذين كانوا يزرعونها على المطر حبوبا . وقد رأت الحكومة أن نظام مشروع الجزيرة لاينتج ثمراته إذا بقيت هذه الأراضى تحت يد ملاكها . ورأت من ناحية أخري انه لابد لنجاح المشروع من أن تكون للأهالى مصلحة مادية فيه . فاستأجرت أراضى المشروع لمدة أربعين سنة بايجار سنوي عشرة قروش للفدان كما اشترت الأراضي اللازمة للترع الرئيسية وغير الترع الرئيسية . من المنافع العامة بثمن جنيه واحد للفدان . وكانت هناك هيئة حددت مساحة هذه الأراضى تحديداً دقيقاً وأتمت عملها في سنة ١٩١٢ وسجلت أملاك الأهالى بأسمائهم

وتحاذى هذه الثلاثمائة ألف فدان ترعة الجزيرة حيناً وتحيط بها حيناً . وقد قسمت الحكومة والنقابة هذه المساحة إلى تسعة عشر قطعة كل منها تبلغ نحو خمسة عشر ألف فدان ثم قسمت كل قطعة مساحات مربعة . وتمر بها الترع الرئيسية الآخذة من ترعة الجزيرة . وبين كل واحدة ومابعدها نحو ١٥٠٠ متر ومن هذه الترع تروى الأرض عن طريق فتحات منتظمة أدق نظام (١)

وقد رأت الحكومة أن قدرة الزارع فى الاستغلال الصالح لايمكن أن تعدو العمل فى ثلاثين فداناً يزرع منها عشرة أفدنة قطنا وعشرة ذرة ولوبية وتترك العشرة الباقية بغير زراعة لذلك جعلت هذه الثلاثين فداناً وحدة مايضع الرجل عليه يده فى أراضي الجزيرة . وملاك الأرض الأصليون يفضلون على من سواهم فى الاستغلال فكل مالك يضع يده على ثلاثين فدانا من أرضه . وجعلت القاعدة أن يكون للمالك حق اقتراح الاشخاص الذين يستغلون سائر ماستأجرته الحكومة من ملكه . وهو غالب الأحيان يقترح من يتصلون به بصلة القربي . ومادامت تقارير المفتشين عن هؤلاء المزارعين صالحة فلا محل لاجلائهم عن الأرض التى يستغلونها

(١) « راجع — عشرة أيام فى السودان — هيكل »

بعد انتهاء الحرب عاد المسيو السندرينى الذى كلفته الحكومة مباشرة أعمال انشاء الخزان وجعل ارتفاع الأسعار على أثر الحرب المبالغ التى قدرت لاتمام البناء غير كافية . على أنه استمر في العمل لحساب الحكومة . وباشر منه قسما غير قليل ورأت حكومة السودان النفقات باهظة . فلما قررت الحكومة البريطانية رفع قرض السودان الى ستة ملايين طرح إكمال بناء خزان سنار فى المناقصة ورسا على محلات بيرسون وأولاده بلندرة فبدأوا العمل فيه من أبريل سنة ١٩٢١ وهم الذين قاموا باتمامه ويبلغ طول خزان سنار ومعه الحوائط الصماء ٣٢٥٠ متراً وعليها شريط سكة الحديد وهناك مذكرة فنية عن خزان سنار وضعها ألفى بك الذى كان مدير أعمال بتفتيش رى مصر بالخرطوم

زيارة سنجة

وبعد مشاهدة الخزان والترعة الرئيسية ركبنا السيارات الي سنجة عاصمة مديرية الفونج ، تلبية لدعوة حضرة الفاضل السيد مصطفى أبو العلا أفندى وعوض أبي العلا أفندي وأخوتهما — وهم من كبار تجار السودان — نشأوا في اسنا وأنشأوا مكاتب ومخازن تجارية فى الخرطوم وبور سودان وسنجة وأم درمان والقاهرة وغيرها



عملية قطع الخشب فى غابة القزازة فى سنجة ـ العمال والاخشاب ثم الآلة فى الطرف الاعلى

وزرنا مدير المديرية مستر ووكر ، وكان طريق السيارات بين سنار وسنجة سهلا وكان الحر شديداً بلغ ٤٢ درجة مع أننا فى الشتاء . . . .

وزرنا الساعة الاولى بعد الظهر غابة القزازة ، حيث شهدنا أشجار السنط ورأينا آلة قطع الأخشاب يشرف عليها أحد اليونانيين وعمال سودانيون معهم البلط والمناشير . وتستعمل الألواح في فلنكات السكة الحديدية وفى أعمدة التلغراف . ولا تصلح لنجارة الأثاث . لأن الخشب خشن لا يقبل النعومة بالفارة ويعطى قاطع الخشب أربعة قروش عن كل متر ويستطيع العامل أن يقطع من الخشب المتر والنصف والمترين فى اليوم ويشتغل العمال فى حرارة الشمس ولا يلبسون غير السروال . ونفاية الخشب وكساؤه يستعملان وقوداً لوابورات نشر الأخشاب والرفاصات . والأرض هناك جيدة التربة تنقصها اليد العاملة وأشجار السنط التى على النيل ملك « لعمر الخضر » وبقية أشجار المنطقة ملك للحكومة

عند آل أبى العلا

وعند الساعة الأولى والنصف تناولنا طعام الغداء في منزل الوجيه مصطفى أبى العلا فى سنجة . وقوبلنا بالحفاوة والاكرام وألقى الداعى خطاباً رقيقاً وألقى كل من حضرات فؤاد أباظة بك والاستاذ على شكرى خميس والسيد محمد عبد الرحيم سماحة كلمات مناسبة للمقام فى بيان فضل آل أبى العلا فى توثيق الروابط التجارية والاجتماعية بين مصر والسودان. واشتهارهم بالصدق. وشكر سكان « سنجة » وقد قوبلت الخطب بالتصفيق

خطبة الوجيه مصطفى أبو العلا

سادتى : إخوانى التجار

بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن اخواني أشكر لحضراتكم جميعاً تفضلكم بقبول دعوتنا . وتحملكم مشقة السفر واحمد الله على سلامتكم

وكم كان بودي لو أن زيارتكم لمدينة سنجة كانت مرتبة فى برنامج الرحلة حتى نكون على استعداد عظيم للقائكم والحفاوة بكم . ولكن رب صدفة خير من ميعاد . فالحفاوة بكم هى محبتكم فى قلوبنا . وهذا الشعور الجميل المتبادل

معكم . والتوفيق الذي يلازم بعثتكم الموقرة . وحسبكم مارأيتم فى بقاع السودان جميعا من البشر والابتهاج . وما يعلقه السودانيون على مجهوداتكم العظيمة من الخير العميم الذى يعود على القطرين بالسعادة والفلاح

وفى هذه الفرصة السعيدة يمكننى أن أذكر لكم ملخصاً بسيطا عن سنجة فهى من أقدم المدن التجارية فى السودان ولا زالت مورداً عظيما للسمسم الابيض والاذرة والصمغ . والاراضى الزراعية بها من أجود أراضى السودان

وأرجو قبل الختام ان أوجه خالص شكري لسعادة فؤاد بك أباظة الذى طالما بذل الجهود الطيبة فى توثيق العلاقات بين مصر والسودان

أيضاً مسيو كنتو ميخالوس الذى يسهر دائما على سعادة السودان ودوام الروابط الاقتصادية بين القطرين والسلام عليكم ومرحباً بكم الفا « تصفيق »

خطبة محمد عبد الرحيم سعادة

أيها السادة :

أشكر الظروف السعيدة التى هيأت لنا فرصة الحضور الى مدينة سنجة وزيارة السادات أبو العلا وأشكر لهم جزيل الشكر على دعوتهم لنا وحسن استقبالهم وجميل شعورهم .

اسمحوا لي أيها السادة أن أذكر مع الفخر ان السادات ابو العلا تجار مصريون أسس المرحوم والدهم محلهم التجارى بالسودان منذ سبعين عاما وسار في تجارته سيراً حميداً حتى وصلوا الآن الي مقام محمود فى تجارة السودان . وقد اتصلوا بتجارة مصر منذ اقامتهم في السودان ولما راجت تجارتهم واتسعت أعمالهم افتتحوا فرعا لهم فى مدينة القاهرة وحازوا فى القاهرة شهرة واسعة وكانوا خير مثل للصدق وحسن المعاملة ويسرنى أن أذكر لكم بعض ما أعلمه عن تجارتهم

ذلك أنهم تقدموا الصفوف فى العمل على زيادة الروابط بين القطرين الشقيقين فاصبحوا بفضل جهودهم التجارية أكثر المحلات التجارية اتصالا بمصر والدلائل كثيرة على استمرار نموهم التجارى

وقد صدروا وحدهم الى مصر فى العام الماضى مايزيد على نصف صادرات السودان الى مصر ولم يقعدهم نشاطهم على تجارة مصر والسودان فحسب .

بل اتصلت تجارتهم باوروبا وأمريكا فكانوا فى مقدمة المصدرين لتلك البلاد من محصولات السودان

هذه عجالة من أعمالهم لذلك أري لزاما علينا أن نفخر بهم ونحي فيهم الشجاعة والاقدام وقبل الختام أكرر لهم شكرى . وأخص بالشكر منهم حضرة مصطفى افندى الذي عمل كثيراً مع مسيو كونتو ميخالوس واخوانه جميع أعضاء الغرفة على تهيئة هذه الرحلة الميمونة

العودة الى سنار

وحوالى الساعة الثانية والنصف عدنا من سنجه إلى سنار . ورأينا فى الطريق بيتا من الخوص به حانوت من القش حيث كانت شابة سودانية « تدعى بنتوم » تعايشية من طاما متزوجة عمرها ١٣ سنة تتولى بيع القهوة والبيض المسلوق .

وفى طريق السيارات حوانيت تقدم فيها القهوة السودانية المعروفة بالجبنة (بفتح الجيم والباء والنون) وهى تصنع من البن العادى الذى يحمص على النار أولا أمام الزبون وتغلى فى اناء من الفخار الأحمر يشبه الابريق الصغير بدون « بزبوز » ولهذه القهوة مذاق خاص يعجب به الدكتور محجوب ثابت كثيراً

ويجلس الدكتور على مقعد خشبي أمام أمثال هذه الحوانيت التى تسمى « رواكب » ويسأل النساء اللواتي يقمن منفردات أو مع الشيوخ بهذه المهنة عادة ، عن اسمائهن وقبائلهن . وطالما استوقفهن وبعولهن فى الطريق يقص عليهم حديثاً فى أنساب القبائل السودانية !

وعند ذهابنا إلى سنجة صاد فؤاد أباظة بك طيوراً ببندقيته وهى « دجاجة الوادى » وقمريا وغرنوباودرا وطيراً ملونا وعدنا إلى محطة سنار الساعة الرابعة مساء وتوجه الدكتور محجوب إلى المستشفى الأميري وهو يسع ١٢٦ سريراً منها ٤٠ للنساء والأطفال وبه أقسام للحميات والجروح وأمراض النساء والعمليات ، وعملت مكمدات لقدم الدكتور . ثم توجهنا ومعنا حضرة الشيخ أحمد عثمان القاضى رئيس تحرير جريدة « حضارة السودان » لنلحق برفاقنا إلى غابة النسانيس ، وهى تبعد ١٩ ميلا عن خزان سنار ومررنا فى طريقنا عند الخزان بحديقة الخزان وتبلغ مساحتها ٨٠ فداناً زرع منها ٤٠ بالفاكهة من موز

وبابای وجوافة وتفاح ويوسفى وغيره وتباع فاكهتها ويسمح للجمهور بالتنزه فيها ماعدا حوض السباحة فهو خاص بالموظفين الانجليز وعائلاتهم ، وكان طريقنا إلى الغابة يقع بين النيل الازرق والترعة الرئيسية ، ومررنا بانقاض مدينة سنار القديمة ، التى هدمتها الحروب ، وكان في سنار ملك ودولة قبل أن يفتحها اسماعيل وقبل ان تحتلها « المهدوية » فى ثورتها وقبل استعادتها مع استعادة السودان . وبين الانقاض جامع كان مكتوبا عليه « بنى بأمر الحاج محمد على » . وكان لملوك سنار صداقة ببنى عثمان . وينتمى الملوك إلى بنى أمية . وكانوا يرسلون فى القرون الخالية بعثات من الطلبة السناريين إلى الجامع الأزهر

وقد جنحت حكومة السودان الى اطلاق « سنار » على « مكوار » ومكوار إسم شخص وضع علما على « حلة » والحلة (بكسر الحاء وتشديد اللام) هى قرية أو عزبة وسمى الخزان أولا خزان مكوار ثم دعى خزان سنار . وسنار اليوم هى المباني الجديدة التى للحكومة من مباني المهندس المقيم وموظفى الري السوداني والمصرى الذى يتولاه المهندس حسن الديب والمحطة والمستشفى . والحديقة والحوانيت المخططة . والحلل المجاورة . وهناك سنار التقاطع — لتقاطع الخطوط الحديدية إلى القضارف والأبيض وهى تبعد عن سنار المركز بنصف ساعة

وفي غابة القردة والنسانيس فى جبل المشايخ حارس وكان العلم المصري موضوعا عن يمين باب الدخول لمكاتب الحكومة وعن اليسار العلم البريطاني وكذلك فى جميع مصالح الحكومة السودانية

وتصاد النسانيس باحدي طريقتين — بعمل حفرة فى جوز هند فيدخل النسناس يده ولا يستطيع أن يخرجها أو بوضع شراب المريسة فى أناء . فاذا شرب منه النسناس أغمى عليه وسهل القبض عليه . وتستعمل الطبقة الارستقراطية جلد النسناس فى صنع الحقائب وغيرها

صيد السمك

الاستاذ عطا عفيفى — من أعضاء البعثة — صياد ماهر فى البر والبحر — وقد اتفق مع صديقه مستر جاكسون مدير محلج الحكومة فى سنار على صيد السمك من النيل الازرق . الذى هو غنى بالسمك فصاد الاستاذ عطا سمكة من نوع العجل وزنها ٢٦ رطلا انجليزيا وأخرى وزنها ٨ أرطال وقد هنأه الاعضاء على مهارته . وتبرع بالسمكتين لمطبخ القطار الخاص . حيث يقدم

السمك عند غداء اليوم التالى — ٤ فبراير

وطريقة صيد السمك الكبير ، أن يستعمل الصائد سنارة مدلاة من حبل طويل مربوط بقصبة من الغاب ، فاذا أمسكت السنارة السمكة ، وجب على الصائد إرخاء الحبل لأنه إذا جذبه اليه قاومت السمكة ، أما ارخاؤها فهو مضعف لقوتها ، حتى بعد ربع ساعة مثلا تصبح بغير مقاومة فيجذبها الصائد بسهولة

حفلة شاى سنار

وأقام حضرات تجار مدينة سنار حفلة شاي تكريما للبعثة عند منتصف الساعة السابعة مساء ، كان يتقدم الداعين حضرات السيد حميدة سر تجار المدينة ووكيل شركة شل ومتعهد مقاولات وتوريدات الحكومة ، والخواجة جورجى هب الريح ، والطيب أحمد سليمان ، ويوسف حامد ، وعباس الضوي ، وعثمان الحسن ، وعبد السلام العجل ، وعزت شامى ، وأكثر التجار من بربر

وألقى حضرة الشيخ خليفة عبد السلام تاجر الحبوب كلمة ترحيب بالبعثة باسم التجار . وأقيمت الحفلة فى دار الخواجة جورجى هب الريح — وهو من أصل سوري — وحضرها مستر كين مفتش سنار والدكتور أحمد عبد الحليم طبيب المستشفى الاميرى وكبار الموظفين

وقال مستر كين : أننى لم أشهد منذ حفلة افتتاح خزان سنار سنة ١٩٢٦ اجتماعا في سنار كاجتماعنا اليوم

وفى داخل بيوت المدينة غرست أشجار الحناء . ويدعى عمدة سنار « الفضل المرجى »

وبجوار سنار حلة الفلاتة — مهاجرى السودان الفرنسي وغيرهم — تدعى « حلة مايرنون » عليها شيخ يلقبونه « بسلطان » يسمى « الحاج الطاهر »

وبسنار مخبز أفرنجى . واستراحات ثلاث :

١ — للحكومة

٢ — للسائحين الانجليز وأمثالهم

٣ — للافندية

وبسنار خزان لماء الشرب الذى يؤخذ بآلة رافعة من النيل الأزرق وثلاجة . فيوضع الماء فى الأزيار

ويورده للمنازل مقاول عنده عمال يحملون الماء في جرادل من صهريج الماء والأجرة تدفع بحسب الدور — والدور قدره صفيحتان من الماء يأخذ المقاول النصف والعامل النصف . والاجرة يتفق عليها بين الساكن والمقاول

وبين سنار وواد مدنى ثلاث ساعات بالقطار وساعتان ونصف بالسيارة وهناك لوريات تحمل بضائع وركابا يدفع المسافر فيها الى واد مدني ٤ قروش ورخصة كل دكان مائة قرش فى السنة ورخصة عربة الكارو عشرون قرشا في السنة وهناك ضريبة على الأرباح تقدر بسبعة فى المائة . وبالمدينة لجنة من التجار برياسة سر تجارها لتقدير رأس مال كل تاجر ومايجب عليه دفعه للحكومة فى السنة وتفتح الحوانيت منذ الفجر وتغلق الساعة السادسة مساء — عند الغروب عادة ماعدا القهاوي ومحلات الشاى فتبقى لمنتصف الليل

وأهالى سنار معروفون باكرام الغرباء ولايوجد بها بار لبيع الخمور — ورخصة الخمر خمسون جنيها في السنة ، وتنار مكاتب الموظفين ومنازلهم بكهرباء مستمدة من الخزان. أما الأهالى فليس عندهم كهرباء . والبضائع اليابانية منتشرة في سنار وفى السودان كله وخاصة الدامور والدبلان والخامات الهندية. وقد شرع ممول انجليزى يفاوض الحكومة فى انشاء مصنع للنسيج بسنار

ومحاصيل سنار : الذرة بأنواعها من فتريتة ودغفر وشامى ودجنى والسمسم واللوبيا وتشتهر بمراعى الابقار ذات اللون الأسود فى بياض والعنق المرتفع ولايوجد بها جاموس وأرض بندر سنار ملك للحكومة وحكر للاهالى وسنار مركز . وأمراض سنار : الملاريا والبلهارسيا والزهرى

وفي الساعة العاشرة مساء ، سار القطار الى محطة سنار التقاطع فوصلها الساعة العاشرة والنصف واتخذ طريقه الى كوستى

الفصل السابع

من سنار الى الابيض

يوم الاثنين ٤ فبراير زيارة كوستي وتندلتي وأم روابة

أسواق الصمغ والسمسم والابقار — بورصات يومية للمبيعات

يلحظ زائر مدن السودان انها نظيفة منظمة ، وان سكانها متحلون بادب وذكاء عارفون للنظام ، على بساطة حياتهم وقلة كسب سوادهم ، وهذا دليل على أن الانسان يستطيع أن يكون مهذبا نظيفا ، ولو كان فقيرا مدقعا وجاهلا . وفى الواقع لقد أدهشنا المواطنون السودانيون بهذه الاخلاق الفاضلة ، والاحتفاظ بالسجايا العربية ، وبالاخذ بشيء من المدنية التى لم تطغ على تقاليدهم الكريمة ، وكثيرا مايحزن القلب ، ان تكون مدننا الصغيرة غير نظيفة ، وان جانبا كبيرا من سكان القري وبعض المراكز قذر الثياب ، أو أنه ينقصهم شيء من الكياسة ، مثال ذلك مارأيته — ورآه غيري — من قذف غلمان القرى والازقة السيارات بالحجارة وتشييعها بصيحة الاستهزاء ، وتدافع الجمهور أحيانا عند استقبال الكبراء بما يحدث مضايقة وتبرما . أما غلمان السودان وأطفاله فلايعبثون ولايفحشون

موظفو الحكومة

وموظفو الحكومة السودانية متحلون أيضا بخلق رضى ، وهم قادرون الواجب نحو الجمهور — هم مدركون انهم خدام الجمهور لاسادته ، ولم يحتج البوليس الى استعمال الهروات للمحافظة على النظام عند اجتماع الالوف ، على تباين قبائلهم وتنابذ عشائرهم

المستشفيات

العناية بالمستشفيات ظاهرة فى السودان والمستشفيات وافية نسبيا ، ومقابلة

المرضى الفقراء حسنة جدا ، ونذكرها مع الاغتباط لمواطنينا السودانيين ، ومع الاسف لما هو سائد في مستشفيات الحكومة بمصر — أو اكثرها — من سوء معاملة الفقراء ، احيانا يضربهم ، فضلا عن اهمال علاجهم

فى كوستى

وصلنا الى مركز كوستى الساعة الرابعة صباحا ووقف القطار في محطتها وكان اكثر الاعضاء لايزالون نائمين في القطار الخاص الذي استمر في سيره منذ سافر الساعة العاشرة من مساء أمس من محطة سنار — وكان الجو باردا

وعند الساعة السادسة صباحا رأينا كبار الموظفين والاعيان يجتمعون قريبا من المحطة ، وموائد الشاي والحلوي والمرطبات قد أعدت لأفطارنا

وفى الساعة السابعة نزل أعضاء البعثة من القطار ، وكان فى استقبالهم وفد التجار وهم حضرات المشايخ : حميدة جامع سر تجار البندر ، وفضل الله بركة حمزه ، وعبد الرحمن جميل ومبروك الطيب وكيل شركة شل ، وسليمان أبو مرين وعبد القادر الشيخ وطه قاسم ، وأحمد كوكو والخواجه هادي جورج استامبولى والخواجه ساراتده انطونا كيس وعبد الكريم أحمد والخواجه ميشيل بربرى والخواجه يوسف معري والشيخ عثمان موسى والخواجه باغوص دورينيان والشيخ دفع الله بابكرن ومن الموظفين حضرات مستر كرول معتمد المركز ومستر هاريسون المفتش والشيخ مدثر القاضى الشرعى والشيخ أحمد الطاي مساعد القاضى الشرعى واليوزباشى عبد الرازق افندى مأمور المركز والعوض صالح الملك أفندى نائب المأمور وبابكر الرياح افندى رئيس الحسابات والشيخ رضوان عبد الرحمن كاتب المحكمة الشرعية وحسين الحكيم افندى المفتش التجارى والدكتور خليل عبد الرحمن طبيب المركز والياس ابراهيم افندي ناظر المحطة والصاغ المتقاعد موسى ابصام والملازم أول المتقاعد سلام مرسال افندى والملازم أول المتقاعد الدود محمد سليمان والملازم أول المتقاعد فرج الله بشاره افندى والملازم الثاني المتقاعد نورين بحر افندى والحارث محمد إبراهيم افندى مترجم المركز وابراهيم حسن افندى صراف المركز وعبد المجيد سليمان افندي كاتب حسابات وعبد اللطيف بابكر كاتب بالمحكمة الشرعية ومحمد حسن عمران مخزنجى ومحمد عثمان حسن رئيس مكتب تلغراف المحطة والشيخ حسن

عبد النور ناظر المدرسة الاولية ، ومن الاعيان : محمد التوم عمدة كوستى والشيخ محمد الطيب امام مسجدها والشيخ يعقوب سلام — ومن تجار ناحية الدويم عبد القادر كريم الدين ومحمد حمودي وعثمان شبيكة وسليمان السباعى والخليفة الحسن والخواجه عبود جرجفليا التاجر بالقويقة

واصطف جميع أهالى البندر وصبيته صفوفا منتظمة فرحة مرحة ووقفت فرقة موسيقي نادي الموظفين بكوستى تحيينا وتطربنا منذ نزولنا من القطار حتى عودتنا ، وهى فرقة مؤلفة من ٢٤ جنديا من جنود الرديف السودانيين الذين كانوا بالجيش المصرى ويعزفون أدواره ، فهتفت بنا ذكريات وهي موسيقى ذات آلات نحاسية وملحق بها قربتان ، وانفارها يلبسون زيا يشبه زى الكشافة ، برباط أصفر فاقع ، وهم مديدو القامة ، عليهم سيماء الشجاعة ولهم سيمة الفروسية وانفار الموسيقى هؤلاء يشتغلون الآن كفلاحين ، ونادي الموظفين هو الذي اشتري لهم الأزياء وآلات الموسيقى وقرر لهم اعانة ، وفى المناسبات يعزفون ويعطى كل منهم خمسة قروش عندئذ ، ولاشك أن من سلامة ذوق سكان كوستى وكياسة موظفيها احياء هذه الموسيقى ، وحبذا لو كانت مراكزنا وقرانا المتقدمة تنتفع بأبنائها من رديفها في إنشاء فرقة للموسيقى وغيرها فاننا نرى الكثير من مدننا الريفية خلوا من المسليات ومن بروز شخصية كل مدينة

وبعد تناول الشاى والتحدث الى هؤلاء الفضلاء والموظفين الاعزاء ، شاهدنا حاصلات البلاد على مائدة .. ثم زرنا أسواق البندر — سوق الحوانيت حيث ترى الدكاكين تنتظمها شوارع مربعة ، ولا تعلوها دور ، وبها بضائع يابانية ومقاهى ومحال أشبهت كثيرا دكاكين المناخلية والتربيعة بالقاهرة ، ويغلب فى التجار وأصحاب الحوانيت أن يتجروا في أصناف كثيرة — هذا ماخبرته فى بنادر السودان كما لحظت أن لكبار التجار دائما فروعا ووكالات فى جميع البنادر .

ثم زرنا سوق الحاصلات وبها بورصة للمبيعات وتحديد الاسعار : وتعقد يوميا صفقات بمزادات والعادة ان اصحاب المحاصيل يسكنون البوادي والجبال ويرعون الماشية ويزرعون الارض الزراعية ويحضرون الحاصلات الي أسواق البنادر القريبة .

وكان موعد فتح بورصة الحاصلات الساعة العاشرة وكانت زيارتنا لها الساعة الثامنة صباحا وهناك مكتب للبورصة له ملاحظ اسمه محمد توفيق فتح الله افندى — وهو شاب مهذب . وتجرى الاعمال فى البورصة كما يلى :

يحضر الباعة الحاصلات الى السوق — والسوق يقوم على فضاء واسع ، بعض انحائه مسور أو مخطط — وتقيد اسماؤهم وأسماء المشتركين فى البورصة في سجل ويعطى لكل بائع ورقة ونمرة نحاسية ، ويوضع محصوله فى مكان معين ، وينادي الملاحظ على الثمن الاساسى ، فى حضور التجار طلاب الشراء وهم مصطفون فتحصل المزايدة ، فاذا استقر الثمن عند حد ، عرضه الملاحظ على البائع ، فان قبل تمت الصفقة وإلا لم تتم ، وقد يستعيد بضاعته من السوق لو شاء وإذا تمت الصفقة ، أعطى الملاحظ البائع ورقة رسمية بها إسمه ونوع بضاعته والقيمة وتاريخ البيع ، وبمقتضاها يتسلم الثمن — وقال لي الملاحظ أن قيمة الورقة كقيمة الشيك .

ثم زرنا سوق البقر ، وشهدنا طريقة حقنه بالمصل الواقي من الطاعون ، وتعلم أبقار كل تاجر بعلامة خاصة ، تسمى « دمغة » وذلك بحديدة تنتهى بنمرة — كنمرة « ٤٤ » فتحمى فى النار وتكوى بها عجل البقر ، وبعد الحقن بالمصل والدمغة ، يجوز شحنه بالسكة الحديد وقبل ذلك لا يمكن الشحن

والبقر فى كوستى ألوان : الأسود والرمادى والأبيض والمختلط بين لونين وأكثره ذو قرون طويلة مقوسة

ثم زرنا المستشفى الأميرى مع طبيبه الدكتور خليل عبد الرحمن وكان معنا الدكتور محجوب ثابت الذى كان يسأل كل مريض ويشخصه ويسأل عن نسب القبائل ، وهو مايحفل به الدكتور محجوب دائما حيث يسأل المواطنى السودانى « جعفرى ، وإلا مولد ، وإلا فلاتة » ويأنس السامعون ، لأحاديث الدكتور .

هذا وتتصل بورصة كوستى مع البلاد الأخرى بالتلغراف لمعرفة الأسعار وتدوينها وقد قرأنا فى سبورة كتب عليها بالطباشير الأسعار كما يأتي :

كوستى ٣ فبراير سنة ١٩٣٥

٤٤ — الصمغ

١١٤ — السمسم

٤٣ — الفول
٧٧ — الماريق
٧٦ — الصفراء
٥٦ — الفترينة
٥٦ — الهجرج

والأصناف الأربعة الأخيرة هى أصناف الذرة التى تجود بها منطقة كوستى ويقابل ما تقدم على السبورة ما يلى :

أم درمان ٢ فبراير سنة ١٩٣٥
٤٨ — صمغ
١٣٥ — سمسم
٥٤ — فول
١٠٠ — ماريق
٩٠ — صفراء
٨٠ — الدخن
٧٣ — القصابى
٦٨ — الفترينة

هذا «وكوستى» مدينة انشئت سنة ١٩٠٤ عرفت باسم تاجر يوناني نزل في منطقتها ويدعى « كوستى » وقد ودعتنا موسيقى الدراويش وهى مؤلفة من نفرين كما ودعتنا موسيقي النادي

فى تندلتى

عند الساعة العاشرة صباحاً الاربعاء تحرك القطار بين الهتاف والتصفيق ، وعند الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٢٠ وقف القطار ونزلنا فى محطة تندلتى ، وهى ليست مركزا ولكنها بندر تجارى ، وقد استقبلنا من التجار حضرات السيد يونس عبد المنعم محمد وهو عضو غرفة الخرطوم التجارية وشريك رفيق البعثة حضرة مصطفى أبو العلا افندى والسيد الفقيه عمدة قبيلة الجمع بكسر الجيم وفتح الميم والسيد أحمد طه الشامى والمشايخ محجوب نعمان ومجدوب فضل الله بركة ومحمد عبداللطيف صادق الامين وعلى عبد اللطيف مبارك ومحمد أحمد عثمان

ادريس وعبد الله موسي ودفع الله الضو وابراهيم مالك وعثمان ابراهيم السيد وعثمان ابراهيم وبشير ابراهيم ومصطفى كوكو ومحمد البشير وسليمان فرج وناظر تندلتى الشيخ المكى أحمد عساكر والشيخ حمد علي عمدة تندلتى وعبدالماجد غرجاج وحمزة على واخوانه ، والخواجات رياض سكله واسكندر جرجس وشفيق ابراهمشه وفؤاد عبد المجيد شكرى الخ .

ثم توجهنا الى سوق الدكاكين ، وتباع فيها الاقمشة اليابانية والانجليزية والمصرية « من نقادة» بالصعيد ، حيث تصنع الغزالى يدويا وتصدر للسودان وزرنا محل تجارة الشيخ يونس عبد المنعم محمد وشريكه السيد مصطفى أبو العلا وآخرين، حيث نظمت موائد الشاي والقهوة. والمرطبات والشكولاته والحلوي، والقى حضرات فؤاد أباظه بك والسيد عبد المجيد الرمالي والاستاذ على شكرى خميس كلمات شكر قوبلت بالتصفيق

وعرضت حاصلات «تندلتى» على مائدة — وهى الذرة الصفراء والفتاريتا وزناري مريح ولب البطيخ والسمسم والدخن والشطة والفول وشهدنا عصارة زيت السمسم الآلية حيث ينقي السمسم ويضغط بين الواح وينزل منه الزيت يجمع فى أواني تحت سطح الارض . وشهدنا العصارة الخشبية يديرها جمل

وفى تندلتى صمغ هشاب وحب بطيخ وتجارة بقر ، ويسكنها عرب الجعليين والبقارة والجوامعة

خطبة السير عبر المجير الرمالى

إخوانى التجار

شكرا لكم على حفاوتكم العظيمة باخوانكم المصريين . لقد كنا مشتاقين اليكم شوقا كثيراً فلم نشعر باى مشقة فى رحلتنا الطويلة من مصر . لقد أنسانا أشقاؤنا السودانيون أهلنا وأصدقاءنا المصريين . نحن نشعر بينكم أننا فى بلدنا بين أهلنا وأحبائنا واني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع اخوانكم المصريين عموما وعن التجار المصريين بصفة خاصة وعن الغرفة المصرية التجارية بالقاهرة بصفة أخص أتشرف بان أبلغ اليكم سلام مصر وأهلها التى حملتنا اياه أمانة لأخواننا السودانيين

نحن نحب أن نراكم فى مصر كما انتا سوف لانسلو أبداً السودان بل نتهز كل فرصة لزيارته .

سنصف للمصريين عند عودتنا جمال السودان وكرم أهله وخصوبة أرضه وكثرة موارده ونرجو أن تكون هذه البعثة فاتحة عظيمة لتوثيق عري التبادل التجارى بين القطرين بما يعود على البلدين بالخير والرفاهية .« تصفيق » اه

ثم عدنا الي القطار حيث قام الساعة الاولي والربع ، وقد القى الحاج عبد اللطيف فى تندلتى ما يلى :

يا ركب هب لي بيانا اقضي به واجباتي
ويا كرام اسمحوالى بهذه الكلمات
لعل ساعات عمرى كهذه العجالات
تمر مرا سريعاً الى مقر الحياة
وعل تخليد ذكرى فى هذه اللحظات
وعل يوما كهذا أبز فيه لذاتى
حسبته يوم انس لكل غاد وآت
اذا به مهرجان للبر والحسنات
شهدت فيه نفوساً بهذه البسمات
بدت خلال وجوه تخشع بالطيبات
أحيت موات رجائى بهذه المبتسمات

فى أم روابة

وفى الساعة الرابعة وقف القطار عند محطة أم روابة

واستقبلنا الاعيان والتجار يتقدمهم حضرات الشيخ على جاد الله عمدة البندر والشايخ عبد الرحمن علوان وابراهيم الكوبانى وعبد الحفيظ عبد الله ومحمد علي السيد وحسين السيد ومنصور سوار الذهب والحاج عثمان محمد صالح وابراهيم البلك والدكتور محمد النيل طبيب المستشفى والزبير محمد التوم افندى مأمور المركز وصديق عبد الوهاب افندى نائب المأمور والمستر لونج مفتش البندر وعبد العظيم حسن .

وسكانها من الجعليين والبقارة وبرنو والفلاتة والهوسة

وركبنا الخيل والحمير التى أعدها لنا المستقبلون من المحطة حتى البندر ، وشهدنا سوق الصمغ والسمسم والبورصة وقد أخروا موعد افتتاحها وهو الصباح خصيصاً لكى نشهد أعمالها ، وهى تماثل بورصات البنادر المتقدم ذكرها

وأردب السمسم فى سوق أم روابة ١٥ كيلة وكان الاردب منه فى سعر بورصة اليوم ١٢٠ قرشا ، ويبلغ ما بيع فيها من أول نوفمبر حتى الآن حوالى ٨٢ الف أردب وكان بالسوق اليوم ٦ آلاف أردب وثمن قنطار صمغ هشاب ٤٢ قرشا وقد ربحت الحكومة أكثر من ٨٠٠ جنيه من النولون

وكانت النساء يزغردن عند وصولنا وعودتنا ،

وتأخذ الحكومة عوائد دخولية على قنطار الصمغ ٨ مليمات وقنطار السمسم ٦ مليمات وقنطار الفول ٧ مليمات وقنطار الذرة ٤ مليمات

ثم سافرنا الى الابيض فوصلنا اليها الساعة العاشرة الا ربعا واستقبلنا التجار والحكام بحفاوة .



الحفاوة بالبعثة ـ حماس جماهير السودانيين

زيارة الأبيض وبورصتها الكبيرة

فى ٥ فبراير سنة ١٩٣٥

حوالى الساعة العاشرة إلا ربعا من مساء أمس الاثنين ٤ فبراير سنة ١٩٣٥ وصل القطار الخاص المقل للبعثة المصرية فى السودان إلى محطة الأبيض ، حيث كان فى استقبالها حضرات مأمور مركز الأبيض وتجارها وأعيانها ، وبعد تحية أعضاء البعثة والتعرف بهم ، بقي بعض المستقبلين فى القطار مع الأعضاء إلى وقت متأخر من الليل . بينما زار بعضنا مدينة الأبيض فوجدوا حوانيتها مغلقة وأكثر سكانها نياماً .

واستيقظنا اليوم مبكرين ، لعلمنا أن البريد المسافر إلى مصر ينقل بقطار الساعة الثامنة صباحاً ، فبادر كل منا إلى إعداد رسائله والرد على الخطابات الواردة اليه ولم يكن الدكتور محجوب ثابت — وهو من جيراني ، فى المركبة ، يعلم بموعد البريد ، ولم يكن قد تلقى خطاباً أو كتب لأحد كتاباً ، لأن الدكتور تشغله الرحلات والأسفار — وخصوصاً رحلة السودان — عن الكتابة ، فقد وجد أهلا بأهل واخواناً باخوان . وهو دائما واجدهم فى كل مكان وخاصة فى السودان !

ولكن يظهر أن الدكتور قد أخذته الغيرة من رفقته ، إذ الفاهم جميعاً منهمكين فى الكتابة ، فطلب من السيد سماحة ورقة ليكتب فيها فاعطاه « كارت بوستال » .

وكان قد حان موعد قيام القطار ، وكان الدكتور من جهة أخرى فى صالونه خالع العذار استعداداً للاستحمام . فنبهت سائق القطار وعامل البريد لانتظار بريد الدكتور . ولما تسلم العامل « رقعة البريد » التى كتبها الدكتور ، سافر القطار فى الحال إلى الخرطوم .

وكان بين مودعى المسافرين ، فتاة بكت متأثرة من فراق جدتها قائلة « مع السلامة ياحبوبة » والحبوبة معناها الجدة ، فقال لها الدكتور :

« وليش تبكى يابنية ... »

فى سوق الصمغ

ثم وصلت وفود المدينة عند الساعة التاسعة صباحاً ، وقد أعد الملاك سياراتهم الخصوصية لأعضاء البعثة . فركبوها فى منتصف الساعة العاشرة صباحاً مع المستقبلين إلى المدينة — إلى سوق الصمغ وهو أكبر سوق له بالسودان ، وهو منظم تنظيما بارعاً ، بحيث لا يغبن منتج ، ولا يضل تاجر ، ولا يوجد للغبن محل .

يقع السوق فى فضاء واسع وقد وضع الصمغ فى أكياس من الجلد — وصمغ الابيض من صنف « هشاب » وبه مكتب ، يديره ملاحظ سودانى إسمه « عباس على رحمة افندى » ، وهناك رفوف وضعت عليها قطع من ألواح صغيرة من أخشاب الغابات السودانية القريبة من الأبيض ، وأهمها خشب الموجنى ، وزجاجات صغيرة بها أنواع الصمغ وبذوره ورسوم ظهرت فيها أشجار الصمغ على اختلاف أنواعها .

وإلى جانب هذا سبورة سوداء كتب فى رأسها ما يلى :

سوق صمغ الأبيض

يوم ٥ شهر ٢ سنة ١٩٣٥

حمير . ثيران . جمال . رسالة

ولا تعنى أسماء الماشية المذكورة انها للبيع ، فان السوق للصمغ لا للماشية وإنما يعنى ذكرها حمولة حمار أو ثور أو جمل .

ويوضع للرسالة رقم — وتتضمن محصول الصمغ لكل بائع — والباعة من أعراب السودان فى البيداء ، هذا وتنبت أشجار الصمغ ، من غير غراس وبدون ري ، وكل ما يفعله الاعرابى أنه يجمع الصمغ من أشجار الغابات والأحراش ويضعه فى أكياس ويبيعه فى أسواق المدن والرسائل تكون على الترتيب : ١ و ٢ و ٣ و ٤ . وأمام رقم الرسالة — على السبورة الحمولة من الحمير أو الثيران أو الابل .

وقبل موعد إفتتاح السوق والجلوس فى البورصة — يدون الملاحظ فى دفتر خاص بيانات الرسائل وأرقامها ، وأسماء أصحابها وتاريخ السوق . ويعطى لكل من أصحابها وصلا . ثم يحضر المشترون — وهم تجار فى المدينة أو وكلاء

لكبار التجار في الخرطوم وأم درمان وبور سودان ومصر . ولكل من التجار أو وكلائهم فى الأبيض دفتر صغير — يدونون فيه بيانات الرسائل كالوارد في دفتر الملاحظ .

وبورصة السودان بناء فسيح به مقاعد أمامها مناضد تشبه مايوجد في حجر التدريس بالمدارس . ولكل مقعد رقم نحاسى معلق في عمود . يجلس أمامه كل تاجر أو وكيله — من المشترين . ولا يسمح بالاشتراك فى مضاربات البورصة ومزادها الا للتجار أو وكلائهم المسجلة أسماؤهم فى سجل السوق . والتسجيل يكون بناء علي طلب يقدم للملاحظ . وكل من حصل علي قيد إسمه يجب عليه أن ينفذ جميع الشروط ، وفى مقدمتها عدم الغش ، ودفع الثمن الذي رسا مزاده علي المشترى فى اليوم نفسه للبائع — وإلا استبعد إسمه نهائياً من السوق وحرم من التعامل فيه . ويسمون صاحب البضاعة بائع الصمغ وغيره « خبير »

وفى السوق سبورة مكتوب فيها ما يلي :

المشتريات الشهرية

٩٦	١٥٧٦	يونس
٨٠	١٥٥٩	العشار
٢١	١١٣٥	البر
٥١	١٠٧٢	الفرنساوي
١٢	٩٩٥	البتو
١١	٨٤٩	محمد طه
٣٨	٧٣٥	اكسبورت
٢٣	٦٩٦	لانسج
٠٠	٦١٧	متري
٧٤	٤٧٠	عدلان
٦٧	٣٦٥	هنري
٩	٢٥٧	شون
٣	٣١	رامجى

الوارد الشهري : ١٠٣٦١٨٧

الثمن ٣٢٥٦٩٧٥

المتوسط الشهرى : ٣٨٢

وقد فتح السوق اليوم الساعة العاشرة والدقيقة ١٠ صباحاً وانتهى الساعة العاشرة والدقيقة ٣٥ — وكان وارد اليوم إلى السوق ٦٠٠ قنطار من صمغ هشاب . والسوق مفتوحة يومياً .

وبعد أن راجع الدلال والتجار البيانات المشار اليها ظهر اختلاف مرة واحدة فقط فرفع التاجر أصبعه فقال الدلال « فيه ملاحظات » وصحح الخطأ . ثم بدأت العملية . وعند بدئها يفتح صاحب رقم ١ المزاد ، ويقف الدلال على منبر ومعه جرس وأمامه الكشف وفى يده قلم ويشير إلى أصحاب رقم ٢ و ٣ وهكذا لكى يزايدوا ، حتى إذا انتهت المزايدة سأل الدلال «الخبير» — أى « البائع » — « بتبيعوا » ؟ فيقول « نبيع » .

وعند انتهاء المزاد يعطى الملاحظ لكل بائع ورقة يتسلم بها الثمن من المشترى فى الحال ويوزن الصمغ ويقيد وزنه في الورقة . وقد بيع قنطار الصمغ بمبلغ يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ قرشاً والصمغ القديم بين ٣٥ و ٤٠ قرشاً

وقد أعدت لنا فى بورصة الصمغ كراسى جلسنا عليها بجوار مقاعد التجار وشهدنا العملية تجري فى نظام وسكون . وقد عزم تجار البعثة على اقتباس هذه الطريقة وتعميمها فى البلاد المصرية ، لأنها تعود بالخير والراحة والنظام على التاجر والبائع .

وانصرفنا إلى مخازن تنظيف الصمغ وهى مخازن أعدت للتجار المشترين ، ويشتغل فيها فتيات ونسوة من كل سن وتأخذ كل منهن ٢٥ مليما أجراً على تنظيف الصمغ الذي يملأ كيساً « زكيبة » وكان الفتيات في أزياء جديدة ملونة وبضفائر مجدلة لمناسبة زيارتنا ، وقد زغردن وطفقن ينشدن ويبدعن ويرقصن في أثناء زيارتنا ، كأنهن فى عرس وزفاف .

وقد أطلق الدكتور محجوب نفسه على كامل سجيتها وحريتها مع الفتيات العاملات في تنظيف الصمغ وكان يعاونهن فى أناشيدهن ويصفق معهن ، وقد أخذت له صور عديدة وهو فى وسطهن . وقد أخذت للاعضاء معهن صور عديدة . وكانت ساعة سعيدة تلك التى قضاها الدكتور والأعضاء فى مخازن تنظيف الصمغ ! وكنا نشعر أننا في ليلة زفاف أعدت لزيجات متعددة فى ساعة واحدة . واختار الدكتور محجوب أربع فتيات أعجب بهن وقدود لو تكون إحداهن زوجاً صالحة له .

وقد بلغ من فرط ابتهاج الدكتور والأعضاء بهذه الزيارة أنهم تأخروا عن موعد زيارة سوق الحاصلات وسوق الماشية .

وبهذه المناسبة نذكر أن حضرة فؤاد أباظة بك قد أعد شريطاً سينمائياً بمناظر الرحلة كلها — وسيري مواطنونا مشاهد زيارة اليوم بين مناظر الرحلة وسيشاركوننا الابتهاج والأفراح والليالى الملاح !

زرنا بعد ذلك سوق الحاصلات من سمسم ونحوه . وقد قال لنا حضرة نائب المأمور أن تجربة بورصة الصمغ فى سوق الحاصلات لم تفلح . ولذا فالبيع في سوقها بالممارسة لابالمزاد .

ثم زرنا سوق الماشية وبه خراف وأبقار . وثمن الأقة من اللحم الضأن المذبوح قرشان ونصف ولحم البقر قرش ونصف القرش

ثم انتشرنا فى شوارع المدينة حيث زرنا متاجرها وحوانيتها ورأينا تجاراً من مصر وسوريا ولبنان وتجاراً من الهنود واليونانيين والأرمن ، فضلا عن تجار المدينة — وقد احتفوا جميعا بنا واستقبلونا وتنافسوا فى إكرامنا .

وزار بعض الأعضاء مطار الأبيض ، ومسجدى المدينة — مسجد الأبيض الذي بنى سنة ١٩١٢ في عهد الجيش المصري ومسجد الاسماعيلية . والمسجد الأول واسع وانيق به مئذنتان وبه مكان خاص يصلى فيه السيدات صلاة الجمعة ، وبه حلقتان لدروس الدينية عقب صلاة العشاء وقد صلى الشيخ المحترم السيد أحمد أبو الفضل صلاة العشاء بمسجد الأبيض . وهنا حضر معنا الدكتور محجوب وعرف المصلين بأن السيد أبى الفضل نجل المرحوم الاستاذ الأكبر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ المالكية والأزهر سابقاً

وزاروا أيضاً الاسبتالية الأميرية وبها ١٢٠ سريراً وثلاثة أطباء كبيرهم انجليزى

وبالمدينة كنيسة انجليزية وكنيسة للروم الكاثوليك وكنيسة للاقباط الأرثوذكس

وكان ماء الشرب فى المدينة من الآبار وكان ثمن الصفيحة يصل إلي ثمانية قروش خصوصاً فى الصيف وكان من يملك بئراً يملك ثروة بسببها وقد أنشأت الحكومة آلة لرفع الماء من بئر ارتوازى وأقامت مستودعاً عالياً ، ومواسير بحنفيات فى المنازل باجرة معتدلة معينة . ولكن الفقراء مازالوا يشربون من ماء الآبار

وقد خصص للماشية مكان للشرب يؤخذ ماؤه من الآبار .

وهناك أسواق منظمة — سوق للخضر ، وسوق للحم ، واللحم يذبح فى مجزر تحت اشراف طبيب بيطرى ويختم ، وسوق للفاكهة ، وسوق للنسوة ويتولى البيع فيه سيدات يبعن خبزاً وخرزاً وحبوباً الخ

الفلاتة والحلبية

وفى خارج المدينة منازل من الاخصاص وغيرها لفئة تعرف باسم «الفلاته» بتشديد اللام وهم مهاجرو السودان الفرنسي ونيجيريا وجنوبي السودان ونحو ذلك ، يحضرون مع عائلاتهم إلى السودان للحج مشياً على الأقدام لفقرهم المدقع فاذا عادوا من الحج فضل الكثير منهم العمل فى السودان كزراع وخدم وفعلة وحمالين ، لأنهم لا يأنفون من العمل ، فوق حاجتهم إلى القوت الضروري ، ولأنه ليس لهم فى بلادهم الأصلية ما يغريهم بالعودة اليها ، خصوصاً وأن صغارهم وزوجاتهم معهم فى حجهم .

ولكن سكان المدن يعدونهم غرباء ويأنفون من الزواج منهم ، فاحتفظ الفلاتة بعاداتهم ولهجتهم . ونساؤهم سافرات الوجوه ، وأكثرهن يعملن فى تنظيف الصمغ . وهم من قبائل منوعة . ويوجدون دائما حوالي المدن .

أما «الحلبة» أو «الحلب» بفتح الحاء واللام فهم فئة الغجر ، وهم يشتغلون بالحدادة . ويعيشون فى بيوت من الشعر ونحوها خارج المدينة وبعيداً عن سكانها وعن أعراب الصحراء وعن الفلاتة .

وفى الأبيض مدرسة أولية للبنين ومدرسة للبنات ومدرسة يونانية . وحى للموظفين الانجليز . وملاعب للتنس . وترام تمتد خطوطه من المحطة إلى مخازن التجار ويمر ببعض الشوارع ويجره ثوران ، وتحمل مركباته البضائع وفى النادر يركبه الناس . ويوجد فرع لشركة سنجر يديره مواطننا زكى بطرس افندى ويبيع الفرع ١٥٠ ماكينة فى السنة ويعهد إلى بعض خريجات مدرسة الخياطة للبنات بتعليم مشتريات الماكنة الخياطة . والمنازل مبنية من الطوب الأخضر والمحروق المسمى «قلوص»

وتوجد فى الأبيض فرقة من الهجانة والحملة الميكانيكية ، وهى مؤلفة من خمسة بلوكات وسيارات مسلحة . ويوجد فرع للبنك الأهلى . ويوجد جن

بقرى وعسل نحل . والبضائع اليابانية تغمر السوق . وأرض السوق حكر للحكومة ويؤجرها الأهالى لمدة طويلة ويبنون عليها الحوانيت لمدة ٤٠ سنة عادة ، وعند انتائها تسلم للحكومة من غير بناء . وإذا أعدت الحكومة أرضاً للتأجير أقامت مزاداً . وتتراوح أجرة المتر فى السنة بين ١٥ مليماً و ٢٠ قرشاً وجو الأبيض معتدل فى أكثر فصول السنة وأرضها رملية ، ولشوارع المدينة بفط وهى لوحات من الخشب مكتوب على كل منها بحروف صغيرة اسم الشارع بالعربية والانجليزية . واللغة الانجليزية تسود أكثر مكاتبات الحكومة .

مأدبة غداء وحفلة شاى

وقد أقام أعيان المدينة وموظفوها مأدبة غداء وفي المساء حفلة شاي في ساحة مولد النبي فى سرادق كبير حضرها مستر بريدن نائب المدير لأن المدير مستر نيوبولد كان متغيباً ومستر كوليات مفتش المديرية ومسير آجلن مفتش المركز ، وحضرات التجار والأعيان الأفندية والمشايخ : محمد أحمد الامام سر تجار الأبيض ، وعمر التنى نائب ناظر البندر ، ونايل عثمان وبناجة حسن ، وعبد الرحمن محمد صالح ناظر المدرسة الاولية ، وفضيلة القاضي الشرعى الشيخ عبد الله أمين ، ومجدوب على حسيب نائب القاضى الشرعى ، وعبد الله أحمد عجل خير ، ومجدوب البر ومحمد باي عوض خليل ، وعبد الله الفقيه وبشير الفقيه وعبدالرحيم مبارك ، والدليل المحسي وحسن أبوه ، ومكى الياس ، وعوض الكريم النشر وكلنج همشتد ، وجورج بريمو ، وشماع بريمو ودلماك ، كوركوجيان . وجندى نخله . وانطون الحياح وكيل الشركة الغربية للصمغ . وميشيل ميخاليديس صاحب محل أبو نجمة ورئيس الجالية السورية حضرة قناوى افندى واخوته وكوتكوجيان ، وفارس عجم . وجورج فتال . وسيد أحمد نور . وميخائيل مصرية وديمتري ميخائيل قسيس الكنيسة القبطية . ولطيف نخلة افندى باشكاتب المديرية ومن الضباط المتقاعدين اليوزباشى صادق الجزولى والحاج عبد الرحمن محمد وعبد الله عدلان والملازمين الأول عبد المنعم عبد الله وحسن عبد التام ومحمد مصطفى

وقد بذل حضرة الشاب المهذب الفاتح محمد البدوى افندي نائب مأمور مركز الأبيض مجهوداً كبيراً في تنظيم حفلات الاستقبال والغداء والشاي والتوديع

وألقى حضرات فؤاد أباظة بك كلمة شكر ثم ترك الكلمة لمندوبي التجارة فخطب السيد محمد عبدالرحيم سماحة والوجيه على شكرى خميس والسيد عبدالمجيد الرمالى فاجادوا

خطبة الوجيه محمد عبد الرحيم سماحة بالابيض

أيها السادة :

لم يكن لى أن أقول شيئاً بعد الذى سمعتوه ولكن دفعنى للقول لكم عوامل كثيرة أثارتها في نفسي هذه المظاهر الفخمة التى قابلونا بها : ففى مساء الامس شئتم الينا بالقطار بعد ما أسدل الليل ستاره وكنتم فى حاجة الي راحتكم ولكن أبت عليكم مروءتكم الا أن تطوقونا بجميلكم واليوم هو يوم مشهود تجلت فيه كل المعاني التى تخالج نفوسنا ونفوسكم : وجوه مستبشرة وثغور ضاحكة ونفوس مشوقة إلى اللقاء بعد طول الغياب فالحمد لله والثناء له جلت قدرته فقد جمع بين الشقيقين بعد أن ظنا ألا تلاقياً

اخواني — كنا نحسب للسفر ومتاعبه حساباً ولكن حسابنا لم يكن صحيحاً. فعند ما نزلنا الى بور سودان وجدناها زاخرة بالمستقبلين من الاجانب والوطنيين وبالغوا فى الحفاوة بنا وذهبنا الى سواكن الخالدة فرأينا عظمتها التاريخية وبيوت الكرام فيها لازالت قائمة وعدنا الى بور سودان ومنها الي كسلا والقضارف وسنار وسنجة وكوستى وتندلتى وأم روابه فزرنا المدن وقطعنا السهول والغابات وكنا في كل بقعة من بقاع السودان المترامية نقابل فيها بكل مظاهر الحفاوة. وجئنا كم فوجدناكم قد جمعتم كل الحفاوات فى حفلاتكم . وقد يملك السرور على انسان كل مشاعره حتى يفقده قوة التعبير عما يخالج نفسه . فان عجزت فاني لا أعجز عن أن أتلمس من كل هذه المظاهر معنى سامياً فوق كل المعانى ذلك هو قوة الله تعالي . فالله أكبر الله أكبر الله أكبر .

كيف لا وقد خلق الله مصر والسودان ارضاً واحدة تسقى بماء واحد

اخواني . هل تعلمون ماهي أغراض البعثة المصرية للسودان . ان أغراضها اقتصادية زراعية تجارية — فمنا أعضاء الجمعية الزراعية والنقابة الزراعية وجمعية خريجى مدرسة الزراعة وتجار مصر والاسكندرية وذوو فضل من المصريين كل اؤلئك جاءوا فى البعثة المصرية ليدرسوا أحوال السودان عن رؤية وروية

ولكى يعملوا كل مجهود فى سبيل زيادة الروابط بين البلدين .

اخواني — سهلت لنا رحلتنا حكومتكم السنية ورجال غرفتكم التجارية وعلى رأسها جناب مسيو كونتو ميخالوس واخوانه الأماجد خصوصاً الذين رافقونا من بور سودان وبدأنا مباحثاتنا على ضوء الحقيقة ورأي العين — واني وان كنت لا أنكر عليكم أن الاحصاءات الرسمية دلت على أن مصر هى أول سوق لحاصلاتكم وأنتم لاشك واثقون . أننا سنعمل متفقين مع غرفتكم بالخرطوم على زيادة النمو التجارى .

وحتى تتحقق أمانينا وأمانيكم أرجو منكم أن تتصلوا بغرفة الخرطوم بكل ما يعن لكم من اقتراحات أو طلب تسهيلات فى سبيل تجارتكم مع مصر . ونحن من جانبنا سنعمل كل مجهود في سبيل ذلك

واذا كانت الأبيض من أقدم مدن السودان فى التجارة فانا نراها لاتزال فى مقدمة مدن السودان التجارية . ويسرني جدا أن أعلن فيكم أن تجار مصر يفضلون دائما حاصلات مديرية كردفان خصوصاً الأذرة الزنارى التى صدرتم منها وحدكم فى العام الماضى مايزيد على عشرة آلاف طن . كذا الفول . كذا حب البطيخ وارد الاضية والنهود والابيض . وقد صدرتم منه فى العام الماضي سبعة آلاف طن لمصر وهو مايوازى تسعين فى المائة من محصولات السودان جميعه . وطبعا لاتجهلون ان محصول حب البطيخ ليس له تصريف عندكم الا لاسواق مصر . أليس كذلك ؟

اخواني — هل لى بعد أن أطلت عليكم الكلام أن أرجو منكم التفاتاً الي محصولات وصناعات مصر لتزيدوا صادراتنا اليكم فتكونوا بذلك قد حققتم بعض ماننشده جميعا من زيادة الروابط بين البلدين

إخواني أرجو أن تتقبلوا منا خالص الشكر وأخص بالشكر جناب نائب المدير وحضرة نائب مأموركم الهمام وحضرات أعضاء لجنة الاستقبال وكذا حضرة الشيخ خليل عكاشة الذي هيأ لنا كل مظاهر السرور والتفريح ونحن فى زيارة محل تنظيف الصمغ التابع للسادات أبو العلا ويونس بادارة حضرته

ولتعلموا ان محبتكم في نفوسنا خالدة الى يوم الدين . واننا نودعكم ولكن الى اللقاء القريب . وأنتم في خير ونعيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خطبة السير عبد المجيد الرمالى

جناب نائب المدير حضرات التجار والاعيان المحترمين :

في اليوم الذى تطأ فيه أقدامنا أرض الأبيض . وتصافح فيه أكفنا أيدى مواطنينا وإخواننا الكرام أبناء السودان السعيد ونزلائه الافاضل تهتز كل مشاعرنا طرباً بترحيبكم وتخفق قلوبنا بالتفاؤل البالغ حده بان الله سيكتب لأبناء النيل صفحة جديدة فى تاريخ الصداقة والتعاون بين القطرين اللذين ظلا ألوف السنين مرتبطين بأقوي روابط الدم والجنس والدين والجوار وكل ما يمكن أن يوجد بين أمتين شقيقتين . لقد كنا مشتاقين اليكم شوقاً كثيراً كذلك جئنا اليكم فرحين مسرورين بلقائكم تتحرك في نفوسنا عوامل كثيرة تملك علينا مشاعرنا وتهتز لها حواسنا فان تاريخ مصر والسودان قد ارتبطا بصلة طبيعية منذ ربط النيل بينهما لاتفصمها الأجيال .

لقد جئنا وشاهدنا بأعيننا مبلغ التقدم الذي وصلت اليه بلادكم بفضل جهادكم ومثابرتكم وان المصريين جميعا يرجون لكم كل رواج فى التجارة وتقدم فى الزراعة وإرتقاء في العمران .

إني أحمل اليكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن الغرفة المصرية التجارية بالقاهرة آلافا بل ملايين من التحيات الطيبات الصادرة من قلوب عامرة بحب السودان وأهل السودان وها هى بعثتنا قد جاءت اليكم لتوطيد العلاقات الاقتصادية بين القطرين التوأمين . فنرجوا من الله أن يحقق آمالها

وإنى انتهز هذه الفرصة السعيدة لاعبر عن شكرى الخالص لحضرة فؤاد أباظة مدير الجمعية الزراعية الملكية وجناب المستر كونتوميخالوس وزملائه الافاضل أعضاء غرفة الخرطوم الذين هيأوا لنا هذه الرحلة المباركة التى تركت أثراً طيباً في نفوسنا والتى نرجو أن يعم خيرها على القطرين الشقيقين إن شاء الله .

فى القضاء الشرعى

الشيخ عبد الله الأمين هو القاضى الشرعى لمديرية كردفان وقد حادثته فى شؤون القضاء الشرعى وبهذه المناسبة أذكر أن عدد قضايا الابيض الشرعية ٤٣٠ قضية في سنة ١٩٣٤ وجلسات القضايا في أيام السبت والاثنين والاربعاء

لنظر النفقات وتعقد جلسة فى كل من يومى الاحد والثلاثاء لنظر قضايا التركات ويتخرج القضاة الشرعيون من قسم القضاء الشرعى بكلية غوردون ويعين المتخرج أولا فى وظيفة عامل قضائى بمرتب ثمانية جنيهات ويتعلم الآن الانجليزية فى الكلية . وكان مرتبه قبل ادخال اللغة الانجليزية خمسة جنيهات ، وتكون درجته السابعة ، فاذا عين قاضيا منح الدرجة السادسة

ومما يذكر في القضايا الشرعية انه قد عرضت على فضيلة الشيخ احمد عثمان القاضي زميلنا رئيس تحرير جريدة حضارة السودان فى أثناء توليته القضاء الشرعى فى الابيض قضية زوجة من « الفلاتة » تزوجت أربعة رجال ـ ونشأت هذه الحادثة من حياة أفراد الفلاتة نفسها ، فهم عرضة للتنقلات . فتزوجت هذه المرأة من رجل ثم انتقلت الى بلد آخر — لان رجال الفلاتة يعملون منفردين عن نسائهم اللواتى يشتغلن أيضاً ويكسبن القوت من عملهن كما سبق ذكره — فتزوجت المرأة المذكورة بآخر من غير أن يعلم بانها متزوجة . ثم تزوجت بثالث ورابع وكل زوج لا يعلم بالازواج السالفين . فجاء الزوج الاول فطلبها للطاعة وفى أثناء القضية ظهر الزوج الثالث . وباستقراء حوادث القضية ظهر الزوج الثانى فاعلنته المحكمة بالحضور ، وثبت للمحكمة ان المرأة زوجة لاربعة رجال ، فقضت ببطلان الزيجات الثلاث الاخيرة وبانها زوجة للاول فقط .

أخبار منوعة

كانت المسافة من أم درمان إلى الأبيض ١٨ يوما على الجمال فأصبحت منذ انشاء السكة الحديدية سنة ١٩١٤ ـ ٢٤ ساعة

وقد زرنا بالابيض دار خليفة المهدى وهى أنقاض تخلفت من دار المديرية في عهد حكم الحكومة المصرية حيث كان المرحوم محمد سعيد باشا مديرا لمديرية كردفان ، فلما هزمه المهدى حوصر فى هذه الدار واطلق الرصاص عليها ، وخلفت قنابل المدافع المهدية أثرا فى جدرانها . واحتلها المهدى . ومنها كان ينظر الى الجيوش . ثم سكنها . ولم يبق منها اليوم غير الباب والغرفة التى فوقه

وهناك لوحة لاعلانات الحكومة عن العطاءات والتنبيهات الخ فى وسط المدينة . وبها مدرسة ابتدائية تلاميذها ١٥٠ ، وبها ١٢٥ قبطيا و ١٤ أرمنيا و ٢٣٦ سوريا و ٥٥ يونانيا وسكانها حوالى ٤٠ ألفا

والقبائل : جعليون وكبابيش وحمر بفتح الحاء والميم وشنابلة وجوامعة الخ

ويشتد الحر في شهور أبريل ومايو ويونية . وهو معتدل فى الشهور الاخرى بارد أحياناً .

وفى حفلات الأفراح يستعير صاحب الحفلة الكراسى والأثاث من أصدقائه . وكذلك فى المأتم ، حيث تفرش الارض بالسجاجيد ويجلس المعزون عليها . وتوزع أجزاء القرآن الكريم على الفقهاء فيقرأها كل منهم بصوت منخفض . وللمدينة ضواري والضواري هى الضواحى او الحلل .

ويوجد بها المخبز الأهلى لصاحبه جندي نخلة افندى ويدعون الزوج «أخو البنات»

وقد توجهنا مع الدكتور محجوب والسيد احمد أبو الفضل الى قهوة بلدي حيث سمعنا الغناء التالى

سيدة وجمالها فريد خلقوها كما تريد
فى خدودها وضعوا الريد

وقد دعا نائب المدير حضرات رشوان محفوظ باشا وفؤاد أباظة بك ومسيو كونتميخلوس لتناول الطعام على مائدته نيابة عن الأعضاء الذين كانوا في حفلة التجار . ثم سافرنا مساء من الابيض

حفلة المسيو كونتوميخالوس

احتفلنا مساء اليوم بالقطار بذكرى ميلاد مسيو كونتوميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم اذ بلغ الثانية والخمسين . فأديرت المشروبات والقي فؤاد أباظة بك كلمة والدكتور محجوب ثابت ونحاس بك خطاباً ذكر فيه فضل المحتفل به وعلاقة مصر باليونان واتصال المدنيتين فصفق الحاضرون الدكتور

ويرجع تاريخ كونتوميخالوس الى سنة ١٩٠٣ اذ حضر الى الخرطوم للعمل مع خاله فى دكان بقالة. ثم انشأ بجده محلا مستقلا ، نمت فروعه فى مدن السودان ، ثم اشتغل بجميع صنوف التجارة ، شراء حاصلات السودان وبيعها وتصديرها والشحن والتأمين والملح وانشاء المحالج ، وفي سنة ١٩٢٩ سافر إلي لندن حيث أسس مع الممولين البريطانيين شركة رأس مالها ٧٥٠ الف جنيه له فيها ١٥٠ ألف جنيه بأسهم واسميت الشركة باسم شركة كونتوميخالوس ودارك وهو شديد الرفق كثير المعاونة للتجار الوطنيين فهو يذكر فضل السودان في تكوينه وثروته ، وعلاوة على ذلك لحضرته أملاك . وهو مثل يضرب على الصبر والجلد ، ومجد يذكر للشعب اليوناني الكريم

قبائل تتحضر ومذهب العرى

أحسب القارىء المتابع للمقالات السابقة قد أدرك أن السودان لا يزال يعيش على نظام القبائل . وأن هذه القبائل تسكن الجبال وتنتشر فى البوادي وأحياناً تجاور الغابات والوحوش الضارية ، بل أن هناك فى مديرية كردفان التى زرنا عاصمتها الأبيض أمس ، توجد قبيلة تدعى — النوبة — تسكن جبال النوبة العليا ، وتعيش فى حالة من البداوة على مذهب العرى ، ذلك إنهم ، رجالا ونساء ، يعيشون عارين ، حتى من غير خرقة تستر موضع العفة من ابدانهم . ويتوجه بعض سكان المدن والسائحين بالسيارات لزيارتهم وأخذ صور لهم هم مازالوا على الفطرة . ولكن هذه الفطرة لم تدنس عرضهم ، وهم يسكنون المغاور والكهوف ويصيدون الحيوانات ولا يعتدون على أحد ، ويرقصون ويدندنون ، وأحياناً يرعون الماشية .

لكن هذا استثناء فان أكثر قبائل السودان عربية الأصل محافظة على الصفات العربية الأصلية كالكرم والشجاعة والأخذ بالثأر والانفة . ولكن بقيام الحكم المصري فى السودان ثم على عهد محمد على ، أخذ السودان يتحضر . فظهرت مدن جديدة . أدخلت فيها الحضارة الحديثة من حيث إنشاء المباني والطرق ومن الخطوط الحديدية والمدارس ومدن السودان هى فقط نقطة ارتكاز للقبائل الضاربة فى الصحاري والجبال . فتخرج اليها في مواسم الزراعة أو بيع محاصيل الأشجار ولهذا نجد فى كل مدينة خليطاً من القبائل المختلفة فى السودان ومن نيجيريا والصومال والاريترية والحبشة والكونغو واليمن والحجاز والهند ومصر وأكثرها محتفظ بأنسابه وأصوله متعلق بقبائله .



الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدى

الفصل الثامن

عند السيد عبد الرحمن المهدى

مشروعات هندسية وزراعية واسعة

جزيرة آبا في ٦ فبراير

يطالعنا كل يوم بجديد فى السودان . فتتجدد حيرة القلم المتعب المشتت . يحركه رأس قد تزاحمت فيه المشاهد وانعكست صورها في خزانته — صور شتى لا تكاد تستقر حتى تزاحمها صور أخري أكثر أشعاعاً وأوسع نوراً

هكذا أبدأ الكتابة في وصف زياراتي مع حضرات أعضاء البعثة المصرية في السودان لمزارع حضرة صاحب السماحة السير الشريف السيد عبدالرحمن المهدى

بالسيارات الى جزيرة أبا

وقف القطار الساعة الثامنة من صباح اليوم بمحطة كوستى . وفى الساعة الثامنة صباحاً ركبنا السيارات الى جزيرة أبا : وقد تفضل حضرة صاحب السماحة الشريف السير السيد عبد الرحمن المهدي فأبي واسع كرمه إلا أن يرسل الينا سيارته وسيارات أخرى إلى محطة كوستى وكان مقرراً أن نسافر إلى جزيرة أبا فى سفينة بخارية ولكن صاحبها لم يتمكن من إرسالها . فبادر سماحة السيد المهدي بتكليف نحو خمسة آلاف عامل باقامة جسر على خور النيل الأبيض لمرور السيارات فاقاموه فى ١٥ ساعة وتمكننا من أن نمر بالسيارات فوق الجسر يوم الثلاثاء « أمس » . وكان فى استقبالنا فى كوستى وعند الجسر من آل المهدى أصحاب الفضيلة . السادة محمد السيد عبد الكريم ونجله السيد صديق عبدالرحمن المهدي وعبد الله الفاضل والسيد الطيب الحلو وجعفر شرفى ومحمد أحمد شرفى وخالد شرفى وحسن الامير وعبد الحميد المهدى والسيد عبد الكريم ومحمد عبد الكريم ومحمد خليفة الشريف

ثم وفد الخرطوم وعلى رأسه أصحاب السيادة والأفندية : عبد العزيز القبانى وعبد المنعم وابراهيم محمد وابراهيم عامر

ووفد أم درمان وعلى رأسه حضرات عبد القادر العتبانى وصديق عيسى ومحمد أحمد نقد وحسين خليل ودفع الله شبيكة وبابكر بدرى ناظر مدرسة الاحفاد وكوكو عبد الله وابراهيم السيد وعبد الرحمن عبد الله والسيد عوض الجعلى وسالم حسن أبو زيد وداود قنديل واليوزباشى موسي الطيب هاشم وعبد القادر الدالى والبكباشى أحمد عقيل والحاج عبد الرحمن وحسين خليل

والسيد عبد الرحمن المهدى هو نجل المغفور له زعيم السودان الأسبق السيد محمد أحمد المهدي الكبير(١) الذى تلقى العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم على فريق من أجلاء علماء السودان فقرأ الفقه على الشيخ محمد الخير وعبد الله بربر، والنحو والبلاغة على الحسين الزهرة والفقيه الأمين الضريرى، وأخذ الطريقة السمانية على الشيخ محمد شريف نور الدايم من أولاد الطيب.

وكانت جزيرة الأشراف بمديرية دنقلة مسقط رأسه — وهى أيضا مسقط رأسه — وهى أيضا مسقط رأس الدكتور محجوب ثابت «الدنقلى» وقد انتقل السيد المهدي الكبير مع والديه وشقيقه الأكبر الى قرية كررى «بفتح الكاف والراء» وكان اخوته وأعمامه من صناع المراكب الشراعية وتجارها، ثم انتقلوا الى جزيرة أبا ومعهم صاحب الترجمة، وكانت مملوءة بالغابات الثمينة باخشابها، وكان بها حيوانات متوحشة، ثم أخذ في نشر الدعوة المهدية وهى تقوم على العمل بالقرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وترك البدع فزار جميع مساجد السودان واختلي ببعض علمائها وأهلها وأنبأهم أنه هو المهدى وأنه يدعو الى ترك البدع ولم يكن يبث دعوته جهراً فى بادىء الأمر، وبعد أن اطمأن إلى أن دعوته لقيت أنصاراً عديدين. جهر بها. وكان على السودان الحاكم دار رؤوف باشا فارسل اليه علماء لمراجعته عن دعوته، وقد مات الباشا بالخرطوم. واستدعت الحكومة عبد القادر حلمى باشا. وانتقل المهدى الى جبل قدير من جبال النوبة. والي كردفان. وقام لمحاربته يوسف الشاذلى باشا كنزي. وفتح المهدى الأبيض ووجهت اليه حملة برياسة هكس باشا فنيت عن آخرها. وهكذا انتشرت دعوته فى السودان، وتوالت هزائم جنود الحكومة المصرية. فزاد ذلك في هيبته ورفع من نفوذه فى أعين مواطنيه وأيد ما كان يعتقده السودانيون فيه من الكرامات. وقد وجه الى الحكومة

(١) راجع تاريخ السيد المهدى فى الجزء الاول من هذا الكتاب

المصرية تلغرافاً مطولا ، ينحى فيه باللائمة على البدع — التى منها عقد زواج رجل برجل فى الأبيض . فدعوته دينية . ساعد عليها فى الواقع ظلم الحكام واستبدادهم وارهاق الأهالى بالضرائب . ومن الروايات في هذا الصدد أن مدير المديرية كان يأمر بالقطط أن تجمع وتجوع عدة من الأيام ثم تربط فى موضع الشرف من الرجل . ملاصقة لبدنه فتأكل منه ، ويموت معذباً . وكل هذا لكى يدفع الضرائب التى كانت فوق طاقة البشر ولمصلحة المرتشين . لذلك كانت النفوس مستعدة لقبول الدعوة المهدية

ومن جهة أخرى كان اضطراب الحكم فى مصر بسبب الثورة العرابية التى تقدمت الثورة المهدية بقليل — باعثا علي اهمال الجيش المصري فى السودان . وأخيرا أوفدت الحكومة غوردون باشا حاكما دارا للسودان وسردارا للجيش المصري بالخرطوم ، للعمل على اعادة فلوله المنقطعة فى المديريات التى وقعت تحت يد المهدى ، فهاجمه المهدى بجيوشه ، وذبح وهو بملابسه الرسمية ونياشينه وهو على سلم قصر الحاكم العام . وأخذ رأسه وصار ينقل من بلد الى آخر فى السودان ليتأكد الناس أن غوردون قتل . وان المهدى قد انتصر ويقول بعض المؤرخين أن النهاون فى حالة الجيش المصرى في السودان وارسال غوردون باشا وتعريضه لقتل محقق بسبب ما كانت عليه الحالة عند وصوله انما كانت خطة انجليزية مدبرة لاخلاء السودان والعودة الى فتحه تحت قيادة كتشنر باشا وبمشاركة جنود انجليزية .

وبدأت دعوة المهدى في رمضان سنة ١٢٩٨ هجرية وتوفي فى ٨ رمضان سنة ١٣٠٢ هجرية وخلفه الخليفة عبد الله التعايشى ، ثم جردت الحكومتان المصرية والانجليزية حملة نجحت في استعادة السودان بعد أن ظل محكوما بالدراويش والتعايشة مدة ١٤ سنة وقد تم استعادته سنة ١٨٩٩ حيث عقدت اتفاقية السودان المعروفة بين مصر وانجلترا

وقد عرف المهدي بالزهد والتقشف وكان يتعبد فى غار تحت الأرض عند بيت السيد عبد الرحمن بجزيرة أبا وقد وضع عنده أثر يدل عليه . وكان يتعبد في جزيرات وسط النيل

وكان للسيد المهدى أولاد منهم عبد الرحمن المهدي ، وكان جنيناً في بطن أمه عند وفاة أبيه ، وكان للمهدى وآله أملاك فى جزيرة أبا ، فأخذ السيد

عبدالرحمن يشتري ما يملك أقاربه حتى أصبح الآن مالكاً قدراً كبيراً من مساحة الجزيرة كلها . ومساحتها أكثر من ٣٠ ألف فدان ، وقد ملك أراضى أخرى على شاطىء النيل الأبيض وفى أرض شركة الجزيرة — ولا تعرف بالضبط مساحة ما يملكه السيد عبدالرحمن المهدى اليوم ، ولكن المزروع فعلا عشرة آلاف ، وهناك طائفة من المشروعات الهندسية لانشاء ترع ومساقي وإقامة جسور ومشروعات زراعية لاصلاح بقية الاطيان واعدادها كلها للزراعة .

وجزيرة أبا هى جزيرة مستطيلة خصبة في النيل الأبيض طولها ٦٠ كيلو متراً ، وكانت شهرتها الاولى بالاخشاب المأخوذة من غاباتها ، وكان آل المهدي يستعملون الأخشاب في بناء المراكب الشراعية . وقد باع السيد عبد الرحمن المهدي ما كان يملكه من أخشاب الغابات فحصل على ثروة كانت أساساً لشراء ألوف الأفدنة . وكان بدء مشروعاته الزراعية زراعة ١٧٠ فداناً من القطن السكلاريدي سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ كتجربة ، فنجحت نجاحاً باهراً فزاد المساحة الى ٨٥٠ فدانا في السنة التالية فجاد الفدان، فى المتوسط ، بخمسة قناطير مصرية من القطن. وظل يزيد المنزرع عاما بعد عام حتى وصل مازرعه هذا العام سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ — ٣٦٠٠ فدان وسيزرع ٥٠٠٠ فدان في سنة ١٩٣٦ ويسكن جزيرة أبا سكان آخرون لهم أملاك بها غير السيد عبدالرحمن وأقاربه وفى أرض شركة الجزيرة تأخذ الحكومة ٤٠ فى المائة من المحصول لان الحكومة هى التى تعد الأرض والماء للزراعة ويأخذ السيد عبد الرحمن ٦٠ فى المائة . وقد دلت التجربة على أن أطيان المهدى بالجزيرة تنتج أكثر مما تنتجه أراضي الشركة الانجليزية بالجزيرة كما سنبين بعد

وقد أعد مساحته ١٥٠ فدانا فى جزيرة أبا لزراعة الفاكهة ، وجلب لها البذور من مصر واستولد شتلا فى الجزيرة . وجربت زراعة ستة أفدنة من الفاكهة فنجحت التجربة . وقد اقترح فضيلة الشيخ المراغى على السيد عبد الرحمن أن يأخذ الشتل من بساتين بركات أو وزارة الزراعة

ويشتري مسيو كونتوميخالوس جميع كميات القطن وكلها سكلاريدس التى تجود بها أطيان السيد عبد الرحمن المهدى

ويزرعون فى أطيان المهدى القطن على قاعدة الدورة الثلاثية — كانوا يزرعون فى سنة قطنا وفى العام التالى ذرة وفى العام الثالث يتركون الارض

خالية للتشميس فرأوا أن الافضل زراعة الارض قطنا وتركها عامين متواليين بغير أي زراعة للتشميس . وتخصص مساحة معينة لزراعة الذرة . ذلك أن الفلاح السودانى ليست له خبرة الفلاح المصرى من حيث التسميد ، ولان الاراضي كثيرة جدا ، وقد فرضت الحكومة عشرة قروش ضريبة على كل فدان فى جزيرة أبا سواء أكان مزروعا أم لا ، على انها فى كل عام تعيد النظر فاذا وجدت المحصول صغيراً والأزمة طاحنة خفضت الضريبة . وإذا كان جيداً اكتفت بتحصيل هذه الضريبة العامة ،

وينزل المطر فى أغسطس وسبتمبر ، وتمكث زراعة القطن ٩ شهور من أول أغسطس حتى آخر ابريل . وأردب البذرة يكفى زراعة عشرة افدنة . والأطيان مقسمة إلى ٧٥٠ حواشة ـ والحواشة ٥ أفدنة (جزيرة أبا)

وعند وصولنا الى جزيرة أبا كان هناك سرادق صغير أعد لجلوسنا حيث استقبلنا السيد عبد الرحمن وسار معنا حيث شهدنا وابوري الرى الكبيرين



أعضاء البعثة فى سرادق الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدى

ثم توجهنا لدار السيد ببلدة الرحمانية بجزيرة أبا ، فنحر جمل على عتبة الباب عند وصولنا ثم جلسنا قليلا وتناولنا طعام الافطار

ثم خرجنا بالسيارات الى أطيان الجزيرة ، حيث شهدنا شون القطن ، وقسم الغار وشونته ، وقسم دار السلام ، وقسم طيبة . ولكل رئيس ومكتب وحاسبون

ويبلغ عدد من يشتغلون فى الأطيان المزروعة فى جزيرة أبا لحساب السيد ٧٥٠ زارعاً فضلا عن أسرهم وقد أقام لهم السيد عبد الرحمن منازل ومستشفى ومدرسة كانت فى نتائجها أحسن مدرسة فى النيل الأبيض ، نالت جائزة التفوق ولها فرقة كشافة .

وقد تناولنا الغداء الساعة الثانية بعد الظهر والسيد عبد الرحمن شديد العناية بفلاحى مزارعه ، فقد أعد لهم المنازل ويقوم بنفقات زواجهم ويواسيهم ، وصحتهم أحسن من صحة الفلاحين الآخرين وأهنأ بالا . ويعطى الفلاح فى الشهر أجرة تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ قرشاً فضلا عما تقدمه الدائرة لهم من الطعام والثياب وجميع النفقات

وفى الساعة الرابعة جلسنا فى سرادق كبير وتناولنا الشاى وشهدنا العاب الكشافة وعرضت أمامنا الجياد الاصيلة والهجن ، وفى فضاء واسع يبلغ ثلاثين فدانا نظم استعراض من الالوف من الزراع والوافدين لتحيتنا بالملابس البيضاء . وعزفت موسيقى الكشافة وكان النظام بديعاً جداً

وقد قامت كشافة المدرسة بالعاب عديدة دلت على سلامة الذوق وحسن الاختيار وأن العناية تامة بتقدم الزراعة والحالة المحلية — مثل مناجاة الطيور وتقليدها والوقوف على رجل واحدة . وسد مستي . وغير ذلك

والسيد عبد الرحمن المهدى طويل القامة يلبس على رأسه عمامة ، تشبه عمائم الحجازيين واليمنيين . وجبة وقفطاناً أبيض . وحذاء أصفر . وشالا كشميريا . وقد أتم العقد الخامس من عمره المديد

وقد ألقى فؤاد أباظة بك كلمة فى شكر سماحته على حفلته الممتازة واكرامه الذى يعجزنا عن الوصف لأننا لم نر له ضريبا فى مصر وغيرها ولافي جميع حفلات السودان

وألقى الدكتور محجوب ثابت خطاباً أشار فيه إلى مناقب البيت المهدى الكرام وإلى أن له الشرف أن تكون مسقط رأس الزعيم المهدي الكبير مسقط رأس الدكتور « دنقلا » وأشار إلى حفاوة السيد عبد الرحمن الخ

ثم وقف سماحة السيد عبد الرحمن فشكر لفؤاد بك والدكتور محجوب وتمنى للبعثة نجاحا فى مهمتها بتوطيد العلاقات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين وقد قوبلت الخطب بالتصفيق الحاد .

وفي مجلس السيد عبد الرحمن كان سماحته يتحدث الينا عما بين مصر والسودان من علاقات . ومايجب أن يقوم بينهما من صلات ، قائلا أن السوداني الذى يدفع نقودا لشقيقه المصرى إنما ينقلها من جيبه إلى جيبه الآخر . وسماحته حائز للقب «سير» بسبب الانعام عليه بنيشان الأمبراطورية البريطانية

ولا تزال حفاوة السيد عبد الرحمن بالبعثة مثلا بارزاً فى الكرم والنظام ولا تزال مشروعاته الزراعية مثلا يضرب في الصبر، وقدوة يجب أن يتبعها أصحاب الأطيان عندنا . فان سماحته يستيقظ عند الساعة السادسة صباحاً ويشرف على مزارعه بنفسه وقد تعلم نجله الفاضل السيد صديق الهندسة وعينه والده مديراً للدائرة يعمل فيها ويعيش مع الفلاحين متواضعاً نشيطاً . وليس كابناء السراة عندنا كثيرون منهم لا يعرفون حدود أطيانهم وقد لا يزورونها العمر كله . وقد استطاع السيد عبد الرحمن أن يحل مشكلة الايدي العاطلة فى السودان وهى مشكلة عصيبة جداً . لقلة سكان السودان وعدم خبرتهم كالمصريين بالزراعة ولقناعة السوداني بالدون . ومتى حصل على القليل آثر الراحة حتى ينفقه وبعد ذلك يبحث عن العمل

حل السيد عبد الرحمن المشكلة بانشاء مساكن صحية مناسبة لحياة السودانيين وبساطة معيشتهم وعنى بتعليمهم وتطبيبهم . فاحتفظ بهذه الأيدى فى المزارع أبديا وساعد على ذلك اعتماد الزراع أن الله سبحانه وتعالى يثيبهم في الدنيا والآخرة على خدمتهم واخلاصهم لسيدهم عبد الرحمن المهدى . ويقول مهندس الدائرة أن الفدان المزروع عند المهدى يكلف سماحته ثمانية جنيهات بينما الشركة الزراعية بالجزيرة تنفق على الفدان ستة جنيهات ولكن السيد المهدي يستفيد من وراء الزيادة إخلاصا وأيديا عاملة موجودة دائما وانتاجا زائدا على انتاج الشركة

وقد حدث فى اثناء استعراض ابل المهدى أن سقط أحد راكبيها على الارض فاغمى عليه فحضر السيد المهدى بنفسه وواساه وأسعفه الأطباء وأفاق بعد خمس دقائق شاكرا لمولاه فضله ودعاءه وكرامته وقد لاحظنا أن الصفوف ظلت متراصة وأن النظام لم يختل

عدنا بعد ذلك الي محطة كوستى وسار القطار عند منتصف الساعة الثامنة مساء الى واد مدنى

برقية الأمير عمر طوسون الى السيد المهدى

إن الحفاوة البالغة التى قابلتم بها البعثة الاقتصادية المصرية والكرم الحاتمى الذى غمرتموها به والجموع الحاشدة الذين خرجوا معكم لاستقبالها وظلوا مجتمعين لتحيتها طول مدة اقامتها فى ضيافتكم بجزيرة أبا — كل هذا يقابل منا ومن المصريين بعظم الغبطة والارتياح ، اذ من شأنه أن يزيد روابط الأخاء بين مصر والسودان إحكاماً ، ويوثق عرى التعاون ويثمر أحسن الثمار بمشيئة الله تعالى فى علائقهما الاقتصادية والأدبية حاضراً ومستقبلا . فنشكركم على ذلك أجل الشكر ونثنى على أريحيتكم وشهامتكم العربية أطيب الثناء . ونهدي اليكم وإلي أخيكم ونجلكم ونجل الخليفة التعايشى وسائر آلكم وأتباعكم وآلهم أبناء السودان جميعا خالص تحياتنا وعظيم إجلالنا وإحترامنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(عمر طوسون)

برقية شكر من السيد المهدى الى الأمير عمر

أشكركم كثيراً علي برقيتكم الرقيقة . وانى وأفراد عائلتى والجميع لمغتبطون بزيارة البعثة الاقتصادية المصرية للسودان وشاكرون لكم هذا التقدير والثناء . ونرجو أن يكون لهذه الزيارة الأثر الحميد فى إحياء الروابط الاقتصادية بين القطرين وسيكون لسموكم فيها أكبر الأثر وأطيب الثناء وتقبلوا منا جميعا التحية وأزكى السلام .

الزواج والمهور

وجه حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السر السيد عبدالرحمن المهدى النداء التالى إلي الأمة السودانية النداء التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

حضرة المحترم ...

« السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد فقد وصل لعلمكم ، اءنا لاخصاء من أمتنا الكريمة بالدعاية إلى الزواج ومحاربة العزوبة بقلة المهرا

وبشتى الوسائل التى تسهل أمر الزواج وتجعله ميسوراً وبقدر الاستطاعة. وأنه مما يجعلنا مطمئنين على نجاح هذا الأمر الاجتماعى العظيم سلطان رب الاسرة في بلادنا على أفراد بنيه، وانكم خير من يرجى منه النهوض بهذا الشأن لكلمتكم النافذة ورأيكم الحكيم وان الله سبحانه وتعالي يحب من عباده من يريد الخير بهم، وان أعظم مايرضى الله مراعاة حرماته وعدم انتهاكها.

« ولقد تفشى الفساد فى النساء والأولاد. وهذا يخالف قواعد ديننا الحنيف، وينافى كرامتنا القومية وعوايدنا فى حفظ عروضنا والغيرة عليها ولا يمكن ملافاة الأمر إلا بتعميم الزواج والتساهل فى المهر بقوله صلى الله عليه وسلم. أكثرهن بركة أقلهن مهوراً. وقوله أشراركم عزابكم. وقوله من تزوج فقد حفظ ثلثى دينه، فليتق الله فى الثلث الثالث، وان الأزمة الحاضرة قد تكون مانعاً للزواج إذا لم يتساهل أولياء الزوجة فى أمر المهر للحد الأدنى وأن يتركوا الأمور الغير مشروعة.

« لذلك كله فقد اجتمعنا مع عدد عظيم من أهل البلد وقد قررنا الزواج بالجنيهين للبكر وواحد للثيب وبالأكثر ٣ جنيه للبكر و ٢ جنيه للثيب، ولقد عقدت لولدى وابنتى وعدد يربو عن العشرة من آل بيتى بربع الدينار الذى يباح به النكاح.

فالرجاء أن تقدروا ومن معكم من الأخوان معنا الفائدة في ذلك مع مايترتب على الزواج من كثرة النسل الذى أرجو الله أن يكون براً بوالديه. وأنى سأدعو لجميع من يحي هذه السنة الحسنة فى نفسه وولده بالدعاء الذى أرجو قبوله من الله الكريم وأن يجعل لهم البركة فى الرزق والذرية والسلام.

عبد الرحمن المهدى »

الفصل التاسع

يوم عاصمة النيل الازرق

زيارة واد مدنى يوم ٧ فبراير سنة ١٩٣٥

حفلات السودان

أبى المواطنون السودانيون الأعزاء ألا أن يجددوا فى كل يوم وساعة عواطف الكرم والأخاء والمودة بالنسبة الينا — وهم فى هذا التكريم ، يرون أنهم يكرمون مصر ذاتها ، مصر التى يحبونها حباً لمسناه وأحسسنا به ، وهو لا يقل عن حبنا لها . ويشاركهم فى هذه العواطف الكريمة موظفو الحكومة وأعضاء الجاليات الأجنبية والشرقية ويقدر الجميع ماخسره السودان بعد خروج الجيش المصرى منه ، حيث كان ينفق الجنود والضباط مرتباتهم ، وقد ترتب على ذلك افلاس متاجر وطنية وأجنبية أو على الأقل قلة ربحها

الرتب والنياشين

وقد كان لانعام جلالة الملك على مسيو كونتوميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم بنيشان النيل من الطبقة الثالثة وقع عظيم فى نفوس أعضاء البعثة والسودانيين لأن الانعام جاء دليلا على قدر الحكومة المصرية وجلالة الملك لمجهود حضرته فى توثيق العلاقات بين مصر والسودان والحفاوة بالبعثة المصرية

ويجب أن ننتهز هذه الفرصة لتنبيه الحكومة المصرية الى وجوب السعى للانعام بالرتب والنياشين على زعماء السودان وأعيانه وكبار موظفيه ، والحكومة الانجليزية نفسها تمنح النياشين فقد منحت وسام القديسين ميخاييل وجورج من درجة فارس للسيد على الميرغنى ومنحت نيشان الأمبراطورية مع لقب « سير » للسيد عبدالرحمن المهدى ، وكان واجباً أن تمنحهما الحكومة المصرية وتمنح غيرهما رتبة البشوية والنياشين الرفيعة ، وهكذا

حياة الأندية الاجتماعية والرياضية واليقظة

لفت نظرنا في السودان انتشار الأندية ونجاحها وحسن نظام أعضائها ، وهذا دليل على الأستعداد للتقدم ، والاخذ من المدنية بلبابها ومنافعها ، فان الأندية تعلم النظام ، وتوجد التكافل ، وتنشىء مجتمعا يتمتع باللهو البرىء

كما لفت نظرنا تتبع مواطنينا السودانيين لجميع الحوادث السياسية وغيرها ، وهم فى هذه اليقظة والتعلق بمصر كاخواننا أبناء فلسطين ولبنان وسوريا ، ورأيت القوم متتبعين لتفاصيل المسائل

فى حقول التجارب

وصلنا إلى واد مدنى عند الساعة الثالثة والنصف صباحا وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم توجهنا بالسيارات لزيارة حقول التجارب لنقابة الشركة الزراعية الانجليزية لأراضى الجزيرة .

خطاب زراعى

ألقي مفتش حقل التجارب فى واد مدني المحاضرة الزراعية التالية :

بالنيابة عن موظفى حقل تجارب شركة الجزيرة ، يسرني السرور كله أن أرحب بكم فى هذا الصباح هنا ولأن نضع ترتيباً يمكنكم من رؤية شىء من عملنا .

أنشىء حقل تجارب الجزيرة منذ ١٧ عاما . وقد تخصص موظفوه بالمشاكل الزراعية وخاصة مايتعلق بزراعة القطن — التى ظهرت فى أرض الجزيرة

ولا يزال فريق من الناس يشك فى إمكان الحصول على محصول مرضى من زراعة القطن بالجزيرة . وصدرت أخيراً تصريحات قالت بأن تربة الجزيرة قد فسدت إلى مدى خطير وأن الآمال المعقودة على زراعة القطن فيها قد استهدفت للخطر .

إن من أوليات واجباتنا هنا فى حقل التجارب ملاحظة عوامل الفساد فى تربة الجزيرة ودراسة نتائج الري وتكون المحصول على هذه التربة . وبناء على وقوفنا على هذه النتائج ، نستطيع أن نصرح بأنه لاصحة مطلقاً فى القول بأن هناك دلائل صادقة على اطراد الفساد فى الجزيرة حتى الآن ، ونحن نستطيع أيضا أن نقول بأنه لامحل للتشاؤم فى المستقبل

سترون ، فى أثناء طوافكم فى الحقول ، أن قطعة أرض رويت وانتجت محصولا من القطن أو اللوبيا منذ ١٩١٧ ولدينا مايدل على أن المحصول الذى ينتج من الارض المذكورة فى الموسم الحاضر يساوى أو ربما يفوق المحصول الناتج منها منذ خمسة عشر عاما .

وستوضح لكم مشاهدتكم كما آمل ، أن لا أساس للاشاعات القائلة بأن أرض الجزيرة عرضة لفساد خطير وعاجل

وقبل شروعكم فى معاينة الأرض أود أن أذكر لكم شيئا عن حقل التجارب كما ذكرت لكم قبلا ، أنشئت المزرعة منذ ١٧ عاما وبلغت الآن ٨٠٠ فدان ، منها ١٨٠ فداناً لزراعة القطن و ٢٢٠ لزراعة الذرة واللوبيا

ويوزع العمل فى هذه المزرعة على أقسام ، تتعاون للوصول إلى غرض واحد

القسم الزراعى — ووظيفته القيام بتجارب زراعية والتسميد والتخطيط وري الزرع والقيام بتجارب الاستنبات

قسم ملاحظة النبات — يقوم باحصاءات وأرقام فيما يتعلق بتقدم المحصول

القسم الفيزيولوجى — يدرس فيزيولوجية المشروعات القطنية

القسم الكيمائى — يدرس التغيرات الطارئة عند الري والمحصول ولا بتكار وسائل تحسين حالة التربة

قسم الحشرات — يدرس آفات المحاصيل الناتجة من الجزيرة ويقوم بتجارب ويرقبها

القسم الباتولوجى — يدرس أمراض النباتات ومنها حشرة البلاك آرم والليف كيرل ،

وأخيرا قسم استيراد النبات — ويختص بانتخاب وتوليد أصناف عديدة من القطن والمحاصيل الأخرى . اه

***

ثم زرنا حقول التجارب — وشهدنا مايأتي :

١ — حقلا زرع قطنا وفى السنة التالية زرع لوبيا

٢ — حقلا زرع قطنا وفي السنة التالية زرع ذرة

٣ — حقلا زرع قطنا وفى السنة التالية ترك بوراً

فكانت نتيجة التجربة أن الثالث جاءت زراعته القطنية بعد ذلك بزيادة

محسوسه والاول جاء بنتيجة أقل من الثالث بشيء يسير ، والثانى جاء بنقص فى المحصول .

وهناك حقل استمر مزروعا قطنا لمدة ١١ سنة ثم ترك بوراً لمدة سنة ثم زرع قطنا فجاد المحصول بزيادة ٣٤ فى المائة . وحقل ثان استمرت زراعته القطنية ١١ سنة ثم ترك بوراً لمدة سنتين متواليتين ، فجاءت زراعته القطنية بعد ذلك بزيادة قدرها ١٧ فى المائة .

وحقل ثالث زرع قطنا ١١ سنة وترك بوراً لمدة ثلاث سنوات فجاء بزيادة قدرها ٤٠ فى المائة .

ونفهم من ذلك أن ترك الحقل سنة واحدة بوراً كاف فى زيادة الانتاج زيادة محسوسة، وإن زيادة الانتاج، بعد عامين أو ثلاثة فى البور ، قليلة جداً فلا تبرر الحرمان من انتاج الارض عامين أو ثلاثة

ثم شهدنا ما يلى :

١ — حقلا زرع قطنا وزرع لوبيا فى السنة التالية

٢ — وحقلا زرع قطنا ثم زرع ذرة ثم ذرة

٣ — وحقلا زرع قطنا ثم زرع ذرة ثم زرع لوبيا

فكان الاول أكثر الحقول انتاجاً ويقاربه الثالث

وحقلا زرع قطنا عدة ٩ سنوات متوالية ثم زرع ذرة ثم زرع لوبيا — فكانت النتيجة لا بأس بها

ينتج من ذلك أن الذرة تجهد الأرض وانه ليس من المصلحة زراعة الذرة بعد القمح ، وأن زراعة اللوبيا لاتجهد الأرض ويحسن زرعها بعد القطن

ثم زرنا معامل الاقسام ، ورأينا الحشرات ، وأخصها ذبابة البلاك آرم تنقل العدوي من ورقة الى ورقة في شجيرات القطن

ويجنى قطن الجزيرة ثلاث مرات في السنة والجنية الأولى وتسمى فى السودان « تلجيطة » أى « تلقيط » هى الجنية الكبري وتزهر الشجيرات عقب الجنية الأولي وتموت الحشرات عند اشتداد الحر

ثم شهدنا قطعا من طينة حوض نهر الجاش وطينة من أرض الجزيرة ، فتبين أن تربة الجزيرة بها أملاح تعطل سير الماء فى الوصول الى عمق كبير . وينتج الفدان فى دلتا الجاش محصولا أكبر من محصول الجزيرة ولوحظ أنه

كلما قل محصول الجزيرة ، قل معه محصول الجاش نسبياً وهذا يدل على أن العوامل الجوية لها تأثيرها الأقوى والأفعل ، لأن كلا من أرض الجزيرة ودلتا الجاش لا يرتوى من الآخر

فى محالج القطن



أعضاء البعثة أمام محالج واد مدنى

زرنا محلج القطن التابع للشركة وهو أربعة عنابر لكل عنبر ماكينة و ٨٠ دولاباً ويشتغل به ٣٠٠ عامل ، ويوجد به نجار مصري وباشملاحظ المحالج هو هو حضرة على زكى أفندي وبعد عزل البذرة من القطن يكبس القطن بالآلات وتسع كل آلة بين ٤٠٠ و ٥٠٠ رطل

ثم زرنا المديرية وقابلنا المدير

وفى وادمدني مدرستان ابتدائيتان ومدرسة راقية أو ثانوية ومدرسة يونانية ومدرسة بنات انجليزية بها خمسون بنتا وأكثرهن غير انجليزيات ، وتوجد مدرسة ليلية لتعليم الاميين ، وثلاث مساجد وتنار المدينة بالكهرباء وتروي من خزان للماء وعلى شاطى النيل الأزرق حديقة واسعة محلاة بالأشجار والزهور ، وتعطى منظراً جميلا يوحى باسمى الخيال

ووادمدنى مدينة كبيرة نسبياً ، منازلها من الطوب الأحمر المحروق

وقد مررنا بالسوق وزغرد النساء وكن يقلن ، حيتكم تحية الرخاء والرزق

وقد سأل الدكتور محجوب أحداهن ، هل أنت دنقلاوية ؟

فقالت : « بنت ريف ما دنجلاوية » أى لست من دنقلا

ثم قالت: «مرحباً بكم ، الله يفرج عليكم . حبابكم ، أهلا وسهلا. أبيض اليوم اللى جابكم »

ثم تناولنا طعام الغداء مع الدكتور محجوب والشيخ أحمد عثمان القاضى على مائدة حضرة محمد صالح أفندى باشكاتب المديرية

ثم حضرنا الساعة الخامسة حفلة الشاي التى أقامها حضرات التجار والأعيان وكانت فى متنزه واسع المدى على النيل الأبيض وقد حضرها حضرات المشايخ والسادة والأفندية :

مستر كنجدن نائب المدير ومحمد صالح باشكاتب المديرية وسليم جرجس رئيس الحسابات ومستر ديفز مفتش أول ومحمود العراقي نائب رئيس الحسابات وكوسه بطرس مقاول وتاجر ومستر بولتون مفتش المركز وبولس بطرس وكيل بوستة ومصطفى ندا مأمور مدنى ، ورشدي بطرس المحامى ومحمد كنتباى أبو جيرجه مأمور ثان — جنايات وعبد الرحيم عبدون ومحمد الحسن عمر نائب مأمور وأحمد الحاج العاقب قاضى شرعى وحكيم بطرس محاسب أول والشيخ مدثر علي البوشي قاض شرعى مساعد والقس طوبيا عبد المسيح عن الكنيسة الانجيلية وشمس الدين الحنفى والقس بشاره من كنيسة الاقباط وعثمان زيات سر تجار وبقطر محروس بالمعاش والياس تناوى ومحمود خيرى أفندى مساعد رئيس التسجيلات وسيد شكرى التاجر وسلام مهنا محاسب أول المركز وتوفيق فلتاءوس محاسب اول الري المصرى والدكتور طاهر يوسف ومحمد احمد عبد القادر مدرس وحسن الصاغ شيخ السوق ومحمود برهان رئيس حسابات مصلحة التجارب ومصطفى العجانى ومحمد بادية وعثمان ابو العلا واحمد البوشى واحمد الخضرى وار كستدس خسال ورامجى سامجى وابراهيم الريح وعلى محمود يحي وعيسي أبو عيسي وشمس الدين الشافعى وأبو زيد احمد والكوردى اخوان واحمد رمضان واوارد قريوة وعبد القادر اسماعيل وابراهيم السنى وتوفيق حبيب مهندس مقاول ومستر واى مدير البنك الاهلى وعبد العزيز عثمان القباني وتوفيق عطا الله مدير الشركة الزراعية ومستر تسيتورس مدير بنك باركليز وكوستى بليفاتنش والدكتور افراميدس والدكتور حاج ميخالي وجون بوتاميتس محام وقد

القى كل من حضرات الشيخ ، عثمان عوض أبو العلا وراغب دلال افندي خطابا وفضيلة الشيخ مدثر البوشى القاضي الشرعى قصيدة عامرة .

وألقى صاحب العزة فؤاد أباظة بك كلمة شكر وألقى الدكتور محجوب خطبة رقيقة فيها دعابة وفكاهة .

فى نادى الموظفين

وقد استقبلنا بنادي الموظفين حضرات أعضاء لجنة النادى وعلى رأسهم رئيس النادى حضرة محمد افندى صالح باشكاتب مديرية النيل الازرق وسكرتير النادى الشاب عبد الله افندي حامد البدوى وكل من حضرات الندر افندي مصطفى ومحمد افندى كنتباي ، واحمد افندى بكر وفهمى افندي تادرس وحبيب افندي مصطفى والاستاذ بشير افندى حامد ويوسف افندي الديب والاستاذ الشيخ عبد الله عبد الرحمن والشيخ عباس صالح .

ومن الوجهاء فضيلة الاستاذ الشيخ احمد العاقب قاضى شرعى المديرية والاستاذ فيليب البستاني قاضي جزئى المديرية وعبد الرحمن افندى عبدون كبير مهندسى الري بواد مدني ومدثر افندى محمود كبير مهندسى الرى بالمربيعه ونجيب افندى شنوده وبقطر افندي محروس — ومحمود افندى العراقي

وألقى الشيخ عبدالله الأمير قصيدة جاء فيها :

قد طالع السودان يوم قدومكم فأل سيبدل ضيقها برخائها
أو ليتمونا إذ هبطتم أرضنا مننا خشينا العجز عن احصائها
فالله يكلؤكم ويكلؤها معا وكفى بربك سامعا لدعائها

فى النادى اليونانى

ثم زار الاعضاء فى الساعة العاشرة مساء النادى اليوناني فى واد مدني المعروف باسم (كلوب هلنج) ويرأسه مسيو بليفاندس ويشغل منصب نائب الرئيس الدكتور افراميدمس وسكرتيره مسيو زاويديس الذين استقبلونا مع حضرات أعضاء النادى من رجال وسيدات بالترحاب ، وقدموا الينا الحلوى والمشروبات ، وقد أسس النادي سنة ١٩٢٥ ويبلغ عدد أعضائه ٩٠ عضوا ويبلغ عدد أعضاء الجالية اليونانية ٣٥٠ ، بينهم التجار وطبيبان ومحام ، ورسم اشتراك العضو في السنة جنيهان ، وللنادى حديقة ، وتقام به الحفلات ، ولا يشترك فيه سوى اليونانيين .

فى النادى المختلط

ثم زرنا بعد ذلك النـادى المختلط ويرأسه حضرة الفاضل القاضى نسيب البستاني من أسرة البستاني الشهيرة بلبنان ، وقاضى المحكمة الجزئية بواد مدني ، وقد استقبلنا حضرته ومعه حضرة عطا الله باشكاتب شركة أراضى الجزيرة الانجليزية ، وحضرات الاعضاءمن رجال ونساء بالحفاوة والاكرام وقدأنشىء النادى منذ سنتين وله حـديقة فسيحة وشرفات بديعة ويقع قريبـا من محطة واد مدني وله غرف للمطالعة والتنس والالعاب الرياضيةوصالة راقصة ، ورسم العضوية فيه جنيهان في السنة وأكثر أعضائه من الجالية السورية واللبنانية ، و١٥ عضواً يونانياً وأعضاء من الايطاليين والأرمن وعشرة أعضاء مصريين وباب العضوية مفتوح لجميع الجنسيات .

وفى الساعة الحادية عشرة انصرف الأعضاء إلى القطار الخاص حيث باتوا فيه إلا الدكتور محجوب فقد بقى حتى منتصف الليل يسمر ويتحدث ، والجميع ملتفون حوله يصغون إلى أحاديثه وملحه وترديده العلاقات الطبيعية بين أبناء العربية فى مصر والشام ولبنان وفلسطين والسودان ، وكان يدخن النرجيلة — التى هى أحب الأشياء لدى الدكتور محجوب — وصديقه المؤانس ، وكلما هم الدكتور بالانصراف الح عليه الحاضرون بالبقاء والمبيت في النادى ، وطلبوا أن يتخلف عن البعثة فى سفرها غدا الى الخرطوم — والدكتور متردد بين التخلف والسفر ، ولكنه مقيد برابطة البعثة ومجتمعها فلا يستطيع تخلفا .

النادى الانجليزى

هذا وللانجليز الموظفين في مديرية النيل الازرق ، التى عاصمتها واد مدني وفي مكاتب شركة أراضى الجزيرة بها ، ناد لايؤمه إلا الأعضاء الانجليز ، وهم لايختلفون مع أعضاء الأندية الأخرى ورسم العضوية ستة جنيهات للرجل وخمسة للسيدات فى السنة .

التضمخ بالصندل

فى السودان عادة لا بأس بها ، ذلك انه قد تعمد المرأة السودانية الى احداث حفرة فى الارض تضع فيها صندلا أو أخشاباً ذات رائحة عطرية وتوقد النار فيها ، ثم تجلس على الحفرة ويصعد الدخان إلى لباس المرأة وبدنها فتصيب من ذلك رائحة عطرية جميلة .

الفصل العاشر

أيامنا في مدينة الخرطوم

اليوم الاول الجمعة ٨ فبراير

سافرنا اليوم من واد مدنى حوالى الظهر إلي الخرطوم ، وكان توديعنا حافلا كاستقبالنا . وقد وقف القطار عند «الحصاحيصة» لمدة ربع الساعة قدم سكانها المرطبات والقهوة والسجاير مع ترحيب عظيم . وعند الساعة السادسة مساء وصل القطار إلى محطة الخرطوم ، حيث كان فى انتظاره مئات المستقبلين من كبار الموظفين والقضاة وخريجى كلية غوردون وموظفو الرى المصرى والشبان ، فتعانق الفريقان وحمل الشبان الدكتور محجوب ثابت على الأعناق وأركبوه السيارة ، وسار رتل السيارات من المحطة حتى فندق « جراند أوتيل» على النيل الأزرق ، بين التصفيق والزغاريد على طول الطريق ، وينزل بالفندق الموظفون الانجليز، الذين ليست لهم مساكن ويدفعون أجرة خاصة وينزل به كبار السائحين ، وأعدت للاعضاء باخرتان حكوميتان أمام الفندق ، فملأ الأعضاء الفندق والملحق المجاور له والباخرتين ، لكل منهم غرفة . وبعد أن استراح الاعضاء من وعثاء السفر ، وبدلوا ملابسهم ، نزلوا الى شرفة الفندق وخرج بعضهم لشراء بعض الحاجيات ، ومقابلة بعض الأصدقاء ، وحضر آخرون من عليه القوم يتقدمهم أصحاب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضي قضاة السودان والشيخ أحمد محمد أبو دقن شيخ علماء السودان والشيخ الفيل مفتى السودان وغيرهم .

مأدبة عشاء أقامها كونتوميخالوس

لبس الأعضاء ملابس السموكن ونزلوا الى قاعة الطعام بالفندق حيث أقام مسيو كونتوميخالوس مساء مأدبة عشاء حضرها ١٢٠ مدعواً من كبار موظفى الحكومة الانجليز ومحمد بهى الدين بركات بك الذي وصل إلى الخرطوم قبل البعثة بأيام وعبد القوي احمد بك وأعضاء الغرفة التجارية بالخرطوم وبعض آل المهدي وألقي كونتوميخالوس خطبة وألقي رشوان باشا خطبة أخرى

وتم التعارف بين الأعضاء وكبار المدعوين . ثم انتهت الحفلة قبيل منتصف الليل وآوي الأعضاء الي فراشهم .

اليوم الثانى ٩ فبراير

الخرطوم يوم السبت فى ٩ فبراير

عند السيد الميرغنى — فى الغرفة التجارية — فى مكتب حضارة السودان

فى سراي الحاكم العام — حفلة شاى الغرف التجارية

خطاب مسيو كونتوميخالوس ـ خطاب رشوان محفوظ باشا ـ خطاب أباظة بك

توجهت مع اخواني الساعة التاسعة صباحاً الى دار حضرة صاحب الفضيلة الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى شيخ الطريقة الميرغنية المنتشرة فى ربوع السودان والحجاز وافريقيا وقسم كبير من البلاد المصرية .

استقبلنا فضيلته بالخرطوم فى قصره الواسع الفناء ، المتجمل بحديقة غناء ، فأما البناء فهو آية فى البساطة وحسن الذوق ، وجلسنا فى سرادق مجاور للبناء يتوسطنا فضيلته وجلس يحادثنا خير الأحاديث — فكان مما قاله :

« أظن حضراتكم قد أدركتم من زيارة السودان أنه على صورة تختلف عن الصورة التى ارتسمت عندكم قبل زيارته . وقد وددنا لو كان عدد البعثة أكبر ، لأنه كلما زاد العدد ، زاد عدد المتحدثين بالخير عن السودان وحقيقته »

والتفت فضيلته إلى الدكتور محجوب وقال له — هل تنوي أن تزور مسقط رأسك دنقلا ؟ . فقال الدكتور : من الأسف أنها لم توضع فى البرنامج

فقال فضيلته : « إن هذا الوقت هو خير وقت لزيارتها . ولكن الطريق ليس سهلا . وطريق النهر أفضل ، لأنه لا يوصل إلى دنقلا بالسكة الحديدية ويظهر أن ضيق الوقت هو الذى أخرجها من البرنامج . وأظن الدكتور يحن إلى مسقط رأسه »

فقال الدكتور : أى والله . .

فقال الاستاذ خميس : إن الدكتور يريد أن يبقى فى السودان

قال فضيلته : ما هو الدكتور محجوب بتاعنا وليس بتاعكم ... « ابتسام »

وقد أنشأ الجد الأعلى للسيد على الميرغنى الطريقة الميرغنية فى مكة . وهاجر جده السيد محمد عثمان الميرغنى من مكة إلي سواكن فكسلا ، فنشر طريقته فى

شرقي السودان ، ولما توفى قام مقامه ابنه السيد الحسن الميرغنى ، وبعده ولده السيد محمد عثمان والد السيد على الميرغنى . وقد وطد آل الميرغنى دعائم الدين الاسلامى في السودان ، بما نشر السيد محمد عثمان الميرغنى الكبير من الأهازيج والقصائد والمدائح النبوية ، بما يوافق حداء الابل وأغاني الأفراح والمآتم فى البادية فى لغة سهلة ولهجات تلائم كل قبيلة . وللطريقة الميرغنية فى باب الوزير بالقاهرة زاوية وتكية ويأخذ بها النوبيون وسكان اسوان واريتريا ولهم خلفاء

ومنذ عهد بعيد منحت الحكومة البريطانية السيد الميرغنى وسام القديسين ميخائيل وجورج وزبشان فكتوريا من درجة فارس ، وهما يمنحان لقب سير.

والسيد على الميرغنى في الخامسة والخمسين من عمره — بالحساب الهجرى — وهو نحيف الجسم قصير القامة ، حاد البصر ، هادىء الطبع ، متواضع ، حلو الحديث ، أسمر البشرة كسكان مديرية اسوان . هاجر وهو صبى من كسلا إلى سواكن الى القاهرة ، حيث نشأ فيها ، ثم عاد الى السودان بعد انتهاء الثورة المهدية ، لأن الميرغنيين كانوا خصوما لها وأنصاراً للحكومه المصرية .

والسادة الميرغنية من أشراف الحسينية بمكة ، وينظر اليهم السودانيين كأبناء بيت النبوة .

ثم انصرفنا من دار السيد الميرغنى وزرنا سراي الحاكم العام بالسودان ، ويقولون عنها « السراى » وهو معدود نائب الملك ؟ ولذا فهو عادة لا يقبل دعوة من فرد ، وقد قيدنا أسماءنا فى دفتر المقابلات ، فى مدخل السراى وشهدنا سيوفا وخناجر وحرابا وبنادق ومتراليوزات ودروعا وتروساً للانجليز والجيش المصري والدراويش المهديين ، تمثل الأسلحة التى استعملت فى فتح السودان واستعادته والثورة المهدية ، كما يرى الزائر لديوان وزارة الحربية المصرية بشارع الفلكى بالقاهرة الأسلحة المعلقة بجدرانها . ورأينا الاثر الذى كان به السلم الي دار غوردون باشا وفى محله صورة تمثله فى ملابسه الرسمية وجاكتته مفتوحة عند أعلى درج السلم والدراويش يحملون الحراب ويهجمون عليه .

ثم زرنا الغرفة التجارية بالخرطوم واستقبلنا مسيو كونتو ميخالوس والسيد عبد المنعم ويونس محمد ومصطفى أبو العلا وتوتونجى وكفوري والأديب معاوية محمد نور ، سكرتير الغرفة ، وغيرهم .

وقد عقد اجتماع تأيد فيه القرار السابق بتأليف لجنة زراعية مصرية سودانية

وأخرى تجارية

ثم زرت منفرداً مكتب جريدة حضارة السودان مع فضيلة رئيس تحريرها فضيلة الأديب الشيخ أحمد عثمان القاضى ثم زرت جريدة السودان لصاحبيها الشيخ عبدالرحمن أحمد والسيد السواكنى

بعد ذلك مررت بشوارع الخرطوم فالفيتها واسعة ونظيفة وهادئة ، والمبانى من طبقة واحدة ، والاسواق عامرة بمطالب الحياة ، وللترام خطوط ثلاثة — خط دائرى وخط الى خرطوم بحري وخط من الوسط إلى أم درمان يمر بالخرطوم بكوبري على النيل الأبيض ، الذى يلتقى بالنيل الأزرق عند الخرطوم ويشبه ترام الخرطوم اقدم طراز لترام القاهرة وبه درجتان ويوجد تذاكر ذهاب واياب بقيمة مخفضة . وأسعار التاكسى معتدلة وتوجد عربات ركوب يجرها جواد واحد .

وليس بالخرطوم ولا بأي مدينة مجارى ، ولكنهم فى كل مكان يضعون الجرادل تحت المراحيض وتنقل الجرادل ليلا ويومياً ، كما فى رأس البر

ومررنا بكلية غوردون وتعد فى مصاف المدارس المتوسطة في مصر ، ولكن برنامجها أصبح أقل من قبل وبها الأقسام التالية : قسم لتخريج المترجمين والكتبة قسم المحاسبين ، قسم القضاة الشرعيين ، قسم المهندسين ، قسم المعلمين ، قسم اعدادى يدخل خريجوه مدرسة كتشنر الطبية ، ويوجد قسم داخلى للكلية .

وأكثر منازل الخرطوم من الطوب الأحمر المحروق ، وتتصل بالحدائق . وهى مدينة حديثة أنشأها محمد على الكبير ، وخربتها الثورة المهدية ونقلت العاصمة إلى جارتها أم درمان التى تحتفظ بالحى الوطنى والمنازل القديمة . وقد جدد بناء الخرطوم بعد استعادة السودان

وتوجد بها « شركة النور والقوة الكهربائية » وهى توزع النور الكهربائى وتدير الترام وهى صاحبة الكبريين



أعضاء البعثة المصرية فى حديقة الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى
وترى سيادته فى وسط الاعضاء



في سوق القضارف

حفلة الغرفة التجارية السودانية

خطب رئيس الغرفة وبعض أعضاء البعثة

أقامت الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم فى دارها الخاصة المنظمة الانيقة الملحق بها حديقة ، بعد ظهر اليوم حفلة شاى تكريماً لاعضاء البعثة حضرها الكثيرون من التجار والوجهاء .

خطاب مسيو كونتوميخالوس

فيما يلى الخطبة التى ألقاها مسيو كونتوميخالوس رئيس الغرفة التجارية السودانية :—

« بالنيابة عن لجنة وأعضاء الغرفة التجارية أريد أن أبث اليكم جميعاً ترحاباً قلبياً . لما كان لى الشرف فى مقابلة بعضكم فى القاهرة فى يولية الماضى ، صرحت بمحاولة ترتيب زيارة السودان

وبأننا نحن من جهتنا هنا سنعمل على رد هذه الزيارة . ذلك لأني فكرت أن هذه هى أحسن وسيلة لتقريب التجار بعضهم لبعض . وبعمل كهذا نكون قد مهدنا الطريق لحسن التفاهم بين بلدينا

وإني أعبر عن جميع من فى السودان بشعور الشكر والامتنان لحضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون وللجنة الجمعية الزراعية الملكية ولسعادة يوسف باشا قطاوي ولحضرة عبد المجيد افندى الرمالى الاول رئيس والثانى سكرتير غرفة القاهرة التجارية ولسعادة أمين يحيى باشا وشكرى خميس افندى الاول رئيس والثانى سكرتير غرفة الاسكندرية التجارية وللجنة النقابة الزراعية المصرية العامة لتلبية الدعوة وترتيب هذه البعثة فى السودان

للسودان أصدقاء كثيرون فى القطر المصرى ولكن ليس فيهم الحماس الكافى الذي نشهده فى ضيفنا الرفيع فؤاد أباظة بك : فنحن مدينون له أكثر مما نحن مدينون لغيره نظراً للمتاعب التى يتحملها ليوحى الى الشعب فى مصر الثقة بالسودان ، ولأنه رسول التعاون وترويج صلات الصداقة بين شعبى القطرين . للعائلة الأباظية أبناء ممتازون كثيرون ويحق لى أن أطلب من فؤاد

بك أن يتنازل عن لقب « أباظة » وأن يسمى نفسه « فؤاد بك السوداني»

لقد انقضى أسبوعان على نزولكم فى بور سودان ولقد سافرنا معا الى سواكن وطوكر وكسلا والقضارف وسنار وسنجا وكوستى وتندليتى وأم روابا والأبيض وقفلنا راجعين الى أباوجزيرة الخرطوم وهى المراكز المهمة ولقد حييتم فى كل جهة تحية ودية وقابلكم الموظفون بوجوه باسمة وتباحثتم مع الأعيان والتجار الأجانب والوطنيين فى جو ، يسوده الود والصفاء كما أن جميع الأهالى قابلوكم في كل قرية ومحطة مررتم بها ليحيوكم تحية أخوية وليعبروا عن آمالهم بأن تكون لزيارتكم نتيجة لها أثرها .

نعم نحن هنا زعماء التجارة وطلائع التقدم في السودان ننظر الى حضوركم بيننا بنفس الآمال الزاهية التى تملأ قلوب سائر السكان

لقد تكلم المصريون كثيراً عن السودان ولكن قليلا منهم من يلم إلماما كافياً بأحوال معيشتنا وحالات الحياة هنا . واني متأكد أن بعضهم ليس عنده فكرة صائبة عن التقدم الذى وصلت اليه البلاد منذ اعادة الاحتلال والطريق الذى مهد السلام والقانون الذى تسير عليه

لقد قابلكم حكام المقاطعات فى كل محطة ولقد رأيتموهم فى العمل ولقد سمعتم من أفواههم تاريخ محنهم والصعوبات التى تعوق واجباتهم المعقدة التى يقومون بها ولقد رأيتم الصداقة التى يعاملون بها الأهالى وكيف ينظر هؤلاء لتلك الفئة القليلة من الرجال الموزعة هنا وهناك لأقامة العدل والصراحة

ولقد شاركتمونا قليلا في رداءة الجو الذي يشتغل فيه هؤلاء الحكام ولم تسمعوا منهم أي شكوي بل بالعكس لم يكن هناك سوى حماس وثقة فى النفوس ورضاء عام

وإذا علمتم أن الحكام والتجار وجميع الأهالى كانوا يشتغلون فى السنوات الأخيرة تحت حالات غير طبيعية بأجور مخفضة وخسائر فى رأس المال تتوالي فاني متأكد أنكم تشعرون بأكثر من الاعجاب نحوهم وأنكم دون شك ستحملون معكم لبلدكم هذا الاعجاب. وستبلغون مواطنيكم ماعلمتموه عن الادارة والأهالى والحياة فى السودان وأن تبينوا لهم الخطوات العظيمة التى خطتها هذه البلاد فى طريق التقدم والمدنية بالرغم من الازمة التى أوقفت نشاطنا وشتتت أفكارنا وإني أرجو بما توصلتم اليه من معرفة أن تبلغوا مواطنيكم أن السودان

لايحتاج إلى العطف قولا وإنما نحن نرجو المساعدة العملية لانماء مواردنا وزيادة نشاطنا .

في الساعات القليلة التى لم نشتغل فيها بالقطار سنحت لنا الفرصة بأن نتبادل الآراء « كما سنتبادلها مدة اقامتكم هنا » في المسائل المختلفة التى تلفت النظر من الوجهة التجارية والزراعية

وانى لاأنتظر حصول معجزة لتغيير الحالة بقوة مسحر إذ كل تقدم يحصل سيكون نتيجة مجهود متحد دون ملل من الطرفين

لهذا السبب أنا لاأنتظر نتائج سريعة من محادثاتنا وتبادل آرائنا . ولكننى أنظر إلى المستقبل بثقة . وآمل أننا فى مدة اقامتكم هنا سنضع أساس التعاون بيننا وبعد رجوعكم إلى مصر ستبدأون فى بناء الأعمدة لربط المصالح المختلفة وتكوين لجنة دائمة للسودان تجمع ممثلى تجارتكم وصناعاتكم وزراعتكم

والغرفة التجارية السودانية تمثل هنا جميع هذه المصالح وحينئذ ستجعل الهيئتان من واجبهما تبادل الآراء بطريقة مستمرة لانماء التجارة بين القطرين ويجب عمل ترتيبات أيضاً لكى تجتمع اللجنتان مرة كل سنة فى القاهرة وفي الخرطوم على التعاقب إذ أن اتصال الأفراد بعضهم ببعض ضرورى لنجاح مجهوداتنا .

ستقيمون فى القاهرة معرضا فى ديسمبر القادم (١) وإنى أقترح ان تنتهز لجنة الغرفة التجارية فى الخرطوم هذه الفرصة لتقابلكم هناك لأول مرة وبذلك ترد اليكم رسميا زيارتكم الحاضرة لنا

إن المسائل الاقتصادية والتجارية تقود العالم اليوم كما ستقوده في القابل أكثر من أي قوة مسلحة . ولهذا السبب آمل في أن زيارتكم سيكون من شأنها أن تمحو شبهات الماضي السيئة بين بلدينا وأنها ستجمعهما بمجهود خالص نحو الصداقة والمودة

وأزيدكم القول أن زيارتكم سيكون لها تاريخ وأثر فى مستقبل بلدينا — كما ظهر لكم من الاستقبالات الودية التى قابلكم بها جميع الموظفين — حكومة السودان تميل نحو بلدكم وإن أقامتكم فى الخرطوم ستهيء لكم الفرصة لأن تتبينوا بأنفسكم الحق فى كلماتى

ان السودان كان موضوع نزاع بين ممثلى بلدكم والحكومة البريطانية فى

(١) قد أجل هذا المعرض الى فبراير سنة ١٩٣٦

المحادثات العديدة التى حدثت، وزيارتكم لنا ، واتصالكم بموظفى الحكومة ومن يعتد به ، سيجعلكم تعتقدون بأن الأحوال فى السودان ليست كما يعتقد مواطنوكم وأن الأثر الشخصى الذى يرتسم لكم سيجعلكم كما آمل قادرين على تذليل الصعاب وان يساعد على تحقيق تفاهم شريف بين البلدين اللذين يرفرف علماهما على رءوسنا .

وفى ختام ترحيبى بكم أريد أن أعبر عن امتناننا لسعادة حاكم عام السودان وكذلك لجميع الحكام وللجنة الغرفة التجارية السودانية الذين عاونونى قلبيا على أن تكون زيارتكم سارة ويصعب على أن أذكرهم جميعاً بأسمائهم ولكنكم تتفقون معى أن أخص بالثناء مصلحة السكة الحديد للترتيبات العظيمة التى عملتها لراحتكم

وأرجو أن تكون ذكريات اقامتكم في السودان سارة ومفيدة » اهـ .

« تصفيق حاد فى مواضع مختلفة »

خطاب رشوان محفوظ باشا رئيس البعثة

« جناب المستر كونتوميخالوس

حضرات السادة

وصلت بعثتنا الى عاصمة السودان . ونفس كل واحد منا مفعمة بعاطفتين تملكانها ولا تزالان تتجاذبانها : — عاطفة الشكر وعاطفة الاعجاب

فاذا أردنا أن نعبر عن شكرنا ألفينا كل بيان عاجزاً عن ايفائكم حقكم فمنذ وطئت أقدامنا هذه البلاد ونحن نقابل بمنتهى الحفاوة والتكريم فى كل مرحلة من مراحل طوافنا وأمارات البشر والترحيب تعلو الوجوه .

ناهيك بما هىء لنا من أسباب الراحة وطيب العيش ومن إتقان فى دقائق ذلك يعز مثيله على أي بلد آخر من بلاد الحضارة ونحن لا ندري وايم الحق من من حضراتكم نخص بشكرنا وكلكم قد طوقتم أجيادنا بفضل لن ننساه . على اننا نتوجه بأخلص عبارات الأمتنان لحضرة صاحب المعالى الحاكم العام ولحضرات رجال حكومته لما تفضلوا علينا به من جميل الاستقبال والحفاوة ولما قدموه لبعثتنا من تسهيلات حملت بعضهم مشقة وجهداً جهيداً ونذكر بأطيب الثناء أيضا حضرات رجال غرفة السودان التجارية وجناب رئيسها المحترم المستر كونتو ميخالوس

لتنظيم رحلتنا تنظيما دل على التناهى في حسن الذوق والكرم وقد جشمهم ذلك تعباً كثيراً .

أما باقي اخواننا السودانيين تجارهم وزراعهم وأعيانهم ومن انضم اليهم من الأجانب ، فلهم مناخالص الحمد وجزيل الشكر على ماغمرونا به من الحفاوة وحسن الاستقبال ونسأل الله أن يجزيهم عنا الجزاء الأوفى

أنا نغتبط غاية الاغتباط بماشاهدناه من دلائل التقدم والرقي في مرافق الحياة المختلفة بالسودان من منشئات اقتصادية وأعمال عمومية يفسح المجال لأكبر الآمال ونشهد للقائمين بها بالحكمة وحسن التدبير وأن حسن النية المتبادلة بين البلدين فى العمل على زيادة التعاون الزراعى والاقتصادى بها جدير بأن يتغلب على أية صعوبة لو وجدت فى هذا السبيل ويسرنا أن نعلم أن المناقشات التى تدور بين المختصين من الهيئتين تبشر بالوصول الى نتيجة ترضاها البلدان وبذلك يوضع الأساس لمستقبل كله خير وسعادة لهما وأنه ليهون علينا مالاقيناه من حرارة الجو فى هذه البلاد فى بدء رحلتنا فى سبيل المهمة التى نسعى اليها وقد أنستنا حرارة الاستقبال حرارة الجو

وختاما نشكر للمستر كونتوميخالوس حسن ضيافته لنا في هذه الليلة كما نشكر له مابذله ومايبذله دائما من جهود فى سبيل الغاية المشتركة التى نسعى لها كلنا وهى زيادة يسر ورخاء السودان ومصر باحكام الروابط الاقتصادية والزراعية بينهما « تصفيق متكرر »

خطاب فؤاد أباظة بك

« حضرة رئيس لجنة وأعضاء الغرفة التجارية السودانية

نيابة عن البعثة المصرية أريد أن أقدم لكم خالص تشكراتنا وامتناننا لتنظيم رحلتنا الذى مكنا من ادراك وجمع المعلومات الهامة التى توصلنا اليها باتصالنا رأسا بالعناصر التجارية والزراعية فى بور سودان وسواكن وطوكر وكسلا وقضارف وسنار وسنجا وكوستى وتندلتى وأم روابا والأبيض وجزيرة آبا وواد مدني وحصاحيصة وجزء كبير من شرق الجزيرة ومزارع طوكر والخرطوم

نحن بالفعل نضع كما قال خطيبكم المفوه أساسا لمظهر تجارى بين مصر

والسودان وربما كان هذا هو الوقت المناسب لأسرد لكم قصة هذه الحركة الحالية

فى مثل هذا الوقت تقريباً من السنة الماضية انتدبت من الجمعية الزراعية الملكية المصرية لأقوم برحلة جوية سريعة لأجمع معلومات عن نمو القطن وطرق الرى في وادى النيل ولأقدم مذكرة بملاحظاتى للجنة القطن الدولية المنعقدة في القاهرة بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٩٣٤

كنت موفقا في انجاز مهمتى حيث رجعت الى القاهرة في وقت مناسب لرفع مذكرة جامعة مختصرة واختتمتها بقولى «أقول من أهم مسائل وقتنا الحاضر المنظورة هى اعانة القطر المصرى بكل مايحتاج اليه من ماء يزيد فيصرف فى أراضى اخواننا المزارعين السودانيين ولكن يظهر لى من الاعتبارات الاقتصادية والصناعية أن الحالة الحاضرة بين مصر والسودان تحتاج الى تعاون اقتصادى واتصال مستمر ومن وجهة نظرى فانه من الممكن حل المشكل على أساس اعتبارات اقتصادية بحتة ليس من الصعب الوصول اليها وأما من الوجهة السياسية فلا دخل لي فى التكلم عنها .»

وقد عرضت فكرتي على صاحب السمو الأمير عمر طوسون رئيس الجمعية الزراعية الملكية الذى شملنى بعطفه وشجعنى واشتغلنا بها بعد ذلك فى لجنة الجمعية الزراعية الملكية ثم كان لى السرور أن تشرفت بمقابلة جناب السير استيوارت سايمز حاكم السودان العام فى الاسكندرية في يوليو الماضى كما قابلت صديقى الممتاز المسترج . كونتوميخالوس لأول مرة

وفى اجتماع مجلس ادارة الجمعية الزراعية الملكية المنعقدة فى ٩ أغسطس الماضى قد تقرر تنمية العلاقات الاقتصادية بين مصر والسودان على الوجه الآتى :—

١ — اعداد بناء خاص للسودان فى المعرض الزراعى الصناعى القادم

٢ — تنظيم رحلة للسودان فى شهرى يناير وفبراير القادم مكونة من أعضاء الغرفة التجارية وكبار الزراع فى مصر

٣ — دراسة مشروع تأليف شركة من أهالى مصر والسودان لمشترى أراضي زراعية واستثمارها

٤ — انشاء فرع للجمعية الزراعية بالخرطوم

٥ — دعوة بنك مصر لانشاء فرع له بالخرطوم

حضرات السادة

لا يمكنى الاستمرار فى سرد القصة قبل أن أذكر أننى مدين حقاً لجناب حاكم السودان العام ومستشاريه الممتازين ووكيل حكومة السودان فى مصر الذين مهدوا لي الطريق

فقد عرضت الأمر بصراحة على صاحب المعالي الحاكم العام الذى أحمل له كل اعجاب واحترام وقد شجعنى بثاقب فكره على أن أستمر فى فكرتى لمصالح مصر والسودان ومن جهة أخرى وجدت فى مستر كونتوميخالوس الرجل الدائب العمل الوصول الى غرضه فقد تكاتفنا معا الوصول الى معلومات كافية خاصة بتنمية العلاقات التجارية كما كان لى الشرف أيضا في مقابلة المسيو كافوري فى القاهرة وقد زودني بمعلومات وافية

سادتى

من دواعى أسداء الجميل المسيو كونتو ميخالوس الذى كان له الشجاعة التامة بتصريحه جهاراً بأفكاره وآرائه . وقد تكرم حضرة صاحب الجلالة ملك مصر بمنحه نيشان النيل من الدرجة الثالثة

سادتي

بفضل تشجيع وزعامة صاحب السمو الأمير عمر طوسون الذي يرجع فضل وجودنا اليوم هنا إليه، سنتباحث جدياً مع رئيس وأعضاء الغرفة السودانية وأعضاء الجمعية الزراعية والغرفة التجارية فى الاسكندرية فى المسائل المختلفة التى تقف فى طريقنا وانى واثق من أن حسن الارادة والنية من الطرفين ستصل بنا كما آمل الي نتائج مرضية

ياحضرة الرئيس : أشكركم كثيراً على الكلمات الطيبة الخاصة بمعاونتى الوضيعة للسودان . انه شرف لى ان أدعى « فؤاد بك السودانى » فانى أحب السودان. والحاضرون هنا من مصر وجميع المصريين عموماً يشعرون بنفس شعوري وزملائى بما قوبلنا به منذ نزولنا لبور سودان الى وصولنا للخرطوم . كما اننا مغتبطون مما رأيناه وسمعناه من جميع أصدقائنا السودانيين وجميع رجال الحكومة والسكان الأجانب وسائر أهل السودان الذين غمرونا بفضلهم وعملوا على أن تكون زيارتنا لطيفة وموفقة

ان المدينة كبيرة وذات جاذبية وقد تحمل أعضاء ومندبو الغرفة التجارية

تعباً شديداً لكي يجعلونا نشعر بأننا فى بلادنا كما أن رجال مصلحة السكك الحديدية والهيئات الأخرى سهلوا لنا الاقامة حتى أن زملائى لم يشعروا بأي تعب ونحن نأسف أن نرى برنامج رحلتنا يقرب من النهاية

سنجلس للعمل ونتفاهم على كل النقط من وجهة المعاملة وسنحمل الى مواطنينا فى مصر وصف مقابلات السودان الحماسية ونخبرهم بما رأينا وما سمعنا وستقوم لجنة متحدة بتبادل الآراء فى سبيل التقدم المستمر. والمصريون ينتظرون زيارتكم للقاهرة والقطر المصري فى وقت افتتاح المعرض الزراعى الصناعى الذى أرجو أن يكون فرصة مناسبة لتحقيق أغراضنا

زميلاى السيد عبد المجيد الرمالي سكرتير غرفة القاهرة التجارية وعلي افندى خميس سكرتير غرفة الاسكندرية التجارية سيتكلمان معكم فى المسائل التجارية

حضرات السادة :

أحمل اليكم شكر سمو الأمير عمر طوسون لكل ما قدمتموه لنا وأن لسموه رغبة قوية في تنمية العلاقات التجارية لفائدة ومنفعة الطرفين »

« تصفيق حاد فى مواضع مختلفة »

كلمة السيد عبد المجيد الرمالى

« جناب المسيو كونتى ميخالوس رئيس غرفة الخرطوم وحضرات زملائه الأفاضل .

إخواني .

أرجو أن تسمحوا لى بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن حضرة صاحب السعادة يوسف قطاوى باشا رئيس الغرفة المصرية التجارية للقاهرة الذي كان بوده الحضور شخصياً لولا ظروف طارئة حالت دون ذلك — أن اقدم الى التاجر الكبير والرجل العامل المسيو كونتمخالوس رئيس غرفة الخرطوم التجارية جزيل الشكر على دعوته الكريمة لنا . وتمهيده السبيل لهذا الاجتماع الحافل . كما أشكر السودانيين جميعاً مالقيناه ونلقاه من الكرم والحفاوة فى كل مكان نزلنا به

ان أكبر أمل يجيش بنفوسنا نحن المصريين . وأرباب الأعمال والتجارة بوجه خاص . هو أن تصبح العلائق الاقتصادية أوثق ما يمكن أن تكون

بين مصر والسودان لا سيما وقد أتاحت زيارة جناب المستر كونتميخالوس لبلادنا المصرية . وزيارته للغرفة التجارية . واتصاله بكبار رجال المال والأعمال في مصر . فرصة للتعبير عن ذلك الأمل . وهاهو يهيء لنا اليوم فرصة أخرى بهذا الاجتماع :

والواقع انه اذا وجب أن تتوطد الصلات التجارية والاقتصادية بين بلدين فان ذلك أوجب ما يكون بين القطرين الشقيقين : مصر والسودان . اللذين يصل النيل بينهما ويجعلهما بمثابة أرض واحدة . وهذا فضلا عن الأواصر التاريخية والاجتماعية والدينية التى تربط المصريين باخوانهم السودانيين

وجدير بهذه الروابط القوية أن تكون سبباً في زيادة الحركة التجارية بين القطرين حتى يكون كل منهما أول سوق تتجه اليها حاصلات الآخر ومنتجاته

وأن حضراتكم لاشك تعلمون مبلغ التقدم الذى بلغته الصناعات فى مصر وهو تقدم مطرد تغذيه الحكومة المصرية بالمعونة وتمده الأمة بالتشجيع . وبديهى أن تتجه أنظار أرباب المصانع المصرية الى السودان خصوصاً وأن الذوق المصرى يناسب أهله لتشابه العادات والاحوال الاجتماعية فى البلدين

والذى نرجوه نحن أرباب التجارة والأعمال في مصر . وتأمله جميع الغرف والتجارية المصرية ، هو أن تجد البضائع المصرية فى السودان ، كل تسهيل مستطاع وان تلقي البضائع السودانية فى الوقت نفسه كل معونة في مصر . وبهذا تزيد الحركة التجارية بين القطرين وتنشط النشاط المأمول . وبه تتحقق أمنية عزيزة عند المصريين والسودانيين سواءاً بسواء

واني كممثل لغرفة القاهرة التجارية يسرنى أن أعلن لحضرتكم أن الغرف التجارية المصرية ستكون خير عون لتوثيق الروابط التجارية بين القطرين كما أنها ستكون أكبر عامل لتوطيدها والسلام « تصفيق متكرر »

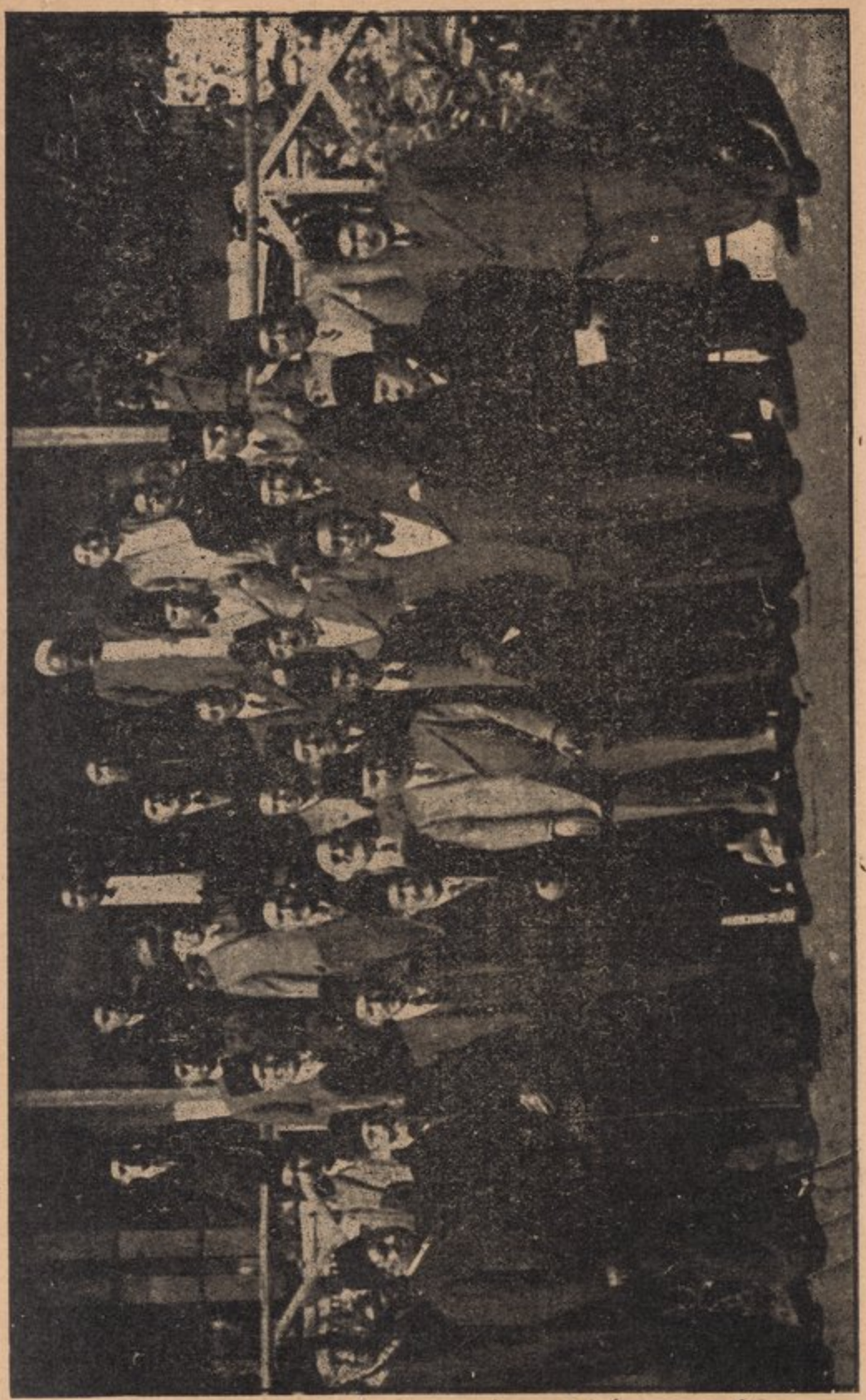

أعضاء البعثة أمام مكتب الجمعية الزراعية يتأهبون للسفر الي السوداني

اليوم الثالث

زيارة خزان جبل الاولياء

تفاصيل وافية عن الاعمال الهندسية والادارية

حفلة الشاى عند السيد على الميرغنى — حفلة سمر بالنادي المصري الخرطوم فى يوم الأحد ١٠ فبراير

بعد أن تناول الأعضاء طعام الافطار صباح اليوم — الاحد ١٠ فبراير الجارى توجهوا بالسيارات يرافقهم حضرات أعضاء لجنة الاستقبال وكبار المصريين بالخرطوم وعلى رأسهم فضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضي قضاة السودان وفريق من أعيان الخرطوم — لزيارة خزان جبل الأولياء

السياسة وخزان جبل الأولياء

أصبح اسم « خزان جبل الأولياء» مشهوراً فى التاريخ المصري مذكوراً فى السياسة المصرية ، وطالما كان اسما مرعبا ، كان المشروع مثار جدل ومناقشات فنية ومالية وسياسية في الهيئات الرسمية وغيرها ، لقد ترددت الوزارات المصرية التى وافقت عليه في تنفيذه ، ولكن وزارة واحدة — هى وزارة دولة اسماعيل صدقي باشا قد نفذته فى وسط سخط الرأى العام وفى أتون مخاوفه وطالما حوكمت صحف بسبب إنتقاد المشروع

والآن وقد أصبح المشروع عند منتصف تنفيذه ، وتقيدت الحكومة المصرية بمقاولته فقد صار من الطبيعى أن يهتم المصريون بالوقوف على حالة العمل ، وان تزور البعثة المصرية للسودان الخزان ومنطقته ، حتى ينقلوا لاخوانهم ماعرفوا عن كثب . وهذا برنامج صباح اليوم

تاريخ مشروع الخزان

في سنة ١٩٠٢ قامت بعثة المهندسين الأنجليز برياسة جناب سير ويليام جارستين مستشار نظارة الأشغال المصرية سابقاً ، بدراسة دقيقة لأعالى النيل وفروعه . وقد أودع جنابه أبحاثه ومقترحاته كتاباً ضخماً طبعته الحكومة المصرية عام ١٩٠٤ بعنوان «الدليل فى موارد أعالى النيل» وهو يتضمن برنامج

الأعمال المقترح تنفيذها على النيل من منابعه إلى مصبه ، وبالكتاب نبذة لحضرة مستر ديبوى تتناول بحوثه أنهار السودان الشرقي وبحيرة تانا بالحبشة

وقد كان مستر ديبوي المذكور مفتشاً عاماً لري السودان عند ماقام ببحوثه وعين بعد ذلك مستشاراً للاشغال المصرية ، وهو صاحب مشروع خزان جبل الأولياء الجديد الذى اقره مجلس الوزراء فى ٣ يناير سنة ١٩٣٢ مع تعديل خفيف في تفصيلات المشروع

ويعد كتاب « الدليل في موارد أعالى النيل » لوليام جارستين دستور الحكومة البريطانية وحكومة السودان في ضبط النيل وفى إقامة مشروعات الرى الكبرى ويجب أن يعلم الناس أن البرلمان الانجليزى قد أقر الدستور الذى وضعه سير جاستين عام ١٩٠٤ ، وحرصت وزارة الأشغال المصرية على تنفيذ هذا الدستور بولاء

أساس دستور ضبط النيل أنه « إذا كان الغرض تخزين مياه لسد جميع حاجات القطر المصرى فانه يوجد داخل حدود مصر مواقع تكفى لتخزين مايكفى لهذا الغرض »

« بما أن السودان فقير الميزانية ويحتاج للتعمير وبه أراض واسعة وصالحة للزراعة على ضفاف النيل ، فيجب عند التفكير فى أعمال الري الكبري أن يراعى صالح السودان أيضا »

وقد اعتمد مجلس الوزراء الأموال اللازمة لانشاء خزان جبل الأولياء وأدرجت بميزانية سنة ١٩٣٢ المقدمة لمجلس النواب طبقاً لتصميم المستر ديبوى

والخزان يمر بمديرية النيل الأبيض بطول ٣٣٠ كيلو مترا ومساحة هذه المديرية ثمانية ملايين من الأفدنة ذات أراض زراعية لاطريق لريها إلا من مياه هذا الخزان

قال السير ويليم ويلكوكس بتقرير لجنة ١٩٢٠ عربي ص ٣١ ملحق (١) مانصه : —

« مساحة الأراضي التى تحصل وزارة المالية المصرية ضرائب عنها هى ٥٫٥٥٤٫٠٠٠ فدان

والاحظ بغرابة ان وزارة الأشغال بكتاب ضبط النيل صحيفة ١١ (انكليزى) قدرتها بـ ٢٠٠٠٠٠٠ فدان ومع المساحة السابقة مليون فدان تروي ريا حوضياً

والباقي رياً مستديماً ويلزم لرى هذه المساحة سنوياً ٣٠٠و٣٥ مليار متر مكعب
ويلزم مصر للملاحة وللاعمال الصحية ولمياه الشرب وغيره في المدن نحو ستة مليارات

وتكون حاجة مصر فى الوقت الحاضر اكثر من ٤١ ملياراً المعادل لكل تصرف النيل فى سنة ٩١٣ — ١٤

إذن تكون الزيادة المقدر خزنها بجبل الأولياء وقدرها ٣٧ و ٧ مليار متر مكعب هى خيالية لاوجود لها » .

وقال جنابه بكتاب أرسله للمستشار المالى بتاريخ ١ — ١١ — ١٩ ماترجمته

« مشروعات سد النيل الأبيض وسد النيل الأزرق يضعان مصر تحت رحمة القابضين على أمر السودان وبهذا تفقد مصر حريتها بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخها من أيام مينا لليوم . لقد أعميت مصر ثم أجبرت أن تصيغ بنفسها لنفسها قيودها الفولاذية »

وقال المستر ديبوى بتقريره العربي ص ٢٧ مانصه : —

« لانزاع فى أن لمشروع جبل الاولياء عيوبا جلية . فموقع هذا السد مع احتمال استخدامه للاضرار بمصر قد أثار ثائرة الشعور السياسى ثم أن ارتفاع نسبة مايضيع من الماء فى الخزان قد عرض المشروع لمطاعن شديدة من الوجهة الهندسية هذا إلى أن نفقات العمل هي من الجسامة بحيث لاتحتملها موارد مصر المتيسرة في الوقت الحاضر »

وقال اللورد كتشنر في الكتاب الازرق لسنة ١٩١١ بصحيفة ١٠٤ مانصه : —

« وفى معرض النظر الآن إنشاء خزان تبلغ نفقته نصف مليون جنيه أو ثلاثة أرباع مليون جنيه وهو يقتضى انشاء قناطر على النيل الابيض بقرب موضع اقترانه بالنيل الازرق وقد تصل هذه القناطر الخرطوم بأم درمان فهذا الخزان يسد النقص في الماء اللازم لرى الجزيرة ويزيد ماء الري الصيفى في القطر المصري زيادة كبيرة ومن فوائده أيضا التحكم بمياه الفيضان فى أشهر سبتمبر واكتوبر ونوفمبر فتنتفع حياض الوجه القبلي بمصر ويروي أراضى شاسعة من بر مديرية كردفان على النيل الابيض ري فيضان

« والأرجح أن هذا المشروع يكون جزءاً غير قابل الانفصال من مشروع

الجزيرة فيدور العمل في المشروعين معاً وقد وجدوا مكاناً ملائماً لخزان سنار »

وقال اللورد كتشنر أيضاً بالكتاب الأزرق لسنة ٩١٣ عربى بصحيفة ٦٤ مانصه : —

« وكان للفيضان الواطىء للنيل سنة ١٩١٣ نتيجة أخرى تدعو إلى الخوف لأنه يتبعه انخفاض فى مناسيب الماء أكثر من المعتاد فى فصل الربيع وهذا يستلزم أن يكون الماء الصيفى أقل جداً من المعتاد وقد ذكرت في تقريري السابق أنه يحتمل أن تدعو الحال إلى عمل شيء يوقى به القطر المصرى من هذا المحذور وأشرت إلي بناء سد فى البحر الأبيض على مقربة من جبل الأولياء وأن الحاجة قد تدعو إلى ذلك وهذا السد لايكفى وحده لكل حاجة القطر المصري إذا تم استحياء كل أراضي الوجه البحري القابلة للزراعة وتم تحويل الحياض إلى رى صيفى فى كل الوجه القبلى ولكنه يفى بالحاجة من الآن إلي سنين كثيرة .

وقد لا يكون من حسن التقدير إنشاء هذا السد . اذا أريد به مجرد زيادة الماء الصيفى في القطر المصري .

لأن الحل الحقيقي لهذه المسألة يقوم على مايظهر بمعالجة النيل حينما يخرج من البحيرات الكبيرة لكى يجرى فيه مقدار كاف من الماء دائما ولكن المكان الذي أختير لانشاء السد يصلح لأن يتحكم فيه بالنيل على نوع لمنع أمواج الفيضان العالية جداً من النزول الى مصر ولذلك فالحكمة تقضي بانشاء هذا السد لغرضين الأول : وهو المقصود بالذات منع ضرر الفيضان الفائق الحد . والثانى صيرورته خزاناً لخزن الماء فوقه . ولكن انشاؤه لايغنى عن الأعمال اللازمة للتحكم بالمياه عند مصادر النيل فى البحيرات الكبيرة لأجل حل مسألة الرى الصيفى لكل القطر المصرى »

وقال المستر ديبوى بتقريره المقدم للحكومة المصرية عن المشروعات بالنسخة العربية مانصه :

« إن سعة خزان جبل الأوليا الفعلية المعدل لمشروع ماكدونالد يجب أن تكون ٩ر٤ مليار متر مكعب في جبل الأوليا . وهذا يعادل ١ر٢ مليار متر مكعب عند أسوان (ص ٩٢)

وابقاء الخزان مملوءاً طول الشتاء سيحول تماما دون قيام السودانيين بزراعة

الأراضى بطريقة السلوكة كما يفعلون الآن فى أشهر الشتاء . بيد أن ابقاء الخزان على منسوب ٣٧٧ باستمرار من أكتوبر إلى مارس مع انشاء بضع ترع تمتد من حافة النهر إلي الأراضى الواسعة الواقعة فوق هذا المنسوب قليلا خليق بأن يمهد الوسائل لزراعة مساحات واسعة من الأراضى التى تزرع الآن على المطر وذلك إذا شاء الأهالى الانتفاع بما يتهيأ لهم من هذه الوسائل بتركيب السواقي والشواديف على الترع » (ص ٩٣)

وهناك مناطق بحرى الخرطوم عديدة تصلح للتخزين لصالح مصر نذكر بعضها لاعادة بحثها بلجنة وطنية من المهندسين الأكفاء المخلصين لاعطاء حكم عنها يصلح التعويل عليه وها هى بعض تلك المواقع : —

أولا — هدارات الدال بالشلال الثاني .
ثانياً — جزيرة شيرى بالشلال الرابع
ثالثاً — الهدارات الواقعة تحت أبي حمد بالشلال الخامس
رابعاً — هدارات شابلوكا المعروفة بالشلال السادس

***

أما المشروعات الواجب تنفيذها على وجه السرعة لزيادة إيراد النيل بمصر فهى

أولا — زيادة التخزين باسوان حتى تصل كمية الانتفاع الصافى منها الي ٥ر٥٠٠ مليار متر مكعب بدل ٢ر٣٠٠ الجارى الانتفاع بها من خزان اسوان الحالي .

ثانياً — إنشاء قناة بالسدود لتنتفع منها مصر فى مثل ١٣ — ١٤ بالمقادير الآتية :

١ر٢٠٠ مليار متر مكعب تخزن باسوان في مثل سنة ١٣ — ١٤
٢ر١٠٠ « « « زيادة للرى زمن الصيف
٢ر٥٠٠ « « « زيادة فى مياه الفيضان لتخزن بخزان وادى السريان فى مثل سنة ١٣ — ١٤

ثالثاً — انشاء خزان بوادى السريان لخزن ثلاثة مليارات ايراداً صافياً .

وقد نشرت جريدة « الأهرام » بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٥ بياناً لوزارة الأشغال جاء فيه أن اللازم لمصر بعد ما يتم زراعة كل أراضيها هو سبعة عشر ملياراً فى مثل سنة ١٣ — ١٤ زيادة على ايراد النيل فى زمن الصيف (أول فبراير — ٢٠ يولية) فاذا تيسر لمصر انشاء المشروعات الثلاثة السابقة وكانت

الأرقام الواردة بكتاب ضبط النيل صحيحة فانها تحصل علي زيادة فى ايرادها الصيفى قدرها :

٥ر٥٠٠ من خزان أسوان بعد تعليته عشرة أمتار
٣ر٠٠٠ من خزان وادى السريان
٢ر١٠٠ من انشاء قناة منطقة السدود
١٠ر٦٠٠ مليار متر مكعب

لاغرابة (١) فى أن حكومة السودان أوجست خيفة فى بادىء الأمر من مشروع يكون من ورائه إغراق جانب من مديرية النيل الابيض ولكن استقصاء البحث أثبت أن الخزان المقترح فضلا عن أنه لن يكون منه أدني ضرر على المديرية المذكورة سيعود عليها بالخير والفائدة وذلك أن اجمالى مساحة هذه المديرية ٣٤٠٠٠ كيلو متر مربع لم تبلغ المزروع منها قط فى حده الاقصي أكثر من ربعها •

وحالة الزراعة هناك بسيطة أولية ومدار أمرها إما على المطر أو على الارتفاع والهبوط الطبيعى للنهر والامطار فى الجهات الشمالية قليلة ولكن مساطيح النهر واسعة . أما في الجهات الجنوبية فالأمطار أغزر ولكن المساطيح أضيق وتعريف لفظة مسطاح فى هذا السياق المساحة المحصورة بين متوسط منسوب الفيضان العالي ومتوسط المنسوب الصيفى المنخفضة . أما أهالى الأقاليم فشعب فقير جاهل وطرق الزراعة عندهم فى غاية البساطة . ففى أثناء هبوط النهر تحفر فى الطين حفر بعصا أو « سلوكه » وتوضع البذرة ثم تترك وشأنها لتنمو . ومن ثم أصبح هذا النوع من الزراعة يعرف بزراعة السلوكة . والمحاصيل المستنتجة بهذه الطريقة مقصورة على الحاصلات الغذائية أعنى الذرة الشامية وأنواع شتى من الجلبان يتخللها هنا وهنا لك قطع متفرقة من القطن للاستهلاك المحلى . وجدير بالذكر أن الاراضى الأكثر ارتفاعاً من الآنفة الذكر أعنى الأراضي التى لا يغطيها النيل فى حالته العادية هى الأخصب تربة واليها يتحول الأهالى بعد الفيضان العالي أو غب الأمطار الغزيرة فيزرعونها ويتركون الأراضى المنخفضة بوراً . وأرض هذه المديرية على الاجمال ضعيفة بالنسبة لأرض الجزيرة فتربتها عسرة المراس صعبة الاختراق جداً فالأراضى التى تزرع

(١) ص ٨٣ من كتاب ضبط النيل

فى الوقت الراهن سيصير إغراقها برمتها ولكن يعتاض عنها بمساحات أعلى منسوباً وهذه ستغمر بالفيضان وتستصلح للزراعة كل عام بالطريقة الموضحة فى الفصل الثاني من الباب الثالث : وبذلك لا تكون الفائدة مقصورة على اعتياض أرض جيدة بدل الضعيفة بل يضاف إلي ذلك أن عين المساحات المحددة تصبح متيسرة عاما فعاماً وهذه مزية إدارية ليست بالقليلة الأهمية . هذا وأن رفع منسوب الخزان كل عام إلى درجة كافية لغمر المساحات المتيسرة للزراعة يستلزم حتماً ري مساحات أخري أعظم كثيراً مما يستطيع سكان المديرية أن أن يزرعوه بالحاصلات فى حالتهم الراهنة وهذه المساحات ستكسوها الأعشاب بلا شك وتصبح مراع صالحة لتربية المواشى ويبلغ اجمالى السكان فى أقليم النيل الأبيض نحو ١٨٠٠٠٠ نسمة . ويبلغ عدد القسم المجاور للنهر من هذا الاجمالى أعنى القسم الذى ستعلقه بناء الخزان عن مواطنته ٤٠٠٠٠ نسمة حسب تقدير حاكم المديرية . وقد كان أقصى المساحة المزروعة ١٠٧٠٠٠ فدان فى سنة ١٩١٧ وبرفع منسوب الخزان نحو نصف متر فقط لمدة أسبوع أو اثنين أى من ٣٧٨٫٥٠ إلى نحو ٣٧٩ ثم تخفيضه تصبح المساحة التى تغمر واسعة فتتيسر للزراعة نحو ١٠٠٫٠٠٠ فدان وفى السنين التى يستعمل فيها الخزان كمصرف للفيضان ويرتفع المنسوب إلى ٣٨٠ (ثم يخفض ثانياً حتى يبلغ ٣٧٨٫٥٠ فى ١٥ ديسمبر) تكون المساحة التى غمرت ثم انكشفت نحو ٤٨٠٫٠٠٠ فدان . ومن ذلك يتضح أنه متى أنشيء الخزان لم تكن فائدة السكان منه مقصورة على استزادتهم من الاراضى الصالحة للزراعة سواء من حيث المقدار والجودة بل يصبح أمر الزراعة عندهم غير متوقف على تقلبات فيضان النيل . فستكون فوائد الخزان مشابهة لفوائد أعمال الشراقي التى قام بها الكولونيل روس فى الوجه القبلى منذ ثلاثين عاما (١)

المعارضة الشريرة فى انشاء الخزان

لقد كان أول صوت فى العالم ارتفع بمعارضة انشاء خزان جبل الأولياء لأنه يضر بمصر هو صوت المرحوم الكولونيل كتدى باشا المهندس القدير ومدير الأشغال بالسودان سابقاً ، وقد انتقد المشروع لجنة المهندسين المصريين الأحرار

(١) انظر كتاب مشروعات الرى تأليف ابراهيم زكى المهندس

سنة ١٩٢٠ ، والمهندس ابراهيم زكى ، وكان الوفد المصرى معارضاً فى المشروع ، وله بيانات في هـذا الصدد ، وكذلك انتقده سـعادة عثمان محرم باشا وزير الأشغال سابقاً والمرحوم محمد زغلول باشا وكيلها الأسـبق فى مذكرة نشرت سنة ١٩٢٩ ، ووضع حضرة الاستاذ عبد الحليم اليـاس نصير مذكرة وافية بوجوه الاعتراض على انشاء ذلك الخزان ، وللاستاذ حسن صبرى بك وزير المالية السابق ووزير مصر المفوض بلندن الآن مذكرة وزعت على أعضاء مجلس الشيوخ سنة ١٩٣٢ ، وكان نواب الحزب الوطنى فى البرلمان السابق معارضين للمشروع وانتقدته الصحف الحرة

وقد وصف الأستاذ نصير « سير ولكوكس » الذى عارض المشروع فقال :

« شيخ جاوز الحلقة الثامنة وتراه كانه في ميعة الصبى ، قامة معتدلة ، وهامة مرتفعة وصحة بادية ونور من اليقين يشع بين عينيـه ويملأ شفتيه ويبدو على أسارير وجهه ، وهو مهندس انجليزى تربى في الهند وشاد مجده العلمى بالاطلاع والدرس والاجتهاد في ساحة الحياة العملية فظهر نبوغه وذاع صيته في الآفاق واشتهر الرجل بالشجاعة والعلم والاخلاص وحب الفلاحين . لهذا عندمارأى اصرار الحكومة الانجليزية على حمل الحكومة المصرية على قبول انشاء خزان جبل الاولياء أعلن رأيه بصراحة ولم يدع دائرة من دوائر النفوذ دون أن يكاشفها بمضـار المشروع على مصر والمصريين ، وشهر بحكومة بلاده تشهيراً عظيما أمام حكومات العالم ودافع عن حقوق مصر الضعيفة دفاعاً باهراً تتعطر بذكره جميع الاجيال ، ولولا مناهضة هذا الرجل لتمت المشروعات التى أرادها الانجليز فى الخفاء وأهل مصر فى سبات ونوم عميق . ولقد ضحى الرجل بنفسه وماله ومركزه الادبى أمام حكومة بلاده

وقد أمرت الحكومة البريطانية بمحاكمته أمام محـكمة القنصلية البريطانية بمصر فى سنة ١٩٢١ وأقيمت الدعوى عليه هو وكندي باشا بتهمة قذفهما في حق سـير مكدونالد صاحب المشروع الكبير لخزان جبـل الاولياء وبتهمة تشهيرهما بمشروعات الرى وإثارة الشعور المصرى وبتهمة أخرى لم تنشر وهى تحريض الشعب المصرى ضد مقام الدولة البريطانية . وتعد هاته المحاكمة من أهم القضايا الفنية

وكان من أثر تلك الحملة أن أقرت الحكومة الانجليزية العدول مؤقتاً عن

مشروع خزان الاولياء ولكنها فى الوقت نفسه قضت بمحاكمة كندى وويلكوكس فجردت كندي باشا من جنسيته الانجليزية ومن القابه ورتبه ونقصت معاشه ، وحكمت علي السير ولكوكس بالصمت التام عاما كاملا وبحرمانه من الكتابة فى مشروعات الخزانات بالسودان لمدة عام . »

المشروع بعد الحرب

لجنة المهندسين الوطنيين

بعد الحرب الكبرى اتجهت أنظار الانجليز الى تنفيذ المشروع بالسودان وذلك لاستثمار الأموال الانجليزية ثم لايجاد أعمال للشركات والمقاولين الانجليز علاوة على تنفيذ برنامج ضبط الماء بالسودان. ونظراً لخطورة مشروعات النيل الكبرى فى السودان بالنسبة لمصر ، ونظراً لوقوف ولكوكس وكندي باشا في وجه تلك المشروعات فقد استقذ هذا الموقف النبيل بعض المهندسين الوطنيين فألفوا من بينهم لجنة برآسة المرحوم عبدالله وهبي باشا وعضوية حضرات موسى غالب باشا والمهندس ابراهيم زكى ومحمد اسماعيل حب الرمان بك وعبدالقوى احمد بك المهندس المقيم لمشروع خزان جبل الأولياء

أما سكرتيرية اللجنة فعهد بها الى المهندس ابراهيم زكى ، وقد قامت هذه اللجنة بأعمال باهرة ويرجع الي مجهوداتها كثير من الفضل فى عدول وزارة دولة عدلى يكن باشا عن اقرار مشروع خزان جبل الأولياء . وقد نشرت تلك اللجنة على الرأى العام مذكرة هامة بنقد مشروعات الرى

وقد أرسل المرحوم سير وليام ولكوكس الكتاب التالي الى دولة عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ رئيس الوزارة يومئذ .

« لقد قضيت أربعين عاماً بمصر ! وأكلت ملحها، وشربت ماء نيلها ، لهذا أرى من الجبن والنذالة أن اقف مكتوف اليدين ، بينما أشاهد بعينى رأسى أن مصر الضعيفة يراد قتلها باستعبادها وإذلالها بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ إذ يراد قتلها بواسطة مشروعات الرى التى يراد اقامتها بالسودان للتحكم فى مياه مصر ولأغتصاب حقوقها في ماء النيل لأستعماله بالسودان

الامضاء : سير ويليام ويلكوكس » اه

تقرير المستر ديبوى فى مايو سنة ١٩٢٣

بقرار مجلس الوزراء الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٢١ ندب المستر ديبوي الذى كان مستشاراً لوزارة الأشغال العمومية لمهام منها بحث مشروعات الرى الكبري وابداء رأيه فيها ، وفى أحسن برنامج لترقية شؤون القطر الزراعيـة — وفى حالة وأعمال مصلحة الري المصرية مع الاشارة بصفة خاصة الي علاقاتها بغيرها من المصالح الأميرية — ولقـد قام بمهمته ووضع تقريره فى جزءين كبيرين قدمهما الى رياسة مجلس الوزراء .

جاء بالصفحة الثانيـة من تقرير المستر ديبوي ذلك المهنـدس الكبير والخبير العالمى :

« ثم فحصت الموقف الراهن فألفيت البـلاد مثقلة ببرنامج أعمـال مترامي الأطراف واسع النطاق يرمى الى تحسين الأحوال الزراعية واستثمار الأراضى البور ولكن البلاد عاجزة من الوجهة المالية عن السير به . . . »

. . . . . « وعندى أن السبب الذى أدي الى هذا الموقف يرجع بالأكثرية ... ثانياً إلى عدم وجود أية رقابة مالية فعالة على الشروع فى أعمال كبيرة تقتضى انفاق أموال طائلة .

وأما فيما يختص بالسبب الثانى فقد أبديت من المقترحات ما أرجو أن يؤدى إلى ايجاد رقابة مالية أعظم أحكاماً وأشد فعلا وذلك . أولا بأن جعلت الاعتبار الأهم مقدرة القطر المالية لاحاجته المفروضة الى سرعة النمو .

وأخيراً بأن أشرت بعدم فتح اعتمادات مالية لهذه الأعمال إلا بعد تقديم مقايسات مفصلة وافية . . . . . »

وجاء بصفحة ٢٧ :

«لانزاع فى أن لمشروع سد جبل الاولياء عيوبا جلية . فموقع هذا العمل مع احتمال استخدامه للاضرار بمصر قد أثار ثائرة الشعور السياسى — ثم أن ارتفاع نسبة مايضيع من المـاء فى الخزان قد عرض المشروع لمطاعن شديدة من الوجهة الهندسية . . . .

«هذا الى أن نفقات العمل هى من الجسامة بحيث لاتحتملها موارد مصر المتيسرة في الوقت الحاضر . .

فنظراً الى خطورة هـذه الاعتراضات الموجهة الى المشروع كان القرار

الذى أصدر فى مايو سنة ١٩٢١ بايقاف العمل مبرراً فيما أرى كل التبرير . »

«ولاأظن أن استئناف العمل يكون من الامور الممكنة أو المستحسنة اللهم إلا بعد أن يعاد النظر فى الحالة بدقة وعناية »

وجاء فى الباب السابع من هذا التقرير تحت عنوان «أعمال الاستثمار الأخرى » بالصفحتين ٢٩و٣٠ :

«والذي يلاحظ لاول وهلة أن الآراء فى هذا الصدد متشعبة أيما تشعب ولكن الاتجاه العام لما تلقيناه من المقترحات والآراء يشير — كما هو منتظر إلى اتفاق عظيم على أظهر ماتفتقر اليه البلد فى الوقت الحاضر وهو :

(١) تحسين الصرف

(٢) زيادة المياه الصيفية

(٣) التوسع فى استصلاح الاراضى البور وفاء بمطالب السكان المتزايدة بسرعة

والظاهر أن التحسين المطلوب للصرف هو على ثلاثة أضرب :

أولا — تحسين المصارف الحالية .

ثانياً — تجديد وسائل الصرف فى الجهات الخالية منها الآن . وهذا ينحصر وجه عام فى تمديد بعض المصارف الحالية أو انشاء مصارف فرعية .

على أن تدبير المزيد من المياه الصيفية عمل باهظ الكلفة بطبيعة الحال . ولئن كنت أميل شخصياً الى اعتباره فى المنزلة الاولى من الاهمية والاستعجال » فان هناك من الصعوبات المالية وغيرها ماقد يحتم تأجيل الأعمال اللازمة لهذا الغرض زمناً معيناً يمكن فى اثنائه تخصيص كل مايتيسر من الأموال لتحسين الصرف »

وجاء بالصفحة ٤١ :

« والواقع أن هذا البرنامج (البرنامج المبسوط فى كتاب ضبط النيل) قد وجد بعيد المطمح فادح النفقة فتقرر ايقاف العمل به . والظاهر أنه لامفر من الاعتراف بأنه بحالته الاصلية خليق بالاهمال نهائياً وأنه لابد من الاستعاضة به ببرنامج معدل يرمي الى مباشرة العمل اللازم على مراحل متتابعة وبنسب محتملة . »

ثم تكلم عن أعمال للصرف اللازمة فى الوجهين القبلى والبحري

رأت الوزارة أن تأخذ بنظرية المستر ديبوى في انشاء الخزان الواطى . لا الخزان العالى كما كان يري ذلك السير مردوخ ماكدونالد .

وعلى ذلك فالتكاليف يجب أن تكون تكاليف الخزان الواطى .

وقد قدر الخزان وفق هذا المنسوب أن تكون سعته ٣٠٠٠ مليون متر مكعب عند جبل الأولياء وأن هذا المقدار من الماء يصل إلى خزان أسوان أقل من ذلك بحيث يفقد بالتبخر فى الطريق تسعمائة مليون متر مكعب وبذلك يصبح الرصيد الصافى فقط مليارين ومائة مليون متر مكعب عند أسوان ، وهذا الصافى الذي فرض أن ينتفع به القطر المصرى فى التوسع الزراعى

امكان تعلية الخزان

وقد جعلت وزارة الأشغال المشروع على قاعدة أن يسمح تصميمه فى المستقبل بتعليته ، وبذلك وضع أسس خزان الاولياء بكيفية فنية تكفل إجراء التعلية فى المستقبل ليسع حوالى ١٧ مليارا من الامتار المكعبة

نفقات الخزان

اقتصرت وزارة الأشغال في مذكرتها المرفوعة إلى مجلس الوزراء بتاريخ ٣ يناير سنة ١٩٣٢ على تقدير نفقات الخزان ذاته بمبلغ أربعة ملايين ونصف المليون من الجنيهات المصرية ، يدخل ضمنها ثلاثة أرباع المليون تدفعها الحكومة المصرية إلى حكومة السودان تعويضاً عن الأراضى التى يحتمل أن تغمرها مياه خزان الأولياء وكذا عن أضرار القرى .

مزايا المشروع الحالى

ذكرت وزارة الاشغال أن هذا الخزان سيوفر للقطر المصرى حوالى مليارين للانتفاع صيفياً وأن هذا الخزان في الوقت نفسه له فائدة أخرى هامة وهى منع خطر الفيضانات العالية ودفع أذاها عن القطر المصري

وأن لخزان أسوان مزية واحدة فقط وهى تخزين كمية محددة من المياه تنتفع بها مصر صيفياً

قدرت وزارة الاشغال بمذكرتها المؤرخة ٣ يناير سنة ١٩٣٢ تكاليف هذا الخزان الواطى بمبلغ ٤٥٠٠٠٠٠ ج . م .

وقد كانت وزارة الاشغال قدرت هذه التكاليف نفسها بمذكرتها المؤرخة ٧ يناير سنة ١٩٢٩ بمبلغ ٣٥٠٠٠٠٠ ج . م (تراجع الصفحة ٤٠ من مذكرة

وزارة الاشغال المطبوعة سنة ١٩٣٢ التى وزعت على أعضاء مجلس النواب سنة ٩٣٢)

كان السير مردوخ ماكدونالد يقدر تكاليف الخزان العالى سنة ١٩٢٠ بمبلغ ٠٠٠و٥٠٠و٢ ج . م

ويقدر السير مردوخ ماكدونالد قيمة التعويضات عن التلف الذى يحصل من جراء انشاء الخزان العالى بمبلغ ٠٠٠ و ٣٠٠ ج . م

تقرير شفيق باشا لمجلس الوزراء سنة ١٩٢١

وقد جاء فى تقرير محمد شفيق باشا وزير الأشغال يومئذ إلى رئيس مجلس الوزراء ننقل عن هذا التقرير المحرر باللغة الفرنسية معربا الفقرات الآتية :

« فى مايو سنة ١٩١٤ عرضت وزارة الأشغال على مجلس الوزراء بناء خزان جبل الأولياء على النيل الأبيض — واقترحت أن يتم في ثلاث سنوات وأن تكون تكاليفه كما يأتي :

٠٠٠و٢٠٠ ج . م فى السنة الأولى و ٠٠٠ر٤٠٠ ج . م فى السنة الثانية و ٠٠٠ر٤٠٠ ج.م فى السنة الثالثة أى تكون تكاليفه كلها مليونا من الجنيهات .....

وفى سنة ١٩١٦ أعيد البحث فى مشروع خزان جبل الأولياء وأدرج له إعتماد فى سنة ١٩١٧ مقداره ٨٠٠٠ ج . م لأعمال تحضيرية ضم اليه إعتماد اضافى أثناء السنة بمبلغ ٠٠٠ر١٢ ج . م

وفي سنة ١٩١٨ عند ماتغير تقدير قيمة مصاريف الخزان بالمشروع المعدل الذى قدر له مبلغ ٠٠٠ر٧٠٠ر١ ج . م أدرج له مبلغ ٣٠٠ ر ٧٤ ج . م

وفى فبراير سنة ١٩١٩ أدرج له مبلغ ٠٠٠ر١٠٠ ج.م وعدلت التكاليف إلى ٠٠٠ر٢٠٠ر٢ ج . م

وسعة الخزان أربعة مليارات تصبح ثلاثة فى أسوان

ولما كان من شأن انشاء خزاني سنار وجبل الأولياء انقاص منسوب الفيضان من ٢٠ سنتيمتراً إلى ٢٠ر١ متراً فينتج من ذلك أن مياه الفيضان ستتأخر خمسة عشر يوماً فى الوجه البحرى . فاذا لم تعد قناطر الدلتا لتعويض ذلك ، فان الضرر الذى ينتج عن تأخر الفيضان هذا لا يمكن تلافيه — وتتأثر بتأخير ونقص ارتفاع ماء النيل في الفيضان السواحل والجزر »

ومما جاء بهذا التقرير :

« يجب للانتفاع بخزان جبل الأولياء إذا ما أنشيء مع خزان سنار ولمنع الضرر الناتج من انخفاض مستوى الفيضان وتأخره .

(ا) إنشاء قناطر نجع حمادي :

(ب) التغيير الجزئى أو الكلى لقناطر اسنا وأسيوط والدلتا .

(ج) توسيع بعض ترع الوجه القبلى وتغيير منظماتها Regulation

(د) وضع طلمبات في البلاد المحرومة من الفيضان لمناطق أسوان وعمل مشروعات ضرورية فى الوجهين القبلى والبحرى وهذه الأعمال لا تتكلف أقل من ثمانية ملايين جنيه فيكون المجموع ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ج . م

فاذا لم تنفذ المشروعات المشار اليها(١) فان انشاء خزان جبل الأولياء يسبب لمصر أخطاراً أثناء الفيضان وان زاد في كمية المياه الصيفية .

ومن المحتمل أن الضرر يكون أكثر من النفع الذي ينتج عن هذه الزيادة من الماء الصيفى — وفى بعض السنين سنرى مضطرين لعدم استعمال مياه خزان جبل الأولياء للقضاء على الشراقي وذلك إذا لم تنفذ الأعمال المشار اليها قبلا .

إذا تم الخزانات أثناء فيضان سنة ١٩٢٦ فسينزل مستوى الماء ما بين ٢٠ سنتيمتراً ومترا و ٢٠ سنتيمترا ، وهذا الانخفاض يظهر أثره في زيادة الأطيان التى تتخلف شراقي ولذلك يجب أن تتم المشروعات الأخري مع تمام الخزانين .

مصاريف إنشاء خزان جبل الأولياء وما يستلزمه تقدر باثنى عشر مليون جنيه .

إذا ما صرف مبلغ ١١٢٫٠٠٠٫٠٠ جنيه حتى سنة ١٩٢٦ يكون لمصر فى أسوان مقدار ثلاثة مليارات متر مكعب من الماء — ولكن لم يعمل شيء للانتفاع بهذا المقدار من الماء اذا ما وجد ، ولذلك فوزارة الأشغال تحتاج إلى اثنى عشر مليوناً أخرى لامكان الانتفاع بذلك » اهـ

ولقد وافق السير مردوخ ماكدونالد مستشار وزارة الاشغال على هذا التقرير فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٢١

بناء على هذا التقرير أصدر مجلس الوزراء فى ٢٥ مايو سنة ١٩٢١ قراره :

« بما أنه يتضح من مذكرة مرفوعة من وزارة الاشغال العمومية ان اتمام

(١) نفذت هذه المشروعات أو كادت تنفذ

خزان جبل الاولياء وتنفيذ ما يلحق به من مشروعات الري اللازم عملها لمصر يقتضى من المال مبلغ ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه

وبما أن الاحوال المالية الحاضرة لاتمكن الحكومة من تدبير مبلغ طائل كهذا المبلغ الا إذا التجأت الى الاقتراض الامر الذى لاترغب فيه الآن .

وبما أنه سواء فيما يختص بخزان جبل الاولياء أو بخزان مكوار وترعة الجزيرة لايستطيع مجلس الوزراء أن يصدر قراراً حاسماً بشأن هذه الاعمال قبل الوقوف على نتيجة المفاوضات المزمع اجراؤها بين مصر وبريطانيا العظمى

لهـذه الاسباب

فمجلس الوزراء يقرر :

١ — ايقاف الاعمال الجارية فى جبل الأولياء مع المحافظة على ماتم فيها حتى الآن .

٢ — يرى ايقـاف أعمال خزان مكوار وترعة الجزيرة غير أنه اذا رأت حكومة السودان مواصلة هذه الاعمال على مسئوليتها الخاصة فليكن من المعلوم :

(ا) أن هذه الاعمال لايجوز الانتفاع بها لرى أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ فدان حسب الاتفاق السابق في هذا الشأن .

(ب) أن الحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحق في تقدير ماتراه ازاء هذه الاعمال ، وقرارها هذا يتوقف على نتيجة المفاوضات » . اهـ

* * *

وقد أشار المهنـدس ابراهيم زكى على الحكومة بصفحة ٩٢ من تقريره المؤرخ مايو سنة ١٩٢٢ (نسخة عربية) حيث قال (ان خير طريقة لمعالجـة مسألة انشاء هذا الخزان توجيه الاهتمام كله إلى تصميمه بشكل يكون أضيق نطاقاً وأقل كلفة) بنـاء على مقترحات مستر ديبوي فى تجهيز مشروع جديد مصغر بمعرفة مستر روبرتس مفتش عموم رى السودان على حسب آراء مستر ديبوى .

ثم جاءت وزارة المغفور له سعد باشا زغلول الأولي فى سنة ١٩٢٤ فوقفت المشروع ثانياً للاسباب السابقة . ولما جاءت وزارة زيور باشا فى سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٦ تجددت فكرة تنفيذ مشروع جبل الأولياء ، وفعلا أعيد العمل ثانياً في تجهيز رسومات المشروع لكى ينفـذ فوراً ، ورفعت مذكرة لمجلس الوزراء

بطلب فتح الاعتمادات اللازمة للعمل ووافق عليها مجلس الوزراء وطلب فعلا من المقاولين زيارة محل الخزان .

ولكن عندما عاد البرلمان وجاءت معه الوزارة الأئتلافية لدولة عدلي يكن باشا فى صيف سنة ١٩٢٦ قررت وقف العمل ثانياً ووافق البرلمان على ذلك وعلى أن يبحث مشروع تعلية خزان اسوان بحثاً فنياً جدياً لان هذا البحث لم يحصل قبل ذلك بالرغم من أن معالى محمد شفيق باشا عندما وقف العمل أولا أمر بعمل هذه المباحث ولكن للاسف بعد خروجه لم تعمل وزارة الاشغال شيئاً مما كان قد أمر به

وسرعان ما ألفت وزارة الاشغال فى عهد عثمان محرم باشا وزير الاشغال المكاتب الفنية اللازمة لاتمام هذه المباحث ، حتى يتسنى للحكومة دعوة لجنة فنية دولية للبحث والمفاضلة بين مشروع تعلية خزان اسوان ومشروع جبل الاولياء

* * *

فى ٣ يناير سنة ١٩٣٢ تقدمت وزارة الاشغال المصرية إلى مجلس الوزراء بمذكرة توصي بانشاء سد وخزان عند التل المعروف بجبل أولياء على النيل الابيض ، على مسافة ٤٥ كيلوا متراً تقريباً قبلي مدينة الخرطوم وذكرت أن خزان جبل أولياء إنما ينشأ لغرضين رئيسين هما :—

أولا : وقاية البلاد من خطر الفيضانات العليا .

ثانياً : القيام بأعمال التخزين الكبرى حتى يمكن سد العجز الناشيء عن قلة المياه مدة الصيف .

أساس المشروع الحالى أن يقام خزان بالبناء على النيل الابيض ، قبلى مدينة الخرطوم بنحو أربعين كيلو متراً ، وهو مصمم فى الوقت الحاضر على قاعدة أن يحجز المياه إلى منسوب ٣٧٧ متراً و ٢٠ سنتى متراً فوق سطح البحر ، علماً (بأن ماء النيل الابيض فى منطقة جبل الاولياء يرتفع فى زمن الفيضان إلى حوالى ٣٧٧ متراً)

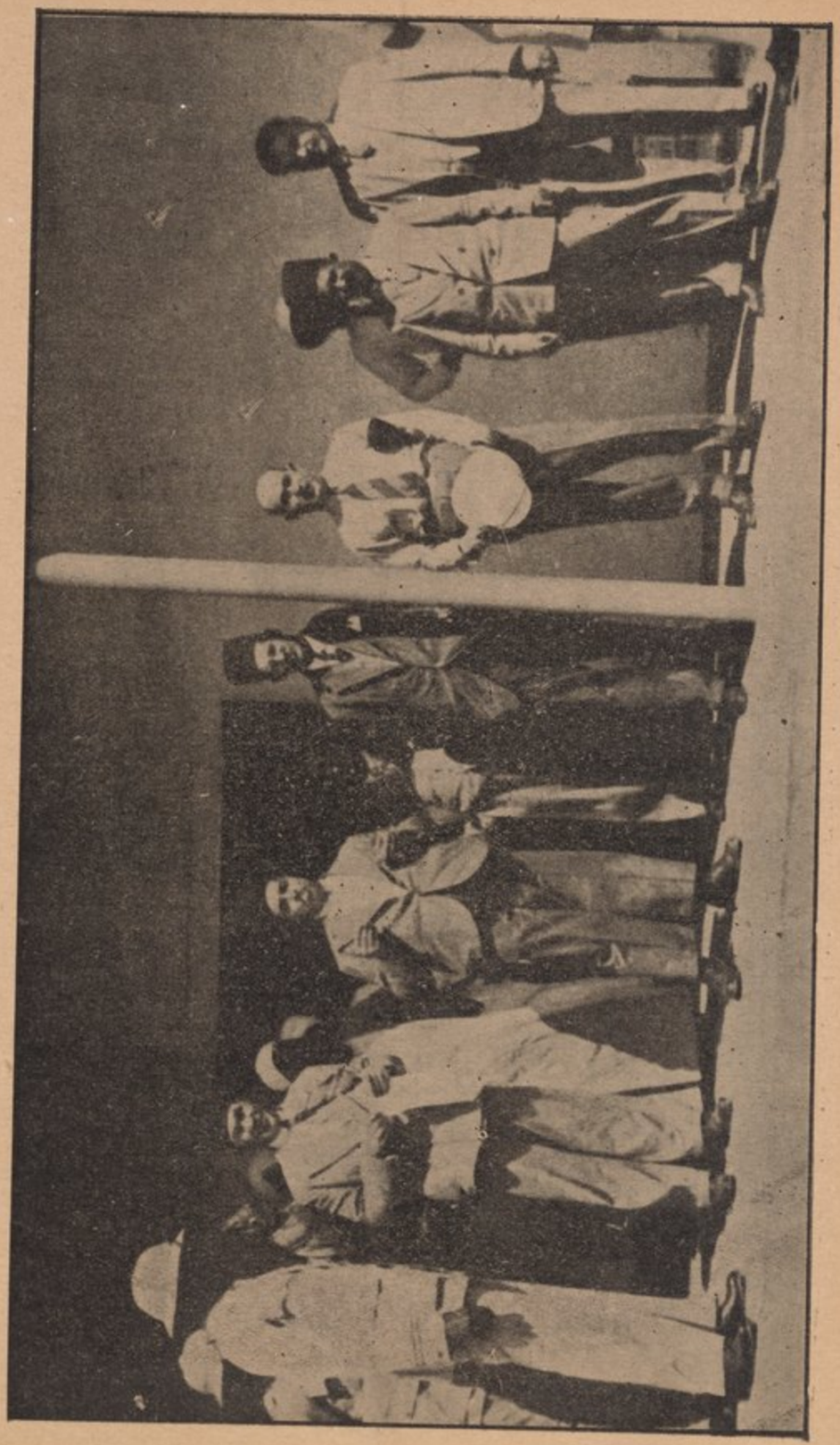

أعضاء البعثة فى رحلتهم

عطاءات مشروع خزان جبل الأولياء

أذاعت وزارة الأشغال البيان التالي فى سنة ١٩٣٢ العطاءات المبينة بعد :

الاســـــــــم	أسمنت انكليزى	أسمنت مصرى
	جنيه مصرى	جنيه مصرى
مسترج . جيبسون	٢،٠٧٨،٠٨٦	٢،٠٨٩،١١٦
الخواجات بلفور وبيتى وشركاهم ليمتد	٢،٥١٤،٨٠٥	٢،٤٩٩،١٩٤
الخواجات بولنج وشركاهم ليمتد	٢،٠٧٤،٥٨١	٢،٠٨٥،١٩٣
سير ايفان جونز بارت وعبود باشا ليمتد	٢،٣٢٨،٤٣٥	٢،٣٤٨،٥٣٥

هذه الاجماليات هى التى أعطيت بواسطة المقاولين فى عطاءاتهم . على أن العطاءات تعدلت فى بعض الاحيان تعديلا كبيراً تحت اشتراطات خاصة وتحفظات قامت وزارة الأشغال الآن بدرسها وعلى ذلك لا يمكن أن يعتد بالاجماليات المذكورة عند عمل المقارنة في الوقت الحاضر كما أن مفردات الأثمان كانت أيضاً محلا للفحص والمراجعة .

* * *

ولم يقطع برأي فى أمر هذه العطاءات قبل الوقوف على التفصيلات وبحثها ومقارنتها بالشروط التى وضعتها الحكومة كقاعدة لتنفيذ المشروع والتعاقد على مقتضى ذلك ، ولكن هذه الأرقام الاجمالية تعد على الجملة بياناً للمفردات وصورة مصغرة لحقيقة التفاصيل والأرقام الواردة فى المناقصات. وقد يبدو لأول وهلة أن عطاء الخواجات بولنج وشركائهم هو أقل العطاءات فهم يطلبون ٢،٠٧٤،٥٨١ جنيهاً مصريا فى حالة استخدام الأسمنت الانجليزى و٢،٠٨٥،١٩٣ ج مصريا فى حالة استخدام الأسمنت المصرى ، ويلى بولنج العطاء المقدم من المسترج جبسون البالغ ٢،٠٧٨،٠٨٦ ج مصرياً في حالة استخدام الأسمنت المصرى والعطاء الثالث من محلات السير ايفان جونز وعبود باشا ليمتد ويبلغ ٢،٣٢٨،٤٣٥ ج م فى حالة استعمال الأسمنت الانجليزى . و٢،٣٤٨،٥٣٥ فى حالة استعمال الأسمنت المصرى . والعطاء الرابع لمحلات الخواجات بلفور وبيتى وشركائهم بمبلغ ٢،٥١٤،٨٠٥ عن الأسمنت الانجليزى و٢،٤٩٩،١٩٤ عن الأسمنت المصرى .

هذه هى العطاءات الأربعة مرتبة بحسب قيمتها وعلى هذا يكون الأول بولنج والثاني جبسون والثالث ايفان جونز بارت وعبود والرابع بلفور وبيتى وشركاهم وقد كانت هناك نقط جوهرية محل البحث الدقيق فان بولنج صرح فى خطابه الأول بعطائه أنه يرغب فى مناقشة بشأن النقط الخاصة بالأسمنت المصري الواردة فى المادة ٤٩ من شروط العطاء . وفى سعر القطع فقال ان حالة العملة غير موطدة ولذلك يحتفظ بحرية الكلام فيها وأضاف إلى ذلك رغبته فى مناقشة المادة ٤٨ من هـذه الشروط وهى الخاصة بتـأمين الكراكات (هذه الكراكات ملك للحكومة وقد نص في العطاء على التأمين عليها باسم الحكومة لا باسم المقاول) ولبولنج تحفظات آخرى فنية كانت من شـأن لجنة العطاءات

واحتفظ محل جبسون بالمناقشة في شأن المهمات العوامة وتأمينها وفي أمر الأسمنت المصرى . وأهم من هذا أو ذاك مادونه خاصاً بالعملة المصرية وقوله أنه وضع أسعاره على اعتبار أن الجنيه المصرى يبقى حافظاً نسبته الحاليـة ، ومعنى هذا أنه إذا انخفض سعر الجنيه فانه لا يتقيد بالسعر الذى دونه وهناك نقطة أخري وهى أن المقاول يقول في خطابه للوزارة أنه قدم العطاء باسمه وفى حالة ما إذا رسا عليه فان العمل سينفذ بواسطة شركة هو عضو فيهـا

وضرب محل بلفور وبيتى على النغمة الخاصة بسعر القطع فقد وضع تحفظاً لذلك وطلب تحديد ماجاء بالشروط فى المادة ٧٠ خاصاً بالعملة لان سعر القطع غير مستقر . ولكن يجب أن يوجه النظر الى ان عطاء هذا المحل اعلى من جميع المتقدمين .

والثالث هو العطاء المقدم من محلات السير جونز وقد لوحظ أن هذه الشركة لم تبد تحفظاً فى شأن العملة أو فى شأن الأسمنت المصرى أو فيما عدا ذلك ومعنى هذا أنها سارت فى حدود شروط العطاء

وقد رسا العطاء على مستر جبسون وقام بتنفيذ المقاولة

مستعمرة خزان جبل الأولياء

تبعد مستعمرة خزان جبل الأولياء ٤٥ كيلو متراً عن مدينة الخرطوم وترتفع عن سطح البحر بعلو ٦٦ متراً وهى منطقـة متقلبة الأجواء لدرجة أنه لا يستطيع الانسان أن يحكم على جو يومه حكماً صحيحاً فبينما يكون الجو معتدلا

إذا به ينقلب فجأة إلى حر لا يطاق أو هواء مشبع بالرمال كالهبوب يعقبه مطر غزير ، وقد أعدت مصلحة الرى سيارات لنقل الموظفين من الخرطوم الى منطقة الجبل . والمستعمرة هى مدينة صغيرة منظمة ذات شوارع رملية وقد قسمت إلى أقسام مختلفة : قسم لمنازل المهندس المقيم ومساعده ومديرى الأعمال والمهندسين الانجليز ، والقسم الثانى خاص بالموظفين ذوى الأسر وقد بنى على طراز « البلوك » وكل دار مقسمة إلى شطرين لساكنين ويحتوى الشطر على حجرة للاستقبال وأخرى للنوم وثالثة للمائدة وخلفها دورة المياه والمطبخ وغرفة الخادم وفى الحمام حوض بحنفية وبانيو للاستحمام يعلوه الدوش ، والقسم الثالث يشمل مساكن الموظفين المنفردين وهى بلوكات منقسمة كالسابقة وفى كل مسكن ثلاث غرف لسكن ثلاثة موظفين من العزاب وحجرة للطعام ومن ورائها بيوت الخدم والمطابخ ومكان زير المياه ودورة المياه ملاصقة لحجرة الطعام ويحيط بكل بلوك سور من السلك يفصله عن الآخر وفضاء من الأرض ليكون حديقة ، والقسم الرابع لسكن المستخدمين باليومية وهى مساكن متلاصقة لا حدائق حولها وقد أعد كل مسكن منها لايواء ثمانية من المستخدمين والأثاث المعد للمنازل كله أبيض اللون وفى غرف النوم أسرة خشبية ودواليب للمتزوجين والرؤساء وهناك لافومانو وبوريه فوقه مرآة ومنضدة وكرسى لوضع الحقائب عليه وكرسي أسيوطى من الخشب الأبيض فوقه غطاء من التيل السميك . وقد أثثت حجرة الاستقبال بعد أن استقر الموظفون فى مساكنهم نهائياً . وفى حجر الطعام مائدة وبوفيه ودولاب لادوات المائدة وهى مجهزة لكل موظف بما يتفق مع درجته . ولكل قسم من البلوكات خادم خاص يتولى النظافة والطبخ لجماعة من الموظفين ، أما بيوت الشركة فهى فى غاية من التنسيق والترفيه وهي مكونة من بيتين للموظفين الدائمين وبيت لموظفى الشركة الموقتين . وهناك بيت خاص بحكومة السودان . أما منزل المستر جبسون المقاول فهو بديع وبسيط . وفى المستعمرة وابور لتوليد النور لاضاءتها ، وقد أعد حوض ضخم فوق الجبل للمياه تتصل به مواسير لتغذية المساكن وهى بارزة فوق الارض تجعل الماء ساخناً فى أثناء النهار ، وأنشىء مخزن للبريد ومخازن أودعت بها كل حاجة المنازل وأثاثاتها وأدوات المكتب ، وبنى مكتب الحكومة على جبل مرتفع يطل من الغرب على النيل الأبيض ومن

الشرق على الجبال ومن الجنوب على مكتب الشركة الذى بنى على شاطىء النيل الأبيض غاية فى التنسيق والفخامة . أما الجهة الشمالية فعليها الطريق المؤدي الى المستعمرة والى مكتب الشركة ، ووضعت المهمات التمهيدية للبدء فى أعمال الخزان فى المنطقة الواقعة بين مكتبى الحكومة والشركة حيث يقام الخزان ، ومدت على الشاطىء سكة حديد يسير عليها قطار صغير لنقل الاحجار والمهمات ولا يسمح لأشخاص بركوبها ، وللحكومة سيارات خاصة هناك لنقل الموظفين من الخرطوم ولقضاء حاجيات الموظفين وقد انشىء الكنتين . وهناك سيارات عمومية للاجرة تتقاضى عن الشخص خمسة قروش في الذهاب أو الأوبة . أما السيارات الخاصة فتتقاضى من ٦٠ إلى ٧٠ قرشاً على أن لا يزيد ركابها على أربعة أشخاص ، أما الحالة المعيشية فموادها الأولية رخيصة والكماليات من فاكهة وحلوى وسجائر ومشروبات ومشروبات روحية وروائح عطرية وبترول وثلج وبعض أصناف الخضر كالطماطم أسعارها مرتفعة جداً . ويكاد الجبن يكون أغلى ثمناً من اللحوم ولا يتيسر الحصول عليه فى بعض الأحيان . والملابس والأحذية رخيصة والأدوات الطبية غالية والفخار مرتفع الثمن . وقد شيد مستشفى للمستعمرة مفتوح الآن ويديره طبيبان انجليزيان وآخران مصري وسورى وبدىء العمل رسمياً فى الخزان فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣٢

خزان جبل الأولياء والفيضانات العالية

قال المهندس كامل بخاتى بك « إن الاعتراض الوحيد القائم على استعمال خزان جبل أولياء لمنع الفيضانات العالية كما هو الآن ينحصر فيما يأتى : —

أولا — أنه لا يمكن الحجز عليه فى فيضان مثل فيضان سنة ١٨٧٨ حينما يبلغ مقاسه ٢٠ ، ٣٧٧ عند الخزان.

ثانيا — أنه لو فرض اننا رفعنا الحجز الى منسوب الطريق لما أمكن أن يدوم ذلك أكثر من بضعة أيام وعلى ذلك يتجدد الخطر من الفيضان . وقد راجعت منسوب الطريق فوجدته ٣٧٨ بدلا من ٢٠ ، ٣٧٨ كما فرضت قبلا

وقد قرأت على صفحات الجرائد في سنة ١٩٣٤ أن الوزارة بعد عدة جلسات قررت تحديد مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات للصرف علي تقوية جسور

النيل فى مدة عشرين سنة . وما حدا بها الى هذه الاحتياطات الا ما كتبته فى صدد الدور الزمانية للفياضانات

وتقدير هذا المبلغ يعد خطأ فنياً لأنه يمكن تجنب هذا الصرف بتعلية خزان جبل أولياء فبدلا من أن أصرف أربعة ملايين جنيه أصرف في سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٧ على التوالى أربع مئة ألف جنيه و نصف مليون على الخزان. فيكون المجموع تسع مئة ألف جنيه

بل يمكنى أن أصرف سنة ١٩٣٦ مئتى ألف جنيه وأعطى المقاول مئة ألف جنيه على أن يتم الخزان التعلية فى سنة ١٩٣٦ فيكون مجموع المبلغ المصروف ثماني مئة ألف جنيه بدلا من أربعة ملايين جنيه

والآن آتى على ذكر مناورات القفل والفتح فى خزان جبل أولياء لكى تؤثر فى الفيضانات العالية

ولكى أكون واضحاً في التعبير أذكر ما حدث في السنة الماضية بالضبط «١٩٣٤» فقد كان مقياس الروصيرص يوم ١٩ أغسطس سنة ١٩٣٤ على ٢١،٥٥ أى أن الفيضان كان سيجىء عالياً كما تنبأت بذلك في السنة الماضية و كما صرح حضرة صاحب العزة حسين بك سري أخيراً

وقد بلغ أعلى منسوب النهر في الروصيرص فى سنة ١٩٣٤ فى يومى ٢٤ أغسطس و ٢٥ منه ٢٢،٠٤ وبلغ فى جبل أولياء يومى ٢ سبتمبر و ٣ منه ١٧،٧٣٦ وكان فى الثمانيات يوم ٣ سبتمبر ١٦،٣٦ وكان قبل ذلك بيوم واحد ١٦،٣٥ .

فما الذي أفهمه من هذه الزيادات ؟ :

أولا — إن زيادة النيل الازرق فى الروصيرص التى تصل إلى الخرطوم فى ثلاثة أيام لا تصل إلى جبل أولياء إلا فى تسعة أيام

ثانيا — إن هذه الزيادة بنفسها لا تصل الى النيل العمومى فى مقياس الثمانيات إلا فى تسعة أيام

فما معنى هذا ؟

أن هذه الزيادات فى فيضانات النيل الأزرق يتأخر وصولها لوجود عامل عظيم — فما هو هذا العامل ؟

هو دخول مياه النيل الأزرق عند زيادته فى النيل الأبيض فتقلل من تصرفاته ويتأخر وصول زيادته إلى النيل الأصلى فى الثمانيات

تبلغ هذه الفترة ستة أيام وتبلغ المسافة التى يدخل فيها أربع مائة كيلو متر على أكثر تقدير . وحيث أن نيل سنة ١٩٣٤ تأخر تأثيره فى الثمانيات ستة أيام فقد تأخر في نيل سنة ١٨٧٨ تسعة أيام

فلماذا هذا التأخير وهل توجد عوامل تسبب ذلك . وهل هذه العوامل ستزول فى المستقبل نظراً للانشاءات الجديدة التى نقيمها علي مجري النيل فى تلك البقاع مثل خزان جبل أولياء

والجواب على ذلك صريح وهو أن خزان جبل أولياء عند استعماله فى الفيضانات العالية سيغير فى وصول الذروة العليا للفيضانات العالية. فيقدمها ستة أيام عن ميعادها

ولنضرب لذلك مثلا بمقاييس النيل فى سنة ١٩٣٤ مع مراعاة أن الزيادة فى الروصيرص تصل إلي جبل أولياء ، والثمانيات بعد ثلاثة أيام. والمقاييس مؤرخة بتاريخ وصول المياه إلي النقطتين المقصودتين

التاريخ	الروصيرص	جبل أولياء	الثمانيات على النيل
٢٤ أغسطس	٢٢٫٠٠	—	—
٢٥	٢٢٫٠٤	—	—
٢٦	٢١٫٤٨	—	—
٢٧	٢١٫٢٢	—	—
٢٨	٢٠٫٤٨	—	١٦٫١٩
٢٩	٢٠٫٦٦	٢٠٫٦١	١٦٫٢٢
٣٠	٢٠٫٧٣	٢٠٫٦٨	١٦٫٢٦
٣١	٢٠٫٠٢	٢٠٫٧٦	١٦٫٢٨
١ سبتمبر	—	٢٠٫٧٨	١٦٫٣٣
٢	—	٢٠٫٨٥	١٦٫٣٥
٣	—	٢٠٫٨٥	١٦٫٣٦

فيري من هذه الملاحظة أنه إذا أقفل خزان جبل أولياء عند بلوغ فيضان

النيل الأزرق فى الرصيرص درجة مخيفة أفضى اقتماله إلى ارتفاع فى مجرى النيل فى الثمانيات قبل الميعاد بخمسة أيام أو ستة

وهنا لا بد من الملاحظة الآتية وهى:

هل تكون خشم القربة فى المستقبل العامل الوحيد فى الذروة العليا للفيضانات كما يقول بذلك رجال الرى أم لا

* * *

أثبتنا أن مياه الروصيرص تأخذ زيادتها للوصول إلي جبل أولياء ستة أيام وكذا إلى الثمانيات حيث مقياس النيل العمومى بحري الخرطوم . وهذا ماجري فعلا فى سنة ١٩٣٤ حيث بلغ مقياس جبل أولياء ١٧ ، ٣٧٦ مع أن هذا الخزان مصمم على أن يحجز أمامه على منسوب ٢٠ر٣٧٧ أى بفرق ٠٣ر١ متر ومن المعلوم أن فيضان السنة الماضية كان دون فيضان سنة ١٨٧٨ .

ولكن المهندس فى حساباته يلزم أن يتحاشى أكبر الأضرار أى يلزم أن يتبع فى تصميماته فيضان سنة ١٨٧٨ وهذا هو المبدأ الذي تسير عليه مصلحة الرى إلى الآن فى ترميم جسور النيل بجعلها عالية عن منسوب هذه السنة متراً كاملا مع أنه لم يجيء فيضان عال مثله من تلك السنة وهذا يعد احدى نقط فخر الفن فى مصر لترقب أعلى فيضان حتى ولو مضى عليه زمان طويل حيث جاءت طائفة من المهندسين لم تره ومع ذلك فهم حاسبون حسابه .

قلنا انه إذا جاء الفيضان مماثلا لسنة ١٨٧٨ فان الحجز على مستوي الطريق المنسوب ٠٠ر٣٧٨ لا يمنع غوائل الفيضان غير خمسة أيام أو ستة

ولكن الحالة ستتغير بعد انشاء خزان جبل الاولياء بحالته الراهنة .

لأن ذروة الفيضان فى الروصيرص ان كانت موعداً لاقفال خزان جبل أولياء ستقدم وصول فيضانه إلى النيل الأصلى ستة أيام وبالتالي سيقدمها إلى خشم القربة ستة أيام أخري وبذلك تجتمع الذروتان فى ميعاد واحد تقريباً وهنا يجب تحليل هذه المفاجئات لمعرفة مداها فى النيل حيث أن خزان جبل أولياء يكون مقفلا .

هذا الاقفال يلزم أن يكون شهراً على الأقل وحيث أن تصرف النيل الأبيض سنة ١٩٣٤ عند بلوغه الذروة العليا كان ١٥٠ مليوناً في اليوم ففى مدة شهر يكون مقدار ما يخزنه هو ١٥٠ فى ٣٠ يساوى ٤٥٠٠ مليون وعلى

هذا الحساب الذي لاتدخل فيه عوامل التبخر والتشرب يكون منسوب المياه بعد مضى شهر هو كالآتي :

الخزان الحالى : ٣٧٧،٢٠ المنسوب ١٤١٠ كيلو مترات مربعة المسطح المغمور ١ر٦٠٠ مليار استيعاب .

الخزان المقترح : ٣٧٩،٢٠ المنسوب ٢٧٥٠ كيلو مترمربعاً . المسطح المغمور ٥ر٦٠٠ مليار استيعاب

فالفرق بين الاثنين هو أربعة مليارات وهذا مايجيء في خلال شهر تقريباً من النيل الأبيض مدة الفيضان،وحيث أن سطح الخزان الحالى هو على منسوب ٣٧٨ر٠٠ فالأصوب تعليته إلى منسوب ٣٧٩ر٢٠ أى بفرق متر وعشرين سنتيمتراً فاذا جاء نيل عال وخيف على مصر منه حجزت المياه حتى تصل إلى منسوب ٣٧٩،٢٠ .وهذا لايهدد سلامة سد الخزان لأنه سبق لمصر ان حجزت على خزان أسوان إلى منسوب الطريق .

وهذا التغيير يقتضى :

أولا — تعلية البناء الحالي

ثانياً — مد السدود الترابية من الجانبين .

ثالثاً — تقوية البوابات الحديدية وتعلية بوابات الهويس .

رابعا — بعض التحك فى مصاريف التعويض لاتساع حوض الفرق .

أما الأول والثاني فمصاريفهما قليلة حيث أن مكعب البناء الزائد لايتعدي اثنى عشر ألف متر.فمن باب أولى يكون مد السدود قليل النفقات ولكن بمنسوب ٣٨٠ر٠٠٠. أما البوابات الحديد فيمكنها أن تقاوم زيادة الضغط بدون تقويتها غير أن بوابات الهويس يلزم تعليتها وهذا لايكلف المصلحة كثيراً .

أما التعويض فمن السهل الاتفاق عليه حيث أن هذه المياه لاتلبث أن تنحسر عن الأرض بعد بلوغها الذروة العليا لانها لاتخزن للانتفاع بها فى الري بل لدرء غوائل الفيضان فقط . فصرفها يكون في الزمن الذى يقذف النيل بمائه فى البحر الأبيض المتوسط . فالتعويض فى هذه الحالة لايمكن أن يكون على أساس مشابه لتعويض مايخزن من الماء لاستعماله فى الرى. لاسيما أن علو المياه وصرفها مباشرة سيكشف أرضاً مساحتها ٢٣٣٤٠٠ فدان ارتوت رياً حوضياً ويمكن زرعها والاستفادة منها . فأمر التعويض فى هذه الحالة من الأمور التى يسهل حلها لمصلحة الجانبين »

بداية المشروع الى تنفيذه

بديء فى المشروع فى أول سنة ١٩١٤ ولكن الحرب العالمية فى السنة نفسها قد وقفت المشروع ثم أعيد سنة ١٩٢٠ وقررت وزارة عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ وقفه ثم جددته وزارة زيور باشا سنة ١٩٢٥ ووقفته وزارة عدلى باشا الائتلافية سنة ١٩٢٦ وعادت وزارة محمد محمود باشا اليه سنة ١٩٢٩ عند وضع اتفاقية النيل المعروفة . علي أن هذا لم ينفذ لاستقالة الوزارة ، وقد خلفتها وزارة عدلى باشا فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ حتى نهاية سنة ١٩٢٩ وكانت وزارة انتقال ، ثم الوزارة النحاسية الثانية وكانت ضد المشروع طبقاً لقرار الوفد المصرى حيث وضع مذكرة فنية وسياسية في بيان مضار المشروع

وقد وصل عبد القوى احمد بك فى نوفمبر سنة ١٩٣٢ وينص العقد على أن ينتهى العمل كله ، ويسلم الخزان للحكومة فى يوليو سنة ١٩٣٧

نفقات المشروع

بلغ ما انفق على المشروع منذ البدء فى تصميمه والبحث فيه والبدء بتنفيذه بانشاء مساكن للعمال ومكاتب للموظفين نحو مليون جنيه قبل البداية الأخيرة — أى بين سنتى ١٩١٤ و١٩٣٢ — من هذا مبلغ مائة ألف جنيه انفقت فى انشاء مستعمرة — مساكن العمال والموظفين ومكاتب للعمل — وفي تموين الخازن بالحديد والخشب والأدوات اللازمة . وقد فسد الكثير من ذلك بسبب القرضة وهى دويبة تأكل الخشب وبسبب صدأ الحديد .

قررت الوزارة الصدقية سنة ١٩٣٢ المشروع بموافقة البرلمان المنحل وسافر حضرة صاحب العزة عبد القوى أحمد بك الى الخرطوم ، لاعداد المستعمرة ولمفاوضة الحكومة السودانية فى بعض التفاصيل الخاصة بالتعويضات التى تعطى للاهالي ، الذين سيغمر ماء الخزان بيوتهم ، وبالمستشفى ، وبالخط الحديدي الذي ينشأ بين جبل السليتات ، وهو الجبل الذى تقتطع أحجاره الجرانيتية وتستعمل فى بناء الخزان ، وبين موقع الخزان .

ويقع جبل السليتات شمالى الخرطوم وعلى مسافة ٢٠ كيلو مترا منها ، ومن سفح الجبل حتى موقع الأحجار المقتطعة مسافة ثمانية كيلو مترات ويقع جبل

الأولياء جنوبى الخرطوم على مسافة ٤٥ كيلو متراً ، فالمسافة بين السليتات والخزان ٨٣ كيلوا متراً

المقاول الأصلى والمقاول الفرعى

تقدمت جملة شركات انجليزية شهيرة ومنها شركة عبود باشا فى المناقصة ، وكان أقل عطاء هو لشركة جبسون ، وقد أعطيت اليها المقاولة بمبلغ ٢٫٠٩٨٫١١٦ ودخل المقاول الايطالى المعروف بالاسكندرية مسيو دتمارو وشريكه بركلى مع شركة جبسون مقاولا من الباطن لتوريد رؤساء العمال والعمال .

بداية العمل ونهايته

بدىء العمل في الخزان في اكتوبر سنة ١٩٣٣ ووضع أول حجر في بنائه فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٣ ولم يحتفل بذلك رسمياً بسبب الظروف التى كانت عندئذ ووصل عبد القوى أحمد بك فى نوفمبر سنة ١٩٣٢ وينص العقد على أن ينتهى العمل كله ، ويسلم الخزان للحكومة فى يوليو سنة ١٩٣٧

ولكن ينتظر أن ينتهى العمل قبل الموعد بستة شهور تقريباً

إشراف المهندس المقيم

للمهندس المقيم الحق فى طرد أى مقاول من الباطن بسبب فساد العمل أو سوء الادارة أو أى منافاة لنصوص العقد

وينص العقد على أن المقاول مسؤول عن العمال ومساكنهم وطعامهم والنظام بينهم وللمهندس المقيم أن يتحقق من توافر ذلك

وننشر فيما يلى المذكرة التالية

الكميات التقديرية للمواد

مباني الدبش المقدرة للسد ٢٧٨٫٤٤٠ متراً مكعبا

الحجر المنحوت المقدر للسد ٢٠٫٠١١ متراً مكعبا

الخرسانة المقدرة للسد ١٢٥٫٦٧٥ متراً مكعباً

الستائر الحديدية المقدرة للسد ٨٫٠٠٠ طن

الأحجار الرملية للتكسيات ١٧٨٫٥٥١ متراً مكعبا

كمية الأسمنت المصري ٨٠٫٠٠٠ طن
مكعب الردم ٢٩٥٫٠٠٠ متر مكعب
مجمل مكعبات البناء ٨٩٧٫٦٧٧ متراً مكعباً أى نحو ثلث حجم الهرم الأكبر وقدره ٢٧٨٤٫٠٠٠ متر مكعب .
منسوب التخزين منسوب ٣٧٧٫٢٠
واذا على بلغ مستواه منسوب ٣٨٠٫٠٠
منسوب أقصى الفيضان سنة ١٨٧٨ منسوب ٣٧٧٫٥٠
معدل أدنى منسوب فى الصيف منسوب ٣٧٠٫٧٥
طول الخزان في تمام الملء ٣١٤ كيلومتراً.
أقصى اتساع فى تمام الملء ٧٢٥٠ متراً .
أقل اتساع للخزان في تمام الملء ٢٠٠٠ متر
متوسط اتساع الخزان فى تمام الملء ٤٢٠٠ متر
المساحة التقريبية المغمورة فى تمام ملء الخزان ١٣١٨ ك . م ٢ وقدرها ٣١٤٠٠٠ فدان تقريباً .
كمية المياه المخزونة في كل ملء ٣١٠٠ مليون م ٣
كمية المياه الفاقدة بالتبخر والشرب وفى الطريق ٩٠٠ مليون م ٢
كمية المياه التى تصل أسوان ٢٢٠٠ مليون م ٣
تاريخ الملء من النصف الأول من يوليه الى أواسط أغسطس المنسوب ٣٧٦٫٥٠ . ومن أواسط سبتمبر الى أواسط أكتوبر الى منسوب ٣٧٧٫٢٠
تاريخ التفريغ أواخر يناير
كمية المساحة التى تنتفع بالمياه المخزونة في خزان جبل الأولياء ٥٥٠٠٠٠ فدان
كمية العمل اليومى — مع ملاحظة ان العمال لا يشتغلون جميعاً يومياً ويشتغل فى السد بناؤون عددهم ٣٤٠ مصرياً ومن العمال ١٦٠٠ صعيدى و٢٥٧٠ سودانيا .
وفى محاجر السليتات نحاتون : ٩٢ مصرياً و٧٧ طليانياً و٦ يونانيين و٢٥ سودانياً وعمال ٦٧٥ صعيديا و٢٦٦ سودانيا لقطع الاحجار
الانتاج اليومى حوالي ١٠٠٠ م مكعب أى مايقرب من ٢٠٠٠ جنيه يومياً فى البناء فقط خلاف الخرسانة والستائر الحديدية .

وقد تركت للمقاول الحرية في اختيار العمال ، مادام مسئولا عن التنفيذ وجودة العمل والادارة — ولم يشترط على المقاول غير شرط واحد وهو عدم استخدام الأحباش لانهم لا يتفقون مع العمال المصريين في حلة واحدة — والحلة هى منطقة مساكن

يقدم المهندس المقيم تقريراً شهريا الى المهندس الاستشارى بلندن للحكومة المصرية «مسترفون لى» ويرسل صورة للوزارة، والمهندس المقيم خاضع لاشراف المهندس الاستشارى .

وقد قدم المهندس المقيم تقريره الأخير عن يناير وبمقتضى هذا التقرير كان عدد العمال ٦٤٠٠ ، وقد وصل العدد فى ابريل ومايو الماضيين إلى ٨٠٠٠ وهم بين بنائين وفعلة ، منهم ٣٤٠٠ سوداني و ٣٠٠٠ مصرى — فاما البناءون فهم جميعاً مصريون ، ويقوم السودانيون بالأعمال الوقتية . ويتناول العامل السودانى أجراً يومياً قدره أربعة قروش والمصرى ثمانية قروش — والعمال المصريون على الأغلب من مديريتى اسوان وقنا وأقلهم من أسيوط . وهناك أعمال بالمقطوعية ، فيشتد جهد عمال الصعيد فيستطيع كل منهم أن يأخذ أجراً يومياً قدره ١٢ قرشاً .

وفى العام الماضي أضرب خمسون صعيدياً عن العمل أتدرون لماذا أضربوا ؟

أضربوا لأنهم كلفوا بنقل حجارة صغيرة وطالبوا بأن ينقلوا الحجارة الكبيرة ، لانهم يحتقرون حمل الصغيرة قائلين : لسنا صغاراً حتى نكلف بنقل الدقشوم!

توجه المضربون الي المهندس المقيم عبد القوى احمد بك وبسطوا له شكايتهم فأعجب بانفتهم ، وهزه كبرياؤهم ، وسرته شجاعتهم ، وطيب خاطرهم قائلا : اليوم انقلوا الدقشوم وغداً الحجارة الكبيرة . فعادوا إلى العمل

الحالة الصحية

بلغ عدد العيادات الخارجية في مستشفى الخزان ١٤٫٠٠٠ فى شهر يناير وبالمستشفى للعيادة الداخلية ١٥٠ سريراً . وأجرة سرير الدرجة الأولى ٧٠ قرشاً والثانية ٣٠ قرشا والثالثة ١٠ قروش ، وتتولى الحكومة الانفاق على مستشفى الخزان . ولكنها تأخذ أجرة العلاج من المقاول .

وقد انتشرت فى العام الماضى «١٩٣٤» الحمى المخية الشوكية ومات بها سبعون عاملا سودانياً ولم يمت بها أحد من العمال المصريين وقد ظهرت هذه الحمى الآن فى كسلا وكردفان . والسبب في وقاية المصريين منها اطاعتهم للارشادات الصحية كالرش والنوم فى داخل المنازل . ومفتش القسم الطبى بالمستشفى انجليزى وهو مستر كلارك ، وطبيباه هما الدكتوران يوسف سلامة وشيحة . ولما كان لابد من إشراف فنى على المستشفى وكانت مصلحة الصحة المصرية بعيدة عن هذا الاشراف ، فقد وضع تحت اشراف المصلحة الطبية بالخرطوم

حالة يجب علاجها

ومن الأسف أن الحكومة لم تضع شروطاً في عقد المقاولة لحماية العمال واحترام حقوقهم ووسائل استحقاقهم فهم يجندون فى اسنا وقنا والدر وغيرها يجمعهم مقاولون من الباطن ويرسلونهم الى السودان، وقديكون بينهم الضعيف والمريض ، ويكشف عليهم طبياً فى حلفا لمدة ٢١ يوما . وكثيراً ما يضللهم صغار المقاولين المحليين فيمنونهم بالوعود وبالأجر الكثير ، أو يعقدون معهم شروطاً مكتوبة ، حتى إذا وصلوا إلى الخرطوم وجدوا الوعود أحلاما ، ولم يكن المقاول الأصلي مرتبطاً بها ، فيرضخون لعقود قاسية فى الخرطوم . والعادة أن يعطى العامل المريض ، نصف أجرة . وثلث العمال مصاب بالبلهارسيا

خطأ آخر

وقد أخطأت الحكومة خطأ آخر — ذلك أنها لم تنص فى شروط المناقصة وعقود المقاولة على ضرورة استخدام مهندسين مصريين فى أعمال الخزان لحساب الشركة ولهذا فائدة مزدوجة : الأولى : أن يدخل الى جيوب مصرية جزء من الملايين التى تدفع للمقاولين الأوروبيين ـ الثانية : أن يتمرن الشباب المصرى فى أعمال بناء الخزانات، فنستطيع أن يكون لدينا مهندسون أكفاء لبناء خزاناتنا وتنفيذ مشروعاتنا . أن الطريقة الحالية تجعل من المستحيل أن يكون لنا مهندسون مصريون يضطلعون بعبء الخزانات ونحوها . وجميع مهندسى وزارة الأشغال لاينهضون بأى مشروع من مشروعاتها ، ودائماً تعول على الأجانب

وفضلا عن ذلك فان الوزارة ترسل بعثات مهندسين للتمرن في الورش ،

فلماذا لم ترسل مهندسين يتمرنون فى بناء الخزان وهو خير وسيلة للتمرين ؟ !

محاضرة المهندس المقيم

عند وصول أعضاء البعثة ومن معهم الى مكتب حضرة صاحب العزة عبد القوي أحمد بك المهندس المقيم ، عرض حضرته انموذجاً برنزيا لمشروع الخزان وطفق يلقى محاضرة عن المشروع ، ثم أجاب على أسئلتنا ، ثم توجهنا مع حضرته ومع حضرات مساعديه ومع المقاول جبسون والمقاول دنمارو والمهندس المستشار « المستر فونلى » الى الخزان وشهدنا الأعمال الجارية فيه ، وأعجبنا بجهود العمال — وقد هتفوا بنداءات مختلفة : ليحى العدل ، ليحى النحاس باشا ليحى الوفد المصري ، ليحى عبد القوى بك ، ليحى الدكتور محجوب ثابت ، لتحى مصر ، لتحى البعثة المصرية ، وكانت زيارتنا يوم ابتهاج للعمال

تكلم عبد القوى بك عن بداية العمل وتكلم عن انتهائه فقال : ينتهى العمل فى يوليو سنة ١٩٣٧ ولكنى أقدر انجازه قبل هذا التاريخ وضرب الامثلة على الامتار المكعبة التى تمت قبل الموعد

ثم تكلم عن التعويضات — فقال أن بين مصر والسودان اتفاقا على التعويضات التى تعطى لسكان منطقة الخزان ، وفى عهد اللورد لويد كان الرقم المقدر ثلاثة ملايين ونصف المليون سنة ١٩٢٦ فرفضت مصر دفع المبلغ ، وفى عهد وزارة محمد محمود باشا أمكن الاتفاق على تحديدها بمبلغ ٧٥٠ الف جنيه ، دفعت لحكومة السودان بمجرد الموافقة الأخيرة سنة ١٩٣٢ على المشروع ، وتقع الأراضى المعرضة لماء الخزان قبلى منطقة السد . وقد كانت التعويضات المقدرة سنة ١٩١٤ مائة ألف جنيه فقط ، ولكنها زادت بسبب غلاء الأجور وانشاء المساكن الخ .

***

وسيكون ملء الخزان — تدريجياً على مدي ست سنوات فيرفع الماء خلف الخزان نصف متر ، وينظر فى أثره فى السنة الثانية ، ثم يرفع الى متر

ومن المتفق عليه بين مصر وانجلترا عدم جواز ري أراضى السودان بماء الخزان ، وعدم إعطاء رخص للافراد بسحب هذا الماء ، لأن هذا الخزان وقف على مصر وحدها .

ملاحظة المؤلف على هذا الشرط

وقد علمت أن هناك رخصا لآلات الرى قد أعطيت لأفراد على النيل الأبيض وأن من الممكن لأصحابها الانتفاع بماء خزان جبل الأولياء . ومن جهة أخرى فمن الممكن لسكان المنطقة التى تقع قبلى أي خزان سحب الماء بترع ومساق وآلات رافعة .

***

ثم قال عبد القوى بك : ماء النيل قسمان : مباح ومحرم : فالمباح هو مازاد على حاجة مصر والسودان ، حاجة خزاناتهما فيجوز للاهالى الاستفادة منه والمحرم هو الوقت الذى تملأ فيه الخزانات ، فيحرم على السودانيين فى هذا الوقت — وهو وقت الفيضان — أخذ شيء .

وقد كفلت الاتفاقية المائية سنة ١٩٢٩ منع حصول أى رى فى وقت التحريم .

وعدد عيون الخزان ٦٠ ، عمل منها عشر تمت فعلا وعشر أوشكت أن تتم . ويوجد تحت الهويس — المخصص لدخول المراكب كما فى القناطر الخيرية — نفق وهو أطول هويس على النيل وعمق النفق ١٦ متراً ويصل النفق بين طرفين ، والناظر من أعلى إلى النفق يرى العمق كبيراً ومظلما كأنه بئر وله سلم من حديد وعرض كل عين من عيون الخزان ٣ أمتار وطولها أربعة أمتار ونصف وبين الستين عينا عشر عيون مقفلة . أى عيون لن تستعمل وستبقى أبوابها مغلقة . وأما العيون المصمتة فهى التى تنشأ بغير أبواب ، لأنه يراد منها حجز الماء فقط دون تصريفه . وسفح العين منحدر بمقدار عشرة سنتمترات كل متر . وكان من الممكن استعمال انحدار الماء وتدفقه من العيون فى توليد قوة كهربائية للانارة ، كما فى خزان سنار ، ولكن الظاهر أنه ليس من حاجة لهذه الانارة فعند خزان سنار تقوم مدينة . أما عند خزان جبل الأولياء فلا يوجد سوي مساكن العمال والموظفين المؤقتة .

ويسير خط حديدى بين جبل السليتات ومنطقة الخزان . ويحمل أحجار الجرانيت التى يبنى بها الخزان

محور الخزان — أول عمل فنى فى بناء الخزان هو ايجاد محور الخزن ،

فاتخذ موقعان مرتفعان متقابلان ، وهما نقطتان تعينتا ، بحيث اذا أوصل بينهما بخط يكون وضع الخزان مستقيما .

وهناك « سكة هوائية » وهى خطوط حديدية تمد فى الهواء بين مكان مرتفع وموقع منخفض ، حيث تنقل المواد بينهما في صناديق حديدية ، كالأحجار ونحوها ، وتتحرك هذه الصناديق بقوة الكهرباء عند الدفع ويساعدها الهواء فى الوسط . وقد رأينا مايماثلها عند السلوم اذ تحمل هذه الصناديق البضائع من ميناء السلوم إلى جبل السلوم ، حيث يوجد معسكر الجيش المصرى .

ولا يعتمد الخزان على عرض النهر وحده ، بل ان امتداده مستمر على الارض وقد امتد الخزان إلى ثلاثة كيلو مترات أخرى الي الغرب ، بعد أن بلغ امتداده على عرض النيل والشاطىء الشرقي كيلو مترين .

وكان أول بدء للاعمال التمهيدية للخزان ، هو القاء الأحجار العادية والاتربة فى مجرى النهر عند موقع الخزان حتى إذا تكونت مساحة كبيرة في عرض البحر ، جرت عملية البناء

وهناك حائط فقري طوله ٣٥٠ الف متر ، وينزح الماء داخل السد بحفر الصخر الذى على جانبى النهر ، فاذا كان الصخر غير سليم أى به طبقة مرنة قابلة لمرور الماء ، استمر الحفر حتى يوصل الي الصخر السليم ، وقد يدعو ذلك إلى الحفر حتى ثمانية أمتار .

وقد وضعت أحواض لحبس الأسماك ومنعها من الاجتماع في عيون الخزان

ويترك العمل من ١٧ يوليو الى ٢٠ أكتوبر ، وقد جري العمل حتى حوالى منتصف يوليو الماضى ، والسبب في هذا التعطيل وجود الأمطار .

وسيصل إلى مصر من ماء الخزان مليارات من الأمتار تكفى لزراعة ٥٥٠ ألف فدان ، ومعنى ذلك أن الخزان لن يسد حاجة مصر فى رى ماقد بقي من الأراضى القابلة للزراعة والتى لم تزرع بعد . فلا بد من إنشاء خزانات في منطقة السدود عند بحيرة البرت ، وقناة بعيدة عن السدود ، بل لأبد من أن تبحث مصر عن الماء وخزنه فى مناطق أخرى — كبحر الغزال ، لأنه ينزل من الماء نحو ٥٠٠ مليار مكعب — حسب تقرير المهندسين المطلعين — لاينتفع منها النيل الأبيض إلا بعشرين متراً مكعبا فى الثانية .

وقال عبد القوي بك رداً على سؤال وجهته اليه : لم تحصل أية شكوي فى

صدد طريقة تنفيذ المقاول العقد وبناء الخزان ، فاننا نتابع العمل يوميا ، ونرسل الى المهندس المستشار مسترفون لى، الذي يقضى بيننا أربعة أسابيع ، تقريراً شهريا

***

وبعد أن شهدنا الأعمال الجارية وحركة العمال المصريين والسودانيين وأتعبنا الصعود على الصخور والسقالات عدنا إلى سرادق صغير حيث تناولنا المرطبات واسترحنا ثم توجهنا الى مكتب المهندس المقيم حيث تناولنا طعام الغذاء

وقد أعجب الأعضاء بهمة حضرات المهندسين وعلى رأسهم عبد القوى أحمد بك ، وبغيرة العمال ، الذين يعملون بجد ونشاط ويقومون بأشق الأعمال

كلمة بهى الدين بركات بك



بهى الدين بركات بك

وقد دون الحاضرون اسماءهم في دفتر خاص بمكتب المهندس المقيم وألقى حضرة صاحب العزة محمد بهى الدين بركات بك وزير المعارف سابقا كلمة قال فيها أنه مغتبط الاغتباط كله بما سمعه بعد وصوله الى الخرطوم عن حضرة صاحب العزة عبد القوى احمد بك المهندس المقيم فى خزان جبل الأولياء ، فقد رفع من سمعة الموظف المصرى الأمين ، كفاءة ودقة واخلاصاً للواجب ، وأصبح يتمتع بمكانة طيبة بين ولاة الامور هنا .

ثم قال : لقد كنت والمرحوم والدى — فتح الله بركات باشا — من أشد المعارضين لسياسة انشاء خزان جبل الاولياء ، وما زلت مقتنعاً برأيي ولم أحد عنه ، لانه رأي جاء بعد بحث وامعان فى وجوه النظر كلها ، ولكننى أصرح هنا أن الأعمال الهندسية الجارية الآن — في ذاتها ومجردة عن سياسة الحكومات واختلاف الآراء فيها — تشهد لحضرات المهندسين بالبراعة ، وتشهد للمهندس المقيم — عبد القوي بك — بحسن الاشراف والادارة ، فضلا عما تحلى به حضرته من خلق رضى وعاطفة كريمة نحو هؤلاء العمال الذين سهر علي صحتهم وراحتهم، فأحبوه وهتفوا بأسمه

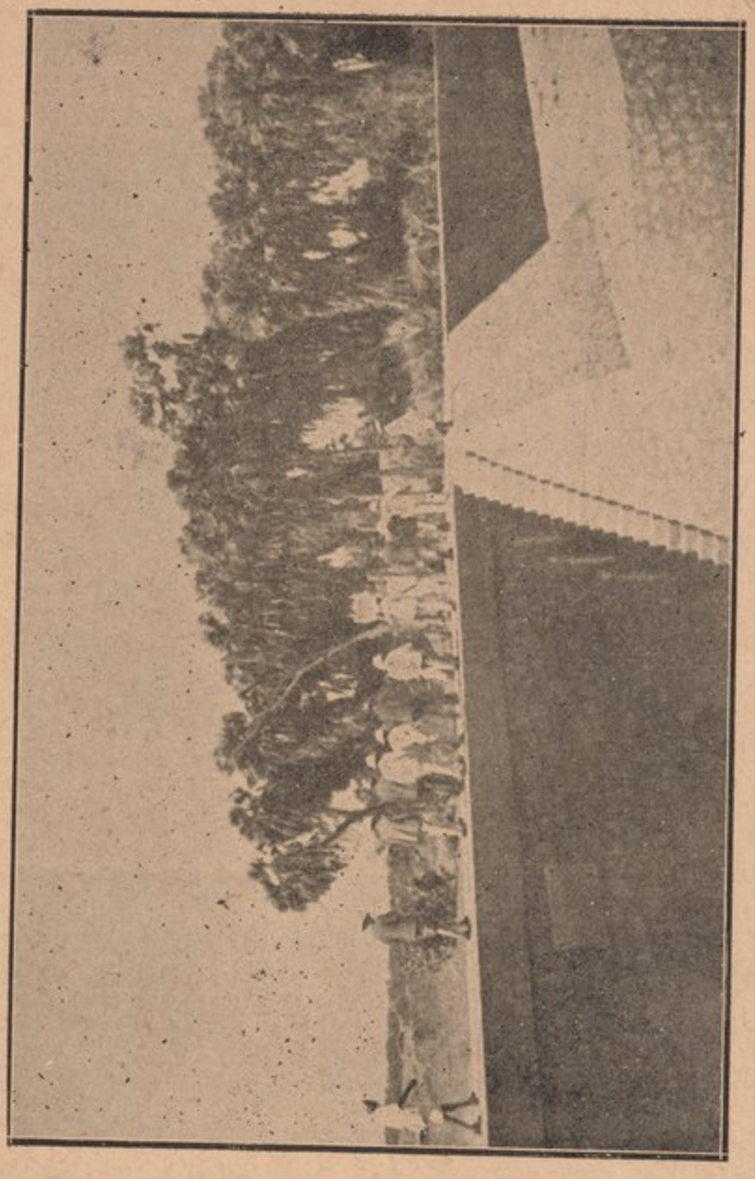

قناطر تسينايا فى الاريتريا على نهر القاش

حفلة شاى السيد الميرغنى

عند منتصف الساعة الخامسة بعد الظهر أقام حضرة صاحب الفضيلة السيد السيد علي الميرغنى — السابق نشر ترجمته — حفلة شاى تكريما للبعثة ، حضرها بعض خلفاء السادة الميرغنية ، وقد ألقى حضرة فؤاد أباظة بك كلمة شكر داعياً فضيلته لزيارة المعرض المصرى فى العام القادم ، حيث تقابل زيارته بالابتهاج ،

ودعا فضيلته حضرة الدكتور محجوب ثابت ، واصفا إياه « بأنه شخص نتجاذبه جميعاً — نحن وأنتم ... » « ضحك »

حفلة سمر بالنادى المصرى

أقام النادي المصري بالخرطوم حفلة سمر شهدنا فيها سينما عرضت فيها مناظر عن سيد الوحوش وقبائل نوبية من الزنوج العراة نساء ورجالا ، ورأينا صفوفهم المتراصة ورقصهم ، ثم رأينا حيوانات حديقة الحيوانات بالخرطوم ، وقد حضر الحفلة أعضاء البعثة وحضرات صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان وصاحب الفضيلة نائب قاضى قضاة السودان وصاحب الفضيلة شيخ العلماء ونيافة الأب القمص يوحنا سلامة وكيل مطرانية الخرطوم وحضرة الاستاذ رياض نصرى رئيس المكتبة القبطية وحضرات الأعضاء ومجلس إدارتها وهيئة لجنة خريجى مدارس السودان بالخرطوم ورئيس نادى خريجى مدارس السودان بأم درمان ورئيس النادي السورى



الوجيه عبد المنعم محمد التاجر الشهير بالسودان



ابراهيم عامر بك التاجر الشهير بمصر والسودان

بالخرطوم والشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير الحضارة والشيخ عبد الرحمن احمد رئيس تحرير جريدة السودان .

وحضرات التجار : — جناب الخواجات كنتو ميخالوس رئيس الغرفة التجارية وتادرس عبدالمسيح وهنرى جيد وجورج مورهج ونقولا ماتكساه وتوتونجى والفرد كافورى وحضرة سليمان أفندى منديل ومحمد افندي راجى والشيخ محمد مدني يحيي وعبد المنعم أفندى محمدوابراهيم عامر بك والشيخ محمود القوصى والشيخ محمدأحمدالبربر

ومن كبار الضباط : —

القائمقام حسين بك طاهر والبكباشى محمدافندي جمعة وحضرة مأمورالخرطوم

ومن كبار ضباط المعاشات : —

القائمقام أبو زيد بك مرجان والبكباشى حسن زكى

ومن كبار رجال الرى بجبل أولياء : —

أصحاب العزة عبد القوى بك أحمد وزكريا بك محمد وعبدالشهيد بك داود وابراهيم بك زكى



الوجيه السيد محمود مصطفى الجمال
التاجر بمصر ودمياط ـ عضو البعثة



الوجيه عبد الرحمن نوفل
التاجر بالاسكندرية ـ عضو البعثة

وحضرات أعضاء مجلس ادارة النادى المصرى : —
الدكتور محمد أمين الرئيس وحضرات فاخوري افندى عبد الشهيد نائب الرئيس وأحمد افندي أحمد القاضي السكرتير وعبد المعطى افندى أبو العينين أمين الصندوق .

وحضرات الأعضاء المحترمين أحمد فهيم ومحمد حواس وأحمد افندي زيدان وأحمد افندي نعيم نجاتي وميخائيل افندى عبد الملك ومحمد افندى طلعت ويوسف أفندى على دياب وعباس افندي شوقي ومحمد افندى على بشير

أما حضرات أعضاء النادى الذين اشتركوا فى التكريم فيبلغ عددهم حوالى مائة عضو من مختلف طبقات المصريين بالخرطوم

تاريخ النادى المصرى

أسس النادي المصرى بالخرطوم سنة ١٩٠٤ موظفو الحربية الملكيون وموظفو حكومة السودان المصريين

وكان أول رئيس للنادى هو المرحوم محمد بك زيدان ورئيس النادي الحالى هو حضرة الدكتور محمد أمين وكيل تفتيش الرى المصري بالخرطوم

ولغاية سنة ١٩٢٤ كان بالنادى حوالى ٣٠٠ عضو وكانت الاشتراكات الشهرية فى السنوات السابقة لهذا التاريخ تتراوح ما بين ٤٠ و٦٠ جنيها مصرياً حيث كان عدد الموظفين الموجودين في الخرطوم الملكيين حوالى ٩٠٠ موظف من الحربية وحكومة السودان. وفى سنة ١٩٣٢ بلغ عدد المصريين الموظفين في جميع أنحاء السودان ٨٠٠ وفى سنة ١٩٣٤ نقصوا إلى ٧٥٠ وفي سنة ١٩٣٥ صاروا ٧٢٠ . وكانوا قبل ذلك حوالى ١٥٠٠ . وبعد سنة ١٩٣٤ تقهقر النادى حتى صار مشتركوه لا يزيدون على الثلاثين وبعد سنة ١٩٣١ . نزل هذا العدد الى ٢٠ وفى آخر سنة ١٩٣٣ عملت دعاية قوية للنهوض بالنادي لحفظ كيان قومية المصريين فصار المشتركون الآن حوالى ١٢٠ وذلك بسبب انضمام كثير من موظفى الري المصرى . لكن متوسط المشتركين المواظبين على دفع اشتراكاتهم الآن لا يزيد فى كل شهور السنة على ٦٠ . وبتطور الزمن أصبح النادي القديم بعد عمران الخرطوم لا يليق بالمصريين كهيئة محترمة تريد أن تحافظ على كيانها وحسن سمعتها فى وسط الهيئات الأخرى وذلك بحكم قدم مبانى النادى القديم

حيث أصبحت كل الجاليات لها أندية وافية جداً. فبحكم هذه الظروف ومحافظة على كرامة مصر انتقل النادى لمكانه الحالى ابتداء من ٨ فبراير سنة ١٩٣٥ وقد خاطر أعضاء النادي بزيادة النفقات لضرورة المحافظة على سمعتهم

كل الجاليات أصبح لها الآن أندية ملكا خاصاً بها . أما النادى المصرى فداره مؤجرة وتتكلف شهرياً حوالى ٢٠ جنيهاً مع أن متوسط الاشتراكات فى طول السنة لا يزيد على ستة جنيهات مصرية شهرياً. فمن أين للنادي أن يسد عجزه إلا بعمل رواية سنويا وبتبرعات الأعضاء مع أن أغلبيتهم موظفون أكثرهم بماهية شهرية أقل من العشرين جنيهاً

يطلب النادى أحد شيئين « ا » اعانة سنوية من الحكومة قدرها ٢٠٠ جنيه . ونظن أن مركز النادى المصري فى السودان الذي هو رمز قومية مصر يستدعى اهتمام الحكومة بهذه الاعانة السنوية لحفظ مركز أبنائها فى السودان فى نظر الأجانب وللحكومة سوابق فى ذلك : فالنادي المصرى فى لندن يستولي علي إعانة سنوية قدرها ألف جنيه

« ب » أو منح الحكومة النادي حوالى ألف جنيه هبة لشراء قطعة أرض حوالى ألفى متر لتبنى للنادي داراً لائقة وليتمكن من إيجاد محل متسع للالعاب الرياضية .

« ج » على أن من الممكن جمع التبرعات من حضرات كبار الأعيان ويكفى أن يعلم الكل أن النادي المصرى بالخرطوم يحتوى على صفوة أبناء مصر بالسودان وأكبرهم مركزاً به. وغرض النادي هو التعارف والتآلف بين المصريين والسعى لترقية شئونهم الأخلاقية والأدبية ولتشجيع الألعاب الرياضية به وتشريف سمعة مصر. ويكفى أنه المحل الوحيد هنا الآن الذي يجعل العلم المصري بجوار الري المصري فنى هدمه تنكيس للعلم وفى بنائه رفع وإعلاء له

هذه هى الملاحظات التى يتقدم بها سكرتير النادى ويرجو بالحاح عرضها على الرأى العام في مصر وهو واثق أن الحكومة والأمة لن يتأخر كل منهما عن تأدية واجبه لهذا النادي الذى هو بحكم وضعه فى وطننا الثانى السودان أصبح رمزاً على قوميتنا وعنوانا على كفاءتنا وكنى .

وسكرتير النادي يهيب بالحكومة والأمة أن تهتما بأمر هذا النادي خشية أن يأتي وقت يختفى فيه النادى من الخرطوم بحكم تناقص عدد المصريين وبحكم

تناقص عدد الأعضاء وعدم مقدرتهم على سد نفقاته بينما الجاليات الأخري بحكم كيانها كرجال مال تزيد أنديتها تحسينا . وأظن زيادة الروابط الاقتصادية ان شاء الله تدعو لوجود ناد عظيم المصريين . هـذا هو نداء القاضى افنـدى سكرتير النادي

ونحن نضم صوتنا لحضرة احمد القاضى افندي ونرجو أن تمد الحكومة هذا النادى باعانة .

***

وقد ألقى حضرة رئيس النادي كلمة ترحيب وألقي فؤاد بك كلمة شكر . ثم أطربنا مطرب السودان المشهور الحاج «محمد احمد سرور افندى» بأغاني سودانية أعجب بها الحاضرون وقال فؤاد بك إن الدكتور محجوب بجوارى يهزنى مرددا صدي الأغانى في نفسه ، فاطلب اليـه أن يعبر لنا عن نشوته . فوقف الدكتور وصال وجال في الأغاني السودانية مؤكداً أنها كالأغاني الأندلسية ومادحاً المطرب «سرور» ، الذى جعلنا نقضى الليلة في سرور

نموذج من أغانى السودان (١)

التى أنشدها المطرب سرور

يا أنة المجروح يا لروح حياتك
(روح الحب)
وفيك يا ليل معنى الجمال مشروح
للحب زنادفى الجوف زى الزناد مقدوح
منه الجبابرة تلبى صوت بلابل المدوح
وتصاحبه النسمات تفضل معاها تدوح
من نغمة الأشواق ومحاسن الممدوح

***

سورية في السودان بي حبى ليك تبوح
ياعنب جناين الشام أتمنى منك صبوح

(١) أقرأ أغانى سودانية ص ٥٣١ جزء ثانى من الكتاب

وانشد فؤادى اتصال بين الرياض مذبوح
وأرى الهلال في ظلال تلك الخميلة يلوح

***

الناس تحب رؤياك بالخاطر المطروح
يا ملفت الأنظار يابسمة المقروح
وأنا أهدى لك الحب حب من فؤاد مجروح
حب الشحيح للمال حب الجبان للروح
من الوله للقاك دمعى الغزير مسفوح
ناقم على الأيام مع أن طبعى صفوح
أنا والخيال فى جدال وأنت بى بذاك مفضوح
كل ما النسيم يغشاك زى الحديقة تفوح
أنا لو ضمنت رضاك أكون سعيد ممنوح
يا من تسر رؤياك تفرح تنسي النوح
تكسي النهار بجمال خديك جمال وضوح
منه الغزالة تقف في موقف المفضوح

***

نار كحيل نعسان انسان رقيق وجموح
ساحر العيون بي جمال في سواك ماملموح
ان كان تميس بتميس وان كان تموح بتموح
عدل الطبيعة جعل جور الحبيب مسموح

أغانى سودانية أخرى

أفكر فيه واتأمل أراه أتجلي وأتجمل
هلالى الهل وأتكمل
تفاصيل قولى والمجمل سأصبر يا أخى ايه أعمل
إذا قلب الفتى تحمل مصائب الدهر وآلامه
أرى الصبر الجميل أجمل
ترك أفكارى تضلل بعدره البيه يتعلل

فما شرع الهوى حلل لقانا نهار ولا
فى الليل إذا أليل
صريع قانون هواك خول هلاكى وقلبى ماتحول
حقيقة وليس تتأول صريع لحظات سيوف لحظك
وحالى ان شفت تتهلول
تذكر عهدنا الأول صحيح الأيام بتدول
قريب يوم داك ماطول مضت أيام ويا حليلى
بقت أحلام وتتأول

أنا فى بساتين الزهور بين الترائب والنحور
أشرب معتقة الدهور نداماى عصافير السحور
أنشدن بالصوت الجهور ياشادى من كل البحور
قول للغريب تكفيك شهور وطنك جنان والفيه حور

* * *

أسقينا ياباهى الجمال وغنينا ياحادى الدلال
أروينا من ريقك ثمال ودللنا فى سوقك حلال

* * *

نوح ياحمام أذكى الشجون هب يانسيم ميل بالغصون
وأناعندي ماشىء كالمجون وغزل كنظم الدر مصون
صبحنا روضة معانا دن وغزال مليح يادوب شدن
حين غن دور والطير هدن وين أنت من جنة عدن
أنا بين نديم بالعود تغن وقلوب بعيدة عن الضغن
وكؤوس صببناها ورغن در أيها الرشأ الأغن

وهى للمرحوم الأستاذ خليل فرح وهو على رأس المجددين فى الأغاني السودانية



يذبحون جملا لمناسبة زيارة البعثة لقصر
السيد عبد الرحمن المهدى بجزيرة أبا



سيارات أعضاء البعثة في مزارع القطن في الجزيرة



في مسجد بأم درمان



سوق سودانية فيها أعضاء البعثة

اليوم الرابع — الخرطوم يوم الاثنين ١١ فبراير

زيارات متنوعة

مدارس الأقباط بالخرطوم ونجابة تلاميذها ووجوب إعانتها — مقابلة الحاكم العام لوفد البعثة — مأدبة غداء لستة أعضاء — فى حفلة شاي الحاكم العام لجميع أعضاء البعثة وكبار المصريين بالخرطوم — تصريحات الحاكم العام — مأدبة عشاء لتجار أم درمان — فى المكتبة القبطية

زار بعضنا فى الصباح مزارع مسيو كونتو ميخالوس

* * *

بالخرطوم جمعية خيرية قبطية يرأسها حضرة الأب المحترم القمص يوحنا سلامه وكيل الشريعة القبطية بالخرطوم وراعى الكنيسة الارثوذكسية ، ومدارس خيرية ، وهي روضة للاطفال ، ومدرسة ابتدائية ، ومدرسة ثانوية ومدرسة ابتدائية للبنات في دور متجاورة

عند الساعة التاسعة من صباح اليوم زار أعضاء البعثة هذه المدارس فوقفت تلاميذها وتلاميذاتها صفوفاً ويلاحظ أن بناء مدرسة البنات مجاور لدار مدارس البنين ، ومنفصل عنها وقد رفعت الأعلام المصرية ، وهتف الجميع بحياة الأمير عمر طوسون وفؤاد أباظة بك والدكتور محجوب ، ويتعلم نحو أربعين فى المائة من التلاميذ مجانا . وتقبل المدارس المسلمين والأقباط والسودانيين. وبها ٧٥٠ تلميذا وتلميذة . وقد أنشئت منذ ١٣ سنة . وهي المدارس المصرية النظامية الوحيدة فى السودان التى تسير طبقاً لبرنامج وزارة المعارف ونتائجها المصرية مائة في المائة . ويدخلها أبناء المصريين وبناتهم في السودان ، لأن مدارس السودان للسودانيين والوظائف للسودانيين. فسدت هذه المدارس حاجة المصريين ومكنت البقية الباقية منهم من المعيشة فى السودان والاطمئنان الى تربية الأبناء . وهى رمز للقومية المصرية . وقد منحتها وزارة المعارف ٤٠٠ جنيه بسعى فؤاد أباظة بك . وفى هذا العام منحتها ٦٠٠ جنيه

وقد اقترحت على الحاضرين مطالبة الوزارة بزيادة الاعانة إلى ألف جنيه ، واعتماد مبلغ لانشاء دار جديدة وارسال لجنة من وزارة المعارف لامتحان تلاميذها فى الخرطوم ، كما تفعل الحكومة الفرنسية بارسال اللجان من باريس لامتحان كلية المدارس الفرنسية بمصر . اذ يحتمل ولاة أمور الطلبة فى الخرطوم وأكثرهم فقراء مافوق الطاقة للسفر إلى اسوان أو سوهاج لحضور الامتحان والعودة منه .

ولولا التضحيات التى بذلها الموظفون الأقباط وبعض التجار لأغلقت أبواب هذه المدارس ، التى تؤدي خدمة علمية وتشرف مصر حقا

وكان يشرف على النظام حضرة نسيم سمعان افندي ناظر المدرسة وهو مرب كفء وعطلت المدارس اليوم احتفاء بزيارتنا

وبعد استقبالنا ألقى ألفريد قديس أصغر الكشافين سنا تحية كشافة مدارس الأقباط وألقى الطالب رمزى أبادير من السنة الرابعة الثانوية كلمة ترحيب وخطب حضرة الاستاذ عبد الحميد ابراهيم أفندي مدرس اللغة العربية بالقسم الثانوى مرحبا وتكلم عن مدارس الأقباط وعملها الابناء المصريين فى السودان ومما قاله :

لابد أن تكونوا قد علمتم الكثير عنها وعما تقوم به من الخدمة لابناء المصريين « الذين يبلغ عددهم فى هذا العام ٧٥٠ تلميذا وتلميذة » وعن النجاح الذي لازمها منذ أنشئت إلى الآن ، بالرغم من العقبات التى أعترضت سبيلها ، والصعاب التى حاولت أن تعوقها . وكانت فاتحة هذه العقبات تدبير المال للتأسيس والانشاء ، وخاتمتها تدبير المال أيضاً للمحافظة عليها والتقدم بها إلى الكمال ، وبينهما كثير من العقبات المالية وغير المالية

أما تدبير المال للتأسيس وللمحافظة عليها فى السنوات الماضية ، فقد استطاعت أن توفق منه الى الحد الذى ابقاها مرفوعة الرأس موفورة الكرامة . وكان الاعتماد فى ذلك على الله . وعلى مساعدات فردية يجود بها ذوو الكرم من الموظفين والتجار والاعيان فى السودان وفى مصر .

وما أن جاءت أعوام الأزمة المالية حتى شعرت أنها لابد لها من سند مالي تعتمد عليه لتستمر فى تأدية واجبها على الوجه الأكمل ، ولم يكن أمامها إلا أن توجه رغبتها هذه الي الحكومة المصرية فان لهؤلاء الطلاب المصريين حقا عليها لايقل عن حق زملائهم فى جهات القطر المصرى

ولقد حاولت مراراً أن تتصل بوزارة المعارف المصرية لهذا السبب فلم تفز بطائل . حتى هيأ الله تعالى لها فرصة سعيدة كانت فاتحة خير وبركة ومبدأ يسر ورخاء .

ذلك أن فى مثل هذا الشهر من العام الماضي شرف هذه المعاهد بالزيارة حضرة صاحب العزة فؤاد بك أباظة فما هو إلا أن سمع تلميحا لحظ منه حاجتها الي مساعدة من مصر حتى بادر فأبدي ميله إلى السعى لدى ولاة الامور لتنال نصيبها من إعانة وزارة المعارف

وكان سعادته عند قوله ، فمذ عاد إلي مصر لم يأل جهداً فى السعى ، وخيل الينا انه لم يكن مجرد سعى عادى ، بل كان جهاداً ضد كثير من الصعاب . وقد أبت همته العالية أن يعود الي السودان فى رحلتكم المباركة قبل أن يزف الينا بشري نجاح مسعاه . ولقد سمعنا من جناب الأب الموقر القمص يوحنا سلامة منشيء هذه المدارس ومديرها أنباء هذا الجهاد مشمولة بالتقدير والاعتراف بالجميل ، سمعنا وسمع الناس جميعا هنا من جنابه آيات هذا التقدير والاعتراف بنبيل السعى منذ الساعة الأولى التى وصل منها بعد عودته من مصر فى الشهر الماضى

وذكر الخطيب أن المدارس سارت بخطى ثابتة ، وبهدوء ورزانة نحو الامام فانشأت أول فرقة من فرق القسم الثانوي فى بدء عهد الازمة المالية سنة ١٩٣٠ : وأنشأت في العام المدرسي الحالى السنة الرابعة الثانوية من القسم العلمى وسيتم بذلك في العام الدراسى المقبل قسمها الثانوي بانشاء السنة الختامية ان شاء الله .

هذا : ومما يزيدكم ثقة بمدارسكم هذه أنها فازت بثقة ولاة الأمور هنا ، وصارت موضع أعجابهم وثنائهم وشجعوها بحسن تقديرهم وشهدوا بأن العمل فيها عمل جدى خالص لوجه الله والعلم ، بفضل الاخلاص الذى يتجلى فى ادارتها وبفضل ماعرف عن ناظرها من الغيرة على نجاح عمله ، وما يبذله أساتذتها من جهد . وما يشعر به طلبتها من الواجب وهم جميعا يعلمون أنهم إنما يؤدون واجبهم نحو مصر ونحو النشء المصرى في هذه البلاد .

ولا شك ان السمعة الطيبة التى تتمتع بها هذه المدارس فى السودان وفى مصر وصلتها الجديدة بوزارة المعارف العمومية وتشجيع المصريين لها بالعطف والتقدير وبالزيارة كلما تيسر ذلك وثقة أولى الأمر فى السودان بها كل هذه عوامل طيبة

تزيد قدمها ثباتاً وتبعث دائماً روح النشاط والجد فى نفوس العاملين بها وتدعوها إلي الأخذ بوسائل الرقي ما استطاعت .

ونوه بالشرف الذى نالته المدارس بزيارة سعادة بهى الدين بركات بك

وألقت تلميذات مدرسة البنات نشيد المدرسة .

وتكلم حضرة الأستاذ الشيخ محمد الخولي المدرس بمدرسة البنات مرحبا بعبارات رقيقة وختم كلامه قائلا :

« إن رجال إدارة هذه المدارس وعلى رأسهم جناب المدير المحنك القمص يوحنا سلامة ومدرسيها ومدرساتها يتقدمهم حضرة الناظر المدرب وحضرة الناظرة المربية بل تلاميذ وتلميذات تلك المدارس على مختلف أقسامهم ليسجلون لحضراتكم هذه الزيارة على صفحات قلوبهم بحروف من نور لا يمحوها كر العشي ومر الدهور .

وان اغتباط الجميع بهذه الزيارة يجل عن الوصف. ويعجز دونه التعبير. حياكم الله وبياكم . ونفع البلاد بكم وبأمثالكم آمين »

وألقت الآنسة المهذبة زينب محمد الجارم كريمة فضيلة قاضى قضاة السودان تحية مدرسة البنات قصيدة عامرة الأبيات مطلعها

بدت فى سماء الخر منا كواكب وقد نشرت أعلامها والمذاهب

وألقت الآنسة ايفون قديس الطالبة بالسنة الرابعة بمدرسة البنات أبياتاً رقيقة مطلعها :

سادتي بانتى اليكم تهدى في احترام وعزة وخشوع
للقاكم جمعتها باعتناء من بساتين عطفنا فى الربيع

وقدمت الآنسة هدى محمد السيد بقسم الروضة أبياتا رقيقة لفؤاد أباظة بك

عدد التلاميذ والتلميذات

وتدل احصائية عدد تلاميذ المدارس وتلميذاتها بالنسبة لأديانهم على أن في قسم البنين ٢٤٣ مسيحيا و١٦٥ مسلماً و١٥ من غيرهم وفى قسم البنات ١٨٠ مسيحية و١٢٠ مسلمة و ٢٠من غيرهن .

فالجملة ٤٢٣ مسيحيا و٢٨٥ مسلما و ٣٥ غيرهم

والمجموع الكلى ٧٤٣



مزارع القطن فى منطقة القاش

عشر الحاكم العام

فى الساعة العاشرة من صباح اليوم استقبل سعادة سير جورج استيوارت سايمز الحاكم العام للسودان حضرات رشوان محفوظ باشا ، وفؤاد أباظة بك وعبد الحميد أباظة بك . وعبد الحميد فتحى بك . ويوسف نحاس بك . والفونس جريس بك . وعطا عفيفى بك . والسيد عبد المجيد الرمالي . والأستاذ على شكرى خميس . حيث مكثوا فى حضرته ثلث الساعة

ثم قابلوا مدير التجارة والاقتصاد . وتناول طعام الغداء على مائدة سعادته

حضرات رشوان محفوظ باشا وفؤاد أباظة بك والسيد عبدالمجيد الرمالى والفونس جريس بك وعطا عفيفى وعبد الحميد فتحى بك

وعند الساعة الرابعة والنصف تناول جميع أعضاء البعثة الشاى فى حديقة سراى سعادته بالخرطوم . وكان معهم مدير مكتب سعادته وكبار موظفيه وحضرات :

المستر جيلان السكرتير الادارى والمستر بل السكرتير القضائى والمستر رجمان والجنرال بتلر القائد العام والسر روبرت اشيبلد مدير المعمل الكيماوى والمستر كولدرى والماجور نوكى مفتش مصلحة التجارة والاقتصاد والتجار كفورى وتوتونجى والشيخ محمد احمد البرير والشيخ سيد احمد سوار الذهب والشيخ احمد حسن بك عبد المنعم والمستر سندرس السكرتير الخصوصي والبكباشى شارلتون ياور والدكتور بريدى مدير المصلحة الطبية والمستر بنى مدير الامن العام وفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضى القضاة وعبد القوى أحمد بك ومصطفى أبو العلا افندى وعبد المنعم محمد افندي وآخرين

تصريحات الحاكم العام

صرح سعادة الحاكم العام لحضرات مندوبي البعثة اليوم بما يلى :

أرجو أن تكونوا قد سررتم من زيارتكم ووقفتم على حالة البلاد . ولقد اكتنف رحلتكم حر شديد . واقتصرت زيارتكم على المناطق الزراعية والتجارية ولكنكم لم تزوروا المناطق القاحلة غير الآهلة ، وأرجو أن يكون من وراء هذه الزيارة خير للبلدين ، وأن تنمو العلاقات الاقتصادية بينهما ، لقد اجتهدنا فى ترقية البلاد ، وقد أنشأنا مدرسة كتشنر الطبية ، وإذا كان عدد طلبتها قليلا فسيزيدون شيئاً فشيئاً ، وليس فى السودان كله من الموظفين الانجليز الملكيين إلا ١٤٠ موظفاً . وكثرة الوظائف في يد الوطنيين .

حفلة تجار أم درمان

أقام تجار أم درمان مأدبة عشاء فى الساعة الثامنة والنصف من مساء اليوم «الاثنين ١١ فبراير» بحديقة أنطونياديس بالخرطوم حضرها أعضاء الغرفة التجارية بالخرطوم وألقى حضرة مصطفى أبو العلا افندى خطابا رحب به بالبعثة ، وألقى فؤاد

أباظة بك كلمة شكر، وترك الكلام لحضرات محمد عبد الرحيم سماحة والسيد عبد المجيد الرمالى والاستاذ شكري خميس فتحدثوا في العلاقات الاقتصادية بين مصر والسودان.

عشاء تجار أم درمان

أم درمان مركز من مراكز مديرية الخرطوم، وموقعها من الخرطوم يشبه موقع الجيزة من القاهرة، وقد أسس أم درمان محمد احمد المهدى الكبير وجعلها العاصمة بدلا من الخرطوم التى أنشأها محمد على وجعلها عاصمة السودان حتى سقطت بين المهدية. ولكن لاتزال « أم درمان » هى العاصمة الحقيقية للسودان ففيها التجارة والتجار، وعدد سكانها ثلاثة أضعاف سكان الخرطوم أو نحو ذلك، وليس للخرطوم أهمية سوى أن بها سراي الحاكم العام ودواوين الحكومة ومكاتب البنوك والشركات.

أقام حضرات تجار أم درمان حفلة عشاء بحديقة انطونياديس بالخرطوم تكريما للبعثة المصرية حضرها

حضرات المشايخ والأفندية تجار أم درمان : الشيخ احمد حسن عبد المنعم، ابراهيم بك عامر، سيد احمد الذهب، محمد احمد البرير، عثمان صالح، صديق عيسى هنرى جيد، عبد الحميد المهدى، مصطفى ابو العلا، عبد المنعم محمد، والقوصى بابكر الشفيع، صالح داود، حسين خليل، عبد المسيح تادرس، واصف سليمان، حسن ابو العلا، محمد ابو جبل، حسين محمد، حنين، سليمان حاج حسن، نديم جانجى، عبد المجيد عبد المنعم، الامين عبد الرحمن، حسين تربال، احمد عثمان القاضى، عبد الرحمن احمد، نعمان الجارم قاضى القضاة، الدرديرى محمد عثمان، ميرغنى حمزه، محمد على شوقي، محمد الشنقيطى عبد العزيز القباني، احمد البرير، عبد العال أبو رجيله، حسن الظاهر، سليمان منديل، السيد عبد الفاضل، احمد عبد الله، بابكر جعفر، احمد خليفة، عبد الكريم محمد، ومن الأجانب حضرات : مسيو كونتوميخاليوس، مستر فول مدير اللجنة الاقتصادية، مدير البنك الاهلى، مستر برامبل مفتش أم درمان، تريس مستر مفتش الخرطوم بحرى، مستر سمث مدير جلاتلى، مستر ريد، مستر كوكسين (هرالد) مستر سركيس ازمرليان، رئيس المكتبة القبطية،

رئيس النادي المصرى ، مستر اسبيرو ، المستر جورج مورهج ، قديس افندى عبد السيد ، الخواجه شكر وغلو .

وقد القى السيد مصطفى ابو العلا الخطاب التالى والقاه نجله عبد السلام مصطفى ابو العلا مترجماً بالانجليزية وآل أبو العلا من كبار تجار السودان نشأوا في اسنا وأقاموا فى السودان شركاء للتجار عبد المنعم محمد ويونس احمد وغيرهم وشركتهم تصدر أكبر كمية من محاصيل السودان وتنافس التجار الاجانب

كلمة السير الرمالى

إخواني تجار أم درمان

السلام عليكم ماجرى النيل في هـذا الوادي يروى أرضنا ويشفى غلة نفوسنا بماء واحد ، السلام عليكم يوم نسعى اليكم زائرين مجددين عهد الصداقة وصلة الجوار ويوم تأتون إلينا حاملين بشرى رقي السودان ورفاهية إخواننـا وأبناء عمومتنا السودانيين الأكرمين .

لقينا في هذا النصف الثانى من السودان من عواطفكم المخلصـة وعنايتكم الصادقة ماتغلغل فى صدورنا واستقر فى قلوبنا . ذكريات تزول الجبال وتبقى وتكر القرون والأجيال وهى خالدة على الزمان لاتتضاءل ولاتبلي — لم ينس السودانى أخاه المصرى ولا نسى الأخ المصري شقيقه السودانى . هى صلة النيل الواحد وأواصر البلد الواحد وروابط الدم الواحد صلة الجنس وأواصر اللغة كذلك أراد الله. وبذا حكمت الطبيعة لقد ربطنا الله فلن يفرقنا انسان ووحدتنا الطبيعة فلن تقصم هذه العروة الوثقى يد انسان

في سعادتكم سعادتنا وفى تقدمنا ورقينا فخركم ومجدكم لهذا جئنا نعطيكم ماعندنا من مال ورجال ومتاجر ولنأخذ من عندكم محاصيلكم وخيراتكم

كلانا يكمل صاحبه وما قصرت مصر يوماً فى القيام بواجبها نحو اختها السودان ولن تقصر

ويقيناً أنكم ستبادلونا حباً بحب ومودة بمودة وتضحية بتضحية ـ لقد أخذنا منكم بضائع بمئات الالوف من الجنيهات وستسعى بعثتنا لتوطيد الصلات التجارية والاقتصادية بين القطرين التوأمين أكثر مما هى عليه الآن فلتكن مصر اذن قبلة أنظاركم فى التجارة والزراعة والعلم والأدب والاقتصاد

هانحن نمد أيدينا لنهزيدكم المبسوطة هزة الوقار الدائم فليكن كل منا خبيراً بأخيه وليدم هذا التعاون بيننا

أن الآمال التى نعلقها نحن معشر التجار على هذه الرحلة عظيمة الفوائد كما أن حسن الاستعداد الذى بدا ممن يهمهم الأمر في كل من البلدين والاهتمام الذى قوبل به لتوثيق العلاقات الاقتصادية بين القطرين يبشرنا بنجاح بعثتنا

ويدل دلالة صريحة على أن الله الذى خلق مصر والسودان بلداً واحداً قد كتب بيمينه القوية صفحة جديدة فى تاريخ البلدين ستكون باذن الله أمجد الصفحات

خطبة الوجيه مصطفى أفندى أبو العلا

حضرات رئيس وأعضاء البعثة المصرية التجارية الزراعية المحترمة

سادتي : —

إنها لمناسبة طيبة مباركة وفرصة مفيدة سانحة هذه التى أتاحت لى شرف المثول أمامكم لأشكر الله على سلامة وصولكم أيها الوافدون الكرام إلى الخرطوم عاصمة السودان —

إنى بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن تجار أم درمان أرحب بقدومكم الميمون الى هذه البلاد على أننا كنا كما لا يخالفكم نرقب مثل هذه الزيارة من زمان بعيد كما كنا نقرأه فى صحف من اهتمامكم الزائد بالسودان . وهانحن نرى أنه من محاسن الصدف ان وفقتم الى القيام بهذه الرحلة فى هذا الوقت المناسب لتعرفوا بأنفسكم أحوال البلاد الاقتصادية والزراعية والتجارية وماله مساس بمصالح بلادكم

ويقينى أن هذه الزيارة ستكون بمثابة حجر الزاوية لتقوية هذه الروابط ولاشيء أحب إلى نفوسنا نحن التجار أكثر من الحصول على التسهيلات اللازمة لايجاد أسواق صالحة لاستهلاك محاصيلنا واياد نشطة خبيرة لحرث الصالح من أراضى بلادنا المتسعة المترامية الأطراف — فقط تجدون ان اسواقنا التى تستهلك كمية كبيرة من صادراتكم يغذيها تفاهمنا التجارى . كما ان كثيراً من اراضينا تحتاج إلى خبراء منكم ينتجون فيها ما تحتاجه بلادكم ورائدكم النشيط فؤادبك باظة لابد وان يكون قد أبان لكم مافيه الكفاية من هذه الناحية بعد جولته هنا ودعوته اليكم فى الشتاء الماضى واننا مدينون له بجهده ورغبته الصادقة فى انحاء الصلات الاقتصادية بيننا ومهما قلنا عنه . فاننا لا يمكننا ان نفيه حقه من

الثناء والتقدير فهو من طرفكم والمستر كونتمخالوس من طرفنا بصفته رئيس الغرفة التجارية بالسودان قد عملا بشعور متبادل فى ايقاظ الروح الاقتصادية وقد تحقق ذلك بفضل سعيهما فتشرفنا بكم في هذه الليلة بعد أن طفتم كثيراً من أرجاء السودان وشاهدتم ماشاهدتم من خصب أرضها واتساع أسواقها ووداهلها حتى صارت عندكم صورة حقيقية عنها فلكم منا جزيل الشكر

وأنه من حظ هذه البلاد أيها السادة أن سخر الله لها حاكمها العام السير سايمز فى هذا الظرف الدقيق فهو منذ وضع قدمه بها عامل فى تنمية مرافقها المختلفة فأنتج هذا الاهتمام تحسيناً محسوساً فى حالة البلاد العمومية وكلنا يذكر بمزيد الشكر والاعجاب التسهيلات القيمة التى تكرم بها معاليه ورجال حكومته والتى كان من شأنها أن تم هذا الاجتماع المؤقر الذي نرجو من ورائه خيراً للقطرين فى القريب العاجل ان شاء الله

وقبل أن أجلس أردد لكم ابتهاجنا برؤيتكم ووجودكم بيننا وأؤكد لكم انكم ستجدوننا عند حسن ظنكم بنا والله الموفق فهو ولينا ونعم النصير



الاعضاء أمام مصبغة ابراهيم عامر بك ببورسودان

خطبة محمد عبد الرحيم سعادة

سادتي : اخوانى تجار أم درمان

أن ماتنشده بعثتنا هو العمل على زيادة الروابط الاقتصادية بين بلادينا وقد بدأنا نتبين كل أمر يعود عليكم وعلينا بالخير والاسعاد . ولما كانت أم درمان هى العاصمة التجارية فى السودان لذلك أرى نفسي سعيداً أن أتبادل معكم الرأي وأطلب منكم تسهيلا لما نقصده منكم من البحث والوقوف على آرائكم الصائبة فيما ينفع البلدين

سادتى — أن مصر سوق طبيعية لتجارة السودان . ولا ينكر ذلك أى انسان. وقد نشطت تجارتكم مع مصر والفضل الكثير فى ذلك لتجار أم درمان وهاهى احصائية الجمارك تدل على أن مصر استوردت منكم ما يبلغ خمساً وتسعين فى المائة من جميع صادرات السودان عدا القطن والصمغ . فصادرات الاذرة بلغت فى المدة من المال يناير سنة ١٩٣٤ الى آخر نوفمبر سنة ١٩٣٤ الى مصر ٨٧٠٠٠ سبعة وثمانين الف طن ولجميع البلاد الأجنبية ٢٣٥٠ الفين وثلاثمائة وخمسين طن والفول لمصر ٥٦٨٨ طن وللبلاد الأخري ٣١٠ طن والسمسم لمصر ٨٩٠٧ طن ولبلاد اخرى ١٢٠٠ طن والمواشي ٢٢٠٠٠ رأس من البقر والغنم وجميعها لمصر كذا الشطة ٥٥٠ طن جميعها لمصر كذا الفاصوليا ٢٠٠٠ طن جميعها لمصر كذا حب البطيخ ٤٠٠٠ جميعه لمصر كذا الابل وعددها ١٤٠٠٠ جميعها لمصر كذا الجلود وصناعات مختلفة أغلبها لمصر . والقرض جميعه لمصر وكذلك الحمص جميعه لمصر حتى المسلى تصدر منكم إلى مصر بكميات وافرة ومصر بلاد غنية بألبانها . اليس فى ذلك أكبر برهان وأظهر بيان

اذاً تعالوا الى بيان صادراتنا لكم —

السكر والدخان والاسمنت والصابون ومانيفاتورة وبضائع مختلفة — أما السكر فأمره متوقف على اتفاق الحكومتين ولم يكن استيراده منكم على الدوام . والاسمنت عشر الكمية لاستهلاككم . وتسعة أعشارها لخزان جبل الاولياء . المانيفاتورة كلها وردت اليكم من مصر برسيم الترانسيت وليس من صناعة مصر إلا قليل من المنسوجات — لذلك كله اسمح لنفسي أيها السادة أن أسائلكم ماهو السر في قلة الواردات لكم مصر هل هذا راجع اليكم انتم — أم الى المضاربات التجارية من البلدان الاجنبية . لا أظن والله أن كل

الاسباب ترجع الى المضاربات الاجنبية فلا زالت لدينا صناعات يجب عليكم أن تتكاتفوا على ترويجها فى بلادكم

فهاهى منسوجات بنك مصر المختلفة تتوافق مع أذواقكم ومنسوجات أخرى كالشرابات والفوط والفانيلات وقد صنعت مما انبتته ارض مصر وحاكتها ايادٍ مصرية كذا الكبريت والاحذية والموبليات وكثير من الصناعات ايضاً الارز المصرى وهو ألذ وأشهى من غيره

ولو فرضنا ايها السادة انهناك بعض زيادات فى الاسعار لا اتردد فى أنكم قادرون على تذليلها حتى نتضافر جميعاً علي العمل على محوها او تخفيفها خصوصاً وان جودة المصنوعات المصرية تزيد في لبسها على فرق السعر — وليس عندي ريب فى أننا بفضل الله سنصل قريباً إلى الغاية المنشودة وهى زيادة الروابط التجارية —

ولا يفوتنى فى هذا المقام ان أشيد بذكركم ياتجار أم درمان فكم لكم على تجار مصر من أياد كرام . فأكثركم يتصل بتجارة مصر من زمن بعيد ومنكم كثيرون افتتحو لهم فروعا في القاهرة لجلب البضائع من مصر وبيع الحاصلات السودانية بها وهؤلاء جميعا اكتسبوا في مصر ثقتنا وحازوا منا اعجاباً لكفاءتهم التجارية واتبعوا الصدق وحافظوا على العهد فكانوا رسلكم في التجارة أمناء أذكياء —

ايها السادة اشكر لحضراتكم جميعاً خالص الشكر على تفضلكم بتهيئة هذه الفرصة السعيدة للاجتماع بكم وليس فى مقدورنا ان نظهركم على مانكنه من الحب وعظيم الامتنان — والله وحده جلت قدرته يتولاكم منا خير الجزاء

وانتهت الحفلة عند الساعة العاشرة ثم حضر بعض الأعضاء حفلات زفاف وشهدوا الرقص السوداني على الدربكة

فى المكتبة القبطية

عند الساعة العاشرة والنصف من مساء اليوم أقامت المكتبة القبطية بالخرطوم حفلة سمر تكريماً لأعضاء البعثة . وقد وزعت المرطبات على الأعضاء . والمكتبة هى ناد أسسه إخواننا الأقباط بالسودان . وسموه « مكتبة » لأن عند انشائه كان اسم « ناد » مرادفاً في السودان لاسم مكان للخمور والمقامرة

وقد انشئت المكتبة سنة ١٩٠٧ ودارها ملك لها . وبها مكتبة ولها مجلس ادارة ورئيسها المصرى الغيور الاستاذ رياض مصري باشكاتب مصلحة الري المصرى بالخرطوم . وألقيت الخطب المناسبة والمكتبة مفتوحة للمسلمين والأقباط ومحرم فيها الخمر والقمار والمناقشات الدينية ومن خطباء حفلتها رئيسها وعلى افندى منصور المدرس بمدارس الاقباط بالخرطوم وناشد ميخائيل افندى بالمساحة السودانية وألقي محمد الخولى افندي قصيدة وأعضاء المكتبة .

وقد انشئت مثلها هذا العام مكتبة قبطية بأم درمان



القطار الخصوص لنقلات البعثة

اليوم الخامس — الثلاثاء ١٢ فبراير

زيارة مزارع عامر بك — اجتماع اللجنة التجارية
حفلة خريجى كلية غوردون — مأدبة الصحافة

توجهت مع لفيف من الأعضاء الساعة السابعة من صباح اليوم الى مزارع حضرة الوجيه السيد ابراهيم عامر المولود فى مصر . والذي اتخذ السودان مقاماً وبه متاجره من الأقمشة والحاصلات والمصابغ ومزارعه .

زرنا مزارع مواطننا « عامر » ومساحتها ٧٥٠ فداناً زرعت قمحاً وفولا وبسلة على طريقة الدورة الثانية ، فيزرع جزءاً منها ويترك بوراً للتشميس . وبها حديقة تنتج العنب التكعيبى والسلكى والبرتقالى ، وأشجار الموالح ، وقد أحضر لها البذور والشتل من مصر . ويروى الأرض وابور قوته ٧٥ حصاناً ويجود الفدان بمحصول متوسطه أربعة أرادب ويتناول الفلاح ٢٥ مليماً في اليوم وتتكلف زراعة الفدان ٢٢٠ قرشاً ، ويدير الزراعة الشيخ متولى ونجله عبد الحميد .

وثمن الفدان فى تلك المنطقة ٤ جنيهات بسبب قلة اليد العاملة . وحاجة الأرض إلى السماد وآلات الري ، وهو مالا يطيقه سواد السودانيين ، فليس شراء الأرض سهلا ، وليس المال موفوراً .

اجتماع اللجنة التجارية

وقد عقد أعضاء اللجنة التجارية المختلطة المؤلفة من تجار بالبعثة وأعضاء بالغرفة التجارية بالخرطوم اجتماعا قبيل ظهر اليوم .

وبهذه المناسبة ننشر فيما يلى قرار تأليف اللجنتين الزراعية والتجارية :

على أثر زيارة أعضاء البعثة للغرفة التجارية حصل اجتماع مبدئى بين أعضاء لجنة البعثة المصرية وأعضاء لجنة الغرفة التجارية السودانية

وقد رحب رئيس الغرفة التجارية السودانية بالبعثة المصرية ورد عليه مقرر البعثة شاكراً مجهود الغرفة التجارية

ثم تقرر تأليف لجنتين مشتركتين تضم كل منهما بعض أعضاء البعثة ،

وبعض أعضاء الغرفة التجارية لتجتمع كل لجنة على حدة وتبحث المسائل التى تدخل فى نطاق أغراض البعثة للوصول الى ماينمى العلاقات الاقتصادية بين البلدين لمصلحة الطرفين .

وتؤلف اللجنة من حضرات :

اللجنة التجارية عن السودان : — مسيو توتنجى . مصطفى ابو العلا . مستر اسميث . مسيو شيكروغلو .

عن مصر من التجار حضرات السادة: — عبد المجيد الرمالى . محمد عبد الرحيم سماحة . على شكرى خميس . اسماعيل بركات بك .

عن السودان اللجنة الزراعية : — مسيو كونتوميخالوس . مسيو كنفوري . مسيو أزميرليان . مستر وليمز .

عن مصر من المشتغلين بالزراعة: — فؤاد بك أباظة . الفونس بك جريس . عطا عفيفى بك . عبد الحميد فتحى بك . عبد الحميد أباظة بك .

حفلة خريجى المدارس بأم درمان

وأقام عند الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر اليوم حضرات خريجى مدارس السودان بام درمان حفلة شاي بناديهم تكريماً للبعثة المصرية ، تبادل فيها الأعضاء ورجال البعثة التهاني وتبادلا التحيات وألقيت الكلمات المناسبة. وأعلن فؤاد بك أن لجنة الاعانات برياسة سمو الأمير عمر طوسون قد أرسلت ٥٠٠ ج لتوزيعها فى وجوه الخير لاخواننا السودانيين بالطريقة التى يرونها . فقوبل النبأ بالتصفيق والهتاف بحياة الأمير .

حفلة الصحافة

أقام حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضى رئيس تحرير « حضارة السودان » مأدبة عشاء الساعة الثامنة من مساء يوم الثلاثاء ١٢ فبراير تكريماً لحضرات أعضاء البعثة

وقد دعى إلى الحفلة مسيو كونتو ميخالوس وحضرات السيد محمد أحمد البرير ومصطفى أبو العلا أفندى والسيد ابراهيم عامر من تجار السودان ، ودعى إليها

من كبار المصريين حضرة صاحب العزة بهى الدين بركات بك وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضى قضاة السودان والشيخ أحمد محمد أبودقن شيخ علماء السودان والسيد أحمد عبدالله وكيل المشيخة الميرغنية والشيخ على المهدى ورجال الصحافة السودانية



أعضاء البعثة فى سنجة عند آل أبى الملا

كلمة الشيخ عثمان القاضى

تكلم فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضى عن تاريخ الصحافة فى السودان منذ بدأت جريدة السودان سنة ١٩٠٣ حتى الآن ، فقوبلت كلمته بالتصفيق

كلمة فؤاد أباظه بك

شكر حضرة فؤاد أباظه بك فضيلة الداعى، ونوه بفضله فى إحكام الصلات بين مصر والسودان، وجهوده فى تنظيم الرحلة ومرافقة البعثة ثم ترك الكلام لمندوبي الصحافة المصرية. واعلن أن لجنة الاعانات برياسة سمو الأمير عمر طوسون قد خصصت ٥٠٠ جنيه لمرافق السودان الخيرية فقوبل الخبر بالهتاف لسمو الامير والتصفيق

كلمة الصحافة المصرية يلقيها المؤلف

سادتى . اخوانى . فضيلة الشيخ عثمان القاضى

لقد خاطبتكم التجارة كثيراً وتحدثت إليكم الزراعة دائماً — نعم تحدثتا بلسان حضرات الكرام مندوبي التجارة والزراعة — فهل تستمعون للصحافة قليلا وأخيراً ؟

ما أظنكم بحاجة الى ترديد التجارة والزراعة فى هذا الحفل — ولا فى اعادة ذلك الاكلشيه الخطابي — وهو توثيق العلاقات الاقتصادية — فنحن نريد العلاقات غير التجارية أيضاً (ضحك وتصفيق). وبقى علينا نحن — بعد أن أدت التجارة والزراعة واجبهما كاملا — أن نسجل النتائج ، وأن نمحص الآراء وأن نتمم العمل الذى بدأ ، وأن نتوج الصرح الذى نشأ ، وليس هذا المقام منبراً لخطبنا — فخطبنا قرأتموها وقرأها الألوف من مواطنيكم وستقرأونها

وما بنا من حاجة الى أن نذكر لكم اننا قد ألفينا لغوبا ونصباً ، واننا احتملنا عناء وتعبا .

فلقد أدينا واجبا قد نشعر أنه متضائل أمام ما قابلنا به مواطنونا الاعزاء أبناء السودان من ترحاب وحفاوة ، ننحنى احتراماً أمام مشاهدها ، ويشاركنا مواطنونا فى مصر فى الأعجاب بها « تصفيق »

سادتى :

انى أزعم ، من فوق هذا المكان وبأعلى صوتي ، انى أجدر من الدكتور محجوب ثابت بالانتساب الى السودان ، وأحق من « فؤاد بك السودانى » بالانتماء اليه .

فلقد عرفت السودان طفلا - اذ كانت جريدتنا التى أنشأها ابن خالتنا المغفور له الشيخ على يوسف والتى تعرفونها - جريدة المؤيد - كانت فى طليعة الصحف المصرية اهتماماً بالسودان وحوادثه

فالدرس الأول الذي تلقيته هو محبة السودان ، والأسم الأول الذى عرفته في الجغرافيا هو اسم السودان « تصفيق »

وقد نمى محبة السودان أستاذى الدكتور محجوب ثابت - الذى يلقبه مواطنوه السودانيون بأبى كريمه وابى دقن ودكتور اسوان والسودان ونائب مينا البصل وكردفان - منذ أن كان الدكتور استاذاً فى الجامعة المصرية في الطب الشرعى.

لقد سألنى بعض اخوانى هنا هل الدكتور محجوب طبيب فى الامراض فقلت لهم أن الدكتور محجوب طبيب فى كل شيء — « تصفيق »

وصادفتنى بيئة أخري أحاطتنى بمحبة السودان — بيئة جريدة الأهرام — وأنى لاذكر في هذا المقام المرحوم مؤسس الأهرام بشارة تقلا باشا والفقيد الاستاذ داود بركات فقد كان الفقيد صديقاً للسودان

وليس هذا فقط فمنذ أعوام حدثنى عمى الشيخ عبد الجواد أحمد أبو صغير سر تجار بنى عديات بأن لأسرتنا أبناء فى السودان - وفى دنقلة - منذ قرون اذ كانوا يتجرون مع السودان واتخذوه مقاماً - وتوغلوا منه الى واداى وأوغندا ونيجيريا

أى أننى عريق الانتساب وبعيد الأنساب إلى السودان - فهل بعد هذا يضار عنى الدكتور محجوب ويزهو على « فؤاد بك السودانى ؟ » !

قال الله تعالي « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فها قد انتصرنا وفزنا فوزاً مبيناً .

وقال أيضاً « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له - وله أجر كريم » .

وقد لقيت رحلتنا الجزاء مضاعفاً

سادتي :

لقد كنا نود أن يكون بيننا حضرة الكاتب المبدع المعروف الأستاذ فكرى أباظة رئيس تحرير المصور ، حتى يتمتع بما سمعنا إسمه يدوى في أنحاء السودان ولذا فهو جدير بأن يدعى - كأخيه فؤاد بك - بفكرى السودانى « ضحك »

وإننى لأرسل إليه تحية من هذا المكان .

ونذكر هنا حضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك فقد أتاح للصحافة فرصة الأشتراك فى هذه الرحلة الموفقة . ونذكر اخواننا التجار كونتوميخالوس ، والبرير وأبو العلا ومن أعرف ومن لاأعرف .

سادتي :

انى أحمد الله تعالى أن تحققت الآن أمنية المرحوم شريف باشا حين قال « اذا نسينا السودان فهو لن ينسانا واذا تركناه فهو لايتركنا »

والسلام عليكم ورحمة الله « تصفيق حاد »

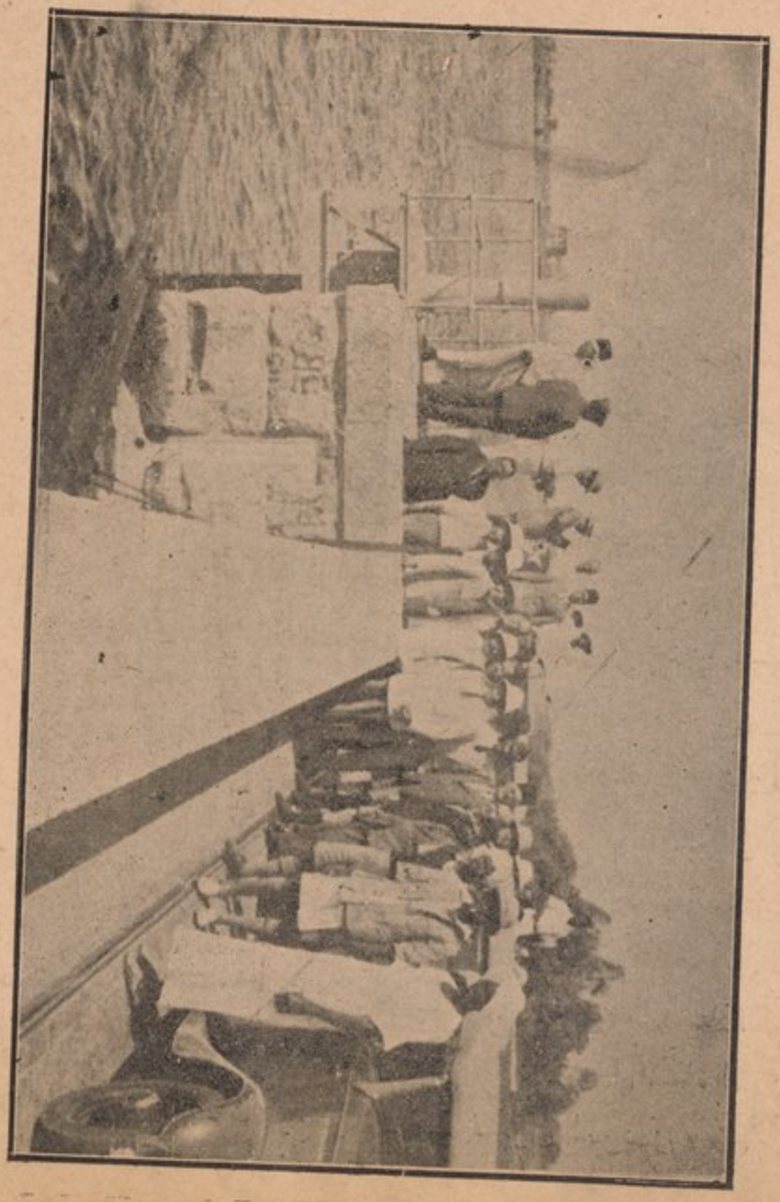

أعضاء البعثة فوق خزان سنار

اليوم السادس - الاربعاء ١٣ الجارى

عند جبل السليتات وآثار أم درمان

المعهد العلمى — مأدبة السيد البرير — شاى شيخ العلماء
فى نادي الضباط السودانيين

عند جبل السليتات

فى الساعة السابعة صباحاً توجه لفيف من أعضاء البعثة إلى جبل السليتات ، لأن بعض الأعضاء كان مزمعاً السفر فى الساعة الثامنة من صباح اليوم ، وآخرين كانوا فى توديعهم ، وفريقاً آخر كان تعباً أو لايرى فى زيارة الجبل شيئاً جديراً بالمشاهدة ، خصوصاً بعد مالقيه من نصب عند زيارة خزان جبل الأولياء (١)

وكدت أعدل عن زيارة السليتات ، ولكن غيرتى على رؤية مافى برنامج البعثة وأكثر ، دفعنى إلى زيارة السليتات . فزرته وها أنا أكتب عنه وأنفذ عزمي :

جبل السليتات مرتفعات من الأحجار الجرانيتية : فيوجد جبل السليتات رقم ١ وجبل السليتات رقم ٢ وجبل السليتات رقم ٣ ، كل منها خلف الآخر بمسافة قريبة ، وارتفاع هذه الجبال قليل فهو ٦٦ متراً وطول كل منها ٢٠٠ متر

وعند العزم على تنفيذ مشروع خزان جبل الأولياء ، بحث المقاول جبسون ومعه المقاولون من الباطن دنتمارو وساسو والحاج حسين فضل الله ، المقاول الوطنى الوحيد ، في أغسطس سنة ١٩٣٢ عن أقرب الجبال الجرانيتية الى موقع الخزان ، لاقتطاعه واستعماله فى بنائه ، فوجدوا الكفاية فى جبال السليتات .

وصلنا إلى هذه الجبال فوجدنا بها مئات العمال والآلات القاطعة وخطاً للسكك الحديدية والمقاولين والمهندسين يتقدمهم حضرة صاحب العزة

(١) سافر الفوج الاول من البعثة صباح اليوم وهو مؤلف من حضرات الياس عوض بك ويوسف نحاس بك والسيد احمد أبو الفضل الجيزاوى واسماعيل بركات بك والزينى ومستر سدنى ساير والحناوى والاستاذ فخرى الزق المحامى - وسافر « أحمد حسن قاسم » طائراً

عبد القوى احمد بك ، فحيونا جميعاً . وهتف العمال بحياة البعثة المصرية وعبد القوى بك .

وقد رافقنا حضرة صاحب العزة محمد بهى الدين بركات بك فى هذه الزيارة كما رافقنا فى زيارة خزان جبل الأولياء .

عملية قطع الأحجار

تفصل أحجار الجبل قطعاً كبيرة جداً عادة ، وذلك بأن يضرب العمال الحجر بالاجن ، فتحدث « خروماً » يوضع بها البارود « الجلينيت » والنتروجلسرين بنسبة ٦٢ فى المايه من الأول ويوضع فى اسطوانة طولها ٩ سنتيمترات وقطرها ١٠ وبه فتيل ، يورى فيشتعل البارود بعد دقيقة ونصف أو دقيقتين ، وتنفصل القطع الكبيرة عن جسم الجبل ولكنها تظل فى مكانها . ويسمع لاشتعال البارود دوي كدوى القنابل ، ويتطاير في أثناء ذلك قطع صغيرة من الحجر إلى مسافة ٢٠٠ متر ، خطير هجومها ، ولذا يتقيها العمال بالعدو بعيداً عن الجبل عقب إشعال الفتيل . ولا تعمل « الخروم » اعتباطاً ، بل يتخير المهندس موضعاً فى الجبل به اتجاه معين يساعد على فصل الصخر أكثر من أى اتجاه آخر ، ويسمى هذا الاتجاه « ماء الحجر » وعمق الخرم خمسة سنتيمترا أيضاً ، ثم توضع فى « الأخرام » خوابير منشورية ويدق عليها بالتناوب ، وكل عشرة منها تحتاج الى ساعة للدق عليها

ويبلغ طول أكبر حجر مترين وعرضه متراً واحداً بعد تهذيبه . وهناك ثلاثة « ونشات » يحمل كل « ونش » خمسة أطنان ويعمل في الحجر المتقطع خرمان ويحمل الونش الحجر من الخرمين . وتوجد رسوم للأحجار المطلوبة فينظم العامل النحات الحجر طبقاً للرسم المطلوب .

ويقوم بالنحت عمال ايطاليون ومصريون وسودانيون ويتقاضى الايطالى أجراً يومياً يتراوح بين المائة والمائة والعشرين والمائة والثلاثين قرشاً ، والمصرى من ٨٠ إلى ٩٠ قرشاً والسودانى من ٥٠ و ٦٠ قرشا ، وعدد النحاتين الايطاليين ١٠٠ والمصريين ١٥٠ والسودانيين ٥ ويوجد ١٤١ صنفاً من الأحجار ، ويوجد ١٥٠٠ عامل فى المحاجر

وجبل سليتات رقم ٢ يؤخذ منه « الدبش » ويصنع الخرسان من فتات

الجرانيت المدقوق يرسل إلى الخزان حيث يضاف إليه أسمنت بنسبة ١ — أسمنت و٢ رمل و ٤ مدقوق الجرانيت ويوجد عند السليتات مستشفى به طبيب إيطالى وثلاثة مساعدون من كلية غوردون .

وتسير قطارات السكة الحديد الخصوصية بين السليتات الي الخزان يوميا بمعدل ٣ عربات تحمل جرانيت و٤٠ عربة تحمل دبشاً .

ويشرف على العمال المقاولان ساسو الايطالي والشيخ حسين فضل الله . وتسكن أسرة المقاول ساسو عند الجبل وقد استقبلتنا أسرته وأخذت لنا صورة معها ، والمقاول ساسو كثير العطف على العمال يواسى مرضاهم ، وهو مع الشيخ فضل الله طالما اشتغلا مقاولين من الباطن لكبار المقاولين فى بناء الخزانات والقناطر، كتعلية خزان أسوان . وقناطر نجع حمادي . ورأينا على بعض الدور وخاصة على مكتب المقاول ثلاثة أعلام : العلم الايطالي والمصرى والانجليزى .

والقائمون بالأشراف على محاجر السليتات وخزان جبل الأولياء — هم على الترتيب حضرات مستر فون لى المهندس المستشار للخزانات ومركزه لندن — إذ هو مستشار فنى عالمى — ويحضر إلى الخزان مرة فى كل سنة ولمدة شهر ، ثم عبد القوى أحمد بك المهندس المقيم ، فمستر أديسون وكيل المهندس المقيم ، وحامد سليمان مساعد المهندس المقيم ، وقد نقل أخيراً الى قناطر أسيوط لمناسبة عملية توسيعها ، ومستر اكلين وزكريا محمد ومستر بوين مدير أعمال ، وابراهيم زكى وأحمد توفيق طبوزاده قائمين بأعمال مديري الاعمال وأحمد سعيد ابراهيم مفتش المحاجر ومستر جامبلتون باشمفتش المبانى ، وعبد الحميد حسين مساعد مدير أعمال ومسيو كارديا كوس رئيس قسم الرسم ومستر ولن مفتش التصميمات ومستر ملن مفتش الحدائق ورياض على ويوسف المراغى شقيق فضيلة الشيخ المراغى ومحمد عبد الرحمن الغرابلى نجل شقيقة الغرابلى باشا ، ومحمد عبد الرحمن عبد الباري ومحمد احمد عتيبة ورياض على منصور ومحمود حسن بكير وحكيم مهدى وعبد الخالق السكاوى وعلى عزت حمدى ومصطفى الزيات والسيد احمد علام واحمد الشرباسى وغيرهم من الشبان المهندسين خريجى مدرسة الهندسة والمدارس الهندسية الكبرى فى انجلترا . ومدرسة الفنون والصناعات الملكية الكبرى في انجلترا .

ويتناول الموظفون — فضلا عن مرتباتهم ٤٠ فى المئة علاوة لمناسبة اقامتهم فى السودان مع مساكن مجانية

وتبلغ زنة المتر المكعب من الجرانيت ٢٦٠ كيلو جراماً . وزنة أكبر قطعة مهذبة ٣ أطنان ونصف . أما الكتل الكبيرة التى يفصلها الديناميت عن جسم الجبل ، فتبلغ الواحدة منها ١٥٠٠ متراً مكعباً وزنتها خمسة آلاف طن

وللعمال مساكن تدعى « تكل » بضم التاء والكاف ، وهى عشة مؤلفة من غرفة مستديرة يعلوها سقف مخروطى وتبنى من الطين والسقف من الخشب والقش ويفيد فى منع الأمطار والحرارة ، ولكنه قد يحمل العقارب والثعابين ، التى تسقط ليلا على النائمين



القطن فى طوكر

مأدبة افطار

وقد أقام حضرة المقاول حسين فضل الله سرادقاً أعد به مأدبة افطار ، جمعت مالذ وطاب من الطعام . فجلسنا وتناولنا ماطاب لنا ، وقد ارتجل حضرة الشيخ محمد عبد العاطى وكيل المقاول خطاباً ترحيبياً وألقي عبد الله دسوقي افندى ملاحظ المحاجر بالمحاجر قصيدة ، ثم ألقي حضرة رياض أسعد افندى باشكاتب المقاول خطاباً آخر.

وألقى المهندس عبد القوى بك أحمد كلمة قال فيها :

سمعتم حضراتكم أقوال الخطباء ، وإني لأنوه فى هذ المقام بحضرة المقاول المصري الوحيد هنا وهو الشيخ الحاج حسين فضل الله ، فهو مقاول العمال والمشرف علي أعمالهم والمساعد للمقاول ساسو ، وقد أبت مروءة الشيخ فضل الله إلا أن يقوم عنا باعداد طعام الأفطار لكم فتركنا له أداء ذلك الواجب الذى كان ملقي علينا « هتاف من العمال بحياة عبد القوي بك والشيخ حسين فضل الله » — تصفيق .

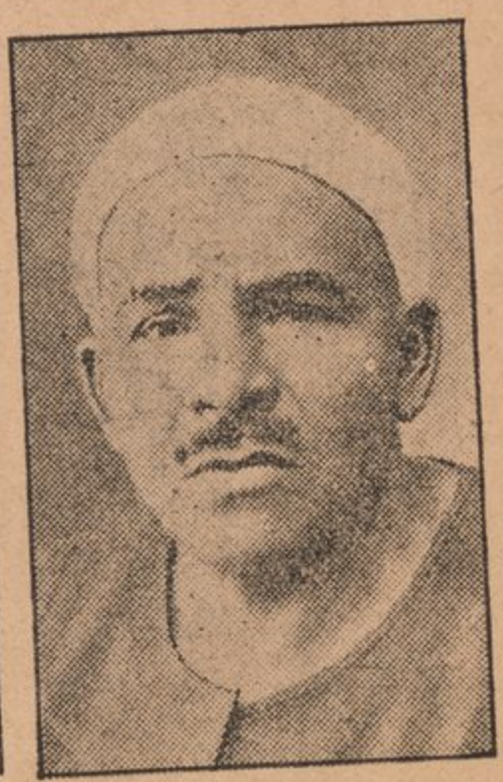

الشيخ حسين فضل الله
المقاول بخزان جبل الاولياء



الشيخ محمد عبد العاطى
وكيل الشيخ حسين فضل الله

استغلال المحاجر

ذكر حضرة المهندس محمد عبد الحميد متولى خبير المحاجر بوزارة التجارة والصناعة ما يلي عن المحاجر فى مصر والسودان:

« يجهل الكثيرون اليوم ما يوجد في بلادهم من كنوز منحتهم الطبيعة أياها بلا ثمن ونعنى بهذه الكنوز الاحجار الجميلة المختلفة في الجبال والصحارى الواسعة واذا لم يتسع مجال هذا الحديث لنذكر لك بيانا مفصلا عن الاحجار في مصر فاننا نوجز من ذكر المناطق الغنية بالثروة الحجرية وتشمل الجرانيت ـ البازلت ـ الرخام ـ السنيت ـ السكك ـ الألاباستر ولكن حجر الجرانيت المصرى من أحسن أنواع هذه الاحجار فى العالم حيث يمتاز بالوانه البديعة (الازرق والاحمر بالزراق والاسود والابيض المائل إلى الاصفرار) ويوجد هذا الحجر بكثرة فى منطقتى اسوان والشلال وماجاورها والسودان ويرى الاخصائيون أن له أهمية خاصة فى بناء الخزانات ورصف الشوارع وكل مايلزم لاشغال المعمار الحديث وأشغال الحفر والزخرفة وغيرها كذلك يوجد البازلت فى مناطق مختلفة أهمها منطقة أبى زعبل التى تستغلها مصلحة السجون ، وقد وجهت مصلحة المناجم عنايتها أخيراً لاستغلال هذه المنطقة . أما أحجار الرخام والألاباستر فتوجد بالقرب من أسيوط وبنى سويف وحول الأهرام بجهة (اجران الفول) وهذا عدا الاحجار الجيرية والرملية كذلك توجد أحجار (السماني الامبراطورى) فى جبل الدخان على شواطىء البحر الأحمر. وهى تعد أحسن احجار من نوعها فى العالم .

صناعة الأحجار قديماً

ولقد بلغت صناعة الأحجار فى العصور المصرية القديمة حدها الأقصى من الرقي والتقدم ولا تزال هذه الصناعة الفرعونية شاهدة بخلودها وجمالها على ما كان لأجدادنا المصريين من ذوق وفن وقدرة بالغة على اتقان الصناعات الحجرية واستغلال المحاجر ولا حاجة أن نذكر شاهداً على ما نقول حيث لايوجد في العالم كله من لايؤمن بعظمة الأهرام والمسلات والتماثيل المصرية القديمة .

ولقد كان حظ صناعة الأحجار واستغلال المحاجر فى مصر بعد هذا العصر القديم التدهور والانحطاط وذلك لعدة أسباب تاريخية واجتماعية لا مجال الآن لشرحها انما نقصر البحث على العصر الحديث وهو كما ترى لم يرتفع فيه حظ هذه الصناعة عما كانت عليه في العصور الوسطى أى عصور الانحطاط . وذلك يرجع إلى عدة أسباب :

١ — جهل كثيرين من الفنيين فى مصر مزايا الأحجار المصرية المختلفة .

٢ — عدم وجود رؤوس أموال كبيرة منظمة لاستغلال المحاجر أو تأسيس شركات لهذا الغرض .

٣ — طرق الاستغلال القديمة المتبعة إلى الآن فى بعض المحاجر .

٤ — افتقار البلاد إلى الفنيين الحقيقيين الملمين بأطوار صناعة الأحجار واستغلال المحاجر عمليا . هذا إذا استثنينا بعض الجيولوجيين واختصاصهم المحصور في النظريات العلمية البحتة

ومما يؤسف له أنه بالرغم من كثرة وجود المحاجر المصرية لا تزال مصر إلي اليوم تستورد الأحجار اللازمة للمشروعات المختلفة فيها من أوربا مع العلم بأن هذه الأحجار أقل فى الجودة من الأحجار المصرية بل أدعى إلي الأسف من ذلك أن بعض الأحجار المصرية ترسل إلى أوربا ليجرى التشغيل عليها في مصانعها من قص ونحت وصقل بما يتناسب مع استعمالها فى الأشغال المعمارية المختلفة أو فى الحليات وأشغال النحت والزخرفة حيث لا توجد فى مصر المصانع الفنية التى تقوم بهذا العمل ولا يخفى ما تتكبده البلاد في هذه الحالات من التكاليف الباهظة في عمليات نقلها إلى أوربا ثم استردادها منها .

ولا نكون مغالين إذا قلنا أنه لو أتيح إنهاض هذه الصناعات فى مصر لكانت أوفر الصناعات المحلية ربحاً ونجاحاً وذلك راجع إلى توفر خاماتها الجيدة من جهة وتوفر الأيدى العاملة ورخصها من جهة أخرى

ومحاجر الجرانيت في أسوان بالقرب من النيل وانشاء محطة لتوليد الكهرباء من خزان اسوان وتوفر الأيدي العاملة فى هذه الجهات كل هذه العوامل كافية لانشاء محطة لصناعة الأحجار فى هذه المنطقة قد لا تضارعها محطة أخرى في العالم ولاسيما إذا عرفنا أن الخامات الحجرية في مصر من أجود خامات العالم مما يؤكد لها الرواج الكبير فى الخارج ويحقق لمصر من هذه التجارة ملايين الجنيهات

كذلك نذكر أن من أهم العوامل فى تنشيط تجارة الأحجار سهولة المواصلات بين الأمم المتعاملة فى هذه التجارة ولايخفى أن مركز مصر الجغرافى بين الشرق والغرب سيجعل حتما لها المقام الأول في تصدير الأحجار إذا نشطت صناعتها فيها وخصوصاً إلى الأمم الشرقية التى تستورد الأحجار من أوربا بأموال طائلة بينما الأحجار المصرية أجود منها بكثير وستكون بطبيعة الحال أقل نفقة في نقلها وتصديرها .

ولكن مما يثير الدهش أن تعلم أن صناعة الأحجار تكاد تكون معدومة الآن فى مصر كصناعة محلية على أن الأجانب قد عرفوا قدر هذه الصناعة فاهتموا ببعض جوانبها الرابحة في مصر أكثر من المصريين ولذلك فقد احتكروا كثيراً من الأعمال الحجرية الكبيرة التى تدفع فيها الحكومة آلاف الجنيهات مع العلم بأنها تقوم أولا وآخراً على الأيدى المصرية التى تعمل بأقل الأجور بينما يربح الأجنبى كل شىء .

على أن مصر فوق كل هذا تستهلك من الأحجار الواردة من الخارج لأعمال الرصف وأشغال العمارات المختلفة وغيرها بما يزيد ثمنه على المائة ألف جنيه سنوياً . هذا في الوقت الذي لايوجد فى مصر أكثر من الأحجار والمستعدين للقيام باستغلال المحاجر

وقد حاولت مصلحة التجارة والصناعة أن تنهض يوما بصناعة الأحجار فسعت لدى وزارة المعارف لانشاء قسم خاص للجرانيت فى مدرسة أسوان الصناعية فتم ذلك عام ١٩٢٩ .

وتسعى ممالك السويد والنرويج وفنلندا لعمل (اتحاد دولى) لاحتكار سوق الأحجار فى العالم وذلك راجع لاحتياج العالم كله إلي أحجار هذه الممالك لانفرادها بوجود أحسن أنواعها فيها مما لايعادلها فى ذلك غير محاجر القطر المصرى .

فلعل ذلك حافز لمصر أن تشاطر هذه الأمم فى نهضتها باستغلال المحاجر والاهتمام بالصناعات الحجرية حتى يكون لها النصيب الأوفر فى هذا الاتحاد الدولى المشار إليه » اهـ .

كلمة فؤاد أباظة بك

ثم ألقى حضرة فؤاد أباظة بك كلمة شكر للخطباء وقال :اننا فخورون أن نرى مواطننا الغيور الشيخ فضل الله وحضرة وكيله محمد عبد العاطى ، ومن جهة أخرى قد رأيتم يا إخواني مسيو ساسو وأسرته الكريمة ، تسكن هنا بعيداً عن العمران ، ولا يشكون شيئاً ، بل هم سعداء بهذه المعيشة .وهكذا الجد والصبر فليكن هذا مثالا لنا وعظة . «تصفيق»

ويشرف الشيخ حسين فضل الله على ٣٢٠٠ من عمال المحاجر والخزان .



حفلة الشاى فى نادى كسلا

فى آثار أم درمان

عند الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم زرت آثار أم درمان ، حيث موقعتها الشهيرة ، وجامع السيد محمد أحمد المهدى الكبير ، وقد هدمت القنابل قبته ، ومنزل خليفته عبد الله التعايشى ، وزرت آثاره وآثار السيد المهدي وغوردون وجيش الدراويش .

والجامع يشغل فدانين من الأرض الفضاء المسورة بحائط ارتفاعه متران ، وغير مسقف — وكان ذلك فى عهد الحركة المهدية — وجامع المهدى مغلق ، وقبة ضريح المهدي مهدمة .

وقد شهدت عربة السلطان حسين سلطان دارفور المهداة اليه من الملكة فكتوريا ، ويجرها ستة من الجياد ، استولي عليها الدراويش ، وهى قسمان قسم لركوب السائق وهى مركبة على عجلتين والعربة نفسها ملحقة بالمركبة وعربة غوردون وهى تشبه الدوكار الذي به الاربع العجلات ، وكان الخليفة التعايشى يستعمل هذه العربات أحيانا ، وأحيانا أخري يركب الهجين أو الجواد ، ورأيت سلالا لحمل الذرة والدخن واللبن ورأيت أعلاما مختلفة للمهدية وهى تشبه تقريبا أعلام الصوفيين ، ومنها علم كتب عليه (لا إله إلا الله ، محمد احمد المهدي خليفة رسول الله) ورأيت جبا وهى تشبه جبب بعض المجذوبين فى الموالد والاضرحة المصرية ، ورأيت مطبعة حجر كانت تطبع عليها المنشورات والكتب وتديرها عجلة كعجلة الساقية انما من غير اطار ، وسيوفا وحرابا ، وآلات لسك النقود كان يتولي السبك فيها رجل اسمه الياس عبد الله من مصر ، بترت ساقه اليمنى ويده اليسرى ، ونقوداً ومنها عملة انجليزية ومصرية وسودانية مكتوب فيها « ضرب فى أم درمان » وعملة فضية من ذات العشرين والعشرة والخمسة قروش ، وخوذا ، ودروعا وتروسا وطاقية « أم جرينات »

وهناك لوحة كتب عليها عدد الجيش الذى استرد السودان وهو .

١٧٫٦٠٠	عدد الجيش المصرى .
٨٫٢٠٠	« « الانجليزي
٤٨	عدد قتلى الجيشين فى واقعة أم درمان
٩٫٧٠٠	عدد قتلى الدراويش
٥٠٠٠	اسري الدراويش

ومنزل الخليفة التعايشى يشبه دور صغار القرويين عندنا . وقد بناه أحمدي النوار باشراف الايطالى بترو وهناك بيتان للتعايشى: الاول بنى سنة ١٨٨٧ والثاني سنة ١٨٩١ .

راتب المهدى

ورأيت « راتب المهدى » وهو كتاب للدعاء كالأوراد ويتلوه انصار المهدى جاء فيه مايلى :

« استودع الله هذه الشهادة وهي لى عند الله وديعة فاني ضعيف عند القيام بها وعن حفظها أقل من ساعة ، فيامن اليه الضراعة ويامن بيده كل شفاعة — احفظ وديعتى بفضلك بحرمة من أنت له فى الشفاعة حتى لاتكون لي شبهة ولا وهم ولا أدني حطة عن كمال نور التوحيد والايمان ، ياواحد يارحيم يامنان — فانت الله الملك الديان اللطيف القادر الرحمن — استجب دعوتي ولا تجعل ذلك منى مجرد قول ليس له منك مكان يامن هو عند المنكسرة قلوبهم فاني منكسر القلب ليس لي من التجىء اليه فى طلبي هذا إلا أنت »

والكتاب مكتوب بالخط الفارسى المقبول

وهناك صور لكتب المهدى التى كان يرسلها . ومنها الكتاب التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المولى الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فجزيل السلام من عبد ربه الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله .

الى أحبابه وأعوانه في إقامة الدين أمير محكمة دار الفقير اليه عبدالصمد بن عمنا أحمد شرفى ومن معه من الاخوان أنصار الدين . أحبابي فجزاكم الله عن دينه خيراً حيث توفقتم لبيان الحكم من الله ورسوله فى أهالى تلك الجهة . وقد أصبتم ، أصاب الله لكم الحق ، فان المؤمن لايحل له أن يقدم على أمر حتى يعم حكم الله فيه فها كذا كونوا يا أنصار الدين . فأما من جهة سماع الدعاوى والتحديد بالنسبة الى العربان المسلمين لامر المهدي ، فسماع دعاويهم من وقت تسليمهم ومجاهرتهم بالعداوة الترك وخروجهم من طاعتهم ولا يعلم ذلك لنا الا بواسطتكم . وتحقيق ذلك منوط بكم لأنه يعلم الشاهد مالا يراه الغايب . فدققوا فيه لتعرفوه جيداً سواء كان وافق تاريخهم لوقعت الشلال المحددة من

اثنى عشر رجب الماضى سنة ١٢٩٩ أو قبله أو بعده . وان لم يتضح فيه لكم وقت معين بعد اجهادكم فاحملوه على الوقت المحدد من وقعت الشلال . فتسقط الدعاوى التى قبل ذلك ما عدا الامانة والدين ومال اليتيم والهوامل كما التاريخ الذى فى علمكم وما يكون في ايقاعه شدة حرج ومشقة على المسلمين من الامور الشاقة الشاغلة عن الدين . فارفعوه الينا لننظر مافيه صلاح المؤمنين ، فهذا التفصيل بالنسبة للطائفة المسلمة المهدية . وأما الطائفة التى مع الكفرة فتحديد وقتها من يوم تسليمها وأما بالنسبة للترك ومن معهم فمن خرج قبل يوم قتل الجردة الذى هو فى أربعة محرم فان كان خرج مصدقا بالمهدية مسلما لها فلايغنم لديتى بل يعطى حقه تماماً . وأن كان منكرا وانما خرج لأجل الخوف فان ماله جميعاً لبيت المال . وأما أموال المجاسنات التى بين العربات فكلها غنيمة لانها بعدم عين صاحبها صارت لبيت المال

فبذلكم تدوم نعمتكم وتغلبون أعداكم . فكونو أحبابى لله . فمن كان لله كان الله له وبعده السلام

ختم

٢٦ ربيع ثانية ١٣٠١ لا إله إلا الله محمد رسول الله

محمد المهدى بن عبد الله » اه بصيغته الأصلية

***

وعند حصار الخرطوم كان الميجر جنرال تشارلس غوردون باشا يكتب شيكات تستعمل كنقود . وهذه نسخة منها

« عشرون غرش ميرى » : —

هذا المبلغ مقبول ويجري دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضى ستة شهور من تاريخه

٢٥ ابريل سنة ١٨٨٤

الختم

غوردون

وكانت تصدر الشيكات بقيم مختلفة

فى المعهد العلمى

وفى الساعة الأولى بعد الظهر زار أعضاء البعثة المعهد العلمى بام درمان وهو يشبه الجامع الازهر في دراسته على الطريقة القديمة غير النظامية ، واستقبلنا

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد محمد أبو دقن شيخ علماء أم درمان وشيخ المعهد وفضيلة الشيخ أحمد أحمد أبو القاسم هاشم وكيل المعهد . ويجلس الطلبة جماعات فى الجامع ومع كل جماعة مدرسها . وعدد الطلبة ٧٠٠ من جميع أنحاء السودان ، وعدد المدرسين ٢٥ ومرتباتهم تدفعها الحكومة فراتب شيخ العلماء ٥٣ جنيها ووكيله ١٧ والمدرسون من أربعة جنيهات إلى عشرة . وللطلبة والعلماء بدل جراية ثلاثون قرشا شهرياً ولما كثر عدد الطلبة كان منهم من لا يحصل على البدل ، فهزت الاريحية حضرة الوجيه ابراهيم عامر بك التاجر الاكبر فتبرع لمناسبة زيارة البعثة المصرية بمبلغ مائة جنيه لفقراء الطلبة وأرسل شيكا فى الحال الى فضيلة شيخ العلماء وتبرع كل من حضرات السيد سماحة ومحمد حسين الرشيدي ومحمد حسن قاسم بتوريد الكتب الناقصة للمعهد

تبرعت لجنة اعانة السودان برياسة سمو الامير عمر طوسون بمبلغ ٢٢٥ جنيها

شخصيات المتبرعين

وبهذه المناسبة نذكر أن السيد ابراهيم عامر كان مصريا اشتغل بالتجارة فى السودان منذ أربعين عاماً وافتتح محلا للاقمشة ولبيع المانيفاتورة وله فروع فى السودان ومصر ، وأنشأ مصبغة فى بور سودان عمالها من الأسيوطيين تصبغ فى اليوم الواحد أكثر من ألفى ثوب من القماش ماركة «الجبنة» بفتح الجيم والباء

وأما محمد حسن قاسم أفندى فانه مع شقيقه أحمد حسن قاسم أفندى الذى اتصل بالبعثة فى الخرطوم طائراً وعاد للقاهرة طائراً أيضاً ، فانهما ولدا المرحوم حسن قاسم الذي اشتغل بتجارة المحاصيل السودانية طول حياته وعلم ولديه محمد وأحمد أن يكونا تاجرين وأن لا يعولا على وظائف الحكومة فضرب المثل النادر في هذا الباب . وقد انتهزا فرصة رحلة البعثة فكانا من أعضائها وعقدا صفقات كبيرة وكان وجودهما مشجعاً للاسواق والتعاون التجارى فى السودان ولوالدهما بمكتبة المعهد كتب باسمه . أهداها للمعهد رحم الله هذا الوالد الغيور الكريم

وأما السيد محمد عبد الرحيم سماحة فهو شاب نشيط من فارسكور طموح وله مع آله أسرة سماحة المعروفة في فارسكور معاصر للسمسم والزيت وقد عقد صفقات تجارية بمبلغ ستة آلاف جنيه ، وكان تجار السودان يعرفونه من زمن بعيد ، وكان من مفاخر البعثة أن يقرن هؤلاء الكرام القول بالفعل فى باب التعاون الصحيح بين مصر والسودان

مأدبة السيد البرير



الوجيه على البرير رئيس النادى السودانى بالقاهرة

وأقام حضرة الوجيه الشيخ محمد أحمد البرير ، مأدبة غداء فى الساعة الأولى والنصف بعد ظهر اليوم بداره بأم درمان تكريما للبعثة . وآل البرير من أم درمان الجعليين ولهم متاجر فى مصر والسودان، وقد جعل شقيقهم على البرير أفندى محل اقامته فى مصر يتجر فيها لحساب اخوته والتجار السودانيين

وقد ألقى نجل السيد البرير خطاباً ممتعاً ، وتكلم فؤاد أباظة بك شاكراً ومعانقاً الشيخ البرير ومتبادلا معه اللقب : البرير المصرى وفؤاد السودانى وألقى الدكتور محجوب ثابت كلمة من جوامع كلمه



أعضاء البعثة يستمعون الى محاضرة زراعية فى واد مدنى

عند شيخ العلماء

عند منتصف الساعة الخامسة مساء اليوم أقام فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو دقن شيخ علماء السودان بام درمان حفلة شاى تكريماً لاعضاء البعثة . ألقيت فيها الخطب المناسبة والقى فؤاد أباظة بك خطابا أشار فيه الى تعرفه فى الاسكندرية بفضيلة الشيخ وما وجده فيه من الصراحة كالسيف القاطع وأبان عذر اللجنة وضيق وقتها في عدم تمكنها من اجابة الدعوات . فقد تبين أن العلماء والوطنيين عاتبون على البعثة ، إذ كانوا يرون أن ينزل أعضاء البعثة ضيوفا عليهم فى بيوتهم ولا ينزلون بالفنادق ، وقد عدوا هذا سبة لهم . .

فأبان فؤاد بك الظروف التى دعت الي ذلك ، ورضي الشيخ وانتهى العتاب

خطاب محمد بهى الدين بركات بك

صاحب السيادة الحسيب النسيب السيد عبد الرحمن المهدي

سادتى من آل هاشم — سادتي واخوانى

جرت العادة عند مايفكر الواحد منا فى السفر الى جهة بعيدة أن يسائل نفسه عما سيجده فى البلاد التى يقصدها وماذا سيكون عليه أهلها ويسعى الى الاتصال ببعض المعارف والاصدقاء الذين تكون لهم صلات فى تلك البلاد حتى يقلل من وحشة الغربة ويجد له العون اذا ما اشتد به الأمر ولست أنكركم أن هذه كانت حالى عندما فكرت في زيارة السودان. فمنذ أن سنحت لى الفرصة أن أكون حراً من العمل فى فصل الشتاء تردد على خاطرى أن أقوم بواجب الزيارة نحو السودان وفعلا نفذت العزم فى العام الماضي فجئت الى وادى حلفا ومع انى كنت على مقربة من الخرطوم فقد رجعت الى مصر معتذرا لنفسي بعدم وجود الرفيق الذى يؤانسنى فى وحدتي ولكنى مع ذلك صممت على اتمام تلك الزيارة فى هذا العام مهما كانت الظروف وأخذت أبحث عن رفيق فلم أوفق وجعلت أسأل من يعرفون السودان وأنا خجل أن أقول أنهم قليلون من يعرفون السودان وأهله ونواحيه وأخيرا اتخذت الأهبة وحضرت إلى الخرطوم فلم البث بعد أن نزلت من القطار في المحطة حتى وجدت من يستقبلنى ويرحب بى فعلمت انى لست بالغريب بل أنا بين اهلى واخواني وذهبت الى الفندق فوجدت من يسأل عنى ومن يكرمنى فنسيت انى تركت مصر فانا بين أهل

وعشيرة . لغتهم لغتى : عوائدهم عوائدى. مجاملاتهم . طريقة تعارفهم . آدابهم معاملاتهم كلها جميعاً . هى ما اعتدت عليه وما ربيت فيه . فلم نلبث ان تلاقينا حتى اندمجت الروح بالروح فهى كالكهرباء تتصل بمجرد ان تتلاقي بل أكثر من ذلك لقيت تكريماً واعزازاً وعطفاً لاأجدها في مكان آخر . زرت المعهد زرت المدارس. رأيت المصانع والمتاجر . فاذا المعهد هو الازهر بعينه فى طريقته وفى دروسه وفى ثقافته .واذا المدارس هى هى مدارس مصر التى اعرفها مررت فى الشارع فوجدت ما ألقاه فى مصر من عطف واشتراك فى الشعور. فتحققت ان الناحية الروحية التى تربط السودان ومصر موفورة متمكنة وأن المتاعب والصعاب التى كنت أظنها ستعرض لى لم تكن إلا وهما . وصدقونى إذا قلت لكم أننى لو عرفت ذلك من قبل لزرت السودان من أعوام

هذا من جهة العلاقات الروحية وهى بحمد الله متوفرة تمام التوفر وهذا ما نغتبط له أشد الاغتباط فان الغاية العظمى للانسانية هى نشر روح المحبة والأخاء والسلام فى العالم .

أما العلاقات الاقتصادية من تجارية وزراعية فانى لا أريد أن أعتدي على حق زملائى أعضاء البعثة فيها وسأترك لهم أمر بحثها اليوم وغداً ليدرسوها دراسة فنية مفيدة .

أيها السادة : منذ وطئت قدماي هذه الديار وجدت مودة واحتراماً وإخاء لم يفارقنى لحظة من لحظات إقامتى حتى كدت أنسى أن أفكر فيما على من واجبات فى مصر .

وأما أنتم يا آل هاشم فعلمى أنكم عرب وان عادة العرب أن يشكر المضيف ضيفه لا أن يشكر الضيف مضيفه. ولذلك فاني أمسكت عن الشكر لأنى عاجز عن ايفاء حقكم فى الشكر والسلام « تصفيق»

هدية عبد الحميد المهدي

وبهذه المناسبة نذكر مشكلة الدعوات التى استحال تلبيتها فقد أراد الشيخ عبد الحميد المهدى التاجر أن يدعو البعثة إلي مأدبة . فلما وجد ذلك مستحيلا عمد إلى صنع عصى من الأبنوس والسن أهدى إلى كل عضو عصا باسمه . فكان كيساً وكان حسن الذوق فله منا الشكر . وعبد الحميد المهدى تاجر في مصر والسودان ..

فى نادى الضباط الوطنيين

وفى الساعة السادسة مساء زار الاعضاء نادي الضباط الوطنيين بأم درمان . وقدمت لهم المرطبات والفا كهة والجبنة بفتح الجيم والباء ومعناها « القهوة » وكان فى استقبالهم صاحب العزة القائمقام حسين طاهر بك رئيس النادى .

وبهذه المناسبة نذكرأنه منذ خروج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ ألغيت المدرسة الحربية بالخرطوم وأصبحت هناك قوة تسمى قوة الدفاع عن السودان مؤلفة من جنود غير نظاميين وأحيل أكثر الضباط السودانيين إلى المعاش فقد كانوا يعملون فى الاورط التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة .

وبقوة الدفاع أقسام : قسم المهندسين ـ الحملة الميكانيكية . أورطة العرب الشرقية (بكسلا) . أورطة العرب الغربية « الفاشر » .أورطة خط الاستواء « منجلا » الهجانة « كردفان». السواري «شندى»

وتتألف الأورط من بلوكات . ويختار الضباط « من تحت السلاح » أي بترقية البلوكات أمناء

وعدد أعضاء النادي ١٤٥ ضابطا منهم ٥٥ في الخدمة .

والأصل فى إنشاء قوة العرب أنه كان بكسلا عند احتلال الايطاليين لها فى الثورة المهدية عساكر « باشبوزق » يلبسون جبباً وسراويل ، فلما أعيدت كسلا إلى حكومة السودان الحالية أبقت هذه القوة ، وعممتها .

والاعتماد فى الدفاع عن السودان هو للسيارات والطيارات المسلحة .

تدفع مصر ٧٥٠ الف جنيه للحكومة السودانية سنويا باسم قوة الدفاع عن السودان . ولكن هذا المبلغ يساعد ميزانية حكومة السودان فى دفع رواتب الموظفين المدنيين فضلا عن القيام بنفقات قوة الدفاع ..

وهناك جيش انجليزي صغير فى السودان أورطتان نصفها فى جبيت ، حيث الهواء معتدل ، ونصفها بالخرطوم وينتقل كل نصف بين هذين الموقعين كل ستة أشهر . وكم أسفت على الظروف التى جعلت هؤلاء الضباط السودانيين الشجعان عاطلين لا تنتفع بهم بلادهم .

فى كلية غوردون

زرت مساء اليوم كلية غوردون لمناسبة اجتماع الجمعية الأدبية لطلبة المدرسة حيث تكلم الدكتور محجوب ثابت فى فوائد الألعاب الرياضية في الصحة وفى علاج بعض الأمراض ، وقد أعجبنى ذكاء الطلبة ، فقد سأل أحد نجباء الطلبة الدكتور محجوب مايلى : ياحضرة الدكتور قلت لنا أن الألعاب الرياضية تفيد في علاج الامراض وفي الصحة واطالة العمر — فكيف تعلل أن كبار الرياضيين من أقصر الناس أعماراً ، وأكثرهم أمراضاً — فأجاب الدكتور : إن هؤلاء هم الرياضيون المحترفون ، فمنهم مثلا من يحمل أحمالا ثقيلة من الحديد فيضغط دم الدورة الدموية على القلب باكثر مما يلزمه ، وقد يتسبب من ذلك أمراض القلب والصدر والموت فجأة ، وكلامى منصب على الرياضة المعقولة ، لاعلى الرياضة العنيفة المأجورة .

وكان الطلبة يلبسون الجلاليب والعمم وكان بعضهم جالسا على الارض وعلمت أن هذا مباح ، وشهدت فعلا بعض خريجى المدرسة الموظفين يلبسون ذلك وهم فى مكاتب الحكومة — كالبريد والتلغراف فى الأقاليم وكالسكك الحديدية ، ومدير المدرسة هو مستر ويليمز وكان يشرف على محاضرات الجمعية الادبية مستر ليوبولد مدرس الانجليزية والتاريخ ، ومعه حضرة عبيد عبد النور افندي مدرس التاريخ والتربية — وهوشاب مثقف كفء — فكان يدير المناقشات بمهارة ، ومعهم اسماعيل الأزهرى افندى مدرس الرياضة والشيخ جلال الدين مدرس العربية .

وعدد طلبة الكلية ٥٠٠ أكثرهم بالقسم الداخلى ، الذى أجرته ٢٨ جنيها فى السنة و ١٥ جنيها للطلبة الخارجين ، ويتناولون بالكلية الأفطار والغذاء وبالكلية ١٤ فصلا و٢٢ مدرسا من الوطنيين و٨ من الانجليز ، وتعطى الدروس بالانجليزية ، التى يجيدها الطلبة ، والتى هى لغة المحاكم المتغلبة ولغة الدواوين على الغالب ، ومن أقسام الكلية : القسم العلمى — ويرشح خريجوه للالتحاق كلية كتشنر الطبية وقسم المحاسبين ، وقسم المترجمين ، وقسم المعلمين ، وقسم القضاء الشرعى . ودراسة الطب لمدة اربع سنوات فى كلية كتشنر

اليوم السابع يوم الخميس ١٤ فبراير

الرى المصرى فى السودان

في السودان مصلحة عامة للرى ومفتش عام للرى اسمه مستر نيوهاوس ،فى العقد السادس من عمره ، عالم جليل ومهندس بارع يتحلي بخلق سام ،واختصاص هذه المصلحة هو الاشراف على مصادر النيل والقيام بالابحاث العلمية والفنية فى سبيل زيادة ماء الري فى مصر حتى تصبح جميع الأراضي البور خصبة التربة ومستر بوتشر هو مفتش الري فى الجنوب

زرنا الترسانة المصرية على النيل حيث بها البواخر المصرية التى تسافر إلى أعالي النيل — إلى بحر الجبل والرصيرص ومنطقة السدود ، لمسح الأراضي ومعرفة تسربات فروع النيل واتصالاتها لامكان انشاء ترعة أو خزان لحجز الماء ونقله إلى مصر ، بدلا من ضياعه فى الأخوار وتشربه فى الرمال وتبخره فى الجو

وقد أنشأت وزارة الأشغال مستعمرة للري بها مساكن الموظفين وورش للنجارة والحدادة والبرادة والكهرباء . وقد تكلف إنشاء المستعمرة ١٦٠ الف جنيه فضلا عن نفقات جديدة اقتضاها انشاء ورشة جديدة للحدادة ومصنع لتوليد النور وتستعمل البواخر فى انتقالات المهندسين والموظفين من الخرطوم الى أعالى النيل لان الطريق الوحيد الي تلك المناطق هو النهر أو الجو . ويعمل في الرى المصري ثلاثون مهندساً وهناك مساعدون ومساحون . وكان يرافقنا فى زيارة الترسانة والحوض والبواخر والورش ومنازل الموظفين حضرة أحمد فهيم أفندى مدير الأعمال وحضرة أحمد سلطان أفندي المفتش الادارى المنتدب فى مهمة التحقيق بمخازن الري المصرى .

وبعد الزيارة واستقبال الموظفين وتناول المرطبات ، زرنا حضرة الميجر نيوهاوس المفتش العام للري المصري في السودان فى مكتبه ، حيث رحب بنا وألقى محاضرة على ضوء الخرائط والرسوم عن الري المصرى فى السودان فقال أن الأبحاث الجارية فى سبيل وضع مشروعات لزيادة ماء الري الوارد من أعالى النيل إلى مصر ، تجري فى منطقة موحشة غير مأهولة وغير متمدينة ينتشر بها الناموس الجالب للملاريا ، والمواصلات اليها شاقة ، وعمل المهندس والرسام أشق

لأنه قد يضطر إلى قضاء شهرين وحده فى صندل ، معرضاً للامراض والحشرات والوحوش والتماسيح والرياح والحر ، وينقل إليه الماء والزاد برفاصات ، هذا إلى تمهيد الطرق لمسير السيارات وإلى ضرورة وجود الميكانيكيين لأصلاحها إذا فسدت . والنقل بالبواخر المصرية أكثر اقتصاداً من النقل بالبواخر الأخرى فضلا على عدم الخضوع لتحكمات البواخر الاخرى وتسير البواخر المصرية حتى منجلة . وقد كان البحث عن حالة منابع النيل جاريا قبل الحرب ولكنه أوقف بسببها ثم أعيد بعد انتهائها . وهناك مستشفى الحكومة السودانية تشترك الحكومة المصرية فى نفقاته . وقد تمكن الري المصرى من مسح منطقة واسعة من الأراضى . وقد مسحت منطقة كاملة بالطائرات

وتقع مكاتب الرى المصري قبلى الخرطوم فى منطقة تدعى «شجرة غوردون» وحقيقتها « شجرة محو بك » أحد حكام السودان، على بعد أربعة كيلومترات من وسط الخرطوم ويقال إن السبب فى تسميتها أن غوردون كان يأوى إلى تلك الشجرة ويتناول تحت ظلها الواسع الافطار والشاى . وقد تهدمت الشجرة وبقي جزعها وبقى اسمها

فى محاكم السودان

بعد عودتنا من زيارة شجرة غوردون توجهت لزيارة حضرة القاضى محمد صالح الشنقيطى قاضى المحكمة الجزئية المدنية بالخرطوم ، وهو من خريجى قسم القضاء الشرعى فى كلية غوردون وتلقي دروساً في الانجليزية واشتغل مساعد قاض ثم عين قاضياً مدنيا وهو على فضل كثير

وبهذه المناسبة ننشر شيئاً عن القضاء فى السودان

قبل المهدية — كان الحكم مباشرا ، أى أن الذى يتولاه هم المأمورون والمديرون ورؤساء الأخطاط بغير انتداب أشخاص معينين اخصائيين يتولون القضاء .

فى عهد المهدية — كان يتولى القضاء قضاة شرعيون وموظفون — يشبهون المديرين سلطة قابلين للنقل والعزل . وكانت أحكامهم تستأنف أمام مجلس القضاة فى أم درمان ويؤلف من عشرة قضاة يرأسهم قاضي القضاة . على أن المرجع الأخير كان للمهدي ثم لخليفته عبد الله التعايشى

وكان هؤلاء القضاة يفصلون فى جميع المنازعات ماعدا المسائل التجارية فهى

من اختصاص المجلس التجارى المؤلف من عشرة تجار . وكان « وهبى » وهو مصرى وكان مأموراً فى بربر قبل الثورة المهدية يفصل في الجرائم الصغيرة

بعد استعادة السودان — كان الحكم مباشراً أى يتولي القضاء المديرون والمأمورون فى المسائل المدنية والتجارية. والقضاة الشرعيون فى مسائل الأحوال الشخصية .

وفى سنة ١٩١٩ انشئت سلطة المشايخ « العمد » فأصبحوا يحكمون فى بعض القضايا . وتطور هذا النظام فانشئت « محاكم أهلية » ويرأس المحكمة الأهلية ناظر القبيلة أو الخط أو من يعينه الحاكم العام ويكون معه أعضاء يختلف عددهم بحسب البلاد . ويؤلف هيئة المحكمة الجالسة من ثلاثة أعضاء على الأقل ويكون للرئيس نائب رئيس ينوب عن الرئيس ويصادق الحاكم على تعيين الأعضاء الذين يرشحهم ويوصي عليهم مدير المديرية . وليس للمحكمة الاهلية مكان خاص لانعقادها . ويكون لديها دفاتر تدون فيها أرقام القضايا وتواريخها والجريمة واسم المشتكى وأسماء الشهود وقراراتها واختصاصها هو الحكم بالسجن لغاية سنتين وغرامة قدرها عشرون جنيها

المحاكم القروية — وفي المدن محاكم قروية « قضاء عرفى » واختصاصها الحكم بالسجن الي ثلاثة أشهر وبغرامة قدرها خمسة جنيهات

ولرئيس المحكمة الأهلية وحده سلطة اجازية بان يحكم بالسجن الى ثلاثة شهور وبالغرامة الي خمسة جنيهات . وقد تقرر الغاؤها . وتعميم المحاكم الاهلية.

المحاكم المدنية — توجد محاكم نظامية مدنية كالمحاكم الأهلية بمصر. وترفع اليها الدعوى بعريضة تلصق بها ورقة تمغة قيمتها ثلاثة قروش. ويذكر بها ملخص الدعوى والطلبات وتقدم العريضة في اليوم التالى بالجلسة الساعة التاسعة صباحاً وفي هذه الجلسة يصرح القاضى للمدعى بالسير في الدعوي فيحصل رسم عليها بنسبة ٥ فى المئة من قيمتها ابتدائياً واسمها «رسوم شكوي» و٥ في المايةأخري واسمها « رسوم سماع » . وتحدد جلسة لسماع الدعوى ويكون تحديدها بعد اسبوع على الأقل من تاريخ دفع الرسوم

وهناك محكمة جنائية « محكمة بوليس » ولغة المحاكم النظامية هى :الانجليزية والعربية — غير أن الغالب أن تكون الاحكام واعداد المحاضر بالانجليزية تنفيذ الأحكام النظامية والشرعية — يكون تنفيذها بطريق عريضة ، من

جديد ويؤخذ عليها رسم ٥ فى المئة فيصدر القاضي أمره بالحجز أو احضار المدين . وفى الغالب يأمر القاضي بالحجز . وينفذ الاوامر « المحضر » وبعد ذلك ينفذ الحجز فى سبعة أيام . والبيع يكون بناء على طلب الدائن وبعد اعلان تاريخ البيع فى موعد ١٤ يوماً فى حالة بيع منقولات وشهر فى حالة العقارات ولا يجوز بيع العقارات الا بأمر من المدير

وتنفذ المحاكم المدنية النظامية الأحكام الشرعية بالنفقات وتسليم الأولاد وتؤلف محكمة الاستئناف من ثلاثة قضاة . وأكثر القضايا الجنائية يفصل فيها رجال الادارة وتقدم الاستئنافات فى أحكامها للحاكم العام . وفى الجنايات فى المحاكم الكبرى تستأنف الأحكام أمام المدير بواسطة السكرتير القضائى وسلطته تماثل سلطة وزير الحقانية فى مصر

المحاماة — عدد المحامين فى الخرطوم خمسة أحدهم انجليزي، واثنان يونانيان واثنان مصريان . ولا يجوز للمحامى الغريب أن يترافع فى السودان الا بعد تصديق من الحاكم العام وتصدر المحاكم النظامية احكامها بسرعة والاجراءات سهلة . والعدالة فيها مكفولة أكثر من المحاكم الاهلية والقروية السودانية

وقد أنشئت مدرسة للحقوق ولائحة محاماة بالخرطوم فى سبتمبر سنة ١٩٣٥

وهناك مجالس تأديبية ومحاكم عسكرية: ويصدر مجلس الحاكم العام القوانين وترخص القوانين للسكرتير القضائى والمدير اصدار لوائح وأوامر بقيود معينة. وهناك مكتب لتسجيل الأراضى

عند آل هاشم

أقام حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد أحمد أبو القاسم هاشم وكيل مشيخة المعهد العلمى بأم درمان وآل هاشم الكرام مأدبة غداء اليوم الساعة الاولى بعد الظهر. وآل هاشم أهل علم ودين منذ قديم الزمان وعميدهم المغفور له الشيخ احمد أبو القاسم كان شيخا لعلماء السودان كان أول مؤسس للمعهد العلمى الذى عاش ربع قرن أى منذ سنة ١٩١٠ . وقد لبى الدعوة حضرات أعضاء البعثة وسماحة السيد عبد الرحمن المهدي وفضيلة قاضى القضاة وفضيلة المفتى والعلماء والتجار : السيد أحمد محمد البرير والسيد ابراهيم عامر ، ويونس محمد ، ومصطفى أبو العلا . وقد ذبح آل هاشم عشرين خروفا وقدموها فى الموائد لحماً حنيزاً معه ذيول الخراف وقد ألقيت الخطب المناسبة

شاى قاضى القضاة

وأقام فضيلة الشيخ نعمان الجارم قاضى قضاة السودان وفضيلة المفتى حفلة شاى فى الساعة الرابعة والنصف من مساء اليوم، حضرها سماحة السيد عبد الرحمن المهدى والعلماء والتجار

استقبال السيد الميرغنى

وفى الساعة السابعة من مساء اليوم زار حضرة صاحب السيادة السر السيد على الميرغنى أعضاء البعثة فى فندق الجراند أوتيل ، فاجتمع به حضرات الاعضاء وتبادلوا مع سيادته شتى الأحاديث. وانصرف سيادته مشيعاً بالاكبار والاحترام هذا وللسيد الميرغنى اتباع كثيرون جداً فى مصر والسودان والحجاز وافريقيا. وهو قليل الخروج غير محب المظاهر . على أنه اذا زار كسلا ودنقلة وغيرهما من بلاد السودان خرج الأهالى للتبرك به ، ولثم راحته ، وله نفوذ عظيم ، ولسيادته مواقف كريمة نحو مصر ونهضتها وأمانيها ، وهو قليل الكلام كثير الصمت

محاضرة المؤلف

رغب الى المؤلف بعض الشبان المثقفين فى السودان من خريجى كلية غوردون أن يلقى محاضرة فى ناديهم :

وعندما وصلت الى دار النادى رأيته مزدحماً باكثر من ألفى نفس فى فنائه الواسع ، ورأيت الشوارع المجاورة مزدحمة . وقوبلت بترحاب وتصفيق واستغرقت المحاضرة ساعة ونصف الساعة تقريباً ، وكان موضوعها « الرحلات البعيدة وآثارها لمناسبة رحلة البعثة المصرية فى السودان » ، تكلمت فيها عما للرحلات من فضل فى نشر العلوم وتدعيمها وأن العلم لم يتقدم إلا بفضل رحيل العلماء ، وضربت الأمثال على ذلك فى التاريخ العربي والمصرى والأوروبى ، وفى عضوية بعثتنا نفسها ، وما للرحلات من أثر فى تعليم النظام واحترام المواعيد وتعويد السرعة ، إذ السرعة من مقومات هذا العصر - فكما ان المواصلات كالسيارة والطائرة أصبحت سريعة ، فقد وجب أن يكون الانسان فى حياته سريعا ، ومالها من نتائج فى جلاء الهموم وتوسيع الافق وحل المعضلات السياسية والشخصية والاجتماعية ، وفى نشر الدعوة للاوطان والمعتقدات ، وفى سيادة الديموقراطية برفع التكليف بين أعضاء البعثة الواحدة على اختلافهم

في العلم والثروة والجاه والمزاج والسن والبيئة ، والتعرف إلي البلاد والأشخاص ونشوء الكشافة ورحلات الطلبة وتبادل الأفكار ، والتعود على التقشف ، والصراحة ، وواجب المرتحلين فى تدوين المذكرات وأخذ الصور ، ثم ختمت المحاضرة بما يلى :

سادتى

« إن النيل قد جري فى واد ، وجعل من مصر والسودان بلاداً متكاملة ، وجعل من المصرى سودانيا ومن السوداني مصريا ، ولكن الاسم لم يتغير والمعنى لم يتحور . بل مصر والسودان كلمتان مترادفتان ولفظان متقابلان . والآن ونحن على أهبة السفر ونوشك أن نقول كلمة الوداع — لن نكون مخلصين لكم ولن تكونوا مخلصين لنا الا اذا رحلتم الينا ورحلنا اليكم .

فنستودعكم الله ونحن اخوان متحابون ، وابناء قد تباعدوا أو ابعدتهم الحوادث ، ولكن لهم مرجع ولهم اب فمرجعهم وابوهم هو النيل ، والنيل دائماً والسلام عليكم ورحمة الله » اه

خطاب الاستاذ عبد الرحمن طه

ووقف حضرة الاستاذ عبد الرحمن على طه سكرتير النادى وألقى خطابا تفضل فيه على المؤلف بكلمات صاغها أدبه وكرمه — ووصف المحاضرة بأنها كانت فى أجزائها رحلات من موضع الى آخر ، وعد القاءها فرصة سعيدة للحاضرين استأهلت « رحيلهم » من دورهم البعيدة والقريبة لسماعها . والاستاذ عبدالرحمن فى مقدمة خطباء السودان فصاحة وبلاغة وأدباً

خطاب السيد عبد الرحيم سماحه

وارتجل حضرة السيد محمد عبد الرحيم سماحة خطاباً تكرم فيه على المؤلف بشيء كثير من الاكرام . ثم خاطب مواطنينا السودانيين فامتدح فضائلهم وتحدث عن التجارة بين مصر والسودان

حفلة راقصة بالنادى اليونانى

وأقام نادى كونتوميخالوس وزملائه اليونانيين حفلة راقصة توديعاً لاعضاء البعثة لمناسبة سفرهم فى اليوم التالى حضرها العشرات من كبار موظفى السودان الانجليز وأعيان الجاليات الأجنبية مع عقيلاتهم . وانتهت الحفلة بعد الساعة الأولى من منتصف الليل



سوق الذرة والسمسم فى الابيض

اليوم الثامن - الجمعة ١٥ فبراير

توديع الخرطوم

اليوم انتهت أيام البعثة المصرية فى السودان فنحن نغادر الخرطوم ونترك حضرات أعضاء الجمعية الزراعية الملكية ينجزون بعض الأعمال الزراعية . نغادر الخرطوم والسودان . آسفين متأثرين . ولقد بكى الدكتور محجوب ثابت وبكى المودعون وتبادلنا العناق . السودان قد ملك من نفوسنا المكان الاول ، واحتل فى قلوبنا الركن الركين . فلن ننساه . وسنعود اليه كلما سنحت الفرصة .

قبور الضباط المصريين

لمناسبة الجمعة زارت البعثة المصرية قبور الضباط المصريين فى أم درمان ونثرنا الورد والزهور وقرأنا الفاتحة ووزعنا الصدقات وودعنا رفاتا مصرية استشهد أصحابها فى سبيل مصر والسودان ، فاستأهلوا الذكرى والتخليد

فى دار السيد المهدى

فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً زرنا دار حضرة صاحب السماحة السير السيد عبد الرحمن المهدى محيين شاكرين حسن ضيافته ، وقد وزعت علينا الحلوي والمرطبات والفي الخطباء الخطب والقصائد . وأشاد السيد عبد الرحيم سماحة بمكانة السيد المهدى من الزعامة واقترح على الحاضرين أن يعدوا هذا اليوم يوم عيد وان يكبروا تكبيرة العيد « الله أكبر الله أكبر . . » فتبعه الحاضرون ثم انصرفنا شاكرين بعد مشاهدة بعض الآثار النقدية والسلاح فى دار السيد

مأدبة الغداء

أقامت البعثة المصرية مأدبة غداء بالفندق تكريما وشكراً للداعين والمضيفين من الأعيان والوجهاء وكان فى مقدمة الحاضرين سماحة السير السيد عبدالرحمن المهدى وحضرات أعضاء مجلس الحاكم العام والغرفة التجارية والعلماء والتجار وكبار الموظفين . الخ

وخطب في المأدبة حضرات رشوان محفوظ باشا وفؤاد أباظة بك والاستاذ عبد الرحمن على طه

وقدسار بنا القطار الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم ومر بشندى ثم عطبرة وأبو حمد فالى حلفا ، وكان الأهالى على طول الطريق يحيون البعثة أجمل تحية .

تأليف لجنة مشتركة دائمة

تلقت الجمعية الزراعية من البعثة المصرية بالسودان التلغراف الآتى : —

« زارت البعثة صباح يوم ١٤ فبراير مصلحة الرى المصرى وبواخرها النيلية بناحية شجرة غوردون وعقدت جلسات مع الغرفة التجارية بالخرطوم ومدير المكتب الاقتصادى ثم تناولت طعام الغداء بدار آل هاشم بام درمان ثم لبت بالخرطوم دعوة أصحاب الفضيلة قاضي القضاة والمفتى ومفتشي المحاكم الشرعية

وزارها بجراند أوتيل فضيلة السيد على الميرغنى وهى أول زيارة من نوعها تقديراً للبعثة و إعجابا بأعمال سمو الامير عمر طوسون فقوبل بكل حفاوة وترحاب

ولبت البعثة دعوة نادى كونتو ميخالوس ودارك هانكى لحفلة ساهرة

وفى صباح الجمعة ١٥ فبراير زارت البعثة منزل السيد عبد الرحمن المهدى وسط جمع حافل وحفاوة بالغة تليت فيها التلغرافات المتبادلة مع صاحب السمو الأمير عمر طوسون ، مع التحيات والتقدير ثم أقامت البعثة مأدبة جامعة بجراند أوتيل حضرها نحو مائة وخمسين مدعوا من كبار القوم وكبار الموظفين والتجار وشكر سعادة رشوان باشا رئيس البعثة سعادة الحاكم العام والموظفين والأعيان والتجار وإخواننا السودانيين للحفاوة التى استقبلت بها البعثة فى كل مكان بالسودان وتلاه فؤاد أباظة بك شارحا نتيجة زيارة البعثة من إحكام الصداقة

بين المصريين والسودانيين ووضع أسس التعامل التجارى وتأليف لجنة مشتركة توالى اجتماعها سنويا بالتوالى بالقاهرة والخرطوم لتنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والزراعية بين مصر والسودان ولمنفعتهما المشتركة كما اتفق على عرض حاصلات السودان وصناعاته بالمعرض الزراعى القادم

وعاد لمصر الفوج الثانى من البعثة بقطار الساعة الرابعة بعد الظهر وسط جموع غفيرة من المودعين راجين لهم سفراً سعيداً وتخلف عن السفر لجنة الجمعية الزراعية والدكتور ابراهيم شوربجى بك وعطا عفيفى بك والاستاذ مصطفى نصرت »

هذا وقد سافروا من الخرطوم الساعة الرابعة بعدظهر يوم الجمعة ٢٢ فبراير ووصلوا إلي القاهرة صباح يوم الثلاثاء ٢٦ الجارى

زيارة قبور الضباط المصريين والسودانيين

وتلقت الجمعية الزراعية يوم السبت ١٦ فبراير التلغراف الآتى :—

كان أمس الجمعة وكان موعد سفر معظم البعثة فبكر الاعضاء في الصباح لزيارة مقابر الضباط المصريين والسودانيين بالجيش المصرى بام درمان ونثرنا الأزهار على قبر المرحوم اليوزباشي عبدالله عرفه رمزاً لذكري الضباط المصريين وكذلك على قبر اليوزباشي فرج افندى ابراهيم رمزاً لذكرى الضباط السودانيين ووزعنا الصدقات وقرأنا الفاتحة على أرواحهم. وحالة القبور تستدعى العناية

فؤاد اباظة

بترميمها

من الخرطوم الي اسوان

ركبنا القطار الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١٥ فبراير سنة ١٩٣٥ ووصلنا الي حلفا مساء اليوم التالى ، وقابلنا حضرة مندوب الجمارك المصرية الشاب المهذب جرجس ميخائيل حنين أفندي وسار معى فى المدينة ، وألفيناها كمراكز مصر ، وسكانها مصريون وقد كانت مصرية .

ثم ركبنا باخرة نيلية من حلفا ، وشهدنا في اليوم التالى معبد ابى سمبل في الحدود المصرية ، ثم مضت الباخرة فى سيرها حتى وصلنا الى الشلال قبيل ظهر يوم الاثنين ١٨ فبراير ، ووضع أعضاء البعثة « الفوج الثانى منها » امتعتهم فى القطار ، وركبوا السيارات وشهدنا خزان اسوان .

واحتفى الاسوانيون بنا احتفاء وطنيا . وقد نزلت فى أسوان ومكثت بها من ظهر يوم الاثنين ١٨ فبراير صباح يوم الخميس ٢١ فبراير ، حيث سافرت الي الاقصر وبقيت فيها حتى يوم الأحد ٢٤ فبراير ، حيث شاهدت آثارها

خزان اسوان

تكلمنا عن خزان سنار وخزان جبل الاولياء ومشروع خزان تانا ومشروع خزان بحيرت البرت في الجزء الثانى من الكتاب . ونتكلم عن خزان أسوان الآن

رى الحياض — كانت الزراعة فى مصر تجري على طريقة رى الحياض فتزرع الأرض مرة واحدة فى السنة وقد رؤى شق الترع في عهد محمد على وتمكين الأرض من الزراعة مرتين وثلاث مرات فى السنة . ، وهو مايسمى « بالري الصيفى » وقد نهج الخديوى اسماعيل منهج جده محمد علي ، فى تعميم الرى الصيفى ، بشق ترعة الاسماعيلية التى تقع على مسافة ١٧٥ كيلومترا جنوبي القاهرة .

ثم رؤي انشاء قناطر فى اسوان فانشاء الخزان بها للري الصيفى وانشئت قناطر أسيوط لامكان ري الاراضى العالية

وتبدأ زيادة الفيضان حوالى آخر يوليو وتصل زيادتها فى سبتمبر وقد تتأخر إلى اكتوبر ونوفمبر وتنتهى فى ديسمبر

وكان انشاء خزان اسوان لأول مرة من سنة ١٨٩٨ الى سنة ١٩٠٢ لامكان تخزين الماء على منسوب ١٠٦ عن سطح البحر . ثم اجريت تعليته من سنة ١٩٠٧ وتمت سنة ١٩١٠ ، حتى يصل الى منسوب ١١٣ر٠٠ . وسطح الخزان على ارتفاع ١٠٦ ، وبلغ ١٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠ متر مربع وسعته حوالى ١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ متر مكعب . . وقد سمح ذلك بتحويل ٣٠٠ر٠٠٠ فدان فى مصر الوسطى الى الرى الصيفى . وبلغت تكاليفه مع نزع ملكية الاراضى اللازمة له ٣ر٠٥٠ر٠٠٠ جنيه مصرى . فاذا قدرنا ان ثمن الفدان قبل انشاء الخزان ٧٠ جنيها ، وأنه صعد الى ١٤٠ جنيها ، كان الخزان قد أتى بمبلغ ٢١ مليون جنيه لمصر

وجعلت التعلية — على منسوب ١١٣ر٠٠ — ومسطح الخزان ٢٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠ متر مربع واستيعابه أو سعته ٢ر٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ متر مكعب

ومكنت هذه التعلية من تحويل ١٠٠ر٠٠٠ فدان فى مصر الوسطى إلى رى صيفى. وبلغت نفقات التعلية ١ر٤٠٠ر٠٠٠ جنيه .

وقد ظلت الحاجة ماسة الى تخزين الماء خلف خزان اسوان . فأجريت التعلية الثانية ، من سنة ١٩٢٩ الى سنة ١٩٣٣ على ارتفاع ١٢٣ ، ويخزن الماء على ارتفاع ١٢١ و١٢٢ فقط عن سطح البحر . ومسطح الخزان بعد التعلية الثانية ٥ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ متر مكعب . وقام بالتعلية المقاولون سير مورتون جريفيث وشركاه ثم طوفان جونز وريلتون لمتد . أما الانشاء والتعلية الأولى فتولاها جون ايرد وشركاؤه

وأصبح طول قناطر الخزان بعد التعلية الثانية ٢١٢٩ مترا منها ٥٨٠ متراً للجزء غير المفتوح ، ١٥٤٧ للجزء المفتوح العيون ، ويوجد ١٨٠ فتحة لمرور الزائد من ماء النيل ، وقد قدر هذا الزائد فى سنة ١٨٧٨ بمقدار ١٤٥٢٠ مترا مكعبا ، وتختلف الفتحات ارتفاعا وعرضا . فعرضها من مترين وارتفاعها بين ٣ر٥٠ و ٧ أمتار

تكاليف التعلية الثانية

وقد بلغت التكاليف مع نزع الملكية ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه ، وفي وزارة الأشغال ادارة للخزانات ، وتبحث الوزارة فى الانتفاع من سقوط الماء فى توليد القوة الكهربائية للانارة وادارة الآلات عند اسوان وما يجاورها جنوبا .

من الاقصر الى القاهرة

سافرت من الاقصر صباح يوم الاثنين ٢٥ فبراير الى أسيوط ، وزرت بلدتنا « بنى عديات » ثم عدت فلحقت بعد منتصف الليل بالقطار الحامل للفوج الثالث من البعثة وكان به سعادة رئيس البعثة رشوان محفوظ باشا ، ومحمد بهى الدين بركات بك وزير المعارف العمومية الاسبق ، وعبد الحميد فتحى بك وفؤاد أباظة بك ، والدكتور ابراهيم الشوربجى بك ، وعبد الحميد أباظة بك والمهندس مصطفى نصرت ، وعطاعفيفى بك ، والاستاذ محمود مصطفى على ، ومصور البعثة ووصلنا الى محطة العاصمة صباح يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير

وصول الفوج الأول من البعثة

وصل صباح السبت ١٦ فبراير من أعضاء البعثة حضرات أصحاب العزة والوجاهة الدكتور يوسف نحاس بك واسماعيل بركات بك والاستاذ أحمد ابو الفضل الجيزاوى واحمد الحناوى افندي والحاج أمين حجاج الزينى ونزل فى أصوان الأستاذ فخرى الزق وفى الاقصر صاحب العزة الياس عوض بك ، وقد احتفى بهم في العودة الموظفون السودانيون والمصريون فى العطبرة واستقبلهم تجار أسوان فى محطة الشلال ورافقوهم الي اسوان

شكر من الازهريين السودانيين على صفحات الاهرام

أرسل حضرات علماء وطلبة السنارية بالأزهر الى المؤلف مايلى :

اخوانك السنارية بالازهر يتقدمون الى حضرتكم بتحيتهم الخالصة وكلهم مغتبط مسرور ليبلغكم تهنئته لكم أنتم وحضرات الأفاضل النجباء أعضاء البعثة الاقتصادية الموفقة بسلامة الوصول بعد ان قمتم باكبر واجب لدى إخوانكم السودانيين وأجل مقصد عند أبناء القطر الشقيق . ونحن السنارية لم نبرح نرقب حركاتكم منذ بدء رحلتكم الميمونة فى ظعنكم واقامتكم نرقبها بعين الاهتمام والأعجاب والأكبار والأجلال. واعتقادنا أن أعضاء البعثة إن لاقوا حفاوة من إخوانهم السودانيين فى طول البلاد وعرضها بالغة ما بلغت تلك الحفاوة ما هى منهم إلا قيام بالواجب بل اداء لحق ، وتعبير عن عاطفة قوية برهنت الحوادث والتقلبات على أنها مهما وضعت الحواجز والموانع فى سبيلها على طول الزمن وشدة العسف لا تزداد إلا شدة ورسوخا وثباتا توحيها وتلهبها وتنميها العوامل التى لاحد لها . عوامل الجوار والدين واللغة . بل عوامل الحركات والسكنات فى الجسد الواحد . فلا غرابة ولاعجب أن رأينا المصري فى السودان يمشى على ارض ليست بالغريبة عنه وانما هى قطعة من وادى النيل ويمتزج مع إخوان هو منهم وهم منه فى القديم والحديث وسيظلون هكذا الى تبدل الأرض غير الأرض والسموات . كتلة النيل واحدة ووحدة النيل متحدة

أيها الأخ العزيز : إنا اذ احيينا أعضاء البعثة وشكرناهم فردا فردا ثم خصصناك من بينهم فلاعجبنا بك الذى لاحد له في صراحتك واخلاصك وهمتك العالية

وقيامك بأداء واجبك على أحسن ماينبغى واجمل ما يكون من تصوير الحقائق وشرح الواقع بأسلوبكم الرائع وعبارتكم الرصينة. ولا ننسي توجيهكم النظر الى وزارة المعارف وطلبكم منها العناية بدروس التاريخ والجغرافيا خاصة فى بلاد السودان كى يعرف التلميذ الحقيقة ويتلمس الواقع البين من طبيعة الأرض وطبيعة ساكنيها وما هم عليه من حضارة ورقي أخلاق

فهذه أمنية طالما تمنيناها وفكرة جديرة بالاهتمام طالما نادينا بها ونرجو أن يكون لكلامكم لدى وزارة المعارف أثره فتعطيه من العناية مايليق به ويحقق المقصود

هذا وإن لنا الأمل الكبير أن يتنبه أخواننا المصريون فيعرفوا لاخوانهم السودانيين حقهم ويضعوهم في مكانتهم . ورأينا فيما قدمتموه لهم على صفحات الاهرام الغراء من شرح وتفصيل أنه لجدير بأن يوقظ من شعورهم ويلهب من عواطفهم بل ينبه من غفلتهم وينمى من معلوماتهم ، وحسبنا فى ذلك ما اعترفتم به أنتم في احدي مقالاتكم من عدم ادراك الحقيقة كما هى وانكم ما كنتم تعلمون عن السودان كما رأيتموه على طول الدرس والقراءة عنه فى الكتب والكتابة عنه فى الصحف ، وبازاء هذا شجعتم اخواننا المصريين وبخاصة شباب الجامعة المصرية على أهمية الرحلة إلي السودان وما لها من الاثر لدى تنمية العلاقات وتقوية الروابط وتبادل التعارف فان رجعنا مرة أخرى وكررنا لكم شكرنا وإعجابنا بكم. فتحيتنا وشكرنا وتقديرنا أيضا لصحيفة الاهرام الغراء. ولا زلتم عونا للحق موفقين لاداء الواجب الانسانى ولا زالت الأهرام فى علاها وتقدمها المطرد يعنيها ماضيها المجيد ومكانتها الكبرى فى الشرق أجمع



أعضاء البعثة عند وصولهم الى محطة القاهرة صباح يوم الثلاثاء ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٥

الفصل الحادى عشر

بعد عودة البعثة

حفلة الجمعية الزراعية واجتماع أعضاء البعثة المصرية برياسة الأمير عمر

حفلة شاي لتكريم رئيس غرفة الخرطوم التجارية

اجتمع حضرات أعضاء البعثة المصرية بالسودان فى دار الجمعية الزراعة الملكية بالجزيرة بعد عودتهم ، وقد رحب بهم حضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك المدير العام للجمعية وحضرة حسين فريد بك وكيلها والاستاذان محمود مصطفى على كبير مفتشيها ومحمد أحمد عابدين رئيس سكرتيريتها ، وقدشهد حضرات الأعضاء صوراً مختلفة من مناظر البعثة فى رحلتها فى مدن السودان

وقد شرف اجتماع البعثة حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون فاستقبل بالاجلال والاحترام وكان فؤاد أباظة بك يقدم حضرات الاعضاء لسموه وقد تفضل سموه ، بتهنئة الأعضاء على نجاح البعثة ، ورجا أن يكون من وراء رحلتهم خير لمصر والسودان . فقال الأعضاء لسموه إن الفضل الأكبر فى سفر البعثة ونجاحها يرجع إلى سمو الامير الجليل ، فقد سبق البعثة وسبق غيره فى مواصلة العلاقات بين البلدين ، ثم كان تأليف البعثة من تفكير سموه وبرعايته وفى ظل تشجيعه . فقال سموه أن الفضل لكم ، أو على الأقل لا يزيد نصيبي على فضلكم . فشكر الأعضاء لسموه تهنئته

ثم عرض فؤاد أباظة بك على الاعضاء جزء من الفيلم المشتمل على مناظر البعثة فى رحلتها . فاعجبوا بنجاح الفيلم وهنأوا فؤاد بك على عنايته بتسجيل مناظر الرحلة .

حفلة الشاى

وأقامت الجمعية الزراعية الملكية فى فناء دارها ، حفلة شاى تكريما لحضرة مسيو كونتوميخالوس رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم لمناسبة حضوره إلى مصر ،

وقد كانت الحفلة برعاية سمو الأمير عمر طوسون، حيث جلس مسيو كونتو ميخالوس الى يمين سموه وسعادة رشوان محفوظ باشا إلى يساره ، وجلس صاحبا السعادة محمود صدقي باشا محافظ العاصمة وحامد الشواربى باشا إلى اليمين ، وكان إلى جانبهم من أعضاء البعثة حضرات فؤاء أباظة بك وعبد الحميد أباظة بك وعبد الحميد فتحى بك والدكتور ابراهيم الشوربجى بك والدكتور يوسف نحاس بك والفونس جريس بك والياس عوض بك والاستاذ محمد عطا عفيفى والدكتور محجوب ثابت والاساتذة عبد المجيد الرمالى ومحمد حسن قاسم وأحمد حسن قاسم ومحمد عبد الرحيم سماحة وعبد الله حسين ومحمود أبو العلا وعلى شكري خميس والسيد عبد المجيد محروس والوجيه محمود مصطفى الجمال ومحمد حسين الرشيدى ومصطفى نصرت المهندس وأحمد أبو الفضل وفخرى لوقا الزق والسيد حسين عيسى ، كما لبى الدعوة لفيف من أعضاء الجمعية الملكية الزراعية والنقابة الزراعية والغرف التجارية والصحفيين

خطاب رشوان محفوظ باشا

ثم ألقي سعادة رشوان محفوظ باشا الخطاب التالى :—

حضرة صاحب السمو الأمير الجليل. جناب المستر كونتو ميخالوس . حضرات السادة : —

لى الشرف العظيم نيابة عن البعثة المصرية فى أن أقدم لحضرة صاحب السمو الأمير الجليل أجزل عبارات الشكر والامتنان لتفضله باقامة هذه الحفلة تكريماً للمستر كونتو ميخالوس فاتاح لنا الاشتراك في الاحتفاء بمقدم هذا الرجل العظيم إلى هذه الديار

تعلمون حضراتكم كيف تألفت بعثتنا والاغراض التى سافرت إلى السودان لتحقيقها وقد كان لصاحب السمو الأمير الجليل الفضل الأكبر فى تنفيذ هذه الفكرة وفى نجاحها بما كان يتفضل به على أعضاء البعثة من تلغرافات التشجيع والشكر فى أثناء اقامتنا بالسودان . واذا قلنا أن أهل السودان يحملون فى صميم قلوبهم كل الاحترام والعرفان بالجميل لسموه لقصرنا فى تصوير الحقيقة تصويراً صادقا . فان أيادى سموه البيضاء وبره المتواصل قد أظلت كل عمل خيرى في أرجاء السودان فغرست فى قلوب أهله ذلك الاحترام والعرفان بالجميل

سافرت بعثتنا إلى السودان فى أواخر يناير كما تعلمون ووصلنا بور سودان

٢٨ من الشهر المذكور وزرنا بلادا كثيرة فى أنحاء السودان المختلفة وكنا حيث ذهبنا نلقى سيلا متصلا من الترحيب والاكرام وحسن الاستقبال كما كان تنظيم أسفارنا بالغا كل من الغاية من أسباب الراحة ويعود الفضل فى هذا لجناب المستر كونتو ميخالوس رئيس غرفة السودان التجارية وحضرات زملائه أعضاء لجنة هذه الغرفة الذين بذلوا كل جهد وتحملوا كل مشقة في سبيل راحتنا فلهم وللذين احتفلوا بنا من أهل السودان جميعاً خالص الشكر والحمد ولا نستطيع أن ننسى أن نوجه مثل هـذا الشكر إلى معالي حاكم السودان العام وإلى رجال حكومة السودان لما بذلوا من حفاوة بنا ولما أمدونا به من معلومات قيمة وما قاموا به من تسهيل مهمتنا

أيها السادة

لقد كان الغرض من سفر البعثة إلى السودان توثيق الروابط الاقتصادية التجارية والزراعية بين مصر والسودان ولقد كان لمعاونة المستر كونتو ميخالوس رئيس غرفة السودان التجارية الأثر الفعال في وصول البعثة الى النجاح في الغرض الذى سافرت البعثة من أجله. ولعلكم أطلعتم على ما نشر من نتيجة عملنا في الصحف ولنا كل الأمل في أن تستمر هذه الجهود لخير البلدين اللذين تربطهما أمتن الروابط وأن تثمر أحسن الثمرات بفضل التعاون الذى وضع أساسه بالعمل المشترك بين هذه البعثة ورجال السودان

أرجو أن يسمح سمو الأمير الجليل بان يتفضل بتسليم المستر كونتو ميخالوس هذا التذكار وهو مظهر بسيط لتقدير ما قام به من المجهود العظيم الاثر في تعاوننا المشترك ولما قام به من تسهيل سفر البعثة وإقامتها فى الأراضي السودانية

أيها السادة

إننا اذ نكرم اليوم رجلا قام بالمجهود العظيم الذى أشرنا اليه إشارة وجيزة نملأ قلوبنا الرجاء العظيم فى الوقت نفسه بأن يكون تحقيق النتائج التى وصلنا اليها تحقيقا عمليا خير عربون لازدياد روابط الأخاء والمودة بين مصر والسودان ازديادا تزيده السنين اطرادا .

خطبة الوجيه على البرير

وألقي حضرة التاجر السودانى الوجيه على البرير الخطاب التالى : —

صاحب السمو الأمير الجليل . أصحاب السعادة والعزة . سادتي :

إن العلاقات المصرية السودانية طغت عليها منذ زمان موجة الى الانحلال والفتور . ولبعض هاتيك العوامل أعذارها التى لا يمكن أن يغض عنها الطرف أو يتناساها المدقق وهى وإن كان لها بعض النتائج المادية الملموسة مما قد يعتبره بعض الناس جفوة فى العلائق وتقاطعا للأرحام . فما استطاعت أن تعصف بين هوى القلوب المتبادل وحب النفوس المشترك . وكيف وما بيننا وبين مصر من روابط وأواصر مكين منذ الأزل، وطيد، منذ أن أبدع الله الخليقة وبسط الأرض وفجرها عيوناً وأنهاراً . وما كان لما سواه الخالق وأحكم روابطه أن يهديه الانسان ويقطع أواصره وأن الواجبات الانسانية والعلاقات الأخوية التى بيننا وواجب مصر نحو السودان فى كل مظاهر الحياة . وما يترقبه السودان دائما من رعاية مصر وعطفها وحنانها ومساعدتها وواجب شعب نحو شعب قد جعل الله فى شخص صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون داعياً ومحققا وقد قام سموه بمفرده بكل ما تحتمه الواجبات العالية نحو السودان. وهو وحده أمة في فرد . أدى الامانة وقام بالواجب . وكفى مصر مؤونة ما يجب أن تقوم به من حق مفروض فالسودان فى حاضره وفي مستقبله مدين للأمير الجليل بكل الثمرات الطيبة التى سيجنيها من وراء أياديه وغراسه . وهى في كل نواحى الحياة متعددة كثيرة تتداخل جميعها فى أن تكون للسودان عوامل النهوض والتقدم والعمران . فما شئت من بعوث علمية لابناء السودان في أوربا وفي أرقي جامعاتها ومن أخري فى مصر وفى شتى مدارسها وفي السودان مالا يحصره العد من فيض كرمه ومبذول عطائه . وهذه أياديه وهباته المستديمة ظاهرة فى المغارس المختلفة وفى الملاجىء المتعددة . وتلك عطاياه إلى معاهد العلم الدينية . وهاتيك فواضله غزيرة متدفقة كلما طرق سمعه الكريم ان بيتا لله يقام ومسجداً يشاد فى كل بقعة من بقاع السودان . وها هو أول المتبرعين وأجزلهم منحا وأسرعهم نجدة كلما نما اليه أن السودان مست بعض نواحيه يد المجاعة والفاقة. وما كان للسودانيين وهم أعرف الناس بحفظ الجميل وأبقاهم على الوفاء الا أن يكون سموه الجليل متمثلا لهم في كل قلب وساكنا بكل فؤاد . وإن ذكرت فى السودان مصر وطافت بالعقول ذكرياتها وهى أبداً حاضرة — فما هى للسودانيين الا المتمثلة فى سمو الامير الجليل وشخصه الكريم . وما كفته أياديه الممطرة وهباته المتواصلة ، حتى راح يبحث وينقب عن نواح اخرى يشيد فيها بذكر السودان

ليجعله حاضراً متجلياً متجدداً فى نفوس المصريين . فيكتب ما كتب عن بطولة أبنائه البواسل فى حروب المكسيك وبلائهم الحسن فى حومة الوغى والنضال وهيهات هيهات للسودان مهما أثنى على سموه وقام له بالوفاء أن يفيه حقه

فهو « كما نثنى وفوق الذي نثنى » وحسبنا ان نقول أن سموه الجليل حفظ سمعة مصر في السودان وأوثق الروابط وجدد دارس الذكريات وحقق للسودان حسن ظنه بمصر وعظيم رجائه فى عطفها وبرها

وليست هذه البعثة الاقتصادية . وسموه رئيسها الأكبر إلا آية أخرى من أيات اهتمامه بالسودان وتوثيق العلاقات المادية بعد أن أحكم روابط الصلات العلمية والدينية . وليس مارآه افراد البعثة الاجلاء من حماس فى الترحيب وحرارة فى اللقاء الا دليل ماتفيض به نفوس السودانيين من حبه وإجلاله . فسموه أولا وأخيراً واسطة العقد وفريد نظيمه بين القطرين الشقيقين . ولا يفوتنى هنا ان أشير إلى أن الناس يتوقعون وراء هذه الروابط الزراعية شيئاً آخر هو أن تكون هذه الروابط مدرسة يتلقى فيها السودانيون ما اشتهر به الفلاح المصري من دربة ومقدرة في فن الزراعة وما وصلت اليه نتائج العقول فى الفلاحة حتى يكتمل له ما اراده سمو الامير الجليل من رقي علمى فى مختلف النواحي العقلية

وإن كان لا مندوحة من أن تشترى الجمعية الزراعية أو أصحاب رؤوس الاموال المصريين بعض الاراضى الزراعية فى السودان لاستغلالها ، فاننا كسودانيين نرجو أن يكون هذا الشراء من ملاك وطنيين . فهم أهل البلد وأصحابها وهم الذين تربطهم بمصر اسمى الروابط ولأجلهم وحدهم بذل الأمير الجليل ما بذل من مجهود مشروع ولدى الوطنيين كل مايريده الشارى المصري من مختلف المساحات الزراعية . فان أراد قطعا صغيرة فهى متوفرة وإن أراد قطعا كبيرة المساحة قائمة بذاتها فلكبار الملاك وزعماء البلد أمثال السيدين الجليلين السيد على الميرغنى والسيد عبد الرحمن المهدى من الأملاك الواسعة والمساحات الارضية الشاسعة فى شمال السودان وجنوبه ما يربو على حاجة المشترين المصريين . وبهذا الجوار الزراعى الذى تحوطه كذلك أملاك أخرى لملاك وطنيين تحقيق لما يرجوه السودانيون من وراء هذا الجوار ومن أخذ بأسباب الوسائل الزراعية المصرية الحديثة . وبما يبذله الفلاح المصرى من مجهود وغيرة زراعية جعلته

من أشهر مزارعى العالم وبذلك يسدى الفلاح المصري إلى شقيقه السوداني كل ما يمكن ان يتوقعه منه من خير فى الأختلاط وان مثل هذه الظواهر المحلية لها أكبر الأثر فيما يترتب على مجهود للبعثة ومنشئاتها من نتائج وان تعدتها الي غير ذلك من شراء أراض غير وطنية وفضلت غير الوطنيين على الوطنيين فان النتيجة لا يستفيد منها المالك السوداني شيئا ولا تعود على السودان بأية فائدة . لا من الوجهة المادية أو العلمية أو الادبية . بل قد يؤدي هذا إلى خيبة في الرجاء وتحطيم للأمل . وإنا لنرجو أن تعير الجمعية الزراعية أمثال هذه الملاحظات اهتمامها وأن تتدبرها ، وان تضع كل شيء فى موضعه اللائق حتى يتحقق للسودان كل ما أراده له سمو الأمير من يسر ورخاء

كلمة المسيو كونتوميخالوس

صاحب السمو ، أصحاب السعادة ، حضرات السادة :

انى مدين لسعادة رشوان باشا بكلماته الطيبة ولأعضاء البعثة لفكرة تقديم تذكار لزيارتهم السودان التى أقدرها كثيرا

إنى أشكر بصفة خاصة حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون لتشريفه هذه الحفلة وارجو ان تعذروني إذا لم القى خطابا طويلا لأنى قلت في السودان كل ما يمكن ان يقال وأخذنا في العمل واستمرار جهودنا المشتركة فى تنمية التجارة وتوثيق العلاقات بين مصر والسودان لمصلحة البلدين

ياصاحب السمو ، ياصاحب السعادة ياحضرات السادة — أشكركم

كلمة حسين السيد أباظة بك

ثم وقف حضرة الوجيه حسين السيد أباظة بك والدفؤاد أباظة بك والاستاذ فكري أباظة فألقى كلمة بليغة فى الاشادة بفضل سمو الامير عمر وفى العلاقات التجارية بين مصر والسودان وترحيب المواطنين السودانيين بالبعثة وفي حفاوة المسيو كونتوميخلوس بها وقد قوطعت الخطب بالتصفيق والاعجاب. وأخذت صور عديدة وانصرف الحاضرون شاكرين مبتهجين بهذه الحفلة البديعة

البعثة والغرفة فى العمل — محاضرات الجلسات

بين البعثة المصرية والغرفة التجارية السودانية فى الشئون التجارية

محضر الجلسة المنعقدة فى ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥

بحضور جناب المسيو كونتوميخالوس الرئيس وحضرات توتونجى - ريد تساكر وجولو - مصطفى ابو العلا - السيد عبد المجيد الرمالى - محمود أبو العلا - محمد عبد الرحيم سماحة - على شكري خميس

بضائع قطنية وأقمصة وجوارب

تقرر أن تطلب البعثة المصرية من بنك مصر إرسال عينات من بضائعهم الى الغرفة التجارية السودانية

الارز

اتفق علي أن تتصل البعثة المصرية بالحكومة المصرية لكى تسترد ضريبة تصدير الارز للسودان كما أنه قد تقرر أيضا أن الغرفة التجارية السودانية من جهتها تتصل بحكومة السودان لامكان تقدير تعريفة مخفضة للنقل كما انها تتصل أيضا بشركة البواخر الخديوية لكى تقرر تعريفة بحرية خاصة للنقل من السويس كما أن جناب المسيو كونتوميخالوس يتصل شخصيا بشركة البواخر الخديوية للسبب عينه .

السيجار والسجاير

تستورد حاليا من مصر

السمنتو والكبريت

اتفق على أن تتصل البعثة المصرية بالسلطات المصرية لغرض إلغاء ضريبة الانتاج أو جزء منها على الاسمنتو والكبريت المصدر الى السودان .

الصابون المصري

مبيعات مصر فى السودان من هذا الصنف طيبة

الأحذية الطويلة والقصيرة

أن المنافسة اليابانية فى الواقع تستغل هذا الصنف فيما عدا الجلود فهى

مستحيلة . وعلى ذلك فقد تقرر ان ترسل مصر عينات من هذه البضائع الى الغرفة التجارية السودانية . كما انه يجب الاتصال بالحكومة السودانية لكى تسمح للمصانع المصرية بالدخول فى مناقصات التوريد الخاصة بالجيش . وقوائم المناقصات يجب نشرها فى مصر . واننا ننصح للبعثة المصرية بالاتصال بمندوب حكومة السودان فى هذا الشأن .

الجعة (البيرة)

يعتقد أن هذا الصنف يفسد فى السودان . وانه من واجب البعثة المصرية أن تسترشد بصناع هذا الصنف فى مصر .

الحلويات

تقرر أن تتصل الغرفة التجارية السودانية بمصلحة سكك حديد السودان لغرض اصدار تعريفة خاصة للحلاوة الطحينية المستوردة من مصر كما أنه تبين أن تعريفة السيكورتاه للنقل حتى بورسودان هى ٣١ مليم الأقة وأجرة النقل من بورسودان الى الخرطوم هى ١٥ مليم الأقة أى أكثر من ٥٠ فى المائة ولذلك فان الغرفة التجارية السودانية تريد أن تتأكد اذا كانت الحكومة السودانية تسمح لأحد المصانع بتخفيض عشرة جنيهات مصرية فى الطن في اثمان السكر .

الروائح وورق اللف

فيما يختص بهذين الصنفين تقرر أن العينات مطلوبة

الزهرة

تقدم من مصر

الأقمصة الفنلة وغيرها

تقرر أنها تستورد من مصر وتباع في السودان

السجاد

يستورد من مصر

الادوات النحاسية

تستورد من مصر

الادوات الاليمونية

عينات مماثلة من هذه البضائع تستورد من اليابان ويمكن الحصول عليها من مصر

الادوات المصنوعة من الفخار والادوات الزجاجية

يجب الاسترشاد من المصانع المصرية عن أسواق السودان

امضاء	امضاء
رشوان محفوظ	كونتوميخالوس

الأربعاء ١٣ فبراير سنة ١٩٣٥

١ ـ بحضور كل من السابق ذكرهم ومعهم محمد افندى قاسم وقد قرىء المحضر السابق وصدق عليه .

٢ ـ لا يوجد للحكومة المصرية سياسة زراعية خلاف مسألة القطن .

٣ ـ وافق على أن يطلب من الحكومة المصرية حماية حاصلات السودان ضد حاصلات الممالك الاخرى عند ما تكون مطلوبة ومماثلة لها .

٤ ـ رجاء مصلحة السكك الحديد السودانية ان لا تقبل نقل السمسم والذرة من أسكلة بورسودان وان لا تسمح بتصدير هذه الاصناف مالم تكن خارجة رأسا من معمل تنظيف النباتات . « قد نفذ هذا الطلب »

٥ ـ ان تتعاقد الغرف التجارية فى القاهرة والاسكندرية مع البائعين والمشترين في مصر لحاصلات السودان وان ترسل غرفة السودان التجارية شهرياً عينات من الحاصلات للغرف التجارية المصرية فى القاهرة والاسكندرية .

٦ ـ لقد اتفق على تكوين لجنة دائمة لتبادل الآراء بين الغرف التجارية بمصر ومن يهمهم الامر والغرفة السودانية التجارية على أن تجتمع بالقاهرة والخرطوم على التوالى وان كل عضو له هذا الحق .

٧ ـ تبادل قوائم بأسماء التجار بالخرطوم والقاهرة واسكندرية بين الغرف

٨ ـ أن يعمل مجهودات من الطرفين قبل سكك الحديد المصرية والسودانية لتخفيض الشحن فيما يختص بتجارة الفواكه .

٩ ـ تبادل العينات للمعرض في غرف المنتجات السودانية والمصرية .

وكذا الصناعات . وعلى غرف مصر واسكندرية التجارية أن تسترشد بلجانها فى هذا الموضوع .

١٠ ـ مخابرة الحكومات المختصة لقبول منتجات البلدين فى مناقصتها على أن يكون أصل المنتجات معين على حدة وان المناقصات عن السودان ستنشر فى مصر .

رشوان محفوظ كونتوميخالوس

الثلاثاء في ١٤ فبراير سنة ١٩٣٥

بحضور حضرات من سبق ذكرهم وكذا رشوان باشا وفؤاد بك أباظة وحسين افندي عيسى وقد قرىء محضر ١٣ فبراير وصدق عليه .

ملحوظة خاصة

يتصل بالحكومة لتراقب الاهالى الذين يبيعون القرض والأشياء المماثلة فى السوق على أن تكون معروضاتهم نظيفة .

السكر

الاحتكار فى يد الحكومة

ا ـ ترغب غرفة السودان التجارية أن تجد وسيلة تتخلص بها من الاحتكار. ولكن في الوقت نفسه تستبقى دخل الحكومة من السكر ـ والصعوبة الحالية ناتجة من عدم السماح بتقرير ضريبة على البضائع الواردة من مصر .

يقترح رشوان باشا بأنه يجب أن يكون هناك بعض الضمان على أن لا يستورد الا السكر المصرى فقط .

الغرفة التجارية السودانية ستطلب، لما تكنه من اعتبارات المودة والصداقة اللبعثة المصرية، أن تعمل الحكومة السودانية على إلغاء الاحتكار

ويقترح فؤاد بك أباظة أن الغرفة السودانية تحضر مذكرة خاصة بمسألة السكر . وهنا ترك الجلسة حضرات رشوان باشا وفؤاد بك أباظة :

١ — تحسين طرق المواصلات بين البلدين بالطريقة الآتية . —

٢ — بتخفيض الاجور العالية للتلغرافات كما كانت سابقاً .

ب — بايجاد مخابرات تليفونية بين البلدين

ج — بتخفيض أجور نقل الطرود بالبوستة لجعلها مماثلة لأجور الطرود فى الداخل

د — قبول شهادات تحقيق شخصية من غرفتى مصر واسكندرية التجارية بدلا عن جوازات السفر وبذلك يتمكن التجار من السفر بسهولة بين البلدين

رشوان محفوظ كونتو ميخالوس

***

محضر للجلسة بين رئيس غرفة السودان التجارية ولجنة البعثة المصرية ومدير التجارة والاقتصاد بالسودان في ١٧ فبراير سنة ١٩٣٥

وبحضور جناب المسيو كونتوميخالوس رئيس والمسيو س . ازمرليان والمسيو كفورى عن الغرفة التجارية السودانية وحضرات أصحاب السعادة والعزة رشوان محفوظ باشا رئيس وفؤاد بك أباظة وعبد الحميد بك فتحى والفونس بك جريس وعبد الحميد بك أباظة والدكتور ابراهيم بك الشوربجى والمهندس مصطفى نصرت — عن البعثة المصرية

فقد أخذ علم بمحاضر الجلسات التى عقدت مع لجنة التجارة واظهر الميجر فولى ارتياحه فيما يختص بالفقرات التى يحتاج فيها الالتجاء الى الحكومة ولكنه لا يمكنه أن يفصل فيها بنفسه

وتقرر أن الغرفة التجارية السودانية تقدم اليه بنفسها هذه المسائل مقررة التوصية بها . وتطلب أن تعيرها الحكومة الالتفات اللازم

وقد سأل الميجر فولى الأعضاء المصريين عن هل فى الامكان عمل الترتيبات لأمداد الغرفة التجارية بالخرطوم ومصلحة الاقتصاد والتجارة عن طريقها بالارقام الخاصة باصناف الذرة السوداني المختلفة التى تستهلك في مصر لأن الحكومة لغاية هذه اللحظة لم تتوصل لمعرفة أى صنف من الاصناف يستحق التشجيع عن الاصناف الاخري وقد بين المسيو كونتوميخالوس أنه من المستحسن أن تصدر مصلحة الاقتصاد والتجارة من الآن تعليمات الى جمرك بور سودان وحلفا خاصة بان الاصناف المختلفة المصدرة الي مصر يصير تقريرها بالجمارك حتى يمكن الحصول على بيانات كافية وقد وافق الميجر فولي علي المباحثة فى ذلك مع الجمارك

التمر (البلح) — ذكر المستر لويس أن دنقلة تنتج بلحاً جيداً وانه يطلب من البعثة المصرية عند رجوعها الى مصر بيانات عن أسماء المحلات التجارية فى مصر المختصة ببيع الأنواع الجيدة من البلح المجفف في العلب سواء للاستهلاك المحلى أم للبيع فى الخارج . فوعدت البعثة أن تستعلم عن ذلك وتخابر الغرفة التجارية بالخرطوم . وفي الوقت نفسه ذكر مدير مصلحة التجارة والاقتصاد بأنه سيتصل بمدير حلفا ليرسل كمية من البلح على ظهر الباخرة المقلة للبعثة حتى يتمكن من معاينتها وتجربتها . بالنسبة للمناقصات التى ورد ذكرها في جلسات ١٣ الجاري فقد تقرر بعد المباحثة أن اذاعة مناقصة السودان فى مصر ربما توجد بعض عقبات . ولكن بما أن جميع مناقصات السودان تذاع فى الجرائد المحلية فيمكن للجمهور المهتم بها فى مصر الاشتراك فيها أو ان تطلب الغرفة التجارية السودانية نسخا من هذه المناقصات عند ما تصدرها الحكومة لكى ترسل منها اعدادا لغرفة القاهرة والاسكندرية التجاريتين ليطلع عليها التجار الذين يهمهم الامر .

وفيما يختص بالمناقصات المصرية فانها تنشر فى الوقائع المصرية فمن الميسور أن يطلع عليها جمهور التجار السودانيين والدخول فيها .

معرض القاهرة — ولقد تقرر أنه بناء على طلب الغرفة التجارية السودانية أن ترسل مصلحة الاقتصاد والتجارة منشوراً الى مديري الاقاليم لأخطار التجار بارسال عينات في الوقت المناسب الي الخرطوم وان تجمع هذه العينات في الغرفة التجارية لارسالها الي القاهرة فى آخر نوفمبر القادم على الاكثر كما أن الحكومة ترسل جميع المعروضات الخاصة بالقطن . وفيما يختص بالنقل فقد اقترح على البعثة المصرية أن تتصل بمصلحة السكك الحديد المصرية للوصول الى نقلها مجانا من الشلال كما أن الغرفة التجارية السودانية تطلب من مصلحة السكك الحديد السودانية نقلها مجانا الى الشلال وسترسل الغرفة التجارية السودانية الى الجمعية الزراعية بمصر فى أقرب فرصة مناسبة كشفا ببيان المعروضات التى سترسل الى مصر حتى يحتفظ لها بمكان مناسب بالمعرض .

رشوان محفوظ كونتوميخالوس

***

محضر الجلسة المنعقدة بين أعضاء لجنة الغرفة التجارية السودانية والبعثة المصرية
يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٣٥

مستر ج . ا . كونتوميخالوس الرئيس مستر س . أزمير ليان مستر عزيز كفورى عن الغرفة التجارية السودانية. رشوان محفوظ باشا رئيس. فؤاد أباظة بك عبد الحميد فتحى بك . الفونس جريس بك . عبد الحميد أباظة بك . الدكتور ابراهيم الشوربجى بك المهندس . مصطفى نصرت — عن البعثة المصرية

انعقدت الجلسة بين ممثلى الغرفة السودانية التجارية وأعضاء البعثة المصرية بخصوص المسائل التجارية

وقد قرئت محاضر جلستى ١٣ و ١٤ فبراير وصدق عليها بعد التعديلات الآتيـة . . —

جلسة ١٣ فبراير

النبذة السادسة أضيفت الكلمات (ومن يهمهم الأمر) بعد كلمات الغرف التجارية فى مصر

جلسة ١٤ فبراير

قرر فؤاد أباظة بك أن هذه مسألة دقيقة وأن أحسن مايعمل هو أن الغرفة التجارية السودانية تجهز مذكرة عن الموضوع لكى تقدمها البعثة المصرية إلى الحكومة المصرية للنظر .

بنـد ج

ألغى ووضع بدله (اللجنة المصرية تطلب إلغاء الاجراءات الخاصة بدخول المصريين فى السودان)

السياسة الزراعية ـ ذكر مستر كونتو ميخالوس أنه حصل هناك مباحث موفقة بين اللجان التجارية ولكن لم يعمل شىء للآن فيما يختص بتأليف شركة زراعية للاستثمار

فقال فؤاد أباظة بك ـ قبل التوسع فى هذه المسألة يلزم طبيعيا الحصول على بيانات لم تصلنا للآن وقد فهم أن الاجتماعات التى تقرر عقدها مع السكرتير المالى والمدنى ربما تساعد على جميع معلومات بخصوص بيع الأراضي الخ — وقال المسيو كونتوميخالوس — إن المباحثات لاتربط أحداً من الطرفين ولكن يريد أن يعرف إذا كانت البعثة معتزمة — فى حالة حصول اتفاق — أن تكون

شركة بالتآزر مع ملاك المزارع العديدين الحاليين في شمال الخرطوم أو أنها تريد أن تملك قطعا أخرى من الأراضى للاغراض الزراعية — فكان الجواب أن المقصود هو دراسة الحالتين وأنه في حالة الانضمام الى المزارع الموجودة الحالية اذا أمكن التوصل للاتفاق مع ملاكها فان البعثة المصرية تسأل عن مقدار رؤوس الأموال التى يعتقد أعضاء اللجنة السودانية لزومها لهذا الغرض

فأبدى مسيو كونتوميخالوس أنه فيما يختص به يسره كما ذكر مراراً أن يشترك فى عمل واسع النطاق مهم وأنه لا يقدم للاشتراك اذا كان الغرض البدء بعمل صغير ورأيه هو أنه لنجاح أعمال الشركة يجب أن تبدأ عملياتها بالقرب من العاصمة. وبعد أن تنجح في أعمالها فان الادارة تنظر فى زيادة أعمال الشركة فى أي جهة كانت وربما أنه جاء على لسان البعثة ذكر مساحة من أربعين الى خمسين الف فدان. فهو لا يرى كيف يمكن البدء بالعمل مالم يكن رأس المال خمسمائة ألف جنيه .

وليس من الضرورى طبعاً أن يطلب كل رأس المال هذا فى الابتداء وانما تدريجياً من وقت لآخر. فسأل فؤاد أباظة بك اذا كان من الميسور أن يعرف تقريباً من الأعضاء السودانيين ما يمكن أن يكتتب به فى السودان فأجاب المسيو كونتوميخالوس أنه فيما يختص به اذا أمكن الوصول الى اتفاق بضم مزرعة شركته الي الشركة الجديدة. وبهذا يكون مستعداً للاشتراك بقيمة تعادل خمسين الف جنيه أسهما .

وذكر كفورى أيضا أنه يكون على الاستعداد فى أن يحذو حذو المستر كونتوميخالوس - فدارت المباحثة عن مزارعين آخرين — فقال مستر كونتوميخالوس أنه يظن إمكان اشتراك السودان فى ثلث رأس المال - ولكن مستر كفورى ومستر أزمير ليان يظنان أنه من الأصوب اعتبار الاشتراك بقيمة مائة وخمسة وعشرين ألف جنيه، لانه لا يمكن الحصول على نقود في السودان خارج دائرة ملاك المزارع.

انتهت المباحثة الى هذا وأظهر أعضاء البعثة رضاهم عن بعض التقدم الذى حصل فى هذه المباحثات

رشوان محفوظ　　كونتوميخالوس

***

ملحوظة — قابلت البعثة المصرية ومعها جناب رئيس الغرفة التجارية السودانية صباح ١٩ فبراير كلا من جناب المستر رجمان السكرتير المالى ثم جناب المستر جيلين السكرتير المدنى وعلمت مع السرور استعداد حكومة السودان قبول مبدأ مشتري أراض زراعية لاستغلالها

النتائج العملية لابحاثها

أشرنا قبلا الى تأليف لجنة فرعية للبعثة المصرية الى السودان برياسة حضرة صاحب العزة مدير مصلحة التجارة والصناعة لبحث نتيجة أعمال البعثة والنظر فى الوسائل الممكن اتخاذها لتنفيذ مقترحاتها بشأن ترويج المنتجات المصرية في بلاد السودان

وقد انتهت اللجنة من ابحاثها وقامت وزارة التجارة والصناعة بالاتصال بالهيئات المختلفة لهذا الغرض وتلخص أعمالها فيما يلي :

السجاد

كتبت الوزارة الى مصانع السجاد في مصر لارسال عينات من منتجاتها الى الغرفة التجارية السودانية فى الخرطوم بصفة أمانة ليمكن معرفة مدى رواج هذه المصنوعات فى الاسواق السودانية

السجاير المصرية

وكتبت الوزارة الى رئيس نقابة صناع الدخان والى الغرفة التجارية المصرية بالقاهرة بان السودانيين يشكون من تلف السجاير التى ترسل من مصر ولهذا لاتجد رواجا هناك . مع أن السجائر المرسلة من البلاد الاخرى رائجة بالرغم من رداءة نوعها بالنسبة للسجاير المصرية وقد ظهر أن السبب فى تلف السجاير المصرية هو سوء تعبئتها

أجور نقل الحاصلات المصرية

من السويس الى اسوان

ولكى تجد المصنوعات والمنتجات المصرية المرسلة عن طريق البحر من السويس الى السودان رواجا في السودان يجب تخفيض أجور الشحن ليمكن تخفيض سعرها وبذلك تستطيع مزاحمة البضائع الاجنبية المصدرة الي السودان

من ايطاليا وتشكوسلوفاكيا وغيرها وأهم هذه البضائع : الارز . والسكر والمنسوجات . والسجائر والحلوي . والاحذية والفاكهة

وقد كتبت الوزارة الى شركة الملاحة المصرية التابعة لبنك مصر تسألها عما إذا كان من الممكن تخفيض أجور الشحن من السويس الى السودان

المصنوعات القطنية

كتبت الوزارة الى مصانع المنسوجات المصرية لارسال عينات من منتجاتها خصوصا الفانلات والجوارب (الشورابات) الى الغرفه التجارية بالخرطوم لمعرفة مدى مقدرة هذه المنسوجات على مزاحمة المنسوجات المرسلة من اليابان وأوربا

ورق اللف

كتبت الوزارة الى مصدرى ورق اللف بالاسكندرية ترجوهم ارسال عينات من الأصناف التى لديهم إلى الغرفة التجارية بالخرطوم لتقوم بالدعاية له فى الاسواق السودانية حسب اتفاق البعثة المصرية معها . وبصنع ورق اللف في الاسكندرية

البيرة المصرية

ظهر أن البيرة المصرية لاتروج فى السودان، لأن الفساد يتطرق اليها بسرعة وذلك لأنها تصنع لتستهلك في القطر المصرى فهى تعقم مرة واحدة ولما كان جو السودان يختلف عن جو مصر اختلافا بينا، فان التعقيم يجب أن يكون مضاعفا لتستطيع تحمل جو السودان الحار

ولهذا كتبت الوزارة الى رئيس الاتحاد المصرى للصناعات تلفت نظره الى هذا الموضوع ليقوم بمخابرة مصانع البيرة المصرية كى يعملوا على تلافى هذا النقص

الزجاج

وكتبت الوزارة الى أصحاب مصانع الزجاج فى مصر ليقوموا بالدعاية الكافية لرواج مصنوعاتهم فى السودان

تخفيض نقل الطرود

وقد رأت البعثة عند زيارتها للسودان أنَ من أهم مايجب عمله لرواج المصنوعات والمنتجات المصرية في تلك البلاد هو تخفيض أجور النقل براً وبحراً ليمكن خفض الاسعار فكتبت الى مصالح السكك الحديدية المصرية والتلغرافات والبريد لتخفيض أجور الطرود المرسلة الى السودان وتقوم هذه المصالح الآن بدرس الموضوع

وكذلك كتبت الوزارة الى الحكومة السودانية تطلب تخفيض أجور الطرود على السكك الحديدية هناك

* * *

وتنتظر الوزارة الآن ردود هذه الهيئات حتى اذا تلقتها استمرت اللجنة الفرعية للبعثة فى مواصلة اجتماعاتها وابحاثها لترويج المنتجات المصرية فى السودان

* * *

هـذا وقد بدأت إحدي الفابريقات المصرية لصنع الصاج المدهون بارسال أصناف من منتجاتها الي الأسواق السودانية عن طريق وزارة التجارة والصناعة

بين مصر والسودان

صدر مرسوم ملكى بجواز رد كل أو بعض رسم الانتاج عن حاصلات الأرض أومنتجات الصناعة المحلية التى تصدر للاستهلاك فى السودان وذلك بدون اخلال بأحكام المراسيم أو القرارات الخاصة المقررة لرد رسم انتاج فى أحوال مماثلة على أن يحدد وزير المالية المصرية بقرار يصدره الحاصلات أوالمنتجات التى تنتفع برد الرسم المشار اليه ومقدار مايرد منهوكذلك الشروط الواجب استيفاؤها للانتفاع به

الحاصلات السودانية

أباح مدير الاقتصاد والتجارة تصدير الذرة والسمسم الى خارج السودان بشرط أن يكون كل رسالة من الصنفين مصحوبة بشهادة تنظيف من مكنة تنظيف معتمدة بانها نظفت بها تنظيفاً لا يزيد معه ماتحتويه من المواد الخارجية عن نسبة ثلاثة فى المائة

واعتمد مدير الاقتصاد والتجارة مكنات التنظيف وأعد شهادتها معتمدة فى حالة تصدير الذرة والسمسم وهى مكنة السكة الحديدية بالمقرن

وصدر أمر من مدير السكة الحديدية ببيع البضائع المهملة التى بقيت بمينا بورسودان ستة أشهر بمخازن السكة الحديدية ولم يطلبها أصحابها بالمزاد العلنى ببورسودان وذلك بعد مرور ثلاثة أسابيع من تاريخ نشر هذا الأمر اذا كانت هذه البضائع لاتزال باقية تحت التسليم



الحاج محمد احمد سرور مطرب السودان
وهو الا ن فى مصر مع أفراد فرقته . وقد أحيا ليالى غنائية نالت الاعجاب



الفوج الثانى من البعثة فى اسوان ومعهم أعيان اسوان



أحمد حمدى سيف النصر بك
عضو الوفد المصرى ورئيس المجلس الاعلى لاتحاد نقابات العمال

لايسع المؤرخ للسودان والمسجل للعلاقات الوثيقة بينه وبين مصر ، أن يغفل نصيب حضرة صاحب العزة الميرالاى أحمد حمدى سيف النصر بك فى إحكام الصلات بين البلدين . فلقد أمضى حضرته ١٣ عاما مأموراً لمركز أم درمان ، وبندر بين المصريين الذين قضوا شطراً من سنى خدمتهم فى السودان من ترك فى السودان الأثر الذى خلفه حمدى بك . وقد لمسنا ذلك لمساً حين زيارتنا للسودان مع البعثة ، فكان الكثيرون من المستقبلين يسألون عن حمدى بك ويستفسرون عن صحته ويبتهلون الي الله أن يرد اليه العافية عاجلا ، ويبتهجون بأنباء تحسن صحته .

لم يكن حمدي بك موظفاً عاديا أو رجلا يؤدي واجبه فحسب . بل كان شديد الاتصال بالأهالى ، فيما يؤكد الصلات الطيبة بين الحاكم والمحكوم ، وفيما

يعلى شأنهم ، ولاسيما في وقت كان السودان والسودانيون فى أشد الحاجة الى الاكفاء المخلصين الغيورين ، عند انتهاء الثورة المهدية واستعادة السودان، الذى كان فى حاجة إلى العطف والى اتساع أفق التفكير والى انشاء التقاليد الصالحة ووضع القواعد المفيدة .

كان حمدى بك محترما ومحبوبا ، إلي أقصى ما يعنيه الاحترام والحب النبيل ولايزال الذين عرفوه يحبونه . بل هنـاك أبناؤهم قد ورثوا عن آبائهم الحب والاحترام. ودار حمدي بك فى حلوان مقصد الوافدين من السودان ، يساعد فقيرهم ويعلم صغيرهم ، ويبحث لهم عن الاعمال ويعينهم في الوظائف ، ويرشد زائريهم ، ويضيف أفاضلهم .

وحمدى بك مفطور على الخير لمحض الخير ، وهو — على وطنيته — رجل الانسانيـة ، وهو صريح لايداجى ، طيب القلب ، لايعرف الدس والمواربة والخديعة ، وهو شـديد الأيمان ، كثير الوفاء ، يقدر خصومه — إن كان له خصوم وهم خصوم رأى لاخصوم شخصيات — صراحته ونقاء سريرته .

قالت مجلة فلاحة البساتين المصرية عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٢ : ينتمى حمدي بك لقبيلة من أشراف قبائل البدو (المحاميد) ولم تقتصر شهرتها على مصر بل طار ذكرها الى بلاد شمال افريقيا . وتاريخ حمدى بك حافل بالاعمال العظيمة فحياته مملوءة بالجد والنشاط . بدأ يستقي مناهل العلم بمدرسة الناصرية الأميرية ثم التحق باحدى مدارس البعثة الأمريكية ثم المدرسة الحربية بالعباسية وانتظم في سلك الجيش المصري تحت أمرة المرحوم اللورد كتشنر وصحبه فى جميع غزواته بالسودان ونال كل الأنواط (الماليات المصرية والانجليزية ، بما فى ذلك ثمانية مشابك تدل على ماحازه من الشرف باشتراكه في المواقع الحربية) وبعد أن أمضى وقتا فى خدمة الحرس السواري الخديوى ، التحق بحكومة السودان في سنة ١٩٠٠ فعين ضابطا لبوليس أم درمان ثم كان مأموراً لها ثم عين قاضيا فى الدرجة الثانية .

وقد نوه المستر دجلس سلادن فى مؤلفه (الانجليز ومصر) بذكر حمدى بك الذى استقبل المؤلف عند زيارته لام درمان فقال :

« ان معلوماته (حمدي بك) الدقيقة بالسودانيين معه ومعرفته باخلاقهم وحسن سياسته وتصرفه فى معاملتهم وحزمه واستقلاله فى عمله جعلته من أشهر

الضباط النادرى المثال الذين تولوا الحكم فى ادارة السودان »

وفى سنة ١٩٠٨ عين مفتشا بوزارة المالية بمصر . ولكن خدماته العظيمة كانت تتطلب عملا أهم من ذلك ودائرة أوسع فعين في السنة التالية حكمدار البوليس مديرية أسيوط فجد فى قمع دابر اللصوص وايقاف تيار الجرائم أثناء توليه هذا المنصب هناك فنال استحسان الخديوي لقيامه بتلك الأعمال خير قيام فأنعم عليه بالنشان العثمانى ثم نقل بعد ذلك حكمداراً لمديرية الغربيـة وفضلا عما كان يتطلبه عمله فى حفظ الامن العام وحفظ النظام من الهمة والنشاط ، فانه أظهر كفاءة تامة وغيرة بما قام به من أعمال مقاومة دودة القطن في سنة ١٩١٣ التى انتشرت بدرجة مريعة .

وفي السنة نفسها عين مساعداً لحكمدار بوليس مصر . وكان أول مصري شغل هذه الوظيفة المهمة ولما شبت الحرب فى ١٩١٤ طلب اليه أن ينظم مشروعا عظيما لفائدة العمال العاطلين بالعباسية فنجح نجاحا باهرا . وفى سنة ١٩١٥ احتلت قوات السنوسى الواحات البحرية الواقعة على بعد ١٠٠ (ميل) فقط من مديرية الفيوم فانتخب حمدى بك مديرا بهذه المديرية لأهمية تلك الحوادث وقت ذاك . وفى أثناء وجوده بالفيوم برهن مرة أخرى على نشاطه ومقدرته . وبالجملة فانه قدم خدمات عظيمة للدفاع عن وطنه ثم انتقل مديرا للجيزة فى سنة ١٩١٧ وبقي بها حتى سنة ١٩١٩ ، حيث اعتزل خدمة الحكومة وتفرغ للعناية بالزهور بمنزله بحلوان ولاصلاح أراضيه بمديرية الفيوم وفى كلتا الحالتين أظهر حمدى بك كفاءته ونبوغه المأثورين عنه فلا تأخذنا الدهشة والعجب إذا رأينا اليوم ان عزبته بالفيـوم صارت نموذجا ومثالا يجب على أصحاب المزارع ان يقتدوا بها وكذلك حديقته فى حلوان من أجمل الحدائق . وأبدعها . والخلاصة ان غيرته ومقدرته واشتهاره بالعمل والنظام مما لا يحتاج اليه البيان والتعريف كما ان خدماته وما آثره موضع حديث القوم وأعجابهم . وهو الآن يشغل منصب وكيل النقابة الزراعية المصرية العامة كما انه شديد الاهتمام بتعضيد الكشافة بمصر .

وكان حمدي بك سيف النصر أحد النواب الذين مثلوا مصر فى المؤتمر الدولي العام للقطن سنة ١٩٢١ وهناك أظهر من المهارة والبراعة والآراء السديدة ما حاز إعجاب زملائه فى المؤتمر وحسن تقديرهم له . والرجل المقدام المحب للعمل

كحمدى بك سيف النصر يكون غالبا مولعاً بالرياضة البدنية ولعا شديداً . ففى السودان اشتهر بانه من أمهر اللاعبين بالكرة والصولجان (بولو) ولا يزال مهتما بالألعاب الرياضية . وميله الخاص وعنايته موجهان دائما للفروسية وركوب الخيل . وهو لايزال فى ريعان الشباب ومن كانت همته فى الماضي معروفة فى الاعمال النافعة وحياته الماضية حافلة بعظائم الأمور فلا بدع ان تكون أعماله كذلك في المستقبل » اه

ومنذ أستقال حمدى بك من منصب مدير الجيزة سنة ١٩١٩ احتجاجا على ما نسب لافراد من الجيش الانجليزي من عدوان على الأهالى خلال قمع الثورة المصرية ، انضم الى الحركة الوطنية ، وكان من العاملين فيها المخلصين للوفد المصرى ، وهو اليوم عضو من أعضائه ورئيس المجلس الاعلى لاتحاد نقابات العمال وزعيم العمال المصريين ، ونائب رئيس النقابة الزراعية العامة ووكيل جمعية فلاحة البساتين ، وكان عضواً في اللجنة التعاونية الاستشارية العليا للتعاون — وكان فى اللجنة زميلا كريما للمؤلف فيها — سنة ١٩٢٦ فى وزارة الزراعة ، وقد وضع مستر مارى هاريس « "Murray Harris" » مؤلفا اسماه « مصر تحت حكم المصريين » « "Egypt under the Egyptians" » فصل فيه ادوار الحركة الوطنية الاخيرة وعرض خلاله بالتحليل لشخصيات كبيرة من المصريين هى : عدلى ، وزيور ، ورشدى ، ومحمد محمود ، وحمدى سيف النصر فقال عن الأخير :

(سيف النصر مدير الفيوم السابق يتكلم ويفكر كرجل انجليزى وهو كذلك فى كل نواحيه لولا انه لا يلبس القبعة ، ويكره مربة المرملاد ولا يغنى فى الحمام . ولقد كان فصيحاً ظريفاً جذاباً . وهو محبوب جداً فى دوائر الانجليز . كما أنه حازم جداً فى أداء واجباته . . وقد كان يميل إلينا . ولكننا بدل أن نشجع هذا الميل أخشي ان نكون فقدنا على الاقل جانباً كبيراً من عطفه علينا)

وأشار الكاتب الانجليزى المعروف دوجلاس سليدن (D . Sladen) الى حمدى بك سيف النصر في كتابه (مصر والانجليز) "Egypt and the English" فى باب وصف رحلته الى السودان مع طائفة من كبار الانجليز وزيارته لأم درمان وذلك فى مستهل القرن الحالي قال :

(وهناك استقبلنا حمدى مأمور أم درمان الكابتن بالجيش المصري ومعه الشيخ صالح جبريل متعهد توريد الجمال والحمير لحكومة السودان. وكان سرورنا بزيارة أم درمان قد ازداد جداً بانتداب السردار للمأمور كى يشترك مع الكابتن إمرى فى العناية ينافى ذلك اليوم البهيج . فلقد كانت معرفة المأمور الدقيقة بالسودانيين ولباقته وحزمه فى تصريفهم وادارة شؤونهم قد جعلته من أعظم الضباط مكانة ومنزلة فى الادارة بالسودان . وهو يتكلم الانجليزية كأحد أبنائها وقد استطاع ان يجيب بدقة نادرة على كل سؤال وجهه فضولنا وحب استطلاعنا)



سوق الصمغ فى دردب

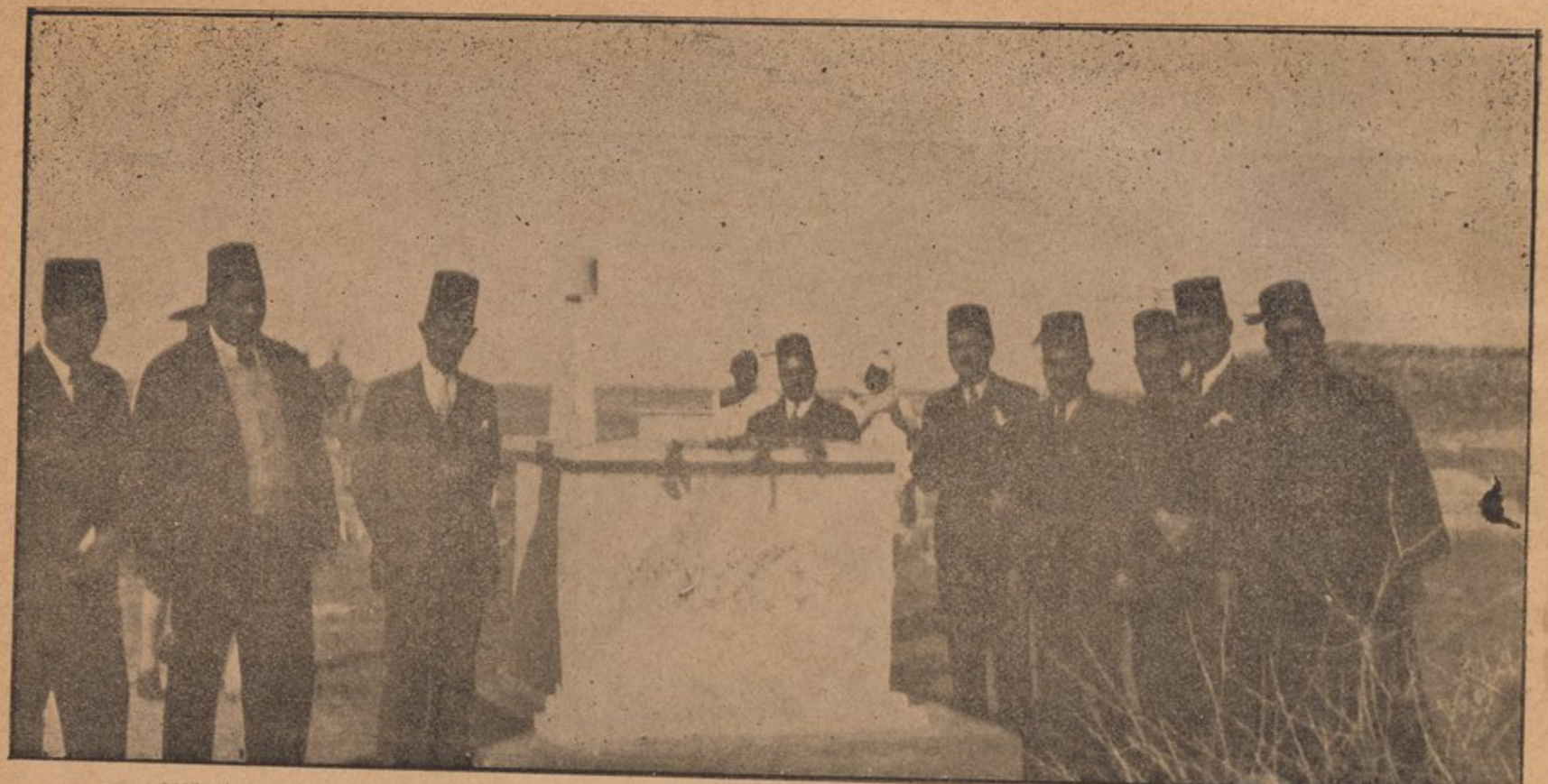

لفيف من أعضاء البعثة عند قبور الضباط المصريين بام درمان صباح يوم الجمعة ١٥ فبراير سنة ١٩٣٥
ويرى من اليمين حضرات : عبد المجيد السيد محروس . على شكرى خميس - فؤاد أباظه . محمد عبد الرحيم سماحة . عبدالله حسين أمام القبر .
عبد الحميد فتحى بك . عبد الرحمن نوفل . مصطفى أبو العلا

في ادارة الحكم والاعمال

القطارات ـ التلغرافات ـ الملاريا ومرض النوم والحميات

النولون ـ منع الخمور ـ حكام السودان وكبار موظفيه

جوازات السفر ـ زيارة مزارع القطن بالجزيرة

لزام على الكاتب عن السودان ان يتكلم عن إدارة حكومته ووظائفه وحياته الصحية الخ . ولذا ننشر فيما يلى بعض البيانات المفيدة .

القطارات السودانية

سبق لى أن اشرت الى أن مركبات مصلحة السكك الحديدية السودانية ، خير من مركبات مصلحة السكك الحديدية المصرية ، نظافة ووسائل راحة . غير أن أجور السفر غالية ولاسيما فى الدرجة الاولى ، ولكن فى السكك الحديدية أربع درجات : الاولى والثانية والثالثة والرابعة ، فاجرة السفر بالسكة الحديد بالدرجة الاولى من الخرطوم الى الشلال ـ التى هى تابعة للحكومة المصرية ـ ١٣ جنيها و٧٩٠ مليما وفي الدرجة الثانية ٩ جنيهات و٢٣٥ مليما ، وفى الدرجة الثالثة ثلاثة جنيهات و ٤٢٥ مليما ، ولاتوجد درجة رابعة . لان الخط من وادى حلفا الي الشلال هو خط نهرى بواخر نيلية تمكث من الساعة الثامنة مساء الى ظهر اليوم الثالث ـ أي ٤ زائد ٢٤ زائد ١٢ تساوى ٤٠ ساعة والاجرة من الخرطوم الى وادي حلفا ـ ٨ جنيهات و ١٩ مليما بالدرجة الاولى وخمسة جنيهات و ٧٥٣ مليما فى الدرجة الثانية وجنيهان و٨٦٥ مليما فى الثالثه ، و٨٨٠ مليما فى الدرجه الرابعة والفرق بين الدرجة الثالثة والرابعة قليل فمركبة الدرجة الثالثة تماثل مركبة الدرجة الثالثة المصرية من جهة المقاعد ، اما الدرجة الرابعة فلها مقعد طويل فى كل جانب وفي الوسط مقعد مواز لامتداد المقعدين الجانبين . ويوجد بها زير يشرب من مائه الركاب

الفنادق والاستراحات

سبق القول إن الحكومة السودانية قد أنشأت فنادق وافية. ففى الخرطوم « فندق الجراند أوتيل » ، وفي بورسودان « فندق البحر الاحمر » ، وفى جوبا « فندق جوبا » ، وفى حلفا « فندق النيل » والى جانب ذلك أنشأت الحكومة « استراحات » . ونحن نعرف فى مصر ان الاستراحات تنشئها الحكومة المصرية لمبيت الموظفين المنتدبين فى الاقاليم ، وخاصة حيث لا توجد فنادق مطلقا أولا توجد فنادق لائقة ، ولكن فى السودان قد انشئت استراحات المسافرين — وخاصة فى العطبرة وكوستى والابيض واركويت وسنار ، ولكل استراحة خادم ، وأحيانا يكون طاهيا يقدم الطعام للمسافرين وأحيانا يكون بيت الاستراحة فى الخيام لصعوبة البناء ، أو ضرورة نقل موقع الاستراحة بسبب تغير الفصول والطقس . ولموظفى الحكومة الذين ليسوا منتدبين الحق فى تخفيض قدره عشرون فى المائة ، والمنتدبين مجانا

نولون السكك الحديدية

من آفة التجارة فى السودان ارتفاع أجور شحن البضائع بمركبات السكك الحديدية وبواخرها النهرية . وقد اهتمت البعثة المصرية بمباحثة مدير الشؤون الاقتصادية واللجنة التجارية السودانية فى هذا الموضوع

جوازات السفر

على كل راغب فى دخول السودان الحصول على جواز سفر أو على الاقل تذكرة مثبتة لشخصيته وأيضا عليه أن يحصل على ترخيص بدخوله وليس بكاف حصول الاجنبى على « تأشيرة » قنصل مصري أو بريطاني ، بل لاضرورة لها .

وتقدم الطلبات للحصول على تصريح بزيارة السودان أما الى السكرتير المدنى « الملكى » بحكومة السودان — واختصاصه يماثل اختصاص وزير الداخليه عندنا — أو إلى وكيل حكومة السودان بالقاهرة أو إلى مكتب حكومة السودان فى لندن . ويصدر الرد بالاجابة أو الرفض . والعادة أن يصدر بالاجابة ، الافى ظروف استثنائية

وقد وضعت قائمة باسماء حضرات أعضاء البعثة المصرية بالسودان وارسلت الى وكيل حكومة السودان في القاهرة . وعلى كل مصرى أن يبلغ هذا الوكيل أو حكومة السودان بالخرطوم مباشرة رغبته فى السفر ، فترد عليه بالقول بغير حاجة الى جواز سفر

اشتهر السودان بانه موطن لمرض النوم والملاريا والحميات وطالما أحجم الكثيرون عن زيارته او الاقامة به لهذا السبب . غير ان هذه الشهرة فى الواقع لامحل لها . لأن مرض النوم والملاريا يوجدان فى انحاء معينة وهى الجزء الاقل من السودان . فهو في جنوبي السودان ، وغربيه وخاصة حوالى بحر الغزال ولدي منابع النيل ، والسبب فى ذلك أن بتلك المنطقة مستنقعات وبحيرات وانهارا واخوارا عديدة ، يأسن فيها الماء فتكون موطنا للبعوض والناموس ، ويجب على المسافرن اتباع التعليمات الحكومية للوقاية وللسير في طرق معينة

وتنتقل عدوى الملاريا بواسطة ناموسة (الأنوفولين) . ويجب الأتقاء منها بعدم التعرض لعضاتها ، وإذا كان لامناص من ذلك ، يجب أخذ خمسة جرامات من الكينين يوميا وتبدأ الملاريا بقشعريرة ووجع رأس شديد وأحيانا بالقيء ثم ترتفع درجة حرارة الجسم وقد يلتهب الجسم ، ويزداد القيء وألم الرأس . ويمكن أخذ الكينين يوميا ثلاث مرات فى اليوم والاسبرين (لتخفيف ألم الرأس فقط) فى حالة عدم وجود طبيب

وتوجد حميات أخرى مثل حمى الماء الأسود « البلاك ووتر » ودودة غينيا والحمى الملطية ، ومن حسن الحظ أن الهمة مبذولة لانشاء المستشفيات الواقية فى السودان

منع الخمور

محرم على السودانيين تعاطى الخمور . على أن تصدير الخمور الى السودان مباح بشرط الحصول علي ترخيص من وكيل حكومة السودان فى مصر ، ورخصة الحانوت الذي يبيع الخمور تكون خمسين جنيها على الاقل وفى بعض البلاد يحرم أعطاء رخص بتاتا . ولكن السودانيين أنفسهم محرم عليهم شرب الخمور حتى من الحوانيت المصرح لها ببيع الخمور

أجور التلغرافات

أجرة التلغراف بين مصر والسودان قرش صاغ عن كل كلمة

ويوجد تليفونات فى مدن السودان للاستعمال داخل المدينة أو مع البلاد المجاورة . ولا يوجد خط تليفوني بين الخرطوم والقاهرة . وهذا نقص كبير يجب تلافيه

حكام السودان

كان حاكم السودان قبل الثورة المهدية يسمى حكمدار السودان وتعينه الحكومة المصرية وبعد استعادة السودان اصبح يدعى الحاكم العام للسودان والى سنة ١٩٢٤ كان الحاكم العام يلقب فى الوقت نفسه سردار الجيش المصرى وأول حاكم عام وسردار للسودان بعد استعادته هو الفيلد مارشال الايرل كتشنر باشا من ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ حتى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ وخلفه الجنرال سير فرانسيس ريجلاند ونجيت من ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٩٩ حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٦ حيث عين نائبا لملك الانجليز في مصر وخلفه، سيرلى ستاك باشا من أول يناير سنة ١٩١٧ حتى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ حيث قتل ، ثم سير جوفرى ارشر وقد عين فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ الي ١٧ اكتوبر سنة ١٩٢٦ فخلفه سير جون مافى فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٦ الى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٣ ، حيث خلفه الحاكم العام الحالي اللفتننت كولونيل سير ستيورت سايمز ، وهو تحت رياسة واشراف فخامة سير مايلز ويدربورن لامبسون ، لان لقب فخامته « المندوب السامى لمصر والسودان » ، وبمقتضى هذا اللقب يزور كل مندوب عام جديد السودان فى أول تعيينه . وقد كانت زيارة فخامته هى الزيارة الحالية فى فبراير سنة ١٩٣٥ وكبار الموظفين المدنيين فى حكومة السودان جميعاً من الانجليز . وهم القائد العام للجيش والسكرتير القضائى مستر بيل والسكرتير المالى مستر روجمان والسكرتير المدني مستر جيلان ، ومستر لاش وكيل حكومة السودان بالقاهرة ، ومراقب مكتب حكومة السودان بلندن مستر هاول، ومساعد السكرتير القضائى مستر جورمان ، ومدير الزراعة والغابات مستر كاميرون ،والمراجع العام مستر هيرالى رئيس القضاء مستر أوين ومدير الجمارك مستر بنيت ومدير التجارة والاقتصاد مستر ديفز (نقل لبلدية الاسكندرية) وسكرتير المعارف مستر وينتار

ومدير الري مستر روبرتسون ، ومدير الاراضى والمسجل العام مستر ايفانس ، ومدير المصلحة الطبية مستر بريدي ، ومدير التلغرافات والبريد مستر توملين ومراقب الأمن العام والمخابرات مستر بيني — وكان سلاطين باشا يتقلد هذا المنصب بعد استعادة السودان ، ومدير السكك الحديدية مستر املي ومدير المخازن مستر جنت ومدير مصلحة الطب البيطرى مستر ويليامز ومدير معامل الابحاث الاستوائية سير روبرت شيبالد ومدير الاشغال مستر لوجين

وقد اتيحت لي الفرصة للتحدث مع الكثير من حضراتهم فعرفت انهم من خريجى الجامعات ومن الاحرار وأنهم خير من سلفهم وانهم يقدرون الأمور تقديرا صادقا ، وأنهم أكفاء وإداريون نزيهون

وهناك ثلاثة مناصب دينية عالية الاولى — قاضي قضاة السودان حضرة صاحب الفضيلة الشيخ نعمان الجارم نائب رئيس محكمة طنطا الكلية الشرعية سابقا وقد حصل تقليد جديد عند تعيين فضيلته — ذلك انه كانت العادة الغالبة تجرى أن تعين الحكومة المصرية قاضى قضاة السودان — وقد تقلده من قبل أصحاب الفضيلة الشيخ محمد شاكر والشيخ مصطفى المراغى والشيخ قراعة — ولكن عندما عين فى سنة ١٩٣٢ فى عهد الوزارة الصدقية اشترطت حكومة السودان أن تتولى هذا التعيين ، فيعد مفصولا من خدمة الحكومة المصرية ، وتعينه حكومة السودان تعيينا . وكانت حكومة السودان تطلب قبل ذلك أن لا تعين الحكومة المصرية أى قاض لقضاة السودان ، ويكون تعيينه من القضاة الشرعيين السودانيين ، فوافقت الوزارة الصدقية أن تتولى حكومة السودان التعيين ، واحتفظت بان يكون المعين من القضاة الشرعيين فى المصريين . ولمصر أن تفتخر بالشيخ نعمان الجارم فهو نبيل الاخلاق ومحل احترام الجميع

والمنصب الثانى — هو منصب شيخ العلماء ويتولاه فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو دقن — ويماثل هذا المنصب منصب شيخ الجامع الازهر . والشيخ أبو دقن من مواطنينا السودانيين عالم فاضل شجاع صريح

والمنصب الثالث هو منصب المفتى ونائب قاضى القضاة ، ويتولاه فضيلة الشيخ أحمد السيد الفيل ، وهو رجل عذب الحديث قوى الحجة

* * *

ارجع بعد هذا بالقاريء قليلا لأحدثه عن مسألة مهمة :

وهى زيارتنا لمزارع القطن فى أرض الجزيرة وحالة القطن السوداني

اقلتنا السيارات من واد مدنى الى تلك المزارع ومعنا مستر اسكويث من كبار مساهمى الشركة التى تستغل تلك الاراضى وبعض مديريها وكبار موظفيها الانكليز

وقد بدأنا أولا بزيارة مكتب الشركة فى أم درمان ، حيث اطلعنا على خريطة تبين مجرى النيل الازرق والاراضى المزروعة والقابلة للزراعة والتى لاتصلح للزراعة لأن الارض عالية والماء واطىء . ثم مررنا بالمزارع وعدنا الي واد مدني الساعة العاشرة صباحا

يرجع تاريخ زراعة القطن فى السودان الى عهد استعادته بقيادة اللورد كتشنر باشا ، فقد رأى أن هناك أرضا فى السودان صالحة لزراعته . فبين سنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٦ زرع ٣٠٠٠ فدان فى حوض الزيداب قريبا من الخرطوم

وذلك لأن الارض خصبة والماء قريب من سطح الارض ، حيث أنشئت طلمبة للرى . وقد زادت المساحة شيئا فشيئا فزرع ١٥ الف فدان واقيمت طلمبة عند بلدة طيبة ، وأنشئت طلمبة أخرى عند بلدة بركات . فكان الرى في أطيان هذه البلاد — وهى بارض الجزيرة — يروي بالطلمبات .

ورأت حكومة السودان أن تتابع سياسة تعميم زراعة أرض الجزيرة وأنه فى سبيل تحقيق هذا الغرض لابد من إنشاء خزان على النيل الأبيض ، فوضع مشروع بناء خزان سنار ، ثم وقف تنفيذه بسبب الحرب ، واستمرت الحكومة في سياسة إنشاء طلمبات . وبعد الحرب تجدد الاهتمام باقامة خزان مكوار ، وتعاونت حكومة السودان مع نقابة شركة أراضي الجزيرة في تنفيذه ولهذا الغرض اقرضت الحكومة الانجليزية ، الشركة مبلغ ١١ مليونا ونصف مليون من الجنيهات بضمان الحكومة السودانية . وفى سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ تم انشاء الخزان واقيم احتفال عظيم بافتتاحه ، ودعيت الصحافة المصرية اليه وكان يمثلها حضرة الدكتور محمد حسين هيكل بك ، الذى وضع كتابه « عشرة أيام في السودان » لمناسبة هذه الزيارة .

ويتضمن مشروع الجزيرة ، فوق انشاء الخزان ، الذى عرف منذ سنتين باسم خزان سنار بدلا من اسم خزان مكوار ، شق ترعة رئيسية تستمد ماءها من النيل عند الخزان . والمشروع الاجمالى يتضمن زراعة ثلاثة ملايين فدان

لأنها المساحة القابلة للزراعة ، ولما كانت مساحة الجزيرة أربعة ملايين فدان فانه سيظل هناك مليون فدان لايقبل الزراعة وكانت المساحة مقيدة بزراعة ٣٠٠ الف فدان ، ولكن الانذار البريطانى سنة ١٩٢٤ قضي بزراعة كل المساحة أما ماتم اعداده فعلا فهى مساحة تتراوح بين ٧٥٠ الف فدان و ٨٠٠ الف فدان ولكن الشركة تؤثر الزراعة على طريقة الدورة الرباعية ، بمعنى أنها تزرع ربع هذه المساحة قطنا سكلاريدس ، أو ١٨٠ الف فدان فى كل سنة ، وفي السنة التالية لاتزرع المساحة التى زرعت بل تزرع ربعاً آخر ، وذلك لانه بهذه الطريقة تكون النفقات قليلة جداً ، ولأن الزراعة في الجزيرة تقوم على أساس الرى بالراحة ، خصوصاً لقلة اليد العاملة .

وتزرع شركة كسلا من هذا الربع نحو ٢٠ الف فدان ، لأن الحكومة السودانية قد وضعت يدها على منطقة كسلا ، واعطت الى شركة كسلا مساحة أخري في أرض الجزيرة وقد زرعت الحكومة ٢٨ الف فدان فى كسلا

والجزء الذى لا يزرع ولا يقبل الزراعة يقع من جنوبى الخرطوم فى مساحة طولها ٥٠ كيلو مترا ومن سنار في مساحة طولها ٥٧ كيلو مترا . وتوجد بالجزيرة أيضا عند جندل ، أراضى بها سماحة السير السيد عبد الرحمن المهدى ، وتبلغ ١٤٠ الف فدان يزرع منها ٥٠٠٠ فدان

وتجود أرض الجزيرة في المتوسط بمقدار ٣ ٣/٤ قناطير فى الفدان وتنتج كمية ٦٠٠ الف قنطار ، فاذا أضيف الي ماينتجه ٢٨ الف فدان في نهر الجاش و ٣٢ الف فدان فى طوكر ، وما تنتجه أطيان السيد عبد الرحمن المهدى والاراضى المزروعة قطنا أمريكيا أمكن القول بان ماينتجه السودان من القطن حوالي ٨٢ الف قنطار

والقطن السودانى — إلا القليل — هو من السكلاريدس ولكنه استنبت نخرج منه صنف من فصيلته باسم « اكس ١٥٣٠ » به مناعة ضد مرض التواء الاوراق أو مرض البلاك آرم . ويتنشر هذا المرض بسبب غزارة الامطار فى يوليو واغسطس .

ولما كان بارض الجزيرة املاح تعطل سير رى بذور شجيرات القطن وتصريف الماء ، فقد انشئت مصارف سطحية لتصريف الماء ، ولكن ليس من الممكن انشاء مصارف لأن أرض الجزيرة طينية ثقيلة وتقوم معامل الشركة ببحث هذه

المسألة : والاخصائيون فيها يؤملون النجاح

وتبدأ زراعة القطن في السودان في يوليو ويبدأ الجنى فى ديسمبر ويستمر حتى شهر مايو ، ومن حسن حظ السودان انه لا يعرف مسألة خلط القطن ، لأن المزروع من السكلاريدس الا القليل ، ولذا لامحل للخلط بين الاصناف مادام الصنف واحداً يفهم

ولا تزال الطلمبات السابق انشاؤها قائمة وينتفع بها لرى الحدائق وفى زمن التحاريق

ويلاحظ أن النيل الازرق أعلى من النيل الابيض ، وأن الترعة الرئيسية التى تنتفع من خزان سنار تستطيع ري ٣ مليون فدان . وزراعة ٤٠٠ فدان لأجل انتاج بذرة تكفى لزراعة أرض الجزيرة

تقرير بوليس الخرطوم

وصلت جملة البلاغات الى ٩٠٤٦ بزيادة ٧٠١ عن سنة ١٩٣٣ . وبلغ عدد الذين ألقى عليهم القبض من جراء هذه البلاغات ٤٠١٠ أشخاص كان نصيب مدينة الخرطوم ثلث هذا العدد

القضايا الجنائية

ونظرت المحاكم الجنائية فى مراكز مديرية الخرطوم ١٥٥٢٥ قضية حوكم فيها من الاشخاص ١٠٠٦٢ أدين منهم ٨٤٦٧ فكانت الزيادة ٨٦٥ عن سنة ١٩٣٣



أعضاء البعثة فى السودان

وبلغت حوادث السرقات ١٠٧ فى سنة ١٩٣٤ يقابلها ١٠٨ فى سنة ١٩٣٣ على أنها كانت فى سنة ١٩٣٢ قد وصلت الى ٤٩٨ وفى سنة ١٩٣٤ وقع الجزاء فى ٤٣ حادثة وبلغت قيمة الاشياء المسروقة فى هذه السنة ٢٦٥٧ جنيها و٦٣٩ مليما استرد منها ماقدر بـ٦٤٧ جنيها و٣٦٥ مليما وهو ما يوازى الربع

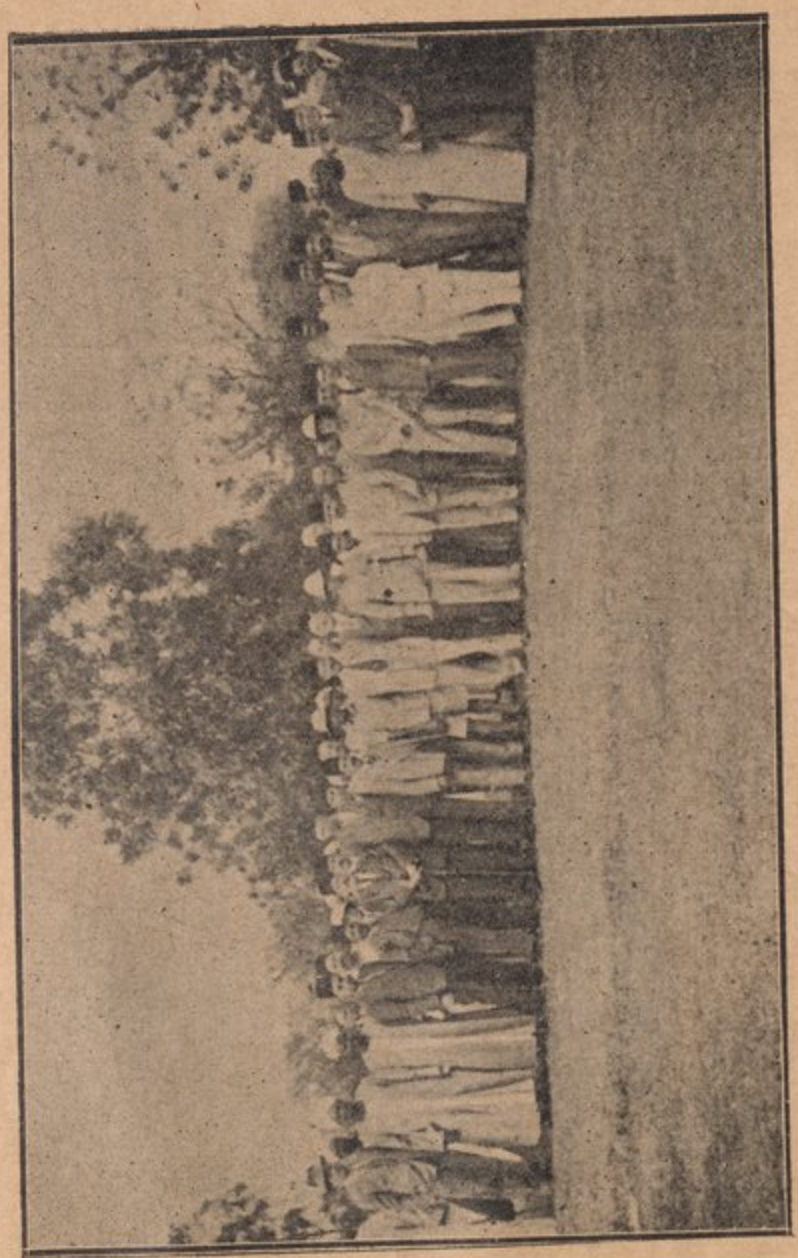

البعثة فى كوستى

حوادث القتل

حدث من جرائم القتل فى مدينة الخرطوم ٩ حوادث وألقى القبض من أجلها على ١٤ شخصاً وانتهى فيها التحقيق الي الحكم بالأدانة على ٧ وتم الصلح في واحدة منها على يد المحكمة الاهلية وهى قضية ولد صغير مات من ضربة ولد آخر فى سنه تقريباً وقد حصل ذلك فى أثناء اللعب. والقضية الثانية قضية مجرم اعتاد الاجرام وله سوابق عدة وقد وجد مقتولا خارج مدينة أم درمان ولا يزال التحقيق والبحث جاريين لمعرفة الأسباب

وعطف التقرير على حوادث الحرائق وقد أبان ما أداه البوليس من خدم ممتازة فى إطفاء الحرائق وذكر قيامه بواجبه خير قيام . وقال : ان ٣٤ حادثة حريق حصلت فى بحر سنة ١٩٣٤ فقد فيها ماقيمته ٥٥٣ جنيها و ٢٥٠ مليما . ثم تناول التقرير حوادث الاصطدام وقرر أن هنالك زيادة مطردة فى اصطدام العربات وقال : بلغت هذه الحوادث ٢٧ حادثة فى سنة ١٩٣٢ و ٧٥ فى سنة ١٩٣٣ وفى سنة ١٩٣٤ بلغت ٩٤ منها ٦ حوادث مميتة وعلق على التقرير بما يأتي : —

يلاحظ القارىء أن البوليس متقدم فى أعماله متمش مع التقدم فى العمران ولكن الزيادة المطردة فى عدد حوادث الاصطدام وفى مدن شوارعها واسعة كالخرطوم وأم درمان والخرطوم بحرى مما يستلفت النظر ويدعو حقاً الى البحث وراء السبب الحقيقى واستنباط الطرق التى يجب اتباعها لمنع هذه الزيادة والمحافظة على الأرواح .



السكرتير الادارى المستر . ا . جيلان

الادارة والقضاء فى السودان

كان بين القضاة المصريين فى السودان حضرات أصحاب العزة عبد الحليم الحديني بك القاضى الآن بمحكمة اسيوط الابتدائية الاهلية وكان قاضيا للخرطوم. وكان توفيق وهبي بك قاضيا لخرطوم بحرى، وكان محمد حسن العشماوي بك «وكيل المعارف الآن» قاضيا بام درمان

ويصدر الحكم القاضي الجزئى ويستأنف أمام المحكمة العليا وتتألف من قاض واحد وهو انجليزى وتستأنف أحكامه أمام محكمة الاستئناف وهى مؤلفة من ثلاثة بريطانيين

ومن القواعد القضائية امكان صدور الأحكام التالية :

١ — حكم بتحديد نقط النزاع . وهو قابل للاستئناف

٢ — اذن برفع الدعوي ، تفاديا من رفع الدعاوي الكيدية وارهاق المحاكم . والقرار برفض الاذن قابل للاستئناف

* * *

تظلم الى سيرلى ستاك باشا حاكم عام السودان أحد المتقاضين مرة من حكم أصدره العشماوى بك قاضى محكمة أم درمان . فأرسل ستاك باشا الى العشماوى بك كتابا رقيقاً ومعه التظلم ، وقال فيه أنه يرجو أن يسمح القاضى بأن لا يعد الكتاب تدخلا فى شئون القضاء

قضية يفصل فيها فى يوم واحد — يجيز القانون للقاضي أن يفصل فى الدعوى حالا . وانه اذا حضر شخص للقاضي وأقام الدعوي شفويا ودفع الرسم ٥ فى المئة يدون محضر بالطلبات مع اعلان الخصوم بالتلغراف أو التليفون

حضر مرة أحد تجار الماشية أمام المحكمة وكان له دين قبل تاجر موسر، وتظلم. فدون العشماوي بك محضراً بالطلبات. وقال المتظلم إنه غريب ولا يستطيع الاقامة فى أم درمان وعليه أن يسافر ، وأن غريمه تاجر موسر ، فتكلم العشماوى بك بالتليفون مع مأمور المركز بطلب الخصم ، فحضر حالا وسمع أقواله وصدر الحكم ، ونفذ عقب صدوره . كل ذلك في يوم واحد

ومما يساعد على تنفيذ الاحكام أن المحكوم عليه بدين يجوز حبسه لوفاء الدين

وتطبق فى المسائل المدنية . قواعد العدل والانصاف . غير ان هناك مسائل لها تشريع خاص . كالكمبيالات والشفعة .

ومن تبسيط الأجراءات أمام المحاكم أنه إذا أقام شخص دعوي أمام محكمة غير مختصة « مركزياً مثلا » . كما اذا أقام الدعوى فى القاهرة بينما المدعى عليه فى اسوان ، أمكن للمدعى عليه أن يقدم لقاضى محكمة أسوان اعلان الدعوي وان يدلى أمامه بدفاعه . فيدون القاضى محضرا بذلك ويرسله الى قاضى القاهرة



حفلة الشاى فى القناطر تكريماً للبعثة

قانون العقوبات

متأثر بقانون العقوبات الهندي وهو قائم على أساس شرح الجريمة . ثم ضرب الأمثال عليها . ويجوز للقاضى الابتدائى أن يحضر أمام الاستئناف ويدافع عن حكمه .

وكل الأحكام قابلة للتنفيذ حالا . وللقاضى أن يوقف تنفيذها ويجوز رد القضية للمحكمة لاعادة الفصل فيها

ومكث العشماوى بك من أغسطس سنة ١٩١٧ الي سبتمبر سنة ١٩١٩ فى السودان . وكان منتدبا من الحكومة المصرية . ثم أعيد للقضاء الأهلي ثم عين استاذاً للمرافعات بكلية الحقوق وأخيراً سكرتيراً للمعارف فوكيلا لها

بونهام كارتر السكرتير القضائى — هو واضع النظم القضائية فى السودان تحسب كل سنة في خدمة السودان بمقدار سنة ونصف فى المعاش . وبمقدار سنتين قبل خط عرض ١٢°



الدكتور رياض شمس المحامى
وعضو المجمع الدولى للقانون الجنائى بباريس
وعضو البعثة المصرية فى السودان



القمص يوحنا سلامة
وكيل الشريعة القبطية ومدير
مدارس الاقباط بالخرطوم

الأندية السودانية بمصر

رأي أخواننا السودانيون المقيمون بمصر أنه لابد لهم من رابطة تجمع شملهم وجامعة تضم شتاتهم ، فأنشأوا فى مدينة القاهرة ناديا يقع في الدار رقم ٣ بميدان سليمان باشا ، يرأسه حضرة الشهم الوجيه الغيور السيد « على البرير » سليل أسرة « البرير » المشهورة بالتجارة والفضل وتوثيق العلاقات بين مصر والسودان . وللنادى مدرسة لتعليم الفقراء وعيادة طبية ، ودار أنيقة ، وله مجلة ومجلس إدارة ولجان ، وعلى رياسته الفخرية حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون ، وعلى وكالته الفخرية صاحبا السيادة الزعيمان السودانيان الكبيران السير السيد على الميرغنى والسير السيد عبد الرحمن المهدى

وتقام بالنادى حفلات شاى وتكريم للضيوف والمبرزين ، وفى المناسبات كعيد رأس السنة الهجرية . والنادي مستعد لتزويد الطالبين بما يريدونه من معلومات عن السودان .

ومن كبار أعضاء النادي السودانى بالقاهرة

على افندي البرير ، محمود ابو العلا ، الشيخ خضر الحاج على ، الشيخ محمد وحش ، الدكتور الدرديرى احمد اسماعيل ، محمد عبد الهادى عطية ، السيد نورالدين ، على القوصي ، الحاج حسن خيري ، خليل عامر ، سيد طه ، سليمان أحمد خليل ، علي محمد نور ، حسين منصور ، توفيق احمد ، محمد الحسن مصطفى ، ادريس شريف ، ادريس عبدالحى ، عبدالعزيز ماجد ، توفيق سراج ، محمد احمد صابونة ، سليمان على ، حسن محمد نور ، الشيخ حسن محجوب ، سليمان داود ، بشير عبد الرحمن ، فاضل حامد ، محمد عبدالله الخطيب ، عوض سيدون الشيخ محمود حسن ، سليمان احمد قاسم ، شريف عبد الجليل ، صديق فضل بشير ، محمد محمد اسماعيل ، الشيخ يوسف ادريس ، حسين عبد الكريم ، حسن متولى محمد ، عبدالمجيد محمد على القاضي ، عبدالحميد محمد على بدوى ، احمد عمر أبوبكر ، عبد اللطيف الحاج بشير ، حسن على محمد ، السيد احمد رشوان ، محمد عثمان جبر ، ابراهيم ادريس ، محمد ابراهيم قاسم ، الحاج محمد عبدون ، محمد عثمان محمد ، ابراهيم محمد داود ، أمين محمد أمين

وحضراتهم بين تجار وأدباء وطلبة نابغين ، يسودهم الوفاق .

* * *

وقد أنشيء فى هذا العام ناد سودانى بالاسكندرية

أعيان السودان وتجاره

حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى كبير أعيان السودان وأحد علمائه الأعلام ورئيس الطريقة الميرغنية فى القطرين السوداني والمصرى ورئيس الوفد السودانى الذى سافر الى لندن في يولية سنة ١٩١٩

وحامل نيشان القديسين ميخائيل وجورج من درجة فارس ونيشان فيكتوريا من درجة فارس

حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السير السيد عبدالرحمن المهدى كبير منتجى السودان ونجل المهدى الأكبر وزعيم المهديين فى السودان وأحد أعضاء الوفد السودانى الذى سافر الى لندن سنة ١٩١٩

وحامل نيشان الامبراطورية البريطانية من درجة فارس ونيشان فيكتوريا من درجة رفيق

حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب الشريف يوسف الهندى أحد كبار أعيان السودان وعالم من علمائه الاعلام وأحد أعضاء الوفد السودانى الذي سافر الى لندن سنة ١٩١٩

وحامل نيشان فيكتوريا من درجة رفيق ونيشان الأمبراطورية البريطانية من درجة عضو

* * *

ومن أعيان الخرطوم وتجاره الوطنيين، مهدى الشيخ الطيب ، محمد عبدالغفور ومحمد عبد المحمود ، خير الله صالح ، محمود حسن القبانى ، يونس نجم ، فارس ميشيل بك ، محمود على دياب ، هنري جيد ، عبدالرحيم هميمى، قرنفلى نصرالله، ابراهيم خليل بك ، محمد حسن السواحلي ، محمد أحمد صابر ، أمين محمد على علوب محمد محمد نور ، حاج على حسين ، عابدين عوض حسن ، عطا الله غبريال

ومن أعيان الخرطوم وتجاره الأجانب كوبانوس افستراتيو ، كانيفانيدس ديمتري ، سيروجتيس الكسندر ، جورج تريزيس ، أرشاك جورج ، الكسندر قاريانوس ، هاجوب أصلانيان ، زافولاس جورج ، جورج اشخنيان ، الدكتو بريدو ، ديموبوليس خاريس ، كونتوميخالوس

ومن اعيان وتجار العطبرة الوطنيين : مختار عبد الهادى ، الزبير محمد حسن

مجذوب محمد عبدالكريم ، محمد احمدالقوصي ،أنطون طباخ،ساويرس محروس، حميد الشيخ احمد ، محمود محمد عاشور ، عبد الهادي عبد المجيد القباني ، وديع أندراوس سيدهم ، محمود محمد الأبس ، صالح محمدعبدالله الرجاجى ، محمودمحمد عثمان ، محمد ابو عجور ، عباس ابو العلا ، بابكر احمد الشيخ

ومن الأعيان والتجار الأجانب فى العطبرة . أنطونو بولو ، لورانزانو كاتسوليدس ، انطون سنكى ، ك . ب كريكور ،

ومن أعيان وتجار كسلا الوطنيين السيد احمد الميرغنى . السيد محمد حسن الميرغنى . السيد محمد الحسن ، السيد احمدالميرغنى

ومن التجار والأعيان الأجانب بكسلاشطاربهاح نارا ندوس رمجى سنجى . ويفكران لشراز . اريماكيس كوستيس . خاركيسونداس خوشال

ومن الأعيان والتجار الوطنيين بالابيض : عمرالتنى. عوض الكريم قرشي . ان النقا حسن . محمد احمد أمام . عوض خليل . محمد نور ناصر . أبو زيد حسن هلال . على الياس أبو ورقة . ماهر عبدالعزيزالقباني.جرجس جورجى

ومن التجار والأعيان الأجانب بالأبيض : رامجى سامجى ولينج جيمس وانطوياكيس نيقولا والدكتورملكسيان وديا كوبولوس عما نويل وكاهامجى همشاند ونقولا يسو مبونس

ومن الأعيان والتجار الوطنيين بأم درمان: ابراهيم عامر، صالح داود، جورج بغدادى بك ، احمد حسن هريدي ، ابراهيم فخرى القبانى ، عبدالله الحاج حسن سعد هنري جيد ، عبد المجيد حسن عبد المنعم ، عبد الله الدعينه ، بابكر احمد الشفيع ، احمد عبد القادر الوالى ، سيد احمد سوار الذهب ، السيد اسماعيل الازهري ، صالح عثمان صالح ، محمد الشنقيطى ، عبد القادر محمد العتبانى ، ابراهيم أحمد عطا الله . خالد أحمد سليمان . محمد حسين أبوجبل . مهدى الشيخ الطيب . دفع الله شبيكة . الأمين عبد الرحمن أرباب. حسن أبوالعلا . حسنين أبو العلا . عبد المسيح تادرس . نعمان جورج حداد . صالح داود .

ومن التجار والأعيان الأجانب بأم درمان. تربيهو فان مدهلال . الياس جارجا فليا وبتمزاكى ديمترى ، كارسنداس متشجان . ديار بيكربان أرتين . راتنجى خاليداس . هاركيساندا س خوشال . مارجوسيان برفانت

ومن الأعيان والتجار الوطنيين ببورسودان : علي يحي اليمانى ، وداعة الله احمد النيل ، درويش مصطفى ربيع ، حامد احمد عناني ، محمد السيد البربرى ، أبوبكر سعيد باعشر ، مسعود محمد ، دايم اليمانى ، عوض الله الحاج المصرى ، محمد آدم جندابى ، احمد سالم الرويعى ، السيد عمر الصافى ، عبدالرحيم كوردي ، طه مسلم ، العوض الشافعى ، البشره خلف الله ، عثمان محمد السمكرى ، حسين احمد شمس ، محمد سعيد باعشر ، حسين عبودى ، عمر محمد صالح بازرعه ، محمد زين صديق ، ناشد اندراوس ، تادرس عطيه ، محمد عمر بازرعه ، الشيخ عثمان عبد القادر ، ابراهيم على مرزوق ، مبارك سليم بشنين ، صالح جمعه ، مصطفى جيلاني رجب ، كامل عفاره ، عبد الماجد بشير ، أديب قربان ، احمد السيد البربري ، محمد صالح ضرار

أسماء تجار وأعيان بورسودان الأجانب : جوفرجى ناتال ، جادفجى فرشاند ، تريزيس بنايوتي ، جاجزيفان ويفكران ، سركيس توكاتليان ، شامولال بارماتاد ، جيثلال لافاشند ، بهاجفاندس جانيش ، فارنداس كابورشاند ، تروكوجياكومو ، جورج كيورس ، هازندروس مانولى ، بوبات نمشاند كمدار ، بيتامبر مانيلال شاخ ، جاسنداس ديفداس ، بيتروكى الكسندر . ديليس ثيودور

أسماء بعض أعيان وتجار وادمدنى الوطنيين شكري عبدالله النجار ، محمد احمد مصطفى الخضري ، احمد رمضان محمد ، يونس احمد ، محمد الامين الحاج ، عبدالمنعم محمد ، عبدالقادر اسماعيل ، ابراهيم الربح ، توفيق حبيب ، عبدالله احمد يحي ، جورج صايغ ، عمر محمد عبدالمجيد ، محمد بادا . شمس الدين الشافعى . ابراهيم احمد السنوسي . عبدالرحيم احمد . مصطفى عثمان . الحاج طاهر المنشد . راغب عبد الله دلال ، كوسة

ومن التجار والأعيان الأجانب بواد مدني : — نقولا روسو . اليكسندر الستاسياديس . باسيل أنطون بادرا . باندليس جورج . هاركيونداس خوشال . اليكسندر فيتالى . فاسيلى لمبروبولو . نقولا فوليانيتس . بابافاستاسيو جورج . قندلال كرمشارد



السير جون مافى حاكم السودان سابقاً



الفونس جريس بك مدير المباحث الزراعية بوزارة الزراعة سابقاً
وعضو بمجلس ادارة الجمعية الزراعية الملكية راجع ص ٤٦ من هذا الجزء الثالث

كلمة المؤلف الختامية

الآن نختتم الجزء الثالث من الكتاب ، ولا نزال نذكر الأثر الذي تركته البعثة ، وندعو زعماءنا ومواطنينا إلى مواصلة تأليف البعثات وزيارة السودان ففي زيارته فوائد شخصية للمسافر ، وفوائد عامة في باب تمكين الروابط بين مصر والسودان . ونرجو أن تتاح لنا الفرصة لتكرار زيارة بلاد لنا فيها ذكريات وبها مصادر حياتنا . ونشكر مواطنينا السودانيين على حفاوتهم ووفائهم ونتمنى لهم مستقبلا سعيداً .

١٥ اكتوبر سنة ١٩٣٥

عبد الله حسين

الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
١	٥	حضراء	حضرات
١	١٢	للجمعة	للجمعية
٢	٨	الفراء	القراء
١٠	٢٢	أول تكلم	أول من تكلم
١٩	٦	١٩٢٥	١٩٣٥
٣٢	١١	فى أواخر سنة	فى أواخر سنة ١٩٣٥
٤٤	٦	سنة	سنه
٤٤	٧	عماله	أعماله
٤٦	٧	فى سنة ١٩٠٩ ثم عين	وفى سنة ١٩٠٩ عين
٤٦	٨	في أول ابريل سنة ١٩١٥ ثم عين	وفى أول ابريل سنة ١٩١٥ عين
٤٦	١٠	بالجيزة وهو	بالجيزة سنة ١٩٢٤ وهو
٤٦	١٢	ونيشان النيل الرابع	ونيشان النيل الثالث
٤٦	١٨	مديرا لقسم الزراعة والاكثار	مديراً لقسم المباحث الزراعية
٥٠	١٩	قطار	قنطار
٦٩	١٢	المصريين	المصريون
٨٣	٢	وعن الخرطوم و ٤٩٥	وعن الخرطوم ٤٩٥
١٠١		حفلة موظفى كسلا	حفلة تجار كسلا
١١٩	٢	لاانتهز	لأنتهز
١٢٠	١٦	السودان الأعظم	السواد الاعظم
١٢٠	٢٢	مويتون	مدينون
١٢٠	٢٦	تحقيقه وللسودان	تحقيقه للسودان
١٢٠	٢٦	حاكم عام أثق كل الثقة	الحاكم العام الذى أثق كل الثقة
١٢٣	٢	القنام	القناة
١٢٤	١٨	يبأ	يبدأ

تابع الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
١٢٤	٢٢	سنة١٩٢٦ هذا العام ثمرى ثمانين	سنة ١٩٢٦ تم رى ثمانين
١٢٨	٦	للقيام	القيام
١٣٨	١٦	بابكرن	بابكري
١٤٩	٢٥	ثرورة	ثروة
١٥١	١١	مسير	مستر
١٥٢	٦	سمعتوه	سمعتموه
١٥٢	٧	قابلونا	قابلتمونا
١٥٢	٨	شئتم	جئتم
١٦٦	٢٤	اءنا لاخصاء	نداءنا للاخصاء
١٧٢	١٦	ووامدني	وواد مدني
١٨٤	٦	مسحر	سحرية
٢٠٠	١١	استقذ	استفز
٢٢٥	١٠	وألفى	وألقي
٢٨٥	٢٦	فلاعجبنا	فلاعجابنا
٢٨٨	٥	الزراعة	الزراعية
٢٨٩	٤	فؤاء	فؤاد
٣١١	٤	ينافى	بنا فى
٣١٥	١١	المسافرن	المسافرين
٣١٧	٢٠	فى المصريين	المصريين

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
كلمة المؤلف عن الجزء الثالث	١ — ١٥
الفصل الأول : الأمير عمر طوسون والسودان . ترجمة صاحب السمو الأمير عمر طوسون وبعض مآثره ومبراته ، مؤلفات سمو الأمير	
الفصل الثاني : كيف سافرت البعثة المصرية للسودان ، خطاب مسيو كونتو ميخالوس الرئيس الفخرى لغرفة السودان ، تصريحات سير مافي ، زيارات الشيخ أحمد عثمان القاضي ، الجمعية الزراعية الملكية ، أسماء حضرات أعضاء البعثة المصرية ، رشوان محفوظ باشا برنامج الرحلة ، المعرض الصناعى الزراعى لسنة ١٩٣٦	١٦ — ٣٤
الفصل الثالث : الاسرة الأباظية : لمحة عن أصلها ، وكيانها ، وتاريخها : فؤاد أباظة بك ، عبد الحميد أباظة بك ، عبد الحميد فتحى بك ، الفونس جريس بك ، الدكتور ابراهيم الشوربجى بك	٣٥ — ٤٧
الفصل الرابع : النقابة الزراعية المصرية ، الدكتور يوسف نحاس بك ، والمهندس مصطفى نصرت ، السيد احمد أبو الفضل وزارة التجارة والصناعة ، الوجيه عبد المجيد الرمالى ، محمد عبد الرحيم سماحة ، الوجيه على شكرى خميس ، الشقيقان محمد قاسم وأحمد قاسم الياس عوض بك ، عطا عفيفى بك ، أحمد الحناوى ، محمد حسين الرشيدى ، الدكتور محجوب ثابت ، الاستاذ فخري الزق ، البعثة المصرية : يوم السفر ، الوصول إلى السويس والابحار منها ، اليوم الأول من الرحلة : ركوب البواخر ، الجنس اللطيف ، طعام البواخر ، اسموكن . . !	٤٨ — ١٠٦
اليوم الثاني : عصاميون وعظاميون ، روح الجماعة والنظام ، رحلات الجماعات ، القطن فى مصر والسودان ، الدكتور محجوب ثابت	

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
اليوم الثالث : الوصول إلى بورسودان ، بيان البعثة بالتلغراف ، تحية البعثة : للاديب محمد حسنى العامرى ، ماذا رأينا ببورسودان ، اللجنة السودانية لاستقبال أعضاء البعثة ومرافقتها	
يوم طوكر وزيارة سواكن : توفيق بك بطل سنكات ، العودة إلي بورسودان ، من بور سودان إلى كسلا : فى سوق دردیب ، فى محطة كسلا زيارة كسلا وبيانات عنها ، البعثة في تسانايا وكسلا : زيارة تسانايا بارتيريا ، حفلة موظفى كسلا : خطاب الحسن العوضي ، خطاب أحمد البشير حسن ، محاضرة مدير كسلا	
الفصل الخامس : من القضارف الى سنار ، خطاب الشيخ محمد سيد ميزو ، كلمة فؤاد أباظة بك ، زيارة الشيخ حمد أبو سن ، عبد الرحمن مصطفى بقلع النخل ، أحراش وأشجار	١٠٧—١١٣
الفصل السادس : سنار — خزانها — سنجة ، غابات الخشب والقردة وصيد السمك والطيور ، فى سنار ، خزان سنار وافتتاحه ، كيف نفذ مشروع خزان سنار ، زيارة سنجة عند آل أبي العلا ، خطبة الوجيه مصطفى أبو العلا ، خطبة محمد عبد الرحيم سماحة ، العودة الى سنار ، صيد السمك ، حفلة شاى سنار	١١٥—١٣٦
الفصل السابع : من سنار الى الأبيض : موظفو الحكومة ، المستشفيات ، فى كوستى ، فى تندلتى ، خطبة السيد عبد المجيد الرمالى ، في أم روابة زيارة الابيض وبورصتها الكبيرة ، فى سوق الصمغ ، سوق لصمغ الابيض ، الفلاتة والحلبية ، مأدبة غداء وحفلة شائقة ، خطبة الوجيه محمد عبد الرحيم سماحة بالابيض ، خطبة السيد عبد المجيد الرمالى ، في القضاء الشرعى ، أخبار منوعة ، حفلة المسيو كونتوميخالوس ، قبائل تتحضر ومذهب العري .	١٣٧—١٥٧
الفصل الثامن : عند السيد عبد الرحمن المهدى ، مشروعات هندسة	١٥٩—١٦٧

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
وزراعية واسعة ، بالسيارات الى جزيرة آبا ، برقية الأمير عمر طوبسون الي السيد المهدى ، برقية شكر من السيد المهدى الى الأمير عمر طوسون ، الزواج والمهور	
الفصل التاسع : يوم عاصمة النيل الأزرق ، حفلات السودان . الرتب والنياشين ، حياة الأندية الاجتماعية والرياضية واليقظة . فى حقول التجارب ، خطاب زراعى ، فى محلج القطن ، فى نادى الموظفين ، فى النادى اليونانى ، فى النادي المختلط ، النادى الانجليزي التضمخ بالصندل	١٦٨ – ١٧٥
الفصل العاشر : أيامنا فى مدينة الخرطوم ، مأدبة عشاء أقامها كونتو ميخالوس ، حفلة الغرفة التجارية السودانية ، خطاب مسيو كونتو ميخالوس ، خطاب رشوان محفوظ باشا رئيس البعثة . خطاب فؤاد أباظة بك ، كلمة السيد عبد المجيد الرمالي	١٧٦ – ٢٨٧
زيارة خزان جبل الأولياء : حفلة الشاى عند السيد على الميرغنى . حفلة سمر بالنادى المصرى السياسة وخزان جبل الأولياء . تاريخ مشروع الخزان ، المعارضة الشديدة في انشاء الخزان . المشروع بعد الحرب ، لجنة المهندسين الوطنيين ، تقرير المستر ديبوى في مايو سنة ١٩٢٣ ، امكان تعلية الخزان ، نفقات الخزان . مزايا المشروع الحالى ، تقرير شفيق باشا لمجلس الوزراء سنة ١٩٢١ . عطاءات مشروع خزان جبل الاولياء ، مستعمرة خزان جبل الأولياء ، خزان جبل الأولياء والفيضانات العالية . بداية المشروع الى تنفيذه ، نفقات المشروع . المقاول الأصلى والمقاول الفرعى ، بداية العمل ونهايته ، اشراف المهندس المقيم . الحالة الصحية حالة يجب علاجها ، خطأ آخر ، محاضرة المهندس المقيم ، ملاحظة المؤلف على هذا الشرط ، كلمة بهى الدين بركات بك ، حفلة شاي	

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
السيد الميرغنى ، حفلة سمر بالنادي المصري ، تاريخ النادي المصرى، نموذج من أغاني السودان زيارات متنوعة : مدارس الأقباط بالخرطوم ونجابة تلاميذها ووجوب إعانتها ،مقابلة الحاكم العام ،مأدبة عشاء لتجار أم درمان، كلمة السيد الرمالى ، خطبة الوجيه مصطفى أبو العلا ، خطبة محمد عبد الرحيم سماحة ، في المكتبة القبطية ، اجتماع اللجنة التجارية حفلة خريجى المدارس بأم درمان، حفلة الصحافة . كلمة الشيخ عثمان القاضي ، كلمة فؤاد أباظة بك، كلمة الصحافه المصرية يلقيها المؤلف عند جبل السليتات وآثار أم درمان ، عملية قطع الأحجار ، مأدبة افطار ،استغلال المحاجر ، صناعة الأحجار قديماً. كلمة فؤاد أباظة بك ، في آثار أم درمان ، راتب المهدي ، فى المعهد العلمى شخصيات المتبرعين، مأدبة السيد البربر ،عند شيخ العلماء ،خطاب محمد بهى الدين بركات بك ، هدية عبد الحميد المهدي ، فى نادى الضباط الوطنيين ، في كلية غوردون ، الري المصري فى السودان فى محاكم السودان، عند آل هاشم ،شاى قاضى القضاة ، استقبال السيد الميرغنى ، محاضرة المؤلف ، خطاب الأستاذ عبد الرحمن طه ، خطاب السيد عبد الرحيم سماحة ، حفلة راقصة بالنادى اليونانى. توديع الخرطوم . قبور الضباط المصريين .فى دار السيد المهدى . مأدبة الغداء . تأليف لجنة مشتركة دائمة. زيارة قبور الضباط المصريين والسودانيين. من الخرطوم الي اسوان . خزان اسوان . تكاليف التعلية الثانية . من الاقصر الى القاهرة . وصول الفوج الأول من البعثة . شكر من الأزهريين السودانيين على صفحات الأهرام . الفصل الحادي عشر : بعد عودة البعثة ، حفلة الجمعية الزراعية واجتماع أعضاء البعثة المصرية برياسة الأمير عمر ، حفلة شاى	٢٨٨—٣٣١

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
لتكريم رئيس غرفة الخرطوم التجارية ، خطاب رشوان محفوظ باشا ، خطبة الوجيه على البربر ، كلمة المسيو كنتو ميخالوس ، كلمة حسين السيد أباظة بك . البعثة والغرفة فى العمل ، محاضر الجلسات بين البعثة المصرية والغرفة التجارية السودانية فى الشئون التجارية ، محضر الجلسة المنعقدة فى ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥ ، محضر الجلسة المنعقدة فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٥ ، محضر الجلسة المنعقدة فى ١٤ فبراير سنة ١٩٣٥ ، محضر الجلسة بين رئيس غرفة السودان التجارية ولجنة البعثة المصرية ومدير التجارة والاقتصاد بالسودان في ١٧ فبراير سنة ١٩٣٥ ، محضر جلسة ١٨ فبراير سنة ١٩٣٥ ، النتائج العملية لأبحاثها ، أجور نقل الحاصلات المصرية من السويس إلى أسوان . المصنوعات القطنية تخفيض نقل الطرود ، بين مصر والسودان الحاصلات السودانية فى إدارة الحكم والأعمال ، القطارات السودانية ، الفنادق والاستراحات ، نولون السكك الحديدية ، جوازات السفر ، منع الخمور ، أجور التلغرافات ، حكام السودان ، تقرير بوليس الخرطوم القضايا الجنائية حوادث القتل . الادارة والقضاء فى السودان . قانون العقوبات . الأندية السودانية بمصر . أعيان السودان وتجاره . كلمة المؤلف الختامية	

فهرس الصور

الصورة	رقم الصفحة
صورة كونتو ميخالوس رئيس شرف غرفة السودان التجارية	٢٠
« لفيف من أعضاء البعثة فى ميناء بورسودان	٢١
« رشوان محفوظ باشا رئيس البعثة	٢٦
« محطة الخرطوم	٢٩
« أعضاء البعثة فى ميناء بورسودان عقب نزولهم من الباخرة	٣١
« مكتب شركة مصر للسياحة ببورسودان	٣٤
« أعضاء البعثة على سطح الباخرة بالبحر الاحمر	٤١
« حضرة صاحب العزه فؤاد أباظة بك	٤٢
« الأستاذ محمد فكرى أباظة المحامى ورئيس تحرير المصور	٤٥
« عبدالحميد أباظة بك	٤٥
« عبدالحميد بك فتحى	٤٦
« الدكتور ابراهيم الشوربجى بك والشيخ البرير	٤٧
« الدكتور يوسف نحاس بك	٥٤
« المهندس مصطفى نصرت	٥٤
« السيد احمد أبوالفضل الجيزاوى	٥٦
« القارب الذي استقله الاعضاء في ميناء بورسودان	٥٦
« الوجيه عبدالمجيد الرمالي	٦٠
« الوجيه محمد عبد الرحيم سماحه	٦٠
« الوجيه على شكري خميس	٦١
« الوجيه احمد حسن قاسم	٦٢
« الياس عوض بك	٦٣
« عطا عفيفى بك	٦٤
« لفيف من أعضاء البعثة فى ممر الباخرة الى بورسودان	٦٤

تابع فهرس الصور

الصورة	رقم الصفحة
صورة الوجيه أحمد الحناوي	٦٥
« فابريقة الوجيه محمد حسين الرشيدى بالخليج المصري	٦٦
« الدكتور محجوب ثابت	٦٧
« الاستاذ فخري لوقا الزق المحامى بأسيوط	٦٨
« استقبال الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى	٧٢
« مزارع القطن في طوكر	٧٣
« فندق البحر الأحمر ببور سودان الذى نزلت به البعثة	٨٠
« الوجيه مصطفى أبو العلا	٨٣
« « قديس عبد الملك	٨٣
« فضيلة الشيخ أحمد عثمان رئيس تحرير جريدة حضارة السودان	٨٤
« مسيو توتنجى	٨٤
« وصول أعضاء البعثة الي ميناء بورسودان	٩١
« موسيقى فرقة العرب الشرقية بالقضارف تحيى البعثة	١٠٦
« سوق سودانية	١١٣
« بعض أعضاء البعثة في القضارف	١١٤
« لوحة خزان سنار	١١٧
« عملية قطع الخشب فى غابة القزازة فى سنجة	١٣٠
« الحناوة بالبعثة. حماس السودانيين	١٤٤
« الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدى	١٥٨
« أعضاء البعثة فى سرادق الحسيب النسيب السيد عبد الرحمن المهدي	١٦٣
« أعضاء البعثة أمام محلج وادمدنى	١٧٢
« أعضاء البعثة فى حديقة الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى	١٨٠
« أعضاء البعثة في سوق القضارف	١٨١

تابع فهرس الصور

الصورة	رقم الصفحه
« أعضاء البعثة أمام مكتب الجمعية الزراعية يتأهبون للسفر إلى السودان	١٩١
« أعضاء البعثة في رحلتهم	٢٠٨
« صاحب العزة بهى الدين بركات بك	٢٢٥
« قناطر تسينايا فى الأرتريا على نهر القاش	٢٢٦
« الوجيه عبد المنعم محمد التاجر الشهير بالسودان	٢٢٧
« الوجيه ابراهيم عامر بك التاجر الشهير بمصر والسودان	٢٢٧
« الوجيه السيد محمود مصطفى الجمال التاجر بمصر ودمياط	٢٢٨
« الوجيه عبد الرحمن نوفل التاجر بالاسكندرية	٢٢٨
« أتباع السيد عبدالرحمن المهدى يذبحون جملا لمناسبة زيارة البعثة	٢٣٤
« سيارات أعضاء البعثة فى مزارع القطن بالجزيرة	٢٣٤
« فى مسجد بأم درمان	٢٣٥
« سوق سودانية بها أعضاء البعثة	٢٣٥
« مزارع القطن في منطقة القاش	٣٤٠
« الأعضاء أمام مصبغة ابراهيم عامر بك ببور سودان	٢٤٥
« القطار المخصوص لتنقلات البعثة	٢٤٨
« أعضاء البعثة فى سنجة عند آل أبى العلا	٢٥١
« أعضاء البعثة فوق خزان سنار	٢٥٤
« القطن فى طوكر	٢٥٨
« الشيخ حسين فضل الله المقاول بخزان جبل الأولياء	٢٥٩
« الشيخ محمد عبد العاطى وكيل الشيخ حسين فضل الله	٢٥٩
« حفلة الشاى فى نادى كسلا	٢٦٣
« الوجيه على البرير رئيس النادى السودانى بالقاهرة	٢٦٨
« أعضاء البعثة يستمعون إلى محاضرة زراعية فى وادمدنى	٢٦٨

تابع فهرس الصور

الصورة	رقم الصفحة
« سوق الذرة والسمسم فى الأبيض	٢٧٩
« أعضاء البعثة عند وصولهم الى محطة القاهرة	٢٨٧
« الحاج محمد أحمد سرور مطرب السودان	٣٠٥
« الفوج الثاني من البعثة فى أسوان	٣٠٦
« صاحب العزة احمد حمدي سيف النصر بك	٣٠٧
« سوق الصمغ في دردیب	٣١١
« لفيف من أعضاء البعثة عند قبور الضباط المصريين بأم درمان	٣١٢
« أعضاء البعثة فى السودان	٢٢٠
« البعثة فى كوستى	٣٢١
« السكرتير الادارى المستر . ا . جيلان	٣٢٢
« حفلة الشاي فى القضارف	٣٢٤
« الدكتور رياض شمس المحامى	٣٢٥
« القمص يوحنا سلامة	٣٢٥
« السيرجون مافى حاكم السودان السابق	٣٣١
« الفونس جريس بك	٣٣١

i1451252x
E12906918

DATE DUE

MAY 1974

1 - JUN 1987

10000084616

